المختار من

تاريخ الجبرتي

اختيار

محمد قنديل البقلي

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الأول ، الذى لا يزول ملكه ولا يتحول . خالق الخلائق ، وعالم الذرات بالحقائق . مفنى الأمم ، ومحيى الرمم ، ومعيد النعم ، ومبيد النقم ، وكاشف الغمم ، وصاحب الجود والكرم .. لا اله الا هو ، كل شىء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون .

وأشهد أن لا اله الا الله تعالى عما يشركون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق أجمعين ، المنزل عليه نبأ القرون الأولين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الأيام والليالى ، وتداولت السنون والأعوام .

وبعد ، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما واليه :

انى كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذى نحن فيه .. جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية . وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها . واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة (1) تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر لُمَع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام : ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من المنفعة . ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية ليتأسى اذا لحقه مصاب ، ويتذكر بحوادث الدهر انما يتذكر أولو الألباب .. فانها حوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجائبها .

وسميته « عجائب الآثار ، فى التراجم والأخبار » .

وانا لنرجو ممن اطلع عليه ، وحل بمحل القبول لديه ، ألا ينسانا من صالح دعواته ، وأن يغضى عما عثر عليه من هفواته

* * *

اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ، ورسومهم وعاداتهم ، وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم .

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هى ، وكيف كانت ، وفائدة العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين ، من الأمم المذكورة السالفين ، ويستجلب خيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ، ويزهد فى الفانى ، ويجتهد فى طلب الباقى ..

* * *

وأول واضع له فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها نعمل . فقد قرأنا صكا محله شعبان ..

(1) الشيخة : جمع شيخ .

فما ندرى أى الشعبانين : أهو الماضى أم القابل !

وقيل : رفع لعمر صك محله شعبان فقال : أى شعبان : هذا هو الذى نحن فيه ، أو الذى هو آت؟

ثم جمع وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمناه غير مؤقت . فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ؟

فقال له الهرمزان — وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر وأسلم على يديه : ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ، ويسندونه الى من غلب عليهم من الأكاسرة . فعربوا لفظة « ماه روز » بـ « مورخ » ومصدره « التاريخ » ، واستعملوه فى وجوه التصريف .

.. وقيل ان تواريخ الفرس غير مسندة الى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ماقبله . فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وكان للعرب فى القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف الى زمن الهجرة . فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وظهر الاسلام ، وعلت كلمة الله تعالى ، اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها ، وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها . وتدرج هذا الى سنة سبع عشرة من الهجرة فى زمن عمر . . فكان اسم :

السنة الأولى : سنة الاذن (بالرحيل من مكة الى المدينة)

السنة الثانية : سنة الأمر (أى الأمر بالقتال) الى آخره ...

* * *

وقال أصحاب التواريخ ان العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الأهلة ، وتقصد مكة للحج . وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

ولكن لما كان « الحج » لا يقع فى فصل واحد من فصول السنة ، بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ، ووقوع أيام الحج فى الصيف تارة وفى الشتاء أخرى — وكذا فى الفصلين الآخرين — أرادوا أن يقع حجهم فى زمان واحد لا يتغير ، وهو وقت ادراك الفواكه والغلال ، واعتدال الزمن فى الحر والبرد .. ليسهل عليهم السفر ، ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم .

فشكوا ذلك الى أميرهم وخطيبهم فقام فى الموسم ، عند اقبال العرب من كل مكان ، فخطب ثم قال : أنا أنشأت لكم فى هذه السنة شهرا أزيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرا ، وكذلك أفعل فى كل ثلاث سنين أو أقل — حسبما يقتضيه حساب وضعته — ليأتى حجكم وقت ادراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها .

فوافقت العرب على ذلك ومضت الى سبيلها . فنسأ المحرم وجعله كبيسا ، وأخره الى صفر ، وصفر الى ربيع الأول ، وهكذا .. فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم ، وهو ذو الحجة عندهم وآخر السنة . فوقع فى السنة الأولى محرمان : الأول رأس السنة ، والآخر فى النسىء ، وعدة الشهور ثلاثة عشر .

وبعد انقضاء سنتين أو ثلاث ، وانتهاء نوبة الكبيس — أى الشهر الذى كان يقع فيه الحج — وانتقاله الى الشهر الذى بعده ، قام فيهم خطيبا وتكلم بما أراد ثم قال : « انا جعلنا الشهر الفلانى ،

من السنة الفلانية الداخلة ، للشهر الذى بعده » . ولهذا فسر النسىء بالتأخير ، كما فسر بالزيادة

وكانوا يديرون النسىء على جميع شهور السنة بالنوبة ، حتى يكون لهم مثلا فى سنة محرمان ، وفى أخرى صفران ، ومثل هذا بقية الشهور . فاذا آلت النوبة الى الشهر المحرم قام لهم خطيبا فينبئهم أن هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام ، فيحرم عليهم واحدا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم .

فلما انتهت النوبة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى الحجة ، وتم دور النسىء على جميع الشهور ، حج صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة حجة الوداع ، وهى السنة العاشرة من الهجرة ، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة . ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، لوقوعه فى عاشر ذى القعدة .

فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى ، ومن جملته : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » — يعنى رجوع الحج الى الموضع الأول كما كان فى زمن سيدنا ابراهيم صلوات الله تعالى عليه

ثم تلا قوله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . واعلموا أن الله مع المتقين . انما النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا : يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ومنع العرب من هذا الحساب ، وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج فى أى زمان أتى من فصول السنة الشمسية .. فصارت سنوهم دائرة فى الفصول الأربعة ، والحج واقع فى كل زمان منها كما كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام .

* * *

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة : لولا ما ثبتت أصولها ، ولا تشعبت فروعها .. وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدا .. وهذه (الكتب) صارت أسماء من غير مسميات ، فانا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشتة بقيت فى بعض خزائن الأوقاف بالمدارس ، مما تداولته أيدى الصحافين وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت الى بلاد المغرب والسودان ، ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيس ماوجدوه الى بلادهم ..

* * *

ولما عزمت على جمع ماكنت سودته أردت أن أوصله بشىء قبله .. وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، لكنه على نسق فى الجملة مطبوع ، لشخص يقال له أحمد چلبى بن عبد الغنى مبتدئا فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، وينتهى ، كغيره مما ذكرناه ، الى خمسين ومائة وألف هجرية (١٧٣٧ م) ..

.. فرجعنا الى النقل من أفواه الشيخة المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين ، وما انتقش على أحجار ترب المقبورين ..

ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير أو أمير . ولم أداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو ذم مباين للاخلاق .. لميل نفسانى ، أو غرض جسمانى ..

مقدمة

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها .. أحوج بعض الناس الى بعض فى ترتيب معايشهم ومآكلهم ، وتحصيل ملابسهم ومساكنهم . لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التى تحصل ما تحتاج اليه بغير صنعة .

فان الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه ، لاحتياجه الى غذاء ومسكن ، ولباس وسلاح . فجعلهم الله تعالى يتعاضدون ويتعاونون فى تحصيلها وترتيبها : بأن يزرع هذا لذاك ، ويخبز ذاك لهذا . وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم .

وركز فى نفوسهم الظلم والعدل . ثم مست الحاجة بينهم الى سائس عادل ، وملك عالم ، يضع بينهم ميزانا للعدالة ، وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم ، وترجع اليه طاعاتهم ومعاملاتهم ، فأنزل الله كتابه بالحق ، وميزانه بالعدل . كما قال تعالى : « الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » .

قال علماء التفسير : المراد بالكتاب والميزان : العلم والعدل ..

.. والعدالة تابعة للعلم بأوساط الأمور ، المعبر عنها فى الشريعة بالصراط المستقيم . وقوله تعالى : « ان ربى على صراط مستقيم » اشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست الا لله تعالى . فهو العادل الحقيقى الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ووضع كل شىء على مقتضى علمه الكامل ، وعدله الشامل .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بالعدل قامت السموات والأرض » اشارة الى عدل الله تعالى الذى جعل لكل شىء قدرا .. لو فرض فارض زائدا عليه أو ناقصا عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال .

.. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة ، وأقربهم منه : امام عادل . وان أبغض الناس الى الله تعالى ، وأشدهم عذابا يوم القيامة : امام جائر » .

فمن عدل فى حكمه ، وكف عن ظلمه .. نصره الحق ، وأطاعه الخلق ، وصفت له النعمى ، وأقبلت عليه الدنيا..فتهنأ بالعيش ، واستغنى عن الجيش[1] وملك القلوب ، وأمن الحروب ، وصارت طاعته

---

(١) يريد الجيش يتخذه الحاكم للبطش بشعبه ، لا للذود عن هذا الشعب وحمل أمانته .

فرضا ، وظلت رعيته جندا ؛ لأن الله تعالى ما خلق شيئا أحلى من العدل ، ولا أروح الى القلوب من الانصــاف ، ولا أمر من الجور ، ولا أشــنع من الظلم .

روى ابن يسار عن أبيه أنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيما وال ولى من أمر أمتى شيئا ، فلم ينصح لهم ويجتهد — كنصيحته وجهده لنفسه — كبه الله على وجهه يــوم القيامة فى النــار » .

* * *

اللهم بحرمة سيد الأنام ، يسر لنا حسن الختام .
واصرف عنا سوء القضاء ، وانظر لنا بعين الرضاء .

وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ
عن زهر مجمل التاريخ

مجمل التاريخ

أرسل الله رسوله الأكرم ، سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأمره بالصدع والاعلان ، والتطهير من عبادة الأوثان .

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ، ويتعالى ويسمو ، حتى تم ميقاته ، وقربت من النبى وفاته فلما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم عمر رضى الله عنه ، ثم عثمان رضى الله عنه ، ثم على كرم الله وجهه ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية — رضوان الله عليهم أجمعين — فى الأمر .

وبموت على تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا »

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين .

وانقرضت (دولة الأمويين) بظهور أبى مسلم الخراسانى واظهاره دولة بنى العباس . فكان أولهم السفاح وظهرت دولتها الظهور التام ، وبلغت القوة الزائدة ، والضخامة العظيمة .

ثم أخذت (دولة العباسيين) فى الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم .

ولم تزل منحطة ، وليس للخلفاء فى آخر الأمر الا الاسم فقط ، حتى ظهرت فتنة التتار التى أبادت العالم . وخرج هولاكو خان ، وملك بغداد ، وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد .

* * *

وفى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية ولم تزل فى النيابة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية وبنى العباس ، الى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ، وتغلب على النواحى كل متملك لها

فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ، وكذلك أولاده من بعده

ثم دولة الاخشيد ، وبعده كافور أبو المسك ممدوح المتنبى .

ولما مات (كافور) قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمى من المغرب (الى مصر) ، فملكها من غير ممانع ، وأسس القاهرة فى سنة ٣٦١ (٩٧١ م) . وقدم المعز الى مصر بجنوده وأمواله ، ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة فى توابيت ، وسكن بالقصرين ، وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين .

وأول ظهور أمر الفاطميين فى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣م). فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدى — وهو جد بنى عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض — باليمن . وأقام على ذلك الى سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١م) ، فحج فى تلك السنة ، واجتمع بقبيلة من كنانة فأعجبهم حاله ، فصحبهم الى مصر ، ورأى منهم طاعة وقوة ، فصحبهم الى المغرب ، فنما شأنه وشأن أولاده من بعده ، الى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل بن القائم بن المهدى الى مصر ، وهو أولهم فملكوا نيفا ومائتين من السنين الى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد وسوء

سياسة وزيره شاور ، فتملكت الافرنج بلاد السواحل الشامية ، وظهر بالشام نور الدين محمود ابن زنكى ، فاجتهد فى قتال الافرنج واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين .

وجهز (نور الدين) أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر ، فحاصرها نحو شهرين ، فاستنجد العاضد بالافرنج ، فحضروا من دمياط ، فرحل أسد الدين الى الصعيد ، فجبى خراجه ورجع الى الشام .

وقصد الافرنج الديار المصرية فى جيش عظيم وملكوا بلبيس — وكانت اذ ذاك مدينة حصينة .

ووقعت حروب بين الفريقين ، فكانت الغلبة فيها على المصريين ، وأحاطوا بالاقليم برا وبحرا وضربوا على أهله الضرائب .

ثم ان الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط ، فأمر الناس بالجلاء عنها ، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها ، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما .

وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين ، وبعث اليه بشعور نسائه ... فأرسل اليه جندا كثيفا وعليهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف ، فارتحل الافرنج عن البلاد ، وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار بحرق المدينة وصلبه .

وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة ، فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما ، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ، وقلده الأمور ، ولقّبه « الملك الناصر » ... فبذل لله همته ، وأعمل حيلته ، وأخذ فى اظهار السنة ، واخفاء البدعة : فثقل أمره على الخليفة العاضد ، فأبطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها الى هزيمة الأكراد واخراجهم من بلاده . فتفاقم الأمر، وانشقت العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا ، وانجلت الحروب عن نصرتهما .

فعند ذلك ملك الناصر القصر ، وضيق على الخليفة ، وحبس أقاربه ... وخطب للمستضيء العباسى بمصر ، وسير البشارة بذلك الى بغداد .

ومات العاضد قهرا !

وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وطهر الاقليم من البدع والتشييع والعقائد الفاسدة ، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ...

ولما توفى نور الدين الشهيد انضم اليه (الى صلاح الدين) ملك الشام . وواصل الجهاد واستخلص ماتغلب عليه الافرنج من السواحل وبيت المقدس ، بعدما أقام بيد الافرنج نيفا واحدى وتسعين سنة ... وتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) ، ولم يترك الا أربعين درهماً ...

ثم استمر الأمر فى أولاده وأولاد أخيه الملك العادل

وحضر الافرنج أيضا الى مصر فى أيام الملك الكامل ابن العادل ، وملكوا دمياط وهدموها ، فحاربهم شهورا حتى أجلاهم . وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة فى غير مكانها — وكانت تسمى بالمنشية .

وفى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب — ابن الكامل — حضر الافرنج وملكوا دمياط ، وزحفوا الى فارسكور . واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ، ومات بها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، والحرب قائمة .

وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا ، وانهزمت الافرنج ، وأسر ملكهم ... وكانوا طائفة الفرلسيس .

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندا كثيفا ، وبنى لهم قلعة الروضة ، وأسكنهم بها ، وسماهم « البحرية » . ومقدمهم الفارس أقطاى .

ولما انهزم الافرنج ، ومات الصالح ، وتملك ابنه توران شاه ، استوحش من مماليك أبيه واستوحشوا منه ، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا فى السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت ... وهى آخر الدولة الأيوبية . ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة .

ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) ، وهو أول الدولة التركية بمصر .

ولما قتل ولوا ابنه المظفر على . فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره ، وتولى الملك المظفر قطز ، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار ، فظهر عليهم ، وهزمهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ... بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمور من الأرض ، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد . وفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) ، ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف وفى البحر .

فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاكو خان — وهو ابن طلون بن جنكيز خان — على بغداد ، وذلك سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ، وهى اذذاك كرسى مملكة الاسلام ودار الخلافة ، فملكها ، وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين ، وفيها خليفة رب العالمين ! وامام المسلمين ، وابن عم سيد المرسلين ... فقتلوه وأهله وأكابر دولته ، وجرى فى بغداد مالم يسمع بمثله فى الافاق .

ثم ان هولاكو خان أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة .

ثم تقدم التتار الى بلاد الجزيرة واستولوا على جران والرها وديار بكر فى سنة ٦٥٧ (١٢٥٨ م) ، ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب فى سنة ٦٥٨ (١٢٥٩ م) ، واستولوا عليها وأحرقوا المساجد ، وجرت الدماء فى الأزقة ، وفعلوا ما لم يتقدم مثله .

ثم وصلوا الى دمشق ، وسلطانها الناصر يوسف ابن أيوب ، فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة . ودخل التتار الى دمشق وتسلموها بالأمان ... ثم غدروا بهم .

وتعدوها فوصلوا الى نابلس ، ثم الى الكرك وبيت المقدس ، فخرج سلطان مصر ... فالتقاهم عند عين جالوت ، فكسرهم وشردهم وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ، ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحا ...

ودخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق محبة عظيمة .

وساق بيبرس خلف التتار الى بلاد حلب فطردهم . وكان السلطان وعده بحلب ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر ... وكذلك السلطان ، وأسر ذلك الى بعض خواصه فأطلع بيبرس ، فساروا الى مصر وكل منهم محترس من صاحبه فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق .

* * *

وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانا ، وتلقب بالملك الظاهر ، وذلك سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) ، والظاهر بيبرس أحد المماليك البحرية .

وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات ، وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتى

عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقة امير مكة مع التتار .

واستقر الملك للظاهر بيبرس حتى مات بدمشق فى ٢٧ المحرم سنة ٦٧٦ هجرية (٣٠ يونيه ١٢٧٧م).

وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقيادا للشرع ، وله فتوحات وعمارات مشهورة ، ومآثره حميدة ، ومنها رد الخلافة لبنى العباس . وذلك أنه لما جرى ماجرى على بغداد ، وقتل الخليفة ، وبقيت ممالك الاسلام بلا خلافة ثلاث سنوات ، حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين فى الواقعة الى عرب العراق ، فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة ، فأثبت نسبه على يد قاضى القضاة ، ثم بويع بالخلافة ، فبايعه السلطان (هو الملك الظاهر بيبرس نفسه) وقاضى القضاة ، ثم الكبار على مراتبهم ، ولقب بالمستنصر ، وركب يوم الجمعة وعليه السواد (وهو شعار العباسيين) الى جامع القلعة ، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى العباس ، ودعافيها للسلطان (أى بيبرس) وللمسلمين، ثم صلى بالناس ، ورسم بعمل خلعة خليفية الى السلطان ، وكتب له تقليدا وقرىء بظاهر القاهرة بحضرة الجمع . وألبس الخليفة السلطانَ الخلعةَ بيده ، وفوض اليه الأمور ، وركب السلطان بالخلعة ، والتقليد محمول على رأسه ، ودخل من باب النصر . وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين يديه ...

ثم انه عزم (أى الخليفة المستنصر) على التوجه الى العراق ، فخرج معه السلطان وشيعه الى دمشق ، وجهز معه ملوك الشرق : صاحب الموصل ، وصاحب سنجار والجزيرة ، وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار . وسافروا حتى تجاوزوا هيت ، فلاقاهم التتار فحاربوهم ، فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر .

وبعد أيام حضر شخص آخر من بنى العباس الى دمشق ، فكاتب صاحب دمشق السلطان فى شأنه ، فأرسل يستدعيه فأرسله فلما قدم الى القاهرة — ومعه ولده وجماعته — آكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر ، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة .

واستمرت الخلافة (العباسية) بمصر ، وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعين سنة .

* * *

ولما مات الملك الظاهر ، تولى بعده ابنه الملك السعيد ، ثم أخوه الملك العادل — وكان صغيرا والأمر لقلاوون — فخلعه واستبد بالملك ، ولقب بالملك المنصور قلاوون . وهو صاحب البيمارستان المنصورى والمدرسة والقبة التى دفن بها . وله فتوحات بسواحل البحر الرومى (البحر الأبيض المتوسط) . ونه مصافات مع التتار وغير ذلك . تولى سنة ٦٧٨ (١٢٧٩ م) ، ومات أواخر سنة ٦٨٩ (١٢٩٠ م) ، وكانت مدته احدى عشرة سنة .

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف . وكان بطلا شجاعا ذا همة علية ، ورياسة مرضية . خانه أمراؤه وغدروه وقتلوه بترانة جهة البحيرة سنة ٦٩٣ (١٢٩٣ م) (١) .

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره تسع سنين ، فأقام سنة وخلعه مملوك أبيه زين الدين كتبغا .

فلما تولى زين الدين كتبغا الملك باسم « الملك العادل » ثار الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة على العادل .

وتسلطن (حسام الدين) عوضه . فثار عليه

(١) فى هذه الأيام كانت بوادر النهضة فى اوربا قد اخذت تلوح بشائرها . فكان « روجر بيكون » ، مثلا ، مكبا على تعلم اللغة العربية ، ينهل مما كتب علماء العرب فى « البصريات » (علم الضوء) ما مكنه من صنع العدسات ، ويستلهم من كيميائهم ما توصل به الى صنع البارود !

مملوكان لم يكادا يقتلانه حتى قتلا أيضا .

استدعى الناصر (الذى خلع من قبل ونفى فى الكرك) ، فقدم وأعيد الى السلطنة مرة ثانية ، فأقام عشر سنوات وخمسة أشهر محجورا عليه ، والقائم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشنكير ، وسلار نائب السلطنة . فأظهر الناصر أنه يريد الحج بعياله ؛ فوافقه الأميران على ذلك ، فتوجه الى الكرك ونزل بقلعتها ، وصرح بأنه ثنى عزمه عن الحج ، واختار الاقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح ، وكتب الى الأمراء بذلك ، وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك .

وتسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر . وكتب للناصر (الملك السابق) تقليدا بنيابة الكرك . فعندما وصله التقليد اظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك ...

فلم يتركه المظفر ، وأخذ يناكده ، ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للاقامة عنده ، والخيول التى أخذها من القلعة ، والمال الذى أخذه من الكرك . وهدده ، فحنق لذلك وكتب الى نواب الشام يشكو ماهو فيه ، فحثوه على أخذ ملكه ، ووعدوه بالنصرة ، فتحرك لذلك وسار الى دمشق ، وأتت النواب اليه ، وقدم الى مصر ، وفر بيبرس (المظفر) ، وطلع الناصر الى القلعة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩ (١٣١٠ م) فاقام فى الملك ٣٢ سنة و٣ أشهر . ومدة سلطنته ٤٣ سنة و ٨ أشهر و ٩ أيام .

وكان ملكا عظيما جليلا كفؤا للسلطنة ،ذا دهاء ، محبا للعدل والعمارة وطابت مدته ، وشاع ذكره ، وطار صيته فى الآفاق ، وخطب له فى بلاد بعيدة .

وقد أسقط المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية ، وأبطل الرشوة وعاقب عليها ، فلا يقلد المناصب الا مستحقيها بعد التروى والامتحان واتفاق الرأى ، ولا يقضى الا بالحق ... فكانت أيامه سعيدة ، وأفعاله حميدة .

وفى أيامه كثرت العمائر حتى يقال : ان مصر والقاهرة زادتا فى أيامه أكثر من النصف ، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها .

وحضر فى أوائل دولته القان غازات بجنود التتار ، فخرج اليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين .

وقد قال فيه الصفى الحلى ، من قصيدة طويلة :

الناصر السلطان من خضعت له
كل الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة
ويعدّ راحات الفراغ متاعبا
ترجى مكارمه ويخشى بطشه
مثل الزمان : مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة
واذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالليث : يحمى غابه بزئيره
طورا ، وينشب فى القنيص مخالبا
كالسيف : يبدى للنواظر منظرا
طلقا ، ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل : تحمد منه عذبا واصلا
ويعده قوم عذابا واصبا
كالبحر : يهدى للنفوس نفائسا
منه ، ويبدى للعيون عجائبا

***

يا أيها الملك العزيز ، ومن له
شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهيبة
تذر الأجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الأمان ... فمن رأى
ملكا يكون له الزمان مواهبا ؟

وتولى من أولاد السلطان الناصر ، وأولاد أولاده ، اثنا عشر سلطانا :

منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة . ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك .

ومنهم الملك الأشرف شعبان . وهو الذى أمر الاشراف بوضع العلامة الخضراء فى عمائمهم . وفى ذلك يقول بعضهم :

جعلوا لأبناء النبى علامة
ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم
يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفى أيام الأشرف هذا قدمت الافرنج الى الاسكندرية على حين غفلة ، ونهبوا أموالها ، وأسروا نساءها . ووصل الخبر الى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها . ويقال ان الفرساوى الذى تكون فى أذنه قرط ... أمه أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة !

وفى أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب ، فأمر باخراجهم من مصر ، فتجمعوا وعصوا ، فحاربهم وقاتلهم فانهزموا ، فقبض على كثير منهم ، فقتل منهم طائفة ، وغرق منهم طائفة ، ونفى منهم طائفة ، وبقى منهم بمصر طائفة التجأوا الى بعض الأمراء .. وكانوا أرذل مذكور فى الاقليم المصرى !

فلما عزم الأشرف على الحج ، انتهزوا عند ذلك الفرصة ، وكتموا أمرهم ، ومكروا مكرهم ، وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة ، وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم ، حتى ينقضوا نظام الدولة ، ويزيلوا السلطان والأمراء .

ولما خرج السلطان وبعد عن مصر آثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية ، وفعلوا ما فعلوه ، ونادوا بموت السلطان ، وولوا ابنه وثار أيضا أصحابهم على السلطان فى العقبة ، فانهزم طالبا المجىء الى مصر . وجرى ما هو مسطر فى الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه ، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة ، ووصل كل صعلوك منهم لمراتع الملوك ، وأزالوا عز الدولة القلاوونية ، وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب ، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ... ملوك الأرض يجبى اليهم ثمرات كل شىء !

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الچركسى ، أحد مماليك يلبغا العمرى وكان غاية فى الدهاء والمكر ، فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل ابن الأشرف وأخذ السلطنة لنفسه والأشرف هذا هو آخر دولة المماليك البحرية .

* * *

وبرقوق هو أول ملوك الچراكسة بمصر . وبعده ابنه فرج واستمر الملك فيهم وفى أولادهم الى الأشرف قانصوه الغورى .

وابتداء دولتهم سنة ٧٨٤ (١٣٨٢ م) ، وانقضاؤها سنة ٩٢٣ (١٥١٧ م) ، فتكون مدة دولتهم ١٣٩ سنة .

* * *

وسبب انقضاء دولة المماليك الچراكسة ، فتنة السلطان سليم شاه بن عثمان ، وقدومه الى الديار المصرية ، فخرج اليه سلطان مصر قانصوه الغورى فلاقاه عند مرج دابق بحلب . وخامر عليه أمراؤه : خير بك ، والغزالى ، فخذلوه وفقدوه .

ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية ، وأقام خير بك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل فى تواريخ المتأخرين ، مثل « مرج الزهور » لابن اياس ، وابن زنبل [1] .

ولما خلص أمر مصر للسلطان سليم .. رجع الى بلاده ، وأخذ معه الخليفة العباسى ، وانقطعت الخلافة والمبايعة ، وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده بحيث انه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة [2] ..

ولما توفى السلطان سليم تولى بعده السلطان سليمان .. ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم ، ومنقادة تحت حكمهم ، من ذلك الأوان الذى استولوا عليها فيه ، الى هذا الوقت الذى نحن فيه، وولاة مصر نوابهم ، وحكامها أمراؤهم .

وكانوا فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين .. فانظر ، يأخى ، وتأمل .. ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ! وليس الحال بمجهول ، حتى يفصح عنه اللسان بالقول .. وقد أخرسنى العجز أن أفتح فما ، أفغير الله أبتغى حكما ؟

وكانوا قديما على صحة
فقد داخلتهم حروف العلل

* * *

وفى أثناء الدولة العثمانية ، ونوابهم وأمرائهم المصرية ، ظهر فى عسكر مصر سنة جاهلية ، وبدعة شيطانية .. زرعت فيهم النفاق ، وأسست فيما بينهم الشقاق . ووافقوا فيها أهل الحرف اللئام ، فى قولهم « سعد » و « حرام » . وهو أن الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين ، واحتزبوا بأسرهم حزبين : فرقة يقال لها « فقارية » . وأخرى تدعى « قاسمية » .

ولذلك أصل مذكور ، وفى بعض سير المتأخرين مسطور .. لا بأس بايراده فى المسامرة ، تتميما للغرض فى مناسبة المذاكرة :

وهو أن السلطان سليم شاه ، لما بلغ من ملك الديار المصرية مناه ، قال يوما لبعض جلسائه : يا هل ترى هل بقى أحد من الجراكسة نراه ؟

فقال له خير بك : نعم أيها الملك العظيم . هناك رجل قديم ، يسمى سودون الأمير ، طاعن فى السن كبير ، رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين ، لا يضاهيهما أحد فى الميدان . فلما حصلت هذه القضية ، تنحى وحبس ولديه بالدار ، وعكف على العبادة .

فقال السلطان : هذا والله رجل عاقل ينبغى لنا أن نذهب لزيارته .

ثم ركب فى الحال الى أن وصل اليه ، ودخل عليه . فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته وسلم عليه ، فأمره بالجلوس الى أن اطمأن خاطره . وسأله عن سبب عزلته ، فأجابه أنه لما رأى فى دولتهم اختلال الأمور ، وترادف الظلم والجور ، « فتنحيت عن حال الغرور ، وتباعدت عن نار الشرور ، ومنعت ولدىّ عن التداخل فى الأهوال ، وحبستهما عن مباشرة القتال ، خوفا عليهما لما أعلمه فيهما من الاقدام .. » .

ثم أحضر ولديه قاسما وذا الفقار ، وأخرجهما من محبسهما . فنظر اليهما السلطان ، فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان ..

ثم ركب السلطان سليم عائدا الى مكانه . وأصبح ثانى يوم ، فركب السلطان مع القوم . وخرج الى الخلا ، بجمع من الملا . وجلس ببعض

---

(١) هى كتب حافلة سنقدمها — باذن الله — الى قراء « كتاب الشعب » .

(٢) لقد رات مصر من ايام السوء ما رات ، وعانت من السلب والنهب ما عانت .. ولكنها لم تشهد اسوأ مما فعل بها سليم بفعلته هذه ، ولم ينل من تراثها عاد ما نال هذا الجلف الغشوم !

القصـور ؛ ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور .

وطلب الأمير سودون وولديه ، فحضروا بين يديه . فقال لهم : أتدرون لم طلبتكم ؟ فقالوا : لا يعلم ما فى القلوب ، الا علام الغيوب .

فقال : أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ، ويترامحا ويتسابقا بالخيل فى هذا النهار .

فامتثلا أمره ، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا ، وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون ، حتى شخصت فيهما العيون . ثم أشـار اليهما ، فنزلا عن فرسيهما ، وصعدا الى أعلى المكان ، فخلع عليهما السلطان .

ثم خرج فى اليوم التالى ، وحضر الأمراء والعسكر المتوالى . فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين ، وينحازوا بأسرهم فريقين : قسم يكون رئيسهم ذا الفقار ، والثانى أخوه قاسم الكرلر ؛ وأضاف الى ذى الفقار أكثر فرسان العثمانيين ، والى قاسم أكثر الشجعان المصريين . وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب ، وأمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر فى الملبس والركاب . وأمرهم أن يركبوا فى الميدان على هيئة المتحاربين ، وصورة المتنابذين المتخاصمين . فأذعنوا بالانقياد ، وعلوا على ظهور الجياد . وساروا بالخيل ، وانحدروا كالسيل . وانعطفوا متسابقين ، ورمحوا متلاحقين . وتناوبوا فى النزال ، واندفعوا كالجبال ، وارتفعت الأصوات ، وكثرت الصيحات .. وكاد الخرق يتسع على الراقع . وقرب أن يقع القتل والقتال ، فنودى فيهم عند ذلك بالانفصال ..

فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعساكرها فرقتين ، واقتسموا بهذه الملعبة حزبين . واستمر كل منهما على محبة اللون الذى ظهر فيه ، وكره اللون الآخر فى كل ما يتقلبون فيه .. حتى أوانى المتناولات ، والمأكولات والمشروبات .. والفقارية يميلون الى « نصف سعد » والعثمانيين ، والقاسمية لا يألفون الا « نصف حرام » والمصريين . وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ، ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال (١)

ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ، ويتوارثه السادة والعبيد ، حتى تجسم ونما ، وأهريقت فيه الدما . فكم خربت بلاد ، وقتلت أمجاد ! وهدمت دور ، وأحرقت قصور ! وسبيت أحرار ، وقهرت أخيار !

* * *

وقيل غير ذلك ، وأن أصل القاسمية ينسبون الى قاسم بيك الدفتردار تابع مصطفى بيك ، والفقارية نسبة الى ذى الفقار بيك الكبير . وأول ظهور ذلك من سنة ١٠٥٠ (١٦٤٠ م) . والله أعلم بالحقائق .

واتفق أن قاسم بيك المذكور أنشأ فى بيته قاعة جلوس ، وتأنق فى تحسينها ، وعمل فيها ضيافة لذى الفقار بيك أمير الحج المذكور ، فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة .

ثم قال له ذو الفقار بيك : وأنت ايضا ضيفى فى غد .

وجمع ذو الفقار مماليكه فى ذلك اليوم — صناجق وأمراء واختيارية — وحضر قاسم بيك بجمع من طائفته ، فدخل قاسم بيك عنده فى البيت . وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما الا بطلب ، الى أن فرشوا السماط ، وجلس صحبته على السماط .

فقال قاسم بيك : حتى يقعد الصناجق والاختيارية !

---

(١) صحت هذه القصة ام لم تصح .. فلا تزال سياسة « فرق تسد » هى المفتاح السحرى لعاد يريد ان يجثم على صدر امة من الامم !

فقال ذو الفقار : انهم يأكلون بعــدنا . هؤلاء جميعهم مماليكى ، عندما أموت يترحمون على ، ويدعون لى .. وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة ! لكونك ضيعت المال فى الماء والطين !

فعنــد ذلك تنبــه قاســم بك ، وشرع ينشىء اشراقات كذلك .

وكانت الفقارية موصــوفة بالــكثرة والكرم ، والقاسمية بكثرة المال والبخل .

وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخــر اذا ركبــوا فى المواكب أن يكون بيرق الفقارى أبيض ، ومزاريقه برمانة .. وبيرق القاسمية أحمر ، ومزاريقه بجلبة ... ولم يزل الحال على ذلك .

مطلع اليوميات

استهل القرن الثانى عشر (الهجرى ، وهو يوازى المدة الواقعة بين ١٦٨٨و١٧٨٦ م) وامراء مصر فقارية وقاسمية .

فالفقارية : ذو الفقار بيك ، وابراهيم بيك أمير الحج ، ودرويش بيك ، واسماعيل بيك ، ومصطفى بيك قزلار ، وأحمد بيك قزلار بجدة ، ويوسف بيك القرد ، وسليمان بيك بارم ذيله ، ومرجان جوز بيك (وكان أصله قهوجى السلطان محمد ، عملوه صنجقــا فقاريا بمصر) ــ الجميع تسعة ، وامير الحج منهم .

والقاسمية : مراد بيك الدفتردار ، ومملوكه ابو ظبيك ، وابراهيم بيك ابو شنب ، وقانصوه بيك ، وأحمد بيك منوفية ، وعبد الله بيك .

ونواب مصر : من طرف السلطان سليمان بن عثمان فى أوائل القرن : حسن باشا السلحدار سنة ١٠٩٩ ــ ١١٠١ هجرية . والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان ، ابن ابراهيم خان .

امارة الحج : وتقلد ابراهيم بيك أبو شنب امارة الحج . واسماعيل بيك دفتردار ــ وذلك ســنة ١٠٩٩ هجرية . . .

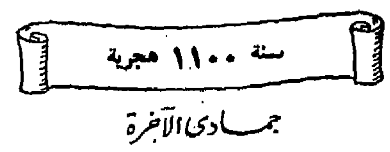
يوميات الجبرتى

سنة ١٠٩٩ هجرية

ذو الحجة

آخره (٢٥ اكتوبر ١٦٨٨) :

حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بيك بن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين ، خلف جبل الجيوشى . وقتلوا كثيرا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم. وأحضر منهم أسرى كثيرة ، ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة . فقتلوا من الحج خلقا كثيرا وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها ، وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا الى العقبة وهرب العربان .



جمادى الآخرة

٤ منه (٢٦ مارس ١٦٨٩ م) :

خنق الباشا كتخداه بعد أن أرسله الى دير الطين ، على أنه يتوجه الى جرجا لتحصيل الغلال ، وذلك لذنب نقمه عليه .

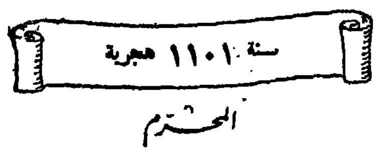
شعبان

(مايو ١٦٨٩ م)

نقب المحابيس العرقانة ، وهرب المسجونون منها .

وفيه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى أوانه على العادة . ثم عزل حسن باشا ونزل الى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول .

وتولى قيطاس بيك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر .



المحرم

١٦ منه (٣٠ اكتوبر ١٦٨٩ م)

تولى أحمد باشا وحضر من طريق البر — وكان سابقا كتخدا ابراهيم باشا الذى مات بمصر (١) — وطلع الى القلعة .

ووصل أغا بطلب ألفى عسكرى وعليهم صنجق يكون عليهم سردارا ، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقا .

جمادى الآخرة

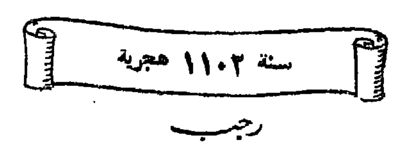
منتصفه (٢٦ مارس ١٦٩٠ م)

سافر مصطفى بيك ومعه الألفا عسكرى . وفى هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة الى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان . وسافر أيضا خلفهم اسماعيل بيك ، وجميع الكشاف وكتخدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية . وحاربوا ابن وافى وعربانه مرارا ، ثم وقعت وقعة كبيرة فهزم فيها الأحزاب وولوا منهزمين نحو الفرق .

(١) توفى فى ١٢ جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مارس ١٦٩١ م) فكانت مدة ولايته سنة وستة أشهر . ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدى . وقد كان تداعى للسقوط .

وأما قيطاس بيك (١) وحسن أغا بلفية وكتخدا الباشا .. فانهم صادفوا جمعا من العرب فى طريقهم ، فأخذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤوسا ثم حضروا الى مصر .

وفى أيامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مكة ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة ، فكانت الهزيمة على الشريف .



سنة ١١٠٢ هجرية

رجب

١٥ منه (١٤ مايو ١٦٩١) :

حضر قانصوه بيك ـ تابع قيطاس بيك (المتوفى) — من سفره بالخزينة مكان كتخدا الباشا المتولى قائمقام بعد موت سيده فألبس قانصوه بيك دفتردار .

ثم ورد مرسوم بولاية على كتخدا الباشا قائمقام وأذن بالتصرف الى آخر مسرى (٦ الحجة ١١٠٢ / أول سبتمبر ١٦٩١ م) فكانت مدة تصرفه أربعة وتسعين يوما .

رمضان

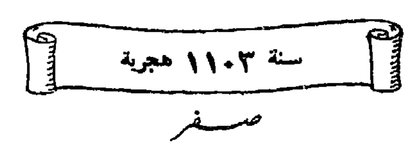
٢٢ منه (١٩ يونية ١٦٩١) :

تولى على باشا وحضر من البحر الى القلعة . وحضر صحبته ترخان وأقام بمصر الى أن توجه الى الحج ورجع على طريق الشام .

ذو القعدة

٢٢ منه (١٧ أغسطس ١٦٩١) :

حضر قرا سليمان من الديار الرومية (٢) ومعه مرسوم مضمونه : الخبر بجلوس السلطان أحمد بن السلطان ابراهيم ، فزينت مصر ثلاثة أيام وضربت مدافع من القلعة .



سنة ١١٠٣ هجرية

صفر

١٣ منه (٥ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد نجاب من مكة وأخبر بأن الشريف سعد تغلب على محسن وتولى امارة مكة . فأرسل الباشا عرضا الى السلطنة بذلك .

ربيع الأول

٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين لأربعة من الصناجق ، فتولى : ابراهيم بيك بن ذى الفقار أمير الحج حالا عوضا عن أغات مستحفظان ، ومراد بيك الدفتردار على المحمدية عوضا عن كتخدا مستحفظان ، وعبد الله بيك على وقف الخاصكية عوضا عن كتخدا العزب ، واسماعيل بيك على أوقاف الحرمين عوضا عن باشجاويش مستحفظان ، فألبسهم على باشا قفاطين على ذلك .

رمضان

مستهله (١٧ مايو ١٦٩٢ م) :

حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة وتوجه الى الحجاز .

شوال

(يونيو ١٦٩٢ م)

فيه سافر على كتخدا أحمد باشا المتوفى الى الروم .

وفيه تقلد اسماعيل بيك الدفتردارية عوضا عن مراد بيك .

(١) توفى فى ١٤ رجب سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مايو ١٦٩١ م)

(٢) يعنى بالديار الرومية : مقر الخلافة الاسلامية ... اسطنبول !

١٣ منه (٢٨ يونيو ١٦٩٢ م) :

قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان ببابهم . وحصلت فى بابهم فتنة أثارها كجك محمد ، وأخرجوا سليم أفندى من بلكهم ورجب كتخدا وألبسوهما الصنجقية .

٢٣ منه (٨ يوليو ١٦٩٢) :

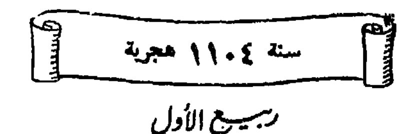
أبطل كجك محمد الحمايات من مصر ، باتفاق السبع بلكات ، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب والانكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها . وكتب بذلك « بيورلدى » (١) ، ونادوا به فى الشوارع .

ذو القعدة

غرته (١٥ يوليو ١٦٩٢) :

قبض الباشا على سليم أفندى وخنقه بالقلعة ونزل الى بيته محمولا فى تابوت .

وتغيب رجب كتخدا ثم استعفى من الصنجقية فرفعوها عنه وسافر الى المدينة



ربيع الأول

١٨ منه (٢٧ نوفمبر ١٦٩٢ م) :

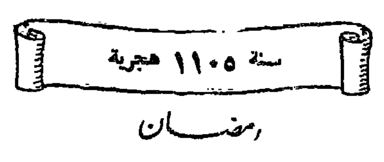
ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سمى أحدهما : سليمان والآخر ابراهيم .

شعبان

١٢ منه (١٨ ابريل ١٦٩٣ م) :

سافر حسين بيك أبو يدك بألف نفر من العسكر لاحقا بابراهيم بيك أبى شنب ، الذى سافر فى أواخر ربيع الأول (أوائل ديسمبر ١٦٩٢ م) لقلعة كريد .

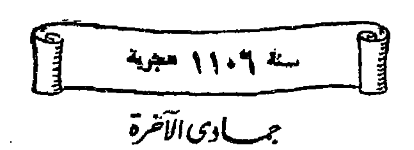
(١) « بيورلدى » اى موافقة .



رمضان

١٢ منه (٧ مايو ١٦٩٤) :

هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو . وكان الناس فى صلاة الجمعة ، فظن الناس أنها القيامة . وسقطت المركب التى على منارة جامع طولون وهدمت دور كثيرة .



جمادى الآخرة

١٢ منه (٢٨ يناير ١٦٩٥ م) :

حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطرودا من الشريف سعد .

رجب

٢٨ منه (٤ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد (١) .

شعبان

٤ منه (٢٠ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد مرسوم بضبط أموال نذير أغا ، واسماعيل أغا الطواشيين ، فسجنوهما بباب مستحفظان وضبطوا أموالهما وختموها .

١٢ منه (٢٨ مارس ١٦٩٥ م) :

طلع أحمد بيك بموكب مسافرا باش على ألف عسكرى الى أنكروس .

(١) فى ٢٢ جمادى الآخرة تسلطن السلطان مصطفى خان الثانى بعد وفاة السلطان احمد خان الثانى وله من العمر ٥٤ سنة حكم منها ٤ سنوات و٨ أشهر .
(التوفيقات الالهامية تسنة ١١٠٦ هـ)

٢٧ منه (١٢ ابريل ١٦٩٥ م) :

طلع اسماعيل بيك بألف عسكرى لمحافظة رودس بموكب الى بولاق . فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سافر الى الاسكندرية .

شوال

٥ منه (١٩ مايو ١٦٩٥ م) .

أنهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون بالأزهر الى على باشا : امتناع الملتزمين من دفع خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد، وما يلزم من تعطيل الشعائر .. فأمر الملتزمين بدفع ماعليهم من غير توقف ، فامتثلوا

وفى هذا الشهر أرسل الباشا الى مراد بيك الدفتردار بعمل جمعية فى بيته بسبب غلال الأنبار. فاجتمعوا وتشاوروا فى ذلك فوقع التوافق « أن البلاد الشراقى تبقى غلالها الى العام القابل . وأما الرى فيدفع ملتزموها ماعليهم » وأخذوا أوراقا يبعت بالثمن ، اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق ، عن الجراية مائة وخمسون نصفا . وغلق الملتزمون ماعليهم بشراء الوصلات .

١٢ منه (٢٦ مايو ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس بن اسماعيل التبتلاوى قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المغاربة .

ذوالقعدة

١١ منه (٢٣ يونيو ١٦٩٥ م) .

ورد أغا بمرسوم بمبيع متاع لذبر آغا واسماعيل أغا المعتقلين ، وضبط أثمانهما ، ماعدا الجواهر والذخائر التىاختلسوها من السرايا ، فانها تبقى بأعيانها، وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما وأن يسجنا فى قلعة الينكجرية ، ففعل بهم ذلكوبلغ أثمان المبيعات آلفا وأربعمائة كيس خلاف الجواهر والذخائر فانها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بيك كاشف ولاية المنوفية .

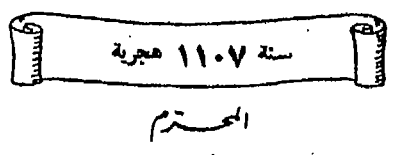
ذوالحجة

(يوليو ١٦٩٥ م) :

فيه : سافر أناس من مكة الى دار السلطنة . وشكوا من ظلم الشريف سعد .. فعين اليه محمدبيك نائب جدة واسماعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحج فتحاربوا معه ولزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة . ثم بعد عود الحج ، رجع سعد وتغلب وطرد عبد الله ابن هاشم .

وفى هذه السنة قصر مد النيل وهبط بسرعة فشرقت الأراضى ووقع الغلاء والفناء (١)

وفيها : وقعت مصالحات فى المال الميرى بسبب الرى والشراقى .



سنة ١١٠٧ هجرية

المحرم

منتصفه (٢٦ اغسطس ١٦٩٥ م) :

اجتمع الفقراء والشحاذون ، رجالا ونساء وصبيانا ، وطلعوا الى القلعةووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم أحد ، فرجموا بالأحجار فركب الوالىوطردهم . فنزلوا الى الرميلة

---

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان ثمن اردب القمح بلغ فى بولاق ١٢٠ نصف فضة وبالرميلة ١٨٠ نصف فضة والشعير ١٢٠ والفول كذلك .

ونهبوا حواصل الغلة التى بها وكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآنا بالشعير والفول . وكانت هذه الحادثة ابتداء الغـلاء حتى بيع الأردب من القمح بستمائة نصف فضة ، والشعير بثلثمائة ، والفول بأربعمائة وخمسين ، والأرز بثمانمائة نصف فضة وأما العدس فلا يوجد وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها . وحضر أهالى القـرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة ، واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ، ومات الكثير من الجوع . وخلت القرى من أهلها ، وخطف الفقراء الخبز من الأسـواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين . ويذهب الرجلان والثـلاثة مع طبق الخبز يحرسـونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به

٢٨ منه (٨ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

عزل على باشا وكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما . ونزل الى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل .

وفيه حضر مسلم اسماعيل باشا من الشام ، وجعل ابراهيم بيك أبا شنب قائمقام .

صـفر

١٧ منه (٢٧ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة (١) . ورأى ما فيه الناس من الكرب والغلاء . فأمر بجمع الفقراء والشحاذين بقراميدان ، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمراء والأعيان...كل انسان على قدر حاله وقدرته . وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانبا ، وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صـباحا ومساء الى أن انقضى الغلاء ، وأعقب ذلك وباء عظيم ، فأمر الباشا بيت المال أن يكفن الفقراء والغرباء فصـاروا يحملون الموتى من الطـرقات ويذهبون بهم الى مغسـل السلطان عند سبيل المؤمن الى أن انقضى أمر الوباء ، وذلك خـلاف من كفنه الأغنياء وأهل الخـير من الأمراء والتجار وغيرهم .

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان تولية اسماعيل باشا فى اول رجب ١١٠٧ هـ (٥ فبراير ١٦٩٦ م) .

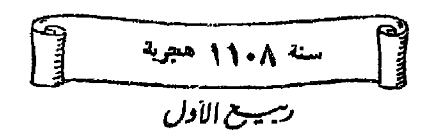
رجـب

١٧ منه (٢١ فبراير ١٦٩٦ م) :

تقلد قيطاس بيك تابع أمير الحج ذى الفقـار بيك ، الصنجقية عوضا عن ابن سيده ابراهيم بيك.

وفيـه ورد الافراج عن نذير أغا ورتب له خمسمائة عثمانى وخمس جرايات وعشر علائف فى ديوان مصر . واستمر رفيقه اسماعيل أغا فى السجن.

وفى هذا الشهر ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بيك .



سنة ١١٠٨ هجرية

ربيع الأول

١٣ منه (١٠ اكتوبر ١٦٩٦ م) :

ورد أمر بتزيين أسـواق مصر سرورا بمولود للسلطان وسمى محمودا .

وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بيك .

رمضـان

١٣ منه (٥ ابريل ١٦٩٧ م) :

قامت العسـاكر على ياسف اليهودى وقتلوه وجـروه من رجله وطرحـوه فى الرميلة ، وقامت الرعايا فجمعوا حطبا وأحرقوه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة..وسبب ذلك أنه كان ملتزما بدار الضرب فى دولة على باشا المنفصل . ثم طلب الى اسلامبول

وسئل عن أحوال مصر فأملى أمورا ، والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد ، وحسن بمكره احداث محدثات . ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه الى الديوان . وقرئت الأوامر التى حضر بها ووافقه الباشا على اجرائها وتنفيذها ، وأشهر النداء بذلك فى شوارع مصر ، فاغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد الى الأمراء وراجعوهم فى ذلك ، فركب الأمراء والصناجق وطلعوا الى القلعة وفاوضوا الباشا فجاوبهم بما لايرضيهم ، فقاموا عليه قومة واحدة وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع من تسليمه فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه . فأمرهم بوضعه فى العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا فى أمره ، ففعلوا به كما أمرهم ، فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى المذكور ليقتلوه فامتنع ، فمضوا الى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر .

سنة ١١٠٩ هجرية

صفر

(اغسطس ١٦٩٧ م)

فيه : وردت سكة دينار عليها طرة ، فجمع الباشا الأمراء ، وأحضر أمين الضربخانة ، وسلمها له وأمره أن يطبع بها ، وأن يكون عيار الذهب ٢٢ قيراطا ، والوزن كل مائة شريفى مائة وخمسة عشر درهما ، وسعر الأبى طرة مائة وخمسة عشر نصفا .

وفيه : لبس عبد الرحمن بيك على ولاية جرجا وتوجه اليها .

ربيع الأول

١٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٦٩٧ م) :

قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت مدة اسماعيل باشا سنتين ، وتقلد مصطفى بيك قائمقام مصر .

منتصفه (٢٧ يناير ١٦٩٨ م) :

حضر حسين باشا من صيدا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم .

رمضان

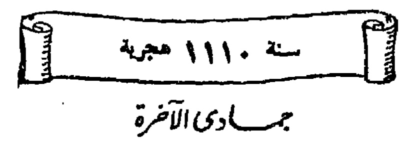
١٩ منه (٣١ مارس ١٦٩٨ م) :

ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفى نفر من العسكر وعليهم يوسف بيك المسلمانى ، فقضى أشغاله وسافر .

ذو الحجة

منتصفه (٢٤ يونية ١٦٩٨ م) :

خرج اسماعيل باشا الى العادلية[1] ليسافر وكان قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف أردب دفع عنها خمسين كيسا وباع منزله وبلاد البدرشين التى كان قد وقفها وتوجه الى بغداد .



سنة ١١١٠ هجرية

جمادى الآخرة

آخرها (٢ يناير ١٦٩٩ م) :

ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمى ، قدم الى القاهرة وأقام بظهر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن فاجتمع عليه كثير من العوام ، وادعوا فيه الولاية . وأقبلت عليه الناس من كل جهة ، واختلط النساء بالرجال . وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة ، فقامت عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد السيدة نفيسة .

شوال

١٤ منه (١٥ ابريل ١٦٩٩ م) :

كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس . وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التى

(١) هى الوايلية الآن .

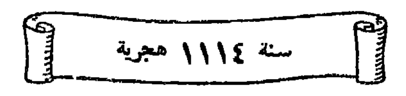
تحمل كل سنة للبيت الحرام ، ويمرون بها فى وسط القاهرة ، وتحمل المغاربة جانبا منها للتبرك بهـا ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان فى طريق مرورهم ، فرأوا رجلا من أتبـاع مصطفى كتخدا القازدغلى ، فكسروا أنبوبته وتشاجروا معه وشجوا رأسه . وكان فى مقدمتهم طائفة منهم مسلحون ، وزاد التشاجر ، واتسعت القضية ، وقام عليهم أهل السوق . وحضر أوده باشة البوابة فقبض عـلى أكثرهم ، ووضعهم فى الحديد وطلع بهم الى الباشا وأخبروه بالقضية ، فأمر بسجنهم بالعرقانة ، فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة فى السجن ثم أفرج عن باقيهم .

سنة ١١١١ هجرية

ربيع الآخر

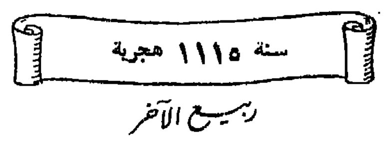
منتصفه (١٠ اكتوبر ١٦٩٩ م) :

حضر الى مصر قره محمد باشـا المتولى عليها وهو كتخدا اسماعيل باشا .



(٢٨ مايو ١٧٠٢ ـــ ١٦ مايو ١٧٠٣)

فيها ولاية (قره محمد باشا) ، حصلت حادثة الفضة المقصوصة والتسعيرة .



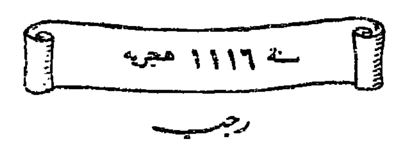
ربيع الآخر

١٧ منه (٣٠ اغسطس ١٧٠٣ م) :

وردت الأخبـار بوفاة السـلطان مصـطفى خان الثانى (١) .

(١) توفى السلطان مصطفى خان الثانى بن السلطان محمد الرابع وله من العمر ٤٠ سنة حكم منها ٨ سنوات و٨ اشهر وتسلطن بعد السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع . (التوفيقات الالهامية)

وفى هذه السنة ، أمر الباشـا بقطع السقائف والدكاكين لأجل توسعة الطريق والاسواق ، ففعل ذلك . ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك



رجب

(نوفمبر ١٧٠٤ م) :

فى هذا الشهر عزل قره محمد باشا من ولاية مصر .. فكانت مدة ولايته خمس سنوات . ومن أهم مآثره : تعمير الأربعين الذى بجوار باب قراميدان . وأنشأ فيه جامعا بخطبة ، وتكية لفقراء الخلوتية من الأروام(١)وأسكنهم بها . وأنشأ تجاهها مطبخاودار ضيافة للفقراء ، وفى علوها مكتبا للأطفال يقرأون فيه القرآن ، ورتب لهم مايكفيهم ، وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغـورى حمـاما فسيحا مفروشا بالرخام الملون ، وجدد بستان الغورى ، وغرس فيه الأشجار ، ورمم قاعة الغـورى التى بالبستان .

شعبان

٦ منه (٤ ديسمبر ١٧٠٤ م)

تولى رامى محمـد باشا (٢) ، وكان تـولى الوزارة فى زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظا بجزيرة قبرص ، ثم حضر منها واليا على مصر وطلع الى القلعة .

(١) يعنى بالأروام ... الاتراك !

(٢) يخالف الحاج مصطفى بن ابراهيم ـ فى كتابه « تاريخ وقائع مصر » ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٠٢ ـ تاريخ الجبرتى وصاحب التوفيقات الالهامية فى تاريخ تولية محمد رامى باشا فيذكر أنه تولى مصر فى سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) ويقول ايضا انه دخل مصر فى موكب عظيم وطلع الى قلعة الجبل ، وعمل له الانكشارية شنك مدافع من الابراج .

١٧ منه (١٥ ديسمبر ١٧٠٤ م) :

تقلد قيطاس بيك امارة الحج عوضا عن أيوب بيـك .

وفى تلك السـنة توقف النيـل عن الزيادة ، فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء . واجتمعوا على جبـل الجيوشى وغيره من الأماكن المعروفة باجابة الدعاء ، فاستجاب الله لهم . فروى بعض البلاد وهبط سريعا فحصل الغلاء . وبلغ سعر الأردب من القمح والفول ٢٤٠ فضة ، والعدس ٢٠٠ نصف فضة ، والشـعير ١٠٠ نصف فضة ، والأرز ٤٠٠ نصف فضة ، واللحم الضانى الرطل ٣ أنصاف فضة ، والجاموسى والبقرى بنصفى فضة ، والسمن القنطار بستمائة نصف فضـة ، والزيت بثلاثمائة وخمسين . والدجاجة بثمانية أنصـاف فضة . والبيض كل ثلاث بيضات بنصف . والرطل الشـمع الدهن بثمانية أنصاف فضـة ... وكثر الشحاذون فى الأزقة .

سنة ١١١٧ هجرية

(٢٥ ابريل ١٧٠٥ ـــ ١٤ ابريل ١٧٠٦)

اشتد فيها الغلاء (١) .

وفيهـا أنشـأ الأمير الجوربجى جامع الهيأتم بالحنفى .

سنة ١١١٨ هجرية

فى هذه السنة لم يأت من اليمن ولا من الهنـد مراكب ، فشح القماش الهندى ، وغلا البن حتى بلغ القنطار ٢٧٥٠ نصفا . وغلا الشاش ، فبيع الفرحات خان بأربعمائة نصف فضة ، والخنكارى بسبعمائة نصف .

رجب

٦ منه (١٤ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

عزل محمد رامى باشـا وحضر مسـلم على باشا (١) .

٩ منه (١٧ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

نزل محمـد باشـا رامى من القلعة فى موكب عظيم . وسكن بمنزل أحمد كتخدا العزب سابقا المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران .

شعبـان

٩ منه (١٦ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

وصل على باشا من طريق البحر ، وذهبت اليه الملاقاة على العادة ، وأرسى بساحل بولاق وهو فى نحو ألف ومائتى نفس خلاف الأتباع .

١٢ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

ركب بالموكب وطلع الى القلعة وضربوا المدافع لقدومه .

فى آخره (أوائل ديسمبر ١٧٠٦ م) :

وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة .. وسببها : أن شخصا من بلك العزب ، يسمى محمد أفندى كاتب صـغير سابقا ، ثم بعد عزله تولى خليفة فى ديوان المقابلة ، وحصل له تهمةعزل بها من المقابلة . ثم عمل سردار بالاسكندرية على طائفة العزب وعمل كتخدا القبودان.. وركب فى المراكب وأشيع أنه غرق فى البحر ، فحلوا اسمه وماله من التعلقـات فى بابه وغيره . وبعد مده حضر الى مصر وطلع الى الديوان . وصحح اسمه الذى فى العزب وجراياته وتعلقاته ،

(١) اخبار هذا العام نقلناها من التوفيقات الالهامية .

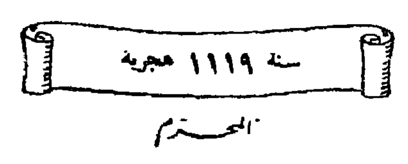
(١) يسميه صاحب التوفيقات الالهامية والحاج مصطفى بن ابراهيم فى كتابه ـــ وقائع مصر القاهرة ـــ « على مسلم باشا»

ويقى له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها .. ولم يساعده أهل بابه واهملوا أمره . فتغير خاطره منهم ، وذهب الى بلك المتفرقة ، وانضم اليهم وسألهم آن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم . وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب العزب . فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان ، اذ وقف له جماعة من العزب ، وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وحبسوه فى بابهم ، وبلغ الخبر المتفرقه وهم فى الديوان وحضر محمد أمين بيت المال فى العزب ، وكان فى ذلك اليوم نائبا عن باشجاويش لتمرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على مافعله جماعته ، فأغلظ عليهم فى الجواب فقبضوا عليه من أطواقه : وأرادوا ضربه فدخل بينهم المسلحون وخلصوه من أيديهم ، فنزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة . فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم .. فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين الى منازلهما وهما : محمد الأبدال وصارى على . فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب هجمة واحدة وضربوهما ضربا مؤلما ، وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ماعلى الخيل من العدد وأخذوا ماعليهما من الملبوس . فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا فى باب الينكجرية ، وأنهوا أمرهم الى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد . واستمروا على ذلك ثلاثة أيام الى أن وقع التوافق على اخراج أربعة أنفار ... الذين كانوا سببا لاشعال نار الفتنة ونفيهم من مصر وهم : أحمد كتخدا العزب ومحمد أمين بيت المال والشريف محمد باش أوده باشه ومحمد أفندى قاضى أوغلى الذى كان الباعث على ذلك ، فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه فسفروهم الى جهة الصعيد .

ذو الحجة

٢ منه (٧ مارس ١٧٠٧ م) :

عزل على أغا مستحفظان وتولى عوضه رضوان أغا كتخدا الجاويشية سابقا وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الأرطال فى دار الضرب بالدمغة السلطانية ، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له صورة .



سنة ١١١٩ هجرية

المحرم

١٧ منه (٢٠ ابريل ١٧٠٧ م) :

توفى اسماعيل بيك الدفتردار وولى أيوب بيك عوضه وهو الذى كان أمير الحج سابقا .

صفر

٦ منه (٩ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا ، وكانوا يقطعونه على ستة عشر .

٩ منه (١٢ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بحبس محمد باشا رامى وبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره ، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين ، وابطال والى البحر الذى يتولى من باب العزب .

وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا الى نصف صفر .. بسبب دخول مراكب الهند وشراء مابها من الأقمشة .

ربيع الأول

(يونيو ١٧٠٧ م) .

حبس جماعة من أتباع الباشا وهم : الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة .

ربيع الآخر

١٨ منه (١٦ سبتمبر ١٧٠٧ م):

تقلد ابراهيم بيك الدفتردارية عوضا عن أيوب بيك بموجب مرسوم سلطانى .

وفيه عزل رضوان أغا مستحفظان . وتولى أحمد أغا بن بكير افندى عوضا عنه .

وفيه : ورد أمر بابطال نوبة محمد باشا ونفيه الى جزيرة رودس ، فنزل من يومه الى بولاق وأقام بها الى أن سافر .

رجب

أوله (٢٨ سبتمبر ١٧٠٧ م):

ورد أمر بعزل على باشا وحبسه فى قصر يوسف ، واستخلاص ماعليه من الديون الى تجار اسلامبول . وجعل ابراهيم بيك قائمقام ، وحبس على باشا وبيعت موجوداته .

ووقعت فتنة بباب الينكجرية ، فعزلوا افرنج أحمد باش أوده باشا وحسين أوده باشا ، ثم نفوهم الى الطينة بدمياط (١) .

ووردت الأخبار بولاية حسين باشا على مصر وقدومه الى الاسكندرية .

شعبان

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٧ م):

قدم حسين باشا الوالى الى مصر .

وفيه : سافر الشريف يحيى بن بركات الى مكة بمرسوم سلطانى .

وفيه : فر افرنج أحمد أوده باشا وحسين أغا من حبس الطينة ، ودخلا مصر ليلا فاختبآ عند أغات الجراكسة . والتجأ حسين الى باب التفكجية .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٧٠٧ م):

طلع حسين باشا الى القلعة بالموكب المعتاد على العادة .

٢٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٧ م):

اجتمع الينكجرية بالباب بأسلحتهم .. لما بلغهم قدوم افرنج أحمد الى مصر وقالوا : « لابد من نفيه ورجوعه الى الطينة » فعاند فى ذلك طائفة الجراكسة ، وامتنعوا من التسليم فيه وقالوا « لابد من نقله من وجاقكم » وساعدهم بقية البلكات ، ولم يوافق الينكجرية على ذلك ، ومكثوا ببابهم يومين وليلتين ، وكذلك فعل كل بلك ببابه . فاجتمع كل العلماء والمشايخ على الصناجق والأعيان وخاطبوهم فى حسم الفتنة . فوقع الاتفاق على أن يجعلوه صاحب طبلخانة ، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك . وأحضروه الى مجلس الأغا وقرأوا عليه فرمان الصنجقية ، وان خالف يكون عليه بخلاف ذلك . فامتثل الأمر ولبس الصنجقية وطلع من منزل أغات الجراكسة بموكب عظيم الى منزله ونزل الى الصنجق السلطانى والطبلخانة .

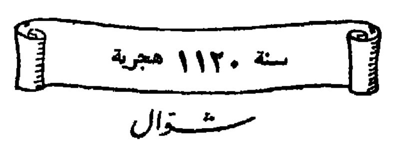
ذو الحجة

(مارس ١٧٠٨ م):

فيه ورد أغا بطلب خازندار ابراهيم بك الدفتردار . وسببه أنه أنهى الى السلطان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس ، فصار يجذبها ، ويتصرف فيها ، وكان بجانبه رجل من العثمانيين فأخذ القوس من يد خليل ، وأراد جذبها فلم يستطع ، فتعجب من خليل ، وأخذ منه القوس وسافر بها الى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن ، فلم يقدر أحد على جذبها . واتصل خبرها بالسلطان فطلبها لجذبها ، فلم يستطع .

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان فى هذا اليوم اجتهد الوالى فى منع العسكر مما كانوا يفعلونه ، لضجوا من ذلك وقاموا عليه قومة واحدة ، وحاصروه بالقلعة ، ونهبت البلد ، واغلقت الحوانيت والخانات .

فتعجب من صعوبتها ، فقال له الرجل ان بمصر مملوكا عند ابراهيم بك أوترها وصار يجذبها حتى تجمع طرفاها ، وعنده أيضا مكحلة ثلاثون درهما يرمى بها الهدف وهو رامح على ظهر الحصان فأمر السلطان باحضاره ، فجهزه ابراهيم بك وأرسله .



شوال

١٨ منه (٣١ ديسمبر ١٧٠٨ م) (١) :

اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا الى الباشا أن محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمنهم ، وهذا يؤدى الى الفساد ، فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من أتباع قيطاس بك جعلوه صنجقا وألبسوه على جرجا ، وهو الذى عرف بقطامش .

١٩ منه (١ يناير ١٧٠٩ م) :

ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير ، فأدخله حسين باشا بموكب حافل وطلع الى القلعة وأبرز مرسوما بعزل ايواز بك وتولية محمد باشا محسن زاده فى منصبه ، فأنزله فى غيط قراميدان الى أن سافر صحبة الحاج الشريف .

ذو القعدة

١٤ منه (٢٥ يناير ١٧٠٩ م) :

وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبى على دكان قصاب بباب زويلة ليشترى منه لحما فتشاجر مع حمار عثمان أوده باشا البوابة فأعلم عثمان بذلك ، فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه اليه ، فأمر بحبسه فى سجن الشرطة فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه ، فتفاوضا فى الكلام وحصل بينهما مشاجرة، فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور وأودعه فى السجن ، وركب الى باش أوده باشا ، وهو اذ ذاك سليمان بن عبد الله وطلع الى كتخدا مستحفظان وعرض القصة فلم يرضوا له بذلك وأمروه باطلاقه ، فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن . وفى ثانى يوم الحادثة اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلوكات الأسباهية والأمراء والصناجق والأغوات فى الديوان ، وطلبوا نفى عثمان أوده باشا المذكور فلم توافقهم الينكجرية على ذلك ، فطلعوا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه ، فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضى ، فأمر القاضى بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش، فلم يرض الأخصام بذلك وقالوا « لابد من عزله ونفيه » فلم توافقهم الينكجرية ، فطلب العسكر من الباشا أمرا بنفيه ، فتوقف فى ذلك ، فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلا ونهارا وامتنعوا من التوجه الى الديوان ، ثم اجتمع أهل البلوكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واتفقوا على نفى عثمان أوده باشا . ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الينكجرية لأنهم لم يعتبروهم . وأرسل الأسباهية مكاتبات لأنفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمرونهم بالحضور .

وفى ذلك اليوم عزل أوده باشا البوابة وولى خلافه .

---

(١) وقع فى هذه السنة (اى سنة ١١٢٠ هـ) حوادث بين الأمراء نشأ عنها حروب بينهم استمرت نحو ثمانين يوما بين الفقارية والقاسمية . وكانوا اذ ذاك يخرجون فى كل يوم الى خارج القاهرة قريبا من المحل المعروف بقبة العزب فيتحاربون الى ان تدنو الشمس من الغروب ثم يرجعون الى منازلهم .

السيد اسماعيل الخشاب : تاريخ وقائع بمصر من سنة ١١٠٠ هـ : مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مكتبة تيمور .

الجمعة ٢٨ منه (٨ فبراير ١٧٠٩ م) :

حضر الى طائفـــة الينكجرية من أخبرهم أن العسكر يريدون قتالهم ، فأرسلوا القـابجية الى أنفارهمليحضروا الى الباب بآلة الحرب ، فاجتمعوا وانزعج أهل الأسواق وأقفل غالبهم دكاكينهم ثم اطمأنوا بعد ذلك وجلسوا فى دكاكينهم ، واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشـــاورون فى أبوابهم وفى منزل محمـــد أغا المعـــروف بالشاطر ومنزل ابراهيم بك الدفتردار . وأما الينـــكجرية فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط .

ذوالحجـــة

الأحد ١٤ منه (٢٤ فبراير ١٧٠٩) :

قدم محمد بك الذى كان بالصعيد فى جنـــد كثيف وأتباع كثيرة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين ، ولبس الخلع السلطانى ونزل الى بيته بالصليبة . ثم ان أهل الوجاقات الستة اجتمعوا واتفقوا على ابطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها وكتبوا ذلك فى قائمة واتفقوا أيضا :

أن من كان له وظيفة بدار الضرب والأنبـــار والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية فى الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات .

وألا يحتمى أحد من أهل الأسواق فى الوجاقات.

وأن ينظر المحتسب فى أمورهم ويحرر موازينهم على العادة .

وأن يركب معه نائب من باب القاضى مباشرا معــه .

وألا يتعرض أحد للمراكب التى ببحر النيل التى تحمل غلال الأنبار .

وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التى ببحر النيل ولا تختص مركب منها بباب من أبواب الوجاقات .

وأن كل ما يدخل مصر من بلاد الأمنـــاء باسم الأكل لا يؤخذ عليه عشر .

وألا يباع شىء من قسم الحيوانات والقهوة الى جنس الأفرنج .

وألا يباع رطل البن بأزيد من سبعة عشر نصفا فضة .

وأرسلوا القائمة المكتتبة الى الباشـــا ليأخذوا عليها « بيورلدى » [1] وينادى به فى الأسواق . فتوقف الباشا فى اعطاء « البيورلدى» . ولما بلغ الانكشبارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا ببابهم وكتبوا قائمـــة نظير تلك القـــائمة بمظالم الخردة ومظالم اسباهية الولايات وغيرها وأرسلوها الى الباشـــا فعرضها على أهل الوجاقات فلم يعتبروها ، وقالوا لابد من اجراء قائمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها من المظالم .

الأحد ٢١ منه (٣ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق ببـــاب العزب وقاضى العسكر ونقيب الأشراف بالديوان عند الباشا ، وأرسلوا الى الباشـــا أن يكتب لهم « بيورلدى » بابطال ما سألوه فيه والمنـــاداة به . وان لم يفعل ذلكأنزلوه ، ونصـــبوا عوضه حاكما منهم وعرضوا ذلك على الدولة ، فلما تحقق الباشا منهم ذلك كتب لهم ما سألوه ، وكتب لهم القاضى أيضا حجة علىموجبه ، ونزل بهمالمحتسب وصاحب الشرطة ونائب القاضى وأغا من تباع الباشا ونادوا بذلك فى الشوارع .

غايته (١٢ مارس ١٧٠٩ م) :

كسف جرم الشمس فى الساعة الثامنة ، واستمر سبع عشرة درجة ثم انجلت .

(١) موافقة

سنة ١١٢١ هجرية

المحرم

السبت ٤ منه (١٦ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع الينكجرية عند أغاتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واجتمع أنفارهم جميعا بالغيط المعروف بخمسين كتخدا وتحالفوا كذلك .

٧ منه (١٩ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات بمنزل ابراهيم بك الدفتردار وتصالحوا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب فى القائمة ونودى به ، ولا يتعرضوا فى شىء منه فلم يستمر ذلك الصلح .

السبت ١١ منه (٢٣ مارس ١٧٠٩ م) :

وقع فى الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتى (١) ، ثم ان الينكجرية قالوا : لا نوافق على نقل دار الضرب الى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها . فامتنع أخصامهم من اعطاء حجة بذلك . ثم توافق أهل البلوكات الستة على أن يعرضوا فى شأن ذلك الى باب الدولة ، فان أقرها فى مكانها رضوا به ، وان أمر بنقلها نقلت . فاجتمعوا هم ونقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختومهم ما عدا الينكجرية فانهم امتنعوا من الختم ، ثم أمضوه من القاضى وأرسلوه مع أنفار من البلوكات وأغا من طرف الباشا . وأما الينكجرية فانهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضا من عندَ أنفسهم الى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية ، وعينوا للسفرية على افندى كاتب مستحفظان سابقا ، وأحمد جوربجى ، وجهزوهم للسفر .

(١) توفى فى ١١٢٠ هـ (١٧٠٨ م)

ربيع الأول

١٣ منه (٢٣ مايو ١٧٠٩ م) :

تقلد امارة الحج قيطاس بك مقررا على العادة فى صبيحة المولد النبوى فى كل سنة ، وكان أشيع أن بعض الأمراء سعى على منصب امارة الحج . فلما بلغ الينكجرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على أنه ان لبس شخص امارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من ذلك . فلما رأى الصناجق والأمراء ذلك منهم خافوهم وقالوا : « هذه أيام تحصيل الخزينة ، ونخشى وقوع أمر من هؤلاء الجماعة يؤدى الى تعطيل المال » . فاجتمع رأى الصناجق وأهل الوجاقات الستة على نفى ستة أشخاص من الينكجرية الذين بأيديهم الحل والعقد ، ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينا للفتنة حتى يأتى جواب العرض .

فلما بلغ الينكجرية ما دبروه اجتمعوا فى بابهم ، فى عددهم وعددهم ، فلم يلتفتوا الى فعلهم وقالوا : «لابد من نفيهم أو محاربتهم» . واجتمعوا كذلك فى أبوابهم ، واستعد الينكجرية فى بابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع ، فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج ، وأغلقوا الدكاكين ، ونقل الجاويشية مطبخهم من القلعة من النوبة الى منزل كتخدا الجاويشية ، وأقام طائفة الينكجرية منهم طوائف محافظين على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذى بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من أن العسكر يستميلون الباشا وينزلونه بالميدان لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاويشية وطلبوا منه النزول الى قراميدان ليتداعوا مع الينكجرية على يد قاضى العسكر ، فلم تمكنهم الينكجرية من ذلك ، وحصل لكتخدا الجاويشية ومن معه مشقة فى ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا ، وما خلصوا الا بعد جهد عظيم .

٢٠ منه (٣٠ مايو ١٧٠٩ م) :

اجتمع الصناجق والعسكر واختاروا محمد بيك الذى كان بالصعيد لحصار القلعة من جهة القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر ، ففعل ما أمروا به ، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة فعينوا مصطفى أغا أغات الجراكسة يطوف فى أسواق البلد وشوارعها كما كان يفعل فى زمن عزل الباشا .

السبت ٢٢ منه (١ يونية ١٧٠٩ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق والأسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات التفكجية ليحاصروا طائفة الينكجرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر وباب الوزير، ويمنعوا من يصل اليهم بالأمداد . وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة ، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا الى باب الينكجرية . فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر عينوا ابراهيم الشهير بالوالى ، ومصطفى أغات الجبجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة(١) . ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا قد تجمعوا فى باب الشرطة تفرقوا فجلس مصطفى أغا محل جلوس الأوده باشا ، وابراهيم بك فى محل جلوس العسس ، وانتشرت طوائفهم فى نواحى باب زويلة والخرق (٢) ، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال فطلع فى صبحها نقيب الأشراف والعلماء وقاضى العسكر وأرباب الأشاير واجتمعوا بالشيخونيتين بالصلبية وكتبوا فتوى بأن الينكجرية ان لم يسلموا فى نفى المطلوبين والا جاز محاربتهم ، وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار من طرف القاضى الى باب الينكجرية . فلما قرئت عليهم تراخت عزائمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا فى نفى المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل ، فضمنهم الأمراء الصناجق وكتبوا لهم حجة بذلك ، فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الأنفار الثمانية المطلوبين الى أمير اللواء ايواز بك (١) ورضوان أغا (٢) ، فتوجها بهم الى بولاق ومن هناك سافروا الى بلاد الريف .

(١) بناه امير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٥ هـ .

(٢) هو ميدان « باب الخلق » حتى قريب ، وميدان احمد ماهر الآن . وهو يبدأ من اخر شارع تحت الربع وينتهى أول شارع فم الخليج العدة بجوار مسجد السلطان شاه .

ربيع الآخر

١٩ منه (٢٨ يونية ١٧٠٩ م) :

ورد أمير آخور صغير من الديار الرومية ، وطلع الى القلعة ، وأبرز مرسومين قرئا بالديوان بمحضر الجمع : أحدهما بابطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من العسكر ونفى عطاء الله المعروف ببولاق ، وأحمد جلبى بن يوسف أغا ، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابحة العشرة اثنى عشر بعد رأس المال والمصاريف . والأمر الثانى بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية الى حوش الديوان ، وبناء قنطرة اللاهون بالفيوم ، وأن يحسب مايصرف عليهما من مال الخزينة العامرة .

وفى يوم تاريخه : برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج أحمد بك (٣) والحاقه بوجاق الجملية . واجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر اغلان ، وأرسلوا خلف افرنج أحمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق وأن لا يغدرهم ولا يغدروه ، ومضوا معه الى الباب الجملى ، وأخذوا عرضه ، وركب الحمار وطلع الى باب مستحفظان فى جم غفير من الأوده باشية وتقرر باش أوده باشا كما كان سابقا وعاد الى منزله .

(١) من طائفة القاسمية .

(٢) من طائفة القلسمة .

(٣) كان جبارا عنيدا ، تسببت عنه الفتنة الكبرى التى نجمت منها حروب طويلة بين طوائف المماليك .

٣٠ منه (٨ يولية ١٧٠٩) :

رجع الأنفار الثمانية المنفيون وأخرجوهم من وجاق الينكجرية ووزعوهم على أهل الوجاقات باطلاع الأمراء الصناجق والأغوات .

جمادى الأولى

اوله (٩ يولية ١٧٠٩ م) :

أرسل القاضى فأحضر مشايخ الحرف وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة فى أحد الوجاقات السبع ، فأجابوه بأن أغلبهم عسكرى وابن عسكرى وقاموا على غير امتثال ، ثم بلغ القاضى أنهم أجمعوا على ايقاع مكروه به ، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد .

جمادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ اغسطس ١٧٠٩ م) :

تم بناء دار الضرب التى أحدثوها بحوش الديوان ، وضرب بها السكة ، وكان محلها قبل ذلك معمل البارود ، ونقل معمل البارود الى محل بجوارها .

وفيه لبس ابراهيم بيك أبوشنب (١) أميرا على الحاج عوضا عن قيطاس بيك ، وتولى قيطاس بيك دفتردارية مصر عوضا عن ابراهيم بيك بموجب مرسوم ورد بذلك من الأعتاب .

رمضان

١٩ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٩ م) :

ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية ابراهيم باشا القبودان ، ووردت منه مكاتبة بأن يكون حسين باشا نائبا عنه الى حين حضوره . ولم نفوض أمر النيابة الى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد .

(١) من طائفة القاسمية الذين تغلب عليهم ابراهيم كتخدا . استاذ طائفة المماليك الابراهيمية . (محمد رفعت رمضان — على بك الكبير ص ١٧) .

شوال

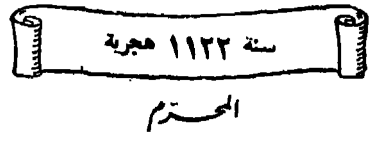
١ ديسمبر ١٧٠٩ م) :

ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفل للماء فى الأودية ، واستمرت الأمطار تنزل وتنسكب الى آخر الشهر .

ذو القعدة

١٥ منه (١٦ يناير ١٧١٠ م) :

نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والأغوات الى منزل الأمير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور ، ووصل ابراهيم باشا القبودان وطلع الى القلعة فى منتصف الحجة .



سنة ١١٢٢ هجرية

المحرم

فى منتصفه (١٦ مارس ١٧١٠ م) :

اجتمع أهل البلوكات السبعة بسبيل على باشا(١) بجوار الامام الشافعى ، واتفقوا على نفى ثلاثة أنفار من بينهم ، فنفوا فى يوم الخميس من اختيارية الجاويشية : قاسم أغا ، وعلى افندى كاتب الحوالة ، ومن وجاق المتفرقة : على أفندى المحاسبجى . وسببه أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالباشا فى كل وقت ويعرفونه بالأحوال ، وأنهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة بأسماء أولاد وعيال ، والجوامك المرتبة على الأوقاف . واتفق أنه مات جماعة فضبط جوامكهم المرتبة على أولاد وعيال للمحلول وأن العسكر راجعوه فى ذلك فلم يوافقهم على ذلك وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة فقال : لا أسلم الا لمن ينقل اسمه الى أحد الوجاقات السبعة ، فمن نقل اسمه فانى لا أعارضه ، فرضوا

(١) غربى مشهد الامام الشافعى من وقف الامير على باشا انشاه على باشا سنة ١٠١٣ هـ .

بذلك وأخذوا منه فرمانا ، فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بابطال المرتبات ، وأن من عاند فى ذلك يؤدبه الحاكم ، فأذعنوا بالطاعة ، فأراد الباشا نفى الثلاثة أنفار من اختيارية العزب ، فلم توافق العسكر . ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بابقاء ذلك ، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة .

ربيع الأول

الخميس غايته (٢٩ مايو ١٧١٠ م)

تقلد الأمير ايواز بيك امارة الحج عوضا عن ابراهيم بيك لضعف مزاجه ووهن قوته .

جمادى الأولى

أوائله (أوائل يوليه ١٧١٠ م) :

ورد من الديار الرومية مرسوم قرىء بالديوان مضمونه أن وزن الفضة المصرية زائد فى الوزن عن وزن اسلامبول ، والأمر بقطع الزائد ، وأن تضرب سكة الجنزرلى ظاهرة ، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطا .

رجب

٢ منه (٢٧ اغسطس ١٧١٠ م) :

حصلت زلزلة فى الساعة الثامنة .

وفيه ورد مرسوم بابقاء المرتبات التى عرض فى شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم فى التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف .

١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧١٠ م) :

ورد عزل ابراهيم باشا ، وولاية خليل باشا واقامة أيوب بيك قائمقام . ونزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس أغا ببركة الفيل فكانت مدته ثمانية أشهر .

شعبان

١٠ منه (٤ اكتوبر ١٧١٠ م) :

وصل خليل باشا الكوسج ، وكان بصيدا من أعمال الشام فقدم بالبر

ذو القعدة

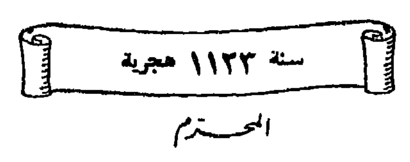
١٢ منه (٢ يناير ١٧١١ م) :

ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم صنجق لسفر الموسقو ، وكانت النوبة على محمد بيك حاكم جرجا حالا ، فتعذر سفره ، فأقيم بدله اسماعيل بيك [1] تابع ذى الفقار بيك فقلدوه الصنجقية .

ذو الحجة

١٢ منه (أول فبراير ١٧١١ م) :

أمد محمد بيك اسماعيل بيك بأربعين كيسا مصرية وجعله بدلا عنه وألبس القفطان .



المحرم

الخميس مستهله (١٩ فبراير ١٧١١ م) :

(الموافق ١٤ من أمشير ــ ٧ شباط الرومى) .

فى ذلك اليوم انتقلت الشمس الى برج الحوت.

وفيه : نزل اسماعيل بيك بموكب وشق فى وسط القاهرة الى بولاق .

١٥ منه (٥ مارس ١٧١١ م) :

سافر اسماعيل بيك بالعسكر .

الجمعة ١٦ منه (٦ مارس ١٧١١ م) :

اجتمعت طائفة مصطفى كتخدا القزدغلى [2]

---

(١) اسماعيل بيك زوج شقيقة حسن اغا بلغية ، وهما من الامراء الفقارية .

(٢) انحدرت المماليك الابراهيمية من القازدغلية ، وأستاذهم ابراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازدغلى تابع مصطفى كتخدا الكبير جد القازدغلية .

(محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٧)

ومعه من أعيان الينكجرية خمسة عشر نفرا ، واتفقوا أنهم لا يرضون افرنج أحمد باش أوده باشا . فاما أن يلبس الضلمة أو يكون جربجيا فى الوجاق ، وان لم يرض بأحد الأمرين يخرج المذكورون من الوجاق ويذهبون الى أى وجاق شاءوا . وكان الاجتماع بباب العزب ، وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة ، وصمموا أيضا على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية ، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بيك الدفتردار ، وتارة بمنزل ابراهيم بيك أمير الحج سابقا . ثم أجمع رأى الجميع على نقل الثمانية أنفار المذكورين ومن انضم اليهم من الوجاقات الى باب العزب ، وأن يخرجوا أنفارا كثيرة من مصر منفيين منهم : ثلاثة من الكتخدائية وعشرة من الجربجية والباقى من الينكجرية ، وعرضوا فى شأن ذلك للباشا ، فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوبا لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن مكتوبا فيعطى عرضه ويذهب الى باب العزب . وحضر كاتب العزب والينكجرية فى المقابلة وأخرجوا من كان اسمه فى السفر وما عداهم أعطوهم عرضهم وتفرقوا عن ذلك . ووقع الحث على سفر من خرج اسمه فى المسافرين وعدم اقامتهم بمصر ، وأن يلحقوا بالمسافرين بثغر الاسكندرية .

صفر

١٣ منه (٢ ابريل ١٧١١ م) :

قدم ركب الحج صحبة أمير الحج ايواز بيك . وفيه : اجتمع حسن جاويش القزدغلى الذى كان سردار القطار والأمير سليمان جربجى تابع القزدغلى سردار الصرة ، وابراهيم جربجى سردار جداوى ، وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان ، فذهب اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم

ثم طلب موسى جربجى تابع ابن الأمير مرزا أن يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملية فلم يوافقه رضوان أغا ، فذهب موسى جربجى الى ابراهيم بيك وايواز بيك وقيطاس بيك ، وسألهم أن يتشفعوا له فى ذلك فلم يوافق رضوان أغا ، فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان أغا المذكور ويتولى على أغات الينكجرية سابقا ، وأن يعزل سليمان كتخدا الجاويشية ، ويولى عوضه اسماعيل أغا تابع ابراهيم بيك ، فامتنع الباشا من ذلك . وكان اختيارية الجملية توافقوا مع الأمراء الصناجق على عزل رضوان أغا . فلما رأوا امتناع الباشا أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا . واجتمعوا بمنزل باشجاويش ، واجتمع أهل كل وجاق ببابهم ، واستمروا على ذلك أياما . وأما الينكجرية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى القلعة ، ومنعوا من يريد الطلوع الى باب الينكجرية من العسكر والأتباع ، ولم يبق فى الطريق الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ ، ثم توجهوا للسواقى لأجل منع الماء عن القلعة ، فمنعهم العسكر من الوصول اليها ، فكسروا خشب السواقى التى بعرب اليسار ، وقطعوا الحبال والقواديس . ثم ان نفرا من أنفار الينكجرية أراد الطلوع من طريق المحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه ، فمضى من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بافرنج أحمد وبقية الينكجرية وعرفهم حاله ، فأخذه جماعة منهم وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضى العسكر . فقال : هؤلاء صاروا بغاة خارجين عن الطاعة حيث فعلوا ذلك ومنعونا الماء والزاد وأخافوا الناس وسلبوهم ، فقد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم .

١٧ منه (٦ ابريل ١٧١١) :

ثم ان أحمد أوده باشا استأذن الباشا فى محاربة

باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل فأذن له فى ذلك .

ومن ذلك الوقت تعسوق القاضى عن النزول وأخافوه ، واستمر مع الباشا الى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما . ورجع افرنج أحمد وشرع فى المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع وذلك من بعد الزوال الى بعد العشاء ، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر .

ثم فى صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الأمراء الصناجق الأمير ايواز بيك أمير الحاج والأمير ابراهيم بيك أبو شنب وقانصوه بيك ومحمود بيك ومحمد بيك تابع قيطاس بيك الدفتردار ، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا الى الرميلة معونة للعزب على الينكجرية ، فأخبروا أن أيوب بيك ركب مدافع على طريق المارين على منزله وعلى قلعة الكبش ، وربما أنهم اذا طلعوا الى الرميلة يذهب أيوب بيك وينهب منازلهم ، فامتنعوا من الركوب وجلسوا فى منازلهم بسلاحهم خوفا من طارق

واستمر افرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها ، واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره ، وتذاكروا فيمن كان سببا لاثارة الفتنة فقالوا : سليم جربجى ومحمد افندى بن طلق ويوسف افندى وأحمد جربجى توالى . فقالوا : لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينا . ثم ركبوا وتوجهوا الى منزل قيطاس بيك ، وأرسلوا من كل بلوك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بيك يطلبون رضوان أغا ، فأركبوه فى موكب عظيم ، وكتبوا تذاكر للأربعة الاختيارية المذكورين بأنهم يلزمون بيوتهم ولا يركبون لأحد ولا يجتمع بهم أحد . ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بيك وتذاكروا فى الصلح ، وكتبوا تذكرة لأحمد أوده باشا بابطال الحرب فأبى الصلح ، فكتبوا عرضا الى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة برفع المحاربة فأرسل الباشا الى الينكجرية فامتثلوا أمره وأبطلوا الحرب وضرب المدافع .

ثم ان الصناجق والأغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية الينكجرية ليتكلموا معهم فى الصلح فأجابوا الى الحضور غير أنهم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر ، فأرسلوا الى حسن كتخدا العزب ، فأرسل اليهم من أحضرهم وخلت الطريق . فاجتمع رأى الينكجرية على ارسال حسن كتخدا سابقا وأحمد بن مقز كتخدا سابقا أيضا فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل اسماعيل بيك ، وحضر معهم جميع أهل الحل والعقد ، وتشاوروا فى اخماد هذه الفتنة ، وأرسلوا الى باب الينكجرية فقالوا : « نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا لاثارة هذه الفتنة لا يكونون فى باب العزب ، بل يذهبون الى وجاقاتهم الأصلية ولا يقيمون فيه ، وأن يسلموا الأمير حسن الأخميمى للباشا يفعل فيه رأيه » فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه ، فأرسل الأمراء الصناجق كتخداتهم الى افرنج أحمد ومعهم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنده بأن الأنفار الثمانية يرجعون كما ذكرتم الى وجاقاتهم ويعفون من النفى ومن طلب الأمير حسن . فلم يوافق افرنج أحمد على ذلك وقال : « ان لم يرضوا بشرطى والا حاربتهم ليلا ونهارا الى أن أخفى آثار ديار العزب » . فتفرقوا على غير صلح .

ربيع الأول

٤ منه (٢٢ ابريل ١٧١١ م) :

ثم اجتمع الأمراء الصناجق والأغوات بمنزل ابراهيم بيك بقناطر السباع ، وتذاكروا فى اجراء الصلح على كل حال ، وكتبوا حجة على أن من

صدر منه بعد اليوم مايخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا . وكلموا أيوب بيك أن يرسل الى أفرنج أحمد بصورة الحال ، وأن يمنع المحاربة الى تمام الأمر المشروع ، فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما .

وأخذ افرنج أحمد مدة هذه الأيام فى تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانة وملأوا الصهاريج . وحضر فى أثناء ذلك محمد بيك حاكم الصعيد ، ونزل بالبساتين فأقام ثلاثة أيام ودخل فى اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهوارة ، ونزل ببيت آق بردى بالرميلة ، وحارب من جامع السلطان حسن (١) من منزل يوسف أغات الجراكسة سابقا ، فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا وظهر عليه محمد بيك المعروف بالصغير تابع قيطاس بيك مع من انضم اليه من أتباع ابراهيم بيك وايواز بيك ومماليكه ، وكانوا تترسوا فى ناحية سوق السلاح (٢) ووضعوا المتاريس فى شبابيك الجامع ، وانتقل من محله وذهب الى طولون وتترس هناك وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بيك فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين ، فلم يطق العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب وربط محمد بيك جماعة من عسكره فى مكانهم .

ثم ان الشيخ الخليفى طلع الى باب الينكجرية وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية فى أمر الصلح ، فقام عليه أفرنج أحمد وأسمعه مالا يليق ، وأرسل الى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع على حين غفلة ، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى . وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا فى حارات القاهرة ، وحصل عند الناس خوف شديد ، وأغلقوا الوكائل والخانات والأسواق ، ورحل غالب السكان القريبين من القلعة مثل جهة الرميلة والحطابة والمحجر خوفا من هدم المنازل عليهم . وكان الأمر كما ظنوه فان غالبها هدم من المدافع واحترق ، والذى سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجرية بالنار ، ولم يصب باب العزب شىء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فانه انهدم منه جانب وكذلك موضع الأغا لا غير .

ثم ان افرنج أحمد توافق مع أيوب بيك وعينوا عمر أغات جراكسة وأحمد أغا تفكجيان ورضوان أغا جمليان فقعدوا بمن انضم اليهم بالمدرسة بقوصون وجامع مزدادة بسويقة العزى (١) وجامع قجماس بالدرب الأحمر ليقطعوا الطريق على العزب . واختار افرنج أحمد نحو تسعين نفرا من الينكجرية وأعطى كل شخص دينارا طرلى وأرسلهم بعد الغروب الى الأماكن المذكورة .

فأما رضوان أغا فانه تعلل واعتذر عن الركوب . وأما أحمد أغا فانه توجه الى المحل الذى عين له ، فتحارب مع طائفة من الصناجق والعزب فى الجنابكية . وأما الذين ربطوا بجامع مزدادة فلم يأتهم أحد الى الصباح فأخذوا الفطور من الذاهبين به الى باب العزب .

وفى أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد منزله ، فقبض عليه طائفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص وأرسلوه الى افرنج أحمد . فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طائفة

---

(١) تجاه قلعة الجبل ، ابتدأ عمارته السلطان حسن سنة ٧٥٧ هـ .

(٢) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية وبين قصر بشتاك . استجد فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين وجعل لبيع القسى والنشاب .

(١) نسبة الى الأمير عز الدين ايبك العزى نقيب الجيوش . وهى خارج باب زويلة ، قريبا من قلعة الجبل ، فيما يلى الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين قلعة الجبل .

منهم الى المقيمين بجامع مزدادة فدخلوا من بيت الشريف يحيى بن بركات وتقبوا منزل عمر كتخدا مستحفظان اذ ذاك وما بجواره من المنازل الى أن وصلوا منزل مراد كتخدا ، فبمجرد مارآهم العسكر الذين بجامع مزدادة فروا .

وأما عمر أغات جراكسة المقيم بجامع قجماس فانه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة (١) ، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد ، خصوصا من كان بيته بالشارع . فأرسلت العزب صالح جربجي الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن انضم اليهم من الينكجرية الذين انقلبوا الى العزب ، كأتباع الأمير حسن باشجاويش سابقا والأمير حسن جاويش تابع القزدغلي والأمير حسن جلب كتخدا ، وجماعة محمد جاويش كدك ، فحاربوا من من بجامع قجماس ، واستولى صالح جربجي عليه وعلى المتاريس التى بشبابيكه ، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلي جامع المرداني وأقام به ، وحسن جاويش جلب أقام بجامع أصلم وانتشرت طوائفهم بتلك الأخطاط والأماكن فاطمأن الساكنون بها . وأما عمر أغا الجراكسة فانه لما فر من جامع قجماس ذهب الى جامع المؤيد (٢) داخل باب زويلة . ثم ان محمد بيك أرسل بطلبه فركب ومر على أحمد أغا التفكجية ، فأركبه معه وذهبا الى محمد بيك الصعيدى بالصليبة . وحصل لأهل خط قوصون خوف عظيم بسبب اقامة أحمد أغا بالسلمانية ، ورحل غالبهم من المنازل ، فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا .

وحضرت طائفة من المتفرقة الى محل احمد أغا التفكجية ، وعملوا متاريس على رأس عطفة الحطب ومكثوا هناك أياما قلائل ثم رحلوا عنها فأتى على كتخدا الساكن بالداودية بطائفة من العزب فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به

ثم ان طائفة من المتفرقة والأسباهية هجموا على منزل الأمير قرا اسماعيل كتخدا مستحفظان ، فدخلوا من بيت مصطفى بيك بن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسماعيل كتخدا ، فلما وصل الخبر الى العزب عينوا له بيرقا من عسكر العزب ورئيسهم أحمد جربجي تابع ظالم على كتخدا فلم يمكنه الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان وتوصل منه الى منزل أحمد افندى كاتب الجراكسة سابقا ، ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه الى منزل اسماعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين فى نهب أثاث المنزل المذكور ، فهجموا عليهم هجمة واحدة ، فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقرى الى المحل الذى دخلوا منه من بيت مصطفى بيك ، فتبعوهم وتقاتل الفريقان الى أن كانت الدائرة على المتفرقة والأسباهية ، ونهب العزب منزل مصطفى بيك لكونه مكن البغاة من الدخول الى منزله ، ولكونه كان مصادقا لأيوب بيك .

ثم ان أحمد جربجي المذكور انتقل بمن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس (١) وتحصن به ، وكان محمد بيك حاكم جرجا يمر من هنالك ويمضى الى الصليبة ، فانتهز أحمد جربجي فرصة ، وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلى خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان المعروف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع . فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليغتال محمد بيك اذا مر به . واذا بمحمد بيك قد خرج من عطفة الحطب مارا الى جهة الصليبة فضربوه بالبندق فأصيب أربعة من طائفته فقتلوا ، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد

(١) تبدأ من عند المفارق التى بجوار جامع عارف باشا وتنتهى اول شارع باب الوزير بجوار جامع ابراهيم اغا .

(٢) بجوار باب زويلة من داخله . انشاء السلطان الملك المؤيد ابو النصر .

(١) هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، بناء الامير سيف الدين الماس الحاجب ، وكمل فى سنة ٧٣٠ هـ .

كتخدا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم النار فيه ، فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع ثم ان النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التى هنـــاك من الجهتين من جامع ألماس الى تربة المظفر يمينـا وشمالا وافسدت ما بها من الأمتعـــة ، والذى لم يحترق نهبته البغاة . وخرجت النســـاء حواسر مكشفات الوجوه ، فاستولى أحمد جربجى على جامع ألماس ، وعلى كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية . وأما أطراف القاهرة وطرقها فانها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بيك أرسل الى حبيب الدجوى يستعين به ، فحضر منهم طائفة ، وكذلك أخـــلاط الهوارة (١) الذين حضروا من الصـــعيد صحبة محمد بيك فاحتاطوا بالأطـــراف يسلبون الخلق ، واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشا .

وصار العسكر فرقتين : ايواز بيك (٢) وقيطاس بيك (٣) الدفتردار وابراهيم بيك أمير الحاج سابقا ومحمد بيك وقانصوه بيك وعثمان بيك بن سليمان بيك ومحمود بك ، وبلكات الأســـباهية الثلاثة والجاويشية والعزب عصبة واحـــدة وأيوب بيك ومحمـــد بيك الكبير وأغوات الأسباهية من غير الأنفار ومحمد أغا متفرقة باشا وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا الجاويشـــية وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة افرنج أحمد والباشا وقاضى العسكر الجميع عصبة واحـــدة . وأخـــذوا عنـــدهم نقيب

(١) اختلف المؤرخون فى أصل عرب الهوارة ويذكر المقريزى فى كتابه « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب » ص ٢٣ـ٥٨ أن الظاهر برقوق أقطع كبيرهم ارضا بناحية جرجا حوالى سنة ٧٨٢ هـ وكانت خرابا فعمروها

(٢) والد الأمير اسماعيل بيك وأصل اسمه « عوض » فحرفت بأمواجاج التركية الى ايواز وهو جركسى الجنس قاســمى ، تابع مراد بيك الدفتردار . تولى الامارة فى سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م)

(٣) مملوك ابراهيم بيك ذى الفقار كريدلى الجنس تولى امارة الحج ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) .

الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم ، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل ، وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع اليها الا من الباب المذكور. واستمر أفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا ، وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله ، وما قاربه من الحارات ، ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم .

فلما طال الأمر اجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتاك (١) بدرب الجماميز ، واتفقوا على عزل الباشا واقامة قائمقام من الأمراء : فأقاموا قانصـــوه بيك قائمقام نائبا . وولوا أغوات البلكات وهم الأسباهية الثـــلاثة ، فولوا على الجمليـــة صالح أغا ، وعلى الجراكسة مصطفى أغا ، وعلى التفكجية محمد أغا ابن ذى الفقار بيك ، واسماعيل أغا جعلوه كتخدا الجاويشية ، وعبد الرحمن أغا متفرقة باشا ، وقلدوا الزعامة الأمير حسن الذى كان زعيما وعزله الباشا بعبد الله أغا . فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طائفة الينكجرية الذين بالقلعـــة توجهوا الى خليل باشا وأخبروه بالصورة ، فكتب لأغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان . ثم اتفق مع افرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم سردن كچدى ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عثامنة ، فكتبوا ثمانمائة شـــخص وعلى كل مائة بيرقدار ورئيس يقال له أغات السردن كچدى .

ثم ان محمد بيك الصعيدى اتفق مـــع افرنج أحمد بأن يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه الى قراميـــدان ويهجم على العزب . ووصل خبر ذلك الى العزب فاستعدوا له وكمنوا قريبا من الباب المذكور ، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هجموا على الباب المذكور وكان العزب أحضروا شيئا كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والـــكبريت . فلمـــا تكامل

(١) انشىء فى سنة ٧٣٦ هـ

عسكر محمد بيك أوقدوا النار فى ذلك الحطب ، فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار ، ثم ضربوهم بالبندق ففروا ، فصار كل من ظهر لهم ضربوه ، فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين .

ثم ان قانصوه بيك (١) صار يكتب بيورلديات وأوامر ويرسلها الى محمد بيك الصعيدى يأمره بالتوجه الى ولايته آمنا على نفسه وتحصيل ماعليه من الأموال السلطانية ، فأرعد وأبرق .

ثم ان جماعة من العزب أخذوا حسن الوالى المولى من طرف قائمقام مصر وذهبوا — وصحبتهم جماعةمن أتباع الأمراء الصناجق — الى باب الوالى ليملكوه . فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالى أخذ فرشه وفر الى بيت أيوب بيك وفر الأوده باشا أيضا فلما لم تجد العزب أحدا فى بيت الوالى توجهوا لمنزل عبد الله الوالى لينهبوه ، فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منهم رجلا ، فأقام حسن الوالى بباب قيطاس بيك الدفتردار ، فلما اتسع الخرق أرسل الباشا الى ابراهيم بيك وايواظ بيك وقيطاس بيك يطلبهم الى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية . فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة ، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع ولولا ذلك لتوجهنا اليه . فلما يئس الباشا منهم اتفق مع أيوب بيك (٢) ومن انضم اليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع الى خارج البلد .

ربيع الأول

٣ منه (٢١ ابريل ١٧١١ م) :

أرسلوا أيوب بيك ومحمد بيك الى العزبان ليأخذوا جمال السقائين وحميرهم ، ومنع الماء عن البلد فأخذوا جميع ما وجدوه ، فعز الماء ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة . فأمر الأمراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا الى جهة قصر العينى ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم ، فتوجهوا وجلسوا بالمصاطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال . فلما بلغ محمد بيك حضورهم هناك جمع طائفة هوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين ، فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا ، وتأخرعنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بيك وأرسل رؤوسهم للباشا فانسر سرورا عظيما وأعطى ذهبا كثيرا . فلما رجع المنهزمون الى منزل قانصوه بيك وايواظ بيك لم يسهل بهم ذلك ، واتفقوا على البروز اليهم .

ربيع الآخر

الاثنين ١٤ منه (١ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الفريقان الى جهة قصر العينى والروضة فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالا عظيما تجندلت فيه الأبطال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان والهوارة وغيرهم .

وقصد ايواظ بيك محمد بيك الصعيدى فانهزم الى جهة المجراة فساق خلفه . وكان الصعيدى قد أجلس أنفارا فوق المجراة مكيدة وحذرا ، فضربوا على ايواظ بيك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة فى صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه وأخذ الأخصام رأسه وبينما القوم فى المعركة اذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بيك فانكسرت نفوسهم وذهبوا فى طلبه فوجدوه مقتولا مقطوع الرأس ، فحمله أتباعه . ورجع القوم الى منازلهم .

ولما قطعوا رأس ايواظ بيك وذهبوا بها الى محمد بيك قال : هذه رأس من ؟ قالوا : رأس قليندهم (١) ايواظ بيك ، فأخذها وذهب بها عند

(١) تابع قيطاس بيك الكبير الدفتردار .

(٢) كان ممن تسبب فى اثارة الفتنة مع المرنج احمد . تولى الامارة سنة ١١٠٧ هـ وطلع بالحج عشر مرات . مات سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م)

(١) زعيمهم

أيوب بيك ورضوان ، فقال أيوب بيك : هذه رأس من ؟ قال : رأس قليدهم . فبكى أيوب بيك وقال : حرم علينا عيش مصر . قال محمد بيك : هذا رأس قليدهم وراحت عليهم . قال له أيوب بيك : أنت ربيت فين ؟ أما تعلم أن ايواظ بيك وراءه رجال وأولاد ومال ، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية . والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالا ولا يكون الا مايريده الله .

ولما ذهبوا بالرأس الى الباشا فرح فرحاشديدا وظن تمام الأمر له ولمن معه ، وأعطى ذهباوبقاشيش ، ودفنوا ايواظ بيك ، وطلبوا من أيوب بك الرأس فأرسلها لهم بعدما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته .

ثم ان أيوب بيك كتب تذكرة وأرسلها الى ابراهيم أبو شنب يعزيه فى ايواظ بك . ويقول له : ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح . وأرادوا بذلك التثبيط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم .

وأما ما كان من أمر أتباع ايواظ بيك فركب يوسف الجزار وأخذ معه اسماعيل بن ايواظ بيك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بيك فوجدوا عنده ابراهيم بيك وأحمد بيك مملوكه وقيطاس بيك وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة . فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بيك . فقال له يوسف الجزار : وايش فائدة البكاء ؟ دبروا أمركم . قالوا : كيف العمل ؟ قال يوسف الجزار : « هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة . أنتم فقارية فى بعضكم ، واننا الآن انجرحنا ومات منا واحد خلف ألفا وخلف مالا . اعملونى صنجقا وأمير حاج وسر عسكر واعملوا ابن سيدى اسماعيل صنجقا يفتح بيت أبيه وفيه البركة . وأعطونى فرمانا من الذى جعلتموه قائمقام وحجة من نائب الشرع الذى أقمتموه أيضا عن الذى سقطت عدالته ، أنه سقط عنه حلوان البلاد ، ونحن نصرف الحلوان على العسكر والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده » .

ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم فى الثلاثة أيام وتهيأ الفريقان للمبارزة .

السبت ١٩ منه (٦ يونيو ١٧١١ م) :

خرجوا فى هذا اليوم ، وكان أيوب بيك حصن منزله ، فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولا ثم محاصرة المنزل ، فخرج أيوب بيك على جهة طولون ووقعت حروب وأمور ، ثم رجعوا الى منازلهم .

فلما رأى طائفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل الى القلعة وامتناع من فيها ، وضرب المدافع عليهم ليلا ونهارا ، أجمع رأيهم على أن يولوا كتخدا على الينكجرية ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع بأن كل من كانت له علوفة فى وجاقات مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة ، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته . ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم جلب خليل كتخدا لكونها نوبته ، وألبسه قانصوه بيك قائمقام قفطانا وركب وأمامه الوالى والبيرق والعسكر والمنادى أمامه ينادى بما ذكر الى أن نزل بيت الوالى وأحضروا الأودة باشا المتولى اذ ذاك وأجلسوه محله ، وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

هجمت الينكجرية من البذرم على باب العزب ، ومعهم محمد بيك الكبير وكتخدا الباشا وأفرنج أحمد فعندما نزل أولهم من البذرم وكان العزب قد أعدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملانين بالرش والفلوس الجدد — فضربوا عليهم فوقع محمد أغا سركدك والبيرقدار وأنفار منهم فولوا منهزمين يطأ بعضهم

بعضا ، فأخذت العزب رءوس المقتولين فأرسلوها الى قانصوه بيك .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

ثم ان قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية على أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه . فلما أرسلوا له أبى أن يقبل ذلك ، فتغيب من منزله ، فركب يوسف بيك الجزار ومحمد بيك الصغير وعثمان بيك فى عدة كبيرة ودخلوا على منزل على أغا فلم يجدوه ، وأخبروا بالمكان الذى هو فيه فطلبوه ، فأتى بعد امتناع وتخويف ، وتوجه معهم الى قائمقام فألبسه قفطان الأغاوية .

وعاد الى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة كما هى عادتهم فى المواكب .

وفى صبيحة ذلك اليوم عين قائمقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان طائفة من العسكر الى بولاق صحبة أحمد جربجى ليجلسوه فى التكية وصحبته والى بولاق وأغا من المتفرقة عوضا عن أغات الرسالة الذى بها من جانب الباشا ، فأجلسوه فى منزله ونهبوا ماوجدوه لأغات الرسالة الأول من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك .

السبت ٢٦ منه (١٣ يونيو ١٧١١ م) :

فى الصباح خرج الفريقان الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بالقرب من قصر العينى ومعهم المدافع وآلات الحرب ، فتحارب الفريقان من ضحوة النهار الى العصر ، وقتل من الفريقين من دنا أجله وأيوب بيك ومحمد بيك بالقصر ، ثم تراجع الفريقان الى داخل البلد ، وتأخرت طائفة من العزب فأتى اليهم محمد بيك الصعيدى واحتاط بهم وحاصرهم . وبلغ الخبر قانصوه بيك فأرسل اليهم يوسف بيك ومحمد بيك وعثمان بيك فتقاتلوا مع محمد بيك الصعيدى وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد (١) .

وقد كان أيوب بيك داخل التكية المجاورة لقصر العينى فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه ، فبلغ يوسف بيك أنه بالتكية فقصدوه واحتاطوا بالقصر فأخبرهم الدراويش بذهابه فلم يصدقوهم ، ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه وعادوا الى منازلهم .

وفى صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بيك الجزار ونهب غيط افريج أحمد الذى بطريق بولاق ، ثم اجتمعوا فى محل الحرب وتحاربوا ولم يزالوا على ذلك . وفى كل يوم يقتل منهم ناس كثير .

جمادى الأولى

فى ٢ منه (١٨ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق بمنزل قائمقام وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام ، ثم اتفقوا على أن ينادوا فى المدينة بأن من له اسم فى وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر الى بيت أغاته نهب ماله وقتل . وأمهلوهم ثلاثة أيام ونودى بذلك فى عصريتها .

وكتب قائمقام بيورلدى الى من فى القلعة من طائفة الينكجرية والكتخدائية والجربجية والأوده باشية والنفر بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام ، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره ، وهدمناها ، وقتلنا من ظفرنا به . ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر ... فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم .

٤ منه (٢٠ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الأمراء والأغوات الى محل الحرب ، وأرسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل أيوب بيك ، فتحارب الفرسان الى آخر النهار . وأما الرجالة فانهم تسلقوا من منزل ابراهيم بيك

(١) من أهم قناطر الخليج الكبير ، وهى التى كان يتوصل بها الى منشاة المهرانى وغيرها من شاطىء الخليج الغربى .
(الدكتور عبد الرحمن زكى ـ القاهرة)

وتوصلوا الى منزل عمر آغا الجراكسة فتحاربوا مع من فيه الى أن أخلوه ودخلوا فيه وشرعوا ليلا فى نقب الربع المبنى على علو منزل أيوب بيك ، فنقبوه وكمنوا فيه .

٦ منه (٢٢ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع العساكر بمنزل قائمقام بالأسلحة وآلات الحرب ، وأرسلوا طائفة الى جبل الجيوشي فركبوا مدافع على محل الباشا ، ومدافع على قلعةالمستحفظان ، وأحاطوا بالقلعة من أسفل ، وضربوا ستة مدافع على الباشا ، ورموا بنادق . فنصب الباشا بيرقا أبيض يطلب الأمان . وفر من كان داخل القلعة من العسكر . فبعضهم نزل بالحبال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ . فعند ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب ودخلوا الديوان ، فأرسل الباشا القاضى ونقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر ، فتلقوهما وأكرموهما وسألوهما عن قصدهما فقالا لهم : « ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم : انا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا . والمراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم » . فقالوا لهما : « أعلموه أن الصناجق والأمراءوالأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله ، وأن قانصوه بيك قائمقام . وأما الباشا فانه ينزل ويسكن فى المدينة الى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم » .

فأرسل القاضى نائبه الى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه ، وركب من ساعته فى خواصه يقدمه قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه . ونزل من باب الميدان وشق من الرميلة على الصليبة والعامةقد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على أغا الخازندار بجوار المظفر . وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان .

وخرج حسين آغا من باب المطبخ ، فلما رآ يوسف بيك أشار الى العسكر فقطعوه وقطعوا اسماعيل افندى بالمحجر ، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة اسماعيل بن ايواظ . وخازنداره ذو الفقار وقع فى عرض بلديه على خازندار وحسن كتخدا الجلفى ، فحماه من القتل .

وذو الفقار هذا هو الذى قتل اسماعيل بيك ابن ايواظ وصار أميرا ، فقتلوه بباب العزب ، ونزل أفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا الى المحجر متنكرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما وذهبوا بهما الى باب العزب ، وقطعوا رؤوسهما ، وذهبوا بهما الى بيت ايواز بيك ، وطلع على أغا الى محل حكمه وطلع حسن كتخدا من باب الوالى وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والبيرق أمامه ، ونزل جاويش الى أحمد كتخدا برمقس فوجده فى بيت اسماعيل كتخدا عزبان فأخذه وطلع به الى الباب فخنقوه وأخذوه الى منزله فى تابوت ، وركب على أغا وأمامه الملازمون بالبيرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب ، وألبس قائمقام أغوات البلكات السبعة قفاطين وطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجرية الى بابهم وعدتهم ستمائة انسان .

١١ منه (٢٧ يونيو ١٧١١ م) :

لبس يوسف بيك الجزار (١) على امارة الحاج ، ومحمود بيك على السويس ، وعين يوسف بيك المذكور ومصطفى آغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية .

فى ١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧١١ م) :

لبس محمد بيك الصغير على ولاية الصعيد ،

(١) تابع الأمير ايواظ بيك ، تقلد الامارة والصنجقية فى سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وتولى الدفترداربة سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥م) وقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم الوفا ولذلك سمى بالجزار .

وخرج من بيته بموكب الى الأثر ، وصحبتـــه الطـــوائف الذين عينوا معـــه من السبعة بلكات بسرداریاتهم وبیارقهم وعدتهم خمسمائة نفر . منهم مئتان من الينكجرية والعزب ، وثلثمائة نفـــر من الخمسة بلكات أعطوا لـــكل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ، ولكل شخص من الثلثمائة ، ألف وخمسمائة نصف فضة .

١٥ منه (١ يوليو ١٧١١ م) :

فى الصباح حملوا حملة واحـــدة على منزل أيوب بيك وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه وركب أيوب بيك وخرج هاربا من باب الجبل فلم يعلم أين يتوجه.فملكوا منزله ونهبوه مع كونه كان مســتعدا وركب فى أعالى منزله المدافع ، وفى قلعة الكبش فأرسل له افرنج أحمد بيرقا وعســاكر فلم يفده ذلك شيئا ونهبوا أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعدما قتلوه ببيت قائمقام ولحق من لحق بأيوب بيك وفر الجميع الى جهة الشام .

وفر محمد بيك الى جهة الصعيد ووقع النهب فى بيوت من كان من حزبهم ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقا وبيت محمد أغات متفرقة باشـــا وبيت محمد بيك الـــكبير وأحرقوه وبيت جربجى القونيلى وأحرقوا بيت أيوب بيـــك وما لاصقه من الربع والدكاكين .

جمـــادى الآخرة

فى ٤ منه (٢٠ يوليو ١٧١١ م) :

سافر الجميع ، وكان محمد بيك الكبير خرج مقبلا وصحبته الهوارة ، فخرج وراءه يوسف بيك الجزار وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك قطامش فوصلوا دير الطين، فلاقاهم شيخ الترابين فأخبرهم أنه مر من ناحية التبين نصف الليل ، فرجعوا الى منازلهم .

وبلغهم فى حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليـــه وقطعوا دماغه .

ولم يزل محمد بيك الصعيدى حتى وصـــل اخميم وصحبته الهوارة وقتل ما بها من الكشاف ونهب البلاد وفعـــل أفعالا قبيحة ، ثم ذهب الى أسيوط فأرسل الى قائمقام جرجا فتصرف فى جميع تعلقاته وأرسلها اليه نقودا ، ونزل مختفيـــا الى بحرى ،ومر من البابه نصف الليل. ولم يزل سائرا الى دميـــاط ، ونزل فى مركب أفرنجى وطلع الى حلب ، ووصل خبره الى السردار ، فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على البرج فلم يدركوه . ثم انه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر . وكان أيـــوب بيك ومحمـــد أغا متفرقة وكتخـــدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالى وصلوا قبله وقابلوا الوزير ، وأعلموه بقصتهم ، وعرضوا عليه الفتوى وعرض الباشا والقاضى ، فأكرمهم وأنزلهم فى مكان ورتب لهم تعيينا ، ثم أتاهم محمد بيك ، وقابل معهم الوزير أيضا فخلع عليه وولاه منصبا . وأما رضوان أغا فانه تخلف ببلاد الشام ومحمد أغا الكور صحبته .

فى ٧ منه (٢٣ يوليه ١٧١١ م) :

تقلد محمد بيك بن اسماعيل بيك بن ايواظ بيك الصنجقية ، ثم انهم اجتمعـــوا فى بيت قائمقام ، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع ، وطلبوا ارسال باشا واليا على مصر ، وذكروا فيه أن الخزنة تصل صحبة محمـــد بيك الدالى ، وانفضت الفتنة وما حصل بها من الوقائع . واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والى باشا وحاسبه .

رجب

فى أواخره (أوائل سبتمبر ١٧١١ م) :

تولى على مصر والى باشا فوصلها وطلع الى القلعة

رمضان

(اكتوبر – نوفمبر ١٧١١ م) :

فيه : جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، وأكثرهم أتراك . ثم انتقل من الوعظ ، وذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء ، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء ، وتقبيل أعتابهم ، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاة الأمور السعى فى ابطال ذلك . وذكر أيضا قول الشعرانى فى طبقاته ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ ، أنه لا يجوز ذلك ، ولا تطلع الأنبياء — فضلا عن الأولياء — على اللوح المحفوظ ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء والتكايا ، ويجب هدم ذلك . وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة فى ليالى رمضان

فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون : أين الأولياء ؟ . فذهب بعض الناس الى العلماء بالأزهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ ، وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوى (١) والشيخ أحمد الخليفى (٢) بأن كرامات الأولياء لاتنقطع بالموت ، وأن انكاره اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك . وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ وهو فى مجلس وعظه . فلما قرأها غضب وقال : يا أيها الناس ، ان علماء بلدكم أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، وانى أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم فى مجلس قاضى العسكر . فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟ فقال له الجماعة : نحن معك لا نفارقك . فنزل عن الكرسى ، واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ، ومر بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قريب العصر ، فانزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى ، وطلب منه احضار المفتيين والبحث معهما ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم . فقالوا : ما تقول فى هذه الفتوى ؟ قال : هى باطلة . فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة ببطلانها . فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود ذهبوا الى منازلهم . وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

٢٠ منه (١ نوفمبر ١٧١١ م) :

اجتمع الناس وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم ، فلم يحضر لهم الواعظ ، فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره ، فقال بعضهم : أظن أن القاضى منعه من الوعظ . فقام رجل منهم وقال : أيها الناس ، من أراد أن ينصر الحق فليقم معى ، فتبعه الجم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضى .

فلما رآهم القاضى ومن فى المحكمة طارت عقولهم من الخوف ، وفر من بها من الشهود ، ولم يبق الا القاضى فدخلوا عليه ، وقالوا له : أين

(١) ولد ببلدة نفرة ونشأ بها . وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه واخذ عنه الأعيان . توفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م)

(٢) العلامة الشيخ أبو العباس احمد الشهير بالخليفى الضرير اصله من الشرق وقدم جده أبو الخير واقام بمنية موسى من اعمال المنوفية . وولد بها الشيخ ونشأ . وكان فقيها نحويا . توفى فى سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) .

شيخنا ؟ فقال : لاأدرى . فقالوا له : قم واركب معنا الى الديوان ، ونكلم الباشا فى هذا الأمـر ، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا ، وتتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا والا قتلناهم . فركب القاضى معهم مكرها وتبعوه من خلفه وأمامه الى أن طلعوا الى الديوان فسأله الباشا عن سبب حضوره فى غير وقته . فقال: انظر الى هؤلاء الذين ملأوا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بى ، وعرفه عن قصتهم ، وما وقع منهم بالأمس واليوم ، وأنهم ضربوا الترجمان وأخـذوا منى حجة قهرا ، وأتوا اليوم وأركبونى قهرا .

فأرسل الباشا الى كتحدا الينكجرية وكتخدا العزب ، وقال لهما : اسألوا هؤلاء عن مرادهم . فقالوا : نريد احضار النفراوى والخليفى ليبحثـا مع شيخنا فيما أفتيا به عليه ، فأعطاهم البـاشا بيورلديا على مرادهم ونزلوا الى المؤيد ، وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى الـكرسى فصـار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم فى غد بالمؤيد ويذهبون بجمعيتهم الى القاضى وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين وافترقوا على ذلك .

وأما الباشا فانه لما أعطاهم البيورلدى ، أرسل بيورلديا الى ابراهيم بيك وقيطاس بيك يعرفهم ماحصل وما فعله العامة من سوء الأدب ، وقصدهم تحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضى . وقد عزمت أنا والقاضى على السفر من البلد .

فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعـوا الصناجق والأغوات ببيت الدفتردار وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أى وجاق ويخرجوا من حقهم وينفى ذلك الواعظ من البلد ، وأمروا الأغا أن يركب ، ومن رآه منهم قبض عليه وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السفط .

فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا وأرسل الجاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا ، وجعل يفحص ويفتش على أفراد المتعصبين ، فمن ظفر به أرسله الى باب أغاته فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم وسكنت الفتنة .

شـوال

(نوفمبر — ديسمبر ١٧١١ م) :

قلدوا أحمد بيك الأعسر (١) — تابع ابراهيم بيك — صنجقية ، وزادوه كشوفية البحيرة . وكان قانصـوه بيك ، قبـل وصـول الباشـا ، رسم باخراج تجريدة الى هوارة المفسدين الذين أتوا الى مصر صحبة محمد بيك الصعيدى ، ورجعوا صـحبته وأخربوا أخميم وقتلوا الكشاف وأمير التجريدة محمد بيك قطامش وصحبته ألف عسكرى ، وأعطوا كل عسكرى ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهار سنة تاريخه ، وأن يكون محمد بيـك حاكم جرجا عن سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ، وقضى أشغاله وبرز خيامه الى الآثار ، ثم طلب الوجه القبلى الى أن وصل الى أسيوط فقبض على كل من وجده من طرف محمد بيك الصعيدى وقتله ، ومنهم حسين أوده باشا بن دقماق . ثم انتقل الى منفلوط وهربت طوائف الهوارة بأهلها الى الجبل الغربى ، وأتت اليه هوارة بحرى صحبـة الأمير حسن فأخبروه بما وقع لهم ، وساروا صحبته الى جرجا ، فنزل بالصيوان وأبرز فرمانا قرىء بحضرة الجمع باهراق دم هوارة قبـلى ، وأمر بالركوب عليهم الى اسنا ، وتسلط عليهم هوارة بحرى ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم ، واشتفوا منهم ، وكل من وجده منهم قتلوه .

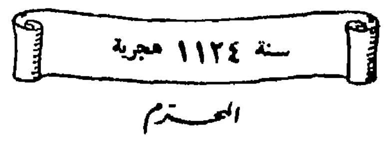
ل فى سيره حتى وصل قنا وقوص ثم رجع جرجا .

(١) من مماليك ابراهيم بيك ابى شنب القاسمى . قتل فى سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) فى واقعة البهنسا .

ثم ان هوارة قبلى التجأوا الى ابراهيم بك أبو شنب ، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بيك بالأمان ، ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك ، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك . فأرسل الى قيطاس بيك تذكرة صحبة احمد بيك الأعسر يترجى عنده ، فأجاب الى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا ، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهوارة ، ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا ، وأرسلوا الى ابراهيم بيك مركب غلال وخيولا مثمنة وأغناما .

فى اواخره (اوائل ديسمبر ١٧١١ م) :

ورد آغا من الدولة وعلى يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا واستعجال الخزينة وبيع بلاد من قتل فى أيام الفتنة وكذلك أملاكهم .


سنة ١١٢٤ هجرية

المحرم

فى ٣ منه (١١ فبراير ١٧١٢ م) :

ورد مرسوم سلطانى بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرلية الى الغزو .

فى ٨ منه (١٦ فبراير ١٧١٢ م) :

تشاجر رجل شريف مع تركى فى سوق البندقانيين . فضرب التركى الشريف فقتله ، ولم يعلم أين ذهب ، فوضع الأشراف المقتول فى تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل .

فى ١٠ منه (١٨ فبراير ١٧١٢ م) :

قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة ، وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ، ويأمرونهم بقفل الدكاكين ، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه ، ومكثوا على ذلك يومهم . وأصبحوا كذلك يوم الجمعة ، وأرسلوا خبرا للأشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا ، واجتمعوا بالمشهد الحسينى ، ثم خرجوا وأمامهم بيرق وذهبوا الى منزل قيطاس بيك الدفتردار ، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر وركب أغوات الاسباهية الثلاثة وأغات الينكجرية فى عددهم وعددهم وطافوا البلد ، فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل الى مكانه ونادوا بالأمن والأمان ، وفتحت الدكاكين ، ثم اجتمع رأى الأمراء ، على نفى طائفة من أكابر الأشراف فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فعفوا عنهم .

وفى هذا الشهر : وقع ثلج بقريتى سرسنا وعشما[1] من بلاد المنوفية ، كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر ، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقدارا عظيما من زرع الناحية وقتلت أناسا .

ربيع الأول

فى ٨ منه (١٥ ابريل ١٧١٢ م) :

سافر مصطفى بيك تابع يوسف آغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو ، وحضرت العساكر الذين كانوا فى سفر الموسقو صحبة سردارهم اسماعيل بيك ، ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر وضعوا على رؤوسهم ريشا فى عمائمهم سمة لهم . ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات . ومات أميرهم اسماعيل بيك باسلامبول .

فى ٢٢ منه (٢٩ ابريل ١٧١٢ م) :

قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو ، وسقط منها بعض المنازل .

---

(١) الآن تابعتان لمركز الشهداء منوفية .

ربيع الآخر

فى غرته (٨ مايو ١٧١٢ م) :

ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصرى . ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثى النفقة ، وتركوا لهم الثلث . وكذلك التراقى من الجوامك التى تعطى للسردارية وأصحاب الدركات .

فى ١٨ منه (٢٥ مايو ١٧١٢ م) :

ورد قابجى باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بيك الدفتردار أميرا على الحج ، عوضا عن يوسف بيك الجزار ، وأن يكون ابراهيم بيك بشناق المعروف بأبى شنب دفتردارا ، فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع . ومرسوم آخر بانشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين ، وأن يجهزوا الى مكة مائة وخمسين كيسا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بيك بن حسين باشا . ثم ان قيطاس بيك اجتمع بالأمراء وشكا اليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته ، فعرضوا ذلك على الباشا وطلبوا منه أن يمده بخمسين كيسا من مال الخزينة ، ويعرض فى شأنها بعد تسليمها الى الدولة ، وان لم يمضوا ذلك يحصلوا من الوجاقات بدلا عنها .

وفى يوم الاربعاء ٢٥ منه (١ يونيو ١٧١٢ م) :

وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا ، فدخل القاهرة فى كبكبة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم سارجة سليمان ، وجمال محملة بالأثقال يتقدمهم ثلاثة بيارق . وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بيك أمير الحج فى طائفة عظيمة من الأمراء والأغوات والصناجق ، وقابلوه وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بيك ، ومدوا هناك سماطا عظيما حافلا ، وقدموا له خيولا وساروا معه الى أن دخلوا المدينة فى موكب عظيم الى أن أنزلوه بمنزل المرحوم اسماعيل بيك — المتوفى بسفر الموسقو — بجوار الحنفى . ثم لم يزل هناك حتى سافر فى أواخر رجب من سنة تاريخه ، وخرج بموكب عظيم أيضا .

شعبان

فى منتصفه (١٧ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد أحمد بيك الأعسر على ولاية جرجا عوضا عن محمد بيك الصغير المعروف بقطامش ، ثم ورد أمر بتقليد امارة الحج لمحمد بيك قطامش عوضا عن سيده ، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين ورجع سنة خمس وعشرين ، وذلك من فعل قيطاس بيك سرا . وتقلد ولاية جرجا مصطفى بيك قزلار .

فى ٢٠ منه (٢٢ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد محمد بيك المعروف بجركس ، تابع ابراهيم بيك أبى شنب الصنجقية ، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بيك أمير الحج .

شوال

فى ١٠ منه (١٠ نوفمبر ١٧١٢ م) :

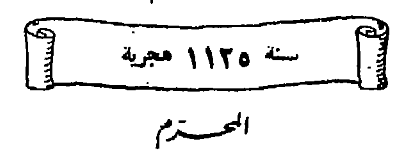
ورد عبد الباقى افندى وتولى كتخدائية ولى باشا ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر .

ذو القعدة

فى ١٣ منه (١٢ ديسمبر ١٧١٢ م)

ورد أيضا مرسوم صحبة أغا معين يطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو لنقضهم المهادنة ، وقرىء ذلك بالديوان بحضرة الجمع ، فألبسوا حسين بيك المعروف بشلاق سردار عوضا

عن عثمان بيك بن سليمان بيك بارم ذيله ، وقضى أشغاله وسافر فى أوائل المحرم .


سنة ١١٢٥ هجرية

المحرم

فى اوله (٢٨ يناير ١٧١٣ م) :

ورد أيضا أغا باستعجال الخزينة .

صفر

(مارس ١٧١٣) :

رجع الحجاج صحبة محمد بيك قطامش ، وانتهت رياسة مصر الى قيطاس بيك ومحمد بك وحسن كتخدا النجدلى وكور عبد الله وابراهيم الصابونجى ، فسولت لقيطاس بيك نفسه قطع بيت القاسمية ، وأخذ يدبر فى ذلك ، وأغرى سالم بن حبيب ، فهجم على خيول اسماعيل بيك بن ايواظ بيك فى الربيع ، وجم أذناب الخيول ومعارفها ماعدا الخيول الخاصة فانها كانت بدوار الوسية . ودهب ولم يأخذ منها شيئا .

وحضر فى صبحها أمير آخور فأخبروه ، وكان عنده يوسف بيك الجزار فلاطفه وسكن حدته ، وأشار عليه بتقليد حسن أبى دفية قائمقام الناحية ، ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور .

ثم انه كتب عرضحالا أيضا على لسان الأمير منصور الخبيرى يذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا الوادى وقطعوا درب الفيوم ، وأرسل ذلك العرضحال صحبة قاصد يأمنه فختمه منصور وأرسله الى الباشا صحبة البكارى خفير القرافة فلما طلع قيطاس بيك فى صبحها الى الباشا واجتمع باقى الأمراء ، وكان قيطاس بيك رتب مع الباشا أمرا سرا وأغراه وأطمعه فى القاسمية وما يؤول اليه من حلوان بلاد ابراهيم بيك ويوسف بيك وابن ايواظ بيك وأتباعهم .

فلما استقر مجلسهم دخل البكارى بالعرضحال ، فأخذه كاتب الديوان وقرأه على أسماع الحاضرين فأظهر الباشا الحدة وقال : أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد الذين يخربون بلاد السلطان ويقطعون الطريق فقال ابراهيم بيك : أقل ما فينا يخرج من حقهم . وانحط الكلام على ذهاب ابراهيم بيك واسماعيل بيك ويوسف بيك وقيطاس بيك وعثمان بيك ومحمد بيك قطامش ، وكان قانصوه بيك فى بنى سويف فى الكشوفية وأحمد بيك الأعسر فى اقليم البحيرة . فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع عليهم الباشا قفاطين ، ونزلوا فأرسلوا خيامهم ومطابخهم الى تحت أم خنان ببر الجيزة ، وعدوا بعد العصر ونزلوا بخيلهم . واتفق قيطاس بيك مع عثمان بيك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب ، ويكونون أكلوا العشاء وعلقوا على الخيول . وعندما ينزلون الى الصيوان يتركون الخيول ملجمة ، والمماليك والطوائف بأسلحتها ، فاذا أتى الينا الثلاثة صناجق نقتلهم ثم نركب على طوائفهم وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ، ونخلص ثأر الفقارية الذين قتلهم خال ابراهيم بيك فى الطرانة .

فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل — وذلك وقت العشاء — ونزلوا بالصيوان ، قال ابراهيم بيك ليوسف بيك واسماعيل بيك : قوموا بنا نذهب عند قيطاس بيك . قالا له : أنت فيك الكفاية. فذهب ابراهيم بيك وهو ماش ولم يخطر بباله شىء من الخيانة . فلما دخل عندهم وسلم وجلس ، سأله قيطاس بيك عن رفقائه ، فقال : انهم جالسون محلهم ، فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة ، فعند ذلك قام محمد بيك وعثمان بيك الى خيامهما وقلعا

سلاحهما وخلعا لجامات الخيل وعلقا مخالى التبن ورجعا اليهما ، فقال قيطاس بيك لابراهيم بيك : اركبوا أنتم الثلاثة فى غد ، وانصبوا عند وسيم(١)، ونحن نذهب الى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتون الى جهتكم ، فاركبوا عليهم ، فأجابه الى ذلك ثم قام وذهب الى رفقائه فأخبرهم بذلك ، وباتوا الى الصباح .

وفى الصباح جملوا وساروا الى جهة وسيم — كما أشار اليهم قيطاس بيك—فنزلت اليهم الزيدية بالفطور ، فسألوهم عن العرب فقالوا لهم : الوادى فى أمن وأمان بحمد الله ... لا عرب ولا جرب ولا شر .

وأما قيطاس بيك ومن معه فانه رجع الى مصر وأرسل الى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعدوعرب بلى ويرسلهم مع ابنه سالم يدهمون الجماعة بناحية وسيم ويقتلونهم ، فتلكأ ابن حبيب فى جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين ابراهيم بيك ، وحضرلهم رجل من الأجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له ، فأخبرهم برجوع قيطاس بيك ومن معه الى مصر ، فركب ابراهيم بيك ويوسف بيك واسماعيل بيك ونزلوا بالجيزة عند أبى هريرة (٢) وصحبتهم خيالة الزيدية وباتوا هناك وعدوا فى الصباح الى منازلهم سالمين .

ربيع الأول

فى غرته (٢٨ مارس ١٧١٣ م) :

حصل طاعون وكان ابتداؤه فى القاهرة .

جمادى الآخرة

فى أواخره (يولية ١٧١٣ م) :

وصل عابدين باشا الى الأسكندرية ، وتقلد يوسف بيك الجزار قائمقام ، وخلع على ابن سيده اسماعيل بيك .

ولما حضر الباشا الى الحى وطلع الى العادلية ، أحضر الأمراء تقادمهم ، وقدم له اسماعيل بيك تقدمة عظيمة وأحبه الباشا واختص به ، ومال قلبه الى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات ، وحضرمرسوم بامارةالحج لاسماعيل بيك بن ايواظ بيك وعابدين باشا ، وهو الذى قتل قيطاس بيك بقراميدان . وهرب محمد بيك قطامش تابعه بعد قتل سيده الى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر .

وفى ولايته تقلد عبدالله كاشف ، وصارى على ، وعلى الأرمنى (١) ، واسماعيل كاشف صناجق الأربعة ايواظية . وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن أغا ولجه أغات جملية ، واسماعيل أغا كتخدا ايواظ بيك كتخداجاويشية . ومن أتباع ابراهيم بيك أبى شنب (٢) : قاسم الكبير ، وابراهيم فارسكور ، وقاسم الصغير ، ومحمد جلبى بن ابراهيم بيك أبى شنب وجركس محمد الصغير . وخمستهم صناجق. واستقر الحال ، وطلع بالحج الأمير اسماعيل بيك بن ايواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين فى أمن وأمان وسخاء ورخاء .

سنة ١١٢٨ هجرية

(٢٧ ديسمبر ١٧١٥ — ١٥ ديسمبر ١٧١٦ م) :

ورد أغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم أمير قادر ، وكانت النوبة على محمد بيك جركس الكبير . فلما اجتمعوا بالديوان ، وقرىء المرسوم ، خلع الباشا على محمد بيك جركس القفطان ، ونزل الى داره فطوى القفطان وأرسله الى سيده ابراهيم بيك ،

(١) وسيم بمركز الجيزة .

(٢) له مقام ومسجد بمدينة الجيزة .

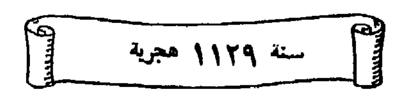
(١) يعرف أيضا بالشامى من اتباع ايواظ بيك .

(٢) أصله مملوك مراد بيك القاسمى وخشداش ايواظ بيك .

ويقول له : عنـدك خلافى صناجق كثـيرة فانى قشلان (١) ، فتكدر خاطره .

ثم أرسل اليه صحبة أحمد بيك الأعسر عشرين كيسا فاستقلها ، فأعطاه أيضا وصولا بعشرة أكياس على الطرانة ، فجهـز حاله وركب الى قصر الحلى بالموكب ، وأحضر عنده الحريم ، فأقام أياما فى حظه وصفائه ... والأغا المعين يستعجل السفر . وفى كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاسـتعجال والذهاب وهو لايبالى بذلك .

ثم ان الباشا تكلم مع ابراهيم بيك فى شـأن ذلك . فلما نزل الى بيته أرسل اليـه أحمـد بيك الأعسر وقاسم بيك الكبير فأخبراه بتفريط الباشا والاستعجال . فقال فى جوابه : جلوسى هنا أحسن من اقامتى تحت الطرانة حتى يدفعـوا الى العشرة أكياس ، فلا أرتحل حتى تأتينى العشرة أكياس ، ورمى لهم الوصول . فرجع أحمد بيك الى ابراهيم بيك وأخبره بمقالته ، ورد اليـه الوصـول ، فما وسعه الا أنه دفع ذلك القدر اليه نقدا وقال : سوف يخرب هذا بيتى بعناده . فلما وصله ذلك نزل الى المراكب وسافر ، ثم ورد مسلم على باشـا وأخبر بولايته مصر عن سنة ١١٢٩ .

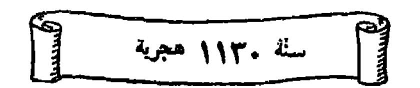

سنة ١١٢٩ هجرية

(١٦ ديسمبر ١٧١٦ ــ ٤ ديسمبر ١٧١٧)

اجتمعوا بالديوان ، وتقلد ابراهيم بيك أبو شنب قائمقام ، ونزل الى بيتـه ، وخلع عن أحمـد بيك الأعسر ، وجعله أمين السماط ، ونزل عابدين باشا من القلعة عند ما وصل الخبر بوصول على باشا الى الأسـكندرية ، وسـافرت اليـه أرباب الخـدم والعكاكيز ، وسافر عابدين باشا قبل حضور على باشا الى مصر .

وحضر على باشا ، وطلع الى القلعة على الرسم المعتاد ، واسـتقر فى ولاية مصر والأمور صالحة ، والفتن ساكنة ، ورياسة مصر للأمـير ابراهيم بيك أبى شنب الكبير والأمير اسماعيل بيك بن ايواظ بيك ومحمد كتخدا جدك مستحفظان وابراهيم جوربجى الصابونجى عزبان وأتباع حسن جاويش القازدغلى ، وهم عثمـان أوده باشا وسليمان أوده باشـا تابع مصطفى كتخدا وخـلافهم من رؤساء باب العزب وباقى البلكات .

فى أواخر هـذه السـنة ورد قابجى وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير لسفر الجهاد ، وكان الدور على محمـد بيك بن ايواظ أخى اسماعيل بيك ، فعلم أخوه أنه خفيف العقل ، فلا يستر نفسه فى السفر ، فقلد أحمد كاشف صنجقية ، وجعله أمير العسكر ، وجعل مملوكه على الهندى كتخداه .


سنة ١١٣٠ هجرية

(٥ ديسمبر ١٧١٧ ــ ٢٣ نوفمبر ١٧١٨)

حضر محمد جركس من السفر فوجـد سيده ابراهيم بيك توفى وأمير مصر اسماعيل بيك ، فتاقت نفسه للرياسة ، فضم اليه جماعة من الفقارية : مثل حسين أبو يدك ، وذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم ، واتخذ لهم سراجا قبيحا يقال له الصيفى .

وكان الدفتردار فى ذلك الوقت أحمـد بيك الأعسر تابع ابراهيم بيك أبى شنب ، وكلما رأى تحرك محمد بيك جركس لاثارة الفتن يهدى عليه ويلاطفه ويطفىء ناريته .

وكان ذو الفقار لما قتل سـيده عمر أغا وأراد اسماعيل بيك قتله أيضا فى ذلك اليوم ، فوقع على خازندار حسن كتخدا الجلفى وحمـاه من القتل ، وأخرج له حسن كتخـدا حصـة فى قمن العروس بالمحلول عن سيده ، وهى شركة اسماعيل بيك بن ايواظ . ولم يقدر حسن كتخدا أن يذكر اسماعيل

(١) لفظ عامى معناه « فقير » .

بيك فى فائظها لعلمه بكراهته لذى الفقار ويريد قتله .

فلما مات حسن كتخدا الجلفى (١) ، وحضر محمد بيك جركس من السفر ، انضم اليه ذو الفقار المذكور وخاطب فى شأنه اسماعيل بيك ، فلم يفد ، ولم يرض أن يعطيه شيئا من فائظه . وتكرر هذا مرارا حتى ضاق خناق ذى الفقار من الفشل ، فدخل على محمد بيك جركس فى وقت خلوة ، وشكا اليه حاله ، وفاوضه فى اغتيال اسماعيل بيك ،فقال له : « افعل ماتريد » . فأخذ معه فى ثانى يوم أصلان وقيلان وجماعة خيالة من الفقارية ، ووقفوا لاسماعيل بيك فى طريق الرميلة عند سوق الغلة وهو طالع الى الديوان ، فمر اسماعيل بيك وصحبته يوسف بيك الجزار واسماعيل بيك جرجا وصارى على بيك (٢) ، فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم الا رجل قواس . ورمح اسماعيل بيك ومن بصحبته الى باب القلعة ، ونزل هناك ، وكتب عرضحالا ملخصه الشكوى من محمد بيك جركس ، وأنه جامع عنده المفسدين ويريد اثارة الفتن فى البلد وأرسله الى الباشا صحبة يوسف بيك ... فأمر على باشا بكتابة فرمان خطابا للوجاقات باحضار محمد بيك جركس وان أبى فحاربوه واقتلوه .

فلما وصل الخبر الى جركس ركب مع المنضمين اليه — فقارية وقاسمية — ووصل الى الرميلة ، فصادف الموجهين اليه ، فحاربهم وحاربوه . وقتل حسين بيك أبويدك (٣) وآخرون . وانهزم جركس ، وتفرق من حوله ، ولم يتمكن من الوصول الى داره ، فذهب على طريق الناصرية ، ولم يزل سائرا حتى وصل الى شبرا ولم يبق صحبته سوى مملوكين ، فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة وقبضوا عليهم ،

(١) كان انسانا خيرا له بر ومعروف وصدقات توفى يوم الاربعاء ٩ شوال ١١٢٤ هـ (٩ نوفمبر ١٧١٢ م)

(٢) يقال له « على بيك الاصفر » لأن صارى بمعنى الاصفر وهو من اتباع ايواظ بيك .

(٣) حسين بيك ارنؤود المعروف بأبى يدك . كان أصله اغا جراكسة .

وأخذوا سلاحهم وأتوا بهم الى بيت اسماعيل بيك ابن ايواظ بيك . وكان عند أحمد كتخدا أمين البحرين (١) والصابونجى ، فأشاروا عليه بقتله فلم يرض وقال : « انه دخل بيتى » ، وخلع عليه فروة سمور ، وأعطاه كسوة ، وذهب ونفاه الى جزيرة قبرص. ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد أمير العسكر أحمد بيك فقلدت الدولة على كتخدا الهندى صنجقا عوضا عن مخدومه أحمد بيك ، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة ، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان . فلما وصلوا الى مصر عمل له يوسف بيك الجزار سماطا بالحلى ، ثم ركب وطلع الى القلعة وخلع الباشا على على بيك الهندى خلعة السلامة ، ونزل الى بيت اسماعيل بيك ، وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا ، واستمر صنجقا وناظرا على الخاصكية .

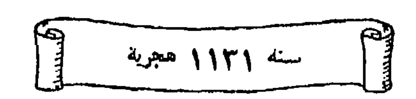
وفى هذه السنة : حصلت حادثة ببولاق ، وهى أن سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة أتباع أوسية أمير الحج ، فحضر اليهم أمير أخور فضربوه . ووصل الخبر الى الأمير اسماعيل بيك فأرسل اليهم أغات الينكجرية والوالى فضربوهم ، فركب الصنجق بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم ، وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين . وكانت حادثة مهولة واستمر الدرب مقفولا ومسمرا نحو سنتين .

وفى هذه السنة أيضا : كان موسم سفر الخزينة — وأميرها محمد بيك بن ابراهيم بيك أبوشنب ، وكان وصل اليه الدور — وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدادرة . ولما وصل الى اسلامبول ، واجتمع بالوزير ورجال الدولة ، وشى اليهم فى حق اسماعيل بيك بن ايواظ ، وعرفهم أنه ان استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرد النواب ، فان الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك

(١) كان من الاعيان المشهورين ، نافذ الكلمة وافر الحرمة . عمل باش اوده باشا ثم تولى الكتخدائية وعمل امير البحرين .

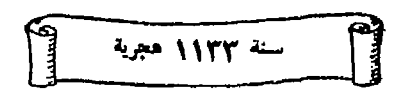
أبيه ، وعلى باشا المتولى لايخرج عن مراده فى كل شىء ، ونفى وأبعد كل من كان ناصحا فى خدمة الدولة : مثل جركس ومن يلوذ به ، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على ازالة اسماعيل بيك والباشا وتونية وال آخر يكون صاحب شهامة ... فأجابوه الى ذلك . وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بيك الكبير على احضار محمد بيك جركس ، فأرسل اليه وأحضره خفية واختفى عنده .

ثم ان أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحج الشامى ، ورسموا له عند حضوره الى مصر أن يقبض على على باشا ويحاسبه ويقتله ، ثم يحتال على قتل اسماعيل بيك بن ايواظ وعشيرته ماعدا على بيك الهندى [1] . ورجع محمد بيك بن أبى شنب الى مصر ، وعمل دفتردارا ، وحضر مسلم رجب باشا ومعه الأمر بحبس على باشا بقصر يوسف وقائمقامية الى أحمد بيك الأعسر . وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا الى العريش .


سنه ١١٣١ هجرية

(٢٤ نوفمبر ١٧١٨ ـــ ١٣ نوفمبر ١٧١٩)

تقلد ابراهيم بيك فارسكور أمين السماط ، وطلع اسماعيل بيك أميرا بالحج ، وذلك عند وصول رجب باشا الى العريش . ثم حضر الى مصر ، وعملوا له الشنك والموكب على العادة . فلما استقر بالقلعة أحضر اليه ابن على باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجى ، وأمرهم بعمل حسابه ، ثم قطع رأسه ظلما وسلخها وأرسلها الى الباب ، ودفن على باشا بمقام أبى جعفر الطحاوى بالقرافة ، ويعرف قبره بعلى باشا المظلوم . وأمر بضبط جميع مخلفاته ، ثم أحضر له محمد جركس خفية ، وأمر الأغا والوالى بالمناداة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره ، ثم اختلى به وقال له : كيف العمل والتدبير فى قتل ابن ايواظ بيك وجماعته ؟ فقال له : « الرأى فى ذلك أن ترسل الى العرب يقفون فى طريق الوشاشة فانهم يرسلون يعرفونكم بذلك » . فأرسلوا لهم عبد الله بيك . وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بيك الجزار ومحمد بيك بن ايواظ بيك واسماعيل بيك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجه أغات الجملية ، فعندما يرتحلون من البركة يقتل اسماعيل بيك الدفتردار كتخدا الجاويشية ، وعند ذلك أنا أظهر ، وتقلد امارة الحج الى محمد بيك بن اسماعيل بيك ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ بيك يقتلونه مع جماعته . وهذا هو الرأى والتدبير ... ففعلوا ذلك ولم يتم ، بل اختفى اسماعيل بيك ودخل الى مصر ، ثم ظهر بعد أن دبر أموره وعزل رجب باشا وأنزلوه الى بيت مصطفى كتخدا عزبان ، وفسد تدبيره ، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه الى اسلامبول . وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة .


سنة ١١٣٣ هجرية

(٢ نوفمبر ١٧٢٠ ـــ ٢١ اكتوبر ١٧٢١)

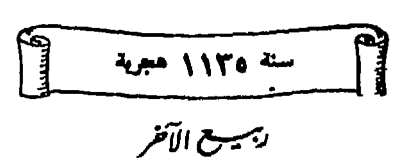
وصل محمد باشا النشانجى ، فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسا . وقلد امارة الحج لمحمد بيك اسماعيل فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين .

ثم حضر مرسوم بالأمان والعفو لاسماعيل بيك ابن ايواظ بيك وقرىء بالديوان .

سافر رجب باشا ، وسكن الحال مع التنافر والحقد الباطنى الكامن فى نفس محمد بيك جركس وابن أستاذه محمد بيك أبى شنب لاسماعيل بيك ابن ايواظ ، وهو يسامح لهم ، ويتغافل عن أفعالهم وقبائحهم ، ويسوس أموره معهم ، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه ، وجرت بينه وبينهم أمور ووقائع ومخاصمات

[1] الامير على بك المعروف بالهندى هو مملوك احمد بيك تابع ايواظ بيك الكبير .

وجمعيات ومصالحات . ولم يزل اسماعيل بيك ظاهرا عليهم حتى خانوه واغتالوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن معهم . وقتلوا معه اسماعيل بيك جرجا وعبد الله أغا كتخدا الجاويشية .



سنة ١١٣٥ هجرية

ربيع الآخر

فى ١٧ منه (٢٥ يناير ١٧٢٣ م) :

ورد أغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا الى باشة جدة ليشتروا بها مركبا هنديا لحمل غلال الحرمين عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ . وحضر صحبة ذلك الأغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعه أتباعه ، ووصل الجميع على خيل البريد الى أن وصلوا الى بركة الحاج ، فنزلوا ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان ، وفارقهم الأغا ... فنزل عليهم سالم بن حبيب فعراهم ، وأخذ ما معهم . وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة .

وسبب ذلك أنه لما طرد من دجوة (١) وذهب الى الصعيد ، فنزل اليه قيطاس بيك ، وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده ... فرجع من خلف الجبل ، وقعد بالبركة وقطع الطريق .

فلما وصل الخبر بذلك الى مصر ، نزل اليه أمير الحج وكاشف القليوبية حمزة بيك ، تابع ابن ايواظ ، وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة — وهم نصف حرام — فنزل أمير الحج بالمسبك وجلس هناك ، وابن حبيب (٢) نازل فى المساطب التى بعد البركة وناصب صيوان كاشف شرق اطفيح ، وكان نهبه وهو متوجه الى قبلى ... فان الكاشف لما اقبل عليه سالم فرمح عليه — وكان فى قلة — فهزمه سالم ، وأخذ صيوانه ، ونزل البركة ، وربط خيوله هو ومن معه فى الغيطان ، فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم فى ليلة واحدة .

ثم ان الباشا أرسل الى أمير الحج بالرجوع وعينوا عبد الله بيك وحمزة بيك وخليل أغا . وأرسل اسماعيل بيك صحبتهم خمسمائة جندى من أتباعه ومن البلكات ، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير فى أوطانهم ماعدا سالم بن حبيب واخوته ومن يلوذ به . وسافرت لهم التجريدة ، وارتحل ابن حبيب ، وسار الى جهة غزة ونهبت التجريدة ما فى طريقهم من البلاد ، وأرسل الباشا اليهم فرمانا بالعودة فرجعوا من غير طائل .

رجب

فى ١٣ منه (١٩ ابريل سنة ١٧٢٣ م) :

فيه : ورد أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم وسيف وقفطان للشريف يحيى شريف مكة ، وتقرير للباشا على السنة ، وأغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندى ... ولم يسبق نظير ذلك ، وأن أغاوية المتفرقة تأتى من الديار الرومية .

وسبب ذلك أن حسن أفندى والد عبد الغفار(١) أفندى ، كان عنده طواشى أهداه الى السلطنة ، فأرسل ذلك الأغا أغاوية المتفرقة الى ابن سيده ، فألبسه الباشا القفطان على ذلك ، فحصل بسبب ذلك فتنة فى الوجاق . وسبب ذلك أن وجاقهم فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره ، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية وهم : سليمان أغا الشاطر وعلى أغا وعبد الرحمن أغا القاشقجى وخليل أغا وابراهيم كاتب المتفرقة سابقا وكبيرهم محمد أغا السنبلاوين (٢) وهم من طرف محمد بيك جركس . لكن لما ظهر اسماعيل بيك انحطت كلمتهم ، وظهرت كلمة الذين من طرف اسماعيل بيك .

(١) قرية صغيرة من مديرية القليوبية كان يسكنها ابن حبيب .

(٢) حبيب بن سعد أعظم المشايخ قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة ، وهو كبير نصف سعد وليس لهم أصل مذكور فى قبائل العرب . وكان ظهوره فى أوائل القرن الثامن عشر .
(محمد رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٥)

(١) أغا بن حسن أفندى تقلد فى أيام ابن ايواظ أغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة .

(٢) كان أغات وجاق المتفرقة وصاحب وجاهة ومات مقتولا بالقرافة محمد بيك جركس .

فلما تولى عبد الغفار الأغاوية لحق أولئك الحقد والحسد ، وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب فاجتمعوا بأنفارهم وملكوا الباب ، فهرب عبد الغفار أغا الى بيت اسماعيل بيك ، وكان عنده الجماعة الآخرون ، فدخل عليهم عبد الغفار أغا وخبرهم بما حصل . فأشار عليهم اسماعيل بيك أن يذهبوا الى بيت أحمد جلبي ويجعلوه محل الحكم . وأرسل أولئك الطرف فطلبوا محمد أغا أبطال وباكير أغا تابع اسماعيل بيك الكبير ، ومصطفى أغا — وكانوا منفيين من بابهم الى العزب وكانوا كبراءهم — وخرجوا منهم فى واقعة جركس فأبوا من الحضور اليهم ، فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجى باش اختيار عوضا عن أبطال ، وعزلوا وولوا على مرادهم .

وطلع فى صبحها اسماعيل بيك الى الديوان ، وصحبته على بيك ، وأمير الحج ، وأخبروا الباشا بفعل القاشقجى فأرسل الباشا اثنين أغوات ، ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر ، ففزعوا عليهم ، فرجعوا وأخبروا الباشا والأمراء ، فأرسل لهم فرمانا بنفيهم الى الكشيدة ، فأبوا وصمموا على عدم ذهابهم الى الكشدة وأقام الأمراء عند الباشا الى الغروب . ثم انهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم فى غد يفصلون هذا الأمر ، وان لم يمتثلوا حاربناهم .

فلما كان فى ثانى يوم عملوا جمعية ، واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الستة وجاقات ، وكتبوا من الباشا ست فرمانات لكل فرد منهم فرمان . فكان كذلك ، وتفرقوا فى الوجاقات .

نزل اسماعيل بيك بن ايواظ الى بيته بعد اقامته فى باب العزب ثلاثة أيام فى طائفته ومماليكه وصناجقه ، بحيث أن أوائل الطائفة دخلوا الى البيت قبل ركوبه من باب العزب . وكان خلفه نحو المائتين بالطرابيش الكشف ، وتمم الأمر على مراده

ثم تحقق الخبر ، فظهر له أن أصل هذه الفتنة من اسماعيل أغا بن الدالى ، فطلع فى ثانى يوم الى الديوان ، وألبس اسماعيل أغا أغاوية العزب .

وفيه من الحوادث فى أيام محمد باشا : أن فى أول الحماسيين طلع الناس على جرى العادة فى ذلك لاستنشاق النسيم فى نواحى الخلاء ، وخرج سرب من النساء الى ناحية الأزبكية ، وذهب منهن طائفة الى غيط الأعجام تجاه قنطرة الدكة ... فحضر اليهن جماعة سراجون وبأيديهم السيوف من جهة الخليج — وهم سكارى — وهجموا عليهن ، وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلى والحلل .

ثم أن الخفراء وأوده باشا القنطرة حضروا اليهن بعد ذهاب أولئك السراجين ، فأخذوا ما بقى ، وكملوا بقية النهب . وجميع من كان هناك من النساء من الأكابر ومن جملة ماضاع حزام جوهر ، وبشت جوهر ، قالوا ان الحزام قيمته تسعة أكياس والبشت خمسة أكياس .

ومن جملة من كان هناك آمنه الجنكية ، وصحبتها امرأة من الأكابر ، فعروهما ، وأخذوا ما عليهما ، وكان لها ولد صغير ، وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوج أساور جوهر وخلخال ذهب بندقى قديم وزنه أربعمائة مثقال . ومن جملة ما أخذوا لباس شبيكة من الحرير الأصفر ، والقصب الأصفر ، وفى كل عين من الشبيكة لؤلؤة ، فى كل لؤلؤة شريط مخيش ، والدكة كذلك . وأخذوا أزرهن وفرجياتهن ، وأرسلن الى بيوتهن فأتين بثياب يستترن بها ، وذهبن .

وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث .

ثم ان فى ثانى يوم قدموا عرضحالا الى الباشا ، وأخذوا على موجبه فرمانا الى أغات الينكجرية على أنه تتوجه — وصحبته الوالى وأوده باشا البوابة — فذهبوا الى محل الواقعة ، وأحضروا أهل الحطة ، فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشا مركز القنطرة ، وهو الذى

أرسل السراجين والعمارة . فقبضوا على الخفراء والأوده باشا ، وسئلوا فأنكروا ، فحبس الأوده باشا فى بابه ، والخفراء فى العرقانة ، وأمر الباشا الوالى بعقابهم ، فلما رأوا آلة العذاب أقروا أن ذلك من فعل الأوده باشا ، فأخذوا منه مالا كثيرا ونفوه الى أبى قير .

ونادى الأغا والوالى على النساء لا يذهبن الى الغيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير .

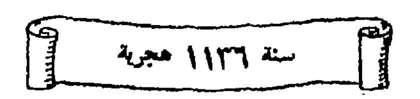
شعبان (مايو سنة ١٧٢٣ م) :

ورد عرضحال من مكة بأن يحيى الشريف ، وعلى باشا والى جدة ، وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بيك المسلمانى ، وأهل مكة ، تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقا — وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية — ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وسقط على باشا من على ظهر جواده الا أن أحمد بيك أدركه وأنقذه بجواده ، وقتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة ، ومن العسكر نحو الخمسين . وكان الباشا قتل من الأشراف اثنى عشر شخصا ، وكانوا فى جيرة الشريف يحيى .

وقلد محمد بيك خازنداره رضوان صنجقية ، وجعله أمين السماط ، وأخذ الخاصكية من على بيك الهندى وأعطاها لرضوان المذكور ، وأبطل الخط الشريف الذى بيده بالخاصكية قيد حياته .

ذو القعدة (اغسطس سنة ١٧٢٣ م) :

تقلد الصنجقية على أغا الأرمنى الذى عرف بأبى العزب ، وكذلك على أغا صنجقية وأمين العنبر وحاكم جرجا ، وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجقا ، وكانوا فى المعتاد القديم اثنين وعشرين ، وكتخدا الباشا ، وقبطان الأسكندرية .



(١ اكتوبر ١٧٢٣ — ١٩ سبتمبر ١٧٢٤)

تحيلوا على قتل عبد الله بيك ومحمد بيك بن ايواظ وابراهيم بيك بن الجزار فى أيام ولاية محمد باشا،وقلدوا ذا الفقار قاتل اسماعيل بيك(١) الصنجقية وكشوفية المنوفية ، وانضم اليه من كان خاملا من الفقارية وبدأ أمرهم فى الظهور .. فممن انضم اليه مصطفى بيك بلفيه ، ومحمدبيك أمير الحج — وهو ابن اسماعيل بيك الفقارى — واسماعيل بيك الدالى وقيطاس بك الأعور ، واسماعيل بيك ابن سيده ، ومصطفى بيك قزلار وخلافهم ... اختيارية وأغوات من الوجاقلية ونظم أموره ، وقضى لوازمه وأشغاله ، وجعل مصطفى أفندى الدمياطى كاتب تركى ، وعزم على السفر الى المنوفية وركب فى موكب حافل وصحبته من ذكر من الفقارية .

وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين الى بيت محمد بيك جركس — وكان لهما الكلمة دون القازدغلية (٢) — فصادفا موكب ذى الفقار ، فوقفا ونظرا الى الراكبين معه من الفقارية فتغير خاطرهما على جركس . ولما دخلا على جركس نظر اليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما . فأخبراه بما رأيا ، وقالا : « ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية » . فقال : « يكون خيرا » ثم أمر الصيفى بقتل أصلان وقيلان ، فوظب (جهز) معه سراجا يثق به ، وأمره أن يقف فى سلالم المقعد . فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفى مشاجرة مع ذلك السراج ، وفزع عليه بالطبنجة ، فهرب السراج من أمامه ، فجرى الصيفى خلفه . فأخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زنادها . فقال أصلان : « عيب ! » فأفرغها فيه . وفرغ أيضا الصيفى طبنجته فى قيلان ، وذلك بسلالم المقعد ببيت جركس ، ومسح الخدم الدم ، وأخذوا خيولهما وأرسلوا المقتولين الى بيوتهما فى تابوتين .

ثم ان محمد بيك جركس طلع الى القلعة ، وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها الى ذى الفقار

(١) أصله جلبى من اشراقات اسماعيل بيك بن ايواظ .

(٢) استاذهم ابراهيم كتخدا ، كان جاويش الينكجرى لم تولى الكتخدائية وانفصل عنها بعد ثلاثة اشهر .

ومن معه من الفقارية ، فامتنع الباشا وقال : « رجل خاطر بنفسه بمعرفتكم واطلاعكم . كيف انى أعطيكم بعد ذلك فرمانا بقتله ؟ » . فقام جركس ونزل الى بيته ، ولم يطلع بعد ذلك الى الديوان ، وأهملوا الدواوين والباشا . فلما ضاق خناق الباشا أبرز مرسوما برفع صنجقية جركس ، وكتب فرمانات للمشايخ والوجاقلية بذلك يمنعهم من الذهاب اليه .

سنة ١١٣٧ هجرية

(٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ ــ ٨ سبتمبر ١٧٢٥)

فى أواخر هذه السنة بلغ هذا الخبر الى جركس ، فتدارك الأمر ، وعمل جمعيات ، ورتب أمورا ، واجتمعوا بالرميلة وحوالى القلعة ، وعزلوا الباشا وأنزلوه وأسكنوه فى بيت ابن الدالى ... فكانت مدته أربع سنوات . وأرسلوا له محمد بيك بن أبى شنب فخلع عليه ، وجعلوه قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بالتجريدة على ذى الفقار ، وجعلوا ابراهيم بيك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية .

ووصل الخبر الى ذى الفقار بيك بما حصل من مصطفى بيك بلفيه ، فوزع طوائفه فى البلاد ودخل الى مصر خفية الى بيت أحمد أوده باشا مطرباز .

فلما سافر ابراهيم بيك بالتجريدة لم يجده ، فضبط موجوداته ، وتحقق من المخبرين أنه دخل الى مصر ، وأرسل الخبر بذلك لجركس .. فأمر لهلوبة الوالى والصيفى بالفحص والتفتيش عليه ، وأرسلوا عرضحال محضرا بما نمقوه وبنزول الباشا .

وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل . فلما وصل عرض المصريين عينوا على باشا واليا جديدا الى مصر بتدبير مكيدة وصحبته قبودان وقابجى بطلب الأربعة الآلاف كيس التى جعلها محمد بيك بن أبى شنب حلوانا على بلاد السوارية .

سنة ١١٣٨ هجرية

جمادى الآخرة

فى ٧ منه (١٠ فبراير ١٧٢٦ م) :

كان هروب جركس وخروجه من مصر ، وكتبوا فرمانات لسائر الجهات باهدار دم محمد بيك جركس أينما وجد ، لأنه عاص ، ومفسد ، وأهل شر ... وذلك حسب طلب المصريين .

ثم أن محمد باشا والى مصر خلع على جماعة ، وقلدهم أمريات ... وسكن الحال ، وانتهت الرياسة بمصر الى ذى الفقار بيك وعلى بيك الهندى . وحضر محمد بيك قطامش الى مصر من الديار الرومية فلم يتمكن من الدفتردارية ، لأن على بيك الهندى تقلدها .

فاتفق أن جمعا من فرقة القاسمية كانوا يجتمعون فى كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا ويشربون شرابا . فاجتمعوا فى ليلة عند على بيك أبى العذب فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بيك بن ايواظ وقال : يموت العزيز ، أخو الكبير والصغير ، ويصير الهندى مملوكنا سلطان مصر ، ونأكل من تحت يده والباشا فى قبضته — وكان النيل قريب الوفاء — فقال على بيك : « أنا أقتل الباشا يوم جبر البحر » . وكل واحد من الجماعة التزم بقتل واحد ، وقرأوا الفاتحة . وكان معهم مملوك أصله من مماليك عبد الله بيك ، ولما قتل سيده هرب الى الهندى ، وأقام فى خدمته أياما . فلما تقلد مصطفى بيك الصنجقية أخذه من على بيك الهندى . فلما سمع منهم ذلك القول ذهب الى على بيك الهندى وأخبره ، فأرسله الى ذى الفقار فأخبره أيضا ، فبعثه الى الباشا فأخبره .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع على بيك أبو العذب ، فقبض عليه الباشا وقتله تحت ديوان قايتباى وأحاط بداره ونهب ما فيها ، وأرسل فى الوقت فرمانا الى الأغا بالقبض على باقى الجماعة ،

فقبضوا على مصطفى بيك بن ايواظ وأركبوه حمارا — وصحبته مقدمه — وأحضروه الى الباشا فأمر بقتله ، وقتل معه مقدمه أيضا ، واختفى الباقون . وأخذ ذو الفقار فرمانا بنفى هانم بنت ايواظ بيك ، وأم محمد بيك بن أبى شنب ، ومحظية على بيك ... فمانع عثمان جاويش القازدغلى فى ذلك واستقبحه ، وضمن غائلتهن ، وألزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن ورتب لهن كفايتهن .

فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية ، وانفرد على بيك الهندى — وكان ذو الفقار أرسل الى الشام — فأحضر رضوان أغا ومحمد أغا المكور فجعلوا رضوان أغا أغات الجملية — ومحمد بيك الجزار غائب باقليم المنوفية — فعند ذلك اغتنموا الفرصة ، وتحرك محمد بيك قطامش فى طلب الدفتردارية ، فدبروا أمرهم مع يوسف جربجى عزبان البركاوى ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلى ، وقتلوا على بيك الهندى وذا الفقار قانصوه ، وأرسلوا الى محمد بيك الجزار تجريدة — وأميرها اسماعيل بيك قيطاس وهو باقليم المنوفية — وقلدوا مصطفى أفندى الدمياطى صنجقية وجعلوه حاكم جرجا ، وقبضوا على سليمان بيك أبى شنب ، وقضى اسماعيل بيك أشغاله وسافر بالتجريدة الى المنوفية ، وأخذ صحبته عربان نصف سعد ، وساروا الى محمد بيك الجزار ، وكان لما وصل الخبر ، أخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة ، فلحقوه هناك وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمى نفسه الى الليل ، ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات ، ونزل فى مركب ، وسار الى رشيد ، وترك أربعة وعشرين مملوكا ، فأخذوا الهجن وساروا ليلا مبحرين حتى جاوزوا وطاق اسماعيل بيك ، وتخلف عنهم مملوك ماشئ ، فذهب الى وطاق اسماعيل بيك قيطاس وعرفه بمكانهم ، فأرسل اليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فأقاموا فى خدمته .

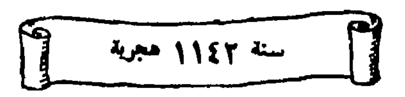
سنه ١١٤٠ هجرية

(١٩ اغسطس ١٧٢٧ — ٦ اغسطس ١٧٢٨)

ولم يزل محمد بيك فى سيره حتى دخل الى رشيد واختفى فى وكالة ، ووصل خبره الى حسين جربجى الخشاب ، فقبض عليه وقتله بعد أن استأذن فى ذلك ، وتقلد فى نظير ذلك الصنجقية وكشوفية البحيرة .

ثم حضر محمد بيك جركس من غيبته ببلاد الافرنج ، وطلع على درنه وأرسل مركبه التى وصل فيها الى الاسكندرية ، وحضر اليه أمراؤه الذين تركهم من قبل جهة قبلى ، فركب معهم ونزل الى البحيرة ليصل الى الاسكندرية ، فصادف حسين بيك الخشاب ففر منه ، وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله ، ثم رجع الى الفيوم ، ونزل على بنى سويف . ثم ذهب الى القطيعة قرب جرجا ، واجتمع عليه القاسمية المشردون ، فحاربه حسين بيك حاكم جرجا والسدارة ، وقتل حسن بيك وطائفته ، واستولى على وطاقهم وعازقهم ووصلت أخباره الى مصر فجمع ذو الفقار بيك جمعية ، وأخرج فرمانا بسفر تجريدة .. فسافر اليه عثمان بيك وعلى بيك قطامش وعساكره فتلاقوا معه بوادى البهنسا ، فكانت الهزيمة على التجريدة ، واستولى محمد بيك جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم ، وحال بينهم الليل ، ورجع المهزومون الى مصر .. فجمع ذو الفقار الأمراء واتفقوا على التشهيل والخراج تجريدة أخرى ، فاحتاجوا الى مصروف ، فطلبوا فرمانا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميرى عن السنة القابلة ، فامتنع عليهم ، فركبوا عليه وأنزلوه وقلدوا محمد بيك قطامش قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بمطلوبهم ، وجهزوا أمر التجريدة،واهتموا فيها اهتماما زائدا ، ورتبوا

أشغالهم ، وخرجوا . وجرت أمور وحروب ، وقتل من جماعة جركس سليمان بيك ، ثم وقعت الهزيمة على جركس .

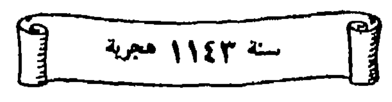

سنة ١١٤٢ هجرية

(٢٧ يولية ١٧٢٩ ــ ١٦ يولية ١٧٣٠)

وصل الى مصر باكير باشا ، وطلع الى القلعة ، فمكث أشهرا وعزله العساكر فى أواخر السنة . وحصل بمصر فى أيام هذه التجاريد ضنك عظيم ، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم ــ ورئيسهم فى ذلك الوقت سليمان أغا أبو دفية ــ ودخل منهم طائفة على ذى الفقار بيك وقت العشاء فى رمضان وقتلوه . وكان محمد بيك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه ، فقضى الله بموت جركس خارج مصر ، وموت ذى الفقار داخلها . ولم يشعر أحدهما بموت الآخر ــ وكان بينهما خمسة أيام ــ وثار أتباع ذى الفقار بالقاسمية ، وظهروا عليهم وقتلوهم وشردوهم ، ولم يقم منهم قائم بعد ذلك الى يومنا هذا .

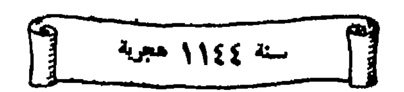
وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية .

وظهرت دولة الفقارية ، وتفرع منها طائفة القازدغلية .


سنة ١١٤٣ هجرية

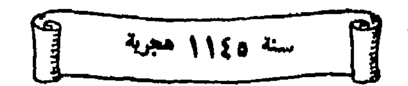
(١٧ يولية ١٧٣٠ ــ ٥ يولية ١٧٣١)

وبهذا كان انقراض فرقة القاسمية ، وظهور أمر الفقارية ، وخلع السلطان أحمد من السلطنة ، وولاية محمود خان . ووالى مصر اذ ذاك عبد الله الكبورلى ــ نسبة الى كبور بلدة بالروم ــ وحضر الى مصر فى السنة الخالية ، وكان من أرباب الفضائل ، وله ديوان شعر جيد .. وكان انسانا خيرا صالحا منقادا الى الشريعة ، أبطل المنكرات والخمامير ومواقف الخواطى والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة ، وجعل للوالى والمقدمين عوضا عن ذلك فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشاوات ، وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب فى رجوع ذلك .


سنة ١١٤٤ هجرية

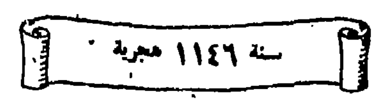
(٦ يولية ١٧٣١ ــ ٢٣ يونية ١٧٣٢)

فى أواخر هذه السنة عزل عبد الله باشا ، وأمراء مصر فى هذا العام محمد بيك قطامش ، وتابعه على بيك قطامش ، وعثمان جاويش القازدغلى ، ويوسف كتخدا البركاوى ، وعبد الله كتخدا القازدغلى ، وسليمان كتخدا القازدغلى ، وحسن كتخدا القازدغلى ، ومحمد كتخدا الداودية ، وعلى بيك ذو الفقار ، وعثمان بيك ذو الفقار ، خشداشه.


سنة ١١٤٥ هجرية

(٢٤ يونية ١٧٣٢ ــ ١٣ يونية ١٧٣٣)

وصل مسلم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار ، وقدم من البصرة .


سنة ١١٤٦ هجرية

(١٤ يونية ١٧٣٣ ــ ٢ يونية ١٧٣٤)

استمر محمد باشا واليا على مصر ، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبى . ووصل المسلم بقائمقامية الى على بيك ذو الفقار ، فطلع الى الديوان ، ولبس القفطان من عثمان باشا ونزل الى

بيته وحضر اليه الأمراء وهنوه ، وخلع على اسماعيل بيك أبى قلنج أمين السماط ، ووصل عثمان باشا الى العريش ، وتوجهت اليه الملاقاة وأرباب الخدم، وحضر الى العادلية وعملوا له شنكا وطلع الى القلعة وخلع الخلع .

وورد قابجى باشا بالسكة وابطال سكة الذهب الفندقلى ، وضرب الزر محبوب كامل وصرفه بمائة نصف فضة وعشرة أنصاف ، وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون ، وزاد فى الفندقلى الموجود بأيدى الناس اثنى عشر نصف فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفا وحضر مرسوم أيضا بتعيين صنجق للوجه القبلى بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من الجزية فى كل بلد العال (١) : أربعمائة نصف وعشرين نصفا ، والوسط : مائتين وسبعين ، والدون (٢) مائة ، فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد قبلى . فقال حسين بيك الخشاب : « أنا مسافر بمنصب جرجا وينزل بصحبتى الأغا المعين ، وانظروا من يذهب الى بحرى » . فقال محمد بك قطامش « كل أقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى عليه ومعه الأغا والكاتب » . فاتفق الرأى على ذلك .

سنة ١١٤٧ هجرية

شعبان

(يناير ١٧٣٥ م) :

عمل اسماعيل بيك بن محمد بيك الدالى مهما لزواج ولده ، ودعا عثمان باشا الى منزله الذى ببركة الفيل وعندما حضر الباشا واستقر به الجلوس وضع بين يديه منديلا فيه ألف دينار برسم تفرقة البقاشيش على الخدم وأرباب الملاعيب ، وقدم له تقادم : خيول وهدايا وجواد .

رمضان

(فبراير ١٧٣٥ م) :

فى أوائله ظهر بالجامع الأزهر رجل تكرورى وادعى النبوة ، فأحضروه بين يدى الشيخ أحمد العماوى (١) ، فسأله عن حاله . فأخبره أنه كان فى شربين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سبع وعشرين رجب ، وأنه صلى بالملائكة ركعتين ، وأذن له جبريل . ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له : أنت نبى مرسل ، فانزل وبلغ الرسالة واظهر المعجزات . فلما سمع الشيخ كلامه قال له : « أنت مجنون » . فقال : « لست بمجنون وانما أنا نبى مرسل » . فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع ، ثم سمع به عثمان كتخدا فأحضره وسأله ، فقال مثل ما قاله للشيخ العماوى ، فأرسله الى المارستان . فاجتمع عليه الناس والعامة رجالا ونساء ، ثم أنهم أخفوه عن أعين الناس . ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول ، فأمر بحبسه فى العرقانة ثلاثة أيام .

ثم جمع العلماء وسألوه فلم يتحول عن كلامه ، فأمروه بالتوبة فامتنع وأصر على ما هو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . ثم أنزلوه وألقوه بالرميلة ثلاثة أيام .

ذو الحجة

٢٤ منه (١٧ مايو ١٧٣٥ م) :

اشيع فى الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم

(١) لفظ عامى معناه « الجيد »

(٢) لفظ عامى معناه « الردىء »

(١) الامام العالم استاذ المحققين ، مالكى . كان فقيها محدثا نحويا منطقيا ، توفى فى ٧ جمادى الاولى ١١٥٥ هـ (١٠ يوليه ١٧٤١ م) .

الجمعة سادس عشرين الحجة (١٩ مايو ١٧٣٥ م) وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى والأرياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ، ويقول الانسان لرفيقه : « بقى من عمرنا يومان » . وخرج الكثير من الناس والمخاليع (١) الى الغيطان والمتنزهات ، ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة .

وطلع أهل الجيزة نساء ورجالا ، وصاروا يغتسلون فى البحر ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم ، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه ويدعو ويبتهل ويصلى ، واعتقدوا ذلك ووقع صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك ، أو قال : هذا كذب ، لا يلتفتون لقوله ، ويقولون هذا صحيح ! وقاله فلان اليهودى وفلان القبطى ، وهما يعرفان فى الجفور والزايرجات ولا يكذبان فى شيء تقولانه .

وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذى خرج فى يوم كذا ، وفلان ذهب الى الأمير الفلانى وأخبره بذلك وقال له : احبسنى الى يوم الجمعة . وان لم تقم القيامة فاقتلنى .. ونحو ذلك من وساوسهم . وكثر فيهم الهرج والمرج الى يوم الجمعة المعين المذكور فلم يقع شيء . ومضى يوم الجمعة ، وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون : فلان العالم قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر : اللهم انفعنا بهم فاننا يا أخى لم نشبع من الدنيا وشارعون نعمل حظ ، ونحو ذلك من الهذيانات .

سنة ١١٤٨ هجرية

(٢٤ مايو ١٧٣٥ — ١١ مايو ١٧٣٦)

فيها عزل عثمان باشا بعد أن أقام فى ولاية مصر سنة واحدة وخمسة أشهر وتولى بعده باكير باشا وهى ولايته الثانية .

شـــوال

فى ٢٤ منه (٢٧ مارس ١٧٣٦ م) :

قدم باكير باشا من جدة الى السويس من القلزم ، لأنه كان واليا عليها بعد انفصاله من مصر. ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين خيالا ملبسة بالزروخ المذهبة ، وله من الأولاد خمسة ركبوا أمامه فى الموكب ، وصرخت العامة فى وجهه من جهة فساد المعاملة ، وهى الاخشا والمرادى والمقصوص والفندقلى ... فان الاخشا صار بستة عشر جديدا ، والمرادى باثنى عشر ، والمقصوص بثمانية جدد . وصار صرف الفندقلى بثلثمائة نصف ، والجنزرلى بمائتين ، وغلت بسبب ذلك الأسعار ، وصار الذى كان بالمقصوص بالديوانى .. فلم يلتفت الباشا لذلك .

ذو القعدة

(مارس — ابريل ١٧٣٦) .

ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة الاف عسكرى لمحافظة بغداد وأن يكون العسكر من أصحاب العثامنة ، ولا يرسلوا عسكرا من فلاحى القليوبية والجيزة والبحيرة وشرق أطفيح والمنصورة . فقلدوا أمير السفر مصطفى بيك أباظه حاكم جرجا سابقا ، وسافر حسن بك الدالى بالخزينة وارتحل من العادلية فى منتصف الحجة ، وكان خروجه بالموكب فى أوائل رجب .

ذو الحجة

فى يوم الخميس ٥ منه (١٧ ابريل ١٧٣٦ م) :

ركب مصطفى بيك بموكب السفر وسافر فى المحرم .

(١) الرقعاء .

فى ١٠ منه (٢٢ ابريل ١٧٣٦ م):

فيه: يوم الأضحية، قبل آذان العصر، خرجت ريح سوداء غريبة أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس، فغرق منها مراكب، وسقطت أشجار — ومن جملتها شجرة جميز عظيمة بناحية الشيخ قمر — وهدمت دور قديمة، وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة ثم أعقبها بعد العشاء مطر عظيم. ووصل أيوب بيك أمير سفر العجم، وطلع الى الديوان وألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادرة وأصحاب الدركات. وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر.

وفى أيامه: ورد أغا وعلى يده مراسيم وأوامر: منها ابطال مرتبات أولاد وعيال، ومنها ابطال التوجيهات وأن المال يقبض الى الديوان ويصرف من الديوان، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الافندية الى بيوتهم فلما قرىء ذلك قال القاضى. «أمر السلطان لا يخالف ويجب اطاعته». فقال الشيخ سليمان المنصورى: «ياشيخ الاسلام: هذه المرتبات فعل نائب السلطان، وفعل النائب كفعل السلطان، وهذا شيء جرت به العادة فى مدة الملوك المتقدمين، وتداولته الناس وصار يباع ويشرى، ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة، ولا يجوز ابطال ذلك، واذا بطل بطلت الخيرات، وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك، وان أمر ولى الأمر بابطاله لا يسلم له ويخالف أمره، لأن ذلك مخالفة للشرع، ولا يسلم للامام فى فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا». فسكت القاضى، فقال الباشا: «هذا يحتاج الى المراجعة». ثم قال الشيخ سليمان: «وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر فى محله»، وانفض الديوان على ذلك.

ووقع الطاعون المسمى بطاعون كو، ويسمى أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتخدا القازدغلى فقط مائة وعشرون نفسا، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل فى المشاعل

ووقع فى أيامه الفتنة التى قتل فيها عدة من الأمراء وسببها: أن صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بيك كان ملتجئا الى عثمان بيك ذى الفقار، وتزوج بنت ايواظ بيك بعد يوسف بيك الخائن — وكان من القاسمية — فحرضته على طلب الامارة والصنجقية، وتأخذ له فائظ عشرين كيسا، وكلم عثمان بيك فى شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده، وخاطب محمد بيك قيطاس المعروف بقطامش — وهو اذ ذاك كبير القوم فى ذلك — فلم يجبه، وقال له: تريد أن تفتح بيتا للقاسمية فيقتلونا على غفلة .. هذا لا يكون أبدا ما دمت حيا. وكان عثمان بيك المذكور أخذ كشوفية المنصورة فأنزل فيها صالح كاشف قائمقام. فلما كمل السنة ورجع، تحركت الهمة الى طلب الصنجقية، وعاود عثمان بيك فى الخطاب، وهو كذلك تكلم مع محمد بيك فصمم على الامتناع فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب ولم يرض، ووافقه على الامتناع على بيك تابع المذكور وخليل افندى. فذهب صالح كاشف الى عثمان كتخدا القازدغلى (١) واتفق معه على قتل الثلاثة، وقال له: اعمل تدبيرا فى قتلهم. فذهب الى رضوان بيك أمير الحج سابقا وسليمان بيك الفراش، فاتفق معهما على قتل الثلاثة فى بيت محمد بيك الدفتردار باطلاع باكير باشا. وعرفوا محمد بيك بذلك فرضى وكتب فرمانا بالجمعية فى بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة ... فركبوا بعد العصر الى بيت

---

(١) تابع حسن جاويش القازدغلى، والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العماير. اشتهر ذكره ونما صيته. وعمر الجامع المعروف به بالازبكية، وبنى زاوية العميان بالأزهر.

محمدبيك قطامش ، وركبوا معه الى بيت الدفتردار، وصحبتهم على بيك وصالح بيك وخليل افندى وأغات الجملية وعلى صالح جربجى واختيار من الأسباهية ويوسف كتخدا البركاوى ، وحضر عثمان بيك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربوطلى وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلى جلبى الترجمان . فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بيك قطامش بكتابة عرضحال ، وقال للكاتب : اكتب كذا وكذا ، فطلع الى خارج — وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا — وجلس يكتب فى العرض وقد قرب الغروب ، فأرادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال : « هاتوا شربات » وكان ذلك القول هو الاشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف مملوك سليمان بيك ، ففتحوا باب الخزانة وخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهروالسلاح فوقف محمد بيك قطامش على أقدامه وقال : « هى خونة » فضربه الضارب بالقرابينة فى صدره ، ووقع الضرب ، وهاج المجلس فى دخنة البارود وظلام الوقت .. فلم يعلم القاتل من المقتول. وعندما سمع كتخدا الجاويشية أول ضربة ، وهو جالس مع الأفندى الكاتب ، نزل مسرعا وركب ، وعلى الترجمان ألقى بنفسه من شباك الجنينة وعثمان بيك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ، ودفعه صالح كاشف فنجا بنفسه الى أسفل ، وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة . وأصيب باش اختيارمستحفظان البرلى بجراحة قوية ، فأرسلوه الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين ، واذا هم محمد بيك قطامش ، وعلى بيك تابعه وصالح بيك ، وعثمان بيك كتخدا القازدغلى واحمد كتخدا الخربطلى (١) ويوسف كتخدا البركاوى(٢)وخليل أفندى ، وأغات الجملية وعلى صالح جربجى والأسباهى تتمة عشرة ، وباش اختيار الذى مات بعد ذلك فى بيته .. فعروا المقتولين من ثيابهم وقطعوا رءوسهم ، وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقا فأحرقوا ضرفة الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرءوس العشرة على البسطة ، ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ، وظنوا أنهم غالبون . وطلع صالح كاشف الى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية ، فطلب منه دراهم يفرقها فى العسكر المجتمعين اليه فقال له : « انزل لأشغالك وأنا أرسل اليك ما تطلب » . فنزل الى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر بأتباعه وجماعته هناك يظن أنهم غالبون . وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا الجلفى ركب فى جماعته بعد المغرب ، وطلع الى باب العزب وكان كتخدا الوقت اذ ذاك احمد كتخدا الشراق يوسف كتخدا البركاوى ، فطرق الباب . فقال التفكجية : « من هذا ؟ » فعرفهم عن نفسه . فقال الكتخدا : « قولوا له أنت توليت الكتخدائية وتعرف القانون ، وان الباب لا يفتح بعد الغروب ، فان كان له حاجة يأتى فى الصباح » .

وأما عثمان بيك فانه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرا الى باب الينكجرية فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونفر . وطلع عندهم عمر جلبى بن على بيك قطامش فأخذه حسن جاويش النجدلى ، ومعه طائفة ، وطلع به الى الباشا — بعد نزول صالح كاشف — فخلع عليه صنجقية أبيه ، وأعطاه فرمانا بالخروج من حق الذين قتلوا الأمراء وحرقوا باب المسجد ونزل .

(١) هو الذى عمر الجامع المعروف بالفاكهانى بعطفة خوشقدم بخط العقادين .

(٢) كان أصله جربجيا بباب العزب .

فرد على كتخدا الوقت وصحبته حسن جاويش النجدلى ومعهم بيرق وأنفار وواجب رعايا من المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرى وزاوية الرفاعى .

سنة ١١٤٩ هجرية

فى هذه السنة عزل باكير باشا وتولى مكانه مصطفى باشا .

رجب

الجمعة ٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٣٦ م) :

ليلة مولد الرفاعى : عملوا متريز على باب الدرب قبالة باب السلطان حسن ، وضربوا عليهم بالرصاص ، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا وكان أغات العزب عبد اللطيف أفندى وروزنامجى مصر سابقا . وأما صالح بيك فانه انتظر وعد الباشا فلم يرسل له شيئا ، فأخذ رضوان بيك وعثمان كاشف ومملوك سليمان بيك واختفوا فى خان الخليلى ، واختفى أيضا محمد بيك اسماعيل . ومحمد كتخدا الداودية ندم على مافعل ، فركب بجماعته وذهب الى بيت مصطفى بيك الدمياطى فوجده مقفولا فطرق الباب فلم يجبه أحد . فذهب الى بيت ابراهيم بيك بلفيه ودخل هناك .

ولما بطل الرمى من السلطان حسن هجم حسن جاويش فلم يجد به أحدا . ولما طلع النهار ذهبوا الى بيت الدفتردار فنهبوه ، ونهبوا أيضا بيت رضوان بيك ، وذهبوا الى سليمان بيك فقتلوه وقطعوا رأسه ، ونهبوا البيت وأتوا الى الباب .

ثم أن السبعة وجاقات اجتمعوا فى بيت على كتخدا الجلفى وقالوا له : « أنت بيت سر يوسف كتخدا البركاوى ، ولا يفعل شيئا الا باطلاعك ، وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا والشاهد على ذلك مجىء خشداشك سليمان كتخدا بعد المغرب بطائفته يملك باب العزب » فحلف بالله العظيم لم يكن عنده خبر بشىء من ذلك ، ولا بمجىء سليمان كتخدا الى الباب . ولكن أى شىء جاء بمحمد كتخدا الداودية الى السلطان حسن .

ثم انهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه وطيبوا عليه حلوان بلاد المقتولين ، وكتبوا عرض محضر وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا أمير اخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين .

ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير باشا الى جدة

سنة ١١٥٢ هجرية

(١٠ ابريل ١٧٣٩ ــ ٢٨ مارس ١٧٤٠)

أقام مصطفى باشا واليا بمصر الى هذه السنة .

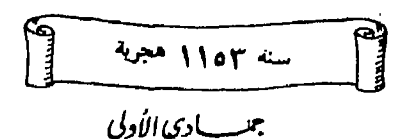
تولى بعده سليمان باشا الشامى الشهير بابن العظم . ولما استقر فى ولاية مصر أراد ايقاع فتنة بين الأمراء . فضم اليه عمر بيك بن على بيك قطامش . فأرسل اليه من يأمنه على سره . واتفق معه على قتل عثمان بيك ذى الفقار وابراهيم بيك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلى وعلى كتخدا الجلفى ، وهم اذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر . ووعده نظير ذلك امارة مصر والحج ، وأن يعطيه من بلادهم فائظ عشرين كيسا فجمع عمر بيك خليل أغا وأحمد كتخدا عزبان وابراهيم جاويش قازدغلى ، واختلى بهم وعرفهم بالمقصود ، وتكفل أحمد كتخدا بقتل على كتخدا وخليل أغا بعثمان بيك وابراهيم جاويش بعبد الله كتخدا ، واذا انفرد ابراهيم بيك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه فى الديوان .

ثم ان أحمد كتخدا أغرى بعلى كتخدا لاظ

ابراهيم فقتل على كتخدا عند بيت أقبرى وهــو طالع الى الــديوان . وبلغ الخبر عثمان بيــك ، فتدارك الأمر ، وفحص عن القضية حتى انكشف له سرها وعمل شغله وقتل أحمد كتخدا . وعندما قتل على كتخدا ظن الباشا تمام المقصد ، فأراد أن يملك باب الينكجرية بحيلة ، وأرسل مائتى تفكجى ومعهم مطرجى وجوخــدار — وهم مستــعدون بالأسلحة — فمنعهم التفجكية من العبور . وطلب الكتخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم، فقالا : أن الباشا « مقصر فى حقنا ولم يعطنا علائفنا» فأرسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم . فقبل ذلك ولم يتمكن من مراده .

ثم ان حســين بيك الخشــاب طلع الى باب العزب ، وتحيل فى نزول أحمد كتخدا من البــاب وملك هو الباب . واجتمعوا بعــد ذلك وأمــروا الباشا بالنزول الى قصر يوسف ، فركب وأراد أن يدخل الى باب الينكجريةفرفعوا عليه البنادقفدخل الى قصر يوسف فوجده خرابا . فأخذ حســـن جاويش النجدلى خاطر الينكجرية على نزوله ببيت الأغا .

وانتقل الأغا الى السرجى فأقام الباشا الى أن نزل ببيت البيرقدار وسافر بعد ذلك



سنه ١١٥٣ هجرية

جمــادى الأولى

(يوليو ـ اغسطس ١٧٤٠ م) :

كانت ولاية سليمان باشا على مصر الى شــهر جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم تولى بعده الوزير على باشا حكيم أوغلى — وهى توليته الأولى بمصر — فدخل مصر فى جمادى الأولى . ومكث الى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٢٤ يولية ١٧٤١ م)

سنة ١١٥٤ هجرية

جمــادى الأولى

١٠ منه (٢٤ يوليو ١٧٤١ م) :

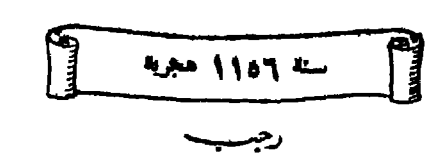
نزل سليمان باشا الى بيت البيرقدار ، وعمــل على باشــا أول ديوان بقرا ميــدان بحضرة الجم الغفير ، وقرىء مرسوم الولاية بحضرة الجميع . ثم قال الباشا : « أنا لم آت الى مصر لأجل اثارة فتن بين الأمراء واغــراء ناس على ناس ، وانمــا أتيت لأعطى كل ذى حق حقه . وحضرة السلطان اعطانى المقاطعات ، وأنا أنعمت بها عليكم فــلا تتعبونى فى خلاص المال والغلال » . وأخذ عليهم حجة بذلك وانفض المجلس .

ثم انه سلم على الشيخ البكرى وقال له : « أنا بعد غد ضيفك » . ثم ركب وطلع إلى السراية ، وأرسل الى الشيخ البكرى هدية وأغناما وسكرا وعسلا ومربيات . ونزل اليه فى الميعاد وأمر ببنــاء رصيف الجنينة التى فى بيتهم ، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها فى بعض سفراته .

وكانت أيامه أمنــا وأمانا ، والفتن ســاكنة ، والأحوال مطمئنة .

ثم عزل ونزل الى قصر عثمان كتخدا القازدغلى بين بولاق وقصر العينى .

ثم تولى يحيى باشــا ، ودخل الى مصر وطلع الى القلعة فى موكبه على العادة ، وطلع اليه على باشا وسلم عليه . ونزل هو الآخر وسلم على على باشا بالقصر . ودعاه عثمان بيك ذو الفقار وعمل له وليمة فى بيته . وقدم له تقادم كثيرة وهدايا . ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل الى بيت أحد من الأمراء فى دعوة ، وانما كان الأمــراء يعملون لهم الولائم بالقصور فى الخلاء مثل قصر العينى أو المقياس .



سنة ١١٥٦ هجرية

رجب

فى ٢٠ منه (٩ سبتمبر ١٧٤٣ م):

أقام يحيى باشا فى ولاية مصر (١) الى أن عزل فى هذا التاريخ .

تولى بعده محمد باشـا اليدكشى وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

وفى أيامه كتب فرمان بابطال شرب الدخان فى الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت .

ونزل الأغا والوالى فنادوا بذلك . وشـددوا فى الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون وصار الاغا بشق البلد فى التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى فى يده آلة الدخان عاقبـه وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بالنار .

وفى أيامه أيضا قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائفهم من الشون ، ولم يكن بالشـون أردب واحد . فكتب الباشا فرمانا بعمل جمعية فى بيت على بيك الدمياطى الدفتردار ، لينظروا الغلال فى ذمة أى من كان يخلصونها منه . فلما كانوا فى ثانى يوم اجتمعوا ، وحضر الروزنامجى وكاتب الغلال والقلقات وأخبروا أن بذمة ابراهيم بيـك قطامش أربعين ألف أردب . والمذكور لم تكن فى الجمعية وانتظروه فلم يأت ، فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة ، فامتنع من الحضور فى الجمهور وقال : « الذى له عندى حاجة يأتى الى عندى » ، فرجعوا وأخبروهم بمـا قال . فقـال العسكر : « نذهب اليه ونهدم بيته على دماغه » فقام وكيل دار السعادة وأخذ معه من كل بلك اثنين اختيارية وذهبوا الى ابراهيم بيك قطامش . فقال له الوكيل : « أى شىء هذا الكلام ؟ » والعسكر قائمـة على اختياريتها . قال : « والمراد أى شىء وليس عندى غلال ؟ » قال له الوكيل : « نجعلها مثمنة بقـدر معلوم » فثمنوا القمح بستين نصف فضة الأردب والشعير بأربعين . فقال ابراهيم بيك : « يصبروا حتى يأتينى شىء من البـلاد » . قال الوكيـل : « العسكر لايصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير » . فجمعوا مبلغ البكون فبلغ ثمانين كيسـا . فرهن عند الوكيل بلدين لأجـل معلوم ، وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ، ورجع الوكيل الى محل الجمعية ، وأحضر مبلغ الدراهم .. وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر . وهذه كانت أول بدعة ظهرت فى تثمين غلال الأنبار للمستحقين .

فى ٢١ منه (١٠ سبتمبر ١٧٤٣ م) :

الثلاثاء : حصلت فتنة بين عثمان بيـك شيخ البلد والبكوات انتهت بفـرار عثمـان بيك الى سوريا ومنها الى الآستانة فولى بروحه حتى توفاه الله وقد أحرقت الأهالى بيت عثمان بيك واقتسموا أمـواله وتركتـه بمصر . وبعـد مقتلة عظيمة بين البكوات تولى ابراهيم كخيا مشيخة البلد ، وسمى رضوان بيك أميرا للحج (١) .

سنة ١١٥٨ هجرية

(٣ فبراير ١٧٤٥ ـ ٢٣ يناير ١٧٤٦)

استمر محمد باشا فى ولاية مصر حتى عزل فى هذه السنة . ووصل مسلم محمد باشا راغب .

وتقلد ابراهيم بيك بلفيه قائمقام . وخلع عليـه محمـد باشـا القفطان ، وعلى محمد بيك أمين السماط . ثم ورد السـاعى من اسكندرية فأخبره بورود حضرة محمد باشا راغب الى ثغر الاسكندرية . فنزل أرباب العكاكيز لملاقاته ، وحضروا صحبته

---

(١) حكم يحيى باشا مصر لمدة سنتين .

(١) نقلنا أخبار هذا اليوم من « التوفيقات الالهامية » .

الى مصر . وطلع الى القلعة ، وحصل بينه وبين حسين بيك الخشاب محبة ومودة ، وحلف له أنه لايخونه . ثم أسر اليه أن حضرة السلطان يريد قطع بيت القطامشة والدمايطة . فأجاب الى ذلك . واختلى بابراهيم جاويش وعرفه بذلك . فقال له الجاويش : « عندك توابع عثمان بيك قرقاش وذو الفقار كاشف ، وهم يقتلون خليل بيك وعلى بيك الدمياطى فى الديوان » . فقال له : « يحتاج يكون صحبتهم أناس من طرفك ، والا فليس لهم جسارة على ذلك » فقال له : « أنا أتكلم مع عثمان أغا أبى يوسف يطلب شرهم لأنه من طرفى » .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع حسين بيك الخشاب وقرقاش وذو الفقار وجماعته ، وطلع على بيك الدمياطى وصحبته محمد بيك ، وطلع فى أثرهم خليل بيك أمير الحج وعمر بيك بلاط ، فجلسوا بجانب المحاسبة ، فحضر عثمان أغا أغات المتفرقة عند خليل بيك ، فقال له : « لماذا لم تدخل عند الباشا ؟ » . فقال له : « قد تركناه لك » . فقال : « كأنى لم أعجبك » . واتسع بينهما الكلام ، فسحب أبو يوسف النمشة وضرب خليل بيك . واذا بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بيك بلاط فقتلوه ، ودخلوا برأسيهما الى الباشا . فقام على بيك الدمياطى ومحمد بيك ونزلا ماشيين ودخلا الى نوبة الجاويشية . فأرسل الباشا للاختيارية يقول لهم : « انهما مطلوبان للدولة وأخذهما وقطع رأسيهما أيضا » . وكتبوا فرمانا الى الصناجق والأغوات واختيارية السبعة وجاقات بأن ينزلوا بالبيارق والمدافع الى ابراهيم بيك وعمر بيك وسليمان بيك الألفى . وكان سليمان بيك دهشور مسافرا بالخزينة فنزلت البيارق والمدافع ، فضربوا أول مدفع عند قنطرة سنقر . فحمل الثلاثة أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم الى جهة قبلى ،

ودخل العساكر الى بيت ابراهيم بيك فنهبوه ، وكذلك بيت خليل بيك ، وذهبوا الى بيت على بيك فوجدوا فيه صنجقا من الصناجق ملكه بما فيه ، ولم يتعرضوا ليوسف بيك ناظر الجامع الأزهر ، ورفعوا صنجقية محمد بيك صنجق ستة . وماتت ستة أيضا وذهب الى طندتا وعمل فقيرا بضريح سيدى أحمد البدوى .

ولما رجع سليمان بيك دهشور من الروم ، رفعوا صنجقيته ، وأمروه بالاقامة برشيد ، وقلدوا عثمان كاشف صنجقية ، وكذلك كجك أحمد كاشف ، وقلدوا محمد بيك أباظة اشراق حسين بيك الخشاب دفترداريه مصر . وانقضت تلك الفتنة .

ثم ان الباشا قال لحسين بيك الخشاب : « مرادى ان تعمل تدبيرا فى قتل ابراهيم جاويش قازدغلى ورضوان كتخدا الجلفى ، وتصير أنت مقدام مصر وعظيمها » . فاتفق معه على ذلك ، وجمع عنده على بيك جرجا وسليمان بيك — مملوك عثمان بيك ذى الفقار — وقرقاش وذا الفقار كاشف .. ودار القال والقيل ، وسعى المنافقون ، وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتخدا مايراد بهما ، فحضر ابراهيم جاويش عند رضوان كتخدا ، وامتلأ باب الينكرجية وباب العزب بالعسكر والأودة باشية .

واجتمعت الصناجق والأغوات السبعة فى سبيل المؤمنين ، والاسباهية بالرميلة ، وأرسلوا يطلبون فرمانا من الباشا بالركوب على بيت حسين بيك الخشاب الذى جمع عنده المفاسيد أعداءنا ، وقصده قطعنا .

فلما طلع كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا الى راغب باشا وطلبوا منه فرمانا بذلك . فقال الباشا : « رجل نفذ أمر مولانا السلطان ، وخاطر بنفسه ، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال . كيف أعطيكم فرمانا بقتله ؟ الصلح أحسن

ما يكون » . فرجعوا وردوا عليهم بجـــواب الباشا . فأرسلوا له من كل بلك اثنين اختيارية بالعرضحال . فان أبى فقولوا له : « ينزل ويولى قائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا » . فنزل بكامل أتباعه من قراميدان لما صار فى الرميلة ، فأراد أن ينزل على شيخون الى بيت حسين بيـك الخشاب يكرنك معه فيه . واذا بالعزب المرابطين فى السلطان حسن ردوه بالنار ، فقتل أغا من أغواته .. فنزل على بيت آقبردى الى بيت ذى عـرجان تجاه المظفر ، فأرسلوا له ابراهيم بيك بلفية — صحبة كتخدا الجاويشية — خلع عليه قفطـان القائمقائية ورجع الى بيته ، وأخـذوا منه فرمانا بجر المدافع والبيارق من ناحية الصليبة وسارت الصناجق تتقدمهم عمر بيك أمير الحاج ومحمد بيك الدالى وابراهيم بيك بلفيه ويوسف بيـك قطامش وحمزه بيك وعثمان بيك أبو سيف وأحمد بيك بن كجك محمد واسماعيل بيك جلفى وعثمان بيك وأحمد بيك قازدغلية ورضوان بيك خازندار عثمان كتخدا قازدغلى كان ، واحتاطوا ببيت حسين بيك الخشاب ومحمد بيك أباظه من الأربع جهات . فحارب بالبندق من الصبح الى الظهر حتى وزع مايعز عليه ، وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العباد وذهب الى جهة الصعيد فدخل العسكر الى بيته فلم يجدوا فيه شيئا ولا الحريم

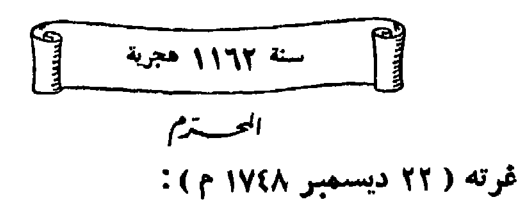
سنة ١١٦١ هجرية

(٢ يناير ١٧٤٨ — ٢١ ديسمبر ١٧٤٨)

فى آخر هذه السنة(١) هرب ابراهيم بيك قبطاس الى الصعيد . وعمر بيك بن على بيك وصحبته طائفة من الصناجق هربوا الى أرض الحجاز .

كانت مـدة محمد باشـا راغب فى ولاية مصر سنتين ونصفا .

ثم سافر الى الديار الرومية وتولى الصدارة ، وكان انسانا عظيما عالما محققا ، وكان أصله رئيس الكتاب


سنة ١١٦٢ هجرية

المحـرم

غرته (٢٢ ديسمبر ١٧٤٨ م) :

وصل احمد باشـا — المعروف بكور وزيـر — فطلع الى ثغر الاسكندرية ، ووصلت السعاة ببشائر قدومه ، فنزلت اليه الملاقاة وأرباب العكاكيز وأصحاب الخدم ، مثل كتخدا الجاويشية ، وأغات المتفرقة ، والترجمان ، وكاتب الحوالة وغيرهم

واجتمع فى رشيد براغب باشـا ، وسـافر فى المركب التى حضر فيها أحمد باشا .

وحضر الى مصر ، وطلع بالمـوكب المعتاد الى القلعة ، وضربوا له المدافع والشنك من أبـراج الينكجرية ، وعمل الديوان ، وخلع الخلع عـلى الأمراء والأعيان والمشايخ

وخلصت رياســة مصر وامارتها الى ابراهيم جاويش ورضوان كتخدا ، وقلد ابراهيم جاويش مملوكه عـلى أغا — وهـو الذى عرف بالغزاوى — صنجقا ، وكذلك حسين أغا — وهو الذى عرف بكشكش (١) — وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد أغا خازنداره صنجقا ، فصار لكل واحـد منهما ثلاثة صـناجق : وهـم عثمان وعـلى وحسـين

(١) فى هذه السنة قامت فتنة بين الدمايطة ورئيسهم على بيك الدمياطى وبين القطامشة ورئيسهم ابراهيم بيك قطامش ، وبعد حروب انتصرت الدمايطة على اخصامهم . (التوفيقات الالهامية)

(١) كان ذائع الصيت واسع الحيلة . سافر اميرا للحج اربع مرات دون أن يؤدى عوائد العربان .

الابراهيمية ، واسماعيل وأحمد ومحمدالرضوانية ، ثم ان ابراهيم جاويش عمل كتخدا الوقت ثلاثة أشهر وانفصل عنها .

وحضر عبد الرحمن كتخدا القازدغلى من الحجاز وعمل كتخدا الوقت بباب مستحفظان سنتين . وشرع فى عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل الخمامير .

أقام فى ولاية مصر الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (١٢ سبتمبر ١٧٥٠ م) . وكان من أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم الرياضية .

ولما وصل الى مصر استقر بالقلعة ، وقابله صدور العلماء فى ذلك الوقت ، وهم : الشيخ عبد الله الشبراوى — شيخ الجامع الأزهر — والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ سليمان المنصورى ... فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ، ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا : لا نعرف هذه العلوم ! فتعجب وسكت ...

... ودخل الشيخ الشبراوى عند الباشا يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق الى المجىء اليها . فلما جئتها وجدتها كما قيل «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه !»

فقال الشيخ : هى ، يا مولانا ، كما سمعتم : معدن العلوم والمعارف .

فقال : وأين هى ... وأنتم أعظم علمائها ؟ وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم ، فلم أجد عندكم منها شيئا . وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل : ونبذتم المقاصد .

فقال له الشيخ : نحن لسنا أعظم علمائها ، وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام . وغالب أهل الأزهر لايشتغلون بشىء من العلوم الرياضية الا بقدر الحاجة الموصلة الى علم الفرائض والمواريث ، كعلم الحساب والغبار .

فقال له (الباشا) : وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة . كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات الصوم ، والأهلة ، وغير ذلك .

فقال (الشيخ) : نعم . معرفة ذلك من فروض الكفاية ... اذا قام به البعض ، سقط عن الباقين . وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية ، كرقة الطبيعة ، وحسن الوضع ، والخط والرسم والتشكيل ، والأمور العطاردية ! وأهل الأزهر بخلاف ذلك... غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق ، فيندر فيهم القابلية لذلك .

فقال (الباشا) : وأين البعض !

فقال (الشيخ) : موجودون فى بيوتهم ... يسعى اليهم .

ثم أخبره عن الشيخ الوالد (أى الشيخ حسن الجبرتى والد المؤلف) ، وعرفه عنه ، وأطنب فى ذكره .

فقال : ألتمس منكم ارساله عندى .

فقال : يا مولانا ، انه عظيم القدر ، وليس هو تحت أمرى ...

فقال : وكيف الطريق الى حضوره ؟

قال : تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم ، فلا يسعه الامتناع .

ففعل ذلك ، وطلع اليه ، ولبى دعوته ، وسر برؤيته ، واغتبط به كثيرا . وكان يتردد اليه يومين فى الجمعة ، هما السبت والأربعاء . وأدرك منه مأموله بالبر والاكرام الزائد الكثير ، ولازم المطالعة عليه مدة ولايته . وكان يقول : لو لم أغنم من مصر الا اجتماعى بهذا الأستاذ .. لكفانى !

ومما اتفق له — لما طالع « ربع الدستور » وأتقنه — طالع بعد « وسيلة الطلاب ، فى استخراج الأعمال بالحساب » ، وهو مؤلف دقيق للعلامة المردينى . فكان الباشا يختلى بنفسه ، ويستخرج منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية ، ثم يستخرجه من « التجييب » ، فيجده مطابقا

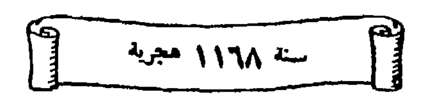
فاتفق له عدم المطابقة فى مسألة من المسائل ، فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى ان حضر اليه الأستاذ فى الميعاد ، فأطلعه على ذلك ، وعلى السبب فى عدم المطابقة ، فكشف له علة ذلك بديها . فلما انجلى وجهها على مرآة عقله ، كاد يطير فرحا ، وحلف أن يقبل يده ، ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور ، باعها المرحوم بثمانمائة دينار ، ثم اشتغل عليه برسم المزاول والمنحرفات حتى أتقنها ، ورسم على اسمه عدة منحرفات ، على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا بالازميل ، كتابة ورسما ، وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها ، وهو هذا :

مـزولة متقنـة نظيرها لا يوجـد
راسـمها حاسبها هذا الوزير الأمجد
تاريخها : أتقنهـا وزير مصر أحمـد
٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣
= ١١٦٣ هجرية (١)

ونصب واحدة من هذه المزاول بالجامع الأزهر فى ركن الصحن على يسار الداخل ، وأخرى بسطح جامع الامام الشافعى ، وأخرى بمشهد السادات الوفائية ، وغير ذلك

وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوى كلما تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له : ستترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا . فانه لولا وجودك كنا جميعا عنده حمير !

رحم الله الجميع .



(١٨ اكتوبر ١٧٥٤ — ٦ اكتوبر ١٧٥٥)

فى هذه السنة أخذ أتباع ابراهيم كتخدا يدبرون فى اغتيال رضوان كتخدا ، وازالته ، وسعت فيهم عقارب الفتن .

فتنبه رضوان كتخدا لذلك ، فاتفق مع أغراضه وملك القلعة والأبواب والمحمودية وجامع السلطان حسن . واجتمع اليه جمع كثير من أمرائه وغيرهم ومن انضم اليهم ، وكاد يتم له الأمر . فسعى عبد الرحمن كتخدا والاختيارية فى اجراء الصلح ، وطلع بعضهم الى رضوان كتخدا ، وقالوا له : هؤلاء أولاد أخيك . وقد مات وتركهم فى كنفك مثل الأيتام ، وأنت أولى بهم من كل أحد ، وليس من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخاصمهم ، فانك صرت كبير القوم وهم فى قبضتك أى وقت . فلا تسمع كلام المنافقين .

فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم واعتقد نصحهم ، لأنه كان سليم الصدر . ففرق الجمع ونزل الى بيته الذى بقوصون . فاغتنموا عند ذلك الفرصة ، وبيتوا أمرهم ليلا ، وملكوا القلعة والأبواب والجهات وهو فى غفلته ، آمن فى بيته ، مطمئن من قبلهم ، ولا يدرى ما خبىء له

فلم يشعر الا وهم يضربون عليه بالمدافع ، وكان المزين يحلق له رأسه ، فسقطت على داره الجلل ، فأمر بالاستعداد ، وطلب من يركن اليهم ، فلم يجد أحدا ، ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق والنواحى ، فحارب فيهم الى قرب الظهر

وخامر عليه أتباعه ، فضربه مملوكه صالح

---

(١) كان هذا النوع من التاريخ بالنظم مالوفا لدى ادباء ذلك العصر . واساسه ان لحروف الابجدية فى حسابهم نظائر رقمية : فالالف تناظر واحدا ، وهكذا حتى الياء من حروف « ابجد هوز حطى » ، فتناظر الياء عشرة . والكاف تناظر عشرين ، وهكذا حتى القاف من حروف « كلمن سعفص ق » ، فتناظر القاف مائة . والراء تناظر مائتين ، وهكذا حتى الغين من حروف « رشت ثخذ ضظغ » ، فتناظر الغين الفا .

الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة فأصابته فى ساقه ، وهرب مملوكه الى الأخصام ، وكانوا وعدوه بامرية ان هو قتل سيده . فلما حضر اليهم وأخبرهم بما فعله ، أمر على بيك بقتله ، وقال : هذا خائن ، وليس فيه خير ! فشفعوا فيه ، وأمروا بنفيه .

ولما أصيب رضوان كتخدا طلب الخيول وركب فى خاصته ، وخرج من نقب نقبه فى ظهر البيت ، وتألم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه ، فسار الى جهة البساتين ، وهو لا يصدق بالنجاة . فلم يتبعه أحد ، ونهبوا داره . ثم ركب وسار الى جهة الصعيد ، فمات بشرق أولاد يحيى ، ودفن هناك ، فكانت مدته — بعد قسيمه — قريبا من ستة أشهر .

ولما مات تفرقت صناجقه ومماليكه فى البلاد ، وسافر بعضهم الى الحجاز من ناحية القصير ، ثم ذهبوا من الحجاز الى بغداد ، واستوطنوها ، وتناسلوا وماتوا ، وانقضت دولتهما فكانت مدتهما نحو سبع سنوات . . ومصر فى تلك المدة هادئة من الفتن والشرور ، والاقليم البحرى والقبلى آمن وأمان ، والأسعار رخية ، والأحوال مرضية ، واللحم الضانى المجروم من عظمه رطله بنصفين ، والجاموسى بنصف ، والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة ، واللبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف ، والرطل الصابون بخمسة أنصاف ، والسكر المنعاد كذلك ، والمكرر قنطاره بألف نصف ، والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفا وأقل ، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفا ، والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ، ويباع بالكيل والأرادب . والأرز أردبه بأربعمائة نصف ، والعسل النحل قنطاره بخمسمائة نصف ، وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفا ، وشمع الدهن بأربعة أنصاف ، والفحم قنطاره بأربعين نصفا ، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف وقس على ذلك .

وقد أدركت بقايا تلك الأيام ، وذلك أن مولدى كان فى سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ — ١٧٥٤ ميلادية) . ولما صرت فى سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر الا قليلا . وكنت أسمع الناس يقولون : الشىء الفلانى زاد سعره عما كان فى سنة كذا ، وذلك فى مبادى دولة ابراهيم كتخدا وحدوث الاختلال فى الأمور .

وكانت مصر اذ ذاك محاسنها باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، ولأعدائها قاهرة . . يعيش رغدا بها الفقير ، وتتسع للجليل والحقير .

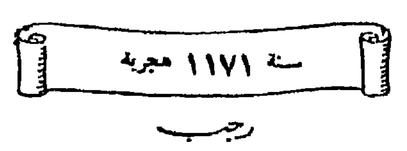
وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق لا توجد فى غيرها . منها أن فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين : أحدهما أسفل رجالى ، والثانى فى الحريم . فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلا فى المكان الخارج ، مبذولا للناس ، ويجلس بصدره أمير المجلس وحوله الضيفان ، ومن دونهم مماليكه وأتباعه . ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ، ويقربون اليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات . ولا يمنعون فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا ، ويرون أن ذلك من المعايب ، حتى أن بعض ذوى الحاجات عند الأمراء اذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنعهم الخدم فى ذلك الوقت . فيدخل صاحب الحاجة ، ويأكل ، وينال غرضه من مخاطبة الأمير لأنه اذا نظر على سماطه شخصا لم يكن رآه قبل ذلك ، ولم يذهب بعد الطعام ، عرف ان له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته ، فيقضيها له . وان كان محتاجا واساه بشىء .

ولهم عادات وصدقات فى أيام المواسم ، مثل أيام أول رجب ، والمعراج ، ونصف شعبان ، وليالى

رمضان ، والأعياد ، وعاشوراء ، والمولد الشريف .. يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملأون من ذلك قصاعا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين .

ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم ويعرفون منه الاحتياج ، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية ، والشريك .. على المدافن والترب فى الجمع والمواسم

وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخلاق ما لا يوجد فى غيرهم من أهل قرى الأقاليم . فان أقل من فيهم اذا نزل به ضيف — ولو لم يعرفه — اجتهد وبادر بقراه فى الحال ، وبذل وسعه فى اكرامه ، وذبح له ذبيحة فى العشاء ، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير والمقادم .. فان لهم مضايف واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من السفار والأجناب ، ولهم مساميح وأطيان فى نظير ذلك خلفا عن سلف


سنة ١١٧١ هجرية

رجب

(مارس ١٧٥٧ م) :

استمر مصطفى باشا فى ولاية مصر الى هذا التاريخ

وفى تلك السنة نزل مطر كثير سالت منه السيول واعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيحه الذى أخذ المليح والمليحة » ، مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى .

ومات فى تلك السنة الحاج أحمد بن محمد الشرايبى ، وكان من أعيان التجار المشتهرين كأسلافه ، وبيته المشهور بالازبكية ، بيت المجد والفخر والعز ، ومماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر .

ومنهم يوسف بيك الشرايبى ، وكان فى غاية الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق ، والاحسان للخاص والعام ، ويتردد الى منزلهم العلماء والفضلاء ، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة : للاعارة والتغيير ، وانتفاع الطلبة ، ولا يكتبون عليها وقفية ، ولا يدخلونها فى مواريثهم ، ويرغبون فيها ، ويشترونها بأغلى ثمن ، ويضعونها على الرفوف والخزائن والخورنقات ، وفى مجالسهم جميعا ، فكل من دخل الى بيتهم من أهل العلم الى أى مكان يقصد الاعارة (يعنى الاستعارة) أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه فى أى علم كان من العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا ! ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه : فان رده فى مكانه رده ، وان لم يرده واختص به أو باعه لايسأل عنه . وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مرارا ! ويعتذرون عن الجانى بضرورة الاحتياج !

وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والاتقان والكثرة . وهو مبذول للقاصى والدانى ، مع السعة والاستعداد .

ومن أوضاعهم وطرائفهم أنهم لايتزوجون الا من بعضهم البعض ، ولا تخرج من بيتهم امرأة الا للمقبرة !

فاذا عملوا عرسا أولموا الولائم، وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتادوه . وتنزل العروس من حريم أبيها الى مكان زوجها بالنساء الخلص والمغانى والجنك (الراقصات) ، ترفها ليلا بالشموع ... وباب البيت مغلوق عليهن ، وذلك عندما يكون الرجال فى صلاة العشاء بالمسجد الأزبكى المقابل لسكنهم

وبيتهم يشتمل على اثنى عشر مسكنا ، كل مسكن بيت متسع على حدته .

وكان الأمراء بمصر يترددون اليهم كثيرا من غير سبق دعوة . وكان رضوان كتخدا يتفسح عند

الحاج أحمد الشرايبى فى كثير من الأوقات ، مع الكمال والاحتشام ، ولا يصحبه فى ذلك المجلس الا اللطفاء من ندمائه .

واذا قصده الشعراء بمدح لايأتونه فى الغالب الا فى مجلسه لينالوا فضيلتين ، ويحرزوا جائزتين !

وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كبيرا منهم ، وتحت يده الكاتب والمستوفى والجابى ، فيجمع لديه جميع الايراد من الالتزام والعقار والجامكية ، ويسدد الميرى ، ويصرف لكل انسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه ، وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنساء فى الشتاء والصيف ، ومصروف الجيب فى كل شهر . وعند تمام السنة يعمل الحساب ، ويجمع ما فضل عنده من المال ، ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته .

واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف ، واقتسموا الايراد ، واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهى ، وتفرق الجمع ، وقلت البركة ، وانعزل المحبون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » .

* * *

ومات فى تلك السنة أيضا الرجل الفاضل النبيه ، الذكى المتفنن ، المتقن الفريد ، الأسطى ابراهيم السكاكينى .

كان انسانا حسنا عطارديا ، يصنع السيوف والسكاكين ، ويجيد سقيها وجلاءها ، ويصنع قراباتها ، ويسقطها بالذهب والفضة . ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم ، والبركارات للصنعة ، وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة ، وغير ذلك .

وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط ، لاتخفى . وكتب بخطه ذلك كثيرا مثل مقامات الحريرى وكتب أدبية ورسائل فى الرياضيات والرسميات وغير ذلك .

وبالجملة فقد كان فريدا فى ذاته وصفاته وصناعته ، لم يخلف بعده مثله ..

وكان حانوته تجاه جامع المردانى ، بالقرب من درب الصباغ .

سنة ١١٧٢ هجرية

(٤ سبتمبر ١٧٥٨ — ٢٤ اغسطس ١٧٥٩)

أخذ الطاعون ينقر فى تلك السنة . وكان قوة عمله فى رجب وشعبان .

وولد للسلطان مصطفى مولود فى تلك السنة ، وورد الأمر بالزينة فى تلك الأيام ، فكانت أبرد من يخ [1] . وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الآن (أى زمن الجبرتى) .

ولما قتل حسين بيك القازدغلى ، المعروف بالصابونجى ، وتعين فى الرياسة بعده على بيك الكبير ، أحضر خشداشينه المنفيين واستقر أمرهم .

سنة ١١٧٣ هجرية

(٢٥ اغسطس ١٧٥٩ — ١٢ اغسطس ١٧٦٠)

تقلد على بك الكبير امارة الحج فبيت مع سليمان بيك الشابورى وحسن كتخدا الشعراوى وخليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش المجنون ، واتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا فى غيبته ، وأقام عوضه فى مشيخة البلد خليل بيك الدفتردار . فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع فى نفى الجماعة المذكورين ، فأغرى

(١) هو خليط الثلج المجروش بالملح . ومن اقوالهم : « شيئان مثل يخ : شيخ يتصابى ، وصبى يتمشيخ ! » .

بهم على بيك بلوط قبن ... فنفى خليل جاويش حيضان مصلى واحمد جاويش الى الحجاز من طريق السويس على البحر ، ونفى حسن كتخدا الشعراوى وسليمان بيك الشابورى — مملوك خشداشه — الى فارسكور .

فلما وصل على بيك ، وهو راجع بالحج الى العقبة ، وصل اليه الخبر .. فكتم ذلك ، وأمر بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار . ولم يزل سائرا الى أن وصل الى قلعة نخل ، فانحاز الى القلعة ، وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة ، وسلمهم الحجاج والمحمل ، وركب فى خاصته وسار الى غزة .. وسار الحجاج من غير أمير الى أن وصلوا الى أجرود ، فأقبل عليهم حسين بيك كشكش ومن معه يريد قتل على بيك ، فلم يجده فحضر بالحجاج ، ودخل بالمحمل الى مصر ، واستمر على بيك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر ، وكاتب الدولة بواسطة باشا الشام فأرسلوا اليه واحد أغا ، ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك .

ثم حضر الى مصر بسعاية نسيبه على كتخدا الخربطلى وأغراضه . ومات بعد وصوله الى مصر بثمانية أيام . يقال ان بعض خشداشينه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام .

وفى تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على مصر ونزل الى القبة متوجها الى جدة فأقام هناك .

سنة ١١٧٤ هجرية

(١٣ اغسطس ١٧٦٠ — ١ اغسطس ١٧٦١)

استمر مصطفى باشا واليا الى آخر هذه السنة .

وحضر فى آخرها أيضا أحمد باشا كامل المعروف بصبطلان ، وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق فى الأحكام ، وصار يركب وينزل ويكشف على الأنبار والغلال ، فتعصب عليه الأمراء ، وأصعدوا مصطفى باشا المعزول ، وعرضوا فى شأنه الى الدولة .. وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديونى ، ووجه مصطفى باشا خازنداره الى جدة وكيلا عنه .

ولما وصل العرض الى الدولة — وكان الوزير اذ ذاك محمد باشا راغب — فوجهوا أحمد باشا المنفصل الى ولاية قندية ومصطفى باشا الى حلب ، ووجهوا باكير باشا والى حلب الى مصر ، وأقام نحو شهرين ومات ، ودفن بالقرافة .

وتقلد فى امارة الحج حسين بيك كشكش ، وقد وقف له العرب فى مضيق ، وحضر اليه كبراؤهم ، وطلبوا مطالبهم وعوائدهم ، فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة والصراف وأمرهم بدفع مطلوبات العرب ، فذهبوا معه الى خيمته وأحضر المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم ، فضرب عند ذلك مدفع الشيل . فقال لهم حينئذ : « لا يمكن فى هذا الوقت فاصبروا حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب » .

وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق الى الوسع ، ورتب مماليكه وطوائفه ، وحضر العرب — وفيهم كبيرهم هزاع — فأمر بقتلهم ، فنزلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم ، وفيهم نيف وعشرون كبيرا من مشايخ العربان المشهورين خلاف هزاع المذكور . وأمر بالرحيل وضربوا المدفع وسار الحج ، وتفرق قبائل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثأر ... فتجمعت القبائل من كل جهة ، ووقفوا بطريق الحجاج وفى المضايق ، وهو يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ، ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصل الى مصر بالحج سالما ، ومعه رؤوس العربان محملة على الجمال ، ودخل المدينة بالمحمل والحجاج منصورا مؤيدا .

فاجتمع عليه الأمراء من خشداشينه وغيرهم وقال له على بيك بلوط قبن : « انك أفسدت علينا العرب ، وأخربت طريق الحج ، ومن يطلع بالحج فى العام القابل بعد هذه الفعلة التى فعلتها ؟ » . فقال : « أنا الذى أسافر بالحج فى العام القابل ومنى للعرب أصطفل » . فطلع أيضا فى السنة الثانية ، وتجمع عليه العرب ، ووقفوا فى كل طريق ومضيق وعلى رؤوس الجبال ، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة ... فصادمهم وقاتلهم وحاربهم ، وصار يكر ويفر ، ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير . ولم يبال بكثرتهم مع ماهو فيه من القلة ، فانه لم يكن معه الا نحو الثلثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة . وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهورا حسامه ، فيشتت شملهم ويفرق جمعهم ، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته ، وانكفوا عن الحج ... فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة ، فحج أربع مرات أميرا بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف (١٧٦٢ م) . ورجع سنة سبع وسبعين ومائة ألف (١٧٦٣ م) . ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابا وايابا بعد ذلك .

وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس ، فكان يخرج اليهم على حين غفلة فيقتلهم ، وينهب مواشيهم ، ويرجع بغنائمهم ورؤوسهم فى أشناف (١) على الجمال ... فارتدعوا وانكفوا عن أفاعيلهم ، وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك .

وفى هذه المدة ظهر شأن على بيك بلوط قبن ، واستفحل أمره ، وقلد اسماعيل بيك الصنجقية وجعله اشراقه ، وزوجه هانم بنت سيده وعمل لها مهما عظيما احتفل به للغاية ببركة الفيل — وكان ذلك فى أيام النيل — فعملوا على معظم البركة أخشابا مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعيب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع . وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة — وغالبها سكن الأمراء والأعيان ، أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ومماليك ابراهيم كتخدا أبى العروس — وفى كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجمعيات . واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل ، والبلد مفتحة ، والناس تغدو وتروح ليلا ونهارا للحظ والفرجة من جميع النواحى .

ووردت على على بيك الهدايا والصلات من اخوانه الأمراء والأعيان الاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والافرنج والأروام واليهود ، والمدينة عامرة بالخير ، والناس مطمئنة ، والمكاسب كثيرة ، والأسعار رضية ، والقرى عامرة . وحضرت مشايخ البلدان ، وأكابر العربان ، ومقادم الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل ، وكل من الأمراء الابراهيمية كأنه صاحب الفرح ، والمشار اليه من بينهم صاحب الفرح على بيك

وبعد تمام الشهر زفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بانواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويشية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات ، وعليهم الخلع والتخاليق المثمنة ،وكذلك المهاترة والطبالون ، وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية والعروس فى عربة .

وكان الخازندار لعلى بيك فى ذلك الوقت محمد

(١) جمع « شنفة » وهى شبكة مصنوعة من حبال غليظة تحمل فيها الاشياء على الجمال .

بيك أبو الذهب ماشي بجانب العربة وفى يده عكاز، ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ، ملبسين بالزرد والخرد ، واللثامات الكشميرى ، مقلدين بالقسى والنشاب ، وبأيديهم المزاريق الطوال ، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات .

فمن ذلك الوقت اشتهر أمر على بيك ، وشاع ذكره ، ونما صيته ، وقلد أيضا مملوكه على بيك المعروف بالسروجية . ولما كان عبد الرحمن كتخدا ابن سيدهم ومركز دائرة دولتهم ، الضوى الى ممالأته ومال هو الآخر الى صداقته ، ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات ، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى أن عبد الرحمن كتخدا لما أراد نفى الجماعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين وصوروا على أحمد جاويش المجنون مايقتضى نفيه . ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتخدا فمانع فى ذلك ، وأظهر الغيظ ، وأصبح فى ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم ، فلما تكامل حضور الجميع تكلم عبد الرحمن كتخدا فقال : « ان على بيك سافر الى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة » ، فقال له : « الرأى ماتراه » . فقال على بيك : « هذا يكون شيخ البلد وكبيرها ، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه » . فقالوا « سمعنا وأطعنا ونحن كذلك » .

وأصبح عبد الرحمن كتخدا غاديا الى بيت على بيك ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية . وصار الجميع والديوان فى بيته من ذلك اليوم ، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك .

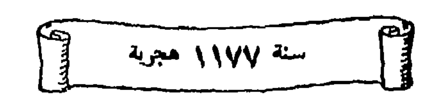
ثم انهم طلعوا أيضا فى ثانى يوم الى الديوان ، واجتمعوا بباب الينكجرية ، وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاويش وخليل جاويش وسليمان بيك الشابورى . فقال عبد الرحمن كتخدا : « واكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوى أيضا » فكتبوه وأخرجوا فرمانا بذلك ونفوهم . واستمروا فى نفيهم وعمل أحمد جاويش وقادا بالحرم المدنى ، وخليل جاويش أقام أيضا بالمدينة ، والشابورى وحسن كتخدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج .

وأخذ على بيك يمهد لنفسه ، واستكثر من شراء المماليك ، وشرع فى مصادرة الناس ، ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة ، وادخال الوهم على البعض بمثل النفى والتعرض الى الفائظ ببعض المقتضيات ونحو ذلك .

جمادى الأولى

فى ١٩ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٦٠ م) :

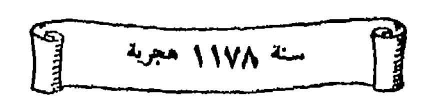
هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غربية غرق منها بالأسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا فى مرسى المسلمين وثلاثة مراكب فى مرسى النصارى ، وضجت الناس ، وهاج البحر هياجا شديدا ، وتلف بالنيل بعض مراكب ، وسقطت عدة أشجار .



(١٢ يوليه ١٧٦٣ ــ ٣٠ يونيه ١٧٦٤)

طلع على بيك أميرا بالحج .

فيها تمكن على بيك من استلام مشيخة البلد فى القاهرة (١) .



(١ يوليه ١٧٦٤ ــ ١٩ يونيه ١٧٦٥)

رجع على بيك بالحج فى أوائل هذه السنة فى أبهة عظيمة ، وأرخى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم . فلما رجع قلده الصنجقية

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

— وهو الذى عرف بأبى الذهب — ثم قلد مملوكه أيوب أغا ورضوان قرابته وابراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلى بيك الحبشى صناجق أيضا .

وانقضت تلك السنة وأمر على بيك يتزايد ، وشهلوا أمور الحج على العادة ، وقبضوا الميرى ، وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والأنبار . وخرج المحمل على القانون المعتاد ، وأميره حسن بيك رضوان .

ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج ، طلع على بيك وخشداشينه وأغراضه ، وملكوا أبواب القلعة ، وكتبوا فرمانا ، وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا (١) وعلى كتخدا الخربطلى وعمر جاويش الداودية ورضوان جربجى الرزاز وغيرهم منفيين فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه الى السويس ليذهب الى الحجاز ، وعينوا للذهاب معه صالح بيك ليوصله الى السويس ، ونفوا باقى الجماعة الى جهة بحرى .

وارتجت مصر فى ذلك اليوم ، وخصوصا لخروج عبد الرحمن كتخدا ، فانه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة ، وبه ارتفع قدر الينكجرية على العزب ، وكان له عزوة كبيرة ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم ، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم ، فلم تحصل شىء من ذلك سوى مانزل بالناس من البهتة والتعجب ثم أرسل الى صالح بيك فرمانا بنفيه الى غزة فوصل اليه الجاويش فى اليوم الذى نزل فيه عبد الرحمن كتخدا فى المركب وسافر ، وذهب صالح بيك الى غزة فأقام بها مدة قليلة ، ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به الى ناحية بحرى وأجلسوه برشيد ،

ورتب له على بيك مايصرفه ، وجعل له فائظا فى كل سنة عشرة آكياس ، فأقام برشيد مدة ، حتى حضرت أخبار وصول الباشا الجديد .

سنة ١١٧٩ هجرية

(٢٠ يونيه ١٧٦٥ — ٨ يونيه ١٧٦٦)

حضر حمزة باشا الى ثغر الأسكندرية ، فأرسلوا الى صالح بيك جماعة يعيبونه من رشيد ويذهبون به الى دمياط يقيم بها ، وذلك لئلا يجتمع بالباشا فلما وصلت اليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلا ، وسار الى جهة البحيرة ، وذهب من خلف جبل الفيوم الى جهة قبلى فوصل الى مسة ابن حصيب ، فأقام بها ، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم على بيك ونفاهم فى البلاد ، وبنى له أبنية ومتاريس . وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجارية فى التزامه جهة قبلى ، واجتمع عليه الكثير منهم ، وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج اليه ولما حضر حمزة باشا الى مصر طلع القلعة فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ، وأخذوا فرمانا بالتجريد عليه وتقلد حسين بيك كشكش حاكم جرجا وأمير التجريدة(١) ، وشرعوا فى التشهيل والخروج .. فسافر حسين بيك كشكش ، وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الأزبكاوى ، فالتطموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه وعدى الى شرق أولاد يحيى ، وكان حسين بيك شبكة — مملوك حسين بيك كشكش — نفاه على بيك الى قبلى ، فلما ذهب

---

(١) كان اكبر منافس لعلى بيك ، واشتد ساعد على بيك بعد نفى عبد الرحمن كتخدا وانصاره ، فاخذ يثير الفتن ويغرى البعض على البعض الآخر حتى أضعف شوكة الاقوياء .

(١) استصدر على بيك امرا من الباشا بالتجريد على صالح بيك بحجة انه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ثم عهد برياسة التجريدة الى حسين بيك كشكش ومساعديه محمد بيك ابى الذهب وحسن بيك الازبكاوى ، وكان غرضه من ذلك بذر الشقاق بين حسين بيك وصالح بيك .

(ولفت رمضان — على بيك الكبير ص ٢٦)

صالح بيك الى قبلى ، انضم اليه وركب معه . فلما توجه حسين بيك بالتجريدة وعدى صالح بيك شرق أولاد يحيى (1) انفصل عنه وحضر الى سيده حسين بيك ، وانضم اليه كما كان .

ورجع محمد بيك وحسن بيك الى مصر وتخلف حسين بيك عن الحضور يريد الذهاب الى منصبه بجرجا ، وأقام فى المنيا . فأرسل اليه على بيك فرمانا بنفيه الى جهة عينها له ، فلم يمتثل لذلك ، وركب فى مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا ، فطرقه فلم يفتحوه فكسره ودخل وذهب الى بيته . وبقى الأمر بينهم على المسالمة أياما ، فأراد على بيك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم ، وقد كان طلب منه معجونا للباءة ، فوضع له السم فى المعجون ، وأحضره له ، فأمره أن يأكل منه أولا فتلكأ واعتذر فأمر بقتله . وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانيا روميا يلبس على رأسه قلبق سمور . وكان وجيها ، جميل الصورة ، فصيحا متكلما يعرف التركية والعربية والرومية والطليانية .

وعلم حسين بيك أنها من غريمه على بيك ، فتأكدت بينهما الوحشة ، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء . وتوافق على بيك مع جماعته على غدر حسين بيك أو اخراجه فوافقوه ظاهرا . واشتغل حسين بيك على اخراج على بيك ، وعصب خشداشينه وغيرهم ، وركبوا عليه المدافع ... فكرنك فى بيته وانتظر حضور المتوافقين معه ، فلم يأته منهم أحد وتحقق نفاقهم عليه ، فعند ذلك أرسل اليهم يسألهم عن مرادهم فحضر اليه منهم من يأمره بالركوب والسفر . فركب وأخرجوه منفيا الى الشام ومعه مماليكه وأتباعه ، وذلك فى أواخر شهر رمضان سنة ١١٧٩ ، وأقام بالعادلية ثلاثة أيام حتى عملوا حسابه وحساب أتباعه ، وهم محيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب ، واستخلصوا مابقى على طرفهم ثم سافروا الى جهة غزة .

وكانت العادة فيمن ينفى من أمراء مصر أنه اذا خرج الى خارج فعلوا معه ذلك ، ولا يذهب حتى يوفى جميع مايتأخر بذمته من ميرى وخلافه . وان لم يكن معه مايوفى ذلك باع أثاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب الا خالص الذمة .

وسافر صحبة على بيك أمراؤه ، وهم : محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وذو الفقار بيك وعبد الله أغا الوالى وأحمد جاويش وسليمان جاويش وغيطاس كتخدا وباقى أتباعه .

واستقر خليل بيك كبير البلد مع قسيمه حسين بيك كشكش وباقى جماعتهم وحسن بيك جوجو ، وعزلوا عبد الرحمن أغا ، وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان . وورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بيك رجع من شرق أولاد يحيى الى المنيا واستقر فيها وحصنها . فعند ذلك شرعوا فى تشهيل تجريدة وبرزوا الى جهة البساتين .

وفى تلك الأيام رجع على بيك ومن معه على حين غفلة ، ودخل الى مصر فنزل ببيت حسين بيك كشكش ، ومحمد بيك نزل عند عثمان بيك الجرجاوى ، وأيوب بيك دخل منزل ابراهيم أغا الساعى ... فاجتمع الأمراء بالآثار ، وعملوا مشورة فى ذلك ، فاقتضى الرأى بأن يرسلوه الى جدة ، وقال بعضهم : « اسمعوا نصحى واقتلوه وارتاحوا منه فانه ان دام حيا أتعبكم ولا يبقى منكم أحدا » . فقالوا : « لايصح ! انه أخونا ودخل الى بيوتنا » فأرسلوا له بذلك . وقال : « لا أخرج من بيت سيدى الا أن يكون جهة بحرى » . فاجتمع الرأى بأن يعطوه النوسات (1) ويذهب اليها .. فرضى بذلك

(1) أولاد يحيى قرية من قرى جرجا فى شرق النيل كانت عامرة ذات مساجد ونخيل (خطط على مبارك ج ٦ ص ١٠٥) .

(1) تسمى نوسا الغيط (تابعة لمركز أجا بمديرية الدقهلية)

وذهب الى النوسات وأقام بها . وأرسلوا محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك الى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها . وكان هناك خليل بيك الأسيوطى فانضموا اليه وصادقوه . وسفروا التجريدة الى صالح بيك فهزمت ، فأرسلوا له تجريدة أخرى — وأميرها حسن بيك جوجو ، وكان منافقا — فلم يقع بينهم الا بعض مناوشات ورجعوا أيضا كأنهم مهزومون ، وأرسلوا له ثالث ركبة فكانت الحرب بينهم سجالا ، ورجعوا كذلك بعد أن اصطلحوا مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا .

سنة ١١٨٠ هجرية

جمادى الأولى

(اكتوبر ١٧٦٦ م) :

كان الصلح مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا ويأخذ مايكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال .

شعبان

فى ٢ منه (٣ يناير ١٧٦٧ م) :

اتهموا حسن بيك الأزبكاوى أنه يراسل على بيك وعلى بيك يراسله ، فقتلوه فى ذلك اليوم بقصر العينى ، ورسموا بنفى خشداشينه وهم : حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردي وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد الثلاثة — وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا ، وكان مقيما بمصر القديمة ، وقد صار مسنا — فسفروهم الى جهة بحرى ، وتخيلوا من اقامة على بيك بالنوسات ، فأرسلوا له خليل بيك السكران فأخذه وذهب به الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم ، وأحضر له المركب لينزله فيها .

شوال

فى ٢ منه (٣ مارس ١٧٦٧ م) :

ركب الأمراء الى قراميدان ليهنئوا الباشا بالعيد ، وكان معتاد الرسوم القديمة أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد — وكذلك أرباب العكاكيز — فيطلعون الى القلعة ، ويمشون أمام الباشا من باب السراية الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد ، ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون أتكه ويهنئونه وينزلون الى بيوتهم فيهنىء بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم .

وينزل الباشا فى ثانى يوم الى الكشك بقراميدان ، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور ، واستعد فراشو الباشا بالتطلى والقهوة والشربات والقماقم والمباخر . ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل ، واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون ، وجلس الباشا بذلك الكشك ، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتى الدفتردار وأمير الحج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجرية والعزب وأصحاب الوقت والمقادم والأودة باشية واليمقات والجربجية فيهنئون الباشا ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون .

فلما حضروا فى ذلك اليوم المذكور ، وهنأ الأمراء الصناجق الباشا ، وخرجوا الى دهليز القصر يريدون النزول .. وقف لهم جماعة ، وسحبوا السلاح عليهم ، وضربوا عليهم بنادق ، فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بسيف فى وجهه ، وحسين بيك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه. وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم ، واحتاط بهم مماليكهم ، ونط أكثرهم من حائط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى ، وركبوا خيولهم وهم لايصدقون بالنجاة ، وأركبوا عثمان بيك حصانه وهو يقول :

باب العزب ! باب العزب ! » وقد قطع السيف وجهه وحنكه . وذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات ، فشالوه الى بيتــه وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته ودفنوه . وانجرح أيضا اسماعيل بيك أبو مدفع ومحمود بيك وقاسم أغا ، ولكن لم يمت منهم الا عثمان بيك وباتــوا على ذلك .

فلما أصــبحوا اجتمعوا وطلعوا الى الأبواب وأرسلوا الى الباشا يأمرونه بالنزول فنزل الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون . وعند نزوله ومروره بباب العزب ، وقف له حسين بيك كشكش وأسمعه كلاما قبيحا .

ثم أنهم جعلوا خليل بك بلفيــه قائمقام [1] ، وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بيك صنجقا عوضا عن سيده . ونسبت هذه النكتة الى حمــزة باشا ، وقيل انهــا من على بيك الذى بالنوسات ومراسلاته الى حسن بيك جوجو ، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم . وذهبوا الى الكشك بقراميــدان — وكانوا نحو الأربعين — فاختلفوا واتفقــوا على ثانى يوم بدهليز بيت القاضى ، وتفرقوا الا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة . وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم وتهدم القصر وخرب ، وكذلك الجنينــة ماتت أشجارها وذهبت نضارتها .

ولما حصلت هــذه الحادثة أرسلوا حمزة بيك الى على بيك فوجده فى المركب بالغــاطس ينتظر اعتدال الريح للسفر ، فرده الى البر وأركبه بمماليكه وأتبــاعه ، ورجع الى جهة مصر ومر من الجبــل وذهب الى جهة شرق أطفيح ثم الى أسيوط بقبلى ، ورجع حمزة بيك الى مصر .

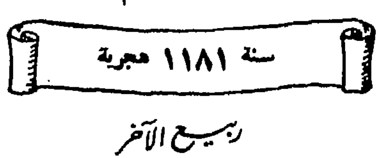
ثم ان على بيك اجتمعت عليــه المنافى وهوارة وخــلاقهم ، وأراد الانضمام الى صالح بيك فنفر منه ، فلم يزل يخادعه . وكان على كتخدا الخربطلى هناك منفيا من قبله وجعله سفيرا فيمــا بينه وبين صالح بيك هو وخليل بيك الأســيوطى وعثمــان كتخــدا الصابونجى فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم ، فعند ذلك أرسل اليه محمــد بيك أبو الذهب فلم يزل به حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف ، وكتبوا بذلك حجة واتفق مع على بيك أنه اذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بيك جهة قبلى قيد حياته ، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك الى شــيخ العرب همــام فانسر بذلك ورضى به مراعاة لصالح بيك . وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال ، واجتمع عليهــم المتفرقون والمشردون من الغز والأجنــاد والهوارة والشجعان ولموا جموعا كثيرة وحضروا الى المنيا ، وكان بها خليل بيك السكران ، فلما بلغه قدومهم ، ارتحل منها وحضر الى مصر هاربا واستقر على بيك وصالح بيك وجماعتهم بالمنيا وبنوا حولها أســوارا وأبراجا وركبوا عليهــا المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين . وأرسل على بيك الى ذى الفقار بيك وكان بالمنصــورة وصحبته جماعة كشاف فارتحلوا ليلا وذهبوا الى المنيا . فعمل الأمراء جمعية وعزموا عــلى تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا فى ذلك فتكلم الشيخ الحفناوى [1] فى ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع فى ذلك وقال : « أخربتم الأقاليم والبلاد . فى أى شيء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد ؟ على بيك هذا رجل أخوكم وخشداشكم ، أى شيء يحصل اذا أتى وقعد فى بيته واصطلحتم مع بعضكم

(1) أى يحكم لحين حضور الباشا الجديد .

(1) الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى ، ولد سنة ١١٠٠ هـ ببلدة حفنا من قرى بلبيس ، هادنه الملوك وقصده الأمير والصعلوك . يقال انه مات بالسم .

وارحتم أنفسكم والناس ؟ » . وحلف أنه لايسافر أحد بتجريدة مطلقا وان فعلوا ذلك لايحصل لهم خير أبدا . فقــالوا : « انه هو الذى يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه ، وان لم نذهب اليه أتى هو الينــا وفعل مراده فينا » . فقال لهــم الشيخ « أنا أرسل اليه مكاتبة فلا تتحركوا بشىء حتى يأتى رد الجواب » . فلم يسعهم الا الامتثال .

فكتب له الشيخ مكتوبا وبخه فيــه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه اليه . فلم يلبث الشيخ بعد هــذا المجلس الا أياما ومرض ورمى بالدم . وتوفى الى رحمة الله تعالى . فيقال انهم أشــغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم



سنة ١١٨١ هجرية

ربيع الآخر

فى غرته (٢٧ اغسطس ١٧٦٧ م) :

ورود الخبر بوصول محمد باشا راقم (١) الى الاسكندرية . وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

جمــادى الأولى

فى ١١ منه (٥ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بيك رضوان دفتردار مصر .

فى ١٥ منه (٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

قلدوا خليل بيك بلفيه أمــير الحج وقاسم أغا صنجقا . وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة الى قبلى .

ولبس ســارى عســكرها حسين بيك كشــكش وشرعوا فى التشهيل . واضطرهم الحال الى مصادرة التجار ، وأحضر خليل بيك النواخيذ وهم : ملا مصطفى وأحمد أغا الملطيلى وقرا ابراهيم وكاتب البهار ، وطلب منهم مال البهار معجــلا فاعتذروا ، فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه وأخذوا فى تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار .

وفيــه : بــرز حســين بيك خيــامه للسفر وخرج صحبته ستة من الصناجق وهم حسن بيك جوجو وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة واسماعيل بيك أبو مدفع وحمــزة بيك وقاسم بيك وأسرعوا فى الارتحال

فى ٢٠ منه (١٤ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

أخرج خلفهم أيضا خليل بيك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعســكر مغــاربة وسافروا أيضا فى يومها . وبعــد ثلاثة أيام ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم ببياضة تجاه بنى سويف فكانت الهزيمة على حسين بيك ومن معه . وقتل على أغا الميجى وخلافه ، وقتــل من ذلك الطرف ذو الفقار بيك .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

رجع المهزومون فى ثانى يــوم الكسرة ، وهم فى أسوأ حال .

٢٥ منه (١٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلعوا الى أبواب القلعــة وطلبوا من الباشا فرمانا بالتجريدة على على بيك وصالح بيك ومن معهم وطلبوا مائتى كيس من الميرى يصرفونها فى اللوازم فامتنع الباشا من ذلك

٢٦ منه (٢٠ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر الخبر بوصول القــادمين الى غمازة . وكان الوجاقلية وحسن بيك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلا وهربوا . وتخيل عزل خليل بيك وحسين بيك ومن معهمــا وتحيروا فى

---

(١) كان من خطة الدولة العثمانية ايقاد نار الفتنة بين البكوات لوقعت فتنة بين امراء المماليك فقتلوا بعضهم بعضا كما حدث فى ولاية ابن العظم سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) . وهنا نرى راقم باشا يعضد خصوم على بيك ويساعد على ارسال حملة لمقاومته تحت رياسة حسين بيك كشكش ويجمع لهذه الحملة المال . كما نجده يقابل على بيك بعد انتصاره على جيش حسين بيك كشكش ويخلع عليه ويقره شيخا للبلد .

(حافظ عوض ــ فتح مصر الحديث ص ٢٩)

أمرهم وتحققوا الادبار والزوال وأرسل الباشا الى الوجاقلية يقول لهم « كل وجاق يلازم بابه » .

٢٧ منه (٢١ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر على بيك وصالح بيك ومن معهم الى البساتين فازداد تحيرهم وطلعوا الى الأبواب فوجدوها مغلوقة . فرجعوا الى قراميدان وجلسوا هناك ثم رجعوا .

وفى الليل تسحب كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا الى جهة على بيك وكان حسن بيك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ويراسل على بيك وصالح بيك سرا ويكاتبهما . وضم اليه بعض الأمراء مثل قاسم بيك خشداشه ، واسماعيل بيك زوج هانم بنت سيدهم وعلى بيك السروجى وجن على — وهو خشداش ابراهيم بيك بلفيه — وكثير من أعيان الوجاقلية ، ويرسلون لهم الأوراق فى داخل الأقصاب التى يشربون فيها الدخان .

٢٩ منه (٢٣ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بيك شيخ البلد وأتباعه وحسين بيك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة .

وفى الصباح خرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين . ودخل فى ذلك اليوم على بيك وصالح بيك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم وجميع من كان منفيا بالصعيد قبل ذلك من أمراء ووجاقلية وغيرهم . وحضر صحبتهم على كتخدا الخربطلى وخليل بيك الأسيوطى وقلده على بيك الصنجقية مجددا وضربت النوبة فى بيته ثم أعطاه كشوفية الشرقية .

جمادى الآخرة

٢ منه (٢٦ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلع على بيك وصالح بيك وباقى الأمراء القادمين والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسين بيك جوجو واسماعيل بيك زوج هانم وجن على وعلى بيك السروجى وقاسم بيك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم الى الديوان بالقلعة . فخلع الباشا على على بيك واستقر فى مشيخة البلد كما كان ، وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضا فى اماراتهم كما كانوا ونزلوا الى بيوتهم . وثبت قدم على بيك فى امارة مصر ورئاستها فى هذه المرة ، وظهر بعد ذلك الظهور التام ، وملك الديار المصرية ، والأقطار الحجازية ، والبلاد الشامية ، وقتل المتمردين ، وقطع المعاندين ، وشتت شمل المنافقين ، وخرق القواعد ، وخرم العوائد ، وأخرب البيوت القديمة ، وأبطل الطرائق التى كانت مستقيمة .

ثم انه حضر سليمان أغا كتخدا الجاويشية وصناجقه الى مصر وعزم على نفى بعض الأعيان واخراجهم من مصر ، فعلم أنه لايتمكن من أغراضه مع وجود حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لايصفو له الحال . فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله ، فحضر حسن بيك جوجو وعلى بيك جن على عند على بيك ، وجلسوا معه حصة من الليل وقام ليذهب الى بيته فركب وركب معه جن على ومحمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ليذهبوا أيضا الى بيوتهم لاتحاد الطريق . فلما صاروا فى الطريق التى عند بيت الشابورى خلف جامع قوصون ، سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بيك وقتلوه وقتلوا معه أيضا جن على ورجعوا وأخبروا سيدهم على بيك .

رجب

٨ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٦٧ م) :

أصبح على بيك مالكا للأبواب ، ورسم بنفى قاسم بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وعبد الرحمن

بيك واسماعيل بيك كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك ابراهيم كتخدا وخليل جاويش درب الحجر .

شوال

فى ١١ منه (اول مارس ١٧٦٨ م) :

اخرج أيضا نحو الثلاثين شخصا من الأعيان ونفاهم فى البلاد . وفيهم ثمانية عشر أميرا من جماعة الفلاح (١) وفيهم على كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح وابراهيم كتخدا مناو وسليمان أغا كتخدا جاووشان الكبير وصناجقه حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى وخلافهم مقادم وأوده باشية ، فنفى الجميع الى جهة قبلى . وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية الى السويس ليذهب الى الحجاز من القلزم واستمر هناك الى أن مات .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه علقة قوية ونفاه الى بلدة جناج (٢) فلم يزل بها الى أن مات . وكان من دهاة العالم ، وكان كاتبا عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ، وله شهرة وسمعة فى السعى وقضاء الدعاوى والشكاوى والتحيلات والمداهنات والتلبيسات وغير ذلك .

ذو الحجة

(أبريل ١٧٦٨) :

فيه وصلت أخبار عن حسين بك كشكش (١) وخليل بيك ، أنهم لما وصلوا الى غزة جمعوا جموعا ، وأنهم قادمون الى مصر . فشرع على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة ، وبرزوا وسافروا .

ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا الى جهة دمياط ، ونهبوا منها شيئا كثيرا ، ثم حضروا الى المنصورة ونهبوا منها كذلك . فأرسل على بيك يأمر التجريدة بالذهاب اليهم ، وأرسل لهم أيضا عسكرا من البحر ، فتلاقوا معهم عند الديرص والجراح من أعمال المنصورة عند سمنود . فوقع بينهم وقعة عظيمة ، وانهزمت التجريدة وولوا راجعين ، وقتل فى هذه المعركة سليمان جربجى باش اختيار جمليان ، وأحمد طنان جراكسة ، وعمر أغا جاووشان أمين الشون — وكانوا صدور الوجاقات .

ولم يزالوا فى هزيمتهم الى دجوة . فلما وصل الخبر بذلك الى على بيك اهتم لذلك ونزل الباشا وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة، وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد ، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقليا أو عليه عتامنة يشهل نفسه ويطلع الى التجريدة أو يخرج عنه بدلا .

واجتهد على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة أخرى ، وكبيرها محمد بيك أبو الذهب ، وسافروا فى أوائل المحرم ، واجتمعوا بالتجريدة الأولى .. وسار الجميع خلف حسين بيك وخليل بيك ومن معهم . وكانوا عدوا الى بر الغربية بعد أن هزموا التجريدة . فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ساقوا خلفهم ، كما فعل على بيك وصالح بيك ،

---

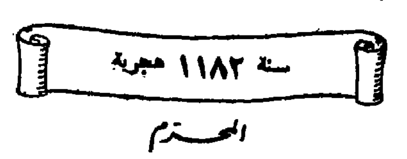
(١) جماعة الفلاح استاذهم الحاج صالح الفلاح من قرية الراهب بالمنوفية . ولد (١١٦٧ هـ) وتربى بمنزل على كتخدا الجلفى ولم يزل ينتقل فى الأطوار حتى صار من أرباب الأموال واشترى المماليك والعبيد والجوارى يزوجهم من بعضهم ويشترى لهم الدور والايراد ويدخلهم الوجاقات والبلكات بالصانعات والرشوات لأرباب الحل والعقد والمتكلمين وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة كتخداءات واختيارية وامراء طبلخانات وجاويشية وأوذباشية وصار لهم اتباع ومماليك .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٦)

(٢) قرية تابعة الآن لمركز بسيون غربية .

(١) عاد من غزة بعد ثمانية أشهر فى جيش من فرسان المماليك والدروز ومشاة المغاربة (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٣١)

لدخلوا الى مصر من غير مانع .. ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك .



المحـرم

الخميس ٢ منه (١٩ مايو ١٧٦٨ م) (٢) :

سـافرت التجريدة المعينـة الى بحرى بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم ، وهم حسين بيك وخليل بيك ومن معهم . وقد بذل جهده على بيك حتى شهل أمرها ولوازمها فى أسرع وقت ، وأميرها وسر عسكرها محمد بيك أبو الذهب .

فلما وصلوا الى ناحية دجوة وجدوهم عدوا الى مسجد الخضر ، فعدوا خلفهم .. فوجدوهم قـد ذهبوا الى طندتا وكرنكوا بها ، فتبعوهم الى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة .

منتصفه : (١ يونيو ١٧٦٨ م) :

وقعت الحـرب بينهم ، ولم تزل قائمـة بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانة والبارود ... فعند ذلك أرسلوا الى محمد بيك وطلبوا منه الأمان ، فأعطاهم الأمان وارتفـع الحـرب بين الفريقين وكاتبهم محمد بيك وخادعهم ، والتزم لهم باجراء الصلح بينهم وبين مخدومه على بيك ، فانخدعوا له وصـدقوه ، وانحلت عـزائمهم ، واختلفت آراؤهم ، وسكن الحال تلك الليلة .

ثم ان محمد بيك أرسل فى ثانى يوم الى حسين بيك ستدعيهليعمل معه مشورة فحضرعنده بمفرده وصحبته خليل بيك السكران تابعه فقط . فلمـا وصلوا الى مجلسه لم يجدوه . فعندما استقر بهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهما (١) .

وحضر فى اثرهما حسن بيك شبكة ولم يعـلم ما جرى لسيده . فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر فأراد الرجوع فعاقه رجـل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع الى الأرض فلحقـه بعض الجند واحتز رأسه . فلما علم بذلك خليل بيك الكبير ومن معه ، ذهبوا الى ضريح سيدى أحمد البدوى والتجئوا الى قبره ، واشتد بهم الخوف ، وعلموا أنهم لاحقون باخوانهم ، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم وأرسل محمد بيك يستشير سيده فى أمر خليل بيك ومن معه فأمر بنفيه الى ثغـر الاسكندرية وخنقوه بعد ذلك بها .

الجمعة ١٧ منه (٣ يونيو ١٧٦٨ م) :

رجع محمد بيك وصـالح بيك والتجريدة ، ودخلوا المدينة من باب النصر فى موكب عظيم ، وأمامهم الرؤوس محمولة فى صوان من فضـة ، والخدم يقولون « صلوا على محمـد » ، وصالح بيك ظاهر بوجهه الانقباض والتعبيس ، وعدتهـا ستة رؤوس . وهى : رأس حسين بيك وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وسليمان أغا الوالى .

صـفـر

١٤ منه (٣٠ يونيه ١٧٦٨ م) :

حضر نجاب الحج واطمأن الناس .

١٧ منه (٣ يوليو ١٧٦٨ م) :

وصل الحجاج بالسلامة ، ودخلوا المدينة — — وأمير الحج خليل بيك بلفيه — وسر النـاس

---

(٢) فى هذه السنة طلب الباب العالى ١٢ الف نفـر لمحاربة الروسيا فاوقعت المماليك والباشا الفتن فى حق عـلى بيك فورد فرمان شاهانى بقتله وارسال راسه الى الاستانة لكنه لم يفـد حيث علم بذلك على بيك وتربص لحامل الفرمان ورفقائه الاربعة وقتلوا بامره واعلن استقلال مصر وكتب الى امير عكا بذلك .
(التوفيقات الالهامية)

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان انه قتل فى هذه المكيدة مع حسين بك خمسة من صناجقه ايضا .

بسلامة الحجاج ، وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع .

١٨ منه (٤ يوليو ١٧٦٨ م) :

أخرج على بيك جملة من الأمراء من مصر ، ونفى بعضهم الى الصعيد وبعضهم الى الحجاز ، وأرسل البعض الى الفيوم ، وفيهم محمد كتخدا — تابع عبد الله كتخدا — وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان ، وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلى وحسن افندى الباقرجى وبعض أوده باشيه وعلى جربجى وعلى افندى الشريف جمليان .

وفيه : صرف على بيك الجامكية .

وفيه : أرسل على بيك وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيدى أحمد البدوى ، وصادرهم ، وأخذ منهم أموالا عظيمة لايقدر قدرها ، وأخرجهم من البلدة ، ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدى . وأرسل الحاج حسن عبد المعطى وقيده بالسدنة عوضا عن المذكورين ، وشرع فى بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة ، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطىء وغير ذلك .

ربيع الأول

٩ منه (٢٤ يولية ١٧٦٨ م) :

حضر قابجى من الديار الرومية بمرسوم وقفطان وسيف لعلى بيك من الدولة .

وفيه : وصلت الأخبار بموت خليل بيك الكبير بثغر الاسكندرية مخنوقا .

١٢ منه (٢٧ يوليه ١٧٦٨ م) :

نزل الباشا الى بيت على بيك باستدعائه ، فتغدى عنده ، وقدم له تقادم وهدايا .

ربيع الآخر

١٨ منه (١ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

اجتمع الأمراء بمنزل على بيك على العادة — وفيهم صالح بيك — وقد كان على بيك بيت مع أتباعه على قتل صالح بيك . فلما انقضى المجلس وركب صالح بيك ، ركب معه محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وأحمد بيك بشناق ، المعروف بالجزار ، وحسن بيك الجداوى ، وعلى بيك الطنطاوى ... وأحدق الجميع بصالح بيك ، ومن خلفهم الجند والمماليك والطوائف .. فلما وصلوا الى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور ، تأخر محمد بيك ومن معه عن صالح بيك قليلا ، وأحدث له محمد بيك حماقة مع سائسه ، وسحب سيفه من غمده سريعا وضرب صالح بيك (١) وسحب الاخرون سيوفهم ، ما عدا أحمد بيك بشناق ، وكملوا قتلتــه ووقع طريحا على الأرض . ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم الى القلعة . وعندما رأى مماليك صالح بيك وأتباعه مانزل بسيدهم خرجوا على وجوههم .

ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة ، وجلسوا مع بعضهم يتحدثون ، عاتبوا أحمد بيك بشناق على عدم ضربه معهم صالح بيك ، وقالوا له « لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا ؟ » فقال : « بل ضربت معكم » . فكذبوه ، فقال له بعضهم : « أرنا سيفك » ، فامتنع وقال : « ان سيفى لا يخرج من غمده لأجل الفرجة » ، ثم سكتوا .. وأخذ فى نفسه منهم ، وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته .

---

(١) وبموت صالح بيك تخلص على بيك من آخر صنجق كان يحتمل أن ينافسه فى مشيخة البلد ، واستقرت الأمور وسلست قيادتها لعلى بيك الذى أصبح شيخ البلد وسيدها الفعلى .

وذلك أن أحمد بيك (١) هذا لم يكن مملوكا لعلى بيك ، وانما كان أصله من بلاد بشناق ... حضر الى مصر فى جملة أتباع على باشا الحكيم عندما كان واليا على مصر فى سنة تسع وستين ومائة وألف (١٧٥٥ م) فأقام فى خدمته الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (١٧٥٧ م) . وتلبس صالح بيك بأمارة الحج فى ذلك التاريخ ، فاستأذن أحمد بيك المذكور على باشا فى الحج وأذن له ، فحج مع صالح بيك وأكرمه وأحبه وألبسه زى المصريين ورجع صحبته . وتنقلت به الأحوال ، وخدم عند عبد الله بيك على ، ثم خدم عند على بيك فأعجبته شجاعته وفروسيته فرقاه فى المناصب حتى قلده الصنجقية وصار من الأمراء المعدودين ، فلم يزل يراعى منة صالح بيك السابقة عليه .

فلما عزم على بيك على خيانة صالح بيك وغدره خصصه بالذكر ، وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما يعلمه فيه من العصبية له ، فقيل له : ان أحمد بيك أسر ذلك الى صالح بيك وحذره غدر على بيك اياه فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق . ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه فى شىء ، ولم ينكر عليه فعلا . فلما اختلى صالح بك بعلى بيك أشار اليه بما بلغه ، فحلف له على بيك بأن ذلك نفاق من المخبر ولم يعلم من هو .

فلما حصل ما حصل ، ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة ... تخيل وداخله الوهم وتحقق فى ظنه تجسم القضية . فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا الى منازلهم ، تفكر تلك الليلة ، وخرج من مصر ، وذهب الى الاسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر . فلما تأخر حضوره بمنزل على بيك وركوبه ، سألوا عنه ، فقيل لهم : انه متوعك ، فحضر اليه فى ثانى يوم محمد بيك ليعوده وطلب الدخول اليه ، فلم يمكنهم منعه فدخل الى محل مبيته فلم يجده فى فراشه ، فسأل عنه حريمه . فقالوا : لا نعلم له محلا ، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه وفتشوا عليه فلم يجدوه .

وأرسل على بيك عبد الرحمن أغا وأمره بالتفتيش عليه وقتله ، فأحاط بالبيت — وهو بيت شكره فره — وفتش عليه فى البيت والخطة فلم يجده . وهو قد كان هرب ليلة الواقعة فى صورة جزائرلى مغربى ، وقصقص لحيته ، وسعى بمفرده الى شلقان ، وسافر الى بحرى ووصل السعاة بخبره الى على بيك بأنه بالاسكندرية فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتمى بها وكان من أمره ما كان بعد ذلك ، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذى تملك عكا ، وتولى الشام وامارة الحج الشامى ، وطار صيته فى الممالك .

وفيه عين على بيك تجريدة على سويلم بن حبيب (١) وعرب الجزيرة ، فنزل محمد بيك بتجريدة الى عرب الجزيرة ، وأيوب بيك الى سويلم . فلما

---

(١) يقول الاستاذ رفعت رمضان (ص ٣٤) : الثابت أن على بيك تحمل بسبب ذلك عداء احمد بيك بشناق (الشهير بالجزار) . وبيان ذلك أن على بيك حرض الجزار فيمن حرضهم على قتل صالح بيك . ولما كان الجزار من أخلص الناس لصالح بيك — لفضل الأخير عليه أيام كان منفيا بالصعيد — فقد اعتذر لعلى بيك ، فكتم هذا غيظه وتصنع امامه اكباره لشهامته وأكد له أنه انما كان يختبر اخلاصه واستشف احمد نيات على بيك الحقيقية فاسرع واسرها الى صالح بيك الذى انكرها ظاهرا واستنكرها باطنا لما كان بينه وبين على بيك من المواثيق . كما أن على بيك اسرع يغطى الموقف فهنأ صالح بيك باخلاص الجزار ونوه عليه قائلا : ينبغى لك يا أخى ان تختبر رجالك أيضا لئلا يكون بينهم خيانة وانا قد اختبرت الجزار فوجدته نصوحا .

(١) ورث سويلم بن حبيب وشقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وانتهت اليه زعامة جميع القبائل هناك وهابه الجميع لجرأته وشدة بأسه وأغاظوا أعماله بهالة من الخيال (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٥)

ذهب أيوب بيك الى دجوة (١) فلم يجدوا بها أحدا وكان سويلم بائتا فى سندنهور وباقى الحبايبة متفرقين فى البلاد ، فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه الى البحيرة ، والتجأ الى الهنادى .. ونهبوا دوائره ومواشيه ، وحضروا بالمنهوبات الى مصر . واحتج عليه بسبب واقعة حسين بيك وخليل بيك لما أتيا الى دجوة بعيد واقعة الديرس والجراح قدم لهم التقادم ، وساعدهم بالكلف والذبائح ونحو ذلك . والغرض الباطنى اجتهاده فى ازالة أصحاب المظاهر كائنا ما كان .

الاثنين ١٩ منه (٢ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

أمر على بيك باخراج على كتخدا الخربوطلى منفيا ، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه ونفى حسن أفندى درب الشمسى واخوته الى السويس ليذهبوا الى الحجاز ، وسليمان كتخدا الجلفى ، وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ وكان خليل بيك الأسيوطى بالشرقية ، فلما سمع بقتل صالح بيك هرب الى غزة .

جمادى الأولى

٥ منه (١٧ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

طلع على بيك الى القلعة ، وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه ، وكذلك وجاقلية ، وقلد ايوب بيك تابعه ولاية جرجا وحسن بيك رضوان أمير حج .

جمادى الآخرة

(اكتوبر ـ نوفمبر ١٧٦٨ م)

قلد اسماعيل بيك الدفتردارية وصرف المواجب فى ذلك اليوم .

(١) دجوة قرية صغيرة من مديرية القليوبية واقعة على الضفة الشرقية لفرع دمياط وكانت مركز عرب اولاد حبيب .
(على مبارك ـ الخطط ج ١ ص ١٠١)

رجب

منتصفه (٢٥ نوفمبر ١٧٦٨ م)

وصل أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسوم . وكان على بيك احضر سليمان بيك الشابورى من نفيته بناحية المنصورة ، وكان منفيا هناك من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف (١٧٥٨ م) .

وفى يوم الثلاثاء عملوا الديوان بالقلعة ، ولبسوا سليمان بيك الشابورى أمير السفر الموجه الى الروم ، وأخذوا فى تشهيله . وسافر محمد بيك أبو الذهب بتجريدة — ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين — لمنابذة شيخ العرب همام . فلما قربوا من بلاده ترددت بينهم الرسل ، واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها ، واتفقوا على ذلك . ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بيك مولود ، فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضا انعاما منه للمولود ، ورجع محمد بيك ومن معه الى مصر .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ أحمد الكتبى المعروف بالسقط وضربه علقة قوية ، وأمر بنفيه الى قبرص . فلما نزل الى البحر الرومى ذهب الى اسلامبول ، وصاهر حسن أفندى قطه مسكين المنجم ، وأقام هناك الى أن مات . وكان المذكور من دهاة العالم يسعى فى القضايا والدعاوى ، يحيى الباطل ، ويبطل الحق بحسن سبكه وتداخله .

فى ١٧ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٦٨ م) :

حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا . وكان أراد أن يحدث حركة فوشى به كتخداه عبد الله بيك الى على بيك ، فأصبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والمحجر وحوالى القلعة ، وأمروه

بالنزول ، فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بيك كشك ، وأجلسوا عنده الحرسجية ..

شعبان

في غرته (١١ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

تقلد على بيك قائمقامية عوضا عن الباشا .

الخميس ٥ منه (١٥ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

أرسل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان الى رجل من الأجناد يسمى اسماعيل أغا من القاسمية وأمره بقتله ، وكان اسماعيل هذا منفيا جهة بحرى، وحضر الى مصرقبل ذلك وأقام ببيته جهة الصليبة ، وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية والأقدام . فلما وصل الأغا حذاء بيته وطلبه ، ونظر الى الأغا واتباعه ينتظره علم أنه يطلبه ليقتله كغيره ، لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر على بيك ! فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن عنده أحد سوى زوجته ، وهي أيضا جارية تركية ، وعمر بندقيته وقرابينته وضرب عليهم ، فلم يستطيعوا العبور اليه من الباب ، وصارت زوجته تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناسا وانجرح كذلك . واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده ! وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه — وهو ممتنع عليهم — الى أن فرغ منه البارود والرصاص، ونادوه بالأمان فصدقهم ونزل من الدرج . فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج ، وتكاثروا عليه وقتلوه وقطعوا رأسه ظلما رحمه الله تعالى .

في ١٩ منه (٢٩ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

صرفت المواجب على الناس والفقراء .

في ٢٨ منه (٧ يناير ١٧٦٩ م) :

خرج موكب السفر الموجه الى الروم في تجمل زائد .

رمضان

في ١٠ منه (١٨ يناير ١٧٦٩ م) :

قبض على بيك على المعلم اسحق اليهودي ، معلم الديوان ببولاق ، وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب وضربه حتى مات . وكذلك صادر أناسا كثيرة في أموالهم من التجار مثل المشوبي والكمين وغيرهما . وهو الذي ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبادىء ظهوره واقتدى به من بعده .

شوال

(فبراير ١٧٦٩ م) :

وفيه : هيأ على بيك هدية حافلة وخيولا مصرية جيادا ، وأرسلها الى اسلامبول للسلطان ورجال الدولة . وكان المتسفر بذلك ابراهيم أغا سراج باشا ، وكتب مكاتبات الى الدولة ورجالها ، والتمس من الشيخ الوالد (١) أن يكتب له أيضا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه واشارته عندهم . ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ، وطلب عزله عنها بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين اليه ومعاونته لهم ، وطلب منه أن يرسل من طرفه أناسا مخصوصين . فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشي ومحمد افندى البردلي فسافروا مع الهدية وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامي أيضا .

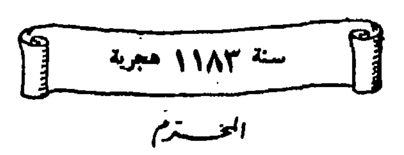
ذو القعدة

في ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٦٩ م) :

رسم بنفي جماعة من الأمراء أيضا ، وفيهم ابراهيم أغا الساعي اختيار متفرقة ، واسماعيل أفندي جاويشان وخليل أغا باشجاويشان جمليان وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندي جراكسة ورضوان بيك تابع حسن بيك رضوان والزعفراني.

(١) يقصد والد الجبرتي

فأرسل منهم الى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلى، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم ، واستولى على بلادهم وفرقها فى أتباعه . وكانت هذه طريقته فيمن يخرجه : يستصفى أموالهم أولا ، ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم واقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم فى مكانهم . ونفى أيضا ابراهيم كتخدا جدك وابنه محمد الى رشيد ، وكان ابراهيم هذا كتخداه ثم عزله وولاه الحسبة ، فلما نفاه ولى مكانه فى الحسبة مصطفى أغا .



المحرم

(مايو ١٧٦٩ م) :

فيه : أخرج على بيك عثمان أغا الوكيل من مصر منفيا الى جهة الشام ، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالى وأغات الضربخانة الى جهة الروم . وكان أحمد أغا هذا رجلا عظيما ذا غنية كبيرة وثروة زائدة ، فصادره على بيك فى ماله وأمره بالخروج من مصر ، فأحضر المطربازية والدلالين والتجار وأخرج متاعه وذخائره وباعها بسوق المزاد بينهم ، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر اليها ويتحسر ، ثم سافر الى جهة الاسكندرية .

وفيه : توفى محمد باشا الذى كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل، ولعله مات مسموما ، ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن الباشوات بالقرب من الامام الشافعى .

ونزل الحج ودخل الى مصر مع أمير الحج خليل بيك بلفيا فى أمن وأمان .

صفر

(يونيو ١٧٦٩ م) :

وصل باشا من طريق البر ، وطلع الأمراء الى العادلية لملاقاته ، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب .

وفيه : أخرج على بيك حسن بيك رضوان وأتباعه الى مسجد وصيف ثم نقل منها الى المحلة الكبرى فأقام سنين .

وفيه : أرسل على بيك تجريدة الى سويلم ابن حبيب والهنادى بالبحيرة وباش التجريدة اسماعيل بيك . وذلك أن ابن حبيب لما رحل من دجوة ، ذهب الى البحيرة وانضم الى عرب الهنادى. وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بيك ، تابع على بيك ، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بيك المذكور فى المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه .

وكان أحمد بيك بشناق لما خرج من مصر هاربا ، بعد قتل صالح بيك ، ذهب الى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانين ، ومنهم يحيى السكرى وعلى أغا المعمار وعلى بيك الملط وغيرهم ، وزيفوا بسبب المغرضين لعلى بيك بدار السلطنة فنزلوا فى مركبين الى درنة فوصلوها متفرقين ، فالتى وصلت أولا بها يحيى السكرى وعلى المعمار والملط ، فركبوا عندما وصلوا الى درنة ، وذهبوا الى الصعيد ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة تحاربوا مع الحبايبة ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحبايبة والهنادى — ومعهم أحمد بيك بشناق — ثلاثة أيام . وكان سويلم بن حبيب منعزلا فى خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيدا عن المعركة ، فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانه ، فكبسوه وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح .. واشتهر ذلك فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادى وعرب الجزيرة والصوالحة وغيرهم ، وراحت كسرة على الجميع ، ولم يقم لهم قائم من ذلك اليوم .

وتغيب أحمد بيك بشناق فلم يظهر الا بعد مدة ببلاد الشام .

وفيه : تقلد أيوب بيك على منصب جرجا ، وخرج مسافرا ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد ، فوصلوا الى قرب أسيوط . فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنافى وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها .

وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بيك أبوالذهب الى جهة قبلى لمنابذة شيخ العرب همام[1] كما تقدم ، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهمام من حدود برديس[2] وتم الأمر على ذلك ورجع محمد بيك الى مصر ، وأرسل على بيك يقول له : « انى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ، ولا تبقى منهم أحدا بدائرتك فجمعهم وأخبرهم بذلك . وقال لهم : « اذهبوا الى أسيوط واملكوها قبل كل شيء فان فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة ، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال » فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا الى أسيوط — وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف على بيك وذى الفقار كاشف — وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها ، وبنوا كرانك والبوابة ، وركب عليها المدافع .. فتحيل القوم ليلا وزحفوا الى البوابة ، ومعهم أنخاخ وأحطاب ، جعلوا فيها الكبريت والزيت ، وأشعلوها وأحرقوا الباب ، وهجموا على البلدة ، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم وهم جماعة صالح بيك وباقى القاسمية ، وجماعة الخشاب ، وجماعة الفلاح ، وجماعة مناو ، ويحيى السكرى وسليمان الجلفى وحسن كاشف ترك وحسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى وعبد الرحمن كاشف من خشداشين صالح بيك — وكان من الشجعان — ومحمد كتخدا الجلفى وعلى بيك الملط — تابع خليل بيك — وجماعة كشكش وغيرهم ، ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد — فملكوا أسيوط وتحصنوا بها ، وهرب من كان فيها .

وردت الأخبار بذلك الى على بيك فعين للسفر ابراهيم بيك بلفيا ومحمد بيك أبو شنب وعلى بيك الطنطاوى ، ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومغاربة ، وأرسل الى خليل بيك القاسمى المعروف بالأسيوطى فأحضره من غزة ، وطلع هو وابراهيم بيك — تابع محمد بيك — بعساكر أيضا ، وعزل الباشا وأنزله وحبسه ببيت ايواظ بيك عند الزير المعلق . ثم سافر محمد بيك أبو الذهب ورضوان بيك وعدة من الأمراء والصناجق ، وضم اليهم ماجمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من دلاة ودروز ومتاولة وشوام ، وسافر الجميع برا وبحرا حتى وصلوا الى أيوب بيك ، وهو يرسل خلفهم فى كل يوم بالامداد والجبخانات والذخيرة والبقسماط ، وذهب الجميع الى أن وصلوا قرب أسيوط ، ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقباط ، وتحققوا وصول محمد بيك ومن معه ، وفرحوا بذلك لأنهم كانوا رأوا فى زايرجات الرمل سقوطه فى المعركة ، ثم أجمعوا رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل ، فركبوا فى ساعة معلومة ، وسار بهم الدليل فى طوق الجبل ، وقصدوا النزول من محل كذا على ناحية كذا من العرضى ، فتاه وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو ساعتين ، وأخذوا جهة العرضى فوجدوه قبليهم بذلك المقدار ، وعلموا فوات القصد ، وأن القوم متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير مانع قبل رجوعهم من المكان الذى أتوا منه ، فما

---

(١) هو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى . وبقدر ماكانت هيبة سويلم بن حبيب فى الوجه البحرى تقوم على الرهبة من طغيانه وفجوره ، كانت هيبة همام بن يوسف فى الوجه القبلى تقوم على الاعجاب بشهامته وتقدير مجموعة الصفات النادرة التى كونت شخصيته الفذة . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٨)

(٢) كان سبق صلح سنة ١١٤٩ هـ (١٧٢٦ م) عقده همام مع ابراهيم كخيا ، مؤداه التنازل لهمام عن التزام برديس وفرشوط

وسعهم الا الذهاب اليهم ومصادمتهم على أى وجه كان ، فلم يصلوهم الا بعد طلوع النهار .

وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم — وهم قليلون بالنسبة اليهم — ووقع الحرب ، واشتد الجلاد ، وبذلوا جهدهم فى الحرب ، ويصرخ الكثير منهم بقوله : « أين محمد بيك ! » فبرز اليهم محمد بيك أبو شنب وهو يقول : « أنا محمد بيك » .. فقصدوه وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل ، وسقط جواد يحيى السكرى فلم يزل يقاتل ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، وعبد الرحمن كاشف القاسمى يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه . وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم، وذلك عند جبانة أسيوط (١) ، فتشتتوا فى الجهات ، وانضموا الى كبار الهوارة ، وملك المصريون أسيوط ، ودفنوا القتلى ومحمد بيك أبو شنب . واغتم محمد بيك أبو الذهب لموته ، وفرح لوقوع الزايرجة عليه ومفاداته له لأنه كان يعلم ذلك أيضا .

وأقاموا بأسيوط أياما ، ثم ارتحلوا الى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة. واجتمع كبار الهوارة مع من انضم اليهم من الأمراء المهزومين .. فراسل محمد بيك اسماعيل أبو عبد الله — وهو ابن عم همام — واستماله ومناه ، وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام ، حتى ركن الى قوله ، وصدق تمويهاته ، وتقاعس وتثبط عن القتال وخذل طوائفه .

ولما بلغ شيخ العرب همام ماحصل ورأى فشل القوم ، خرج من فرشوط ، وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام ومات مكمودا مقهورا ، ووصل محمد بيك ومن معه الى فرشوط فلم يجدوا مانعا فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ماكان بدوائر همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال ، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن .

ورجع الأمراء الى مصر ومحمد بيك أبو الذهب ، وصحبته درويش بن شيخ العرب همام ، فانه لما مات أبوه ، وانكسر ظهر القوم بموته ، وعلموا أنهم لانجاح لهم بعده .. أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بيك وانفصلوا عنه وتفرقوا فى الجهات ، فمنهم من ذهب الى درنة ، ومنهم من ذهب الى الروم ، ومنهم من ذهب الى الشام . وقابل درويش بن همام محمد بيك ، وحضر صحبته الى مصر ، وأسكنه فى مكان بالرحبة المقابلة لبيته ،وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته ، وكان وجيها طويلا أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة .. ثم ان على بيك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعة محمد بيك ، وذهب الى وطنه فلم يحسن السير والتدبير ، وأخذ أمره فى الانحلال ، وحاله فى الاضمحلال ، وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر فأخذوا ماوجدوه ، وحضر الى مصر والتجأ الى محمد بيك فأكرمه وأنزله بمنزل بجواره ، فلم يزل مقيما به حتى خرج محمد بيك من مصر مغاضبا لأستاذه فلحق به وسافر الى الصعيد .

وخلص الاقليم المصرى بحرى وقبلى الى على بيك وأتباعه . فشرع فى قتل المنافق الذين أخرجهم الى البنادر مثل دمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة ، فكان يرسل اليهم ويخنقهم واحدا بعد واحد .. فخنق على كتخدا الخربطلى برشيد ، وحمزة بيك — تابع خليل بيك — بزفتا وقتلوا معه سليمان أغا الوالى واسماعيل بيك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بيك — تابع خليل بيك — هرب الى مركب البيليك فحماه وذهب الى اسلامبول

(١) وكانت معركة اسيوط من احسم المواقع فى تاريخ على بيك ، وهى التى اكدت له النصر ، فاصبح سيد الوجهين وصاحب النفوذ المطلق فى جميع انحاء مصر .

(وقعت رمضان — على بيك الكبير — ص ٥٢) .

ومات هناك . ونفى أيضا جماعة وأخرجهم من مصر ، وفيهم سليمان كتخدا المشهدى وابراهيم افندى جمليان . ومات الباشا المنفصل بالبيت الذى نزل فيه ولحق بمن قبله .

رمضان

أوله (٢٩ ديسمبر ١٧٦٩ م) :

اتفق أن علي بيك صلى الجمعة الأولى من رمضان بجامع الداودية ، فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلى بيك . فلما انقضت الصلاة ، وقام على بيك يريد الانصراف ، أحضر الخطيب — وكان رجلا من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح — فقال له : « من أمرك بالدعاء باسمى على المنبر ؟ أقيل لك أنى سلطان ؟ » فقال : « نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك » . فأظهر الغيظ وأمر بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى . فقام بعد ذلك متألما من الضرب .وركب حمارا وذهب الى داره وهو يقول فى طريقه : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ » . ثم ان على بيك أرسل اليه فى ثانى يوم بدراهم وكسوة واستسمحه .

سنة ١١٨٤ هجرية

فيها ورد على على بيك ، الشريف عبد الله (١) من أشراف مكة ، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد ، أخى الشريف مساعد (١) ، منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد ، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالامارة ،وخرج الشريف عبد الله هاربا ، وذهب الى ملك الروم واستنجد به ، فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر الى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية .

وكان على بيك مشتغلا بتمهيد القطر المصرى ، ووافق ذلك غرضه الباطنى :وهو طمعه فى الاستيلاء

---

(١) هو الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات . وقد اتخذ على بيك تلك الحادثة سببا مباشرا لاعداد حملة كان الغرض الظاهرى منها مساعدة الشريف عبد الله ، بينما كان غرضه الحقيقى منها تعيين شريف لمكة يخلص لمصلحته ويضمن بطاعته ولاء ذلك الجزء الهام من الدولة الاسلامية . اذ أن وجود شريف فى مكة من صنائع الدولة العثمانية كان مثارا لمتاعب جمة قد تؤدى الى فساد أمر الحج وسخط الحجاج من مصر والشرق ولضعف من مركزه فى مصر اذا اقترن وجوده فى الحكم بتلك المتاعب لتعيين شريف من صنائعه كان عاملا أساسيا فى نظره يضمن به هدوء الاحوال . ويدخل فى اغراضه أيضا الشهرة التى يحوزها بحمايته للحرمين الشريفين وما كان سيفيده من نفوذ فى مصر ، وهيبة بلاد المغرب والسوذان وبلاد الشام وما يليها بتامين الحج للمسلمين .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٣٨ — ١٣٩)

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان فى كتابه «على بيك الكبير ص١٣٩» ان رواية الجبرتى هذه تحتاج الى تصحيح . فيقول « وايراد المسألة على تلك الصورة يحتمل اخطاء تاريخية : اولها انه جعل وفاة الشريف مساعد فى ١١٨٣ هـ والواقع أن الشريف مساعد توفى فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة اربع وثمانين ومائة والف ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر . (ابن دحلان ص ٢٠٠ — ٢٠١) ثم عاد فذكر (أى الجبرتى) أنه وقع بين الشريف عبد الله وابن عمه الشريف احمد أخى الشريف مساعد منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد فاستنجد عبد الله بملك الروم الذى أوصى به على بيك . وهذه الرواية تحتمل غموضا يؤدى الى الخطأ ، فقد وقع تنافس حقا على امارة مكة بين الشريفين احمد وعبد الله ، ولكنه ليس عبد الله الذى يقصده فان هذا تولى الشرافة فعلا ولم يحضر الى مصر ، وانما الذى استعان بعلى بيك هو ابن عمه عبد الله بن حسين من آل بركات .

ومجمل ماحدث انه بعد عودة المحمل المصرى صحبة أبى الذهب عام ١١٨٣ هـ ثم انتصار الشريف مساعد على عبد الله بن حسين فر هذا عقب الصلح الى على بيك يستنجده للمرة الثانية . وبينما كان على بيك يعد الحملة توفى الشريف مساعد قبل وصول الحملة المصرية الى بلاد العرب فى المحرم ١١٨٤ هـ (ابريل ١٧٧٠ م) . وكان قد عقد البيعة لأخيه الشريف عبد الله بن سعيد . فما كاد عبد الله هذا يتولى الشرافة حتى نازعه أخوه الشريف احمد ابن سعيد وقال : « أنا لها ، أنا لها » فنزل له عن الشرافة وقلده اياها ١١٨٤ هـ . وهكذا قدر أن تأتى الحملة المصرية لخلع الشريف مساعد فلا تجده فتضطر فيما بعد الى خلع الشريف أحمد . (ابن دحلان ص ٢٠٣ ، ومرعى التواريخ حوادث سنة ١١٨٧ هـ) . وقد انفرد الجبرتى بذكره أن الشريف عبد الله استنجد بملك الروم فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه . ومن العجيب أن السلطان العثمانى بعث الى على بيك بمثل هذا الرجاء فى اواخر ١١٨٣ هـ واوائل ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ م) ،وهى السنة التى وضحت فيها اطماعه ونوأياه . فهل كان يريد من ذلك ان يغريه على ان يقذف بنفسه وجيشه فى بلاد العرب لينهكه ويقضى على قوته كما طلب ذلك من محمد على فيما بعد ، ام ان الجبرتى أورد ذلك مجرد الايراد دون تثبت ؟ وهو المرجح .

على الممالك . فأنزله فى مكان ، وأكرمه ورتب له كفايته ، وأقام بمصر حتى تمم أغراضــه بالقطر ، وخلص له قبلى وبحرى ، وقتل من قتله ، وأخرج من أخرجـه — فالتفت عند ذلك الى مقاصــده البعيدة ، وأمر بتجهيز الذخائر والاقامات ، وعمل البقسماط الكثير حتى ملأوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمـراء المنافى الخالية . ثم عبوا ذلك وأرســل مع باقى الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعســل والســكر والأجبان فى البر والبحر ، واستكتب أصناف العساكر أتراكا ومغاربة وشواما ومتــاولة ودروزا وحضــارمة ويمــانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف فى المقدمات والمشاة ، أنزلوهم من القلزم فى المراكب وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات الحرب .

صـــفر

(يونيو ١٧٧٠ م) :

خرجت التجريدة ، بعد دخول الحجاج ، فى تجمل زائد ، ومهيأ عظيم . وسارى عسكرها محمد بيك أبو الذهب ، وصحبته حسن بيك ومصطفى بيك وخلافهم (١) .

ربيع الأول

فى ٢٢ منه (١٦ يوليو ١٧٧٠ م) :

وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع وخلافهـم من قبائل العربان والأشراف ، ووقعت الهزيمة على المذكورين ، وانتصر عليهم المصريون ، وقتل وزير الينبع (٢) المتولى من طرف شريف مكة ، وقتل معه خلائق كثيرة .

(١) يذكر ابن دحلان ص ٢٠٠ أنه كان بالحملة ثلاثة سناجق وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا .

(٢) كان درويش أغا وزير ينبع فى هذا الوقت (ابن دحلان — ص ٢٠٢) .

وفى هذا الشهر ابتدأ القحط والشــدة بمصر بسبب المصاريف المتسببة عن هـــذه الحرب ، فان هذه التجريدة تكلفت ٢٦ مليون فرنك (١)

ربيع الآخر

فى ٩ منه (٢ اغسطس ١٧٧٠ م) :

وصل نجاب الى مصر من الديار الحجازية ، وأخبر بدخول محمــد بيك ومن معــه الى مكة وانهزام الشريف أحمد وخروجه هاربا (٢) . ونهب المصريون دار الشريف ومن يلوذ به ، وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر .

وجلس الشريف عبد الله فى امارة مكة ، ونزل حسن بيك الى بندر جدة وتولى امارتها عوضا عن الباشا الذى تولاها من طرف ملك الروم ، ولذلك عرف بالجداوى .. وأقام محمد بيك أياما بمكة ثم عزم على المســير والرجوع الى مصر ، ووصــلت الأخبــار والبشائر بذلك ، وأرسلت اليه الملاقاة بالعقبة وخلافها .

رجب

اوائله (اواخر اكتوبر ١٧٧٠ م) :

لمــا ورد الخبر بوصوله الى العقبــة خرجت الأمراء الى بركة الحج والدار الحمراء لانتظــار قدومه .

فى ٨ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٧٠ م) :

وصل ودخل الى مصر فى موكب عظيم وأتت اليه العلماء والأعيان للســلام وقصــدته الشعراء بالقصائد والتهانى .

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

(٢) هرب الى الطائف . ويقول ابن دحلان ص ٢٠٣ : « كان هروبه فى منتصف ربيع الأول ١١٨٤ هـ (٩ يوليو ١٧٧٠ م) .

فى منتصفه (٤ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

عزل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان . وقلد عوضه سليم أغا الوالى ، وقلد عوض الوالى موسى أغا من أتباعه ، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر الى ناحية غزة — وهى أول حركاته الى جهة الشام — وأمره بقتل سليط شيخ عربان غزة .. فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو واخوته وأولاده . وكان سليط هذا من العصاة العتاة ، له سير وأخبار .

وفيه : زاد اهتمام على بيك بالتحرك على جهة الشام ، واستكثر من جمع طوائف العساكر ، وعمل البقسماط والبارود والذخائر والمؤن وآلات الحرب ، وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسماعيل بيك (١) ، وصحبته على بيك الطنطاوى وعلى بيك الحبشى ، فبرزوا الى جهة العادلية ، وخرجوا بما معهم من طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام والجبخانات والعربات والضوية وقرب الماء الكثيرة على الجمال والكرارات والمطابخ والطبول والزمور والنقاقير وغير ذلك . فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية أياما حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا وسافروا الى جهة الشام .

فى ٢١ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

برزت تجريدة أخرى ، وعليها سليمان بيك وعمر كاشف وجملة كثيرة من العساكر ، فنزلوا من طريق البحر على دمياط .

ذو القعدة

فى ١٠ منه (٢٥ فبراير ١٧٧١ م) :

وردت أخبار من جهة الشام ، وأشيع وقوع حرابات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم .

(١) لاسماعيل بيك مواقف مشهورة منها : القضاء على سويلم ابن حبيب ، وانتصاراته فى الحجاز ، وتأثيره على ابى الذهب فى حملة الشام ، لم توليه المشاخة لهما بعد .

فى منتصفه (٢ مارس ١٧٧١ م) :

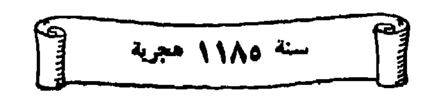
خرجت تجريدة أخرى ، وسافرت على طريق البر على النسق .

فى ١٧ منه (٤ مارس ١٧٧١ م) :

طلب على بيك حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجى وباش قلفه واسماعيل أغا الزعيم وآخرين ، وصادرهم فى نحو أربعمائة كيس بعد ماعوقهم أياما .

فى أواخره (اوائل مارس ١٧٧١ م) :

عمل على بيك دراهم على القرى ، وقرر على كل بلد مائة ريال وثلاثة ريالات حق طريق ، فضجت الناس من ذلك ، وطلب من النصارى القبط مائة ألف ريال ، ومن اليهود أربعين ألفا ، وقبضت جميعها فى أسرع وقت .



وفيها : أخرج على بيك تجريدة عظيمة ، وسر عسكرها وأميرها محمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ورضوان بيك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم ، وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة . . . وخرجوا فى تجمل زائد واستعداد عظيم ، ومعهم الطبول والزمور والذخائر والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال ، وأجناس العالم ألوفا مؤلفة . وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن ، وسافرت من طريق دمياط فى البحر . (١)

(١) كان على بيك يطمع فى ان تمتلك البندقية جزر الدولة العثمانية فى البحر الابيض . وارسل الى البندقية يعرض محالفته ومساعدته لها لتكون قاعدة حربية له . فردت جمهورية البندقية شاكرة ومعتذرة . وقام بهذه الرسالة يعقوب الارمنى احد معاونى على بك . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٦٠) .

فلمـا وصـلوا الى الديار الشامية ، حاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملـكوها بعد أيام كثيرة ، ثم توجهوا الى باقى المـدن والقـرى وحاربهم النـواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية الى حد حلب .

ربيع الأول

(يونية ــ يولية ١٧٧١ م) :

وردت البشائر بذلك فنودى بالزينة ، فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وعملت وقدات وأحمال قناديل وشـموع بالأسواق وسائر الجهات ، وعملوا ولائم ومغانى وآلات وطبولا وشنكا وحراقات .

وتعاظم على بيك فى نفسه ولم يكتف بذلك ، فأرسل الى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها ، وأن يستمر فى سيره ويتعدى الحدود ، ويستولى على الممالك الى حيث شاء ، وهو يتابع اليه ارسال الامـدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به (١)

فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشينه الكبار فى خلوة وعرض عليهم الأوامر ، فضـاقت نفوسهم ، وسئموا الحرب والقتال والغربة وذلك مافى نفس محمد بيك أيضـا . ثم قـال لهم : «ماتقولون ؟» . قالوا : « وما الذى نقوله والرأى لك ، فأنت كبيرنا ، ونحن تحت أمرك واشـارتك ولا نخالفك فيما تأمر به » . فقال : « ربما يكون

(١) ذكر الرحالة فولنى ــ ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام ــ ترجمة أدوار البستانى « أن الاشاعات تواترت بأن عدد الحملة المصرية ٦٠,٠٠٠ مقاتل وان الاوربيين دهشوا لضخامة تلك الحملة لظنهم ان كفاءة الجندى المصرى لاتقل من نظيره الروسى أو البروسى . ثم ذكر ان الجيش كان معدوم النظام فرسانه مختلفو السلاح واللبس وخيولهم مختلفة الالوان والاحجام ، لا يسيرون فى صفوف منظمة او وفق توزيع خاص » .

رأيى مخالفا لأمر أستاذنا » . قالوا : « ولو مخالفا لأمره فنحن جميعا لانخرج عن أمرك واشارتك » . فقال : « لا أقول لكم شيئا حتى تتحالف جميعـا وتتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا » . ففعلوا ذلك ، وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب .

ثم انه قال لهم : « ان أسـتاذكم يـريد أن تقطعوا أعمـاركم فى الغربة والحرب والأسـفار والبعد عن الأوطان ، وكلما فرغنـا من شىء فتح علينا غيره . فرأيى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع الى مصر ولا نذهب الى جهة من الجهات ، وقد فرغنا من خدمتنا ، وان كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم الى مايريد ، ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا وعند عيالنا » . فقالوا جميعـا : « ونحن على رأيك » . وأصبحوا راحلين وطالبين الى مصر (١) .

رجب

أواخره (أوائل نوفمبر ١٧٧١ م) :

حضروا على خلاف مراد مخدومهم (٢) ، وبقى الأمر على السكوت . ثم ان على بيك قلد أيـوب بيك امارة جرجا وقضى أشغاله وسافر الى الصعيد بطائفته وأتباعه .

انقضى شـعبان ورمضان (نوفمبر وديسمبر ١٧٧١ م) : وعلى بيـك مصمم على رجوع محمد

(١) حاول كثير من الكتاب والمؤرخين تعليل هـذا الانسحاب فمنهم من ينسب ذلك الى اسماعيل بيك لميله الى الدولة العثمانية وحسده لابى الذهب بحرضه على عدم اطاعته لاوامر على بيك . ومنهم من ينسبه الى أبى الذهب نفسه ، فكان يدبر وسيلة للقضاء على على بيك منذ زمن طويل وأنه كان يمهد لنفسه طريق الحكم والسلطان عندما تنضج الثمرة . وقد حانت الفرصة فعاد لاقتطالها .

(ولعت رمضان ــ على بيك الكبير ص ١٧٤).

(٢) روج ابو الذهب اشاعة قبيل الانسحاب بوفاة على بيك . ابتكرها بنفسه وروجها أنصاره بقصد اغراء الجند على سرعة العودة الى مصر .

(المصدر السابق ص ١٧٦) .

بيك الى جهة الشام ، وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدت بينهما الوحشة الباطنية .

شوال

فى ٤ منه (١٠ يناير ١٧٧٢ م) :

فى هذه الليلة : بيت على بيك مع على بيك الطنطاوى وخلافه ، واتفق معهم على غدر محمد بيك .. فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره ، ووقفت له العساكر بالأسلحة فى الطرق . فركب فى خاصته وخرج من بينهم وذهب الى ناحية البساتين وارتحل الى الصعيد [1] فحضر اليه بعض الأمراء أصحاب المناصب ، وعلى كاشف ، تابع سليمان افندى كاشف ، شرق أولاد يحيى ، وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات . ولم يزل فى سيره حتى وصل الى جرجا ، واجتمع عليه أيوب بيك خشداشه ، وأظهر له المصافاة والمؤاخاة ، وقدم له هدايا وخيولا وخياما .. فلم يلبث الا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلا ومعه مكاتبة من على بيك ، خطابا لأيوب بيك ، يأمره ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بيك بأى وجه أمكنه ويعبده امارته وبلاده وغير ذلك .

فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له : « تذهب اليه بالكتاب وائتنى بجوابه ولك مزيدالاكرام» . فذهب ذلك الساعى وأوصل الكتاب الى أيوب بيك وطلب منه رد الجواب وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد فى تتميم الغرض ، ومترقب حصول الفرصة ، فحضر به الى محمد بيك .

فعند ذلك استعد محمد بيك وتحقق خيانته ونفاقه . فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب ، وأنه اذا حضر اليه أيوب بيك أخذ أرباب المناصب نظراءهم وتحفظوا عليهم . فلما حضر فى صبحها أيوب بيك جلس معه فى خلوة ، وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراءهم من جماعة محمد بيك .

ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك : « يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشام ؟ » . قال : « نعم وزيادة » . قال : « ومن نكث ذلك وخان اليمين ونقض العهد ؟ » . قال : « يقطع لسانه الذى حلف به ويده التى وضعها على المصحف » . فعند ذلك قال له : « بلغنى أنه أتاك كتاب من أستاذنا على بيك » ، فجحد ذلك . فقال : « لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضا » . قال : « لم يكن ذلك أبدا ، ولو أتانى منه جواب لأطلعتك عليه ولا يصح أنى أكتمه عنك أو أرد له جوابا » .

فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه ، وأحضر اليه ذلك الرسول .. فسقط فى يده ، وأخذ يتنصل ببارد العذر . فعند ذلك قال له : « حينئذ لا تصح مرافقتك معى وقم فاذهب الى سيدك » . وأمر بالقبض عليه وأنزلوه الى المركب ، وأحاط بوطاقه وأسبابه وتفرقت عنه جموعه . فلما صار وحيدا فى قبضته أحضر عبد الرحمن أغا ، وكان اذ ذاك بناحية قبلى ، وانضم الى محمد بيك فقال له : « اذهب الى أيوب بيك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك » . فأخذ معه المشاعلى وحضر اليه فى السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا فى لسانه سنارة

(١) أمر على بيك باغلاق أبواب القاهرة ، فاغلقت ، وأمر الحرس بعدم السماح لكائن من كان بولوجها داخلا او خارجا ، وتهيأت النفوس لحدث على وشك الوقوع دون أن يعلموا كنهه . ثم عهد الى على بيك طنطاوى واتباعه فى تنفيذ الخطة . ولكن أبا الذهب كان أسعد حظا ، فقد نجح فى اختراق الحصار الذى ضرب حول منزله ثم أمر حراس احد الابواب أن يفتحوه بأمر على بيك حتى يقوم بأداء رسالة خطيرة أمره بها مولاه ، وبذلك تمكن من الفرار الى الصعيد .

(رفعت رمضان – على بيك الكبير ص ١٧٩)

وجذبوه ليقطعوه ، فتخلص منهم وألقى بنفسه الى البحر فغرق ومات (١)

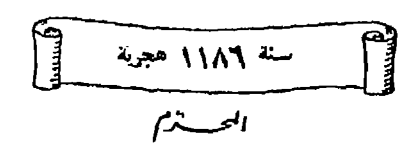
وكان قصد محمد بيك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة الى سيده بمصر . ثم انهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . فعند ماوقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محمد بيك ، وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده ، وقد كانوا محجمين عن الحضور اليه ويظنون خلاف ذلك ، وحضر اليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بيك وسلب نعمتهم ، فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة ، واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب ، وهم أيضا تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم فى طاعته .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، وحضر اليه كثير من مماليك أيوب بيك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ الى محمد بيك وأتباعه . فعند ذلك نزل بعلى بيك من القهر والغيظ المكظوم ما لا يوصف ، وشرع فى تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسرعسكرها اسماعيل بيك ، واحتفل بها احتفالا كثيرا ، وأمر بجمع أصناف العساكر ، واجتهد فى تنجيز أمرها فى أسرع وقت .

ذو القعدة

فى اواخره (أوائل مارس ١٧٧٢ م) :

سافروا برا وبحرا ، فلما التقى الجمعان خامر اسماعيل بيك وانضم بمن معه من الجموع الى محمد بيك وصاروا حزبا واحدا ، ورجع الذين لم يميلوا — وهم القليل — الى مصر . فعند ذلك اشتد الأمر بعلى بيك ، ولاحت على دولته لوائح الزوال ، وكاد يموت من الغيظ والقهر . وقلد سبعة صناجق ، والكل مزلقون ، وسماهم أهل مصر السبع بنات (١) وهم : مصطفى بيك وحسن بيك ومراد بيك وحمزه بيك ويحيى بيك وخليل بيك كوسه ومصطفى بيك أوده باشا . وعمل لهم برقا وداقما ولوازم وطبلخانات فى يومين ، وضم اليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ، وشرع فى تشهيل تجريدة أخرى — وأميرها على بيك الطنطاوى — وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة ، وأمر بعمل متاريس من البحر الى جهة الجبل



(ابريل ١٧٧٢ م) :

فيه : خرج على بيك الى جهة البساتين (٢) فى أواخر العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر الى الجبل ، واجتهد فى تشهيل تجريدة وأميرها على بيك الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم

منتصفه (١٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدوا لمحاربة محمد بيك أبى الذهب واسماعيل بيك ومن معهما ، وكانوا سائرين يريدون مصر .. فتلاقوا معهم عند بياضة (٣) ، ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية — وخصوصا أتباع صالح بيك وعلى أغا

(١) بموت أيوب بيك تغير الموقف السياسى فى مصر ، ذلك ان أبا الذهب اصبح محورا التفت حوله جميع العناصر المعارضة لعلى بيك .

(١) مزلقون اى متزينون ناعمون . وتسميتهم بالسبع بنات كناية من منتهى الترف وعدم الصلاحية لجهاد الحرب .

(٢) البساتين : قرية جنوبى مصر القديمة على الضفة الشرقية للنيل ، يشتغل معظم أهلها بقطع الاحجار . وعندما كان يعبر المسافرون من الصعيد الى الوجه البحرى من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وذلك يحدث بسهولة لوجود مدة جزر فى عرض النيل تجاه البساتين .

(٣) تجاه بنى سويف الى الشمال .

المعمار (١) — ووقعت الهزيمة على عسكر على بيك ، وساق خلفهم القبالى مسافة ، فمانعوا عن أنفسهم ، وعدوا على دير الطين ، وكان على بيك مقيما به .

فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور ، وتحير فى أمره ، وأظهر التجلد ، وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع ، وأقام الى آخر النهار ، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم وحضر محمد بيك الى البر المقابل لعلى بيك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه فتفكر على بيك فى أمره ، وركب عند الغروب وسار الى جهة مصر ، ودخل من باب القرافة ، وطلع الى باب العزب فأقام به حصة من الليل ، وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلعة .

٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

ثم انه ركب الى داره ، وحمل حموله وأمواله ، وخرج من مصر ، وذهب الى جهة الشام ، وصحبته على بيك الطنطاوى ، وباقى صناجقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه (٢) .

الخميس ٢٦ منه (٢٩ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدى محمد بيك الى بر مصر ، وأوقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير بعدما نهبوه ، ودخل محمد بيك الى مصر وصار أميرها . ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه بأن لا أحد يأويهم ولا يتاويهم ، فكانت مدة غيبته سبعين يوما .

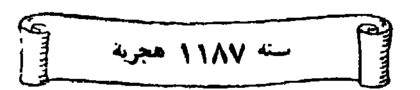
وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان الى عبد الله كتخدا الباشا ، فذهب اليه بداره ، وقبض عليه وقطع رأسه . ونادى بابطال المعاملة التى ضربها

(١) من خشداشين صالح بيك الذى قتل فى عهد محمد على بيك انضم الى أبى الدهب واشترك فى معركة بياضة .

(٢) أمر على بيك رجاله بتجهيز ماله ومتاعه الخاص والاستعداد للرحيل . ثم ارسل أمرا الى المعلم رزق — وهو المتصرف فى شئون المالية المصرية — باحضار ما بالخزينة من مال . ولكن رزق كان قد اختفى .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ١٨٤)

المذكور بيد رزق النصرانى ، وهى قروش مفرد ومجوز ، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش ، وكان أكثرها نحاسا وعليها علامة على بيك .



فيها تواترت الأخبار والارجافات بمجىء على بيك (١) من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر . فتهيأ محمد بيك للقائه ، وبرز خيامه الى جهة العادلية ، ونصب الصيوان الكبير هناك — وهو صيوان صالح بيك — وهو فى غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع ، وجميعه بدوائر من جوخ صاية ، وبطانته بالأطلس الأحمر ، وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب ، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ، ووصل الخبر بوصول على بيك بجنوده الى الصالحية .

صفر

فى ٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٣ م) :

ارتحل محمد بيك فالتقى مع على بيك فى الصالحية .. وتحاربا فكانت الهزيمة على على بيك (٢) ، وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده ، فاحتاطوا به وحملوه الى مخيم محمد بيك . وخرج اليه وتلقاه وقبل يده ، وحمله من تحت ابطه حتى أجلسه بصيوانه (٣)

(١) لم يكد يصل على بيك الى الشام حتى اصابته حمى شديدة لفرط مالاقاه من الجهد والاعياء . وقد ارسل له حليفه ظاهر طبيبه ووزيره ابراهيم الصباغ . فشفى بعد ثلاثة اسابيع

(ميخائيل نقولا المكاوى — تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ١٣٠)

(٢) كان لخيانة المرتزقة من مشاة المغاربة اثر اساسى فى هزيمة الصالحية ، وهى أهم المواقع الثلاث الحاسمة فى تاريخ على بيك .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ١٩٦)

(٣) الواقع أنه رغم منافسه محمد بيك لسيده — تلك المنافسة غير الشريفة — فانه كان يجله ويحترمه .

٨ منه (١ مايو ١٧٧٣ م) :

قتل على بيك الطنطاوى وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم .

٩ منه (٢ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل خبر ذلك الى مصر فى الصباح ، وحضروا اليها ، وأنزل محمد بيك أستاذه فى منزله الكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وأجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته .

فى ١٥ منه (٨ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر وأمير الحج ابراهيم بيك محمد .

وفى تلك الليلة : توفى الأمير على بيك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام ... قيل انه سم فى جراحاته فغسل وكفن ، ودفنوه عند أسلافه بالقرافة .

* * *

وعلى بيك الكبير هو مملوك ابراهيم كتخدا ، تابع سليمان جاويش ، تابع مصطفى كتخدا القزدغلى . تقلد الامارة والصنجقية بعد موت أستاذه سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٤ — ١٧٥٥ م) .

وكان قوى المراس ، شديد الشكيمة ، لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى بديلا . فمما قال : أنا لا أتقلد الامارة الا بسيفى لا بمعونة أحد .

وكان يلقب بـ « جن على » ، وكان يلقب أيضا بـ « بلوط قبن » .

وقد قتل منافسيه من الرؤساء والأقران وباقى الأعيان ، وفرق جمعهم فى القرى والبلدان ، وتتبعهم خنقا وقتلا ، وأبادهم فرعا وأصلا . واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته . وأخرم القوانين الجسيمة ، والعوائد المرتبة . وحارب كبار العربان .

واستكثر من شراء المماليك ، وجمع العسكر من جميع الأجناس ، وخلص له الاقليم المصرى من الاسكندرية الى أسوان ، ونفذ أغراضه بالبلاد الحجازية والشام ، ومنع ورود الولاة العثمانيين .

وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية . وكان لا يجالس الا أهل الوقار والحشمة والمسنين .

وتتبع المفسدين الذين يتداخلون فى القضايا والدعاوى — بأخذ الرشوات والجعالات — وعاقبهم بالضرب الشديد ، حتى أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا — راكبا أو ماشيا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير — ويبيت فى الغيط أو البرية آمنا مطمئنا ، لا يرى مكروها أبدا .

وكان عظيم الهيبة . فقد اتفق لأناس أن ماتوا فرقا من هيبته ! وكان صحيح الفراسة ، شديد الحذق ، ولا يحتاج فى التفهيم الى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق ، بل يقرأها بنفسه .

وهو الذى أقام المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى ، وما يجاورها من الحوانيت للتجار ، وسميت هناك بالغورية . ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين ، وجعل لهم خبزا وجرايات فى كل يوم .

وهو الذى جدد أيضا قبة الامام الشافعى رضى الله عنه ، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس وقد تشعث وصدىء لطول الزمان ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة .. وهو عمل كثير ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ . وكتب بافريزها تاريخا منظوما بخط صالح افندى .

وهدم أيضا الميضأة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا ، وكانت صغيرة مثمنة الأركان ، ووسعها ، وعمل عوضها هذه الميضأة الكبيرة . وهى مربعة مستطيلة (!) متسعة وبجانبها حنفية

وبزابيز يصب منها الماء . وحـول الميضأة كراسى راحة بحيضان متسعة تجرى مياهها الى بعضها ، وماؤها شديد الملوحة !

ومن انشائه أيضا العمارة العظيمة التى أنشأها بشاطىء النيل ببولاق ، حيث دكك الحطب ، تحت ربع الخرنوب ، وهى عبـارة عن قيسارية عظيمة ببابين ، يسلك منها من بحرى الى قبلى وبالعكس ، وخانا عظيما يعلوه مساكن من الجهتين ، وبخارجه حوانيت وشونة غلال ، حيث مجرى النيل ، ومسجد متوسط . فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء ، ثم بنوا لها خنازير مثـل المنارات من الأحجار والدبش والمؤن ، وغاصـوا بها فى ذلك الخندق حتى استقرت على الأرض الصحيحة ، ثم ردموا ذلك الخندق المحتوى على تلك الخنـازير بالمؤن والأحجار (١) . واستعلوا عليه بعـد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيت ، وعقدوا العقـود والقواصر ، والأعمدة والأخشاب المتينة ..

.. وبعـد موته لم تزل الأرض تعلو ، والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة الى شون الغلال ، ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لا يركبها الماء الا فى سنين الغرق ! ثم فحش الأمر وبنى النـاس دورا وقهاوى فى بحرى العمارة ، وسبحوا الى جهة قرب الماء مغربين ، وألقوا أتربة العمائر ومايحفرونه حول ذلك . واقتـدى بهم الترابة وغيرهم ، ولم يجدوا مانعا ولا رادعا .. وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه ، وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيمانا تنقبض النفوس من رؤيتهـا ، وتمتلىء المنافس من عجاجها ، وخصوصا فى وقت الهجير . . بعد أن كانت نزهة للناظرين .

ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من ناحية بولاق التكرور الى تلك الجهة ، ويمر بقو تحت جدران الدور والوكائل القبلية وساحل الشـ ووكالة الأبزار وخضرة البصل وجامع السنانية و د الخرنوب الى الجيعانية وينعطف الى قصر الحـ والشيخ فرج صـيفا وشـتاء ولا يعوقه عائق ولا يقدر أحـد أن يرمى بساحل النيل شيئا التراب . فان اطلع الحاكم على ذلك نـكل به أو بخفير تلك الناحية !

وهذا شىء قد تودع منه ، ومن أمثاله . وآ من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجز التى يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن مسـتحفظان ، فانه كان يحـذو طريق الحـ السابقين ..

وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق المو الى بولاق استدت بتراكم الأتربة التى يلقيها أ الأطارف خارج الدروب ، ولا يجدون من يمنع أو يردعهم . وقدرت علو الأرض — بسبب هـ العمارة — زيادة عن أربع قامات . فاننا كنا نعـ درج وكالة الابزاريين من ناحية البحر ، عندما ساكنين بها قبل هذه العمارة ، نيفا وعشرين درجـ وكذلك سـلم قيطون .. وقد غابت جميعها تحـ الأرض ، وغطتها الأتربة .. ولله عاقبة الأمور .

ومن انشـاء على بيك الكبير داره المطلة عـ بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، التى مات بها والحوض والساقية والطاحون بجوارها .

وبالجملة فأخباره ووقائعه وسيرته لو جمعت مبدأ أمره الى آخره لكانت مجلدات . وقد ذكر فيما تقدم لمعا من ذلك بحسب الاقتضاء ، ممـ استحضره الذهن القاصر ، والفكر المشوش الفا بتراكم الهموم ، وكثرة الغموم ، وتزايد المحن واختلاط الفتن ، واختلال الدول ، وارتفاع السفل

(١) أليس هذا قريبا مما نفعل اليوم ، بعد مائتين من السنين ؟

ولعل العود يخضر بعد الذبول ، ويطلع النجم بعد الأفول ، أو يبسم الدهــر بعد كشــارة أنيابه ، أو يلحظنا من نظر المتغابى فى ايابه .

زمن كأحلام تقضى بعــده
زمن نعلل فيــه بالأحــلام

ولله فى خلقه من قديم الزمان عادة . وانتظـار الفرج عبادة . نسأله انقشاع المصـائب ، وحسن العواقب (١) .

ربيع الأول

فى ١٧ منه (٨ يونيو ١٧٧٣ م) :

وصل الوزير خليل باشا والى مصر .

الخميس ١٩ منه (١٠ يونيو ١٧٧٣ م) :

طلع خليل باشـا الى القلعة فى موكب عظيم ، وضربوا لهمدافع وشنكا منالأبراج . وكانوصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع .

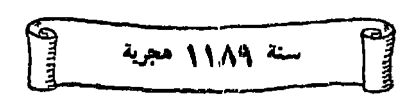
سنة ١١٨٨ هجرية

(١٤ مارس ١٧٧٤ ـ ٣ مارس ١٧٧٥ م) .

استهلت ووالى مصر خليل باشا محجور غليه .. ليس له فى الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بيك أبوالذهب والأمراء وأعيان الدولة مماليكه واشراقاته ، والوقت فى هدوء وسـكون وأمن ، والأحـكام فى الجملة مرضية ، والأسعار رخية ، وفى الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية .

وما الدهر فى حال السكون بساكن
ولـكنه مســـتجمع لوثــوب

(١) حين ينطلق قلم الجبرتى من اسار السرد التاريخى ، يبين من نفس مريرة تنفعل بالأحداث الجسام التى مرت بالبلاد فى ايامه ....



فيهـا عزم محمد بيك أبو الذهب على السفر والتوجه الى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر ، واستخلاص مابيده من البلاد . فبرز خيامه الى العادلية ، وفرق الأموال والتراحيل على الأمراء والعساكر والمماليك ، واسـتعد لذلك استعدادا عظيمـا فى البحر والبر ، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى « أبو مايله » ، الذى كان سبكه فى العام الماضى .

المحـرم

أوائله (أوائل مارس ١٧٧٥ م) :

سافر محمد بيك أبوالذهب بجموعه وعساكره ، وأخذ صحبته ... مراد بيك ، وابراهيم بيك طنان ، واسماعيل بيك ـ تابع اسماعيل بيك الكبير لاغير ، وترك بمصر ابراهيم بيك ، وجعله عوضا عنه فى امارة مصر ، واسماعيل بيك وباقى الأمراء ، والباشا الذى بالقلعة ، وهو مصطفى باشا النابلسى ، وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية . ولم يزل فى سـيره حتى وصل الى جهة غزة ، وارتجت البلاد لوروده ، ولم يقف أحد فى وجهه . وتحصن أهل يافا بها ، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا .

فلما وصل الى يافا ، حاصرها وضيقعلىأهلها ، وامتنعواهمأيضاعليه ، وحاربوهمنداخل ، وحاربهم من خارج ، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال .. فكانوا يصعـدون الى أعـلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا . فلم يزالوا بالحرب عليها حتىنقبوا أسوارها ، وهجموا عليها من كل ناحية ، وملكوها عنـوة ، ونهبـوها

وقبضوا على أهلها ، وربطوهم فى الحبال والجنازير . وسبوا النساء والصبيان وقتلوهم عن آخرهم . ولم يميزوا بين الشريف والنصرانى واليهودى ، والعالم والجاهل والعامى والسوقى ، ولا بين الظالم والمظلوم .. وربما عوقب من لا جنى ، وبنوا من رءوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع ، ثم ارتحل عنها طالبا عكا .

فلما بلغ الظاهر عمر ماوقع بيافا ، اشتد خوفه ، وخرج من عكا هاربا ، وتركها وحصونها .. فوصل اليها محمد بيك ودخلها من غير مانع وأذعنت له باقى البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته . وداخل محمد بيك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه ، وما آل به الى الموت والهلاك . وأرسل بالبشائر الى مصر والأمراء بالزينة فنودى بذلك ، وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة ، وعمل بها وقدات وشنكات وحراقات وأفراح ثلاثة أيام بلياليها .

ربيع الآخر

اوائله (يونيو ١٧٧٥ م) :

عند انقضاء ذلك ، ورد الخبر بموت محمد بيك ، واستمر فى كل يوم يفشو الخبر وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد ، حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك . وشاع فى الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى : « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (١) .

وذلك أنه لما تم الأمر وملك البلاد المصرية والشامية ، وأذعن الجميع لطاعته .. وقد كان أرسل اسماعيل أغا — أخا على بيك الغزاوى — الى اسلامبول يطلب امرية مصر والشام ، وأرسل صحبته أموالا وهدايا ، فأجيب الى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم ، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر ، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا ، فامتلأ فرحا وحم بدنه فى الحال . . فأقام محموما ثلاثة أيام ومات ليلة الرابع .

ووافى خبر موته اسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل فى المراكب يريد المسير الى مخدومه ، فانتقض الأمر وردت التقاليد وباقى الأشياء .

ولما تم له أمر يافا وعكا وباقى البلاد والثغور.. فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم الى مصر ، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع الى الأوطان . فاجتمعوا اليه فى اليوم الذى نزل به مانزل فى ليلته ، فتبين لهم من كلامه عدم العود ، وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل ، وأمرهم بارسال المكاتبات الى بيوتهم وعيالهم بالبشارات ... بما فتح الله عليهم وما سيفتح لهم . ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين اليها من مصر . فعند ذلك اغتموا وعلموا انهم لا براح لهم ، وأن أمله غير هذا ، وذهب كل الى مخيمه يفكر فى أمره . وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام التى تمرض فيها ، وأكثرهم لايعلم بمرضه ، ولا يدخل اليه الا بعض خواصه ، ولا يذكرون ذلك الا بقولهم فى اليوم الثالث انه منحرف المزاج .

فلما كان فى صبح الليلة التى مات بها نظروا الى صيوانه وقد انهدم ركنه ، وأولاد الخزنة فى حركة . ثم زاد الحال وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال ، وظهر أمر موته ، وارتبك العرضى ، وحضر مراد بيك فصدهم وكفهم عن بعضهم ، وجمع كبراءهم وتشاوروا فى أمرهم وأرضى خواطرهم ، خوفا من وقوع الفشل فيهم ، وتشتتهم فى بلاد الغربة ، وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم . واتفق رأيهم على الرحيل ، وأخذوا رمة سيدهم

---

(١) آية ٤٤ ، سورة الانعام .

صحبتهم لما تحقق عندهم أنهم ان دفنوه هناك فى بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه فغسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ووضعوه فى عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية (1) .

ربيع الآخر

٢٤ منه (٢٤ يونيو ١٧٧٥ م)

وصلوا فى ستة عشر يوما أواخر النهار ، فأرادوا دفنه بالقرافة . وحضر الشيخ الصعيدى فأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الأزهر ، فحفروا له قبرا فى الليوان الصغير الشرقى وبنوه ليلا ، ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون ، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب ، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود سترا على رائحته ونتنه .. حتى وصلوا به الى مدفنه ، وعملوا عنده ختمات وقراءات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعين يوما .

واستقر أتباعه أمراء مصر ورئيسهم ابراهيم بيك ومراد بيك وباقيهم الذين أمرهم فى حياته ومات عنهم يوسف بيك وأحمد بيك الكلارجى ومصطفى بيك الكبير وأيوب بيك الكبير وذوالفقار بيك ومحمد بيك طبال ورضوان بيك ، والذين تأمروا بعده أيوب بيك الدفتردار وسليمان بيك الأغا وابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك الصغير وقاسم بيك الموسقو وعثمان بيك الشرقاوى ومراد بيك الصغير وسليم بيك أبو دياب ولاجين بيك .

سنة ١١٩٠ هجرية

كان السلطان فى هذه السنة السلطان عبد الحميد ابن أحمد خان العثمانى . ووالى مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمراؤها ابراهيم ومراد بيك ، مملوكا محمد بك أبى الذهب ، وخشداشينهما ..

صفر

٧ منه (٢٨ مارس ١٧٧٦) :

وصل الحج الى مصر ، ودخل الركب ، وأمير الحج يوسف بيك .

ليلة الجمعة ٩ منه (٣٠ مارس ١٧٧٦) :

وقع حريق بالأزبكية — وذلك فى نصفه الليل — احترق فيها عدة بيوت عظام .. وكان شيئا مهولا . ثم انها عمرت فى أقرب وقت . والذى لم يقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها ، بحيث انه لم يأت النيل القابل الا وهى أحسن وأبهج مما كانت عليه .

* * *

وفيها : سقط ربع بسوق الغورية ، ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم . ثم ان عبد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء ، وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت ، والبوابة التى يسلك منها من السوق .

وفيها : حضر جماعة من الهنود ، ومعهم فيل صغير ذهبوا به الى قصر العينى ، وأدخلوه الى الاسطبل الكبير ، وهرع الناس للفرجة عليه ، ووقف الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين دراهم ، وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة . وصار الناس يأتون اليه بالكعك وقصب السكر ، ويتفرجون على مصه فى القصب ، وتناوله بخرطومه . وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم ، ويفهمون كلامه ، واذا أحضروه بين يدى كبير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطومه .

(1) وهذه عاقبة المعتدين !

رمضان

(اكتوبر — نوفمبر ١٧٧٦ م) :

تعصب مراد بيك وتغير خاطره على ابراهيم بيك طنان ، ونفاه الى المحلة الكبيرة ، وفرق بلاده على من أحب ، ولم يبق له الا القليل .

ذو الحجة

اوائله (يناير ١٧٧٧) :

شرع الأمير اسماعيل كتخدا فى عمل مهم لزواج ابنته (أى حفل عرس أو « فرح ») . وكان قبل هذا حصل بينه وبين مراد بيك منازعة . وسببها أن مراد بيك أراد أن يأخذ من اسماعيل بيك السرو ورأس الخليج ، فوقع بينهما مخاصمة كاد يتولد منها فتنة ، فسعى فى الصلح بينهما ابراهيم بيك ، فاصطلحا على غل .

وشرع فى اثر ذلك اسماعيل بيك فى عمل الفرح ، فاجتمعوا يوم السند فى وليمة عظيمة ، ووقفه مراد بيك وفرق المحارم والمناديل على الحاضرين ، ويطوف بنفسه على أقدامه ، وعمل المهم أياما كثيرة .

ونزل محمد باشا عزت (١) — باستدعاء — الى بيت اسماعيل بيك . وعندما وصل الى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته ، فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم ، وبأيديهم المباخر والقماقم . ولم يزالوا كذلك حتى طلعوا الى المجلس .

ووقفوا فى خدمته مثل المماليك ! حتى انقضى الطعام والشربات ، وقدموا له الهدايا والتقادم والخيول الكثيرة المسومة .

وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ، ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر .. فكان ذلك من النوادر !

(١) الوالى التركى .

* * *

وفى هذه السنة مات الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وهو ابن حسن جاويش القازدغلى ، أستاذ سليمان جاويش ، أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين الموجودين الآن

وتولى كتخدا الوقت سنتين ، وشرع فى بناء المساجد ، وعمل الخيرات ، وابطال المنكرات .. فأبطل خمامير حارة اليهود .

وأول عماراته السبيل والكتاب الذى يعلوه بين القصرين ، وجاء فى غاية الظرف ، وأحسن المبانى . وأنشأ جامع المغاربة ، وعمل عند بابه سبيلا وكتابا وميضأة تفتح بطول النهار . وأنشأ تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهريج ، ومدفن السيدة السطوحية . وأنشأ بالقرب من تربة الأزبكية سقاية ، وحوضا لسقى الدواب ، ويعلوه كتاب ، وفى الحطابة كذلك ، وعند جامع الدشطوطى كذلك .

وأنشأ وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا ، يشتمل على خمسين عمودا من الرخام ، تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقى ، وبنى به محرابا جديدا ومنبرا ، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة . وبنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن . وبداخله رحبة متسعة ، وصهريج عظيم ، وسقاية لشرب العطاش المارين . وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة ، وعليه قبة معقودة ، وتركيبة من رخام بديعة الصنعة . وبها أيضا رواق مخصوص بمجاورين الصعائدة المنقطعين لطلب العلم ، يسلك اليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه الى الرواق ، وبه مرافق ومنافع

ومطبخ ومخادع وخزائن كتب . وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع ، وعليه منارة أيضا .. وغير ذلك .

وعمر أيضا المشهد النفيسى ، ومسجده ، وبنى صهريجا على هذه الهيئة الموجودة ، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال .

وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة ، والسيدة فاطمة والسيدة رقية ، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبو السعود الجارحى على الصفة التى هو عليها الآن ، ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية ، والمسجد بخط الموسكى . وبنى للشيخ الحنفى دارا بجوار ذلك المسجد ، ينفذ اليه من داخل . وجدد المارستان المنصورى .

وله عمائر كثيرة ، وقناطر ، وجسور ، فى بلاد الأرياف ، وبلاد الحجاز ، حين كان مجاورا هناك . وبنى القناطر بطندتا فى الطريق الموصلة الى محلة مرحوم .

ورتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط ، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة ، فيأتون الى داره أفواجا فى أيام معلومة ، ويعودون مسرورين بتلك الكساوى ، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية ، يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء .

وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوى والبز الصعيدى والملايات والأخفاف والبوابيج القيصرلى على النساء الفقيرات والأرامل . ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الافطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقى بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين ، ويفرق عليهم هبر اللحم النضيج ، فيعطى لكل فقير جمله وحصته فى يده ، وعندما يفرغون من الأكل يعطى كل واحد منهم رغيفين ونصفى فضة برسم سحوره .. الى غير ذلك .

وبلغت عدة المساجد التى أنشأها وجددها ثمانية عشر مسجدا ، وذلك خلاف الزوايا ، والأسبلة ، والسقايات ، والمكاتب ، والأحواض ، والقناطر ، والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات .

وكان له فى هندسة الأبنية ، وحسن وضع العمائر ، ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع . وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهى : تفينة وديبى وحصة كتامة ، وجعل ايرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين . وزاد فى طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة فى يومى الاثنين والخميس .

وقد تعطل غالب ذلك فى هذا التاريخ الذى نحن فيه لغاية سنة ١٢٢٠ هجرية (١٨٠٥ م) ، بسبب استيلاء الخراب ، وتوالى المحن ، وتعطل الأسباب .

ولم يزل هذا شأنه ، الى أن استفحل أمر على بيك ، وأخرجه منفيا الى الحجاز ، فأقام هنالك اثنتى عشرة سنة .

فلما سافر يوسف بيك أميرا بالحج فى السنة الماضية ،صمم على احضاره صحبته الى مصر ، فأحضره فى تختروان ، وقد استولى عليه العى والهرم ، وكرب الغربة ، فدخل الى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات .

ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله !

* * *

ومن مساويه ، قبول الرشا ، والتحيل على مصادرة بعض الأغنياء فى أموالهم . واقتدى به فى ذلك غيره ، حتى صارت سنة مقررة ، وطريقة مسلوكة ليست منكرة !

ومن سيئاته العظيمه التى طار شررها ، وتضاعف ضررها ، وعم الاقليم خرابها ، وتعدى الى جميع الدنيا هبابها ... معاضدته لعلى بيك ليقوى به على أرباب الرآسة . فلم يزل يلقى بينهم الفتن ، ويغرى بعضهم على بعض ، ويسلط عليهم على بيك المذكور ، حتى أضعف شوكات الأقوياء ، وأكد العداوة بين الأصفياء ، واشتد ساعد على بيك .. فعند ذلك التفت اليه ، وكلب بنابه عليه ، وأخرجه من مصر ، وأبعده عن وطنه .. فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه ، وأقام هذه المدة فى مكة غريبا وحيدا

وأخرج أيضا — فى اليوم الذى أخرجه فيه — نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم .

فعند ذلك ، خلا لعلى بيك وخشداشينه الجو .. فباضوا وأفرخوا ، وامتد شرهم الى الآن الذى نحن فيه .

فهو الذى كان السبب — بتقدير الله تعالى — فى ظهور أمرهم .

فلو لم يكن له من المساوى الا هذه ، لكفاه !

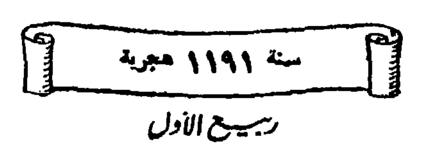
ولما رجع من الحجاز متمرضا ، ذهب اليه ابراهيم بيك ومراد بيك ، وباقى خشداشينهم . ليعودوه — ولم يكن رآهم قبل ذلك ، فكان من وصايته لهم :

كونوا مع بعضكم ...
واضبطوا أمركم ...
ولا تدخلوا الأعادى بينكم ...

وهذا بدل عن قوله : أوصيكم بتقوى الله تعالى ، وتجنبوا الظلم ، وافعلوا الخير ... فان الدنيا زائلة ... وانظروا حالى ومآلى !

هكذا أخبرنى من كان حاضرا فى ذلك الوقت .

وكان سليط اللسان ، ويتصنع الحماقة ... فغفر الله لنا وله .



ربيع الأول

فى اوائله (ابريل ١٧٧٧ م) :

ورد أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم ، فاجتمع الأمراء وتشاوروا فى ذلك ، فاتفق رأيهم على احضار ابراهيم بيك طنان ، فأحضروه من المحلة وقلدوه امارة ذلك .

جمادى الأولى

فى اوائله (يونية ١٧٧٧ م) :

وقعت حادثة فى طائفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر . وذلك أنه آل اليهم مكان موقوف ، وجحد واضعو اليد ذلك ، والتجأ الى بعض الأمراء ، وكتبوا فتوى فى شأن ذلك . واختلفوا فى ثبوت الوقف بالاشاعة ، ثم أقاموا الدعوى فى المحكمة ، وثبت الحق للمغاربة ، ووقع بينهم منازعات ، وعزلوا شيخهم ، وولوا آخر . وكان المندفع فى الخصومة واللسانة شيخا منهم يسمى الشيخ عباس ، والأمير الملتجىء اليه الخصم يسمى يوسف بيك . فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير ، حنق لذلك ، ونسبهم الى ارتكاب الباطل ، فأرسل من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين ، فطردوا المعينين ، وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير ، فكتبوا مراسلة الى يوسف بيك ، تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم ، ومعاندة الحكم الشرعى ، وأرسل صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوى وآخر .

فعندما وصلوا اليه وأعطوه التذكرة ، نهرهم وأمر بالقبض عليهم ، وسجنهم بالحبس .

ووصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع ، فاجتمعوا فى صبحها وأبطلوا الدروس والأذان والصلوات ، وقفلوا أبواب الجامع ، وجلس المشايخ فى القبلة القديمة ، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء !

وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت . وبلغ الأمراء ذلك ، فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق المسجونين ، وأرسل ابراهيم بيك — من طرفه — ابراهيم أغا بيت المال .. فلم يأخذ جوابا

وحضر الأغا الى الغورية ، ونزل هناك ونادى بالأمان ، وأمر بفتح الحوانيت ، فبلغ مجاورى المغاربة ذلك ، فذهب اليه طائفة منهم ، وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصى والمساوق ، وضربوا أتباع الأغا ، ورجموهم بالأحجار .. فركب عليهم ، وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه ، فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار ، وانجرح منهم كذلك ، ومن العامة

وذهب الأغا ، ورجع الفريق الآخر ، وبقى الهرج الى ثانى يوم ، فحضر اسماعيل بيك والشيخ السادات وعلى أغا كتخدا الجاويشية ، وغيرهم .. فنزلوا الأشرفية ، وأرسلوا الى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع ، وتمام المطلوب ، وكان ذلك عند الغروب .. فلم يرضوا بمجرد الوعد ، وطلبوا الجامكية والجراية ، فركبوا ورجعوا

وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه ، واسماعيل بيك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر ، فحضر مع الشيخ السادات ، وجلسوا بالجامع المؤيدى ، وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ ابراهيم السندوبى ، ملخصها أن اسماعيل بيك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء حوائجهم ، وقبول فتواهم ، وصرف جماكيهم وجراياتهم .. وذلك بضمان الشيخ السادات له .

فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة ، وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارا وهو قائم على أقدامه ، وسمعوها ، أكثروا من الهرج واللغط ، وقالوا : هذا كلام لا أصل له !

وترددت الارساليات ، والذهاب والمجىء بطول النهار ، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع فى آخر النهار ، وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانبا من دراهم الجامكية .

ومن جملة مااشترطوه فى الصلح ، عدم مرور الأغا والوالى والمحتسب من حارة الأزهر ... وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شىء !

وعمل ابراهيم بيك ناظرا على الجامع عوضا عن الأغا ، وأرسل من طرفه جنديا للمطبخ ، وسكن الاضطراب .

وبعد مضى أربعة أيام من هذه الحادثة ، مر الأغا ، وبعده الوالى كذلك ، فأرسل المشايخ الى ابراهيم بيك يخبرونه ، فقال : ان الطريق يمر بها البر والفاجر ، ولا يستغنى الحكام عن المرور !

جمادى الآخرة

١٢ منه (١٨ يولية ١٧٧٧ م) :

قبض الأغا على انسان شريف من أولاد البلد يسمى حسن المدابغى ، وضربه حتى مات . وسبب ذلك أنه كان فى جملة من خرج على الأغا بالغورية يوم فتنة الجامع !

١٤ منه (٢٠ يولية ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك جهة العادلية مغضبا . وسبب ذلك أن مراد بيك زاد فى العسف والتعدى ، خصوصا فى طرف اسماعيل بيك . وابراهيم بيك يسعى بينهم فى الصلح .

واجتمعوا فى آخر مجلس عند ابراهيم بيك ، فتكلم اسماعيل بيك كلاما مفحما ، وقال :

أنا تارك لكم مصر ، وامارتها ، وجاعلكم مثل أولادي ، ولا أريد الا المعيشة وراحة السر ، وأنتم لا تراعون لي خفا

فحضر فى هذه الأيام الى اسماعيل بك مركب غلال ، فأرسل مراد بيك وأخذ مافيها !

تم اتفق مراد بيك مع بعض أغراضه ، أنهم يركبون من غد الى اسماعيل بيك ، ويدخلون عليه فى بيته ، ويقتلونه .

فعلم اسماعيل بيك بذلك ، فركب فى الصباح وخرج الى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلا ، وجلس بالأشبكية .

وركب مراد بيك ذاهبا الى اسماعيل بيك ، فوجده قد خرج الى الاشبكية وكان ابراهيم بيك طلع الي قصر العينى ، فذهب الى مراد بيك .

ولما أشيع خروج اسماعيل بيك ، ركب يوسف بيك وخرج اليه ومعه آخرون ، ووصل الخبر الي ابراهيم بيك ومراد بيك ومن انضم اليهم فركبوا وحضروا الى القلعة ، وملكوا الأبواب ، وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم ، واضطربت المدينة ، وأغلق النـاس الدكاكين ، وصحبتهم جماعة الى باب النصر ، وفتحوا الباب ، وطردوا الوالى ، واشتد الحال ، وعظمت الفتنة ، فأراد الباشا اجراء الصلح ، فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب : عـدم رضاهم بالصلح

وفى يوم الأربعاء ، دخـل عبد الرحمن أغا من باب النصر ، وشق من وسط المدنة وأمامه المنادى ينادى علي الناس برفع بضائعهم من الحوانيت . فرفع الناس بواقى بضائعهم من الدكاكين .

وخرجوا من باب زويلة الى الدرب الأحمر ، الى جامع المردانى ، ثم زحفوا الى التبانة ، الى قرب المحجر ، وعملوا هنـاك متاريس ، ولاحت لوائح الخـذلان على من بالقلعة ودخل عليهم الليل ، وانكفه الفريقان ، وأصبح يوم الخميس ، فدخـل الكثير من البرانيين الى المدينـة شيئا فشـيئا ، ورابطوا فى جميع الجهـات ... حتى انحصروا بالقلعة ، وأخـذوا ينقبون عليهم . فلما شاهدوا الغلبة فيهم ، نزلوا من باب الميـدان ، وذهبوا جهة البساتين الى الصعيد ، فتخلف عنهم فريق ، وخـرج المتخلفون الى اسماعيـل بيك ويوسف بيك ، وطلبوا منهم الأمان ، وانضموا اليهم .

وعندما أشيع نزول ابراهيم بك ، ومراد بيك من القلعة ، هجم المرابطـون بالمحجـر وسـوق السلاح ، على الرميلة ، ونهبوا خيامهم

وفى الخميس بعد العصر ، دخل اسماعيل بك ، ويوسف بيك من باب النصر ، وتوجهـوا الى بيوتهم .

وأصبح يوم الجمعة ، فشق عبد الرحمن أغا ، ونادى بالأمان ، والبيع والشراء ، وراق الحال ...

٢٢ منه (٢٨ يولية ١٧٧٧ م) :

طلع اسماعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان ، فخلع الباشـا عليهما خلعتى سمور ، واسـتقر اسماعيل بيك شيخ البلد ومدبر الدولة .

رجب

٤ منه (٨ اغسطس ١٧٧٧ م ـ ٤ مسرى ١٤٩٣) :

نودى بوفاء النيل ، ونزل الباشا وكسر السد على العادة . وجرى الماء فى الخليج ، وعاد الباشا الى القلعة

رمضان

منتصفه (١٧ اكتوبر ١٧٧٧ م) :

ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل ... مثل وجهه وآذانه ، وله نابان خارجان من فمه . وأبوه رجل جمال ، وامرأته لما رأت الفيل — وكانت فى أشهر وحامها — نقلت شبهه فى ولدها ، وأخذ الناس يتفرجون عليه فى البيوت والأزقة !!

٢٩ منه (٣١ اكتوبر ١٧٧٧ م) :

ركب امراء اسماعيل بيك وصناجقه وعساكره فى آخر الليل ، واحتاطوا ببيت اسماعيل بيك الصغير — أخى على بيك الغزاوى — فركب فى مماليكه وخاصته ، وخرج من البيت ، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد ، فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار ، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه ، فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه ، فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة الى عطفة ، حتى وصل الى عطفة البيدق ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت عمامته ، وصار مكشوف الرأس الى أن وصل الى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية ، فلاقاه عثمان بيك — أحد صناجق اسماعيل بيك — فرده ، وسقط فرسه ، واحتاطوا به ، فنزل على دكان فى أسوأ حال ، مكشوف الرأس ، والدم خارج من كركه ، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال ، وأخذه عثمان بيك الى بيته ، وتركه وذهب الى سيده ، فأخبره ، فخلع عليه فروة وفرسا . وأرسلوا اليه الوالى ، فخنقه ، ووضعوه فى تابوت ، وأرسلوه الى بيته ، فبات به ميتا ، وأخرجوه فى صبحها فى مشهد ودفنوه ...

وكان اسماعيل بيك قد استوحش منه ، وظهر عليه فى أحكامه وأوامره ، وكلما أبرم شيئا عارضه فيه ، وازدحم الناس على بيته ، وأقبلت اليه أرباب الحكومات والدعاوى ، وصار له عزوة كبيرة ، وانضم اليه كشاف واختيارية ، وحدثته نفسه بالانفراد .

وتخيل منه اسماعيل بيك ... فتركه وما يفعله ، وأظهر أنه مرمود فى عينيه ، وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان ، ثم سافر فى أواخره فى النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ، ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به ، وقاموا عليه وقتلوه ... كما ذكر .

ولما انقضى أمره ، شرع اسماعيل بيك فى ابعاد ونفى من كان يلوذ به ، وينتمى اليه .

ذو القعدة

٨ منه (٨ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالى ، لأنهم تقووا واستولوا على البلاد ، وقبضوا الخراج ، وملكوا من جرجا الى فوق ، وحسن بيك أمير الصعيد مقيم ، وليس فيه قدرة على مقاومتهم . ومنعوا ورود الغلال ، حتى غلا سعرها .

٢١ منه (٢١ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك الى ناحية دير الطين ، وعزم على التوجه بنفسه الى قبلى ، وأرسل الباشا فرمانات لسائر الأمراء ، والوجاقلية ، وأمرهم جميعا بالسفر . فخرجوا جميعا ، ونصبوا وطاقاتهم عند المعادى ، ونزل الباشا وجلس بقصر العينى .

٢٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

عدى اسماعيل بيك الى البر الثانى ، وترك بمصر عبد الرحمن آغا مستحفظان كتخدا ، ورضوان بيك بلفيا ، وعثمان بيك طبل وابراهيم بيك قشطة

صهره ، وحسين بيك ، ومقادم الأبواب ، لحفظ البلد . فكان المقادم يدورون بالطوف فى الجهات ليلا ونهارا .. مع هدوء سر الناس ، وسكون الحال ، فى مدة غياب الجميع !

ذو الحجة

٦ منه (٤ يناير ١٧٧٨ م) :

وصلت مكاتبات من اسماعيل بيك ، ومن الأمراء الذين بصحبته ، بأنهم وصلوا الى المنية ، فلم يجدوا بها أحدا من القبليين ، وأنهم فى أسيوط ، ومعهم اسماعيل أبو على من كبار الهوارة .

* * *

وفى هذه السنة مات الأمير يوسف بيك الكبير — وهو من أمراء محمد بيك أبو الذهب — أمره فى سنة ١١٨٦ هجرية ، وزوجه بأخته ، وشرع فى بناء داره على بركة الفيل ، داخل درب الحمام ، تجاه جامع الماس .

وكان يسلك اليها من هذا الدرب ، ومن طرق الشيخ الظلام ، وكان هذا الدرب كثير العطف ، ضيق المسالك ، فأخذ بيوته — بعضها شراء ، وبعضها غصبا — وجعلها طريقا واسعة وعليها بوابة عظيمة . وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة متسعة ، فعارضه جامع خير بيك حديد ، فعزم على هدمه ونقله الى آخر الرحبة ، فسأل المرحوم الوالد (والد المؤلف) ، وكان يعتقده ، ويجنح الى قوله ، فقال له : لايجوز ذلك . فامتثل وتركه على حاله

واستمر يعمر فى تلك الدار نحو خمس سنوات ، وأخذ بيت الداودية الذى بجواره ، وهدمه جميعه ، وأدخله فيها ، وصرف فى تلك الدار أموالا عظيمة ، فكان يبنى الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقى الخرذة المحكم الصنعة ، والسقوف والأخشاب والرواشن ، والخرط والأدهان ... ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها الى آخرها ويبنيها ثانيا على وضع آخر ، وهكذا .. كان دأبه !

واتفق أنه ورد اليه من بلاده القبلية ثمانون ألف أردب غلال ، فوزعها بأسرها على الموانة فى ثمن الجبس والجير ، والأحجار والأخشاب ، والحديد وغير ذلك !

وكان فيه حدة زائدة ، وتخليط فى الأمور والحركات ، ولا يستقر بالمجلس .. بل يقوم ويقعد ، ويصرخ ويزوق حاله فى بعض الأوقات ... فيظهر فيه بعض انسانية . ثم يتغير ويتعكر من أدنى شىء !

ولما مات سيده محمد بيك ، وتولى امارة الحج ، ازداد عتوا وعسفا وانحراقا ، خصوصا مع طائفة الفقهاء والمتعممين ، لأمور نقمها عليهم .

ومن هذه الأمور .. أنه اتفق أن الشيخ عبد الباقى ، ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفى ، طلق على زوج بنت أخيه فى غيابه ، على يد الشيخ حسن الجداوى المالكى — على قاعدة مذهبه — وزوجها من آخر .

وحضر زوجها من الفيوم ، وذهب الى ذلك الأمير ، وشكا له الشيخ عبد الباقى ، فطلبه فوجده غائبا فى منية عفيف ، فأرسل اليه أعوانا أهانوه ، وقبضوا عليه ، ووضعوا الحديد فى رقبته ورجليه ، وأحضروه فى صورة منكرة ، وحبسه فى حاصل أرباب الجرائم من الفلاحين ...

فركب الشيخ على الصعيدى العدوى ، والشيخ الجداوى ، وجماعة كثيرة من المتعممين ، وذهبوا اليه .

وخاطبه الشيخ الصعيدى ، وقال له : ماهذه الأفعال ، وهذا التجارى ؟

فقال له : أفعالكم يامشايخ أقبح .. !

فقال له : هـذا قول فى مذهب المـالكية ، معمول به .

فقال : من يقول ان المرأة تطلق زوجها اذا غاب عنها ، وعندها ماتنفقه ، وما تصرفه ، ووكيله يعطيها ماتطلبه ، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره ؟ !

فقالوا له : نحن أعلم بالأحكام الشرعية ..

فقال : لو رأيت الشيخ الذى فسخ الزواج !

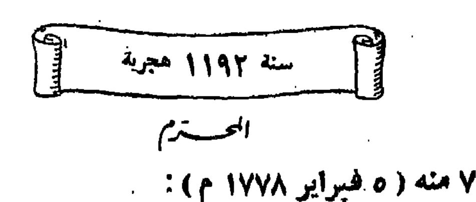
فقال الشيخ الجداوى : أنا الذى فسخت الزواج على قاعدة مذهبى ...

فقام عـلى أقدامه وصرخ وقال : والله أكسر رأسك !

فصرخ عليه الشيخ على الصعيدى ، وسبه ، وقال له :

لعنك الله ! ولعن اليسرجى الذى جاء بك ! ومن باعك ! ومن اشتراك ! ومن جعلك أميرا ! !

فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء ، يسكنون حدته ، وأحضروا الشيخ عبد الباقى من الحبس ، فأخذوه وخرجوا وهم يسنبونه ، وهو يسمعهم .. !



سنة ١١٩٢ هجرية

المحـرم

٧ منه (٥ فبراير ١٧٧٨ م) :

حضر اسماعيل كتخدا عزبان وبعض صـناجق اسماعيل بيك .

٩ منه (٧ فبراير ١٧٧٨ م) :

وصـل اسماعيل بيك ، وعدى من معـادى الخبيرى ، ودخل الى مصر ، وذهب الى بيته ، وكثر الهرج فى الناس بسبب حضوره ، ومن وصل قبله — على هذه الصورة — ثم تبين الأمر بأن حسن بيك الجداوى وخشداشينه وجماعة الفلاح بأسرهم ، وكشاف ومماليك وأجناد ، ومغاربة . خامر الجميع على اسماعيل بيك ، والتفوا على ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم . فعند ذلك ركب اسماعيل بيك بمن معه وطلب مصر ، حتى وصلها فى أسرع وقت وهو فى أشد مايكون من القهر والغيظ . وفى الصباح أرسل اسماعيل بيك ومنع المعادى من التعدية .

وفى يوم الاثنين ، طلعوا الى القلعـة ، وعملوا ديوانا عند الباشا ، وحضر الموجودون من الأمراء والوجاقلية والمشايخ . وتشاوزوا فى هذا الشأن ، فلم يستقر الرأى على شئ ، ونزلوا الى بيوتهم ، وشرعوا فى توزيع أمتعتهم وتعزيل بيـوتهم . واضطربت أحوالهم .

١٤ منه (١٢ فبراير ١٧٧٨ م) .

نزل اسماعيل بيك وصناجقه بالعادلية ، فى هذه الليلة ، وباتت الناس فى وجل .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٧٧٨ م) :

أشيع خروج اسماعيل بيك ومن معـه ، ووقع النهب فى بيوتهم وركبوا فى صـبح ذلك اليـوم وذهبوا الى جهة الشام ، فكانت مدة امارة اسماعيل بيك وأتباعه على مصر — فى هـذه المرة — ستة أشهر وأياما .

وعدى مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون ، فى ذلك اليوم ، وكذلك ابراهيم أغا الوالى — الذى كان فى أيامهم — وشق المدينـة ونادى بالأمان ، وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا فرمانا بالاذن بالدخول .

فكتب لهم الباشا فرمانا وأرسله صحبة ولده وكتخدائه ، وهو سعيد بك .

٢١ منه (١٩ فبراير ١٧٧٨ م) :

طلع ابراهيم بيك وأتباعه الى الديوان ، فخلع الباشا على ابراهيم بيك ، واستقر فى مشيخة البلد كما كان ، واستقر أحمد بك شنن صنجقا كماكان ، وتقلد عثمان أغا خازندار ابراهيم بيك صنجقية — وهو الذى عرف بالأشقر — وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضا ، وعلى كاشف أغات مستحفظان ، وموسى أغا — من جماعة على بيك — واليا كما كان أيام سيده .

فى أواخره (مارس ١٧٧٨ م) :

وردت أخبار بأن اسماعيل بيك ومن معه وصلوا الى غزة . واستقر المذكورون بمصر ، علوية ، ومحمدية ، والعلوية شامخة على المحمدية ، ويرون المنة لأنفسهم عليهم ، والفضيلة لهم بمخامرتهم معهم . ولولا ذلك مادخلوا مصر ، ولا يمكن المحمدية التصرف فى شىء الا باذنهم ورأيهم ، بحيث صاروا كالمحجور عليهم ، لايأكلون الا مافضل عنهم .

جمادى الأولى

٨ منه (٤ يونية ١٧٧٨ م) :

حضر الى مصر ابراهيم بيك أوده باشه من غزه مفارقا لاسماعيل بيك ، وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن فى الحضور ، فأذنوا له ، وحضر وجلس فى بيته ، وتخيل منه رضوان بيك ، وقصد نفيه فالتجأ الى مراد بيك وانضم اليه ، وقال له مراد بيك : لاتخش من أحد . فحرك ذلك ماكمن فى صدور العلوية .

١٧ منه (١٣ يونية ١٧٧٨ م) :

ركب مراد بيك وخرج الى مرمى النشاب منتفخا من القهر ، مفكرا فى أمره مع العلوية . فحضر اليه عبد الرحمن بيك وعلى بيك الحبشى من العلوية ، فعندما أراد عبد الرحمن بيك القيام ، عاجله مراد بيك ومن معه .. وقتلوه .. وفر على بيك الحبشى وغطى رأسه بفوقانيته ، وانزوى شجر الجميز ، فلم يروه .

فلما ذهبوا ، ركب وسار مسرعا حتى دخل على حسن بيك الجداوى فى بيته ، وركب مراد بيك وذهب الى بيته ، واجتمع على حسن بيك أغراضه ، وعشيرته ، وأحمد بيك شنن ، وسليمان كتخدا وموسى أغا الوالى ، وحسن بيك رضوان أمير الحج ، وحسن بيك سوق السلاح ، وابراهيم بيك بلفيا ... وكرنكوا فى بيت حسن بيك الجداوى بالداودية ، وعملو متاريس فى ناحية باب زويلة ، وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة . واجتمع على مراد بيك خشداشينه وعشيرته وهم مصطفى بيك الكبير ومصطفى بيك الصغير وأحمد بيك الكلارجى . وركب ابراهيم بيك من قبة العزب ، وطلع الى القلعة ، وملك الأبواب ، وضرب المدافع على بيت حسن بيك الجداوى ، ووقع الحرب بينهم ، وأغلقت الأسواق والحوانيت ، واستمر الضرب بين الفريقين فى الأزقة والحارات . ويزحفون على بعضهم تارة ، ويتأخرون أخرى ، وينقبون البيوت على بعضهم ، فحصل الضرر للبيوت الواقعة فى حيزهم ، من النهب والحرق والقتل . ثم ان المحمدية تسلق منهم طائفة من الخليج ، وطلعوا من عند جامع الحين من بين المتاريس ، وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من ظاهره ، وملكوه ، وركبوا عليه المدافع ، وضربوا على بيت الجداوى ، فعند ذلك عاين العلوية الغلب . فركبوا ، وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر . والمحمدية

خلفهم ، شاهرين السيوف يحجون بالخيل . فلما خرجوا الى الخلا ، التقوا معهم ، فقتل حسن بيك رضوان أمير الحج ، وأحمد بيك شنن ، وابراهيم بيك بلفيا المعروف بشلاق ، وغيرهم أجناد وكشاف ومماليك . وفر حسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، ولم يقتل أحد من المحمديين ، سوى مصطفى بيك الكبير ، أصابته رصاصة فى كتفه ، انقطع بسببها أياما ثم شفى . وأما حسن بيك ورضوان بيك فهربا فى طائفة قليلة ، وخرج عليهم العربان فقاتلوهما قتالا شديدا ، وتفرقا من بعضهما ، وتخلص رضوان بيك وذهب فى خاصته الى شبين الكوم . وأما حسن بيك الجداوى فلم تزل العرب تحاوره حتى أضعفوه ، وتفرق من حوله . وشيخ العربان سعد صحصاح يتبعه ويقول له :

أين تذهب يا ابن الملعون .. ونحو ذلك . ثم حلق عليه رتيمة شيخ عرب بلى ، فتقنطر به الحصان فى مبلة كتان ، فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه ، وعروه وكتفوه ، وصفعه رتيمة على قفاه ووجهه ! ثم سحبوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو حاف ، وأرسلوا له كاشفا . فلما حضر اليه وواجهه ، لاطفه ، فقال له :

الى أين تذهب بى ؟ فقال له : محل ماتريد . فلما دخل الى مصر سار الى بولاق ، ودخل بيت الشيخ أحمد الدمنهورى ، فركب جماعة كثيرة من المحمدية وذهبوا الى بولاق ، وطلبوه ، فامتنع من اجابتهم . فلم يجسروا على أخذه قهرا من بيت الشيخ ، فداخله الوهم ، وطلع الى السطح ، ونط الى سطح آخر . ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان ، فصادف بعض المماليك فضربه ، وأخذ حصانه وركبه ، وذهب راكبا بمفرده ، وأشيع هروبه

فركبت اليه الأجناد ، وحلقوا عليه الطرق ، فصار يقاتل من يدركه . ولم يجد طريقا مسلوكا الى الخلاء . فدخل المدينة ، وذهب الى بيت ابراهيم بيك فوجده جالسا مع مراد بيك ، فاستجار بابراهيم بيك فأجاره وأمنه ، ومكث فى بيته خمسة أيام وهو كالمختل فى عقله مما قاساه من معاينة الموت مرارا . ثم رسموا له أن يذهب الى جدة وأرسلوه الى السويس فى محفة . فلما نزل بالمركب أمر الريس أن يذهب به الى القصير فامتنع ، فأراد قتله ، فذهب بالمركب الى القصير . فطلع الى الصعيد .

جمادى الآخرة

فيه : حضر الى مصر سليمان كتخدا الشرايبى ، كتخدا اسماعيل بيك ، وعلى يده مكاتبة من اسماعيل بيك مضمونها : يريد الاذن بالتوجه الى أخميم أو الى السرو ورأس الخليج ، يقيم هناك ، ويبقى ابراهيم بيك قشطة بمصر رهينة ، ويكون وكيله فى تعلقاته وقبض فائضه والصلح أحسن وأولى . فعملوا ديوانا وأحضروا المشايخ والقاضى وعرضوا عليهم تلك المكاتبة ، واشتوروا فى ذلك ، فانحط الرأى بأن يرسلوا له جوابا بالسفر الى جدة من السويس ويطلقوا له فى كل سنة أربعين كيسا وستة آلاف أردب غلال وحبوب ، وأن يرسل ابراهيم بيك صهره كما قال الى مصر ويكون وكيلا عنه ، ومن بصحبته من الأمراء يحضرون الى مصر بالأمان ويقيمون برشيد ودمياط والمنصورة .. ونحو ذلك . وأرسلوا المكاتبة صحبة سليم كاشف تمرلنك أخى اسماعيل بيك المقتول وآخرين .

وفيه : رسموا بنفى ابراهيم بيك أوده باشه وسليمان كتخدا الشرايبى وكان أشيع تقليد ابراهيم بيك الصنجقية فى ذلك اليوم وتهيأ لذلك وحضر فى الصباح عند ابراهيم بيك . فلما دخل رأى عنده مراد بيك فاختليا معه . فأخرج ابراهيم بيك من جيبه مكتوبا مسكوه عليه من اسماعيل بيك خطابا

له ، مضمونه : أنه بلغنا ماصنعت فى ايقاع الفتنة بين الجماعة ، وهلاك الطائفة الخائنة . . وفيه : أن يأخذ من الرجل المعهود كذا من النقود يوزعها على جهات كناها له . . وربنا يجمعنا فى خير . فلما تناوله من ابراهيم بيك وقرأه قال فى الجواب : كل منكم لايجهل مكايد اسماعيل بيك ، وأنكر ذلك بالكلية . فلم يقبلوا عذره ، ولم يصدقوه ، وقام وذهب الى بيته ، فأرسلوا خلفه محمد كتخدا أباظة ، فأخذه وصحبته مملوكان فقط ، ونزل به الى بولاق ونفوه الى رشيد ، وكذلك نفوا سليمان كتخدا الشرايبى واحتاطوا بموجود ابراهيم بيك .

١١ منه (٧ يولية ١٧٧٨ م) :

وصل ابراهيم باشا والي جدة ، وذهب الى العادلية وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه ، وسفروه الى السويس بعد ماذهبوا اليه وودعوه .

١٩ منه (١٥ يولية ١٧٧٨ م) :

ركب الأمراء وطلعوا الى باب الينكجرية والعزب وأرسلوا الى الباشا كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة ، وبعض الاختيارية ، يأمرونه بالنزول الى بيت حسن بيك الجداوى ، وهو بيت الداوودية . فلما قالوا له ذلك قال : وأى شيء ذنبى حتى أعزل ، فرجعوا وأخبروهم بمقالة الباشا ، فأمروا أجنادهم بالركوب ، فطلعوا الى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلأ منهم ، فارتعب الباشا منهم ، فركب من ساعته ونزل من القلعة الى بيت الداوودية ، وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه فى ذلك اليوم . فكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

رجب

٢١ منه (١٥ أغسطس ١٧٧٨ م ـ ١٠ مسرى ١٤٩٤) :

كان وفاء النيل المبارك . وزاد النيل فى هذه السنة زيادة مفرطة . حتى انقطعت الطرقات من كل ناحية واستمر الى آخر توت (اكتوبر ١٧٧٨ م) .

شعبان

٢٢ منه (١٥ سبتمبر ١٧٧٨ م) :

حضر من أخبر أن جماعة من الأجناد حضروا من ناحية غزة وصحبتهم عبد الرحمن أغا مستحفظان على الهجن ، ومروا من خلف الجرة ، وذهبوا الى قبلى ، وتخلف عنهم عبد الرحمن أغا فى حلوان لغرض من الأغراض ، ينتظره من مصر . فركب من ساعته مراد بيك فى عدة ، وذهبوا الى حلوان ليلا على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه . ورجع مراد بيك وشق المدينة ، والرأس أمامه على رمح . ثم أحضروا جثته الى بيته الصغير بالكعكيين ، وغسلوه وكفنوه ، وخرجوا بجنازته وصلوا عليه بالماردانى . ثم ألحقوا به الرأس فى الرميلة ، ودفنوه بالقرافة ، ومضى أمره .

رمضان

فى اواخره (اكتوبر ١٧٧٨ م) :

هرب رضوان بيك على شبين الكوم وذهب الى قبلى . فلما فعل ذلك عينوا ابراهيم بيك الوالى ، فنزل الى رشيد وقبض على على بيك الحبشى وسليمان كتخدا وقتلهما ، وأما ابراهيم بيك أوده باشه فهرب الى القبطان واستجار به .

شـــوال

١٩ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج رضوان بيك بلفيا .

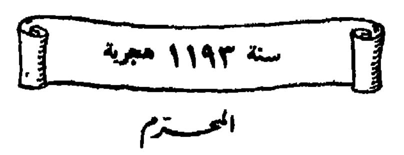
٢٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

سافر المحمل من البركة .

ذو القعـــدة

١٥ منه (٤ ديسمبر ١٧٧٨ م) :

نزل أرباب العكاكيز وهم على كتخدا جاوجان وأغات المتفرقة والترجمان ، وكاتب حوالة وأرباب الخدم ، وسافروا لملاقاة الباشا الجديد .



سنة ١١٩٣ هجرية

المحـــرم

السبت ٥ منه (٢٣ يناير ١٧٧٩ م) :

وصل الى مصر اسماعيل باشا والى مصر ، وبات ببر انبابة ليلة السبت المذكور ، وركب الأمراء فى صبحها وقابلوه ، ورجعوا وعدى الآخـر وركب الى العادلية وجلس بالقصر ، وتولى أمر السماط مصطفى بيك الصغير .

الثلاثاء ٩ منه (٢٧ يناير ١٧٧٩ م) :

ركب الباشـا بالموكب ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وطلع الى القلعة ، وعملوا له شنكا ومدافع ، ووصل الخبر بنزول اسماعيل بيك الى البحر وسفره من الشام الى الروم .. وغاب أمره .

ربيع الأول

فى اواخره (ابريل ١٧٧٩ م) :

وقعت حادثة بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام وطائفة الأتراك بين المغرب والعشاء . فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم . فقتلوا منهم شخصـــا وجرحوا منهم جماعة . فلما أصبحوا ذهب الأتراك الى ابراهيم بيك ، وأخبروه بذلك ، فطلب الشيخ عبد الرحمن العرايشى مفتى الحنفية ، والمتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك ، فأخبره عن أسماء جماعة ، وكتبهم فى ورقة ، وعرفه أن القاتلين تغيبوا وهربوا ، ومتى ظهروا أحضرهم اليه .. ولما توجه من عنده تفحص ابراهيم بيك عن مسميات الأسماء ... فلم يجد لهم حقيقة ! . فأرسل الى الشيخ أحمـد العروسى شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب ، ولم يجدوه ، فاغتاظ ابراهيم بيـك ومراد بيك وعزلوه عن الافتـاء ، وأحضروا الشـيخ محمد الحريرى وألبسوه خلعة ليكون مفتى الحنفية عوضا عن الشيخ عبد الرحمن ، وحثوا خلفه بالطلب ليحرجوه من البلدة منفيا فشفع فيه شيخ السادات ، وهرب طائفة الشوام بأجمعهم ، وسمر الأغا رواقهم ، ونادوا عليهم . واستمر الأمر على ذلك أياما ، ثم منعوا المجـادلة والطبرية من دخول الرواق ، ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للأتراك دية المقتولين ، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء ، وفتحوا الرواق ، ومرض الشيخ العريشى من قهره .. وتوفى .

جمـــادى الآخرة

(يونية ١٧٧٩ م) :

جاءت الأخبـــار بأن حسن بيك ورضوان بيك قوى أمرهم ، وجمعـــوا جموعا ، وحضروا الى دجرجا ، والتف عليهم أولاد همـــام والجعـــافرة واسماعيل أبو على . فتجهز مراد بيك وسافر قبله أيوب بيك الصغير . ثم سافر هو أيضا . فلما قربوا من دجرجا ، ولى القبالى وصعدوا الى فوق ، فأقام مراد بيك فى دجرجا الى أوائل رجب . وقبض على

اسماعيل أبى على وقتله ونهب ماله وعبيده ، وفرق بلاده على كشافه وجماعته .

رجب

١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٧٩ م) :

ظهر بمصر وضواحيها مرض . سموه بأبى الركب، وفشا فى الناس قاطبة حتى الأطفال . وهو عبارة عن حمى ، ومقدار شدته ثلاثة أيام . وقد يزيد على ذلك ، وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ، ويحدث وجعا فى المفاصل والركب والأطراف ، ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ، ويبقى أثره أكثر من شهر ، ويأتى الشخص على غفلة ، فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ، ويذهب بالعرق والحمام .. وهو من الحوادث الغريبة .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٧٩ م) :

وصل مراد بيك من ناحية قبلى ، وصحبته منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة .

٢٢منه (٥ اغسطس ١٧٧٩ م - ٢ مسرى ١٤٩٥):

أوفى النيل المبارك . ثم زاد فى ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على السد وجرى المـاء فى الخليج بنفسه . وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريا ، وفيه المراكب . فلم تحصل الجمعية ، ولم ينزل الباشا على العادة .

شعبان

فى اواخره (سبتمبر ١٧٧٩ م)

وصل الى مصر قابجى باشا وبيده أوامر بعزل اسماعيل بيك عن مصر ، ويتوجه الى جدة . وأن ابراهيم باشا والى جدة ، يأتى الى مصر . وفرمان آخر بطلب الخزينة .

شوال

(اكتوبر - نوفمبر ١٧٧٩ م) :

فيه : وصلت الأخبار بموت على بيك السروجى وحسن بيك سوق السلاح بغزة .

١٨ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٧٩ م) :

عمل موكب المحمل ، وخرج الحجاج وأمير الحج مراد بيك ، وخرج فى موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر . وماجت مصر وهاجت ، فى أيام خروجه ، بسبب الأطلاب ، وجمع الأموال ، وطلب الجمال والبغال والحمير . وغصبوا بغال الناس ، ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها ، وأخذوها منه قهرا . فان كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها والا فلا ، وغلت أسعارها جدا ! .

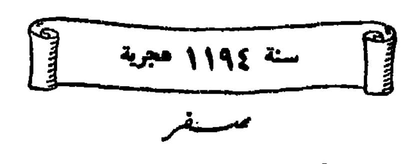
ولم يعهد حج مثل هذه السنة فى كل شىء . وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس . وسافر صحبة مراد بيك أربعة صناجق ، وهم : عبد الرحمن بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وعلى بيك المالطى ، وذو الفقار بيك ، وأمراء وأغوات .. وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار .

وفيه : حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على مصر كما كان .. وكان — لما أتاه العزل — نزل من القلعة فى غرة رمضان ، وصام رمضان فى مصر العتيقة . ولما انقضى رمضان تحول الى العادلية ليتوجه الى السويس ويذهب الى جدة — حسب الأوامر السابقة — فقدر الله بموت ابراهيم باشا ، وحضر التقرير له بالولاية ثانيا .

ذو القعدة

٦ منه (١٥ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

ركب اسماعيل باشا الى القلعة من باب الجبل . بعد التقرير له بالولاية ثانيا .



سنة ١١٩٤ هجرية

صـفر

١١ منه (١٧ فبراير ١٧٨٠ م) :

دخل الحجاج الى مصر وأمير الحج مراد بيك ، ووقف لهم العربان فى الصفرة والجديدة ، وحضروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغز والأجناد ، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة ، وكذلك من الجمال والدواب . والعرب بأعلى الجبال ، والحج أسفل ... كل ذلك والحج سائر .

رجب

٣ منه (٥ يولية ١٧٨٠ م) :

اجتمع الأمراء ، وأرسلوا الى الباشا أرباب العكاكيز ، وأمروه بالنزول من القلعة معزولا . فركب فى الحال ونزل الى مصر العتيقة ، ونقلوا عزاله ومتاعه فى ذلك اليوم واستلموا منه الضربخانة ، وعمل ابراهيم بيك قائمقام مصر . فكانت مدة ولاية اسماعيل باشا — فى هذه المرة — ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام

وكان أصله رئيس الكتاب باسلامبول ، وكان مراد بيك .. هذا ، أصله من مماليكه ! فباعه لبعض التجار فى معاوضة ، وحضر الى مصر ولم يزل حتى صار أميرها . وحضر سيده هذا فى أيام امارته ... وهو — مراد بيك — الذى عزله من ولايته ، ولكن كان يتأدب معه ، ويهابه كثيرا ، ويذكر سيادته عليه . وكان هذا الباشا أعوج العنق للغاية ، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع فعجزت العروق ، وقصرت ، فاعوج عنقه ، وصارت لحيته عند صدره ، ولا يقدر على الالتفات الا بكليته ... الا أنه كان رئيسا عاقلا ، صاحب طبيعة ، ويحب المؤانسة والمسامرة .

شعبان

١٠ منه (١١ اغسطس ١٧٨٠ م ـ ٧ مسرى ١٤٩٦) :

أوفى النيل المبارك ، وكسر السد فى صبحها ، بحضرة ابراهيم بيك قائمقام مصر والأمراء

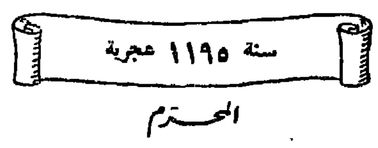
وفى أواخره (اغسطس ١٧٨٠ م) :

شرع الأمراء فى تجهيز تجريدة ، وسفرها الى جهة قبلى ، لاستفحال أمر حسن بيك ورضوان وانه انضم اليهم كثير من الأجناد وغيرهم ، وذهب اليهم جماعة اسماعيل بيك . فعندما تحققوا ذلك ، أخذوا فى تجهيز تجريدة وأميرها مراد بيك وصحبته ، وطلبوا الاحتياجات واللوازم ، وحصل منهم الضرر . وطلب مراد بيك الأموال من التجار وغيرهم .. مصادرة ، وجمعوا المراكب ، وعطلوا الأسباب ، وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين .

شـوال

٢٠ منه (١٩ اكتوبر ١٧٨٠ م) :

كان خروج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج مصطفى بيك الصغير



سنة ١١٩٥ هجرية

المحـرم

١٥ منه (١١ يناير ١٧٨١ م) :

قبض ابراهيم بيك على ابراهيم أغا بيت المال ، المعروف بالمسلمانى ، وضربه بالنبابيت حتى مات وأمر بالقائه فى بحر النيل ، فألقوه وأخرجه عياله بعد أيام من عند شبرا فأتوا به الى بيته وغسلوه وكفنوه ودفنوه .. ولم يعلم لذلك سبب .

وكان عنده ، من جملة كتبه ، زيج الراصد لغيبك السمرقندى ، نسخة شريفة بخط العجم (الخط الفارسى) ، فى غاية الجودة والصحة والاتقان ، وعليها تقييدات وتحريرات وفوائد شريفة لا يسمح الدهر بمثل تلك النسخة . وكنت كثيرا ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحتها ، ويقول : ليس فى الدنيا الا نسختى ونسخة الشيخ ابراهيم الزمزمى ونسخة حسن افندى قطه مسكين! ولا يعتمد على غيرهم فى الصحة ، لأنهم كتبوا وصححوا فى عهد الراصد

ونسخة الوالد مكتوب عليها بخط رستم شاه ما نصه : « قد اشترينا هذا الكتاب فى دار سلطنة هراة باثنى عشر ألف دينار » .. وتحت ذلك اسمه وختمه .

فلما كان فى سنة ست وتسعين ورد علينا بعض الحجاج الجزائرية وسألنى عن كتب يشتريها — من جملتها الزيج المذكور — وأرغبنى فى زيادة الثمن ، فلم تسمح نفسى فى شىء من ذلك .

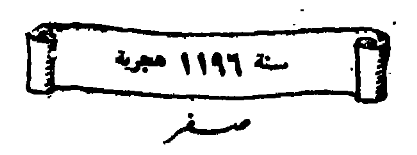
ثم سافر الى الحج ورجع وأتانى ، ومع خادمه رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها نسخة الزيج المذكورة ، وفرجنى عليها ، وقال : أيهما أحسن ؟ نسختك التى ضننت بها ، أو هذه ؟ .. وكنت لم أرها قبل ذلك . فرأيتها شقيقتها ، وتزيد عنها فى الحسن صغر حجمها ، وكثرة التقييدات بهامشها ، وطيارات كثيرة بداخلها فى المسائل المعضلة — مثل التسييرات والانتهاءات والنمودارات وغير ذلك — وجميعها بحسن الخط والوضع ، فرأيتها المخدرة التى كشف عنها القناع ، وانما هى المعشوقة بالسماع [1] ..

فقلت له : كيف وصلت الى هذه اليتيمة ؟ وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة ؟

فأخبرنى أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين ريالا .. وكتاب المجسطى ، وكتاب التبصرة ، وشرح التذكرة ، ونسخة البارع فى غاية الجودة ، وزيج ابن الشاطر ، وغير ذلك من الكتب التى لا توجد فى خزائن الملوك .. وكلها بمثل ذلك الثمن البخس ...

فقضيت أسفا ! وأخذ الجميع مع ما أخذ ، وذهب الى بلاده .

وهكذا حال الدنيا !



سنة ١١٩٦ هجرية

صفر

(اواخر يناير واوائل فبراير ١٧٨٢ م) :

نزل مراد بيك وسرح (ا) بالاقاليم البحرية ، وطاف البلاد بالشرقية ، وطلب منهم أموالا ، وفرد عليهم مقادير من المال عظيمة ، وكلفا وحق طرق معينين .. وغير ذلك ما لا يوصف !

ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ، ثم المنوفية

شعبان

فى منتصفه (٢٦ يولية ١٧٨٢ م) :

ورد أغا بطلب محمد باشا ملك الى الباب ليتولى الصدارة ، فنزل من القلعة الى قصر العينى ، وأقام بقية شهر شعبان ، ونزل فى غرة رمضان وسافر الى الاسكندرية .. فكانت مدة ولايته ١٣ شهرا ونصفا .

وهاداه الأمراء ولم يحاسبوه على شىء . ونزل فى غاية الاعزاز والاكرام .

وكان من أفاضل العلماء ، متضلعا من سائر

(١) حين تدلهم الحوادث ، وتدهم الخطوب ، وتتوالى الكوارث على أمة يكتنفها الظلام الحالك من جميع جنباتها ونواحيها .. ثم تجد — تحت رماد نكباتها المتكاثف — هذا الوهج المقدس من حب العلم ، وهذا الافتتان والشغف بكتبه .. تعلم أن هذه أمة لن تخمد لها جذوة ، ولن ينطفىء لها نور ، ولن يخبو لها شعاع ...

الفنون ، ويحب المذاكرة والمباحثة والمسامرة وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم. وكان طاعنا فى السن ، منور الشيبة ، متواضعا .

رمضان

اواسطه (اواخر اغسطس ١٧٨٢ م) :

حصر الباشا الجديد ، ونزل اليه الملاقاة .

شوال

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٢ م) :

طلع الباشا الجديد الى قصر العينى ، فبات به وركب بالموكب فى صبحها ، ومر من جهة الصليبة ، وطلع الى القلعة .. وذلك على خلاف العادة .

وفيه : جاءت الأخبارعلى أيدى السفارالواصلين من اسلامبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله . واحترق منها نحو الثلاثة أرباع ، واحترق خلق كثير فى ضمن الحريق ، وكان أمرا مهولا .

وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضا ، ونفوا الوزير عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة .

ذوالقعدة

ليلة ١٨ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٢ م) :

هرب سليم بيك وابراهيم بيك قشطة ، وتبعهم جماعة كبيرة نحو الثمانين ، فخرجوا ليلا على الهجن وجرائد الخيل ، وذهبوا الى الصعيد .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فارتبك ابراهيم بيك ومراد بيك . ونادى الأغا والوالى بترك الناس المشى بعد العشاء .

سنة ١١٩٧ هجرية

فيها تسحب أيضا جماعة من الكشاف والمماليك ، وذهبوا الى قبلى .

فشرعوا فى تجهيز تجريدة ، وعزم مراد بيك على السفر ، وأخذ فى تجهيز اللوازم ، فطلب الأموال ، فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار والمتسببين .. وحبسوهم وصادروهم فى أموالهم ، وسلبوا ما بايديهم .. فجمعوا من المال ما جاوز الحد ، ولا يدخل تحت العد !

ربيع الآخر

فى منتصفه (٢٠ مارس ١٧٨٣ م) :

برز مراد بيك للسفر ، وأخرج خيامه الى جهة البساتين ، وخرج صحبته الأمير لاچين بيك ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر ، وسليمان بيك أبو نبوت . . وكشافهم ومماليكهم وطوائفهم ، وسافروا بعد أيام .

جمادى الآخرة

فى اواخره (اواخر مايو ١٧٨٣ م) :

وردت الأخبار بأن رضوان بيك — قرابة على بيك — حضر الى مراد بيك وانضم اليه . فلما فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخذلوا ورجعوا القهقرى ، ورجع مراد بيك أيضا الى مصر ، وترك هناك مصطفى بيك ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر

رجب

٢٦ منه (٢٧ يونية ١٧٨٣ م) :

اتفق مراد بيك وابراهيم بيك على نفى جماعة من خشداشينهم ، وهم ابراهيم بيك الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وسليمان بيك الأغا ورسموا لأيوب بيك أن يذهب الى المنصورة فأبى وامتنع من الخروج ، فذهب اليه حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — واحتال عليه ، فركب وخرج الى غيط مهمشة ، ثم سافر الى المنصورة .

وأما ابراهيم بيـك الوالى فركب بطوائفـه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة ، فركب خلفه على بيك أباظة ولاچين بيك ، وحجزوا هجنـه وجماله عند المعادى ، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام ، فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العينى ، ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج .

وأما سليمان بيك فانه كان غائبا باقليم الغربية والمنوفيـة يجمع من الفـلاحين فردا وأمـوالا ومظالم ! فلما بلغه الخبر رجع الى منوف ، فحضر اليـه المعينون لنفيه ، وأمروه بالذهاب الى المحلة الـكبرى ، فركب بجماعته وأتباعه فوصـل الى مسجد الخضر ، فاجتمع بأخيه ابراهيم بيك الوالى هناك ، فأخذه صحبته وذهبا الى جهة البحيرة .

فى غايته (أول يولية ١٧٨٣ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وقلدوا خمسة من أغوات الكشاف صناجق ، وهم : عبد الرحمن خازندار ابراهيم بيك سابقا ، وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقا (وعرف بالموسقو) وهو من مماليك محمد بيك واشراق ابراهيم بيك ، وحسين كاشف (وعرف بالشفت بمعنى اليهـودى) ، وعثمـان كاشف ، ومصطفى كاشف السلحدار .. وهـؤلاء الثلاثة من طرف مراد بيك .

شعبـان

(يولية ١٧٨٣ م) .

وردت الأخبار من ثغر سكندرية بوصول باشا الى الثغر ــ واسمه محمـد باشا السلحدار ــ واليا على مصر ، فنزل الباشا القديم من القلعـة الى القصر بشاطىء النيل .

فى اواخره (أواخر يولية ١٧٨٣ م) :

وصل سلحدار الباشا الجديد بخلعة قائمقامية لابراهيم بيك .

وفيـه : وصلت الأخبـار بأن سليمـان بيك وابراهيم بيك رجعوا من ناحية البحيرة الى طندتا ، وجلسوا هنـاك ، وأرسلوا جوابات الى الأمراء بمصر بذلك ، وأنهم يطلبـون أن يعينـوا لهـم ما يتعيشون به .

وفيه : أرسلوا خلعة الى عثمان بيك الشرقاوى بأن يستقر حاكما بجرجا ، وطلبوا مصطفى بيك ، وسليمان بك أبا نبـوت ، وعثمان بيك الأشـقر للحضور لمصر ... فحضروا واستقر عثمان بيك الشرقاوى بجرجا

رمضـان

فى غرته (٣١ يولية ١٧٨٣ م) :

هرب سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى من طندتا وعدوا الى شرقية بلبيس ، ومروا من خلف الجبل ، وذهبوا الى الصعيد . ورجع على كتخدا ، ويحيى كتخدا سليمان بيك ، الى مصر بالحملة والجمال وبعض مماليك وأجناد .

فى اواخره (أواخر أغسطس ١٧٨٣ م) :

هرب أيضـا أيوب بيك من المنصورة وذهب الى الصعيد أيضـا . وتواترت الأخبـار بأنهم اجتمعوا مـع بعضهم واتفقوا على العصيـان . فأرسلوا لهم محمد كتخدا أباظه ، وأحمـد أغا جمليـان ، وطلبوهم الى الصلح ، ويعينـون لهم أماكن يقيمون بهـا ويرسلون لهم احتياجاتهم . . فأبوا ذلك . فطلبـوا عثمـان بيـك الشرقاوى ومصطفى بيك للحضور فامتنعا أيضـا ، وقالا : لا نحضر ولا نصطلح الا ان رجع اخواننا رجعنا معهم ، ويردون لهم امرياتهم وبلادهم وبيوتهم ، ويبطلوا من صنجقوه وأمروه عوضهم .

فلمـا حضر الجـواب بذلك شرعوا فى تجهيز تجريدة ، وأخـذوا يفتشـون أماكن الأمـراء المذكورين ، فأخذوا ماوجدوه بمنزل مصطفى بيك.

واتهموا أناسا بأمانات وودائع لمصطفى بيك وعثمان بيك الشرقاوى ، منهم الدالى ابراهيم وغيره ، فجمعوا بهذه « النكتة ! » أموالا كثيرة .. حقا وباطلا ..

شوال

٢٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٣ م) :

كان خروج المحمل والحجاج ، وأمير الحج مصطفى بيك الكبير .

ولما انقضى أمر الحج برروا للتجريدة — وأميرها ابراهيم بيك الكبير — وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها ، وعطلوا أسباب التجارة والمسافرين ، وجمعوا الأموال — كما تقدم — من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك .. وكان أمرا مهولا أيضا !

وبعد أيام وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ضمهم للصلح واصطلح معهم ، وأنه واصل صحبتهم جميعا .

ذو القعدة

١٦ منه (١٣ اكتوبر ١٧٨٣ م) :

حضر ابراهيم بيك ، ووصل بعده الجماعة ، ودخلوا الى مصر ، وسكنوا فى بيوت صغار — ما عدا عثمان بيك ومصطفى بيك فانهم نزلوا فى بيوتهم .

وحضر صحبتهم أيضا على بيك وحسين بيك الاسماعيلية ، فلم يعجب مراد بيك ما فعله ابراهيم بيك ، ولكن أسره فى نفسه ، ولم يظهره . وركب للسلام على ابراهيم بيك فقط فى الخلاء . ولم يذهب الى أحد من القادمين .

وسكن الحال على ذلك أياما ، وشرع ابراهيم بيك فى اجراء الصلح وصفاء الخاطر بينهم وبين مراد بيك ، وأمرهم بالذهاب اليه ، وسلموا عليه ، ثم ركب هو الآخر اليهم — ما عدا الثلاثة المعزولين — وكل ذلك وهو ينقل فى متاع بيته وتعزيل ما فيه .

ثم انه ركب فى يوم الجمعة وعدى الى جزيرة الذهب ، وتبعه كشافه وطوائفه ، وأرسل الى بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط وغير ذلك ، فأرسل له ابراهيم بيك لاچين بيك وسليمان بيك أبا نبوت ليردوه عن ذلك .. فنهرهم وطردهم .. فرجعوا !

ثم انه عدى الى ناحية الشرق وذهب الى قبلى ، وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر .

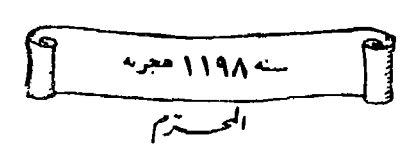
* * *

وفى هذه السنة قصر مد النيل وانهبط قبل الصليب بسرعة ، فشرقت الأراضى القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك ، وبسبب نهب « الأمراء ! » ، وانقطاع الوارد من الجهة القبلية .

وشطح سعر القمح الى عشرة ريالات الاردب ، واشتد جوع الفقراء .

ووصل مراد بيك الى بنى سويف ، وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين ، ونهبوا كل ما مر بهم فى المراكب الصاعدة والهابطة ..

اذا وصل فساد الحكام الى مثل هذا ، فهل تدهش اذا صارت البلاد مطمعا للغزاة والعادين ؟



المحـرم

فيه : (ديسمبر ١٧٨٣ م) :

سافر مراد بيك الى منية ابن خصيب مغضبا .. وجلس هناك .

وفيه : حضر الى مصر محمد باشا والى مصر ، فأنزلوه بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل . فأقام به يومين ، ثم عملوا له موكبا وطلع الى القلعة من تحت الربع على الدرب الأحمر .

فى منتصفه (١٠ ديسمبر ١٧٨٣ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك والأمراء الذين معـه على ارسال محمد افندى البكرى ، والشيخ أبى الأنوار شيخ السادات ، والشيخ احمـد العروسى شـيخ الأزهـر الى مـراد بيـك ... ليـأخذوا خاطره ، ويطلبوه للصلح مع خشداشينه ، ويرجع اليهم ، ويقبلوا شروطه ما عـدا اخراج أحـد من خشداشينهم . فلما سافروا اليه وواجهوه ، وكلموه فى الصلح ، فتعلل بأعذار ؛ وأخبر أنه لم يخـرج من مصر الا هـروبا ، وخوفا على نفسـه ، فانه تحقق عنـده توافقهم على غدره . فان ضـمنتم وحلفتم لى بالأيمان أنه لا يحصل لى منهم ضرر ... وافقتكم عـلى الصلح ، والا .. فدعونى بعيـدا عنهم .

فقالوا له : لسـنا نطلع على القلوب ، حتى نحلف ونضمن ! ولـكن الذى نظنه ، ونعتقده ، عدم وقوع ذلك بينكم ، لأنكم اخوة ، ومقصودنا الراحة فيكم ، وبراحتكم ترتاح النـاس وتأمن السبل .

فأظهر الامتثال ، ووعد بالحضور بعد أيام . وقال لهم :

« اذا وصلتم الى بنى سويف ، ترسلون لى عثمـــان بيك الشرقاوى وأيوب بيك الدفتردار لأشترط عليهـم شروطى . فان قبلوها ، توجهت معهم . والا عرفت خلاصى معهم ! » .

وانفصلوا عنه على ذلك ... وودعوه وسافروا .

صـفر

٢٣ منه (١٧ يناير ١٧٨٤ م) :

حضر المذكورون الى مصر .

وصل الحجاج الى مصر .

٢٥ منه (١٩ يناير ١٧٨٤ م) :

دخل أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل .

ربيع الأول

مستهله (٢٤ يناير ١٧٨٤ م) :

خرج الأمـراء الى ناحيـة معادى الخبيرى ، وحضر مراد بيك الى بر الجيزة وصحبته جمع كبير من الغز والأجناد والعربان والغوغاء من أهل الصعيد والهـوارة . ونصبوا خيامهم ووطاقهـم قبالتهم فى البر الآخر ، فأرسل اليه ابراهيم بيك ، عبد الرحمن بيك عثمان وسليمان بيك الشابورى وآخرين فى مركب . فلما عدوا اليه ، لم يأذن لهم فى مقابلته ، وطردهم . ونزل أيضا كتخدا الباشا

وصحبته اسماعيل أفندى الخلوتى فى مركب آخر ، ليتوجهوا اليه أيضا لجريان الصلح . فلما توسطوا البحر ، ووافق رجوع الأولين ، ضربوا عليهم بالمدافع ، فكادت تغرق بهم السفن ، ورجعوا وهم لايصدقون بالنجاة .

فلما رأى ذلك ابراهيم بيك ، ونظر امتناعه عن الصلح ، وضربه بالمدافع ... أمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم ، وكثر الرمى بينهم من الجهتين على بعضهم البعض ، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية الى الجهة الأخرى ، وحجزوا المعادى من الطرفين . واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر الى عشرين منه ... واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد ، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية برا وبحرا ، وكثر تعدى المفسدين ، وغلت الأسعار ، وشح وجود الغلال ، وزادت أسعارها .

وفى تلك المدة كثر عبث المفسدين ، وأفحش جماعة مراد بيك فى النهب والسلب فى بر الجيزة ، وأكلوا الزروعات ، ولم يتركوا على وجه الأرض عودا أخضر ، وعين لقبض الأموال من الجهات ، وغرامات الفلاحين

وظن الناس حصول الظفر لمراد بيك ، واشتد خوف الأمراء بمصر منه ، وتحدث الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب .

٢٧ منه (١٩ فبراير ١٧٨٤ م) .

أرسل ابراهيم بيك المذكور خمسة من الصناجق وهم : سليمان بيك الأغا وسليمان بيك أبو نبوت وعثمان بيك الأشقر وابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك ، فعدوا الى البر الآخر بالقرب من البابة ليلا ، وساروا مشاة ، فصادفوا طابورا فضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم ، وملكوا مكانهم ، وذلك بالقرب من بولاق التكرور . كل ذلك والرمى بالمدافع متصل من عرضى ابراهيم بيك ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان ، وتقدموا قليلا قليلا من عرضى مراد بيك ، وضربوا على العرضى بالمدفعين فلم يجبهم أحد . فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف . وتتابع بهم طوائفهم وخيولهم .

فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضى خاليا وليس به أحد ، وارتحل مراد بيك ليلا وترك بعض أثقاله ومدافعه . فذهبوا الى العرضى وأخذوا ما وجدوه ، وجلسوا مكانه ، ونهب أوباشه المراكب التى كانت محجوزة للناس ، وعدى ابراهيم بيك ، وتتابعوا فى التعدية ، وركبوا خلفهم الى الشيمى ، فلم يجدوا أحدا .

فأقاموا هناك أربعة أيام ، ورجع ابراهيم بيك وبقية الأمراء الى مصر . ودخلوا بيوتهم ، وانقضت هذه الفتنة الكذابة على غير طائل ، ولم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة ، وهرب مراد بيك ، وذهب بمن معه يهلكون الزرع حصادا ، ويسعون فى الأرض فسادا .

جمادى الأولى

فى أواخره ؛ حوالى منتصف ابريل ١٧٨٤ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك على طلب الصلح مع مراد بيك . فسافر لذلك لاجين بيك وعلى آغا كتخدا جاووجان . وسبب ذلك ، أن عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك وابراهيم بيك الوالى ، تحزبوا مع بعضهم ، وأخذوا ينقضون على ابراهيم بيك الكبير ، واستخفوا بشأنه ، وقعدوا له كل مرصد . وتخل منهم وتحرز ، وجرت مشاجرة بين أيوب بيك وعلى أغا كتخدا جاووجان بحضرة ابراهيم بيك ، وسبه وشتمه وأمسك عمامته ، وحل قولانه وقال له « ليس هذا المنصب مخلدا عليك » . فاغتاظ

ابراهيم بيك لذلك وكتمه فى نفسه ، وعز عليه على أغا لأنه كان بينه وبينه محبة أكيدة ، ولا يقدر على فراقه ، فشرع فى اجراء الصلح بينه وبين مراد بيك ، فاجتمع اليه الأمراء وتكلموا معه وقالوا له : كيف تصنع .. ؟ قال : نصطلح مع أخينا .. أولى من التشاحن ، ونزيل الغل من بيننا لأجل راحتنا وراحة الناس ، ويكون كواحد منا ، وان حصل منه خلل أكون أنا وأنتم عليه .وتحالفوا على ذلك ، وسافر لاجين بيك وعلى أغا .

وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — الى مصر ، واجتمع بابراهيم بيك ، ورجع ثانيا . وأرسل ابراهيم بيك صحبته ولده ومرزوق بيك طفلا صغيرا ، ومعه الدادة والمرضعة . فلما وصلوا مراد بيك أجاب بالصلح ، وقدم لمرزوق بيك هدية وتقادم ، ومن جملتها بقرة ... ولابنتها رأسان !

وحضر بهما الى مصر ، وشاع خبرها ، فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد اسماعيل الوهبى الشهير بالخشاب — فوصلنا الى بيت أم مرزوق بيك الذى بحارة عابدين ، ودخلنا الى اسطبل مع بعض السواس ، فرأينا بقرة مصفرة اللون ببياض ، وابنتها خلفها سوداء ولها رأسان كاملا الأعضاء ، وهى تأكل بفم أحد الرأسين وتشتر (تجتر) بفم الرأس الثانى ... فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته ... فكانت من العجائب الغريبة المؤرخة !

رجب

فى ١٠ منه (٣٠ مايو ١٧٨٤ م) :

حضر مرزوق بيك وصحبته حسن كتخدا الجربان ، فأوصله الى أبيه ، ورجع ثانيا الى مراد بيك .

وشاع الخبر بقدوم مراد بيك ، وعمل مصطفى بيك وليمة ، وعزم من بصحبته ، وأحضر لهم آلات الطرب ، واستمروا على ذلك الى آخر النهار ...

١١ منه (٣١ مايو ١٧٨٤ م) :

وفى ثانى يوم اجتمعوا عند ابراهيم بيك وقالوا له : « كيف يكون قدوم مراد بيك ؟ ولعله لا يستقيم حاله معنا ! » .

فقال لهم : « حتى يأتى ... فان استقام معنا فبها ، والا أكون — أنا وأنتم — عليه » .

فتحالفوا وتعاهدوا وآكدوا المواثيق .

فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك الى غمازة ، فركب ابراهيم بيك على حين غفلة وقت القائلة فى جماعته وطائفته ، وخرج الى ناحية البساتين ، ورجع من الليل وطلع الى القلعة وملك الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصليبة والتبانة ، وأرسل الى الأمراء الخمسة يأمرهم بالخروج من مصر ، وعين لهم أماكن يذهبون اليها ، فمنهم من يذهب الى دمياط ، ومنهم من يذهب الى المنصورة وفارسكور ... فامتنعوا من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف ... ثم لم يجدوا لهم خلاصا بسبب أن ابراهيم بيك ملك القلعة وجهاتها ،ومراد بيك واصل يوم تاريخه وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان .

ثم انهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم الى ناحية القليوبية ، ووصل مراد بيك لزيارة الامام الشافعى . فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من فوره من خلف القلعة ، ونزل على الصحراء ، وأسرع فى السير حتى وصل الى قناطر أبى المنجا ، ونزل هناك ، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند شبرا شهاب .

وأدركهم مراد بيك ، والتطموا معهم ، فتقنطر مراد بيك بفرسه ، فلحقوه وأركبوه غيره ... فعند

ذلك ولى راجعا . وانجرح بينهم جماعة قلائل ، وأصيب سليمان بيك برصاصة نفذت من كتفه ولم يمت .

ورجع مراد بيك ومن معه الى مصر على غير طائل ، وذهب الأمراء الخمسة المذكورون وعدوا على وردان ، وكان بصحبتهم رجل من كبار العرب — يقال له طرهونه — يدلهم على الطريق الموصلة الى جهة قبلى ، فسار بهم فى طريق مقفرة ليس بها ماء ولا حشيش يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش . وتأخر عنهم أناس من طوائفهم وانقطعوا عنهم شيئا فشيئا الى أن وصلوا الى ناحية سقارة ، فرأوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضاق خناقهم وظنوا الوقوع ، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب عليها والهروب ويتركوا أثقالهم ، فقامت عليهم طوائفهم فقالوا لهم : كيف تذهبون وتتركونا مشتتين؟ وصار كل من قدر على خطف شىء أخذه وهرب ، فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم الى مكان آخر .

وفى وقت الكبكبة ركب مملوك من مماليكهم وحضر الى مراد بيك — وكان بالروضة — فأعلمه بالخبر ، فأرسل جماعة الى الموضع الذى ذكره له ، فلم يجدوا أحدا ، فرجعوا .

واغتم أهل مصر لذهابهم الى جهة قبلى لما يترتب على ذلك من التعب وقطع الجالب ، مع وجود القحط والغلاء . وبات الناس فى غم شديد ..

٢١ منه (١٠ يونية ١٧٨٤) :

شاع الخبر بالقبض عليهم . وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا الى ناحية الأهرام ، ووجدوا أنفسهم مقابلين البلد ، أحضروا الدليل وقالوا له : انظر لنا طريقا نسلك منه ... فركب لينظر فى الطريق ، وذهب الى مراد بيك وأخبره بمكانهم ، فأرسل لهم جماعة ، فلما نظروهم مقبلين عليهم ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هاربين .

وكانوا أكمنوا لهم كمينا ، فخرج عليهم ذلك الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح ولا قتال ، وحضروا بهم الى مراد بيك بجزيرة الذهب فباتوا عنده . ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد بيك مراكب وأنزل كل أمير فى مركب وصحبته خمسة مماليك وبعض خدام ، وسافروا الى جهة بحرى . فذهبوا بعثمان بيك وأيوب بيك الى المنصورة ، ومصطفى بيك الى فارسكور ، وابراهيم بيك الوالى الى طندتا ، وأما سليمان بيك فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه .

رمضان

منتصفه (٢ اغسطس ١٧٨٤) :

اتفق الأمراء المنفيون على الهروب الى قبلى ، فأرسلوا الى ابراهيم بيك الوالى ليأتى اليهم من طندتا ، وكذلك الى مصطفى بيك من فارسكور . وتواعدوا على يوم معلوم بينهم ، فحضر ابراهيم بيك الى عثمان بيك وأيوب بيك خفية فى المنصورة . وأما مصطفى بيك فانه نزل فى المراكب وعدى الى البر الشرقى بعد الغروب ، وركب وسار فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكور — وكان بينه وبين مصطفى بيك حزازة — وأخذ صحبته رجلا يسمى الأشقر فى نحو ثلاثمائة فارس وعدوا خلفه فلحقوه آخر الليل والطريق ضيقة بين البحر والأرز المزروع ... فلم يمكنهم الهروب ولا القتال . فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فدخل فى الأرز بفرسه فانغرس فى الطين فقبضوا عليه هو وجماعته ، فعروهم وأخذوا ما كان معهم وساقوهم مشاة الى البحر ، وأنزلوهم المراكب وردوهم الى مكانهم محتفظين عليهم . وأرسلوا الخبر الى مصر بذلك .

وأما الجماعة الذين فى المنصورة فانهم انتظروا ... بيك فى الميعاد فلم يأتهم ، ووصلهم الخبر ... وقع له ، ركب عثمان بيك وابراهيم بيك وساروا ، وتخلف أيوب بيك بالمنصورة . فلما قربوا من مصر سبقتهم الرسل الى سليمان بيك فركب من الجيزة وذهب اليهما وذهبوا الى قبلى ، وأرسل مراد بيك محمد كاشف الألفى وأيوب كاشف ،فأخذا مصطفى بيك من فارسكور وتوجها به الى ثغر الاسكندرية ، وسجنوه بالبرج الكبير — وعرف من أجل ذلك بالاسكندرانى .

وأحضروا أيوب بيك الى مصر وأسكنوه فى بيت صغير . وبعد أيام ردوه الى بيته الكبير وردوا له الصنجقية أيضا فى منتصف شوال .

شوال

الاثنين ٦ شوال (٢٣ أغسطس ١٧٨٤ م — ١٩ مسرى ١٥٠٠ ق) :

كان وفاء النيل المبارك . ونزل الباشا يوم الثلاثاء فى عربة ، وكسر السد على العادة .

٢١ شوال (٧ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج مصطفى بيك الكبير فى موكب حقير جدا بالنسبة للمواكب المتقدمة ، ثم ذهب الى البركة فى يوم الخميس ، وقد كان تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها ، فطلب ذلك من ابراهيم بيك فأحاله على مراد بيك من الميرى الذى طرفه وطرف أتباعه ، فقال : نعم طرفى ذلك ، لكنه قبض فردة البلاد واختص بها ، ولم آخذ منها الا قدرا يسيرا . وكانوا قبل ذلك قرروا فردة على البلاد وقبضها ابراهيم بيك ولم يأخذ منها مراد بيك الا أقل من مأموله — وقصده يقطع ما عليه من الميرى — لذلك فلم يلتفت ابراهيم بيك لقوله وأحال عليه أمير الحج .

وركب من البركة راجعا الى مصر ، وترك ... واياه ... فلم يسع مراد بيك الا الدفع وتشهيل الحج ، وعاد الى مصر وخرج الى قصره بالروضة ، وأرسل الى الجماعة الذين بالوجه القبلى . فلما علم ابراهيم بيك بذلك أرسل اليه يستعطفه ، وترددت بينهما الرسل من العصر الى بعد العشاء ...

ونظر ابراهيم بيك فلم يجد عنده أحدا من خشداشيته ، واجتمعوا كلهم على مراد بيك ... فضاق صدره وركب الى الرميلة فوقف بها ساعة حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بيك الأشقر وعلى بيك أباظة ، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة ثم سار نحو الجبل وذهب الى قبلى وصحبته على أغا كتخدا الجاويشية ، وعلى أغا مستحفظان ، والمحتسب وصناجقه الأربعة .

فلما بلغ مراد بيك ركوبه وذهابه ركب خلفهم حصة من الليل ثم رجع الى مصر وأصبح منفردا بها . وقلد قائد أغا أغات مستحفظان ، وصالح أغا الوالى القديم وجعله كتخدا الجاويشية ، وحسن أغا كتخدا ، ومصطفى بيك محتسب . وأرسل الى محمد كاشف الألفى ليحضر مصطفى بيك من محبسه بثغر اسكندرية ، ونادى بالأمان فى البلد ، وزيادة وزن الخبز ، وأمر باخراج الغلال المخزونة لتباع على الناس .

ذو القعدة

٥ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

فى ليلته حضر مصطفى بيك ونزل فى بيته أميرا وصنجقا على عادته كما كان .

وفيه : قلد مراد بيك مملوكه محمد كاشف الألفى صنجقا ، وكذلك مصطفى كاشف الأخميمى صنجقا أيضا .

١٧ منه (٢ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك أبو نبوت ... وكان مراد بيك أرسل يستدعيهم كما تقدم .

فلما حضروا الى مصر سكنوا بيوتهم كما كانوا على امارتهم .

فى اواخره (اوائل اكتوبر ١٧٨٤ م) :

وصل واحد أغا من الدولة وبيده مقرر للباشا على السنة الجديدة . فطلب الباشا الأمراء لقراءته عليهم ، فلم يطلع منهم أحد ، وأهمل ذلك مراد بيك ولم يلتفت اليه .

ذو الحجة

١٤ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

رسم مراد بيك بنفى رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير — الذى كان خامر على اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ، وحضر مصر صحبة مراد بيك ، وانضم اليه وصار من خاصته . فلما خرج ابراهيم بيك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع اسماعيل بيك وحسن بيك ، فصار رضوان بيك كالجملة المعترضة ... فرسم مراد بيك بنفيه فسافر من ليلته الى الاسكندرية .

١٥ منه (٣٠ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

أرسل مراد بيك الى الباشا وأمره بالنزول ، فأنزلوه الى قصر العينى معزولا ، وتولى مراد بيك قائم مقام ، وعلق الستور على بابه — فكانت ولاية هذا الباشا أحد عشر شهرا ، سوى الخمسة الأشهر التى أقامها بثغر اسكندرية . وكانت أيامه كلها شدائد ومحنا وغلاء .

فى اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٨٤ م) :

شرع مراد بيك فى اجراء الصلح بينه وبين ابراهيم بيك . فأرسل له سليمان بيك الاغا ، والشيخ أحمد الدردير ، ومرزوق بيك ولده ... فتهيأوا وسافروا فى ثامن عشرينه (١٢ نوفمبر ١٧٨٤ م) .

***

وانقضت هذه السنة — كالتى قبلها — فى الشدة والغلاء ، وقصور النيل ، والفتن المستمرة ، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء ، وانتشار أتباعهم فى النواحى لجبى الأموال من القرى والبلدان ، واحداث أنواع « المظالم » (ويسموتها مال الجهات) ، ودفع المظالم والفردة ... حتى أهلكوا الفلاحين ، وضاق ذرعهم ، واشتد كربهم ، وطفشوا من بلادهم ...

فحولوا الطلب على الملتزمين ، وبعثوا اليهم المعينين فى بيوتهم ، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك ... مع ماهم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك ، وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف مايقدر عليه .

وتوالى طلب السلفه من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة . ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار !

ثم مدوا أيديهم الى المواريث ... فاذا مات الميت أحاطوا بموجوده ، سواء كان له وارث أو لا ؟

وصار « بيت المال » من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه فى كل شهر ! ...ولا يعارض فيما يفعل فى الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير ... فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء الا من تداركه الله

برحمته ، أو اختلس شيئا من حقه ، فان اشتهروا عليه عوقب على استخراجه ...

وفسدت النيات ، وتغيرت القلوب ، ونفرت الطباع ، وكثر الحسد والحقد فى الناس لبعضهم البعض ... فيتتبع الشخص عورات أخيه ، ويدلى به الى الظالم ... حتى خرب الاقليم ، وانقطعت الطرق ، وعربدت أولاد الحرام ، وفقد الأمن ، ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب الغرر .

وجلا الفلاحون من بلادهم من الشراقى والظلم ، وانتشروا فى المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ، ويأكلون مايتساقط فى الطرقات من قشور البطيخ وغيره ... فلا يجد الزبال شيئا يكنسه من ذلك ...

واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال . فاذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه ، ومنهم من يأكله نيئا من شدة الجوع !

ومات الكثير من الفقراء بالجوع ... هذا والغلاء مستمر ، والأسعار فى الشدة ، وعز الدرهم والدينار من أيدى الناس ، وقل التعامل الا فيما يؤكل ... وصار سمر الناس وحديثهم فى المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير !

ولولا لطف الله تعالى ، ومجىء الغلال من نواحى الشام والروم ، لهلكت أهل مصر من الجوع !

وبلغ الأردب من القمح ألفا وثلاثمائة نصف فضة ، والفول والشعير قريبا من ذلك . وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد .

واستمر ساحل الغلة خاليا من الغلال بطول السنة ، والشون كذلك مقفولة ، وأرزاق الناس وعلائفهم مقطوعة . وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم ، وخروج طائفة ورجوع الأخرى . ومن خرج الى جهة قبض أموالها وغلالها . واذا سئل المستقر فى شىء تعلل بما ذكر . ومحصل هذه الأفاعيل — بحسب الظن الغالب — أنها حيل على سلب الأموال والبلاد ، وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها اسماعيل بيك !

وفى أواخره أيضا وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار — خطابا للأمراء والعلماء — بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر ، وحضور المراكب مغبرة بالأتربة ... والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد .

فلما حضرت قرىء بعضها وتغوفل عنها ، وبقى الأمر على ذلك ...

❋ ❋ ❋

وممن مات فى هذه السنة السيد الفاضل على بن عمر بن محمد بن على ... ويتصل نسبه — فى الجد الخامس عشر — بالقطب سيدى عبد الرحيم القناوى الشريف الحسينى .

ولد بقنا ، وقدم مصر ، وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحفنى ثم حبب اليه السياحة ، فورد الحرمين ، وركب من جدة الى سورت ، ومنها الى البصرة وبغداد ، وزار من بهما من المشاهد الكرام ، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم دخل خراسان ، ومنها الى غزنين وكابل وقندهار ، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطاء ، ثم عاد الى الحرمين ، وركب من هناك الى بحر سيلان ، فوصل الى بنارس واجتمع بسلطانها ، وذهب الى بلاد جاوة ، ثم رجع الى الحرمين ، ثم سار الى اليمن ، ودخل صنعاء واجتمع بامامها ، ودخل زبيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به ، وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقته وأكرموه ثم عاد الى الحرمين ، ثم الى مصر وذلك سنة

اثنتين وثمانين . وكانت مدة غيبته نحو عشرين سنة !

ثم توجه فى آخر هذه السنة الى الصعيد ، واجتمع بشيخ العرب همام — رحمه الله تعالى — وأكرمه اكراما زائدا .

ودخل قنا ، فزار جده ، ووصل رحمه . ومكث هناك شهورا ثم رجع الى مصر ، وتوجه الى الحرمين من القلزم ، وسافر الى اليمن ، وطلع الى صنعاء ، ثم عاد الى كوكبان — وكان امامها اذ ذاك العلامة السيد ابراهيم بن أحمد الحسينى .

وانتظم حاله ، وراج أمره ، وشاع ذكره ، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زبيد .

واستمال بحسن مذاكرته ومداراته طائفة من الزيدية ببلدة تسمى « زمرمر » — وهى بلدة باليمن بالجبال . وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية ... فلم يزل بهم حتى أحبوه ، وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه .

ثم رجع من هناك الى جدة ، وركب من القلزم الى السويس ، ووصل مصر سنة أربع وتسعين . فنزل بالجمالية ، فذهبت اليه بصحبة شيخنا السيد مرتضى ، وسلمنا عليه .

وكنت أسمع به ولم أره قبل ذلك اليوم ، فرأيت منه كمال المودة ، وحسن المعاشرة ، وتمام المروءة ، وطيب المفاكهة .

وسمعت منه أخبار رحلته الأخيرة . وترددنا عليه وتردد علينا كثيرا . وكان ينزل فى بعض الأحيان الى بولاق ، ويقيم أياما بزاوية على بيك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ بدوى الهيتمى .

وحضر الى منزلى ببولاق مرارا — باستدعاء وبدون استدعاء .

ثم تزوج بمصر . وأتى اليه ولده السيد مصطفى من البلاد زائرا .

وما زال على حاله فى عبادة وحسن توجه الى الله ، مع طيب معاشرة ، وملازمة الأذكار ، صحبة العلماء الأخيار ، حتى تمرض بعلة الاستسقاء مدة وتوفى ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى من السنة . وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالقرافة بين يدى شيخه الحفنى .

وكان ابنه غائبا فحضر بعد مدة من موته ، فلم يحصل من ميراثه الا شيئا نزرا .. وذهب ما جمعه فى سفراته حيث ذهب ...

***

ومات الوجيه النبيل ، والجليل الأصيل ، السيد حسين باشجاوش الأشراف ، ابن ابراهيم كتخدا تفكجيان ، ابن مصطفى افندى الخطاط .

كان انسانا حسنا جامعا للفضائل واللطف والمزايا . واقتنى كتبا كثيرة فى الفنون — وخصوصا فى التاريخ .

وكان مألوف الطباع ، ودودا ، شريف النفس ، مهذب الأخلاق ... فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

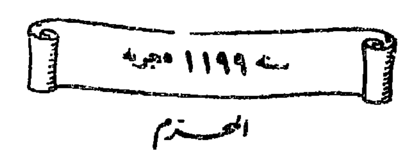
***

ومات الأمير الجليل ابراهيم كتخدا البركاوى . وأصله مملوك يوسف كتخدا عزبان البركاوى .

نشأ فى سيادة سيده ، وتولى فى مناصب وجاقهم ، وقرأ القرآن فى صغره ، وجود الخط ، وحبب اليه العلم وأهله .

ولما مات سيده كان هو المتعين فى رآسة بيتهم دون خشداشينه — لرآسته وشهامته — ففتح بيت سيده ، وانضم اليه خشداشينه وأتباعه ، واشترى المماليك ودربهم فى الآداب والقراءة وتجويد الخط .

وأدرك محاسن الزمن الماضي . وكان بيته مأوى الفضلاء وأهل المعارف والمزايا والخطاطين . واقتنى كتبا كثيرة جدا فى كل فن وعلم ، حتى ان الكتاب المعدوم اذا احتيج اليه لايوجد الا عنده ... ويعير للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع فى المطالعة والنقل — رحمه الله تعالى .



المحرم

استهل العام بيوم الاثنين المبارك ، وأرخه أديب العصر الشيخ قاسم بقوله :

يا أهــل مصر اســتبشروا
فالله فــرج كــل هــم

وأتى الرخـــــاء مؤرخا :

عــام	بفضل	الله	عم
١١١	٩١٢	٦٦	١١٠

= ١١٩٩

فكان الفــال بالمنطق ، وأخــذت الأشــياء فى الانحلال قليلا .

فى ٧ منه (٢٠ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لابراهيم بيك فى شــأن الصلح — وهم : الشيخ الدردير وسليمان بيك الأغا ومرزوق جلبى — اجتمعــوا بابراهيم بيك ، فتكلموا معه فى شأن ذلك . فأجاب بشروط منها أن يكون هو على عادته ، أمير البلد ، وعلى آغا كتخــدا الجاويشية فى منصبه . فلمــا وصل الرسول بالمكاتبة ، جمع مراد بيك الأمراء وعرفهم ذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وكتبوا جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذى حضر بها .

فى ١١ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

سافر أيضا أحمــد بيك الكلارجى وسليم آغا أمين البحرين .

فى ٢٠ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصلت الأخبار بأن ابراهيم بيك نقض الصلح الذى حصل ، وقيل ان صلحه كان مداهنة لأغراض لا تتم له بدون ذلك . فلما تمت احتج بأشياء أخر ، ونقض ذلك .

صفر

فى ٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

حضر الشيخ الدردير وأخبر بمــا ذكر ، وأن سليمان بيك وسليم آغا استمروا معه .

فى منتصفه (٢٨ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصل الحجاج مع أمير الحج مصطفى بيك . وحصل للحجاج فى هــذه السنة مشقة عظيمة من الغــلاء وقيــام العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة . ولم يزوروا المدينة المنورة — عــلى صاحبها أفضل الصلاة وأزكى الســلام — لمنع السبل ، وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع ، وانقطع منهم جانب عظيم ، ومنهــم من نزل فى المراكب الى القلزم وحضر من السويس الى القصير ، ولم يبق الا أمير الحج وأتباعه وترقبت العربان لحجاج المغاربة فى سطح العقبة ، وحصروهم هناك ، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا نحو عشرة أنفار .

وفى أثناء نزول الحج وخروج الأمــراء لملاقاة أمير الحج ، هرب ابراهيم بيك الوالى — وهــو أخــو سليمان بيك الأغا — وذهب الى أخيــه بالمنية ، وذهب صحبته من كان بمصر من أتبــاع أخيه . وسكن الحال أياما .

وفى اواخره (يناير ١٧٨٥ م) :

سافر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير بسبب تجديد الصلح . فلما وصلوا الى بنى سويف، حضر اليهم سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الأشقر باستدعاء منهم ثم أجاب ابراهيم بيك الى الصلح ، ورجعوا جميعا الى المنية .

ربيع الأول

فى اوائله (يناير ١٧٨٥ م) :

حضر حسن أغا بيت المال بمكاتبات بذلك . وفى أثر ذلك حضر أيوب بيك الصغير وعثمان بيك الأشقر ، فقابلا مراد بيك ، وقدم مراد بيك لعثمان بيك تقادم . ثم رجع أيوب بيك الى المنية ثانية .

ربيع الآخر

فى ٤ منه (١٤ فبراير ١٧٨٥ م) :

وصل ابراهيم بيك الكبير — ومن معه من الأمراء — الى معادى الخبيرى بالبر الغربى . فعدى اليه مراد بيك وباقى الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وسلموا عليه ، ورجعوا الى مصر ، وعدى فى اثرهم ابراهيم بيك .

فى ٥ منه (١٥ فبراير ١٧٨٥ م) :

حضر ابراهيم بيك الى مصر ، ودخل الى بيته ، وحضر اليه فى عصرتها مراد بيك فى بيته ، وجلس معه حصة طويلة .

فى ١٠ منه (٢٠ فبراير ١٧٨٥ م) :

عمل الديوان ، وحضرت لابراهيم بيك الخلع من الباشا فلبسها بحضرة مراد بيك والأمراء والمشايخ وعند ذلك قام مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية الأمراء ، وتقلد على أغا كتخدا الجاويشية كما كان ، وتقلد على أغا أغات مستحفظان كما كان . فاغتاظ لذلك قائد أغا الذى كان ولاه مراد بيك ، وحصل له قلق عظيم ، وصار يترامى على الأمراء ويقع عليهم فى رجوع منصبه ، وصار يقول : ان لم يردوا الى منصبى والا قتلت على أغا . وصمم ابراهيم بيك على عدم عزل على أغا ، واستوحش على أغا وخاف على نفسه من قائد أغا . ثم ان ابراهيم بيك قال : ان عزل على أغا لا يتولاها قائد أغا أبدا . ثم انهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين ، وقطع منها أمل قائد أغا ، وما وسعه الا السكوت .

جمادى الآخرة

فى اوائله (ابريل ١٧٨٥ م) :

طلب عثمان بيك الشرقاوى ولاية جرجا فلم يرض ابراهيم بيك وقال له : « نحن نعطيك كذا من المال واترك ذلك ، فان البلاد خراب وأهلها ماتوا من الجوع » .

منتصفه (٢٥ ابريل ١٧٨٥ م) :

خرج عثمان بيك المذكور ، بمماليكه وأجناده ، مسافرا الى الصعيد بنفسه ، ولم يسمع لقولهم ، ولم يلبس تقليدا لذلك على العادة ... فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع .

الخميس ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٥ م) :

مات على بيك أباظة الابراهيمى فانزعج عليه ابراهيم بيك ، وكان الأمراء خرجوا بأجمعهم الى ناحية قصر العينى ومصر القديمة خوفا من ذلك . فلما مات على بيك وكثير من مماليكهم ، داخلهم الرعب ورجعوا الى بيوتهم .

الاحد ٢١ منه (١ مايو ١٧٨٥ م) :

طلعوا الى القلعة ، وخلعوا على لاجين بيك

وجعلوه حاكم جرجا ، ورجع ابراهيم بيك الى بيته أيضا ، وكان اذ ذاك قائمقام .

وفيه : كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ، ونسى الناس أمر الغلاء . وفيه مات سليمان بيك أبو نبوت بالطاعون . وفى منتصف رجب خف أمر الطاعون .

شعبان

منتصفه (٢٣ يونيه ١٧٨٥ م) :

ورد الخبر بوصول باشا مصر الجديد الى ثغر اسكندرية ، وكذلك باشا جدة .

ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة الاسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار ، فثار العامة وقبضوا على السردار وهانوه وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات .

وفيه : وقعت فتنة بين عربان البحيرة . وحضر منهم جماعة الى ابراهيم بيك وطلبوا منه الاعانة على أخصامهم فكلم مراد بيك فى ذلك ، فركب مراد بيك وأخذهم صحبته ونزل الى البحيرة فتواطأ معه الأخصام وأرشوه سرا ، فركب ليلا وهجم على المستعينين به وهم فى غفلة مطمئنون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، ونهب مواشيهم وابلهم وأغنامهم ، ثم رجع الى مصر بالغنائم .

غايته (٧ يولية ١٧٨٥ م) :

حضر باشا جدة الى ساحل بولاق ، فركب على أغا كتخدا الجاويشية وأرباب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته الى العادلية ليسافر الى السويس .

رمضان

غرته (٨ يوليو ١٧٨٥ م) :

ثار فقراء المجاورين والقاطنين بالأزهر ، وقفلوا أبواب الجامع ، ومنعوا منه الصلوات — وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصلَّ فيه ذلك اليوم .

وكذا أغلقوا مدرسة محمد بيك المجاورة له ، ومسجد المشهد الحسينى ، وخرج العميان والمجاورون يرمحون بالأسواق ويخطفون مايجدونه من الخبز وغيره . وتبعهم فى ذلك الجعيدية وأراذل السوقة . وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة .

واستمروا على ذلك الى بعد العشاء . فحضر سليم أغا أغات مستحفظان الى مدرسة الأشرفية ، وأرسل الى مشايخ الأروقة والمشار اليهم فى السفاهة ، وتكلم معهم ووعدهم ، والتزم لهم باجراء رواتبهم ، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد .

شوال

الاحد ٨ منه (١٤ أغسطس ١٧٨٥ م) الموافق ٩ مسرى :

كان وفاء النيل ، وكانت زيادته كلها فى هذه التسعة أيام فقط ، ولم يزد قبل ذلك شيئا ، واستمر بطول شهر أبيب وماؤه أخضر ، فلما كان أول شهر مسرى زاد فى ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذرع . واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذرع الوفاء يوم التاسع .

وفيه : وقع جسر بحر أبى المنجا بالقليوبية ، فعينوا له أميرا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبى الشوارب شيخ قليوب ، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتادا عظيمة ، وغرقوا به نحو خمسة مراكب ، واستمروا فى معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شىء . وكذلك وقع ببحر مويس .

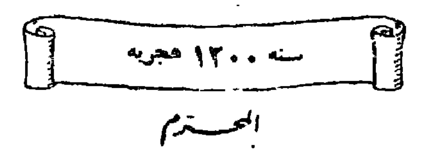
٢٢ منه (٢٨ اغسطس ١٧٨٥ م) :

خرج أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل والحجاج .

ذو القعدة

١٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٥ م) :

سافر كتخدا الجاويشية وصحبته أرباب الخدم الى الاسكندرية لملاقاة الباشا . والله تعالى أعلم .



المحرم

الجمعة أوله (٤ نوفمبر ١٧٨٥) :

فى ذلك اليوم وصل الباشا الجديد الى بر انبابة — واسمه محمد باشا يكن — فبات هناك ليلة الجمعة .

وفى الصباح ذهب اليه الأمراء وسلموا عليه على العادة ، وعدوا به الى قصر العينى فجلس هناك الى يوم الاثنين .

الاثنين ٤ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٥ م) :

ركب الباشا بالموكب ، وشق من الصليبة ، وطلع الى القلعة ، واستبشر الناس بقدومه .

صفر

الخميس ١٢ منه (١٥ ديسمبر ١٧٨٥) :

حضر مبشر الحج بمكاتيب العقبة ، وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضا فى هذه السنة مثل العام الماضى بسبب طمع أمير الحج فى عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة ، وأن أحمد باشا أمير الحج الشامى أكد عليه فى الذهاب وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة ، فاعتل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة فى العام الماضى وهذا العام . واستمر على امتناعه .

وحضر الشريف سرور ، شريف مكة ، وكلمه بحضرة أحمد باشا وقال : « اذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء ، وتضع عليه خطك وختمك ... وللسلطان النظر بعد ذلك » . فأجاب الى ذلك ، ووضع خطه وختمه ، وسار متوجها الى الديار المصرية . ووقع الضجيج والعويل فى الحجاج لعدم زيارتهم المدينة . فلما وصل الجاويش بهذه الأخبار اغتم الناس ، وأظهر ابراهيم بيك الغيظ على أمير الحج ، وحلف لايخرج الى ملاقاته وأرسل الى مراد بيك — وكان بالقصر جهة العادلية — فأحضره وقال له كذلك ، ثم اختلوا مع بعضهم فى العشية وتحدثوا بالنجوى بينهم ، وحضر اليهم الجاويش فى صبحها فخلعوا عليه كالعادة ، ورجع بالملاقاة ، وخرج الأمراء فى ثانى يوم الى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم

الاثنين ١٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٥) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر ، ونزل أمير الحج بالخنلاطية بباب النصر ، ولم ينزل بالحصوة أولا على العادة .

الثلاثاء ١٧ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٨٥) :

دخل أمير الحج بالمحمل بموكب دون المعتاد ، وسلم المحمل الى الباشا .

الاربعاء ١٨ منه (٢١ ديسمبر ١٧٨٥ م) :

اجتمع الأمراء ببيت ابراهيم بيك ، وأحضروا مصطفى بيك أمير الحج ، وتشاجر معه ابراهيم بيك ومراد بيك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال ، وادعوا عليه أنه تسلم جميع اللائل ، وطلبوا منه حساب ذلك ، وقالوا له : « فضحتنا فى مصر وفى الحجاز وفى الشام وفى الروم وجميع الدنيا » . واستمروا على ذلك الى قرب المساء .

ثم ان مراد بيك أخذ أمير الحج الى بيتـه فبات عنده .

وفى صبحها حضر ابراهيم بيك عند مراد بيك ، وأخذ أمير الحج الى بيته ووضعه فى مكان محجورا عليه ، وأمر الكتاب بحسابه فحسابوه فاستقر فى طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف ، وذلك خلاف ما على طرفه من الميرى .

الجمعة ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٧٨٥) :

طلع ابراهيم بيك الى القلعة وأخبر الباشا بما حصل ، وأنه حبسه حتى يوفى ما استقر بذمته ، فاستمر أياما وصالح وذهب الى بيته مكرما .

وفى ذلك اليوم — بعد صلاة الجمعة — ضج مجاورو الأزهر بسبب اخبازهم ، وقفلوا أبـواب الجامع ، فحضر اليهم سليم أغا والتزم لهم باجراء رواتبهم بكرة تاريخه ، فسـكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثانى يوم فلم نأتهم شىء فأغلقوه ثانيـا وصعدوا على المنارات يصيحون ، فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطلوبات وأجرى لهم الجراية أياما ثم انقطع ذلك . وتكرر الغلق والفتح مرارا .

وفى ليلة خروج الأمراء الى ملاقاة الحجاج ، ركب مصطفى بيك الاسـكندرى وأحمـد بيك الكلارجى وذهبا الى جهة الصعيد ، والتفوا على عثمان بيك الشرقاوى ولاجين بيـك ، وتقاسموا الجهات والبلاد ، وأفحشوا فى ظلم العباد .

ربيع الأول

منتصفه (١٦ يناير ١٧٨٦ م) :

شرع مراد بيك فى السفر الى جهة بحرى بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق ، فسافر . وسمع بحضوره المذكوران فهربا فأحضر ابن حبيب وابن حمـد وابن فودة وألزمهم باحضـارهما فاعتذروا اليه ، فحبسهم ثم أطلقهم على مال ... وذلك بيت القصيد ! وأخذ منهم رهائن ثم سار الى طملوها وطالب أهلها برسلان ، وقال لهم انه يأوى عندكم ، ثم نهب القرية وسلب أموال أهلها وسبى نساءهم وأولادهم ، ثم أمر بهدمها وحرقها عن آخرها . ولم يزل ناصبا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدما وحرقا وجرفوا بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض ، وفرق كشافه فى مدة اقامته عليها فى البلاد والجهات تجبى الأموال ، وقرر على القرى ما سولته له نفسه ، ومنع من الشفاعة وبث المعينين لطلب الـكلف الخارجة عن المعقول ، فاذا استوفوها طلبوا حق طرقهم ، فاذا استوفوها طلبوا المقرر ... وكل ذلك طلبا حثيثا والا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها .

ولم يزل فى سيره على هذا النسق حتى وصل الى رشيد ، فقرر على أهلها جملة كبيرة من المـال وعلى التجار وبياعين الأرز ، فهرب غالب أهلها . وعين على الاسكندرية صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقا ، وقرر له حق طريقه خمسـة آلاف ريال . وطلب من أهل البلد مائة ألف ريال . وأمر بهـدم الكنائس . فلما وصـل الى الاسـكندرية هرب تجارها الى المراكب وكذلك غالب النصارى ، فلم يجد الا قنصل الموسقو فقال : « أنا أدفع لـكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسب به سلطانكم ». فانكف عن ذلك ، وصالحوه على كراء طريقه ، ورجع ، وارتحل مراد بيك من رشيد . ولما وصل الى جميجون هدمها عن آخرها ، وهدم أيضا كفر دسوق ، واستمر — هو ومن معه — يعبثون بالأقاليم والبلاد حتى أخربوها وأتلفوا الزروعات ! !

غرته (٢ مارس ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بقدومه الى زنكلون ، ثم ثنى عنانه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية والغربية . وأما صناجقه الذين تركهم بمصر فانهم تسـلطوا على مصـادرات الناس فى أموالهم — وخصـوصا حسين بيك المعروف بشفت (بمعنى يهودى) — فانه تسلط على هجم البيوت ونهبها بأدنى شبهة .

وفى عصر هذا اليوم :ركب حسين بيك المذكور بجنوده وذهب الى الحسينية وهجم على دار شخص يسمى أحمد سالم الجزار متولى رياسة دراويش الشيخ البيومى ، ونهبه — حتى مصاغ النسـاء والفراش — ورجع ... والناس تنظر اليه !

وكذلك أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا محمود بن حسن محرم ، فـلاطفهم وأرضـاهم بدراهم ، وركب الى ابراهيم بيك فأرسـل له كتخداه وكتخدا الجاويشية فتلطفوا به وأخذوا خاطره وصرفوه عنه ، وعبى له الخواجا هدية بعد ذلك وقدمها اليه .

الجمعة ٢ منه (٣ مارس ١٧٨٦ م) :

فى الصـباح ثارت جماعة من أهالى الحسينية بسبب ماحصل فى أمس من حسين بيك ، وحضروا الى الجـامع الأزهر ومعهم طبول ، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبابيت ومسـاوق وذهبوا الى الشـيخ الدردير فوسهم وسـاعدهم بالـكلام ، وقال لهم : « أنا معكم» . فخرجوا من نواحى الجامع وقفلوا أبوابه وصـعد منهم طائفة الى أعلى المنـازل يصيحون ويضربون بالطبول ، وانتشروا بالأسواق فى حالة منكرة وأغلقوا الحوانيت. وقال لهم الشيخ الدردير :

« فى غـد نجمع أهالى الأطراف والحارات وبولا ومصر القديمة وأركب معكم ، وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنـا ، ونموت شـهداء أو ينصرنا الله عليهم » .

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظان ومحمد كتخدا أرنؤود الجلفى كتخدا ابراهيم بيك وجلسوا فى الغورية ، ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقالوا للشيخ : « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها من محل ما تكون » .

واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة وانصرفوا ، وركب الشـيخ فى صبحها الى ابراهيم بيك وأرسل الى حسين بيك فأحضره بالمجلس وكلمه فى ذلك ، فقال فى الجواب : « كلنا نهابون ، أنت تنهب ، ومراد بيك ينهب ، وأنا أنهب كذلك » ! وانفض المجلس وبردت القضية ! !

وفى عقبها بأيام قليلة : حضر من ناحية قبلى سفينة وبها تمر وسمن وخلافه ، فأرسل سليمان بيك الأغا وأخذ ما فيها جميعه وادعى أن له عند أولاد وافى مالا منكسرا . ولم يـكن ذلك لأولاد وافى وانما هو لجماعة تسببون فيه من مجاورى الصعايدة وغيرهم ، فتعصب مجاورو الصـعايدة وأبطلوا دروس المدرسين ، وركب الشيخ الدردير والشيخ العروسى والشيخ محمد المصيلحى وآخرون وذهبوا الى بيت ابراهيم بيك وتكلموا معه بحضرة سليمان بيك كلاما كثيرا مفحما ، فاحتج سليمان بيك بأن ذلك متاع أولاد وافى وأنا أخذته بقية من أصل مالى عندهم . فقالوا : « هـذا لم يكن لهم ، وانما هو لأربابه ، وهم ناس فقراء . وان كان لك عند أولاد وافى شىء فخذه منهم » . فرد بعضه وذهب بعضه !

١٠ منه (١١ مارس ١٧٨٦ م) :

قدم مراد بيك من ناحيـة الشرق . ودخل فى ليلتها من المنهوبات من الجمال والأغنام والأبقار والجواميس وغير ذلك شيء كثير يجل عن الحصر !

وفيه : سافر أيوب بيك الى ناحية قبلى لمصالحة الأمراء الغضاب وهم : مصطفى بيك ، وأحمد بيك الـكلارجى ، وعثمان بيك الشرقاوى ، ولاجين بيك ... لأنهم بلغوا قصدهم من البـلاد وظلم العباد !

جمـادى الآخرة

منتصفه (١٥ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى من ناحية قبلى .

وفيه : أنعم مراد بيك على بعض كشافه بفردة دراهم على بلاد المنوفية ... كل بلد مائة وخمسون ريالا . .

وفيه : اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدى أحمد البدوى المعتاد المعروف بمولد الشرنبابليه . وحضر كاشف الغربية والمنوفية على جارى العادة ، وكاشف الغربيـة من طرف ابراهيـم بيك الوالى المولى أمير الحج ، فحصل منه عسف ، وجعل على كل جمل يباع فى سوق المولد نصف ريال فرانسة. فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم ... وكان ذلك فى آخر أيام المولد . فذهبوا الى الشيخ الدردير — وكان هناك بقصد الزيارة — وشكوا اليه ماحل بهم ، فأمر الشـيخ بعض أتباعه بالذهاب اليه ، فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف ، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة .

فلما وصـل الى خيمة كتخدا الكاشف دعاه فحضر اليه — والشيخ راكب على بغلته — فكلمه ووبخه وقال له « أنتم ماتخافوا من الله ! » .

ففى أثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم على الكتخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت . فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبابيتهم وعصيهم وقبضوا عـلى السيد أحمـد الصافى تابع الشيخ وضربوه عدة نبابيت ، وهاجت الناس على بعضهم . ووقع النهب فى الخيم وفى البلد ، ونهبت عدة دكاكين ، وأسرع الشـيخ فى الرجوع الى محله ، وراق الحال بعد ذلك [1] .

وركب كاشف المنوفيـة — وهو من جماعة ابراهيم بيك الكبير — وحضر الى كاشف الغربية ، وأخذه وحضر به الى الشيخ ، وأخذوا بخاطره ، وصالحوه ونادوا بالأمان .

وانفض المولد ورجع النـاس الى أوطانهم ، وكذلك الشيخ الدردير . فلما استقر بمنزله حضر اليه ابراهيم بيك الوالى وأخذ بخاطره أيضـا ، وكذلك ابراهيم بيك الكبير وكتخدا الجاويشية .

فى ١٧ منه (١٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

ركب حسين بيك الشفت وقت القائلة وحضر الى بيت صغير بسوق المـاطيين وصحبته امرأة ، فصعد اليه ، ونقب فى حائط ، وأخرج منه برمـة مملوءة ذهبا ... فأخذها وذهب .

وخبر ذلك أن هذا البيت كان لرجل زيات فى السنين الخالية ، فاجتمعت لديه هـذه الدنانير ، فوضعها فى برمة من الفخار وأفرج لها نقبا فى كتف الحائط ووضعها فيه ، وبنى عليها وسواها بالجبس . وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر اليه . ومات ذلك الرجل ، وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذى اشتراها .

وتداولت الأعوام ، وآل البيت الى وقف المشهد الحسينى ، وسكنه النـاس بالأجرة ، ومضى على

(١) من الجلى أن الشعب كان مليء الصدر بالحفيظة والحنق والغضب على هذا الفساد . وواضح انه كان يحاول — بين الحين والحين — الانتقاض على ذلك الحكم الجائر . ولكن هبوط مستوى الوعى العام ، وعـدم وجود زعامة تلتف حول رايتهـا فـكرة الجماعة ... كانا سببا فى انطفاء الثورات فور اشتعالها .

ذلك نحو الأربعين عاما وتلك المرأة تتخيل ذلك فى ذهنها وتكتمه ولا يمكنها الوصول الى ذلك المكان بنفسها . وقلت ذات يدها واحتاجت ، فذهبت الى حريم حسين بيك المذكور وعرفتهن القضية . وأخبر الأمير بذلك فقال : « لعل بعض الساكنين أخذها » . فقالت : « لايعرفها أحد غيرى » . فأرسل الى ساكن الدار وأحضره وقال له : « أخل دارك فى غد وانتظرنى ولا تفزع من شىء » . ففعل الرجل ، وحضر الصنجق وصحبته المرأة ، فأرته الموضع فنقبوه وأخرجوا منه تلك البرمة ، وأعطى صاحب المكان « احسانا » ، وركب وصاحب المكان يتعجب !

وركب أيضا قبل ذلك وذهب الى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقى أبو قلبطة لبلا ، وأخذ منه صندوقا مودعا عنده أمانة لنصر بن شديد البدوى شيخ عرب الحويطات يقال ان فيه شيئا كثيرا من الذهب العين وغيره

وهجم أيضا على بيت بالقرب من المشهد الحسينى فى وقت القائلة ، وكان ذلك البيت مقفولا وصاحبه غائب ، فخلع الباب وطلع اليه وأخذ منه عشرة أكياس مملوءة ذهبا وخرج وأغلق الباب كما كان : وركب هو ومماليكه والأكياس فى أحضانهم على قرابيس سروج الخيل ، وهو بجملتهم يحمل كيسا أمامه والناس تنظرهم !

في ٢٠ منه (٢٠ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر أيوب بيك ولاجين بيك وأحمد بيك من ناحية قبلى ، ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشى . وتأخر مصطفى بيك .

٢٧ منه (٢٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

هبت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالا وأتربة مع غيم مطبق ، وأظلم منها الجو ، واستمرت من الظهر الى الغروب .

٢٩ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى بيك أيضا .

وفى هذا الشهر نقب الشطار حاصلا فى وكالة المسايرة التى بباب الشعرية ، وكان بظهر الحاصل المذكور قهوة متخربة ، فتسلق اليها بعض الحرامية ، ونقبوا الحاصل ، وأخذوا منه صندوقا فى داخله اثنا عشر ألف بندقى ، عنها ثلاثون ألف ريال فى ذلك الوقت . وفيه من غير جنس البندقى أيضا ذهب ودراهم وثياب حرير وطرح النساء المحلاوى التى يقال لها « الحبر » .

وبعد أيام قبضوا على رجلين ، أحدهما فطاطرى والآخر مخللاتى — بتعريف الخفراء ، بعد حبسهم ومعاقبتهم — فأخذوا منهما شيئا واستمرا محبوسين .

رجب

غرته (٣٠ ابريل ١٧٨٦ م) :

عزم مراد بيك على التوجه الى سد خليج منوف المعروف بالفرعونية ، وكان منذ سنين لم يحبس ، واندفع اليه الشرقى حتى تهور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز .

وفيه : وصلت الأخبار من ثغر الاسكندرية بأنه ورد اليها مركب البيليك ، وذلك على خلاف العادة . ثم حضر عقبه أيضا قليون آخر فيه أحمد باشا والى جدة ، ثم تعقبهما آخر وفيه غلال كثيرة . نقلوها الى الثغر وشرعوا فى عمل بقسماط فكثر اللغط بمصر بسبب ذلك .

في ١٠ منه (٩ مايو ١٧٨٦ م) :

ورد ططرى من البر ، وقابجى من البحر ، ومعهما مكاتبات .

الخميس ١٢ منه (١١ مايو ١٧٨٦ م) :

قرئت المكاتبات بالديوان . ومضمونها طلب الخزائن المنكسرة وتشهيل مرتبات الحرمين من الغلال والصرر فى السنين الماضية ، واللوم على عدم زيارة المدينة . وفيه الحث والوعد والوعيد والأمر بصرف العلوفات وغلال الأنبار ، وفيه المهلة ثلاثون يوما . فكثر لغط الناس والقال والقيل .

وأشيع ورود مراكب أخرى الى ثغر الاسكندرية ، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضا فى أثر ذلك وصحبته عساكر محاربون .

وفيه : حضر معلم ديوان الاسكندرية . قيل انه هرب ليلا .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل يستحث مراد بيك فى الحضور من سد الفرعونية ، ثم بعث اليه على أغا كتحدا جاووجان ، والمعلم ابراهيم الجوهرى ، وسليمان أغا الحنفى ، وحسن كتحدا الجربان ، وحسن أفندى شقبون كاتب الحوالة سابقا وأفندى الديوان حالا ... فأحضروه الى مصر يوم الثلاثاء ولم يتم سد الترعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسى حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير ثمن ، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها ... وذهب ذلك جميعه من غير فائدة ثم ان الأمراء عملوا جمعيات وديوانا ببيت ابراهيم بيك وتشاوروا فى تنجيز الأوامر . وفى أثناء ذلك تشحطت الغلال ، وارتفع القمح من السواحل والعرصات ، وغلا سعره وقل وجوده حتى امتنع بيع الخبز من الأسواق ، وأغلقت الطوابين فنزل سليم أغا ، وهجم المخازن ، وأخرج الغلال ، وضرب القماحين والمتسببين ومنعهم من زيادة الأسعار ، فظهر القمح والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل .

* * *

وفى هذا الشهر — أعنى شهر رجب — حصلت عدة حريقات ، منها حريقتان فى ليلة واحدة : احداهما بالأزبكية ، وأخرى بخطتنا بالصنادقية .

وظهرت النار من دكان رجل صنادقى — وهى مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة — عند خان الجبلاية . فرعت النار فى الأخشاب ووجت فى ساعة واحدة ، وتعلقت بشبابيك الدور ، وذلك بعد حصة من الليل .

وهاج الناس والسكان ، وأسرعوا بالهدم وصب المياه ، وأحضر الوالى القصارين حتى طفئت .

* * *

وفيه أيضا أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له الشيخ على البكرى ، مشهور ومعتقد عند العوام .

وهو رجل طويل ، حليق اللحية ، يمشى عريان ، وأحيانا يلبس قميصا وطاقية ، ويمشى حافيا ... فصارت هذه المرأة تمشى خلفه أينما توجه ، وهى بإزارها ، وتخلط فى ألفاظها ، وتدخل معه الى البيوت ، وتطلع الحريمات .

واعتقدها النساء ، وهادوها بالدراهم والملابس ، وأشاعوا أن الشيخ « لحظها » وجذبها ، وصارت من الأولياء !

ثم ارتقت فى درجات الجذب ، وثقلت عليها الشربة ، فكشفت وجهها ، ولبست ملابس كالرجال . ولازمته أينما توجه ، ويتبعها الأطفال والصغار ، وهوام العوام .

ومنهم من اقتدى بهما أيضا ، ونزع ثيابه ، وتحنجل فى مشيه ! وقالوا انه اعترض على الشيخ والمرأة ، فجذبه الشيخ أيضا ، أو أن الشيخ لمسه فصار من الأولياء !

وزاد الحال ، وكثر خلفهم أوباش الناس ، والصغار ، وصاروا يخطفون أشياء من الأسواق ، ويصير لهم فى مرورهم ضجة عظيمة !

واذا جلس الشيخ فى مكان وقف الجميع ،

وازدحم الناس للفرجة عليه . وتصعد المرأة على دكان أو علوة ، وتتكلم بفاحش القول ، ساعة بالعربي ، ومرة بالتركي ... والناس تنصت لها ، ويقبلون يدها ! ويتبركون بها ! وبعضهم يضحك ، ومنهم من يقول : الله ... الله ... وبعضهم يقول : دستور ياأسادي ! .. وبعضهم يقول : لا تعترض بشيء ...

فمر الشيخ فى بعض الأوقات — على مثل هذه الصورة والضجة — ودخلوا من باب بيت القاضى الذى من ناحية بين القصرين . وبتلك العطفة سكن أحد الأجناد يقال له جعفر كاشف ، فقبض على الشيخ ، وأدخله الى داره ، ومعه المرأة وباقى المجاذيب ، فأجلسه وأحضر له شيئا يأكله ، وطرد الناس عنه ، وأدخل المرأة والمجاذيب الى الحبس ، وأطلق الشيخ لحال سبيله ، وأخرج المرأة والمجاذيب فضربهم ، وعذرهم ، ثم أرسل المرأة الى المارستان ، وربطها عند المجانين ؛ وأطلق باقى المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم ... وطارت الشربة من رؤوسهم !

وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم . واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شيخة على انفرادها ، ويعتقدها الناس والنساء ، وجمعت عليها الجمعيات وموالد وأشباه ذلك !

***

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم فى بلادهم ، وحصل عندهم أيضا قحط وغلاء فى الأسعار .

شعبان

٢ منه (٣١ مايو ١٧٨٦ م) :

ركب سليم أغا فى عصريته الى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذى بسوق السلاح ، وأحضر معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود — وهو الباب الكبير الذى من ناحية سوق السلاح — فهدموا الدكاكين التى حدثت أسفله والبناء الذى بصدر الباب . وكانت مدة سده فى هذه المرة احدى وخمسين سنة ، وكان سببها المقتلة التى قتل فيها الأحد عشر أميرا ببيت محمد بيك الدفتردار فى سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) .

وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا فى شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين فى الدخول اليه من باب الرميلة . وربما فاتهم حضور الجماعة فى مسافة الذهاب ، وأن الأسباب التى سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت ، فاستأذن سليم أغا ابراهيم بيك ومراد بيك فى فتحه فأذنا له ففتحه وصنع له بابا جديدا عظيما ، وبنى له سلالم ومصاطب ، وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه ، ويأتى هو فى كل يوم يباشر العمل بنفسه ، وعمروا ماتشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه ، وظهر بعد الخفاء ، وازدحم الناس للصلاة فيه ، وآتوا اليه من الأماكن البعيدة .

٥ منه (٤ يونيه ١٧٨٦ م) :

توفى مصطفى بيك المرادى المجنون .

فى ٢٠ منه (١٨ يونيه ١٧٨٦ م) :

كثر الارجاف بمجيء مراكب الى الاسكندرية وعساكر وغير ذلك .

رمضان

٥ منه (٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكاتبة بالحث على المطلوبات ، فطلع الأمراء الى القلعة ليلا واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلاما كثيرا ، وقال مراد بيك للباشا : « ليس لكم

عندنا الا حساب . أمهلونا الى بعد رمضان ، وحاسبنا على جميع ما هو فى طرفنا .. نورده . وأرسل الى من وصل الى الاسكندرية يرجعون الى حيث كانوا ، والا فلا نشهل حجا ولا صرة ولا ندفع شيئا ... وهذا آخر الكلام » .

كل ذلك وابراهيم بيك يلاطف كلا منهما . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ ويذكر فيه أنهم أقلعوا وتابوا ورجعوا من المخالفة والظلم والطريق التى ارتكبوها ، وعليهم القيام باللوازم ، وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة ، وقدرها ثلثمائة وخمسون كيسا . وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيوتهم .

ليلة ٧ منه (٤ يوليو ١٧٨٦ م) :

جمع ابراهيم بيك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق ، وشرعوا فى كتابة العرضحالات ، أحدها للدولة وآخر لقبطان باشا ، بالمهلة حتى يأتى الجواب ، وآخر لباشة جدة الذى فى الاسكندرية .

وفى صبحها : وردت مكاتبة من أحمد باشا الجزار يخبر فيها بالحركة والتحذير وأخبار بورود مراكب أخرى بالاسكندرية ومراكب وصلت الى دمياط ... فزاد اللغط والقال والقيل .

وفيه : ركب سليمان أغا مستحفظان ونادى فى الأسواق على الأروام والقليونجية والأتراك بأنهم يسافرون الى بلادهم . ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل .

وفيه : اتفق رأى ابراهيم بيك ومراد بيك أنهم يرسلون لاجين بيك ومصطفى بيك السلحدار الى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهنادى ويطلبون أحمد باشا والى جدة ليأتى الى مصر ويذهب الى منصبه .

١٠ منه (٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا فى هذه الليلة

وفيها : ركب ابراهيم بيك بعد الافطار وذهب الى مراد بيك وجلس معه ساعة ثم ركبا وطلعا الى القلعة ، وطلع أيضا المشايخ باستدعاء من الأمراء وهم : الشيخ البكرى والشيخ السادات والشيخ العروسى والشيخ الدردير والشيخ الحريرى ... وقابلوا الباشا وعرضوا عليه العرضحالات . وكان المنشى لبعضها الشيخ مصطفى الصاوى وغيره ، فأعجبهم انشاء الشيخ مصطفى وأمروا بتغيير ماكان من انشاء غيره . وانخضع مراد بيك فى تلك الليلة للباشا جدا ، وقبل أتكه وركبتيه ويقول له : « ياسلطانم ! نحن فى عرضك فى تسكين هذا الأمر ودفعه عنا . ونقوم بما علينا ونرتب الامور وننظم الأحوال على القوانين القديمة » . فقال الباشا « ومن يضمنكم ويتكفل بكم ؟ » . قال : « أنا الضامن لذلك ، ثم ضمانى على المشايخ والاختيارية » .

١٣ منه (١٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان الى ثغر الاسكندرية . وكان وصوله يوم عاشره (٧ يوليو ١٧٨٦) قبل العصر وصحبته عدة مراكب ، فزاد الاضطراب وكثر اللغط فتمموا أمر العرضحالات وأرسلوها صحبة سلحدار الباشا والططرى وواحد أغا ، ودفعوا لكل فرد منهم ألف ريال وسافروا من يومهم .

وفيه : وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادى والبحيرة ذهبوا الى الاسكندرية وقابلوا أحمد باشا الجداوى فألبسهم خلعا وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمنهور .

وفيه : حضرت صدقات من مولاى محمد ، صاحب المغرب ، ففرقت على فقراء الأزهر ، وخدمة الأضرحة والمشايخ المفتين ، والشيخ البكرى ،

والشيخ السادات ، والعمريين ... على يد الباشا ، بموجب قائمة ومكاتبة .

١٥ منه (١٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى جربجى باش سراجين مراد بيك سابقا وسردار ثغر رشيد حالا . وكان السبب فى حضوره أنه حضر الى رشيد أحد القباطين وصحبته عدة وافرة من العسكر ، فطلع الى بيت السردار المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطابا للأمراء بمصر وأمره بالتوجه بها فحضر بتلك المكاتبة مضمونها التطمين ببعض ألفاظ .

وفيه : اتفق رأى الأمراء على ارسال جماعة من العلماء والوجاقلية الى حسن باشا ، فتعين لذلك الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريرى . ومن الوجاقلية اسماعيل أفندى الخلوتى وابراهيم أغا الوردانى . وذهب صحبتهم أيضا سليمان بيك الشابورى . وأرسلوا صحبتهم مائة فرق بن ، ومائة قنطار سكر ، وعشر بقج ثياب هندية ، وتفاصيل وعودا وعنبرا وغير ذلك .

١٨ منه (١٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا على أنهم يجتمعون به ويكلمونه ويسألونه عن مراده ومقصده ، ويذكرون له امتثالهم وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من أفاعيلهم ، ويذكرونه حال الرعية وما توجبه الفتن من الضرر والتلف .

١٩ منه (١٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر تفكجى باشا من طرف حسن باشا وذهب الى ابراهيم بيك وأفطر معه وخلع عليه خلعة سمور وأعطاه مكاتبات ، وكان صحبته محمد أفندى حافظ من طرف ابراهيم بيك أرسله الأمراء قبل ذلك بأيام عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال . ثم ان ذلك التفكجى جلس مع ابراهيم بيك حصة من الليل وذهب الى محله ، وحضر على أغا كتخدا الجاويشية فركب مع ابراهيم بيك وطلعا الى الباشا فى سادس ساعة من الليل ، ثم نزلا وسافر التفكجى فى صبحها وصحبته الحافظ .

وكان فيما جاء به ذلك التفكجى طلب ابراهيم بيك أمير الحج ، فلم يرض بالذهاب وقال أيضا لابراهيم بيك : « ان حضرة الباشا بلغه أنكم تستعدون للحرب ، ولصبتم مدافع وغير ذلك ، وأنا لم أر شيئا من ذلك » .

فقال له ابراهيم بيك : « معاذ الله اننا نحارب رجال دولة سلطاننا أو نعصى عليه ولا يليق ذلك » .

فقال : « انكم أرسلتم تقولون له أنكم تبتم ورجعتم عن الأفعال المتقدمة ، ثم انكم أرسلتم أمراء منكم ينهبون البلاد ويطلبون الكلف الزائدة — ومن جملتها أردبا بن ... والبن لايطلع الا فى بلاد اليمن ! » . فقال له : « هذا كلام المنافقين » .

وكان لاجين بيك ومصطفى بيك — لما سافرا للمحافظة بعد التوبة بيومين — فعلوا أفاعيلهم بالبلاد ، وطلبوا هذه الكلف ، وحرقوا وردان ... فضجت أهالى البلاد . وذهبوا الى عرضى حسن باشا وشكوا مانزل بهم ، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ، وأرسل مع ذلك التفكجى العتاب واللوم فى شأن ذلك ويقول لهم : « أرسلوا لهم وارفعوهم عن خلق الله تعالى » ... فلم يفعلوا .

وفى تلك الليلة : ذهب سليم أغا الى ناحية باب الشعرية وقبض على الحافظ اسحاق وأخذه على صورة أرباب الجرائم من أسافل الناس ، وذهب به الى بولاق ، فلحقه مصطفى بيك الاسكندرانى ورده .

٢١ منه (١٨ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بورود حسن باشا الى ثغر رشيد يوم سادس عشره (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربى وأرسلها الى مشايخ البلاد وأكابر العربان والمقادم ، وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفا فضة لاغير ، وذلك من نوع الخداع و[illegible]ن وجذب القلوب ، ومثل قولهم أنهم يقرروا مال الفدان سبعة أنصاف ونصف نصف ، حتى كادت الناس تطير من الفرح ، وخصوصا الفلاحين لما سمعوا ذلك . وأنه يرفع الظلم ويمشى على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك .

وكان الناس يجهلون أحكامهم ... فمالت جميع القلوب اليهم وانحرفت عن الأمراء المصرية وتمنوا سرعة زوالهم .

صورة ذلك الفرمان — وهو الذى أرسل الى أولاد حبيب من جملة ما أرسل :

« صدر هذا الفرمان الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، من ديوان حضرة الوزير المعظم ، والدستور المكرم ، عالى الهمم . وناصر المظلوم على من ظلم ، مولانا العزيز : غازى حسن باشا ، سارى عسكر السفر البحرى المنصور حالا ، ودونانمه همايون . أيدت سيادته السنية ، وزادت رتبته العلية ... الى مشايخ العرب أولاد حبيب بناحية دجوة ، وفقهم الله تعالى ...

« نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان — نصره الله — ماهو واقع بالقطر المصرى من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس ، وأن سبب هذا خائنو الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما ، فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان — أيده الله — بعساكر منصورة بحرا لدفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين ، وتعين عليهم عساكر منصورة برا بسارى عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله .

« وقد وصلنا الى ثغر اسكندرية ثم الى رشيد فى ١٦ رمضان (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، فحررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلونا وترجعوا الى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء الله تعالى .

« فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعتمدوه . والحذر ثم الحذر من المخالفة .. وقد عرفناكم » .

***

ثم ان الأمراء زاد قلقهم واجتمعوا فى ليلتها ببيت ابراهيم بيك وعملوا بينهم مشورة فى هذا الأمر الذى دهمهم ، وتحققوا اتساع الخرق ، والنيل آخذ فى الزيادة .

فعند ذلك تجاهروا بالمخالفة ، وعزموا على المحاربة . واتفق الرأى على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بيك ، فيذهبون الى جهة فوة ، ويمنعون الطريق ، ويرسلون الى حسن باشا مكاتبات بتحرير الحساب والقيام بغلاق المطلوب . ويرجع من حيث أتى . فان امتثل والا حاربناه ، وهذا آخر الكلام .

ثم جمعوا المراكب ، وعبوا الذخيرة والبقسماط . وذلك كله فى يوم الثلاثاء والأربعاء . ونقلوا عزالهم ومتاعهم من البيوت الكبار الى اماكن لهم صغار جهة المشهد الحسينى والشنوانى والأزهر ، وعطلوا القناديل والتعاليق المعدة لمهرجان رمضان . وزاد الارجاف ، وكثر اللغط ، ولاحت عليهم لوائح الخذلان ، ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم ... كما قيل : مصائب قوم عند قوم فوائد ...

٢٤ منه (٢١ يوليو ١٧٨٦ م) :

خرج مراد بيك والأمراء المسافرون معه الى ناحية بولاق ، وبرزوا خيامهم ، وعدوا فى ليلتها الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هناك .

وتعين للسفر — صحبة مراد بيك — مصطفى

بيك الداوودية الذى عرف بالاسكندرانى ، ومحمد بيك الألفى ، وحسين بيك الشفت ، ويحيى بيك ، وسليمان بيك الأغا ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر .

وركب ابراهيم بيك بعد المغرب وذهب اليهم وأخذ بخاطرهم ورجع ، فأقاموا فى بر انبابة يوم الجمعة ، حتى تكامل خروج العسكر . وأخذ مراد بيك ما احتاجه من ملائل الحج جمالا وبقساط وغيره ... حتى الذى قبض من مال الصرة .

وأرسلوا فى ليلتها على أغا كتخدا الجاويشية ، وسليمان أغا الحنفى الى الباشا ، وطلبوا منه الدراهم التى كانوا استخلصوها من مصطفى بيك أمير الحج وأودعوها عند الباشا ، فدفعها لهم بتمامها .

٢٦ منه (٢٣ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافر مراد بيك من بر انبابة وأصبحت معه سلام أغاسى الباشا ليكون سفيرا بينه وبين قبطان باشا .

٢٨ منه (٢٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

فى ليلتها سافر مصطفى بيك الكبير أيضا ولحق بمراد بيك .

٢٩ منه (٢٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

فى الليل حضر المشايخ ومن معهم من ثغر رشيد ، فوصلوا الى بولاق بعد العشاء ، وباتوا هناك وذهبوا الى بيوتهم فى الصباح ، فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسن باشا ثلاث مرات ... الأولى للسلام ، فقابلهم بالاجلال والتعظيم ، وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ، ورتب لهم مايكفيهم من الطعام المهيأ فى الافطار والسحور ، ودعاهم فى ثانى يوم وكلمهم كلمات قليلة .

وقال له الشيخ العروسى : « يا مولانا ... رعية مصر قوم ضعاف ، وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس » .

فقال : « لاتخشوا من شىء . فان أول ما أوصانى مولانا السلطان أوصانى بالرعية » .

وقال : « ان الرعية وديعة الله عندى . وأنا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى » .

فدعوا له بخير ...

ثم قال : « كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران ، وترضونهم حكاما عليكم يسومونكم بالعذاب والظلم ؟ لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم ؟ » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى بقوله : « يا سلطانم ! هؤلاء عصبة شديدو البأس ويد واحدة » .

فغضب من قوله ونهره وقال : « تخوفنى ببأسهم ؟ » .

فاستدرك وقال : « انما أعنى بذلك أنفسنا ، لأنهم — بظلمهم — أضعفوا الناس » .

ثم أمرهم بالانصراف .

واجتمعوا عليه مرة ثالثة — بعد صلاة الجمعة — فاستأذنوه فى السفر فقال لهم . « فى غد أكتب لكم مكاتبة للرعية تقرأونها على الملأ فى الجامع الأزهر » فقال له الشيخ العروسى : « هذا أمر لايمكننا فعله فى هذا الوقت » . فقبل عذره وقال : « يكفى الاستفاضة » .

ثم تركهم يومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بيك الشابورى وأمرهم بالانصراف ، فودعوه وساروا . وأخفيت تلك المكاتبات .

غايته (٢٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

أرسل الباشا عدة أوراق الى أفراد المشايخ ، وذكر أنها وردت من صدر الدولة . وأما

العرضحالات التى أرسلوها صحبة السلحدار والططرى فانهما لما وصلا الى الاسكندرية واطلع عليها حسن باشا حجزها ومنع المراسلة الى اسلامبول ، وقال : « أنا دستور مكرم ... والأمر مفوض الى فى أمر مصر » . وسأل السلحدار عن الأوراق التى من صدر الدولة هل أرسلها الباشا الى أربابها . فأخبره أنه خاف من اظهارها ، فاشتد غضبه على الباشا وسبه بقوله : « خائن ، منافق ! »

فلما رجع السلحدار فى تاريخه وأخبر الباشا ... فعند ذلك أرسلها كما تقدم .

شـوال

٢ منه (٢٩ يوليو ١٧٨٦ م) :

أشيع أن مراد بيك ملك مدينة فوة وهرب من بها من العسكر ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وأنه أحد المراكب التى وجدها على ساحلها ... ثم ظهر عدم صحة ذلك .

٣ منه (٣٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

نزلت الكسوة من القلعة على العادة الى المشهد الحسينى ، وركب ابراهيم بيك الكبير وابراهيم بيك أمير الحج الى قراميدان ، ونزل الباشا كذلك ، وأكد على أمير الحج فى التشهيل ، فاعتذر اليه بتعطيل الأسباب ، فوعده بالمساعدة .

٤ منه (٣١ يوليو ١٧٨٦ م) :

أشاعوا اشاعة مثل الأولى مصطنعة ، وأظهروا البشر والسرور .

وركب ابراهيم بيك فى ذلك اليوم ، وذهب الى الشيخ البكرى ، وعيد عليه ، ثم الى الشيخ العروسى ، والشيخ الدردير .. وصار يحكى لهم ، وتصاغر فى نفسه جدا ، وأوصاهم على المحافظة ، وكف الرعية عن أمر يحدثونه ، أو قومة أو حركة فى مثل هذا الوقت — فانه كان يخاف ذلك جدا ، وخصوصا لما أشيع أمر الفرمانات التى أرسلها الباشا للمشايخ ، وتسامع بها الناس ...

***

وفى وقت ركوب ابراهيم بيك من بيت الشيخ البكرى حصلت زعجة عظيمة ببركة الازبكية وسببها أن مملوكا أسود ضرب رجلا من زراع المقاثىء فجرحه ، فوقع الصياح من رفقائه واجتمع عليهم خلق كثير من الأوباش . وزاد الحال حتى امتلأت البركة من المخلوقات ، وكل منهم سأل عن الخبر من الآخر ، ويختلقون أنواعا من الأكاذيب .

فلما رجع ابراهيم بيك الى داره أرسل من طرد الناس ، وفحصوا عن أصل القضية ، وفتشوا على الضارب فلم يجدوه فأخذوا المضروب فطيبوا خاطره وأعطوه دراهم !

***

وفيه : أرسل مراد بيك بطلب ذخيرة وبقسماط ، وركب أيوب بيك الصغير وذهب الى مصر العتيقة وعثمان بيك الطنبورجى الى بولاق ، ونزلوا جملة مدافع ومنها « الغضبان » و « أبو مايلة » . وكان أيوب بيك هذا متمرضا عدة شهور ومنقطعا فى الحريم ، فعرق وشفى فى ساعة واحدة .

٥ منه (أول أغسطس ١٧٨٦ م)

كان مولد السيد أحمد البدوى ببولاق ، وكراء مشايخ الأشاير المراكب ليسافروا فيها فأخذوها بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ، ووسقوها وأرسلوا منها جملة .

٦ منه (٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

حضرت مراكب من مراكب الغائبين ، وفيها مماليك ومجاريح وأجناد ، وأخبروا بكسرة مراد بيك ومن معه ، وأصبح الخبر شائعا فى المدينة

وثبت ذلك . ورجعت المراكب بما فيها ، وأخبروا عما وقع وهو أنه لما وصل مراد بيك الى الرحمانية فعدى سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الشرقاوى والألفى الى البر الشرقى فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى محله العلويين فاخلوا منها الأروام فدخلوا اليها وملكوها . وأرسلوا الى مراد بيك يطلبون منه الامداد ، فأمر بعض الأمراء بالتعدية اليهم فامتنعوا وقالوا : « نحن لانفارقك ونموت تحت أقدامك » فحنق منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب ثم ركبوا وقصدوا أن يتقدموا الى فوة ، فوجدوا أمامهم طائفة من العسكر ناصبين متاريس فلم تمكنهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة القنى ومزارع الأرز ، فتراموا بالبنادق فرمح سليمان بيك فعثر بقناة وسقط فحصلت فيهم ضجة وظنوها كسرة ، فرجعوا القهقرى ودخل الرعب فى قلوبهم ورجعت عليهم العرب تنهبهم فعدوا الى البر الآخر .

وكان مراد بيك مستقرا فى مكان توصل اليه من طريق ضيقة لاتسع الا لفارس بمفرده ،فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان ... وداخلهم الخوف وتخلوا تحيلات !

وما زالوا فى نقض وابرام الى الليل ، ثم أمر بالارتحال فحملوا حملاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا فى سيرهم وأشيع فيهم الانهزام وتطايرت الأخبار بالكسرة ، وتيقن الناس أن هذا أمر الهى ليس بفعل فاعل .

وفيه : حصلت كرشة من ناحية الصاغة . وسببها عبد مملوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحم عليه الحمارة ، ورمحوا خلفه .. فصارت كرشة ! ورمحت الصغار .. فأغلقوا الدكاكين بالأشرفية والغورية والعقادين وغير ذلك .

ثم تبين أن لا شىء ، ففتح الناس الدكاكين !

وفى ذلك اليوم حضر أناس من المماليك مجاريح، وزاد الارجاف فنزل الباشا وقت الغروب الى باب العزب وأراد ابراهيم بيك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك وأرسل الباشا فطلب القاضى والمشايخ فطلع البعض وتأخر البعض الى الصباح، وبات السيد البكرى عند الباشا بباب العزب ، وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ .

٧ منه (٣ اغسطس ١٧٨٦ م) :

فى الصباح طلعوا بأجمعهم — وكذلك جماعة الوجاقلية — ونصب الباشا البيرق على باب العزب ونزل جاويش مستحفظان وجاويش العزب وأمامهم القابجية والمناداة على الألضاشات وغيرهم ، وكل من كان طائعا لله وللسلطان يأتى تحت البيرق ،فطلع عليه جميع الألضاشات والتجار وأهل خان الخليلى وعامة الناس ، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر ، والذى لم يجد ثياب زيه استعار ثيابا وسلاحا حتى امتلأت الرميلة وقراميدان من الخلائق ؛ وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا فى سرعة القدوم ويخبره بما حصل . وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحج وتأتى العساكر البرية ، فاقتضى الحال ولزم الأمر فى عدم التأخر .

وأما ابراهيم بيك فانه اشتغل فى نقل عزاله ومتاعه بطول الليل فى بيوته الصغار ، فلم يترك الا فرش مجلسه الذى هو جالس فيه ، ثم انه جلس ساعة وركب الى قصر العينى وجلس به .

وأما ابراهيم بيك — أمير الحج — فانه طلع الى باب العزب وطلب الأمان ، فأرسل له الباشا فرمانا بالأمان وأذن له فى الدخول .

وكذلك حضر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير وكتخدا الجاويشية وسليمان بيك الشابوري وعبد الرحمن بيك عثمان وأحمد جاويش المجنون ومحمد كتخدا أزنور ومحمد كتخدا أباظة وجماعة كثيرة من الغز والأجناد وكذلك رضوان بيك بلفيا، فكان كل من حضر لطلب الأمان فان كان من الأمراء الكبار فانه يقف عند الباب ويطرقه ويطلب الأمان ويستمر واقفا حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن له في الدخول من غير سلاح .. وان كان من الأصاغر فانه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على المصاطب .

فلما تكامل حضور الجميع ، أبرز الباشا خطا شريفا وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدم ذكرها، وطلب ابراهيم بيك ومراد بيك فقط ، وتأمين كل من يطلب الأمان ، واستمر أمير الحج على منصبه . ثم انه خلع على حسن كاشف — تابع حسن بيك قصبة رضوان — وقلده آغات مستحفظان . وخلع على محمد كتخدا أزنور وقلده الزعامة . وقلد محمد كتخدا أباظة أمين احتساب . ونزلوا الى المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وكذلك نزل الأمراء الى دورهم — ما عدا ابراهيم بيك أمير الحج ، فان الباشا عوقه عنده ذلك اليوم . وكذلك أذنوا للناس بالتوجه الى أماكنهم بشرط الاستعداد والاجابة وقت الطلب . ولم يتأخر الا المحافظون على الأبواب . وأما مراد بيك فانه حضر الى بر انبابة واستمر هناك ذلك اليوم ثم ذهب في الليل الى جزيرة الذهب وركب ابراهيم بيك ليلا وذهب الى الآثار .

وفي عصر ذلك اليوم : نزل الأغا ونبه على الناس بالطلوع الى الأبواب .

وفيه : حضر سليمان بيك الأغا ، وطلب الأمان ، فأعطوه فرمان الأمان وذهب الى بيته .

وأصبح يوم الخميس فنزلت القابجية ، ونبهت على الناس بالطلوع ... فطلعوا ، واجتمعت الخلائق زيادة على اليوم الأول ، وحضر أهالي بولاق ، ونزل الأغا ، فنادى بالأمن والأمان ...

وفي ذلك اليوم ، قبل العصر ، ركب عثمان خازندار مراد بيك سابقا ، وذهب الى سيده ... وكان من جملة من أخذ فرمانا بالأمان . فلما نزل الى داره أخذ ما يحتاجه وذهب ، فلما بلغ الباشا هروبه ، اغتاظ من فعله .

ثم ان الباشا تخيل من ابراهيم بيك أمير الحج ، فأمر بالنزول الى بيته ، فنزل الى جامع السلطان حسن ، وجلس به ، فأرسل له الباشا بالذهاب الى منزله .. فذهب

وفي صبح ثاني يوم : ركب سليمان بيك وأيوب بيك الكبير والصغير وخرجوا الى مضرب النشاب ، وركب ابراهيم بيك أمير الحج وذهب الى بولاق وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ فمنعه عسكر المغاربة ، ثم ذهب عند رفقائه بمضرب النشاب .

فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرمانا بالعود ، فطردوا الرسول ومزقوا الفرمان وأقاموا بالمصاطب حتى اجتمعت عليهم طوائفهم وركبوا ولحقوا باخوانهم . فلما حصل ذلك اضطربت البلد وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ، ويضربوا على القلعة ، وغير ذلك من التوهمات .

وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلى آغا خازندار مراد بيك سابقا وصحبتهم جملة من المماليك والعسكر..وهم بالطرابيش وبيدهم مكاحل البندق والقرابينات وفتائلها موقودة ، فوصلوا الى الرميلة ، فضربوا عليهم مدفعين ، فرجعوا الى ناحية الصليبة ونزلوا الى باب زويلة ومروا على الغورية والأشرفية وبين القصرين ، وطلعوا من باب النصر وأمامهم المناداة : أمان واطمئنان ! حكم مارسم ابراهيم بيك ومراد بيك ... وحكم الباشا بطال ! !

فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت الناس وحاصوا حيصة عظيمة وكثر فيهم اللغط .

ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة والمحمودية والسلطان حسن ، وأرسل الأغـا فنادى على الالضاشات بالطلوع الى القلعة .

وفى تلك الليلة : ضرب المنسر كفر الطماعين ، ونهبوا منه عدة أماكن ، وقتل بينهم أشـخاص ، وانقطعت الطرق حتى الى بولاق ومصر القديمة ، وصارت التعدية من عند رصيف الخشاب .

وفى يوم السبت ركب ابراهيم بيك وحسين بيك وأتوا الى المناخ أيضا .

وأرادوا أخذ الجمال فمنعهم المغاربة ، وقيل أخذوا منهم جملة . وعربدوا فى ذلك اليوم عربدة عظيمة من كل ناحية ، وأرسل الباشا قبل المغرب فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشاء وباتوا بالسبيل الذى فى رأس الرميلة . وشـدد الباشا فى اجتماع الالضاشات ومن ينتسب للوجاقات فقيل له ان منهم من لايملك قوت يومه ، وسبب تفرقهم الجوع وعدم النفقة .فطلب أغات مستحفظان وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم .

وفيه : عدى مراد بيك من جزيرة الذهب الى الآثار ، وكان ابراهيم بيك ركب الى حلوان وضربها وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركبا من مراكبه .

ولمـا عدى مراد بيك الى البر الشرقى أرسل الى ابراهيم بيك فحضر اليه واصـطلح معه لأن ابراهيم بيك كان مغتاظا منه بسبب سفرته وكسرته ، فان ذلك كان على غير مراد ابراهيم بيـك وكان قصـده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضـمين واذا وصل القبطان أخلوا من وجهه ان لم يقدروا على دفعه أو مصالحته ، وتركوا له البـلد ومصـيره الرجوع الى بلاده فيعودون بعد ذلك بأى طريق كان ، وكان ذلك هو الرأى فلم يمتثل مراد بيك وقال : « هذا عين الجبن » . وأخذ فى أسـباب الخروج والمحاربة ، ولم يحصل من ذلك الا ضياع المال والفشل والانهزام الذى لا حقيقة له ... وكان الكائن .

ولمـا اصـطلحا تفرقت طوائفهما يعيثون فى الجهات ويخطفون مايجدونه فى طريقهم من جمال السقائين وحمير الفلاحين ، وبعضهم جلس فى مرمى النشاب ، وبعضهم جهة بولاق ، ونهبوا نحو عشرين مركبا كانت راسية عند الشيخ عثمان ، وأخذوا ماكان فيهـا من الغلال والسمن والأغنام والتمر والعسل والزيت .

١١ منه (٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

زاد تنطيطهم وهجومهم على البـلد من كل ناحية ، ويدخلون أحزابا ومتفرقين . ودخل قائد أغا وأتى الى بيته الذى كان سكن فيه وسـكنه بعده حسن آغا المتولى — وهو بيت قصبة رضوان — فوجد بابه مغلوقا ، فأراد كسره بالبلط فأعياه . وخاف من طارق فذهب الى باب آخر من ناحيـة القربية فضرب عليه الحراس بنـادق فرجع بقهره يخطف كل ماصادفه . ولم يزالوا على هذه الفعال الى بعد الظهر من ذلك اليوم .

واشتد الكرب ، وضاق خناق الناس ، وتعطلت أسبابهم ، ووقع الصياح فى أطراف الحارات من الحرامية والسراق والمناسر نهارا ، والأغا والوالى والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول منها الى المدينة .

وتوقع كل النـاس نهب البلد من أوباشها ، وكل ذلك والمآكل موجودةوالغلال معرمة كثيرةبالرقع ،

ورخصت أسعارها ، والأخباز كثيرة ، وكذلك أنواع الكعك والفطير .

وأشيع وصول مراكب القبطان الى شلقان ، ففرح الناس وطلعوا المنارات والأسطحة العالية ينظرون الى البحر ، فلم يروا شيئا ، فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار .

فلما كان بعد العصر سمع صوت مدافع على بعد ، ومدافع ضربت من القلعة ، ففرحوا واستبشروا وحصل بعض الاطمئنان . وصعدوا أيضا على المنارات فرأوا عدة مراكب وتقاير وصلت الى قرب ساحل بولاق ، ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج .

وكان مراد بيك وجماعة من صناجقه وأمرائه قد ذهبوا الى بولاق ، وشرعوا فى عمل متاريس جهة السبتية ، وأحضروا جملة مدافع على عجل ، وجمعوا الأخشاب وحطب الذرة وأفراد وغيرها ، فوردت مراكب الأروام قبل اتمامهم ذلك فتركوا العمل وركبوا فى الوقت ورجعوا ، وضجت الناس وصرخت الصبيان وزغرتت النساء ، وكسروا عجل المدافع ...

وفيه : أرسل الأمراء مكاتبة الى المشايخ والوجاقات يتوسلون بهم فى الصلح ، وأنهم يتوبون ويعودون الى الطاعة ، فقرئت تلك المكاتبات بحضرة الباشا ، فقال الباشا : « ياسبحان الله ! كم يتوبون ويعودون ! ولكن كتبوا لهم جوابا معلقا على حضور قبطان باشا » .. فكتبوه وأرسلوه .

١٢ منه (٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

فى وقت العشاء وصل حسن باشا القبطان الى ساحل بولاق ، وضربوا مدافع لقدومه ، واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدى الزمان ، فبات فى مراكبه الى الصباح وطلع بعض أتباعه الى القلعة وقابلوا الباشا .

ثم ان حسن باشا ركب من بولاق وحضر الى مصر من ناحية باب الخرق ، ودخل الى بيت ابراهيم بيك وجلس فيه وصحبته أتباعه وعسكره ، وخلفه الشيخ الأترم المغربى ومعه طائفة من المغاربة ، فدخل بهم الى بيت يحيى بيك ، وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ، ونزل من بالقلعة الى دورهم . وشاع الخبر بذهاب الأمراء المصرية الى جهة قبلى من خلف الجبل ، فسافر خلفهم عدة مراكب وفيها طائفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم وأرسلوها الى ساحل بولاق ، وأنفذ حسن باشا رسلا الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى يطلبهما للحضور الى مصر .

وفيه : خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمراء ونهبوها ، وتبعهم فى ذلك الجعيدية وغيرهم فلما بلغ القبطان ذلك أرسل الى الوالى والأغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه ثم ركب بنفسه وطاف البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات فانكفوا عن النهب ، ثم نزل على باب زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الحراطين على باب الأزهر وذهب الى المشهد الحسينى فزاره ونظر الى الكسوة ، ثم ركب وذهب الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية فجلس عنده ساعة ، وأمر بتسمير بيت ابراهيم بيك الذى بالأزبكية وبيت أيوب بيك الكبير وبيت مراد بيك ، ثم ذهب الى بولاق ورجع بعد الغروب الى المنزل ، وحضر عنده محمد باشا مخففا واختلى معه ساعة

١٣ منه (٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ذهب اليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه ، وكذلك التجار وشكوا اليه ظلم الأمراء ، فوعدهم بخير واعتذر اليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه .

وفيه : عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا مستحفظان صنجقية ، وخلع على على بيك جركس الاسماعيلى صنجقية كما كان فى أيام سيده اسماعيل بيك ، وخلع على غيطاس كاشف — تابع صالح بيك — صنجقية ، وخلع على قاسم كاشف — تابع أبى سيف — صنجقية أيضا . وخلع على مراد كاشف — تابع حسن بيك الأزبكاوى — صنجقية ، وخلع على محمد كاشف — تابع حسين بيك كشكش — صنجقية ، وقلد محمد أغا أرنؤود الوالى أغات الجمليان ، وقلد موسى أغا الوالى — تابع على بيك — أغات تفكجية ، وخلع على باكير أغا تابع محمود بيك وجعله أغات مستحفظان ، وخلع على عثمان أغا الجلفى وقلده الزعامة عوضا عن محمد أغا .

ولما تكامل لبسهم التفت اليهم الباشا ونصحهم وحذرهم وقال للوجاقلية : « الزموا طرائقكم وقوانينكم القديمة ، ولا تدخلوا بيوت الأمراء الصناجق الا لمقتض ، واكتبوا قوانكم بنعلقاتكم وعوائدكم أمضيها لكم » .

ثم قاموا وانصرفوا الى بيوتهم ، ونزل الأغا وأمامه المناداة بالتركى والعربى بالأمان على أتباع الأمراء المتوارين والمخفيين ... وكل ذلك تدبير وترتيب الاختيارية . وقلدوا من كل بيت أميرا لئلا يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم .

وفيه : أرسل حسن باشا الى نواب القضاء وأمرهم أن يذهبوا الى بيوت الأمراء ويكتبوا مايجدونه من متروكاتهم ويودعوه فى مكان من البيت ويختموا عليه ففعلوا ذلك .

وفى تلك الليلة : وردت خمس مراكب رومية وضربوا مدافع وأجيبوا بمثلها من القلعة .

١٤ منه (١٠ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب حسن باشا وذهب الى بولاق وهو بزى الدلاة وعلى رأسه هيئة قلبق من جلد السمور ، ولابس عباءة بطراز ذهب ، وكان قبل ذلك يركب بهيئته المعتادة ، وهى هيئة القباطين ، وهى فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره ، وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال أحمر ، وفى وسطه سكينة كبيرة ، وبيديه مخصرة لطيفة هيئة حربة بطرفها مشعب حديد على رسم الجلالة .

وفيه : نادى الأغا على كل من كان سراجا بطالا ، أو فلاحا أو قواسا بطالا ... يسافر الى بلده . ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة .

وفيه أيضا : نودى على طائفة النصارى بألا يركبوا الدواب ، ولا يستخدموا المسلمين ، ولا يشتروا الجوارى والعبيد ، ومن كان عنده شىء من ذلك باعه أو أعتقه ، وأن يلزموا زيهم الأصلى من شد الزنار والزنوط .

وفيه : أرسل حسن باشا الى القاضى وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى على الديور والكنائس من أطيان ورزق وأملاك .. والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح !

١٥ منه (١١ أغسطس ١٧٨٦ م — الموافق ٦ مسرى) :

نودى على طائفة النصارى بالأمان : وعدم التعرض لهم بالايذاء . وسببه تسلط العامة والصغار عليهم ...

وفيه : كثر تعدى العساكر على أهل الحرف : كالقهوجية ، والحمامية ، والمزينين ، والخياطين ... وغيرهم . فيأتى أحدهم الى الحمامى ، أو القهوجى ، أو الخياط ... ويقلع سلاحه ويعلقه ، ويرسم ركنه فى ورقة أو على باب دكان ، وكأنه صيره شريكه وفى حمايته . ويذهب حيث شاء ، أو يجلس متى شاء ... ثم يحاسبه ، ويقاسمه فى المكسب . وهذه عادتهم : اذا ملكوا بلدة ذهب كل

ذي حرفة الى حرفته التي كان يحترفها في بلده ، ويشارك البلدي فيهـا ... فثقل على أهل البلدة هذه الفعلة لتكلفهم ما لا ألفوه ولا عرفوه .

وفيه : أجلسـوا على أبواب المدينة رجـلا أوده باشا ؛ ومعه طائفة من العسكر نحو الثلاثين أو العشرين .

وفيه : نودي بوفاء النيل ، فأرسل حسن باشا في صبح يـوم الجمعة كتخداه والوالي ، فكسر السد على حين غفلة ، وجرى الماء في الخليج ولم يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة ، بسبب القلقة وعدم انتظام الأحوال ، والخوف من هجوم الأمراء المصرية ، فانهـم لم يزالوا مقيمين جهـة حلوان .

وفيه : نودي بتوقـير الأشراف ، واحترامهم ، ورفع شـكواهم الى نقيب الأشراف ، وكذلك المنسوبون الى الأبواب ... ترفع الى وجاقه .

وان كان من أولاد البـلد فـالى الشرع الشريف ! (١)

وفيه : مرت جمـاعة من العسكر على سوق الغـورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقمشة ، فهاجت أهل الدكاكين ، والناس المارون ، وأغلقوا الحوانيت ، وثارت كرشـة الى باب زويـلة ... وصادف مرور الوالي ، فقبض على ثلاثة منهم ، واستخلص ما بأيديهم ، وهرب الباقون .

وكان الوالي والاغا ، كل منهما صحبته ضابطان من جنس العسكر !

وفيه : نودي بمنع القواسة وأسافل الناس من لبس الشيلان الكشميري ، والتختم أيضا !

وفيه : وصلت مراكب القباطين الواردين من جهة دمياط الى ساحل بولاق — وفيهم اسماعيل كتخـدا حسن باشـا — فضربت لهم مدافع من القلعة .

وفيه : قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسـدوا بالنساء بناحية الرميلة ، فرفعوا أمرهم — وأمـر الخطافين — الى القبطان ؛ فأمر بقتلهم ، فضربوا أعناق ثلاثة منهـم بالرميلة ، وثلاثة في جهـات متفرقة ...

وفيه : نودي بابطال شركة العسكر لاهـل الحرف ، ومن أتاه عسكري يشاركه ، أو أخذ شيئا بغير حق ، فليمسك ، ويضرب ، وتوثق أكتافه ، ويؤتى به الى الحاكم .

وحضر الـوالي — وصحبته الجـاويش — وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوي . طردهـم وزجرهـم ... وذلك بسبب تشـكي الناس . فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم .

١٧ منه (١٣ اغسطس ١٧٨٦ م) :

خلعوا على محمدبيك — تابع الجرف — وجعلوه كاشفا على البحيرة .

وفيه : جاء الخبر عن الأمراء أن جماعة من العرب نحو الألف اتفقـوا أنهم يكبسـون عليهم ليـلا ويقتلونهم وينهبونهم ؛ فذهب رجـل من العـرب وأخبرهم بذلك الاتفاق ، فأخلوا من خيامهم وركبوا خيولهم وكمنوا بمرأى من وطاقهم . فلمـا جاءت العربان وجدوا الخيام خالية فاشتغلوا بالنهب ... فكبس عليهم الأمراء من كمينهم فلم ينج من العرب الا من طال عمره .

وفيه : نودي على طائفة النساء ألا يجلسن على حوانيت الصياغ ، ولا في الأسواق الا بقدر الحاجة .

١٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٦ م) :

عملوا الديوان ؛ وقلدوا مراد بيك أمير الحج . وسماه حسن باشا « محمدا » ... كراهة في اسم

(١) اى ان السارق من السادة الاشراف ، يشكى الى نقيب الاشراف ! والسارق من « المنسوبين الى الابواب » ، ترفع الشكوى فيه الى « وجاقه » ! أما السارق من « اولاد البلد » ، فتقطع يده !

مراد بيك ، فصار يكتب فى الامضاء « محمد بيك حسن » .

وكان هذا اليوم هو ثانى يوم ميعاد خروج المحمل من مصر ، فان معتاده فى هذه العصور سابع عشر شوال .

٢٠ منه (١٦ اغسطس ١٧٨٦ م) :

كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمد بن حبيب بغفر البرين والموارد من بولاق الى حد دمياط ورشيد على عادة أسلافه — وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام على بيك — ونودى له بذلك على ساحل بولاق

وفيه : أخرجت خبايا وودائع للأمراء من بيوتهم الصغار ، لهم ولأتباعهم وختم أيضا على أماكن ، وتركت على ما فيها ووقع التفتيش والفحص على غيرها ، وطلبوا الفقراء فجمعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التى فى العطف والحارات .

وطلبت زوجة ابراهيم بيك ، وحبست فى بيت كتخدا الجاويشية — هى وضرتها أم مرزوق بيك — حتى صالحوا بجملة من المال والمصاغ ، خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس .

وطولبت زليخا — زوجة ابراهيم بيك — بالتاج الجوهر وغيره

وطلبت زوجة مراد بيك ، فاختفت .

وطلب من السيد البكرى ودائع مراد بيك فسلمها

٢٢ منه (١٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل الباشا ديوانا وخلع على على أغا كتخدا الجاويشية وقلده صنجقا ودفتردار وشيخ البلد ومشير الدولة ، فصار صاحب الحل والعقد واليه المرجع فى جميع الأمور الكلية والجزئية . وقلد محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاويشية عوضا عن المذكور ، وخلع على سليمان بيك الشابورى وقلده صنجقا كما كان أيضا فى الدهور السالفة ، وخلع على محمد كتخدا ابن أباظة المحتسب وجعله ترجمانا عوضا عن محمد أغا الترجمان ، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسبا عوضا عن ابن أباظة .

٢٣ منه (١٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب المشايخ الى حسن باشا ، وتشفعوا عنده فى زوجة ابراهيم بيك ، وذلك باشارة على بيك الدفتردار .. فأجابهم بقوله : « تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص » .

فقالوا له : « النساء ضعاف . وينبغى الرفق بهن » .

فقال : « ان أزواجهن لهم مدة سنين ينهبون البلاد ، ويأكلون أموال السلطان والرعية وقد خرجوا من مصر على خيولهم ، وتركوا الأموال عند النساء فان دفعن ما على أزواجهن تركت سبيلهن . والا أذقناهن العذاب » .

وانفض المجلس وقاموا وذهبوا .

وفيه : ورد الخبر عن الأمراء أنهم ذهبوا الى أسيوط وأقاموا بها .

٢٤ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودائع ، ونودى فى الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شىء من متاع الأمراء الخارجين ، ولا يظهره ولا يقر عليه فى مدة ثلاثة أيام .. قتل من غير معاودة ان ظهر بعد ذلك !

وفيه : طلب حسن باشا من التجار المسلمين والافرنج والأقباط دراهم سلفة لتشهيل لوازم الحج ، وكتب لهم وثائق وأجلهم ثلاثين يوما ، ففردوها على أفرادهم — بحسب حال كل تاجر — وجمعوها .

وفيه : حصلت كائنة على ابن عياد المغربى ببولاق ، وقتله اسماعيل كتخدا حسن باشا .

وفيه : نادوا على النساء بالمنع من النزول فى مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلى .

وفيه : كتبوا مكاتبات — من حسن باشا ، ومحمد باشا الوالى ، والمشايخ ، والوجاقات — خطابا لاسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى .. باستعجالهم للحضور الى مصر .

٢٥ منه (٢١ اغسطس ١٧٨٦ م) :

نودى على النساء ألا يخرجن الى الأسواق . ومن خرجت بعد اليوم ، شنقت .. فلم ينتهين !!

أحضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج جوارى ابراهيم بيك وباقى الأمراء بيضا وسودا وحبوشا ونودى عليهن بالبيع والمزاد فى حوش البيت ... فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية وعسكرهم .

وفى ذلك عبرة لمن اعتبر . .

٢٦ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أحضروا أيضا عدة جوار من بيوت الأمراء ومن مستودعات كانوا مودعين فيها ، وأخذوا جوارى عثمان بيك الشرقاوى من بيته ، ومحظيته التى فى بيته الذى عند حيضان المصلى ، فأخرجوها بيد القليونجية . وكذلك جوارى أيوب بيك الصغير وما فى بيوت سليمان أغا الحنفى من جوار وأمتعة ، وكذلك بيوت غيره من الأمراء ، وأحاطوا بعدة بيوت بدرب الميضأة بالصليبة وطيلون ودرب الحمام وحارة المغاربة وغيرهم فى عدة أخطاط فيها ودائع وأغلال ، فأخذوا بعضها وختموا على باقيها ، وأحضروا الجوارى بين يدى حسن باشا فأمر ببيعهن، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بيك مرزوق وعديله ، والتشديد على زوجاته .

ثم ان شيخ السادات ركب الى الشيخ أحمد الدردير ، وأرسلوا الي الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الحريرى فحضروا وتشاوروا فى هذا الأمر ، ثم ركبوا وطلعوا الى القلعة وكلموا محمد باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قبطان باشا فقال لهم : « ليس لى قدرة على منعه ، ولكن اذهبوا اليه واشفعوا عنده » . فالتمسوا منه المساعدة فأجابهم وقال : « اسبقونى وأنا أكون فى أثركم » .

فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضا محمد باشا وخاطبوه فى شأن ذلك — وكان المخاطب له شيخ السادات — قال له : « انا سررنا بقدومك الى مصر لما ظنناه فيك من الانصاف والعدل . وان مولانا السلطان أرسلك الى مصر لاقامة الشريعة ومنع الظلم . وهذا الفعل لايجوز . ولا يحل بيع الأحرار وأمهات الأولاد » . ونحو ذلك من الكلام .

فاغتاظ وأحضر أفندى ديوانه وقال : « اكتب أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبره بمعارضتهم لأوامره » .

ثم التفت اليهم وقال : « أنا أسافر من عندكم والسلطان يرسل لكم خلافى فتنظروا فعله أما كفاكم أنى كل يوم أقتل من عساكرى طائفة على أيسر شيء مراعاة وشفقة ؟ ولو كان غيرى لنظرتم فعل العسكر فى البيوت والأسواق والناس ! » . فقالوا له : « انما نحن شافعون ، والواجب علينا قول الحق » .

وقاموا من عنده وخرجوا ، وتغير خاطره من ذلك الوقت على شيخ السادات .

وفيه : قبض اسماعيل — كتخدا حسن باشا — على الحاج سليمان بن ساسى التاجر ، وجماعة من طيلون ، وألزمه بخمسمائة كيس .. فولول واعتذر بعجزه عن ذلك . فلم يقبل ولطمه على وجهه ، وشدد عليه .. فراجعوه وتشفعوا فيه ، الى أن قررها مائة كيس . فحلف أنه لا يملك الا ثلاثمائة

فرق بين — وليس له غيرها . فأرسل وختم عليها في حواصلها .

واستمر في الاعتقال حتى غلق المائة كيس .، على نفسه منها خمسون ، ومثلها على الملولونية .

وسبب ذلك حادثة ابن عباد ، لأنهم أولاد بلاده . ولما قتله ببولاق ، ورجع وهو في حدته ، فدخل الى خان الشرايبي ، فوجد الحاج سليمان المذكور جالسا بالخان مع التجار ، فقال له : « بلغ منكم — يا جربية — حتى تقتلوا عسكر السلطان ! ان ابن عباد قتل من طائفتي شخصين ودبتهما تلزمكم . وهي خمسمائة كيس ، تحضرونها في غد ، والا قتلتكم عن آخركم ! » .

فلما أصبح فعل معهم ما ذكر ، وهذا محض ظلم وبغى !

٢٧ منه (٢٣ أغسطس ١٧٨٦ م) .

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج محمد بيك المبدول بالموكب على العادة ، ماعدا طائفة الينكجرية والعزب خوفا من اختلاط العثمانية بهم ، وحضر حسن باشا القبطان الى مدرسة الغورية لأجل الفرجة والمشاهدة ، ولم يزل جالسا حتى مر الموكب والمحمل . ولما مرت عليه طوائف الأشاير كانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويقرأون الفاتحة ، فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس .

ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة : وازدحمت الناس للفرجة عليه — وكان لابسا على هيئة ملوك العجم ، وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد ، مخروط الشكل ، وعليه عصابة لطيفة من حرير مرصعة بالجوهر ; ولها ذوائب على آذانه وحواجبه ، وعليه عباءة لطخ قصب أصفر !

٢٨ منه (٢٤ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودي على النصارى واليهود بأن يغيروا أسماءهم التي على أسماء الأنبياء — كابراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحاق — وأن يحضروا جميع ماعندهم من الجواري والعبيد ، وان لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم ، فصالحوا على ذلك بمال فحصل العفو ! وأذن لهم في أن يبيعوا ما عندهم من الجواري والعبيد ويقبضوا أثمانها لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين ، فأخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين (١) .

وفيه : حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة . وحضر الباشا الجديد الى بولاق .

٢٩ منه (٢٥ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبتهم اسماعيل كتخدا الى عرب البحيرة لكونهم خامروا مع المصرلية ووقع الحلف بينهم وبين قبيلتهم ، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدي القبطان واصطلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضرت الفرقة الأولى واستنجدوا بحسن باشا فأرسل لهم اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر في المراكب فهربوا ورجع اسماعيل كتخدا ومن معه على الفور .

وفيه : وصلت العساكر البرية صحبة عابدي باشا ودرويش باشا الى بركة الحج وكان أمير الحج مقيما بالحجاج بالعادلية ، ولم يذهبوا الى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء .

---

(١) حكام أجانب أجلاف معروفون جهلاء ... يلبسون ما يصنعه الحكماء والسفهاء ، ويذهب أحدهم ليشهد حفلا أو ... ... ليراه الناس ليتفرجوا عليه .

... حتى يستطيعوا الاحتفاظ بهذا المستوى من الترف المصطنع ، لابد لهم من ابتزاز الأموال .

وتتوالى موجات ابتزازهم ، فتتخذ أحيانا صورة الاضطهاد الديني .

وما نحسب أن للدين دخلا في ذلك أبدا ... فلم يكن لهؤلاء الحكام الغاشمين دأب الا أن « ينزلوا القلم بطائفة — أي طائفة — ثم يصطلحوا على مال ... فيحصل العفو ! » ... ولم يبتغ طموحهم غير ذلك دينا ...

السبت غرته (٢٦ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ارتحل الحجاج من العادلية ، وحضر عابدى باشا ودرويش باشا الى العادلية ، وخرج حسن باشا الى ملاقاتهم ، ودخلت طوائف عساكرهما الى المدينة وهم بهيئات مختلفة وأشكال منكرة ، وراكبون خيولا وأكاديش كأمثال دواب الطواحين وعلى ظهورها لبابيد شبه البراذع متصلة بكفل الاكديش ، وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة . والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير مخيط عليه قطعة قماش لابسها فى دماغه — والطربوش مقلوب على قفاه — مثل حزمة البراطيش ، وهم لابسون زنوط وبشوت محزمين عليها ... وصورهم بشعة ، وعقائدهم مختلفة ، وأشكالهم شتى ، وأجناسهم متفرقة ، مابين أكراد ولاوند ودروز وشوام ... ولكن لم يحصل منهم ايذاء لأحد ، واذا اشتروا شيئا أخذوه بالمصلحة ، فباتوا بالخيام عند سبيل قيماز تلك الليلة .

الأحد ٢ منه (٢٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب عابدى باشا ودرويش باشا ، وذهبوا الى البساتين من خارج البلد . فمروا بالصحراء وباب الوزير ، وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره .

وفيه : نودى على النصارى باحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاريخه . ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى ، واستخرجوا ما فيها ... فكان شيئا كثيرا . وأحضروهم الى القبطان فأخرجوهم الى المزاد وباعوهم ، واشترى غالبهم العسكر ، وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرابحة .

فاذا أراد انسان أن يشترى جارية ذهب الى بيت الباشا ، وطلب مطلوبه ، فيعرض عليه الجوارى من مكان عند باب الحريم . فاذا أعجبته جارية ، أو أكثر ، حضر صاحبها الذى اشتراها ، فيخبره برأس ماله ، ويقول : « وأنا آخذ مكسبى كذا » ، فلا يزيد ولا ينقص . فإن أعجبه الثمن دفعه ، والا تركها وذهب .

ثم وقع التشديد على ذلك ، وأحضروا الدلالين والنحاسين ، القدم والجدد ، واستدلوا منهم على المبيوعات .

وفيه : جمع القبطان المهندسين ليستخبر منهم عن الخبايا والدفائن التى صنعوها فى البيوت وغيرها .

الاثنين ٣ منه (٢٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

أمر القبطان الأمراء والصناجق والوجاقلية أن يذهبوا للسلام على عابدى باشا ودرويش باشا .. فذهب الصناجق أولا بسائر أتباعهم وطوائفهم ، وتلاهم الوجاقلية ... فسلموا ورجعوا من البساتين ، وكلاهما فى جمع كثير .

الثلاثاء ٤ منه (٢٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حضر عابدى باشا عند القبطان ، وسلم عليه ، ثم طلع الى القلعة وسلم على محمد باشا المتولى ، ثم نزل وخرج الى مخيمه بالبساتين .

وفيه : قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراء المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون ألف ريال .

وفيه : أمر أيضا باحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو فى ملكهم ، وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم ، ويقرر عليها أجرة مثلها فى العام ، وأن يكشف فى السجل على ما هو جار فى أملاكهم .

ثم قرر عليهم أيضا خمسمائة كيس ، فوزعوها

على أفرادهم . وحصل لفقرائهم الضرر الزائد .

وقيل انهم حسبوا لهم الجوارى المأخوذة منهم من أصل ذلك ... على كل رأس أربعون ريالا .

وقرر أيضا على كل شخص دينارا جزية : العال كالدون ... وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة !

الخميس ٦ منه (٣١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل محمد باشا ديوانا ، وخلع على مصطفى أغا — تابع حسن أغا ، تابع عثمان أغا وكيل دار السعادة سابقا -- وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ أستاذه ... وكانت شاغرة من أيام على بيك .

وفيه أيضا : سمحوا فى جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجرية كما كان قديما . وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام ظهور على بيك .

وفيه : انتقل عابدى باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين الى قصر العينى بشاطىء النيل ، وجلسوا هناك .

وفيه : دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التى كان اقترضها من التجار ، فدفع مال الافرنج جانبا لتجار المغاربة ... بغلاق الباقى ..

وفيه : قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى ، واستخلص منه صندوقا من ودائع النصارى .

وفيه أيضا : قبض على شخص من الأجناد من بيته بحوش قدم ، وأخرجوا من داره زلعتين مسدودتين فى كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من الرجال العتالين بالآلة ، لا يعلم ما فيها ...

الجمعة ٧ منه (١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة أجداده بالقرافة .

وفيه : حضر قاصد من طرف اسماعيل بيك وعلى يده مكاتبات من المذكور يخبر فيها بأنه وصل الى دجرجا وقصده الاقامة هناك لأجل المحافظة فى تلك الجهة حتى تسافر العسكر ، فاذا التقوا مع الأمراء وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه فى أقفيتهم وقت الحرب ومانعا عند الهزيمة .

السبت ٨ منه (٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال . وواصف هذا أحد الكتاب المباشرين المشهورين ، ويعرف الايراد والمصاريف ، وعنده نسخ من دفتر الروزنامة ، ويحفظ الكليات والجزئيات ، ولا يخفى عن ذهنه شىء من ذلك ، ويعرف التركى .

الأحد ٩ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض على بعض نساء المعلم ابراهيم الجوهرى من بيت حسن أغا كتخدا على بيك أمين احتساب سابقا ، فأقرت على خبايا أخرجوا منها أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك .

الاثنين ١٠ منه (٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حصلت جمعية بالمحكمة بسبب جمرك البهار . وذلك أن ابراهيم بيك شيخ البلد أخذ من التجار فى العام الماضى مبلغا كبيرا من حساب الباشا ، وذلك قبل حضوره من ثغر الاسكندرية ، فلما حضر دفعوا له البواقى وحاسبهم وطالبهم بذلك المبلغ فماطلوا ووعدوه الى حضور المراكب .

فلما حضرت المراكب فى أوائل رمضان من هذه السنة أحضرهم وطالبهم ، فلم يزالوا يسوفونه ويعتذرون له — وذلك خوفا من ابراهيم بيك — ويعيدون القول على ابراهيم بيك فيقول لهم لاتفضحونى ، ويلاطفهم ويداهنهم كما هى عادته ، والباشا يطالبهم ... فلما ضاق خناقهم أخبروه أن

ابراهيم بيك يطلب ذلك ويقول : « أنا محتاج لذلك فى هذا الوقت . ووالدى الباشا يمهل وأنا أحاسبه به بعد ذلك »...ولم يخبروه أنه أخذه ، فلم يرض ولم يقبل ، وصار يرسل الى ابراهيم بيك يشكو له من التجار ومطلهم ، فيرسل ابراهيم بيك مع رسوله معينين من سراجينه يقولون للتجار : « ادفعوا مطلوبات الباشا » فاذا حضر اليه التجار تملق لهم ويقول : « اشتروا لحيتى واشترونى » ... فلم يزل التجار فى حيرة بينهما .

وقصد ابراهيم بيك أن التجار يدفعون ذلك القدر ثانيا الى الباشا ، وهم يثاقلونه خوفا من أن يقهرهم فى الدفع ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج ابراهيم بيك واخوانه ، فبقى الأمر على السكوت .فلما راق الحال واطمأن الباشا أرسل يطالب التجار بالمبلغ ، وهو أربعة وأربعون ألف ريال فرانسة . فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر ، وأنهم دفعوا ذلك لابراهيم بيك قبل حضوره الى مصر ، فاشتد غيظه وقال : « ومن أمركم بذلك ، ولا يلزمنى . ولا بد من أخذ عوائدى على الكامل » . ثم انهم ذهبوا الى حسن باشا واستجاروا به فأمرهم أن يترافعوا الى الشرع . فاجتمعوا يوم الأحد فى المحكمة ، وأقام الباشا من جهته وكيلا وأرسله صحبة أنفار من الوجاقلية ، واجتمعت التجار حتى ملأوا المحكمة . وطلبوا حضور العلماء .. فلم يحضروا . وانفض المجلس بغير تمام .

ثم حضر التجار فى ثانى يوم ، وحضر العلماء .. ولم يحضر وكيل الباشا .

ثم أبرز التجار رجعة بختم ابراهيم بيك وتسلمه المبلغ مؤرخة فى ١٢ شعبان أيام قائمقاميته ووكالته عن الباشا ، وأبرزوا فتاوى أيضا . وسئل العلماء فأجابوهم بقولهم : « حيث ان الباشا أرسل فرمانا لابراهيم بيك أن يكون قائما مقامه ووكيلا عنه الى حين حضوره ... فيكون فعل الوكيل كالأصيل ، وتخلص ذمة التجار . وليس للباشا مطالبتهم ، ومطالبته على ابراهيم بيك ... على أن ذلك ليس حقا شرعيا » .

وكتب القاضى اعلاما بذلك وأرسله الى الباشا ، وانفض المجلس على دماغ الباشا !

الخميس ١٣ منه (٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

تعين للسفر عدة من العساكر البحريه فى المراكب ، ولحقت بالمراكب السابقة .

الجمعة ١٤ منه (٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد باشا — والى جدة — الذى كان مقيما بثغر الاسكندرية ، الى ثغر بولاق . فذهب لملاقاته على بيك الدفتردار ، وكتخدا الجاويشية ، وأرباب الخدم . فركب صحبتهم ، وتوجه الى ناحية العادلية ، وجلس هناك بالقصر .

السبت ١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن باشا ، وعابدى باشا ، ودرويش باشا الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية باستدعاء ، وجلسوا هناك الى العصر وقدم لهم تقادم وهدايا. وحضروا اليه فى مراكب من الخلج .

الأحد ١٦ منه (١٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أحضروا عند حسن باشا رجلا من الأجناد يسمى رشوان كاشف من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، فأمر برمى عنقه .. ففعلوا به ذلك وعلقوا رأسه قبالة باب البيت .

قيل ان سبب ذلك أنه كان بجرجا أيام الحركة ، فلما خرج رفقاؤه حضر الى مصر وطلب الأمان فأمنوه ، ولم يزل بمصر الى هذا الوقت ، فحدثته نفسه بالهروب الى قبلى فركب جواده وخرج

فقبض عليه المحافظون وأحضروه الى حسن باشا فأمر برمي عنقه . وقيل ان السبب غير ذلك .

وفيه : وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وأخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمراء القبالى لطمة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب ، فانتقل المصريون من مكانهم وترفعوا جهة الجبانة ، وصار البلد حائلا بين الفريقين ، وساحل أسيوط طرد لايحمل المراكب ، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب اليهم ، وصوروا صورة ذلك وهيئته فى كاغد لأجل المشاهدة ، وأرسلوها مع الرسول .

وفيه : عمل الديوان بالقلعة ، وتقلد قاسم بيك أبو سيف ولاية جرجا وسارى عسكر التجريدة المعينة صحبة عابدى باشا ودرويش باشا ، ومعهم من الصناجق أيضا على بيك جركس الاسماعيلى وغيطاس بيك المصالحى ومحمد بيك كشكش ، ومن الوجاقلية خمسمائة نفر ... وأخذوا فى التجهيز والسفر .

الاثنين ١٧ منه (١١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى ساحل بولاق أغا من الدبار الرومية ، وهو أميراخور ، وعلى يده مثالات وخلع وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة ، وخروج الأمراء .. فركب أغات مستحفظان ، ومن له عادة بالركوب لملاقاته ، وطلع حسن باشا ، وعابدى باشا ، وأحمد باشا الجداوى ، ودرويش باشا ، والأمراء ، والصناجق ، والوجاقات ، والقاضى ، والمشايخ .. واجتمعوا بالقلعة ، وحضر الأغا من بولاق بالموكب ، والنوبة خلفهم ، وبقية الأغوات وهم يحملون بقجا على أيديهم ، والمكاتبات فى أكياس حرير على صدورهم .

ولما دخلوا باب الديوان قام الباشوات والأمراء على أقدامهم ، وتلقوهم ، ثم بدأوا بقراءة المرسوم المخاطب به حسن باشا ، فقرآوه ، ومضمونه التبجيل والتعظيم لحسن باشا ، وحسن الثناء عليه بما فعله من حسن السياسة ، والوصية على الرعية ، وصرف العلائف والغلال .

وفيه : ذكر اسماعيل بيك وحسن بيك والتحريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة ..

ولما فرغوا من قراءة ذلك ، أخرجوا الخلعة المخصوصة به ، فلبسها — وهى فروة سمور وقفطان أصفر مقصب مفرق الأكمام — فلبسه من فوق .. وسيف مجوهر تقلد به

ثم قرأوا المرسوم الثانى ، وهو خطاب لمحمد باشا يكن ، المتولى . ومعه الخطاب للقاضى والعلماء والأمراء والوجاقلية ، والثناء على الجميع ، والنسق المتقدم فى المرسوم السابق . ثم لبس الخلعة المخصوصة به — وهى فروة وقفطان .

ثم قرأوا المرسوم الثالث ، وهو خطاب لأحمد باشا ، والى جدة ، بمثل ذلك . ولبس خلعته أيضا — وهى فروة وقفطان .

ثم قرىء المرسوم الرابع ، وفيه الخطاب لعابدى باشا ، ومضمونه ما تقدم . ولبس أيضا خلعته وفروته .

ثم قرىء المرسوم الخامس ، ومضمونه الخطاب لدرويش باشا ، وذكر ما تقدم . ولبس خلعته .

ثم مرسوم بالخطاب لعلى بيك الدفتردار ، ومضمونه الثناء عليه من عدم التأخر عن الاجابة والنسق .

ثم فرمان ثان ، وهو خطاب لأمير الحج ، والوصية بتعلقات الحج ..

فما فرغوا من ذلك الا بعد الظهر ، ثم ضربوا مدافع كثيرة ، ودخلوا الى داخل ، وجلسوا مع بعضهم ساعة ، ثم ركبوا ونزلوا الى أماكنهم .

وكان ديوانا عظيما ، وجمعة كبيرة لم تعهد قبل

ذلك . ولم يتفق أنه اجتمع فى ديوان خمسة باشوات فى آن واحد ..

الاربعاء ١٩ منه (١٣ سبتمبر ١٧٨٦) :

عمل الباشا ديوانا ، وخلع على باكير آغا مستحفظان وقلده صنجقا ، وخلع على عثمان آغا الوالى وقلده أغات مستحفظان عوضا عن باكير آغا ...

الخميس ٢٠ منه (١٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

خلع الباشا على اسماعيل كاشف من أتباع كشكش وقلده واليا عوضا عن عثمان أغا المذكور ، وأقر أحمد أفندى الصفائى فى وظيفته روزنامجى أفندى على عادته ، وكانوا عزموا على عزله وأرادوا نصت غيره فلم يتهيأ ذلك .

وفيه : وصل ابراهيم كاشف من طرف اسماعيل بيك وحسن بيك ، وأخبر بقدومهما ، وأنهما وصلا الى شرق أولاد يحيى ، وأرسلا يستأذنان فى المقام هناك بالجمعية ، حتى تصل العساكر المعينة فيكونوا معهم .. فلم يجبه حسن باشا الى ذلك ، وحثه على الحضور فيقابله ، ثم يتوجه من مصر ثانيا ، ثم أجيت الى المقام حتى تأتيهم العساكر .

وأخبرا أيضا أن الأمراء القبليين لم يزالوا مقيمين بساحل أسيوط على رأس المجرور ، وبنوا هناك متاريس ونصبوا مدافع ، وأن المراكب راسية تجاههم ولا تستطيع السير فى ذلك المجرور الا باللبان .. لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب .

وفيه : استعفى على بيك جركس الاسماعيلى من السفر ، فأعفى .. وعين عوضه حسن بيك رضوان .

وأنفق حسن باشا على العسكر : فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال ، وللوجاقلية سبعة عشر ألف ريال .

وأنفق عابدى باشا فى عسكره النفقة أيضا : فأعطى لكل عسكرى خمسة عشر قرشا .. فغضبت طائفة الدلاة ، فاجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى العادلية يريدون الرجوع الى بلادهم . وحصل فى وقت خروجهم زعجة فى الناس . وأغلقت الحوانيت ولم يعرفوا ما الخبر !

ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره وخرج يريد قتلهم . وخرج معه المصريون ، وركب عابدى باشا أيضا ولحق به عند قصر قايماز — وكان هناك أحمد باشا الجداوى ، فنزل اليه أيضا ، واجتمعوا اليه ، واستعطفوا خاطره ، وسكنوا غضبه ، وأرسلوا الى جماعة الدلاة فاسترضوهم وزادوا لهم فى نفقتهم ، وجعلوا لكل نفر أربعين قرشا .. وردوهم الى الطاعة .

ورجع حسن باشا وعابدى باشا الى أماكنهم قبيل الغروب .

وفى صبح ذلك اليوم سافر اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر فى البحر الى جهة قبلى .

وفيه (أعنى يوم الخميس) : آخرجوا جملة غلال من حواصل بيوت الأمراء الخارجين .. فأخرجوا من بيت أيوب بيك الكبير ، وبيت أحمد أغا الجملية ، وسليمان بيك الأغا ، وغيرهم .

وفيه أيضا : أخذت عدة ودائع من عدة أماكن ، وتشاجر رجل جندى مع خادمه ، وضربه وطرده ، ولم يدفع له أجرته .. فذهب ذلك الخادم الى حسن باشا ، ورفع اليه قصته ، وذكر له أن عنده صندوقا مملوءا من الذهب من ودائع الغائبين . فأرسل صحبته طائفة من العسكر فدلهم على مكانه فأخرجوه وحملوه الى حسن باشا .. وأمثال ذلك .

الجمعة ٢١ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

فتحوا بيت المعلم ابراهيم الجوهرى وبأعوا

ما فيه وكان شيئا كثيرا من فرش ومصاغ وأوان وغير ذلك .

السبت ٢٢ منه (١٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

برز عابدى باشا ودرويش باشا وأخرجا خيامهما الى البساتين قاصدين السفر .

وفيه : ركب على بيك الدفتردار وذهب الى بولاق ، وفتح الحواصل وأخرج منها الغلال لأجل البقسماط والعليق .

الاحد ٢٣ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن يخدموا عند الأمراء .

الاثنين ٢٤ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر عابدى باشا ودرويش باشا .

وأخرج الأمراء الصناجق خيامهم ، ونصبوا مكان المرتحلين .

وفيه حضر باشا من ناحية الشام — وهو أمير كبير من أمراء شين أغلى — وصحبته نحو ألف عسكرى ، فنزل بهم بالعادلية .

الثلاثاء ٢٥ منه (١٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

دخلت عساكر المذكور الى القاهرة ، وأميرهم توجه الى ناحية البساتين من نواحى باب الوزير .

وفيه : غمز على مكان ببيت أيوب بيك الكبير مسدود الباب ، ففتح وأخرج منه أشياء كثيرة ، وكذلك ببيت المعلم ابراهيم الجوهرى مكان مرتفع مهدوم الدرج ، وكان ذلك المكان لولده وقد مات من نحو سنتين . فلما مات هدم الدرج التى يتوصل منها اليه حزنا عليه وتركه بما فيه ، فصعدوا اليه وأخرجوا منه أشياء كثيرة من فرش وأمتعة مزركشة وأوانى ذهب وفضة وصينى وغير ذلك فأحضرت جميعها الى حسن باشا وباعها بين يديه بالمزاد فى عدة أيام .

وفيه : قتل حسن باشا شخصين من عسكر عابدى باشا ، تخلفا عنه ، فقبض عليهما وأحضرهما اليه ، فأمر بقتلهما ، ففعلوا بهما ذلك تجاه الباب .

الخميس ٢٧ منه (٢١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر أمير شين أغلى بعساكره جهة قبلى .

الجمعة ٢٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان فى يوم الجمعة بالطبول . وسبب ذلك أن حسن باشا صلى بجامع المؤيد شيخ ، الذى بباب زويلة ، فعندما شرع الخطيب فى الخطبة واذا بضجة عظيمة وطبول مرعجة ، فقال الباشا : « ماهذا ؟ » فأخبروه بذلك فأمر بمنع ذلك فى مثل هذا الوقت .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٢٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أشيعت أخبار وروايات ووقائع بين الفريقين وأن جماعة من القبالى حضروا بأمان عند اسماعيل بيك .

الثلاثاء ٢ منه (٢٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى مصر ، فيض الله افندى ، رئيس الكتاب ، فتوجه الى حسن باشا ، فتلقاه بالاجلال والتعظيم ، وقابله من أول المجلس . ثم طلع الى القلعة وقابل محمد باشا أيضا ، ثم نزل الى دار أعدت له ، ثم انتقل الى دار بالقلعة عند قصر يوسف .

الخميس ٤ منه (٢٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أغا ، وعلى يده تقرير لمحمد باشا على السنة الجديدة ، فركب من بولاق الى العادلية ، وخرج اليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات مستحفظان ، وأغات العزب والوجاقلية ، ودخل

بموكب عظيم من باب النصر ، وشق القاهرة ، وطلع الى القلعة .

السبت ٦ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) .

نودى بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها فى الأيام السابقة ، لاتعاد ولا تسمع ثانيا ، وسبب ذلك تسلط الناس على بعضهم فى التداعى .

وفيه : ردت السلفة التى كانت أخذت من تجار المغاربة ، وهى آخر السلف المدفوعة .

الاربعاء ١٠ منه (٤ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

كان عيد النحر ، وفيه وردت أخبار من الجهة القبلية بوقوع مقتلة عظيمة بين الفريقين ، وقتل من المصرية عمر كاشف الشرقية ، وحسن كاشف وسليمان كاشف ، ثم انحازت العسكر الى المراكب ، ورجع الأمراء الى وطاقهم ، فاغتم حسن باشا لتمادى أمرهم ، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول الشتاء ويأخذ رؤوسهم ويرجع بهم الى سلطانه قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية .. حتى انه منع من فتح الترع التى من عادتها الفتح بعد الصليب — كبحر أبى المنجا وموبس والقرنين — خوفا من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار .

وفيه : حضر واحد ططرى ، وعلى يده مرسوم ، فطلب حسن باشا محمد باشا المتولى فنزل اليه وجمع الديوان عنده ، فقرأ عليهم ذلك المرسوم وحاصله : الحث والتشديد والاجتهاد فى قتل العصاة ، والفحص عن أموالهم وموجوداتهم ، والانتقام ممن تكون عنده وديعة ولا يظهرها ، وعدم التفريط فى ذلك .. وطلب حلوان عن البلاد ، فائظ ثلاث سنوات .

وفيه : حضر ابراهيم بيك قشطة الاسماعيلى وصحبته زوجته ، ابنة اسماعيل بيك ، وحريم اسماعيل بيك أيضا — وسكنوا فى دارهم التى ببركة الأزبكية .

الخميس ١٨ منه (١٢ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك طبل الاسماعيلى ، فذهب عند على بيك الدفتردار . وتوجه صحبته الى حسن باشا ، فسأله عن أحوال العسكر ، وأخبره أنهم محتاجون لنفقة وذخيرة ، وأن عساكر عابدى باشا ثعبانون بسبب قلة النفقة ، وحاصل عندهم قلقة ، وأن الأمراء القبالى ترفعوا الى طحطا .. فأمر حسن باشا بتشهيل بقسماط واحتياجات ، وأوصل عثمان بيك مائتين وسبعين كيسا برسم النفقة .

الاحد ٢١ منه (١٥ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

سافر عثمان بيك المذكور ، وأرسلوا خلفه المراكب المشحونة بالبقسماط والشعير والسمن والزيت .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

خلع على أحمد جاويش المجنون ، وتقلد كتخدا مستحفظان .

فى اواخره (اواخر اكتوبر ١٧٨٦ م) :

أرسل عابدى باشا مكاتبة حضرت له من الأمراء القبالى . وصورتها — وهى جواب عن رسالتهم ، وهى باللغة التركية ، وحاصل ما فهمته من ذلك :

« أنكم تخاطبونا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة .

« واننا — بحمد الله تعالى — موحدون ، واسلامنا صحيح ، وحجينا بيت الله الحرام .

« وتكفير المؤمن كفر ، ولسنا عصاة ولا مخالفين . وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنا من الحرب الا طاعة للسلطان ولنائبه ، فانه أمرنا بالخروج حتى تسكن الفتن وحقنا للدماء ، ووعدنا أنه يسعى لنا

فى الصلح .. فخرجنا لأجل ذلك ولم نرض باشهار السلاح فى وجوهكم ، وتركنا بيوتنا وحريمنا فى عرض السلطان ، ففعلتم بهم ما فعلتم ، ونهبتم أموالنا وبيوتنا ، وهتكتم أعراضنا وبعتم أولادنا وأحرارنا وأمهات أولادنا .. وهذا الفعل ماسمعنا به ولا فى بلاد الكفر .

« وماكفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر يخرجونا من بلاد الله ، وتهددونا بكثرتكم . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وأن عساكر مصر أمرها فى الحرب والشجاعة مشهور فى سائر الأقاليم ، والأيام بيننا .

« وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة فى خلاص البلاد التى غصبها منكم الكفار واستولوا عليها ، مثل بلاد القرم والودن واسماعيل وغير ذلك » .

وأمثال هذا القول ، وتخشين الكلام تارة وتليينه أخرى . وفى ضمن ذلك آيات وأحاديث وضرب أمثال وغير ذلك .

فأجابهم عابدى باشا ونقض عليهم ، ونسب كاتبهم الى الجهل بصناعة الانشاء ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الغريبة .

***

ومات فى هذه السنة الشيخ العلامة المحقق ، والفهامة المدقق ، شيخنا الشيخ محمد بن موسى الجناجى ، المعروف بالشافعى . وهو مالكى المذهب . أحد العلماء المعدودين ، والجهابذة المشهورين . تلقى عن مشايخ عصره ، ولازم الشيخ الصعيدى ملازمة كلية ، وصار مقرئه ومعيدا لدروسه .

وأخذ عن الشيخ خليل المغربى والسيد البليدى . وحضر على الشيخ يوسف الحفنى والملوى .

وتمهر فى المعقول والمنقول ، ودرس الكتب المشهورة الدقيقة ، مثل : « المغنى » لابن هشام ، والأشمونى ، والفاكهى ، والسعد ، وغير ذلك .

وأخذ علم الصرف عن بعض علماء الأروام ! وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك ابن الهائم عن الشيخ حسين المحلاوى .

واشتهر فضله فى ذلك وألف فيها رسائل .

وله فى تحويل النقود بعضها الى بعض رسالة نفيسة تدل على براعته وغوصه فى علم الحساب . وكان له دقائق وجودة استحضار فى استخراج المجهولات وأعمال الكسورات والقسمه والجذورات ، وغير ذلك من قسمة المواريث والمناسخات والأعداد الصم والحل والموازين ... ما انفرد به عن نظائره ...

وكان مهذب الأخلاق جدا ، متواضعا ، لايعرف الكبر ولا التصنع أصلا ، يلبس أى شىء من الثياب الناعمة والخشنة ، ويذهب بحماره الى جهة بولاق ويشترى البرسيم ويحمله عليه ويركب فوقه ، ويحمل طبق العجين الى الفرن على رأسه ، ويذهب فى حوائج اخوانه .

ولما بنى محمد بيك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تقرر فى وظيفة خزن الكتب نيابة عن محمد أفندى حافظ ، مضافة الى وظيفة تدريس مع المشايخ المقررين ... فلازم التقييد بها ، وينوب عنه أخوه الشيخ حسن فى غيابه .

وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط حسن فى غاية السرعة ، ويتحدث مع الناس وهو يكتب من حفظه ولا يغلط .

ولم يزل المترجم (أى صاحب السيرة) يملى ويفيد ، ويبدى ويعيد ، مقبلا على شأنه ، ملحوظا بين أقرانه ، حتى وافاه الحمام فى سابع عشرين جمادى الآخرة من السنة مطعونا (١) . وصلى عليه

(١) أى انه مات بالطاعون .

بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين .

* * *

ومات فيها أيضا الأجل المكرم أحمد بن عياد المغربى الجربى .

كان من أعيان أهل تونس ، وتولى بها الدواوين ، وأثرى ، فوقع بينه وبين اسماعيل كتخدا حمودة — باشة تونس — أمور أوجبت جلاءه عنها . فنزل فى مركب بأهله وأولاده وماله ، وحضر الى اسكندرية . فلما علم به القبطان أراد القبض عليه ، وأخذ أمواله ، فشفع فيه نعمان أفندى قاضى الثغر — وكان له محبة مع القبطان — فأفرج عنه ، فأهدى ابن عياد لنعمان أفندى ألف دينار فى نظير شفاعته كما أخبرنى بذلك نعمان أفندى المذكور .

ثم حضر الى مصر ، وسكن بولاق بشاطىء النيل بجوار دارنا التى كانت لنا هناك ، ومعه ابنه صغيرا ، ونحو اثنتى عشرة سرية من السرارى الحسان ، طوال الأجسام ، وهن لابسات ملابس الجزائر بهيئة بديعة تفتن الناسك . وكذلك عدة من الغلمان المماليك ... كأنما أفرغ الجميع فى قالب الحسان .. وهم الجميع بذلك الزى !

وصحبته أيضا صناديق كثيرة ، وتحائف وأمتعة ... فأقام بذلك المكان متجمعا عن الناس ، لايخرج من البيت قط ، ولا يخالط أحدا من أهل البلدة ، ولا يعاشر الا بعض أفراد من أبناء جنسه يأتونه فى النادر . فأقام نحو ثمانى سنوات . ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده .

وخرج بعده من تونس اسماعيل كتخدا أيضا فارا من حمودة باشا ابن على باشا ، وحضر الى مصر ، وحج ، ورجع الى اسلامبول واتصل بحسن باشا ولازمه فاستوزره وجعله كتخداه .

فلما حضر حسن باشا الى مصر أرسل اليه ابن عياد تقدمة وهدية فقبلها .

وحضر أيضا فى أثره اسماعيل كتخداه المذكور ، فأغراه به لما فى نفسه منه من سابق العداوة . والظلم كمين فى النفس : القوة تظهره ، والضعف يخفيه .

فأرسل حسن باشا يطلب ابن عياد للحضور اليه بأمان فاعتذر وامتنع ، فسكت عنه أياما ثم أرسل يستقرض منه مالا فأبى أن يدفع شيئا ، ورد الرسل أقبح رد ، فرجعوا وأخبروا اسماعيل كتخدا — وكان بخان الشرايبى بسبب المطلوب من التجار — فحنق لذلك وتحرك كامن مافى قلبه من العداوة السابقة ، وركب فى الحال وذهب الى بولاق ودخل الى بيته وناداه ، فأجابه بأحسن الجواب ، وأبى أن ينزل اليه ، وامتنع فى حريمه ، وقال له : « أما كفاك أنى تركت لك تونس حتى أتيتنى الى هنا ؟ » ... وضرب عليه بنادق الرصاص ، فقتل من أتباعه شخصين ، فهجم عليه اسماعيل كتخدا ، وطلعوا اليه وتكاثروا عليه وقتلوه ، وقطع رأسه ، وأراد قتل ولده أيضا فوقعت عليه أمه فتركوه .

وأخرجوا جثته خارج الزقاق ، فألقوها فى طريق المارة . وأخرجوا نساءه وخدمه واحتاطوا بالبيت وختموا عليه .

ورجع اسماعيل كتخدا الى خان الشرايبى وهو ملطخ بالدم ، وبه الحاج سليمان الساسى ... فلطمه على وجهه وقال : « بلغ منكم — ياجربيون — تفعلون هذه الفعال ، وتحاربون رجال الدولة ؟ » ... وقبض عليه وصادره ..

وما الدهر ، فى حال السكون ، بساكن
ولكنه مستجمع لوثوب

سنه ١٢٠١ هجريه

المحرم

الاثنين ٧ منه (٣٠ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل بيك فى تطريدة الى مصر ، فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل . وحضر عند حسن باشا وقابله ، وهو أول اجتماعه به . فجلس معه مقدار درجتين لا غير ، واستأذنه فى القيام ، فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت مملوكه على بيك جركس ، وهو بيت أيوب بيك الصغير الذى فى الحبانية .

وكان السبب فى حضوره على هذه الصورة أنه فى يوم الخميس ٣ المحرم (٢٦ اكتوبر ١٧٨٦ م) التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية ، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم ، وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية ، وهجمت القبالى ، وألقوا بأنفسهم فى نار الحرب ، وطلب كل غريم غريمه . ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدى باشا ما تحدث به الفريقان فى شجاعته .

وأصيب اسماعيل بيك برشة رصاص دخلت فى فمه وطلعت من خده ، فولى منهزما ، وألقى نفسه فى البحر ، وركب فى قنجة ، وحضر الى مصر على الفور ، ولم يدر ماذا جرى بعده .

فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل، واختلفت الروايات ، وكثرت الأكاذيب ، وأربح العثمانيون ، وأرسل حسن باشا الرسل لاحضار العساكر التى بالاسكندرية وكذلك أرسل الى بلاد الروم .

السبت ١٢ منه (٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن بيك الجداوى ، وجماعة من الوجاقات والعساكر ، فذهب حسن بيك الى حسن باشا ، وقابله — وقد أصيب بسيف على يده — فخلع عليه فروة ، ثم ذهب الى بيته القديم .. وهو بيت الداوودية .

وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق ، وأصيب قاسم بيك بضربة جرحت أنفه

وكذلك حضر عابدى باشا ، وطلع الى قصر العينى وأقام به .

وفيه : حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدى باشا مكانه ، وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضا عن عابدى باشا . فشرع عابدى باشا فى نقل عزاله الى بولاق ، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أمورا باطنية .

الاثنين ١٤ منه (٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

عمل حسن باشا ديوانا فى بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ ، وألبس اسماعيل بيك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها ، وألبس حسن بيك خلعة وقلده أمير الحج . ثم قال يخاطب الجمع : « هذا اسماعيل بيك حضر اليكم وصار كبيركم ، فشدوا عزمكم وتأهبوا لقتال أخصامكم وكل انسان يقاتل عن نفسه » .. فسكتوا جميعا ولم يجيبوه فقال أحمد جربجى أرنؤود : « كيف يخرجون من غير مصروف ؟ وكل انسان يلزمه أتباع وخدم ودواب » . فقال : « الذى يأكله الانسان فى يوم يقسمه على يومين » . فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم .

هذا واسماعيل بيك متململ من جرحه ،

والسيد عثمان الحمامى يعالجه ، وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ ، فان الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص فى الجسـد فغاص نفس الزرد ، فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة بغاية المشقة والألم ، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى برىء فى أيام قليلة .

وفيه : حضر الى اسماعيل بيك رجل بدوى وأخبر أن الجماعة القبليين زحفـوا الى بحـرى ووصلت أوائلهم الى بنى سويف ، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بيك الداوودية ، ومصـطفى بيك السلحدار ، وعلى أغا — خازندار مراد بيك سابقا — ونحـو خمسة عشر أميرا من الكشاف ، وأن نفوسهم قويت على الحرب .

الثلاثاء ١٥ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسـماعيل أغا كمشيش — وكان ممن تخلف فى الأسر عنـد القبليين — فأفرجوا عنـه وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة .. واسـتعدادهم للحرب ان لم يجابوا فى ذلك .

الاربعاء ١٦ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل محمد باشا من القلعة ، وذهب الى بولاق .

الخميس ١٧ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على النفر والألضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه . ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالا — ولم تكن معه ورقة — يستحق العقوبة .. وكذلك حضور الغائبين بالأرياف .

وفيه : أخذ أحمـد باشـا القبطان — المعروف بحماجى أوغلى — المراكب الرومية التى بقيت فى النيل وجملة نقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريبا من التبين ، وشرعوا فى عمل متاريس وحفر حنادق هناك ، ونقلوا جملة مدافع أيضا .

وكان أشيع طلوع عابدى باشا الى القلعة فى ذلك اليوم فلم يطلع ، وحضر عند حسن باشـا وتكلم معـه كلاما كثيرا وقال : « كيف أطلـع وأتسلطن فى هذا الوقت والأعداء زاحفون عـلى البلاد ، وأولاد أخى قتلوا فى حربهم ؟ ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت » .

ثم قام من عنده ورجع الى قصر العينى .

وفيه : سافر عمر كاشف الشعراوى لملاقاة الحجاج الى القلزم ، وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة ، وأخبروا بالأمن والراحة .

الجمعة ١٨ منه (١٠ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج رضـوان بيك بلفيا ، وسـليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان .. وبرزوا خيامهم ناحية البساتين .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا ، وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بيك الجداوى وقلدهم صناجق وهم : شاهين وعلى وعثمان .

وفيه : حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب — كاشف الفيوم ، المعروف بأبى سعده .

السبت ١٩ منه (١١ نوفمبر ١٧٨٦ م) .

خرج غالب الأمراء الى ناحية البساتين ، وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين فى ناحية بنى سويف .

وفيه : أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر. فأعطى اسماعيل بيك عشرين ألف دينار ، وحسن بيك خمسة عشر ألفا ، ولكل صنجق عشرة آلاف ، ولكل طائفة وجاق أربعة آلاف .. فاستقل الينكجرية حصتهم ، وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزيادة فى نفقتهم .

وفيه : طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم ، فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسمرونها وكذلك البيوت ، وطلبوا أيضا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها . وعزت الخيول جدا وغلت أثمانها .

الاثنين ٢١ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على اسماعيل أغا كمشيش وأمر بقتله ، وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفية ، فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه .

وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرا خطابا لبعض أنفار ، فظهروا على ذلك .. فوقع له ما وقع .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا عظيما جمع فيه الأمراء والأعيان وقرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ، ويذكرون لعابدى باشا ما نهب له فى المعركة ، وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه . فقال عابدى باشا لحسن بيك الجداوى : «ما تقول فى هذا الكلام ؟» قال : « أقول لا نأخذه الا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف » . فقال : « وهذا جوابى » .

ثم ان حسن بيك قال لحسن باشا : « يامولانا ، الرأى أن لا يصحبنا أحد من المحمدية مطلقا ، فانهم أعداؤنا فيلحقنا منهم الضرر » . فأجابه الى ذلك وأمر بجمع خيولهم .

ثم ان حسن باشا قال يخاطب الأمراء خطابا عاما: « اسمعوا ! ربما تحدثكم نفوسكم وتقولون هؤلاء عثمانية لا نملكهم بلادنا ، أو أنهم مقصرون معنا فى النفقة ، والمصرلية غرضهم مع بعضهم .. فتذهبوا معنا ثم يقع منكم الخيانة والمخامرة » . ثم حلف أنه ان وقع منهم شيء من ذلك ليكون سببا فى خراب مصر سبع سنوات ولا يبقى بها أحد .

وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابا عن رسالتهم ، ملخصها : ان كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فانهم يجابون الى ذلك . ويحضر ابراهيم بيك ومراد بيك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانا شافيا من مولانا السلطان ويوجه لهم مناصب أينما يريدون فى غير الاقليم المصرى يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من مماليكهم وأتباعهم . وأما بقية الأمراء فان شاءوا حضروا الى مصر وأقاموا بها ، وكانوا من جملة عسكر السلطان ، وان شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها ، وان أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على عمر كاشف الذى سكنه بالشيخ الظلام ، وعلى محمد أغا البارودى ، وأمر بحبسهما عند اسماعيل بيك . وسبب ذلك المكاتبات التى تقدم ذكرها مع اسماعيل أغا كمشيش .

الأربعاء ٢٣ منه (١٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

سافر محمد افندى مكتوبجى حسن باشا بالمكاتبة الى القبليين .

وفيه : قتل رجل من عسكر القليونجية رجلا بربريا ، فاجتمعت طائفة البرابرة وأخذوا قتيلهم ، وذهبوا به الى حسن باشا ، فأحضر القليونجى القاتل ... وقتله .

الخميس ٢٤ منه (١٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الأغا والجاويشية ونادوا على جميع الالضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا فى المراكب صحبة الوجاقلية ، وكل من بات فى بيته استحق

العقوبة . وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عمن بها منهم ويأمرهم بالخروج . فأغلق الناس حوانيتهم ، وبطل سوق خان الخليلى فى ذلك اليوم ، وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ، ومنهم من طلع الى الأبـواب حسب الأمر . وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة ، بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سماط بلكهم ، ويعلقون على دوابهم ... وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لاغير ، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده ، فان اللحم الضانى بالمدينـة بثلاثة عشر نصف فضة ان وجد ، والجاموسى بثمانيـة أنصاف . وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط ، وكذلك السمن والزيت .

وفيه : نقل محمد أغا البارودى وعمر كاشف من بيت اسماعيل بيك ، وحبسا بباب مستحفظان بالقلعة .

وفيه : أرسـل القبالى أحد أولاد أخى عابدى باشا ، وكان مأسورا عندهم ، وأرسلوا صـحبته منهوبات عابدى باشا ، وجملة من العساكر المجروحين وأنعموا على كل عسكرى بدينار .

الأحد ٢٧ منه (١٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر محمد افندى المكتوبجى من عند الجماعة — وصحبته على أغا مستحفظان — بجواب الرسالة السـابق ذكرها ، فأخبر أنهم ممتثلون لجميـع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر ، فان فراق الوطن صعب .

ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شيء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد — أعنى اسماعيل بيك وحسن بيك — وذلك هو السبب الحاض لهـم على القدوم والمحاربة .

فان لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم أخصامهم ومن العساكر العثمانية ... « فتـكون الغلبة لنا ، أو علينا . فان كانت علينا ، وظفروا بنا ، استحقوا الامارة دوننا . وان كانت لنا ، وظفرنا بهم ، فالأمر لكم بعد ذلك : ان شئتم قبلتم توبتنا ، ورددتم لنا مناصبنا ، وشرطتم علينـا شروطكم ، فقمنا بها قياما لا تتحول عنه أبدا ما بقينا . وان شئتم ، فوجهتمونا الى أى جهة ، امتثلنا ذلك »

فلما ذكرا ذلك لحسن باشا ، قـال لعلى أغا : « أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم . وانما السلطان أمرنى بما أمرت به فان كانـوا مطيعين ، فليمتثلوا الأمـر . والا فسيلقون وبال عصيانهم » .

وكتب لعلى أغا جوابا بذلك ، وخلع عليه فروة سمور ، وسافر من وقته ورجـع الى أصحابه ، وصحبته شخص من طرف الباشا .

ولما ذهب اليهم محمد افندى المكتوبجى أنعموا عليه وأكرموه ، وأعطاه مراد بيك خاصة ألف ريال ، فجعل يثنى عليهم ، ويمدح مكارم أخلاقهم !

صـفر

الخميس اوله (٢٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضرت خزينة حسن باشا من ثغر الاسـكندرية فدفع باقى النفقة للعسكر والأمراء .

وفيه : وصل الخبر ، أن الأمراء القبالى زحفوا الى بحرى ، ووصلت أوائلهم الى بر الجيزة وآخرهم بالرقق ، وفرضوا الكلف على بلاد الجيزة .

وفيه خرجت خيام اسماعيل بيك وحسن بيك الى ناحية طرا ، وحجـزوا المعـادى والمراكب ، وانحازت كلها الى البر الشرقى .

وفيه : طلب اسماعيل بيك دراهم سلفة من التجار ، فاعتذروا بقلة الموجود بأيديهم ، وأغنياؤهم جلوا الى الحجاز ولم يدفعوا له شيئا . وادعى على تجار

البن ، بمبلغ دراهم باقى حساب من مدته السابقة ، فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار .

الجمعة ٢ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون الى اسماعيل بيك ويقابلونه : سواء كان جنديا ، أو أميرا ، أو مملوكا ... ومن تأخر استحق العقوبة . وقبض على أنفار منهم ، وسجنوا بالقلعة، وختم على دورهم ... من جملتهم جعفر كاشف ، الساكن عند بيت القاضى من ناحية بين القصرين .

وفيه : حضر الأغا الذى كان بصحبة على أغا المتوجه بالرسالة ، وحضر بجوابات من القبالى ملخصها : اننا طلبنا العفو مرارا فلم تعفوا ، ولم تقبلوا توبتنا . وحيث كان كذلك ، فالله أولى وبه الاعانة .

السبت ٣ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج حسن باشا ، واسماعيل بيك ، وحسن بيك، وبقية الأمراء ، وبرزوا الى نواحى البساتين

وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الأحد — وقعت حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسماعيل كاشف ، بيته فى عطفة بخط الخيمية ، قتله مماليكه .

وسبب ذلك — على ما سمعنا — تقصيره فى حقهم ، وفى تصرفه عدة حصص جارية فى التزامه . فكتب تقاسيطها بتمامها باسم زوجته ، ولم يكتب لهم شيئا من ذلك .

وكان جبارا ظالما ، معدودا فى جملة كشاف مراد بيك . فلما حصلت المناداة على المحمدية ، ذهب الى اسماعيل بيك وقابله ، فطرده وأمره بلزوم بيته والا يخرج منه ... فذهب الى بيته وأرسل الى اسماعيل بيك حصانين بعددهما : أحدهما مركوبه ، والثانى لأحد مماليكه . وأرسل معهما درعين على سبيل التقدمة والهدية ، ليستميل خاطره .

وكان مملوكه صاحب الحصان غائبا فى شغل ، فلما حضر فلم يجد الجواد ، سأل عنه فأخبره خشداشه بصورة الحال ، فدخل الى سيده وسأله فنهره وشتمه فخرج مقهورا ، وجلس يتحدث مع رفيقه ، فقالوا لبعضهم : « هذا الرجل سيدنا ... لا نرى منه الا الأذى ، ولا نرى منه احسانا ، ولا حلاوة لسان . وكذلك الحصص كتبها لزوجته ، ولم يفعل معنا خيرا عاجلا ولا آجلا » .

وحملهم الغيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء وقتلوه ، فصرخت زوجته من أعلى ، ونزلت اليهم فقتلوها أيضا ، هى وجاريتها ، فسمعت الجيران وكثر العائط .

وحضر الوالى فوقف المملوكان وضربا عليه بنادق الرصاص ، ونقبوا بيوت الجيران ، ونطوا منها ...

فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلهما على رأس العطفة ، وأصبح الخبر شائعا بين الناس بذلك .

الأحد ٤ منه (٢٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر نجاب الحج ، وأخبر أن العرب وقفت للحجاج فى طريق المدينة ، وحاربوهم سبعة أيام ، وانجرح أمير الحج وقتل غالب أتباعه ، وخازنداره، ومن الحجاج نحو الثلث ، ونهبوا غالب حمولهم بسبب عوائدهم القديمة .

الاثنين ٥ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

شق الأغا وأمامه المنادى يقول :

ان ابراهيم بيك ومراد بيك مطرودا السلطان ، ومن كان مختفيا أو غائبا ، وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر ، وعليه الأمان ، ولا بأس عليه ، ومن خالف فلا يلومن الا نفسه .

وفيه : انتقل عساكر القليونجية ، وعدوا الى البر الغربى ، ونصبوا هناك متاريس . وأما الأمراء

القبليون ، فانهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها بأجمعها الى البر ، وتركوا المراكب تذهب الى حال سبيلها ، وانحازوا جميعا عند الأهرام .

الأحد ١١ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة ، وهم فى أسوأ حال من العرى والجوع ، ونهبت جميع أحمال أمير الحج وأحمال التجار ، وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم ، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال . وكان أمرا شنيعا جدا .

ثم ان الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحج الشامي ، فتكلم مع العرب فى أمر النساء ، فأحضروهن عرايا ليس عليهن الا القمصان ، وأجلسوهن جميعا فى مكان .

وحرجت الناس أفواجا ، فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها ، اشتراها ممن هى فى أسره ، وصارت المرأة من نساء العرب تمنوق الأربعة من الجمال والحسنة بأحمالها ، فلا تجد مانعا وسبب ذلك كله ، رعونة أمير الحج فانه لما اراد أن يتوجه بالحجاج الى المدينة ، أرسل الى العرب ، فحضر اليه جماعة من أكابرهم ، فدفع لهم عوائد سنتين ، وقسط البواقى على السنين المستقلة بموجب الفرمان ، وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن ، فبدا له أن كواهم بالنار فى وجوههم ، فبلغ ذلك أصحابهم ، فقعدوا للحجاج فى الطريق فبلغ أمير الحج ذلك ، فذهب من طريق أخرى ، فوجدهم رابطين فيها أيضا ، فقاتلوه قتالا هينا ، ففر هاربا ، وترك الحجاج والعرب ، فنهبوا حملته ، وقتلوا مماليكه ، ولم يبق معه الا القليل فهرب بمن بقى معه ، واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد . وفعلت العرب فى الحجاج مافعلوه ، وأخذوا ما أخذوه ، فلم ينج منهم الا من طال عمره ، وسلم نفسه أو افتداها ، الى غير ذلك . وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه .

الاثنين ١٢ منه (٤ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

دخل أمير الحج المذكور وخلفه محمل زوروه من المحامل القديمة ، وأشاعوا رجوعه بالكذب .. !

وفيه : هجم القبليون على المتاريس ، وأرادوا أن يملكوها فى غفلة آخر الليل ، لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا الى مصر ، واشتغلوا بالحجاج

وكان حسن باشا ، أمس ذلك اليوم ، لما بلغه حضور الحجاج ، ركب من فوره ، وذهب الى العادلية ، فقابل أمير الحج ورجع من ليلته الى الوطاق فلما هجموا على المتاريس ، كان المترسون مستيقظين ، فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر ، من الفجر الى شروق الشمس ، فرجعوا الى مكانهم من غير طائل ثم هجموا أيضا يوم الثلاثاء بعد الظهر ، فضربوا عليهم ورجعوا .

الأربعاء ١٤ منه (٦ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركب الأمراء القبليون ، وحملوا أحمالهم ، وصعدوا الى دهشور ، وجلسوا هناك ، وحضر منهم جماعة من الأجناد بأمان ، وانضموا الى البحريين .

٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد كتخدا على ، ومعه بعض كشاف ، ومماليك

وفيه : حصل العفو عن الألضاشات وغيرهم من المتعمشين

وسبب ذلك أنه لما زاد الالحاح فى طلبهم ، وصار الأغا يكثر من تكرار المناداة والتفتيش عليهم فى الخانات والمساكن ، وكل من صادفه بالغ فى أذاه ... ضاق ذرعهم من ذلك . وشكا بعضهم للاختيارية ،

فتكلموا مع حسن باشا — وكان المخاطب له أحمد جربجى أرنؤود اختيار تفكجيان — فقال له :

« ياسلطانم ! الجماعة الألضاشات مكروبون من هذا الحال . وغالبهم فقراء . ومنهم من لايملك قوته . وما أعطيتموهم نفقة » .

فقال : « ليست هذه الحادثة أحدثناها ... بل ذلك أمر قديم . لأنهم ينتسبون الى الوجاقات »

فقال له : « نعم . ولكن العادة القديمة كان كل وجاق له دفتر وفيه عدة معدودة منهم ولهم جدكات وعوائد وكساوى ... وهذا الأمر بطل من مدة سنين » .

فلما فهم حقيقة الحال أعفاهم وأمر الأغا فنادى عليهم بالعفو ، وكل من كان له عادة قديمة يتبعها ويكتب اسمه فى الدفتر ، ويأخذ جدك .. فاطمأنوا لذلك ...

ثم ترك هذا الأمر ، وقعدوا فى حوانيتهم ، وسكنت نفوسهم ...

اواخره (ديسمبر ١٧٨٦ م) :

أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول ، فذهب اليه أرباب الخدم والعكاكيز ، واختيارية الوجاقات ، والأفندية ، وذهبوا اليه ببولاق ، وتحاسبوا معه ، ودققوا عليه فى الحساب ، فطلع عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيسا ، فطلب أن يخصم منها باقى عوائده التى بذمم الأمراء وغيرهم . فعرفوا حسن باشا عن ذلك ، فلم يقبل وقال :

« ان كان له شىء عند أحد يأخذه منه ، ولا بد من احضار الدراهم التى طلعت عليه ، فانى محتاج الى ذلك فى المصاريف اللازمة للعسكر » فشددوا عليه فى الطلب ، فضاق خناقه ، واعتذر وبكى ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك ، واستوحشا من بعضهما ، فسعى فيض الله أفندى الرئيس بينهما فى ازالة ذلك .

ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا ، واجتمع معه فى قصر الآثار .

وفيه : حضرت مكاتبة من القبالى يطلبون الأمان ، وأن يعينوا لهم أماكن فى الجهة القبلية يقيمون بها ويعيشون هناك ، فأجيبوا الى ذلك ، ويختاروا مكانا يريدونه ، بشرط أن يكونوا جماعة قليلة ، ويحضر باقى الأمراء والعسكر الى مصر بالأمان ، فلم يرضوا بالافتراق ، ولم يجابوا الا بمثل الجواب الأول ، واستقروا ناحية بنى سويف ، ورجعت عنهم عرب الهنادى وفارقوهم .

ربيع الأول

الجمعة أوله (٢٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

فيه : حضر ططرى من الدولة ، وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ، ولا يخرج مع العساكر بل يستمر محافظا فى المدينة ، فتحقق الناس اقامته ، وعدم سفره .

وفيه : شرع الأمراء فى التعدية الى الجهة الغربية . فأول من عدى على بيك الدفتردار ، فعدى الى الشمى بأثقاله . وكذلك بقية الأمراء صاروا فى كل يوم يعدى منهم جماعة .

وفيه : شرع حسن باشا فى عمل « شركفلك » ، فشرعوا فى عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان . وهو عبارة عن متربز مصنوع من أخشاب ممتدة على مقصات من خشب ، وهى قطع مفصلات ، يجمعها أغربة من حديد ، وعلى تلك المدادات عدة حراب حديد مسمرة عليها ، محددة الأطراف ، وبين كل مقصين — سفل الأخشاب الممتدة — مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب ، ومساحة ذلك نحو أربعمائة وخمسين دراعا . وهو يوضع

على هيئات مختلفة ، مربعا ومدورا ، والعسكر من داخله متحصنون به ، واذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحراب .

الاثنين ٤ منه (٢٥ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

وركبت طوائف العسكر والوجاقات ، ومروا بنظامهم من تحت قصر الآثار ، وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم ، ثم تتابعوا في التعدية .

الاثنين ١١ منه (اول يناير ١٧٨٧ م) :

سافر عابدى باشا ، بمن بقى معه من العسكر .

الخميس ١٤ منه (٤ يناير ١٧٨٧ م) :

كسف جرم القمر جميعه . وكان ابتداؤه من رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل .

منتصفه (٥ يناير ١٧٨٧ م) :

حضرت عساكر من الأضات ، مثل قبرص وقرمان وغير ذلك . وجاء الخبر عن الأمراء القبالى ، أنهم وصلوا الى أسيوط ، وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع فى نواحى المنيا وغيرها . فمنهم من حضر الى مصر ، ومنهم من اختفى فى البلاد .

وفيه : اشتكت الناس من غلاء الأسعار ، وتكلم الشيخ العروسى مع حسن باشا بسبب ذلك ، وقال له :

« فى زمن العصاة ، كان الأمراء ينهبون ويأخذون الأشياء من غير ثمن . والحمد لله هذا الامر ارتفع من مصر بوجودكم ، وما عرفنا موجب الغلاء أى شيء » .

فقال : « أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم ! » .

وتشاور مع الاختيارية فى شأن ذلك ، فوقع الاتفاق على عمل جمعية فى باب الينكجرية ، واحضار الأغا والمحتسب والمعلمين ، ويعملون تسعيرة ، وينادون بها ، ومن خالف ، أو احتكر شيئا قتل .

السبت ١٦ منه (٦ يناير ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى باب مستحفظان ، وحضر الشيخ العروسى أيضا واتفقوا على تسعيرة ، فى الخبز واللحم والسمن وغير ذلك ، وركب الأغا وبجنبه المحتسب ، ونادوا فى الأسواق ، فجعلوا اللحم الضانى بثمانية أنصاف ، وكان بعشرة ، والجاموسى بستة ، بعد سبعة ، والسمن المسلى بثمانية عشر ، والزبد بأربعة عشر ، والخبز عشرة أواق بنصف فضة ، وهكذا . فعزت الأشياء ، وقل وجود اللحم ، واذا وجد كان فى غاية الرداءة ، مع مافيه من العظم والكبد والفشة والكرشة .

السبت ٢٣ منه (١٣ يناير ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا المنفصل من بولاق الى رشيد .

اواخره (يناير ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأن رضوان بيك قرابة على بيك الكبير المنافق ، وعلى بيك الملط ، وعثمان بيك ، وجماعة علوية ، حضروا الى عرضى التجريدة ، وأخذوا الأمان من اسماعيل بيك وعابدى باشا . وأنهم قادمون الى مصر ، وأن القبالى استقروا بوادى طحطا مكانهم الأول ، الذى قاتلوا فيه .

ربيع الآخر

الخميس ٥ منه (٢٥ يناير ١٧٨٧ م) :

وصل المذكورون الى مصر ، وقابلوا حسن باشا ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وفيه : ألبسوا أوده باشا بوابه ، وكان شاغرا من أيام على بيك الكبير نحوا من ثمان عشرة سنة .

الأحد ٨ منه (٢٨ يناير ١٧٨٧ م) :

ضربوا مدافع كثيرة وقت الضحى ، وكان أشيع

فى أمسه أن التجريدة نصرت ، وقتل من القبالى أناس كثيرة . فلما سمع الناس تلك المدافع ، ظنوا تحقيق ذلك ، وكثرت الأكاذيب والأقاويل ، ثم تبين أن لاشىء ، وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحيةالفشن ، بسبب قلة ماء النيل . ومن عادتهم أنهم اذا وصلوا للمرساة ، ضربوا مدافع فيجابوا بمثلها

منتصفه (٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضر محمد كتخدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصاريف ، فهيئت ، وأرسلت ، وكذلك قبل ذلك مرارا كثيرة ، وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا ، وأن القبالى ارتحلوا منهـا وصعدوا الى فوق ، وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات . ثم انقطعت الأخبار .

جمـــادى الأولى

فيه : زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة .

وفيه : عين حسن باشا ، على محمد باشا برشيد ، وشدد عليه فى طلب الدراهم . وضايقوه حتى باع أمتعته وحوائجه ، وغلق ماعليه ، وتوفيت زوجته ، فحزن عليها حزنا شديدا مع ماهو فيه من الكرب ، ولم يفده من فعائله وهمته التى فعلها بمصر عنـد قدوم حسن باشا شىء ، وجازاه بعد ذلك بأقبـح المجازاة ! فانه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذيبه ، ما تمكن حسن باشا من دخول مصر . فانه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ، ويهول تهويلات كثيرة عليهم ، وعلى المشـايخ ، واختيـارية الوجاقات ويقول :

« اياكم والعنـاد ... واياكم أن توقعوا حربا ، فانكم تخربون بلادكم ، وتكونون سـببا فى هلاك أهلها . فانه بلغنى أنه تعين مع حسن باشا : كذا كذا ألف من الجنس الفلانى ، وكذا كذا ألف من جنس العسكر الفلانى ، وأنهم متأخرون فى الحضور عنـه تحت الاحتياج ، وكذلك فى عسـاكر البر ، الواصلة من الجهة الشامية ، ومعهم ثمانون ألف ثور ، ومائة ألف جاموس ، برسم جر المدافع . وفى المدافع ما يسحبه خمسون ثورا ... » . ونحو ذلك ، حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه .. !

وانحلت عرا الناس عنهم ، وخصوصا بما مناهم به من اقامة العدل ، ومنـع الظلم والجور ، وغير ذلك ، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمراء ، وتمنـوا زوالهم .فى أسرع وقت ، وهيج النـاس وأثارهم قبل وصول حسن باشا ، وملك القلعـة ، ومهد له الأمور ... فجزاه ، بعد تمكنه ، بالخذلان والعزل ، والحساب والتدقيق ، وغير ذلك .

الأربعاء ٣ منه (٢١ فبراير ١٧٨٧ م) :

ورد نجاب ، وصـحبته مكتوب ، من عابدى باشا الى حسن باشـا ، وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين ، فى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ، عنـد الأمير ضرار ، وكانت الهـزيمة على القبـالى . ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين ، وهجموا على « شركفلك » ، فضربوا عليهم من داخـله بالمدافع والبنادق ، وقتل لاجين بيك عند شركفلك ، وقتل الـكثير من عرب الهنـادى ، وقبض على كبيرهم أسيرا . ومات من المصاحبين للعسـكر ذو الفقار الخشـاب وجماعة من الوجاقلية : منهـم عـلى جربجى المشهدى . وكانت الحرب بينهم نحو ست سـاعات ، وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى .

وكان حضور هذا النجاب على الفور من غـير تحقيق فلما ورد ذلك ، سر الباشا سرورا كثيرا ، وأمر بعمل شنك ، فضربوا مدافع كثيرة من قصر

العينى والقلعة ، وضربوا النوبة السلطانية فى برج القلعة ، وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر ، وأرسل المبشرين الى الأعيان ، كالشيخ البكرى ، والشيخ السادات ، وأكابر الوجاقات ، وحضروا جميعا للتهنئة .

وفى عصر ذلك اليوم أحضر آلات اللهو والطرب ، فضربوا نوبة بين يديه ، وعمل فى ليلتها شنكا وحراقة صواريخ ونفوطا ، وابتهج ابتهاجا عظيما ، وسكن ما كان به من الوجل .

السبت ٦ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة ، فأخبروا فيها بتلك الواقعة ، وأن القبالى صعدوا ، بعد الهزيمة ، الى عقبة الهو على جرائد الخيل . فلم يصعدوا خلفهم ، لصعوبة المسلك على الأحمال والأثقال ، وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة ، فيحملوا الأحمال ، ويسيرون بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم ، التى توصل الى خلف العقبة . وأخبروا أيضا ، أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم ، حتى بيع الجمل وعليه النقاقير بخمسة ريالات ونحو ذلك .

ومن الحوادث فى هذه الأيام : وقوع الموت الذريع فى الأبقار ، حتى صارت تتساقط فى الطرقات . ومات لابن بسيونى غازى ، بناحية سندبون خاصة ، مائة وستون ثورا . وقس على ذلك .

الأربعاء ١٠ منه (٢٨ فبراير ١٧٨٧ م) :

طلب الباشا حوضا ليعمله حنفية ، فأخبره الحاضرون ، وعرفوه بالحوض الذى تحت الكبش ، المعروف بالحوض المرصود . فأمر باحضاره ، فأرسلوا اليه الرجال والحمالين ، وأرادوا رفعه من مكانه ، وازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء، لما تسامعوا بذلك ، لينظروا ماشاع وثبت فى أذهانهم من أن تحته كنزا ، وهو مرصود على شىء من العجائب ، أو نحو ذلك ، وان الباشا يريد الكشف عن أمره . فلما حصل ذلك الازدحام ، ووجده الحمالون ثقيلا جدا — وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال — وحركوه عن مكانه يسيرا ، وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة ، أمر بتركه. فتركوه ومضوا ، فذهب العامة فى أكاذيبهم كل مذهب : فمنهم من يقول انهم لما حركوه ، وأرادوا جره ، رجع بنفسه ثانيا ، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات .

الثلاثاء ١٦ منه (٦ مارس ١٧٨٧ م) :

وصل نيف وثلاثون رأسا من قتلى القبليين ، فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة ، على سرير من جريد النخل ، وأبقوهم ثلاثة أيام . ثم دفنوهم ، ووجد فيهم رأس عزوز كتخدا عزبان .

وفى ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم ، وأخذا سلاحهم . ورفعت الشكوى الى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلما على الشجرة التى عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

السبت ٢٠ منه (١٠ مارس ١٧٨٧ م) :

تقلد حسن أغا — كتخدا على بيك الدفتردار ، المعروف بحسن جلبى — الحسبة ، وعزل ابن ميلاد .

الاثنين ٢٢ منه (١٢ مارس ١٧٨٧ م) :

نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل ، معهم أمتعة وثياب مرسلة الى القبالى ، من نسائهم . فركبوا خلفهم ، فلم يدركوهم ، وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل . ووصل خبرهم حسن باشا ، فاغتاظ على الأغا والوالى ، وأمرهما

بالذهاب الى بيوتهم ، ويسمرونها عليهن . ففعلوا ذلك ، وقبضوا على الأغوات الطواشية والسقائين ، وحصلت ضجة فى البلد ، بين الظهر والعصر ، بسبب ذلك . وفرت زوجة ابراهيم بيك الى بيت شيخ السادات .

ثم ان رضوان بيك قرابة على بيك تشفع فى تسمير البيوت ، فقبلت شفاعته ، وأرسل لمعادى الخبيرى والجيزة ، ومنعهم من التعدية ، وحجزوهم الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٤ مارس ١٧٨٧ م) :

وردت نجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدى باشا ، يخبر فيها بأن يحيى بيك ، وحسن كتخدا الجربان ، حضرا اليه بأمان ، وخلع عليهم فراوى ، وصحبتهم عدة من الكشاف والمماليك ، وذلك بعد أن وصلوا الى اسنا ، وان القبالى ذهبوا الى ناحية أبريم فتخلف عنهم المذكورون .

الخميس ٢٦ منه (١٦ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر اسماعيل القبطان ، وكان بصحبته حمامجى اوغلى ، وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا اسوان ، وأن الأمراء القبالى ذهبوا الى أبريم ، وأنهم فى أسوأ حال ، من العرى والجوع ، وغالب مماليكهم لابسون الزعابيط مثل الفلاحين ، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم : فمنهم من حضر الى عابدى باشا بأمان ؛ ومنهم من تشتت فى البلاد ، ومنهم من قتل الفلاحون ، وغير ذلك من المبالغات .

فى اواخره (النصف الثانى من مارس ١٧٨٧ م) :

خلع حسن باشا على رضوان بيك العلوى وقلده كشوفية الغربية ، وقلد على بيك الملط كشوفية المنوفية ، وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة ، ونزلا الى طندتا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوى .

وفى هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران ، فى سائر الاقليم البحرى ، ووصل الى مصر ، حتى انها صارت تتساقط فى الطرقات وغيطان المرعى ، وجافت الأرض منها : فمنها ما يدركونه بالذبح ، ومنها ما يموت . ورخص سعر اللحم البقرى جدا لكثرته ، حتى صار يباع بمصر ، آخر النهار ، كل رطلين بنصف فضة .. مع كونه سمنا غير هزيل . وعافته الناس ، وبعضهم كان يخاف من آكله .

وأما الأرياف فكان يباع فيها بالأحمال ، ويبعث البقرة بما خلفها .. بدينار . وكثر عويل الفلاحين وبكاؤهم على البهائم ، وعرفوا قدر نعمتها ، وغلا سعر السمن واللبن والأجبان ، بسبب ذلك ، لقلتها .

جمادى الآخرة

الأربعاء ١ منه (٢١ مارس ١٧٨٧ م) :

كان يوم النوروز السلطانى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل .

الأحد ٥ منه (٢٥ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر حمامجى أوغلى ، وأخبر أن القبالى ذهبوا الى أبريم ، وأن الباشا والوقاجلية والعسكر رجعوا الى اسنا ، وأرسلوا يستشيرون الباشا فى الذهاب خلفهم ، أو الرجوع أو الاقامة .

الاثنين ٦ منه (٢٦ مارس ١٧٨٧ م) :

سافر حمامجى أوغلى بالجوابات ، الى الجهه القبلية ، وفيها الأمر بحضور عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الى مصر ، وأن حسن بيك ومحمد بيك الميدول ، ويحيى بيك ، يقيمون باسنا محافظين .

الخميس ١٦ منه (٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودي على النساء ، ألا يخرجن الى موسم الخماسين المعروف عند القبطة بالنسيم ، وذلك يوم الاثنين صبيحة عيدهم .

الاثنين ٢٠ منه (٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودي بابطال المعاملة بالذهب الزر قالي الجديد، واستمرت المناداة على النساء فى عدم خروجهن الى الأسواق . وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر ، منها أنهم وجدوا ببيت يوسف بيك سكن حمامجى أوغلى نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالاسطبلات ، ومن النساء من لعبت على العسكر وأخذت ثيابه ، وأمثال ذلك ، فنودي عليهن بسبب ذلك ، فتضرر المحترفات منهن ، مثل البلانات ، والدايات ، وبياعات الغزل والقطن ، والكتان ، ثم حصل الاطلاق وسومحوا فى الخروج .

السبت ٢٥ منه (١٤ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضرت نجابة من قبلى ، وحضر أيضا حمامجى أوغلى ، وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا الى دجرجا .

اواخره (النصف الثانى من ابريل ١٧٨٧ م) :

وصل جماعة من الوجاقلية ، وحضر على كاشف الشعراوى ولبس قفطانا على كشوفية الشرقية .

رجب

الخميس مستهله (١٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

قبض حسن باشا على أحمد قبودان ، المعروف بحمامجى أوغلى ، وحبسه وحبس أيضا تابعه عثمان التوقتلى ، وكان يسعى معه فى الخبائث ، وكذلك رجل يقال له مصطفى خوجه .

الأربعاء ٧ منه (٢٥ أبريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، أنهن اذا خرجن لحاجة ، يخرجن فى كمالهن ، ولا يلبسن الحبرات الصندل ، ولا الأفرنجى ، ولا يربطن على رءوسهن العمائم المعروفة بالقازدغلية ، وذلك من مبتدعات نساء القازدغلية . وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات ، ويجعلنها شبه الكعك ، ويملنها على جباههن ، مقوصات بطريقة معلومة لهن . وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبتها ، ومنهن من تعطى الصانعة لذلك دينارا أو أكثر أو أقل ، وفعل ذلك جميع النساء حتى الجوارى السود !

الاحد ١١ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار ، ورضوان بيك بلفيا ، وحسن بيك رضوان ، ومحمد بيك كشكش ، وعبد الرحمن بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وباقى الوجاقلية .. الى مصر ، وذهبوا الى بيوتهم ، وبات الباشا فى مصر القديمة .

الاثنين ١٢ منه (٣٠ ابريل ١٧٨٧ م) :

ركب عابدى باشا ، وطلع الى القلعة من غير موكب ، وطلع من جهة الصليبة ، وذلك قبل أذان الظهر بنحو خمس درجات . فلما استقر بها ضربوا له مدافع من الأبراج . وبعد انقضاء المدافع ، أرعدت السماء رعودا متتابعة الى العصر ، وأمطرت مطرا غزيرا . وذلك فى الرابع والعشرين من برمودة القبطى والتاسع عشر من نيسان الرومى .

وأما حسن بيك الجداوى ، فانه تخلف بقنا هو وأتباعه ، وكذلك عثمان بيك ، وسليم بيك الاسماعيلى باسنا ، ، وعلى بيك جركس بأرمنت ، وعثمان بيك وشاهين بيك الحسينى ، ويحيى بيك ،

وباكير بيك ، ومحمد بيك المبدول.. كذلك تخلفوا متفرقين فى البنادر لأجل المحافظة . وقاسم بيك أبو سيف فى منصبه بدجرجا .

وأراد الباشا واسماعيل بيك أن يبقوا طائفة من الوجاقلية ، ومعهم طائفة من العسكر . فأبوا وقالوا : « حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا ، وبعد ذلك نأتى » .

وفيه : وصل الخبر بأن القبالى رجعوا الى أسوان ، وشرعوا فى التعدية الى اسنا . فأرسل اسماعيل بيك الى الاختيارية ، فحضروا عنده بعد العصر ، وتكلموا فى شأن ذلك ، بحضرة على بيك أيضا .

الثلاثاء ١٣ منه (أول مايو ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى صبح ذلك اليوم ، وانفصل المجلس كالأول .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأنهم زحفوا الى بحرى ، وأن حسن بيك تأخر عنهم .

شعبان

السبت اوله (١٩ مايو ١٧٨٧ م) :

جاء الخبر أن القبالى وصلوا الى دجرجا ، وأن حسن بيك والأمراء وصلوا فى التأخر الى المنية . وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك ، وشرعوا فى طلوع تجريدة . ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمراء ، واستقر الأمر بينهم فى الرأى ، أن يراسلوهم فى الصلح ، وأنهم يقيمون فى البلاد التى كانت بيد اسماعيل بيك وحسن بيك ، ويرسلوا أيوب بيك الكبير والصغير ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك المرادى ، يسكونوا بمصر رهائن ، وكتبوا بذلك مكاتبات ، وأرسلوها صحبة محمد أفندى المكتوبجى ، وسليمان كاشف قنبور ، والشيخ سليمان الفيومى .

وفيه : تقلد غيطاس بيك امارة الحج .

وفيه : قررت المظالم على البلاد ، وهى المعروفة برفع المظالم . وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر أبطلها ، وكتب برفعها فرمانات الى البلاد . فلما حضر اسماعيل بيك ، حسن له اعادتها ، فأعيدت ، وسموها التحرير ، وكتب بها فرمانات ، وعينت بها المعينون ، وتفرقوا فى الجهات والأقاليم بطلبها مع مايتبعها من الكلف ، وحق الطرق وغيرها . فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيا ، على ماهم فيه من موت البهائم ، وهياف الزرع ، وسلاطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقاثىء ، وغيرها ، وما هم فيه من تكلف المشاق الطارىء عليهم أيضا ، بسبب موت البهائم فى الدراس ، وادارة السواقى بأيديهم وعوافيهم ، أو بالحمير أو الخيل أو الجمال ، لمن عنده مقدرة على شرائها ، وغلت أثمانها بسبب ذلك الى الغاية فتغيرت قلوب الخلق جميعا على حسن باشا ، وخاب ظنهم فيه ، وتمنوا زواله ، وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية فى الناس ، وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم ، فانتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية .

الأربعاء ٥ منه (٢٣ مايو ١٧٨٧ م) :

توفى أحمد كتخدا المجنون ، وقلدوا مكانه فى كتخدائيته مستحفظان رضوان جاويش تابعه ، عوضا عنه .

وفيه : قتل عثمان التوقتلى بالرميلة رفيق حمامجى أوغلى بعد أن عوقب بأنواع العذاب مدة حبسه ، واستصفيت منه جميع الأموال التى كان يملكها واختلسها ، ودل على غيرها حمامجى أوغلى ، واستمر حمامجى أوغلى فى الترسيم .

وفيه : قبض على سراج متوجها الى قبلى ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك ، فأخذت منـه ، ورمى عنقه ظلما بالرميلة .

رمضـــان

الأحد مستهله (١٧ يونية ١٧٨٧ م) :

اختصرت الأمراء من وقدة القناديل فى البيوت عن العادة .

وفيه : عبى اسماعيل بيك هدية جليلة وأرسلها الى حسن باشا ،وهى سبع فروق بن ، وخمسون تفصيلة هندى عال مختلفة الأجناس ، وأربعة آلاف نصفية دنانير نقد مطروقة ، وجملة من بخور العود والعنبر ، وغير ذلك . فأعطى للشياليں ، على سبيل الانعام ، أربعة عشر قرشا رومية ، عنها خمسمائة وستون نصف فضة .

الأحد ٨ منه (٢٤ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر حسن بيك الجداوى الى مصر .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٦ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف ، وذلك أنه لمـا وقع للحجاج من العربان ماوقع فى العـام المـاضى ، ونهبوا الحجاج ، وأخذوا المحمل ، بقى عنـدهم ، الى أن جيش عليهم الشريف سرور ، وحاربهم وقاتلهم قتالا شديدا ، وأفنى منهم خلائق لاتحصى ، واسـتخلص منهم المحمل ، وأرسله الى مصر صحبة ذلك الشريف . وقيل ان الشريف الذى حضر به ، هو الذى افتـداه من العرب بأربعمائة ريال فرانسة . فلما حضر خرج الى ملاقاته الأشاير ، والمحملدارية ، وأرباب الوظـائف ، ودخلوا به أيضا من باب النصر وأمامه الأشـاير والطبـول والزمور ، وذلك الشريف راكب أمامه أيضا .

وفيه : وقعت بعد أذان العصر بساعتين حادثة مهولة مزعجة بخط البندقانيين ، وذلك أن رجلا عطارا ، يسمى احمد ميلاد ، وحانوته تجاه خان البهار ، اشترى جانب بارود انكليزى من الفرنج فى برميلين وبطة ، ووضعها فى داخل الحانوت .. فحضر اليه جمـاعة من أهل الينبع وساوموه على جانب بارود ، وطلبوا منه شيئا ليروه ويجربوه . فأحضر البطة ، وصب منها شيئا فى المنقـد الذى يغد فيه الدراهم ، ووضـعوه على قطعة كاغد ، وأحضروا قطعة بدك ، وطـيروا ذلك البـارود عن الكاغـد فأعجبهم ، ومن خصـــوصية البـارود الانكليزى ، اذا وضع منه شىء على كاغد ، وطير .. فالنار لا تؤثر فى الكاغد ، ثم رموا بالقطعة البدك على مصـطبة الحانوت ، وشرع يزن لهم ، وهم يضعونه فى ظرفهم ، ويتسـاقط فيما بين ذلك من حباته ، وانتشر بعضها الى ناحية اليـدك ، وهم لايشعرون ، فاشتعلت تلك الحبات ، واتصلت بما فى أيديهم ، وبالبطة ، ففرقعت مثل المدفع العظيم ، واتصلت النار بذنك البرميلين كذلك .. فارتفع عقد الحانوت وما جاوره ، بما على تلك العقود من الأبنيـة والبيوت والربع والطبـاق ، فى الهواء ، والتهبت بأجمعهـا نارا ، وسقطت بمن فيهـا من السكان على من كان أسفلها من النـاس الواقفين والمارين ، وصارت كوما يظن من لم يكن رآه قبل ذلك ، أنه له مائة عام .. وذلك كله فى طرفة عين ، بحيث ان الواقف فى ذلك السوق أو المـار ، لـم يمكنه الفرار ، والبعيد أصيب فى بعض أعضائه ، اما من النار واما من الردم .

وكان السوق فى ذلك الوقت مزدحما بالناس ، خصوصا وعصرية رمضان ، وذلك السوق مشتمل على غالب حوائج الناس ، وبه حوانيت العطارين والزياتين والقباتيـة والصيارف وبياعى الـكنافة والقطائف والبطيـخ والعبـدلاوى ، ودكاكين المزينين ، والقهـاوى . وغالب جيران تلك الجهة

وسكان السبع قاعات وشمس الدولة .. يأتون فى تلك الحصة ، ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلى . والحاصل أن كل من كان حاصلا بتلك البقعة فى ذلك الوقت — سواء كان عاليا ، أو متسفلا ، أو مارا ، أو واقفا لحاجة ، أوجالسا — أصيب البتة .

وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف : من رصاص وقصدير ، ونحاس وكحل ، وكبريت ، وعنده موازين شبه الجلل . فلما اشتعل ذلك البارود . صارت تلك الجلل ، وقطع الرصاص ، والكحل ، والمغناطيس .. تتطاير مثل جلل المدافع ، حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها .

وكان خان البهار مقفولا متحربا . وبابه كبير مسمارى ، فصدمه بعض الجلل وكسره ، واشتعل بالنار ، واتصل بالطباق التى تعلو ذلك الخان . ووقعت ضجة عظيمة وكل من كان قريبا وسلم ، أسرع بطلب الفرار والنجاة ، وما يدرى أى شىء القضية !

فلما وقعت تلك الضجة ، وصرخت النساء من كل جهة ، وانزعجت الناس انزعاجا شديدا ، وارتجت الأرض ، واتصلت الرجة الى نواحى الأزهر والمشهد الحسينى ، وظنوها زلزلة — شرع تجار خان الحمزاوى فى نقل بضائعهم من الحواصل ، فان النار تطايرت اليه من ظاهره

وحضر الأغا والوالى : فتسلم الأغا جهة الحمزاوى ، وتسلم الوالى جهة شمس الدولة ، وتبعوا النار حتى أخمدوها . وختموا على دكاكين الناس التى بذلك الخط ، وأرسلوا فختموا بيت أحمد ميلاد الذى خرجت النار من حانوته ، بعد أن أخرجوا منه النساء ، ثم أفرجوا عنهم بأمر اسماعيل بيك

وأحضروا فى صبحها نحو المائتى فاعل ، وشرعوا فى نبش الأتربة وإخراج القتلى ، وأخذ مايجدونه من الأسباب والأمتعة ، وما فى داخل الحوانيت من البضائع والنقود ، وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النساء ، وغير ذلك شىء كثير .. حتى الحوانيت التى لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها ، وأصحابها ينظرون ، ومن طلب شيئا من متاعه يقال له : هو عندنا حتى تثبته .. هذا اذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى اليه ...

وقيامة قائمة ! ومن يقرأ ومن يسمع !؟

ووقفت أتباعهم بالنبابيت من كل جهة يطردون الناس ، ولا يمكنون أحدا من أخذ شىء .

وأما القتلى ، فان من كان فى السوق ، أو قريبا من تلك الحانوت والنار ، فانه احترق . ومن كان فى العلو من الطباق ، انهرس . ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقيه .

واذا ظهر وكان عليه شىء أو معه شىء .. أخذوه ، وان كانت امرأة ، جردوها ، وأخذوا حليها ومصاغها . ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم الا بدراهم يأخذونها ؛ وكأنما فتح لهم باب الغنيمة ! ! على حد قول الشاعر : « مصائب قوم عند قوم فوائد ! » .

ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته ، وجدوه تمزق واحترق وصار قطعا مثل الفحم ، فجمعوا منه ست قطع ، وأخذوا شيئا كثيرا من حانوته ، ودراهم وودائع كانت أسفل الحانوت ، لم تصبها النار ، وكتم عليها الردم والتراب .

وكذلك حانوت رجل زيات انهدم على صاحبه . فكشفوا عنه ، وأخرجوه ميتا ، وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم ! وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوى انهدمت داره أيضا ، وأخذوا ما فيها ، ومن جملتها صندوق ضمنه دراهم لها صورة ، ونحو ذلك .

واستمر الحال على ذلك أربعة أيام ، وهم فى حفر ونبش ، واخراج قتلى وجنائز ، وبلغت القتلى التى أخرجت نيفا عن مائة نفس .. وذلك خلاف من بقى تحت الردم : منهم امام الزاوية المجاورة لذلك ، فانها انحسفت أيضا على الامام ، وبقى تحت الردم .

ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد ، وفقدوا دماغه فجمعوا أعضاءه ووضعوها فى كيس قماش ودفنوه ، وسدوا على تلك الخطة من الجهتين ، وتركوها كما هى مدة أيام ، ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة المؤرخة .. وما راء كمن سمعا !

الخميس ١٢ منه (٢٨ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر الرسل من عند القبليين ، وحضر أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية ، وعثمان بيك الطنبرجى عن مراد بيك ، وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك . فذهبوا الى حسن باشا وقابلوه ، وكذلك قابلوا عابدى باشا ، ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا وتكلموا فى شأن هؤلاء الجماعة وقالوا :

« هؤلاء ليسوا المطلوبين ، ولم يأت الا أيوب بيك الكبير من المطلوبين ، ولم يأت عثمان بيك الأشقر ، وأيوب بيك الصغير » .

فاتفق الرأى على اعادة الجواب . فكتبواجوابات أخرى وأرسلوها صحبة سلحدار حسن باشا .

وفى هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين ، وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة ، وتوفى أحمد باشا واليها .

وفيه : عبى على بيك الدفتردار كساوى للأمراء ، فأرسل الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، وباقى الصناجق والأمراء ، حتى لحريمهم وأتباعهم . وأرسل أيضا لطائفة الفقهاء

وفيه : فتح السفر من جهة الموسقو ، وتقلد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا .

وفى منتصفه : وقعت حادثة بثغر بولاق بين طائفة القليونجية والفلاحين باعة البطيخ .. وذلك ان شخصا قليونجيا ساوم على بطيخة ، وأعطاه دون ثمنها ، فامتنع وتشاجر معه ، فوكزه العسكرى بسكين ، فزعق الفلاح على شيعته ، وزعق الآخر على رفقائه .. فاجتمع الفريقان ، ووقع بينهم مقتلة كبيرة ، قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين انسانا ، ومن القليونجية نحو أربعة .

الأحد ٢٢ منه (٨ يولية ١٧٨٧ م) :

قررت تفريدة على بلاد الأرياف ، أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة ، والأوسط سبعة عشر ألفا ، والأدنى تسعة آلاف . وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف ، وحق الطرق .

وفيه : رفعوا خفارة البحرين عن ابن حبيب ، وكذلك الموارد ، والتزم بها رضوان بيك ، على خمسين كيسا يقوم بها فى كل سنة لطرف الميرى . وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين ابن حبيب ، فانه لما تولى المنوفية ومر على دجوة ، أرسل له ابن حبيب تقدمة فاستقلها . ثم أرسل اليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالا ، وأشياء ، فامتنع ابن حبيب ، فأرسل يطلبه ليقابله ، فلم يذهب اليه واعتذر . ولما رجع نزل اليه ابنه على بالضيافة ، فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته ، وأضمر له فى نفسه ، وتكلم معه حسن باشا فى رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور — وطريقة العثمانية الميل الى الدنيا بأى وجه كان ! — فأخرج فرمانا بذلك .

٢ منه (١٨ يولية ١٧٨٧ م) :

برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم : سليم بيك الاسماعيلى للغربية ، وشاهين بيك الحسينى لاقليم المنصورة ، وعلى بيك الحسينى لاقليم المنوفية ، ومحمد بيك كشكش للشرقية ، وعثمان بيك الحسينى للبحيرة ، وعثمان كاشف الاسماعيلى للفيوم ، ويوسف كاشف الاسماعيلى للبهنسا ، وأحمد كاشف للجيزة .

٨ منه (٢٤ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر سلحدار الباشا ، وسليمان كاشف قنبور ، المسافران بالجوابات الى الأمراء القبليين . وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ماعينوا لهم وقالوا : « ان هذه البلاد لا تكفينا » .

فأمر لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى ، فقال اسماعيل بيك : « اطلبوا منهم حلوانها » .

فقال اسماعيل كاشف قنبور : « اجعلوا ما أخذ من بيوتهم فى نظير الحلوان » .

فقال : « كذلك » .

١٠ منه (٢٦ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور ، يخبر فيها بعصيان عرب حرب وغيرهم ، وقعودهم على الطريق ، ومنعهم السبيل ، ويحتاج أن أمير الحج يكون فى قوة واستعداد ، وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف ، وخرج اليهم فى نحو خمسة عشر ألفا .

منتصفه (٣١ يولية ١٧٨٧ م) :

كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العينى المعروفة بتكية البكتاشية ، وكانت موقوفة على طائفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية ، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب ، وصارت فى غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بيك ، وغلام يدعى أنه من ذرية مشايخها المقبورين ، فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه الى الأمراء ، وسافر الى اسكندرية فصادف مجيء حسن باشا ، واجتمع به ، وهو بهيئة الدراويش — وهم يميلون لذلك النوع — وصار من أخصائه لكونه من أهل عقيدته ، وحضر صحبته الى مصر ، وصار له ذكر وشهرة ، ويقال له الدرويش صالح . فشرع فى تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التى توسط لأربابها مع حسن باشا . فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها ، المحيطة بها ، وأنشأ بها صهريجا فى فسحة القبة ، ورتب لها تراتيب ومطبخا ، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا .

فلما تم ذلك عمل وليمة ، ودعا جميع الأمراء ، فحصل عندهم وسوسة واعتذروا وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين ، فمد لهم سماطا وجلسوا عليه ، وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسموما ، وقاموا وتفرقوا فى خارج القصر والمراكب ، وعمل شنك وحراقة نفوط وبارود ، ثم ركبوا فى حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم .

١٩ منه (٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

وصل باشة جده الى بولاق ، وركب حسن باشا والأمراء ، وذهبوا للسلام عليه .

وفيه حضرت بشارة من شريف مكة بنصرته على العرب ، وهزيمتهم ، وأنه قتل منهم نحو الثلاثة آلاف ، فاطمأن الناس .

وفيه : مرض عابدى باشا .

٢٤ منه (٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

خرج المحمل وأمير الحج غيطاس بيك ، فى موكب محتقر ، بدون الينكجرية والعزب ، مثل العام الماضى . فخرجوا الى الحصوة ، وأقاموا هناك ، ولم يذهبوا الى البركة .

الثلاثاء غايته (١٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر ، وارتحلوا فى ضحوة يوم الأربعاء غرة شهر ذى القعدة .

ذو القعدة

الجمعة ٣ منه (١٧ اغسطس ١٧٨٧ م) : الموافق ١٣ مسرى القبطى :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك ، وعمل الشنك ، وركب حسن باشا فى صبحها ، وكسروا السد بحضرته . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يحضر عابدى باشا لمرضه .

الاثنين ٦ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٧ م) :

نودى على المماليك ألا يخرجوا من بيوت أسيادهم ، ولا يركبوا على انفرادهم ويمشوا فى المدينة .

وكان من السنن السابقة فى آداب المماليك ألا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدا ، فترك ذلك فى جملة المتروكات ، وتزوج المماليك ، وصار لهم بيوت وخدم ، ويركبون ويغدون ويروحون ، ويشربون الدخان وهم راكبون فى الشارع الأعظم ، وفى أيديهم شبكات الدخان من غير انكار ، وهم فى الرق ، ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم انكار أسيادهم ، وترخيصهم لهم فى الأمور . فإذا مات بعض الأعيان ، بادر أحد المماليك الى سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده ، وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت ، فيجيبه الى ذلك ، فيركب فى الوقت والساعة ويذهب الى بيت المتوفى — ولو قبل خروج جنازته — وينزل فى البيت ويجلس فيه ، ويتصرف فى تعلقاته ، ويحوزه ويملكه بما فيه ، ويقيم بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ، ويأمر وينهى ، ويطلب الغداء والعشاء والفطور ، والقهوة والشربات من الحريم ، ويتصرف تصرف الملاك . وربما وافق ذلك غرض المرأة . فاذا رأته شابا مليحا قويا ، وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك ، أظهرت له المخبآت والمدخرات ، فيصبح أميرا من غير تأمر ، وتتعدد عنده الخيول والخدام ، والفراشون والأصحاب ، ويركب ويذهب ويجىء الى بيت سيده ، وفى حاجاته وغير ذلك .

فجرى يوما بمجلس حسن باشا ذكر ركوب المماليك على انفرادهم فى الأسواق ، بحضرة بعض الاختيارية ، فقالوا : « انه قلة أدب ، وخلاف العادة القديمة التى رأيناها وتربينا عليها » . فقال الباشا : « اكتبوا فرمانا بمنع ذلك » . ففعلوا ذلك ، ونادوا به ... من قبيل الشغل الفارغ !

٧ منه (٢١ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ثقل عابدى باشا فى المرض وأشيع موته .

١١ منه (٢٥ اغسطس ١٧٨٧ م) :

حضر حسين بيك المعروف بشفت ، من قبلى فى جملة الرهائن ، وقابل الباشا ، وأقام بمصر .

منتصفه (٢٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

عوفى عابدى باشا من مرضه ، وشرعوا فى طلب المال الشتوى ، فضج الملتزمون ، وتكلم الوجاقلية فى الديوان وقالوا :

« من أين لنا ما ننتمه ، وما صدقنا بخلاص

المظالم ، والسيفى ، والفردة ؟ ! ولم يبق عندنا ، ولا عنـد الفلاحين شيء ، أعطونا الجامكية ، ثم ندفعها لكم فى المال الشتوى » . فانحط الرأى على كتابة رجع الجامكية ، وفرح الناس بذلك . ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة الا بقدر ماعليه من الميرى ، وان زاد له شيء يبقى له وديسـة بالدفتر ، وان لم يكن له جامكية يدفع ماعليه نقدا . فصـار بعض الملتزمين يأتى بأسماء برانيـة ، وينسبها لنفسـه ، لأجل غلاق المطلوب منه ، فانفضـح ذلك أيضـا بالنسبة له ، ومراجعـة الدفتر . ثم منعـوا كتابة الرجع ، وصار الأفنـدية يتشفون على الدفاتر ويسلون ويسددون بأنفسهم : فمن زاد له شيء تبقى بالدفتر ، ومن زاد عليه شيء طلب منه .

٣٠ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

ذهب الأمراء الى حسن باشا وهم : اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ، وباقى الأمراء . فتكلم معهم بسبب الأموال التى جعلهـا عليهم ، والميرى المطلوب منهم ، ومن أتباعهم ، وقال لهم :

« أنا مسافر بعد الأضحى ، ولا بد من تشهيل المطلوبات » . فاعتـذروا وطلبوا المهلة ، فشـنع عليهم ووبخهم بالكلام التركى ، ومن جملة ما قال لهم :

« أنتم وجوهكم مثـل الحيط ! » وأمثـال ذلك . فخرجوا من عنـده وهم فى غاية من القهر ، وكان ذلك باغراء اسماعيل بيك . ولما ذهب اسماعيل بيك الى بيته ، طلب أمراءه ، وشنع عليهم ، كما شنع عليه الباشا . وحلف أن كل من تبقى عليه شيء — ولو ألف درهم — مطلوب للباشا يقطع رأسه .

الخميس غايته (١٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

طلعوا عند عابدى باشا ، فطالبهم بالميرى أيضا ، وشنع عليهم — وخصوصا قاسم بيك أبو سيف — وحلف أنه يحبسهم حتى يدفعوا ما عليهم ،

ذو الحجـة

الجمعة مستهله (١٤ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

فيه : حضر الأغا وعلى يده مقرر لعابدى باشا على السنة الجديدة

وفيه أيضا : قوى عزم حسن باشا على السفر الى بلاد الروم ، وأعطى لاسماعيل بيك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب ، وصنع له قليونا صغيرا ، وقرر ألفا وخمسمائة عسكرى تقيمون بمصر

الخميس ١٤ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

عمل حسن باشا ديوانا بالقصر ، وحضر عنده عابدى باشا والمشـايخ ، وسـائر الأمراء ، بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا الى الديار الرومية ، بسبب حركة السفر الى الجهاد ، وأن المسقو زحفوا على البلاد ، واستولوا على مابقى من بلاد القرم وغيرها . والثانى فيه ذكر العفـو عن ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القتل ، وأن يقيم ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا ، ولا اذن لهم فى دخول مصر جملة كافية .

وفيه : نودى على صرف الريال الفرانسة بمائة نصف فضة ، وكان وصل الى مائة وعشرة . فتضرر الناس من ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٥ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا ، وكان فى عزمه النزول فى المراكب بعد صلاة الجمعة . فلما تكاملوا عنده ، قبض على الرهائن وهم : عثمـان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحسـين بيك شفت ، وعبـد الرحمن بيك الابراهيمى . ثم أمر بالقبض على حسن كتخـدا الجربان ، وسليمـان كاشف قنبور ، فهرب حسن كتخدا وساق جواده ، فتبعه جماعة من العسكر . فلم يزل رامحا ، وهم

خلفه ، حتى دخل بيت حسن بيك الجداوى ، ودخل الى باب الحريم . وكان حسن بيك بالقصر ، فرجع العسكر ، وأخبروا الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فطلب حسن بيك وسأله اسماعيل بيك فقال :

« ان كان فى بيتى خذوه » . فأرسلوا واحضروه ، ووضعوه صحبة المقيدين .

وفيه عزلوا عثمان آغا مستحفظان ، وقلدوا [illegible] كاشف — المعروف بالمتيم ، كتخدا اسماعيل بيك . . أغات مستحفظان .. عوضه !

السبت ٢٣ منه (٦ أكتوبر [illegible])

سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن ، وسافر صحبته ابراهيم بيك قشطة ليشيعه الى رشيد ، وزار فى طريقه سيدى أحمد البدوى بطندتا . ولم يحصل من مجيئه الى مصر ، وذهابه منها الا الضرر . ولم يبطل بدعة ، ولم يرفع مظلمة ، بل تقررت به المظالم ، والحوادث . فانهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة ، ويخافون من اشاعتها ، وبلوغ خبرها الى الدولة ، فينكرون عليهم ذلك ...

وخابت فيه الآمال والظنون . وهلك بقدومه البهائم التى عليها مدار نظام العالم ، وزاد فى المظالم «التحرير» . لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم ، ثم أعاده باشارة اسماعيل بيك ، وسماه التحرير ، فجعله مظلمة زائدة ، وبقى يقال رفع المظالم والتحرير . فصار يقبض من البلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف ، والبرانى ، وعوائد الكشوفية ، والفرد المتعددة ، ورفع المظالم والتحرير ، ومال الجهات ، وغير ذلك ...

ولو مات حسن باشا بالاسكندرية أو رشيد لهلك عليه الاقليم أسفا ! وبنوا على قبره مزارا وقبة وضريحا بقصد الزيارة ! !

* * *

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، واللوذعى الفهامة ، لسان المتكلمين ، وأستاذ المحققين ، الفقيه النبيه ، المستحضر الأصولى ، المنطقى الفرضى الحيسوب ، الشيخ عبد الباسط السنديولى الشافعى .

تفقه على أشياخ العصر المتقدمين ، وأجازه أكابر المحدثين . ولازم الشيخ محمد الدفرى ، وبه تخرج فى الفقه وغيره ، وأنجب ودرس ، وأفاد وافتى فى حياة شيوخه .

وكان حسن الالقاء ، جيد الحافظة ، يملى دروسه عن ظهر قلبه وحافظته ، عجيب الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية .

ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى فى مسألة مشكلة فى المناسخة ، فتصدى لتحريرها وقسمتها جماعة من الأفاضل — ومنهم الشيخ محمد الشافعى الجناجى ... وناهيك به فى هذا الفن ! — وتعبوا فيها يوما وليلة حتى حرروها على الوجه المرضى ، ثم قالوا : « دعنا نكتبها فى سؤال على بياض ونرسلها للمتصدرين للافتاء ، وننظر ماذا يقولون فى الجواب ... ولو بالمهلة » .

ففعلوا ذلك وأرسلوها للشيخ المترجم مع بعض الناس وهو لا يعلم بشىء مما عانوه . فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذى تعب فيه الجماعة يوما وليلة ... فقضوا عجبا من جودة استحضاره ، وحدة ذهنه ، وقوة فهمه ...

الا أنه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور !

اتفق أنه تنازع مع عجوز فى فدان ونصف طين مدة سنين ، واهين بسببها مرارا فى أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ الحفنى .

ورأيته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ أحمد العروسى ، فنهاه الشيخ العروسى عنها ، ولامه فلم ينته ، فاحتد الشيخ وقال : « والله لو

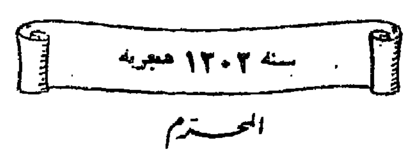
كان هذا الفدان ونصف لى فى الجنة ، ونازعتنى هذه العجوز عليه ... لتركته لها ! » .

ولم يزل بنازعها وتنازعه الى أن مات !

وغـير ذلك أمور يستحى من ذكرها فى حق مثله ... وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه ..

توفى فى أول جمادي الآخرة من السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين .

رحمه الله ، وغفر لنا وله



المحـرم

السبت مستهله (١٣ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

عزل المحتسب ، وتولى آخر يسمى يوسف أغا الخربتاوى . وتولى عثمان بيك طبل الاسماعيلى على دجرجا .

وفيه : انفرد اسماعيل بيك الكبير فى أمارة مصر ، وصـار بيده العقـد والحل والابرام والنقض ، واستوزر محمد أغا البارودى وجعله كتخـداه . واستمر اسماعيل كتخدا حسن باشا بمصر ، لقبض بواقى المطلوبات ، وسـكن ببيت حسن كتخـدا الجربان بباب اللوق .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على الحاج سلمان ابن ساسى ، وحبسه ببيت محمد أغا البارودى ، وصادره فى خمسين كيسا .

فى ٥ منه (١٧ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

طلب اسماعيل بيك دراهم قرضة مبلغا كبيرا ، فوزعوا منها جانبا على تجار البن والبهار ، وجانبا على الذين يقرضون البن بالمرابحـة للمضطرين ، وجانبا على نصارى القبط ، وعلى الأروام والشوام ، وعلى طوائف المغـاربة بطولون والغورية ، وعلى المتسببين فى الغلال بالسـواحل والرقع ، وكذلك بياعين القطن والبطانة والقماش والمنجدين ، واليهود وغير ذلك . فانزعج الناس ، وأغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان .

السبت ١٥ منه (٢٧ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

اجتمع جملة من الطوائف المذكورة ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، وضجوا واستغاثوا من هـذا النازل . وحضر الشيخ العروسى ، فقاموا فى وجهه وأرادوا قفل أبواب الجـامع ، فمنعهم من ذلك ، فصاحوا عليه وسبوه ، وسحبوه بينهم الى جهـة رواق الشوام فمنع عنـه المجاورون ، وأدخلوه الى الرواق ، ودافعوا عنه الناس ، وقفلوا عليـه باب الرواق ، وصحبته طائفة من المتعممين ، وكتبوا عرضا الى اسماعيل بيك بسبب ذلك ، وأرسـلوه صحبة الشـيخ سليمان الفيومى ، وانتظروه حتى رجع اليهم ومعه تذكرة من اسماعيل بيك مضمونها الأمان والعفو عن الطوائف المذكورة . وفيها أن هذا المطلوب انما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذلك فلما قرئت عليهم التذكرة ، قالوا . « هـذه مخادعة . وعندماينفض الجمع ، وتفتح الدكاكين ، يأخذونا واحدا بعد واحد » .

ثم قام الشيخ وركب ، وحـوله الجم الغفير ، والغوغاء ، وبعض المجاورين .. يدفع الناس عنه بالعصى ، والعامة يصيحون عليـه ، ويسـمعونه الكلام غير اللائق ، الى أن وصل الى باب زويلة ، فنزل بجامع المؤيد ، وأرسل الى اسماعيـل بيك يحره بهذا الحال .

فحنق اسماعيـل بيـك ، وظن أنها مفتعلة من الشيخ ، وأنه هو الذى أغراهم على هذه الأفعال فأجابه الرسل ، وحلفوا له ببراءته من ذلك ، وليس قصده الا الخلاص منهم . فقال :

« آنا أرسلت اليهم بالأمان ، ودعوهم ينفضوا . وما أحد يطالبهم بشىء » .

فانفضوا وتفرقوا .

ومضى على ذلك يومان .. فأرسلوا الى أهل الصاغة ، والجواهرجية ، والنحاسين ، وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم ، فلم يجدوا بدا من الدفع . ثم طالبوا وكالة الجلابة .. وتطرق الحال الى باقى الناس ، حتى بياعين الفسيخ . ومجموع ذلك نحو اثنتين وسبعين حرفة .

وفيه : حضر على كاشف من جهة قبلى ، وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة الى الأمراء القبالى ، وأخبر أنهم مستقرون فى أماكنهم ، ولم يتحركوا .

٢٦ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر أمير الأنزم بالملاقاة الى الحج ، وكان من عادته السفر فى أول الشهر . ولم يحضر فى هذه السنة نجاب الجبل ، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين ، وأخذوا أيضا بيته الذى كان سكن به . فلما استقر يحيى بيك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بيك ، وهو بيت أبيها ، وهو أحق به .

صفر

الاثنين أوله (١٢ نوفمبر ١٧٨٧) :

فيه : كملت القيسارية التى عمرها اسماعيل بيك بجانب السبيل الذى بسويقة لاجين ، فأنشأ بها احدى وعشرين حانوتا وقهوة ، وجعلها مربعة الأركان — وهذا السبيل من انشاء سيده ابراهيم كتخدا — ولما أتمها نقل اليها سوق درب الجماميز بعد العصر ، وانتقل اليه الدلالون والناس والقماشون فى عصرية يوم الثلاثاء ثانية . وبطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم .

وليس لاسماعيل بيك من المحاسن الا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه فى هذه الجهة ، كما لا يخفى .

الثلاثاء ٢ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

اشتد العسف فى الرعية بسبب طلب السلفة ، وتعدى الحال الى بياعين المخلل والصوفان ، وتضرر الفقراء من ذلك .

الأحد ٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا والى جدة الى السويس .

السبت ١٣ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

طلع اسماعيل بيك والأمراء الى الديوان بالقلعة ، وأخرج قوائم مزاد البلاد التى تأخر على ملتزميها الميرى ، فتصدر لشرائها كتخداه محمد أغا البارودى ، فاشترى نحو سبعين بلدا . وفى الحقيقة هى راجعة الى مخدومه ، يفرقها على من يشاء من أغراضه .. فشرع أولا فى طلب الشتوى ، وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفا . ثم ادعى ان حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ، ودخلت فى حسابه ، وطلب سنة ونصفا أخرى ، وطلب المال الصيفى أيضا . فعجز الملتزمون ، ففعل هذه الفعلة ، وأخرج قوائم مزادهم الى الديوان ، واستخلصها من ملتزميها .

وفى تلك الليلة حضرت جماعة من كشاف النواحى القبلية ، وأخبروا أن الأمراء القبالى حضروا الى أسيوط ، وأوائلهم تعدى منفلوط . فهرب من كان هناك من الكشاف وغيرهم ، وحضروا الى مصر . فلما تحققت هذه الأخبار ، طلع فى صبحها اسماعيل بيك الى الديوان ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ . فتكلم اسماعيل بيك وقال :

« ياأسيادنا يامشايخ ، ياأمراء ، وياوجاقلية ، ان الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان ، وانتقلوا من أماكنهم ، وزحفوا على البلاد ، فهل الواجب قتالهم ودفعهم ؟ »

قالوا : « نعم » .

فقال :

« ان المخالفين اذا نقضوا عهد السلطان ، ولزم

الحال الى قتالهم ، يصرف على المقاتلين من العسكر من خزينة السلطان ، وليس هنا خزينة ، فكل منكم يقاتل عن نفسه » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى وقال :

« ونحن أى شيء تبقى عندنا ، حتى نصرفه ، وقد صرنا كلنا شحاتين لا نملك شيئا » .

فقال له الباشا :

« هذا الكلام لايناسب ، ولا ينبغى أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام ، والأولى أن تقول لهم : أنا وأنتم شيء واحد ، ان جعت جوعوا معى ، وان شبعت اشبعوا معى » .

ثم انحط الرأى بينهم على أن يكتبوا عرضا للدولة ، والاخبار عن نقضهم ، وعرضا لهم بالتحذير . وقال الباشا :

« نرسل نعلم الدولة ، وننتظر مايكون الجواب . فان زحفوا قبل مجيء الجواب ، خرجنا اليهم وقاتلناهم » .

ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرياف بالحضور ، وبكى اسماعيل بيك بالمجلس ، ونهنه فى بكائه فقال له الاختيارية :

« لا تبك يابيك ! » ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ، ومن الوجاقلية والمشايخ ، وأرسلوها صحبة واحد من طرف الباشا ، وسراج من طرف اسماعيل بيك ، وأرسلوا الى محمد باشا المسافر الى جدة بالرجوع من السويس الى مصر بأمر من الدولة .

الأحد ١٤ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

حضر جاويش الحاج من العقبة .

الأربعاء ١٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

نبهوا على مماليك الأمراء القبليين ، وكشافهم الكائنين بمصر ، بالاجتماع والحضور . فأرسل كل من كان مستخدما عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم ، فجمعهم فى مكان فى بيته . ومن كان غائبا فى حاجة ، أرسلوا اليه وأحضروه . فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم ، وأبقوهم فى الترسيم .

وأما على بيك الدفتردار ، فانه لم يسلم فيمن عنده ، وكان منقطعا فى الحريم لصداع برأسه ووجع فى عينيه من مدة شهرين .

الجمعة ١٩ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

كان نزول الحجاج ودخولهم الى مصر ، وكانوا أغلقوا أبواب مصر ، وأجلسوا عليها حرسجية ، فلم يدخل الحجاج الا من باب النصر فقط ... فتضرر الناس من الازدحام فى ذلك الباب .

وارتاح الحجاج فى هذا العام ، ولم يحصل لهم تعب ، وزاروا المدينة الشريفة :

وفيه : نزل الأغا ، وصحبته كتخدا الباشا ، وأمامهما المناداة على كل من كان مختفيا من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم .. بالظهور ، ويطلعوا يقابلوا الباشا . وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام ، فانه يستأهل الذى يجرى عليه .

وفيه : قبضوا على جماعة من المماليك والأجناد — وهم الذين كانوا فى الترسيم — وأنزلوهم فى مراكب ، وأرسلوهم الى ثغر اسكندرية ، وحبسوهم بالبرج ، ومنهم جماعة بأبى قير .

وكان على بيك توقف فى تسليم المنتسبين اليه ، فلم يزل به اسماعيل بيك حتى سلم فيهم .

السبت ٢٠ منه (اول ديسمبر ١٧٨٧ م) :

دخل أمير الحج غيطاس بيك ، وصحبته المحمل .

وفيه : قال اسماعيل بيك للمشايخ :

« اكتبوا للدولة يرسلوا لنا عساكر » .

فقال الشيخ العروسى :

« لانحتاج الى ذلك ، فان العساكر الرومية لاتنفع بين العساكر المصرية ، والأولى استجلاب خواطر الجند بالاحسان اليهم ، والذى تعطوه للأغراب أعطوه لأهل بلادكم أولى » .

وفيه : شرع اسماعيل بيك فى طلب تفريدة من البلاد والقرى ، فجعلوا على كل بلد مائة دينار وعشرة ، خلاف ما يتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك ، وعين لقبضها خازنداره وغيره .

وفيه : قبضوا على باقى مماليك الأمراء القبلية وأجنادهم ، وأنزلوهم المراكب أيضا ، وبعضهم أنزلوه عريانا ليس عليه سوى القميص والصديرى واللباس ، وطاقية أو طربوش معمم عليه بمحرمة أو منديل ، ونحو ذلك .

ولم تزل الحرسجية مقيمين على الأبواب ، وحصل منهم الضرر للناس والرعية ، والمتسببين والفلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ، ونحو ذلك . وكل من أراد العبور من باب منعوه من الدخول حتى يأخذوا منه دراهم ، ولو كان بنفسه !

الأحد ٢٨ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

نزل الأغا ، وأمامه الوالى ، وأودة باشة البوابة ، وأمامهم المناداة على جميع الألضاشات المنتسبين الى الوجاقات ، بأنهم يأخذون لهم أوراقا من أبوابهم وكل من وجد ، وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام ، يحصل له مزيد الضرر . وبيد المنادى فرمان من الباشا .

وفيه : ركب اسماعيل بيك ونزل الى بولاق ليتفرج على «شركفلك» الذى صنعه وتم شغله . وقد زاد فى صنعته عما فعله حسن باشا ، بأن ركبه على عجل يجرونه ، وزاد فى اتقانه . وسبك جللا كثيرة للمدافع ... فلما رآه أعجبه ، وشرع أيضا فى عمل شركفلكين اثنين ، وجهز ذخيرة عظيمة من بقسماط وغيره .

الاثنين ٢٩ منه (١٠ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر الرسول الذى كان توجه بالرسالة للأمراء القبليين ، وهو الذى من طرف الباشا ، وصحبته آخر من طرف اسماعيل بيك ، وعلى يدهما جوابان : أحدهما خطاب للباشا ، والثانى خطاب للمشايخ .

واجتمعوا صبح ذلك اليوم بالديوان ، وقرأوا الجوابات . وملخصها : أنكم نسبتمونا لنقض العهد . والحال أن النقض حصل منكم بتسفير اخواتنا الرهائن ، وذهابهم مع قبطان باشا الى الروم . وما فعلتم فى بيوتنا وحريمنا . ولما حصل ذلك ، احتد البعض منا ، وزحفوا الى بحرى ، فركبنا خلفهم نردهم ، فلم يمتثلوا ، فأقمنا معهم ... وكلام هذا معناه .

فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع ، اقتضى الرأى كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ . وفيها الملاطفة فى الخطاب والاعتذار ، وأرسلوها . وأخذوا فى الاهتمام والتشهيل .

ربيع الأول

٢ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأغا ، وشق الأسواق ، وصار يقف على الوكائل والخانات ، ويفتش على الألضاشات ، ودخل سوق خان الخليلى ، ونبه على أفرادهم ، وقال لهم : « فى غد أحضر فى التبديل . وكل من وجدته من غير ورقة جدك ، فعلت به وفعلت ، وقطعت آذانه أو أنفه » .

وفيه : عزل أحمد افندى الصفائى الروزنامجى من الروزنامه لمرضه ، وتقلد أحمد أفندى — المعروف بأبى كلبة قلفة الأنبار — روزنامجى ، عوضا عنه .

٦ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس ،

وكتبوا لهم أيضا سمهود وبرديس ، زيادة على ما بأيديهم من البلاد . والحال أن الجميع بأيديهم .

٧ منه (١٧ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، الى بيت الشيخ البكرى باستدعاء ، بسبب المولد النبوى . فلما استقر بهم الجلوس ، التفت الباشا الى جهة حارة النصارى وسأل عنها ، فقيل له : انها بيوت النصارى . فأمر بهدمها ! والمناداة عليهم من ركوب الحمير ! فسعوا فى المصالحة ، وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال : منها على الشوام سبعة عشر ألفا ، وباقيها على الكتبة !

٢٨ منه (٧ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ أحمد يونس والذى توجه صحبته من طرف الباشا ، واجتمعوا فى صبحها بالديوان عند الباشا ، وقرأوا المكاتبات ، مضمونها الجواب السابق ، وعدم الرجوع ، وأنهم طالبون أخصامهم ، وأما الباشا والوجاقلية والمشايخ فليس لهم علاقة فى شىء من ذلك ، وليس لهم الا أمراء تخدمهم ، أيا من كان .

ثم ان الشيخ احمد يونس قال للباشا : « ياMولانا .. ملخص الكلام أنكم لو أعطيتموهم من الاسكندرية الى اسوان ، مايرضيهم الا دخول مصر » .

فقال الباشا : « أنا عندى فتوى من شيخ الاسلام باسلامبول على جواز قتالهم ، وكذلك أريد فتوى من علماء مصر بموجب ذلك ، وأخرج اليهم وأقاتلهم ، وأبذل نفسى ومالى .. » .

فوعدوه بذلك .

٣٠ منه (٩ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ العروسى الى الجامع الأزهر ، وكتبوا سؤالا مضمونه :

« ما قولكم .. دام فضلكم .. فى جماعة أمراء وكشاف ، تغلبوا على البلاد المصرية ، وحصل منهم الفساد والافساد ، ومنعوا خراج السلطان ، وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ، ومنعوا زيارة النبى عليه الصلاةوالسلام ، وقطعوا علوفات الفقراء ، وجاكى المستحقين والأنبار ، وأرسل لهم السلطان يأمرهم وينهاهم ، فلم يطيعوا ، ولم يمتثلوا . وكرر عليهم أوامره ، فلم ينتهوا ، فعين عليهم عساكره ، وأخرجهم من البلاد . ثم ان نائبه صالحهم ، وفرض لهم أماكن ، وعاهدهم على الا يتعدوها حقنا للدماء ، وقطعا للنزاع ، وسكونا للفتن . وأخذ منهم رهائن على ذلك ، ورجع لمخدومه . فعند ذلك تحركوا ثانيا ، وزحفوا على البلاد ، وسعوا فى ايقاع الفساد ، وقطعوا الطرق ، ونقضوا العهود . فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم ، بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر ... أم كيف الحال .. ؟ » .

وكتبوا بجواز قتالهم ، ودفعهم ، ويجب على كل مسلم المساعدة ، وطلعوا بها الى الباشا .

ربيع الآخر

اوله (١٠ يناير ١٧٨٨ م) :

كتب الباشا فرمانا ، على موجب الفتوى ، ونزل به أغات مستحفظان ، ونادى به جهارا ، وكذلك التنبيه على جميع الوجاقلية باتباع أبوابهم ، وحضور الغائبين منهم ، والاستعداد للخروج .

٣ منه (١٢ يناير ١٧٨٨ م) :

أتفق اسماعيل بيك على الأمراء الصناجق ، وأرسل لهم الترحيلة . فأرسل الى حسن بيك الجداوى ثمانية عشر ألف ريال ، فغضب عليها وردها ، ووبخ محمد كتخدا البارودى ، وركب مغضبا وخرج الى نواحى العادلية . فركب اليه فى

صحبتها اسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار وصالحاه ، وزاداه فى الدراهم حتى رضى ، وتكلم مع اسماعيل بيك فى تشديده على الرعية والالضاشات وقال له :

« لأى شىء تتعصب هؤلاء الناس ؟ ان كنت تريد تخرجهم سحرة ، ومن غير نفقة ، فما أحد يقاتل سحرة .. وان كنت تعطيهم نفقة فالذى تعطيه لهم ، أعطه للفرسان المقاتلين وأما الوجاقات فليس عليهم الا درك البلد والقلعة » .

الخميس ٨ منه (١٧ يناير ١٧٨٨ م) :

سافر امام الباشا ، وعلى كاشف — من طرف اسماعيل بيك — بجوابات للأمراء القبليين ، حاصلها . اما الرجوع الى أماكنهم على موجب الاتفاق والصلح ، بشرط أن تدفعوا ميرى البلاد التى تعديتم عليها ، والا ... فنحن أيضا ننقض الصلح بيننا وبينكم .

ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ارتحل من طحطا غرة الشهر (١٠ يناير ١٧٨٨) وحضر الى المنيا عند قسيمه مراد بيك ، وأن مراد بيك فرق البلاد من بحرى المنيا على أتباعه وأتباع الأمراء الذين بصحبته . ثم وقع التراخى فى أمر التجريدة ، وحصل التوانى والاهمال والترك ، وخرجت الخيول الى المراعى .

الجمعة ١٦ منه (٢٥ يناير ١٧٨٨ م) :

نزل عابدى باشا الى بولاق ، وركب اليه اسماعيل بيك وبقية الأمراء ، وأمامه مدافع الزمبلك على الجمال ، فتفرج على الشركفلكات ، وسيروا أمامه الثلاثة غلايين الى مصر القديمة ، وضربوا مدافعها .. ثم عاد وطلع الى القلعة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٧٨٨ م) :

عزل احمد افندى أبو كلبه من الروزنامة ، وتقلدها عثمان أفندى العباسى على رشوة دفعها وضاع على أحمد أفندى مادفعه من الرشوة !

الأربعاء ٢١ منه (٣٠ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر امام الباشا وعلى كاشف ، وأخبرا أن ابراهيم بيك حضر عند مراد بيك بالمنيا ، وأن جماعة من صناجقهم ، وأمرائهم ، وصلوا الى بنى سويف وبحريها وأنهم قالوا فى الجواب :

« اننا تركنا لهم الجهة البحرية ، وأخذنا الجهة القبلية فان قاتلونا عليها قاتلناهم ، وان انكفوا عنا فلسنا واصلين اليهم ، ولا طالبين منهم مصر ، ونعقد الصلح على ذلك ، فيرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية بتوافق معهم على أمر يحسن السكوت عليه » .

فعملوا ديوانا اجتمع به الجميع ، وتحالفوا واتفقوا على ارسال جواب صحبة قاصد من طرف الباشا ، مضمونه :

انهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين ، فهما الكفاءة لفصل الخطاب ، ليحصل معهما التوافق ، ونرسل صحبتهما ما أشاروا به ...

الاثنين ٢٦ منه (٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر واحد بشلى وعلى يده مكاتبات من حسن باشا خطابا الى الباشا واسماعيل بيك وعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك واسماعيل كتخداه والشيخ البكرى . وأخبر بوصول عسكر أرنؤود الى ثغر الاسكندرية ، وعليهم كبير ومعه هدية الى الأمراء .

الخميس ٢٩ منه (٧ فبراير ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وتكلموا من جهة النفقة . فقال قاسم بيك : أما أنا فلا يكفينى خمسون ألف ريال . فقال له اسماعيل بيك : فعلى هذا أمثالك . ويحتاج حسن بيك ورضوان

بيك وعلى بيك كل واحد مائة ألف ، فلازم أننا نرسل الى السلطان يرسل لكم خزائنه حتى تكفيكم.

فرد عليه على بيك وقال : « أنا صرفت على التجريدة الأولى ، وشهلت أربع باشوات والأمراء والأجناد ، وأنت من جملتهم ، وما صادرت أحدا فى نصف فضة » .

فاغتاظ اسماعيل بيك وقال : « اعمل كبير البلد ، وافعل مثل مافعلت ، وأنا أعطيك المال الذى تحت يدى .. الذى جمعته من النـــاس . خذه واصرفه بمعرفتك » .

وقام من المجلس منتورا ، فرده الباشا واختلى به وبعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك ســاعة زمانية ، وتشاوروا مع بعضهم ، ثم قاموا ونزلوا .

جمـــادى الأولى

مستهله (٨ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر ططرى وبيـــده مرســـومات ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوها : أحدها يطلب مشـــاق ويدك والثانى بسبب الجمـــاعة القبليين ان كانوا مقيمين بالأماكن التى عينها لهم حسن باشا فلا تتعرضـــوا لهم ، وان كانوا زحفوا وتعدوا ونقضوا ، فاخرجوا اليهم ، وقاتلوهم ، وان احتجتم عساكر أرســلنا لـــكم . والثالث مقرر لعابدى باشا على الســـنة الجديدة . والرابع بالوصية على الفقراء وغـــلال الحرمين والأنبار والجامكية ... وأمثال ذلك من الكلام الفارغ ...

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل عن ولاية مصر .

٣ منه (١٠ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر المرسل من الجهة القبلية — وصـــحبته صالح أغا الوالى — بجوابات حاصلها أنهم يطلبون من ططا الى قبلى ، ويطلبون حريمهم ، وأن يردوا لهن ما أخذوه من بلادهن . وكذلك يطلبون أتباعهم ومماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكنـــدرية . فان أجيبوا الى ذلك لا يتعـــدوا بعدها على شىء أصلا .

فلما قرئت المكاتبة بحضرة الجمع فى الديوان ، قال اسماعيل بيك للباشـــا : لايمكن ذلك ، ولا يتصور أبدا والا افعلوا مابدا لكم ، ولا علاقة لى ، ولا أكتب فرمانا . فانى أخاف على نفسى ان زدتهم على ما أعطاهم حسن باشـــا . ولا بد من دفعهم الميرى .

ثم كتبوا لهم جوابا وسافر به صالح أغا المذكور وآخر من طرف اسماعيل بيك .

٨ منه (١٥ فبراير ١٧٨٨ م) :

وقـــع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة ، بسبب افسادهم ونعديهم ، وفسقهم مع النســـاء ، وأذية السوقة وأصحاب الحوانيت ، وخطفهم الأشياء بدون ثمن ، فاجتمع جمع من أهل بولاق ، وخرجوا الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى الباشـــا ، يشكون مانزل بهم من البلاء . فلما علم عســـكر القليونجية ذلك ، اجتمعوا بأســـلحتهم وحضروا اليهم ، وقاتلوهم ، وانهزم القليونجية . فنزل الأغا وتلافى الأمر ، وأخذ بخاطر العامة ، وسكن الفتنة ، وخاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم فقالوا له :

« وكيلك فلان وفلان ، هما اللذان يسلطاننا على هذه الأفعال » .

فأحضر أحدهما وقتله وفر الآخر .

١٧ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر صالح أغا بجواب ، وأخبر بصلح الأمراء القبليين . على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها ، ويقوموا بدفع ميرى البلاد وغلالها ، ولا يتعدوا بعد ذلك ، وأنهم يطلبون أناسا من كبار الوجاقات والعلماء ليقع الصلح بأيديهم . فعمل الباشا ديوانا ،

وأحضر الأمراء والمشايخ واتفقوا على ارسال الشيخ محمد الأمير واسماعيل أفندى الخلوتى وآخرين ، وسافروا يوم الأربعاء ١٩ منه (٢٦ فبراير ١٧٨٨ م)

٢٥ منه (٣ مارس ١٧٨٨ م) :

هبت رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثنى عشر يوما .

جمادى الآخرة

الأحد مستهله (٩ مارس ١٧٨٨ م) :

ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بنى سويف .

الثلاثاء ٣ منه (١١ مارس ١٧٨٨ م) :

وصل الخبر بأن مراد بيك حضر أيضا الى بنى سويف ، فى نحو الأربعين ، فشرع المصريون فى التشهيل والاهتمام ، وأخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين .

الخميس ٥ منه (١٣ مارس ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه ، وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحرى ، وطلبوه للنزول صحبتهم ، فقال لهم :

« حتى ترجع الرسل بالجواب ، أو نرسل لهم جوابا آخر وننظر جوابهم » . فامتثلوا الى رأيه . فكتب مكتوبا مضمونه : انكم طلبتم الصلح مرارا وأجبناكم بما طلبتم ، وأعطيناكم ماسألتم ، ثم بلغنا أنكم زحفتم ورجعتم الى بنى سويف ، فما عرفنا أى شىء هذا الحال ... والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم ، وكيفية حضوركم ، وان كنتم نقضتم الصلح والا لا ... فترجعوا الى ماحددناه لكم ، وما وقع عليه الاتفاق .

وأرسله صحبة مرسل من طرفه .

الجمعة ٦ منه (١٤ مارس ١٧٨٨ م) :

سحبوا الشركفلكات من بولاق ، وذهبوا بها الى الوطاق ، وشرع اسماعيل بيك فى عمل متاريس عند طرا والمعصرة ، وكذلك فى بر الجيزة ، وجمع البنائين والفعلة والرجال ، وأمر بحفر خندق ، وبنى أبراجا من حجر ، وحيطانا لتصف المدافع والمتاريس فى البرين .

الاثنين ٩ منه (١٧ مارس ١٧٨٨ م) :

تكامل خروج الأمراء . وفى تلك الليلة هرب بعض الأجناد والكشاف الى قبلى . فأرسل اسماعيل بيك آغات مستحفظان ، فأحاط بدورهم ، وأخرج حريمهم منها ونهبها عن آخرها وأكثره متاع النساء .

الأربعاء ١١ منه (١٩ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ، ونادى على جميع الالضاشات والأنفار بالطلوع الى القلعة ، ويأخذ كل شخص ألف فضة .

الخميس ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته ، وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بيك ومراد بيك فى بنى سويف ، وأربعة من الأمراء وهم : سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وعثمان بيك الشرقاوى بزاوية المصلوب ، وحاصل جوابهم :

« ان يكن صلحا فليكن كاملا ، ونقعد معهم بالبلد عند عيالنا ، ونصير كلنا اخوة ، ونقيم تأرنا فى ثأرهم ، ودمنا فى دمهم ، وعفا الله عما سلف . فان لم يرضوا بذلك ، فليستعدوا للقاء ... وهذا آخر الجواب والسلام » . وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ ، وعلى أنهم يسعون فى الصلح ، أو يخرجوا لهم على الخيل كما هى عادة المصريين فى الحروب .

وفى هذه الأيام : حصل وقف حال وضيق فى المعاش ، وانقطاع للطرق ، وعدم أمن ، ووقوف العربان ، ومنع السبل وتعطيل أسباب ، وعسر فى الأسفار برا وبحرا ، فاقتضى رأى الشيخ العروسى أنه يجتمع مع المشايخ ، ويركبون الى الباشا ويتكلمون معه فى شأن هذا الحال .

فاستشعر اسماعيل بيك بذلك ، فدبج أمرا و« صور ! » حضور ططرى من الدولة وعلى يده مرسوم ! ..

الجمعة ١٣ منه (٢١ مارس ١٧٨٨ م) :

أرسل الباشا فى عصر هذا اليوم للمشايخ والوجاقلية ، وجمعهم ، وقرأوا عليهم ذلك الفرمان ومضمونه :

الحث والأمر والتشديد ، على محاربة الأمراء القبالى ، وطردهم وابعادهم .

فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسى وقال :

« أخبرونا عن حاصل هذا الكلام ، فاننا لانعرف بالتركى » فأخبروه فقال :

« ومن المانع لكم من الخروج ، وقد ضاق الحال بالناس ، ولا يقدر أحد من الناس أن يصل الى بحر النيل ، وقربة الماء بخمسة عشر نصف فضة ... وحضرة اسماعيل بيك مشتغل ببناء حيطان ومتارس ،وهذه ليست طريقة المصريين فى الحروب ، بل طريقتهم المصادمة وانفصال الحرب فى ساعة ، اما غالب أو مغلوب . وأما هذا الحال ، فانه يستدعى طولا ... وذلك يقتضى الخراب والتعطيل ووقف الحال » .

فقال الباشا :

« أنا ماقلت لكم هذا الكلام أولا . وثانيا هيا شهلوا أحوالكم ، وتهيوا على الخروج يوم الاثنين وأنا قبلكم » .

الأحد ١٥ منه (٢٣ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر شخصان من الططر ، ودخلا من باب النصر ، وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يديهما مرسومات حاصلها الاخبار بحضور عساكر برية وعليهم باشا كبير وذلك أيضا لا أصل له !

ونودى فى ذلك اليوم بالخروج الى المتاريس ، وكل من خرج يطلع أولا الى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان ، وقدرها خمسة عشر ريالا . فطلع منهم جملة ، وأخذوا نفقاتهم ، وخرجوا الى المتاريس بالجيزة .

الاثنين ١٦ منه (٢٤ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى قصر الآثار ، ونصب وطاقه هناك ولم يأخذ معه ذخيرة ولا كلارا ، بل تكفل بمصرفه اسماعيل بيك وختم كلاره قبل نزوله .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها بوفاة الشريف سرور شريف مكة ، وولاية أخيه الشريف غالب .

الأحد ٢٩ منه (٦ ابريل ١٧٨٨ م) :

مات ابراهيم بيك قشطه صهر اسماعيل بيك ، مطعونا .

وفيه : عزل اسماعيل بيك المعلم يوسف كساب ، الجمركى بديوان بولاق ، ونفاه الى بلاد الافرنج . وقيل انه غرقه ببحر النيل ، وقلد مكانه مخائيل كحيل على عشرين ألف ريال .. دفعها .

رجب

مستهله (٧ ابريل ١٧٨٨ م) :

.. نادى المنادى بالخروج ، وهدد من تخلف ،

واستمروا متترسين بالبرين ، وبعض الأمراء ناحية طرا ، وبعضهم بمصر القديمة فى خلاعاتهم ، وبعضهم بالجيزة كذلك ، الى أن ضـاق الحال بالنـاس ، وتعطلت الأسفار ، وانقطع الجالب من قبلى وبحرى .

وأرسـل اسـماعيل بيك الى عرب البحـيرة والهنادى ، فحضروا بجمعهم وأخلاطهم ، وانتشروا فى الجهة الغربية من رشـيد الى الجيزة ، ينهبون البلاد ، ويأكلون الزروعات ، ويضربون المراكب فى البحر ، ويقتلون النـاس . حتى قتلوا فى يوم واحد من بلد النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان . وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقى ، وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية . فتعطل السير برا وبحرا .. ولو بالخفارة . حتى أن الانسان يخاف أن يذهب من المدينـة الى بولاق أو خارج باب النصر !

٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٨ م) :

نهب سوق انبابة .

وفيه : قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدويدار ، شاب نصرانيا روميا صائغا .. اتهمـه مع حريمه فقبض عليه ، وعذبه أياما ، وقلع عينيه وأسنانه ، وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات ... بعد أن استأذن فيه حسن بيك الجداوى ..

وعندما قبض عليـه أرسل حسن بيك ونهب حانوته من جوهر ومصاغ ومتاع النـاس ، وغير ذلك . وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها ، فهربت عند الست نفيسة زوجة مراد بيك .

وفيه : تشاجر شخص من أولاد البلد ، يقال له ابن البسطى يبيع الصينى مع رجل نطرونى ، فشكاه النطرونى الى محمـد كاشف — تابع احمـد كتخدا المجنون — فأرسل اليه يطلبـه .. فامتنع عليهم ، فأرادوا القبض عليـه قهرا ، فغلب عليهم وضربهم وطردهم . فأرسل له آخرين ففعل بهم كذلك ..

فركب الكاشف ، والنطرونى معه ، الى الوالى وأرشوه ، وذهب معهم الى اسماعيل بيك ، وأخذوا معهم أشخاصا شهدوا على ذلك الشـاب أنه فاجر وقاطع طريق ومؤذ لجيرانه ، واستأذنه فى قتله . فذهب اليه الوالى بجماعة كثيرة ، وقبض عليه ، وقتله تحت شباك داره وأمه تنظر اليه !

فلما كان فى صبحها اجتمع أهل حارة الشـاب بباب الشعرية ، وخرجوا ومعهم بيارق وأعلام ، وخلفهم النساء يندبن ويصرخن وينعين . وحضروا الى الجامع الأزهر . وبعد حصة طلبوا الى العرضى خارج مصر ، فخرجوا ، فأظهر اسماعيل بيك الغيظ والتأسف ، وأخذ بخاطرهم ، ووعدهم بأخذ الثأر ممن تسبب فى قتله ، وأمر باحضار النطرونى ، فتغيب ، فأمر بالتفتيش عليه .

وانفض الجمع ، وبردت القضية وراحت على من راح ، والأمر لله وحده !

٦ منه (١٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

أخذ اسماعيل بيك فرمانا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بيك أمير الحج ، ليستعين بهـا على الحج ، وقرر على كل بلد مائة ريال وجملا .

٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشـايخ بقصر العينى ، فأظهر لهم اسماعيل بيك الفرمان ، وعرفهم احتياج الحال لذلك . فقام الاختيارية ، وأغلظوا عليه ومانعوا فى ذلك .

١٢ منه (١٨ ابريل ١٧٨٨ م — الموافق ١٢ برمودة ١٥٠٤ ق) :

أمطرت السماء صبح ذلك اليوم .

١٦ منه (١٩ ابريل ١٧٨٨ م) :

هبت رياح جنوبية باردة قوية . وأثارت غبارا كثيرا واستمرت الى ثانى يوم .

١٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٨ م) :

وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤود الى ساحل بولاق ، وعليهم كبير يسمى اسماعيل باشا ، فخرج اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ورضوان بيك ، لملاقاته ، ومدوا له سماطا عند مكان الحلى القديم .

١٨ منه (٢٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء ، وأطبق الغيم قبل الغروب ، وأرعد رعدا قويا ، وأبرق برقا ساطعا ، ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية ، واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل وكان ذلك فى ١٧ برمودة .

فسبحان الفعال لما يريد !

٢٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٨ م) :

كان عيد النصارى . وفيه تقررت الفردة المذكورة ، وسافر لقبضها سليم بيك أمير الحج ، ولم يفد س قيام الوجاقلية وسعيهم فى ابطالها شىء . فانهم لما عارضوا فى ذلك فتح عليهم طلب المساعدة ، وليس بأيدى الملتزمين شىء يدفعونه فقال : اذا كان كذلك فاننا نقبضها من البلاد ! فلم يسعهم الا الاجابة .

٢١ منه (٢٧ ابريل ١٧٨٨ م) :

حضر الى ثغر بولاق أغا أسود ، وعلى يده مقرر لعابدى باشا ، وخلعة لشريف مكة فطلع عابدى باشا الى القلعة ، وعمل ديوانا فى يوم الثلاثاء ، واجتمع بالأمراء والمشايخ والقاضى وقرأوا المقرر .

ووصل صحبة الأغا المذكور ألف قرش رومى ، أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخارى ، ويدعون له بالنصر !

٢٣ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٨ م) :

سافر سليم بيك ، ونزل الى القليوبية .

وفيه قتل اسماعيل باشا كبير الأرنؤود ، رئيس عسكره وكان نخشاه ويخاف من سطوته . قيل انه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمراء القبليين رغبة فى كثرة عطائهم ، فطالبه بنفقة ، وألح عليه ، وقال له : ان لم تعطهم والا هربوا حيث شاءوا . فحضر عنده وفاوضه فى ذلك فلاطفه وأكرمه واختلى به واغتاله ، وقطع رأسه وألقاه من الشباك لجماعته

٢٥ منه (أول مايو ١٧٨٨ م) :

كتبوا قائمة بأسماء المجاورين والطلبة ، وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفى طائفة من المجاورين .. فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده ، فوزعوها بحسب الحال : أعلى وأوسط وأدنى . فخص الأعلى : عشرون قرشا ، والأوسط عشرة ، والأدنى أربعة . وكذلك طوائف الأروقه بحسب الكثرة والقلة .

ثم أحضروا أجزاء البخارى وقرأوه ، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة !

٢٨ منه (٤ مايو ١٧٨٨ م) :

توفى صاحبنا حسن أفندى قلفة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندى ميسو كاتب اليومية .

وفيه : توفى أيضا خليل أفندى البغدادى الشطرنجى .

شعبان

الأربعاء أوله (٧ مايو ١٧٨٨ م) :

عدى بعض الأمراء بخيامهم الى البر الغربى ، ثم رجعوا فى ثانيه ، ثم عدى البعض ورجع البعض . وكل ذلك ايهامات بالسفر وتمويهات من اسماعيل بيك . وفى الحقيقة قصده عدم الحركة . وضاقت

أنفس المقيمين بالمتاريس ، وقلقوا من طول المدة ، وتفرق غالبهم ، ودخلوا المدينة .

الاحد ٥ منه (١١ مايو ١٧٨٨ م) :

حضر الى مصر رجل هنــدى ، قيل انه وزير ســلطان الهند حيــدر بيك ، وكان قد ذهب الى اسلامبول بهدية الى السلطان عبــد الحميد ، ومن جملتها : منبر وقبلة مصنوعان من العود القاقلى صنعة بديعة ، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل وأغربة من فضة وذهب ، وسرير يسع ستة أنفار ، وطائران يتكلمان باللغة الهندية .. خلاف الببــغا المشــهور . وأنه طلب منه امدادا يستعين به على حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده ، فأعطــاه مرسومات الى الجهات بالاذن لمن يسير معه ، فسار الى الاسكندرية ، ثم حضر الى مصر ، وســكن ببولاق . وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسى من فضة ، ويحمل على الأعناق .

وقد ماتت العســاكر التى كانت معه ، ويريد اتخــاذ غيرها من أى جنس كان . وكل من دخــل فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة فى جبهته لاتزول ، فنفرت الناس من ذلك .

وملابسهم مثل ملابس الإفرنج ، وأكثرها من شيت هندى مقمطة على أجسامهم ، وعلى رأسهم شقات أفرنجية .

٧ منه (١٣ مايو ١٧٨٨ م) :

رجع الأمراء والوجاقلية الى بيوتهم ، وأشاعوا أن الأمراء القبليين رحلوا ورجعوا القهقرى الى قبلى .

١٠ منه (١٦ مايو ١٧٨٨ م) :

خرجوا ثانيا ، وأشيع حضورهم الى الشيمى .

الجمعة ١٧ منه (٢٣ مايو ١٧٨٨ م) :

فى ليلتها خرج الأمراء بعــد الغروب ، وأشيع وصول القبليين ، وهجومهم على المتاريس .

وفى صبح ذلك اليوم حصلت زعجة وضجة ، وهرب الناس من القرافتين ، ونودى بالخروج ، فلم يخرج أحد . ثم برد هذا الأمر .

وفى تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة ، يقال لهم « البصــاصون » . وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم ، واختصوا بها دونه ، ولم يشركوه معهم .

الاثنين ٢٧ منه (٢ يونية ١٧٨٨ م) :

مات محمد أغا مستحفظان ، المعروف بالمتيم .

الاربعاء ٢٩ منه (٤ يونية ١٧٨٨ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى ، وكان المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع . وأظلم الجو الا يسيرا ، ثم انجلى ذلك عند الزوال .

رمضــان

٣ منه (٧ يونيه ١٧٨٨ م) :

قلدوا اسماعيل بيك ، خازندار اسماعيل بيك — الذى كان زوجه باحدى زوجات أحمد كتخدا المجنون — أغات مستحفظان ، وقلدوا خازندار حسن بيك الجداوى واليا ، عوضا عن اسماعيــل أغا الجزايرلى .. لعزله .

فى ١٢ منه (١٦ يونية ١٧٨٨ م) :

حضر ابراهيم كاشف من اســلامبول ، وكان اسماعيل بيك أرسله بهدية الى الدولة ، فأوصلها ورجع الى مصر بجوابات القبول ، وأنه لمــا وصل الى اسلامبول ، وجد حسن باشا نزل الى المراكب مسافرا الى بلاد الموسقو ، وبينه وبين اسلامبول

نحو أربع ساعات . فذهب اليه وقابله ورجع معه فى شكترية الى اسلامبول ، وطلع الهدية بحضرته .

وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بيك ، ومراد بيك ، دخلا الى مصر وخرج من فيها ، وحصل هناك هرج عظيم بسبب ذلك . فلما وصل ابراهيم كاشف هذا بالهدية ، حصل عندهم اطمئنان وتحققوا منه عدم صحة ذلك الخبر .

فى ٢٤ منه (٢٨ يونية ١٧٨٨ م) :

نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس ، وفيها شيء كثير جدا من أموال التجار والحجاج . ونهب فيها التجار خاصة ، ستة آلاف جمل ، مابين قماش وبهار ، وبن وأقمشة وبضائع . وذلك خلاف أمتعة الحجاج ، وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم ، وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن . ثم باعوهن لأصحابهن عرايا ، وحصل لكثير من الناس وغالب التجار الضرر الزائد ، ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ، ورجع عريانا ، أو قتل وترك مرميا .. !

فى ٢٥ منه (٢٩ يونية ١٧٨٨ م) :

وقع بين طائفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطىء النيل ببولاق ، وبين عسكر القليونجية مقاتلة ، وسبب ذلك .. أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة من القليونجية المتقيدين بقليون اسماعيل بيك ، ومعهم نساء يتعاطون المنكرات الشرعية . فكلمهم المغاربة ونهوهم عن فعل القبيح ، وخصوصا فى مثل هذا الشهر ، أو أنهم يتباعدون عنهم .. فضربوا عليهم طبنجات . فثار عليهم المغاربة ، فهرب القليونجية الى مراكبهم ، فنط المغاربة خلفهم ، واشتبكوا معهم ، ومسكوا من مسكوه ، وذبحوا من ذبحوه ، ورموه الى البحر ، وقطعوا حبال المراكب ، ورموا صواريها .

وحصلت زعجة فى بولاق تلك الليلة ، وأغلقوا الدكاكين ، وقتل من القليونجية نحو العشرين ، ومن المغاربة دون ذلك .

فلما بلغ اسماعيل بيك ذلك اغتاظ ، وأرسل الى المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم ، فانتقلوا الى القاهرة وسكنوا بالخانات .

فلما كان ثانى يوم : نزل الأغا والوالى ونادبا فى الأسواق على المغاربة الحجاج بالخروج من المدينة الى ناحية العادلية ، ولا يقيموا بالبلد ، وكل من آواهم يستاهل ما يجرى عليه .. فامتنعوا من الخروج وقالوا :

« كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها عطشا ! » ، وذهب منهم طائفة الى اسماعيل كتخدا حسن باشا ، فأرسل الى اسماعيل بيك بالروضة يترجى عنده فيهم . فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله . فتجمعوا أحزابا واشتروا أسلحة ؛ وذهب منهم طائفة الى الشيخ العروسى ، والشيخ محمد بن الجوهرى . فتكلموا مع اسماعيل بيك : فنادى عليهم بالأمان .

أواخره (أوائل يولية ١٧٨٨ م) :

ورد خبر من دمياط ، بأن النصارى أخذوا من على ثغر دمياط اثنى عشر مركبا .

شوال

الثلاثاء ٤ منه (٨ يولية ١٧٨٨ م) :

حضر سليم بيك من سرحته .

الأربعاء ٥ منه (٩ يولية ١٧٨٨ م) :

أرسل الأغا بعض أتباعه بطلب شخصين من عسكر القليونجية ، من ناحية بين السورين ، بسبب شكوى رفعت اليه فيهما . فضرب أحدهما أحد المعينين .. فقتله ، فقبضوا عليه ، ورموا عنقه أيضا بجانبه .

وفيه : حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة الى مصر ، وهم من العايدة ، وقابلوا اسماعيل بيك ، وصالحوه على مال !.. وكذلك الباشا ، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحج ، وخلع عليهم .

ولما نهبت القافلة ، اجتمع الأكابر والتجار ، وذهبوا الى اسماعيل بيك ، وشكوا اليه ما نزل بهم ... فوبخهم ، وأظهر الشماتة فيهم !

وقال لهم : « أنتم ناس أكابر . أنا أطلب العرب لشيل الذخيرة ، وأنتم تحجزونهم لأنفسكم ، وترغبونهم فى زيادة الأجرة لأجل أغراضكم ومتاجركم ، وتعطلوا أشغال الدولة ، ولا تستأذنوا أحدا .. فجزاؤكم ما حل بكم » .

ثم ذهبوا الى الباشا أيضا ، وكلموه فقال لهم مثل ذلك ، وقال أيضا : « انه بلغنى أنكم تختلسون الكثير من المحزوم والبضاعة ، وتأتون بها من غير جمرك ولا عشور ، فوقع لكم ذلك قصاصا ببركة جدى لأنى شريف ! وأنتم أكلتم حقى » .

فأجابه بعضهم — وهو السيد باكير — وقال له : « يا مولانا الوزير ، جرت العادة أن التجار يفعلون ذلك ، ويقولون ما أمكنهم . وعلى الحاكم التفتيش والفحص ! » .

فاغتاظ من جوابه ، وقال : « انظروا هذا ... كيف يجاوبنى ويشافهنى ، ويرد علىّ الكلام والخطاب ! ما رأيت مثل أهل هذه البلدة ، ولا أقل حياء منهم ! » وصارت يده ترتعش من الغيظ ، وخرجوا من بين يديه آيسين .. والحاضرون يلطفون له القول ويأخذون بخاطره ، وهو لا ينجلى عنه الغيظ ، وهو يقول : « كيف أن مثل هذا العامى السوقى يرد علىّ هذا الجواب ؟! ولولا خوفى من الله لفعلت به وفعلت .. » . فلو قال له أن حقك هذا الذى تدعيه مكس وظلم ، أو نحو ذلك .. لقتله بالفعل ... والأمر لله وحده !

وانفصل الأمر على ذلك .

السبت ٨ منه (١٢ يولية ١٧٨٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسينى على العادة .

الثلاثاء ١١ منه (١٥ يولية ١٧٨٨ م) :

فى ثالث ساعة من الليل ، حصلت زعجة عظيمة ، وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس . وأشيع أن الأمراء القبليين عدوا الى جهة الشرق ، وركب الوالى والأغا ، وصاروا يفتحون الدروب بالعتالات ، ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى العرضى وباتوا بقية الليل فى كركبة عظيمة ، وأصبح الناس هائجين ، والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج ، وظن الناس هجوم القبليين ودخولهم المدينة .

فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة ، وأصبحت القضية باردة : وظهر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس فى غفلة من الليل ؛ فسبق العين بالخبر ، فوقع ماذكر . فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة ، وشرعوا فى بناء متاريس ، ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق ؛ ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ماعدا اسماعيل بيك ، فانه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحج .

السبت ٢٢ منه (٢٦ يولية ١٧٨٨ م) :

خرج سليم بيك أمير الحج بموكب المحمل . وكان مثل العام الماضى فى قلة ، بل أقل ، بسبب اقامة الأمراء بالمتاريس .

ذو القعدة

١ منه (٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

فى ذلك اليوم رسموا بنفى سليمان بيك الشابورى الى المنصورة ، وتقاسموا بلاده .

وفيه : رجع الأمراء من المتاريس الى مصر

القديمة كما كانوا ، ولم يبق بها الا المرابطون قبل ذلك .

٢ منه (٤ اغسطس ١٧٨٨ م) :

ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسى ، بسبب الجراية ، وقفلوا فى وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب ، بعد كلام وصياح ، ومنعوه من الخروج ، فرجع الى رواق المغاربة ، وجلس به الى الغروب . ثم تخلص منهم وركب الى بيته . ولم يفتحوا الجامع ، وأصبحوا فخرجوا الى السوق ، وأمروا الناس بغلق الدكاكين ، وذهب الشيخ الى اسماعيل بيك وتكلم معه فقال له :

« أنت الذى تأمرهم بذلك وتريدون بذلك تحريك الفتن علينا ، ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون » فتبرأ من ذلك ، فلم يقبل .

وذهب أيضا ، وصحبته بعض المتعممين ، الى الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فقال الباشا مثل ذلك ، وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ، ليؤدبهم وينفيهم ، فمانعوا فى ذلك ، ثم ذهبوا الى على بيك الدفتردار — وهو الناظر على الجامع — فتلافى القضية ، وصالح اسماعيل بيك ، وأجروا لهم الأخباز بعد مشقة وكلام من جنس ماتقدم ، وامتنع الشيخ العروسى من دخول الجامع أياما ، وقرأ درسه بالصالحية .

١٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٨٨ م) :

أو فى النيل أذرعه ، وركب الباشا فى صبحها ، وكسر سد الخليج .

٢٠ منه (٢٢ اغسطس ١٧٨٨ م) :

انفتح سد ترعة مويس ، فأحضر اسماعيل بيك ، عمر كاشف الشعراوى — وهو الذى كان تكفل بها ، لأنه كاشف الشرقية — ولامه ، ونسبه للتقصير فى تمكينها ، وألزمه بسدها .. فاعتذر بعدم الامكان ، وخصوصا وقد عزل من المنصب ، وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد . فاغتاظ منه ، وأمر بقتله . فاستجار برضوان كتخدا مستحفظان ، فشفع فيه ، وأخذه عنده ، وسعى فى جريمته ، وصالح عليه .

٢١ منه (٢٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

أحضروا سليمان بيك الشابورى من المنصورة .

ذوالحجة

الثلاثاء غرته (٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق ، يشتمل أحدهما على واحد وعشرين مدفعا ، والثانى أقل منه ، اشتراهما اسماعيل بيك .

وفيه : زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب .

الاثنين ١٤ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، وتشاوروا فى خروج تجريدة ، وشاع الخبر بزحف القبليين .

الأربعاء ١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، جمع به سائر الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، بسبب شخص الجى ، حضر بمكاتبات من قزال الموسقو . ولحضوره نبأ ينبغى ذكره ، كما نقل الينا ، وهو : أن قرال الموسقو لما بلغه حركة العثملى فى ابتداء الأمر على مصر ، أرسل مكاتبة الى أمراء مصر ، على يد القنصل المقيم بثغر الاسكندرية ، يحذرهم من ذلك ، ويحضهم على تحصين الثغر ، ومنع حسن باشا من العبور . فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم ، وأطلعهم على ذلك فأهملوه ، ولم يلتفتوا اليه ، ورجع من غير رد

جواب . وورد حسن باشا ، فعند ذلك انتبهوا ، وطلبوا القنصل ، فلم يجدوه ، وجرى ما جرى ، وخرجوا الى قبلى ، وكاتبوا القنصل ، فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجانا واجتمع بهم ورجع .

وصادف وقوع الواقعة بالمنشية فى السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين ، وشاع الخبر فى الجهات بعودهم .

وقد كان أرسل لنجدتهم عسكرا من قبله ومراكب ومكاتبات صحبة هذا الألجى ، فحضر الى ثغر دمياط فى أواخر رمضان ، فرأى انعكاس الأمر ، فعربد بالثغر وأخذ عدة تقاير ، ورجع الى مرساه وأقام بها ، وكاتب قراله وعرفه صورة الحال . وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضا ، وان العثمنلى لم يزل مقهورا معهم . فأجمع رأيه على مكاتبة المستقرين وامدادهم ، فكتب اليهم وأرسلها صحبة هذا الالجى ، وحضر الى دمياط ، وأنفذ الخبر سرا بوصوله ، وطلب الحضور بنفسه ، فأعلموا الباشا بذلك سرا وأرسلوا اليه بالحضور .

فلما وصل الى شلقان ، خرج اليه اسماعيل بيك فى تطريدة كأن لم يشعر به أحد ، واعد له منزلا ببولاق ، وحضر به ليلا وأنزله بذلك القناق . ثم اجتمع به صحبة على بيك ، وحسن بيك ، ورضوان بيك ، وقرأوا المكاتبات بينهم . فوصل اليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا ، وطلبوا ذلك الألجى عند الباشا .. وذلك باشارة خفية بينهم وبين الباشا ، فركبوا معه الى قصر العينى ، وأرسل الباشا فى تلك الليلة التنابيه لحضور الديوان فى صبحها . فلما تكاملوا ، أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت فى المجلس ، والترجمان يفسرها بالعربى ، وملخصها : « خطابا الى الأمراء المصرية .. بانه بلغنا صنع ابن عثمان الخائن الغدار معكم ، ووقوع الفتن فيكم ، وقصده أن بعضكم يقتل بعضا ، ثم لايبقى على من يبقى منكم ، ويملك بلادكم ، ويفعل بها عوائده من الظلم والجور والخراب . فانه لايضع قدمه فى قطر الا ويعمه الدمار والخراب . فتيقظوا لأنفسكم ، واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية ، وارفعوا بنديرتنا ، واختاروا لكم رؤساء منكم ، وحصنوا ثغوركم ، وامنعوا من يصل اليكم منهم .. الا من كان بسبب التجارة ، ولا تخشوه فى شىء ، فنحن نكفيكم مؤنته ، وانصبوا من طرفكم حكاما بالبلاد الشامية كما كانت فى السابق ، ويكون لنا أمر بلاد الساحل ، والواصل لكم كذا وكذا مركبا ، وبها من كذا العسكر والمقاتلين . وعندنا من المال والرجال ما تطلبون ، وزيادة على ما تظنون » .

فلما قرىء ذلك ، اتفقوا على ارسالها الى الدولة ، فأرسلت فى ذلك اليوم ، صحبة مكاتبة من الباشا والأمراء ، وأنزلوا ذلك الألجى فى مكان بالقلعة مكرما ..

الاثنين ٢١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهة قبلى ، وأبقوا اثنين ، وأرسلوا بها عثمان بيك طبل الاسماعيلى وعساكر رومية . والله أعلم .

* * *

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، أحد المتصدرين ، وأوحد العلماء المتبحرين ، حلال المشكلات ، وصاحب التحقيقات ، الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكى الأزهرى .

ولد بالجدية فى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف — وهى قرية قرب رشيد وبها نشأ .

وقدم الجامع الأزهر ، لتفقه على بلديه الشيخ شمس الدين محمد الجداوى ، وعلى الفقه المالكية فى عصره : السيد محمد بن محمد السلامونى ، وحضر على الشيخ على خضر العمروسى ، وعلى

السيد محمد البليدى والشيخ على الصعيدى . أخذ عنهم الفنون بالاتقان ، ومهر فيها حتى عد من الأعيان ، ودرس فى حياة شيوخه وأفتى .

وهو شيخ بهى الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجة ، شديد العارضة ، يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه الرائق . وحلقة درسه عليها الخفر ، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر .

وكان ينزل الى بلده الجدية فى كل سنة مرة ، ويقيم بها أياما ، ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم ومواريثهم ، ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة الى حضوره ، ولا يثقون الا بقوله ... ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك مايكفى عياله الى قابل ... مع الحشمة والعفة ...

* * *

ومات الامام العالم العلامة ، الفقيه المحدث النحوى ، الشيخ حسن الكفراوى الشافعى الأزهرى .

ولد ببلدة كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى . فقرأ القرآن ، وحفظ المتون بالمحلة ، ثم حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت — مثل الشيخ أحمد السجاعى والشيخ عمر الطحلاوى والشيخ محمد الحفنى والشيخ على الصعيدى — ومهر فى الفقه والمعقول ، وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره .

ولازم الاستاذ الحنفى ، وتداخل فى القضايا والدعاوى ، وفصل الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ، ونما أمره ، وراش جناحه ، وتجمل بالملابس وركوب البغال ، وأحدق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوى بحارة الشنوانى — بعد موت ابنه سدى على — فزادت شهرته ، ووفدت عليه الناس ، وأطعم الطعام ، واستعمل مكارم الأخلاق

... ثم تزوج بنت المعلم درع الجزار بالحسينيه ، وسكن بها ، فجيش عليه أهل الناحية ، وأهل النجدة والزعارة والشطارة ، وصار له بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده .. ولو من الحكام .

وتردد الى الأمير محمد بيك أبى الذهب قبل استقلاله بالامارة ، وأحبه وحضر مجالس دروسه فى شهر رمضان بالمشهد الحسينى . فلما استبد بالأمر لم يزل يراعى له حق الصحبة ، ويقبل شفاعته فى المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان فى أى وقت أراد ... فزادت شهرته ، ونفذت أحكامه وقضاياه .

واتخذ سكنا على بركة جناق أيضا .

ولما بنى محمد بيك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رآسة التدريس والافتاء ومشيخة الشافعية ، وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور وقصر عليهم الافتاء ، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم بظاهر الميضأة بجوار التكية التى جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصة من النهار فى ضحوة كل يوم للافتاء بعد القائهم دروس الفقه . ورتب لهم مايكفيهم ، وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات ... فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ، ونوه بشانه عند الأمراء والناس ، وأبرزه لهم فى قالب الولاية ، وجعل شعوذته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات .. الى أن اتضح أمره ليوسف بيك ، فتحامل عليه وعلى قرينه الشيخ المترجم من أجله ، ولم يتمكن من ايذائهما فى حياة سيده .

فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه فى بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والافتاء ... فانكسف باله ، وخمد مشعال

ظهوره بين أقرانه الا قليـلا ... حتى هلك يوسف بيك قبل تمام الحول ، ونسيت القضـية ، وبطل أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله .. لا كالأول .

ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورا وتعلل ، وذلك فى عشرين شعبان من السنة .

ومن مؤلفاته اعراب الآجرومية ، وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة .

وكان قوى البأس ، شـديد المراس ، عظيم الهمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظائم ، يغلب على طبعه حب الرياسـة ، والحـكم والسياسة ، ويحب الحركة بالليل والنهـار ، ويمل السـكون والقرار . . وذلك ممـا يورث الخلل ، ويوقع فى الزلل ..

فان العـلم اذا لم يقرن بالعمل ، ويصـاحبه الخـوف والوجل ، ويجمـل بالتقـوى ، ويزين بالعفاف ، ويحل باتباع الحق والانصاف ... أوقع صاحبه فى الخذلان ، وصيره مثلة بين الأقران ..

اللهم الطف بنا ، ووفقنا ، وارحمنا ، وأحسن عاقبتنا ، وقنا ، واكفنـا شر أنفسـنا ، يا أرحـم الراحمين ، اللهم آمين .

* * *

ومات أيضا العلامة الأديب ، واللوذعى اللبيب ، المتقن المتفنن ، الشـيخ محمـد بن على المعروف بالشافعى التونسى ، نزيل مصر .

ولد بتونس سـنة ١١٥٢ ، ونشـأ فى قراءة القرآن وطلب العلم . وقدم الى مصر سنة ١١٧١ ، وجاور بالأزهر برواق المغـاربة ، وحضر علمـاء العصر فى الفقة والمعقولات ، ولازم دروس الشيخ على الصعيدى وأبى الحسن القلعى التونسى شيخ الرواق .

وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر ، وتخلق بأخلاقهم ، وطالع كتب التاريخ والأدب ، وصار له ملكة فى استحضار المناسبات الغريبة والنـكات ، وتزوج وتزيا بزى أولاد البلد ، وتحلى بذوقهم ، ونظم الشعر الحسن ...

* * *

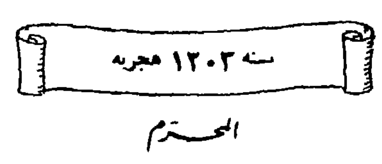
ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق الشيخ مصطفى بن جاد .

ولد بمصر ، ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباى . ورغب فى صناعة تجليد الكتب وتذهيبها، فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدوسى حتى مهر فيها ، وفاق أستاذه ، وأدرك دقائق الصنعة والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والأصباغ الملونة ، والرسم والجـداول والأطباع وغير ذلك .

وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار . مثل الدقدوسى وعثمان افندى ابن عبدالله — عتيق المرحوم الوالد — والشيخ محمد الشناوى .

وكان لطيف الذات ، خفيف الروح ، محبوب الطباع ، مألوف الأوضاع ، ودودا مشفقا ، عفيفا صالحا ...

ولم يزل مقبـلا على شأنه ، قانعـا بصناعته ، يستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، الى أن وافاه الحمام ... عوضنا الله فيه خيرا ، فانه كان بى رءوفا ، وعلى شفيقا ، ولا يصبر عنى يوما كاملا ، مع حسن العشرة والمودة والمحبة ... لا لغرض من الأغراض .. ولم أر بعده مثله (١) .



سنه ١٢٠٣ هجريه

المحـرم

الخميس اوله (٢ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

فيه : زاد اجتهاد اسماعيل بيك فى البناء عنـد

(١) ان الجبرتى ، وقد انطلق يوفى الصداقة حقها ، لم يستطع ان يحبس قلمه من الانطلاق فى وصف مكارم الاخلاق ، التى ما اجتمعت لصانع الا وفقه الله فاصبح فى عمله فنانا ، يذكر فنه وفضله بعد حين اشرف على قرنين من الزمان ...

طرا ، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر ، وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل ، وأنشأ حيطانا وأبراجا وكرانك ، وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبل ، وأخرج اليها الجبخانة والذخيرة وغير ذلك .

الجمعة ٩ منه (١٠ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر عثمان كتخدا عزبان الى اسلامبول بعرضحال بطلب عسكر ، واذن باقتطاع مصاريف من الخزينة .

السبت ٢٤ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر اسماعيل باشا باش الأرنؤود بجماعته ، ولحقوا بالغلايين ... والجماعة القبليون متترسون بناحية الصول ، وعاملون سبعة متاريس ، والمراكب وصلت الى أول متراس ، فوجدوهم مالكين مزم الجبل ، فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ، ومدافع المراكب لا تصيبهم ، وهم ممتنعون بأنفسهم الى فوق . وانخرقت المراكب عدة مرات ، وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكبس على المتراس الأول ، فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع ، فقتل من طائفة المغاربة جماعة ، وهرب الباقون ، ونصبت رءوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب .

الاثنين ٢٦ منه (٢٧ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر أيضا عثمان بيك الحسنى ، وامتنع ذهاب السفار وايابهم الى الجهة القبلية ، وانقطع الوارد ، وشطح سعر الغلة . وبلغ النيل غايته فى الزيادة ، واستمر على الأراضى من غير نقص الى آخر شهر بابة القبطى ... وروى جميع الأراضى

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

حضر سراج من عند القبليين ، وعلى يده مكاتبات بطلب صلح ، وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التى عينها لهم حسن باشا ، ويقومون بدفع المال والغلال للميرى ، ويطلقون السبل للمسافرين والتجار ... فانهم سئموا من طول المدة ، ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم ، فلم يخرجوا اليهم ... فلا يكونون سببا لقطع أرزاق الفقراء والمساكين .

فكتبوا لهم أجوبة للاجابة لمطلوبهم ، بشرط ارسال رهائن ، وهم : عثمان بيك الشرقاوى ، وابراهيم بيك الوالى ، ومحمد بيك الألفى ، ومصطفى بيك الكبير .

ورجع الرسول بالجواب ، وصحبته واحد بشلى من طرف الباشا .

صفر

غرته (١ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر جماعة مجاريح .

فى ٢ منه (٢ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر المرسال الذى توجه بالرسالة ، وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين ، والبشلى وآخر من طرف اسماعيل باشا الأرنؤودى ، وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بارسال رهائن . ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتخدا باب التفكجية ، وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك .. فامتنعوا من ذلك ، وقالوا من جملة كلامهم :

« لعلكم تظنون أن طلبنا فى الصلح عجز ، أو أننا محصورون ، وتقولون بينكم فى مصر : انهم يريدون بطلب الصلح التحيل على التعدية الى البر الغربى ، حتى يملكوا الاتساع . واذا قصدنا ذلك أى شيء يمنعنا فى أى وقت شئنا ؟ . وحيث كان الأمر كذلك ، فنحن لانرضى الا من حد أسيوط ، ولا نرسل رهائن ، ولا نتجاوز محلنا » .

فى ٧ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

فلما رجع الجواب بذلك ، أرسل الباشا فرمانا الى

اسماعيل باشا بمحاربتهم ، فبرز اليهم بعساكره ، وجميع العسكر التى بالمراكب ، وحملوا عليهم حملة واحدة .

٨ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

أخلوا لهم ، وملكوا منهم متراسين ، فخرج عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمه . فقتل من العساكر جملة كبيرة .

٩ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٨ م) .

ثم وقع الحرب بينهم ، واستمرت المدافع تضرب بينهم من الجهتين ، والحرب قائمة بينهم سجالا ، وكل من الفريقين يعمل الحيل وينصب الشباك على الآخر . ويكمن ليلا فيجد الرصد ، ولم تنفصل بينهم الحرب على شيء .

منتصفه (١٥ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

شرع اسماعيل بيك فى عمل تفريدة على البلاد ، ففرروا الأعلى عشرين ألف فضة ، والأوسط خمسة عشر ، والأدنى خمسة آلاف . وذلك خلاف حق الطرق وما يتبعها من الكلف ، وعمل ديوان ذلك فى بيت على بيك الدفتردار بحضرة الوجاقلية ، وكتبت دفاترها وأوراقها فى مدة ثلاثة أيام .

ربيع الأول

مستهله (٣٠ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

الحال على ما هو عليه . وحضر رسول من القبليين بطلب الصلح ، ويطلبون من حد أسيوط الى فوق شرقا وغربا ، ولا يرسلون رهائن . ووصل ساع من ثغر الاسكندرية بالبشارة لاسماعيل كتخدا حسن باشا بولاية مصر ، وأن اليرق والداقم وصل ، والقبجى والكتخدا ، وأرباب المناصب وصلوا الى الثغر ، فردهم الريح عندما قربوا من المرساة الى جهة قبرص ، فشرع عابدى باشا فى نقل متاعه من القلعة .

ولما حضر الرسول بطلب الصلح رضى المصرلية بذلك ، وأعادوه بالجواب .

٤ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر أحمد آغا ، أغات الجمالية المعروف بشويكار ، لتقرير ذلك . فعمل عابدى باشا ديوانا اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية ، وتكلم أحمد آغا ، وقال :

« نأخذ من أسيوط الى قبلى شرقا وغربا بشرط أن ندفع ميرى البلاد من المال والغلال ، ونطلق سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب ... وكذلك أنتم لاتمنعون عنا الواردين بالاحتياجات الا ما كان من آلة الحرب ... فلكم منعه .

« وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح ، نكتب عرض محضر منا ومنكم الى الدولة ، وننظر مايكون الجواب . فان حضر الجواب بالعفو لنا ، أو تعيين أماكن لنا .. لانخالف ذلك ، ولا نتعدى الأوامر السلطانية ، بشرط أن ترسلوا لنا الفرمان الذى يأتى بعينه نطلع عليه » .

فأجيبوا الى ذلك كله ، ورجع أحمد آغا بالجواب صبيحة ذلك اليوم ، صحبة عبد الله جاويش ، وشهر حوالة والشيخ بدوى من طرف المشايخ .

وحصر فى أثر ذلك مراكب غلال ، وانحلت الأسعار ، وتواجدت الغلال بالرقع ، وكثرت بعد انقشاعها .

ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا فى عمل جسر على البحر ، من مراكب مرصوصة ممتدة من البر الشرقى الى البر الغربى ، وثبتوه وسمروه بمسامير ورباطات ، وثقلوه بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر ، وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية . ورجعت المراكب ،

وصحبتها العسكر المحاربون ، واسماعيل باشا الأرنؤودى ، وعثمان بيك الحسنى ، والقليونجية وغيرهم ، وأشيع تقرير الصلح وصحته .

١٠ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

أخبر بعض الناس قاضى العسكر ، أن بمدفن السلطان الغورى ، بداخل خزانة فى القبة ، آثارا للنبى صلى الله عليه وسلم : وهى قطعة من قميصه وقطعة عصا ، وميل . فأحضر مباشر الوقف ، وطلب منه احضار تلك الآثار ، وعمل لها صندوقا ووضعها فى داخل بقجة ، وضمخها بالطيب ، ووضعها على كرسى ، ورفعها على رأس بعض الأتباع ، وركب القاضى ، والنائب ، وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه ، يجهرون بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها فى داخل الصندوق ، ورفعوها فى مكانها بالخزانة .

١٧ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شهر حوالة ، وعبد الله جاويش ، وأخبروا بانهم لما وصلوا الى الجماعة ، تركوهم ستة أيام حتى ، تمموا شغل الجسر ، وعدوا عليه الى البر الغربى ، ثم طلبوهم ... فعدوا اليهم ، وتكلموا معهم ، وقالوا لهم :

« ان عابدى باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة ، وتكفل لنا بكامل الأمور . ولكن بلغنا فى هذه الأيام أنه معزول من الولاية ... وكيف يكون معزولا ونعقد معه صلحا ؟ ... هذا لا يكون الا اذا حضر اليه مقرر ، أو تولى غيره يكون الكلام معه » .

وكتبوا اليه جوابات بذلك ، ورجع بها الجماعة المرسلون ، وأشيع عدم التمام ... فاضطربت الأمور ، وارتفعت الغلال ثانيا ، وغلا سعرها ، وشح الخبز من الأسواق .

١٩ منه (١٨ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا جمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية والقاضى ، فتكلم الباشا ، وقال : « انظروا ياناس ! هؤلاء الجماعة ماعرفنا لهم حالا ، ولا دينا ، ولا قاعدة ، ولا عهدا ، ولا عقدا .... انا رأينا النصارى اذا تعاقدوا على شىء لا ينقضونه ، ولا يختلون عنه بدقيقة . وهؤلاء الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب ، وأننا أجبناهم الى ما طلبوا ، وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة ، وهى من ابتداء أسيوط الى منتهى النيل شرقا وغربا . ثم انهم نكثوا ذلك ، وأرسلوا يحتجون بحجة باردة . واذا كنت أنا معزولا ، فان الذى يتولى بعدى لا ينقض فعلى ، ولا يبطله . ويقولون فى جوابهم : نحن عصاة وقطاع طريق ... وحيث أقروا على أنفسهم بذلك ، وجب قتالهم أم لا ؟ » .

فقال القاضى والمشايخ : « يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان » .

فقال : « اذا كان الأمر كذلك ، فانى أكتب لهم مكاتبه ، وأقول لهم : اما أن ترجعوا وتستقروا على ما وقع عليه الصلح ، واما أن أجهز لكم عساكر ، وأنفق عليهم من أموالكم ، ولا أحد يعارضنى فيما أفعله ... والا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ، ولو من غير أمر الدولة ! » .

فقالوا جميعا : « نحن لا نخالف الأمر » .

فقال : « أضع القبض على نسائهم وأولادهم ودورهم ! وأسكن نساءهم وحريمهم فى الوكائل ، وأبيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم ، وأجمع ذلك جميعه ، وأنفقه على العسكر . وان لم يكفه ذلك ... تممته من مالى » .

فقالوا : « سمعنا وأطعنا » .

وكتبوا مكاتبة خطابا لهم بذلك ، وختم عليها الباشا والأمراء وأرسلوها .

٢٣ منه (٢٢ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ونادى فى الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة للأمراء القبليين يردها لأربابها ، فان ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شيء استحق العقوبة . وكل ذلك تدبير اسماعيل بيك .

٢٥ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر هجان وباش سراجين ابراهيم بيك ، وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ... فعمل الباشا ديوانا فى صبحها ، وذكروا المراسلة ... وضمن الباشا غائلتهم ، وضمن المشايخ غائلة اسماعيل بيك وكتبوا محضرا بذلك وختموا عليه ، وأرسلوه صحبة مصطفى كتخدا باش اختيار عزبان ... وتحقق رفع الجسر ، وورود بعض المراكب ، وانحلت الأسعار قليلا .

ربيع الآخر

فى مستهله (٣٠ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شيخ السادات الى بيته الذى عمره بجوار المشهد الحسينى ، وشرع فى عمل المولد ، واعتنى بذلك . ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ، ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين . وأحدثوا سيارات وأشاير ومواكب ، وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا وزمورا ... واستمر ذلك خمسة عشر يوما وليلة .

٤ منه (٢ يناير ١٧٨٩ م) :

حضر عابدى باشا باستدعاء الشيخ له ، فتغدى ببيت الشيخ ، وصلى الجمعة بالمسجد ، وخلع على الشيخ وعلى الخطيب . ثم ركب الى قصر العينى .

وفيه : وصل ططرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا فى صبحها ديوانا بقصر العينى ، وقرئت المرسومات ، فكان مضمون أحدها : تقريرا لعابدى باشا على ولاية مصر ، والثانى : الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين ، وابعادهم من القطر المصرى . والثالث : بطلب الافرنجى المرهون الى الديار الرومية .

فلما قرىء ذلك ، عمل عابدى باشا شنكا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة ، وانكسف بال اسماعيل كتخدا ، بعد أن حضر اليه المبشر بالمنصب ، وأظهر البشر والعظمة ، وأنفذ المبشرين ابلا الى الأعيان ، ولم يصبر الى طلوع النهار ، حتى أنه أرسل الى محمد أفندى البكرى المبشر فى خامس ساعة من الليل ، وأعطاه مائة دينار ، وحضر اليه الأمراء والعلماء فى صبحها للتهنئة . وثبت ذلك عند الخاص والعام . ونقل عابدى باشا عزاله وحريمه الى القلعة .

١٢ منه (١٠ يناير ١٧٨٩ م) :

رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلى ، وبيده جوابات ، وأخبر أن ابراهيم بيك الكبير ترفع الى قبلى ، وصحبته ابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك الأغا ، وأيوب بيك . وملخص الجوابات : أنهم طالبون من حد المنيا .

١٤ منه (١٢ يناير ١٧٨٩ م) :

عمل الباشا ديوانا حضرة المشايخ والأمراء ، فلم يحصل سوى سفر الأفرنجى .

فى اواخره (اواخر يناير ١٧٨٩ م) :

حضر سراج باشا ابراهيم بيك ، وبيده جوابات ، يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك ، وكتبت لهم جوابات بذلك ، وسافر السراج المذكور .

جمادى الأولى

غرته (٢٨ يناير ١٧٨٩ م) :

قلدوا غيطاس بيك امارة الحج .

فى ٣ منه (٣٠ يناير ١٧٨٩ م) :

وصل ططريون من البر على طريق دمياط بمكاتبات ، مضمونها : ولاية اسماعيل كتخدا حسن باشا على مصر ، وأخبروا أن حسن باشا دخل الى اسلامبول فى ربيع الأول ، ونقض ما أبرمه وكيل عابدى باشا ، وألبس قابجى كتخدا اسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الآخر .

وتعين قابجى الولاية ، وخرج من اسلامبول بعد خروج الطظر بيومين . وحضر الطظر فى مدة ثلاثة وعشرين يوما فلما وصل الططر ، سر اسماعيل كتخدا سرورا عظيما ، وأنفذ المبشرين الى بيوت الأعيان .

وفيه : ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنيا ، وسافر رضوان بيك الى المنوفية ، وقاسم بيك الى الشرقية ، وعلى بيك الحسنى الى الغربية .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٧٨٩ م) :

جمع اسماعيل بيك الأمراء والوجاقلية ، وقال لهم : يا اخواننا ، ان حسن باشا أرسل يطلب منى باقى الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فأحضروا حسن افندى شقبون ، افندى الديوان ، وحسبوا الذى طرف اسماعيل بيك وجماعته ، فبلغ ثلثمائة وخمسين كيسا . وطلع على طرف حسن بيك وأتباعه نحو أربعمائة كيس ، وعلى طرف على الدفتردار مائة وستين كيسا .

وكانوا أرسلوا الى على بيك ، فلم يأت . فقال لهم حسن بيك : « أى شىء هذا العجب ؟ ! والأغراض بلاد على بيك فارسكور ، وبرمبال وسرس الليانة حلوانهم قليل ! » .

وزاد اللغط والكلام ، فقام من بينهم اسماعيل بيك ونزل وركب الى جزيرة الذهب .. وكذلك حسن بيك خرج الى قبة العزب ، وعلى بيك ذهب الى قصر الجلفى بالشيخ قمر .. وأصبح على بيك فركب الى الباشا ، ثم رجع الى بيته .

ثم ان على بيك قال : لابد من تحرير حسابى ، وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا الى وقتنا ، وما صرفته على أمير الحج تلك السنة .

وادعى أمير الحج — الذى هو محمد بيك المبدولى — ببواق ، ووقع على الجداوى . فاجتمعوا ببيت رضوان كتخدا — تابع المجنون — وحضر حسن ، كتخدا على بيك ، وكيلا عن مخدومه ، ومصطفى أغا الوكيل وكيلا عن اسماعيل بيك . وحرروا الحساب .. فطلع على طرف على بيك ثلاثة وعشرون كيسا ، وطلع له بواق فى البلاد نيف وأربعون كيسا .

جمادى الآخرة

فى مستهله (٢٧ فبراير ١٧٨٩ م) :

حضر فرمان من الدولة بنفى أربعة أغوات ، وهم : عريف أغا ، وعلى أغا ، وادريس أغا ، واسماعيل أغا ... فحنق لذلك جوهر — أغا دار السعادة — وشرع فى كتابة مرافعة .

١٠ منه (٨ مارس ١٧٨٩ م) :

وصل فرمان لاسماعيل كتخدا وخوطب فيه بلفظ الوزارة ..

١١ منه (٩ مارس ١٧٨٩ م) :

عمل اسماعيل باشا المذكور ديوانا فى بيته بالأزبكية . وحضر الأمراء والمشايخ ، وقرأوا المكاتبة . وفيها الأمر بحساب عابدى باشا .

وبعد انفضاض الديوان ، أمر الروزنامجى والأفندية بالذهاب الى عابدى باشا ، وتحرير حساب الستة أشهر ، من أول توت الى برمهات ،

لأنها مدة اسماعيل باشا ، وما أخــذوه زيادة عن عوائده . وأخذ منــه الضربخانة ، وســلمها الى خازنداره ، وقطعوا راتبه من المذبح .

وفى عصريتها : أرسل الى الوجاقلية والاختيارية. فلمــا حضروا قال لهم اسماعيل باشا : بلغنى أنكم جمعتم ثمانمائة كيس ، فما صنعتم بها ؟ فقــالوا : دفعناها الى عابدى باشا ، وصرفها على العسكر . فقال : لأى شيء ؟ قالوا :لقتل العدو . قال : والعدو قتل ؟ قالوا : لا . قال : حينئذ اذا احتاج الحال ، ورجع العدو ، أطلب منكم كذلك قدرها ! قالوا : ومن أين لنا ذلك ؟ قال : اذن اطلبوها منه ،واحفظوها عندكم فى باب مستحفظان لوقت الاحتياج !

وفيه : تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بيك بمنفلوط ، وبنى له بها دارا ، وصحبته أيوب بيك . وأما مراد بيك وبقيــة الصــناجق ، فانهم ترفعوا الى فوق .

١٢ منه (١٠ مارس ١٧٨٩ م) :

حضر حسن كتخدا الجربان من الروم. وكان اسماعيل بيك أرسل يتشفع فى حضوره بسعاية محمــد أغا البارودى ، وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة ، لأنه مملوك حسن بيك أبى كرش ، وحسن بيك مملوك سليمان أغا كتخدا الجاويشية . ولما حضر أخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شــنق قلعة منفيين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالى الى بعض متكلمى الدولة — مثــل القزلار ، وخــلافه — بالسعى لهم فى طلب العفو .

فلما حضر حسن باشا ، وبلغه ذلك ، نفــاهم وأسقط رواتبهم . وكانوا فى منزلة واعزاز ، ولهم رواتب وجمكية : لكل شخص خمسمائة قرش فى الشهر .

فى ٢٠ منه (١٨ مارس ١٧٨٩ م) :

تحرر حســاب عابدى باشا ، فطلع لاسماعيل باشا نحو ستمائة كيس ، فتجاوز له عن نصفها ، ودفع له ثلاثمائة كيس ، وطلع عليه لطرف الميرى نحوها ، أخذوا بها عليه وثيقة ، وسامحه الأمراء من حسابهم معه ، وهادوه وأكرموه ، وقدموا له تقادم ، وأخذ فى أسباب الارتحال والسفر ، وبرز خيامه الى بركة الحج .

فى أواخره (أواخر مارس ١٧٨٩ م) :

ورد الخبر مع السعاة بوصول الأطواخ لاسماعيل باشا ، والبرق والداقم الى ثغر الاسكندرية .

رجب

الاثنين ٣ منه (٣٠ مارس ١٧٨٩ م) :

سافر عابدى باشا من البر على طريق الشــام الى ديار بكر ، ليجمع العساكر الى قتال الموسقو ، وذهب من مصر بأموال عظيمة ، وســافر صحبته اسماعيل باشا الأرنؤودى ، وأبقى اسماعيل باشا من عسكر القليونجية والأرنؤودية من اختــارهم لخدمته ، وأضافهم اليه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا ، فابتهج لذلك ، وأمر بعمل شنك وحراقة ببركة الأزبكية . وحضر الأمراء الى هنــاك ، ونصــبوا صــوارى وتعاليق ، وعملوا حراقة ووقدة ليلتين .

الجمعة ١٤ منه (١٠ ابريل ١٧٨٩ م) :

ركب الباشا وذهب الى مقابر الامام الشافعى .. فزاره ، ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر . ونودى فى ليلتها على الموكب .

السبت ١٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٩ م) :

فى صبحه خرج الأمراء والوجاقليــة والعساكر

الرومية والمصرلية، واجتمع الناس للفرجة . وانتظم الموكب أمامه ، وركب بالشعار القديم ، وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس، وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية . وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيلشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد ؛ وشق القاهرة فى موكب عظيم .

ولماطلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج .

وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم ، وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقلعة ... حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم، وهم مستبشرون بذلك .

وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطى .

الثلاثاء ١٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٩ م) :

عمل الديوان . وطلع الأمراء والمشايخ ، وطلع الجم الكثير من الفقهاء ، ظانين وطامعين فى الخلع . فلما قرىء التقرير فى الديوان الداخل ، خلع على الشيخ العروسى والشيخ البكرى والشيخ الحريرى والشيخ الأمير ، والأمراء الكبار فقط .

ثم ان اسماعيل بيك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال : « تفضلوا يا أسيادنا ، حصلت البركة » ، فقاموا وخرجوا .

الخميس ٢٠ منه (١٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة ، وتنقيص الأسعار ، فنقصوا سعر اللحم نصف فضة ؛وجعلوا الضانى : بستة أنصاف ، والجاموسى بخمسة ، فشح وجوده بالأسواق ، وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ، ونزل سعر الغلة الى ثلاثة ريال ونصف الأردب ، بعد تسعة ونصف .

الخميس ٢٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٩ م) :

ورد مرسوم من الدولة ، فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم ، وقرأوه . وفيه :

الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو ، فانهم تغلبوا ، واستولوا على قلاع ، ومدن عظيمة من مدن المسلمين ، وكذلك يدعون له بعد الأذان فى كل وقت . وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرأون البخارى فى كل يوم ، ورتب لهم فى كل يوم مائتين نصف فضة ، لكل مدرس عشرون نصفا من الضربخانة ، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان .

وفيه : شرع الباشا فى تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة .

الأحد ٣٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

حضر الشيخ العروسى والمشايخ ، وجلسوا فى القبلة القديمة جلوسا عاما ، وقرأوا أجزاء من البخارى ، واستداموا على ذلك بقية الجمعة .

وقرر اسماعيل بيك أيضا عشرة من الفقهاء كذلك يقرأون أيضا البخارى نظير العشرة الأولى . وحضر الصناع وشرعوا فى البياض والدهان وجلاء الأعمدة ، وبطل ذلك الترتيب .

شعبان

فى ٢ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٩ م) :

نودى بابطال التعامل بالزيوف المغشوشة ، والذهب الناقص ، وان الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج . واذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط ، يكون بطالا ، ولا يتعامل به ، وانما يباع لليهود الموردين بسعر

المصاغ الى دار الضرب ، ليعاد جديدا ، فلم يمتثل الناس لهذا الأمر ، ولم يوافقوا عليه ، واستمروا على التعامل بذلك فى المبيعات وغيرها ، لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر ، واذا بيع على سعر المصاغ ، خسروا فيه قريبا من النصف ، فلم يسهل بهم ذلك ، ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم

وفى أوائله أيضا : تواترت الأخبار بموت السلطان عبد الحميد فى الحادى عشر من رجب ، وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه ، وهو السلطان سليم خان ، وعمره نحو الثلاثين سنة .

وورد فى اثر الاشاعة ، صحبة التجار والمسافرين، دراهم وعليها اسمه وطرته ، ودعى له فى الخطبة أول جمعة فى شعبان المذكور .

الثلاثاء ٩ منه (٥ مايو ١٧٨٩ م) :

حضر على بيك الدفتردار من ناحية دجوة . وسبب ذهابه اليها أن أولاد حبيب قتلوا عبدا لعلى بيك بمنية عفيف ، بسبب حادثة هناك . وكان ذلك العبد موصوفا بالشجاعة والفروسية ، فعز ذلك على على بيك فأخذ فرمانا من الباشا بركوبه على أولاد حبيب ، وتخريب بلدهم ، ونزل اليهم وصحبته باكير بيك ، ومحمد بيك المبدول . وعندما علم الحبايبة بذلك ، وزعوا متاعهم ، وارتحلوا من البلد ، وذهبوا الى الجزيرة .

فلما وصل على بيك ومن معه الى دجوة ، لم يجدوا أحدا ، ووجدوا دورهم خالية ، فأمروا بهدمها ، فهدموا مجالسهم ، ومقاعدهم ، وأوقدوا فيها النار ، وعملوا فردة على أهل البلد ، وما حولها من البلاد ، وطلبوا منهم كلفا وحق طرق ، وتفحصوا على ودائعهم ، وأماناتهم ، وغلالهم فى جيرة البلاد ، مثل : طحلة وغيرها ، فأخذوها ، وأحاطوا بزرعهم ، وما وجدوه بالنواحى من بهائمهم ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم ، وصالحوه بسعى الوسايط بدراهم ، ودفعوها ، ورجعوا الى وطنهم ، ولكن بعد خرابها ، وهدمها .

وفيه : أرسل الباشا سلحداره بخطاب للأمراء القبالى يطلب منه الغلال والمال الميرى حكم الاتفاق.

رمضان

فى ٤ منه (٢٩ مايو ١٧٨٩ م) :

وصل الى مصر أغا معين باجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه ، فعمل الباشا ديوانا ، وقرأ المرسوم الوارد بذلك ، بحضرة الجمع . والسبب فى تأخيره لهذا الوقت : الاهتمام بأمر السفر ، واشتغاله رجال الدولة بالعزل ، والتولية .

وورد الخبر أيضا بعزل حسن باشا من رياسة البحر الى رياسة البر ، وتقلد الصدارة ، وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردلى ، وأخبروا أيضا بقتل بستجى باشا .

وفى أوائله : فتحوا ميرى سنة خمسة (أى سنة ١٢٠٥ هـ) مقدم معجلة .

أواخره (النصف الثانى من يونية ١٧٨٩ م) :

حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية ، وبيده أوامر ، وفيها : الحث على محاربة الأمراء القبالى ، والخطاب للوجاقلية ، وباقى الأمراء بأن يكونوا مع اسماعيل بيك بالمساعدة ، والاذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة ، مع تشهيل الخزينة للدولة .

شوال

١٠ منه (٤ يوليو ١٧٨٩ م) :

وصل ططرى ، وعلى يده أوامر منها : حسن عيار المعاملة من الذهب ، والفضة ، وأن يكون

عيار الذهب المصرى تسعة عشر قيراطا ، ويصرف بمائة وعشرين نصفا ، بنقص أربعة أنصاف عن الواقع فى الصرف بين الناس . والاسلامبولى بمائة وأربعين ، وبنقص عشرة . والفندقلى بمائتين ، بنقص خمسة . والريال الفرانسة بمائة ، بنقص خمسة أيضا . والمغربى بخمسة وتسعين ، بنقص خمسة أيضا ، وهو المعروف بأبى مدفع . والبندقى بمائتين وعشرة ، بنقص خمسة عشر .

فنزل الأغا والوالى ، ونادى بذلك ، فخسر الناس حصة من أموالهم .

فى غايته (٢٣ يوليه ١٧٨٩ م) :

خرج أمير الحج غيطاس بيك بالمحمل وركب الحجاج .

ذوالقعدة

منتصفه (٧ اغسطس ١٧٨٩ م) :

أوفى النيل المبارك أذرع الوفاء ، ونزل الباشا الى فم الخليج . وكسر السد بحضرته على العادة .

* * *

وانقضى هذا العام بحوادثه .

وحصل فى هذه السنة الازدلاف ، وتداخل العام الهلالى فى الخراجى .. ففتحوا طلب المال الخراجى القابل قبل أوانه ، لضرورة الاحتياج ، وضيق الوارد بتعطيل الجهة القبلية ، واستيلاء الأمراء الخارجين عليها .

ووجه اسماعيل بيك الطلب من أول السنة بباقى الحلوان الذى قرره حسن باشا ، ثم المال الشتوى ، ثم الصيفى . وفى أثناء ذلك ، المطالبة بالفرد المتوالية المقررة على البلاد من الملتزمين . ووجه على الناس قباح الرسل ، والمعينين من السراجين والدلاة ، وعسكر القليونجية ... فيدهمون الانسان ، ويدخلون عليه فى بيته — مثل التجريدة — الخمسة والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة ، بوجوه عابسة ... فيشاغلهم ويلاطفهم ، ويلين خواطرهم بالاكرام ، فلا يزدادون الا قسوة وفظاظة . فيعدهم على وقت آخر ، فيسمعونه قبيح القول ، ويشتطون فى أجرة طريقهم .

وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرا : فيدخلون الدار — وليس فيها الا النساء — ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن . وربما نططن من الحيطان ، أو هربن الى بيوت الجيران !

وسافر رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير — الى المنوفية ، وأنزل بها كل بلية ، وعسف بالقرى عسفا عنيفا قبيحا ... بأخذ البلص والتساويف ، وطلب الكلف الخارجة عن المعقول ... الى أن وصل الى رشيد . ثم رجع الى مولد السيد البدوى بطندتا ، ثم عاد . وفى كل مرة من مروره يستأنف العسف والجور .

وكذلك قاسم بيك بالشرقية ، وعلى بيك الحسنى بالغربية .

وقلد اسماعيل بيك مصطفى كاشف ، المرابط بقلعة طرا . فعسف بالمسافرين الذاهبين والآيبين الى جهة قبلى : فلا تمر عليه سفينة ، صاعدة أومنحدرة الا طلبها اليه ، وأمر باخراج ما فيها ، وتفتيشها بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من الثياب وغيرها ، أو ارسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم . فان وجد فى السفينة شيئا من ذلك ، نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسببين ، وأخذه عن آخره ، وقبض عليهم وعلى الريس ، وحبسهم ، ونكل بهم ، ولا يطلقهم الا بمصلحة ! وان لم يجد شيئا فيه شبهة ، أخذ من السفينة ما اختاره ، وحجزهم فلا يطلقهم الا بمال يأخذه منهم !

وتحقق الناس فعله ، فصانعوه ابتداء .. تقية لشره ، وحفظا لمالهم ومتاعهم . فكان الذى يريد

السفر الى قبلى ، بتجارة أو متاع ، يذهب اليه بعض الوسايط ، ويصالحه بما يطيب به خاطره ، ويمر بسلام ، فلا يتعرض له .

وكذلك الواصلون من قبلى : يأتون طائعين الى تحت القلعة ، ويطلع اليه الريس والمسافرون ، فيصالحونه .

وعلم الناس هذه القاعدة ، واتبعوها ، وارتاحوا عليها فى الجملة ، واستعوضوا الخسارة من غلو الأثمان . وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبليين ، وهادينه ، وأرشوه عن ارسالهن الى أزواجهن من الملابس والأمتعة سرا ... حتى كن فى الآخر يرسلن اليه ما يرمن ارساله ، وهو يرسله بمعرفته ! وتأتى أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية . واتخذ له يدا وجميلا ، وطوقهم منته بذلك .

وشاع فى بلاد الأرنؤود وجبال الروملى ، رغبة اسماعيل بيك فى العساكر .. فوفدوا عليه بأشكالهم المختلفة ، وطباعهم المنحرفة ، وعدم أديانهم ، وانعكاس أوضاعهم . فأسكن منهم طائفة بالجيزة ، وطائفة ببولاق ، وطائفة بمصر القديمة . وأجرى عليهم النفقات والعلوفات . وجلب له الياسرجية المماليك ، فاشترى منهم عدة وافرة — وأكثرهم عسزق ومشنبون ، وأجناس غير معهودة — واستعملهم من أول وهلة فى الفروسية ، ولم يدربهم فى آداب ولا معرفة دين ولا كتاب ... كل ذلك حرصا على مقاومة الأعداء ، وتكثير الجيش . وتابع ارسال الهدايا والأموال والتحف الى الدولة ، وأحضر السروجية والصواغ والعقادين ، فصنعو ستة سروج للسلطان وأولاده — وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد — على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات مزركشة . وهى مع السرج والقصعة والقربوس مرصعة بالجواهر والبروق والذهب ! والركابات ، واللجامات ، والبلامات . والشماريخ ، والسلاسل ، كلها من الذهب البندقى الكسر ! والرأس والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش ، وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد ، وجميع الشراريب من القصب المخيش ! وبها تعاليق المرجان والمعادن ... صناعة بديعة ، وكلفة ثمينة ... أقاموا فى صناعة ذلك عدة أيام ببيت محمد أغا البارودى !

واشترى كثيرا من الأوانى والقدور الصينى الأسكى معدن ، وملأها بأنواع الشربات المصنوع من السكر المكرر : كشراب البنفسج ، والورد ، والحماض ، والصندل المطيب بالمسك ، والعنبر وماء الورد ، والمربيات الهندية : مثل مربى القرنفل ، وجوز بوا ، والبسباسة ، والزنجبيل والكابلى . وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر ، صحبة عثمان كتخدا عزبان ، ومعها عدة خيول من الجياد ، وأقمشة هندية ، وعود وعنبر ، وطرائف ، وأرز وبن ، وأفاويه ، وماء الورد المكرر ، وغير ذلك !

ولم يتفق لأحد ، فيما تقدم من أمراء مصر ، أن أرسل مثل ذلك ، ولم نسمع به ، ولم نره فى تاريخ .. فان نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها فى ظروف من الفخار التى قيمة الظرف منها خمسة أنصاف أو عشرة ... حتى الذى يصنعه شربتلى باشا ، الذى يأتى من اسلامبول لخصوص السلطان . وأما هذه فأقل ما فيها يساوى مائة دينار ... وآكثر من ذلك !

* * *

ومات فى هذه السنة العلامة الماهر الحيسوب ، الفلكى أبو الاتقان ، الشيخ مصطفى ... الخياط صناعة .

أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن — مثل رضوان أفندى ، ويوسف الكلارجى ، والشيخ محمد النشيلى ، والكرتلى ، والشيخ رمضان الخوانكى ، والشيخ محمد الغمرى ، والشيخ الوالد حسن الجبرتى — وأخذ عنهم ، وتلقى منهم ، ومهر فى

الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل ، والحل والتركيب ، وتحاويل السنين ، وتداخل التواريخ الخمسة ، واستخراج بعضها من بعض ، وتواقيعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ، ودلائل الأحكام والمنــاظرات ، ومظنات الكسوف والخسـوف ، واسـتخراج أوقاتها وسـاعاتها ودقائقها ... مع الضبط والتحرير ، وصحة الحدس وعدم الخطأ .

وأقر له أشياخه ومعاصروه بالاتقان والمعرفة ، وانفرد بعد أشياخه ، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا — وأجلهم عصرينا وشبحنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الوردانى ، أطال الله بقاءه ونفع به .

ولازم المترجم المرحوم الوالد مــدة مديدة ، وتلقى عنه ، وحج معه فى سنة ١١٥٣ ، وسمعته يقول عنــه : « الشـيخ مصطفى فريد عصره فى الحسابيات ، والشيخ محمد النشيلى فى الرسميات ، وحسن أفندى قطة مسكين فى دلائل الأحكام » .

وكان فى كل عام يستخرج دستور السـنة من مقومات السيارة ، ومواقع التواريخ ، وتوافيـع القبط ، والمواسم والأهلة ، ويعرب السنة الشمسية لنفـع العـامة ، وينقل منها نسخا كثيرة يتناولها الخاص والعام يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية ، والتواقيع والمواسم ، وتحاويل البروج ، وغير ذلك .

والتمس منه الأستاذ سيدى أبو الأمداد أحمد ابن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ١١٨٠ فأجابه الى ذلك ، واشــتغل به أشهرا حتى أتم حساب أطوالها وعروضـها وجهاتها ، ودرجات ممرها ، ومطـالع غروبها وشروقها وتوسـطها ، وأبعادها ومواضـعها بأفق عرض مصر ... بغاية التحقيق والتدقيق ، على أصول الرصد الجديد السمرقندى .

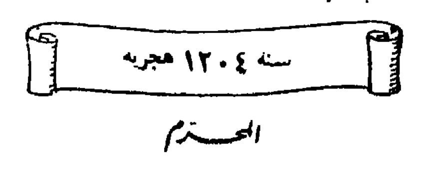
وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مــدة اشــتغاله بذلك ، وأجازه على ذلك اجازة سـنية ... أخبرنى من لفظه أنه أقام يصرف من فضل ذلك أشهرا بعد تمام المطلوب .

وله مؤلفات وتحريرات نافعــة فى هذا الفن ، منها « جداول حل عقود مقومات القمـر بطريق الدر اليتيم » لابن المجـدى — وهو عبارة عن تسـهيل ماصنفه العلامة رضوان أفندى فى كتابه « أسنى المواهب » فى عشرة كراريس — جمـع فيه تعديل الخاصة المعدلة بالمركز للوسط ، فيجمع مع الوسط فى سطر ، وفى الأصل يجمع فى سطرين . ولا يخفى مافيه من سهولة العمل ... يعلم ذلك من له دربة بالفن .

ولم يزل مشتغلا بالنفع والحساب والافادة — مع اشتغاله بصناعة الخياطة وتفصيل الثيـاب — وهو جالس فى زاوية المكان يكتب ويمارس مـع الطلبة ... والصناع بوسط المكان يفصلون الثياب ويخيطونها ، ويباشرهم أيضا فيما يلزم مباشرته ، الى أن توفى فى هذه السنة فى بيته جهـة الرميلة وقد جاوز التسعين (١) .

* * *

ومات سلطان الزمان ، السلطان عبد الحميد بن أحمد خان . وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم ابن مصطفى ، وفقه الله تعالى آمين



سنه ١٢٠٤ هجريه

المحـــرم

فيه : وصلت الأخبار بأن الموسقو أغاروا على عدة قلاع وممالك اسلامية منها جهات الأوزى ،

---

(١) ان شعبا يجد فيه « خياط » من الدوافع ما يدفعه الى الجمع بين مهنته والاشتغال بالعلم — فى غياهب هـذا الفســاد المستشرى — لهو شعب حى لن يموت ...

وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر ، وأن اسلامبول واقع بها غلاء عظيم .

اواخره (النصف الثانى من اكتوبر ١٧٨٩ م) :

حضر واحد أغا ، وبيده مرسومات بسبب الأمراء القبليين ، بأنهم ان كانوا تعدوا الجهات التى صالحوا عليها حسن باشا ، ولم يدفعوا المال ، ولا الغلال ، فلازم من محاربتهم ، ومقاتلتهم . وان لم يمتثلوا ، يخرجوا اليهم ويقاتلوهم ، فان السلطان أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ، ولا يقبل عذرهم فى التأخير .

فقرأوا تلك المرسومات فى الديوان ، ثم أرسلوها مع مكاتبات صحبة واحد مصرلى ، وآخر من طرف الأغا القادم بها ، وآخر من طرف الباشا .

ربيع الآخر

فى اوائله (حوالى منتصف نوفمبر ١٧٨٩ م) :

رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ، ملخصها : أنهم لم يتعدوا ما حددوه مع حسن باشا ، الا بأوامر من عابدى باشا ، فانه حدد لنا من منفلوط . ثم ان اسماعيل بيك بنى حاجزا ، وقلاعا ، وأسوارا بطرا ، وذلك دليل وقرينة على أن ماوراء ذلك يكون لنا ، وأنه اختص بالأقاليم البحرية ، وترك لنا الأقاليم القبلية ، ولا مزية للأمراء الكائنين بمصر علينا ، فانه يجمعنا واياهم أصل واحد ، وجنس واحد ، وان كنا ظلمة فهم أظلم منا !

وأما الغلال والمال ، فاننا أرسلنا لهم جانب غلال ، فلم ترجع المراكب التى أرسلناها ثانيا . فيرسلوا لنا مراكب ، ونحن نعبيها ونرسلها . وذكروا أيضا أنهم أرسلوا صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقا الى اسلامبول ، ونحن فى انتظار رجوعه بالجواب ، فعند رجوعه يكون العمل بمقتضى ما يأتى به من المرسومات ، ولا نخالف أمر السلطان .

جمادى الأولى

فى هذا الشهر : وردت أخبار بعزل وزير الدولة ، وشيخ الاسلام ، وأغات الينكجرية ونفيهم ، وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو بالسفر ، وأنه محصور بمكان يقال له اسماعيل ، لأن الموسقو أغاروا على ماوراء اسماعيل ، وأخذوا مابعده من البلاد ، ثم انه هادن الموسقو ، وصالحهم على خمسة أشهر الى خروج الشتاء . وأن السلطان أحضر الأمراء المصرلية الرهائن المنفيين بقلعة « ليميا » ، وهم : عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، وعثمان بيك المرادى ، وسليمان كاشف . وأما حسين بيك فانه مات بليميا .

ولما حضروا أنزلوهم فى قناقات ، وعين لهم رواتب ، ويحضرهم السلطان فى بعض الأحيان الى الميدان ، ويعملوا رماحة بالخيول ، وهو ينظر اليهم ، ويعجبه ذلك ، ويعطيهم انعاما !

وورد الخبر أيضا ، أن صالح أغا وصل الى اسلامبول ، فصالح على الأمراء القبالى ، وتم الأمر بواسطة نعمان أفندى منجم باشا ، ومحمود بيك ، وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا ، فحنق لذلك ، ولم يمضه ، وانحرف على نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وأمر بعزلهما من مناصبهما ، ونفيهما واخراجهما من دار السلطنة ، فنفى نعمان أفندى الى أماسيه ، ومحمود بيك الى جهة قريبة من اسلامبول ، وشاط طبيخهم ، وسافر صالح أغا من اسلامبول .

شعبان

فيه : ورد الخبر بموت حسن باشا . وكان موته فى منتصف رجب وكأنه مات مقهورا من الموسقو .

رمضان

١٢ منه (٢٦ مايو ١٧٩٠ م) :

حصلت زلزلة لطيفة فى سادس ساعة من الليل .

وفيه أيضا : وصل ثلاثة أشخاص من الديار الرومية ، فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر ، فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ، ورجعوا .

شوال

الجمعة ١٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٠ م) :

قبل الفجر احترق بيت اسماعيل بيك عن آخره .

٢٥ منه (٨ يوليو ١٧٩٠ م) :

عزل حسن كتخدا المحتسب من الحسبة ، وقلدوها رضوان أغا محرم من وجاق الجاويشية ، فأنهى حسن أغا أنه كان متكفلا بجراية الجامع الأزهر ، فان كان المتولى تكفل بها مثله ، استمر فيها ، والا ردوا له المنصب ، وهو يقوم بها للمجاورين كما كان . فلما قالوا لرضوان أغا ذلك ، لم يسعه الا القيام بذلك ... وهى دسيسة شيطانية ، لا أصل لها . فان أخباز الجامع الأزهر لها جهات بعضها معطل ، والناظر عليه على بيك الدفتردار ، وحسن أغا كتخداه يصل ويقطع من أى جهة أراد من الميرى أو من خلافه . فدس هذه الدسيسة يريد بها تعجيز المتولى ليرجع اليه المنصب . ومعلوم أن المتولى لم يتقلد ذلك الا برشوة دفعها ، ويلزم من نزوله عنها ضياع غرامته ، وجرسته بين أقرانه . فما وسعه الا القيام بذلك ، وفردها على مظالم الحسبة التى يأخذها من السوقة ، ويدفعها للخباز يصنع بها خبزا للمجاورين ، والمنقطعين فى طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم من الظلم ، والسحت المكرر ، وذلك نحو خمسة آلاف نصف فضة فى كل يوم . واشتهر ذلك وعلمه العلماء والمجاورون وغيرهم . وربما طالبوه بالمنكسر ، أو اعتذروا بقولهم « الضرورات تبيح المحظورات ! » .

ذو الحجة

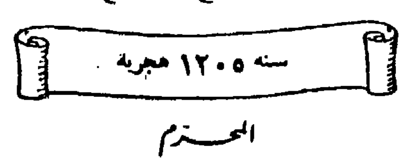
السبت ٣ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٠ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء على العادة ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه : وقعت واقعة بين عسكر القليونجية والأرنؤودية بسوق السلاح ، وقتل بينهم جماعة من الفريقين ، ثم تحزبوا أحزابا ، فكان كل من واجه حزبا من الطائفة الأخرى ، أو انفرد ببعض منها .. قتلوه ، ووقع بينهم ما لا خير فيه . وداخل الناس الخوف من ذلك ، فيكون الانسان مارا بالطريق ، فلا يشعر الا وكرشة وطائفة مقبلة وبأيديهم البنادق والرصاص ، وهم قاصدون طائفة من أخصامهم بلغهم أنهم فى طريق من الطرق . واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام ، ثم أدرك القضية اسماعيل بيك وصالحهم .

فى اواخره (اوائل سبتمبر ١٧٩٠ م) :

حضر جماعة من الأرنؤود الى بيت محمد آغا البارودى ، وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم ، ونزلوا من عند الخليج المرخم ، وازدحموا فى المركب ، فانقلبت بهم ، وغرق منهم نحو ستة أنفار ، وقيل تسعة ، وطلع من طلع فى أسوأ حال .



المحرم

١١ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٩٠ م) :

ورد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على السنة الجديدة ، فعملوا له موكبا ، وطلع الى

القلعة ، وقرئ المقرر بحضرة الجمع ، وضربوا له مدافع .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين ، وأمر بتغريقه فى بحر النيل .

وفيه : نفوا صالح أغا ، أغات الأرنؤود . قيل ان السبب فى ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالى بواسطة المعلم يوسف المذكور ، على أنه يملكهم المراكب الرومية ، والقلاع التى بناحية طرا ، والجيزة ، وعملوا له مبلغا من المال التزم به الذمى يوسف ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك .

وفيه : كثر تعدى أحمد أغا الوالى على أهل الحسينية ، وتكرر قبضه وايذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب . وأخذ المال ، بل ونهب بعض البيوت .

الجمعة ٢٢ منه (١ اكتوبر ١٧٩٠ م) :

أرسل أحمد أغا الوالى أعوانه بطلب أحمدسالم الجزار شيخ طائفة البيومية ، وله كلمة وصولة بتلك الدائرة ، وأرادوا القبض عليه . فثارت طوائفه على أتباع الوالى ، ومنعوه منهم ، وتحركت حميتهم عند ذلك ، وتجمعوا وانضم اليهم جمع كثير من أهل تلك النواحى وغيرها ، وأغلقوا الأسواق ، والدكاكين ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وقفلوا أبواب الجامع ، وصعدوا على المنارات ، وهم يصرخون ، ويصيحون ، ويضربون على الطبول ، وأبطلوا الدروس فقال لهم الشيخ العروسى :

« أنا أذهب الى اسماعيل بيك فى هذا الوقت ، وأكلمه فى عزل الوالى » . وتخلص منهم بذلك ، وذهب الى اسماعيل بيك ، فاعتذر بأن الوالى ليس من جماعته ، بل هو من جماعة حسن بيك الجداوى ، وأمر بعض أتباعه بالذهاب اليه ، واخباره بجمع الناس والمشايخ وطلبهم عزل الوالى ، فلم يرض بذلك . وقال :

« ان كان أنا أعزل الوالى تابعى ، يعزل هو الآخر الأغا تابعه ، ويعزل رضوان كتخدا المجنون من المقاطعة ، ويرفع مصطفى كاشف من طرا ، ويطرد عسكر القليونجية ، والأرنؤود أ »

وترددت بينهم الرسل بذلك .

ثم ركب حسن بيك وخرج الى ناحية العادلية مثل المغضب ، وصار أحمد أغا الوالى يركب بجماعة كثيرة ، ويشق من المدينة ليغيظ العامة ، وكذلك تجمع من العامة خلائق كثيرة ، ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات فى مروره ، وانجرح بينهم جماعة ، وقتل شخصان . ثم ركب المشايخ وذهبوا الى بيت محمد أفندى البكرى ، وحضر هناك اسماعيل بيك ، وطيب خاطرهم ، والتزم لهم بعزل الوالى . ومر الوالى فى ذلك الوقت على بيت الشيخ البكرى ، وكثير من العامة مجتمع هناك ، نفزع فيهم بالسيف ، وفرق جمعهم ، وسار من بينهم ، وذهب فى طريقه ، ثم زاد الحال ، وكثرت غوغاء الناس ، ومشوا طوائف يأمرون بغلق الدكاكين .

صفر

الثلاثاء ٣ منه (١٢ اكتوبر ١٧٩٠ م) :

اجتمع بالأزهر الكثير منهم واستمرت القضية ، ثم طلع اسماعيل بيك ، والأمراء الى القلعة ، واصطلحوا على عزل الوالى والأغا ، وجعلوهما صنجقين ، وقلدوا خلافهما الأغا من طرف اسماعيل بيك ، والوالى من طرف حسن بيك .

ونزل الوالى الجديد من الديوان الى الأزهر ، وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ، ثم ركب

الى بيته ، وانفض الجمع . وكأنها طلعت بأيديهم .. والذى كان راكب حمار ، ركب فرسا !

٥ منه (١٤ اكتوبر سنة ١٧٩٠ م):

غيمت السماء غيما مطبقا ، وسحت أمطار غزيرة كأفواه القرب ، مع رعد شديد الصوت ، وبرق متتابع متصل قوى اللمعان يخطف بالأبصار ، مستديم الاشتعال .. كل ذلك والأمطار نازلة حتى سقطت الدور القديمة على الناس ، ونزلت السيول من الجبل ، حتى ملأت الصحراء ، وخارج باب النصر ، وهدمت الترب ، وخسفت القبور . وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة ، فحصل لهم غاية المشقة ، وأخذ السيل صيوان أمير الحج بما فيه ، وانحدر به من الحصوة الى بركة الحج ، وكذلك خيام الأمراء وغيرهم . وسالت السيول من باب النصر ، ودخلت البلد ، وامتلأت الوكائل بالمياه ، وكذلك جامع الحاكم ، وقتلت أناس فى حواصل الخانات ، وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة الأمواج ، وانهدم من دور الحسينية أكثر من النصف . وكان أمرا مهولا جدا ...

وفيه : حصل أيضا كائنة عبد الوهاب افندى بشناق الواعظ . وذلك انه مات رجل من البشانقة من أهل بلده — وكان قد جعله وصيا على تركته — فاستولى عليها ، واستأصلها . وكان للرجل المتوفى تركة بناحية الاسكندرية . فسافر المذكور الى الاسكندرية وحاز باقى التركة أيضا ، ورجع الى مصر . وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه ، فأظهر له شيئا نزرا ، فذهب الوارث الى القاضى ، فدعاه القاضى وكلمه فى ذلك .

فقال له : « أنا وصى مختار ، وأنا مصدق ، وليس عندى خلاف ماسلمته له » .

فقال له القاضى : « انه يدعى عليه بكذا وكذا ، وعنده اثبات ذلك » .

وطال بينهما الكلام ، وتطاول على القاضى ، واستجهله فطلع القاضى الى الباشا وشكا له ، فأمر باحضاره ... فحضر فى جمع الديوان ، وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى الانحراف عن الحق .

فحنق الباشا منه ، وأمر برفعه من المجلس . فقبضوا عليه ، وجروه وضربوه ، ورموا بتاجه الى الأرض ، وحبسوه فى مكان .

وصادف أيضا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور اليه لسبب من الأسباب ، وذكر فيه الباشا بقوله « التعيس الحربى » ، وكذلك الأمراء بنحو ذلك ، فأرسله المفتى ، وأعاده على يد بعض الناس الى اسماعيل بيك ، حقدا منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة ، وأوصله اسماعيل بيك أيضا الى الباشا ... فازداد غيظا ، وأرعد وأبرق ، وأحضر بشناق افندى من محبسه وقت القائلة ، وأراه ذلك المكتوب ... فسقط فى يده واعتذر . فلطمه على وجهه ونتف لحيته ، وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر أتباعه ، ثم أخذوه وسجنوه . وأمر بمحاسبته عن ما أخذه من التركة — فحوسب وطولب ، وبقى بالحبس حتى وفى ما طلع عليه . وشفع فيه على بيك الدفتردار وخلصه من الترسيم .

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٩٠ م):

قلدوا أحمد بيك الوالى كشوفية الدقهلية ، وعثمان بيك الحسنى الغربية وشاهين بيك شرقية بلبيس ، وعلى بيك جركس المنوفية ، وصار جماعة أحمد بيك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب الناس من الأسواق ، وخيول الطواحين . ولما

سرحوا فى البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم الفلاحين ، مما هو معلوم من أفعالهم .. !

ربيع الأول

نوفمبر ١٧٩٠ م

فيه : كمل بناء بيت اسماعيل بيك وبياضه ، وأتمه على هيئة متقنة وترتيب فى الوضع ، ونقل اليه قطع الأعمدة العظام التى كانت ملقاة فى مكان الجامع الناصرى الذى عند فم الخليج ، وجعلها فى جدرانه ، وبنى به مقعدا عظيما متسعا ، ليس له مثيل فى مقاعد بيوت الأمراء فى ضخامته ، وعظمه ، وهو فى جهة البركة ، وغرس بجانبه بستانا عظيما ، وظن ان الوقت قد صفا له ..

جمادى الأولى

يناير ١٧٩١ م

ابتدأ أمر الطاعون ، وداخل الناس منه وهم عظيم .

وفيه : قلدوا عبد الرحمن بيك عثمان ، وجعلوه صنجق الخزينة ، وشرعوا فى تشهيله . واجتهد اسماعيل بيك فى سفر الخزينة على الهيئة القديمة ، ولبس المناصب والسدادرة وأرباب الخدم . وقد بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة ، فأراد اسماعيل بيك اعادته ليكون له بذلك منقبة ووجاهة عند دولة بنى عثمان ، فلم يرد الله بذلك وعاجله الرجز .

وفى أواخره ، أشيع فى الناس أن فى ليلة السابع والعشرين نصف الليل تحصل زلزلة عظيمة ، وتستمر سبع ساعات . ونسبوا هذا القول الى أخبار بعض الفلكيين من غير أصل ، واعتقده الخاصة فضلا عن العامة ، وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك .

فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى الصحراء والى الأماكن المتسعة : مثل بركة الأزبكية والفيل وخلافهما ، ونزلوا فى المراكب ، ولم يبق فى بيته الا من ثبته الله ، وباتوا ينتظرون ذلك الى الصباح ، فلم يحصل شىء ، وأصبحوا يتضاحكون على بعضهم !

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

رجب

مارس ١٧٩١ م

فيه : زاد أمر الطاعون ، وقوى عمله بطول شهرى رجب وشعبان ، وخرج عن حد الكثرة ، ومات به ما لا يحصى من الأطفال ، والشبان ، والجوارى ، والعبيد ، والمماليك ، والأجناد ، والكشاف ، والأمراء ، ومن أمراء الألوف الصناجق نحو اثنى عشر صنجقا ، ومنهم : اسماعيل بيك الكبير المشار اليه ، وعسكر القليونجية ، والأرنؤود الكائنون ببولاق ، ومصر القديمة ، والجيزة ... حتى كانوا يحفرون حفرا لمن بالجيزة بالقرب من مسجد أبى هريرة ، ويلقونهم فيها ، وكان يخرج من بيت الأمير فى المشهد الواحد الخمسة ، والستة ، والعشرة وازدحموا على الحوانيت فى طلب العدد ، والمغسلين ، والحمالين ، ويقف فى انتظار المغسل أو المغسلة الخمسة والعشرة ، يتضاربون على ذلك ، ولم يبق للناس شغل الا الموت وأسبابه ، فلا تجد الا مريضا أو ميتا ، أو عائدا ، أو معزيا ، أو مشيعا ، أو راجعا من صلاة جنازة ، أو دفن ، أو مشغولا فى تجهيز ميت ، أو باكيا على نفسه موهوما . ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد ، والمصليات ، ولا يصلى الا على أربعة أو خمسة ، أو ثلاثة ، وندر جدا من يشتكى ولا يموت . وندر أيضا ظهور الطعن .

ولم يكن بحمى، بل يكون الانسان جالسا، فيرتعش من البرد، فيدثر، فلا يفيق الا مخلطا، أو يموت من نهاره، أو ثاني يوم، وربما زاد، أو نقص، أو كان بخلاف ذلك .. !! واستمر الطاعون الى أوائل رمضان، ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا، ومات الأغا، والوالى فى أثناء ذلك، هولوا خلافهما، فماتا بعد ثلاثة أيام، فولوا خلافهما، فماتا أيضا ! واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات فى جمعة واحدة !

ولما مات اسماعيل بيك تنازع الرياسة حسن بيك الجداوى، وعلى بيك الدفتردار، ثم اتفقوا على تأمير عثمان بيك طبل تابع اسماعيل بيك على مشيخة البلد، وسكن ببيت سيده، وقلدوا حسن بيك قصبة رضوان أمير حج. ثم انهم أظهروا الخوف، والتوبة، والاقلاع، وابطال الحوادث والمظالم، وزيادات المكوس، ونادوا بذلك، وقلدوا أمراء عوضا عن المقبورين من مماليكهم.

رمضان

غرته (٤ مايو ١٧٩١ م) :

حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل اسماعيل باشا، وأن يتوجه الى المورة، وأن باشة المورة، محمد باشا الذى كان بجدة فى العام الماضى، المعروف بعزت هو والى مصر. فعملوا الديوان، وقرئت المرسومات، فقال الأمراء :

« لانرضى بذهابك من بلدنا، وأنت أحسن لنا من الغريب الذى لانعرفه ». فقال :

« وكيف يكون العمل، ولا يمكن المخالفة »، فقالوا :

« نكتب عرضحال الى الدولة، ونرجو تمام ذلك ». فقال :

« لايتم ذلك، فان المتولى، كأنكم به وصل الى الاسكندرية ». وعزم على النزول صبح تاريخه.

ثم انهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركة اسماعيل بيك، خوفا من حضور معين بسبب ذلك، وعين للسفرية الشيخ محمد الأمير.

١٥ منه (١٨ مايو ١٧٩١ م) :

نزل الباشا من القلعة الى بولاق، وقصد السفر على الفور، وطلب المراكب، وأنزل بها متاعه ويرقه. فلما رأوا منه العجلة، وعدم التأنى، وقصدهم تأخيره الى حضور الباشا الجديد، ويحاسب على مادخل فى جهته، فاجتمعوا عليه صحبة الاختيارية، وكلموه فى التأنى، فعارضهم، وعاندهم وصمم على السفر من الغد. فأغلظوا عليه فى القول، وقالوا له :

« هذا غير مناسب، يقال ان الباشا أخذ مال مصر وهرب »، فقال :

« وأى شىء أخذته منكم ؟ ». قالوا له :

« لابد من عمل حساب، فان الحساب لا كلام فيه، ولا بد من التأنى، حتى نعمل الحساب »، فقال :

« أنا أبقى عندكم الكتخدا، فحاسبوه نيابة عنى. والذى يطلع لكم فى طرف خذوه منه ». فلم يرضوا بذلك. فقال :

« أنا لابد من سفرى، اما اليوم، أو غدا »، فقاموا من عنده على غير رضا، وأرسلوا الوالى، والأغا يناديان على ساحل البحر، على المراكب، بأن كل من سافر بشىء من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه، يستاهل الذى يجرى عليه، وطردوا النواتية من المراكب، ولم يتركوا فى كل مركب الا شخصا واحد نوتيا فقط، وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراس.

وفيه : حضر خازندار الباشا الجديد وأخبر بوصول مخدومه الى ثغر الاسكندرية ، ومعه خلعة القائمقامية لعثمان بيك طبل ، ومكاتبة الى الأمراء بعدم سفر الملاقاة ، وأرباب الخدم على العادة ، وأخبر أنه واصل الى رشيد فى البحر بالنقاير ، فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط .

وفيه : رفعوا مصطفى كاشف من طرا ، وعملوه كتخدا عثمان بيك ، شيخ البلد .

وفيه : أشيع بأن عبد الرحمن بيك الابراهيمى حضر من طريق الشام ، ومر من خلف الجبل ، وذهب الى سيده بالصعيد .

شوال

الجمعة غرته (٣ يونية ١٧٩١ م) :

حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق ، فعملوا له سقالة ، وركب الأمراء ، وعدوا الى بر انبابة ، وسلموا عليه ، وعدى صحبتهم ، وركب الى قصر العينى .

الاثنين ٤ منه (٦ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أوكب (الباشا الجديد) — فى موكب أقل من العادة بكثير — الى القلعة من ناحية الصليبة ، وضربوا له مدافع من القلعة .

وفيه : سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال ، وكانوا أخروا سفره الى أن وصل الباشا الجديد ، وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر ، ثم انهم عملوا حساب الباشا المعزول ، فطلع عليه للباشا المتولى مائتا كيس ، من ابتداء منصبه وهو ١٧ رجب ، وللأمراء مبلغ أيضا ، فسدد ذلك : بعضه أوراق وبعضه نقد ، وبعضه أمتعة ، وأذنوا له بالسفر ، فشرع فى نزول متاعه بالمراكب بطول يومى الخميس والجمعة ، وأراد أن يسافر يوم السبت . ففى تلك الليلة ، وصل بشلى من الروم ، وبيده مرسوم ، فعمل الباشا فى صبحها ديوانا حضر فيه المشايخ ، والأمراء ، وأبرز الباشا المرسوم ، فكان مضمونه محاسبة الباشا المعزول من ابتداء شهر توت واستخلاص ما تأداه من ابتداء المدة .

١٦ منه (١٨ يونية ١٧٩١ م):

فيه : أرسلوا ثانيا وحجروا على الباشا المعزول ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا عليه ثانى مرة .

وفيه : تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالى تحركوا الى الحضور الى مصر ، فانه لما حصل ماحصل ، من موت اسماعيل بيك والأمراء ، حضر مراد بيك من أسيوط الى المنيا ، وانتشر باقى الأمراء فى المقدمة ، وعدى بعضهم الى الشرق ، ووصلت أوائلهم الى كفر العياط . وأما ابراهيم بيك فانه لم يزل مقيما بمنفلوط ، ومنتظرا ا، تحال الحجاج ، ثم يسير الى جهة مصر ، فأرسلوا على بيك الجديد الى طرا عوضا عن مصطفى كاشف ، وأرسلوا صالح بيك الى الجيزة ، وأخذوا فى الاهتمام .

وفيه : حفر خندق من البحر الى المتاريس ، وفردوا فلاحين على البلاد للحفر ، مع اشتغالهم بأمور الحج ، ودعواهم نقص مال الصرة ، وتعطيل الجامكية المضافة لدفتر الحرمين ، وتوجيه المعينين من القليونجية على الملتزمين .

الأحد ٢٤ منه (٢٦ يونية ١٧٩١ م) :

حضر السيد عمر أفندى مكرم الأسيوطى بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابا الى شيخ البلد والمشايخ وللباشا سرا .

وفيه : سافر اسماعيل باشا المنفصل من بولاق بعد أن أدى ما عليه .

الاثنين ٢٥ منه (٢٧ يونية ١٧٩١ م) :

خرج المحمل صحبة أمير الحج حسن بيك قصبة رضوان .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٨ يونية ١٧٩١ م) :

اجتمعوا بالديوان عند الباشا ، وقرئت المكاتبات الواصلة من الأمراء القبليين ، فكان حاصلها :

« اننا فى السابق طلبنا الصلح مع اخواننا ، والصفح عن الأمور السالفة ، فأبى المرحوم اسماعيل بيك ، ولم يطمئن لطرفنا ، وكل شىء نصيب ، والأمور مرهونة بأوقاتها . والآن اشتقنا الى عيالنا ، وأوطاننا ، وقد طالت علينا الغربة ، وعزمنا على الحضور الى مصر على وجه الصلح ، وبيدنا أيضا مرسوم من مولانا السلطان ، وصل الينا صحبة عبد الرحمن بيك بالعفو والرضا ، والماضى لايعاد ، ونحن أولاد اليوم ، وأن أسيادنا المشايخ يضمنون غائلتنا » !

فلما قرئت تلك المكاتبة ، التفت الباشا الى المشايخ ، وقال :

« ماتقولون ؟ » . فقال الشيخ العروسى :

« ان كان التفاقم بينهم وبين أمرائنا المصرية الموجودين الآن ، فاننا نترجى عندهم . وان كان ذلك بينهم وبين السلطان ، فالأمر لنائب مولانا السلطان » .

ثم اتفق الرأى على كتابة جواب حاصله :

« ان الذى يطلب الصلح ، يقدم الرسالة بذلك قبل قدومه ، وهو بمكانه . وذكرتم أنكم تائبون ، وقد تقدم منكم هذا القول مرارا ، ولم نر له أثرا ، فان شرط التوبة رد المظالم ، وأنتم لم تفعلوا ذلك ، ولم ترسلوا ماعليكم من الميرى فى هذه المدة . فان كان الأمر كذلك ، فترجعوا الى أماكنكم ، وترسلوا المال والغلال ، ونرسل عرضحال الى الدولة بالاذن لكم ، فان الأمراء الذين بمصر لم يدخلوها بسيفهم ، ولا بقوتهم ، وانما السلطان هو الذى أخرجكم ، وأدخلهم . واذا حصل الرضا فلا مانع لكم من ذلك ، فاننا الجميع تحت الأمر » .

وعلم على ذلك الجواب الباشا ، والمشايخ ، وسلموه الى السيد عمر ، وسافر به فى يوم الثلاثاء المذكور .

ثم اشتغلوا بمهمات الحج ، وادعوا نقص مال الصرة ستين كيسا ، ففردوها على التجار ودكاكين الغورية ، وارتحل الحج من الحصوة ، وصحبته الركب الفاسى .

وذلك فى يوم السبت غايته . وبات بالبركة . وارتحل فى غرة ذى القعدة .

ذو القعدة

غرته (٢ يولية ١٧٩١ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، ورسموا بنفى من كان مقيما بمصر من جماعة القبليين ، فنفوا : أيوب بيك الكبير ، وحسن كتخدا الجربان الى طندتا ، وكتبوا فرمانا بخروج الغريب ، وفرمانا آخر بالأمن والأمان ، وأخذهما الوالى والأغا ، ونادوا بذلك فى صبحها فى شوارع البلد ، ونبهوا على تعمير الدروب ، وقفل أبواب الأطراف ، وأجلسوا عند كل مركز حراسا .

٥ منه (٦ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا ، وأمامه المناداة بفرمان على الأجناد والطوائف والمماليك بالخروج الى الخلاء .

وفيه : وصل قاصد من الديار الرومية ، وهو أغا معين بطلب تركة اسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الهالكين بالطاعون ، فأنزلوه ببيت الزعفرانى .

وكرروا المناداة بالخروج الى ناحية طرا ، وكل من تأخر بعد الظهر يستحق العقوبة .

وفى تلك الليلة — وقت المغرب — طلع الأمراء الى الباشا ، وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى ناحية طرا ، فنزل فى صبحها وخرج الى ناحية طرا كما أشاروا عليه .

وكذلك خرج الأمــراء ، وطاف الأغا والوالى بالشوارع وهما يناديان على الألضاشات المتسبين الى الوجاقات بالصعود الى القلعة ، والباقى بالخروج الى متاريس الجيزة .

وطلع الأوده باشــا والاختيارية ، وجلسوا فى الأبواب .

٧ منه (٨ يولية ١٧٩١ م) :

أشيع أن الأمراء القبليين يريدون التخريم من وراء الجبل الى جهة العادلية ، فخرج أحمد بيك ، وصالح بيك تابع رضوان بيك الى جهة العادلية ، وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة ، وأرسـلوا أيضا الى عرب العائد فحضروا أيضا هناك .

وفيه : وصل القبليون الى حلوان ، ونصـبوا وطاقهم هناك ، وأخذ المصريون حذرهم من خلف متاريس طرا .

٩ منه (١٠ يولية ١٧٩١ م) :

توجه المشــايخ الى ناحية طرا ، وسلموا على الباشا ، والأمراء ، ورجعوا ، وذلك باشارة الأمراء ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم ا. وبقى الأمر على ذلك الى يوم الثلاثاء التالى .

١٧ منه (١٨ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا والوالى ، وأمامهم المناداة على الرعية ، والعامة الكافة بالخروج فى صبح الخميس صحبة المشايخ ولا يتأخر أحد . وحضر الشيخ العروسى الى بيت الشيخ البكرى ، وعملوا هناك جمعية ، وخرج الأغا من هناك ينــادى فى الناس ، ووقـع الهرج والمرج !

١٨ منه (١٩ يولية ١٧٩١ م) :

أصبح الصباح ، فلم يخرج أحد من النــاس ، وأشــيع أن الأمراء القبليين ، نزلوا أثقــالهم فى المراكب ، وتمنعوا الى قبلى ، ويقولون ان قصدهم الرجوع . وبقى الأمر على السكوت بطول النهار ، والناس فى بهتــة ، والأمراء متخيلون من بعضهم البعض ، وكل من على بيــك الدفتردار ، وحسن بيك الجــداوى يسىء الظن بالآخــر . ولم يخطر بالبال مخامرة عثمان بيك طبل ، ولا الباشا ، فان عثمان بيك تابع اسماعيل بيك الخصم الكبير ، وقد تعين عوضه فى امارة مصر ، ومشيختها ... والباشا لم يكن من الفريقين .

فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء ، وخرجوا الى ناحية العادلية ، وأخرجوا شركفلك صحبتهم ، وجملة مدافع ، وعملوا متاريس ، فمــا فرغوا من عمل ذلك الا ضحوة النهار من يوم الجمعة ، وهم واقفون على الخيول ، فلم يشـعروا الا والأمراء القبالى ، نازلون من الجبل بخيولهم ، ورجالهم ، لكنهم فى غاية من الجهد والمشــقة . فلما نزلوا وجدوا الجماعة ، والمتاريس أمامهم ، فتشــاور المصريون مع بعضهم فى الهجوم عليهم ، فلم يوافق عثمــان بيك على ذلك ، وثبطهم عن الاقــدام ، ورجعــوا جميــع الحملة الى مصر ، ووقفوا على جرائد الخيل ، فتمنع القبليون وتبــاعدوا عنهم ، ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحــة حتى يتكاملوا .

فلما تكاملوا ، ونصبوا خيامهم ، واســتراحوا الى العصر ، ركب مصطفى كاشف — صهر حسن كتخدا على بيك ، وهو من مماليك محمــد بيك الألفى — وصحبته نحو خمسة مماليك ، وذهب الى سيده ، ثم ركب محمــد بيك المبدول أيضــا بأتباعه وذهب الى ابراهيم بيــك ، ثم ركب قاسم بيك بأتباعه وذهب الى مراد بيك ، لأنه فى الأصل

من اتباعه ، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاوى — وهو اخو عثمان بيك طبل شيخ البلد — وذهب أيضا اليهم ، واستوثق لأخيه . فكتب له ابراهيم بيك بالحضور ، فلم يتمكن من الحضور الا بعد العشاء الأخيرة ، حتى انفرد عن حسن بيك ، وعلى بيك

فلما فعل ذلك وفارقهما سقط فى أيديهما ، وغشى على على بيك ، ثم افاق . وركب مع حسن بيك وصناجقة وهم : عثمان بيك ، وشاهين بيك ، وسليم بيك المعروف بالدمرجى الذى تأمر عوضا عن على بيك الحبشى ، ومحمد بيك كشكش ، وصالح بيك الذى تأمر عوضا عن رضوان بيك العلوى ، وعلى بيك الذى تأمر عوضا عن سليم بيك الاسماعيلى — وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا ، وذهبوا الى قبلى ، حيث كانت أخصامهم — فسبحان مقلب الأحوال !!

ولما حضر عثمان بيك ، وقابل ابراهيم بيك ، أرسله مع ولده مرزوق بيك الى مراد بيك ، فقابله أيضا ، ثم حضرت اليهم الوجاقلية والاختيارية ، وقابلوهم ، وسلموا عليهم .

٢١ منه (٢٢ يولية ١٧٩١ م) :

شرع أتباعهم فى دخول مصر بطول الليل .

ولما طلع النهار ، دخلت أتباعهم بالحملات ، والجمال شىء كثيرا جدا ، ثم دخل ابراهيم بيك ، وشق المدينة ، ومعه صناجقه ومماليكه — وأكثرهم لابسون الدروع — ثم دخل بعده سليمان بيك ، والأغا ، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، ثم عثمان بيك الشرقاوى ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأيوب بيك الدفتردار ، ومصطفى بيك الكبير ، وعلى أغا ، وسليم أغا ، وقائد أغا ، وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى ، وعبد الرحمن بيك الذى كان باسلامبول ، وقاسم بيك الموسقو ، وكشافهم ، وأغواتهم .

وأما مراد بيك فانه دخل من على طريق الصحراء ، ونزل على الرميله ، وصحبته عثمان بيك الاسماعيلى شيخ البلد ، وأمراؤه ، وهم : محمد بيك الألفى ، وعثمان بيك الطنبرجى — الذى كان باسلامبول أيضا — وكشافهم ، وأغواتهم .

واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من كان متأخرا ، أو منقطعا ، فلم يتم دخولهم الا فى ثانى يوم .

وأما مصطفى أغا الوكيل ، فانه التجأ الى الباشا ، وكذلك مصطفى كاشف طرا ... فأخذهما الباشا صحبته ، وطلعا الى القلعة ، ودخل الأمراء الى بيوتهم ، وباتوا بها ، ونسوا الذى جرى .

وأكثر البيوت كان بها الأمراء الهالكون بالطاعون ، وبقى بها نساؤهم ، ومات غالب نساء الغائبين ، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم ، والجوارى ، والخدم ، فتزوجوهن ، وجددوا فراشهم ، وعملوا أعراسهم . ومن لم يكن له بيت ، دخل ما أحب من البيوت ، وأخذه بما فيه من غير مانع ، وجلس فى مجالس الرجال ، وانتظر تمام العدة ان كان بقى منها شىء ... وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم !

وفيه : ركب سليم أغا ونادى على طائفة القليونجية والأرنؤود والشوام بالسفر ، ولا يتأخر منهم أحد وكل من يوجد بعد ثلاثة أيام استحق ما نزل به

ثم ان المماليك صاروا كل من صادفوه منهم ، أو رأوه أهانوه ، وأخذوا سلاحه .. فاجتمع منهم طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصا من الدلاة أنزلهم الى بولاق فى المراكب . وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ، ويصفرون عليهم بطول الطريق .

وسكن مراد بيك ببيت اسماعيل بيك — وكأنه كان يبنيه من أجله !

٢٢ منه (٢٣ يولية ١٧٩١ م) :

طاف الأغاوهوينادىعلى القليونجية والأرنؤود .

٢٦ منه (٢٧ يولية ١٧٩١ م) :

صعد الأمراء الى القلعة ، وقابلوا الباشا — وكانوا لم يروه ولم يرهم قبل ذلك اليوم — فخلع عليهم الخلع ، ونزلوا من عنده ، وشرعوا فى تجهيز تجريدة الى الهاربين ، لأنهم حجزوا ماوجدوه من مراكبهم ، وأمتعتهم ، وكتب الباشا عرضحال فى ليلة دخولهم ، وأرسله صحبة واحد ططرى الى الدولة بحقيقة الحال ، وعينوا للتجريدة ابراهيم بيك الوالى ، وعثمان بيك المرادى متقلدا امارة الصعيد ، وعثمان بيك الأشقر . وأحضر مراد بيك حسن كتخدا على بيك بأمان ، وقابله ، وقيده بتشهيل التجريدة ، وعمل البقسماط ، ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغيرذلك، ووجه عليه المطالبحتى صرف ما جمعه وخواه ، وباع متاعه وأملاكه ورهنها ، واستدان . ولم يزل حتى مات بقهره ، وقلدوا على أغا مستحفظان سابقا ، وجعلوه كتخدا الجاويشية .

ذو الحجة

٢١ منه (٢١ اغسطس ١٧٩١ م : ١٧ مسرى ١٥٠٧ ق) :

أوفى النيل أذرعه، ونزل الباشا الى قصر السد، وحضر القاضى والأمراء ، وكسر السد بحضرتهم ، وعملوا الشنك المعتاد ، وجرى الماء فى الخليج ، ثم توقفت الزيادة ، ولم يزد بعد الوفاء الا شيئا قليلا ، ثم نقص واستمر يزيد قليلا ، وينقص الى الصليب ، فضجت الناس ، وتشحطت الغلال ، وزاد سعرها ، وانكبوا على الشراء ، ولاحت لوائح الغلاء .

وفيه : شرع الأمراء فى التعدى على أخذ البلاد من أربابها من الوجاقلية وغيرهم ، وأخذوا بلاد أمير الحج .

وفيه : صالح الباشا الأمراء على مصطفى أغا الوكيل ، وأخلوا له داره ، وقد كان سكن بها عثمان بيك الأشقر ، فأخلاها له ابراهيم بيك ، ونزل من القلعة اليها ، ولازم ابراهيم بيك ملازمة كلية

وكذلك مصطفى كاشف الذى كان بطرا لازم مراد بيك واختص به ، وصار جليسه ونديمه .

* * *

ومات فى هذه السنة شيخنا ، علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالأفهام ، الذى جاب فى اللغة والحديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج .. الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى .

ولد سنة ١١٤٥ (١٧٣٢ م) ، ونشأ ببلاده ، وارتحل فى طلب العلم ، وحج مرارا . واجتمع بكثير من الشيوخ والعلماء .. وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية ، وألبسه الخرقة ، وأجازه بمروياته ومسموعاته .

قال : وهو الذى شوقنى الى دخول مصر : بما وصفه لى من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها من المشاهد الكرام .. فاشتاقت نفسى لرؤياها ، وحضرت مع الركب ، وكان الذى كان ..

ورد الى مصر فى تاسع صفر سنة ١١٦٧ (١٧٥٢م) وسكن بخان الصاغة ، وحضر على كثير من مشايخها ، وتلقى عنهم ، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه .

واعتنى بشأنه اسماعيل كتخدا عزبان ، ووالاه ببره حتى راج أمره ، وترونق حاله ، واشتهر ذكره عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة ،

وركب الخيول المسومة . وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه .

وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية — مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقى البنادر العظيمة — مرارا ، حين كانت مزينة بأهلها ، عامرة بأكابرها .

وأكرمه الجميع . واجتمع بأكابر النواحى وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم ، وأجازوه وأجازهم . وصنف عدة رحلات فى انتقالاته فى البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح — نظما ونثرا — لو جمعت لكانت مجلدا ضخما .

وشرع فى شرح القاموس (1) حتى أتمه فى عدة سنين فى نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه « تاج العروس » .

ولما أكمله أولم وليمة حافلة ، جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت ، بغيط المعدية ، وذلك فى سنة ١١٨١ (١٧٦٧ م) ، وأطلعهم عليه ، واغتبطوا به ، وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه فى علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نثرا ونظما .

وكتب للمرحوم الوالد — يسأله الاجازة والتقريظ — بقوله :

أمولاى ، بحر العلم ، يامن سناؤه
بفوق ضياء الشمس فى الشرق والغرب
ويا وراث النعمان فقهـا وحكمة
وزهدا له قد شاع فى البعد والقرب
عبيدكم الظمآن قد جاء يرتجى
« ملاحظة » منها يفوز قضا الأرب
ويسأل فى هـذا الكتاب اجازة
بتقريظه ، حتى يفوق على الكتب
حباكم اله العرش منه كرامة
وعيشا هنيئا فى أمان بلا كرب

ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها .. أنهوا اليه « شرح القاموس » هذا ، وعرفوه أنه اذا وضع بالخزانة كمل نظامها ، وانفردت بذلك دون غيرها .

ورغبوه فى ذلك فطلبه . وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ، ووضعه فيها .

وقد رغب الناس فى معاشرته لكونه غريبا ، وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية — بل وبعض لسان الكرج — فانجذبت قلوبهم اليه ، وتناقلوا خبره وحديثه ..

.. ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم — مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملى وكاتب الأسماء — فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثية .. بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده — وبناته ونساؤه من خلف الستائر — وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، على النسق المعتاد .

ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين — حتى النساء والصبيان والبنات — واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » .

وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن السابق .

يقول الحقير (يعنى الجبرتى نفسه) : انى كنت مشاهدا وحاضرا فى غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأماكن أخر كنا نذهب اليها للنزاهة — مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك — فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها ، وهو كثير ، بثبوت

(1) هو معجم « القاموس المحيط » للفيروزآبادى . وهو من أهم مراجع اللغة العربية . و « تاج العروس فى شرح القاموس » للزبيدى ... له أكبر نصيب من اسمه .

المسموعات على النسخ ، وفى أوراق كثيرة موجودة الى الآن .

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده ، وأصعده اليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة ، وغلالا من الأنبار .

وأنهى الى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة ، وقدره مائة وخمسون نصفا فضة فى كل يوم .. فعظم أمره ، وانتشر صيته .. وطار ذكره فى الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحى من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة .

وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة !

وأرسلوا اليه من أغنام فزان — وهى عجيبة الخلقة ، عظيمة الجثة ، يشبه رأسها رأس العجل — وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا !

وكذلك أرسلوا له من طيور الببغاء والجوارى والعبيد والطواشية .. فكان يرسل من طرائف الناحية ، الى الناحية المستغرب ذلك عندها .. ويأتيه فى مقابلها أضعافها !

وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكادى والمربيات والعود والعنبر والعطرشاه بالأرطال !

وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ، ومنزلة كبيرة ، واعتقاد زائد .. وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى .. حتى ان أحدهم اذا ورد الى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشىء .. لا يكون حجه كاملا !

فاذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه . ويستخبر من هذا عن ذاك — بلطف ورقة — فاذا وردعليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا .. فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقا ، أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له : « فلان طيب ؟ » . فيقول : « نعم سيدى » . ثم يسأله عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته ، وابنته ، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها .. فيقوم ذلك المغربى ويقعد ، ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح !

فتراهم ، فى أيام طلوع الحج ونزوله ، مزدحمين على بابه من الصباح الى الغروب . وكل من دخل منهم قدم بين يدى نجواه شيئا : اما موزونات فضة أو تمرا أو شمعا .. على قدر فقره وغناه !

وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة ؛ فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بمقدار الأنملة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ، ويرى أنه قد قبل حجه .. والا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم ميعاده ! .. وقس على ذلك مما لم يقل ..

ولما حضر حسن باشا الى مصر ، لم يذهب اليه .. بل حضر هو لزيارته ، وخلع عليه فروة تليق بمقامه . وقدم له حصانا مرختا بسرج وعباءة ، قيمته الف دينار ، أعده وهيأه قبل ذلك .

وكانت شفاعته عنده لا ترد . وان أرسل اليه ارسالية فى شىء تلقاها بالقبول والاجلال ، وقبل الورقة — قبل أن يقرأها — ووضعها على رأسه ، ونفذ ما فيها فى الحال !

ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير .

وكنت كثيرا ما أجتلى وجه وداده ، وأوقد نار الفكرة بقدح وارى زناده ، وأستظل بدوحه المريع، وأستمد من بحره السريع ، وأسامره بما يذكرنا عهود الرقمتين ، وأتنزه من صفات فضله وذاته فى الربيعين ..

وكانت بالعراق لنا ليال
سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى
وعنوان المسرة والأمانى

وبالجملة فانه كان فى جمع المعارف صدرا لكل ناد ، حتى قوض الدهر منه رفيع العماد ، وآذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ...

وزهرة الدنيا وان أينعت
فانها تسقى بماء الزوال

وكانت صفته : ربعة نحيف البدن ، ذهبي اللون متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد وخطه الشيب فى أكثرها ، مترفها فى ملبسه ، ويعتم — مثل أهل مكة — عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل فى العمامة وبعض أطرافه ظاهر .

وكان لطيف الذات ، حسن الصفات ، بشوشا بسوما ، وقورا محتشما ، مستحضرا للنوادر والمناسبات ، ذكيا لوذعيا ، فطنا ألمعيا ، روض فضله نضير ، وما له فى سعة الحفظ نظير .

جعل الله مثواه قصور الجنان ، وصريحه مطاف وفود الرحمة والغفران .

* * *

ومات فى هذه السنة الأمير المبجل ، والنبيه المفضل ، على بن عبد الله ، الرومى الأصل ، مولى الأمير أحمد كتخدا صالح . اشتراه سيده صغيرا ، فتربى فى الحريم . .

وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعلم الفروسية ورمى السهام ، وترقى حتى عمل خازندارا عنده .

وكان بيته موردا للأفاضل .. فكان يكرمهم ويحترمهم ويتعلم منهم العلم ، ثم أعتقه وأنزله حاكما فى بعض ضياعه ، ثم رقاه الى أن عمله رئيسا فى باب المتفرقة ، وتوجه أميرا على طائفته صحبة الخزانة الى الأبواب السلطانية .. مع شهامة وصرامة ، ثم عاد الى مصر .

وكان ممن يعتقد فى شيخنا السيد على المقدسى ، ويجتمع به كثيرا ، وكان له حافظة جيدة فى استخراج الفروع . وأتقن فن رمى النشاب الى أن صار أستاذا فيه .

وانفرد فى وقته فى صنعة القسى والسهام والدهانات .. فلم يلحقه أهل عصره .

وأضر بعينيه ، وعالجهما كثيرا فلم يفده .. فصبر واحتسب . ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ، ويستمدون على قوله .

ولقد أتاه — وهو فى هذه الضرارة — رجل من أهل الروم اسمه حسن ، فأنزله فى بيته وعلمه هذه الصنعة حتى فاق ، فى زمن قليل ، أقرانه ، وسلم له أهل عصره .. وحينئذ طلب منه أن يأذن له فيها ..

واجتمع أهل الصنعة فى منزله لحضور هذا المجلس ، فأرسل الى شيخنا السيد محمد مرتضى وطلب منه شيئا يناسب المجلس ، فكتب — عن لسانه :

« الحمد لله الذى علم الانسان مالم يعلم ، وهدى بفيض فضله الى الطريق الأقوم .

« والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

النبي الأكرم ، الناصر لدين الحق بالسيف والسنان المقوم ، وعلى آله وصحبه ما رمى مجاهد في سبيل الله سهما والى الجنة تقدم .

« أما بعد .. فيقول الفقير الى الله تعالى علي ابن عبد الله — مولى المرحوم أحمد كتخدا صالح — غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، ورحم من مضى من سلفه ، وجعل البركة في عقبه وخلفه :

« اعلموا — اخواني في الله ورسوله — أن كل صنعة لها شيخ وأستاذ . وقد قالوا : « صنعة بلا أستاذ ، يدركها الفساد » . وأن صنعة القوس والنشاب ، بين الأقران والأصحاب ، على ممر الأحقاب .. شريفة ، وطريقة بين السلف والخلف متبولة منيفة ، اذ بها تسمير باب الجهاد ، وفتح قلاع أهل الكفر والعناد ..

« وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الكتاب ، باعداد القوة ، وفسر ذلك برمي النشاب (1) .. حيث قال جل ذكره : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

(ثم يطيل السيد مرتضى في صيغة هذه الاجازة ووصيته ، الى أن يقول :)

« فلما رأيت هذا الاتقان في صنعته ، والاذعان بحسن معرفته ، والأحكام — مع التفقه في سائر الأوقات — لأصول صناعته ، صدرت مني هذه الاجازة الخاصة له بشهادة الاخوان في هذه الصنعة الشريفة البيضاء ، كما أجازني به الشيخ الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم عبد الله أفندي ابن محمد البهنوي ، بحق أخذه لذلك عن شيخه المرحوم الحاج علي الألباني ، عن شيخه محمد الاسطنبولي ، باسناده المتصل الى عبد الرحمن الفزاري ، والامام صاحب الاختيار مؤلف « الايضاح » المعروف بالطبري ، بحق أخذهما عن أئمة هذا الفن المشهورين : طاهر البلخي ، واسحق الرفاء ، وأبي هاشم الباوردي .. بأسانيدهم المتصلة عن شيخ الى شيخ الى أن ينتهي ذلك الى سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام .. وحسبك من علو سند ينتهي الى هذا الامام !

« وأوصيه — كما أوصي أخواني ونفسي — المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضع النفس ، وحملها على مكارم الأخلاق ، وألا يرفع نفسه على أحد ، وألا يحقر أحدا من خلق الله ؛ وأن يجعل دأبه لزوم الصمت ، والقناعة بالقليل ، مع المداومة على ذكر الله .. بالسكينة والوقار ، وأن يسمي الله في أول مسكه في صنعته ، ويستمد من الله القوة والحول ، ولايضجر ، ولاييأس من روح الله ، ولاينسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا يحدث نفسه بالعجز .. فانه يصل الى ما وصل اليه غيره ، فان الرجال بالهمم .. ففي الحديث : « المؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » . وأن يديم النظر الى معرفة العيوب العارضة للقسي والسهام ، وعقد الأوتار ، ويتساعد لذلك ، وكيفية ازالة العيب ان حدث ، ويعرف من أي حدث ، وألا يبيع

---

(1) حض الله تعالى في كتابه الحكيم على القتال في سبيله ، ودعا رسوله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد اعلاء لكلمة الحق .

ولكن الخطر ، كل الخطر ، هو أن يفسر « السيد محمد مرتضى » هذه الاية الكريمة بان « اعداد القوة » يقتصر على الرمي بالنشاب ...

فاذا كان الرمي بالنشاب آخر ما انتهت اليه العقول من مظاهر القوة في رأيه ، فعلى العدوة الاخرى من البحر الأبيض المتوسط كان قوم يكيدون للشرق كيدا ، ويدبرون له تدبيرا .

وابناء الشرق يشقون بقادة فكر « يقدمون بين ايديهم موزونات الفضة ، ويلتمسون منهم الاجوبة ... فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بخط الأسئلة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ! » .

ثم لايتورع هؤلاء « الزعماء » أنفسهم عن تفسير آيات الله في القتال واحاديث رسوله في الجهاد ... بان اداتهما هي الرمي بالنشاب ، والقرن التاسع عشر — قرن البخار والكهرباء — على الابواب ، ولم يبق على حملة نابليون على مصر الا بضعة أعوام !

سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشترى ان كان رجلا ، أو صبيا فيحتاج ذلك الى اذن والده .. فاذا علم اسلامه ووثق فيأخذ عليه العهد ألا يرمى به مسلما ، ولا معاهدا ولا كلبا ولا شيئا من ذوات الأرواح .. الا أن يكون صيدا أو ما يجب قتله .

« وألا يعلم صنعته الا لأهله الذى يثق بدينه . فقد روى أنه لايحل منع العلم عن مستحقه ، ويجب اعطاؤه بحقه .. سيما ان كان عارفا بقدر العلم ، راغبا فيه ، طالبا لوجه الله تعالى .. لا للمباهاة والمفاخرة .

« ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم ، ويحرضهم على العمل ، ولا يعاتبهم الا فى خلوة .. وهو — مع ذلك — لازم الهيبة ، كثير السكوت ، متأن فى الأمور ، غير عجول للجواب .

« والتقوى أصل كل شىء ، وهى رأس مال الانسان .

« ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك المنان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان »

وكان عند المترجم كتب نفيسة فى كل فن . رحمه الله .

* * *

ومات فى هذه السنة الأمير محمد أغا البارودى — وهو مملوك أحمد أغا ، مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى — رباه سيده وجعله خازنداره ، وعقد له على ابنته . فلما توفى سيده ، طلقها وتزوج بزوجة سيده — هانم بنت ابراهيم كتخدا من الست البارودية — وهى أم أولاده .

وتقيد بخدمة اسماعيل بيك ، وتداخل معه ، حتى نصبه فى كتخدائية ، وأحبه ، واحتوى على عقله ، فسلم له قياده فى جميع أشغاله ، وارتاح اليه ، وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما ، فعظم شأنه ، وارتفع قدره ، وطار صيته بالأقاليم المصرية .

وصار الايراداليه ، والمصرف من يده ، فيصرف جماكى العسكر ولوازم الدولة وهداياها ، ومصاريف العمائر والتجاريد ، واحتياجات أمير الحج من اللوازم ، من الجمال والأرحال والقرب والخيش والعليق والذخيرة التى تسافر فى البحر والبر ، وعوائد العرب وكساويهم ، والهجن والبغال ، وأرباب الصيت وغير ذلك . واذا كان وقت خروج المحمل ، فلا يرى أمير الحج الا جميع احتياجاته ولوازمه حاضرةمهيأة على أتم ما يكون .

وزوج ابنة سيده لخازنداره على أغا ، وعمل لهما مهما عظيما عدة أيام . وحضر اسماعيل بيك والأمراء والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا العظيمة ، وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط ومشايخ البلدان .

وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات والملاعيب والنقوط ، عملوا للعروس زفة بهيئة لم يسبق نظيرها ، ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب الصنائع ، مع كل طائفة عربة ، وفيها هيئة صناعتهم ومن يشتغل فيها مثل : القهوجى بآلته وكانونه ، والحلوانى والفطاطرى والحباك والقزاز بنوله .. حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجينى ، وبياعين البز وأرباب الملاهى والنساء المغانى وغيرهم — كل طائفة فى عربة — وكان مجموعها نيفا وسبعين حرفة ، وذلك خلاف الملاعيب والبهالوين والرقاصين والجنك . ثم الموكب وبعده الأغوات والحريم ، والملازمون والسعاة والجاويشية . وبعدها عربة العروس من صناعة الافرنج ، بديعة الشكل ، وبعدها مماليك الخزنة والملبسون الزروخ ، وبعدهم النوبة التركية والنفيرات .

كانت زفة غريبة الوضع ، لم يتفق مثلها بعدها .

ومات فى غرة رمضان ، وبموته ارتفع الطاعون !

وقيل :

واذا كان منتهى العمر موتا
فسواء طويله والقصير

* * *

ومات الصنو الوجيه ، والفريد النبيه ، محمد أفندى ابن سليمان أفندى ابن عبد الرحمن أفندى ابن مصطفى أفندى ككليويان (ويقال لها فى اللغة العامية جمليان) .

نشأ فى عفة وصلاح وخير وطلب العلم ، وعانى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ المرحوم الوالد (1) ، وقرأ عليه كثيرا من الحسابيات والفلكيات ، والهيئة والتقويم ، ومهر فى ذلك ، وانتظم فى عداد أرباب المعارف ، واشترى كتبا كثيرة فى الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمستظرفات ، وحسب وقوم الدساتير السنوية — عشرة أعوام مستقبلة — بأهلتها وتواريخها وتواقيعها .

ورسم كثيرا من الآلات الغريبة والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه فى غاية الضبط والصحة والحسن .

وكان لطيف الذات ، مهذب الأخلاق ، قليل الادعاء ، جميل الصحبة وقورا .

مات أيضا بالطاعون فى شعبان ، وتبددت كتبه وآلاته .

* * *

ومات أيضا ، النبيه اللطيف ، والمفرد العفيف ، أحمد أفندى الوزان بالضربخانة . وكان انسانا حسنا ، جميل الأوضاع ، مترهف الطباع ، محتشما وقورا ، ودودا محبوبا لجميع الناس .

(1) والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى .

سنة ١٢٠٦ هجرية

المحرم

الأربعاء مستهله (٣١ أغسطس ١٧٩١ م) :

عينوا صالح آغا ، كتخدا الجاويشية ، الى السفر الى الديار الرومية ، وصحبته هدية ، وشربات ، وأشياء وصالح أغا هذا هو الذى بعثوه قبل ذلك لاجراء الصلح على يد نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وكاد أن يتم ذلك ، وأفسد ذلك حسن باشا ، ونفى نعمان افندى بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر فى هذه المرة عينوه أيضا للارسالية السابقة ومعرفته بالأوضاع وكان صالح آغا هذا عندما حضروا الى مصر ، سكن ببيت البارودى ، وتزوج بزوجته .

٥ منه (٤ سبتمبر ١٧٩١ م) :

ركب الأمراء لوداع صالح أغا ، ونزل من مصر القديمة .

وفيه : هبط النيل ، ونزل مرة واحدة ، وذلك فى أيام الصليب ، ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضى ، فلم يرو منها الا القليل جدا ، فارتفعت الغلال من السواحل ، والرقع ، وضجت الناس ، وأيقنوا بالقحط ، ويئسوا من رحمة الله . وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة ، وضجت الفقراء وعيطوا على الحكام ، فصار الأغا يركب الى الرقع والسواحل ، ويضرب المتسببين فى الغلة ، ويسمرهم فى آذانهم ثم صار ابراهيم بيك يركب الى بولاق ، ويقف بالساحل ، وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب ، ومنعهم من الزيادة على ذلك ، فلم ينجع .

وكذلك مراد بيك كرر الركوب ، والتحريج على عدم الزيادة ، فيظهرون الامتثال وقت مرورهم ، فاذا التفتوا عنهم ، باعوا بمرادهم ، وذلك مع كثرة ورود الغلال ، ودخول المراكب ، وغالبها للأمراء ، وينقلونها الى المخازن والبيوت .

صفر

أوائله (أوائل أكتوبر ١٧٩١ م) :

وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء ، فعملوا الديوان عند الباشا ، وقرأوا المرسوم ، وصورة ما بنى عليه ذلك : أنه لما حضر السيد عمر أفندى بمكاتبتهم السابقة الى الباشا ، ويترجون وساطته فى اجراء الصلح ، فأرسل مكاتبة فى خصوص ذلك من عنده ، وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لاطاقة لهم بهم، ولا يقدرون على منعهم ، ودفعهم ؛ أنهم واصلون ، وداخلون على كل حال . فكان هذا المرسوم جوابا عن ذلك ، وقبول شفاعة الباشا ، والاذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم ، وبين اخوانهم . فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكا ومدافع .

الثلاثاء ١٢ منه (١١ أكتوبر ١٧٩١ م) :

حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية ، ومعه مرسومات خطابا للباشا ، والأمراء . فركب المشايخ ولاقوه من بولاق ، وتوجه الى بيته ، ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء ، وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ، ومرتب بالضربخانة قرش فى كل يوم ، وقرأ هناك البخارى عند الآثار الشريفة بقصد النصرة !!

ربيع الأول

(نوفمبر ١٧٩١ م)

فيه : عمل المولد النبوى بالأزبكية ، وحضر مراد بيك الى هناك ، واصطلح مع محمد أفندى البكرى ، وكان منحرفا عنه بسبب وديعته التى كان أودعها عنده ، وأخذها حسن باشا .

فلما حضر الى مصر ، وضع يده على قرية كان اشتراها الأفندى من حسن جلبى بن على بيك الغزاوى ، وطلب من حسن جلبى ثمن القرية الذى قبضه من الشيخ ، ليستوفى بذلك بعض حقه . وطال النزاع بينهما بسبب ذلك ، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بيك منهما . وحضر مراد بيك الى الشيخ فى المولد ، وعمل له وليمة ، واستمر عنده حصة من الليل ، وخلع على الشيخ فروة سمور .

وفيه : عملوا ديوانا عند الباشا ، وكتبوا عرضحال بتعطيل الميرى بسبب شراقى البلاد .

وفيه : سافر محمد بيك الألفى الى جهة شرقية بلبيس .

وفيه : حضر ابراهيم بيك الى مسجد أستاذه للكشف عليه ، وعلى الخزانة ، وعلى مافيها من الكتب ، ولازم الحضور اليه ثلاثة أيام ، وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندى حافظ ، وسلمه لنديمه محمد الجراحى ، وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الخراب ، ولم يبق بها غير البواب أمام الباب .

ربيع الآخر

(ديسمبر ١٧٩١ م)

قرروا تفريدة على تجار الغورية ، وطيلون ، وخان الخليلى ، وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاق ليلا فى المشاعل ، ثم ردوهم . ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقوائم ، وناكد بعضهم بعضا ، وهرب كثير منهم ، فسمروا دورهم وحوانيتهم ، وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس ، والوجاقلية ، وضج الخلائق من ذلك .

جمادى الأولى

مستهله (٢٧ ديسمبر ١٧٩١ م) :

كتبوا فرمانا بقبض مال الشراقى ، ونودى به فى النواحى . وانقضى شهر كيهك القبطى ، ولم ينزل من السماء قطرة ماء ، فحرثوا المزروع ببعض الأراضى التى طشها الماء ، وتولدت فيها الدودة ،

وكثرت الفيران جدا ، حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار ، والذى سلم من الدودة من الزرع ، أكله الفار .. ولم يحصل فى هذه السنة ربيع للبهائم (١) الا فى النادر جدا ، ورضى الناس بالعليق (٢) ، فلم يجدوا التبن ، وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة — الذى يساوى خمسة أنصاف قبل ذلك — مائة نصف . ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس ، وأتباع الأجناد ، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة ، كل حفان بنصفين ... الى غير ذلك !!

وفيه : حضر صالح أغا من الديار الرومية .

شـــوال

(مايو — يونية ١٧٩٢ م)

فيه : سافر صالح أغا بهدية ، ومكاتبات الى الدولة ورجالها .

ذو القعـــدة

(يونية — يوليه ١٧٩٢ م)

فيه : وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا ، وتولية محمد باشا ملكا . وكان صالح أغا قد وصل الى الاسكندرية ، فغيروا المكاتبات وأرسلوها اليه .

وفيه : حضر أغا بتقرير لوالى مصر على السنة الجديدة ، وطلع الموكب الى القلعة وعملوا له شنكا .

ذو الحجـــة

فى اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٧٩٢ م) :

شرع ابراهيم بيك فى زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بيك المعروف بالوالى — أمير الحج سابقا — وعمر لها بيتا مخصوصا ، بجوار بيت الشيخ السادات ، وتغالوا فى عمل الجهاز ، والحلى ، والجواهر وغير ذلك من الأوانى ، والفضيات ، والذهبيات . وشرعوا فى عمل الفرح ببركة الفيل ، ونصبوا صوارى أمام البيوت الكبار ، وعلقوا فيها القناديل ، ونصبوا الملاعيب والملاهى ، وأرباب الملاعيب . وفردت التفاريد على البلاد ، وحضرت الهدايا والتقادم من الأمراء والأكابر ، والتجار . ودعا ابراهيم بيك الباشا ، فنزل من القلعة ، وحضر صحبته خلع وفراوِ ، ومصاغ للعروس من جوهر ، وقدم اه ابراهيم بيك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معددة ، وسبحة لؤلؤ ، وأقمشة هندية ، وشبقات دخان مجوهرة ، وعملوا الزفة فى رابع المحرم . وخرجت من بيت أبيها فى عربة غريبة الشكل صناعة الافرنج ، فى هيئة كمال من غير ملاعيب ولا خزعبلات ، والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها .

وفيه : حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وصحبته رهائن حسن بيك الجداوى — وشاهين بيك وآخرون — وسكن فى مكان صغير .

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك انفصل من حسن بيك ومن معه ، وسافر على جهة القصير ، وذهب الى جدة .

* * *

ومات فى هذه السنة السيد السند الامام الفهامة المعتمد ، فريد عصره ، ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف على معينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده .. حتى أبان صبح يقينها ، السيد العلامة أبو المودة محمد خليل ابن السيد العارف ، الذى ينتهى نسبه الى السيد محمد مراد بن على الحسينى الحنفى الدمشقى .

لم نره ، لكن سمعنا خبره ، ووردت علينا منه

(١) اى زراعة البرسيم .

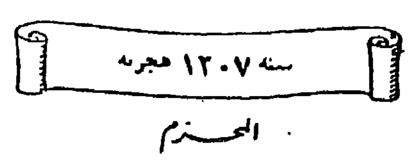
(٢) بعض الفول او الشعير او الذرة توضع للماشية على التبن .

مكاتبات ، ووشى طروسه المحبرات ، وتناقل الينا أوصافه الجميلة ، ومكارم أخلاقه الجليلة . كان شامة الشام ، وغرة الليالى والأيام أورق عوده بالشام وأثمر ، ونشأ بها فى حجر والده والدهر أبيض أزهر ، وقرأ القرآن ، وطالع فى العلوم والأدبيات واللغة التركية ، والانشاء والتوقيع .

وكان رحمه الله مغرما بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم المصريين ، على طريق المؤرخين .

وراسل فضلاء البلدان البعيدة ، والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن الثانى عشر . وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع هذا التاريخ على هذا النسق (١) .

وفى حلب الشهباء ، عصفت رياح المنية بروضه الخصيب ، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب ، فاحتضر بأمر الملك المقتدر ، وذلك فى أواخر صفر من هذه السنة ، وهو مقتبل الشبيبة ، ولم يخلف بعده فى الفضائل والمكارم مثله رحمه الله .



المحرم

(اغسطس – سبتمبر ١٧٩٢ م)

استهل والأمر فى شدة من الغلاء ، وتتابع المظالم ، وخراب البلاد . وشتات أهلها ، وانتشارهم بالمدينة ، حتى ملأوا الأسواق والأزقة ، رجالا ونساء وأطفالا ، يبكون ويصيحون ليلا ونهارا من الجوع ، ويموت من الناس فى كل يوم جملة كثيرة من الجوع !!

وفيه أيضا : هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام ، وكان ناقصا عن ميعاد الرى نحو ذراعين ، فارتجت الأحوال ، وانقطعت الآمال . وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل ، فلما نقص انقطع أملهم ، واشتد كربهم ، وارتفعت الغلال من السواحل والعرصات ، وغلت أسعارها عما كانت .

وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالا ، والشعير بخمسة عشر ريالا ، والفول بثلاثة عشر ريالا ، وكذلك باقى الحبوب ، وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة . ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال . وآل الأمر الى أن صار الناس يفتشون على الغلة ، فلا يجدونها . ولم يبق للناس شغل ، ولا حكاية ، ولا سمر بالليل والنهار فى مجالس الأعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك .

وشحت النفوس ، واحتجب المساتير ، وكثر الصياح والعويل ليلا ونهارا ، فلاتكاد تقع الأرجل الا على خلائق مطروحين بالأزقة واذا وقع حمار أو فرس ، تزاحموا عليه ، وأكلوه نيئا ، ولو كان منتنا .. حتى صاروا يأكلون الأطفال !!

ولما انكشف الماء ، وزرع الناس البرسيم ، ونبت .. أكلته الدودة ، وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض ، وحرثوها ، وسقوها بالماء من السواقى ، والنطالات ، والشواديف ، واشتروا لها التقاوى بأقصى القيم ، وزرعوها فأكله الدود أيضا . ولم ينزل من السماء قطرة ، ولا أندية ، ولا صقيع ، بل كان فى أوائل كيهك شرودات ، وأهوية حارة ثقيلة . ولم يبق بالأرياف الا القليل من الفلاحين ، وعمهم الموت والجلاء !

(١) يذكر المؤلف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى عن « المترجم » انه كان يجمع تراجم كبار العلماء والاماظم ، وكانت تتم المراسلة من طريق المرحوم الشيخ السيد محمد مرتضى .

ولما مات « المترجم » ظفر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى بالاوراق التى كان جمعها ، وهى نحو عشر كراريس ، ذكر فيها شيوخه ومن اخذ عنه او ساجله ، او جالسه من رفيق وصاحب ، وسماه « المعجم المختص » .

ويقول المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى : « ورد علينا نعى « المترجم » نفترت الهمة ، وطرحت تلك الاوراق فى زوايا الاهمال مدة طويلة ، حتى كادت تتناثر وتضيع ، الى ان حصل عندى باعث فى نفسى على جمعها – مع ضم الوقائع والحوادث المتجددات – على هذا النسق » .

ربيع الأول

فى أواخره (١٥ نوفمبر ١٧٩٢ م) :

حضر صالح أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسومات بالعفو ، وثلاث خلع : احداها للباشا ، والأخريان لابراهيم بيك ومراد بيك . فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات ، وضربوا مدافع . وأحضر صحبته صالح أغا وكالة دار السعادة ، وانتزعها من مصطفى أغا ، واستولى على ملايلها .

وفيه : وصلت غلال رومية ، وكثرت بالساحل ، فحصل للناس اطمئنان وسكون . ووافق ذلك حصاد الذرة ، فنزل السعر الى أربعة عشر ريالا .. الأردب . وأما التبن فلا يكاد يوجد ، واذا وجد منه شىء ، فلا يقدر من يشتريه على ايصاله لداره أو دابته ، بل يبادر لخطفه السواس ، وأتباع الأجناد فى الطريق . واذا سمعوا واستشعروا بشىء منه فى مكان ، كبسوا عليه وأخذوه قهرا فكان غالب مئونة الدواب قصب الذرة الناشف . ويسرح الكثير من الفقراء والشحاذين فى نواحى الجسور ، فيجمعون مايمكنهم جمعه من الحشيش اليابس ، والنجيل الناشف ، ويأتون به ، ويطوفون به الأسواق ، ويبيعونه بأغلى الأثمان . ويتضارب على شرائه الناس ، وان صادفهم السواس ، والقواسة خطفوه من على رؤوسهم وأخذوه قهرا !

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك الدفتردار لما سافر من القصير ، طلع على المويلح ، وركب من هناك مع العرب الى غزة ، وأرسل سرا الى مصر ، وطلب رجلا نصرانيا من أتباعه .. فذهب اليه صحبة الهجان ، بمطلوبات وبعض احتياجات .

ولما وصل الى جهة غزة أرسل الى أحمد باشا الجزار يعلمه بوصوله . فأرسل لملاقاته خيلا ورجالا ، فذهب اليه ، وصحبته نحو الثلاثين نفرا لاغير . فلما وصل الى قرب عكا خرج اليه أحمد باشا ، ولاقاه ، ووجهه الى حيفا ، ورتب لهم بها رواتب .

وأما مراد بيك فانه خرج الى بر الجيزة من أول السنة ، وجلس فى قصر اسماعيل بيك الذى عمره هناك ، واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر ، وطلب الصناع والحدادين ، وشرع فى انشاء مراكب وغلايين رومية ، وزاد فى بناء القصر ووسعه ، وأنشأ به بستانا عظيما وغير ذلك .

وسافر عثمان بيك الشرقاوى الى ثغر الاسكندرية ، وجبى الأموال فى طريقه من البلاد .

ربيع الآخر

الاربعاء ٢٧ منه (١٢ ديسمبر ١٧٩٢ م ـ ٥ كيهك ١٥٠٩ ق) :

أمطرت السماء مطرا متوسطا ، وفرح به الناس .

جمادى الأولى

السبت اوله (١٥ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

عدى مراد بيك من بر الجيزة ، فدخل الى بيته وأخبروا عن عثمان بيك الشرقاوى أنه رجع الى رشيد .

الثلاثاء ٤ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

حضر الذكور الى مصر .

الخميس ٦ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

خرج مراد بيك وابراهيم بيك وباقى أمرائهم الى جهة العادلية ، فأقاموا أياما قليلة ، ثم ذهب مراد بيك الى ناحية أبى زعبل . وكذلك ابراهيم بيك الوالى ، وصحبته جماعة من الأمراء الى ناحية الجزيرة . وفى وقت خروجهم نهب أتباعهم ماصادفوه من الدواب ، وصاروا يكبسون الوكائل

التى بباب الشعرية ، ويأخذون ما يجدونه من جمال الفلاحين السفارة وحميرهم نهبا .

فأما مراد بيك فانه لما وصل الى أبى زعبل ، وجد هناك طائفة من عرب الصوالحة فى خيشهم ، لا جنية لهم — فنهبهم وأخذ أموالهم ومواشيهم ، وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصا ، مابين علمان وشيوخ ! وأقام هناك يوما ، وقبض على مشايخ البلد « أبو زعبل » ، وحبسهم ، وقرر عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال . ولم يقبل فيهم شفاعة أستاذهم ، وشتمه ، وضربه بالعصا . وأما عرب الجزيرة ، فانهم ارتحلوا من أماكنهم .

شعبان

(مارس — ابريل ١٧٩٣ م)

وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقى ، ونضوب مائه ، وظهرت بالنيل كيمان رمل هائلة من حد المقياس الى البحر المالح ، وسار البحر الغربى سلسول جدول تخوضه الأولاد الصغار ، ولا يمر به الا صغار القوارب . وانقطع الجالب من جميع النواحى الا ما تحمله المراكب الصغار بأضعاف الأجرة ، وتعطلت دواوين المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلا مسلمانى ، وصحبته جماعة من الأفرنج ، وأحضروا الأخشاب العظيمة ، ورتبوا عمل السد قريبا من كفر الخضرة ، وركبوا آلات فى المراكب ، ودقوا ثلاثة صفوف خوابير من أخشاب طوال . فلما أتموا ذلك كانت الصناع فرغت من تطبيق ألواح فى غاية الثخن شبه البوابات العظام وهى مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص ، وصفائح الحديد مثقوبة بثقوب مقامة على مايوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة فى الماء ، فاذا نزلوا ببوابة ألحموها بتلك الخوابير ، وتبعتهم الرجال بالجوابى المملوءة بالحصا والرمل من أمام ، ومن خلف . وتبع ذلك الرجال الكثيرة يلقان الأتربة والطين ، ففعلوا ذلك حتى قارب التمام ، ولم يبق الا اليسير ، ثم حصل الفتور فى العمل بسبب أن المباشر على ذلك أرسل لمراد بيك بالحضور ليكون اتمامها بحضرته ، ويخلع عليه ، ويعطيه ما وعده به من الانعام ، فلم يحضر مراد بيك ، وغلبهم الماء ، وتلف جانب من العمل . وكان أيوب بيك الصغير حاضرا ، وفى نفسه أن لايتم ذلك لأجل بلاده ، فأصبح مرتحلا ، وتركوا العمل ، وانفض الجمع !

وقد أقام العمل فى ذلك من أوائل شعبان الى أواسط شوال . ثم نزل اليها جماعة آخرون ، وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار ، وشرعوا فى عمل سد المكان القديم عن فم الترعة ، ودقوا أيضا خوابير كثيرة ، وألقوا أحجارا عظيمة . وفرغت الأحجار ، فأرسلوا بطلب غيرها ، فلم يسعفهم القطاعون ، فشرعوا فى هدم الأبنية القديمة ، والجوامع التى بساحل النيل ، وقلعوا أحجار الطواحين التى بالبلاد القريبة من العمل . واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ، ولم يتم العمل ، ورجعوا كالأول ، وذهب فى ذلك من الأموال والغرامات والسخرات ، وتلف من المراكب والأخشاب والحديد ، ما لا يحد ، ولا يعد !!

شوال

أوائله (حوالى منتصف مايو ١٧٩٣ م) :

ورد الخبر بأن على بيك سافر من عند أحمد باشا الى اسلامبول ، صحبة قابجى معين . فلما قرب من اسلامبول ، أرسلوا من وجهه الى برصا ليقيم بها ، ورتبوا له كفايته .. فى كل شهر خمسمائة قرش رومى .

* * *

ومات فى هذه السنة الأجل الصالح ، الناسك

المسلك العارف ، الشيخ محمد بن عبد الحافظ أفندى أبو ذاكر الخلوتى الحنفى .

اخذ الطريق عن السيد مصطفى البكرى والشيخ الحفنى ، وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجى والشيخ أحمد الحماقى ، وأدرك الأسقاطى والمنصورى . ولم يتزوج قط ، وكف بصره ، وانقطع فى بيته احدى وعشرين سنة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ، ولاجارية ولا عبد ، ولا من يخدمه فى شىء مطلقا ..!

وبيته متسع — جهة التبانة — وبابه مفتوح دائما وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط ، والجميع مطلوقون فى الحوش وهو يباشر علفهم واطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ، ويطبخ طعامه بنفسه .. وكذلك بغسل ثيابه .

واشتهر فى الناس بأن الجن تخدمه — وليس ببعيد ! — لأنه كان من أهل المعارف والأسرار ، ويأتى اليه الكثير من الطلبة للاخذ عنه ، والتلقى منه .

وكان له يد طولى فى كل شىء ، ومشاركة جيدة فى العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات والأوفاق ، واستحضار تام فى كل ما يسأل عنه . وعنده عدة كثيرة من السنانير (القطط) ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ويقول : « هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة !! »

توفى — رحمة الله — فى شهر شوال من هذه السنة .

* * *

ومات أيضا المجذوب المعتقد ، السيد على البكرى (١) . لقام سنين متجردا ، ويمشى فى الأسواق عريانا ، ويخلط فى كلامه ، وبيده نبوت طويل يصحبه معه فى غالب أوقاته — وقد تقدم ذكره وذكر المرأة التى تبعته المعروفة بالشيخة أمونة .

وكان يحلق لحيته وللناس فيه اعتقاد عظيم .

فينصتون الى تخليطاته ، ويوجهون الفاظه ويؤولونها على حسب أغراضهم ، ومقتضيات أحوالهم .. ووقائعهم !.

وكان له أخ من مساتير الناس ، فحجر عليه ؛ ومنعه من الخروج ، وألبسه ثيابا ، ورغب الناس فى زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته !

فأقبل عليه الناس من كل ناحية ، وترددوا لزيارته من كل جهة ، وأتوا اليه بالهدايا والنذور .. وجروا على عوائدهم فى التقليد ..

وازدحم عليه الخلائق — وخصوصا النساء — فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ، ونصبه شبكة لصده ، ومنعه من حلق لحيته فنبتت وعظمت ، وسمن بدنه وعظم جسمه .. من كثرة الأكل والراحة !

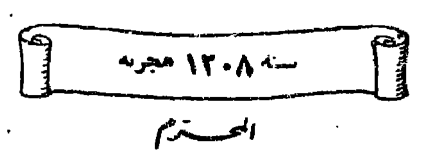
وقد كان قبل ذلك عريانا شقبانا ، يبيت غالب لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة فى الشتاء والصيف وقيد به من يخدمه ويراعيه فى منامه ويقظته ؛ وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ، ويخلط فى ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة يشتم .. ولابد من مصادفة بعض الألفاظ لما فى نفس بعض الزائرين وذوى الحاجات .. فيعدون ذلك كشفا واطلاعا على ما فى نفوسهم وخطوات قلوبهم ويحتمل أن يكون كذلك ! ! فانه كان من البله المجاذيب المستغرقين فى شهود حالهم .

ولم يزل هذا حاله .. حتى توفى فى هذه السنة ، واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ، ودفنوه بمسجد الشرايبى — بالقرب من جامع الرويعى — فى قطعة من المسجد ، وعملوا على قبره مقصورة ومقاما للزيارة ، واجتمعوا عند مدفنه فى ليالى

(١) سبب نسبتهم هذه .. انهم كانوا يسكنون بسويقة البكرى .. وليس لانهم من البكرية .

وميادات ، وقراء ومنشدين ، وتزدحم عنده أصناف الخلائق .. ويختلط النساء بالرجال .

ومات أخوه أيضا بعده بنحو سنتين .



المحرم

١٦ منه (٢٤ اغسطس ١٧٩٣ — ١٨ مسرى ١٥٠٩ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وانحلت الأسعار ، وبورك فى رمى الغلال ، حتى أن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة !

وبلغ النيل الى الزيادة المتوسطة وثبت الى أول بابة ، وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجارى ، وحفر الترع ، واصلاح الجسور .

صفر

اوائله (اوائل سبتمبر ١٧٩٣ م) :

وصل قابجى من الديار الرومية بطلب مال المصالحة والحلوان ، فأنزلوه فى دار ، وهادوه ، ورتبوا له مصروفا .

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويش الحج ، وتشوفوا لحضوره .

ولم يذهب اليهم فى هذه السنة ملاقاة بالوش ولا بالأزلم .

وأرسل ابراهيم بيك هجانا يستخبر عن الحجاج ، فذهب .

ليلة ٢٣ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٩٣ م) .

رجع الهجان وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من سائر النواحى ، عند مغاير شعيب ، ونهبوا الحجاج ، وكسروا المحمل ، وأحرقوه ، وقتلوا غالب الحجاج والمغاربة معهم ، وأخذوا أحمالهم ، ودوابهم ، ونهبوا أثقالهم ، وانجرح أمير الحج ، وأصابه ثلاث رصاصات ، وغاب خبره ثلاثة أيام ، ثم أحضره العرب ، وهو عريان فى أسوأ حال ، وأخذوا النساء بأحمالهن ، والذى تبقى منهم أدخلوه الى قلعة العقبة ، وتركهم الهجان بها من غير ماء ، ولا زاد ، فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة مالا مزيد عليه !

٢٧ منه (٤ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

عينوا محمد بيك الألفى وعثمان بيك الأشقر ، ليسافرا بسبب ذلك ، فخرجا ، وخطف أتباعهم فى ذلك اليوم ماصادفوه من الجمال والبغال والحمير وقرب السقائين التى تنقل الماء من الخليج ، ونهبوا الخبز من الطوابين والمخابز ، والكعك والعيش من الباعة !

وفى يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ، ودخلوا فى أسوأ حال من العرى والجوع والتعب . فلما وصلوا الى نخل تلاقوا مع باقى الحجاج على مثل ذلك ، ووجدوا أمير الحج ذهب الى غزة ، وصحبته جماعة من الحجاج ، وأرسل يطلب الأمان . ولم يزوروا المدينة فى هذه السنة . وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال مع عرب حرب .

وضاع فى هذه الحادثة من الأموال والمحزوم شىء كثير جدا ، وأخبروا أن موسم هذا العام كان من أعظم المواسم ، لم يتفق مثله من مدة مديدة .

ربيع الأول

الاثنين أوله (٧ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

دخل باقى الحجاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك .

الثلاثاء ٢ منه (٨ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وقرىء المرسوم الذى

حضر بصحبة الأغا ، فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينــة ، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمــائة كيس ، وعشرة آلاف وخمســة وأربعون نصفا فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير .

وفيه : عملوا على زوجات أمير الحج ثلاثين ألف ريال ، وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار ، فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها ، لأنه قتل فى معركة العرب مع الحجاج ، وألبسوا زوجته الخاتم قهرا عنها ، ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بيك ، وهى بنت على أغا المعمار ، ووجدت على زوجها وجدا عظيما ، وأرسلت جماعة لاحضار رمته من قبره الذى دفن فيه فى صندوق على هيئة تابوت .

وفيه : شرع الأمراء فى عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة ، وقرروها : عال ، وهو اربعمائة بال .. ووسط ، وهو ثلثمائة .. والدون ، مائة وخمسون ، وكتبوا أوراقها عــلى الملتزمين ليحصلوها منهم .

الخميس ٤ منه (١٠ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

سافر حسن ، كتخدا ايوب بيك ، بأمان لعثمان بيك ليحضره من غزة . ووصل المتسفرون بجثــة حسن كاشف المعمار .

جمــادى الأولى

٢٠ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٣ م) :

وصل عثمان بيك طبل الاسماعلى أمير الحج الى مصر مكسوف البال ، ودخل الى بيته .

وفيه : حضر الصدر الأعظم يوسف باشــا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز ، فاعتنى الأمراء بشأنه ، وأرسلوا له ملاقاة ، وتقادم ، وهــدايا ، وفرشوا له قصر العينى ، ووصل الى مصر ، وطلع من المراكب الى قصر العينى ، وأرسلوا له تقادم وضــيافات ، ثم حضروا للســلام عليه فى زحمة وكبكبة ، فخلع على ابراهيم بيك ومراد بيك خلعا ثمينة ، وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين ، ثم نزل له الباشا المتولى بعد يومين ، وسلم عليه ، ورجع الى القلعة ، وأقاموا لخفارته عبد الرحمن بيــك الابراهيمى ، جلس بالقصر المواجه لقصر العينى .

وقد تخيلوا من حضوره ، وظنوا ظنونا ...

جمــادى الآخرة

٣ منه (٦ يناير ١٧٩٤ م) :

طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولى ، فجلس عنده الى بعــد الظهر ، ونزل فى موكب حافل الى محله بقصر العينى وأرسل له ابراهيم بيك ومراد بك مع كتخدائهم هــدية ، وهى خمســمائة أردب قمح ، ومائة أردب أرز ، وتعبيات أقمشة هندية وغير ذلك .

وأقام بالقصر أياما ، وقضوا أشغاله ، وهيأوا له اللوازم والمراكب بالسويس . وركب فى أواسط جمادى الآخرة وذهب الى السويس ليســافر الى جدة من القلزم

سنه ١٢٠٩ هجريه

لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتــابع مظالمهم واتخذ مراد بيك الجيزة سكنا ، وزاد فى عمــارته ، واستولى على غالب بلاد الجيزة : بعضها بالثمن القليل ، وبعضها غصبا ، وبعضها معاوضة واتخذ صالح أغا أيضا له دارا بجانبه ، وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريبا من مراد بيك .

المحرم

٢٧ منه (٢٤ أغسطس ١٧٩٤ م — ٢٠ مسرى ١٥١٠ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء ، وجرى الماء فى الخليج .

صفر

(سبتمبر ١٧٩٤ م)

ورد الخبر بوصول صالح باشا والى مصر ، الى اسكندرية ، وأخذ محمد باشا فى أهبة السفر ، ونزل وسافر الى جهة اسكندرية .

ربيع الأول

٢٠ منه (١٥ أكتوبر ١٧٩٤ م) :

وصل صالح باشا الى مصر وطلع الى القلعة .

(أواخر اكتوبر وأوائل نوفمبر ١٧٩٤ م) :

ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت — المنفصل عن مصر — وورد عليه التقليد وهو باسكندرية . وكان صالح أغا الوكيل ذهب صحبته ليشيعه الى اسكندرية ، فأنعم عليه بفرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة فى كل يوم .

ربيع الآخر

١٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٩٤ م — ٢ هاتور ١٥١١ ق) :

أمطرت السماء مطرا غزيرا قبل الفجر . وكان ذلك بعيد بابة القبطى .

ذو الحجة

(يونية — يولية ١٧٩٥ م)

وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية بشرقية بلبيس ، حضر اليه أهلها ، وشكوا من محمد بيك الألفى ، وذكروا أن أتباعه حضروا اليهم وظلموهم ، وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه ؛ واستغاثوا بالشيخ . فاغتاظ ، وحضر الى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ؛ وذلك بعدما خاطب مراد بيك ، وابراهيم بيك ، فلم يبديا شيئا .. ففعل ذلك فى ثانى يوم ، وقفلوا الجامع . وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت .

ثم ركبوا فى ثانى يوم ، واجتمع عليهم خلق كثير من العامة ، وتبعوهم ، وذهبوا الى بيت الشيخ السادات ، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة ، بحيث يراهم ابراهيم بيك . وقد بلغه اجتماعهم ، فبعث من قبله أيوب بيك الدفتردار فحضر اليهم ، وسلم عليهم ، ووقف بين يديهم ، وسألهم عن مرادهم . فقالوا له :

« نريد العدل ، ورفع الظلم والجور ، واقامة الشرع ، وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها » .

فقال : « لا يمكن الاجابة الى هذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات » .

فقيل له : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ، والأمير يكون أميرا بالاعطاء ، لا بالأخذ ! »

فقال : « حتى أبلغ » .

وانصرف ، ولم يعد لهم بجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ الى الجامع الأزهر . واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية ، وباتوا بالمسجد ، وأرسل ابراهيم بيك الى المشايخ يعضدهم ، ويقول لهم : « أنا معكم ، وهذه الأمور على غير خاطرى ، ومرادى » . وأرسل الى مراد بيك يخيفه عاقبة ذلك . فبعث مراد بيك يقول :

« أجيبكم الى جميع ماذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكسر من الجامكية وتبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم ، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا » .

ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم ، فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاطفهم ، والتمس منهم السعي فى الصلح على ماذكر . ورجعوا من عنده ، وباتوا على ذلك تلك الليلة .

وفى اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بيك ، واجتمع الأمراء هناك . وأرسلوا الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الأمير . وكان المرسل اليهم رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، فذهبوا معه ، ومنعوا العامة من السعي خلفهم . ودار الكلام بينهم ، وطال الحديث ، وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا ، والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون ، وأموال الرزق ، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة ، والكشوفيات والتفاريد والمكوس ، ما عدا ديوان بولاق ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس ، ويرسلوا صرة الحرمين . والعوائد المقررة من قديم الزمان ، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة .

وكان القاضى حاضرا بالمجلس ، فكتب حجة عليهم بذلك ، وفرمن عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بيك ، وأرسلها الى مراد بيك فختم عليها أيضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ ، وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة . وهم ينادون : « حسب مارسم ساداتنا العلماء : بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية » !

وفرح الناس ، وظنوا صحته ، وفتحت الأسواق ، وسكن الحال على ذلك نحو شهر ، ثم عاد كل ما كان مما ذكر ... وزيادة !

ونزل عقيب ذلك مراد بيك الى دمياط ، وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك .

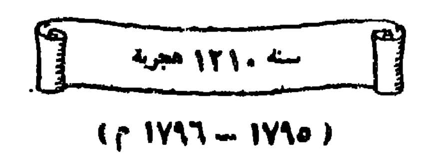
ومات فى هذه السنة ، الذمى المعلم ابراهيم الجوهرى ، رئيس الكتبة الأقباط بمصر . وأدرك من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة — مع طول المدة بمصر — ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم .

وأول ظهوره من أيام المعلم رزق — كاتب على بيك الكبير ولما مات على بيك والمعلم رزق ، ظهر أمره ونما ذكره ، فى أيام محمد بيك فلما انقضت أيام محمد بيك وترأس ابراهيم بيك ، قلده جميع الأمور ، فكان هو المشار اليه فى الكليات والجزئيات .. حتى دفاتر الروزنامة والميرى وجميع الايراد والمنصرف ، وجميع الكتبة والصيارفة من تحت يده واشارته .

وكان من دهاقين العالم ودهاتهم ، لايعزب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ، ويدارى كل انسان بما يليق به من المداراة ، ويحابى ويهادى ويواسى ويفعل مايوجب انجذاب القلوب والمحبة ، ويهادى ويبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء . وعند دخول رمضان يرسل الى غالب أرباب المظاهر ، ومن دونهم ، الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوى .

وعمرت فى أيامه الكنائس وديور النصارى ، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال .

وحزن ابراهيم بيك لموته ، وخرج فى ذلك اليوم الى قصر العينى حتى يشاهد جنازته ، وهم ذاهبون به الى المقبرة ، وتأسف على فقده تأسفا زائدا وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من السنة .



سنة ١٢١٠ هجرية

(١٧٩٥ - ١٧٩٦ م)

لم يقع بها شيء من الحوادث التى يعتنى

بتقييدها ، سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم ..

* * *

ومات فى هذه السنة ، العمدة العلامة ، والرحلة الفهامة ، الفقيه الفاضل ، ومن ليس له فى الفضل مناضل ، الشيخ حسن بن سالم الهوارى المالكى ، أحد طلبة شيخنا الشيخ الصعيدى . وبعد وفاة شيخه ولى مشيخة رواق الصعايدة .

وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة تجارى . واشترى خرابة بسوق القشاشين — بالقرب من الأزهر — وعمرها دارا لسكنه ، وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب المدرسة السنانية ، وكان مكتبا عظيما ذا واجهتين وعمودين وأربع بوائك وزاوية ، جداره من الحجر النحيت ، عجيبة الصنعة فى البروز والاتقان . فهدمه وأدخله فى بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق ، أو خوف خالق .

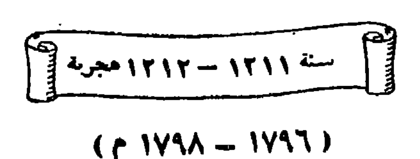
وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم ، يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين ، وجمال الأعيان المارين عليهم ، فيستعملونها فى نقل تراب الشيخ .. لأجل التبرك : اما قهرا أو محاباة .

وكذلك المؤن ، حتى تممها على هذه الصورة ، وسكن فيها ، وأحدق به الجلاوزة من الطلبة يغدون ويروحون فى الخصومات والدعاوى ، ويأخذون الجعالات والرشوات ،من المحق والمبطل ، ومن خالف عليهم ضربوه وآهانوه .. ولو عظيما ، من غير مبالاة ولا حياء !

ومن عزلهم أو لامهم كفروه ، ونسبوه الى الظلم والتعدى والاستهزاء بأهل العلم والشريعة . وزاد الحال ، وصار كل من رؤساء الجماعة شيخا على انفراده ، يجلس فى ناحية ببعض الحوانيت ، يقضى ويأمر وينهى .

وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة .. فانكفوا .

ومرض شيخهم بالتشنج شهورا وتوفى ، رحمه الله .



(١٧٩٦ — ١٧٩٨ م)

لم يقع فيهما من الحوادث التى تتشوف لها النفوس ، أو تشتاق اليها الخواطر ، فتقيد فى بطون الطروس .. سوى ماتقدمت اليه الاشارة ، من أسباب نزول النوازل ، وموجبات ترادف البلاء المتراسل ، ووقوع الانذارات الفلكية ، والآيات المخوفة السماوية .. وكلها أسباب عادية وعلامات ، من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات .

فبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون ، وبالنجم هم يهتدون ... فمن أعظم ذلك ، حصول الخسوف الكلى فى منتصف شهر الحجة (٣١ مايو ١٧٩٨ م) ختام سنة اثنتى عشرة بطالع مشرق الجوزاء ... المنسوب اليه اقليم مصر .

وحضر طائفة الفرنسيس اثر ذلك فى أوائل السنة التالية .. كما سيأتى خبر ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى .

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون

« صدق الله العظيم »

سنه ١٢١٣ هجريه

وهي أولى سني الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالي المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب . وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون .

المحرم

٨ منه (٢٢ يونية ١٧٩٨ م) :

حضر الى الثغر عشرة مراكب من مراكب الانكليز ، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر. وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أيضا ، فانتظر أهل الثغر مايريدون ، واذا بقايق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار ، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد — والرئيس اذ ذاك فيها والمشار اليه بالابرام والنقض السيد محمد كريم (١) — فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ، ولا ندرى أين قصدهم . فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم ولا تتمكنون من منعهم . فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة وجاوبوهم بكلام خشن . فقالت رسل الانكليز « نحن نقف بمراكبنا فى البحر محافظين على الثغر لانحتاج منكم الا الامداد بالماء والزاد بثمنه » . فلم يجيبوهم لذلك وقالوا : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل .. فاذهبوا عنا » . فعندها عادت رسل الانكليز ، وأقلعوا فى البحر ليمتاروا من غير الاسكندرية ... وليقضى الله أمرا كان مفعولا .

ثم ان أهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويأتى معهم للمحافظة بالثغر .

١٠ منه (٢٤ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الاسكندرية (تفيد ما تقدم) .

فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت المقالات والأراجيف .

فى ١٣ منه (٢٧ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات مضمونها أن المراكب التى وردت الثغر عادت راجعة ، فاطمأن الناس ، وسكن القيل والقال . وأما الأمراء فلم يهتموا بشىء من ذلك ، ولم يكترثوا به اعتمادا على قوتهم وزعمهم أنه اذا جاءت جميع الافرنج لايقفون فى مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم !

٢٠ منه (٤ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمنهور بأن فى يوم ثامن عشره (٢ يوليه ١٧٩٨ م)

(١) الغالب على الظن انه مغربى الأصل استوطنت اسرته الاسكندرية . وكان فى اول أمره قبانيا يزن البضائع اشتهر ذكره حتى احبه الناس . قلده مراد بيك أمر الديوان والجمارك والثغر .

وردت مراكب وعمارات للفرنسيس كثيرة ، فأرسوا فى البحر ، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل (١) وبعض أهل البلد . فلما نزلوا اليهم عوقوهم عندهم . فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمى (٢) ، وطلعوا الى البر ، ومعهم آلات الحرب والعساكر ، فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح الا وهم كالجراد المنتشر حول البلد ، فعندها خرج أهل الثغر وما انضم اليهم من العربان المجتمعة وكاشف البحيرة ،فلم يستطيعوا مدافعتهم، ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم ، وانهزم الكاشف ومن معه من العربان ، ورجع أهل الثغر الى التترس فى البيوت والحيطان ، ودخلت الافرنج البلد ، وانبث فيها الكثير من ذلك العدد (٣) .

كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمى يدافعون ، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون ... فلما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس ثم عندهم للقتال استعداد ، لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته ... طلب أهل الثغر الأمان ، فأمنوهم ، ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ، ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ، ورفع بنديراته عليها ، وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح واحضاره اليه ، وأن يضعوا الجوكار فى صدورهم فوق ملبوسهم .

(١) كان القنصل فى هذا الوقت ابن اخى «ماجاللون» القنصل السابق لفرنسا فى مصر .

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ٨٠)

(٢) قرية لصيد السمك صغيرة تبعد حوالى الاربعة الاميال غربى الاسكندرية . وكانت خطة بونابرت توزيع قواته لانزالها الى البر فى جملة مواقع والاستيلاء فى وقت واحد على الاسكندرية ودمياط ثم التوغل من هذين المركزين فى الدلتا والوصول الى القاهرة بسرعة

(دكتور محمد فؤاد شكرى — الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٣٤) .

(٣) لم يخسر الفرنسيون فى فتح الاسكندرية اكثر من نحو أربعين قتيلا ، مع ثمانين الى مائة من الجرحى .

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ١٠٤)

والجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك ، مستديرة فى قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء ، توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض .

ولما وردت هذه الأخبار مصر ، حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهجاج .

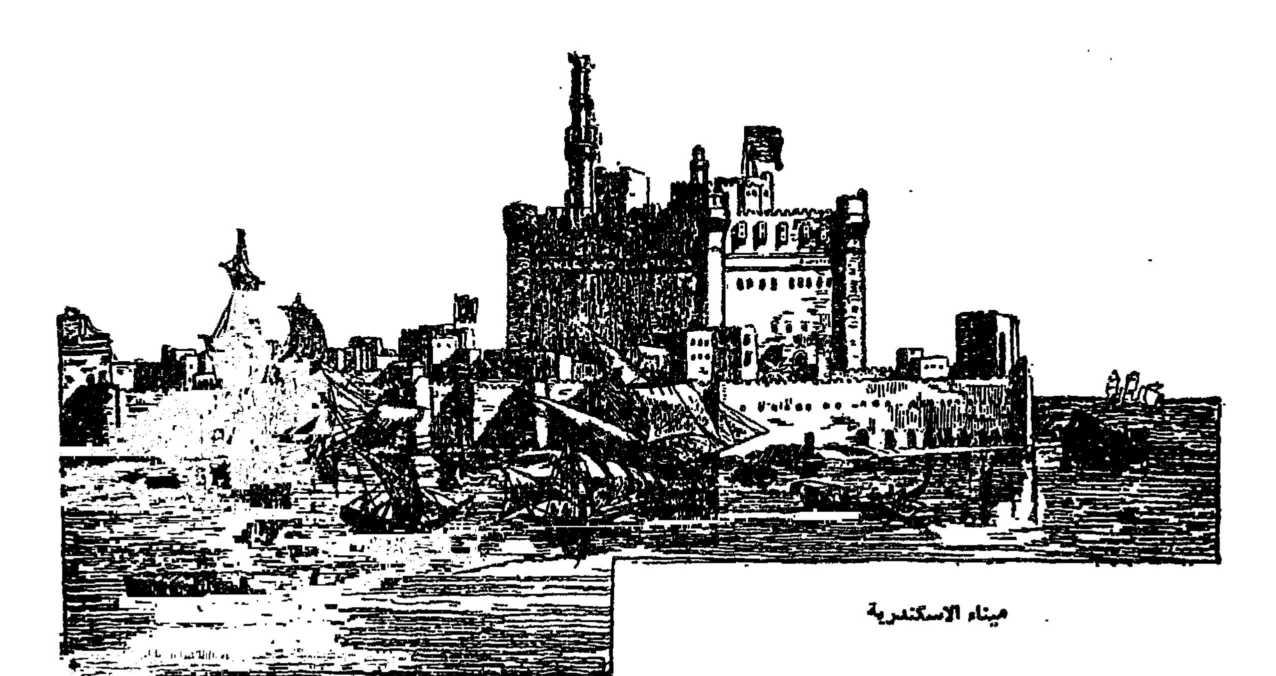
وأما ماكان من حال الأمراء بمصر ، فان ابراهيم بيك ركب الى قصر العينى وحضر عنده مراد بيك من الجيزة لأنه كان مقيما بها ، واجتمع باقى الأمراء والعلماء والقاضى ، وتكلموا فى شأن هذا الأمر الحادث ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث الى اسلامبول ، وأن مراد بيك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم . وانفض المجلس على ذلك ، وكتبوا المكاتبة ، وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البر (١) ، ليأتيه بالترياق من العراق ! (٢) وأخذوا فى الاستعداد للثغر وقضاء اللوازم والمهمات فى مدة خمسة أيام ، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب مايحتاجون اليه بدون ثمن .

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة . وبرز خيامه ووطاقه الى الجسر الأسود ، فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصناجقه وعلى باشا الطرابلسى وناصف باشا — فانهم كانوا من أخصائه ومقيمين معه بالجيزة — وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسار من البر مع العساكر الخيالة . وأما الرجالة — وهم الالداشات القلينجية والأروام والمغاربة — فانهم ساروا فى البحر مع الغلايين الصغار التى أنشأها الأمير المذكور .

ولما ارتحل من الجسر الأسود أرسل الى

(١) بطريق البر .

(٢) هو مثل شعبى قديم ، نصه : « على مايجى الترياق من العراق ، يكون العليل مات ! »



ميناء الاسكندرية

مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية الثخن والمتانة ، طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعا ، لتنصب على البغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لتمنع مراكب الفرنسيس من العبور لبحر النيل — وذلك باشارة على باشا — وأن يعمل عندها جسر من المراكب وينصب عليها متاريس ومدافع ، ظنا منهم أن الأفرنج لايقدرون على محاربتهم فى البر ، وانهم يعبرون فى المراكب ويقاتلونهم وهم فى المراكب ، وانهم يصابرونهم ويطاولونهم فى القتال حتى تأتيهم النجدة .

وكان الأمر بخلاف ذلك ... فانالفرنسيس عندما ملكوا الاسكندرية ، ساروا على طريق البر الغربى من غير ممانع . وفى أثناء خروج مراد بيك والحركة ... بدت الوحشة فى الأسواق ، وكثر الهرج بين الناس والارجاف ، وانقطعت الطرق ، وأخذت الحرامية فى كل ليلة تطرق أطراف البلد ، وانقطع مشى الناس من المرور فى الطرق والأسواق من المغرب ، فنادى الأغا والوالى بفتح الأسواق والقهاوى ليلا ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين ، وذلك لأمرين : الأول — ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس . والثانى — الخوف من الدخيل فى البلد .

وفى يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم ، فذهبوا الى فوة ونواحيها ، والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم العقلاء .

وقد كانت الفرنسيس — حين حلولهم بالاسكندرية — كتبوا مرسوما وطبعوه وأرسلوا منه نسخا الى البلاد التى يقدمون عليها .. تطمينا لهم . ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة ، وحضروا صحبتهم ، وحضر منهم جملة الى بولاق — وذلك قبلوصول الفرنسيس بيوم أو يومين — ومعهم منه عدة نسخ ومنهم مغاربة وفيهم جواسيس ، وهم على شكلهم من كفار مالطة ، ويعرفون باللغات .

وصورة ذلك المكتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه .

« من طرف الفرنساوية المبنى على أساس

العربية والتسوية السرعسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية ، ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدي . فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها .

« فأما رب العالمين القادر على كل شيء ، فانه قد حكم على انقضاء دولتهم .

« ياأيها المصريون ...

« قد قيل لكم انني مانزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح ... فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين انني ماقدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، وانني — أكثر من المماليك — أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه والقرآن العظيم .

« وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله ، وأن الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب ... فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ، ويختصوا بكل شيء أحسن فيها : من الجوارى الحسان ، والخيل العتاق ، والمساكن المفرحة .

« فان كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك ، فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ! ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم .

« ولكن بعونه تعالى ، من الآن فصاعدا ، لاييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيديرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

« وسابقا كان فى الأراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر ... وما ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك .

« أيها المشايخ والقضاة ، والأئمة والجربجية وأعيان البلد ...

« قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هم ايضا مسلمون مخلصون ، واثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى ، وخربوا فيها كرسي البابا الذى كان دائما يحث النصارى محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللرية (1) الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

«ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه . أدام الله ملكه .. ومع ذلك المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير ممتثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم .

« طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير ! فيصلح حالهم ، وتعلى مراتبهم .

« طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فاذا عرفونا بالأكثر تسارعوا الينا بكل قلب !

« لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقة الخلاص ولا يبقى منهم أثر !

« المادة الأولى : جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر

(1) أو « الكفالبرية » ، مأخوذة من الكلمة الافرنجية التى تعنى « فارس » . وهم طائفة — من مخلفات الحروب الصليبية — استقرت فى مالطة ...

عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وكحلى وأحمر .

« المادة الثانية : كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار .

« المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضا تنصب صنجاق السلطان العثمانى .. محبنا دام بقاؤه .

« المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد يختمون حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التى تتبع المماليك ، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شىء منها .

« المادة الخامسة : الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم . وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة .

« والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالى : أدام الله اجلال السلطان العثمانى ! أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى ! لعن الله المماليك ! وأصلح حال الأمة المصرية .

« تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ شهر سيدور من اقامة الجمهور الفرنساوى » .

يعنى فى آخر شهر المحرم سنة ١٢١٣ هجرية .

٢٢ منه (٦ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى نواحى فوة ثم الى الرحمانية .

صفر

الأحد غرته (١٥ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة ٢٩ من المحرم (١٣ يولية ١٧٩٨ م) ، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس ، فلم تكن الا ساعة وانهزم مراد بيك ومن معه . ولم يقع قتال صحيح ، وانما هى مناوشة من طلائع العسكرين بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين ، واحترقت مراكب مراد بيك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردلى ... وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيبا . فقدر الله أن علقت نار بالقلع وسقط منها نار الى البارود فاشتعلت جميعها بالنار . واحترق المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا فى الهواء . فلما عاين ذلك مراد بيك داخله الرعب ، وولى منهزما ، وترك الأثقال والمدافع ، وتبعته عساكره . ونزلت المشاة فى المراكب ورجعوا طالبين مصر .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، فاشتد انزعاج الناس ، وركب ابراهيم بيك الى ساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورءوس الناس ، واعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم . فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ، ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك تجتمع بالأزهر كل يوم ، ويقرأون البخارى وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية ، وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ، ويعملون لهم مجالس بالأزهر .. وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الأسماء .

الاثنين ٢ منه (١٦ يولية ١٧٩٨ م) :

حضر مراد بيك الى بر انبابة ، وشرع فى عمل

متاريس هناك ممتدة الى بشتيل (١). وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خشداشينه، واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا. وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة، وأوقفها على ساحل انبابة، وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة.

ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك، فانهم من حين وصول الخبر لهم من الاسكندرية، شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التى لايعرفها أحد، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف، وأخذوا أيضا فى تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال. فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك، داخلهم الخوف الكثير والفزع، واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب. ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم، وهددوا من أراد النقلة، لما بقى بمصر منهم أحد.

وفى يوم الثلاثاء ٣ منه (١٧ يولية ١٧٩٨ م):

نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس، وكرروا المناداة بذلك كل يوم. فأغلق الناس الدكاكين والأسواق، وخرج الجميع لبر بولاق.. فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات، يجمعون الدراهم من بعضهم، وينصبون لهم خياما أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم. وبعض الناس يتطوع بالانفاق على البعض الآخر، ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم، وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم، وسمحت نفوسهم بانفاق أموالهم، فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشىء يملكه، ولكن لم يسعفهم الدهر.

وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة. وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف الى القلعة، فأنزل منها بيرقا كبيرا أسته العامة البيرق النبوى: فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق، وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح، ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك.

وأما مصر، فانها باقية خالية الطرق، لاتجد بها أحدا سوى النساء فى البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لايقدرون على الحركة، فانهم مستترون مع النساء فى بيوتهم. والأسواق مصفرة، والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش. وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل من البارود بستين نصفا، والرصاص بتسعين، وغلا جنس أنواع السلاح، وقل وجوده.. وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى والمساوق، وجلس مشايخ العلماء بزاوية علي بيك ببولاق يدعون ويبتهلون الى الله بالنصر، وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت، والبعض بالزوايا، والبعض فى الخيام.

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق، وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضى هناك، الى وقت الهزيمة، سوى القليل من الناس الذين لايجدون لهم مكانا ولا

(١) كانت قوات مراد بيك تمتد منتشرة من بشتيل وانبابة الى الاهرامات وكان جيشه يتألف من نحو الخمسين ألفا من المماليك وممن انضم اليهم من الانكشارية وغيرهم وهذا عدا العربان الذين تألفت منهم الى حد كبير ميسرة الجيش الممتدة الى الاهرامات.
(دكتور محمد فؤاد شكرى - الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٣٨)


ميناء بولاق

مأوى ، فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق . وأرسل ابراهيم بيك العربان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا وما والاها . وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم وفى كل يوم يتزايد الجمع ، ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد . وانقطعت الطرق ، وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم .

واما بلاد الأرياف فانها قامت على ساق بقتل بعضهم بعضا ، ونهب بعضهم بعضا وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحى وصار قطر مصر من أوله الى آخره فى قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر واغارة على الأموال وافساد المزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد الذى لا يحصى .

وطلب أمراء مصر .. التجار من الافرنج بمصر : فحبسوا بعضهم بالقلعة وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون فى محال الأفرنج على الأسلحة وغيرها . وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة . والعامة لا ترضى الا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة .

ثم فى كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر ، ويختلف الناس فى الجهة التى يقصدون المجىء منها ، فمنهم من يقول : « انهم واصلون من البر الغربى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الشرقى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الجهتين » . هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء المصر . بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ، ومكث مكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر ماينفعل بهم . وليس ثمة قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو .

الجمعة ٦ منه (٢٠ يولية ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنسيس الى الجسر الأسود .

السبت ٧ منه (٢١ يولية ١٧٩٨ م) (١) :

وصلوا الى آم دينار (٢) فعندها اجتمع العالم

---

(١) فى هذا اليوم عين كليبر السيد محمد الغريانى فى وظيفة محافظ (حاكم) الاسكندرية بعد القبض على حاكمها السيد محمد كريم .

(عبد الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية جـ ١ ص ١٩١)

(٢) مع ذلك كان امراء المماليك يركبون الجهل والغرور ، وكانوا ايضا يمثلون الحرص على النجاة والتخاذل فى اشد الاوقات حرجا ، فبينما كان الجيش الفرنسى زاحفا على العاصمة لم يكن مراد بيك وابراهيم بيك على وفاق بل كان يباعد بينهما التنافس القديم على السلطة . ولم يخف هذا التنافس على الفرنسيين فقد علم به نابليون وهو فى ام دينار يرسم الخطط ويستطلع اخبار القوة التى سيواجهها . فهناك وصلته اخبار الجفاء الذى بين مراد بيك وابراهيم بيك .

(عبد الرحمن الرافعى - الحركة القومية جـ ١ ص ٢١٢)

العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر . ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون فى ريشهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون فى رويتهم ، مغمورون فى غفلتهم . وهذا كله من أسباب ماوقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين ، بل أشيع فى عرضى ابراهيم بيك ، أنهم قادمون من الجهتين ، فلم يأتوا الا من البر الغربى .

ولما كان وقت القائلة ، ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى ، وتقدموا الى ناحية بشتيل — بلد مجاورة لانبابة — فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس ، فكروا عليهم بالخيول . فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى ، وأبلى الفريقان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار (١) وعبد الله كاشف الجرف (٢) وعدة كثيرة من كشاف محمد بيك الألفى ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الأفرنج فى نحو الستة آلاف ، وكبيره ديزيه الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم .

وأما بونابرته الكبير فانه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيدا عن هؤلاء بكثير (٣) . ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع ، وكذلك العساكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر

(١) مدبر الشئون المالية .

(٢) من البكوات المماليك .

(٣) يقول الاستاذ الرافعى (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢١٦) « هذا مارواه الجبرتى عن هذا الدور من المعركة ، ولا يمكننا ان نمر على قوله ان بونابرته الكبير لم يشاهد الواقعة دون أن نبدى شيئا من الدهشة لانه كيف تصور الجبرتى أن بونابرته لم يشاهد الواقعة مع انه قائدها وراسم خططها ومدبر الامر فيها ؟ ولا ندرى من اين جاء الجبرتى انه لم يحضر الا بعد الهزيمة وكان بعيدا عن هؤلاء بكثير .. مع أن بونابرت كان فى القلب يرقب حركات القتال ويتتبع كل صغيرة وكبيرة فيه ... على اى وجه قلبنا الرواية لا نجد ليتا لها وكل ما نقوله فيها انها خطأ » .

الأرناءود من دمياط ، وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم فى المتاريس .

فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ، ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم : «يارب ويالطيف ويارجال الله » ونحو ذلك ، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ! فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم «أن الرسول والصحابة والمجاهدين ، انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لابرفع الأصوات والصراخ والنباح » فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع ! وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضى الشرقى (١) — ومنهم ابراهيم بيك الوالى (٢) — وشرعوا فى التعدية الى البر الغربى فى المراكب ، فتزاحموا على المعادى لتكون التعدية من محل واحد — والمراكب قليلة جدا — فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين . هذا والريح النكباء اشتد هبوبها ، وأمواج البحر فى قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح فى وجوه المصريين ، فلايقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم ان الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب ، وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله ، وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع . واشتد هبوب الريح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ،

(٢) يعنى جيش ابراهيم بيك الذى كان مرابطا بالبر الشرقى للنيل .

(٣) صهر ابراهيم بيك رئيس المماليك » .



مراد بيك



نابليون بونابرت

وصمت الأسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت ، والسماء عليها سقطت .

واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة . ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربى (١) ، فغرق الكثير من الخيالة فى البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيرا فى أيدى الفرنسيس وملكوا المتاريس . وفر مراد بيك ومن معه الى



أحد المماليك يهرب

الجيزة ، فصعد الى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية .. وبقيت القتلى و الثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرجل .

(١) يعنى جيش مراد بيك لانه بالبر الغربى .

وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بيك ، المعروف بالأغا، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، فأما سليمان بيك فنجا وغرق ابراهيم بيك الصغير وهو صهر ابراهيم بيك الكبير .

ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها . وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب فى الحال ابراهيم بيك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئا .

فأما ابراهيم بيك والباشا والأمراء فساروا الى جهة العادلية . وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم جميعا فى غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب .

فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء : بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجوارى والخدم . واستمر معظم الناس طول

الليل خارجين من مصر .. البعض بحريمه ، والبعض نجو بنفسه ، ولا يسأل أحد عن أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر .. البعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق — وهم الأكثر — وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة .

ممتثلا للقضاء متوقعا للمكروه ، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم فى الغربة ... فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور .

والذى أزعج قلوب الناس بالأكثر أن فى عشاء تلك الليلة ، شاع فى الناس أن الأفرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وأن أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء .

وكان السبب فى هذه الاشاعة أن بعض القلينجية ، من عسكر مراد بيك الذى كان فى الغليون بمرسى انبابة ، لما تحقق الكسرة ، أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه . وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير



زوجة احد البكوات

من قبالة قصره ليصحبه معه الى جهة قبلى ، فمشوا به قليلا ووقف ، لقلة الماء ، فى الطين . وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر بحرقه أيضا ، فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق .. فظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع ، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين .

فلما عاين العامة والرعية ذلك ، اشتد ضجرهم وخوفهم ، وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم .

والحال أن الجميع لايدرون أى جهة يسلكون ، وأى طريق يذهبون ، وأى محل يستقرون .. فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه .

وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك طول ليلة الأحد وصبحها ، وأخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع .

فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة ، تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته . فكان ما أخذته العرب شيئا كثيرا يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف مابقى فيها بلا شك ، لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم ، وقد أخذوه صحبتهم .

وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضا ماعندهم . والذى أقعده العجز ، وكان عنده



هجوم البدو على المهاجرين

مايعز عليه من مال أو مصاغ ، أعطاه لجاره أو صديقه الراحل . ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه . وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن ، وفيهن الخوندات والأعيان .. فمنهم من رجع من قريب — وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ماحصل للسابقين — ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارته ، فسلم أو عطب . وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين . فما راء كمن سمع !

ولما أصبح يوم الأحد المذكور ، والمقيمون لايدرون مايفعل بهم ، ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفزع .. تبين أن الأفرنج لم يعدوا الى البر الشرقى ، وأن الحريق كان فى المراكب . فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة الى الأفرنج وينتظروا مايكون من جوابهم ... ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم .. وآخر صحبته [1] ، فغابا وعادا فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم . فقال على لسان الترجمان : « وأين عظماؤكم ومشايخكم ؟ لم تأخروا عن الحضور الينا لنرتب لهم مايكون فيه الراحة ؟ » وطمنهم وبش فى وجوههم . فقالوا : « نريد أمانا منكم » . فقال : « أرسلنا لكم سابقا » يعنون الكتاب المذكور . فقالوا : « وأيضا لأجل اطمئنان الناس » . فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها :

« من معسكر الجيزة لأهل مصر ...

« اننا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذ مال التجار ومال السلطان .

« ولما حضرنا الى البر الغربى ، خرجوا الينا ، فقابلناهم بما يستحقونه ، وقتلنا بعضهم ، وأسرنا بعضهم . ونحن فى طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى .

(1) فى كتب الفرنسيين ان الذين فكروا فى فتح باب المخابرة هم جماعة من تجار الافرنج فى القاهرة ، وذكروا انهم اجتمعوا بكخيا الوالى — نائبه — واقنعوه بضرورة ذلك.

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ١٤٧)

« وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين ، وفى مساكنهم مرتاحين » ...

الى آخر ما ذكرته .

ثم قال لهم : « لا بد أن المشايخ والشوربجية يأتون الينا لنرتب له ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » .

ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس ، وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم . وقال : « أنتم المشايخ الكبار » فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا . فقال : « لأى شيء يهربون ؟ اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية وأجراء الشريعة » . فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان . ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر ، واطمأن برجوعهم الناس ، وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم .

وأصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ، ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية . وأما عمر أفندى نقيب الأشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى والأفندية .

وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما ، ونهبوا أيضا عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٤ يولية ١٧٩٨ م) :

عدت الفرنساوية الى بر مصر(١) وسكن بونابرته

(١) يذكر حافظ عوض ان دخول نابليون القاهرة كان يوم الاربعاء ١١ صفر (٢٥ يوليو) .

ببيت محمد بيك الألفى بالازبكية ، بخط الساكت ، الذى أنشأه الأمير المذكور فى السنة الماضية ، وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخرة . وعند تمامه وسكناه فيه ، حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه . فكأنه انما كان يبنيه لأمير الفرنسيس . وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية .

ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية ، استمر غالبهم بالبر الآخر ، ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعد ، بل صاروا يضاحكون الناس ويشترون مايحتاجون اليه بأغلى ثمن .. فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسة ، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم (١) .

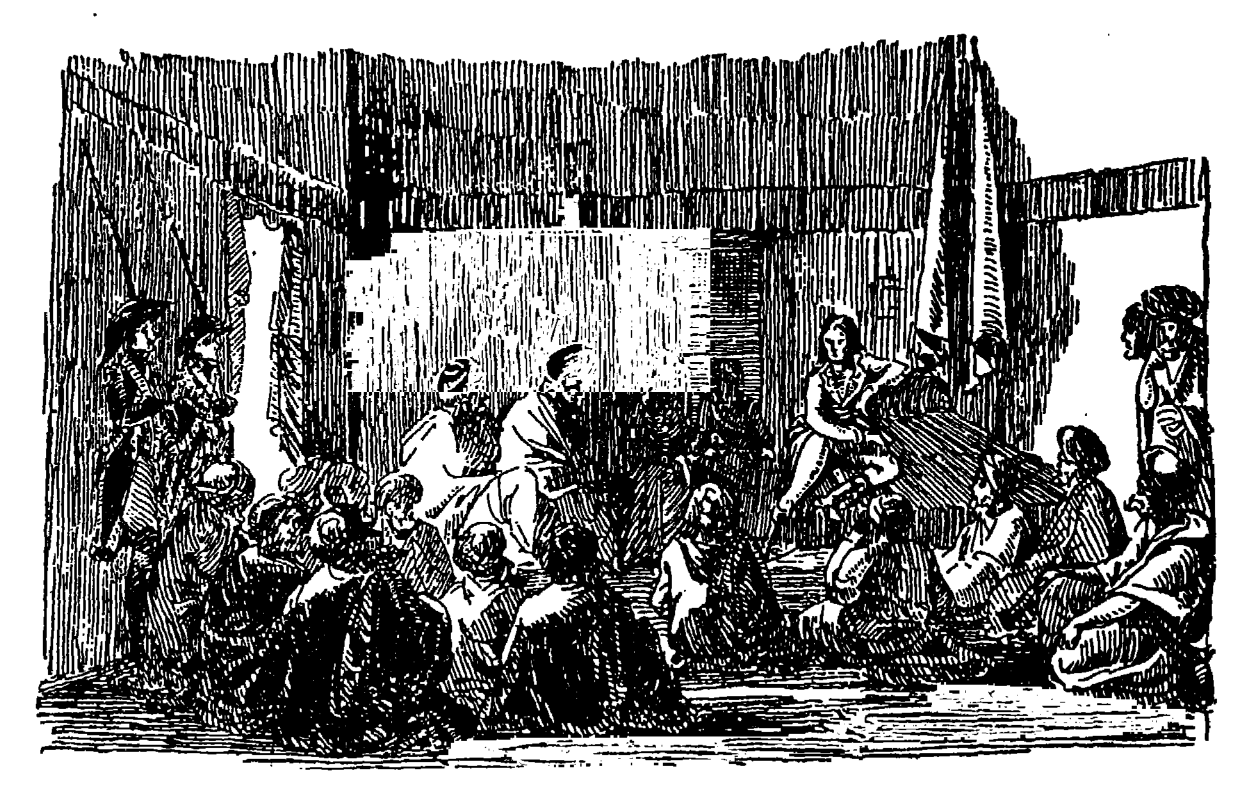
فلما رأى العامة منهم ذلك ، أنسوا بهم ، واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك .. مثل السكر والصابون والدخان والبن ، وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى (٢)

الخميس ١٢ منه (٢٦ يولية ١٧٩٨ م) :

أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائمقام صارى عسكر ، فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات . فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى

(١) للاستفاضة راجع ما كتبه كاتب فرنسى فى وصف الايام الاولى التى اعقبت دخول نابليون مدينة القاهرة فى كتاب فتح مصر الحديث لأحمد حافظ عوض (ص ١٥٢)

(٢) يذكر حافظ عوض أن هؤلاء الجنود قد امتلأت جيوبهم من ذهب المماليك وفضتهم وان الاموال التى يبتاعون بها البضائع ليست اموالهم !



بونابرت يراس اجتماع شيوخ القاهرة

والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى (١) .

وحضر ذلك المجلس أيضا مصطفى كتخدا بكر باشا والقاضى ، وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان ، وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة ، وحسن أغا محرم أمين احتساب . وذلك باشارة أرباب الديوان ، فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون الا من الأتراك ، ولا يحكمهم سواهم ! وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لايتجاسرون على الظلم كغيرهم . وقلدوا ذا الفقار — كتخدا محمد بيك — كتخدا بونابرته ، ومن أرباب المشورة الخواجه موسى ... كانوا وكلاء الفرنساوى ووكيل الديوان حنا بينو .

وفيه : اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه . فذكر لهم ماوقع من نهب البيوت فقالوا له : « هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس » . فقال : « لأى شىء يفعلون ذلك ؟ وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها » . فقالوا : « هذا أمر لاقدرة لنا على منعه ، وانما ذلك من وظيفة الحكام » . فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب ، فلم يسمعوا ولم ينتهوا . واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة ، والناس غير مطمئنين . وفتح الفرلسيس بعض

(١) يذكر الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتاب « عبد الله جاك مينو » ان بونابرت اصدر امره بتاسيس الديوان فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ م . وان المجلس تالف من عشرة من المصريين هم : الشيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ البكرى والشيخ الصاوى نائبين للرئيس والشيخ المهدى سكرتيرا والشيخ الفيومى والشيخ السرسى والشيخ الدمنهورى والشيخ العريشى والشيخ الشبرخيتى والشيخ الدواخلى اعضاء . كما ضم الديوان اليه ممثلين من جالية الافرنج فى هذه البلاد ثلاثة من الاوربيين ، هم كاف ، وولمار ، ومودوف . وعين مونج قومسيرا فرنسيا وكلف بالاشراف على اعمال الديوان . فلم يكن اعضاؤه من المصريين وحدهم .

البيوت المغلوقة التي للأمراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وخرجوا وتركوها مفتوحة .. فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجميدية ويستأصلون ما فيها . واستمروا على ذلك عدة أيام .

ثم انهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها . فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد ، يعلق له بنديرة على باب داره ، أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس بخطهم يلصقها على داره .

وفيه : قلدوا برطلمين النصرانى الرومى — وهو الذى تسميه العامة « فرط الرمان » — كتخدا مستحفظان .

وركب بموكب من بيت صارى عسكر ، وأمامه عدة من طوائف الاجناد والبطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون • وهو لابس فروة بز عادة ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة .

ورتب له بيوك باشى وقلقات عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها

وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين ، أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجوار وغير ذلك .

والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر ، وكان من الطبجية عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة

وقلدوا أيضا شخصا أفرنجيا وجعلوه أمين البحرين ، وآخر جعلوه أغات الرسالة . وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا بالأزبكية قرب الرويعى ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن روتوى — قائمقام مصر — ببيت ابراهيم بيك الوالى المطل على بركة الفيل ، وسكن شيخ البلد ببيت ابراهيم بيك الكبير ، وسكن مجلون (١) ببيت مراد بيك على رصيف الخشاب ، وسكن بوسليك مدبر الحدود ببيت الشيخ البكرى القديم .

ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة

ثم ان عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا فى البيوت ... ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ... ففجر السوقة ، وصغروا أقراص الخبز ، وطحنوه بترابه .

وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات : مثل الفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك .

وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة ، وخمامير وقهاوى .

وفتح بعض الافرنج البلديين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى بلادهم . فيشترى الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ... ويطبخه الطباخون ، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات .

ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم . فاذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الاكل دخلوا الى ذلك المكان ، وهو يشتمل على عدة مجالس — دون وأعلى — وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه . فيدخلون الى مايريدون من المجالس ، وفى وسطه دكة من الخشب — وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسى — فيجلسون عليها ، ويأتيهم

---

(١) مجالون الذى قام باعمال القنصلية الفرنسية نائبا من معه ، وقابل بونابرت فى عرض البحر قبل النزول الى الشواطىء المصرية .

(دكتور محمد فؤاد شكرى — عبد الله جاك مينو ص ١٠٢)

الفراشون بالطعام على قوانينهم ، فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه .

وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم — من غير نقص ولا زيادة — ويذهبون لحالهم .

وفيه : تشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك ، فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم ، فدخل الكثير منهم الى الجامع الأزهر ، وهم فى أسوأ حال ، وعليهم الثياب الزرق المقطعة ، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكففون المارين . وفى ذلك عبرة للمعتبرين !

السبت ١٤ منه (٢٨ يولية ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة — وهى مقدار خمسمائة ألف ريال — من التجار المسلمين والنصارى والقبط والشوام وتجار الأفرنج أيضا . فسألوا التخفيف. فلم يجابوا ، فأخذوا فى تحصيلها.

وفيه : نادوا من أخذ شيئا من نهب البيوت يحضر به الى بيت قائمقام ، وان لم يفعل وظهر بعد ذلك ، حصل له مزيد الضرر . ونادوا أيضا على نساء الأمراء بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن ، وان كان عندهن شىء من متاع أزواجهن يظهرنه ، فان لم يكن عندهن شىء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمن فى دورهن . فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بيك وصالحت عن نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرنسا ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها . ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء ، بالوسايط المتداخلين فى ذلك كنصارى الشوام والأفرنج البلديين وغيرهم ، فصاروا يعملون عليهن ارهاصات وتخويفات ، وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغائبين والفارين ... فجمعوا بذلك أموالا كثيرة ، وكتبوا للغائبين أوراقا بالأمان بعد المصالحة . ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان .

الأحد ١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا خيول والجمال والسلاح .. فكان شيئا كثيرا ، وكذلك الأبقار والأثوار ، فحصل فيها أيضا مصالحات ، وأشاعوا التفتيش على ذلك ، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة .. هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى، ويستخرجون الخبايا والودائع ، ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفائن ، ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ، ووسيلة ينالون بها أغراضهم .

وفيه : قبضوا على شيخ الجعيدية ، ومعه آخر ، وبندقوا عليهما بالرصاص ببركة الأزبكية ، ثم على آخرين أيضا بالرميلة . وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التى نهبوها عند ما داخلهم الخوف ، ودل بعضهم على بعض .

الثلاثاء ١٧ منه (٣١ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق ، وقرروا عليهم دراهم — على سبيل القرض والسلفة — مبلغا يعجزون عنه ، وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يوما. فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، وتشفعوا بالمشايخ .. فتكلموا لهم ولطفوها الى نصف المطلوب ، ووسعوا لهم فى أيام المهلة .

وفيه : شرعوا فى تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة . وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام . وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد ، وظنوا ظنونا ، وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة ، تجسمت فى نفوسهم بألفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم كقولهم :

« ان عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صلاة الجمعة » . ومنهم من يقول غير ذلك .. وذلك بعد أن كان قد حصل عندهم بعض اطمئنان ، وفتحوا بعض الدكاكين . فلما حصلت هاتان النكتتان ، انكمش الناس ثانيا ، وارتجفت قلوبهم .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب أرباب الديوان الى باش العسكر وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أمانا لأمير الحج، فامتنعوقال : لاأعطيه ذلك الا بشرط أن يأتى فى قلة ، ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر .

فقالوا له : ومن يوصل الحجاج ؟ فقال لهم : أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم الى مصر .

فكتبوا لأمير الحج مكاتبة بالملاطفة ، وأنه يحضر بالحجاج الى الدار الحمراء .. وبعد ذلك يحصل الخير .. فلم تصل اليهم الجوابات حتى كاتبهم ابراهيم بيك يطلبهم للحضور الى جهة بلبيس .. فتوجهوا على بلبيس ، وأقاموا هناك أياما .

وكان ابراهيم بيك ومن معه ارتحل من بلبيس الى المنصورة ، وأرسلوا الحريم الى القرين .

٢٣ منه (٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى الىجهة العادلية ، وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعدأخرى ويذهبون الى جهة الشرق .

الأربعاء ٢٥ منه (٨ اغسطس ١٧٩٨ م) :

فى هذه الليلة خرج كبيرهم بونابرته — وكانت أوائلهم وصلت الى الخانكة وأبىزعبل — وطلبوا كلفة من أبى زعبل ... فامتنعوا . فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا الى بلبيس .

وأما الحجاج فانهم نزلوا ببلبيس ، واكترت حجاج الفلاحين مع العرب ، فأوصلوهم الىبلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها . وكذلك فعل الكثير من الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس . وأما أمير الحج صالح بيك فانه لحق بابراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم .

٢٨ منه (١١ اغسطس ١٧٩٨ م) :

ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال ، وبها من بقى من الحجاج ، فلم يشوشوا عليهم وأرسلوهم الى مصر ، وصحبتهم طائفة من عساكرهم ، ومعهم طبل .

الاحد غايته (١٢ أغسطس ١٧٩٨ م) :

جاءالرائد ليلا الىالأمراء بالمنصورة ، وأخبرهم بوصول الافرنج وقربهم منهم . فركبوا نصف الليل وترفعوا الى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال ... فلما طلع النهار حضر اليهم جماعة منالعربان، واتفقوا معهمعلىأنهم يحملونهم الى القرين ، وحلفوا لهم ، وعاهدوهم على أنهم لايخونونهم .

فلما توسطوا بهم الطريق ، نقضوا عهدهم ، وخانوهم ، ونهبوا حمولهم ، وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم — وفيهم كبير التجار السيد أحمد المحروقى ، وكان ما يخصه نحو ثلاثمائة ألف ريال فرانسه نقودا ومتجرا من جميع الأصناف الحجازية — وصنعتالعرب معهم ما لا خير فيه

ولحقهم عسكر الفرنساوية .. فذهب السيد أحمد المحروقى الى سارى عسكر وواجهه — وصحبته جماعة من العرب المنافقين — فشكا له ماحل به وباخوانه .. فلامهم علىتقلهم وركونهمالى المماليك والعرب . ثم قبض على أبى خشبة شيخ بلد القرين ، وقال له : « عرفنى عن مكان المنهوبات » . فقال : « أرسل معى جماعة الى القرين » . فأرسل

معه جماعة دلهم على بعض الأحمال ، فأخذها الافرنج ورفعوها ، ثم تبعوه الى محل آخر ، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج اليهم أحمالا كذلك .. فدخل وخرج من مكان آخر وذهب هاربا !

فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لاغير ،



معركة ابى قير البحرية

وقالوا : « هذا الذى وجدناه ، والرجل فر من أيدينا » . فقال سارى عسكر : « لابد من تحصيل ذلك » . فطلبوا منه الاذن فى التوجه الى مصر ، فأصحب معهم عدة من عسكره أوصلوهم الى مصر ، وأمامهم طبل ، وهم فى أسوأ حال ... وصحبتهم أيضاً جماعة من النساء اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة ، وهن أيضا فى أسوأ حالة ... تسكب عند مشاهدتهن العبرات !

ربيع الأول

الثلاثاء ٢ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنساوية الى نوحى القرين . وكان ابراهيم بيك ومن معه وصلوا الى الصالحية وأودعوا مالهم وحريمهم هناك ، وضمنوا عليها العربان وبعض الجند . فأخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الحملة . فركب سارى عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الاغارة على الحملة . وعلم ابراهيم بيك بذلك أيضا ، فركب هو وصالح بيك وعدة من الأمراء والمماليك وتحاربوا معهم ساعة أشرف فيها الفرنسيس على الهزيمة لكونهم على الخيول ، واذا بالخبر وصل الى ابراهيم بيك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبها ... فعند ذلك فر بمن معه على أثره ، وتركوا قتال الفرنسيس ، ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم وقتلوا منهم عدة ، وارتحلوا الى قطيا ، ورجع سارى عسكر الى مصر .

الخميس ٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

دخل سارى عسكر مصر ليلا بعد أن ترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد .

الجمعة ٥ منه (١٧ اغسطس ١٧٩٨ م) :

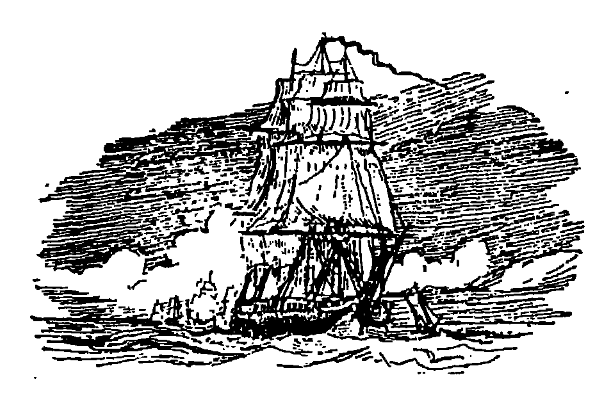
كان وفاء النيل المبارك ، فأمر سارى عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة ، وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج الى النزهة فى النيل والمقياس والروضة على عادتهم .

وأرسل صارى عسكر أوراقا لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور فى صبحها . وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قصر قنطرة السد ، وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع ونفوطا حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب — وهم صحبته — حتى رجع الى داره . وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والافرنج البلديين ونسائهم (١) ، وقليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها .

وفيه : تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الانكليز الى ثغر الاسكندرية ، وأنهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالميناء . وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل ، وتحدث الناس بها .. فصعب ذلك على الفرنساوية .

واتفق أن بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف ، يسمى السيد أحمد الزرو من أعيان التجار بوكالة الصابون ، أنه تحدث بذلك ، فأمروا باحضاره وذكروا له ذلك ، فقال : « أنا حكيت ماسمعته من فلان النصرانى » . فأحضروه أيضا وأمروا بقطع لسانيهما أو يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسه نكالا لهما وزجرا عن الفضول فيما لايعنيهما . فتشفع المشايخ.. فلم يقبلوا. فقال بعضهم: أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدراهم ... فلم يرضوا . فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مائتى ريال ودفعها فى الحضرة . فلما قبضها الوكيل ردها ثانيا اليه ، وقال : فرقها على الفقراء . فأظهر أنه فرقها كما أشار ، وردها الى صاحبها ... فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك .

والواقع أن الانكليز حضروا فى اثرهم الى الثغر ، وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم ، وأحرقوا القايق الكبير المسمى بنصف الدنيا (١) ، وكان به



السفينة « الشرق »

أموالهم وذخائرهم وكان مصفحا بالنحاس الأصفر . واستمر الانكليز بمراكبهم بميناء الأسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس (٢) .

وفى ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم الى بحرى والى الشرقية . ولما جرى الماء فى الخليج منعوا دخول الماء الى بركة الأزبكية ، وسدوا قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التى فيها .

وفيه : سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ولماذا لم يعملوه كعادتهم . فاعتذر الشيخ البكرى بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال . فلم يقبل وقال : « لا بد

---

(١) اراد نابليون الاحتفال بوفاء النيل لاخفاء مظاهر الحزن التى كانت تختلج فى قلوب الفرنسيين لضياع اسطولهم فى معركة ابى قير البحرية ـ وكانت قد اذيعت فى ذلك اليوم نفسه ـ وتهدد الفرنسيون من اذاعوها باشد انواع العقاب .

(عبد الرحمن الرافعى تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٦٨)

(١) بريد البارجة أوريان (الشرق) ، ولعلها سميت فى مصر (نصف الدنيا) اشارة الى عظمها او اشارة الى ان اسمها (الشرق) ومن الشرق والغرب تتكون الدنيا .

(الرافعى – تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٥)

(٢) كانت تتقدم اسطول الاميرال نلسن عند اقترابه من خليج ابى قير سفينة مصرية . والمرجح أن هذه السفينة كانت تقل جماعة من البحارة المصريين تقدموا ليرشدوا الاسطول الانجليزى الى مسالك البحر فى تلك الجهة ، يساعدونه بذلك على الاسطول الفرنسى .

(الرافعى – تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٣٠)

من ذلك » . وأعطى له ثلثمائة ريال فرانسه معاونة . وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل .

واجتمع الفرنساوية يوم المولد ولعبوا ميادينهم ، وضربوا طبولهم ودبادبهم ، وأرسل الطبلخانة الكبيرة الى بيت الشيخ البكرى ، واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره — وهى عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية ، وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات مطربة — وعملوا فى الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريخ تصعد فى الهواء .

وفيه : ألبس الشيخ البكرى فروة ، وتقلد نقابة الأشراف ، ونودى فى المدينة بأن كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها الى النقيب .

وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بيك والأمراء المصرية ... استقروا بغزة .

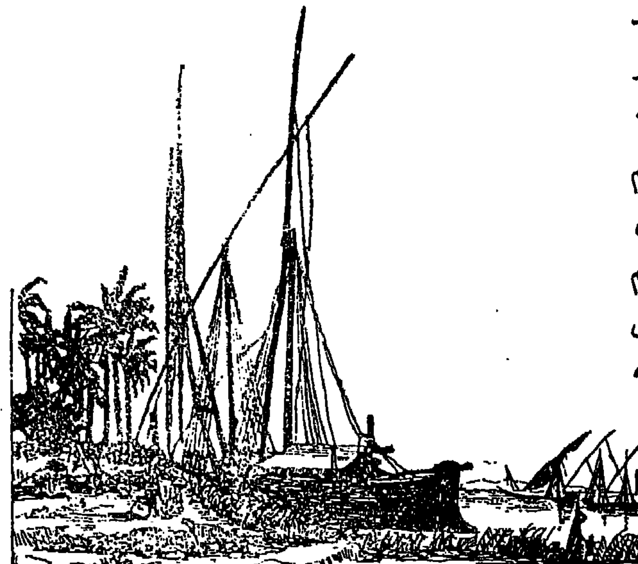
الاثنين ١٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م) :

سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنساوية الى جهة الصعيد وكبيرهم ديزيه ، وصحبتهم يعقوب القبطى ، ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخبآت .

وفيه : حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا — وذلك عند استقرارهم بمصر — وصحبته أنفار من النصارى الشوام فى صفة تجار ومعهم جانب أرز ، ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفائن أحمد باشا . فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم أحمد باشا ، أمر بذلك الفرنساوى فنقلوه الى بعض النقاير ، ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا ، وأمره بالرجوع من حيث أتى ، وعوق عنده نصارى الشوام الذين كانوا بصحبته .

وفيه : حضر جماعة من عسكر الفرنساوية الى بيت رضوان كاشف بباب الشعرية وصحبتهم ترجمان ومهندس ... فانزعجت زوجته . وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلاثمائة ريال ، وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها ، وردت ماكانت وزعته من المال والمتاع عند معارفها .. واطمأنت .

فلما حضر اليها الجماعة المذكورون قالوا لها : « بلغ صارى عسكر أن عندك أسلحة وملابس للمماليك » . فأنكرت ذلك ، فقالوا : « لازم من التفتيش » . فقالت : « دونكم » . فطلعوا الى مكان وفتحوا مخبأة فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالا وبلكات وأمتعة وغير ذلك . ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك ... فاستخرجوا جميع ذلك ، ثم نزلوا الى تحت السلالم ، وفجروا الأرض وأخرجوا منها دراهم كثيرة وحجاب ذهب فى داخله دنانير . ثم أنزلوا صاحبة



ميناء دمياط

هنـاك الخلعـة بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابرته بتشهيل مهمات الحج وعلل محلا جديدا .

وفيه : سأل أصحاب الحصص الالتزام فى التصرف فى حصصهم ، فطلبوا منهم حلوانا ... فلم يرتضوا بذلك . فواعدهم لتمام التحرير والاملاء ، وقالوا : « كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسـمه ، يحضره ويمليه » . ففعلوا ذلك فى عدة أيام .

وفيـه : قدروا فرضـة من المال على القرى والبلاد . ونشروا بذلك أوراقا ، وذكروا فيها أنها تحسب من المال . وقيدوا بذلك الصيارف من القبط ، ونزلوا فى البـلاد — مثل الحكام — يحبسون ويضربون ويشددون فى الطلب .

وفيه : طلب صارى عسكر بونابارته المشايخ . فلما استقروا عنـده ، نهض بونابارته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمـر وكحلى . فوضع منها واحـدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به الى الأرض واستعفى ، وتغير مزاجـه وانتقع لونه ، واحتد طبعه .

فقال الترجمان : يامشـايخ أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر ، وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلاماته ، فان تميزتم بذلك ، عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة فى قلوبهم فقالوا له : لكن قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين . فاغتاظ لذلك ، وتكلم بلسـانه ، وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوى : انه لايصلح للرياسة ، ونحو ذلك . فلاطفـه بقيـة الجماعة ، واستعفوه من ذلك . فقال : ان لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار فى صدوركم — وهى العلامة التى يقال لهـا الوردة — فقالوا : أمهلونا حتى نتروى فى ذلك ... واتفقوا على اثنى عشر يوما .

وفى ذلك الوقت حضر الشـيخ السـادات باستدعاء ، فصادفهم منصرفين . فلما اسـتقر به



مملوك مدجج بالسلاح

الدار ، ومعهـا جارية بيضاء ، وأخـذوهما مـع الجوارى السود وذهبوا بهن ... فأقمن عنـدهم ثلاثة أيام ، ونهبوا ما وجـدوه بالدار من فرش وأمتعة . ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعها ... وأطلقوها . فرجعت الى دارها . وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ، ونادوا بذلك ، وأنهم بعـد ثلاثة أيام يفتشـون البيوت .. وقال الناس : ان هـذه حيلة على نهب البيوت . ثم بطل ذلك .

السبت ٢٠ منه (اول سبتمبر ١٧٩٨ م) :

قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحج ، فحضروا الى المحكمة عند القاضى ، ولبس

الجلوس ، بش له وضاحكه صارى عسكر ، ولاطفه فى القول الذى يعربه الترجمان ، وأهدى له خاتم ألماس ، وكلفه الحضور فى الغد عنده ، وأحضر له جوكار أوثقه بفراجته ... فسكت وسايره ، وقام وانصرف . فلما خرج من عنده رفعه ... على أن ذلك لايخل بالدين !

وفى ذلك اليوم . نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة — وهى اشارة الطاعة والمحبة — فأنف غالب الناس من وضعها ، وبعضهم رأى أن ذلك لايخل بالدين اذ هو مكره ، وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر .. فوضعها !

ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بابطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها اذا حضروا عندهم ، ويرفعونها اذا انفصلوا عنهم ، وذلك أيام قليلة ، وحصل مايأتى ذكره ، فتركت .

وفى أواخره كان انتقال الشمس لبرج الميزان ، وهو الاعتدال الخريفى ، فشرع الفرنساوية فى عمل عيدهم ببركة الأزبكية . وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخا .. فنقلوا أخشابا ، وحفروا حفرا ، وأقاموا بوسط بركة الأزبكية صاريا عظيما بآلة وبناء ، وردموا حوله ترابا كثيرا عاليا بمقدار قامه ، وعملوا فى أعلاه قالبا من الخشب محدد الأعلى ، مربع الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشا ثخينا طلوه بالحمرة الجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص ، وكبسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى .

وفى أعلى القوصرة طلاء أبيض ، وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثل حرب المماليك المصريه معهم ، وهم فى شبه المنهزمين ... بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم ملتفت الى خلف .

وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة التى يدخل منها الماء الى البركة ، مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة البارود ، وأقاموا أخشابا كثيرة منتصبة مصطفة منها الى البوابة الأخرى ، شبه الدائرة ، متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة بحيث صار عمود الصارى الكبير المنتصف المذكور فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضا ... وأقاموا فى عمل ذلك عدة أيام

ربيع الآخر

الأربعاء أوله (١٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم ، رجعوا الى جهة الفيوم . وأن عثمان بيك الأشقر عدى الى البر الشرقى وذهب من خلف الجبل الى أستاذه ابراهيم بيك بغزة . وخرج جماعة من الفرنساوية الى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمال وأجمال ، فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبونهم ، فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم .

الجمعة ٣ منه (١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتبة من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ وغيرهم مضمونها : أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية ، وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر وان شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم .

فلما وردت تلك المكاتبة — وقد كان سأل عنها بونابرته — فأرسلوها له ، وقرئت عليه فقال : المماليك كذابون .

ووافق أيضا أنه حضر أغا رومى — وكان معوقا بالاسكندرية — فمر بالشارع ، وذهب لزيارة المشهد الحسينى، فشاهده الناس فاستغربوا هيئته، وفرحوا برؤيته ، وقالوا : هذا رسول الجى حضر من عند السلطان بجواب الى الفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر .

واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم ، وتجمعوا بالمشهد الحسينى ، وتبع بعضهم بعضا . وصادف ذلك أن بونابرته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس ، أنه ورد مكتوب الى المشايخ أيضا وأخفوه . فركب من فوره ، وحضر الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى — وكان الوقت بعد الظهر — فدخل على حين غفلة — ولم يكن تقدم له مجىء — وهو فى كبكبة وخيول كثيرة وعساكر ... فانزعج الشيخ — وكان منحرف المزاج — ونزل اليه ، وهو لايعرف السبب فى مجيئه فى مثل هذا الوقت على هذه الصورة ... فعندما شاهده سأله عن ذلك المكتوب ، فقال : لاعلم لى بذلك . ولم يكن بلغه الخبر . ثم جلس مقدار ساعة ، وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد ... والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة ، وهم يلغطون ويخلطون . فلما نظروه ، وشاهد هو جمعيتهم ، داخله أمر من ذلك ، فصاحوا بأجمعهم ، وقالوا بصوت عال : « الفاتحة » !

فشخص اليهم وصار يسأل من معه عن ازدحامهم ، فلطفوا له القول ، وقالوا له : انهم يدعون لك وذهب الى داره ...

وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشأ منها فتنة !

وفيه : شرعوا فى خلع البوابات والدروب الغير النافذة أيضا . ونقلوا الجميع الى بركة الأزبكيه ، عند رصيف الخشاب ، والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين ، ويرفعونها بالعتالين إلى هناك . فاجتمع من ذلك شىء كثير جدا ، وامتلأ من رصيف الخشاب الى قريب وسط البركة .

السبت ١١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا فى صبيحته مدافع كثيرة ، ووضعوا على كل قائم من الخشب نديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم . واجتمعت عساكرهم بالبركة ، الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفا على طرائقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط والشوام ... فاجتمعوا ببيت صارى عسكر بونابرته ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبسوا فى ذلك اليوم ملابس الافتخار ، ولبس المعلم جرجس الجوهرى كركة ، بطرز قصب على أكتافها الى أكمامها ، وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار ، وكذلك فلتيوس .. وتعمموا بالعمائم الكشميرى ، وركبوا البغال الفارهة ، وأظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم الى الغاية .

ثم نزل عظماؤهم — وصحبتهم المشايخ والقاضى ، وكتخدا الباشا — فركبوا وذهبوا عند الصارى الكبير الموضوع بوسط البركة .. وقد كانوا فرشوا فى أسفله سطا كثيرة

ثم ان العساكر لعبوا ميداناتهم ، وعملوا هيئة حربهم ، وضربوا البنادق والمدافع .. فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفا حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لا يدرى معناها الا هم ، وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ . ثم قاموا وانفض الجمع .

ورجع صارى عسكر الى داره فمد سماطا عظيما للحاضرين .

فلما كان عند الغروب ، أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والأحمال التى على

البيوت . وعندالعشاء عملوا حراقةبارودوسواريخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قار ، ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار . ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهواء ، والصارى الكبير وتحته جماعة ملازمون الاقامة عنده ليلا ونهارا من عساكرهم ، لأنه شعارهم ، واشارة الى قيام دولتهم فى زعمهم .

وفى ثانى ليلة : ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التى مر بها مراد بيك . وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل .

وفيه : أرسل دبوى قائمقام الى الست نفيسة ، وطلب منها احضار زوجة عثمان بيك الطنبرجى . فأرسلت الى المشايخ تستغيث بهم . فحضر اليها الشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى ، وقصدوا منعها .. فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ، ونظروا فى قصتها .

والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان وبعض ثياب ، فقبضوا عليه وقرروه ، فأخبر أنه تابعها وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع اليها لتسلمه شبكى دخان وفروه وخمسمائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده ... فهذا هو السبب فى طلبها .

فقالوا : وأين الفراش ؟ فبعثوا لاحضاره ، وسألوها ، فأنكرت ذلك بالمرة .. فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب ... فلم يحضر . فقال لهم المشايخ : دعوها تذهب الى بيتها ، وفى غد نأتى ونحقق هذه القضية . فقال دبوى : « نو نو » ، ومعناه بلغتهم النفى ، أى لا تذهب . فقالوا له : دعها تذهب هى ونحن نبيت عوضا عنها .. فلم يرض أيضا ، وعالجوا فى ذلك بقدر طاقتهم . فلما أيسوا تركوها ومضوا .. فباتت عندهم فى ناحية من البيت ، وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات .

فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضى ، فركبا معا وذهبا الى بيت صارى عسكر الكبير .. فأحضرها وسلمها الى القاضى .. ولم يثبت عليها شىء من هذه الدعوى . وقرروا عليها ثلاثةآلاف ريال فرانسه ، وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضى وأقامت فيه لتكون فى حمايته .



بيت القاضى

الخميس ١٦ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م) .

نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها ، واذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ، ويدفع ثلثمائة ريال فرانسه ، وان أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالا ، قلت قيمتها أوكثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس . ثم ترك ذلك .

وفيه : نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات .

وفيه : نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه . وكرروا المناداة بذلك ، وأجلوهم بعدها أربعا وعشرين ساعة . فذهبت جماعة من المغاربة الى

صارى عسكر وقالوا له : أرنا طريقا للذهاب ، فان طريق البر غير مسلوكة ، والانجليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولا نقدر على المقام فى الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها ... فتركهم .

وفيه : جعلوا ابراهيم أغات المتفرقة المعمار قبطان السويس . وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوى ، فخرج عليهم العربان فى الطريق فنهبوهم وقتلوا ابراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ولم يسلم منهم الا القليل .

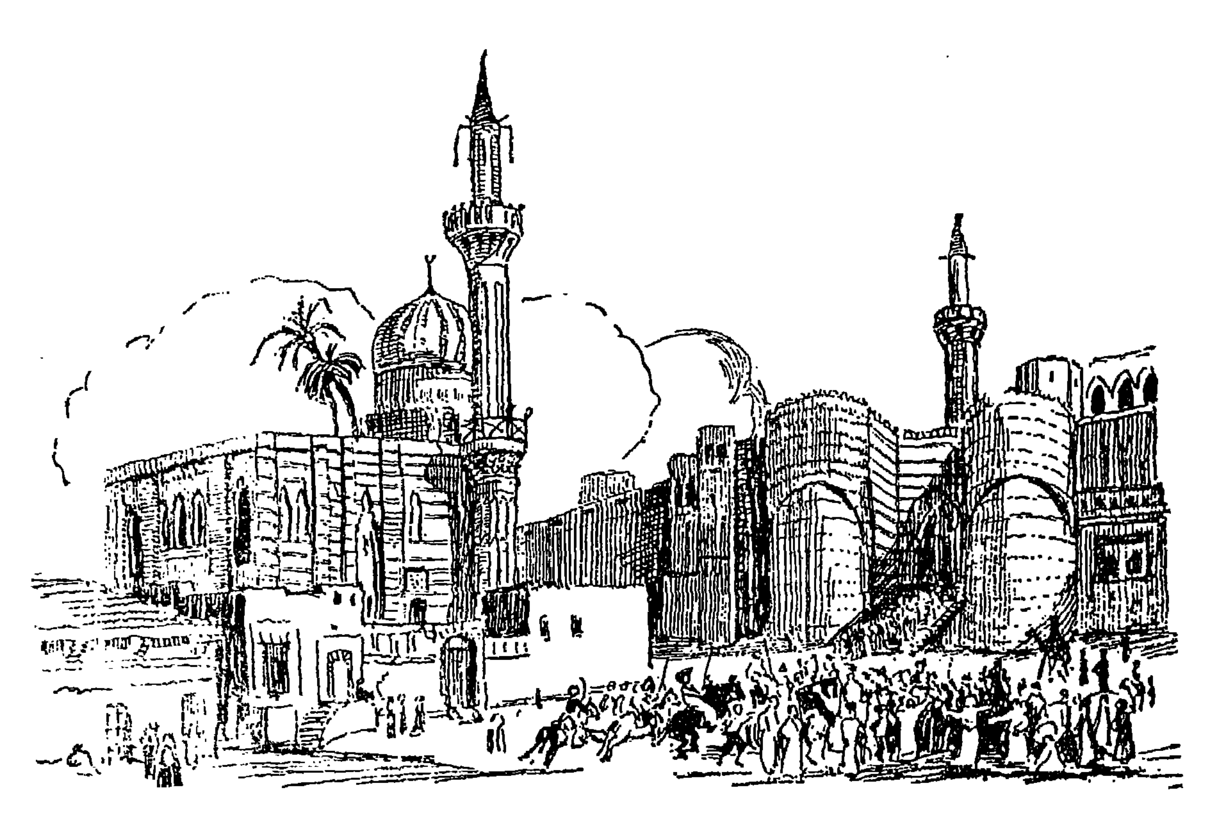
وفيه : أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قائد أغا . فاستمروا أياما يذهبون ، فلم يأتهم أحد ، فتركوا الذهاب .. فلم يطلبوا .

وفيه : شرعوا فى ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا ، وكتبوا فى شأن ذلك طومارا وشرطوا فيه شروطا ، ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين ، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبا عند أيوب بيك الدفتردار ، وفوضوا اليهم القضايا فى أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى . وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركانا من البدع السيئة ، وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الأعيان ، وألصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضمنه شروطا ، وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى ... بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ...

ومحصله التحيل على أخذ الأموال . كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك . فاذا أحضروها ، وبينوا وجه تملكهم لها اما بالبيع أو الانتقال لهم بالارث .. لايكتفى بذلك ، بل يؤمر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار . فان وجد تمسكه مقيدا بالسجل .. طلب منه بعد ذلك الثبوت . ويدفع على ذلك الاشهاد ، بعد ثبوته وقبوله ، قدرا آخر ، ويأخذ بذلك تصحيحا ، ويكتب له بعد ذلك تمكين . وينظر بعد ذلك فى قيمته ، ويدفع على كل مائة اثنين . فان لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد .. فانها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم ! !

وهذا شىء متعذر . وذلك أن الناس انما وضعوا أيديهم على أملاكهم اما بالشراء ، واما بأيلولتها لهم من مورثهم ، أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم . فاذا طولبوا باثبات مضمونها ، تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار ، أو ربما حضرت الشهود .. فلم تقبل . فان قبلت .. فعل به ما ذكر .

ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ، ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة .. كقولهم : اذا مات الميت .. يشاورون عليه ، ويدفعون معلوما لذلك ، ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة . فاذا بقيت أكثر من ذلك ... ضبطت للديوان أيضا ، ولا حق للورثة فيها . وان فتحت على الرسم باذن الديوان ... يدفع على ذلك الاذن مقررا . وكذلك على ثبوت الورثة ، ثم عليهم - بعد قبض مايخصهم - مقرر . وكذلك من يدعى دينا على الميت .. يثبته بديوان الحشريات . ويدفع على اثباته مقررا ، ويأخذ له ورقة يتسلم بها دينه . فاذا تسلمه .. دفع مقررا أيضا . ومثل ذلك فى الرزق والأطيان بشروط وأنواع ، وكيفية أخرى غير ذلك . والهبات والمبايعات والدعاوى ، والمنازعات والمشاجرات والاشهادات - الجزئيات والكليات - والمسافر كذلك لايسافر الا بورقة ، ويدفع عليها قدرا . وكذلك المولود اذا ولد ... ويقال له « اثبات الحياة » . وكذلك المؤاجرات ، وقبض أجر الأملاك ... وغير ذلك .



ميدان الرميلة وجامع المحمودية وباب العزب

وفيه : نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة . فاذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو مهزمين ، لا يسخرون بهم ، ولا يصفقون عليهم كما هى عادتهم !

وفيه : نهبوا أمتعة عسكر القلينجية الذين كانوا عسكرا عند الأمراء ، فأخذوا مكانا بوكالة على بيك بساحل بولاق وبالجمالية . وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم .

وفيه : أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذى كان سردارا بدمياط من طرف الأمراء المصريين . وكان سابقا كتخدا حسن بيك الجداوى . فلما حضر حبسوه فى القلعة وحبسوا معه فراشا لابراهيم بيك .

وفيه : أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول الى المدينة ليسكنوا بها . فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعده مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك وأسوار ، وهدموا أبنية عالية ، وأعلوا مواضع منخفضة ، وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ماكان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان فى الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والخوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ، ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة .

وفيه : عينت عساكر الى مراد بيك ، وذهبوا اليه ببحر يوسف جهة الفيوم .

وفيه : نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى أو يهودى أو تشاجر معه نصرانى أو يهودى يشهد

أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صاري عسكر .

وفيه : قتلوا شخصين وطافوا برءوسهما وهم ينادون عليهما ويقولون : « هذا جزاء من يأتي بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب اليهم بمكاتيب » .

وفيه : نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الأزبكية والرويعي ، ولا يدفنون الموتى الا في القرافات البعيدة ، والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته في ترب المماليك . واذا دفنوا يبالغون في تسفيل الحفر .

ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ... كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدواه . ويقولون : ان العفونة تنحبس بأغوار الأرض . فاذا دخل الشتاء ، وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات ... خرج ماكان منحبسا في الأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتعفن الهواء ، فيحصل الوباء والطاعون .

ومن قولهم أيضا : ان مرض مريض لابد من الاخبار عنه ، فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه ان كان مرضه بالطاعون أو بغيره ، ثم يرون رأيهم فيه .

السبت ١٨ منه (٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

ذهبت جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنساوية وشرعوا في هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية وتمهيدها بالأرض .

فشاع الخبر بذلك ، وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حدب ينسلون — وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب ... الى أن صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج .

واجتمعوا بالأزبكية ووقفوا تحت بيت ساري عسكر . فنزل لهم المترجمون ، واعتذروا بأن ساري عسكر لا علم له بذلك الهدم ، ولم يأمر به ، وانما أمر بمنع الدفن فقط ... فرجعوا الى أماكنهم ، ورفع الهدم عنهم .

وفيه : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة . ثم انهم بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق .. وصورته — ملخصا بعد الصدور — ذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم . وأن جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربي فأمنوهم . وكذلك الرعية دون المماليك . وذكروا فيه أنهم من أخصاء السلطان العثماني وأعداء أعدائه ، وأن السكة والخطبة باسمه ، وشعائر الاسلام مقامة على ماهي عليه . وباقيه بمعنى الكلام السابق ... من قولهم انهم مسلمون وانهم يحترمون القرآن والنبي وأنهم أوصلوا الحجاج المتشتتين وأكرموهم ، وأركبوا الماشي ، وأطعموا الجيعان ، وسقوا العطشان ، واعتنوا بيوم الزينة : يوم جبر البحر ، وعملوا له شأنا ورونقا استجلابا لسرور المؤمنين ، وأنفقوا أموالا برسم الصدقة على الفقراء . وكذلك اعتنوا بالمولد النبوي ، وأنفقوا أموالا في شأن انتظامه . واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا ، والي مصر حالا . فاستحسنا ذلك لبقاء علقة الدولة العلية . وهم أيضا مجتهدون في اتمام مهمات الحرمين ، وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام .

وفيه : وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات : وهي أن رجلا صيرفيا بجوار حارة الجوانية وقع من لفظه أنه قال : « السيد أحمد البدوي بالشرق والسيد ابراهيم الدسوقي بالغرب يقتلان كل من

بمر عليهما من النصارى » وكان هذا الكلام بحضر من النصارى الشوام فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر . فقام النصرانى وذهب الى دبوى وأخبره بالقصة . فأرسل وقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته ، وختم على داره . وتشفع فيه المشايخ عدة مرار . فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه الى بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسه . فضرب مائة سوط ، وأطلق الى سبيله . وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

الاثنين ٢٠ منه (اول اكتوبر ١٧٩٨ م) :

طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وأمروهم ألا يسكنوا أحدا من الأغراب ولا يطلقوا أحدا يسافر بلا اذن من أغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢١ منه (٢ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

عمل المولد الحسينى وكان من العزم تركه فى هذا العام ، فدس بعض المنافقين دسيسة عند الفرنسيس .

وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى فقال بونابرته : « ولم لم تعملوه ؟ »

فقال ذلك المنافق :« غرض الشيخ السادات عدم عمله ، الا اذا حضر المسلمون » فبلغ الشيخ السادات ذلك فشرع فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر ، وشاهد الوقدة ، ورجع الى داره بعد العشاء .

وفيه : حضر علماء الأسكندرية وأعيانها كذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء سارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه ترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه .



صراف بالقاهرة

وفيه : سافر أيضا جماعة من الفرنسيس الى جهة مراد بيك ومن معه والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطمعوهم فى أنفسهم فتتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا ، وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم ، وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة .

وفيه : سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهواء التى كانوا وضعوها فى يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها

وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة ، وسدوا القنطرة — كما تقدم — علا الماء فى أرض البركة ، وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة .

الجمعة ٢٤ منه (٥ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور الى الديوان العام

ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين .

السبت ٢٥ منه (٦ اكتوبر ١٧٩٨ م):-

فى صبحه أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالأزبكية .

فتوجه المشـــايخ المصرية ، والذين حضروا من الثغور والبلاد . وحضر الوجاقات ، وأعيان التجار ، ونصارى القبط والشوام ، ومدبرو الديوان من الفرنسيس ، وغيرهم جمعا موفورا .

فلما استقر بهم الجلوس ، شرع مالطى القبطى ، الذى عملوه قاضيا ، فى قراءة فرمان الشروط وفى المناقشة — فابتدر كبير المدبرين فى اخراج طومار آخر ، وناوله للترجمان .. فنشره وقرأه .

وملخصه ومضمونه : الاخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد . وكان يجلب اليه المتـــاجر من البلاد البعيـــدة ، وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيـا - أخـذت عن أجداد أهل مصر الأول . ولكون قطر مصر بهذه الصفات ، طمعت الأمم فى تملكه : فملكه أهل بابل ، وملكه اليونانيـون ، والعرب ، والترك الآن . الا أن دولة الترك شددت فى خرابه ، لأنها اذا حصلت الثمرة ، قطعت عروقها .. فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس الا القدر اليسير ، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ، وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم .

ثم ان طائفة الفرنساوية — بعدما تمهد أمرهم ، وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب — اشتاقت أنفســـهم لاستخلاص مصر مما هى فيه ، واراحة أهلها من تغلب هذه الدولة ، المفعمة جهلا وغباوة ! فقدموا وحصل لهم النصرة . ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وأن غرضهم تنظيم أمور مصر ، واجراء خلجانها التى دثرت ،ويصير لها طريقان : طريق الى البحر الأسود وطريق الى البحر الأحمر .. فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغـــير ذلك .. استجلابا لخواطر أهلها ، وابقاء للذكر الحسن .

فالمناسب من أهلها ترك الشغب واخلاص المودة ، وأن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل .. فيسألون عن أمور ضرورية ، ويجيبون عنها فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه ..

الى آخر ما سطروه من الكلام .

قلت : ولم يعجبنى فى هذا التركيب الا قوله : « المفعمة جهلا وغباوة » بعد قوله : « اشـتاقت أنفسهم » . ومنها قوله بعد ذلك : « ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد » .. الى آخر العبارة .

ثم قال الترجمان : « نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ، ممتثلين أمره واشارته » . فقال بعض الحاضرين : « الشيخ الشرقاوى » . فقال : « نو ، نو ا وانما ذلك يكون بالقرعة » . فعملوا قرعة بأوراق ، فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوى .. فقال : « حينئـذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس » . فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم فى الذهاب ، وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه : وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى ، التاجر الطرابلسى .. وهى أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشـــوام المترجمين منافســـة ، فأنهى الى عظمـــاء الفرنسيس : أنه ذو مـــال ، وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بيك . فأرسلوا بطلبه ، فذهب الى بيت الشيخ عبـــد الله الشرقاوى — لنسابة بينهما — فقال الشيخ للقواسة المرسلين ، بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا : « لدعوة ليست شرعيـــة » . فقال لهم : « فى غـــد أحضروا خصـــمه ، ويتداعى معه .. فان توجه الحق عليه

ألزمناه بدفعه » . فرجعت الرسل ، وتغيب الرجل لخوفه . فبعد مضى مقدار نحو ساعة ، حضر نحو الخمسين عسكريا من الفرنسيس الى بيت الشيخ وطالبوه به .. فأخبرهم أنه هرب . فلم يقبلوا غذره ، وألحوا فى طلبهم ، ووقفوا ببنادقهم ، وأرهبوا ..

فركب المهدى والدواخلى الى صارى عسكر ، وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل . فقال : « ولأى شىء يهرب ؟ » فقالوا : « من خوفه » . فقال : « لولا أن جرمه كبير لما هرب . وأنتم غيبتموه » . وأظهر الحنق والغيظ .. فلاطفاه ، واستعطفا خاطر الترجمان .. فكلمه ، فسكن غيظه . ثم سأل عن منزله ومخزنه .. فأخبروه عنهما . فقال : « يذهب معكما من يختم عليهما ، حتى يظهر فى غد » . فاطمأنوا لذلك ، ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخزنه ومنزله .

فلما أصبح النهار ، فلم يظهر الرجل ، أخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات .

الأحد ٢٦ منه (٧ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

ذهبوا الى الديوان ، وعملوا مثل عملهم الأول ، حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين . وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

الاثنين ٢٧ منه (٨ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس باحضارهم حجج أملاكهم الى الديوان والمهلة ثلاثون يوما ، فان تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر . ومهلة البلاد ستون يوما .

ولما تكامل الجميع ، شرع مالطى فى قراءة المنشور وتعداد ما به من الشروط مستور . وذكر من ذلك أشياء : منها أمر المحاكم والقضايا الشرعيه، وحجج العقارات ، وأمر المواريث . وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمن ، وكتبوا هذه الأربعة أشياء .. أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم فى ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية . ثم يعرضون ما ديروه يوم الخميس ، وما بين ذلك له مهلة . وانفض المجلس .

جمادى الأولى

الخميس مستهله (١١ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه فى الجملة . فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى ابقاؤها على ترتيبها ونظامها . وعرفوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد . فاستحسنوا ذلك الا أنهم قالوا : يحتاج الى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم . فقرروا ذلك : وهو أنه اذا كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفا ، واذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر ، فان زاد على ذلك فعشرة . واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك .

وأما حجج العقارات فانه أمر شاق طويل الذيل . فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادىء الرأى ليسهل تحصيلها ، ويحسن عليها السكوت . ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط ، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن . وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه . وانفض الديوان .

وفيه : نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك .

فتصعد المرأة الى أعلى الدار ، وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ، ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل ، والتحذير من ترك الفعل .. وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون . وكتبوا بذلك أوراقا ألصقوها بحيطان الأسواق ، على عادتهم فى ذلك .

وفيه : حضر الى بيت البكرى جم غفير من أولاد الكتاتيب والفقهاء والعميان والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزمنى والمرضى بالمارستان المنصورى وأوقاف عبد الرحمن كتخدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، لأن الأوقاف تعطل لمرادها ، واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام وجعلوا ذلك مغنما لهم . فواعدهم على حضورهم الديوان ، وينهوا شكواهم ، ويتشفع لهم .. فذهبوا راجعين .

وفيه : قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحون .

وفيه : وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضا ، فأكثر الناس من اللغط ، ولم يعلموا سبب ذلك .

الأحد ٤ منه (١٤ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث .

فقال مالطى : « يا مشايخ أخبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث » ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية .

فقال : « ومن أين لكم ذلك » . فقالوا : « من القرآن » . وتلوا عليهم بعض آيات المواريث .

فقال الافرنج : « نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ، ونفعل كذا وكذا .. » بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت .

فقال ميخائيل كحيل الشامى — وهو من أهل الديوان أيضا — « نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون » . ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها .. فسايروهم ، ووعدوهم بذلك ، وانفضوا .

وفيه : عزلوا محمدأغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحج ، واستقروا بمصطفى أغا — تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا — عوضا عنه ، ونودى بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٥ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك . فاستحسنوا ذلك .

السبت ١٠ منه (٢٠ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار : فجعلوا على الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة . وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معاف . وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع . وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم وألصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخا للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى . وشرعوا فى الضبط والاحصاء (١) ، وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم ، وضبط أسماء أربابها .

ولما أشيع ذلك فى الناس ، كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء . فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك . ووافقهم على ذلك

---

(١) انفض الديوان دون أن يستطيع تخفيف فداحة الضرائب التى استحدثها الفرنسيون ؛ لذلك لم يكد ينفض حتى شبت نار الثورة فى القاهرة .
(عبد الرحمن الرافعى — الحركة القومية جـ ١ ص ١١٧)

بعض المتعممين [1] ، الذى لم ينظر فى عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم !

الأحد ١١ منه (٢١ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

أصبحوا متحزبين ، وعلى الجهاد عازمين ، وابرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح .وحضر السيد بدر ، وصحبته حشرات الحسينية ، وزعر الحارات البرانية . ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح فى الكلام : نصر الله دين الاسلام . فذهبوا الى بيت قاضى العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر . فخاف القاضى العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب . وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر .

وفى ذلك الوقت حضر دبوى بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية ، وعطف على خط الصنادقية وذهب الى بيت القاضى ، فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة ، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة ، فبادروا اليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه . فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم ، وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة : كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين

(١) كان من هؤلاء المتعممين بعض مشايخ الأزهر الذين اغضبهم عدم اشراك بونابرت اياهم فى منظمات الحكومة «الوطنية» الجديدة ومؤسساتها . وفضلا عن ذلك فقد أصدر السلطان فرمانا يحرض المسلمين على القيام ضد الكفرة الفرنسيين . كما أن زعيمى المماليك « مراد وابراهيم » ظلا يبعثان بالرسل الى الأزهر لتحريك الفتنة .

(دكتور فؤاد شكرى ــ عبد الله جاك مينو ص ١١٢)



معركة فى شوارع القاهرة

وما حاذاها ، ولم يتعدوا جهة سواها ، وهدموا مساطب الحوانيت ، وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة ، لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة . ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس . وأما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية فلم يفزع منها فازع ، ولم يتحرك منها أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق ، وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر .

ولم تزل طائفة المحاربين فى الأزقة متترسين . فوصل جماعة من الفرنساوية ، وظهروا من ناحية المناخلية وبندقوا على متراس الشوائين ، وبه جماعة من مغاربة الفحامين ، فقاتلوهم حتى أجلوهم ، وعن المناخلية أزالوهم .

وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجف والزلزال ، وخرجت العامة عن الحد ، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد ، وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب ... فهجموا على حارة الجوانية ،

ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع والأمانات ، وسبوا النساء والبنات ، وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات . وأكثروا من المعايب ، ولم يفكروا فى العواقب .. وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال مستمرين .

وأما الأفرنج فانهم أصبحوا مستعدين (1) وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين ، وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنبات ، ووقفوا مستحضرين ولأمر كبيرهم منتظرين .

وكان كبير الفرنسيس أرسل الى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها ، ومل من المطاولة . هذا والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ... حتى مضى وقت العصر ، وزاد القهر والحصر . فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وجرروا عليه المدافع والقنبر ، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين : كسوق الغورية ، والفحامين . فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ، نادوا : « ياسلام من هذه الآلام ، ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف ! » . وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق . وتتابع الرمى من القلعة والكيمان .. حتى تزعزعت الأركان ، وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ، ونزلت فى البيوت والوكائل ، وأصمت الآذان بصوتها الهائل .

فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ... ركب المشايخ الى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى المتراسل ، ويكفهم — كما انكف المسلمون — عن القتال . والحرب خدعة وسجال !

فلما ذهبوا اليه ، واجتمعوا عليه — عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم بالتقصير . فاعتذروا اليه ، فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم . وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان فى المسالك .

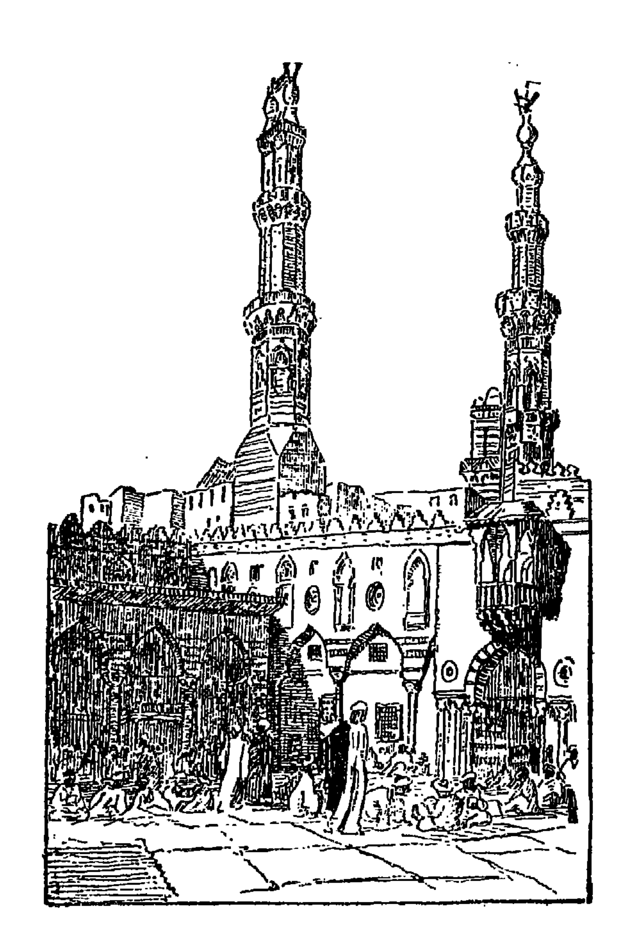
وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا لبعضهم بالبشارة ، واطمأنت منهم القلوب — وكان الوقت قبل الغروب — وانقضى النهار ، وأقبل الليل ، فغلب على الظن أن القضية لها ذيل .

وأما أهل الحسينية والعطوف البرانية ، فلم يزالوا مستمرين ، وعلى الرمى والقتال ملازمين . ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود . والأفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع .. بالقنابر والمدافع . الى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك ، وانصرفوا . وكف عنهم القوم وانحرفوا .

وبعد هجعة من الليل ، دخل الأفرنج المدينة كالسيل ، ومروا فى الأزقة والشوارع ، لا يوجد لهم ممانع ... كأنهم الشياطين أو جند ابليس ، وهدموا ماوجدوه من المتاريس . ودخل طائفة من باب البرقية ، ومشوا الى الغورية ، وكروا ، ورجعوا ، وترددوا ، وما هجعوا . وعلموا باليقين أن لادافع لهم ولا كمين . وتراسلوا أرسالا — ركبانا ورجالا — ثم دخلوا الى الجامع الأزهر ، وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول . وتفوقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ماوجدوه من المتاع والأوانى والقصاع والودائع

(1) صدرت التعليمات الى الجنرال « بون » لمهاجمة حى الأزهر واطلاق مدافعه على الجامع الأزهر اذا اقتضى الأمر ذلك . كما عهد الى الجنرال دومارتان بمحاصرة الجامع وقطع السبل المؤدية اليه .

(دكتور فؤاد شكرى — عبد الله جاك مينو ص ١١٢)



الجامع الازهر

والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها . وأحدثوا فيه وتغوطوا ، وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه ، وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به عروه ، ومن ثيابه أخرجوه !

الثلاثاء ١٣ منه (٢٣ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

فى الصباح اصطف منهم حزب بباب الجامع ... فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع . وتفرقت طوائفهم بتلك النواحى أفواجا ، واتخذوا السعى والطواف بها منهاجا ، وأحاطوا بها احاطة السوار ، ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب وآلة السلاح والضرب . وخرج سكان تلك الجهة يهرعون ، وللنجاة بأنفسهم طالبون . وانتهكوا حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، ويرغب الناس فى سكناها ويودعون عند أهلها مايخافون عليه الضياع . والفرنساوية لايمرون بها الا فى النادر ، ويحترمونها عن غيرها فى الباطن والظاهر . فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع ، وانخفض — على غير القياس — المرفوع . ثم ترددوا فى الأسواق ، ووقفوا صفوفا مئينا وألوفا . فان مر بهم أحد فتشوه ، وأخذوا مامعه ، وربما قتلوه . ورفعوا القتلى والمطروحين من الافرنج والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيس ، ونظفوا مراكز المتاريس ، وأزالوا مابها من الأتربة والأحجار المتراكمة ، ووضعوها فى ناحية ، لتصير طرق المرور خالية .

وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضا من الأروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ، ليشكوا لكبير الفرنسيس مالحقهم من الرزية . واغتنموا الفرصة فى المسلمين ، وأظهروا ماهو بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الافرنج فى النوائب ! وما قصدهم المسلمون ونهبوا مالديهم الا لكونهم منسوبين اليهم ... مع أن المسلمين الذين جاوروهم ، نهبهم الزعر أيضا وسلبوهم . وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذى عند باب حارة الروم ، وفيه بضائع المسلمين ، وودائع الغائبين .. فسكت المصاب على غصته ، واستعوض الله فى قضيته ، لأنه ان تكلم لاتسمع دعواه ، ولا يلتفت الى شكواه !

وانتدب برطلمين للعسس على من حمل السلاح أو اختلس ، وبث أعوانه فى الجهات ، يتجسسون فى الطرقات ، فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم ، وما ينهيه النصارى من أبغاضهم ، فيحكم فيهم بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ،

ويأخذ منهم الكثير ، ويركب فى موكبه ويسير ... وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعونهم السجونات ، ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب . ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول عليهم أيضاً القبض .

وكذلك فعل مثل ما فعله ... اللعين الأغا ، وتجبر فى أفعاله وطغا . وكثير من الناس ذبحوهم ، وفى بحر النيل قذفوهم .

ومات فى هذين اليومين ، وما بعدهما ، أمم كثيرة لايحصى عددها الا الله . وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

الأربعاء ١٤ منه (٢٤ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

فى الصباح ركب المشايخ أجمع ، وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه ، وخاطبوه فى العفو ولاطفوه . والتمسوا منه أماناً كافيا ، وعفوا ينادون به باللغتين شافيا ، لتطمئن بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم من هذه الرزية . فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويف ، وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين فى اثارة العوام ، وحرضهم على الخلاف والقيام فغالطوه عن تلك المقاصد . فقال على لسان الترجمان : نحن نعرفهم بالواحد . فترجوا عنده فى اخراج العسكر من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك السؤال ، وأمر باخراجهم فى الحال .

ترجمان بالملابس الرسمية

وأبقوا منهم السبعين ، أسكنوهم فى الخطة كالضابطين ، ليكونوا للأمور كالراصدين ، وبالأحكام متقيدين .

ثم انهم فحصوا على المتهمين فى اثارة الفتنة . فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى — شيخ طائفة العميان — والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ اسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت البكرى . وأما السيد بدر المقدسى ، فانه تغيب وسافر الى جهة الشام ، وفحصوا عليه فلم يجدوه . وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين ... فغولطوا .

واتهم أيضا ابراهيم أفندى كاتب البهار ، بأنه جمع له جمعا من الشطار ، وأعطاهم الأسلحة والمساوق — وكان عنده عدة من المماليك المخفين ، والرجال المعدودين — فقبضوا عليه ، وحبسوه ببيت الأغا .

الأحد ١٨ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

توجه شيخ السادات وباقى المشايخ الى بيت صارى عسكر الفرنسيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلعة . فقيل لهم : « وسعوا بالكم ولا تستعجلوا » . فقاموا وانصرفوا .

وفيه : نادوا فى الأسواق بالأمان ، ولا أحد يشوش على أحد .. مع استمرار القبض على الناس ، وكبس البيوت بأدلى شبهة . ورد بعضهم الأمتعة التى نهبت للنصارى .

وفيه : توسط عمر القلقجى لمغاربة الفحامين ، وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة ، وعرضهم على صارى عسكر . فاختار منهم الشباب وأولى القوة ، وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ، ورتبهم عسكرا — ورئيسهم عمر المذكور — وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا

الى جهة بحرى ... بسبب أن بعض البلاد قام على عسكر الفرنساوية وقت الفتنة .. وقاتلوهم ، وضربوا أيضا مركبين بهما عدة من عساكرهم فحاربوهم وقاتلوهم .

فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشما (١) وقتلوا كبيرها — المسمى بابن شعير — ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه — وكان شيئا كثيرا جدا — وأحضروا اخوته وأولاده وقتلوهم ، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا عوضا عن أبيهم .

وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة ، ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون اليهم فى كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ، ومعنى اشاراتهم فى مصافاتهم . فيقف المعلم — والمتعلمون مقابلون له صفا وبأيديهم بنادقهم — فيشير اليهم بألفاظ بلغتهم ، كأن يقول : « مردبوش » ، فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها ، ثم يقول : « مرش » ، فيمشون صفوفا ... الى غير ذلك .

وفيه : سافر برطلمين الى ناحية سرياقوس ، ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى جهة الشرق .. فلم يدركهم ، وأخذ من فى البلاد ، وعسف فى تحصيلها ، ورجع بعد أيام .

الأربعاء ٢١ منه (٣١ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

خاطب الشيخ محمد المهدى صارى عسكر فى أمر ابراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف به بمعونة بوسليك المعروف بمدبر الحدود — وهو عبارة عن الروزنامجى — ونقله من بيت الأغا الى داره وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار .

(١) هى الآن تابعة لمركز الشهداء منوفية .

الخميس ٢٢ منه (اول نوفمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيس الى جهة بحرى .

السبت ٢٤ منه (٣ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

فى هذه الليلة حضر هجان من ناحية الشام ، وعلى يده مكاتبات : وهى صورة فرمان وعليه طرة ، ومكتوب من أحمد باشا الجزار ، وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بيك ، ومكتوب من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ .. وذلك كله بالعربى . ومضمون ذلك — بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث ، والآثار المتعلقة بالجهاد ، ولعن طائفة الأفرنج ، والحط عليهم ، وذكر عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم .. وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك — فأخذها مصطفى بيك كتخدا ، وذهب بها الى صارى عسكر .

فلما اطلع عليها ، قال : « هذا تزوير من ابراهيم بيك ، ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة . وأما أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام ولا مصر ... لأن والى الشام ابراهيم باشا ، وأما والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم ، الذى هو الآن والى الشام . فأنا أعلم بذلك ، وسيأتى بعد أيام والى ويقيم معه ، كما كانت المماليك مع الولاة » .

وورد خبر أيضا بانفصال محمد باشا عزت عن الصدارة . وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة .

وفى مدة هذه الأيام ... بطل الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بتحصين النواحى والجهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا أماكن بالجيزة ، وحصنوها تحصينا زائدا ، وكذلك مصر العتيقة ونواحى شبرا . وهدموا عدة مساجد : منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ، ومسجد

المقس — المعروف الآن بأولاد عنان — على الخليج الناصرى بباب البحر . وقطعوا نخيلا كثيرا وأشجارا ، لعمل الحصون والمتاريس ، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة ، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة ... قطعوها ، وحفروا هناك خنادق كثيرة ... وغير ذلك . وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق ، وخربوا دورا كثيرة ، وكسروا شبابيكها وأبوابها ، وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل ، والوقود ، وغير ذلك

الاحد ٢٥ منه (٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من عسكر الفرنسيس الى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صارى عسكر ليتحدث معهم . فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كبيرة فى انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم الى بيت قائمقام بدرب الجمامز — وهو الذى كان به دبوى قائمقام المقتول ، وسكنه بعده الذى تولى مكانه — فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى القلعة .. فسجنوهم الى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق ، وألقوهم من السور خلف القلعة وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياما .

وفى ذلك اليوم : ركب بعض المشايخ الى مصطفى بيك ، كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم الى صارى عسكر ، ويشفع معهم فى الجماعة المذكورين ... ظنا منهم أنهم فى قيد الحياة . فركب معهم اليه ، وكلموه فى ذلك ، فقال لهم الترجمان : « اصبروا ماهذا وقته » ! وتركهم ، وقام ليذهب فى بعض أشغاله . فنهض الجماعة أيضا وركبوا الى دورهم .

الثلاثاء ٢٧ منه (٦ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة ، وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا الى الهروب وذهبوا الى البيوت والمساجد . واختلفت آراؤهم ، ورأوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم . فذهب بعض المشايخ الى صارى عسكر وأخبروه بذلك ، وتخوف الناس . فأرسل اليهم وأمرهم بالذهاب .. فذهبوا وتراجع الناس ، وفتحوا الدكاكين ، ومر الأغا والوالى وبرطلمين ينادون بالأمان . وسكن الحال وقيل ان بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد ، وجلس عنده حصة وهؤلاء كانوا أتباعه ووقفوا ينتظرونه ولعل ذلك قصدا للتخويف والارهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ المذكورين . وهو الأرجح .

وفيه : كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من اثارة الفتنة ، وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس .

وفيه : شرعوا فى احصاء الأملاك والمطالبة بالمقرر . فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه بكلمة . والذى لم يرض بالتوت يرضى بحطبه !

وفيه أيضا : قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة ، وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها ، وبرطلوا عليها ، وصالحوا عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط على ابقائها ، وكذلك دروب الحسينية . فلما انقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها .. الى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية . ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ، ورفعوا بعضها على العربات الى حيث أعمالهم بالنواحى والجهات . وباعوا بعضها حطبا للوقود ، وكذلك ما بها من الحديد وغيره .

الخميس ٢٩ منه (٨ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

هجم المنسر على بوابة سوق طولون وكسروها ، وعبروا منها الى السوق فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت وأخذوا مابها من متاع المغاربة التجار ، وقتلوا القلق الذى هناك ، وخرجوا بدون مدافع ولا منازع !

وفيه : ذهب المشايخ الى صارى عسكر وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان الذى قتل أبوه — وكان معوقا ببيت البكرى — فشفعهم فيه وأطلقوه .

جمادى الآخرة

السبت مستهله (١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وألصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع (١) . وصورتها :

« نصيحة من كافة علماء الاسلام بمصر المحروسة : نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونبرأ الى الله من الساعين فى الأرض بالفساد .. نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس .. حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية ، بعد ما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية . وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت . ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته . وارتفعت هذه البلية .. لأنه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة الى الفقراء والمساكين ! ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ، ونهبت جميع الأموال ، وقتلوا كامل أهل مصر .

« فعليكم ألا تحركوا الفتن ، ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا الأشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين .. سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب .. لأجل أن تحفظوا أوطانكم ، وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ، ويحكم ما يريد !

« ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة .. قتلوا عن آخرهم ! وأراح الله منهم العباد والبلاد .

« ونصيحتنا لكم : ألا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم .. والدين النصيحة ، والسلام ! »

وفيه : أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين منهم ليكون الكل فى حومة واحدة . وذلك لما داخلهم من المسلمين .. حتى أن الشخص منهم صار لايمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلا الا لغرض . والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده عصا أو سوطا أو نحو ذلك .

وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وتحذروا منهم . وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب الى طلوع النهار .

ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأزبكية : كَفَرِلى المسمى بأبى خشبة ، وهو يمشى بها بدون معين ، ويصعد الدرج ، ويهبط منها أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه ، وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار اليهم فيهم ، والمدبر لأمور القلاع وصفوف الحروب ، ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد .

كان يسكن ببيت مصطفى كاشف طرا . وفى وقت

---

(١) عبارة « على لسان المشايخ » لايفهم منها أن المشايخ قد كتبوها حقا ، أو أقروها ... فاذا كانوا قد كتبوها ، فلا بارك الله فيهم ولا فى أمثالهم !

الحادثة هجمت على الدار .. العامة ، ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون . فأخبروا من بالقلعة الكبيرة . فنزل منهم عـدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها



كفرلى

وضربوهم بالبندق ، ودخل البـاقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة .

وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية ، والعلوم الرياضية ، وغيرذلك مما هو معدوم النظير .. كل آلة لايعرف قيمتهـا الا من يعرف صنعتها ومنفعتها ـ فبدد ذلك كله العامة ، وكسروه قطعا ، وصعب ذلك على الفرنسيس جدا . وقاموا مدة طويلة يفحصـون عن تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات .

وممن قتل فى وقعة هذه الدار ، الشيخ محمد الزهار .

الاربعاء ٥ منه (١٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

أفرجوا عن ابراهيم أفندى كاتب البهار وتوجه الى بيته .

السبت ٨ منه (١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

قتلوا أربعـة أنفار من القبط منهم اثنان من النجارين قيل انهم سـكروا فى الحمارة ومروا فى سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء وقد تكرر منهم ذلك عـدة مرات ، فاغتاظ بذلك القبطـة ..

وفيه : كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخا للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسـواق وذلك على لسان المشايخ أيضا ولكن تزيد صورتها عن الأولى .

وصورتها :

« نصيحة من علماء الاسلام بمصر المحروسة : نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ، ويا سـكان الأرياف والعربان والفلاحين ، أن ابراهيم بيك ومراد بيك ، وبقية دولة المماليك ، أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شـديدا من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركوا عيـالهم وأوطانهم . فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية .. لأجل خراب البـلاد ، وهلاك كامل الرعية .. وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحزمانهم من مملكة مصر المحمية .

« ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهارا مع أغوات معينين .

« ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية — بالخصوص عن بقيـة الطوائف الأفرنجيـة — دائما يحبون المسلمين وملتهم ! ويبغضون المشركين وطبيعتهم .. أحباب لمولانا السلطان ، قائمين بنصرته ، وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته : يحبون من والاه ويبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنساوية والمسـكوف غاية العداوة الشـديدة ، من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة !

« والطائفة الفرنساوية يعاونونحضرة السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله تعالى ، ولا يبقون منهم بقية .

« فننصحكم أيها الأقاليمالمصرية أنكم لاتحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين .. الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين ، وعلى أموالكم وعيالكمآمنينمطمئنين .. لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش .. بونابرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويختصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم .

« فلا تعلقوا آمالكمبابراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك ، وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم · الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم ! عليه أفضل الصلاة والسلام [1] .

الخميس ١٣ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى ولم يتحقق السبب فى قتلهما .

وفيه : أخرجوا من بيت نسيب ابراهيم كتخدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوانى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة .

السبت ١٥ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من الفرساويه بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكرا وضاع على أصحابه .

[1] وعلى كاتبيها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، الى يوم يبعثون !

وفيه : دلوا على انسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار فطلبوه وأمروه باحضارهما فأحضرهما بعد الانكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنهما أسلحة جواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها انه فى يوم ٢١ منه قصدنا أن نطير مركبا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية ، فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم .

فلما كان ذلك اليوم قبل العصر ، تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة — وكنت بجملتهم — فرأيت قماشا على هيئة الأوية على عمود قائم ، وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال ، وفى وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان . وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة ، وهى مشدودة ببكر وأحبال ، واطراف الأحبال بأيدى أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها .

فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملأه ، فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود الى مركزه فلم يجد منفذا فجذبها معه الى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ، ومشت هنيهة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضا ذلك القماش ، وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة .

فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير فى الهواء بحكمة مصنوعة ، ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وارسال المراسلات ، بل ظهر

أنها مثل الطائرة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى تلك الليلة : طاف منهم أنفار بالأسواق ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة فأطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة . فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهى موتى ، فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان . وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالأسواق فى الليل ، وهم سكوت ، كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم . ففعلوا بها ذلك ، وارتاحوا هم والناس منها .

الأربعاء ٢٦ منه (٥ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة عساكر الى جهة مراد بيك ، وكذلك الى جهة كرداسة [١] بسبب العربان ، وكذلك الى السويس والصالحية . وأخذوا جمال السقائين بروایاها وحميرهم ، ولكن يعطونهم أجرتهم . فشح الماء وغلا ، وبلغت القربة عشرة أنصاف فضة .

وفيه : ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس ... قناطير ، وغير ذلك .

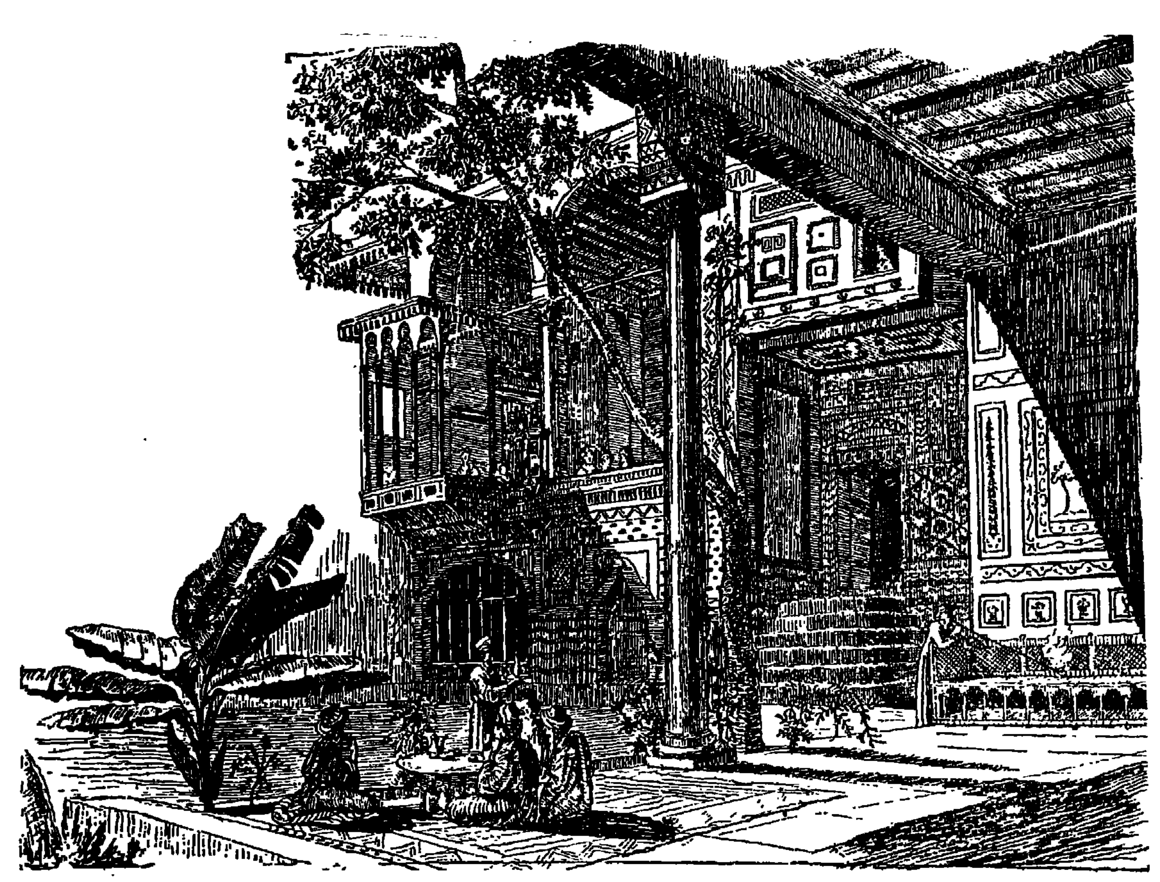
وانقضى هذا الشهر وماحصل به من الحوادث الكلية والجزئية التى لايمكن ضبطها لكثرتها ، منها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة متنزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ، أو يكون مأذونا وبيده ورقة . ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا أماكن بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ، وجعلوا فى أعلاه طاحونا تدور فى الهواء عجيبة ، وتطحن الأرادب من البر ، وهى بأربعة أحجار . وطاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب .

وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صارى عسكر .. حتى جعلوها رحبة متسعة . وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنائن التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها ، وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين .. مبتدئا من حد بيت صارى عسكر ، الى قنطرة المغربى . وجددوا القنطرة المذكورة — وكانت آلت الى السقوط — وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق ، بحيث صار جسرا عظيما ممتدا ممهدا ، مستويا على خط مستقيم من الأزبكية الى بولاق ، وينقسم بقرب بولاق قسمين : قسما الى طريق أبى العلا ، وقسما يذهب الى جهة التبانة وساحل النيل ، وبطريقه .. الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى العلا وجامع الخطيرى الى ناحية المدابغ .

وحفروا فى جانبى ذلك الجسر ، من مبدأه الى منتهاه ، خندقين ، وغرسوا بجانبه أشجارا وسيسبانا ، وأحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى ، عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا ، يبتدىء من الحد المذكور ، وينتهى الى جهة المذبح خارج الحسينية . وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول ، وقطعوا جانبا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب ، وردموا فى طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلى ، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار ، المقابل لجسر بركة الرطلى ، وأشجار الجسر أيضا ، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس . وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقا ممتدة من الأزبكية الى جهة قبة النصر ، المعروفة بقبه العزب ، جهة العادلية على

---

(١) مركز الجيزة .



بيت قاسم بيك

خط مستقيم من الجهتين ، وقيدوا بذلك أنفارا منهم يتعهدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتـدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمير ..

وفعلوا هذا الشغل الكبير ، والفعل العظيـم فى أقرب زمن . ولم يسخروا أحدا فى العمل ، بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجـرتهم المعتـادة : ويصرفونهم من بعـد الظهـيرة ، ويستعينون فى الأشغال وسرعة العمـل بالآلات القريبة المأخذ : السهلة التناول ، المساعدة فى العمل وقلة الكلفة . كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة ويداها ممتدتان من خلف ، يملأها الفاعل ترابا أو طينا أو أحجارا من مقدمها بسهولة ، بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ، ثم يقبض بيديه على خشبتيها المذكورتين ، ويدفعها أمامه ، فتجرى على عجلتها بأدنى مساعدة ، الى محل العمل ، فيميلها باحدى بديه ، ويفرغ ما فيها من غـير تعب ولا مشقة . وكذلك لهم فؤوس وقزم محكمة الصنعة ، متقنـة الوضع وغالب الصناع من جنسهم ، ولا يقطعون الأحجار والأخشاب الا بالطرق الهندسيـة ، على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة .

وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ، ومنارته برجا . ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر ، وبنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به .

وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة ، وباع نظاره منه انقاضا وعمدا كثيرة .

ومنها أنهـم أحـدثوا على التل المعروف بتل

العقارب بالناصرية ، أبنية وكرانك وأبراجا ؛ ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه ، وهدموا عدة دور من دور الأمراء ، وأخذوا أنقاضها ورخامها لابنيتهم .

وأفردوا للمدبرين والفلكيين ، وأهل المعرفة والعلوم الرياضية : كالهندسة ، والهيئة ، والنقوشات ، والرسومات ، والمصورين ، والكتبة ، والحساب ، والمنشئين .. حارة الناصرية ، حيث الدرب الجديد وما به من البيوت ، مثل بيت قاسم بيك ، وأمير الحج المعروف بأبى يوسف ، وبيت حسن كاشف جركس القديم ، والجديد الذى أنشأه وشيده وزخرفه ، وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد .. وعند تمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ، ففر مع الفارين ، وتركه — فيه جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خزّان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة ، فيراجعون فيها مرادهم .

فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ، ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسى منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها ، فيحضرها له الخازن .. فيتصفحون ، ويراجعون ، ويكتبون ، حتى أسافلهم من العساكر . واذا حضر اليهم بعض المسلمين ، ممن يريد الفرجة ، لا يمنعونه الدخول الى أعز أماكنهم ، ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئة اليهم ، وخصوصا اذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر فى المعارف ، بذلوا له مودتهم ومحبتهم ، ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها أنواع التصاوير وكرات البلاد ، والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات ، وتواريخ القدماء ، وسير الأمم ، وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم ، مما يحير الأفكار .

ولقد ذهبت اليهم مرارا ، وأطلعونى على ذلك ... فمن جملة ما رأيته ، كتاب كبير يشتمل على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم ، وهو قائم على قدميه ، ناظر الى السماء كالمرهب للخليقة ، وبيده اليمنى السيف ، وفى اليسرى الكتاب ، وحوله الصحابة رضى الله عنهم بأيديهم السيوف . وفى صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين ، وفى الأخرى صورة المعراج والبراق ، وهو — صلى الله عليه وسلم — راكب عليه من صخرة بيت المقدس ، وصورة بيت المقدس ، والحرم المكى والمدنى ... وكذلك صورة الأئمة المجتهدين ، وبقية الخلفاء والسلاطين ..

ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام : كأيا صوفية ، وجامع السلطان محمد ، وهيئة المولد النبوى ، وجمعية أصناف الناس لذلك . وكذلك السلطان سليمان ، وهيئة صلاة الجمعة فيه ، وأبى أيوب الأنصارى ، وهيئة صلاة الجنازة فيه . . وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام ، وبرابى الصعيد ، والصور والأشكال ، والأقلام المرسومة بها .

وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب ، وعلوم الطب والتشريح والهندسيات ، وجر الأثقال .

وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم .

ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضى عياض ، ويعبرون عنه بقولهم « شفاء شريف » . والبردة للبوصيرى . ويحفظون جملة من أبياتها ، وترجموها بلغتهم .

ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن . ولهم تطلع زائد للعلوم ، وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات ، واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق.. ويدأبون فى ذلك الليل والنهار .

وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات ، وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل مايريدون من أى لغة كانت . الى لغتهم فى أقرب وقت .

وعند « توت » الفلكى وتلامذته ، فى مكانهم المختص بهم ، الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة ، وآلات الارتفاعات البديعة ، العجيبة التركيب ، الغالية الثمن ، المصنوعة من الصفر المموه ، وهى تركب ببراريم مصنوعة محكمة : كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة ، بحيث اذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ ، وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها الى المرئى . واذا انحل تركيبها وضعت فى ظرف صغير ... وكذلك نظارات للنظر فى الكواكب وأرصادها ، ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها ، وأنواع المنكابات والساعات التى تسير بثوانى الدقائق الغريبة الشكل ، الغالية الثمن .. وغير ذلك .

وأفردوا لجماعة منهم بيت ابراهيم كتخدا السنارى ، وهم المصورون لكل شىء : ومنهم « أريجو » المصور ، وهو يصور صور الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز فى الفراغ ، مجسم يكاد ينطق . حتى انه صور صورة المشايخ ، كل واحد على حدته ، فى دائرة ، وكذلك غيرهم من الأعيان وعلقوا ذلك فى بعض مجالس سارى عسكر وآخر فى مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات ، وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها .

ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب ، الذى لايوجد ببلادهم ، فيضعون جسمه بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم ، فيبقى على حالته وهيئته : لاتتغير ولا يبلى ولو بقى زمنا طويلا .

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين ، وصناع الدقائق . وسكن الحكيم « رويا » ببيت ذى الفقار كتخدا بجوار ذلك ، ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه فى ناحية ، وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان ، واستخراج الأملاح ، وقدورا عظيمة ، وبرامات ، وجعل له مكانا أسفل وأعلى ، وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين ، والزجاجات المتنوعة . وبها كذلك عدة من الأطباء والجرايحية .

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوى ، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع ، وآلات تصاعيد الأرواح ، وتقاطير المياه وخلاصات المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات ، واستخراج المياه الجلاءة والحلالة . وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلف الأشكال والهيئات ، على الرفوف والسدلات . وبداخلها أنواع المستخرجات .

ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان ، أن بعض المتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ، فصب منها شيئا فى كأس ، ثم صب عليها شيئا من زجاجة أخرى ، فعلا الماءان ، وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكأس ، وصار حجرا أصفر ، فقلبه على البرجات حجرا يابسا ، أخذناه بأيدينا ونظرناه . ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجرا أزرق ، وبأخرى فجمد حجرا أحمر ياقوتيا . وأخذ مرة شيئا قليلا جدا من غبار أبيض ، ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة انزعجنا منه ، فضحكوا منا . وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ، ضيقة الفم ، فغمسها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشب ، مصفح الداخل بالرصاص ،

وأدخل معها أخرى على غير هيئتها ، وأنزلهما فى الماء ، وأصعدهما بحركة انحبس بهـا الهواء فى احداهما ، وأتى آخر بفتيلة مشتعلة ، وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء ، وقرب الآخر الشـعلة اليها فى الحـال ، فخرج مافيهـا من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضا ... وغـير ذلك أمور كثيرة ، وبراهين حكمية تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع .

ومثـل الفلكة المستديرة التى يديرون بهـا الزجاجـة ، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شىء كثيف ، ويظهر له صـوت وطقطقة . واذا مسك علاقتها شخص — ولو خيطا لطيفـا متصلا بها — ولمس آخر الزجاجة الدائرة ، أو ماقرب منها بيده الأخرى ... ارتج بدنه ، وارتعد جسمه ، وطقطقت عظام أكتافه وسواعده فى الحال برجة سريعة . ومن لمس هـذا اللامس ، أو شيئا من ثيابه ، أو شيئا متصلا به .. حصل له ذلك ، ولو كانوا ألفا أو أكثر . ولهم فيه أمور وأحـوال وتراكيب غريبة ، ينتج منها نتائج لاتسعها عقول أمثـالنا !

وأفردوا أيضا مكانا للنجارين وصناع الآلات والأخشـاب وطواحين الهواء والعربات واللوازم لهم فى أشغالهم وهندساتهم وأرباب صنائعهم .

ومكان آخر للحدادين ، وبنوا فيه كوانين عظاما ، وعليها منافيخ كبار يخرج منها الهواء متصلا كثيرا ، بحيث يجذبه النـافخ من أعلى بحركة لطيفـة . وصنعوا السندانات والمطارق العظام ، لصناعات الآلات من الحديد والمخارط ، وركبوا مخـارط عظيمة لخرط الفلوزات الحديد العظيمـة . ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم الخراط للحديد بالأقلام المتينة الجافية ، وعليها حق صـغير معلق مثقوب ، وفيه ماء يقطر على محل الخرط لتبريد النـارية الحادثة من الاصطكاك . وبأعـلى هذه الأمكنة صناع الأمور الدقيقة ، مثل : البركارات ، وآلات الساعات ، والآلات الهنـدسية المتقنة ... وغير ذلك .

رجب

٣ منه (١١ ديسمبر ١٧٩٨ م)

قتلوا شخصـا من الأجناد يقال له مصـطفى كاشف من جماعة حسين بيك المعروف بشفت .

وكان قد فر مع الفارين ، ثم رجـع من غير استئذان وأقام أياما مستترا ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليـأخذ له أمانا ، فأخبر الفرنسيس بشأنه ، وأغراهم عليه . فأمروه بقتله ... فقطع رأسه ، وطافوا بها ينادون عليها بقولهم : هذا جزاء من يدخل الى مصر بغير اذن الفرنسيس .

٥ منه (١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م)

حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليـوب وصحبته سليمان الشواربى شيخ الناحية وكبيرها . فلما حضر حبسوه بالقلعة . قيل انهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة الى سرياقوس لينهض أهل تلك النـواحى فى القيـام ويامـرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبـة على الفرنسيس . ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضا .

وفيه : أحدثوا مزمارا يضربونه فى كل وقت ؛ وقت الزوال ، لأن ذلك الوقت عنـدهم ابتـداء اليوم .

١٠ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٨ م)

نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشـترى فرسا أو حمارا فليحضر يوم الجمعة ١٣ منه (٢١ ديسمبر ١٧٩٨ م) ببولاق ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك . وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها

بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة وعليها الصورة . ونصها :

« فليكن معلوما عند كافة الرعايا المصرية، أن فى يوم الجمعة ١٣ من شهر رجب الساعة ٢ يباع فى بولاق جملة خيل من المنيخة الفرنساوية .فلأجل هذا المشترى ، كل من أراد أن يقتنى خيلا منحنا له الاجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء » .

١٦ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر صارى عسكر بونابرته الى السويس وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقى وابراهيم أفندى كاتب البهار وأخذ معه أيضا بعض المدبرين والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهرى وألطون أبو طاقية ، وغيرهم وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية .

وفيه : شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر ، وعينوا له ستين نفرا : منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص — وهم الذين يحضرون دائما — ويقال لهم « الديوان الخصوصى والديوان الديمومى » ، والباقى بحسب الأقتضاء . والأربعة عشر هم ... من المشايخ : الشرقاوى ، والمهدى ، والصاوى ، والبكرى ، والفيومى . ومن التجار : المحروقى ، وأحمد محرم . ومن النصارى القبطة : لطف الله المصرى . ومن الشوام : يوسف فرحات ، وميخائيل كحيل ، ورواحه الانكليزى ، وبدنى ، وموسى كافر الفرنساوى . ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيس ، ومترجمون . وأما العمومى ، فأكثره مشايخ حرف .

وكتبوا بذلك طومارا كبيرا ، بصموا منه نسخا كثيرة ، وأرسلوا منه نسخا كثيرة للأعيان ، وألصقوا منها بالأسواق على العادة . وأرسلوا للذين عينوا بالديوان أوراقا بأسمائهم شبه التقارير ، وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب فى شأن ذلك .

وقد أوردت ذلك — وان كان فيه بعض طول — للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول ، والتسلق على دعوى الخواص من البشر .. بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل ، فضلا عن النظر وهى مقولة على لسان بونابرته كبير الفرسيس . ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..

« من أمير الجيوش الفرنساوية ، خطابا الى كافة أهل مصر ، الخاص والعام :

« نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول ، الخالين من المعرفة وادراك العواقب ، سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة . والبارى ، سبحانه وتعالى ، أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد ! فامتثلت أمره ، وصرت رحيما بكم ، شفوقا عليكم ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بحسب تحريك هذه الفتنة بينكم ... ولأجل ذلك عطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد ، وصلاح أموالكم من مدة شهرين . والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان . لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقا .

« أيها العلماء والأشراف ، أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم ، بأن الذى يعادينى ويخاصمنى انما خصامه من ضلال عقله ، وفساد فكره ، فلا يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه منى فى هذا العالم ، ولا ينجو من بين يدى الله ! لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف أن ما فعلناه ... بتقدير الله تعالى ، وارادته وقضائه ! ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة .

« وأعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل

هلاك أعداء الاسلام وتكسير الصلبان على يدى . وقدر فى الأزل أنى أجيء من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، واجراء الأمر الذى أمرت به . ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه !

« واعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل ! وأشار فى آيات أخرى الى أمور تقع فى المستقبل . وكلام الله فى كتابه صدق وحق ، لايتخلف . اذا تقرر هذا ، وثبتت هذه المقالات فى أذهانكم ... فلترجع أمتكم جميعا الى صفاء النية ، واخلاص الطوية ... فان منهم من يمتنع عن الغى واظهار عداوته ، خوفا من سلاحى وشدة سطوتى . ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . والذى يفعل ذلك يكون معارضا لأحكام الله ، ومنافقا ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب !

« واعلموا أيضا أنى أقدر على اظهار ما فى نفس كل أحد منكم ! لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه ، بمجرد ما أراه ، وان كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ! ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به ... فهوحكم الهى لا يرد ! وان اجتهاد الانسان غاية جهده ، ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدره وأجراه على يدى !

« فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم ، مع صفاء النية واخلاص السريرة .. والسلام ! » .

وفيه : رتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية تدفع اليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى ، وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين .

١٨ منه (٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ م) .

طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرسا أخذوها .

٢٤ منه (اول يناير ١٧٩٩ م) :

حضر السيد المحروقى وكاتب البهار من السويس ، وكان صارى عسكر ذهب الى ناحية بلبيس ، فاستأذنوه فى ذهابهم الى مصر ، فأذن لهم ، وأرسل معهم خمسين عسكريا ليوصلوهم الى مصر .

فلما حضروا حكوا أن أهل السويس ، لما بلغهم مجيء الفرنساوية ، هربوا وأخلوا البلدة ، فذهبوا الى الطور ، وذهب البعض الى العرب بالبادية . فنهب الفرنسيس ماوجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور ، وكسروا الأخشاب وخوابى الماء . فلما حضر كبيرهم — وكان متأخرا عنهم — كلمه التجار الذاهبون معه ، وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح . فاسترد من العسكر بعض الذى أخذوه ، ووعدهم باسترجاع الباقى ، أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات . ثم أنه وجد مركبين حضرا الى قريب من السويس بهما بن ومتاجر ، فغرقت احداهما ، فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار ، وذهبوا اليها فى الغاطس ، وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال .

وفى مدة اقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهارا وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة فى ورق ، وليس معه طباخ ولا فراش ، ولا فرش ولا خيمة . وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته ، يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه .

٢٨ منه (٥ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من العسكر الفرنساوية من ناحية بلبيس ، ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرا موثقين بالحبال ، وأسروا أيضا عدة من أولادهم ، ذكورا واناثا ، ودخلوا بهم الى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضا ثلاثة حمول منحمول التجار ، وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج .

غايته (٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر صارى عسكر من ناحية بلبيس الى مصر ليلا ، وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظة أخا سليمان أباظة شيخ العبايدة وخلافه .. رهائن ، وضربوا « أبا زعبل » و « المنير » وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم الى القاهرة ، وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغارا .

وفى ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى ، شيخ قليوب ، ومعه أيضا ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية ، وأنزلوهم من القلعة الى الرميلة على يد الأغا ، وقطعوا رءوسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت ، وأخذه أتباعه فى بلده قليوب ليدفن هناك عند أسلافه

وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية .. منها : أن فى ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة الى دار الشيخ محمد بن الجوهرى ، الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء ، فجلعوا الشباك المطل على البركة ، ودخلوا منه وصعدوا الى أعلى الدار — وكان بها ثلاث من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضا وبواب الدار ، ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم ، بل كانوا قد انتقلوا الى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية — فاستيقظ النساء وصرخن ، فضربوهن ، وقتلوا منهن امرأة ، واختفت البنت فى جهة . وعاثوا فى الدار ، وأخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختفى خوفا منهم .

فلما طلع النهار وشاع الخبر — وكان صارى عسكر غائبا — فلم يقع كلام فى شأن ذلك . فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه . فاغتم لذلك ، وأظهر الغيظ ، وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذى يلحقه ، واهتم فى الفحص عمن فعل ذلك وقتله

ومنها . كثرة تعدى القلقات ، وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة . وهم من أهل البلد . واذا مروا بالليل ووجدوا قنديلا أطفأه الهواء ، أو فرغ زيته ، سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ولا يقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك

واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش ، بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق ، وسال الماء فأطفأ القناديل ، فسمروا حوانيت السوق ، وأصبح أهلها فصالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة من الدراهم ، وأمثال ذلك حتى فى الأزقة والعطف غير النافذة ... حتى كان الناس ليس لهم شغل الا القناديل وتفقد حالها وخصوصا فى ليل الشتاء الطويل .

شعبان

فى مستهله الثلاثاء (٨ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل انهم من المتسلقين على الدور .

وفيه : أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ترفعوا الى قبلى ووصلوا الى عقبة الهواء . وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوية انتقلوا وقبلوا . ولقد

داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال .

وفيه : قدمت رباعة تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب الداو بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

الاحد ٦ منه (١٣ يناير ١٧٩٩ م) :

نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين ، وشدد فى ذلك ، وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك .

وكان السبب فى ذلك ، والأصل فيه ، أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتيح مباشر وقف المشهد .. فكان قد اعتراه مرض الحب الأفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد ان شفاه الله تعالى ! فحصلت له بعض افاقة ، فابتدأ به ، وأوقد فى المسجد والقبة قناديل وبعض شموع ، ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارسة ، واخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولى . ثم زاد الحال ، وانضم اليهم كثير من أهل البدع ، كجماعة العفيفى ، والسمان ، والعربى ، والعيسوية : فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد له المنشدون القصائد والموالات . ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيرى ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة ومن دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى . وطريقتهم : أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ، ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ، ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم . وتقف جماعه أخرى ، قبالة الذين يضربون الدفوف ، فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ... كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والقوة الزائدة ، بحيث لا يقوم هذا المقام الا كل من عرف بالقوة ! وهذه الحركات والايقاعات على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم ، وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء ... كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخرى !

هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان ، وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك ، والتلفت الى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج ، والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ، ملتحقا بالأسواق المتهنة !

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال ، والشموع ، والطبول ، والزمور . ويتكلمون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة ! وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ، ومن لايملك قوت ليلته ... فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ، ويبيع متاعه ، أو يستدين الجملة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة ! وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ، ثم يقطع ليلته تلك

سهران ، ويصبح دائخا كسلان ، ويظن أنه بات يتعبد ، ويذكر ويتجهد !

واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يزدد النـاذر لذلك الا مرضا ومقتا . واستجلب خدمة الضريح مالاح لهم من خساف العقول ، مثل الشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل !

فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ، ترك هذا المولد فى جمـلة المتروكات . ثم حصلت الفتنـة التى حصلت ، وسكن هذا الفرنساوى فى خط المشهد الحسينى ، لضبط تلك الجهة — وفيه منـايرة ومداهنة — فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعة المتشفعين ، ويجل الفقهاء ، ويعظمهم ويكرمهم . وأبطل وقوف عسكره بالسـلاح كعادتهم فى غير هذه الجهة . وكذلك منع مايفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس فى مثل القناديل .

فاطمأن به أهل الخطة ، وتراجعوا للبكور الى الصلاة فى المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معهم وتركهم التبكير . فلما أنسوا به ، وعرفوا أخلاقه ، رجعوا الى عادتهم ، ومشوا بالليل أيضـا بدون فزع وخوف .

وترجمانه على مثل طريقته . وهو رجل شريف من أهل حلب ، كان آسـيرا بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من استخلصوهم من آسرى مالطة ، وقدم معهم مصر . فلما أجلس هذا لضبط الخط ، كان ترجمانه يهوديا ، فاحتال بعض أعيان الجهة ، ورتب هذا الشريف المذكور ، ليكون فيه راحة للناس . ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه ، وجمع الناس للجلوس فيها ، والسهر حصة من الليل ، وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارا من الليل كعادتهم القديمة .. فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلى والخلاعات . وعم ذلك جهات تلك الخطة ، ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ... وتلك هى طبيعة الفرنساوية ! فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث ، واللعب والممازحة . ويحضر معهم ذلك الضابط ، ومعه زوجته ، وهى من أولاد البلد المخلوعين أيضا !

فانساق الحديث لذكر هـذا المولد الشهرى ، وما يقع فى لياليه من الجمعيات والمهرجان ، وحسنوا له اعادته . فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ، ووقود القناديل ، وشدد فى ذلك .

الأربعاء ٩ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا بتطيير طيارة ببركة الأزبكية ، مثل التى سبق ذكرها ... وفسدت ، فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر . وطيروها فصعدت الى الأعلى ، ومرت الى أن وصلت تلال البرقية ، وسـقطت . ولو ساعدها الريح ، وغابت عن الأعين ... لتمت الحيلة ، وقالوا انها سافرت الى البـلاد البعيدة بزعمهم .

وفيه : سافر الخواجه مجلون الى الصعيد واليا على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى .. للغز .

وفيه : سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ، ومواش ، ونساء أفرنجيات ، وصناديق قيل انهم أرسلوها الى الطور ، وصحبتهم عدة من العسكر .

الخميس ١٠ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر طائفة من العسكر الفرنساوى الى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وفتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ماوجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها ، للمسافرين والهاربين والقليونجية ، وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك والقليونجيـة التجار ، وسـجنوهم

بالقلعة . وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق — خصوصا الكرتلية الذين كانوا عسكرا لمراد بيك — وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقليونجية الذين كانوا مع مراد بيك — وبعضهم كان بمصر — فأدخلوهم فى عسكرهم ، وزيوهم بزيهم ، وأعطوهم أسلحة ، وانتظموا فى سلكهم .

وفيه : تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك وذهبا من خلف الجبل على الهجن الى جهة الشام وصحبتهم جماعة ابراهيم بيك . وكان ذهابهم فى أواخر رجب .

وفيه : نادوا بابطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقدوا عوضها فى وسط السوق مجامع فى كل مجمع أربعة قناديل ، بين كل مجمع ثلاثون ذراعا . ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء . ولا علاقة للقلقات فى ذلك . ففرح بذلك فقراء الناس ، وانفرجت عنهم هذه الكربة .

وفيه : نادوا أيضا أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب الى العلماء والقاضى .

وفيه : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب السكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه : حضر رجل من ناحية غزة يطاب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة المرحوم محمد أفندى البكرى وزوجها الأمير ذى الفقار وخشداشينه . والخطاب للشيخ خليل البكرى . فعرض ذلك على سارى عسكر ، وترجى عنده ، فكتب لهم أمانا بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة . وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات .

وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة ، وابراهيم بيك ومن معه خارج البلد ، وهم فى ضيق وحصر ، وحيز عنهم داخل البلد .

وفيه : ذهب عدة من العسكر الفرنساوية الى قطيا ، وشرعوا فى بناء أبنية هناك . وأشيع سفر سارى عسكر الى جهة الشام والاغارة عليها .

الأحد ١٣ منه (٢٠ يناير ١٧٩٩ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الدلو — وهو أول شهر من شهورهم — وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ ، كما هى عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج الى برج .

الاثنين ١٤ منه (٢١ يناير ١٧٩٩ م) .

نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة .

وفيه : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحى الخانكة ، وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم .... جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه . وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب عدة من العسكر الى سنافير وأجهور الورد وقرنفيل وكفر منصور وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها . والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضا ، ونهبوا جمالا وبهائم ممن لم يعص أيضا ، ودخلوا بذلك المدينة . فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ... فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

السبت ١٩ منه (٢٦ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرا ، وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد والذين عس عليهم الخبيث الأغا وبرطلمين والقلقات ووجدوهم مختفين فى البيوت .

وفيه : قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فألقوا الجميع فى بحر النيل .

وفيه : نادوا بأن كل من اشترى شيئا من منهوبات العرب التى نهبتها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

وفيه : كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس الى جهة الشام . وطلبوا وهيأوا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط . ثم رسموا على الأهالى عدة كبيرة من الحمير ، وكذلك عدة من البغال . فطلب شيخ الحمارة ، وأمر بجمع ذلك ... وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال . فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ، فامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقائين الجمال ، والبراسمية . فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

الاثنين ٢١ منه (٢٨ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا ، ولصموها بالأسواق على العادة ، ونصها :

« الحمد لله وحده .. هذا خطاب الى جميع أهل مصر — من خاص وعام — من محفل الديوان الخصوصى ... من عقلاء الأنام علماء الاسلام ، والوجاقات ، والتجار الفخام . . نعلمكم معاشر أهل مصر ، أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته ، أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفوا شاملا ، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصا ، أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لاجل قضايا حوائج الرعايا ، وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام واحكام ... كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ، ومزيد حبه لمصر ! وشفقته على سكانها ، من صغير القوم قبل كبيرهم . ورتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم . وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهرى ، وقتل منهم اثنين بقراميدان ، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى الى أدنى مقام . لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس ! خصوصا مع النساء الأرامل ... فان ذلك قبيح عندهم ، لا يفعله الا كل خسيس . ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس . وفعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم . ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق .

« فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم . وعليكم بالرضا بقضاء الله ! وحسن الاستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة . رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ! » .

« ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم .. الا من كان له دعوى شرعية ، فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية ... بخط السكرية .

« والسلام على أفضل الرسل على الدوام »

وفيه : أرسلوا للوالى لينبه على السقائين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم

الاربعاء ٢٣ منه (٣٠ يناير ١٧٩٩ م) :

خرج ليلا عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معـه مصطفى بيك كتخدا الباشا المتولى أمير الحج ويأخذ أيضا قاضى العسكر بجمقشى زاده وأربعة أنفار من المتعممين ، وهم الفيومى والصاوى والعريشى والدواخلى ، وجماعة أيضا من التجـار والوجاقلية ونصـارى القبط والشوام .

السبت ٢٦ منه (٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

نادوا للناس بالأمان وفتح الأسـواق ليلا فى رمضان ، حكم المعتاد .

وفيه : انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل — وهو بيت ابراهيم بيك الوالى — وسكن بيت أيوب بيك الكبير المطل على بركة الأزبكية . وانتقلوا جميعهم الى بركة الأزبكية .

وفيه : عرض حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضـان فرسم له بذلك ، على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمـل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثـلاثاء .. دعا فى أول يوم العلمـاء والفقهـاء والمشـايخ والوجاقليـة وغيرهم ، وفى ثانى يوم التجـار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم .

وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، وشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومر على قائمقام وأمير الحج وصارى عسـكر بونابرته . ثم رجع بعـد الغروب الى بيت القـاضى بين القصرين ، فأثبتوا هلال رمضان ليلة الاربعاء ثم ركب من هناك بالموكب ، وأمامه المشاعل الكثيرة ، والطبول والزمور والنقاقير ، والمناداة بالصوم .. وخلفـه عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشع مهول .

وانقضى شهر شعبان وحوادثه ..

فمنهـا : أن أهل مصر جروا على عادتهم فى بدعهم التى كانوا عليها وانكمشـوا عن بعضها ، واحتشموها خوفا من الفرنسيس . فلما تدرجوا فيها ، وأطلق لهم الفرنساوية القيد ، ورخصـوا لهم ، وسايروهم ... رجعوا اليها ، وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها قربة تنجيهم — بزعمهم — من المهالك ، وتقربهم الى الله زلفى فى المسالك ... فرمحوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر ، وكساد غالب البضائع ، وغلوها ، وانقطـاع الأخبـار ، ومنع الجـالب ، ووقوف الانكليز فى البحر ، وشدة حجزهم عـلى الصـادر والوارد ... حتى غلت أسـعار جميع الأصناف المجلوبة من البحر الرومى ، وانقطع أثر كثير من أرباب الصنائع التى كسدت لعدم طلابها . واحتاجوا الى التكسب بالحرف الدنيئة : كبيع الفطير ، وقلى السمك ، وطبخ الأطعمة والمأكولات والأكل فى الدكاكين ، واحداث عدة قهاوى .

وأمـا أرباب الحـرف الدنيئة الكاسـدة ، فأكثرهم عمل حمـارا مكاريا .. حتى صـارت الأزقة — خصوصا جهات العسكر — مزدحمـة بالحمير التى تكرى للتردد فى شـوارع مصر فان للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ، ومغـالاة فى الأجرة ... بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سـوى أن يجرى به مسرعا فى الشارع !

كذلك تجتمع الجماعة منهم ، ويركبون الحمير ويجهـدونها فى المشى والاسراع ، وهم يغنـون ويضحكون ، ويصيحون ويتمسخرون . ويشاركهم المكارية فى ذلك .

كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد الى



القوات الفرنسية فى الصعيد

حانات الراح ، والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى والأقداح . كما قال فى ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار

ان الفرنسيس قد ضاعت دراهمهم
فى مصرنا بين حمار وخمار
وعن قريب لهم فى الشام مهلكة
يضيع لهم فيها آجال وأعمار

ومن طبعهم فى الشرب ، أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس . فان زادوا عن ذلك الحد ، لايخرجون من منازلهم . ومن سكر وخرج الى السوق ووقع منه أمر مخل ، عاقبوه وعزروه .

ومنها : ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول ، وتقلدهم بالسيوف ... بسبب خدمتهم للفرنسيس ! ومشيهم الخيلاء ، وتجاهرهم بفاحش القول ، واستذلالهم المسلمين ... كل ذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد !

والحال ... البحال ! والمركوز فى الطبع مازال ، والبعض استهوته الشياطين ، ومرق — والعياذ بالله — من الدين . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ومنها : تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيا — يقال له الشيخ الكيلانى — كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف . ولما وردت أخبار الفرنسيس الى الحجاز ، وأنهم ملكوا الديار المصرية — انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم ، وجردوا الكعبة . وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ، ويدعوهم الى الجهاد ، ويحرضهم على نصرة الحق والدين . وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا فى معنى ذلك .. فاتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين ، وركبوا البحر الى القصير .. مع من انضم اليهم من أهل ينبع وخلافه . فورد الخبر فى أواخره أنه انضم اليهم جملة من أهل الصعيد ، وبعض أتراك ومغاربة .. ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة امبابة . وركب الغز معهم أيضا ، وحاربوا الفرنسيس ، فلم تثبت الغز كعادتهم ، وانهزموا ، وتبعهم هوارة الصعيد ، والمتجمعة من القرى . وثبت الحجازيون ، ثم انكفوا لقلتهم ، وذلك بناحية جرجا . وهرب الغز والمماليك الى ناحية اسنا ، وصحبتهم حسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك حسن تابعه .

ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع . وينفصل الفريقان بدون طائل .

ومنها : أن الفرنسيس عملوا كرنتيلة بجزيرة بولاق : وبنوا هناك بناء فيحجزون بها القادمين من السفار أياما معدودة ... كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها . والله أعلم .

رمضان

الأربعاء اوله (٦ فبراير ١٧٩٩ م) :

أخذ بونابرته فى الاهتمام بالسفر الى جهة الشام ، وجهزوا طلبا كثيرا ، وصاروا فى كل يوم تخرج منهم طائفة بعد طائفة .

السبت ٤ منه (٩ فبراير ١٧٩٩ م) :

عمل صارى عسكر ديوانا ، وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم الى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون الى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ، ومشى القوافل والتجارات برا وبحرا ، لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأننا نغيب عنكم شهرا ثم نعود . وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرائع وغير ذلك ... فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات ... كل كبير يضبط طائفته ، خوفا من الفتن ، مع العسكر المقيمين بمصر .

فالتزموا له بذلك ، وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك ، وألصقوها بالطرق .

وفيه : خرج القاضى ومصطفى ، كتخدا الباشا ، والمشايخ المعنون للسفر الى جهة العادلية . وخرج أيضا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة .. حتى الأسرة والفرش والحصر ، وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوهن من بيوت الأمراء ، وتزيا أكثرهن بزى نسائهم الأفرنجيات .. وغير ذلك .

الأحد ٥ منه (١٠ فبراير ١٧٩٩ م) :

ركب صارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضا الى العادلية ، وذلك فى الساعة الرابعه بطالع الحمل وفيه القمر فى تربيع زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقائمقام وبوسليك وصارى عسكر ديزيه بجملة من العسكر فى الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات . وأخذ معه المدبرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع مهم كالحدادين والنجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضا بعض أكابرهم بمصر . ثم تراسل المتخلفون فى الخروج .. كل يوم تخرج منهم جماعة .

الثلاثاء ٧ منه (١٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس ٩ منه (١٤ فبراير ١٧٩٩ م) فأرسل قائمقام خلف المهدى والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له : « هذا كذب لا أصل له ، وانما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين » . ففحص عمن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة ، حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه . فأبقاهم فى الاعتقال .

ثم ان نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرق ، وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشمير الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك .

ونبهوا أيضا بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ، ولا يشربون الدخان ولا شىء من ذلك بمرأى منهم كل ذلك استجلابا لخواطر الرعية . حتى

ان بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى ، وهو يشرب الدخان ، فانتهره .. فرد عليه ردا شنيعا . فنزل ذلك المتعمم ، وضرب النصرانى . واجتمع عليه الناس ، وحضر حاكم الخطة فرفعها الى القائمقام . فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك ، فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه اذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ، ولا بمرأى من المسلمين أبدا . فضرب النصرانى ، وترك المتعمم لسبيله .

الاحد ١٩ منه (٢٤ فبراير ١٧٩٩ م) :

أحضروا مراد أغا — تابع سليمان بيك الأغا ومعه آخر من الأجناد — من ناحية قبلى فأصعدوهما القلعة قبل قتلهما .

السبت ٢٥ منه (٢ مارس ١٧٩٩ م) :

ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك . وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فاذا سمعتم ذلك ، فلا تفزعوا .

الاحد ٢٦ منه (٣ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف . وهم راكبون الحمير ، متقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس ، وأمامهم طبلهم . وخرج بعض الناس .. فشاهدهم

ولما وصلوا الى خارج القاهرة — حيث الجامع الظاهرى — خرج الأغا وبرطلمين بطوافيهما ينتظرانهم ، ومعهم طبول وبيارق وطوائف ، ومشوا معهم الى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ، ودخلوا بهم الى بيت قائمقام . فأخذوا سلاحهم ، وأطلقوهم .. فذهبوا الى بيوتهم . وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران ، وهما يوسف كاشف الرومى واسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور .

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وارناؤود فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه . ثم حضر اليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة، فأرسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بيك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنساوية بها واحاطتهم حولها ، فنزلوا قريبا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل



الأتراك يهاجمون قلعة العريش

فاستشهد قاسم بيك وغيره ، وانهزم الباقون .

ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان ... فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يوما . فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا الى مصر فأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ، ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم .

وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب المفضل ، يشتمل على مبادىء الحكمة السنية ، والحموق اليقينية .

« وهذه المبادىء المذكورة لايصح بناؤها المتبن ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب . وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ، لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو فى هذا العالم الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ، من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام ، كالنجوم السائرة فى الأعالى ، وبها يهتدى للسير الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من الظلمات ، وان ذلك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن لرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ، لو يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك — فبلا شك أن البلاد قاطبة لايمكن أن تسكن حين ذاك الا ببحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتتشحن الأرض من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .

« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة . وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب . فقد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .

« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماءالمحققون ومن هم بالعلم موصوفون ... لايخفاكم أن أجمل مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ، هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد وتلك النواحى ، التى يطلق عليها كونها فى حال النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا كان سكانها يهتدون الى قواعدالشريعة ، والفرائض الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون للسلوك بالعدلوالانصاف .. خلافا لغيرهامن البلاد التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لمافيهممن العجرفة والاعتداء ، ولاينعطفون الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفترا آخر خلافه ، فيه يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ، مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

غير قابل التغيير فى ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الشيء الأجل والأوفر استحقاقا فى الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابرته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذى لايهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناءه الا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (1) .

---

(1) فى هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة زبيدة ولدا أسماه « سليمان مراد جاك مينو » .

« عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ٢١٤ »

وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبى قاتل كليبر ، وذلك لكراهية مينو لكليبر . وكان أيضا لا يبدو منه اى احترام لذكراه .

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانبا من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقى مسندا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا — كتخدا الباشا — وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناثر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها . فان وجد بها خللا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية ! » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرىء بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

مولاكم الذى خلقكم وسواكم .. والسلام ختام ! » .

وانقضى شهر رمضان ، ووقع فيه — قبل ورود هذه الأخبار — من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر ، وعدم مرور المتخلفين منهم الا فى النادر ، واختفائهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجىء ، وزيارة الاخوان ليلا ، والمشى على العادة بالفوانيس ودونها ، واجتماع الناس للسهرفى الدوروالقهاوى ، ووقود المساجد ، وصلاة التراويح ، وطواف المسحرين ، والتسلى بالرواية والنقول ، وترجى المأمول ، وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

ومنها : أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للافطار والسحور ، ويعملون لهم الولائم ، ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعادتهم . ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين ، تطمينا لخواطرهم ، ويذهبون هم أيضا ، ويحضرون عندهم الموائد ، ويأكلون معهم فى وقت الافطار ، ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ، ويحذون حذوهم . ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ، ما يتعجب منه ! والله أعلم .

شوال

الجمعة مستهله (٨ مارس ١٧٩٩ م) :

فى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر . واتفق أن امام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعد ما شنع عليه الجماعة .

وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور . فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر ، وأسرع فى مشيه وهو يقول : « نزلت عليكم العرب يا ناس » . فهاجت الناس ، وانزعجت النساء ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النساء وأزرهن ، وما صادفوه من عمائم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة ، حتى أن بعض النساء مات تحت الأرجل . ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وانما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك .

وفيه : ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد وجاملهم الناس لمداراة أيضا ..

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم : فذهب مراد بيك وآخرون الى نواحى ابراهيم بيك ، ومنهم من ذهب الى ناحية أسوان والألفى عدى بجماعته الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٥ منه (١٢ مارس ١٧٩٩ م) :

قدم الشيخ محمد الداوخلى من ناحية القرين متمرضا ، وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين . وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية ، أرسل الى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم بالحضور الى الصالحية ، لأنهم كانوا يباعدون عنه مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق...فخافوا من المرور،فذهبوا الى العرين[1]، فأقاموا هناك ، واتخذ عسكر الفرنسيس جمالهم فأقاموا بمكانهم . فتقلق هؤلاء الثلاثة ، وخافوا سوء العاقبة .. ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى ، فحصل للدواخلى توعك ، فحضر الى مصر وبقى رفيقاه فى حيرة .

(١) بالعين ، وهى غير القرين بالقاف .



باب زويلة

الخميس ٧ منه (١٤ مارس ١٧٩٩ م) :

أحضر الأغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب . والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهه الركبية — ويسمى دلوى (١) — أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد وشكوا اليه . وكان الأمير ذوالفقار حاضرا — وهو يسكن تلك الجهة — فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد الى دلوى فانتهره وأمره برد ما أخذه ، فأخبره أتباعه أن ذا الفقار هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم الى كبيرهم . فقام دلوى المذكور ودخل على ذى الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه . فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم واخبره بفعل دلوى معه ، فأمر باحضاره وحبسه بالقلعة .

ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذى وقع من دلوى لباعة الغلة انما هو باغراء خادمه ، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها ويجتمع هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى بحطهم ليلا ونهارا وتبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم . فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر . ولا بأس بما حصل .

الجمعة ٨ منه (١٥ مارس ١٧٩٩ م) :

نودىٔ فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قرا ميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب .

السبت ٩ منه (١٦ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر من الينكرجية المسلمين نحو المائتين أو أكثر ، وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة عظيمة . ثم مواكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة — وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا — وخلفه النوبة التركية . فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات ، وعجائب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا

(١) « ديوى » فى بعض النسخ . ولعلها « ديبوى » .

المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

الأربعاء ١٣ منه (٢٠ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا ، وبيدهم مكاتبة من صارى عسكرهم بالاخبار عما وقع .

الخميس ١٤ منه (٢١ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع أرباب الديوان ، فقرأ عليهم تلك المراسلة — بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية — وهى عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة . وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك . وصورتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه مايريد . سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد !

هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية :

« نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة فى ٢٣ رمضان . ووصلوا الى الرملة فى ٢٥ منه فى أمن واطمئنان ، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قائلين : الفرار ! الفرار !

« ثم ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة « لد » مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألفا وخمسمائة قربة مجهزة ... جهزها الجزار يسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ! ومراده أن يتوجه اليها بأشرار العربان من سطح الجبل . ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ! قاصدا سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية — وتجبره وظلمه مشهور — لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية . ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله . كل شىء بقضائه وتدبيره .

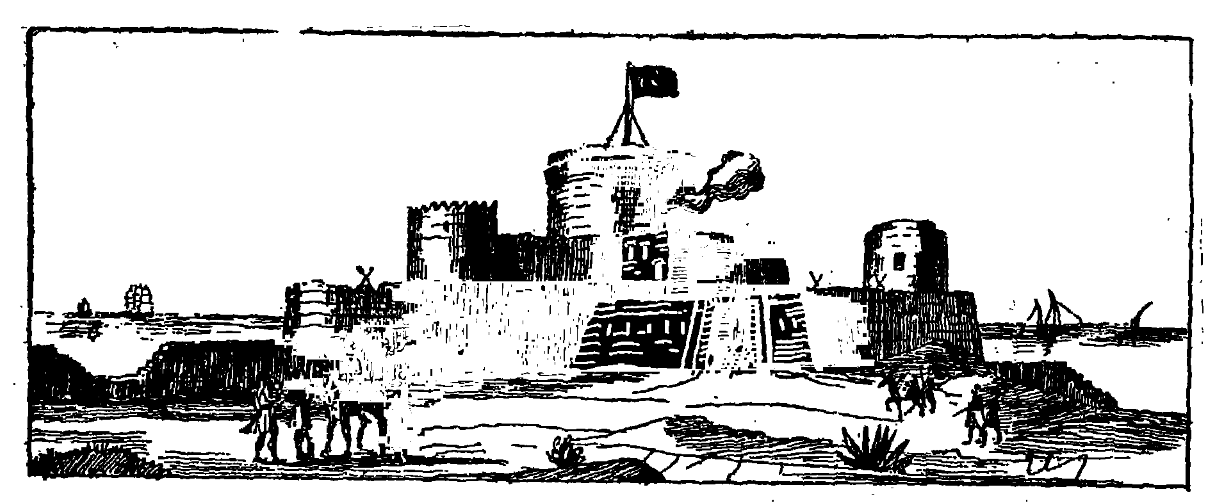
« وفى سادس عشر من شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا الى حاكمها . وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار .

« فمن خسافة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .

« وفى أواخر ذلك اليوم — السادس والعشرين — تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين . وانقسموا على ثلاثة طوابير : الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيدا عن يافا بأربع ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر حضرة صارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة .

« وفى تاسع عشرين الشهر ، لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة سارى عسكر المشار اليه أن تنصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر باحكام وتأسيس . وأمر بنصب مدافع أخرى بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا ، لأنه وجد فى المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب . ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب !

« ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة ، المحاصرون ، أن عسكر الفرنساوية قلائل فى رأى العين للناظرين لمداراة الفرنساوية فى الخنادق خلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين ، وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية .. فهجم عليهم الفرنسيس ، وقتلوا



استحكامات يافا

منهم جملة كثيرة فى تلك الواقعة ، وألجأوهم للدخول ثانيا فى القلعة .

« وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان ، حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية ، وخاف على أهل يافا من عسكره اذا دخلوا بالقهر والاكراه ! فأرسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه :

« لا اله الا الله وحده لاشريك له .. بسم الله الرحمن الرحيم : من حضرة صارى عسكر اسكندر برتبة كتخدا العسكر الفرنساوى .. الى حضرة حاكم يافا ...

« نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته أمرنا أن نعرفك فى هذا الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة ، لأنه تعدى بارسال عسكره الى العريش ، ومرابطته فيها . والحال أنها من اقليم مصر ، التى أنعم الله بها علينا ! فلا يناسبه الاقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه . فقد تعدى على ملك غيره .

« ونعرفكم ، يا أهل يافا ، أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم ، وتبطل آلاتكم وحروبكم

ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار اليه .. لمزيد رحمته وشفقته — خصوصا بالضعفاء من الرعية ! — خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، اذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين . فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ... أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب . ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة . وانى لكم لمن الناصحين ! » .

« وهذا آخر جواب الكتاب ... فجعلوا جوابنا حبس الرسول ، مخالفين للقوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ! وحالا — فى الوقت والساعة — هيج صارى عسكر ، واشتد غضبه على الجماعة ، وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير . وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس .

« وفى وقت الظهر من هذا اليوم ، انخرق سور يافا ، وارتج له القوم ، وثقب من الجهة التى ضربت فيها المدافع من شدة النار . ولا راد لقضاء الله ولا مدافع ! وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم . وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ، ودار السيف فى المحاربين ،

واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها تلك الليلة

« وفى يوم الجمعة غرة شوال ... وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ، ورق قلبه على أهل مصر ، من غنى وفقير ، الذين كانوا فى يافا ، وأعطاهم الأمان ، وأمرهم برجوعهم الى بلدهم مكرمين !

« وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم الى أوطانهم سالمين ، لأجل أن يعرفوا مقدار شفقته ، ومزيد رأفته ورحمته ! بعفو عند المقدرة ، ويصفح وقت المعذرة ... مع تمكينه ، ومزيد اتقانه وتحصينه !

« وفى هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف . وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم الا القليل . والمجروحون منهم ليسوا بكثير . وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون . وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة وأخذوا المراكب التى فى المينا ، واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعا ولم يعلموا — مع مقادير الله — أن آلات الحرب لاتنفع !

« فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضاء الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله . وعليكم بتقوى الله . واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء ! والسلام عليكم ورحمة الله » .

فلما تحقق الناس هذا الخبر ... تعجبوا . وكانوا يظنون — بل يتيقنون — استحالة ذلك ... خصوصا فى المدة القليلة . ولكن المقضى كائن !

الجمعة ١٥ منه (٢٢ مارس ١٧٩٩ م) :

شق جماعة من أتباع الشرطة فى الأسواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام واللغط فى حق الفرنسيس . ويقولون لهم. «من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر .. فليتنه ، ويترك الكلام فى ذلك . فان ذلك مما يهيج العداوة » وعرفوهم أنه ان بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك ، عوقب أو قتل ... فلم ينتهوا . وربما قبض على البعض ، وعاقبوه بالضرب والتغريم !

وفيه : كان التحويل الربيعى وانتقال الشمس لبرج الحمل — وهو أول شهر من شهورهم — فعملوا ليلة السبت شنكا وحراقة وصواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة ، نساء ورجالا ، وتراقصوا ، وتسابقوا ، وأوقدوا سراجا وشموعا ، وغير ذلك . وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور !

السبت ١٦ منه (٢٣ مارس ١٧٩٩ م) :

أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة يافا — وعدتها ثلاثة عشر ، وفيها من له طلائع فضة كبار — الى الجامع الأزهر وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات ، وأرسلوا بدلها أعلام يافا ، وعملوا لها موكبا بطائفة من العسكر يقدمهم طبلهم ، وخلفهم الأغا بجماعته وطائفته والمحتسب ومدبرو الديوان ، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بازعاج شديد وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطائفة الأولى . وبعدهم عدة من العسكر على رؤوسهم عمائم بيض ، يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة . وخلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر ، وآخرون راكبون على حمير المكارية

فلما وصلوا الى باب الجامع الأزهر ، رتبوا تلك الأعلام ، ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة ، وبعضها على الباب الآخر من الجهة الاخرى عند حارة كتامة — المعروفة الآن

بالعينية — ولم يصعدوا منها على المنارات ، كما صنعوا فى أعلام العريش .

الاحد ١٧ منه (٢٤ مارس ١٧٩٩ م) :

رتبوا أوامر ، وكتبوها فى أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق : احداها بسبب مرض الطاعون ، وأخرى بسبب الضيوف الأغراب .

ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته :

« خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها : أنكم تمتثلون هذه الأوامر ، وتحافظون عليها، ولا تخالفوها . وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام ، والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ... وهى المحافظة من تشويش الكبة . وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك — فى محل من المحلات ، أو بيت أو وكالة أو ربع — يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرتيلة . ويجب قفل ذلك المكان ، ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك ، أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلدقائمقام مصر وأقاليمها ، ويكون ذلك فورا .

« وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها . والأطباء اذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض ، يتوجه كل طبيب الى قائمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش . وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ، ولم يخبر بهذا المرض ... يعاقب بما يراه قائمقام . ويجازى مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء المتقصير .

« وملزوم أيضا من أصابه هذا التشويش ، أو حصل فى بيته لغيره من عائلته أو عشيرته ، وانتقل من بيته الى آخر ، أن يكون قصاصة الموت . وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله .

« وكل رئيس ملة فى خط ... اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه ، أو بمن مات بها أيضا حالا فوريا .. كان عقاب ذلك الرئيس ، وقصاصه الموت .

« والمغسل — ان كان رجلا أو امرأة — اذا رأى الميت أنه مات بالكبة ، أو شك فى موته ، ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة ... كان جزاؤه وقصاصه الموت .

« وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية ، وحكام البلد الفرنساوية والاسلامية، تنبيه الرعية ، واستيقاظهم لها . فانها أمور مخفية وكل من خالف حصل لهمزيد الانتقام منقائمقام .

« وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية .. لأجلالصيانة والحفظ لأهل البلد . والحذر من المخالفة ، والسلام » .

ومضمون الثانية :

« الخطاب السابق من صارى عسكر دوجا ... الوكيل ، وحاكم البلد دسنى قائمقام ... يلزم المديرين بالديوان أنهم يشهرونالأوامر ، وينتبهون لها . وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام . وهو أنه تتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت — الذى يدخل فى محله ضيف ، أو مسافر ، أو قادم من بلدة أو اقليم — أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ، ولا يتأخر عن الأخبار الا مدة أربع وعشرين ساعة : يعرفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، وعن مدة سفره ، ومن أى طائفة ، أو ضيفا ، أو تاجرا ، أو زائرا ، أو غريما مخاصما — لابد لصاحب المكان من ايضاح البيان .

« والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ماذكر فىشأن القادم ، بعد الأربع والعشرين ساعة ، باظهار اسمه وبلده ،

وسبب قدومه .. يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك .

« ونخبركم معاشر الرعايا ، وأرباب الخمامير والوكائل ، أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات

« ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل والسلام »

وفيه : جتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شأن مصطفى بيك كتخدا الباشا المولى أمير الحج . وهو أنه لما ارتحل مع صارى عسكر — وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار — وافترق منهم عند بلبيس ، وتقدم هو الى الصالحية ، ثم انهم انتقلوا الى العرين ، فحضر جماعة من العساكر المسافرين فاحتاجوا الى الجمال فأخذوا جمالهم . فلما وصل صارى عسكر الى وطنه أرسل يستدعيهم الى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحاق به ... فأقاموا بالعرين عدة أيام ، وأهمل أمرهم صارى عسكر .

ثم ان الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين .. خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم ، وذهبوا الى القرين . وحصل للدواخلى توعك وتشويش ، وحضر الى مصر — كما تقدم ذكر ذلك — وانتقل مصطفى بيك المذكور والقاضى ، وصحبتهم الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية ، الى كفور نجم ، وأقاموا هناك أياما .

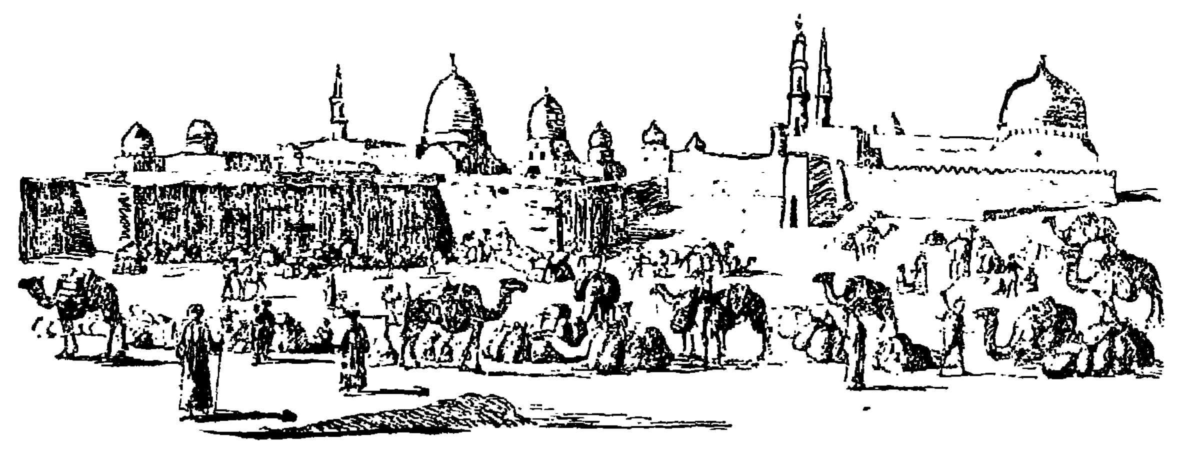
واتفق أن الصاوى أرسل الى داره مكتوبا ، وذكر فى ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أمورا غير لائقة . فلما حضر ذلك المكتوب ، طلبه الفرنساوية المقيمون بمصر ، وقرأوه وبحثوا عن الأمور غير اللائقة . فأولها بعض المشايخ أنه قصر فى حقهم والاعتناء بشأنهم ...

فسكتوا ، وأخذوا فى التفحص .. فظهر لهم خياناته ومخامرته عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وخلع عليهم ، وانتقل بصحبتهم الى منية غمر ودقدوس وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال . وحين كانوا على البحر ، مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق الى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم ، وأخذوا منهم مامعهم قهرا . وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ماوقع لهم معه ... فأثبتوا خيانة مصطفى بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجانا بأعلام صارى عسكرهم بذلك . فرجع اليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكرا ، ويرسلوا الى داره جماعه يقبضون عليه ، ويختمون على داره ، ويحبسون جماعته .

الاحد ٢٤ منه (٣١ مارس ١٧٩٩ م) :

عينوا عليه عسكرا ، وأرسلوا الى داره جماعة ومعهم وكلاء ، فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظرا على الكسوة ، وعلى ابن أخيه ومن معهم ، وأودعوهم السجن بالجيزة . وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة ، وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة . فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه ، وعبى الخيل والسروج ، وغيرها شيئا كثيرا . ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضا . فانقبضت خواطر الناس لذلك .. فانهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس . وكلمتهما عندهم مقبولة ، وأوامرهما مسموعة .

ثم انهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار .. بالحضور الى مصر مكرمين ولا بأس عليهم .



سفر قافلة الطور

وفيه : ورد الخبر بأن السيد عمر افندى نقيب الأشراف حضر الى دمياط ، وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين : مثل عثمان أفندى العباسى وحسن أفندى كاتب الشهر ، ومحمد أفندى ثانى قلفة ، وباش جاجرت ، والشيخ قاسم المصلى وغيرهم . وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا . فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد ، لم يتعرضوا للمصريين ، وطلبهم اليه ، وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر ، وألبسهم ملابس وأنزلهم فى مركب ، وأرسلهم الى دمياط من البحر .

الاثنين ٢٥ منه (أول ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون الى بيت الوكيل يأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم . ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك ستأهل الذى يجرى عليه . وسبب ذلك اشاعة دخول الكثير منهم الى مصر خفية بصفة الفلاحين .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة . وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك .

وفيه : حضر امام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب فيه الثناء على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الاجازة بالحضور الى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج ... فان الوقت ضاق ، ودخل أوان السفر للحج . وفى آخر المكتوب : « وان بلغكم من المنافقين عنا شيء فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه » .

فقرىء كتابه بالديوان . فلما فهمه الفرنسيس ... كذبوه ، ولم يصغوا اليه وقالوا ان خيانته ثبتت عندنا ، فلا ينفعه هذا الاعتذار . ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة امامه مضمونه : ان كان صادقا فى مقالته فليذهب الى جهة صارى عسكر بالشام . وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب اليه ، وان تأخر زيادة عليها كان كاذبا فى مقالته . وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

وفيه : كتبوا أوراقا ونادوا بها فى الشوارع . وهى : « يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه ، وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شيء . فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ماعليهم

سوء . ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر . والمراكب حاضرة ، والمعينون المحافظون من أهل مصر ، صحبة الحاج ، حاضرون . يكون فى علمكم أن تكونوا مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين » .

غايته (٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر المشايخ والوجاقات والتجار ماخلا القاضى فانه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا .

وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التى منها أن الفرنساوية عملوا جسرا من مراكب مصطفة، وعليها أخشاب مسمرة من بر مصربالقرب. من قصر العينى الى الروضة قريبا من موضع طاحون الهواء يسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم الى البر الآخر ، وعملوا كذلك جسرا عظيما من الروضة الى الجيزة .

ومنها : أن توت الفلكى رسم فى فسحة دارهم العليا ، ببيت حسن كاشف جركس ، خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ، ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة فى أعلى الرفوف ، مقابلة لعرض الشمس .. ينزل الشعاع من تلك الثقب ، ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ، ويعرف منه الباقى للزوال ، ومدارات البروج شهرا شهرا . وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس .

ورسم أيضا مزولة بالحائط الأعلى ، على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين ، بشاخص — على طريق وضع المنحرفات والمزاول — ولكن للساعات قبل الزوال وبعده ،خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر ، وقضل دائر الغروب ،وقوس الشفق والفجر ، وسمت القبلة ، وتقسيم الدرج وأمثال ذلك ، لأجل تحقيق أوقات العبادة ... وهم لا يحتاجون الى ذلك فلم يعانوه .

ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر ، منزلة بخطوط عديدة فى قاعدة عمود قصير ، طوله أقل من قامة قائم ، بوسط الجنينة ، وشاخصها مثلث من حديد ، يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة . وهى متقنة الرسم والصناعة ، وحولها معاريفها ، واسم واضعها بالخط الثلث العربى المجود حفرا فى النحاس . وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم ، وغير ذلك .

ومنها : أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا ، وقبضوا على أتباعه ، وسجنوهم — وفيهم كتخداه الذى كان ناظرا على الكسوة — فقيدوا فى النظر على مباشرة اتمامها صاحبنا السيد اسماعيل الوهبى ، المعروف بالخشاب ، أحد العدول بالمحكمة . فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك . وأظهروا أيضا الاهتمام بتحصيل مال السرة ، وشرعوا فى تحرير دفتر الارسالية خاصة .

ذوالقعدة

٦ منه (١١ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضرت هجانة من الفرنسيس ، ومعهم مكاتبة مضمونها : أنهم أخذوا حيفا ، وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها . وأنهم بعد أربع وعشرين ساعة سلكونها ، وانهم استعجلوا فى ارسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق . فكونوا مطمئنين . وبعدسبعة أيام نحضر عندكم . والسلام .

وفيه : حضرت مغاربة حجاج الى بر الجيزة . فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيس . فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من

خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم . فحضر شخص منهم الى الفرنسيس ووشى اليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلا وسلاحا وقصدهم اثارة فتنة . فأرسل الفرنسيس اليهم جماعة ينظرون فى أمرهم فذهبوا اليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم . فقالوا : « انما جئنا بقصد الحج لا لغيره » ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة . فعملوا الديوان فى صبحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال : « انا لم نأت الا بقصد الحج » فقيل له : « ولأى شىء تشترون الأسلحة والخيول ؟ » فقال : « نعم ، لازم لنا ذلك ضرورة » . فقيل له : « انه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية ، وتقولون الجهاد أفضل من الحج » فقال : « هذا كلام لا أصل له » فقيل له : « ان الناقل لذلك رجل منكم » فقال : « ان هذا رجل حرامى أمسكناه بالسرقة وضربناه فحمله الحقد على ذلك ، وأن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا الا نصف قنطار بارود » .

ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح . فأجابهم الى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية .

٧ منه (١٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

خرجت عدة من العسكر الى بولاق ، ومعهم مدفعان ، ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم الى العادلية . فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم فى كرشاتهم وصياحهم ، وأشاعوا أن الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة . وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم فلم يعد المغاربة ذلك اليوم . وعدوا فى ثانى يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس الى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

١٠ منه (١٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

سافر عدة من عسكر الفرنسيس الى عرب الجزيرة ، فان مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب اليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر .

١٢ منه (١٧ ابريل ١٧٩٩ م) :

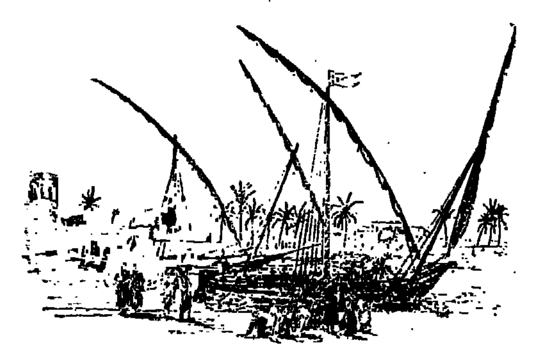
أفرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى الذى كان رئيس مراكب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه ببيت حسن كتخدا بباب الشعرية .

وفيه : حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان — وكان عاصيا — فأعطوه الأمان ،وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام .

٢١ منه (٢٦ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها .

وفيه : عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من



بعض القوارب الفرنسية فى الميناء

بر الشام من العسكر الى ناحية شرق أطفيح بسبب محمد بيك الألفى .

وفيــه : حضر الذين كانوا ذهبــوا الى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل . وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال . قيل انه ذهب الى الشام .

٢٥ منه (٣٠ ابريل ١٧٩٩ م) :

وصلت مراسلة من المذكوار ... خطابا للمشايخ مضمونها : أنهم يعرفون أكابر الفرنسيس أنه متوجه الى سارى عسكرهم بالشام ، ويرجون الافراج عن قريبه وكتخدائه ،ويتحفظون على الأمتعة التى أخذوها ، فانها من متعلقات الدولة . فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا « لايمكن الافراج عن المذكورين حتى تتحقق أنه ذهب الى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فانه من الجائز أنه يكذب فى قوله » .



العرب فى الصحراء

وفيه : ثبت أن محمد بيك الألفى مر من خلف الجبل وذهب الى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحى ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر .

٢٧ منه (٢ مايو ١٧٩٩ م) :

لخص الفرنساوية طومارا قرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة . وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك .

وصورتها :

« من محفل الديوان الكبير بمصر : بسم الله الرحمن الرحيم . ولا عدوان الا على الظالمين ..

« نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا ، من حضرة سارى عسكر الكبير ، خطابا منه الى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه ٩ ذى القعدة (١٤ ابريل ١٧٩٩) يخبر فيه أننا أرسلنا لكم تقيرتين لدمياط : الأولى أرسلناها فى ٢٥ شوال ، والثانية فى ٢٨ منه .. أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا ارسال جانب جلل وذخائر الى عساكرنا المحافظين فى غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة . وأما من قبل العرضى فان الجلل عندنا كثيرة والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى انها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما رمته الأعداء ، فكأن أعداءنا أعانونا .

« ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون قدما ، وسرنا به حتى قربناه الى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانى عشرة قدما .

« وقد قربت عساكرنا من الجهة التى تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمان وأربعون قدما ... بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا اليكم وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين . فاننا تهيأنا الى دخولها ... يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب »

« وأما بقية اقليم الشام ، وما يلى عكا من البلاد ، فانهم لنا طائعون ، وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون .. يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب

الجسيم من القلب السليم . وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا !

« ونخبركم أيضا ان الجنرال يونود انتصر على أربعة آلاف مقاتل .. حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا ، فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح ، وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب أن ثلثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس ! فعلمنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة !

« هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير الى وكيله بدمياط . وأرسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا ، الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف ، أن يلزموا الأدب والانصاف ، ويتركوا الكذب والخراف ... فان كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين .

« فان حضرة صارى عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف . والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم .. جاءت أخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين ، الذين صحبة الكيلانى ، قد مزقوا كل ممزق ، وانهزموا وتفرقوا . فلم يكن الآن فى بلاد الصعيد شىء يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد .

« فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وأمسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ! والأولى للعاقل انشغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه ! فان العاقل يقرأ العواقب ، وعلى نفسه يحاسب .. هذا شأن أهل الكمال : يتركون القيل والقال ، ويشتغلون باصلاح الأحوال ، ويرجعون الى الكبير المتعال .. والسلام » .

وفى هذا الشهر كتبوا أوراقا بأوامر . ونصها :

« من محفل الديوان العمومى ، الى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة : اننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى ، وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور . فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يوما من تاريخه أعلاه ... لجميع الناس ، ان كان فرنساويا أومسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان ، كل من أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة ، من النساء المشهورات — ان كان فى بيوت العسكر ، أو كل من كان داخل المدينة — فيكون قصاصه بالموت . كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر ، ان دخلن من أنفسهن أيضا — قصاصهن الموت .

ومن حوادث هذا الشهر : أنه حضر الى القلزم ، مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع ففر أناس من سكان السويس الى مصر وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول الى السويس .

ومنها : أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا فى نواحى تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والمزروعات .

ومنها : أن الكيلانى المذكور آنفا توفى الى رحمة

الله تعالى وتفرقت طائفته في البلاد حتى أنه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم .

ومنها : أنه حضر الى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقاتلوهم فملك عليهم الفرنسيس بلا عاليا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم وأخذوا شيئا كثيرا وأموالا عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم وكذلك فعلوا بالميمون .

ذو الحجة

١ منه (٧ مايو ١٧٩٩ م) :

خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا الى جهة دمنهور وفعلوا بها مافعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد . فاجتمع عليه أهل البحيره وغيرهم وحضروا الى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق . والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق .

وفيه : أشيع أن الألفى حضر الى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل الى الجزيرة.

٧ منه (١٢ مايو ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبى خشبة عند العامة واسمه « كفرللى » مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال واقدام عند المصاف مع ماينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

٩ منه (١٤ مايو ١٧٩٩ م) :

كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس . وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة اعلاما بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى ولكونها محجوزة فى الكرنتيلة والناس فى شغل عن ذلك .

ومن الحوادث فى ذلك اليوم : أن رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع الى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزييا بمثل ملابس القليونجية . فقال له « من أين لك هذا اللباس » فقال : « من عند جارنا فلان العسكرى » فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينيه الغدر . فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق الى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل الى أسفل الخان وخرج الى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول : « الجهاد يامسلمين ! اذبحوا الفرنسيس !»

ونحو ذلك من الكلام . ومر الى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس ، فقتل منهم شخصا وهرب الاثنان ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بعد الى أن وصل الى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر الى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها . والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا ظنونا أخر وبادروا الى القلاع وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك .

وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا الى ذلك الدرب فدخلوه . فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر فى تلك الدار ، فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة.فسألوه عن أمره وماالسبب فى فعله ذلك ؟ فقال : « انه يوم الأضحية فاحببت أن أضحى على الفرنسيس » . وسألوه عن السلاح فقال : « انه سلاحى » . فحبسوه لينظروا فى أمره ، وطلبوا سيده . فوجدوه عند الشيخ المهدى . وأخذوا بعض جماعة من أهل الحان ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا سيده من عند المهدى . وحبسوه وحضر الأغا وبرطلمين الى الحان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجى والجيران وصعدوا الى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئا . وأرادوا فتح الحواصل فمنهم السيد أحمد بن محمود محرم فحرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضا وقتلوا المملوك فى ثانى يوم . واستمر الجماعة فى الحبس الى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

وفيه أيضا : مر نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى وهو راكب على حمار فرآه



ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبد الله فأمره بالنزول اجلالا للمشهد على العادة . فامتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض ، فذهب ذلك النصرانى الى الفرنسيس وشكا اليهم السيد عبد الله المذكور فأحضروه وحبسوه فتشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه وادعى النصرانى أنه كان بعيدا عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبدالله متهور فى فعله وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت فى جيبه . واستمر الترجمان محبوسا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهى ستة آلاف درهم .

وفيه : أرسل فرنسيس مصر الى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب صحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها الى بلبيس ورجعوا بعد يومين .

وفيه : حضر الى السويس تسعة داوات بها بن

وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن . وكانت الانكليز منعتهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياما مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشورا وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوما وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق وهى خطاب لبوسايلك ، وصورته :

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة ، الى عين أعيانه ، وعمدة اخوانه بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد همته الوفية . وبعد :

« فانه وصل الينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قنجتنا ، وأنك أرسلت هجانا برفع العشور على البن ، وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاد بيعه . وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد ، عن تموه غياهب الشك فى كل المراد . ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وشهلنا الآن ، الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بدرنا جدة المعمورة فى هذا الأوان . ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار الا بمشقة علاج مع سلب اطمئنان التجار ، لأن كثرة اكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد الارتياب والاعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان .

وأما نحن فقد جاءتنا منكم ، قبل هذا ، المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب ... فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم .

والمطلوب فى حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان الى مصر ، ويبيع التجار ، ويزول وقف الأسباب والباس . وتهتم فى رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك سببا فى كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس . كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوبيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق لأن هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستخبارا من أعيان التجار . وعند مشاهدة الاكرام ، والاحتفال بهم فى كل حال ، يرسلون اليكم نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم . ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب ، وتحصيل الميرات بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان ويكثر بحول الله الوارد اليكم من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن فى المراكب فمأمولنا منكم القاء النظر على خدامنا ، وبذل الهمة على ماهو من طرفنا . وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام فى كل مرام .

« ولا يخفاكم أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوية .. محبنا بونابرته ! فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار اليه الجواب توصله اليه . وما كان منها معولا فى ارساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذى فى المخا ... فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها . وان شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام » ..

(تحريرا فى ١٨ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣ وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر فى ١٦ يوما خلت من شهر ذى الحجة . فتكون مدة وصوله من مكة المشرفة الى مصر ٣٨ يوما)

وانقضى هذا الشهر ولم يأت خبر صحيح عن



ميناء وقلعة السويس

فرنسيس الشـام وما جرى لهم أو عليهم ... الا روايات لايوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منهـا الا تكرار هجوم الفرنسيس على حصـون عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئا الا فعلوه ، ولم ينالوا غرضا منها .

وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث التى لم يتفق مثلها . ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة . وهذا لم يقع نظـيره فى هـذه القرون ولا فى دولة بنى عثمان . والأمر لله وحده !

* * *

ومات فى هـذه السنة العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان — بزاويتهم المعروفة بالشنوانى .

تولى شيخا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشبراوى ، وسـار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت ، وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات . فكان يشترى غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ، ويخرج كشـوفاتها وتحاويلهـا على الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد بدا من الدفع . وان كانت غلاله معطلة ، صالحه بما أحب من الثمن .

وله أعوان يرسلهم الى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون اليه بالسفن المشحونة بالغـلال والمعرضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك . ويبيعها فى سنى الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ، ويبيع خلاصته فى البطط بحارة اليهود ، ويعجن نخالته خبزا لفقراء العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشـحاذة فى طوافهم آناء الليـل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدائح والخرافات ، وقراءة القرآن فى البيوت ومصاطب الشوارع وغير ذلك .

ومن مات منهم ورثه الشيخ المذكور ، ولا يجد له معارضا فى ذلك .

واتفق أن الشيخ الحفنى نقم عليـه فى شيء ، فأرسـل اليه من أحضره موثوقا مكشوف الرأس مضروبا بالنعالات على دماغه وقفاه ، من بيته الى بيت الشيخ بالموسكى بين ملأ العالم !

ولما انقضت تلك السنون وأهلها ، صار المترجم بين أعيان الصـدور المشار اليهم فى المجالس ، تخشى سطوته وتسمع كلمته ، ويقال قال الشيخ كذا وأمر الشيخ بكذا !! .. وصار يلبس الملابس والفراوى ، ويركب البغال وأتباعه محدقة به

وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات ،

واشترى السرارى البيض والحبش والسود ، وكان تقرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ، ليكون له عليهم الفضل والمنة .

ولم يزل حتى حملـه التفـاخر — فى زمن الفرنسيس — على اثارة الفتنة التى أصـابته وغيره . وقتل فيمن قتل بالقلعة ، ولم يعلم له قبر

* * *

ومات — فى هذه السنة أيضا — الوجيه الأجل الأمثل ، السيد محمد كُرَيّم السكندرى (وكُرَيّم بضم الكاف ، وفتح الراء ، وتشديد الياء مكسورة ، وسكون الميم) مقتولا بيد الفرنسيس .

وخبره أنه كان فى أول أمره قبانيا يزن البضائع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة فى الحركة وتودد فى المعاشرة فلم يزل نتقرب الى الناس بحسن التودد ، ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء جنسه ، حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغر الاسكندرية ورشيد ومصر .

واتصل بصـالح بيك حتى كان وكيلا بدار السعادة ، وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد وتملكها وضواحيها ، واسترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان خجا ، فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور .

واتصل بمراد بيك — بعد صـالح أغا — فتقرب اليه ، ووافق منه العرض ، ورفع شأنه على أقرانه ، وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر ونفذت كلمته وأحكامه ، وتصدر لغالب الأمور ، وزاد فى المكوسات والجمارك ومصادرات التجار ، خصوصا من الافرنج .

ووقع بينه وبين السـيد شهبة الحادثة التى أوجبت له الاختفاء بالصهريج ، وموته فيه .

فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية ، قبضوا على السيد محمد المذكور ، وطالبوه بالمال ، وضيقوا عليه وحبسوه فى مركب .

ولمـا حضروا الى مصر ، وطلعوا الى قصر مراد بيك ، وفيها مطـالعته بأخبـارهم ، وبالحث والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، وتنقيصهم .. اشتد غيظهم عليه . فأرسلوا وأحضروه الى مصر وحبسوه ، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرات ، فلم يمكن .

الى أن كانت ليـلة الخميس ، فحضر اليه « مجلون » وقال له : « المطلوب منك كذا وكذا من المال » . وذكر له قدرا يعجز عنه ، وأجله اثنتى عشرة ساعة . وان لم يحضر ذلك القدر .. قتل بعد مضيها .

فلما أصبح أرسل الى المشايخ ، والى السيد أحمد المحروقى ، فحضر اليه بعضهم : فترجاهم ، وتداخل عليهم . واستغاث وصـار يقول لهـم . «اشترونى يامسلمون» . وليس بيدهم ما يفدونه به ، وكل انسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشىء يصيبه . وذلك فى مبادى أمرهم .

فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل ، أركبوه حمارا ، واحتاط به عدة من العسـكر . وبأيديهم السيوف المسـلولة ، وبقدمهم طبل يضربون عليه ، وشقوا به الصليبة الى أن ذهبوا الى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحا ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ، ثم قطعوا رأسه ورفعـوه على نبوت ، وطافوا به بجهـات الرميلة ، والمنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف الفرنسيس » .

ثم ان أتباعه أخذوا رأسه ، ودفنوه مع جثته ، وانقضى أمره ، وذلك يوم الخميس خامس عشرى ربيع الأول .

* * *

ومات أيضا أيوب بيك الدفتردار وهو من مماليك محمد بيك . تولى الامارة والصنجقية بعد موت أستاذه . وقد تقدم ذكره غير مرة

وكان ذا دهاء ومكر ، ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الأشراف والعلماء ، ويشترى المصاحف والكتب ، ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين ، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ، ويقضى حوائج السائلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدغ للمعاند ، خصوصا اذا كان الحق بيده .

وسمعت — من لفظه — رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك ، وعلى موته فى حربهم .

ولما حصل ذلك وحضروا الى بر انبابة ، عدى المترجم قبل بيومين ، وصار يقول :

« أنا بعت نفسى فى سبيل الله » .

فلما التقى الجمعان لبس سلاحه — بعدما توضأ وصلى ركعتين — وركب فى مماليكه وقال : « اللهم انى نويت الجهاد فى سبيلك »

واقتحم مصاف الفرنساوية ، وألقى بنفسه فى نارهم ، واستشهد فى ذلك اليوم .

وهى منقبة اختص بها دون أقرانه ، بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر . كما قال فيه الشيخ خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل للمترجم :

لم يبر منهم سوى أيوب من ألم
مجانس داء خصم قادم حنق

بانت له من حسان الحور قائلة
اركض برجلك للخيرات واستق

واترك مرادا الى الدنيا ولم ننا
أنا الحياة فمل الروح واعتنق

أم الجهاد شهير السيف مجتهدا
فى كلمة الحق اعلاء على الفرق

الله أكبر ، والتوحيد بصحبها
نداؤه فى عجاج مظلم غسق

لقد تولى على عرض الصفوف الى
أن ضمه القلب ، فاستولى على حلق

ومازال بنقض حتى انقض كوكبه
وطار منه بهاء النور للافق

مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمحا
مغسلا بدم الهيجاء لا غرق

تميز الجوهر المكنون من صدف
ثم انجلى فى الحلى يزهى بمؤتلق

كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فأدبروا بائمين الخلد بالخلق

الى آخر ما قال . وقوله « بدم الهيجاء لا غرق » يشير بذلك الى ابراهيم بيك الوالى حين ولى مدبرا وغرق فى البحر ..

المحرم

الأربعاء أوله (٥ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من الفرنسيس الى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم .

الخميس ٢ منه (٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته صورة جواب من العرضى قدام عكا :

فى سابع عشرين فريبال ، الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف من بونابرته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية الى محفل ديوان مصر . نخبركم عن سفره من بر الشام الى مصر فانى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوما وجائب معى جملة محابيس بكثرة وبيارق ، ومحقت سراية الجزار وسورعكا ، وبالقنبر هدمت البلد ما أبقيت فيها حجرا على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر . والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت . ومن جملة ثلاثين مركبا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا . وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع ، والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقى تلف وتبهدل والغالب منهم عدم . وانى بغاية الشوق الى مشاهدتكم لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم .. لكن جملة فلاتية دائرون بالفتنة لأجل مايحركون الشر فى وقت دخولى . كل هذا يزول مثل مايزول الغيم عند شروق الشمس . ومنتورة مات من تشويش هذا الرجل صعب علينا جدا ، والسلام » .

(ومنتورة هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى) .

ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا على الرجوع الى مصر ، أرسل بونابرته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها : « ان الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا :

١ — الاقامة تجاه البلدة وعد الحرب ستة أيام الى أن جاءت الانكليز وحصنوا عكا باصطلاح الأفرنج .
٢ — الستة مراكب التى توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الانكليز قدام يافا .
٣ — الطاعون الذى وقع فى العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا .
٤ — عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .
٥ — وقعة مراد بيك مع الفرنساوية فى الصعيد ، مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى .
٦ — بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد .
٧ — المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب .
٨ — ورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط .
٩ — ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

١٠ — ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء (كذا) .

١١ — ورود جواب مكتوب منا لتيبو أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا .

(وتيبو هذا هو الذى كان حضر الى اسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود . وطلب منه الامداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له فى بلاده . فوعدوه ومنوه ، وكتبوا له أوراقا وأوامر وحضر الى مصر . وذلك فى سنة ١٢٠٢ ﻫ أيام السلطان عبد الحميد — وقد سبقت الاشارة اليه فى حوادث تلك السنة — وهو رجل كان مقعدا يحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم . ثم انه توجه الى بلاد فرانسة ، واجتمع بسلطانها ، وذلك قبل حضوره الى مصر ، واتفق معه على أمر بالسر لم يطلع عليه أحد غيرهما . ورجع الى بلاده على طريق القلزم . فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان . ثم ان تيبو المذكور بقى فى حرب الانكليز الى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده .. فهذا هو ملخص معنى السبب ..) .

١٢ — موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه . واذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر . وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

١٣ — سماع أن رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

١٤ — أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الانجليز وعزم على أنه عندما تملك البلد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم .

١٥ — لزوم محاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب » .

الثلاثاء ٧ منه (١١ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة أيضا من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية أنه وصل الى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

الجمعة ١٠ منه (١٤ يونيه ١٧٩٩ م) :

فى هذه الليلة أرسلوا الى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطهور وزمور ونوبات تركية وطبول شامية ، وملازمون وجاويشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل وقائمقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعا بالترتيب من الأزبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا سارى عسكر بونابرته هناك وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ونسائهم وأطفالهم فى نحو خمس ساعات من النهار الى أن وصل الى داره بالأزبكية وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة .

وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا ؛ مستقيما ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وشهد له الخصم .

وفيه : قبضوا على اسماعيل القلق الخربطلى وهو المتولى كتخدا العزب وكان ساكنا بخط الجمالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه الى القلعة

وحبسوه . والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمـة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل . فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة . فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر .

ولما وصل صارى عسكر الفرنساوية الى داره بالأزبكية ، تجمع هناك أرباب الملاهى والبهالوين وطوائف الملاعبين والحـواة والقرادين والنسـاء الراقصات والخلابيص ، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واسـتمروا على ذلك ثلاثة أيام ! وفى كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريخ . ثم انفض الجمع بعدما أعطاهم صارى عسكر دراهم وبقاشيش !

الأحد ١٢ منه (١٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عزلوا دستان قائمقام وتولى عوضه دوجا الذى كان وكيلا عن صارى عسكر وتهيأ المعزول للسفر الى جهة بحرى وأصبح مسافرا وصحبته نحو الألف من العسـكر وسافر أيضا منهم طائفة الى جهـة البحيرة .

وفيه : طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال .

الأربعاء ١٥ منه (١٩ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسـلوا الى زوجات حسن بيـك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال . وذلك لسبب أن حسن بيـك التف على مراد بيك وصار يقاتل الفرنسيس معه . وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بيك وأمنته وأقرته على مابيـده من البلاد ، وألا يخالف ويقاتل مع الأخصام.... فلم يقبل منهم ذلك . فلما وقع لنسـائه ذلك ذهبن الى الشيخ محمد المهدى ، ووقعن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة .

الأحد ١٩ منه (٢٣ يونيه ١٧٩٩ م) :

مات ميخائيل كحيل النصرانى الشامى — وهو من رجال الديوان الخصوصى — فجـأة ، وذلك لقهره وغمه . وسبب ذلك أنهم قرروا عليه فى السلفة ستة آلاف ، ريال فرانسة ، وأخذ فى تحصيلها . ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليـه الخبر ، وهو جالس يتحدث مع اخوانه حصة من الليل ، فخرجت روحه فى الحال !

وفيـه : كتبوا أوراقا وطبعـوها وألصـقوها بالأسـواق ، وذلك بعـد أن رجعوا من الشـام واسـتقروا . وهى من ترصـيف وتنميـق بعض الفصحاء . وصورتها :

« من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر ... خطابا لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة :

« النصيحة من الايمان . قال تعـالى فى محكم القرآن : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » . وقال تعالى—وهو أصدق القائلين—فى الكتاب المكنون: « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » . فعلى العاقل أن يتدبر فى الأمور قبل أن يقع فى المحظور .

« نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين فتصبحوا على مافعلتم نادمين .

« وقد حضر الى محروسة مصر المحميـة أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابرته ، محب الملة المحمدية ! ونزل بعسـكره فى العادلية ، سليما من العطب والأسقام ، ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم ،

وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية . وكان يوما عظيما مشهودا . وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه — شرح الله صدره للاسلام ! — والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة . ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية ، وتدميرأهل الملة الاسلامية ، وتعطيل الأمور الديوانية ... لايحبون راحةالعبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم . ان بطش ربك لشديد !

« وقد بلغنا أن الألفى توجه للشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلىوالعيايدة الفجرةالمفسدين : يسعون فى الأرض بالفساد ، وينهبون أموال المسلمين .. ان ربك لبالمرصاد ! ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة . والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر . وانما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل ابراهيم بيك فى غزة حيث كان ، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف السلطان ، ويصدقه أهل الأرياف ، خسفاء العقول ! ولا تقرأون العواقب فيقعون فى المصائب ، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم ، فان المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة . ونعوذ بالله من غضب الديان ! فكان أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى بسبب هذا الرأى السديد .

« ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ، ولا يفرق بين الأخيار والأشرار . وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة . وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها . وأحبوا اجتماعهم عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها . ولكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار !

« وقد كان أرسل بعض هذه العساكر الىقلعة العريش ، ومراده أن يصل الى قطيا ، فتوجهحضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ، ونادوا : الفرار ! الفرار ! بعد ما حصل بعسكرهم القتل والدمار — وكانوا نحو ثلاثة آلاف — وملك قلعة العريش ، وأخذ غزة ، وهرب من كان فيها ، وفروا . ولما دخل غزة نادى فىرعيتها بالأمان ، وأمر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء والتجار والأعيان . ثم انتقل الى الرملة وأخذ مافيها من بقسماط وأرز وشعير ، وقرب — أكثر من ألفين قربة كبار — كان قد جهزها الجزار لذهابه الى مصر . ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ مافيها من ذخائر الجزار بالتمام . ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ، ولم يدخلوا تحت طاعته واحسانه ، فدور فيهم السيف منشدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف أويزيدون ، بعدما هدم سورها . وأكرم من كان بها من أهلمصر وأطعمهم وكساهم ، وجهزهم فى المراكب الى مصر ، وغفرهم بعسكره خوفا عليهم من العربان ، وأجزل عطاياهم ، وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكواجميعا، وبعضهم ما نجاه الا الفرار .

« ثم توجه من يافا الى جبل نابلس ، فكسرمن كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم ، وحرق خمسة بلاد من بلادهم — وما قدر كان ! — ثم أخرب سور عكا ، وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة ... لم يبق فيها حجر على حجر ، حتى انه يقال كان هناك مدينة . وقد كان بنى حصارهاوشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين ، وظلم فىبنيانها عباد الله ... وهكذا عاقبة بنيان الظالمين !

ولما توجه اليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية ، كيبرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لهم من باقية ؟ ! نزل عليهم كصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعا الى مصر المحروسة لأجل شيئين :

الأول : أنه وعدنا برجوعه اليـنا بعد أربعة أشهر . والوعد عند الحر دين !

والثانى : أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان . فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية .

« وحبه لمصر واقليمها شيء عجيب ، ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب . ويرغب فى أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة .

« ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام . فالويل كل الويل لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه !

« فسلموا يا عباد الله ، وارضوا بتقـدير الله ، وامتثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا فى سفك دمائكم وهتك عيالكم ، ولا تتسببوا فى نهب أموالكم ، ولا تسمعوا كلام الغـز الهربانين الكاذبين . ولا تقولوا ان فى الفتنـة اعلاء كلمة الدين — حاشا الله ! — لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الأنفس ، وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام .

« والغز والعربان يطمعونكم ويغرونكم لأجل أن يضروكم وينهبوكم . واذا كانوا فى بلد ، وقدمت عليهم الفرنسيس ، فروا هاربين منهم كأنهم جند ابليس .

« ولما حضر سارى عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان ، من خاص وعام ، أنه يحب دين الاسلام ، ويعظم النبى عليه الصـلاة والسـلام ، ويحترم القرآن ، ويقرأ منه كل يوم باتقان ! وأمر باقامة شعائر المساجد الاسلامية واجراء خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوائد الوجاقلية ، وسعى فى حصـول أقوات الرعية . فانظروا هـذه الألطاف والمزية ببركة نبينا أشرف البرية ! وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسـجدا عظيمـا بمصر لا نظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختـار ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ! » .

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهـم من الشام ، أن سارى عسـكر بونابرته مات بحرب عكا ، وتناقله الناس ، وأنهم ولوا خلافه ... فهذا هو السـبب فى قولهم فى ذلك الطومار . « وقد حضر سليمـا من العطب ... فوجـدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته » الى آخر السياق المتقدم .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسـل سارى عسـكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة . فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا .

وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ، وحضر اليهم ورقة من كبـير الفـرنسيس قرئت عليهم ، مضمونها ... أن سارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه اليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلمـاء يكون من أهل مصر ومولودا بها ، يتولى القضـاء ، ويقضى بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء — للعلماء .

فلما سمعوا ذلك أجاب الحـاضرون بقولهم : اننا جميعا نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى ، فانه انسان غريب ، ومن أولاد النـاس الصدور ، وان كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله ... فولده مقيم تحت أمانكم ، والمرجو انطلاقه وعوده الى مكانه ، فان والدته وجدته ...

فى وجد وحزن عظيم عليه . وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة .

وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك ، وزاد فى القول بأن قال : وأيضا الكم تقولون دائما ، ان الفرنساوية أحباب العثمانية ، وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم ، وخصوصا عند العامة .

فأجاب الوكيل — بعد ماترجم له الترجمان — بقوله : لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر فى اختيار قاض خلافه ، وألا تكونوا مخالفين ، ويلحقكم الضرر بالمخالفة ... فامتثلوا وعملوا القرعه ، وطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى . ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة .. وكتب عليه الحاضرون . وذهب به الوكيل الى سارى عسكر ، وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات ... فتغير خاطره عليه . وأمر باحضاره آخر النهار فلما حضر لامه وعاتبه . فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى ... بالديوان ، حتى سكن غيظه ، وأمره بالانصراف الى منزله ، بعد أن عوقه حصة من الليل .

فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل دوجا قائمقام ، وركبوا — صحبته — الى بيت سارى عسكر ، ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمنة ، وركبوا جميعا الى المحكمة الكبيرة بين القصرين ، ووعدهم بالافراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة .

وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحروقى ، وجلسوا عنده . ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ، ونزل الى عياله ، وصحبته أرباب الديوان والأغا ، ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال .

وفبه : كتبوا أوراقا ، وطبعوا منها نسخا ، وألصقوها بالأسواق .. وصورتها :

« جواب الى محفل الديوان .. من حضرة سارى عسكر الكبير بونابرته ، أمير الجيوش الفرنساوية محب أهل الملة المحمدية !! خطابا الى السادات العلماء ... أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى ... نخبركم أن القاضى لم أعزله ، وانما هو هرب من اقليم مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا من المعروف والاحسان الذى فعلناه معه وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ، ويحكم بدله . ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ، ليس هو أهلا للقضاء . فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى يحكم بالشريعة . واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم ... لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا ، أن يكون لابسا من عندى وجالسا فى المحكمة ... وهكذا كان فعل الخلفاء فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين !

« وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والاكرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد ... حكم أماننا له . ولما رفعناه الى القلعة لم نرد ضرره ، بل رفعناه مكرما ، مثلما يكون فى بيته ، بالراحة والاكرام . وسبب ما رفعناه الى القلعة .. سكون الفتن والاصلاح بين الناس . وبعد لبس القاضى الجديد ، وجلوسه فى محل الحكم مرادى أن أطلق ابن القاضى ، وأنزله من القلعة ، وأرد له كامل تعلقاته ، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث

أرادوا باختيارهم ، لأنه فى أمانى وتحت حمايتى . وأعـرف أن أباه ما كان يكرهنى ، ولـكنه ذهب عقله ، وفسد رأيه . وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس الى الصواب والنـور من جنابكم لأجـل المقول . وعرفوا أهـل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثملى من أقاليم مصر ، وبطلت أحكامهـا منها . وأخبروهم أن حكم العثملى أشـد تعبا من حكم الملوك وأكثر ظلما . والعاقل يعرف أن علماء مصر لهـم عقل وتدبير وكفـاية وأهلية للاحكام الشرعية ، يصلحون للقضـاء أكثر من غـيرهم فى سائر الأقاليم .

وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنـافقين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القـوة العظيمة ! لأجل ما أعاقبهم .. فان سيفنـا طويل ، ليس فيه ضعف . ومرادى أن تعرفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول الخير والسعادة لهم ، مثل ماهو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها .. كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين باذن رب العالمين ... والسلام ! ! » .

وفى تلك الليلة : قتلوا شخصين أحـدهما على جاويش رئيس الريالة الذى كان بالأسكندرية عند حضـور الفرنسيس . والثانى قبطـان آخر ، فلم يزالا بمصر يحبسـونهما أياما ثم يطلقونهـما فحبسوهما آخرا فلم يطلقوهما حتى قتلوهما .

وفى صبيحة هذا اليوم : قتلوا شخصين أيضا من الأتراك بالرميلة .

وفيه : أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم .

الأربعاء ٢٩ منه (٣ يوليه ١٧٩٩ م) :

قبضوا على ثلاثة أنفار : أحدهم يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى حسين مملوك الدالى ابراهيم ، فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السـادات فى حسين التاجر المذكور ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة .

صـفر

الجمعة مستهله (٥ يوليه ١٧٩٩ م) :

أفرجوا عن بعض قرابة كتخـدا الباشا ، وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريبه فأطلق وبقى الآخر .

الأحد ٣ منه (٧ يوليه ١٧٩٩ م) :

حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقا من دمياط الى مصر — وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا — ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا الى البحر : وفيهم عثمان افندى العباسى ، وحسن افندى كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندى ، وأحمد أفندى عرفه والسيد يوسف العباسى ، والحاج قاسم المصلى ، وغيرهم . فمنهم من عوق بالكرنتيلة ، ومنهم من حضر من البر خفية . فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بيك التى بساحل بولاق حتى وصـل الى داره . وتوجه فى ثانى يوم مع المهدى وقابل سارى عسكر فبش له ووعده بخير ورد اليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح اليه على العادة .

الاثنين ٤ منه (٨ يوليه ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان صحبته عثمان بيك الشرقاوى .

وفيـه : أشيع أن مراد بيك ذهب الى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيس الذين بالصعيد .

الثلاثاء ٥ منه (٩ يوليه ١٧٩٩ م) :

قتلوا عبد الله أغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيرا وحبس ثم قتل .

وفيـه : قتل أيضـا يوسف جربجى أبو كلس ورفيقه حسن كاشف .

الأربعاء ٦ منه (١٠ يوليه ١٧٩٩ م) :

عمل الشيخ محمد المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده ودعا سارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا .

وفيـه : أحضروا أربعـة عشر مملوكا أسرى وأصعدوهم الى القلعة . قيل انهم كانوا لاحقين عراد بيك بالبحيرة فآووا الى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس ، فنزل عليهم طائفة من العرب فأخذوا الخيول ، فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم . وقيل انهم آووا الى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك — وفيهم كاشف من جماعة عثمان بيـك الطنبرجى — فذهب الفلاحون الى الفرنسيس وأعلموهم بمكانهم فحضروا اليهم ليلا ، وفر من فر منهم ، وقتل من قتل ، وأسر الباقى . وأما الكاشف — ويسمى عثمان كاشف — فالتجأ الى كبير الفرنسيس فحمـاه وأخذه عنده ، وأحضروا الأسرى الى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيط وعلى رءوسهم عراقى من لباد وغيره ، وأصعدوهم الى القلعة وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا .

السبت ٩ منه (١٣ يوليه ١٧٩٩ م) :

أحضروا أيضـا سـتة أشخاص من المماليك وأصعدوهم الى القلعة . وفى ذلك اليوم قتلوا أيضا نحو العشرة من الأسرى المحابيس .

الأحد ١٠ منه (١٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

ركب فى عصريته سارى عسكر وعدى الى بر الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك . ولمـا صـاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشـور بسبب نزول مراد بيك عندهم . وفى هذا اليـوم ظهر أن مراد بيك رجع ثانيا الى الصعيد . وشاع الخبر أيضا أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسـليمان أغا الوالى وآخرين ... مروا من خلف الجبل وذهبوا الى ناحية الشرق ، فخرج عليهم جماعة من العسكر — وفيهم برطلمين ينى الرومى رئيس عسكر الأروام ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضـمة اليهم ، وبعض فرنسـاوية — فأدركوهم بالقرب من بلبيس وأتوهم من خـلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة — وكان عثمان بيك يغتسل — فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم



الاحتفال بالزواج فى مصر

الاملوكان، وأسروا منهم اثنين ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من ابراهيم بيك يستدعيهم الى الحضور اليه بالشام (١) .

الاثنين ١١ منه (١٥ يوليه ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبى قير ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية الى أبى قير . فتبين آن حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربى بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى .

وفى ضحوة اليوم الثانى عدى الكثير من العسكر أيضا . واهتم حنا بينو ، المتولى على بحر بولاق ، بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة . وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير . ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر .

الثلاثاء ١٢ منه (١٦ يوليه ١٧٩٩ م) :

بعث بالمقدمة وركب هو وأرسل مكتوبا الى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا فى غيبته السابقة .

السبت ١٦ منه (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م) :

ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبى قير ، صحبة السيد مصطفى باشا ، فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها . وعثمان خجا هذا هو الذى كان متولى امارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبته الى الشام . فلما توفى صالح بيك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور .

فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى . واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام فقال المسلم للنصرانى « ان شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم » وكلام من هذا المعنى . فذهب ذلك النصرانى الى الفرنسيس مع عصبة من جنسه وأخبروهم بالقصة ، وزادوا وحرفوا ، وعرفوهم أن قصد المسلمين اثارة فتنة . فأرسل قائمقام الى الشيخ المهدى وتكلم معه فى شأن ذلك وحاججه . وأصبحوا فاجتمعوا فى الديوان فقام المهدى خطيبا وتكلم كثيرا ، ونفى الريبة ، وكذب أقوال الأخصام ، وشدد فى تبرئة المسلمين عما نسب اليهم وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى ... وهذا المقام من مقاماته المحمودة .

ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم (١) .

وفيه : حضرت مكاتبة من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر الوارد لجهة أبى قير .

وصورتها :

« لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... نخبركم ، محفل الديوان بمصر ، المنتخب من أحسن الناس ، وأكملهم بالعقل والتدبير ... عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته ... بعد مزيد السلام عليكم ، وكثرة الأشواق الزائدة اليكم . نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جماعات من عسكرنا

---

(١) الحقيقة أن عثمان بيك ومن معه استدعوا لانتظار ابراهيم بيك ومماليكه وجيش الجزار بناء على التعليمات الواردة من رسل الانجليز . فاما ابراهيم بيك — وهو دائما شديد الحرص — فكان يسير من غزة على مهل لكيلا يدخل مصر قبل قدوم الجيش العثمانى من رودس وذلك خوفا من الوقوع فى أيدى الفرنساويين فلما بلغه خبر تلك الهزيمة لعثمان بيك والالفى بيك عاد ادراجه الى سوريا . وأما الجزار الخبيث فاكتفى بعودة الفرنساويين من سوريا واستخلاصه هو عكا ، وامتداد نفوذه فى الولايات السورية ثم قلب للدولة العثمانية وللانكليز ظهر المجن .

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ٣٧٠)

(١) تمثل لنا هذه الحادثة صورة مجسمة للشعور العومى فى هذا الوقت . والدليل على تخوف الفرنسيين انهم زادوا فى الحيطة فجمعوا مشايخ الاخطاط والحارات وحبسوهم

بجبل الطرانة . وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة لأجل مانرد راحة الرعايا المساكين ، ونقاصص أعداءنا المحاربين . وقد وصلنا بالسلامة الى الرحمانيــة ، وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الاقليم فى راحة تامة ، ونعمة عامة .

« وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا ، حتى ظهروا بثغر اسكندرية ، وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم . فرحلوا عنهــا وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير ، وابتدأوا ينزلون فى البر . وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أن يتكامل الجميــع فى البر ، وأنزل عليهم أقتل من لايطيع ، وأخلى بالحياة الطائعين ، وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر . والسبب فى مجىء هــذه العمارة الى هــذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان ، لأجــل نهب البــلاد ، وخراب القطر المصرى . وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو الافرنج ، الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول الله ... يكرهون الاسلام ، ولا يحترمون القرآن . وهم — نظرا لكفرهم فى معتقدهم — يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله ثالث تلك الثلاثة . تعالى الله عن الشركاء ! ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لاتعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لاتنفع .. بل انه باطل ، لأن الله تعالى هــو الواحد ، الذى يعطى النصرة لمن يوحــده ، هو الرحمن الرحيم ، المساعد المعين ، المقوى للعادلين الموحدين ، الماحق رأى الفاسد المشركين وقد سبق فى علمه القديم ، وقضائه العظيم ، أنه أعطانى هذا الاقليم ! وقدر وحكم بحضورى عندكم الى مصر ، لأجل تغييرى الأمور الفاســدة وأنواع الظلم ، وتبــديل ذلك بالعدل والراحة .. مع صلاح الحكم !

«وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ... قوة مثل قوتنا ، لأنهم ماقدروا أن يعملوا الذى عملناه ، ونحن المعتقدون وحدانية الاله ، ونعرف أنه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر للكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسماوات ، القائم بأمر المخلوقات !. هــذا مافى الآيات والــكتب المنزلات . ونخبركم بالمسلمين ... ان كانــوا بصحبتهم ، يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام ! لأن أعداء الاسلام لاينصرون الاســلام . وياويل من كانت نصرته بأعداء الله ! وحاشا لله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيدا ، أو يكون مسلما !

« ساقتهم المقادير للهلاك والتدمير ، مع السفالة والرذالة . وكيف لمســلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ، ويســمع فى حق الواحد الأحد ، الفرد الصــمد .. من الكفــار كل يوم تخريفــا واحتقارا ؟ ! ولا شك أن هذا المسلم — فى هــذا الحال — أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال .

« نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار ، لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبــلاد .. لأن البلد الذى يحصــل فيه الشر ، يحصل لهم مزيد الضرر والقصــاص . انصحوهم يحفظوا أنفســهم من الهلاك خوفا عليهم أن نفعل فيهم مثل مافعلنا فى أهل دمنهور ، وغيرها من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم المســالك القبيحة ... قاصصناهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

(تحريرا فى الرحمانيــة يوم الأحد ١٥ صــفر سنة ١٢١٤) .

وطبعوا من ذلك نسخا ، وألصقوها بالأسواق ، وفرقوا منها على الأعيان .

الاثنين ١٨ منه (٢٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار ، وكلها على نسق واحد تزيد على المائة مضمونها : بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية فى ثالث ساعة من يوم



أبى قير

السبت سادس عشر صفر (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م) . فصار الناس يحكى بعضهم لبعض .

ويقول البعض : « أنا قرأت المكتوب الواصل الى فلان التاجر » . ويقول الآخر مثل ذلك .. ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة ، واختلق هذه النكتة . ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة فى الناس ينشأ منها القتل فيهم ، والأذية لهم . وسبحان الله علام الغيوب .

الأربعاء ٢٠ منه (٢٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

أشيع ليلا أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبى قير[1] وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا منهم قلعة أبى قير ، وأخذوا مصطفى باشا أسيرا وكذلك عثمان خجا وغيرهما . وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقى القلاع المحيطة بصحن الأزبكية ، وعملوا فى ليلتها — أعنى ليلة الأربعاء — حراقة بالأزبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد فى الهواء .

الخميس ٢٨ منه (اول اغسطس ١٧٩٩ م) :

وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى .

الجمعة ٢٩ منه (٢ اغسطس ١٧٩٩ م) :

حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت ... لم أقف على صورتها .

ربيع الأول

الأحد ٢ منه (٤ اغسطس ١٧٩٩ م) :

وصلت مراكب من بحرى وفيها جرحى من الفرنساوية

وفيه : قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلى

(١) كان هؤلاء الجنود هم الجيش العثمانى المؤلف من خيرة الجنود الانكشارية بسالة واقداما .
(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ٣٨٢)

الزيات من أعيان أهالى بولاق وحبسـوه ببيت قائمقام . والسبب فى ذلك أن جمـاعة من جيرانه وشوا عنـه بأن بداخل بعض حواصـله الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك كما أخبر الواشى ، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه الى القلعة .

الخميس ٦ منه (٨ اغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عادتهم فى رواية الأخبار .

وفيه : حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشـامى ، وأخبروا أنهم حجوا صحبته . وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا ابن العظم .

الأحد ٩ منه (١١ اغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر ليلا سارى عسكر الفرنساوية بونابارته ودخل الى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين . وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس الى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته . فشاهدوا الأسرى وهم وقوف فى وسط البركة ليراهم الناس . ثم أنهم صرفوهم بعد حصة من النهار . فأرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم الى القلعة .

وأما مصطفى باشا سارى عسكر فانهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه الى الجيزة مكرما وأبقوا عثمان خجا بالاسكندرية .

ولما استقر سارى عسـكر بونابارته فى منزله ، ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه . فلما اسـتقر بهم المجلس ، قال لهم على لسـان الترجمان : « ان سارى عسكر يقول لكم : انه لما سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه . وأما فى هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون بل يموتون عن آخـرهم ،



مصطفى باشا بعد معركة ابو قير

فكنتم فرحانين ومستبشرين ، وكنتم تعارضـون الأغا فى أحكامه وأن المهدى والصاوى ماهم «بونو» أى ليسـوا بطيبين » . ونحو ذلك .

وسبب كلامه هـذا .. الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات . فان الأغا الخبيث كان يريد أن يقتل فى كل يوم أناسا بأدنى سبب . فكان المهدى والصاوى يعارضانه ويتكلمان معه فى الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، وهو يرسل الى سارى عسكر فيطالعه الأخبار ، ويشكو منهما . فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك فلاطفوه حتى انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين الى أبى قير والنصر عليهم ، وغير ذلك .



الشيخ المهدى

الثلاثاء ١١ منه (١٣ أغسطس ١٧٩٩ م) :

عمل المولد النبوى بالأزبكية ، ودعا الشيخ خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم ، وتعشوا عنده ، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع ، وعملوا حراقة وصواريخ ، ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا ، واسراج قناديل ، واصطناع مهرجان .

وفيه . ورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به البلد ، وهو مكشوف الرأس حافى القدمين ، وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه وعلقوه من شباك داره ليراه من يمر بالسوق .

الخميس ١٣ منه (١٥ اغسطس ١٧٩٩ م) :

أشيع أن كبير الفرنسيس سافر الى جهة بحرى ولم يعلم أحد أى جهة يريد ، وسئل بعض أكابرهم فأخبر أن سارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان متوجها الى ناحية أبى قير ووعده بالعودة اليه بعد وصوله الى مصر . وراج ذلك على الناس ، وظنوا صحته .

الاثنين ١٧ منه (١٩ اغسطس ١٧٩٩ م) :

خرج كبير الفرنسيس مسافرا من آخر الليل وخفى أمره على الناس .

الاثنين ٢٤ منه (٢٦ اغسطس ١٧٩٩ م – ٩ مسرى):

كان وفاء النيل المبارك . فنودى بوفائه على العادة . وخرج النصارى البلدية من القبطة والشوام والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف ، والتفرج واللهو والطرب ، وذهبوا تلك الليلة الى بولاق ومصر العتيقة والروضة ، واكتروا المراكب ، ونزلوا فيها — وصحبتهم الآلات والمغانى — وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا مسلك الأمراء سابقا .. من النزول فى المراكب الكثيرة المقاذيف ، وصحبتهم نساؤهم وشرابهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ، ومحاكاة المسلمين . وبعضهم تزيا بزى أمراء مصر ، ولبس سلاحا وتشبه بهم ، وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك .

وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة ، وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير... فى البحر .

ووقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش ، والتجاهر بالمعاصى والفسوق ... ما لا يكيف ولا يوصف ! وسلك بعض غوغاء العامة ، وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كل انسان يفعل ماتشتهيه

نفسه ، وما يخطر بباله ... وان لم يكن من أمثاله .

اذا كان رب الدار بالدف ضاربا
فشيمة أهل الدار كلهم الرقص

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة ، وصباحها ، من رمى المدافع والصواريخ من المراكب والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير .

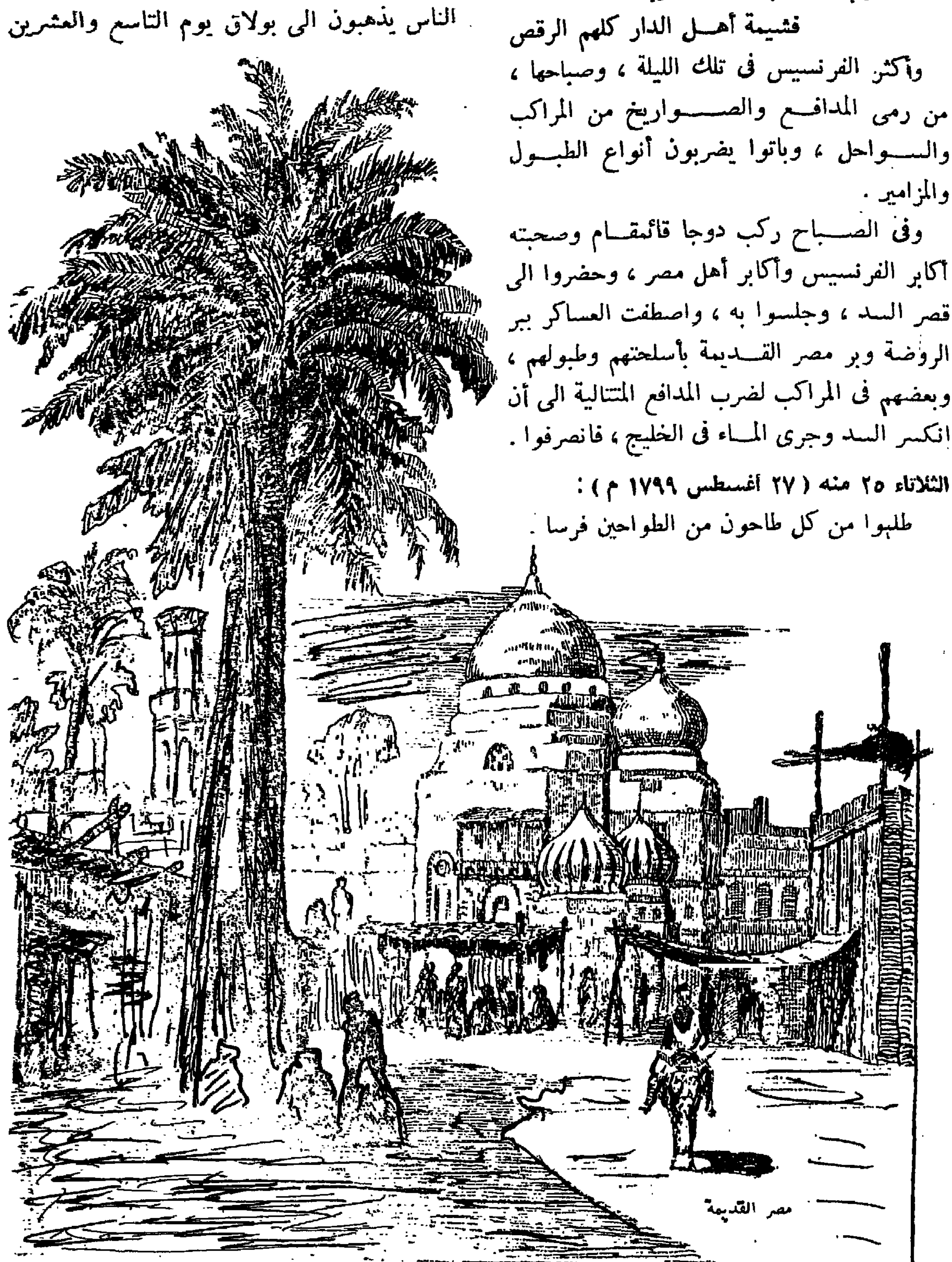
وفى الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر ، وحضروا الى قصر السد ، وجلسوا به ، واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم ، وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية الى أن انكسر السد وجرى الماء فى الخليج ، فانصرفوا .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٩ م) :

طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا .

الاربعاء ٢٦ منه (٢٨ أغسطس ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها : أن الناس يذهبون الى بولاق يوم التاسع والعشرين



مصر القديمة



مراكب فى النيل

(٣١ أغسطس ١٧٩٩ م) ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل .

وفيه : ألصقوا أوراقا أيضا مضمونها أن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يغلق ماعليه بعد مضى عشرين يوما عوقب بما يليق به . ونادوا بموجب ذلك بالأسواق .

الخميس ٢٧ منه (٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا مضمونها : انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس . ومن أراد استئجار شىء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ مايريده بالمزاد .

وفيه : أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هـذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد الا بعد غلاق ما عليـه .

الجمعة ٢٨ منه (٣٠ أغسطس ١٧٩٩ م) :

تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضا فوقع التوافق معهم على الافراج عنهم بمصلحـة مائة كيس . فاجتمع الرؤساء والتجار ترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم . فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها فى كل عشرين يوما خمسة وعشرون كيسا . فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأجلوا الباقى على الشرح المذكور .

وفيه : ورد من « بونابارته » ، سارى عسكر الفرنساوية كتاب من الاسكندرية خطابا لأهل مصر وسكانها فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه : أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين (٢٣ أغسطس ١٧٩٩ م) الشـهر المذكور الى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع عساكره . فانه بلغه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين . وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا «كليبر» سارى عسكر دمياط فتحير الناس وتعجبوا فى كيفية سفره ونزوله البـحر ، مـع وجود مراكب الانجليز ، ووقوفهم بالثغر ، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية ، صيفا وشتاء ... ولكيفية خلوصه وذهابه أنباء وحيل لم أقف على حقيقتها .



كليبر



بونابرت يعود الى فرنسا بحرا

السبت ٢٩ منه (٣١ اغسطس ١٧٩٩ م) :

قدم سارى عسكر كليبر ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع . وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وذهب الى بيت بونابارته الذى كان ساكنا به — وهو بيت الألفى بالأزبكية — وسكن مكانه .

وفى ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم ، فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم موثقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه ، فلم يجتمعوا به فى ذلك اليوم ، ووعدوا الى الغد ، فانصرفوا . وحضروا فى ثانى يوم فقابلوه ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا ويباسط الجلساء ويضحك معهم .

ربيع الآخر

أوله (٢ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ابتدأوا فى عمل مولد المشهد الحسينى ، وقهروا الناس ، وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة ثانى عشر (١٣ سبتمبر ١٧٩٩ م)

وفيه : طلب سارى عسكر من نصارى القبط مائة وخمسين ألف ريال فرانسة فى مقابلة بواقى سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٥ م) وشرعوا فى تحصيلها .

٦ منه (٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب سارى عسكر الجديد من الأزبكية ، ومشى فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد الى القلعة . وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره . وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الأفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم . وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان مولى من جهتهم ومنضما اليهم ماعدا رؤساء الديوان من الفقهاء ، فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى فى ذلك الموكب . ولما صعد الى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب الى داره .

٧ منه (٨ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب أغات الينكجرية فى أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى يقول : « حكم مارسم سارى عسكر خطابا للأغا أن جميع الدعاوى والقضايا العامية لاتعمل الا ببيت الأغا . وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستأهل مايجرى عليه » .

وفيه : ركب سارى عسكر الكبير فى موكب دون الأول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوى ثم رجع الى داره .

٨ منه (٩ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

عمل سارى عسكر وليمة فى بيته ، ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ، ثم انصرفوا الى دورهم .

١٠ منه (١١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

كان آخر المولد الحسينى . وحضر سارى عسكر الفرنساوية مع أعيانهم الى بيت شيخ السادات بعد العصر فى موكب عظيم ، وأمامه الأغا والوالى والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة ، فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل .

١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودى بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ، ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأة أيضا للكشف على أماكن النساء . فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه ، وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها .. كقولهم : انما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم .. مع أنه لم يكن شىء سوى التخوف من العفونة والوباء .

٢٠ منه (٢١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودى بعمل مولد السيد على البكرى ، المدفون بجامع السرايبى بالأزبكية بالقرب من الرويعى ، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات وأذنوا لهم بالذهاب والمجىء ليلا ونهارا من غير حرج .

وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد على ، وأنه كان رجلا من البله ، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الرأس والسوأتين غالبا ، وله أخ صاحب دهاء ومكر لايلتئم به . واستمر على ذلك مدة سنين . ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه — كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله — فحجر عليه ، ومنعه من الخروج من البيت ، وألبسه ثيابا ، وأظهر للناس أنه أذن له بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك !

فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه ، والانصات الى تخليطاته وتأويلها بما فى نفوسهم ، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم فى كراماته ، وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات ، وينطق بما فى النفوس . فانهمكوا على الترداد اليه ، وقلد بعضهم بعضا ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والامدادات الواسعة من كل شىء — وخصوصا من نساء الأمراء والأكابر !

وراج حال أخيه ، واتسعت أمواله ، ونفقت سلعته ، وصادت شبكته ، وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة ، حتى صار مثل البو العظيم ! فلم يزل على ذلك الى أن مات فى سنة سبع بعد المائتين كما تقدم . فدفنوه بمعرفة أخيه فى قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع ، وعمل عليه مقصورة ومقاما ، وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه فى قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك . ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه فى أعبابهم وجيوبهم !

وهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور

وبالشموع وأنواع المأكولات . وصار ذلك المسجد مجمعا وموعدا . فلما حضر الفرنساوية الى مصر ، تشاغل عنه الناس ، وأهمل شأنه فى جملة المهملات ، وترك مع المتروكات . فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ، ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات ، والتلاهى وفعل المحرمات ... أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد (١)

جمادى الأولى

اوله (أول اكتوبر ١٧٩٩ م) :

اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل شددوا فى ذلك وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين . ولم يعملوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى العظيم المنتصب والكيفية المذكورة لأن ذلك الصارى سقط وامتلأت البركة بالماء .

فلما كان يوم الأحد نبهوا على الأمراء والأعيان بالبكور الى بيت صارى عسكر .

فاجتمع الجميع فى صبح يوم الاثنين فركب صارى عسكر معهم فى موكب كبير ، وذهبوا الى قصر العينى ، فمكثوا هناك حصة ، وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة ، وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لعبهم فى ميدان الحرب .

وفيه : خلع سارى عسكر على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغاة الينكجرية خلع سمور ثم رجعوا الى منازلهم .

(١) اعرفتم الان لمَ بشرنا الغرب بطوفان « الافلام » المنحلة ، و « الروك أند رول » و « الهلا هوب » ؟ .

ثم نودى فى جميع الأسواق بوقود أربعة قناديل على كل دكان فى تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ولعبوا فى المراكب طول ليلهم .

٧ منه (٧ اكتوبر ١٧٩٩ م) :

بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا فى الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الآن انما هى زراعة العام الماضى وأما هذا العام فلا تخرج زراعته الا فى العام المستقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر . وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

وفيه : أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية الى مراد بيك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور ، لم أتحقق تفصيلها ، وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات ، ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط منها . تقليده امارة الصعيد تحت حكمهم .

وفى هذا الشهر كثرت الاشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنساوية باخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

رجب

الجمعة أوله (٢٩ نوفمبر/١٧٩٩ م) :

فيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا الى الديار الشامية

وصحبته نصوح باشا وعثمان أغا كتخـدا الدولة وحسـين أغا نزلة أمين ، ومصـطفى افنـدى الدفتردار وباقى رجال الدولة وعسفوا فى البـلاد الشـامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال وفعلوا ما لا خـير فيـه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال .

منتصفه (١٣ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار بوصولهم الى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بهـا من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها .

الثلاثاء ١٩ منه (١٧ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

ملكوا قلعة العريش ، واحتووا على ماكان فيها من الذخيرة والجبخـانة وآلات الحرب . وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجنـاد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم .

واتفـق أنه وقعت نار على مكان الجبخـانة والبارود المخزون بالقلعة — وكان شيئا كثيرا — فاشـتعلت وطارت القلعـة بمن فيهـا واحترقوا وماتـوا وفيهـم الباشـا المذكور ومن معــه ومحمد أغا أرنؤود الجلفى وغـيره من المصرلية . ومات كـثير ممن كـان خارجا عنهـا وبقربهـا مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة فى أسرع وقت .

ولمـا تحقق الفرنساوية أخـذ العريش ، وأن عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تهيـأ صـارى عسكر الفرنسـاوية ، واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت. وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسـل الفرنساوية الى « سينت » كبير الانكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ، ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله الجهة العريش خطابا الى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهن وعقلائهم ليتشاور ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ماسيشترطونه بينهم فوجهوا اليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتـاب



ديزيه — بوسليج

وديزيه سارى عسكر الصعيد فنزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كليبر سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار .

شعبـان

٢٢ منه (١٩ يناير ١٨٠٠ م) :

ورد الخبر بقدومهما الى الصالحية ، فأرسلوا اليهما الحيول وما يحتاجان اليـه . وحضرا الى مصر وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء . وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقـد الصلح على اثنين وعشرين شرطـا رسمت وطبعت فى طومار كبير . وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا . وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبـة بصـورة الحال الى دوجا قائمقام . فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك .

ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقـد الصـلح والشروط ، وعربوه وطبعوا منـه نسخا كـثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع .



الجنرال دوجا

وصورته — بما فيـه من الفصول والشروط بالحرف الواحد — ما عـدا ترجمة الأسـطر التى باللغة الفرنساوية ...

وهذه صورة الشروط الواقعة لخلومصر : مابين حضرة الجنرال ديزيه متفرقة وحضرة بسليغ مدبر الحدود العام ، نواب سرى العســكر العام كليبر المفوضين بكامل السلطان ... وجناب سامى المقام مصـطفى رشـيد افندى دفتردار ، ومصـطفى راسيسه افندى رئيس كتاب الوكلاء ، المفوضين بكامل السلطان عن جنـاب حضرة الوزير سامى المقـام :

« أن الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضـح ما فى نفســه من وفـور الشـوق لحقن الدماء ، ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل مابين المشيخة الفرنساوية والبـاب العالى — فقد ارتضى أن يسلم بخلو الاقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ... نأمل أن بهـذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك الى الصلح العام فى بلاد المغرب قاطبـة :

الشرط الأول : أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة الى الأسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرانسا ، ان كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم أم فى تلك التى يقتضى للباب العالى أن يقدمها لهم بقدر الكفاية . ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقدوقع الاتفاق ، من بعدمضى شهرواحدمن تقرير هذه الشروط ، يتوجه الى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرا .

الشرط الثانى : فلابد عن المهـلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالاقليم المصرى ، وذلك من عهد امضاء شروط الاتفاق هذه . واذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة ، فالمهلة المذكورة يقتضى مطاولتها الى أن ينجز الرحيـل على التمام والكمال . ومن الواضح أنه لابد عن اصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لـكى لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس ، ان كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد ، اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنسـاوى يقتضى تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهـذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسرى العسكر كليبر . واذا حصل خصـام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد ، فلينتخب من قبل حضرة «سيدنى سميث» رجل لينهى المخاصمات المذكورة



وليام سيدنى سميث

بحسب قواعد السياسة البحـرية السالكون عليها بيلاد الانجليز .

الشرط الرابع : قطيـة والصالحيـة لابد عن خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم ، وأعظم

ما يكون فى عاشر يوم ، من امضاء شروط الاتفاق هذه . ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوما . وأما دمياط وبلبيس فمن بعد عشرين يوما . وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر . وأما المحلات الكائنة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر . والدلطا ، أى الأقاليم البحرية ، يكون خلوها خمسة عشر يوما من بعد خلو مصر . والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيس الى حدخلو مدينة مصر . ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية الى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد ، فجهة الغربية وتعلقاتها — كما ذكر — فممكن أنه لايتيسر خلوها الا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين اذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد . والمحلات التى تترك من الجيش فتسلم الى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس : ثم انمدينة مصر — ان أمكن ذلك — يكون خلوها بعد أربعين يوما ، وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت امضاء الشروط المذكورة .

الشرط السادس : انه لقد وقع الاتفاق صريحا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء فى أن الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل ، عندما نقصد التنحى بكامل ماله من السلاح والعزال لنحو معسكرهم ، لاتصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه ... ان كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بأمتعته أو بكرامته . وذلك إما من أهالى البلاد . وأما من جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع : وحفظا لاتمام الشرط المذكور أعلاه ، وملاحظة لمنع مايمكن وقوعه من الخصام والمعاداة ، فلا بد عن استعمال الوسايط فى أن عسكر الاسلام يكون دائما متباعدا عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن : فمن تقرير وامضاء هذه الشروط .. فكل من كان من الاسلام ، أم من باقى الطوائف من رعايا الباب الأعلى ، بدون تمييز الأشخاص — أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر — يعطى لهم الاطلاق والتعلق . ويمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان ، والأساكل من مملكة العثملى ، وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت — أولئك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية — لابد من انعتاقهم .

الشرط التاسع : فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أمدفع مبالغ أثمانها لأصحابها — فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر . والتدبير فى ذلك يكون بيد الوكلاء فى اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر : فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الأقليم المصرى من أى ملة كانت ، وذلك لافى أشخاصهم ولا فى أموالهم ، نظرا الى مايمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من اقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر : ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى — ان كان من قبل الباب الأعلى ومن قبل المملكتين المرتبطتين معه ، أعنى بهما مملكة انكليزة ومملكة الموسكوب — فرمانات الاذن وأوراق المحافظة بالطريق ، ويمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان الى بلاد فرنسا .

الشرط الثاني عشر : وعند نزول الجيش الفرنساوية المذكور ، الكائن بمصر الآن ، فالباب الأعلى وباقى الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم : من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى أراضى فرانسا .. لايحصل عليهم شيء قط مما يكدرهم وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام يعاهد من قبله — وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر — بأنه لايصدر منهم مما يؤول الى المعاداة على الاطلاق ما دامت المـدة المذكورة ، وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان البـاب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه . وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود الا بتلك التى تختص بأراضى فرانسـا ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى .

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الامهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الاقليم المصرى ... فالجهات الواقع بينهم هـذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه اذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بميناء اسكندرية ... فلازم عن سفره حالا ، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع الى فرنسا وذلك بسندات أوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة . واذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع ، فهذه لاغير يباح لها الاقامة الى أن ينتهى اصلاحها المذكور ، وفى الحال من ثم تتوجه الى بلاد فرنسا ، نظير التى قد تقدم القول عنها ، عند أول ريح يوافقها .

الشرط الرابع عشر : وقـد يستطيع حضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام أن يرسل خبرا الى أرباب الأحكام الفرنسـاوية فى الحال ، ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الاذن بالاطلاق كمـا يقتضى ، ليسبل بهـذه الواسطة وصول الخبر الى أصحاب الحكم فى فرنسا .

الشرط الخامس عشر : واذا قد اتضـح أن الجيش الفرنساوى يحتاج الى المعاش اليـومى مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الاقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون مبتداها من يوم نزولهم بالمراكب ... فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائمة التى تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى ، ان كان ذلك مما يخص اقامتهم أو مايلاحظ سفرهم والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقـدار ما كان من شئونه . وذلك من بعد امضاء هذه الشروط ؛ فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر : ثم ان الجيش الفرنساوى ، منذ ابتدأ وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ، ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعا بالاقليم المصرى ... لا ، بل وبالعكس فانه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره ممايمكن توجيه قبضه ، وذلك الى حين سفرهم . ويمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيرا مخازن الخرج .. فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلاء موجهين من قبـل البـاب الأعلى لهذه الغـاية ومن أمين اليحر الانكليزى وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر سرى العسكر . وهذه الأمتعة لابد عن قبولهـا من وكلاء البـاب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ماوقع عليه السعر الى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلا ونزوله بالمراكب . واذا كانت الأسـعار فى هذه الأمتعة

المذكورة لاتوازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخسيس والنقص فى ذلك لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة ... تلك التى يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهبر سرى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر : ثم انه اذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر ، فلا بد أن تقبض — وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط المذكورة — القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى ذكره. أعنى : فمن بعد مضى خمسة عشر يوما خمسمائة كيس ، وفى غلاق الثلاثين يوما خمسمائة كيس أخرى ، وبتمام الأربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الخمسين يوما ثلثمائة كيس شرحه ، وعند غلاق الستين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وفى السبعين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الثمانين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوما خمسمائة كيس أخرى . وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسمائة غرش عثملى. ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى . ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى — من بعد وضع الامضاء على النسختين من الفريقين — يوجه حالا الوكلاء الى مدينة مصر والى بقية البلاد المستمر بها الجيش .

الشرط الثامن عشر : ثم ان فرد المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالاقليم المصرى ، فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر : ثم أنه لكى يسهل خلو المحلات سريعا فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة والموجودة فى المين بالاقليم المصرى ، مباح به ما دامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد حتى الى الاسكندرية ، ومن اسكندرية حتى الى رشيد ودمياط .

الشرط العشرون : فمن حيث أنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوباء الطاعونى عن أنه يتصل هناك .. فلا يباح ولا لشخص من المرضى ، أو من أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعونى ، أن ينزل بالمراكب . بل ان المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت — تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الاقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق — يستمرون فى بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، ويعالجونهم الأطباء من الفرنساوية .. أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم .. الى أن يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل ... الشىء الذى لابد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع مايمكن . ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق نظير مايجرى على باقى الجيش .

ثم ان أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى ابراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بألا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء .. تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارتينة بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة ولا بد عنها .

الشرط الحادى والعشرون : فكل مايمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ، ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط ،

فلا بد عن نجازها بوجه الاستحباب مابين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، وحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ... بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو .

الشرط الثانى والعشرون : وهـذه الشروط لاتعـد صحيحة الا من بعـد اقـرار الفريقـين وتبـديل النسـخ ، وذلك بمـدة ثمانيـة أيام . ومن بعد حصول هذا الاقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما .

صح وثبت وتقرر بمختوماتنا الخاصةبنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش فى شهو بلويوز سنة ثمان من اقامة المشيخة الفرنساوية . وفى رابع عشرين شهر كانون الثـانى عربى من سـنة ألف وثمانمائة — الواقع فى ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومائتين وألف هجرية .

الممضيين : الجنـرال متفـرقة دزه البـلدى . وبوسيهلغ : المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهبر . وجنـاب سـامى مقام مصـطفى رشـيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه أفندى رئيس الكتاب : المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن . منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية الى الوكلاء العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغـة التركيـة .. ممضى دزه وبوسيهلغ .

تقرير الجنرال سرى العسـكر العـام ، محرر فى آخر السنة التركيـة التى بقيت محفوظة بيـد الوزير الأعظم :

التى أنا الواضـع اسـمى أدناه الجنرال سرى العسـكر العـام أمير الجيش الفرنساوى بالاقليم المصرى ... أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على اجرائه بالعمل بالنوع والصورة ، ان كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنـين وعشرين شرطا المشروحة الى الآن ، هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم ، والمقررة من جنـاب عالى الشـأن .. الترجمة التى لابد عن الاعتماد باجرائها كل مرة ان كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات ، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل . صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية فى ثامن شهر بلويوز سنة ثمـان من المشـيخة .. ممضى كلهبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صـاحب ختام فى الجيش الفرنساوى . ممضى داماس .

انتهى بحروفه . وما فيه من خطأ أو تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعـة الفرنسـاوية باللغة العربية . ولم أغير منه سوى مافى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية . والله أعلم .

رمضـــان

٢ـ منه (٢٨ يناير ١٨٠٠ م) :

حضر سـارى عسـكر الفرنساوية كليبر الى ناحية العـادلية ، وصحبته أغا من رجـال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا ، فأرسل سارى عسكر الى حسن أغا بخاتى المحتسب يأمره بأن يتلقـاه وينزله فى بيته ويكرمه اكراما زائدا . فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا الى مصر فى موكب ، فحصل للناس ضجة عظيمة ، وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف ، وانطلقت النساء بالزغاريد من الطيقان ، واختلفت آراؤهم فى ذلك القادم ، ولم يعلموا من هـو . فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت حسن أغا بسويقة اللالا فنزل هناك . فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس .

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع

العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الاقباط والشوام . فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانا من الوزير فقرىء عليهم بالمجلس فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة . وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن . وأبرز فرمانا آخر قرىء بالمجلس مضمونه : أن الوزير أقام مصطفى باشا ، الذى كان أسر بأبى قير ، وكيلا عنه وقائمقام بمصر الى حين حضوره ، وان السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية . وانفض المجلس على ذلك . وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس ، وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف ، وشرعوا فى تحكير الأقوات .. فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس . ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين . وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم ! واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة .

فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله ، وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر ، وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ، ويقول : سنة مباركة . ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ! كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم .

وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير فرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم وأرسل الى البنادر وجعل فى كل بندر أميرا ووكيلا لجمع



بيت عبد الرحمن كتخدا

الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل . ولا تخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد .

وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فانهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخريه . ولم يفكروا فى عواقب الأمور ، ولم يتركوا معهم للصلح مكانا حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ، ويمشون بهم فرقا وطوائف حسبة ، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم ! كقولهم « الله ينصر

السلطان ويهلك فرط الرمان » ونحو ذلك . وظنوا فروغ القضية ولم يملـكوا لأنفسهم صبرا حتى تنقضى الأيام المشروطة . على أن ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس، وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقـوع العذاب البئيس . كقول القائل :

أمور تضـحك السـفهاء منها
ويبكى عنـدها الحبر اللبيب

وأيضا :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنـه ضـحك كالبـكا

وقد قيل : « قاتل بجد والا فدع » .

وقال الشعبى من جملة كلام : « وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء » .

وأخذ الفرنساوية فى أهبة الرحيل ، وشرعوا فى مبيع أمتعتهم وما فضل عن سـلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع ، كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس

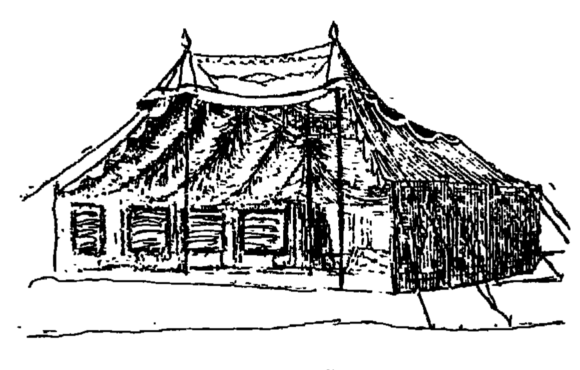
ثم أن العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار فى كل يوم يدخـل منهم جمـاعة بعد جمـاعة . وأخذوا يشاركون الناس فى صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم ، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف الى مصطفى باشا قائمقام وشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة .

وورد الخبر بوصول حضرة الوزير الى بلبيس وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا الى مراد بيك ومن معه بالحضور الى العرضى فأجاب بالاعتذار عن الحضـور لأنه فى الصعيد فلم يقبلوا عذره ، فأكدوا عليه بالحضور ، فاستأذن الفرنساوية سراء فأذنوا له فى المقابلة وكان سـفيره فى ذلك عثمان بيك البرديسى . ثم انه حضر وقابل الوزير بصحبة ابراهيم بيك وخلع عليهما ورجع مراد بيك فخيم جهة العادلية وحضر حسن أغا نزلة أمين ودخـل مصر .

وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القـلاع التى أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها أحد من العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة وأعرضوا عن المحاذرة ، وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور !

وحضر أيضا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجيء الفرنساوية اليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة مثل ابراهيم أفندى الروزنامجى وثانى قلفة وغيرهما بنسائهم وأولادهم ، يظنـون فروغ القضية . والذى خافوا منه وقعوا فيه كمـا سـتراه .

وأرسل ابراهيم بيك الى السيد أحمد المحروقى يطلب كساوى وثيابا وطرابيش وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه . فأرسل اليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام . وهيأت نساء الأمراء والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم فى التغالى ، ولازمت الخدم والفراشون الغـدو والرواح الى خيم ساداتهم وهم راكبون البغـال والرهوانات والحمير الفارهة وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة . وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الأطبخة



خيمة احد البكوات

والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنــون برفع أصــواتهم ، ويتجـاوبون بكلام وســخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع الى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور .

ولمـا استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك فى الثانى والعشرين من رمضان (١٧ فبراير) استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشـا فى التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم . فذهبوا أيضا الى سارى عسكر كليبر واستأذنوه فأذن لهم أيضـا . فذهبـوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا الى لصوح باشـا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه ، فلما وصلوا اليه ، واستقر بهم الجلوس ، سأل عن أســمائهم وكذلك عن التجار وأكـابر النصارى . ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده فطافوا على أكابر الدولة بالعرضى وكذلك عـلى الأمراء المصرية . ورجعـوا الى مصر ، ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوطا أسود .

ووصل نصوح باشا والأمراء الى جهة الخانكاه ثم الى المطرية .

وفيه : حضر درويش باشا والى الصعيد الى خارج القاهرة جهة الشــيخ قمر فمكث أياما ثم توجه الى قبلى وصحبته نحو المـائة نفر . وكذلك ذهبت طائفة الى السويس والى دمياط والمنصورة وانبثوا فى البلاد ودخلوا مصر شيئا فشيئا .

شــوال

الثلاثاء ٧ منه (٤ مارس ١٨٠٠ م) :

وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية وهى أول الحوادث التى حصلت بينهم . وهى أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جمــاعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوى ووقعت فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وعمـل العثمانية متاريس وتترسوا بهـا بناحيـة الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك ووقــع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تـكون فتنـة وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب فتوسطت بينهم كبراء العســكر فى تمهيـد ذلك وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان .وبحث مصطفى باشـا عمن أثار الفتنة وهم سـتة أنفار فقتلهم وأرسلهم الى سارى عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك وقال : « لابد من خروج عسكرهم الى عرضـيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة . واذا دخل منهم أحد الى المدينة ، لا يدخلون الا بطريقة وبدون سلاح » .

فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولا يبقى منهم أحد . ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فاذا أراد أحـد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخـول الى المدينة ، فعند وصوله اليهم ينزل عندهم ، وينزع ماعليه من السلاح ويدخـل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضى شغله ويرجع فاذا وصل الى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه ســلاحه فيلبسه ويمضى الى أصحابه فكان هذا شأنهم .

الثلاثاء منتصفه (١٢ مارس ١٨٠٠ م) :

توجه جمــاعة من أعيــان الفرنســاوية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائمقام وديزيه ســارى عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدبر الحدود . ونزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم ، فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم ، فأرسلوا الى سارى عســكر بمصر وعرفوه الحال فأرسل بذلك الى الوزير فأجابه بجواب لم يرتضه وأصبح زاحفا الى سطح

الخانكا ، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها في دخول الوزير الى مصر وخروج الفرنساوية منها . فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام أجلة زيادة على أيام المهلة فأجيبوا الى ذلك . ووصل الأمراء المصرية وعرضى نصوح باشا وجملة من العساكر العثمانية الى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك . ثم ان الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفا لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية . ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا من مصر القديمة الى شبرا . وترددوا الى نواحي القلاع وهي لم يكن بها أحد وشرعوا واجتهدوا في رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك . ومصطفى باشا قائمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيئا . والبعض يقول ان الوزير أرسل اليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ، ونحو ذلك من الخرافات التي لا تروج على الفطن .

ويقال ان الفرنساوية أرسل اليهم بعض أصدقائهم من الانكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الانكليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا صاروا بظاهر البحر . فلما حصل منهم معهم ماسبقت الاشارة اليه ، تحققوا ذلك وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجبهم بجواب شاف ، وعجل بالرحيل والقدوم الى ناحية مصر . وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا في عرضى العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ، فلما حصل ماذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع . فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا في تلك النواحي ولم يبق بداخل المدينة منهم الا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الألفي بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل

الاثنين ٢٠ منه (١٧ مارس ١٨٠٠ م) :

طلبوا مصطفى باشا وحسن آغا نزلة أمين . فلما حضرا اليهم أرسلوهما للجيزة .

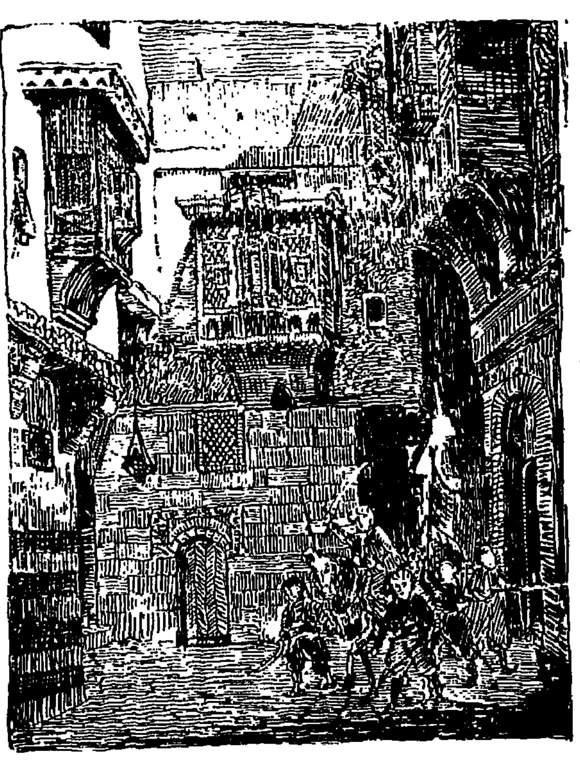
الخميس ٢٣ منه (٢٠ مارس ١٨٠٠ م) :

ركب سارى عسكر كليبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير ، فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ، ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم . فلم يسعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية ، ولحقوا بالذاهبين من اخوانهم الى جهة العرضى بالخانكاه بعد أن نهبوا ما في عرضى ناصف باشا من المتاع والأغنام . وسمروا أفواه المدافع وتركوها وساروا الى جهة العرضى ، فلما قاربوه أرسلوا الى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه الا الارتحال ، والفرنساوية في أثره ، وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال ومقررات الفرض وظلم الفقراء .

وأما أهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال . فهاجوا ورمحوا الى أطارف البلد وقتلوا أشخاصا من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم ، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ماوجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنساوية .

وخرج السيد عمر أفندى نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقي وانضم اليهما أتراك خان

الخليلى والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح ، وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة والأوباش والحشرات ، وجعلوا يطوفون بالأزقة



فريق من الثوار باحد شوارع القاهرة

وأطارف البلد ولهم صياح وضجيج ، وتجاوب بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم ، وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على تلك الصورة .

فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشىء لجهلهم أيضا حقيقة الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلدة ولهم صياح وجلبة وخلفهم ابراهيم بيك ، ثم أخرى وخلفهم سليم أغا ، ثم أخرى كذلك وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبتهم السيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروقى وحسن بيك الجداوى وعثمان بيك المرادى وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان أغا الخازندار ، وابراهيم كتخدا مراد بيك المعروف بالسنارى : وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا الى وكالة ذى الفقار ، فقال نصوح باشا عندذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم . فعند ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ، ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من النصارى القبط والشوام وغيرهم فذهبت طائفة الى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ماقدر عليه من العسكر الفرساوى والأروام — وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر — فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم . والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها . وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بيك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوائف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار .

فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية

وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفانية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمراء المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها الى الأزبكية وضربوا منها على بيت الألفى وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق . واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار . فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر .

وفى هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية ، وشرعوا فى بناء بعض جهات السور ، واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة . وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس .

فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعا بها . فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات .. والقلاع بيد الفرنساوية ، ومصر لايمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها فى كل يوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسمت الفتنة .

فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك ، فتجهز المعظم للخروج وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا وازدحمت تلك النواحى بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال وباتوا على تلك الصورة ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف .

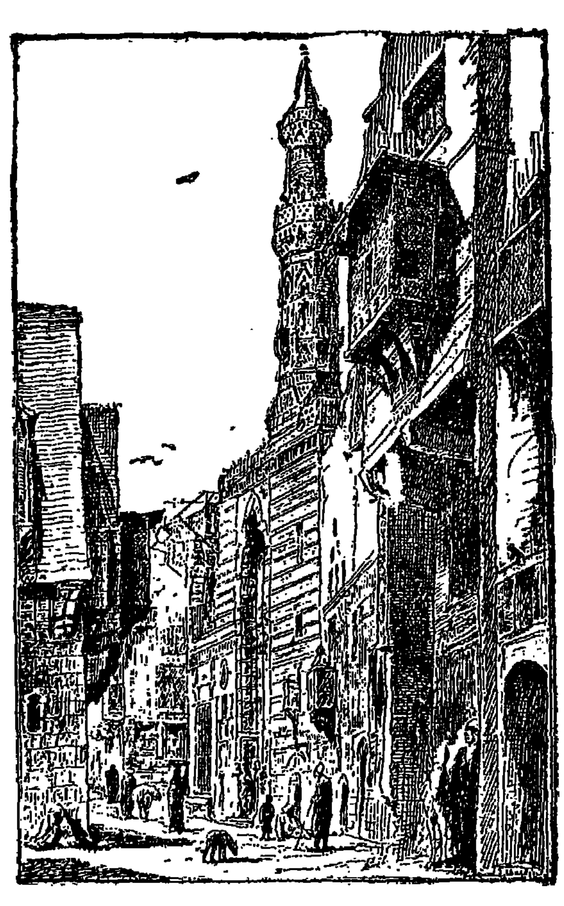
وتسامع أهل خان الخليلى من الألداشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك ، فجاءوا للجمالية ، وشنعوا على من يريد الخروج ، وعضدهم طائفة عساكر الينكجرية ، وعمدوا الى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضى والوكائل ، وأغلقوا باب النصر . وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مصاطب الحوانيت ، وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية وفى أزقة الحارات أيضا . وكل متهيىء للخروج .

السبت ٢٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٠ م) :

فى الصباح تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ، ماعدا الضعيف الذى لاقوة له للحرب ، وذهب المعظم الى جهة الأزبكية ، وسكن الكثير فى البيوت الخالية ، والبعض خلف المتاريس ، وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة فى بعض بيوت الأمراء ، وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع ، من حديد وأحجار ، واستعملوها عوضا عن الجلل للمدافع ، وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالأزبكية . واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية . وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى ، أخذه وذهب به الى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش فيحبس البعض حتى يظهر أمره ، ويقتل البعض ظلما . وربما قتل العامة من قتلوه ، وأتوا برأسه لأجل البقشيش ، كذلك كل من قطع رأسا من رءوس الفرنساوية يذهب بها اما لنصوح باشا بالأزبكية ، واما لعثمان كتخدا بالجمالية ويأخذ فى مقابلة ذلك الدراهم .

وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقى الأبواب التى فى أطراف البلد ، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس وفى الاحتراس . وجلس

عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ ، وعثمان بيك طبـل عند متاريس المحجر ، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عندالناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطرالسباع، وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح . وأولاد القرافة والعامة ، وزعر الحسينية والعطوف عنـد باب النصر مع طائفة من الينكجرية وباب الحديد وباب القرافة ، وجماعة خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية المعروف بالغريب..وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم الى العسكر الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتـاريس والأسوار وبعض عساكر من العثمانية وما انضم اليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمـالية اذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة من هؤلاء . وصار جميع أهل مصر اما بالأزقة ليلا ونهارا وهو من لايمكنه القتال ، واما بالأطراف وراء المتاريس وهو من عنـده اقدام وتمكن من الحرب ، ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف . وناصف باشا وابراهيم بيك وجماعتهم وعسكر من الينكجرية والأرنؤود والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهواء والرحبة الواسعة التى عند جامع أزبك والعتبة الزرقاء . وأنشـأ عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قائد أغا بخط الخرنفش ، وأحضر الفندقجية والعربجية والحدادين والسباكين لانشاء مدافع وبنبات واصلاح المدافع التى وجـدوها فى بعض البيوت وعمـل العجل والعربات والجلل وغيرذلك من المهمات ، وأحضروا لهم مايحتاجون اليه من الأخشاب وفروع الأشـجار والحديد وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى والخان الذى



جامع أزبك

بجانبه والرحبة التى عند بيت القاضى من جهـة المشهد الحسينى واهتم لذلك اهتماما زائدا وأنفق أموالا جمة ، وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكائنة بالمطرية فكانوا كلما أدخلوا مدفعا أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفـال ، ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات ، مثل قولهم : الله ينصر السلطان ، ويهلك فرط الرمان ، وغير ذلك .

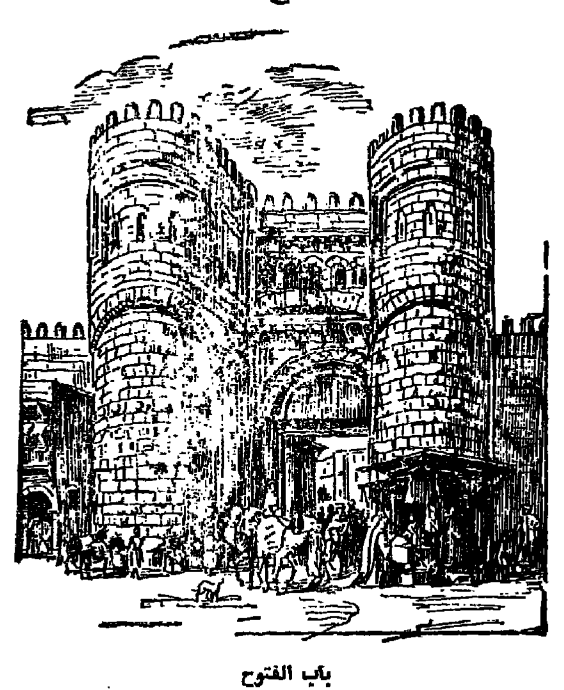
وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم وتترس بناحية السويقة التى عنـد درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وكذلك كشافه ، وخصوصا اسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية — فانه لم يزل يحارب ويزحف

حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بيك الذى أصله بيت حسن بيك الأزبكاوى وبيت أحمد أغا شويكار — وتترس فيهما، وحسن بيك الجداوى تترس بناحية الرويعى ، وربما فارق متراسه فى بعض الليالى لنصرة جهة أخرى . وحضر أيضا رجل مغربى يقال انه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقا . والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلانى . وفعل ذلك الرجل المغربى أمورا تنكر عليه لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله ، يكون صدوره عنه . فكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النساء ، ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب . وتتبع الناس عورات بعضهم البعض ، وما دعتهم اليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم .

واتهم الشيخ خليل البكرى بأنه يوالى الفرنسيس وارسل اليهم الأطعمة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة ، وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلما مثلوه بين يدى عثمان كتخدا هاله ذلك واغتم غما شديدا ووعده بخير وطيب خاطره ، وأخذه سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم ، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة . وباشر السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، وكذلك جميع أهل مصر كل انسان سمح بنفسه وبجميع مايملكه وأعان بعضهم بعضا وفعلوا ما فى وسعهم وطاقتهم من المعونة .

وأما الفرنساوية فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصه بهم ، وببيوت القبطة المجاورين لهم .

واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر الى مصر أياما قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى ، وأهل



باب الفتوح

الأرياف القريبة تأتى بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون الى بلادهم .

كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار . وأما الوزير فانه لما ارتحل بالعرضى تخلف عنه ببلبيس جملة من العسكر . وأما عثمان بيك حسن وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فانهما تقاتلا مع الفرنساوية ثم رجعا الى بلبيس فحاصروا من بها . وكان عثمان بيك وسليم بيك وعلى باشا الطرابلسى وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا الى ناحية العرضى فحارب الفرنساوية من بلبيس من

العسكر ، ولم يكن لهم بهم طاقة ، فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخـذوا سـلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا ، فذهبوا أشتاتا فى الأرياف يتكففون الناس ويأوون الى المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العرى والجوع . ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضى ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام فاعتذر اليهم بأعذار منها : عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكبـار بالعريش اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة الفرنساوية عما دبر عليهم مع الانكليز . فقال له عثمان بيك : « أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنـا » .

فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب ، فامتنعوا ولم يمتثـل منهم الا المطيع والمتطوع ، وهم نحو الألف ، وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشرا فى البلاد ورجعوا يريدون محاربة الفرنسـاوية ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه فى قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم. فضاربوهم بالنبابيت والحجارة ، وأصيب سرج سارى عسكر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه الى الأرض ، وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم . ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان وانحـاز كل فريق ناحية . فلما دخـل الليـل واشتد الظلام ، أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين . فأصبح المسلمون ، وقد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على أثرهم الى الصالحية . فعند ذلك ارتحل الوزير ورجـع الى الشام .

وأما مراد بيك فانه بمجرد ما عاين هجـوم الفرنسيس على الباشا والأمراء بالمطرية — وكان هو بناحية الجبل — ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الأمور ، وأقام مطمئنا على نفسه ، واعتزل الفريقـين ، واستـمر على صـلحه مع الفرنساوية . هذا حاصل خبر الشرقيين .

ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم . واستمر الباشا يظهر كتابة المراسـلات وارسال السـعاة فى طلب النجدة والمعونة . وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتروج عليهم وتسرى فى غفلتهم . ويقولون للناس فى كل وقت : ان حضرة الصـدر الأعظم مجتهد فى محاربة الفرنسيس . وفى غد أو بعد غد يقوم بالعساكر والجنود بعد قطع العدو . وعنـد حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح ، وتهـنـدم العسـاكر القـلاع ، وتقلبهـا على من يبقى من الفرنسـاوية . وبعـد ذلك ينظم البـلاد ويريح العباد . واجتهدوا فيما أنتم فيه . وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسـان العـربى والتركى بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك .

ووصل طائفة من عسكر الفرنساوية ، ورجعوا من عرضيهم نجـدة لأصـحابهم الذين بمصر .. فقويت بهم نفوس الكائنين بمصر ، ووقفت منهم طائفـة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ، ونهبـوا زاوية الدمـرداش وما حولهـا كقبـة الغورى والمنيل . وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرنؤود — وهم الذين كان الوزير وجههم الى القرى لقبض الكلف والفرض — فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنسـاوية الواقفـة على التلول الخارجة ، فحـاموا ودافعوا عن أنفسهم ، وخلصوا منهم ودخلوا الى مصر . وفرح النـاس

واستعدوا للحرب والجهاد ، وقوى فى رأسهم العناد ، واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام ، فأوقعوا بهم بعض النهب ، وربما قتل منهم أشخاص ..

هذا ماكان من أمرهؤلاء . وأما ما كان من أمر سارى عسكر الفرنساوية ومن معه .. فانه لما استوثق بهزيمة الوزير ، وعدم عوده ونجاته بنفسه .. لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية : فأبقى بها بعضا من عسكر الفرنسيس محافظين ، وكذلك بالقرين وبلبيس ، ورجع الى مصر . وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء وقيام الرعية ، فلم يزل حتى وصل الى داره بالأزبكية ، وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج ، ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج .. وذلك بعد ثمانية أيام من ابتداء الحركة ، وقطعوا الجالب عن البلدين ، وأحاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم . فكانت جماعة من المفوضين لهم ، المحصورين داخل المدينة — كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم — يهربون اليهم ، ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم .

فعند ذلك اشتد الحرب ، وعظم الكرب . وأكثروا من الرمى المتتابع بالمكاحل والمدافع ، وأكثروا وأوصلوا وقع القنابر والبنبات ، من أعالى التلول والقلعات ، خصوصا البنبات الكبار ، على الدوام والاستمرار ، آناء الليل وأطراف النهار .. فى الغدو والبكور والأسحار .

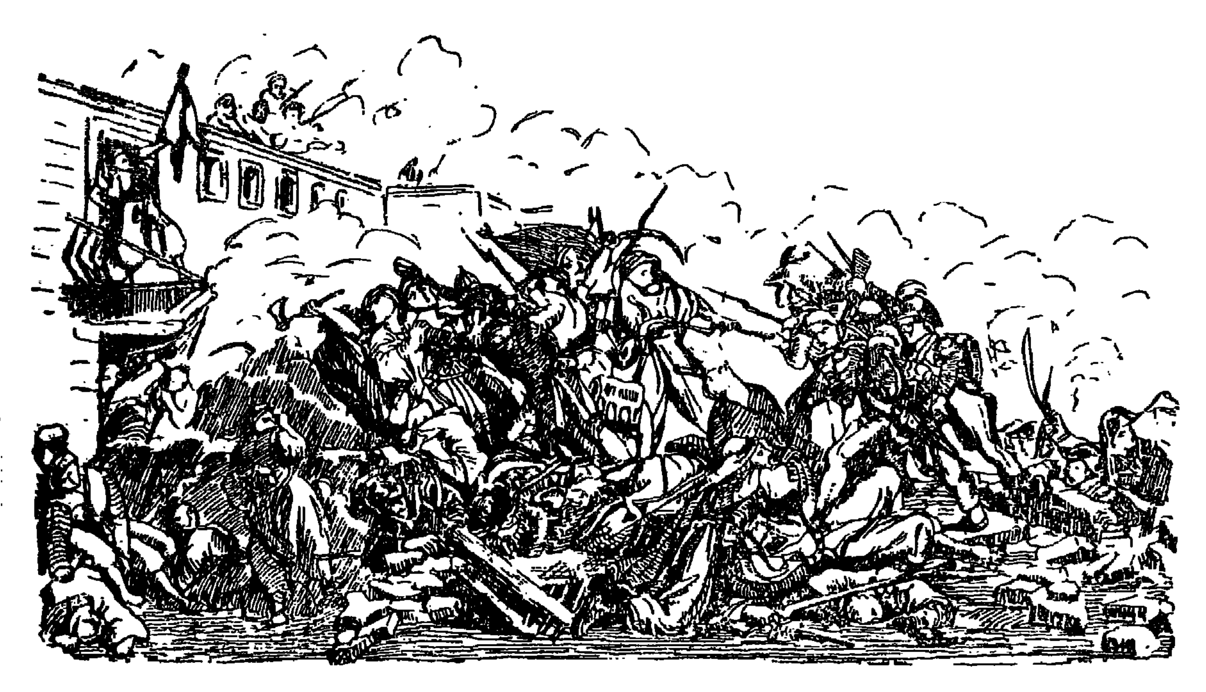
وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ، وعزت المأكولات ، وفقدت الحبوب والغلات ، وارتفع وجود الخبز من الأسواق ، وامتنع الطوافون به على الأطباق . وسارت العساكر الذين مع الناس فى البلد يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب . وغلا سعر



مسجد السلطان الغورى

لقدومهم وضجت العامة بحضورهم ، واشتدت قواهم ، ولفقوا أن يقولوا للناس ، اذا سئلوا ، أنهم حاضرون مددا وسيأتى فى أثرهم عشرون ألفا وعليهم كبير ، ونحو ذلك .

وأما بولاق فانها قامت على ساق واحدة وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وأمثاله وهيجوا العامة ، وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا . وأول ما بدأوا به أنهم ذهبوا الى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر ، وعنده حرسية منهم ، فقتلوا من أدركوه منهم ونهبوا جميع مافيه من خيام ومتاع وغيره ، ورجعوا الى البلد ، وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس .



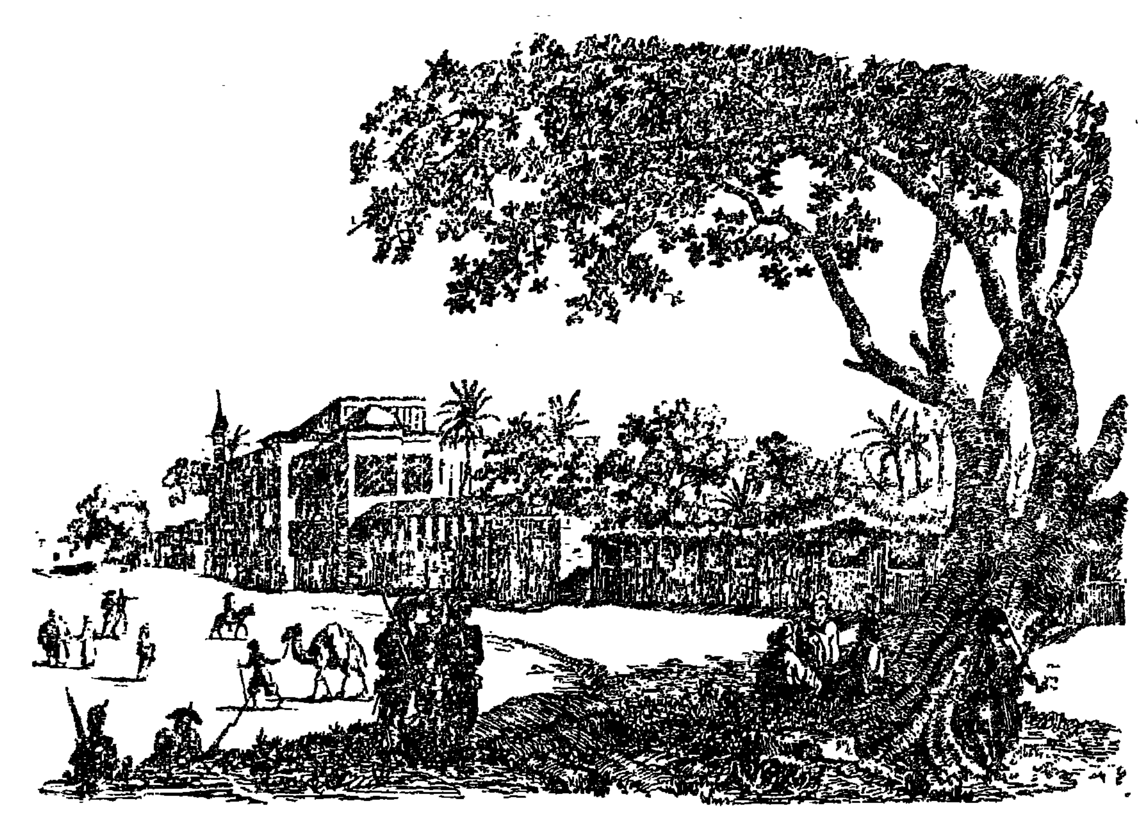
ثورة القاهرة

الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة .. حتى بلغ سعر القربة نيفا وستين نصفا . وأما البحر فلا يكاد يصل اليه أحد .

وتكفل التجار ، ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم . فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذى عند قناطر السباع ، وهم مصطفى بيك ومن معه من العساكر . وأما أكابر القبط — مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس ومالطى — فانهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين .. لكونهم انحصروا فى دورهم ، وهم فى وسطهم ، وخافوا على نهب دورهم اذا خرجوا فارين . فأرسلوا اليهم الأمان . فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء ، وأعانوهم بالمال واللوازم . وأما يعقوب فانه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى ، واستعد استعدادا كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين ، وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى فكان معظم حرب حسن بيك الجداوى معه .

هذا والمناداة فى كل وقت بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس .

واتهم مصطفى أغا مستحفظان بموالاته الفرنساوية وأنه عنده فى بيته جماعة من الفرنسس فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر . فوجدوا أنفارا قليلة من الفرنسيس ، فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض ، وهرب البعض على حمية ، حتى خلصوا الى الناصرية . وأما الأغا فانهم قبضوا عليه ، وأحضروه بين يدى عثمان كتخدا ، ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التى عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد . واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش ، فاجتهد وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من دخول الدور . وكل من وجده داخل داره مقته وضربه . فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق ، حتى الأمراء والأعيان ! وهلكت البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس ... بحيث صار ينادى



سراى الازبكية

على الحمار أو البغل ، المعدد الذى قيمتـــه ثلاثون ريالا واكثر ، بمائة نصف فضة ، أو ريال واحد أو أقل ، ولا يوجد من يشتريه . وفى كل يوم يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال .

وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ، وترامى الفريقـان بالمدافع والنـيران حتى احترق ما بينهم من الدور . وكان اسماعيل كاشف الألفى تحصن ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان ببيته ، وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغما بالبارود المدفون ، فاشـتعل ذلك اللغم ، ورفع ما فوقه من الأبنيـة والناس ، وطاروا فى الهواء ، واحترقوا عن آخرهم ، وفيهم اسماعيل كاشف المذكور . وانهـدم جميع ما هناك من الدور والمبانى العظيمة والقصور المطلة على البركة ، واحترق جميع البيوت التى من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا ، الى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها ، الى الرحبة المقابلة لبيت الألفى ، سكن سارى عسكر الفرنساوية ، وكذلك خطة الفوالة بأسرها ، وكذلك خطة الزويعى بالسباطين العظيمين ، وما فى ضمن ذلك من البيوت الى حد حارة النصارى . وصارت كلها تلالا وخرائب .. كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن أنس ونزاهات !

وفيها يقول صديقنا العلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ حسن العطار حفظه الله :

وأما بركة الأزبكية فهى مسكن الأمراء ، وموطن الرؤساء . قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال ، العديمة المثال . فترى الخضرة فى خلال تلك القصور المبيضة ، كثياب سندس خضر على أثواب من فضة . يوقد بها كثير من السرج والشموع ، فالأنس بها غير مقطوع ولا ممنوع . وجمالها يدخل على القلب

السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور . ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليال ، هن فى سمط الأيام من يتيم اللآلى . وأنا أنظر الى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها . والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضى لعاب ، وقد سل على حافاتها من تلاعب لأمواج كل قرضاب . وقام على منابر أرواحها فى ساحة أفراحها مغردات الطيور ، وجالبات السرور .. فلذيذ العيش بها موصول ، وفيها أقول :

بالأزبكية طابت لى مسرات
ولذ لى من بديع الأنس أوقات

حيث المياه بها والفلك سابحة
كأنها الزهر تحويها السموات

وقد أدير بها دور مشيدة
كأنها لبدور الحسن هالات

مدت عليها الروابى خضر سندسها
وغردت فى نواحيها الحمامات

والماء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الأدواح زهرات

كسابغات دروع فوقها نقط
من فضة .. واحمرار الورد طعنات

مراتع لظباء الترك ساحتها
وللأسود بها فيهن غيضات

وللنديم بها عيش تجدده
أيدى الزمان ، ولا تخشى جنايات

يروح منها صريع العقل حين يرى
على محاسنها دارت زجاجات

وللرفاق بها جمع ومفترق
لما غدت وهى للندمان حانات

قلت : وقد جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها . وهكذا عقبى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ..

وأرسلوا الى مراد بيك يطلبونه للحضور أو يرسل الأمراء والأجناد التى عنده . فأرسل يعتذر عن الحضور ، ويقول : « انه محافظ على الجهة التى هو فيها » . فأرسلوا اليه بالارسال والاستكشاف عن أمر الوزير ، فأرسل يخبر أنه أرسل هجانا الى الشرق من نحو عشرة أيام ، والى الآن لم يحضر ، وأن الفرنساوية اذا ظفروا بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم ، وأنتم كذلك معهم فاقبلوا نصحى ، واطلبوا الصلح معهم ، واخرجوا سالمين . فلما بلغهم تلك الرسالة ، حنق حسن بيك الجداوى وعثمان بيك الأشقر وغيرهم ، وسفهوا رأيه ، وقالوا : كيف يصح هذا الأمر ، وقد دخلنا الى البلد وملكناها ، فكيف نخرج منها طائعين ؟! ونحو ذلك . هذا مما لا يكون أبدا . فأشار ابراهيم بيك برجوع البرديسى ، وصحبته عثمان بيك الأشقر ، ليقول الأشقر لمراد بيك ما نقوله . فلما اجتمع به ورجع .. لم يرجع على ما كان عليه حال ذهابه ، وفترت همته ، وجنح لرأى مراد بيك .

واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، ووقوع البنبات على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم والحرق ، وصراخ النساء من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع .. مع القحط وفقد المآكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشراء وتفليس الناس ، وعدم وجدان ما ينفقونه ، ان وجدوا شيئا !

واستمر ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلا ونهارا ، حتى كان الناس لا يهنأ لهم نوم ولا راحة ، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن . ومقامهم دائما أبدا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤوس الجميع الطير ! وأما النساء والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والمقودات تحت طباق الأبنية .. الى غير ذلك !

وفى أثناء ذلك فرضوا على الناس ، من أهل الأسواق وغيرهم ، مائة كيس ... فردوها على بعض الناس ، كالسادات والصاوى . وصارمؤنة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك فى طشوت وأوان بالأسواق .

وفى كل ساعة تهجم العساكر الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس ، فيصيحون على بعضهم بالمناداة ويتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون : عليكم بالجهة الفلانية . الحقوا اخوانكم المسلمين ! فيرمحون الى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها ، وينتقلون الى غيرها فيفعلون كذلك .

وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بيك الجداوى . فانه كان عندما يبلغه زحف الفرنساوية على جهة من الجهات ، يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة . ورأى الناس من اقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ، ليلا ونهارا ، ماينبىء عن فضيلة نفس ، وقوة قلب ، وسمو همة . وقل أن وقع حرب فى جهة من الجهات الا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها .

هذا والأغا والوالى يكررون المناداة ، وكذلك المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب .. يمرون كل وقت ، ويأمرون الناس بالقتال ، ويحرضونهم على الجهاد . وكذلك بعض العثمانية يطوفون مع أتباع الشرطة ، وينادون باللغة التركية مثل ذلك .

وجرى على الناس ما لا يسطر فى كتاب ، ولم يكن لأحد فى حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته ... منها : عدم النوم ليلا ونهارا ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها — خصوصا الأدهان — وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لايطاق ، ومغالبة الجهلاء على العقلاء ، وتطاول السفهاء على الرؤساء ، وتهور العامة ، ولغط الحرافيش وغير ذلك مما لايمكن حصره . ولم يزل الحال على هذا المنوال الى نحو عشرة أيام .

كل هذا والرسل من قبل الفرنساوية ، وهم عثمان بيك البرديسى تارة ، ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى — والاثنان من أتباع مراد بيك — يترددون فى شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها اذا لم يتم هذا الغرض . واستمروا على هذا العناد . ثم نصب الفرنساوية فى وسط البركة فسطاطا لطيفا وأقاموا عليه علما وأبطلوا الرمى تلك الليلة ، وأرسلوا رسولا من قبلهم الى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم فى شأن هذا الأمر فأرسلوا الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى وغيرهم فلما وصلوا الى سارى عسكر وجلسوا ، خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله : أن سارى عسكر قد أمن أهل مصر أمانا شافيا ، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضى . وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون اليه من المئونة والذخيرة حتى يصلوا الى معسكرهم . وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم ، فليقم وله الاكرام . ومن أراد

الخروج فليخرج . والجرحى من العثمانلى يجردون من سلاحهم ، وان كان يأخذه الكتخدا فليأخذه ، وعلينا أن نداويهم حتى يبرأوا . ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مئونته . ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج ، وعلى أهل مصر الأمان فانهم رعيتنا . وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه .

ولما كان الغد وشاع أمر الموادعة واستفيض أمر الصلح على هذا ، قالوا لهم : « لأى شيء تفعلون هذا الفعل وهذه المحاربات ، والوزير بتاعكم ولى مهزوما ورجع هاربا ولا يمكن عوده فى هذا الحين الا أن يكون بعد ستة أشهر ؟ » . فاعتذروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بيك ومن معهم ، فانهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ، ومنوا الناس الأمانى الكاذبة والعامة لا عقول لهم ! فقالوا لهم بعد كلام طويل : « قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم ، فانهم لاطاقة لهم على حربنا ، ويكونون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق » . فقالوا له : « نخشى أنهم اذا امتثلوا وجنحوا للموادعة وخرجوا وذهبوا الى سارى عسكرهم ، تنقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك » . فقالوا : « لا نفعل ذلك . فانهم اذا رضوا ومنعوا الحرب ، اجتمعنا معكم واياهم ، وعقدنا صلحا ولا نطالبكم بشيء . والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم ، وزودناهم وأعطيناهم مايحتاجون من خيل وجمال وأصحبنا معهم من يوصلهم الى مأمنهم من عسكرنا ، ولا نضر أحداً بعد ذلك » .

فلما رجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الانكشارية والناس .. قاموا عليهم ، وسبوهم وشتموهم ، وضربوا الشرقاوى والسرسى ، ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون : « هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس » . وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول .

وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه « الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه ! » .

وكان السادات ببيت الصاوى فتحير ، واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى بقوله : « الزموا المتاريس » ليقى بذلك نفسه من العامة .

ووافق ذلك أغراض العامة لعدم ادراكهم لعواقب الأمور فالتفوا عليه ، وتعضد كل بالآخر ، وان غرضه هو فى دوام الفتنة ، فان بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الامارة باجتماع الأوغاد عليه ، وتكفل الناس له بالمآكل والمشرب هو ومن انضم اليه ، واشتطاط فى المآكل مع فقد الناس لأدون ما يؤكل .. حتى أنه كان اذا نزل جهة من جهات المدينة لاظهار أنه يريد المعونة أو الحرس ، فيقدمون له بالطعام فيقول : « لا آكل الا الفراخ ! » ويظهر أنه صائم . فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته ، فى هذه الشدة ، بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود . ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئا ، بل اذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها . فارقها وانتقل لغيرها وهكذا كان ديدنه وسبحه . ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك . بل كما قيل « لا ناقتى فيها ولاجملى » . فاذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه الى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره ، وحينئذ يكون كآحاد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخا منصوبا ، ومحرق بها على سخاف العقول وأخفاء الأحلام !

وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة . ولو أن

نيته ممحضه لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم — كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين فى الجهاد وفى بيع أنفسهم فى مرضاة رب العباد — لظى الهيجاء ، ولم يتعنت على الفقراء ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفة ، وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

— وان خالها تخفى على الناس — تعلم

وبالجملة ... فكان هذا الرجل سببا فى تهدم أغلب المنازل بالأزبكية ، ومن جملة مارميت به مصر من البلاء . وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ : « الصلح منقوض . وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ! » . وهذا منه افتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى . حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية . فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يبرمه ؟ ! وأى شىء يكون هو حتى ينادى أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك ؟! لكنها الفتن يستنسر بها البغاث ، سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغاء ، اذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم .

وذنب جره سفهاء قوم

وحل بغير جانيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشىء ولم يذكروا صلحا ولا غيره ، انما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا . فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام ، وسبوهم وشتموهم بل وضربوهم ، وبعضهم رمسوا بعمامته الى الأرض وأسمعوهم قبيح الكلام ، وفعلوا معهم ما فعلوا وصاروا يقولون : « لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ماطلبوا المصالحة والموادعة وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت » ... ونحو ذلك من الظنون الفاسدة .

ولم يردوا عليهم جوابا ، بل ضربوا بالمدافع والبنادق . فأرسلوا أيضا رسلا يسألونهم عن الجواب الذى توجه به المشايخ . فأرسل اليهم الباشا والكتخدا يقولان لهم : « ان العساكر لم يرضوا بذلك ويقولون : لا نرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا . وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح » .

فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة يقولون فى ضمنها : « قد عجبنا من قولكم ان العساكر لم ترض بالصلح ! وكيف يكون الأمير أميرا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ؟ » ونحو ذلك . وأرسلوا أيضا رسولا الى أهل بولاق يطلبونهم للصلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك . فلم يرضوا وصمموا على العناد . فكرروا عليهم المراسلة وهم لايزدادون الا مخالفة وشغبا . فأرسلوا فى خامس مرة فرنساويا يقول : « أمان ، أمان — سوا ، سوا » وبيده ورقة من سارى عسكر . فأنزلوه من على فرسه وقتلوه .

وظن كامل أهل مصر أنهم انما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف وأشعلوا نيران القتال ، وجدوا فى الحرب من غير انفصال . والفرنساوية لم يقصروا كذلك وراسلوا رمى المدافع والقنابر والبندق المتكاثر . وحضر الألفى الى عثمان كتخدا



بعض الثوار بأحد الشوارع

برأى ابتدعه ظن أن فيه الصواب وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ، ويوقدون عليها القناديل ليلا ، ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم منصورون . وكذلك صنع معهم أهل بولاق وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكرا قادمين لنجدتهم . وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم . فصمموا على ذلك للحرب ، واستمر هذا الحال بين الفريقين .

ذو القعدة

الخميس ٢٢ منه (١٧ ابريل ١٨٠٠ م) : الموافق ١٠ برمودة القبطى وسادس نيسان الرومى :

غيمت السماء غيما كثيفا ، وأرعدت رعدا مزعجا عنيفا ، وأمطرت مطرا غزيرا ، وسيلت سيلا كثيرا . فسالت المياه فى الجهات ، وتوحلت جميع السكك والطرقات . فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأوحال ونلطخت الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم بالطين . والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم فى خارج الأقنية وهى لاتتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة فى ملابسهم وما على رؤوسهم . وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنائعهم بخلاف المسلمين . فلما حصل ذلك إغتنموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتائل مغمسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم معمولة بالنفط والمياه المصنوعة المقطرة التى تشتعل ويقوى لهيبها بالماء وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد وكوم أبى الريش وجهة بركة الرطلى وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة ، فكانوا يرمون المدافع والبنبات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ، ويهجمون أيضا وأمامهم المدافع ، وطائفة خلفهم بواردية ، يقال لهم «السلطات» يرمون بالبندق المتتابع ، وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقائف وضرف الحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة شيئا فشيئا . والمسلمون أيضا بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم . وتحول الأغا وأكثر الناس الى تلك الجهة وزلزلوا فى ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا وهاجت العامة ، وصرخت النساء والصبيان ، ونطوا من الحيطان والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليلة الجمعة ، وكذلك الرعد والبرق . وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى وعثمان بيك البرديسى المرادى ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيئون من الفرنسيس الى المسلمين ، ومن الفرنسيس اليهم . ويسعون فى الصلح بين الفريقين .

ثم انهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا ، بالطريقة المذكور بعضها ، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب . وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها مايشيب من هوله النواصى وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور والقصور .. وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الأطارف . وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلية . ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها ، واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية ، وما لاتسعه السطور ولايحيط به كتاب ولامنشور . والذى وجدوه منعكفا فى داره أوطبقته ولم يقاتل

ولم يجدوا عنده سلاحا نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيا وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لايملكون مايستر عوراتهم .

الجمعة ٢٣ منه (١٨ ابريل ١٨٠٠ م) :

كان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم . وفى وقت هجوم العساكر انفصل اليهم واختفى البشتيلى فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرؤساء فحبسوا البشتيلى بالقلعة والباقى ببيت سارى عسكر ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول . وفى اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلى من العامة وسلموهم البشتيلى وأمروهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذى كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه : « ان الكلب دعانا للصلح فأبينا منه » وأرسله مع رجل ليوصله الى الكتخدا فوقع فى يد سارى عسكر كليبر فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذى فعله ، وقوبل على ذلك بأن أسلم الى عصبته وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه . ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبابيت . وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا دوانا لفصل الأحكام وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ، ثم بعد مضى يومين ألزموا بغرامة مائتى ألف ريال . وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب .

الاثنين ٢٦ منه (٢١ ابريل ١٨٠٠ م) :

ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار مع ما هم فيه من عدم القوت ، حتى هلكت الناس وخصوصا الفقراء والدواب ، وايذاء عسكر العثمانلى للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم ، حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التى كانوا عليها .

والحال كل وقت فى الزيادة ، وأمر المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد . والفرنساوية بالعكس وفى كل يوم يزحفون الى قدام والمسلمون الى وراء فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبى الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحى وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ، ويملكون المتاريس الى أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبى وناحية باب الحديد الى قرب باب الشعرية . وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحة فقام من مكانه ورجع القهقرى فعند رجوعه وقعت الهزيمة ، ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض ، وملك الفرنساوية كوم أبى الريش ، وصاروا يحاربون من كوم أبى الريش وهم فى العلو والمسلمون أسفل منهم . وكان المحروقى زور كتابا على لسان الوزير وجاء به رجل يقول : انه رسول الوزير، وانه اختفى فى طريق خفية ونط من السور ، وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة ، وأنه تركه بالصالحية . وأن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه الى الوزير فى أثناء الواقعة .

هذا والبرديسى ومصطفى كاشف والأشقر يسعون فى أمر الصلح الى أن تمموه على كف الحرب ، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبوا حيث أتوا ، وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لايتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر وأبطلوا الحرب وأخمدوا النيران وتركوا القتال ، وأخذ العثمانية والأمراء والعسكر فى أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك ،

وكتبوا بعقد الصلح فرماناً مضمونه : « أنهم يعوقون عندهم عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتخدا حتى يصل الى الصالحية وأن يوصلهم سارى عسكر داماس بثلثمائة من العسكر خوفا عليهم من العرب ، وأن من جاء منهم من جهة يرجع اليها ، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ، ما عدا عثمان بيك الأشقر ، فانه اذا رجع الثلاثة مع الفرنساوية يذهب مع البرديسي الى مراد بيك بالصعيد » . وأرسلوا الثلاثة المذكورين الى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وأجلسوهم بمسجد الجمالى صحبة نصوح باشا .

فهاجت العامة ، وراموا قتلهم ، وهموا بقتل عثمان كتخدا ، فأغلق دونهم باب الخان ومنع نصوح باشا العامة من الهجوم على المسجد ، وركب المغربى فتوجه الى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيس فحضر أهل الحسينية الى عثمان كتخدا يستأذنونه فى موافقة ذلك المغربى أو منعه ، فأمر بمنعه وكفهم عن القتال . وركب المحروقى عند ذلك ومر بسوق الخشب وقدامه المناداة بأن لاصلح ولزوم المتاريس فمنعه نزلة أمين ، ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالعصى فهاجوا فى العامة ، ففروا وسكن الحال .

وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ، ودخول العثمانية وعساكرهم الى المدينة ، ووقع ما تقدم وكلفوا الناس الأمور الغير اللائقة .. حضر السيد أحمد المحروقى الى الشيخ أبى الأنوار السادات بجواب عن لسان عثمان كتخدا الدولة فكتب له الشيخ تذكرة صورتها :

« حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، وما هى من الظالمين ببعيد .

ظننت أنك عدتى أسطو بها
ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بغير ما أملته
والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد ، فقد نقضت عهدى ، وتركت مودة آل بيت جدى ، وأطعت الظلمة السفلة ، وامتثلت أمر المارقين الثفلة،فأعنتهم على البغى والجور، وسارعت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من الزامكم الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، اطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى ، فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب . فبذلك كان عسكركم مخذولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا .. كيف لا ! وأكابركم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معايشهم وأخذ مرتباتهم واتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم ، وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفئها ، ثم فررتم فرار الفيران من السنور ، وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور .. فواغوثاه ! واغوثاه ! أغثنا ياغياث المستغيثين ، واحكم بعدلك ياأحكم الحاكمين ، وانصرنا وانتصر لنا فاننا عبيدك الضعفاء المظلومون يا أرحم الراحمين ! » .

ذو الحجـــة

غرته (٢٦ ابريل ١٨٠٠ م) :

فيه خرج العثمانية وعساكرهم ، وابراهيم بيك وأمراؤه ومماليكه والألفى وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب ، والسـيد أحمـد المحروقى الشاهبندر . وكثيرون من أهل مصر ركبانا ومشاة الى الصالحيـة ، وكذلك حسن بيك الجـداوى وأجناده . وأما عثمان بيك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير ، فلم يسع ابراهيم بيك وحسن بيك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم الى قبلى ، بل رجعا بجماعتهما على أثرهما وذاقوا وبال أمرهم. وانكشف الغبار عن تعسة المسلمين وخيبة أمـل الذاهبين والمتخلفين وما استفاد الناس من هـذه العمارة ، وما جرى من الغارة ، الا الخراب والسخام والهباب فكانت مدة الحرب والحصر بما فيهـا من الثلاثة أيام الهدنة ، سبعة وثلاثين يوما .. وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشـتات والهياج ، وخراب الدور ، وعظائم الأمور ، وقتل الرجال ونهب الأموال ، وتسلط الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصا ما أوقع الفرساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه . وخرب فى هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجليلة ، مثل جهة الأزبكية الشرقية من حد جامع عثمان والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الخشاب وخطة الساكت .. الى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة . وكذلك جهة باب الهواء الى حارة النصارى من الجهة القبلية . وأما بركة الرطلى وما حولهـا من الدور والمتنزهات والبساتين فانها صارت كلها تلالا وخرائب وكيمان أتربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر قديما وحديثا ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر ، وكانت تعرف ببركة الطوابين ، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب ، من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون لأنه هو الذى احتفرها وأجرى اليهـا الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة اليه ، وعمر عليها الدور والمناظر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورا بهية . وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ، وقد خربت منازله فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستانا عظيما قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنساوية .

وكان للقاضى ابن الجيعان عليهـا دور جليلة ومسجده — المعروف به الى الآن — بشاطئهـا . ومسجد الحريثى . وعرفت ببركة الرطلى لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيهـا شـخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت اليه . وفيها يقول بعضـهم :

فى أرض طبالتنـــا بركـة
مدهشـة للعـين والعقـــل

ترجـح فى ميزان عقـلى على
كل بحـار الأرض بالرطـل

وقوله : « فى أرض طبالتنـا بركة » يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة .

والطبالة امرأة مغنيــة مشهورة فى آخر دولة الاخشيد . فلما حضر المغربى معدّ الفاطمى الى مصر — وكان يدعى الامامة والخلافة دون بنى العباس — فخرجت اليه بحوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول :

يا بنى العباس ردوا ملك الأمر معــدّ
ملككم ملك معــار والعــوارى تسترد

فأعجبه ذلك ، وأراد أن ينعم عليهــا ، فتمنت عليه أن يقطعها هــذه الأرض .. فأقطعهــا اياها ، فعرفت بها .

ومما تخرب أيضا حارة المقس من قبل ســوق الخشب الى باب الحديد . وجميع ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرائب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات . ويتذكر بها ما يتلى فى حق الظالمين من الآيات « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » .

ودخل الفرنســاوية الى المدينة يسعون ، والى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصــطنعه وأعــدة العثمانية من المدافع والقنابر والبــارود وآلات الحرب جميعها . وقيــل انهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه ، وقبضوا ذلك من الفرنساوية .

وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا الى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة ، أبرز اليهم ورقة مكتوبا فيها « النصرة لله الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس » . وبناء على ذلك سارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخــالطون العثملى فى الحروب ، وانهم يشتغلون بمعايشهم وصــنائعهم . ثم نبــه عليهم بحضورهم الى قبة النصر بكرة تاريخه . ثم قاموا من عنده وشــقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان والأمان .

فلمــا أصــبح ذلك اليوم ، ركبت المشــايخ والوجاقلية وذهبوا الى خارج باب النصر . وخرج أيضا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم . فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وســاروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام وبعض فرنساوية راكبين خيلا وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم بالوقوف على أقدامهم ، ومن تباطأ فى القيام أهانوه . فاستمرت الناس وقوفا من ابتداء سير الموكب الى انتهائه . ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الخيالة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة، وكلهم لابسون جوخا أحمر وعلى رءوسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم . ثم تتالى بعــد هؤلاء طوائف العساكر ببوقاتهم وطبــولهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة ، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية وأتباعهم .. الى أن قدم سارى عسكر الفرنساوية وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى وعثمان بيــك الأشقر وخلفهم طوائف من خيالة الفرنسيس . ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثاء مع الســهر ووقود القناديل ليلا ، ثم دعاهم فى يوم الأربعاء وعمل لهم ســماطا عظيما على طريقة المصرلية . وبعد انقضاء الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم : « ان سارى عســكر يقول لكم انكم تأتون اليه بعد غد يوم الجمعة ، ويعمل معكم تدبيرا ويرتب الديوان لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية » . وقلدوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطنانى أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان . وأعطوا البكرى بيت عثمان كاشف كتخدا الحج — وهو بيت البارودى الثانى — فســكن به وشرع فى

تنظيمه وفرشه ، ولبسوه فى ذلك اليوم فروة سمور ، فقاموا من عنده فرحين مطمئنين مستبشرين .

٧ منه (٢ مايو ١٨٠٠ م) :

ذهب الى مراد بيك بجزيرة الذهب باستدعاء فمد لهم أسمطة عظيمة ، وانبسط معهم ، وافتخر افتخارا زائدا ، وأهدى الى بعضهم هدايا جليلة وتقادم عظيمة ، وأعطاه ماكان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها ، وكانت نحو الأربعة آلاف رأس ، وولوه امارة الصعيد من جرجا الى اسنا ورجع عائدا الى داره بالأزبكية .

٨ منه (٣ مايو ١٨٠٠ م) :

فى صبحها بكروا بالذهاب الى بيت صارى عسكر ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيئاتهم ، وطمع كل واحد منهم ، وظن أن سارى عسكر تقلده فى هذا اليوم أجل المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل فى أهل الديوان فيكون فى الديوان الخصوصى .

فلما استقر بهم الجلوس فى الديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يؤذن لهم ولم يخاطبهم أحد . ثم فتح باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه ، فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى ، ثم خرج اليهم سارى عسكر ، وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم . فوضع له كرسى فى وسط المجلس ، وجلس عليه ، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه ، واصطف الوجاقلية والحكام من ناحية ، وأعيان النصارى والتجار من ناحيه . وعثمان بيك الأشقر والبرديسى أيضا حاضران .

وكلم سارى عسكر الترجمان كلاما طويلا بلغتهم حتى فرغ ، فالتفت الترجمان الى الجماعة وشرع نفسر لهم مقالة صارى عسكر ، ويترجم عنها بالعربى . والجماعة يسمعون . فكان ملخص ذلك القول : أن صارى عسكر يقول لكم يطلب منكم عشرة آلاف ألف .. الى آخر العبارة الآتية . وأما هذه العبارة فانه قالها المهدى فقط : « اننا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمتثلون . ثم انكم أظهرتم لنا المحبة والمودة . وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور . فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالاحسان ، وخفضنا لكم جناح الطاعة ، وجعلناكم مسموعى القول مقبولى الشفاعة . وأوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون . فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم ، وقمتم لنصرتهم ، وثبت عند ذلك نفاقكم لنا ! » .

فقالوا له : « نحن ما قمنا مع العثملى الا عن أمركم ، لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى من ثانى شهر رمضان ، وأن البلاد والأموال صارت له ، وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين . وما شعرنا الا بحدوث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ، ووجدنا أنفسنا فى وسطهم ، فلم يمكننا التخلف عنهم »

فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ، ثم أجابهم بقوله : « ولأى شىء لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم لنا ؟ » .

فقالوا : « لايمكننا ذلك ، خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا ، وسمعتم مافعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا عند ماأشرنا عليهم بالصلح وترك القتال » .

فقال لهم : « واذا كان الأمر كما ذكرتم ، ولا يخرج من يدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك ، فما فائدة رياستكم ؟ وايش يكون نفعكم ؟ وحينئذ لا يأتينا منكم الا الضرر ، لأنكم اذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم واياهم علينا ، واذا ذهبوا رجعتم الينا معتذرين ، فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق

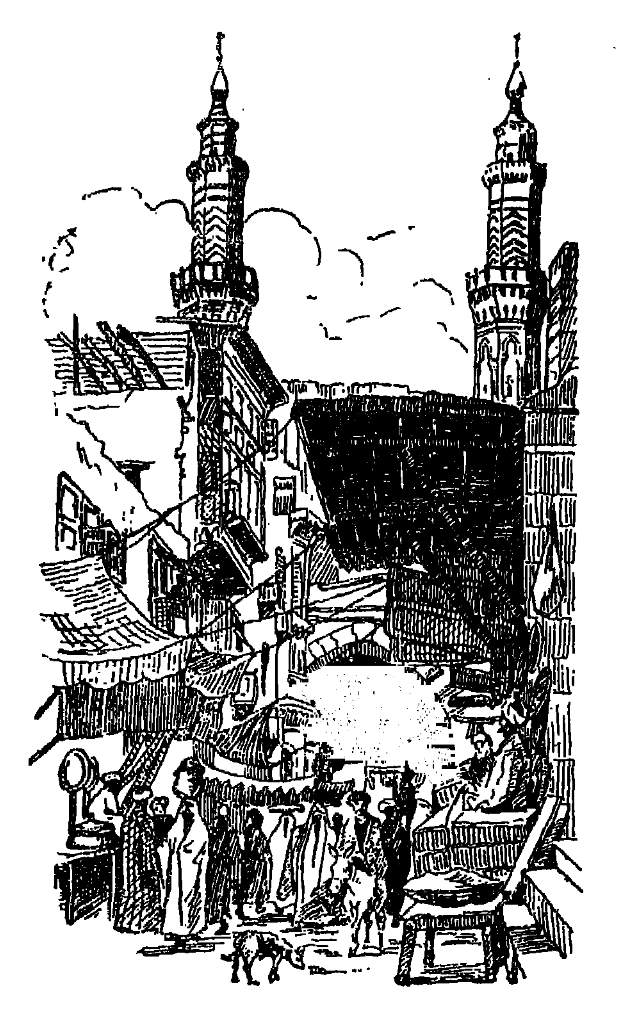
من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم ، ولكن حيث أننا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وانما نأخذ منكم الأموال . فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف ألف فرنك ، عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفا ألف فرانسة عنها خمس عشرة خزنة رومى بثلاث عشرة خزنة مصرى، منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين . على الشيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفا ، والشيخ محمد بن الجوهرى خمسون ألفا ، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا ، والشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا ، والشيخ العنانى مائتان وخمسون ألفا تقتطعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العثملى ، مثل المحروقى والسيد عمر مكرم وحسين أغا شنن. وما بقى تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصا . انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ ! » .

وقام من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل ، وأغلق بينه وبينهم الباب . ووقفت الحرسية لمى الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين . فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ، ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم . ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكرى والمهدى .. لكون البكرى حصل له ماحصل فى صحائفهم والمهدى حرق بيته بمرأى منهم . وكان قبل ذلك نقل جميع ما فيه بداره بالخرنفش ، ولم يترك به الا بعض الحصر ولم يكن به غير بعض الخدم ، وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته .

ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم انه لم يكن شيئا مذكورا ، ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان !

وصاروا يدخلون على نصارى القبط ، ويقعون فى عرضهم . فالذى انحشر فيهم ، ولم يكن معدودا من الرؤساء ، أخرجوه بحجة أو سبب ، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه !

هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف ، حتى على الحواة والقردتية والمحبظين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم . كل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعين ألف .



شارع النحاسين

وكذلك بياعو التنباك والدخان والصابون ، والخردجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف . وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة . ثم انهم استأذنوا للمشايخ : الخالص يتوجه حيث أراد ، والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه . فأما الصاوى وفتوح بن الجوهرى فحبسوهما ببيت قائمقام . والعنانى هرب فلم يجدوه ودا،ره احترقت ، فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة وخمسين ألف فرانسة وانفض المجلس على ذلك .

وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة ، ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين ما يشاء وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدبير الأمور والرهونات . ونزل الشيخ السادات وركب الى داره ، فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره . فلما مضت حصة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به الى القلعة وحبسوه فى مكان . فأرسل الى عثمان بيك البرديسى وتداخل عليه فشفع فيه . فقالوا له : « أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلابد من دفعه ، ولابد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه » .

وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما . ثم أنزلوه الى بيت قائمقام فمكث به يومين ، ثم أصعدوه الى القلعة ثانيا وحبسوه فى حاصل ينام على التراب ويتوسد بحجر وضربوه تلك الليلة ، فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع اليه هووبرطلمان فقال لهما : « أنزلونى الى دارى حتى أسعى وأبيع متاعى وأشهل حالى » فاستأذنوا له وأنزلوه الى داره فأحضر ما وجده من الدراهم فكانت تسعة آلاف ريال معاملة عنها ستة آلاف ريال فرانسة . ثم قوموا ماوجدوه من المصاغ والفضيات والفراوى والملابس وغيرذلك بأبخس الثمن ، فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة ، فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة . والمحافظون عليه من العسكر ملازموه لا يتركونه يطلع الى حريمه ولا الى غيره . وكان وزع حريمه وابنه الى مكان آخر .

وبعد أن فرغوا من الموجودات ، جاسوا خلال الدار يفتشوز ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها ، فلم يجدوا شيئا . ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماشيا وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا فى الصباح ومثلها فى الليل . وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا محمد السندوبى تابعه وقرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم بمكانهما فأحضروهما . وأودعوا ابنه عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه فكانوا يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح وذلك زيادة فى الانكاء .

ثم ان المشايخ : وهم الشرقاوى والفيومى والمهدى والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده ، فنقلوها الى بيت الفيومى وبقى الشيخ على حاله . وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما ، وتغيب أكثر أتباعه واختفوا .

ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح الجوهرى والصاوى فأضعفوها وجعلوها على كل واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقى على الفردة العامة . وأما الشيخ محمد بن الجوهرى فانه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار نسيبه المعروف بالشويخ .

ثم انه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بيك فأرسلت الى مراد بيك — وهو بالقرب من الفشن — فأرسل من عنده كاشفا وتشفع فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضا على الفردة العامة .

ثم انهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطى وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك ببيت البارودى ، وألزموا الأغا بعدة طوائف كتبوها فى قائمـة بأسماء أربابها وأعطوه عسـكرا وأمروه بتحصيلهـا من أربابها . وكذلك عـلى أغا الوالى الشـعراوى وحسن أغا المحتسب وعلى كتخـدا سليمان بيك ... فنبهوا على الناس بذلك ، وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم !

فدهى النـاس بهذه النـازلة التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها . ومضى عيد النحر ولم يلتفت اليه أحد ، بل ولم يشعروا به ونزل بهم من البلاء والذل ما لا يوصف .. فان أحد الناس : غنيا كان أو فقيرا ، لابد وأن يكون من ذوى الصنائع أو الحرف فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته أو فى حرفتيـه وأجرة داره أيضا سنة كاملة . فكان يأتى على الشخص غرامتان أو ثلاث ونحو ذلك ! وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل الى القرض ، فلم يجد طالب الدين من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته . فلزمهم بيع المتاع فلم يوجـد من يشترى . واذا أعطوهم ذلك لايقبلونه فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه .

ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات فأحضر الناس ماعندهم فيقوم بأبخس الأثمان . وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس، فلا يوجد من يأخذه . وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقا سوى خمسة أنفار من المسلمين ، وهم : الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم .. والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم .

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر فى طلب الناس .. وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصـاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم . والذى لم يجدوه — لكونه فر وهرب — يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون



زوجة احد الاكابر

داره . فان لم يجدوا شيئا ردوا غرامته على أبنـاء جنسه وأهل حرفته .

وتطاولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا . وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين !

هذا والكتبة والمهندسون والبنـاءون يطوفون ويحـررون أجـر الأماكن والعقـارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء أربابهـا وقيمتهـا . وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا الى القرى والأرياف .

ثم ان أكثر الفارين رجع الى مصر لضيق القرى وعدم ما يتعيشون به فيها ، وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف .

واستمرت الطرق مجفرة ، والأسواق معفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والخانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة .. والغرامات نازلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميمة ، والعكوسات مقصودة، والشفاعات مردودة! واذا اراد الانسان ان يفر الى أبعد مكان ، وينجو

بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه .. لا يجد طريقا للذهاب ، وخصوصا من الملاعين الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة . ان أخذه أليم شديد » .

٢٠ منه (١٥ مايو ١٨٠٠ م) :

انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى الى بيت القيسرلى بالميدان ، ووقع التشديد فى الطلب والانتقام بأدنى سبب .

* * *

وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام . باقليم مصر والشام ، والروم والبيت الحرام :

فمنها — وهو أعظمها — تعطيل الثغور ، ومنع المسافران برا وبحرا ، ووقوف الانكليز بثغر اسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتحطوا أيضا بمراكبهم الى بحر القلزم

ومنها : انقطاع الحج المصرى فى هذا العام أيضا ، حتى لم يرجع المحمل ، بل كان مودوعا بالقدس . فلما حضر العساكر الاسلامية ، أحضروه صحبتهم الى بلبيس فيقال ان السيد بدرا رجع به الى جبل الخليل

ومنها : وقوف العرب وقطاع الطريق ، بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والدقهلية ، وسائر النواحى فمنعوا السبيل — ولو بالخفارة ! — وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القرى والفلاحين ، وأهالى البلاد والحرف بالعرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير ، وافساد المزارع ورعيها حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج ببهائمهم الى خارج القرية للرعى أو للسقى لترصد العرب لذلك .

ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب ، فداخلوهم ، وتطاولوا عليهم ، وضربوا عليهم الضرائب ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض ، وقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب فى أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم .

فلما انقضت حروب الفرنسيس نزلوا الى البلاد ، واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب .. فضربوهم ، ونهبوهم ، وسبوهم ، وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ! فاذا انفضوا وانتقلوا عنهم .. رجعت العرب على اثرهم وهكذا كان حالهم ! « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

ومنها : أن النيل قصر مده فى هذه السنة ، فشرقت البلاد ، وارتحل أهل البحيرة الى المنوفية والغربية فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقى لهم فى الحى نخيل .

ومنها أنه لما حضرت العثمانية ، وشاع أمر الصلح وخضوع الفرساوية لهم .. نزل طائفة من الفرنسيس الى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحليهم فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تعصب أهلها ، واجتمعوا الى قاضيها ، وخرجوا لحربهم .. فأكمن الفرنسيس لهم ، وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق ، فقتلوا منهم نيفا وستمائة انسان — ومنهم القاضى وغيره — ولم ينج منهم الا من فر وكان طويل العمر . وكذلك أهل طنتداء ، عند حضورهم اليهم ، وصل اليهم رجل من الجزارين المتنسبين للعثمانية ، من جهة الشرق لزيارة سيدى أحمد البدوى ، وهو راكب على فرس ، وحوله نحو الخمسة أنفار . وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم ، فصاحت السوقة

والبياعون — عند رؤية ذلك الرجل — بقولهم « نصر الله دين الاسلام » وهاجوا وماجوا ولقلقت النساء بألسنتهن ، وصاحت الصبيان ، وسخروا بالفرنسيس ، وتراموا بما على رؤوسهم ، وضربوهم وجرحوهم وطردوهم .. فتسحبوا من عندهم ، فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا اليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم الآلات من المدافع .. فاحتاطوا بالبلدة ، وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ، ثم هجموا عليهم ، ودخلوا اليهم ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويقدمهم طبلهم ، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم « أولاد الخادم » — وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ، ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان .. وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ! فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم ، فلم يمكنهم التغيب ، خوفا على نهب الدور ، وغير ذلك .. فظهروا لهم فأخذوهم الى خارج البلد ، وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها ، يأخذون فى كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منوف ، وحبسوهم أياما ، ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الحرابة بمصر . فلما انقضت تلك الأيام ، وسرحوا فى البلاد .. نزلت طائفة الى طنتداء ، وهم بصحبتهم ، وقرروا عليهم أحدا وخمسين ألف ريال فرانسة ، وعلى أهل البلدة كذلك ، بل أزيد ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم ، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام ، وطالبوه بالمال . وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه فى الشمس فى قوة الحر والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخات فى جسده .

ثم أخذوا خليفة المقام أيضاً وذهبوا به الى منوف ، ثم ردوه وولوه رياسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد . فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك .

واستمروا على ذلك الى انقضاء العام ، حتى أخذوا عساكر المقام — وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال — وأما المحلة الكبرى فانهم رجعوا عليها ، وقرروا عليها نيفا ومائة ألف ريال فرانسة ، وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها ، وهجموا دورها ، وتتبع المياسير من أهلها .

كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم منها ، ومن طنتداء . والتعنت عليهم وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب . فانهم معظم البلاء أيضا ، فانهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ، ويشيعون أحوالهم ، ويتجسسون على عوراتهم ، ويغرون بهم .

واستمروا على ذلك أيضا . « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

ومنها : أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية ، أرسل الوزير فرمانات للثغور باطلاق الأسافيل وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها الى ثغر سكندرية ، وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثمانى .

فلما قربوا من الثغر ، أقاموا البندبرات ، وضربوا مدافع للشنك ، فطمعهم الفرنساوية ، وأظهروا لهم المسالمة ، وأظهروا لهم بنديرة العثمانى. فدخلوا الى المينا ، ورموا مراسيهم ، ووقعوا فى



الكاشف ومساعدوه بالريف يجبون الفرائض

فخ الفرنسيس ، فاستولوا على الجميع ، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا الملاحين والمتسببين من البحرية والنصارى الأروام ، وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحا ، وزيوهم بزيهم ، وأضافوهم الى عسكرهم ، وأرسلوهم الى مصر . فكانوا أقبح مذكور فى تسلطهم على ايذاء المسلمين .

ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضائع وياميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم . وبقى الأمر على ذلك ، وكان ذلك فى أواسط شهر القعدة .

ومنها : أنه بعد نقض الصلح ، أرسل الفرنسيس عسكرا الى متسلم السويس الذى كان تولاها من طرف العثمانية ، فتعصب معه أهل البندر ، فحاربوهم ، فغلبهم الفرنسيس وقتلوهم عن آخرهم !

ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها : ان مراد بيك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح ، أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد ، من أغنام وخيول وميرة — وكان شيئا كثيرا — فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا الى الجهة الشرقية متوجها الى الشام . وأرسل مراد بيك جميع ذلك للفرنساوية بمصر .

ومنها أيضا : أنه بعد انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسيس على المخازن والغلال التى كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية ، وبعض البلاد الغربية والقليوبية ، وكذلك الشعير والأتبان .. طلب الفرنساوية مثل ذلك من البلاد ، وقرروا على النواحى غلالا وشعيرا وفولا وتبنا وزادا وخيلا وجمالا ، فوقع على كل اقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها للوسايط وهو نحو ثمنها أو أزيد .

وكذلك التعنت فى نقض الغلال وغربلتها وغير ذلك . وكل ذلك بارشاد القبطة وطوائف البلاد ، لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال . ونزل كل كبير منهم الى اقليم ، وأقام بسرة الاقليم مثل الأمير الكبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وهو فى أبهة عظيمة ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب . وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسة والمقدمون وبأيدهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة .

ويرسل الى ولايات الاقليم من جهته المستوفين من القبط أيضا بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر

من الفرنساوية والطوائف والجاويشية والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور . فينزلون على البلاد والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ، ويؤجلونهم بالساعات فان مضت ولم يوفوهم المطلوب ، حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبى وخصوصا اذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، والا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ، وسحبوهم معهم فى الحبال ، وأذاقوهم أنواع النكال ، وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات ، وانضم اليهم الأسافل من القبط ، والأراذل من المنافقين ، وتقربوا اليهم بما ستميلون قلوبهم به ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم ، ومايوجب الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم ، الى غير ذلك مما تتعذر ضبطه « وماكنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون » .

* * *

ومات فى هذه السنة ، السيد الأفضل ، والسند الأكمل ، المقرى ابن المقرى ، والفهامة الذى بكل فن على التحقيق يدرى ، بدر أضاء فى سماء العرفان ، وعارف وضح دقائق المشكلات باتقان ، فلله دره من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها ، وكشف عن محدرات الفهوم لثامها ، فأظهر الأنفس من نفيسها والأعز من عزيزها ، فلا غرو ، فانه بذلك حقيق .. كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التى به تليق — العلامة الشريف الحسن بن على البدرى العوضى .

ربى فى حجر أبيه ، وحفظ القرآن والمتون ، وأخذ عن أبيه علم القراءات ، وأتقن القراءات الأربع عشرة ، بعد أن أتقن العربية والفقه وباقى العلوم .

وحضر أشياخ الوقت ، وتمهر وأنجب وقرأ الدروس ، ونظم الشعر الجيد ، وشهد له الفضلاء

وله تآليف وتقييدات وتحقيقات ، ورسائل فى فنون شتى ، ورسالة بليغة فى قوله تعالى : « أستكبرت أم كنت من العالين » . وكان الباعث له على تأليفها ، مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفى فى تفسير الآية بمجلس على بيك الدفتردار . فظهر بها على الشيخ المذكور ، وأجازه الأمير المذكور بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسينى ، ورتب له معلوما بوقفه .. وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة ، يستغلها من جانب الوقف فى كل شهر .

واستمر يقبضها حتى مات فى شعبان من هذه السنة رحمه الله . ولم يخلف بعده مثله فى الفضائل والمعارف .

المحرم

الخميس ٥ منه (٢٩ مايو ١٨٠٠ م) :

أصعدوا الشيخ السادات (١) الى القلعة ، وكان أرسل الى كبار القبط بأن سعوا فى قضيته ورهن حصصه ، ويغلق الذى عليه . فردوا عليه بأنه لابد من تشهيل قدر نصف الباقى أولا ، ولا يمكن غير ذلك . وأما الحصص فليست فى تصرفه .

ولما تكرر ارساله للنصارى وغيرهم نقلوه الى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهى المرة الثالثة .

وفيه : أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم الى ثغر سكندرية ، وسافر سارى عسكر كليبر وصحبته العساكر الفرنساوية فغاب أياما ثم عاد الى مصر ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفيه : طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم ، وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك . وأرسلوا الى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم الى مصر وأضافوهم الى العسكر .

(١) جاء فى مذكرات نابليون خاصا باتهام الفرنسيين للسادات بالتحريض على ثورة القاهرة الاولى وما رآه نابليون من الابقاء عليه لما اعتقده من أن الحكم باعدامه يضر بمركز الفرنسيين اكثر مما ينفعهم . ويقول نابليون فى مذكراته أن الجنرال كليبر راجعه فى رايه هذا عقب اخماد الثورة الاولى (اكتوبر ١٧٩٨ م) وساله كيف لايقضى باعدامه وهو زعيم الثورة . فاجابه نابليون ان اعدام مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدى الى عواقب وخيمة . ويقول نابليون أيضا « وقد وقعت بعد ذلك حوادث اثارت ذكرى هذه الحادثة فان الشيخ السادات هذا هو الذى امر الجنرال كليبر بتعذيبه وضربه وكان هذا من اهم الاسباب التى أدت الى مقتل كليبر » .

(عبد الرحمن الرافعى – تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ١٨٦)

السبت ٢١ منه (١٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

أعادوا الشيخ أحمد العريشى الى القضاء كما كان ، وعملوا له موكبا ، وركب معه أعيان الفرنسيس وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم ، والمشايخ والتجار والأعيان ، وبجانبه قائمقام عبد الله مينو الذى كان سارى عسكر برشيد . فلم يزالوا معه حتى أوصلوه الى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة .

وفيه : وقعت نادرة عجيبة ، وهى أن سارى عسكر كليبر (١) كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذى بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حلبى وقصده فأشار اليه بالرجوع وقال له : «مافيش» وكررها فلم يرجع . وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر فى قضائها . فلما دنا منه مد اليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده ، فمد اليه الآخر يده فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط الى الأرض صارخا ، فصاح رفيقه المهندس فذهب اليه وضربه أيضا ضربات وهرب . فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحا وبه بعض الرمق ، ولم يجدوا القاتل . فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين . وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل .

واجتمع رؤساؤهم ، وأرسلوا العساكر الى الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل

(١) كان كليبر يقيم فى ذلك الحين بالجيزة ريثما يتم اصلاح سراى الالفى بيك بالأزبكية .

(عبد الرحمن الرافعى – تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ١٩٣)

أهل مصر . فاحتاطوا بالبلد ، وعمروا المدافع ، وحرروا القنابر وقالوا : « لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم » (١) .

ووقعت هوجة عظيمة فى الناس وكرشة وشدة انزعاج ، وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال .

ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حائط متهدم ، فقبضوا عليه فوجدوه شاميا . فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حلبيا واسمه سليمان . فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقائه ، وهل أخبر أحدا بفعله ؟ وهل شاركه أحد فى رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ؟ وكم له بمصر من الأيام أو الشهور ، وعن صنعته وملته ؟ وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال . فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك ، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد . وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا فى الجهات والنواحى يتفرسون فى الناس ، فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ، ورأوهم يسألون من الفرنسيس عن الخبر ، فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك .

ثم انهم امروا باحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى القاضى ، وأعلموهم بذلك وعوقوهم الى نصف الليل ، وألزموهم باحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل ، وأنه أخبرهم بفعله . فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا الى الجامع الأزهر . وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية .

ثم انهم رتبوا صورة محاكمة (١) على طريقتهم فى دعاوى القصاص ، وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل ، وأطلقوا مصطفى افندى البرصلى ، لكونه لم يخبره بعزمه وقصده ... فقتلوا الثلاثة المذكورين (٢) لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيس ، فكأنهم شاركوه فى الفعل . وانقضت الحكومة على ذلك . وألفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها ، وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث : الفرنساوية والتركية والعربية .

وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة ، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين . وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم .. رجل آفاقى أهوج ، وغدره . وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم صارى عسكرهم وأميرهم ، بل رتبوا حكومة ومحاكمة ، وأحضروا

---

(١) اتجهت انظار الفرنسيين فى بادىء الامر الى اتهام المشايخ الذين عرفوا بالتحريض على الثورة الاخيرة والحض على كراهية الحكم الفرنسي واخذ ولاة الامور يبحثون عنهم وتطوع جماعة من المماليك برآسة حسين كاشف مندوب مراد بيك للبحث عن أولئك المشايخ ، واستصحبهم بعض ياوران القائد العام وفتشوا منازلهم ولكنهم لم يجدوا مايدينهم او يبعث على الاشتباه فيهم .
(عبد الرحمن الرافعى – تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ١٩٩)

(١) اصدر مينو فى اليوم نفسه امرا بتاليف محكمة عسكرية لمحاكمة قتلة كليبر ، وهذه المحكمة مؤلفة من تسعة اعضاء من كبار رجال الجيش وكانت رياسة المحكمة للجنرال رينيه .
(عبد الرحمن الرافعى – تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ١٠٩)

(٢) اقر سليمان الحلبى بان المحرضين له هم : احمد الواريس اغا من ضباط الجيش العثمانى ومحمد افندى من الازهريين ، والمدرس التركى (مصطفى افندى البروسه) . وكان سير التحقيق متجها الى جمع البينات لاثبات علم الشيخ الشرقاوى بنية القاتل قبل ارتكابه الجناية . ولكن التحقيق لم يسفر عن ادانة الشيخ الشرقاوى او غيره من كبار العلماء .
(عبد الرحمن الرافعى – تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ٢٠١)

القاتل ، وكرروا عليه السؤال والاستفهام : مرة بالقول ، ومرة بالعقوبة . ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ، ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم . وأطلقوا مصطفى افندى البرصلى الخطاط ، حيث لم يلزمه حكم ، ولم يتوجه عليه قصاص .. كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور ، بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ، ويزعمون أنهم يجاهدون ، وقتلهم الأنفس ، وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية ، مما سيتلى عليك بعضه بعد .

***

وصورة ترجمة الأوراق المذكورة :

بيان شرح الاطلاع على جسم صارى عسكر العام كلهبر

« يوم الخامس والعشرين من شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ..

« نحن الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم والجرايحى من اول مرتبة ، الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته ... انتهينا ، حصة ساعتين بعد الظهر ، الى بيت صارى عسكر العام فى الازبكية بمدينة مصر . وكان سبب روحتنا هو اننا سمعنا دقة الطبل وغاغة الناس التى كانت تخبر ان سارى عسكر العام كلهبر انغدر وقتل . . وصلنا له فرايناه فى آخر نفس . فحصنا عن جروحاته فتحقق لنا انه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد . وجروحاته كانت اربعة : الاول منها تحت البز فى الشقة اليمنى الثانى أوطى من الأول جنب السوة . الثالث فى الدراع الشمال نافذ من شقه لشقه . والرابع فى الخد اليمين .. فهذا حررنا البيان بالشرح فى حضور الدفتردار سارتلون الذى وضع اسمه فيه كمثلنا لاجل ان يسلم البيان المذكور الى سارى عسكر مدبر الجيوش » .

(تحريرا فى سراية سارى عسكر العام فى النهار والسنة المذكورة فى الساعة الثالثة بعد الظهر بامضاء باش حكيم وخط الجرايحى من اول مرتبة كازابيانكا) .

والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

« نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجرايحى من اول مرتبة ، الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته : انطلبنا من الدفتردار سارتلون اننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس ، وعضو من اعضاء مدرسة العلماء فى بر مصر ، الذى انغدر هو ايضا فى جنب سارى عسكر العام كلهبر مدبر الجيوش ، ومضروب ستة امرار بسلاح مدبب وله حد . وهذا بيان الجروحات :

« الأول فى جنب الصدغ . الثانى فى الكف فى عظمة الأصبع الخنصر . الثالث بين الضلوع الشمالية . الخامس (1) فى الشدق الشمالى . والسادس فى الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق .

« ثم الى تأييد ذلك وضعنا اسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون » .

(تحريرا فى سراى سارى عسكر مدبر الجيوش فى اليوم والشهر والسنة والساعة المرقومة أعلاه بامضاء باش حكيم وخط الجرايحى من اول مرتبة كازابيانكا) .

***

والدفتردار سارلتون عن :

اول فحص سليمان الحلبى

نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . فى بيت سارى عسكر داماس مدبر الجيوش ... واحد فسيال من ملازمين بيت سارى عسكر العام ، حضر وبيده ماسك راجل من اهل البلد ، مدعيا أن هذا هو الذى قتل سارى عسكر العام كلهبر ، المتهوم المذكور انعرف من الستوين بروتاين المهندس الذى كان مع سارى عسكر حين انغدر ، لأنه ايضا انضرب برفقته بالخنجر ذاته ، وانجرح بعض جروحات .

« ثانيا المتهوم المذكور ، كان اتشاف بين جماعة صارى عسكر من حد الجيزة ، وانوجد مخبى فى الجنينة التى حصل فيها القتل ، وفى الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذى به انجرح سارى عسكر ، وبعض حوائج أيضا بتوع المتهوم . فحالا بدىء الفحص بحضور صارى عسكر مينو الذى هو أقدم اقرانه فى العسكر ، وتسلم فى مدينة مصر .

(1) سقط « الرابع » من عبارة الأصل .



سليمان الحلبى

« والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان صارى عسكر العام ، ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذى احضره صارى عسكر مينو لأجل ذلك المتهوم المذكور .

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ... فجاوب : انه يسمى سليمان ، ولادة بر الشام ، وعمره اربعة وعشرون سنة ، ثم صنعته كاتب عربى ، وكانت سكنته فى حلب .

سئل : كم زمان له فى مصر ؟ فجاوب : انه بقى له خمسة اشهر ، وانه حضر فى قافلة وشيخها يسمى سليمان بوريجى .

سئل عن ملته .. فجاوب : انه من ملة محمد وانه كان سابقا سكن ثلاث سنين فى مصر ، وثلاث سنين اخرى فى مكة والمدينة .

سئل : هل يعرف الوزير الأعظم ؟ وهل له مدة ماشافه ؟ فجاوب : انه ابن عرب ، ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم !

سئل عن معارفه فى مدينة مصر .. فجاوب : انه لم يعرف احدا واكثر قعاده فى الجامع الأزهر . وجملة ناس تعرفه ، واكثرهم يشهدون فى مشيه الطيب .

سئل : هل راح صباح تاريخه الجيزة ؟

فجاوب : نعم ، وأنه كان قاصد يتشبك كاتب عند احد ، ولكن ما قسم له نصيب .

سئل : عن الناس الذين كتب لهم أمس .

فجاوب : أن كلهم سافروا .

سئل : كيف يمكن انه لم يعرف احداً من الذين كتب لهم فى الأيام الماضية ؟ وكيف يكونون كلهم سافروا ؟ فجاوب : انه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم ، وأن غير ممكن ان يفتكر اسماهم .

سئل : من هو الآخر فى الذين كتب لهم ؟ فجاوب : انه يسمى محمد مغربى السويسى بياع عرق سوس ، وانه ما كتب لأحد فى الجيزة .

سئل ثانيا عن سبب روحته للجيزة دائما .

فجاوب : انه كان قاصدا أن ينشبك كاتبا .

سئل : كيف مسكوه فى جنينة صارى عسكر ؟ فجاوب : انه ما انمسك فى الجنينة بل فى عارض الطريق .

فذاك الوقت انقال له : أنه ما ينجيك الا الصحيح ، لأن عسكر الملازمين مسكوه فى الجنينة ، وفى المحل ذاته انوجدت السكينة . وفى الوقت انعرضت عليه . فجاوب : صحيح انه كان فى الجنينة ولكن ما كان مستخبى بل قاعد ، لان الخيالة كانت ماسكة الطرق ، وما كان يقدر أن يروح للمدينة ، وانه ما كان عنده سكينة ، ولم يعرف ان كان هذا موجود فى الجنينة .

سئل : لأى سبب كان تابع صارى عسكر من الصبح ؟ فجاوب : أنه كان مراده فقط يشوفه .

سئل : هل يعرف حتة قماش خضرة التى باينة مقطوعة من لبسه ؟ وكانت انوجدت فى المحل الذى اتغدر فيه صارى عسكر) . فجاوب : بان هذه ما هى تعلقه .

سئل : ان كان تحدث مع احد فى الجيزة ، وفى اى محل نام ؟ فجاوب : انه ما تكلم مع ناس الا لأجل مشترى بعض مصالح وانه نام فى الجيزة فى جامع .

فاشاروا له على جروحاته التى ظاهرة فى دماغه وقيل له : إن هذه الجروحات بينت انه هو الذى غدر سارى عسكر ، لأن ايضا الستوين بروتاين الذى كان معه عرفه وضربه كم عصايه الذين جرحوه. فجاوب : انه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه .

سئل : هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف او مع مماليكه . فجاوب : إنه ما شافهم ولا كلمهم .

فلما ان كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، امر صارى عسكر أنهم يضربونه ... حكم عوائد البلاد ! فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يقر بالصحيح . فارتفع عنه الضرب ، وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد كما هو مشروح .

سئل : كم يوم له فى مدينة مصر ؟ فجاوب : انه له واحد وثلاثين يوما ، وانه حضر من غزة فى ستة ايام على هجين .

وسئل : لاى سبب حضر من غزة ؟ فجاوب : لاجل ان يقتل صارى عسكر العام .

سئل : من الذى ارسله لأجل ان يفعل هذا الامر ؟ فجاوب : انه ارسل من طرف اغات الينكجرية ، وانه حين رجع عساكر العثملى من مصر الى بر الشام ، ارسلوا الى حلب بطلب شخص يكون قادراً على قتل صارى عسكر العام الفرنساوى . ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة أن يقدموه فى الوجاقات ويعطوه دراهم . ولاجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا .

سئل : من هم الناس الذين تصدروا له فى هذه المادة فى بر مصر ؟ وهل سار راحداً على نيته ؟ فجاوب : ان ما احد تصدر له ، وانه راح سكن فى الجامع الازهر . وهناك شاف السيد محمد الغزى ، والسيد احمد الوالى ، والشيخ عبد الله الغزى ، والسيد عبد القادر الغزى الذين ساكنون فى الجامع المذكور ، فبلغهم على مراده ، فهم اشاروا عليه انه يرجع عن ذلك لان غير ممكن ان يطلع من يده ويموت فرط ، وإن كان لازم يشخصوا واحدا غيره فى قضاء هذه المادة . ثم إنه كل يوم كان يتكلم معهم فى الشغل المذكور . وان امس تاريخه قال لهم : إنه رائح يقضى مقصوده ويقتل سارى عسكر . وانه توجه الى الجيزة حتى ينظر إن كان يطلع من يده ، وان هناك قابل البواتية بتوع قنجة سارى عسكر .. فاستخبر عليه منهم إن كان يخرج برا . فسالوه : إيش طالب منه ؟ فقال لهم : إن مقصوده يتحدث معه . فقالوا له : إنه كل ليلة ينزل فى جنينته .

ثم صباح تاريخه شاف صارى عسكر معديا للمقياس ، وبعده ماشى الى المدينة ، فتبعه لحين ما غدره » .

هذا الفحص صار من حضرة صارى عسكر مينو بحضور باقى صوارى العساكر الكبار وملازمين ببيت صارى عسكر العام ، ثم انختم بامضاء صارى مينو والدفتردار سارتلون فى اليوم والشهر والسنة



كليبر

المحررة اعلاه . ثم انقرا على المتهوم وهو ايضا خط يده واسمه بالعربى سليمان ...

إمضاء : سارى عسكر عبد الله مينو . إمضاء : صارى عسكر داماس . امضاء : الجنرال والتين . امضاء : الجنرال موراند . امضاء : الجنرال مارتينه . امضاء : دفتردار البحر لروا . امضاء : الدفتردار سارتلون . امضاء : الترجمان لوماكا . امضاء : الترجمان حنا روكه . امضاء : داميانوس براشويش كاتم السر وترجمان صارى عسكر العام .

* * *

فحص الثلاثة مشايخ المتهمين

نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثامنة بعد الظهر . . حضروا فى منزل صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية : السيد عبد الله الغزى ، ومحمد الغزى ، والسيد احمد الوالى — وهم الثلاثة متهومين فى قتل سارى عسكر العام كلهبر — لسارى عسكر مينو امر بفحصهم ، فبدىء ذلك حالا فى حضور بعض صوارى العساكر المجتمعين لذلك ، وبواسطة

الستوين لوماكا الترجمان ، كما يذكر ادناه . . .
السيد عبد الله الغزى هو الذى سئل أولا لوحده .

سئل : عن اسمه وعن مسكنه وصنعته ..
فجاوب : انه يسمى السيد عبد الله الغزى ، ولادة غزة ، ومسكنه فى مصر فى الجامع الأزهر . وهناك كان كاره مقرىء القرآن ، وانه لم يعرف كم عمره ، ولكن تخمينه يجيء ثلاثين سنة .

سئل : إن كانت سكنته فى الجامع الأزهر . هل يعرف جميع الغرباء اللذين يدخلونه ؟ فجاوب : انه ساكن ليل ونهار ، ويعرف الغرباء اللذين فيه .

سئل : هل يعرف رجلا حضر من بر الشام من مدة شهر ؟ فجاوب : أن من مدة خمسين يوم ماشاف احدا حضر من بر الشام. فقيل له : إن رجلا من طرف عرضى الوزير — حضر من مدة ثلاثين يوما — قال : إنه يعرفك . والظاهر انك لم تتكلم بالصدق . فجاوب : انه ملهى دائما فى وظيفته ، وانه ما شاف احدا من بر الشام ، بل سمع أن قافلة كانت وصلت من ناحية الشرق . فقيل له ايضا : إن ناسا حضروا من بر الشام ، يقولون انهم تكلموا معه ويعرفونه . فجاوب : ان هذا غير ممكن ، وانهم يقابلوه مع الذى فتن عليه .

سئل : هل يعرف واحدا اسمه سليمان ، كاتب عربى ، حضر من حلب من مدة ثلاثين يوما ؟ فجاوب : لا . فقيل له : إن هذا الرجل يحقق انه شافه ، وانه اخبره ببعض أشياء لازمة . فجاوب : انه ما شافه ، وان هذا الرجل كذاب ، وانه يريد أن يموت إن كان ما يحكى الصحيح .

.. فحالا صارى عسكر نده الى محمد الغزى — الذى هو ايضا متهوم فى قتل صارى عسكر — وبدىء الفحص كما يذكر :

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته .
فجاوب : انه يسمى الشيخ محمد الغزى ، وعمره نحو ٢٥ سنة ، وولادة غزة ، وسكن بمصر فى الجامع الأزهر ، ثم صنعته مقرىء القرآن من مدة خمس سنين . وما يخرج من الجامع إلا لكى يشترى ما ياكل .

سئل : هل يعرف الغرباء الذين يجيئون يسكنون فى الجامع ؟ فجاوب : ان فى بعض الأوقات يحضر ناس غرباء . واما البواب فهو الذى يقارشهم . ومن قبله ينام بعض ليالى فى الجامع ، والبعض فى بيت الشيخ الشرقاوى .

سئل : هل يعرف رجلا يسمى سليمان حضر من بر الشام من مدة ثلاثين يوما ؟ فجاوب : انه لم يعرفه ، وانه غير ممكن ان يشوف كل الناس ، لأن الجامع كبير قوى .

سئل انه يحكى على الذى تكلم به معه سليمان ، فان المذكور يحقق انه تكلم معه فى الجامع . فجاوب : انه يعرفه من مدة ثلاث سنين ، وانه كان عنده خبر أنه راح مكة . واما من بعده ما شافه ، ولم يعرف إن كان رجع ام لا ؟

سئل : هل السيد عبد الله الغزى يعرفه ايضا ؟ فجاوب : نعم . فقيل له : محقق أن امس تاريخه سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة ، وان الشواهد موجودة . فجاوب : ان هذا صحيح .

سئل : لأى سبب كان بدا يقول إنه ما شافه ؟ فجاوب : ان تخمينه ما قال هذا ، وان المترجمين غلطوا .

سئل : هل سليمان المذكور ما بلغه عن شيء مذنب قوى ؟ وتحقيقا لذلك معلوم عندنا انه كان قصده يحوشه .. فجاوب : انه لم يعرف هذا الأمر ، وان سليمان المذكور راح وجاء كام مرة الى مصر ، وبقى له هنا مقدار شهر . فقيل له : إنه موجود شواهد أن سليمان المذكور كان اخبره ان مراده أن يغدر صارى عسكر العام ، وانه أراد ان يمنعه . فجاوب : انه ما بلغه عن هذا الامر ، بل امس تاريخه قال له : انه رائح ، ويمكن ان ما بقى يرجع .

فبعده احضرنا عبد الله الغزى لأجل يتفحص ثانيا كما يذكر ادناه .

سئل : لأى سبب قال إنه لم يعرف سليمان الحلبى حين سألوه عنه . بحيث إن موجودة شواهد ان هذا له فى مصر واحد وثلاثون يوما ، وانه تقابل وإياه جملة مرار ، وتحدث معه اكثر الايام ؟ فجاوب . حقا انه لم يعرفه .

سئل : هل يعرف واحدا يسمى محمد الغزى ، الذى هو مثله مقرىء القرآن فى جامع الأزهر ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله المذكور : لأى سبب انكر ذلك ؟ فجاوب : انهم لخبطوا عليه السؤال ، وأن هذا الوقت بحيث إنهم سألوه عن سليمان الذى من حلب ، فيقر انه يعرفه . فقيل له : إنه معلوم عندنا أنه شافه مرارا كثيرة ، وتحدث معه . فجاوب : انه بقى له ثلاثة ايام ما شافه .

سئل : هل إنه ما قصد يمنعه عن قتل سارى عسكر العام ؟ فجاوب : انه ما قال له أبدا على هذا الأمر ، وانه لو كان بلغه منه ذلك ، كان منعـه بكل قدرته .

سئل : لأى سبب ما يحكى الصحيح .. بحيث إنه موجودة عليه شواهد ؟ فجاوب : انه غير ممكن يوجد عليه شواهد ، وانه ما شاف سليمان المذكور إلا لأجل أن يسلموا على بعض حين تقابلوا .

سئل : هل سليمان ما اخبره ابدا عن سبب مجيئه إلى مصر ؟ فجاوب : حاشا .

فبعد ذلك اخروا الاثنين المذكورين ، واحضروا السيد احمد الوالى الذى هو متهوم ، وسئل كما يذكر .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ... فجاوب : انه يسمى السيد احمد الوالى ، ولادة غزة ، وصنعته مقرى القرآن فى الجامع الأزهر من مدة عشر سنين ، ولم يعرف كام عمره .

سئل : هل يعرف الغـرباء الذين يدخلون فى الجامع ؟ فجاوب : ان وظيفته يقرا ولا يتنبـه الى الغرباء . فقيل له : إن بعض الغرباء الذين حضروا هناك عن قريب يقولون إنهـم شافوه فى الجامـع ، فجاوب : انه ما شاف احدا .

سئل هل شاف رجلا حضر من بر الشام من طرف الوزير ، وهذا الرجل قال إنه يعـرفه ؟ . . فجاوب : لا ، وإن كان يقدروا يحضروا هذا الرجل حتى يقابله .

سئل هل يعرف سليمان الحلبى ؟ فجاوب : إنه يعرف واحداً يسمى سليمان الذى كان يروح يقرأ عند واحد افندى ، وكان طالب انه يستقيم فى الجامع ، وان هذا الرجل قال : إنه من حلب ، ومن مدة عشرين يوما كان شافه وبعدها ما قابله . ثم كان قال له : إن الوزير فى يافا وان عساكره ما كان عندهم دراهم ، وكانوا بفوتوه .

سئل : هل هذا الرجل المذكور ماهو تحت حمايته ؟ فجاوب : انه لم يعرفه طيبا حتى يضمنه .

سئل : هل الاثنـان الآخران المتهومان معارفه ؟ وهل ان الثلاثة تحدثوا سـواء عن قريب ام امس تاريخه مع سليمان المذكور ؟ فجاوب : لا ، بل انه يعرف ان سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع ، وانه وضع فى الجامع جلة اوراق مضمونها : انه كان قوى متعبدا لخالقه .

سئل : هل المذكور امس ايضا ما وضع اوراقا فى الجامع ؟ فجاوب : ان ماعنده خبر بذلك .

سئل : هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ ؟ فجاوب : انه ابدا ماحدثه بهذا الشيء ، ولكن قال له : إن مراده يفعل شيء جنون ، وانه عمل كل جهده حتى يرجعه .

سئل : إيش هوه الجنان الذى قاصـد يعملـه وحدثه عليه ؟ فجاوب : إنه قال له انه كان مـراده يغازى فى سبيل الله ، وان هذه المغازاة هى قتل واحد نصرانى ، ولكن ما أخبره باسمه ، وانه قصد يمنعه بقوله : إن ربنا أعطى القوة للفرنساوية ما احد يقدر يمنعهم حكم البلاد !

فبعد هذا المتهوم المذكور انشال لمحله . وهـذا الفحص تحتم بحضور صوارى العساكر المجموعين بامضاء صارى عسكر مينو والدفتردار سارتلون الذى هو ذاته حرر هذا الفحص بامر صارى عسكر مينو . ثم بعد قراءته على المتهومين . . . وضعوا اسماءهم وخطهم بالعربى .

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ..

ثلاثة امضاءات بالعربى . امضاء سارى عسكر مينو . امضاء الدفتردار سارتلون . امضاء الترجمان لوماكا .

* * *

سارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية بمصر :

((تاسيس))

المادة الأولى — ان ينشأ ديوان قضاة لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام كلهبر فى اليوم الخامس والعشرين من شهر بريريال .

المادة الثانية — القضاة المذكورون يكونوا تسعة . وهم : صارى عسكر رينيه ، صارى عسكر فرياند ،



رينيه

صارى عسكر روبين ، الجنرال موراند ، رئيس العمار بريراند ، الوكيل رجنيه ، دفتردار البحر لرو ، والدفتردار سارتلون فى وظيفة مبلغ ، والوكيل لبهر فى وظيفة وكيل الجمهور .

المادة الثالثة — القضاة المذكورون ينظر لهم كاتم سر .

المادة الرابعة — القضاة المذكورون مفوضون الامر فى الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدوا ، حتى إنهم يطلعوا على الذين لهم حصة فى الذنب المذكور ، او يكون عندهم خبره .

المادة الخامسة — القضاة المذكورون يتفقوا على العذاب اللائق الى موت القاتل ورفقائه .

المادة السادسة — القضاة المذكورون يجتمعوا من نهار تاريخه الذى هو السادس والعشرون من شهر برريال لحد خلاص الشريعة المذكورة .

إمضاء سارى عسكر مينو :

وهذه نسخة من الأصل . إمضاء : الجنرال رنه كتخدا مدبر الجيوش .

* * *

شرح اجتماع القضاة فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى

فى اليوم السادس والعشرين من شهر برريال — حكم امر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوى ، المحرر فى نهار تاريخه — اجتمعوا فى بيت صارى عسكر : رينيه المذكور ، وصارى عسكر روبين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه — عوضا عن صارى عسكر فريانت ، حكم امر صارى عسكر مينو — ثم الجنرال موراند ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس العمارة بريراند ، ورئيس المدافع فاور ، والوكيل رجنيه ، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ ، والوكيل لبهر فى وظيفة وكيل الجمهور ... لاجل قضاء شريعة قتل صارى عسكر العام كلهبر . الذى انغدر امس تاريخه .

القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم صارى عسكر رينيه ، وعلى قرار امر صارى عسكر مينو المشروح اعلاه ، وحكم المادة الثالثة المحررة فيه ... استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذى حلف كما هى العوائد ولزم وظيفته . ثم القضاة المذكورون وكلوا صارى عسكر رينيه والمبلغ الدفتردار سارتلون فى التفتيش والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر فى المادة الرابعة المحرره اعلاه . وهذا لكى يظهروا رفقاء القاتل ، ثم ان السكينة التى وجدت مع القاتل حين انمسك ، تبقى عند كاتم السر لاجل يظهرها فى الوقت الذى يلزم . ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه فى الساعة الرابعة « قبل ! » الظهر ، ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر .

امضاء الوكيل رجنيه . امضاء رئيس العمار بريراند . امضاء رئيس المدافع فاور . امضاء رئيس العسكر جرجه . امضاء الجنرال موراند . امضاء الجنرال مارتينه . امضاء دفتردار البحر لرو . امضاء صارى عسكر روبين . امضاء صارى عسكر رينيه . امضاء كاتم السر بينه .

إقرار الشهود

نهار تاريخه فى ستة وعشرين شهر برريال فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .. نحن الواضعون اسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون ، المسمى من حضرة صارى عسكر العام مينو امير الجيوش ، فى وظيفة مبلغ ... حكم الأمر الذى خرج من طرفه ، انتشار القضاة فى شرع القاتلين صارى العسكر العام كلهبر ، والسيتوين بينه المسمى من القضاة المذكورين فى مرتبة كاتم السر :

إنه حضر بين يدنا يوسف برين عسكرى خيال من الطبجية الملازمين بيت صارى عسكر العام ، وقال لنا هو ورفيقه خيال ايضا يسمى روبرت : مسكوا المسلم سليمان المتهوم فى غدر صارى عسكر العام ، وانهم وجدوه فى الجنينة التى معمول فيها الحمامان الفرنساويان الملتزقان بجنينة صارى عسكر ، وانهم راوه مخبا بين حيطان الجنينة المهدودة ، وان الحيطان المذكورة كانت ملغمطة بدم فى بعض نواحى ، وان سليمان المذكور كان ايضا ملغمطا بدم ، وانهم مسكوه فى هذه الحالة ، وان بعده التزموا يضربوه بالسيف لاجل يمشوه . ثم برين المذكور قال : إن بعد حوشة سليمان بساعة فى الموضع ذاته الذى كان مخبا فيه ، شاف سكينة بدمها ، وانه سلم السكينة فى بيت سارى عسكر العام . . . فقرينا إليه إقراره هذا ، وسالناه .. هل فيه شىء زائد ام ناقص ؟ فجاوب : ان هذا كل الذى فعله وعاينه . ثم حرر خط يده معنا ..

إمضاء : برين الخيال . إمضاء : سارتلون . إمضاء : كاتم السر بينه .

* * *

ثم حرر ايضا بين ايدينا الشاهد الثانى ، وهو السيتوين روبرت الخيال احد الطبجية الملازمين ، وقال : انه حين كان يفتش على الذى قتل صارى عسكر ... دخل فى الجنينة التى فيها الحمامان

الفرنساويان لزق جنينة صارى عسكر العام . وهناك شاف — برفقة برين المذكور — سليمان الحلبى مستخبى فى ركن حيطان مهدودة ، وكان ملغمط دم ، وفى راسه شرموطة زرقاء . وان فى هذه الحالة عرفت ان هذا هو القاتل ، وان الحيطان التى كان فات عليها كانت ايضا ملغمطة دم ، وان حين مسكوه بان منه وهم ، وان بعد حوشته بساعة شاف — برفقة السيتوين برين فى الموضع ذاته — سكينة بدمها ، وانهم سلموها فى بيت صارى عسكر العام . والسكينة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض . . . فقرانا عليه إقراره هذا ، ثم سألناه إن كان ما فيه زائد أم ناقص ؟ فجاوب : ان هذا هو الذى فعله وشافه . ثم حرر خط يده معنا .

(حرر بمدينة مصر فى النهار والشهر والساعة المحررة اعلاه . .

امضاء : روبرت الخيال . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

« انا الدفتردار سارتلون المبلغ ، رحت الى بيت السيتوين بروتاين ، لأنه كان راقدا بسبب جروحاته ، ثم استلمت منه التبليغ الآتى ادناه :

« انا حنا قسطنطين بروتاين ، المهندس وعضو من اعضاء مدرسة العلم فى بر مصر . . . انني كنت أتمشور تحت التكعيبة الكبيرة التى فى جنينة صارى عسكر وتطل على بركة الأزبكية ، وكنت برفقة صارى عسكر العام ، فنظرت رجلا لابسا عثملى خارج من مبتدا التكعيبة من جنب الساقية . فانا كنت بعيد كام خطوة عن صارى عسكر انادى على الغفراء ، فانتبهت لأجل اشوف السيرة . . . رايت ان الرجل المذكور يضرب صارى عسكر بالسكينة ذاتها كام مرة ، فارتميت على الأرض .

« وفى الوقت سمعت صارى عسكر يصرخ ثانيا ؟ بهميت ورحت قريبا من صارى عسكر ، فرايت الرجل يضربه فهو ضربنى ثانيا كام سكينة التى رمتنى وغيبت صوابى وما عدت نظرت شيئا . غير انني اعرف طيب اننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما احد يسعفنا » .

فبعده قريت هذا الاقرار على السيتوين بروتاين وسألته : هل فيه زائد أم ناقص ؟ فجاوب : أن هذا الذى فعله وعاينه . ثم حرر خط يده معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

والسيتوين بروتاين ، بعدما ختم الورقة اعلاه ؟ قال : « إن مقصوده يضيف عليها أن بعد غدر صارى



مصرع كليبر

عسكر بزمان قليل . . . حين شاف سليمان الحلبى الذى هو متهوم فى غدره وغدر صارى عسكر العام . . عرفه انه هو ذاته الذى كان ضرب صارى عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكينة غيبت صوابه .

فقرينا عليه ايضا هذه الاضافة ، فجاوب : انها حاوية الحق وما فيها زائد ولا ناقص ، ثم ختمها معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

نهار تاريخه ستة وعشرين فى شهر بريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . . انا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المأمور فى شرع قتلة صارى عسكر العام كلهبر : ذهبت الى مساعدين صارى عسكر المذكور لأجل ان اسمع إقرارهم ، ثم كان معى كاتم السر بينه ، وهم قالوا لنا كما يذكر ادناه :

السيتوين فورتونه دهوج ابن اربعة وعشرين سنة قسيال فى طابور الخيالة ، ومساعد عند صارى عسكر كلهبر . قال : « إنه فى اليوم الخامس والعشرين من شهر بريال ، كان مع صارى عسكر العام حين حضر الى الازبكية يشوف بيته الذى كان داير فيه العمارة ، وانه شاف رجلا بعمة خضراء ودلق وحش ، وكان دائما تابع صارى عسكر حين كان دائر يتفرج على المحلات . وانه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة ، فما احد ساله . ولكن حين نزل صارى عسكر من بيته الى الجنينة لأجل ينفذ الى جنينة صارى عسكر داماس . . السيتوين دهوج

شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة سارى عسكر ، فنهره وطرده برا . فبعد ساعتين — حين انغدر سارى عسكر — السيتوين دهوج المذكور عرف دلق الخائن ، لأنه كان رماه جنب سارى عسكر . وبعده ، حين انمسك الرجل ، فعرفه انه هو الذى قبل بشوية طرده من الجنينة . ثم قرئ هذا المضمون على السيتوين دهوج المذكور لأجل بيان : هل يوجد شئ خلافه يزيد ام ينقص ؟ فجاوب : ان هذا الحق حكم ما عاين وفعل . ثم حرر خط يده مع كاتم السر ..

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه ..

إمضاء : السيتوين دهوج . إمضاء : سارتلون . إمضاء بينه كاتم السر .

*** * ***

ثانى فحص سليمان الحلبى

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . نحن الواضعون اسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون برتبة مبلغ ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم سر القضاة المتقامين الى شرع كل من هو متهوم فى غدر سارى عسكر العام كلهبر :

احضرنا سليمان الحلبى لأجل نساله من اول وجديد عن صورة غدر وقتل سارى عسكر . وهذا صار بواسطة السيتوين براشويش ، كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ، كما يذكر ادناه :

سئل المذكور عن قصة سارى عسكر . . فجاوب : انه حضر من غزة مع قافلة حاملة صابون ودخان ، وانه كان راكب هجين ، وبحيث ان القافلة كانت خائفة ان تنزل بمصر . . توجهت الى ريف يسمى الغيطة فى ناحية الألفية . وهناك استكرى حمارا من واحد فلاح ، وحضر لمصر . ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار . ثم إن احمد اغا ، وياسين اغا — من اغوات الينكجرية بحلب — وكلوه فى قتل سارى عسكر العام ، بسبب أنه يعرف مصر طيب . . بحيث إنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات ، وانهم كانوا وصوه انه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر ، وان لا يعطى سره لأحد كليا ، بل يوعى لروحه ، ويكسب الفرصة فى قضاء شغله ، لأنها دعوة تحب السر والنباهة . ثم يعمل كل جهده حتى يقتل سارى عسكر . . لكن حين وصل الى مصر ، التزم يسارر الأربعة مشايخ الذين اخبر عنهم ، لأنه لو كان ما قال لهم ، فما كانوا يسكنونه فى الجامع ، وانه كان كل يوم يتحدث معهم فى هذا الأمر ، وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا عقله عن هذا الفعل بقولهم : إنه ما يقدر عليه ، وهو ما دعاهم لمساعدته ، لأنه كان يعرفهم بليدين ، وان اليوم الذى قصد التوجه فيه ليقتل سارى عسكر ، قابل احدهم — الذى هو محمد الغزى — فعرفه ان مقصوده ان يتوجه الى الجيزة ليفعل هذا الغدر ، وأن تحمينه انه مثل المجنون من حين اراد ان يقضى هذا الأمر ، لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزة لهذا الأمر . وأن الأوراق التى وضعها هى بعض آيات من القرآن ، لأنه عوائد الكتبة أولاد العرب . . . وضعوا ذلك فى الجامع ، وانه ما اخذ دراهم من أحد فى مصر ، لأن الأغوات كانوا اعطوا له كفايته . وان الأفندى الذى كان يروح يقرا عنده يسمى مصطفى افندى . وكان يقرا عليه نهار الاثنين والخميس تبع العادة . . ولكن ما اخبره بسر ، خوفا أن ينشهر . واما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح انه كان قال لهم كل شئ ، لأنهم من اولاد بلاده . ثم حقق لهم انه ناوى أن يغازى فى سبيل الله .

سئل : اين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر فى ابتداء شهر جرمنيال ، الموافق لشهر الاسلام ذى القعدة ؟ فجاوب : انه كان فى القدس حاجج من حين كان الوزير اخذ العريش .

سئل : اين شاف احمد اغا ، الذى يقول إنه عرض عليه مادة قتل سارى عسكر ، وفى أى يوم قال له ذلك ؟ فجاوب : انه حين انكسر الوزير رجع الى العريش وغزة فى اواخر شهر شوال او فى اوائل شهر ذى القعدة — الموافق لشهر جرمنيال الفرنساوى — وان احمد اغا المذكور هو من جملة اغوات الوزير ، ولكن كان رسم عليه فى غزة من حين اخذ العريش ، وحين رجع ارسله الى القدس فى بيت المتسلم . ثم إنه يوم وصوله توجه سلم عليه فى بيت المتسلم ، وشكا له من ابراهيم باشا متسلم حلب الذى كان يظلم اباه ، الذى يسمى الحاج محمد امين ، بياع سمن ، وحططوه غرامات زائدة . ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام . ثم وقع فى عرضه بشان ذلك . . ثم إنه رجع عند احمد اغا ثانى يوم ، وان الاغا فى وقتها قال له : إنه محب ابراهيم باشا ، وإنه ما يقصر ويوصيه فى راحة ابيه ، ولكن بشرط انه يروح يقتل امير الجيوش الفرنساوية .

ثم فى ثالث ورابع يوم كرر عليه ايضا هذا السؤال ، وحالا ارسله إلى ياسين اغا فى غزة لأجل ان يعطى له مصروفه ، وانه من بعد هذا الكلام بأربعة ايام سافر من القدس الى الخليل ، وهناك قعد كام

يوم ، وما وصله ولا مكتوب من احمد اغا . واما احمد اغا المذكور كان أرسل خداما الى غزة لأجل يخبر ياسين اغا بالذى اتفقوا عليه .

سئل : كام يوم قعد فى الخليل ؟ فجاوب : عشرين يوما .

سئل : لأى سبب قعد عشرين يوما فى الخليل ؟ وهل فى هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنين الأغوات ؟ فجاوب : أن السكة كانت ملآنة عرب ، وانه خائف منهم ، فالتزم يستنظر سفر القافلة التى سافر برفقتها ، وانه كان فى غزة فى أواخر شهر ذى القعدة ، الموافق لغرة فلوريال الفرنساوى .

سئل : إيش عمل فى غزة ؟ وإيش قال له ياسين اغا ؟ فجاوب : ان ثانى يوم وصوله راح شاف الأغا ، والمذكور قال له : إنه يعرف الشغل الذى هو سبب مشواره هذا . وانه أسكنه فى الجامع الكبير . وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ، ويتحدث معه فى هذا الأمر ، ووعده انه يرفع الغرائم عن ابيه ، وانه دائما يجعل نظره عليه فى كل ما يلزمه . ثم بلغه عن كل الذى كان لازم يفعله ، كما شرح أعلاه . وهذا صار سرا بينهم . ثم أعطى له اربعين قرشا لمصروف السفر . وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ، ووصل هنا بعد ستة أيام ، كما عرف سابقا ، وان سفره من غزة كان فى أوائل شهر ذى الحجة ، الموافق إلى نصف شهر فلوريال الفرنساوى ، فبقى باين انه جين غدر صارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما فى مدينة مصر .

سئل : هل يعرف الخنجر المغمط دم ، الذى قتل به صارى عسكر ؟ فجاوب : نعم يعرفه .

سئل : من اين احضر هذا الخنجر ؟ وهل احد من الأغوات أعطاه له ، ام احد خلافهم ؟ فجاوب : انه ما احد اعطاه له ، وإنما بحيث إنه كان قاصد قتل صارى عسكر ، توجه الى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه .

سئل : هل إن احمد اغا ، أو ياسين اغا ... ما حدثاه اصلا عن الوزير ، وعشموه بشىء من طرفه إن كان يقدر يقتل صارى عسكر ؟ فجاوب : لا ، بل إنهم ذاتهم وعدوه انهم يساعدوه فى كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشىء من يده .

سئل : هل إن الوزير نادى فى تلك النواحي بقتل الفرنساوية ؟ فجاوب : انه لا يعلم ، بل يعرف ان الوزير كان ارسل طاهر باشا لأجل يعين الذين كانوا بمصر . وانه رجع حين شاف العثملى مقبلين لبر الشام من مصر .

سئل : هل هو فقط الذى توكل فى هذه الارسالية ؟ فجاوب : ان تخمينه هكذا ، لأن هذا الكلام قد حصل سرا ما بينه وبين الأغوات .

سئل : كيف كان يعمل حتى إنه كان يعرف الأغوات بالذى فعله ؟ فجاوب : انه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم ، أو يرسل لهم حالا ساعى .

فبعد خلاص الفحص المذكور ، انقرا على المتهوم ، وهو حرر خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان .

حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه .

امضاء : سليمان الحلبى بالعربى . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

مقابلة المتهمين مع بعضهم

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ...

أنا الواضع اسمى فيه ، مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهوم فى قتل صارى عسكر العام كلهبر :

احضرنا الشيخ محمد الغزى لأجل نجدد فحصه ، ونقابله مع سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر . ولهذا كان موجود معنا السيتوين بينه كاتم سر القضاة المذكورين ، وصار كما يذكر ادناه :

سئل الشيخ محمد الغزى : هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل سليمان الحلبى : هل يعرف الشيخ محمد الغزى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل محمد الغزى : هل إن سليمان الحلبى ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوما إنه حضر من بر الشام من طرف احمد اغا وياسين اغا لاجل يقتل صارى عسكر العام ؟ وهل كل يوم ما حدثه فى هذا الشغل ، حتى إنه فى آخر يوم قال له إنه رائح الى الجيزة حتى يغدر صارى عسكر ؟ فجاوب : ان هذا ما له أصل .. لكن حين شافوا بعضا وقع بينهم سلام فقط . ومن قبل آخر يوم الذى نوى فيه سليمان على الرواح الى الجيزة .. جاب له ورق وحبر ، وقال له : إنه ما يرجع إلا غدا .. فقيل : إنه ما يخبر بالصحيح ، لأن سليمان يحقق انه اخبره بهذه السيرة كل يوم ، وأن عشية قبل غدر صارى

مصر كان قال له : إنه رائح لقضاء هذا الأمر .
فجاوب : ان هذا الرجل يكذب .

سئل : هل كان يروح مرارا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوى ؟ وهل فى الأيام الأخيرة ما راح بات عنده ؟ فجاوب : أن من حين دخول الفرنساوية ما راح أبدا بات عنده . وأما قبل دخول الفرنساوية كان يبيت عنده بعض مرار . فقيل له : إنه ما يحكى الصحيح ، لأن فى فحص امس قال : إنه كان يروح مرارا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوى . فجاوب : انه ما قال ذلك .

سئل سليمان الحلبى : هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بانه كل يوم كان يخبره على نيته فى قتل صارى عسكر ، وخصوصا عشية النهار الذى صباحه صار القتل ؟ فجاوب : نعم ، وانه ماقال إلا الصحيح ...

وان الشيخ محمد الغزى ما كان يقر بالحق ، امرنا بضربه ، كعادة البلد ! فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يحكى على كل شيء ... فارتفع عنه الضرب .

سئل : هل سليمان اخبره على ضميره فى قتل صارى عسكر ؟ فجاوب : ان سليمان كان قال له إنه حضر من غزة لأجل انه يغازى فى سبيل الله بقتل الكفرة الفرنساوية ، وانه منعه عن ذلك بقوله : إنه يحصل له من ذلك ضرر ، وما عرفه انه مراده يغدر صارى عسكر إلا الليلة التى راح فيها إلى الجيزة . وصباحها قتله .

سئل : لأى سبب ما حضر اخبرنا على سليمان المذكور ؟ فجاوب : انه ابدا ما كان يصدق ان واحدا مثل هذا يقدر على قتل سارى عسكر ، الذى الوزير بذاته ما قدر عليه !

سئل : هل اخبر بالذى قال له عليه سليمان لاحد من المدينة ، وخصوصا إلى الشيخ الشرقاوى ؟ فجاوب : انه ما اخبر احدا بذلك . وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك .

سئل : هل يعرف احدا خلاف سليمان حضر لأجل غدر الفرنساوية ؟ واين هم قاعدين ؟ فجاوب : انه ما يعرف ، وأن سليمان ما قال له على احد .

سئل سليمان المذكور ، انه يشهر رفقاءه .
فجاوب : انه لم يعرف احدا فى مصر ، وان تخمينه ما فيه غيره الذى قاصد قتل الفرنساوية .

فبعد هذا صرفنا محمد الغزى المذكور لحبسه ، وابقينا سليمان لأجل تقابله مع السيد احمد الوالى الذى حالا احضرناه لأجل ذلك .

سئل : هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا ؟
فجاوب : نعم .

سئل ايضا سليمان : هل يعرف السيد أحمد الوالى الموجود ههنا ؟ فجاوب هو ايضا : نعم .

سئل السيد أحمد الوالى : هل إن سليمان ما اخبره على نيته فى قتل صارى عسكر ، وخصوصا فى العشية التى قصد بها التوجه لذلك ؟ فجاوب : إن سليمان ، حين وصل من مدة ثلاثين يوما ، كان قال له إنه حضر حتى يغازى فى الكفرة ، وانه نصحه عن ذلك بقوله : إن هذا شيء غير مناسب . وما اخبره على سيرة صارى عسكر .

سئل سليمان المذكور انه يبين هل حدثه أحمد الوالى فى قتل صارى عسكر . وكم يوم له ما حدثه ؟ فجاوب : ان فى اوائل وصوله قال له : إنه حضر بقصد الغزو فى الكفار ، وان السيد احمد ما رضى له بذلك . ثم بعد ستة ايام أخبره على نيته فى قتل صارى عسكر ، ومن بعد ماعاد حدثه بذلك . وقبل الغدر باربعة أيام ما كان قابله . فقيل للسيد احمد الوالى : إنه لم يصدق فى قوله لانه ينكر ان سليمان ما اخبره بانه كان ناوى بقتل صارى عسكر .
فجاوب : الآن ، لما فكره سليمان ، افتكر أنه أخبره .

سئل : لأى سبب ما اشهر سليمان المذكور
فجاوب : إنه ما اشهره لسببين : الاول انه كان يخمن انه يكذب . والثانى : ما كان مستعنيه فى فعل مادة مثل هذه .

سئل : هل سليمان ما عرفه برفقائه ؟ وهل هو ما تحدث مع احد بذلك ، وخصوصا مع شيخ الجامع الذى هو ملزوم يخبره بكل مايجرى ؟ فجاوب : ان سليمان ما قال له على رفقائه . وهو ما اخبر بذلك احدا ، ولا ايضا شيخ الجامع .

سئل : هل يعرف الأمر الذى خرج من صارى عسكر العام بان كل من شاف عثملى فى البلد يخبر عنه ؟ فجاوب : انه ما درى بذلك .

سئل : هل سكن سليمان بالجامع لسبب انه قال له على مراده فى قتل صارى عسكر ؟ فجاوب : لا ... لان كل اهل الاسلام تقدر تسكن فى الجامع .

سئل سليمان : هل إنه ماقال بانهم ماكانوا يريدوا يسكنوه لولا انه قال لهم على سبب مجيئه لمصر ؟ فجاوب : إن كامل الغرباء لازم يخبروا عن سبب حضورهم . واما هو يقول الحق إن ما احد من المشايخ ارتضى على مقصوده .

فبعد هذا أرسلنا السيد احمد الوالي الى حبسه . وبقى سليمان الحلبي لأجل مقابلة السيد عبد الله الغزي الذي احضرناه في الحال .

سئل سليمان : هل يعرف السيد عبد الله الغزي الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزي : هل يعرف سليمان الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزي : هل ما بلغه نية سليمان في قتل سارى عسكر ؟ فجاوب واقر : ان يوم حضور سليمان عرفه انه حضر يغازي في الكفرة ، وانه مراده يقتل سارى عسكر ، وانه قصد يمنعه عن ذلك .

سئل : لاى سبب ما شكاه ؟ فجاوب : انه كان يظن ان سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار ، وان المذكورين كانوا يمنعوه . ولكن من الآن صار نخسر بالذين يحضرون بهذه النية .

سئل : هل يعرف ان سليمان اخبر احدا خلافه في مصر ؟ فجاوب : أن ما عنده علم بذلك .

سئل : هل يعرف ان موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين في قتل الفرنساوية ؟ فجاوب : ان ما عنده خبر . وأن تخمينه لم يوجد احد .

فبعد ذلك انقرا هذا الفحص على الاربعة المتهومين ، وهم . سليمان الحلبي ، ومحمد الغزي ، والسيد احمد الوالي ، والسيد عبد الله الغزي ... وسالوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ، ولا فيها زائد ولا ناقص ؟ فاربعتهم جاوبوا : لا . ثم حرروا خط يدهم معنا بالعربي ، برفقة الاثنين المترجمين ، وكاتم السر .

حرر بمدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه .

امضاء : المتهومين بالعربي . امضاء : الترجمان لوكاما . امضاء : دميا سومر براشويش ، كاتم السر ، وترجمان صارى عسكر العام . امضاء : المبلغ سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

بعد خلاص الفحص المشروح اعلاه ... انا المبلغ سارتلون سألت الاربعة المتهومين المذكورين انهم يختاروا لهم واحد ليتكلم عنهم قدام القضاة ويحامى عنهم . والمذكورون قالوا : إن ماهم عارفون من يختاروا . فأورينا لهم الترجمان لوماكا ، لاجل يمشى لهم في ذلك .

* * *

بيان فحص مصطفى افندى

نهار تاريخه ستة وعشرين شهر بريريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . انا المبلغ سارتلون ، وبينه كاتم سر القضاة .. المنتشرين لشرع كل من كان له جرة في قتل سارى عسكر العام كلهبر . احضرنا مصطفى افندى لكى نفحص منه على الذى قد حصل .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته . فجاوب : بأنه يسمى مصطفى افندى ، ولادة برصة في بر اناضول ، وعمره واحد وثمانون سنة ، وساكن في مصر . ثم صنعته معلم كتاب .

سئل : هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبي ؟ فجاوب : ان هذا الرجل مشدوده من مدة ثلاث سنين ، وانه من مدة عشرة أو عشرين يوما حضر عنده وبات ليلة . ومن حيث إنه رجل فقير قال له : يروح يفتش له على محل غيره .

سئل : هل سليمان المذكور ما اخبره انه حضر من بر الشام حتى يقتل سارى عسكر العام ؟ فجاوب : لا ، بل حضر عنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من قديم .

سئل : هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره لهذا الطرف ؟ وهل هو نفسه ما استخبر عن ذلك ؟ فجاوب : ان كل اجتهاده كان في أنه يصرفه من عنده بحيث إنه رجل فقير ، بل سأله عن سبب حضوره ، فاخبره لاجل يتقن القراءة .

سئل : هل يعرف بان سليمان راح عند ناس من البلد ، وخصوصا عند احد من المشايخ الكبار ؟ فجاوب : انه لا يعرف شيئا لانه ما شافه إلا قليلا ، وانه لم يقدر يخرج كثيرا من بيته بسبب ضعفه وكبره .

سئل : هل إنه ما يعلم القرآن إلا مشساديده ؟ فجاوب : نعم .

سئل : هل إن القرآن يرضى بالمغازاة ويامر بقتل الكفرة ؟ فجاوب : انه ما يعرف إيش هي المغازاة التى القرآن ينبى عنها .

سئل : هل يعلم مشاديده هذه الأشياء ؟ فجاوب : واحد اختيار مثله ما له دعوة في هذه الأشياء . بل إنه يعرف ان القرآن ينبى عن المغازاة ، وأن كل من قتل كافرا يكسب أجرا .

سئل : هل علم هذا الغرض لسليمان ؟ فجاوب : انه ما علمه إلا الكتابة فقط .

سئل : هل عنده خبر أن امس تاريخه رجل مسلم قتل سارى عسكر الفرنساوية ، الذى ما هو من

ملته ؟ وهل بموجب تعليم القرآن .. هــذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبى محمد ؟ فجاوب : ان القاتل يقتل . واما هو يظن ان شرف الفرنساوية هو من شرف الاسلام ! وإذا كان القــرآن يقول غـيره شيئا ، هو ما له علاقة .

فحالا قدمنا سليمان المذكور ، وقابلناه بمصطفى افندى . ثم سالناه : هل شاف مصطفى افنـدى مرارا كثيرة ؟ وهل بلغـه عن نيتـه ؟ فجاوب : انه ما شافه سوى مـرة واحدة لاجل انه يسلم عليه ، بحيث إنه معلمه القديم . وبما أنه رجـل اختيار ، وضعيف قوى ، ما راى مناسب يخبره عن ضميره .

سئل : هل هو من ملة المغازين ؟ وهل إن المشايخ سمحوا له فى قتل الكفار فى مصر ليكتب له اجر ، ويقبل عند النبى محمد ؟ فجاوب : انه ما فتح سيرة المغازاة إلا الى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم .

سئل : هل إنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوى ؟ فجاوب : انه ما شاف هذا الشيخ لانه ما هو من ملته بسبب أن الشيخ الشرقاوى شافعى وهو حنفى .

فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى افندى إقرارهمهذا . فجاوبوا : أن هذا هوالحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا . ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن .

حرر بمصر فى اليـوم والشهر والسنة المحررة اعلاه .

امضاء : الاثنين المتهومين بالعربى . امضـاء : لوماكا الترجمان . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

هذه الرواية المنقولة فى اليوم السابع والعشرين من شهر بريال السنة الثامنة من إقامة الجمهـور الفرنسـاوى ... عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل صارى عسكر العام كلهبر ، وايضا لمحاكمة شركاء القاتل المذكور .

« يا ايها القضاة . .إن المناحة العامة والحزن العظيم الذىنحن مشتملون بهما الآن ، يخبران بعظم الخسران الذى حصل الآن بعسكرنا ، لأن صارى عسكرنا فى وسط نصراته ومماجده ، ارتفع بغتة من بيننا بحد يد قاتل رذيل ، ومن يـد مستاجرة من كبـراء ذوى الخيانة والغيرة الخبيثة ... والآن انا معين ومامور لاستدعاء الانتقام للمقتول ، وذلك بموجب الشريعة ، من القاتل المسفور وشركائه كمثل اشنع المخلوقات . لكن دعونى ، ولو لحظة ، خالطا فيض دمـوع عينى وحسراتى بدموعكم ولوعاتكم ... التى بسببها هذا المفدى الأسيف والمكرم المنيف . فقلبى احتسب جدا احتياجه لتادية تلك الجـزية لمستحقها . فوظيفتى كانها ليست فى الرؤية إلا الما بتغريق المهيب بمـاء هذه المصنوعة الشنيعة التى بوقوعها ارتبكت .

« سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقى المكتوبات عما جرى منهم . وقط ما ظهر سيئة اظهر من هذه السيئة التى انتم محاكمون فيها ، من صفة الغدارين ببيان الشهود ، وإقرار القاتل وشركائه .

« والحاصـل كل شىء متحد ، ورامى الضياء المهيب لمناورة ذا القتل الكريه .. إنى انا راوى لكم سرعة الأعمال ، جاهد نفسى ، إن ظفرت ، لمنع غضبى منهم .. منها . فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها ، ان الوزير الأعظم سلطنة العثمانية ورؤساء جنـود عسكرها . . .رذلوا انفسهم حتى ارسلوا قتال معدوم العـرض إلى الجـرىء والأنجب كلهبر .. الذى لا استطاعوا تقهيره ، وكذلك ضموا الى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم الذى لم تر اسوأ منه قبل ... السماء والأرض .

« تذكروا جملتكم تلك الدول العثمانية المحاربين من اسلامبول ومن اقاصى ارض الروم وأناضول ، واصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسـخير وضبط بر مصر ، وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذى بمتفقيتهم بذاتهم مانعـوا إجراءها . والوزير اغرق بر مصر وبر الشام بمناداته ، مستدعى بها قتل عام الفرنسـاوية . وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم . وفى لحظة الذين هم اهالى مصر محتفين باغويات الوزير ، كانـوا محرومين شفقات ومكارم نصـيرهم . وفى دقيقة الذين هم اسـارى ومجروحين العثملية هم مقبـولين ومرعيين فى دور ضيوفنا وضعفائنا ... تقيد الوزير بـكل وجـوه بتكميل سوء غفارته تلوه منذ زمان طويل ، واستخدم لذلك اغا مغضوبا منه ، ووعد له إعادة لطفه وحفظ راسه الذى كان بالخطر إن كان يرتضى بذا الصنع الشنيع .

« وهذا المغوى هو احمد اغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير فى أوائل شـهر جرمينال المـاضى . والاغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد . وفى ذلك الملجا فهو مفتكر باجراء السوء الخبيث الذى يستثقل التقدير ، لا فهيم ولا معه تدبير ... سـيما هو عامل شىء لاجراء انتقام الوزير .

« وسليمان الحلبى شب مجنون ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا .

ظهر عند ذا الأغا يوم وصوله القدس ، ويترجى صيانته لحراسة ابيه ، تاجربحلب ، من اذيات ابراهيم باشا والى حلب ... يرجع له سليمان يوم غدره . فقد كان استفتش الأغا عن احتيال أصل وفصل ذا الشب المجنون ، وعلم انه مشتغل بجامع بين قراء القرآن ، وانه هو الآن بالقدس للزيارة ، وانه قد حج سابقا بالحرمين ، وان العته النسكى هو منصوب فى اعلى راسه المضطرب من زيغانه وجهالاته بكمالة إسلامه ، وباعتماده أن المسمى منه جهاد وتهليك الغير المؤمنين ، فمما انهى وايقن ان هذا هو الايمان . ومن ذلك الآن ما بقى تردد احمد اغا فى بيان ما نوى منه ، فوعد له حمايته وإنعامه . وفى الحال ارسله الى ياسين اغا .. ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة ، وبعثه بعد ايام لمعاملته ، واقبضه الدراهم اللازمة له . وسليمان قد امتلأ من خباثته ، وسلك بالطرق ، فمكث واحد وعشرين يوم فى بلد الخليل بجيزون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية .. وكل مستعجل .

« ووصل غزة فى اوائل شهر فلوريال الماضى ، وياسين اغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته . والمجنون يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أيام مكثه بغزة ... يعلمه . وبعد ما أعطاه اربعين غرشا اسديا ركبه بعقبية الهجين الذى وصل مصر بعد ستة ايام ، وممتن بخنجر ..

« دخل بأواسط شهرنا فلوريال الى مصر ... التى قد سكنها سابقا ثلاث سنين . وسكن ، بموجب تربياته ، بالجامع الكبير ، ويتحضر فيه للسيئة التى هو مبعوث لها ، ويستدعى الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة ، وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور أعلاه . وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قروا القرآن مثله ، وهم مثله مولودين ببر الشام . وسليمان اخبرهم بسبب مراسلته ، وكان كل ساعة معهم متوامرين به ، لكن ممنوعين بصعوبة ومخطرات الوحدة : محمد الغزى ، والسيد احمد الوالى ، وعبد الله الغزى ، وعبد القادر الغزى .. هم معتمدين سليمان بارثهان ما نواه ، ولا عاملو شىء لممانعته ، أو لبيانه . وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين ومشتركين فى قبحة القاتل . هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر ، فعقبه جزم توجهه الى الجيزة . وبذاك اليوم أعتمد سره الى الشركاء المذكورين أعلاه . وكان كل شىء صار سهل .. جزم القاتل بمصنوعته الشنيعة .

« وبيوم الغدوة طلع السر عسكر من الجيزة متوجها مصر ، وسليمان طوى الطرق ولحقه « هلقدر » حتى لزم أن يطردوه مرارا مختلفة ، لكن هو المكار عقيب غدر ... اتعداه .

« وفى يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجارى ، وصل واختفى فى جنينة السرعسكر لتقبيل يده . فالسر عسكر لا أبى عن قيافة فقره . وفى حال ما السر عسكر ترك له يده ، ضربه سليمان بخنجره ثلاثة جروح . وقصد الستوين بروتاين — الذى هو رئيس المعمار ومصاحب العرفاء — وجاهد لحماية السر عسكر ، لكن ما نفع جسارته ، فهو بذاته وقع أيضا مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات ، وبقى لا مستطيع شىء . وهكذا وقع بلا صيانة ، وهو الذى كان من الأماجد فى الحرب ، ومخاطرات الغزا . وهو أول الذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور الفرنساوى المنصور الرهن الرهين . وهو فتح ثانيا بر مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية . . . فكيف اقتدروا ضم الوجع العميق الجملة الى دموع الأجناد ، الى لوعات الرؤساء وجميع الجنرالية أصحابه بالمجاهدة والماجدة ... بالمناحة وموالهة العسكر ... انتم جميعا تنعوه ، والمحاسنات تستأهله وتنبغى له .

« القاتل سليمان ماقدر يهرب من مغاشاة الجيوش غضوبين له : الدم ظاهر فى ثيابه ، وخنجره واضطرابه ووحشة وجهه وحاله... كشفوا جرمه. وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ، ومسمى شركاه . وهو كمادح نفسه للقتل الكريه صنع يديه ، وهو مستريح بجواباته للمسائل ، وينظر محاضر سياسات عذابه بعين رفيعة . والرفاهية هى الثمر المحصول من العصمة والتفاوه ، فكيف تظهر بوجوه الآثمين ومسامحينهم ؟

« شركاء سليمان الأثيم كانوا مرتهنين سره للقتل الذى حصل من غفلتهم وسكوتهم . قالوا باطلا إنهم ما صدقوا سليمان هو مستعدد بذا الاثم ، وقالوا باطلا أيضا إن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا فى الحال شايعين خيانته . لكن الأعمال شهود تزور وتنبىء أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف مهلكتهم ومصممين تهلكة غيرهم ، ولا هم مستعذرين وجها من الوجوه ... لا حكى لهم شىء من مصطفى افندى : بما أن لا ظهر شىء عند ذاك الشيب يثبت معاقرته بشكل العذاب اللائق للمذنبين ، هو تحت اصطفاكم بموجب الأمر من الذى انتم مأمورون بعقيبه لمحاكمة السيئين . واظن ان يليق ان تصنعوا لهم من العذابات العادية ببلاد مصر . ولكن عظمة الاثم

تستدعى أن يصير عذابه مهيب . فان سألتونى اجبت انه يستحق الخوزقة ، وان قبل كل شىء تحترق يد ذا الرجل الاثيم ، وانه هو يموت بأعذابه ويبقى جسده لماكول الطيور . وبجهة المسامحين له يستحقون الموت لكن بغير عقوبة ، كما قلت لكم ونبهت !

« فليعلم الوزير ، والعثملية الظالمين تحت امره ، حد جزاء الأثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم المروءة ، انهم عدموا من عسكرنا واحد مقدام سبب دائمى دموعنا ولوعتنا الابدية ، فلا يحسبوا ولا يأملوا باقلال جزائنا .

« إنما خليفة السر عسكر المرحوم ، هو رجل قد شهر شجاعة ، ومضى قدماه بصفاء ضمير منير ، وهو مشار اليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور المنصور ، وهو يهدينا بالنصرة .

« واما اولئك المعدومين القلب والعرض ، فلا احرت وجوههم بانتقامهم ، وانهزامهم باق ، ثم عدم اعتبارهم بالتواريخ لابد انهم باقيين بالرذالة ، لا نفع لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ، ولعدم المبالاة حالا كشفتها لهم اثبت محاكمات ، كما يأتى بيانها :

اولا : ان سليمان الحلبى مثبت اسمه الكريه بقتل السر عسكر كلهبر . فلهذا هو يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه ، وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور .

ثانيا : ان الثلاثة مشايخ المسمين : محمد الغزى ، وعبد الله الغزى ، واحمد الغزى ، يكونوا متبينين منكم انهم شركاء لهذا القاتل ، فلذلك يكونوا مدحوضين بقطع رءوسهم .

ثالثا : ان الشيخ عبد القادر الغزى يكون مدحوضا بذلك العذاب .

رابعا : ان إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين لدفن السر عسكر وأمام العسكر ... وناس البلد لذاك الفعل موجودين فيه .

خامسا : ان مصطفى افندى تبين غير مثبوت مسامحته ، وهو مطلوق الى ما نوى .

سادسا : ان ذا الاعلام وبيناته وما جرى يطبع فى خمسة نسخ ، ويؤول من لسان الفرنساوى بالعربى والتركى لتلزيقها بمحلات بلاد بر مصر بكمالها بموجب المامور » .

حرر بمصر القاهرة فى اليوم السابع وعشرين من شهرنا بريال ، سنة ثمانية من إقامة الجمهور المنصور ... ممضى : سارتلون .

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين بامر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية فى مصر ، لاجل شرعية كل من له جرة فى غدر وقتل سارى عسكر العام كلهبر

فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، وفى اليوم السابع وعشرين من شهر بريال ... اجتمعوا فى بيت صارى عسكر رينيه المذكور ، وصارى عسكر روبين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه ، والجنرال مورانه ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس المدافع فاور ، ورئيس المعمار برترنه ، والوكيل رجينه ، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ ، والوكيل لبهر فى رتبة وكيل الجمهور ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم السر .

وهذا ما صار حكم امر سارى عسكر العام مينو أمير الجيوش الفرنساوية الذى صدر امس ، واقام القضاة المذكورين لكى يشرعوا على الذى قتل صارى عسكر العام كلهبر فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر ، ولكى يحكموا عليه بمعرفتهم . فحين اجتمعوا : القضاة المذكورين ، وصارى عسكر رينيه الذى هو شيخهم ، امر بقراءة الامر المذكور اعلاه ، الخارج من يد صارى عسكر مينو . ثم بعده المبلغ قرا كامل الفحص والتفتيش ، الذى صدر منه فى حق المتهومين ، وهم : سليمان الحلبى ، والسيد عبد القادر الغزى ، ومحمد الغزى ، وعبد الله الغزى ، واحمد الوالى ، ومصطفى افندى . فبعد قراءة ذلك ، امر صارى عسكر رينيه بحضور المتهومين المذكورين قدام القضاة — وهو من غير قيد ولا رباط — بحضور وكيلهم .. والابواب مفتحة قدام كامل الموجودين .

فحين حضروا ... صارى عسكر رينيه وكامل القضاة ، سالوهم جملة سؤالات ، وهذا بواسطة الخواجا براشويش الترجمان ، فهم ما جاوبوا إلا بالذى كانوا قالوه حين انفحصوا . فصارى عسكر رينيه سألهم ايضا : إن كان مرادهم يقولوا شىء مناسب لتبرئتهم ؟ فما جاوبوه بشىء . فحالا صارى عسكر المذكور امر بردهم الى الحبس مع الغفراء عليهم .

ثم إن صارى عسكر رينيه التفت الى القضاة وسألهم : إيش رايهم فى عدم حديث المتهومين ؟ وامر بخروج كامل الناس من الديوان ، وقفل المحل عليهم لاجل يستشاروا بعضهم من غير ان احدا يسمعهم .

ثم انوضع اول سؤال وقال : سليمان الحلبى ابن اربعة وعشرين سنة ، وساكن بحلب ، متهم بقتل

صارى عسكر العام وجرج السيتوين بروتاين المهندس . وهذا صار فى جنينة سارى عسكر العام فى خمسة وعشرين من الشهر الجارى ... فهل هو مذنب ؟ فالقضاة المذكورين ردوا — كل واحد منهم لوحده — والجميع بقول واحد : إن سليمان الحلبى مذنب .

السؤال الثانى : السيد عبد القادر الغزى مقرى قرآن فى الجامع الازهر ، ولادة غزة ، وساكن فى مصر متهوم انه بلغه بالسر فى غدر سارى عسكر العام ، وما بلغ ذلك ، وقصد الهروب ... فهل هو مذنب؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

ثم وضع السؤال الثالث ، وقال : محمد الغزى ابن خمسة وعشرين سنة ، ولادة غزة ، وساكن فى مصر ، مقرى قرآن فى الجامع الأزهر ، متهوم انه بلغه بالسر فى غدر سارى عسكر ، وانه — حين ذلك الغادر كان نوى الرواح لقضاء فعله — بلغه ايضا وهو ما عرف احدا بذلك ... فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال الرابع : عبد الله الغزى ابن ثلاثين سنة ، ولادة غزة ، ومقرى قرآن فى الجامع الأزهر ، متهوم انه كان يعرف فى غدر سارى عسكر ، وانه ما بلغ احداً بذلك . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال الخامس . احمد الوالى ، ولادة غزة ، مقرى قرآن فى جامع الأزهر ، متهوم ان عنده خبر فى غدر سارى عسكر ، وأنه ما بلغ احدا بذلك ... فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال السادس مصطفى افندى ، ولادة بورصة فى بر اناضول ، عمره واحد وثمانون سنة ، ساكن فى مصر ، معلم كتاب ، ما عنده خبر بغدر سارى عسكر . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة تماما جاوبوا بانه غير مذنب ، وامروا باطلاقه .

فبعد ذلك ... القاضى وكيل الجمهور ، طلب انهم يفتوا بالموت على المذنبين المشروحين اعلاه . فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لائق لموت المذنبين اعلاه . ثم بدأوا بقراءة خامس مادة من الأمر الذى اخرجه أمس سارى عسكر مينو بسبب ذلك ، والذى بموجبه اقامهم قضاة فى فحص وموت كل من كان له جرة فى غدر وقتل سارى عسكر العام كلهبر . ثم اتفقوا جميعهم ان يعذبوا المذنبين ، ويكون لائق للذنب الذى صدر . وافتوا ان سليمان الحلبى تحرق يده اليمين ، وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته الطيور . وهذا يكون فوق التل الذى برا قاسم بيك ، ويسمى تل العقارب ، وبعد دفن سارى عسكر العام كلهبر ، وقدام كامل العسكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد .

ثم افتوا بموت السيد عبد القادر الغزى مذنب ايضا ، كما ذكر أعلاه ، وكل ما تحكم يده عليه يكون حلال للجمهور الفرنساوى . ثم هذه الفتوى الشرعية تكتب وتوضع فوق البيت الذى مختص بوضع راسه . وايضا افتوا على محمد الغزى وعبد الله الغزى واحمد الوالى أن تقطع رءوسهم ، وتوضع على نبابيت ، وجسمهم يحرق بالنار . وهذا يصير فى المحل المعين اعلاه ، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل ان يجرى فيه شيء .

هذه الشريعة والفتوى لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنساوية .. من كل لغة قدر خمسمائة نسخة ، لكى يرسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة ، والمبلغ يكون مشهل فى هذه الفتوى .

تحريرا فى مدينة مصر فى اليوم والشهر والسنة المحررين اعلاه .

ثم إن القضاة حطوا خط يدهم باسمائهم برفقة كاتم السر ... ممضى فى اصله .

. ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتفسرت على المذنبين بواسطة السيتوين لوماكا الترجمان قبل قصاصهم . فهم جاوبوا ان ما عندهم شيء يزيدوا ولا ينقصوا على الذى أقروا به فى الأول . فحالا قضوا أمرهم فى ثمانية وعشرين من شهر برريال ، حكم الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة .

حرر بمصر فى ثمانية وعشرين برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .

ثم ختموا باصله : **الدفتردار سارتلون ، وكاتم السر بينه .**

وهذه نسخة من الأصل ... **امضاء . كاتم السر بينه**

وهذا آخر ما كتبوه فى خصوص هذه القضية ، ورسموه وطبعوه ... بالحرف الواحد . ولم أغير شيئا مما رقم . اذ لست ممن يحرف الكلم . وما فيه من تحريف فهو كما فى الأصل . والله أعلم وأحكم .

٢٥ منه (١٨ يونيو ١٨٠٠ م) :

اشتغلوا بأمر سارى عسكرهم المقتول ، وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ، ونصبوا مكانه عبد الله جاك مينو ، ونادوا فى المدينة بالكنس والرش فى جهات حكام الشرطة . فلما أصبحوا اجتمع عساكرهم وأكابرهم وطائفة عينها القبط والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركبانا ومشاة .



عبد الله جاك مينو

وقد وضعوه فى صندوق من رصاص مسنم الغطاء ، ووضعوا ذلك الصندوق على عربة ، وعليه برنيطته وسيفه والخنجر الذى قتل به ، وهو مغموس بدمه . وعملوا على العربة أربعة بيارق صغار فى أركانها معمولة بشعر أسود ، ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة . وعلى الطبول خرق سود ، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة الى أسفل . وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقة حرير سوداء . ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش ، وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخرق الى درب الجماميز الى جهة الناصرية .

فلما وصلوا الى تل العقارب ، حيث القلعة التى بنوها هناك ، ضربوا عدة مدافع . وكانوا أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فأمضوا فيهم ماقدر عليهم . ثم ساروا بالجنازة الى أن وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك . وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض وزرعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهارا يتناوبان الملازمة على الدوام .

وانقضى أمره . واستقر عوضه فى السرعسكرية قائمقام عبدالله جاك مينو — وهو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم — وقد كان أظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة . وقلدوا عوضه فى قائمقامية «بليار» . فلما أصبح ثانى يوم حضر قائمقام والأغا الى الأزهر ، ودخلا اليه وشفا فى جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ .

٢٧ منه (٢٠ يونيو ١٨٠٠ م) :

حضر سارى عسكر عبد الله جاك مينو وقائمقام والأغا وطافوا به أيضا ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك . . ثم ذهبوا . فشرع المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم واخلاء الأروقة ، ونقلوا الكتب الموقوفة بها الى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين فى ورقة ، وأمروهم ألا يبيت عندهم غريب ، ولا يؤووا اليهم أفاقيا مطلقا ، وأخرجوا منه المجاورين من طائفة الترك .

ثم ان الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى توجهوا فى عصريتها عند كبير الفرنسيس مينو ، واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره . فقال بعض القبطة الحاضرين للأشياخ : « هذا لا يصح ، ولا يتفق » . فحنق عليه الشيخ الشرقاوى ، وقال : « اكفونا شر دسائسكم ياقبطة (١) » !

وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية . فان للأزهر سعة لا يمكن الاحاطة بمن يدخله ... فربما دس العدو من يبيت به ، واحتج بذلك على انجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ، ولا يمكن الاحتراس من ذلك . فأذن كبير الفرنسيس بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا . فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات .

---

(١) لا يجد المستعمر مرماه الخصيب الا فى هذا الجو المشحون بسوء الظن بين ابناء الوطن الواحد ... فلنحذر ...

الاثنين غايته (٢٣ يونيو ١٨٠٠ م) :

جمعوا الوجاقلية وأمروهم باحضـار ما عندهم من الأسلحة . فأحضروا ما أحضروه ... فشددوا عليهم فى ذلك . فقالوا : « لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه » . فقالوا : « وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ؟ » . فقالوا : « تلك أسلحةالعساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها » .

صـفر

الثلاثاء اوله (٢٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

سافر بعض الأعيـان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيـالهم وحريمهم . وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ... فسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشيخ السحيمى وصهره الشيخ المهدى . فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم عـلى الرحلة . واكتروا المراكب والجمال وغير ذلك .

فلمـا أشيع ذلك ، كتب الفرنسيس أوراقا ، ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ، ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعـد خمسة عشر يوما نهبت داره . فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر الا من أخذ له ورقة بالاذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر كأن نكون فى خدمة لهم ، أو قبض خراج ، أو مال أو غلال من التزامه .

وفيه : قرروا فردة أخرى وقدرها أربعة ملايين ، وقدر المليون مائة وستة وثمانون ألف فرانسة . وكان الناس ماصدقوا قرب تمـام الفردة الأولى بعد ما قاسوا من الشدائد ما لا يوصف ... ومات أكثرهم فى الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخرجوا على وجوههم الى البـلاد ، ثم دهوا بهـذه الداهية أيضا . فقرروا على العقـار والدور مائتى ألف فرانسـة ، وعـلى الملتزمين مائة وستين ألفا ، وعلى التجار مائتى ألف ، وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا . وأسقطوا فى نظير المنهوبات مائة ألف . وقسموا البـلدة ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال . ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحـارات والأمير الساكن بتلك الخطة : مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمر شـاه وسـويقة السـباعين ودرب الحجر ، ومثل ذى‌الفقار كتخدا جهة المشهد الحسينى وخان الخليلى والغورية والصنادقية والأشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة وما فى ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت .

فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها عال وأوسط ودون ، و جعلوا العال ستين ريالا والوسط أربعين والدون عشرين ، ويدفع المستأجر قدر مايدفع المالك . والدار التى يجدونها مغلقة وصاحبها غائب عنها يأخذون ماعليها من جيرانها ! !

السبت ٢٦ منه (١٩ يوليو ١٨٠٠ م) :

أفرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل الى بيته بعد أن غلق الذى تقرر عليه ، واسـتولوا عـلى حصصه واقطاعه ، وقطعوا مرتباته ، وكذلك جهات حريمه ، والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه . وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لا يركب بدون اذن منهم ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه .

ربيـع الأول

(٢٣ يوليو ـــ ٢١ اغسطس ١٨٠٠ م)

فيه : نادوا على الناس الخارجين من مصر ، من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر من بعـد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة ... نهبت داره ، وأحيط بموجوده ، وكان من المذنبين .

واشتد الأمر بالناس ، وضاقت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة . ولا شفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسمع كلمته واحتجب سارى عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك عظماء الجنرالات ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول ، واستوحشوا منهم . ونزل بالرعية الذل والهوان ، وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام .. بالاهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام اليهم عند مرورهم !

ثم شددوا فى ذلك ... حتى كان اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ، ولم نقم اليه بعض الناس على أقدامه ، رجعت اليه الأعوان ، وقبضوا عليه ، وأصعدوه الى الحبس بالقلعة ، وضربوه ، واستمر عدة أيام فى الاعتقال ، ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان !

وفيه : أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا اليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه الى دمياط ... فأقام بها أياما وتوفى الى رحمة الله تعالى .

ربيع الآخر

(٢٢ اغسطس — ١٩ سبتمبر ١٨٠٠م)

فيه : اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله .. فنزل بالناس منه ما لا يوصف . فكان يدخل الى دار أى شخص كان لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم ، فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير ... وخصوصا مافعله فى بولاق : فانه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ! ثم رجع الى مصر يفعل كذلك .

وفيه : أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا على جميعها . ثم كانوا نفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته ، فان بقى لهم شىء أخذوه من حاصل جاره ! وان زاد له شىء أحالوه على جاره الآخر كذلك !وهكذا ... ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال ، وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لايقدر على التكلم ، بل ربما هرب ، أو كان غائبا .

وفيه : حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلاما يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك الذى بالأزبكية سوقا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها . وأقاموا على ذلك أناما كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى الأقلام المتعددة .

وفيه : كثر الهدم فى الدور ، وخصوصا فى دور الأمراء ومن فر من الناس ... وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وانشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات ... حتى ببلاد الصعيد القبلية .

جمادى الأولى

(٢٠ سبتمبر — ١٩ اكتوبر ١٨٠٠ م)

استهل هذا الشهر ... والأمور من أنواع ذلك تتضاعف ، والظلومات تتكاثف وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية ، وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت ، والمساكن والمساجد ، والحمامات والحوانيت ، والأضرحة ! فكانوا اذا هدموا دارا وركبوها للهدم لايمكنون أهلها من

نقل متاعهم ، ولا أخـذ شيء من أنقاض دارهم ! فينهبونها ويهدمونها ، وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط الى حيث عمارتهم وأبنيتهم ، وما بقى يبيعـون منه ما أحبوا بأبخس الأثمـان ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب يحزمـه الفعلة حزما ويبيعونه على النـاس بأغلى الأثمان لعدم حطب الوقود .

ويباشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية . فيهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره .. وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم من الفردة ، فيجتمع على الشخص الواحد النهب والهدم والمطالبة فى آن واحد !

وبعد أن يدفع ماعلى داره أو عقاره ، وما صدق أنه غلق ما عليـه ... الا وقـد دهموه بالهـدم . فيسـتغيث فلا يغاث ، فترى النـاس سـكارى وحيارى ، ثم بعـد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة !

وذلك أنهـم لما قسـموا الأخطاط — كمـا تقدم — وتولى ذلك أمير الخطة وشـيخ الحارة والكتبة والأعوان .. وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم . فأول مايجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة فى كتابة التنابيه ، وهى أوراق صـغار ، باسـم الشخص والقدر المقرر عليـه وعلى عقاره بحسب اجتهـادهم ورأيهم . وعلى هامشـها كراء طريق المعينين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأوراق .. فقبل أن يفتح الانسـان عينيه ما يشعر الا والمعين واقف على بابه وبيـده ذلك التنبيه . فيوعدوه حتى ينظر فى حاله ، فلا يجد بدا من دفع حق الطريق . فمـا هو الا أن يفارقه حتى يأتيه المعين الثانى بتنبيه آخر ، فيفعل معـه كالأول ... وهكذا على عدد السـاعات ! فان لم يوجـد المطلوب .. وقف ذلك القواس على داره ورفع صوته ، وشتم حريمه أو خادمه . فيسـعى الشخص جهده حتى يغلق ماتقرر عليه .. بشفاعة ذى وجاهة ، أو نصرانى !

وما يظن أنه خلص الا والطلب لاحقـه أيضـا بمعين وتنبيه . فيقول : « ما هذا ؟ » فيقال له : « ان الفردة لم تكمل . وبقى منها كذا وكذا ، وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة » ، أو ماسـولت لهم أنفسهم . فيرى الشخص أن لابد من ذلك . فمـا هـو الا أن خلص أيضـا ... الا وكرة أخرى ، وهكذا ... أمرا مسـتمرا ! ومثل ذلك ماقرر على الملتزمين . فكانت هـذه الكسـورات من أعظم الدواهى المغلقة ، ونكسات الحمى المطبقة .

٥ منه (٢٤ سبتمبر ١٨٠٠ م) :

كان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتـدال الخريفى ، وهو أول سـنة الفرنسيس وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ، ويسمى عندهم هذا الشهر وندميير .. وذلك يوم عيدهم السنوى . فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة بالليل ، وعملوا شنكلات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليـوم بمواكبهم وعساكرهم ، وطبولهم وزمورهم ، الى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم ... فقرىء عليهم كلام بلغتهم ، على عادتهم ، وكأنه مواعظ حربية . ثم رجعوا بعد الظهر .

وفى هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا ، حتى انقطعت الطرقات ، وغرقت البلدان ، وطف المـاء من بركة الفيل ، وسال الى درب الشمسى ، وكذلك حارة الناصرية ، وسقطت عدة دور من المطلة على الخليج . ومكث زائدا الى آخر توت .

جمـادى الآخرة

(٢٠ اكتوبر ــ ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م)

فيه : قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون

بدفعها فى كل سنة : أعلى وأوسط وأدنى . فالأعلى — وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر — خمسمائة ريال . والأوسط — وهى ما كانت خمسمائة فأزيد — ثلثمائة ريال . والأدنى : مائة وخمسون ريالا . وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له « بريزون » . فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد ، لأن منهم من لا يملك عشاءه ، فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان ، وزادت فى الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبطة فأملوها عليهم حتى الكفور التى خربت من مدة سنين ، بل سموا أسماء من غير مسميات !

وفيه : شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لاغير ، وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصى وعمومى ، على ماسبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء هم : الشيخ الشرقاوى رئيس الديوان ، والمهدى كاتب السر ، والشيخ الأمير ، والشيخ الصاوى وكاتبه ، والشيخ موسى السرسى ، والشيخ خليل البكرى ، والسيد على الرشيدى نسيب سارى عسكر ، والشيخ الفيومى ، والقاضى الشيخ اسماعيل الزرقانى ، وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسماعيل الخشاب ، والشيخ على كاتب عربى ، وقاسم أفندى كاتب رومى ، وترجمان كبير — القس رفائيل — وترجمان صغير — الياس فخر الشامى — والوكيل الكمشارى فوريه ، ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ، ومقدم وخمسة قواسة . واختاروا لذلك بيت رشوان بيك الذى بحارة عابدين ، وكان يسكنه برطلمان ، فانتقل منه الى بيت الجلفى بالخرنفش وعمّر وبيض ، وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشا فاخرا ، وعينوا عشرة جلسات فى كل شهر . وانتقل اليها فوريه وسكنها بأتباعه ، وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنساوية مكانا خاصا يجلسون به فى غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها ، وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا أيضا بجانبها دارا نفذوها اليها ، وشرعوا فى تعميرها وتأنيقها ، وسموها بمحكمة المتجر . وأخذوا يرتبون أنفارا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر فى القضايا المتعلقة بقوانين التجار . والكبير على ذلك كله فوريه . ولم يتم ذلك المكان الثانى .

الاثنين ١٥ منه (٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

شرعوا فى جلسة الديوان وصورته : أنه اذا تكامل حضور المشايخ يخرج اليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير رفائيل . ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان . وهو من خشب مقفص ، وله باب كذلك ، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلاف أرباب الحوائج ، ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق ، فيحكى صاحب الدعوة قضيته فيترجمها له الترجمان . فان كانت من القضايا الشرعية فاما أن يتمها قاضى الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها الى القاضى الكبير بالمحكمة ان احتاج الحال فيها الى كتابة حجج أو كشف من السجل . وان كانت من غير جنس القضايا الشرعية ، كأمور الالتزام أو نحو ذلك ، يقول الوكيل : «ليس هذا من شغل الديوان » فان ألح أرباب الديوان فى ذلك يقول : « اكتبوا عرضا لسارى عسكر » . فيكتب الكاتب العربى والسيد اسماعيل يكتب عنده فى سجله كل ماقال المدعى والمدعى عليه ، وما وقع فى ذلك من المناقشة . وربما تكلم قاضى الديوان فى بعض مايتعلق بالأمور الشرعية . ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات الى الأذان أو بعده

بقليل بحسب الاقتضاء . ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة ، أربعة عشر ألف فضة فى كل شهر ، عن كل يوم أربعمائة نصف فضة . وللقاضى والمقيد والكاتب العربى والمترجمين وباقى الخدم ، مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء .

وفى أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان وكاتب السر ، فطلعت للشرقاوى والمهدى على عادتهما وكذلك الجاويشية والترجمان. وكتبت تذكرة من أهل الديوان خطابا لصارى عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه . وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان . ولما كانت الجلسة الثانية ازدحمَ الديوان بكثرة الناس وأتوا اليه من كل فج يشكون .

الثلاثاء ٢٣ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

أمروا بجمع الشحاذين — أى السؤال — بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه أيضا : أمروا بضبط ايراد الأوقاف وجمعوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك الى حكام البلاد والأقاليم .

غايته (١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر رجل الى الديوان مستغيث بأهله ، وأن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قائمقام وهو رجل زيات . وسبب ذلك أن امرأة جاءت اليه لتشترى سمنا فقال لها : « لم يكن عندى سمن » فكررت عليه حتى حنق منها . فقالت له : «كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملى» تريد بذلك السخرية . فقال لها : « نعم .. رغما عن أنفك وأنف الفرنسيس » . فنقل عنه مقالته غلام كان معها حتى أنهوه الى قائمقام ... فأحضره وحبسه . ويقول أبوه : « أخاف أن يقتلوه » فقال الوكيل : « لا ... لا يقتل بمجرد هذا القول ، وكن مطمئنا فان الفرنساوية لايظلمون كل هذا الظلم ! »

فلما كان فى اليوم الثانى ... قتل ذلك الرجل ، ومعه أربعة لايدرى ذنبهم ، وذهبوا كيوم مضى !

رجب

الثلاثاء غرته (١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

فيه : الطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد . وأبرزوا أوامر أيضا بتقرير مليون على الصنائع والحرف — يقومون بدفعه فى كل سنة — قدره مائة ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات : كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وستون ألف فرانسة . فدهى الناس ، وتحيرت أفكارهم ، واختلطت أذهانهم ، وزادت وساوسهم .

وأشيع أن يعقوب القبطى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد فى ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى .

واختلفت الروايات فقيل : ان قصده أن يجعلها على العقار والدور ، وقيل : بل قصده توزيعها بحسب الفردة — وذلك عشرها — لأن الفردة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار . ثم قيدوا لذلك رجلا فرنساويا يقال له « دناويل » وسموه (مدبر الحرف) . فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة : أربعة . فمن دفع عشرة فى الفردة ... يدفع أربعة الآن . فعورض فى ذلك بأن هذا غير المنقول .

فقال : « هـذا .. باعتبار من خرج من البلد ، ومن لم يدخل فى هذه الفردة كالمشايخ والفارين .. فان الذى جعل عليهم ، أضيف على من بقى » .

فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم فى شأن

ذلك ، فرأوا أن هذا شيء لا طاقة للنـاس به من وجوه :

الأول : وقف الحال ، وكساد البضائع ، وانقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التي كانت فى أيدى الناس فى الفرد والدواهى المتتابعة .

الثانى : أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسببين . وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة ستين ، ثم ذهب ما فى يده ، وافتقر حاله ، وخلا حانوته وكيسه ... ألزموه بشقص (1) من ذلك ، وكلفوه به ، وكتب اسمه فى دفتر الدافعين ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك فى الامكان .

الثالث : أن الحرفة التي دفعت ، مثلا ، ثلاثين ألفا يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الأول . وعلى الثانى ، اثنا عشر ألفا . وقـد قل عددهم ، وغلقت أكثـر حوانيتهم لفقـرهم وهجاجهم ... وخصوصا اذا ألزمـوا بذلك المليـون ، فيفـر الباقى ، ويبقى من لايمكنـه الفـرار ، ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل .

وفيه : أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء الذين تقلدوا قضاء البـلاد من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا .

وأخبر أن السر فى ذلك أن منـاصب الأحكام الشرعيـة اسـتقر النظر فيهـا له ، وأنه لابد من استئناف ولايات القضاة حتى قاضى مصر بالقرعة — من ابتداء سنة الفرنساوية — ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليد من سارى عسكر الكبير . فكتبت له القائمة كما أشار .

الجمعة ٤ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودى عليهم : « هذا جزاء من يتداخل فى الفرنسيس والعثملى » .

(1) الشقص : السهم والنصيب .

الاحد ٦ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

عملت القرعة عـلى شرطها ، بل زاد تـكرارها ثلاث مرات لقاضى مصر ، واستقرت للعريشى على ماهو عليه . وخرج له التقليد بعد مدة طويلة .

الثلاثاء ٨ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل غلام وجارية بباب الشعرية ونودى عليهما : « هذا جزاء من خان وغش وسعى بالفساد » .

فيقال انهما كانا يخـدمان فرساويا ، فدسا له سما وقتلاه .

الاربعاء ٩ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر جماعة من الوجاقلية الى الديوان وهم : يوسف باشا جاويش ، ومحمد أغا سـليم كاتب الجاويشـية ، وعـلى أغـا يحيى باشـجاويش الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال ، ومصطفى كتخدا الرزاز . وذكروا أنهم كانوا تعهـدوا بباقى الفردة المطلوبة من الملتزمين ، وقدرها خمسـة وعشرون ألف ريال ، وقد اسـتدانوا لذلك قدرا من البن بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسة ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا الى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج .. فامتنع الفلاحون من الدفع ، وأخبروا أن الفرنساوية خرجوا عليهم ومنعوهم من دفع المـال للملتزمين . فـكتب لهم عرضحال فى شأن ذلك وأرسل الى سارى عسكر ... ولم يرجع جوابه .

الاثنين ١٤ منه (اول ديسمبر ١٨٠٠ م) :

صنع الجنرال « بليـار » ، المعروف بقائمقام ، عزومة لمشـايخ الديوان والوجاقليـة وأعيـان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ، ومد لهم أسـمطة حافلة .. وتعشوا عنـده ، ثم ذهبوا الى بيوتهم .

الثلاثاء ٢٢ منه (٩ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

طيف بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم ينادى عليهما : « هــذا جزاء من يبيع الأحرار » وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصــارى الأروام بتسعة ريالات !



بليــار

وفيــه : طلب الخواجه الفرنسيسى المعــروف بـ « موسى كافو » من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها . فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنساوية ، وعــدم تحصيلهم المال من بلادهم . ثم أحيلوا بعــد كلام طويل على استيفاء الخازندار ، لأن ذلك من وظائفه لا من وظائف الديوان .

الجمعة ٢٥ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

اتفق أن جمــاعة من أولاد البــلد خرجوا الى النزهة جهة الشيخ قمر ، ومعهم جماعة آلاتيــة يغنون ويضحكون . فنزل اليهم جماعة من العسكر الفرنســاوية ، المقيمين بالقلعــة الظاهرية خارج الحسينية ، وقبضوا عليهم وحبسوهم ، وأرسلوا شخصا منهم الى شيخ البلد « بليار » ، وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم .. فلقيه ، ثم رده الى القلعة الظاهرية ثانيــا ، فبات عنــد أصحابه . ثم طلبهم فى ثانى يوم ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر بالبنــدق تحرسهم فقابلوه ، ومن عليهم بالاطلاق ، وذهبوا الى منازلهم .

وفيــه : منعوا الأغا والــوالى والمحتسب من عوائدهم على الحرف والمتسببين . فانها اندرجت فى أقلام العشور ، ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور يقبضونها فى كل شهر .

الأحد ٢٧ منه (١٤ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

حضر الوجاقلية ، ومعهم بعض الأعيان وحريمات ملتزمات يستغيثون بأرباب الديــوان ويقولون : « انه بلغنا أن جمهور الفرنســاوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذى دفعوا حلوانه ومغــارمه ، ولا يرفع أيدى الملتزمين عن التصرف فى الالتزام جملة كافية » .

وقد كان قبــل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهــم عن حصصهم : اما لفرارهم وعودهم بالأمان ، واما لقصر أيديهــم عن الحلوان ، واما لشراقى بلادهم ، واما لانتظارهم الفــرج وعــود العثمانيين .. فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم . فلما طال المطال ، وضاق حال الناس ، عرضوا أمــرهم وطلبوا من مراحم الفرنساوية الافراج عن بعض ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به . ووقع فى ذلك بحث طويل ومناقشات يطول شرحهــا . ثم ماكفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنــه أيضا ، ونزع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يستشفعون بأهــل الديوان عند سارى عســكر بأن يبقى عليهم التزامهم يتعيشون به ، ويقضــون ديونهم التى استدانوها فى الحلوان ومغارم الفردة .

فقال « فوريه » الوكيل : « هل بلغــكم ذلك من طريق صحيح ؟ » . فقالوا : « نعم .. بلغنا من بعض الفرنساوية » . وقال الشيخ خليل البكرى : « وأنا سمعته من الخــازندار » . وقال الشيــخ المهــدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور . فقال الملتزمون : ان بيدنا الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونابرته ، ومن السلاطين

السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم . واذا أخذ منهم الالتزام اضطروا الى الخروج من البلد والهجاج وخراب دورهم ، ويصبحون صعاليك ولا يأتمنهم الناس .

وطال البحث فى ذلك ، والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ، ويناقش أخرى ، الى أن انتهى الكلام بقوله : « ان الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى ، فانى حاكم سياسة الشريعة ، لا مدبر أمر البلاد .. نعم من وظيفتى المعاونة والنصح فقط » .

شعبان

الخميس مستهلة (١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

أجيب الملتزمون بابقاء التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة . وان كانت صدرت من الخازندار ، فانها كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه : حضر التجار الى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم أن يجعلوه موزعا على الرؤوس ، ولا يمكن غير ذلك . وطال الكلام والبحث فى شأن ذلك . ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى عقلاء المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم فى ذلك ، بشرط لايتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى أوقبطى . وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم ، وألا يجعلوا على النساء ولا الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدامين شيئا ، وكذلك الفقراء . ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم . ثم قالوا : « نرجو أن تضيفوا الينا بولاق ومصر القديمة » . فلم يجابوا الى ذلك ، لكونهم جعلوهما مستقلين ، وقرروا عليهما قدرا آخر خلاف الذى قرروه على مصر .

وفيه : لخصوا عرضا ولطفوا فيه العبارة لسارى عسكر . فأجيبوا الى طلبهم ، ماعدا بولاق ومصر القديمة .

وأخرجوا من أرباب الحرف ، الصيارفة والكيالين والقبانية وجعلوا عليهم بمفردهم ستين ألف ريال ، خلاف ما يأتى عليهم من المليون أيضا ، يقومون بدفعها فى كل سنة ! والسر فى تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها ، أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه : أفردوا ديوانا لذلك ببيت داود كاشف — خلف جامع الغورية — وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو ، وأحمد بن محمود محرم ، وابراهيم افندى كاتب البهار وطائفة من الكتبة . وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوها طبقات . فيقولون : فلان من نمرة عشرة أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه : أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دمياط الى المحلة الكبرى .

وفيه : أرسل سارى عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون فى الأسواق ، ويكشفون عوراتهم ، ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية ، وتعتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جائز عندكم فى دينكم ، أو هو محرم ؟

فأجابوه : « بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا » . فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم ، والقبض على من يرونه كذلك . فان كان مجنونا ربط بالمارستان ، أوغير مجنون .. فاما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه : أرسل رئيس الأطباء الفرنساوى نسخا من رسالة ألفها فيعلاجالجدرى لأرباب الديوان : لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ، ليتناقلها الناس ، ويستعملوا ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ... فقبلوا منه ذلك ، وأرسلوا له جوابا شكرا له على ذلك ، وهى رسالة لا بأس بها فى بابها .

الأحد ١١ منه (٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

وجدت امرأة مقتولة بغيط عمر كاشف — بالقرب من قناطر السباع — فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية وحبسوهم ، وكان بصحبتهم أيضا القبطان الحاكم بالخط ، ولم يظهر القاتل . ثمأطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه : كمل المكان الذى أنشأوه بالأزبكية ، عند المكان المعروف بباب الهواء — وهو المسمى فى لغتهم بالكمرى — وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة ليال ، ليلة واحدة ، يتفرجون به على ملاعيب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلى والملاهى ، مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ، ولا يدخل أحد اليه الا بورقة معلومة ، وهيئة مخصوصة .

الجمعة ١٦ منه (٢ يناير ١٨٠١) :

ذكروا فى الديوان ، أن سارى عسكر أمر وكيل الديوان ، أنه يذكر لمشايخ الديوان ، أن قصده ضبط واحصاء من يموت ومن يولد من المسلمين . وأخبرهم أن سارى عسكر بونابارته كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدىلذلك ويرتبه ويدبره ، ويعمل له جامكية وافرة ... فلم يتم مرامه . والآن يريد تتميم ذلك ، ويطلب منهم التدبير فى ذلك ، وكيف يكون . وذكر لهم أن فى ذلك حكما وفوائد ، منها : ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار فقال بعض الحاضرين : « وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضا » !

ثم اتفق الرأى على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنساء القوابل ، وما فى معنى ذلك . ثم ذكر الوكيل أن سارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى أن تكتبوا له تهنئة بذلك المولود الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية .

وجوابا عن هذا الرأى ... كتبوا ذلك فى ورقة كبيره ، وأوصلها اليه الوكيل « فوريه » .

الأحد ٢٥ منه (١١ يناير ١٨٠١ م) :

أرسل سارى عسكر الى مشايخ الديوان كتابا ، وقرأه الترجمان الكبير « رفائيل » ، وصورته ونصه بالحرف الواحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

« من عبد الله جاك مينو سارى عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها بير مصر حالا ...

« الى حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف، بمصر القاهرة حالا ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وزينهم بلميعالنور ، لاكمال وظائفهم ، ولنجاز فرائضهم ، آمين يامعين .

« والآن نخبركم أن الذى حررتموه لنا ، ملأ نفسنا سرورا ، وقلبنا حبورا ، فثبت عندنا وتحقق وفور ماعندكم من المحبة التى شهدتم بها ، وما فيكم من النه ة والنظام والعدل .

« فحقا انكملمستحقون لأن تكونوا فىمثلهذا المحل الذى اخترتم عليه . فنحن نعلم أن القرآن

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب المفضل ، يشتمل على مبادىء الحكمة السنية ، والحموق اليقينية .

« وهذه المبادىء المذكورة لايصح بناؤها المتين ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب . وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ، لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو فى هذا العالم الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ، من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام ، كالنجوم السائرة فى الأعالى ، وبها يهتدى للسير الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من الظلمات ، وان ذلك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن نرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ، لو يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك — فبلا شك أن البلاد قاطبة لايمكن أن تسكن حين ذاك الا ببحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتنشحن الأرض من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .

« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة . وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب . فقد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .

« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماء المحققون ومن هم بالعلم موصوفون ... لايخفاكم أن أجمل مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ، هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد وتلك النواحى ، التى يطلق عليها كونها فى حال النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا كان سكانها يهتدون الى قواعد الشريعة ، والفرائض الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون للسلوك بالعدل والانصاف .. خلافا لغيرها من البلاد التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لما فيهم من العجرفة والاعتداء ، ولاينعطفون الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفترا آخر خلافه ، فيه يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ، مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

غير قابل التغيير فى ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الشىء الأجل والأوفر استحقاقا فى الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن وتتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابرته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذى لايهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناءه الا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » [1] .

---

(۱) فى هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة زبيدة ولدا اسماه « سليمان مراد جاك مينو » .

« عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية جـ ۲ ص ۲۱٤ »

وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبى قاتل كليبر ، وذلك لكراهية مينو لكليبر . وكان ايضا لا يبدو منه اى احترام لذكراه .

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانبا من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقى مسندا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا — كتخدا الباشا — وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناثر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها . فان وجد بها خللا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية ! » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرىء بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

وفيه : قرىء فرمان مضمونه : أنه وردت مكاتبات من فرلسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس بشروط ممضاة مرضية . وقد أطلقوا الاذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة فمن سافر ، له الحماية والصيانة فى ذهابه وايابه واقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية ... الى آخره ، ولم يظهر لذلك أثر .

وفيه : قرىء تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضاء مصر . ووصل أيضا تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندى عبد القادر ، وابيار للعلامة الشيخ رضوان نجا ، ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدى . وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر . وقرىء ذلك بالديوان ، ولم يحصل بعد ذلك غيرهم .

فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد « بليار » الى العريشى ومشايخ الديوان والوجاقلية ، فلماتكاملوا خلع على القاضى العريشى فروة سمور بولايته القضاء ، وركب بصحبته الجميع وجملة من العساكر الفرنساوية ، وشيخ البلد بجانبه ، ومشوا من وسط المدينة الى أن وصلوا الى المحكمة بين القصرين ، فجلسوا ساعة من النهار ، وقرىء تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان « فوريه » . ثم رجعوا الى منازلهم .

الخميس ٧ منه (٢٢ يناير ١٨٠١ م) :

توجه الوكيل ومشايخ الديوان الى المشهد الحسينى لانتظار حضور سارى عسكر الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة ، وازدحم الناس زيادة على عادتهم فى الازدحام فى رمضان . فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد العبور للمسجد ، رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول وخاف من العبور ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له : « هذه عادة الناس فى نهار رمضان ، يزدحمون دائما على هذه الصورة فى المسجد ، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم » فركب فرسه ثانيا وكر راجعا وقال : « نأتى فى يوم آخر » وانصرف حيث جاء .. وانصرفوا !

السبت ٩ منه (٢٤ يناير ١٨٠١ م) :

حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفية . وذلك أن سيدى محمودا المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام اقامته بالجيزة ، وحج صحبته فى سنة تسع ومائتين وألف فلما وقعت حادثة الفرنساوية وخرج على باشا المذكور مع من خرج الى الشام ، ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير فى العام الماضى وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع فى المشوره لخبرته بالأقطار المصرية ، ومعرفته أهالى البلاد ... استشاره فى شخص يعرفه ، يكون عينا بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود أفندى المذكور . فكانوا يراسلونه ، ويطالعهم بالأخبار سرا . فلما قدموا الى مصر فى السنة الماضية ، وجرى ماجرى من نقض الصلح ، ورجوع الوزير .. ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا ، ولأن على باشا ارتحل الى الديار الرومية فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنساوية وتحسس عيونهم المقيدة لذلك . فكان يذهب الى قليوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب .

فلما كان فى التاريخ ، ورد عليه رسول ومعه جواب وأربع أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية .. فوزع اثنتين ، وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك الا ليلا ، فأعطاها خادمه ، وأمره أن يشكها بمسمار

فى حائط ذلك المكان — وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب — ففعل وتلكأ فى الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فنزل اليه وأخـذ الورقة . وقبضوا على ذلك الخادم ، وصادف ذلك مرور حسن القلق — وهو يتوقع نكتة تكون له بهـا الوجاهة عند الفرنساوية — فاغتنم هذه الفرصة ، وقبض على الخادم مع الفرنساوية ، وسيده ننظر اليه من بعيد ، وعلم أنه وقع فى خطب لاينجيه منه الا الفرار . فرجع الى داره ، وتناجى مع اخيه واستشاره فيما وقع فيه ، وكيف تكون العمـل فأشـار عليه بالاختفاء ، ويستمر أخـوه بالمنزل مستهدفا للقضاء ؛ وليكون وقاية على منزله وعرضـه ، وليس هو مقصودا بالذات ... فكان كذلك وتغيب سيدى محمود ، وأصبح الطلب قاصده فلما لم يجدوه ، قبضوا على أخيه سيدى محمد أفندى ومن كان معه بالبيت — وهو الشيخ خليـل المنير ، وقرابته اسماعيل جلبى ، ونسيبه البربوسى ، والسقاء وشيخ حارتهم — وحبسوهم ببيت قائمقام وهم سبعة أنفـار بالخادم المقبوض عليه أولا ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهـدوا فى الفحص عن سيدى محمود ، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أياما .

فلمـا لم يقفوا له على خبر ، أحاطوا بالدار ، ونهبوا مافيها وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمحلات . ثم أصعدوهم الى القلعـة ، وضيقوا عليهم ، وأرسلوا خلف الشواربى شـيخ قليوب ومن كان ينتقـل عندهم ، والزموهم باحضـاره فأنكروه وجحـدوه ثم أطلقوا خادمه بعـد أن أعطوه خمسين ريالا فرانسة ، وجعلوا له ألفا ان دلهم عليه ، وقيدوا به عينا يتبعه أينمـا توجه . فاستمر أياما يغدو ويروح فى مظناته ، فلم يقع له على خبر . فردوه الى السجن ثانيا عند أصحابه . ولم يزالوا به حتى فرج الله عنهم .

وأما المطلوب فوقع له مزيد المشـقة فى مـدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعـارفه من العـربان وغيرهم وتنكروا منـه . ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبى حلاوة وأولاده بناحية أمييـه بالقليوبية ، باطلاع الشـواربى ، فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيمـا عندهم فى غاية الاكرام حتى فرج الله عنه .

الخميس ١٤ منه (٢٩ يناير ١٨٠١ م) :

تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسـوة « استـوفو » خازندار الجمهور ، و « فوريه »



استوفو

وكيل الديوان . فحضر صحبتهما المشايخ والقاضى والأغا والوالى والمحتسب ، بعد ما أخلى المسجد من الناس ، وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين ، وحلوا رباطاتها وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا باصلاحه ورسموا لذلك ثلاثة آلاف فضة ، وكذلك رسموا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة ، ولخدمة الضريح ألف نصف ثم ركبوا الى منازلهم ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعـد اصلاحها .

الاحد ٢٤ منه (٨ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت مدافع كثـيرة ، بسبب وورود مركبين

عظيمين من فرانسا ، فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابارته أغار على بلاد النمسه وحاربهم وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه . وبقى الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح ، وأنه استغنى عن هذه الأشياء المرسلة ، وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح . ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها .. هكذا قالوا وقرأوه فى ورقة بالديوان !

شوال

الاحد غرته (١٥ فبراير ١٨٠١ م) :

بدأ أمر الطاعون ، فانزعج الفرنساوية من ذلك ، وجردوا مجالسهم من الفرش ، وكنسوها وغسلوها ، وشرعوا فى عمل كرنتيلات ومحافظات .

الاحد ٨ منه (٢٢ فبراير ١٨٠١ م) :

قال وكيل الديوان للمشايخ : « أن حضرة سارى عسكر بعث الى كتابا معناه ايضاح ما يتعلق بأمر الكرنتيلة ، ويرى رأيكم فى ذلك ، وهل توافقون على رأى الفرنساوى أم تخالفون؟ » . فقالوا : « حتى ننظر ماهو المقصود » فقال : « حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سببا لانقطاع هذه العلة ، فاننا نبغى لهم ولغيرهم الخير . فان أجابوا فذاك .. والا فليلزموا ولو قهرا ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة . ومن الذى يتغافل عما يكون سببا لقطع هذا الداء ؟ فان رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ، ولذا نرى كثيرا من الناس ، ولا سيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك . ونذكر لكم أن بلاد المغرب قد اعتمدوا فعل الكرتيلة الآن .. فعلماء القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسايط اذ قد ربطت الأسباب بالمسببات » . فقيل له : « وما الذى تأمرون به أن يفعل ؟ » فقال : « هو الحذر لاغير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه اذا دخل الطاعون بيتا لا يدخل فيه أحد ، ولا يخرج منه أحد ، مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه . وسيوضح لكم ذلك فيما بعد . يعنى أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة » .

وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل . وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمرا وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية فان ذلك فيه مشقة على أهل البلد لعدم الفتهم لهذه الأمور .

الجمعة ١٣ منه (٢٧ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها

السبت ١٤ منه (٢٨ فبراير ١٨٠١ م) :

قرىء فرمان من سارى عسكر بالديوان ، وألصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق .

ونصه ، بعد البسملة والجلالة :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، وبطاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل الأهالى كبير وصغير ، غنى وفقير ، المقيمين حالا بمحروسة مصر وبمملكة مصر : الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ، ولا يفتشون الا على لاضرار بالناس واضراركم ، يظهرون فى وسط المدينة بينكم أخبارا رديئة تزويرا لتخويفكم . وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافتراء . فانما نحن نخبركم جميعا أن كلا من الأهالى المذكورة من أى طائفة وملة كان ، الذى يثبت عليه بالاشاعة

أو النشر من نفســه بينكم ذلك الأخبار الرديئة المكذوبة ، تخويفا لكم واضلالا بالناس ، ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحــدة طرق مصر

« ويا أهالى مصر ، انتبهوا وتذكروا هــذه الكلمات ، وكونوا مستريحين البــال ، ومترهفين الحال ... انما دولة الجمهور الفرنساوى حاضرة لحمايتكم وصيانتكم ، ولكن ناظر كذلك الى تعذيب العصاة . والسلام على من اتبع الهدى والصدق بالاستقامة » .

تحريرا فى شــهر وافتور (١) سنة تسع ، الموافق الحادى عشر شهر شوال .

فعــلم النــاس من ذلك الفرمان ورود شىء وحصول شىء على حد « كاد المرتاب أن يقــول خدونى » . وليس للناس ذكر ولا فكر الا فى بواقى الفردة وما لزمهم فى المليون ، ولا شغل لكل فرد الا بتحصيل مافرض عليه . ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدى محمود أبى دفية باللغــة الفرنساوية التى تقدم ذكرها .

واشتهر أيضا أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب انكليز جهة أبى قير . وفى ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شىء ، فقال : « لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهو أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات ، والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ماعدا الانكليز ، فانه الآن مضيق عليــه ، وربما كان ذلك سببا لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسا عمارة ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدمون الى مصر . وقد وصل لسارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخائر الى الفرساوية ، وأن يمكنهم من دخول اسكندرية .

وقد خرج ستة غلايين من فرانسا الى بحر الهنــد فربما قدموا بعد ذلك الى جهة السويس . وبورود هــذه الأخبــار تعين خلوص مصر الى جمهــور الفرنساوية .

« وفى ســالف الزمان كانت جميــع القرانات التى بالجهة الشمالية ضدا للفرنساوية ، وقد زالت الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة . والنظر بالملاطفة للرعية والذى أوجب الاغتصاب والعسف انما هو الحرب ، ولو دامت المسالمة لما وقع شىء من هذا » .

فقال بعض أهل الديوان : « سنة الملوك العفو والصفح ، وما مضى لايعاد . فارحموا واعفوا عما سلف » . فقال الوكيل : « قد وقع الامتحان ولم يبق الا السلم والمسامحة » .

وفيه : قبضوا على القلق المعروف بعمر أغا — وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرا — وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى والآخر مصطفى جلبى ، وسجنا بالقلعة . وسبب ذلك أنه حضر الى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج ، فقرىء ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر ، فوشى بهم رجل قواس ، فقبضوا على الجميع . وكان مصطفى جلبى المذكور سكن ببيته محمد أفندى ثانى قلفة ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه ، فألزموابه محمدأفندى المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنو من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد . وبعد أن وجدوا ذلك الانسان لم يفرجوا عن محمد أفندى ، بل استمر معهم فى الترسيم ، ووجــدوا مكانا بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه ، وانتهبت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة ... حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف ، وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله !

---

(١) لعله يعنى شهر ٧ فانتوز « Ventoses » .

ثم فرج الله عن محمد أفندى بعـد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندى من تلك الدار وما صدق بخلاصه منها ، وبقى على جلبى ومصطفى جلبى فى الحبس .

الثلاثاء ١٧ منه (٣ مارس ١٨٠١ م) :

استفيضت الأخبار بوصول مراكب الى أبى قير كما تقدم .

الاربعاء ١٨ منه (٤ مارس ١٨٠١ م) :

خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا .

الخميس ١٩ منه (٥ مارس ١٨٠١ م) :

خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشـهم ، وذهبوا الى جهة الشرق . وأشيع حضور عرضى العثمانية ووصولهم الى العريش صحبة يوسف باشا الوزير .

وفيه : أصعدوا الشيخ السـادات الى القلعـة من غير اهانة .

الجمعة ٢٠ منه (٦ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع أهل الديوان فيه على العادة ، فبدأ الوكيل يقول : « انه كان يظن أنه يكون حرب ، ولـكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت الى اسكندرية — وهى نحو مائة وعشرين مركبا — قد رجعت » فقيل له : « وما هذه المراكب ؟ » . فقال : « مراكب فيها طائفة من الانكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار الا قليل جدا ، وباقيها صغار تحمل الذخيرة » . ثم قال : « ان حضرة سـارى عسـكر قد كان وجه اليكم فرمانا فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وان كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هنـاك حربا ، ولكن من حيث كونه قد برز الى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسـامعكم » . ثم أمر « رفائيل » الترجمان بقراءته ، ونصه :

« من عبـد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتهـا ببر مصر حالا .. الى جميـع الكبير والصغير ، الأغنياء والفقراء ، المشايخ والعلماء ، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصـل لجميـع أهالى بر مصر سلمهم الله ، بمقـام السر عسكر الكبير بمصر فى أربعة عشر شهر « وتتوز » سـنة تسع من قيام الجمهور الفرنساوية واحـد ولا ينقسم . ثم كتب تحت ذلك البسـملة ولفظ الجلالة ، وتحته : أن الله هو هادى الجنود ، ويعطى النصرة لمن يشاء ، والسيف الصقيل فى يد ملاكه ، يسابق دائما الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم !

« ان الانكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر فى كل المواضع ، فهم ظهروا فى السواحـل ، وان كانوا يتجرأوا يضعوا أرجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال على أعقابهم فى البحر ، والعثمانيين متحركين كهؤلاء الانكليزية يعملون أيضا بعض حركات . فان كان يقدموا ، ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وعفار البادية .

« فأنتم ياأهالى مملـكة ومحروسة مصر ، انى أنا أخبركم : ان كان تسلكوا فى طريق الخـائفين الله ، وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ، ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم .. فحينئذ لا خوف عليكم . ولكن ان كان واحد منكم يسلك للفساد واضـلالا لكم بالعـدواة ضـد دولة الجمهور الفرنساوى.. فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى فى تلك الساعة . فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسـائكم وأولادكم فى كل مملكة مصر — وخصوصا محروسة مصر — وخواصكم

انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتـاد . فأدخلوا فى عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن . والسـلام على كل من هو فى طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير » .

ممضى خالص الفؤاد



وفيـه : عملوا شـنكا وضربوا عـدة مدافع من القلاع ، فارتاع النـاس لذلك ، واضطربوا اضطرابا شديدا . فسئل من الفرنسيس فأخبروا : أن ذلك سرور بقـدوم مركبين من فرانسـه الى اسكندرية .

وفيه أيضا : وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة . وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب الى أبى قير ، شحت الغلال ، وارتفعت من الرقع على العادة ، وزادت أثمانها . فتفاوضوا فى شأن ذلك ، وأنه لابد من الاعتنـاء من الحكام وزجر الباعة ، وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل .

ولمـا قـرئ الفـرمان المذكـور قال بعض الحاضرين : « العقلاء لا يسـعون فى الفسـاد ، واذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم » . فقال الوكيل : « ينبغى للعقـلاء ولأمثالكم نصـيحة المفسدين ، فان البلاء يعم المفسد وغـيره » . فقال بعضهم : « هذا ليس بجيد ! بل العقاب لا يكون الا عـلى المذنب .قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة » . وقال آخر من أهل المجلس : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . فقال الوكيل : « المفسدون فيمـا تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبـات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فانها لا تقرأ القرآن ! » . وقال آخر : « المخلص نيتـه تخلصه ! » .

فقال الوكيل : « ان المصلح من يشمل صلاحه الرعية ، فان صلاحه فى حد ذاته يخصـه فقط ، والثانى أكثر نفعا » . وطال البحث والمناقشة فى نحو ذلك .

فلمـا كان عصر ذلك اليوم ، ورد فرمان من سارى عسكر الى وكيل الديوان ، فأرسل خلف الشيخ اسماعيل الزرقانى فاستدعاه وسلمه اليه وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان فى بيوتهم فيقرأونه ، وهومبنى على جواب المناقشةالمذكورة .

وصورته .. بعد البسملة والجلالة :

« من عبـد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها بير مصرحالا ، الى كافة المشايخوالعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وألهمهم الحكمة الواجبـة لاجراء فرائضهم : نرسـل لحضراتكم يامشايخ وياعلماء الكرام ، نداء جديدا .. خطابا الى جميع أهالى مملكة مصر ، ولخصـوصا أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم بكل ماهو محرر فيهـا ، وغـير ذلك . تذكروا أن هـذا التنبيه هـو غرضـكم . انما حضراتكم ههنـا رجال دولة الجمهور الفرنسـاوى ، فيبقى فى عقولـكم وأذهانـكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخـير ، تفهمـوا بنـاء عـلى ذلك ، كيف هو واجب الى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق ، لأنه ان كان يصير أصغر الحركات فلا بد أثقالها يقـع على رؤوسـكم . وغـير ذلك ورد لنـا فى الحـال أخبـار من فرانسـا أنه كملت المصالحة مع امبراطور النيمسا ، وأن قيصر الروسيا بين وأقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام » .

السبت ٢١ منه (٧ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم ، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم ، وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين ، وجهل الجاهلين . وأنهم هم المأخوذون بذلك ، كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم . فالعاقل يشتغل بما يعنيه — على أنه لم يبق فى الناس الا رسوم هافتة — وأنفصلوا على ذلك .

هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعينين من القواسة والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة ، والتشديد فى أمر الكرتيلة ، وازعاج الناس من ذلك ، وخوفهم من حصول الطاعون . وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان ،كشفوا عليه .. فان كان مريضا بذلك الداء ، أخذوا ذلك المصاب الى الكرتيلة عندهم ، وانقطع خبره عن أهله . الا ان كان له أجل باق ويشفى من ذلك ، ويعود اليهم صحيحا . والا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلا ، ولا يدرى خبره . لانه اذا مات أخذه الموكلون بالكرتيلة ، ودفنوه بثيابه فى حفرة ، وردموا عليه التراب . واما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ، ويقف على بابه حرس . فان مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه . وان مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لاغير ، وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فان قرب منه أحد كرتنوه فى الحال . وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن ! فلا يخرجون الا لخدمة أخرى مثلها بشرط لا مساس .

فهال الناس هذا الفعل واستبشعوه ، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر الى الارياف لذلك ولتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب الى أبى قير ، وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم الى القلعة .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٠ مارس ١٨٠١ م) :

قبضوا أيضا على حسن أغا المحتسب، وأصعدوه الى القلعة بشخص يخدمه ، فحبسوه بالبرج الكبير. فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه . فقال له : « لم يكن الا الحذر من اثارة تلك الفتن فى البلد واهاجة العامة ، لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الايذاء » . وأما المحتسب فان الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا الى قائمقام والى سارى عسكر وتكلما فى شأنه ، فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما . وقيل للسيد أحمد : « انك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه » . فقال : « اننا محتاجون اليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولا نعرف له ذنبا يوجب حبسه لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس » . فقالا على لسان الترجمان : « الله يعلم ذنبه وسارى عسكر ، وهو أيضا يعلم ذلك من نفسه » . ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتخداه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة .

وفيه : نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج ن أمر الكرتيلة ، وأما من مات لاتحرق الا ثيابه التى على بدنه لاغير . وكان أشيع فى الناس ماتقدم ، وزادوا على ذلك حرق الدار التى يموت فيها أيضا ، وأن قصدهم أيضا عمل كرتيلة على البلد بتمامها . فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ، ووهم جسيم . فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

الخميس ٢٦ منه (١٢ مارس ١٨٠١ م) :

أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا الى منزله فأعلمهم أنه مسافر الى بحرى ، وتارك بمصر قائمقام « بليار » وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد . وكان فى العزم حبسهم رهينة ، فاستشار فى ذلك ، فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافرا ، ولم يرجع من هذه السفرة الى مصر .

وحضر الجماعة الى الديوان ، واجتمعوا بالوكيل « فوريه » فأخبرهم أنه حضر الي ناحية أبى قير طائفة من الانكليز ، وصحبتهم طائفة من المالطية ، وأخرى نابلطية وطلعوا الى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة .

الجمعة ٢٧ منه (١٣ مارس ١٨٠١ م) :

رجعت العساكر التى كانت توجهت الى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبتهم سارى عسكر الشرقية « رينه » . فسافروا من يومهم ، ولحقوا بكبيرهم برا وبحرا وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الصالحية ، وأرسلوا هجانة الى العريش . فلم يجدوا أحدا . فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت اليها أحد مطلقا .

وأصل الخبر أن سارى عسكر « رينه » ، كاشف القليوبية والشرقية ، أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقلزم فأرسل بخبر ذلك الى سارى عسكر « مينو » ويقول له فى ضمن ذلك ، ويشير عليه بأن يتوجه صحبة جانب من العسكر ويحصن نواحى الاسكندرية خوفا من ورود الانكليز تلك الناحية وأن « رينه » يتكفل له بمن يرد الى ناحية الشرق . وأكد عليه فى ذلك فأجابه سارى عسكر بقوله : « ان الانكليز لا يأتون من هذه الناحية ، وأنهم يأتون من ساحل الشام » ويأمره بالارتحال والذهاب الى الصالحية يرابط فيها . فتوانى فى الحركة ، وأرسل اليه ثانيا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الأسكندرية .

وترددت بينهما المراسلات فى ذلك ، ومضت أيام فيمابين ذلك . فورد الخبر للفرنساوية بورود مراكب الانكليز وترددها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها . فكتب سارى عسكر «مينو» يقول لرينه انهم تراءوا — ليوهموا بأن قصدهم ورود الاسكندرية — ثم غابوا ، وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ، ويستحثه على الرحلة والذهاب الى الصالحية . فلم يسعه الا الامتثال والارتحال وكتب اليه كتابا يقول فيه . « انهم لا يريدون الا ثغر الاسكندرية ، وانما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم » وأنه رحل امتثالا للأمر . ويشير عليه هو أيضا بعدم تأخره عن الذهاب الى الاسكندرية ، ويقبل اشارته . فلم يستمع ، وتأخر عن ذلك .

ورحل « رينه » الى جهة البركة ، ولم يستعجل الذهاب ، ثم انتقل الى الزوامل ، ثم الى بلبيس وفى كل يوم ووقت يرسل اليه سارى عسكر « مينو » ويأمره بالذهاب الى الصالحية ، وهو يتلكأ فى الرحيل ثم أرسل له آخر يقول له . « انه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك الى القدوم » ويحتم عليه فى الرحيل الى الصالحية فعند ذلك جمع « رينه » سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك ، وسفه رأيه ، وأن هذا الخبر لا أصل له ... وأنا أعلم أننا لا نصل الى الصالحية حتى يأتى الخبر بخلاف ذلك ، ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب الى الأسكندرية ، فلا نستفيد الا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القرين فى ثلاثة أيام واذا بمراسلة سارى عسكر « مينو » الى « رينه » يخبره بأن الانكليز وصلوا الى أبى قير ، وطلعوا الى

البر ، وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية ، وظهروا عليهم . ويستعجله فى الرجوع والذهاب الى الاسكندرية .

فقال «رينه» : « هذا ما كنت أخمنه وأظنه » ، وارتحل راجعا ، وعدى على بر أنبابه بعساكره . وتقدم سارى عسكر « مينو » وسبقه الى الاسكندرية .

ذو القعدة

الاربعاء ٣ منه (١٨ مارس ١٨٠١ م) :

أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لسارى عسكر مكتوبا بالسلام ، ففعلوا ما أمروا به.

السبت ٦ منه (٢١ مارس ١٨٠١ م) :

توفى محمد أغا مستحفظان مطعونا .. مرض يوم السبت وتوفى ليلة الأحد — فوضعوه فى نعش وخرج به الحمالون لاغير ، وأمامه الطرادون . ولم يعملوا له مشهدا ولا جماعة ، وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها . ولم يقلدوا عوضه أحدا ، بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضا عنه .. وذلك بمعونة نصر الله النصرانى ترجمان قائمقام ، فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسبا . فكان ذلك من جملة النوادر والعبر ! فان عبد العال هذا كان من أسافل العامة ، وكان أجيرا لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى يخدمه ، ثم توسط بمصطفى أغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين ، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية ، فجعله كتخداه ومشيره . فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول . فلما توفى فى هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لاشتغال الفرنساوية بما هو الأهم ، من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك .

الثلاثاء ٩ منه (٢٤ مارس ١٨٠١ م) :

أشيع فى الناس وصول العثمانيين الى ناحية غزة ، وأن جواليشهم وصلوا الى العريش . وقدمت الهجانة الى الفرنساوية بالخبر .

فلما كان عشاء تلك الليلة ، طلبوا المشايخ الى الديوان ، فلما تكامل حضورهم ، حضر « فوريه » الوكيل ، وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قائمقام . فتكلم « فوريه » كلاما كثيرا ليزيل عنهم الوهم ، ويؤانسهم بزخرف القول كقوله : « انه يحب المسلمين ويميل بطبعه اليهم وخصوصا العلماء وأهل الفضائل ، ويفرح لفرحهم ، ويغتم لغمهم ، ولا يحب لهم الا الخير . وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن سارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوما ، وأمرهم باجرائها والمشى عليها فى أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ، ونتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين . فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا الى أبى قير ليسوا من المسلمين ، وانما هم انكليزية ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضا ، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم اليهم ، أو يتعصبوا من أجلهم..والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف ، فلزم الأمر لتعويق بعض الاعيان ، وذلك من قوانين الحرب عندنا ، بل وعندكم . ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك .. فليس الا الاعزاز والاكرام أينما كنتم ، والوكيل دائما نظره معهم ، ولا يغفل عن تعليل مزاجهم فى كل وقت ويوم » .

ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم : الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى .. فأصعدوهم الى القلعة فى الساعة الرابعة من الليل مكرمين ، وأجلسوهم بجامع سارية ، ونقلوا الى

مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ، وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم : البكرى والأمير والسرسى وكاتبه أن يكون نظرهم على البلد ، ويجتمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه ، وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرر ، وهم معززون مكرمون ، وأطلقوا لكل شيخ منهم خادما يطلع اليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج اليه من منزله . والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالاذن من قائمقام ويطلع بها فلا يمنع ، وكذلك أصعدوا ابراهيم افندى كاتب البهار وأحمد بن محمود محرم وحسين قرا ابراهيم ويوسف باشجاويش تفكجيان وعلى كتخدا يحيى أغات الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال وعلى كتخدا النجدلى ومحمد أفندى سليم ومصطفى أفندى جليان ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم الى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على « بليار » قائمقام ويعلمونه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن . وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة . ونفس الله عن الناس ، وكذلك تسوهل فى أمر الكرنتيلة واجازة الأموات وعدم الكشف عليهم ، وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت ... وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم الى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلا ونهارا ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة الكثيرة فى كل يوم .

الخميس ١١ منه (٢٦ مارس ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس . وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور الى الديوان على عادتهم ولا يهملونه . فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ، ولا يرد عليهم الا القليل من الدعاوى ، ثم ينصرفون الى منازلهم ، وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشى القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظا للناموس لا غير .

السبت ١٣ منه (٢٨ مارس ١٨٠١ م) :

نقل الكمشارى « فوريه » الوكيل متاعه الى القلعة وصعد اليها فلم ينزل . وأرسل الى الشيخ سليمان الفيومى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه فى مكان بداره ... ففعل ما أمره به ، ولم يتركوا به الا الحصر . وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون .

الاحد ١٤ منه (٢٩ مارس ١٨٠١ م) :

نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج الى جامع سارية صحبة المشايخ . وكذلك « فوريه » الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده مؤانستهم ، وليس الا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيس وكثرة ما نقلوه اليها من الأمتعة والذخائر والغلال والأحطاب ، مع ماهدموه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها فكانوا ينزلون اليه ويصعدون منه ، من باب السبع حدرات .

الجمعة ١٩ منه (٣ ابريل ١٨٠١ م) :

ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية اسكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة (٢٨ مارس ١٨٠١) وهو جواب عن المكتوب المرسل اليه السابق ذكره ، وصورته بعد الصدر المعتاد : « من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضائلهم .

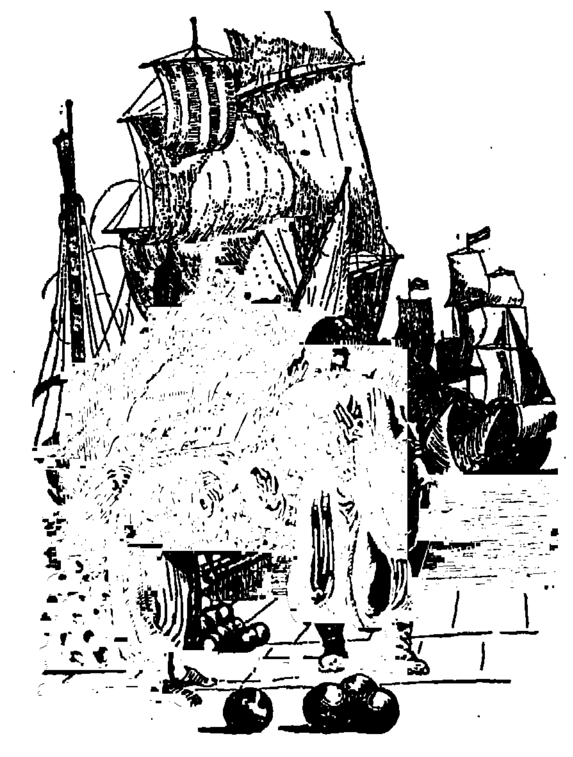
« ورد لنا مكتوبكم العــزيز ، ورأينا بكامل السرور كل ما فصلتم لنا به ، وثبت من مفهومنـا صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهور الفرنساوية ، ودمتم حضراتكم ، وكافة أهالى مصر ، بالحميــة والاستقامة الموعودة . ومعلوم عـلى فضائلكم أن الله يهدى كلا .. فما النصرة الا منه ، ووضعت عليه اعتمادى وما توفيقى الا به وبرسوله الكريم عليه الســلام الدائم ، وان ابتغيت النصرة فما هو الا لسهولة خيراتى الى بر مصر وسكان ولاتها ، وخير أمور أهلها . والله تعالى يكون دائما معكم ، ويكرم وجوهكم بالسلامة » .

وفيه : سمع ونقل عن بعض الفرنسيس ، أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية . وكانت الهزيمة على الفرنساوية ، وقتل بينهم مقتلة كبيرة ، وانحازوا الى داخل الاســكندرية ، ووقع بينهم الاختلاف . واتهم « مينو » سارى عسكر « رينه » و « داماص » ورابه منهما ما رابه ، وكانا ســببا لهزيمته فيما ظن ويعتقد . فقبض عليهما وعزلهما من امارتهما . وذلك أن « رينه » و«داماص» لما ذهبا على الصورة المتقدمة ، ونظر « رينه » وأرسل من كشف على متاريس الانكليز فوجدها فى غاية الوضع والاتقان ، اجتمعوا للمشورة على عادتهم ، ودبروا بينهم أمر المحاربة ، فرأى سارى عسكر « مينو » رأيه ، فلم يعجب « رينه » ذلك الرأى : « وان فعلنا ذلك وقعت الغلبة علينا . وانما الرأى عندى كذا ، وكذا ... » .

ووافقه على ذلك «داماص» وكثير من عقلائهم . فلم يرض بذلك « مينــو » وقال : « أنا ســارى عسكر ، وقد رأيت رأيى » فلم يسعهم مخالفته ، وفعلوا ما أمر به . فوقعت عليهم الهزيمة ، وقتل منهم فى تلك الليلة خمسة عشر ألفا ، وتنحى « رينه » و « داماص » ناحيــة ، ولم يدخـلا فى الحــرب بعسكرهما . فاغتاظ « مينو » ونسبهما للخيــانة والمخامرة عليه وتسفيههم لرأيه . وأكد ذلك عنده أنهما لما حضرا الى الاسكندرية أخذا معهما أثقالهما وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأى كبيرهما ... فاشــتد انكاره عليهما ، وعزل عنهما العسكر ، وحبسهما ثم أطلقهما ونزلا الى المراكب مع عدة من أكابرهم ، وسافرا الى بلادهما .

وكان « مينو » أرسل الى بونابارته يخبر عن ورود الانكليز ويستنجده . فأرسل اليه عسكرا ، فصادفوا الجماعة المذكورين فى الطريق ، فأخبروهم عن الواقع ، وردوهم من أثناء الطريق — وقد أشاروا لذلك فى بعض مكاتباتهم — وأخبر أيضا المخبرون أن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق الاسكندرية ، وصارت جميعها لجة ماء ، ولم يبق لهم طريق مسلوك الا من جهــة العجمى الى البرية ، وأن الانكليز ترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى .

وفيه : ورد الخبر بأن حسين باشــا القبــطان



قبطان باشا بالاسكندرية

ورد بعساكره جهة أبى قير ، وطلع عسكره من المركب الى البر . وقويت القرائن الدالة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوائح ذلك من الفرنسيس ... مع شدة تجلدهم ، وكتمان أمرهم ، وتنميق كلامهم.

وفيه : سدوا باب البرقية — المعروف بباب الغريب — وبنوه .. فضاق خناق الناس بسبب الخروج الى القرافة بالأموات . فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين ، يخرج بجنازته من باب النصر ، ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة ، حتى ينتهوا الى مدفنهم . فحصل للناس مشقة شديدة ، وخصوصا مع كثرة الأموات .

الأحد ٢١ منه (٥ ابريل ١٨٠١ م) :

كلم بعض المشايخ قائمقام فى شأن ذلك . فأرسل الى قبطان الخطة ، ففتح بابا صغيرا من حائط السور ، جهة كفر الطماعين ، على قدر النعش والحمالين والمشاة .

الاثنين ٢٢ منه (٦ ابريل ١٨٠١ م) :

سافر جماعة من أعيان الفرنساوية الى جهة بحرى وهم : « أستوف » الخازندار العام ومدبر الحدود ، و«فوريه» وكيل الديوان ، و«شنانيلو» مدبر أملاك الجمهور ، و « برنار » وكيل دار الضرب،و «ريج» خازندار دار الضرب،و «لابرت» رئيس مدرسة المكتب وحافظ سجلاتهم وكتبهم . وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط ، وفيهم جرجس الجوهرى . وأشيع فى الناس بأن سفرهما لتقرير الصلح . وليس كذلك !

الثلاثاء ٢٣ منه (٧ ابريل ١٨٠١ م) :

توكل بحضور الديوان كمشارى يقال له « جيرار » .

الجمعة ٢٦ (١٠ ابريل ١٨٠١ م)

حضر بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل العمدة السيد اسماعيل ، المعروف بالخشاب ، وحضرة قاسم أفندى أمين الدين كاتب الديوان . فلما استقر به الجلوس ، أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم « جاك مينو » باللغة الفرنساوية مضمونه : أنه مقيم بسكندرية . وهو مؤرخ بعشرين القعدة . ومثل ذلك من الكلام الفارغ !

وفيه : قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس ، وذهبوا بهم الى بيت قائمقام . فاستفسرمنهم ، فاختل كلامهم وتبين كذبهم ، فأمر بحبسهم .

وفيه : حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ، ومروا فى شارع المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفا على البارود من النار . ولم يعلم سبب قدومهم ، ثم تبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية .

وبعد أيام حضر أيضا الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق ، شيئا بعد شىء .

ذو الحجة

(١٥ ابريل — ١٣ مايو ١٨٠١ م)

فيه : حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخبارا بالأمس منها : أنه قد مات جماعة من كبراء الانكليز ، وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد ، وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون الى بلادهم ، وأن العطش مضاررهم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء ، فتعذر عليهم ذلك .

ثم سأل عن أحوال البلد ، وسكون الرعية ، والغلال والأقوات . فأجيب بأن البلد مطمئنة ، والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال : « لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة » .

وفيه : أشيع أن الانكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها ، وحاربوا من كان بها من الفرنسيس حتى أجلوهم عنها ودخلوها .

وفى ذلك اليوم : قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم . وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيه : أمر « بليار » قائمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ، ويمرون بشوارع المدينة . فكان يركب معه مره الشيخ محمد الأمير ، ومرة الشيخ سليمان الفيومى . وذلك لتطمئن الرعية .

٦ منه (٢٠ ابريل ١٨٠١ م) :

قرىء مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر « مينو » من جهة الاسكندرية ، وصورته ، بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد : « الى حضرات كافة المشايخ والعلماء الكرام المستشيرين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائلهم . وما النصرة الا من الله وبشفاعه رسوله الكريم عليه السلام الدائم

« العساكر الفرنساوية والانكليزية هما الى هذا الآن حصيران قبلهما ، فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن ، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم — لتهدئة تمشياتكم ، ولأجل انتظامها — أن سلطان الروسية المحمية أعلن ، بواسطة مرسله الى حضرة السلطان سليم ، أذعن الأمر الى عساكره لأحل ماتتجانبوا وتتراووا ويخلوا من بر مصر جميعا ، والا لابد من السلطان الروسيات الجمعة (١) الاقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية .

« فبناء على ذلك ، أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه ، خطابه الى عساكره لتخلية بر مصر ولكامل من بالبر المذكور ، لكى وثم ولكن ذهب الانكليزية كفا للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية ، وبتقديم امتثالهم الى أوامر سلطانهم ... فأعلنوا وأخبروا كل ذلك الى أهالى مصر . فانتظموا كما كنتم دائما بالخير ، فاعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية . والله تعالى يديم فضائلكم عن الالهام بالخير والسلامات » .

حرر فى الخامس والعشرين شهر « جرمينال » سنة تسعة الموافق ٣ ذى الحجة ١٢١٥ (١٧ ابريل ١٨٠١ م) وكتب بالفاظه وحروفه من خط منشئه « لوماكا » الترجمان .

ثم قال الترجمان : « ان الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم ، فدوموا على ذلك » . فأجيب بالسمع والطاعة !

ثم ان بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلا من المنوفية ، يقال له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا اليه وقدموه على أقرانه . فلما خرجوا من المنوفية ، أفسد فى البلاد وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضى ، وصادره فى نحو ثلاثة آلاف ريال ، وكذلك صادر كثيرا من أغنياء منوف وغيرها ، وأخذ أموالهم . فقال الوكيل : « ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون » . ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد تأمرونهم بارسال الغلال والأقوات الى مصر . فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف .

وفيه : كتبوا جوابا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جوابا عن المكتوب المذكور آنفا .

(١) كذا فى الاصل .

وفيه : ذكر قائمقام « بليار » لبعض الرؤساء : أنه اذا رجع سارى عسكر منصورا ، ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم ، رفع عنهم نصف المليون والظلم .

١٠ منه (٢٤ ابريل ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابن محرم التاجر ، بتوسل والدته بقائمقام « بليار » على مصلحة ألفين ريال فرانسه .



ابو زعبل

وفيه : خرج عبد العال الى ناحية أبى زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ، ضرب عنق أحدهم .

١٢ منه (٢٦ ابريل ١٨٠١ م) :

قبض عبد العال على أناس من الغورية والصاغة ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم بمال . وسئل عن ذلك فقال : « لم أفعله من قبل نفسى ، بل عن أمر من الفرنسيس » !

وفيه : حفروا خندقا عند تلال البرقية ، فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور . فحصل للناس غاية المشقة .

واتفق أن ميتا سقط من على رقاب الحمالين وتدحرج الى أسفل التل !

وفيه : ورد الخبر بموت مراد بيك (١) بالوجه القبلى بالطاعون . وكان موته رابع الشهر (١٨ ابريل ١٨٠١ م) ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف ، وأقيم عزاؤه عند زوجته الست نفيسة وبنت له قبرا بمدفن على بيك واسماعيل بيك بالقرافة بالقرب من قبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه . وأشيع نقله اليه ، ثم ترك ذلك وبطل .

وكان الفرنساوية عندما اصطلح معهم ، وأعطوه امارة الصعيد ، رتبوا لزوجته المذكورة فى كل شهر مائة ألف فضة ، واستمرت تقبض ذلك حتى أخرج الفرنساوية جوابات الى الأمراء المرادية يعزونهم فى أستاذهم ، وتقريرا الى عثمان بيك

(١) يوجد خلاف بين « الجبرتى » والمراجع الفرنسية فى تاريخ وفاة مراد بيك . فالجبرتى يحدد الوفاة فى ٤ ذى الحجة (١٨ ابريل) . والمسيو « مانجان » يقول انه مات يوم (٢١ مارس) ورواية الجبرتى ارجح .

(عبد الرحمن الرافعى – تاريخ الحركة القومية ص ٢٥٧)

الجوخدار المعروف بالطنبرجي بأن يكون أميرا ورئيسا على خشداشينه ، وعوضا عن مراد بيك ويستمرون على امريتهم وطاعتهم .

وفيه : حضرت جوابات المراسلات التي أرسلت الى البلاد بسبب الغلال والأقوات ، بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة . غير أن المانع لهم قطاع الطريق ، وتعدى العرب ومنعهم السبيل ، وأن أبواب البلدان مغلوقة بحيث لا يمكن الخروج منها ، فاذا أمنت الطرق ، حضر المطلوب .. وكلام هذا معناه . وأما الساعي المرسل الى المنصورة فانه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول اليها ، لأن العساكر القادمة قد دخلوها ، وصارت في حكمهم .

وفيه (أي في هذا الشهر) : زاد أمر الطاعون وطعن مصطفى أغا أبطال بالقلعة . فلما ظهر فيه ذلك ، رفعوه بطريق مهانة ، وأنزلوه الى الكرتتيلة بباب العزب ، وألقوه بها . ثم تكلم في شأنه أرباب الديوان ، فأنزلوه الى داره ... فمات بها . وكذلك وقع لحسين قرا ابراهيم التاجر ، وعلى كتخدا التجدلي ، وذلك في أوائله .

وفي كل يوم يموت من الفرنسيس الكائنين بالقلعة الثلاثون والأربعون وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على الأخشاب مثل الأبواب، كل ثلاثة أو أربعة سواء يحملهم الحمالون ، وأمامهم اثنان من الفرنسيس يمنعون الناس ، ويباعدونهم عن القرب منهم ، الى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم في حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم . ثم يلقون صفا آخر ويغطونهم بالتراب .. وهكذا حتى تمتلىء الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك . فيكون في الحفرة الواحدة اثنا عشر وستة عشر وأكثر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ، ويرمولهم بثيابهم وأغطيتهم وتواسيمهم التي في أرجلهم ! وذلك المكان الذي يدفنون به في العلوة الكائنة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصلين الى جهة مزار الامام الشافعي رضى الله عنه .

وفيه : أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنهم . فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض لتعطل المال الميري ، واحتياج العسكر الى النفقة . وقيل لهم أيضا : « ان كان يمكنكم أن تكتبوا الى البلاد بدفع الميرى ، رفعنا الطلب عن الناس » فقالوا : « هذا غير ممكن ، لحصول البلاد في حيازة القادمين ، وقطع الطريق من وقوف العرب بها وعدم الانتظام . وانما القصد الملاطفة والرفق ، فان وظيفتنا النصح والوساطة في الخير » .

الخميس ١٦ منه (٣٠ ابريل ١٨٠١ م) :

حضر « استوف » الخازندار وجرجس الجوهرى ومن معهما من القبطة وغيرهم ، ماعدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم . فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد .

الجمعة ١٧ منه (اول مايو ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعية ، وحضر الخازندار والوكيل وعبد العال وعلى أغا الوالى ، وبعض التجار كالسيد أحمد الزرو والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية والحاج عمر الملطيلي التاجر بخان الخليلي ومحمود حسن و « كليمان » الترجمان . فتكلم «استوف» وترجم عنه الترجمان بقوله : « ان سارى عسكر الكبير « مينو » يقرئكم السلام ، ويثنى عليكم كثيرا . وسينجلى هذا الحادث ان شاء الله تعالى ، ويقدم في خير ، ويرى أهل مصر ما يسرهم . وقد هلك من الانكليز خلق كثير ، وباقيهم أكثرهم

مرمودون الأعين وبمرض الزحير . وجاءت طائفة منهم الى الفرنساوية وانضموا اليهم من جوعهم وعطشهم . ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا فى رشيد قهرا عنهم ، بل تركوها قصدا ، وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا الى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتمكن عند ذلك من استئصالهم .

« ونخبركم أنه قد وردت الى اسكندرية مركب من فرانسا ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ماعدا الانكليز ، فانهم لم يدخلوا فى الصلح ، وقصدهم عدم سكون الحرب والفتن ، ليستولوا على أموال الناس .

« واعلموا أن المشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم ، وانما القصد من تعويقهم بحبسهم ، رفع الفتن والخوف عليهم . وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ، ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم .. !

« وقد بلغنا أن السلطان العثملى أرسل الى عسكره بالكف عن الفرنساوية ، والرجوع عن قتالهم . فخالف عليه بعض السفهاء منهم ، وخرجوا عن طاعته ، وأقاموا الحرب بدون اذنه » .

فأجابه بعض الحاضرين بقوله: « ان القصد حصول الراحة والصلح . والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الانكليز ، لأننا قد عرفنا أخلاقهم ، ونعلم أن الانكليز انما يريدون بانضمامهم الى العثملية تنفيذ أغراضهم فقط . فانهم يولون العثملى ويغرونه حتى يوقعوه فى المهالك ، ثم يتركونه كما فعلوا سابقا » .

ثم قال الخازندار : « ان الفرنساوية لايحبون الكذب ، ولم يعهد عليهم . فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به » .

فقال بعض الحاضرين : « انما يكذب المشاشون . والفرنساوية لاياكلون الحشيش ! » .

ثم قال الخازندار : « ان وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول . واعلموا أن الفرنساوية لايتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبدا ، لأنها صارت بلادهم ، وداخلة فى حكمهم !! وعلى الفرض والتقدير ، اذا غلبوا على مصر ، فانهم يخرجون منها الى الصعيد ، ثم يرجعون اليها ثانيا . ولا يخطر فى بالكم قلة عساكرهم ، فانهم على قلب رجل واحد ، واذا اجتمعوا كانوا كثيرا » . وطال الكلام فى مثل هذه التمويهات والخرافات .. وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات !

ثم قال الخازندار : « القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم ، وغلاق نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند سارى عسكر فى فوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قائمقام «بليار» . فاجتهدوا فى غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقراء » . فأجابوا فى آخر الكلام بالسمع والطاعة !

فقال : « لكن ينبغى التعجيل ، فان الأمر لازم لأجل نفقة العسكر » ، ثم قال لهم : « ينبغى أن تكتبوا جوابا لسارى عسكر تعرفونه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال ، وقيامكم بوظائفكم . وهو ان شاء الله بحضر اليكم عن قريب » .

وانفض المجلس ، وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه : ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرنؤودى بجملة من العساكر الأرنؤودية الى أبى زعبل .

وفيه : خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب وقطاع الطرق فنهبوهم وحضروا الى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه : أرسل « بليار » قائمقام يطلب من

الوجاقلية بقية ماعليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين ، وقدره اثنا عشر ألف ريال ، وان تأخروا عن الدفع أحاط العسكر ببيوتهم ، ونقلهم الى أضيق الحبوس ، بل واستعملهم فى شيل الأحجار . فاعتذروا بضيق ذات يدهم . وحبسهم ، فتصدر اليهم السيد أحمد الزرو ، وتشفع عند قائمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ، ويؤجلوا بالباقى ، وينزلوا من القلعة لتحصيل ذلك ... فأجابه .

وأنزل على أغا يحيى ، أغات الجراكسة ، ويوسف باشجاويش الى بيت عبد العال ، وحبسهم بمكان بداره ، وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز . فكان يتهددهم ويرسل اليهم أعوانه يقولون لهم : « شهلوا ماعليكم والا ضربكم الأغا بالكرابيج » . فسبحان الفعال لما يريد . فان عبد العال هذا الذى يتهددهم ، ربما كان لايقدر على الوصول الى الوقوف بين يدى بعض أتباعهم ... فضلا عنهم !

وفيه : أحاط الفرنسيس بمنزل حسن أغا الوكيل - المتوفى قبل تاريخه — وذلك بسبب أنه وجد ببيته غلام فرنساوى مختفٍ أسلم وحلق رأسه ، وقبضوا على أحد خشداشينه وحبسوه ، لكونه علم ذلك ولم يخبر به .

وفيه : حضرت رسل من طرف عرضى الوزير لقائمقام « بليار » . فاجتمعوا به ، وخلا بهم ، ووجههم من ليلتهم . فلما حصلت الجمعية بالديوان ، سئل الوكيل عن ذلك فقال : « نعم .. انهم أرسلوا يطلبون الصلح » .

١٨ منه (٢ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابراهيم أفندى كاتب البهار ، ليساعد فى قبض نصف المليون .

٢٤ منه (٨ مايو ١٨٠١ م) :

قبضوا على أبى القاسم المغربى شيخ رواق المغاربة ، وحبسوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم فى بعض المجالس ويقول : « أنا شيخ المغاربة ، وأحكم عليهم » ، ويتباهى بمثل هذا القول فنقل عنه ذلك الى عبد العال والفرنسيس ، وظنوا صحة قوله ، وأنه ربما أثار فتنة . فقبضوا عليه وحبسوه . وكذلك حبسوا محمد أفندى يوسف ثانى قلفة ، وآخر يقال له عبيد السكرى .

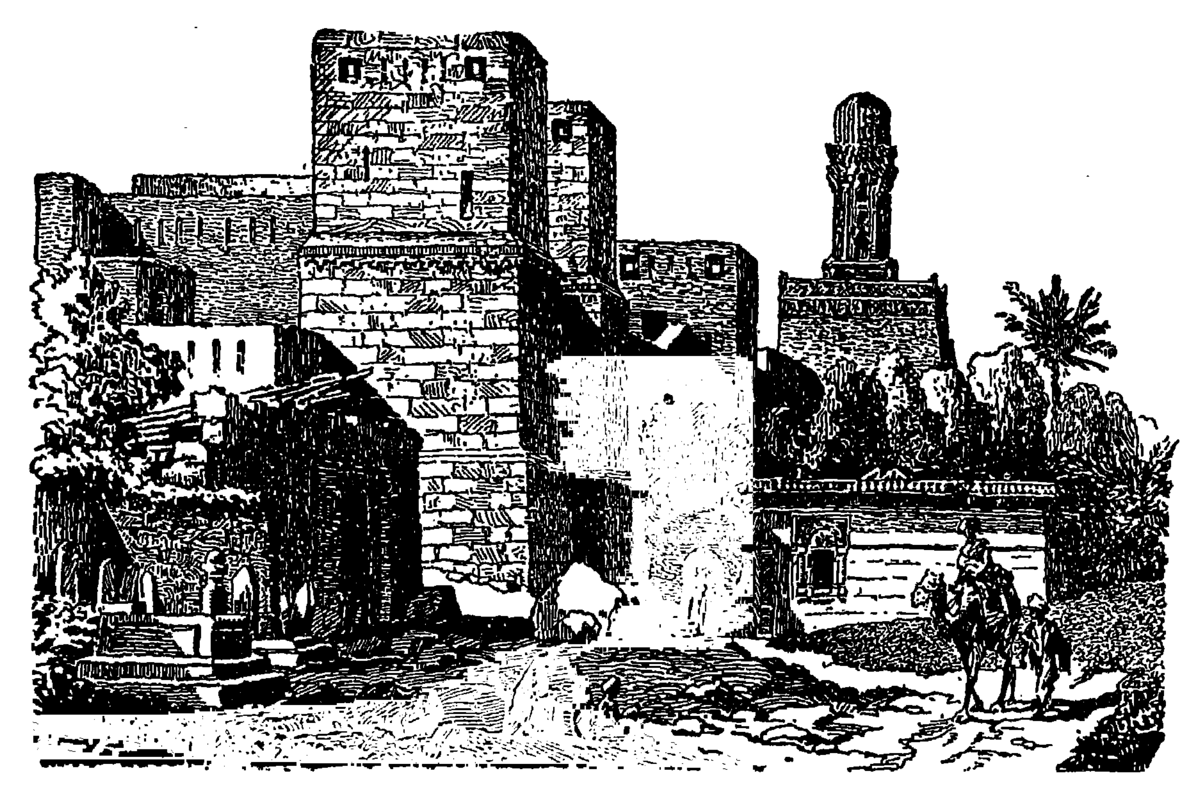
٢٥ منه (٩ مايو ١٨٠١ م) :

أبرزوا مكتوبا وزعموا أنه حضر من سارى عسكرهم وقرىء بالديوان . وصورته ، بعد الصدر :

« خطابا الى كافة العلماء والمشايخ الكرام بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالا ، أدام الله تعالى فضائلهم :

« ورد لنا مكتوبكم ، وانشرح قلبى من كل ماشهدتم لنا فيه بأنه يثبت عقلكم السليم وصدقكم ، وتقييد قلوبكم فى طارق الدستور ، فدوموا مهتدين بهذه المسلكة ، ولا بد لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا ، واطمئنان عليكم منها ، ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابرته ، وعلى الخصوص من طرفنا ، وكان ضد أوامرى ، أن الستويان « فوريه » الذى كنت وصفته قرب فضائلكم ، ترك ذلك الموضع توجها الى اسكندرية وما تلك الفعلة الا من نقص جسارته فى ذى الوقعة ، فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان « جيرار » رجل واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله ، وخصوصا لأجل غيرته وجسارته . فلذلك هو كسب اعتمادى ، فاعتمدوا الى كل ماهو قائل بفضائلكم من جانبنا .

« وبمنه وعونه تعالى عن قريب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ، ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ، ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة ،



الاماكن المجاورة لباب النصر

والسياسة بين غيرهم . وكذلك نرجو من رب الأجناد ، بحرمة سيد العباد ، أن تشدوا قلوبكم توكلا له ، لأن عوننا اسمه العظيم » !

حرر فى ثلاثة عشر «فلوريال» سنة تسعة ، موافقا لثمانية عشر ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر . ممضى : عبد الله جاك مينو . انتهى بألفاظه وحروفه .

٢٦ منه (١٠ مايو ١٨٠١ م) :

أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل « جيرار » . وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وفيه : أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسين كاشف ، وسافر الى جهة الصعيد .

٢٨ منه (١٢ مايو ١٨٠١ م) :

وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا الى مدينة بلبيس وذلك فى رابع عشرينه .

وفيه : أخبر وكيل الديوان أن سارى عسكر أرسل كتابا الى الست نفيسة بالتعزية ، ورتب لها فى كل شهر مائة ألف نصف وأربعين .

* * *

وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها .

فمنها : توالى الهدم والخراب ، وتغيير المعالم ، وتنويع المظالم . وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات ، والدروب والحمامات ، والمساجد والمزارات ، والزوايا والتكايا ، وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر ، وما كان به من

القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت ، المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالين . واتصل هدم خارج باب النصربخارج باب الفتوح وباب القوس الى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خرابا متصلا واحدا ، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهرا مكشوفا ، فعمروه ورموا ماتشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ، ورفعوا بنيانه فى العلو ، وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاما ، وأبوابا داخلة وخارجة ، وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة ، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهارا .

ثم سدوا باب الفتوح بالبناء ، وكذلك باب البرقية وباب المحروق ، وأنشأوا عدة قلاع فوق تلال البرقية ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء ... وذلك من حد باب النصر الى باب الوزير وناحية الصوة طولا ، فمهدوا أعالى التلال ، وأصلحوا طرقها ، وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط ، بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها .

وهدموا أبنية رأس الصوة ، حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة ، والقباب المرتفعة . وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها — وكانت فى غاية من الحسن — وجعلوها قلعة ونبشوا مابها من القبور ، فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب ، فظنوا داخلها دراهم ، فكسروا بعضها ، فوجدوا بها عظام الموتى ، فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها الى خارج ! فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها ، وعملوا لها مشهدا بجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج ... وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضا بعد أن هدموا منارتها أيضا .

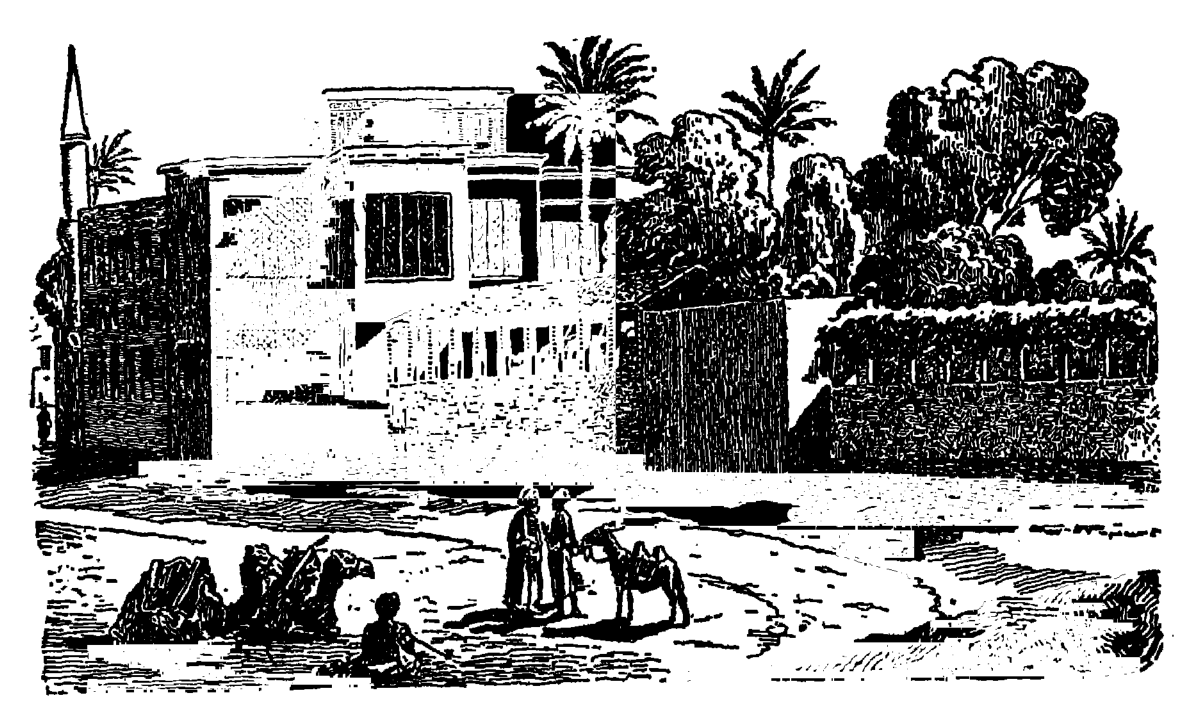
وكذلك هدموا مدرسة القانبية والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الجركسى وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها ، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة ، بعد أن هدموا منارته وقبابه .

وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميلة وناحية عرب اليسار ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة . وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء الى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها ، وجعلوها سورا بذاتها ، ولم يبقوا منها الا قوصرة واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة ، جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الاقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل .

وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضا ، وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه ... وذلك حيث



الحراس عند مداخل القاهرة



بيت الألفى

سواقى المجراة التى كانت تنقل المـاء الى القلعة ، وحفروا خلف ذلك خندقا .

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقـلاع والحصون بناحية ثغر الاسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد .. فشىء كثير جدا ، وذلك كله فى زمن قليل .

ومنها : تخريب دور الأزبكيه وردم رصـيفاتها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها ، وهـدم خطـة قنطرة الموسـكى ، وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام الى البوابة المعروفة بالعتبـة الزرقاء حيث جامع أزبك ، وما كان فى ضـمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة .. فيسلك المـار من على القنطرة فى رحبة متسعة ينتهى الى رحبة الجامع الأزبكى .

وهدموا بيت الصابونجى ووصلوه بجسر عريض ممتـد ممهـد حتى ينتهى الى قنطرة الدكة . وفى متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر الى جهـة اليسار عند بيت الطويل المهدوم ، وبيت الألفى حيث سكن سارى عسكر ... ممتد ذلك الجسر الى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد الى بولاق على خط مستقيم الى ساحل البحر ، حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافتيه السيسبان والأشـجار ، وكذلك برصيفات الأزبكية .

وهدموا المسـجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطـان ، وعملوا هناك بوابة وكرنكا وعسكرا ملازمين الاقامة والوقوف ليـلا ونهارا .. وذلك عند مسكن « بليار » قائمقام — وهى دار جرجس الجوهرى — وما جاوره . وكان فى عزمهم ايصال ما انتهوا الى هدمه بقنطرة الموسكى الى سور باب البرقية ، ويهدمون من حـد حمام الموسكى حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية ، ثم الى خان الخليلى الى اسطبل الطارمة ، المعروف الآن

بالشنوانى ، الى ناحية كفر الطماعين ، الى البرقيه ، ويجعلون ذلك طريقا واحدا متسعا ، وبحافتيه الحوانيت والخانات ، وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب وتعاريش وبساتين — من أولها الى آخرها — من حد باب البرقية الى بولاق .

فلما انتهوا فى الهدم الى قنطرة الموسكى ، تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر ، وشرعوا فى أبنية حوائط بحافتى القنطرة ، ومعاطف ومزالق الى حارة الافرنج وحارة النباقة ، وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع .

وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة ، داخل مصر وخارجها ، على ذلك الشكل مثل : قنطرة السد ، والقنطرة التى بين أراضى الناصرية وطريق مصر القديمة ، وقنطرة الليمون ، وقنطرة قديدار ، وقنطرة الأوز وغير ذلك . ثم فاجأهم حادث الطاعون ووصول القادمين ، فتركوا ذلك ، واشتغلوا بأمور التحصين .. وسيأتى تتمة ذلك .

ومنها : توالى خراب بركة الفيل — وخصوصا بيوت الأمراء التى كانت بها — وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ، ووقود النيران والبيع ، وكذلك ماكان بها من الرصاص والحديد والرخام .

وكانت هذه البركة من جملة محاسن مصر ، وفيها يقول أبو سعيد الأندلسى — وقد ذكر القاهرة — : « وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم . وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها منظر عجيب ، وفيها أقول :

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت
بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هى ، والأبصار ترمقها ،
كواكب قد أداروها على القمر

«ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت:
انظر الى بركة الفيل التى نحرت
لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها
تهيم وجدا وحبا فى بدائعها »

وتخرب أيضا جامع الرويعى وجعلوه خمارة ! وبعض جامع عثمان كتخدا القزدغلى — الذى بالقرب من رصيف الخشاب — وجامع خير بك حديد — الذى بدرب الحمام بقرب بركة الفيل — وجامع البنهاوى والطرطوشى والعدوى . وهدموا جامع عبد الرحمن كتخدا — المقابل لباب الفتوح — حتى لم يبق به الا بعض الجدران ، وجعلوا جامع أزبك سوقا لبيع أقلام المكوس .

ومنها : أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه ، وهدموا قبته العالية ، والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر لابأس به ، لكنه لم يتم ، وهى على ذلك باقية الى الآن . ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعا ، وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها : أنهم هدموا مساطب الحوانيت التى بالشارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التى ينقلون عليها المتاع ، واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره .. والمعنى الخفى الشافى خوفا من المتاريس بها عند حدوث الفتن كما تقدم وكانوا وصلوا فى هدم المساطب الى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى الى عطفة مرجوش . فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق الى آخر باب الشعرية ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين الى آخر باب النصر

وباب الفتوح فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك ، وصاروا يجلسون فى داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ! وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حائط البناء ... لما هدموا درجه وبسطته ، بقى باب مدخله معلقا ، فكانوا يتوصلون اليه بدرج من الخشب مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها .. وذلك عمل كثير .

ومنها تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء .. وهو أنه لما حضر الفرنسيس الى مصر — ومع البعض منهم نساؤهم — كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصبوغة ، ويركبن الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وحرافش العامة ... فمالت اليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن معهم ، لخضوعهم للنساء ، وبذل الأموال لهن .

وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ، ومبالغة فى اخفائه فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيس بولاق ، وفتكوا فى أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات — صرن مأسورات عندهم ، فزيوهن بزى نسائهم ، واجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال . فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية ، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر !

ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع الخيرات فى حوز الفرنسيس ومن والاهم ، وشدة رغبتهم فى النساء وخضوعهم لهن ، وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن — ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها ! — فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار ، واستملن نظراءهن ، واختلسن عقولهن .. لميل النفوس الى الشهوات ، وخصوصا عقول القاصرات وخطب الكثير منهم بنات الأعيان ، وتزوجوهن رغبة فى سلطانهم ونوالهم . فيظهر حالة العقد الاسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها .

وصار مع حكام الأخطاط منهم .. النساء المسلمات متزييات بزيهم ، ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية ، والأحكام العادية ، والأمر والنهى والمناداة . وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى يفرجون لهن الناس — مثل ما يمر الحاكم — ويأمرن وينهين فى الأحكام !

ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ، ودخل الماء الى الخليج ، وجرت فيه السفن ... وقع عند ذلك من تبرج النساء ، واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب ، والرقص والغناء ، والشرب فى النهار والليل ، فى الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب . وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون برفع الصوت فى تحريك المقاديف .. بسخيف موضوعاتهم ، وكشائف مطبوعاتهم ، وخصوصا اذا دبت الحشيشة فى رءوسهم ، وتحكمت فى عقولهم ! فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامهم .. شىء كثير .

وأما الجوارى السود ، فانهن لما علمن رغبة القوم فى مطلق الأنثى ... ذهبن اليهم أفواجا ، فرادى وأزواجا ، فنططن الحيطان ، وتسلقن اليهم من الطيقان ، ودلوهم على مخبآت أسيادهن ، وخبايا أموالهم ومتاعهم .. وغير ذلك !

ومنها : أن يعقوب القبطى ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وجعلوه سارى عسكر القبطة .. جمع شبان القبط وحلق لحاهم ، وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رءوسهم ، مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم .. فى غاية البشاعة ! وصيرهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد .

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى — التى هو ساكن بها — خلف الجامع الأحمر ، وبنى له قلعة ، وسورها بسور عظيم وأبراج ، وباب كبير يحيط به بدنات عظام . وكذلك بنى أبراجا فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية . وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رممه الفرنساوية . ورتب على باب القلعة — الخارج والداخل — عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارا ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .



الروضة

ومنها : قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنائن الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ... بل وجميع القطر المصرى كالشرقية والغربية والمنوفية ، ورشيد ودمياط كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار . وكذلك المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضا .. مع شدة الاحتياج اليها ، وعدم انشاء الناس سفنا جديدة لفقرهم ، وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقى اللوازم . حتى انهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية ، كسروا جميع القنج والأغربة التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه . وكذلك ما كان ببركة الفيل .

وبسبب ذلك شحت البضائع ، وغلت الأسعار ، وتعطلت الأسباب ، وضاقت المعايش ، وتضاعفت أجر حمل التجارات فى السفن لقلتها .

ومنها : هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفا من تترس المحاربين بها . فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه من قوة البارود وانحباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم ودوى . فهدموا شيئا كثيرا على هذه الصورة .

وكذلك أزالوا جانبا كبيرا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة ، خوفا من تمكن الخصم منها ، والرمى على القلعة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعهد مثلها فى هذه السنين حتى غرقت الأراضى ، وحوصرت البلاد ، وتعطلت الطرق . فصارت الأرض كلها لجة

ماء ، وغرق غالب البلاد التي على السواحل ، فتهدم من دورها شيء كثير .

وأما المدينة فان الماء جرى من جهة الناصرية الى الطريق المسلوكة ، وطفح من بركة الفيل الى درب الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه .

ومنها : استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر ، وغلو البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب . حتى غلت أسعار جميع الأصناف ، وانتهى سعر كل شيء الى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك . فبلغ الرطل الصابون الى ثمانين نصفا ، واللوزة الواحدة بنصفين . وقس على ذلك .

وأما الأشياء البلدية ، فانها كثيرة وموجودة ، وغالبها يباع رخيصا مثل : السمن والعسل النحل والأرز والغلال ... وخصوصا الأرز فانه بيع في أيامهم بخمسمائة نصف فضة الأردب .

وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به في بلاليص محملة على الحمير ، ينادون عليه في الأزقة بأرخص الأثمان .

ومنها : وقوع الطاعون بمصر والشام ، وكان معظم عمله ببلاد الصعيد . أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار ، المصري نزيل أسيوط مكاتبة ، ونصه : « ونعرفكم ياسيدي أنه قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ، ولم نسمع بمثله ، وخصوصا ما وقع منه بأسيوط . وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقا وغربا ، وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله . وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد ، وكان أكثره في الرجال ، سيما الشبان والعظماء ، وكل ذي منقبة وفضيلة .

« وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من الناس بين ميت ، ومشيع ، ومريض ، وعائد ، حتى أن الانسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه الا بعد أيام . ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه ، فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت .. الا بعد المشقة الشديدة .

« وان أكبر كبير اذا مات ، لايكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار ... تكترى !

« وماتت العلماء ، والقراء ، والملتزمون ، والرؤساء ، وأرباب الحرف .

« ولقد مكثت شهرا بدون حلق رأسي .. لعدم الحلاق ! وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان ، وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة ، حتى بلغ النهاية القصوى . فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة ، وصار الانسان اذا خرج من بيته لا يرى الا جنازة ، أو مريضا ، أو مشتغلا بتجهيز ميت ، ولا يسمع الا نائحة أو باكية .

« وتعطلت المساجد من الأذان والامامة لموت أرباب الوظائف ، واشتغال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز ، والسبح والسهر .

« وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه الأرض ، وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده . وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس ... هذا مع سعي العرب في البلاد بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس والحكام » ... الى أن قال :

« ولو شئت أن أشرح لك ياسيدي ما حصل من أمر الطاعون ، لملأت الصحف مع عدم الايفاء » . وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه .

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان .

مات الامام الألمعي ، والذكي اللوذعي ، من عجنت طينته بماء المعارف ، وتآخت طبيعته مع العوارف .. العمدة العلامة ، والنحرير الفهامة ، فريد دهره ووحيد عصره : الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي ، الشهير بابن

الجوهرى . وهو أحد الاخوة الثلاثة وأصغرهم .

ولد سنة احدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ فى حجر والده فى عفة وصون وعفاف ، وقرأ على المشايخ الكبار وفضلاء الوقت . وكان آية فى الفهم والذكاء ، والغوص والاقتدار على حل المشكلات .

وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ، ومشايخه وقرنائه ، وتردد عليهم ، وترددوا عليه .

وحج ثلاث مرات ، وقرأ الدروس بالأزهر ، وعقد دروسا بالحرم ، وانتفع به الطلبة . ولم يعهد عليه أنه دخل بيتا لأمير قط ، أو أكل من طعام أحد قط .. الا بعض أشياخه المتقدمين ، وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان ، مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة فى وجوههم .

ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند والشام والروم .

ولم يزل وافر الحرمة ، معتقدا عند الخاص والعام . حتى حضر الفرنساوية واختلت الأمور ، وشارك الناس فى تلقى البلاء ، وذهب ما كان له بأيدى التجار ، ونهب بيته وكتبه التى جمعها ، وتراكمت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له اختلاط . ولم يزل حتى توفى يوم الأحد حادى عشرين القعدة سنة تاريخه .

وبالجملة فكان من محاسن مصر ، والفريد فى العصر : ذهنه وقاد ، ونظمه مستجاد . وكان رقيق الطبع ، لطيف الذات ، مترفها فى مأكله وملبسه

ومن مؤلفاته : مختصر المنهج فى الفقه ، وشرح المعجم الوجيز ، وشرح عقيدة والده المسماة منقذة العبيد فى كراريس ، ورسالة فى تعريف شكر المنعم ، وشرح الجزرية ، والدر النظيم فى تحقيق الكلام القديم ، ونظم عقائد النسفى ، وعقيدة فى التوحيد وشرحها بشرحين ، واللمعة الألمعية فى قول الشافعى باسلام القدرية ، وتحقيق الفرق بين علم الجنس وبين اسمه ، واتحاف الكامل ببيان تعريف العامل ، وزهر الأفهام فى تحقيق الوضع وما له من الأقسام ، وحلية ذوى الافهام بتحقيق دلالة العام ، واتحاف الطرف فى بيان متعلق الظرف ، والروض الأزهر فى حديث من رأى منكم منكرا ، ورسالة فى تعريف الشكر العرفى ، وثمرة غرس الاغتناء بتحقيق أسباب البناء ، والدر المنثور فى الساجور ، واتحاف الآمال بجواب السؤال : فى الحمل والوضع لبعض الرجال ! واتحاف الأحبة فى الضبة (أى المفضضة) ، ورسالة فى التوجه واتمام الأركان ، ورسالة فى زكاة النابت ، ورسالة فى ثبوت رمضان ، ورسالة فى أركان الحج ، ورسالة فى مد عجوة ودرهم ، ورسالة فى مسألة الغصب ، وحاشية على شرح ابن قاسم العبادى الى البيوع ، والروض الوسيم فى المفتى به من المذهب القديم ، ورسالة فى النذر الشريف ، ورسالة فى اهداء القرب للنبى عليه السلام ، ورسالة فى الأصولى والأصول ، ورسالة فى مسألة ذوى الأرحام ، واتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف . وله غير ذلك منظومات وضوابط وتحقيقات ... رحمه الله تعالى .

* * *

ومات الأجل الأمثل ، العمدة الوجيه : السيد عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهرى ، أخو المترجم المذكور ، وهو أسن منه وأصغر من أخيه الشيخ أحمد .

ولد سنة احدى وأربعين ومائة وألف ، ونشأ فى حجر أبيه ، ولم يكن معتنيا بالعلم ، ولم يلبس زى الفقهاء . وكان يعانى التجارة ، ويشارك ويضارب ويحاسب ويكاتب .

فلما توفى أخوه الأكبر الشيخ أحمد ، وامتنع أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للاقراء فى محله ... اتفق الحال على تقدم المترجم — حفظا

للناموس ، وبقاء لصورة العلم الموروث — فعند ذلك تزيا بزى الفقهاء ، ولبس التاج والفراجة الواسعة ، وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله ، وصار يطالع ويذاكر ، وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسينى فى رمضان ... مع قلة بضاعته ، وذلك بمعونة الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد الفرماوى ، فكان يطالع الدرس الذى يمليه من الغد ، ويتلقى عنه مناقشات الطلبة . وثبت على ذلك ، حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية . كل ذلك مع معاناته التجارة !

وتردد الى الحرمين ، وأثرى واقتنى كتبا نفيسة وعروضا وحشما ، واشترى المماليك والعبيد والجوارى والأملاك والالتزام . ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية . وصادروه وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسة ، وداخله من ذلك كرب وانفعال ، الى أن مات فى هذه السنة ، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام .. رحمه الله تعالى .

* * *

ومات الامام العلامة الثقة ، الهمام النحرير ، الذى ليس له فى فضله نظير ، أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعى المعروف بأبى سلامة .

اشتغل بالعلم ، وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية ، وتفقه على كثير من علماء الطبقة الأولى ، وتبحر فى الأصول والفروع . وكان مستحضرا للفروع الفقهية ، والمسائل الغامضة فى المذاهب الأربع . ويغوص بذهنه وقياسه فى الأصول الغريبة ، ومطالعة كتب الأصول القديمة التى أهملها المتأخرون. وكان الفضلاء يرجعون فى ذلك اليه ، ويعتمدون قوله ، ويعولون فى الدقائق عليه .

الا أن الدهر لم يصافه على عادته ، وعاش فى خمول وضيق عيش ، وخشونة ملبس ، وفقد رفاهية .. بحيث أن من يراه لايعرفه لرثاثة ثيابه !

وكان مهذبا ، حسن المعاشرة ، جميل الخلق والنادرة ، مطبوعا ، فيه صلاح وتواضع . ونزل مؤقتا فى مسجد عبد الرحمن كتخدا الذى أنشأه تجاه باب الفتوح ، بمعلوم قدره ثمانية أنصاف .. يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين يحتاجون اليه فى مراجعة المسائل والفتاوى .

فلما خرب المسجد المذكور فى حادثة الفرنسيس وجهات أوقافه ... انقطع عنه ذلك المعلوم ، وكان ذا عائلة ، ومع ذلك لا يسأل شيئا ، ولا يظهر فاقة !

توفى يوم الأحد حادى عشرين جمادى الآخرة من السنة عن خمس وسبعين سنة تقريبا .. رحمه الله .

* * *

ومات الأمير مراد بيك محمد . مات بسهاج قادما الى مصر باستدعاء الفرنسيس ، ودفن بها عند الشيخ العارف . وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، ومحمد بيك مملوك على بيك ، وعلى بيك مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى اشترى محمد بيك مراد بيك المذكور فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف — وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير — فأقام فى الرق أياما قليلة ، ثم أعتقه وأمره ، وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة ، وقدمه على أقرانه . وتزوج بالست فاطمة — زوجة الأمير صالح بيك — وسكن داره العظيمة بخط الكبش .

ولما مات على بيك ، تزوج بسريته أيضا — وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير — ولما انفرد محمد بيك بامارة مصر ، كان هو وابراهيم بيك أكبر أمرائه المشار اليهما دون غيرهما .

فلما سافر محمد بيك الى الديار الشامية محاربا للظاهر عمر ، أقام عوضه فى امارة مصر ابراهيم بيك وأخذ صحبته مراد بيك وباقى أمرائه .

فلما مات محمد بيك بعكا ، اجتمع أمراؤه على رأى مماليكه فى رآسة مراد بيك ، فتقدم وقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم ، وحضروا بأجمعهم الى مصر . فاتفق رأى الجميع على امارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره — وهو ابراهيم بيك — ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله ، وسكون جأشه . فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها .

وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذى انشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايماز — جهة العادلية — كل ذلك مع مشاركته لابراهيم بيك فى الأحكام والنقض والابرام ، والايراد والاصدار ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب .

وأخذ فى بذل الأموال وانفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم اليه بعض أمراء على بيك وغيرهم ، فأكرمهم ورخص لمماليكه فى هفواتهم ، وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرىء غشوم ، عسوف ذميم ظلوم . فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم ، وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم . فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم،وشمخت آنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يده .

واشتهر بالكرم والعطاء ، فقصده الراغبون ، وامتدحه الشعراء والغاوون ، وأخذ الشىء من غير حقه ، وأعطاه لغير مستحقه . كما قال القائل :

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما
لكنها خطرات من وساوسه

ثم لما ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك ... أخذ يتحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس . وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش ، والتورط فى الاقدام مع عدم الشجاعة .

ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبدا .. على ما فيه من الادعاء والغرور ، والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور . كما قال القائل :

أسد على وفى الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر

ولما قدم حسن باشا الى مصر ، وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هاربين الى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا واسماعيل بيك ومن كان معه ، ورجعوا ثانيا بعد أربع سنين وشىء من الشهور من غير عقد ولا عهد ولا حرب .. تعاظم فى نفسه جدا ، واختص بمساكن اسماعيل بيك ، وجعل اقامته بقصر الجيزة ، وزاد فى بنائه وتنميقه ، وبنى تحته رصيفا محكما ، وآنشأ بداخله بستانا عظيما نقل اليه أصناف النخيل والأشجار والكروم ، واستخلص غالب بلاد اقليم الجيزة لنفسه : شراء ومعاوضة وغصبا . وعمر أيضا قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستانا عظيما . وكذلك قصر ترسا ، وبستان المجنون .

وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته . واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس . فكان عنده بالجيزة من ذلك شىء كثير جدا .

وعمل له ترسخانة عظيمة . وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضا معامل البارود ، خلاف المعامل التى فى البلد . وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب . والرصاص والفحم والحطب ، حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ،

وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة ، لحرق قمام الجير والجبس للعمارة .

وأوقف الأعوان فى كل جهة يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب ، يأخذونها ويجمعونها للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ، ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به ، أو يطلقونه لأربابه بالوسايط والشفاعات .

وأحضر أناسا من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم ، صرف عليها أموالا عظيمة ، ورتب بها عساكر وبحرية ، وأدر عليهم الجماكى والأرزاق الكثيرة ، وجعل عليهم رئيسا كبيرا : رجلا نصرانيا — وهو الذى يقال له « نقولا » — بنى له دارا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر ، وله عزوة وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكرا . وكان نقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكبا ، وأمامه وخلفه قواسة يوسعون له الطريق فى مرور على هيئة ركوب الأمراء ... كل ذلك خطرات من وساوسه ، لا يدرى أحد لأى شىء هذا الإهتمام ، ولأى حاجة انفاق هذا المال فى الخشب والحديد ، واعطاؤه لنصارى الأروام .

واختلفت آراء الناس فى ذلك . فمن قائل ان ذلك خوفا من خشداشينه ، وقائل من مخافة العثمانية — كما تقدم فى قضية حسن باشا — والبعض يظن خلاف ذلك وليس ، غير الوهم والتخيل الفاسد والخوف ، شىء .

وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله ، والجلل والبنبات ، حتى أخذ جميعه الفرنسيس ! فيقال انه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة — كذا نقل عن معلم الترسخانة — أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة والقصر .

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام بين بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة ، فتعصب النصارى على أهل البلد ، وحاربوهم ، وقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا . وانتهت الشكوى الى الأمير ، فطلب كبيرهم ، فعصى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ، ووجهها جهة قصره ... فلم يسعه الا التغافل ... وراحت على من راح !

واستوزر رجلا بربريا ، وهو المسمى بابراهيم كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه ومشيره . وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة باقليم مصر ما لم يبلغه أعظم أمير بها . وبنى له دارا بالناصرية ، واقتنى المماليك الحسان والسرارى البيض والحبوش والخدم ، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية ، واختص ذلك السنارى ببعض رعاع الناس ، وجعله كتخداه .. يأتمر بأمره ، ويتوسل به أعاظم الناس فى قضاء أشغالهم !

ولما حسن لمراد بيك الاقامة بالجيزة ، واختار السكن بها ، وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه وأقرانه ، وترك لابراهيم بيك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية — مع كونه لا ينفذ أمرا دون رأيه ومشورته — واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه ... كان السفير بينه وبينهم ابراهيم كتخدا المذكور . فكان هو عبارة عنه . وربما نقض القضايا التى ابرم أمرها عند ابراهيم بيك أو غيره ، بنفسه أو عن لسان مخدومه .

وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى نحو ست سنوات متوالية ... لا يعدى الى البر الشرقى أبدا ، ولا يحضر الديوان ، ولا يتردد الى الأقران . واذا

حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل الى برانبابة ، ركب وسلم عليه مع الأمراء ورجع الى قصره ... فلا يراه بعد ذلك أبدا .

وتعاظم فى نفسه ، وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب ، وتكالبت على جيفته الكلاب ! فانزوى من نبشهم ، وتوارى من نهشهم . فاذا بلغه قدوم من يختشيه ، أو وصول من يرتجيه ، وكان يستحى من رده ، أو يخشى عاقبة صده ... ركب فى الحال ، وصعد الى الجبال ، وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع الفتلة ! فان صادفه واجتمع عليه ، أعطاه ما فى يديه .. أو وعده بالخير ، أو وهبه ملك الغير . فما يشعر الميسور ، الا ولقمته قد اختطفتها النسور !

ثم آخذ يعبث بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار : فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لمماليكه ختم الوصولات ... فتجاذب — هو وابراهيم بيك — ذلك الايراد ، وتعارضت أوراقهما ، وخافا فى المعتاد .. ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية ، ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية وما انضاف الى قلم البهار ، وحسب فى دفاتر التجار . فانفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من الاجحاف ما سطر فى صحيفته . فأحدث المترجم ديوانا خاصا بثغر رشيد على الغلال التى تحمل الى بلاد الافرنج ، وسموه « ديوان البدعة ! » ، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج أو غيرها . وجعل على كل اردب دينارا ، خلاف البرانى . والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالا وايرادا عظيما . وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم فى الاقليم المصرى ، مع ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ، ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن [1] .

واقتدى به أمراؤه وتناظروا فى ذلك . وفعل كل منهم ما وصلت اليه همته ، واستخرجته فطنته !

ومما سولت به نفس المترجم — بارشاد بعض الفقهاء — عمارة جامع عمرو بن العاص ، وهو الجامع العتيق .

وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة الفسطاط ، وبقيت تلالا وكيمانا — وخصوصا ما قرب من ذلك الجامع — ولم يبق بها بعض العمار الا ما كان من الأماكن التى على ساحل النيل ، وخربت فى دولة « القزدغلية » وأيام حسن باشا لما سكنتها عساكره ... لم يبق بساحل النيل الا بعض أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع الأمراء ونصارى المكوس . وبها بعض مساجد صغار يصلى بها السواحلية والنواتية وسكان تلك الخطة من القهوجية والباعة .

والجامع العتيق لا يصل اليه أحد لبعده وحصوله بين الأتربة والكيمان . وكان ، فيما أدركنا ، الناس يصلون به آخر جمعة فى رمضان . فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة ومصر وبولاق ، وبعض الأمراء أيضا والأعيان . ويجتمع بصحنه أرباب الملاهى من الحواة والقرداتية وأهل الملاعيب والنساء الراقصات المعروفات بالغوازى ... فبطل ذلك أيضا من نحو ثلاثين سنة لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته

---

(١) ان تنصل فرنسا وجواسيسها وتجارها قد اطلعوا نابليون — دون ريب — على ماوصل اليه حال البلاد من تفكك وانحلال ، وعلى ما يقترفه الحكام من بغى وطغيان ، وعلى ما وصل اليه المحكومون من ضيق بدهم طوائف وشيعا . . . فعلم الذئب الجسور ان الفريسة قد اصبحت وجبة سائغة لا تملك من امرها شيئا ...

وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك . فحسن ببال المترجم هده وتجديده بارشاد بعض الفقهاء .. ليرقع به دينه الخَلِق ، كما قال شاعرهم :

ومسـجد فى فضاء : ما عمـارته
فوق الصيانة ، الا لهو مختلق !

كأن عمرا دعا : يا عاص هم به
ورُمّه رقعة فى دينـك الخَـلِقِ !

فاهتم لذلك ، وقيـد به نديمه الحـاج قاسم المعروف بالمصلى ، فجعله مبـاشرا على عمـارته ، وصرف عليه أموالا عظيمة أخذها من غير حلها ، ووضعها فى غير محلها !

وأقام أركانه ، وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ، وكمل زخرفته ، وبنى به منارتين ، وجدد جميـع سقفه بالخشب النقى ، وبيضه جميعه ... فتم على أحسن ما يكون . وفرشه بالحصر الفيومى ، وعلق به القناديل ، وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة ١٢١٢ . فحضر الأمراء والمشايخ وأكابر الناس وعامتهم .

وبعد انقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبـد الله الشرقاوى مجلسـا ، وأملى حـديث « من بنى لله مسجدا .. » ، وآية « انما يعمر مساجد الله .. » .

وعند فراغه ألبس فروة من السمور ، وكذلك الخطيب .

فلما حضرت الفرنساوية فى العام القابل ، جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب ، وأخذ أخشابه حتى أصبح بلقعا أشوه مما كان .. فياليتها لم تزن ولم تتصدق !

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه لا تستقصى : فهو كان من أعظم الأسباب فى خراب الاقليم المصرى بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ، ومسامحته لهم ... فلعل الهم يزول بزواله !

وكان صـفته : أشـقر ، مربوع القامة ، كث اللحية ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة سيف ، ظالما غشوما متهورا ، مختالا معجبا متكبرا ، الا أنه كان يحب العلماء ويتأدب معهم ، وينصت لكلامهم ، ويقبل شفاعتهم ، ويميل طبعه الى الاسلام والمسلمين ، ويحب معاشرة الندماء والفصحاء وأهل الذوق والمتكلمين ، ويشاركهم ويباسطهم ولا يمل من مجالستهم ومنادمتهم ، ويناقل فى الشطرنج ، ويطلب أهل المعرفة فيه ، ويحب سماع الآلات والأغانى ، وكانت عطاياه جمة ، ومواهبه وهمته فوق كل همة !

ولم يخلف ولدا ولا بنتا ، وصـناجقه الذين مات عنهم : الأمير محمد بيك المعروف بالألفى ، وعثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجى ، وعثمان بيك المعروف بالبرديسى ، ومحمد بيك المنفوخ ، وسليم بيك أبو دياب وأصله مملوك مصطفى بيك الاسكندرانى .

ولما مات دفن بسهاج كما تقـدم عند الشـيخ العارف .. غفر الله له .

* * *

ومات الأمير حسن بيك الجداوى — ممـلوك على بيك — وهو من خشداشين محمـد بيك أبى الذهب . مات بغزة بالطاعون . وكان من الشجعان الموصوفين ، والأبطال المعروفين . ولما انفرد عـلى بيك بمملكة مصر ولاه امارة جدة .. فلذلك لقب بالجداوى ، وذلك سنة ١١٨٤ .

ولما وقعت حادثة الفرنسيس ، واستولوا على الاقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة الوزير يوسف باشا ، ووقع ما وقع من الصلح ونقضـه . وانحصر المترجم مع ما انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمانية ، فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسنا .. شهد

له بالشجاعة والاقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية .

فلما انفصل الأمر وخرجوا الى الجهة الشامية ، لم يزل محرصا ومرابطا ومجتهدا ، حتى مات بالطاعون فى هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعا .. انه هو الغفور الرحيم .

* * *

ومات الأمير مصطفى بيك الكبير — وهو أيضا من مماليك محمد بيك — تولى الصعيد وامارة الحج عدة مرار ، وكان فظا غليظا ، متمولا بخيلا شحيحا ! وفى امارته على الحج ، ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب وشحه بعوائدهم ، وقلة اعتنائه بشعائر الدين ، وانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها . وكان ذلك من أعظم ما اجترمه من القبائح .

* * *

ومات الأمير حسن كتخدا ، المعروف بالجربان ، بالشام أيضا . وأصله من مماليك حسن بيك الأزبكاوى ، وكان ممتهنا فى المماليك ... فسموه بالجربان لذلك فلما قتل أستاذه بقى هو لا يملك شيئا ، فجلس بحانوت جهة الأزبكية يبيع فيها تنباكا وصابونا !

ثم سافر الى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر محمود جربجى . ثم رجع الى مصر فى أيام دولة على بيك ، وتنقلت به الأحوال حتى انضم الى مراد بيك وتقرب منه ، فجعله كتخداه ووزيره ، واشتهر ذكره ، وصار من الأعيان المعدودين .

وكان يعترى المترجم مرض شبيه بالصرع . ولم يزل حتى مات مع من مات بالشام .

* * *

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من مماليك ابراهيم بيك الأقدمين .

وكان لطيف الطباع ، حسن الأوضاع ، وعنده ذوق وتودد ، عطارديا يحب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات ، والكتب المشتملة على ذلك ، مثل « كليلة ودمنة » و « النوادر والأمثال » .

واهتم فى بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطا حسن الخياط ، ثم سافر الى الاسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة ، وأنواع الأخشاب ، وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع والمرخمين ، فتأنقوا فى صناعته ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم ... كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام ، وموهوه بالذهب .

فما هو الا أن ارتفع بنيانه ، وتشيدت أركانه ، وظهر للعيان حسن قالبه ، وكاد يتم ما قصده من حسن مآربه ... حتى وقعت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج قبل اتمامه ، وبقى على حالته الى الآن .

ولما خرج سكن داره « برطلمين » ، واستخرج مخبأة بين داره والسبيل ، فيها ذخائره ومتاعه ، فأوصلها للفرنسيس .

* * *

ومات الأمير رشوان كاشف — وهو من مماليك مراد بيك — وكان له أقطاع بالفيوم فكان معظم اقامته بها ، فاحتكر الورد وما يخرج من مائه ، والخل المتخذ من العنب ، والخيش . واتجر فى هذه البضائع بمراده واختياره ، وتحكم فى الاقليم تحكم الملاك فى أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتدارا !

* * *

ومات كل من الأمير باكير بيك ، والأمير محمد بيك تابع حسين بيك كشكش .

ومات غير هؤلاء ممن لم تحضرنى أسماؤهم

المحرم

الخميس غرته (١٤ مايو ١٨٠١ م) :

خف أمر الطاعون . وفى ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الأغا وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلا الى منزله فبيته عنده ، ولما أصبح النهار طلع به الى القلعة وحبسه عند المشايخ بجامع سارية . والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر . فلما انقضت هرب الى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة الى مصر ، فأقام أياما ، ثم رجع الى فوة باذن من الفرنسيس .

فلما حصلت هذه الحركة ، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب اليهم المنافقون بالتجسس والاغراء — ذكر بعضهم ذلك لقائمقام ، وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب الى عرضى الوزير ، والتف عليهم . فأرسل قائمقام الى الشيخ قبل تاريخه ، فلما حضر سأله عن ولده المذكور . فأخبره أنه مقيم بفوة . فقال له : « لم يكن هناك ، وانما هو عند القادمين » . قال له : « لم يكن ذلك ، وان شئتم أرسلت اليه بالحضور » . فقال له : « أرسل اليه وأحضره » .

فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجىء . ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضا ، فوعده بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق . فلما انقضى اليومان ، أمروا عبد العال بطلبه واصعاده على القلعة ، ففعل .

وفيه : حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية ، وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة .

وفيه : حضرت زوجة سارى عسكر كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشيدى — أحد أعضاء الديوان — وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية .

فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها ، حضر بها الى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك . فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية نحو ثلاثة أيام ، ثم صعدا الى القلعة .

وفيه : قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية وحضرت طوالعهم الى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف ، فتأهب قائمقام « بليار » للقائهم ، وأمر العساكر بالخروج من أول الليل . ثم خرج هو فى آخر الليل .

الأحد ٤ منه (١٧ مايو ١٨٠١ م) :

رجع قائمقام ومن معه ، ووقع بينه وبينهم مناوشة . فلم يثبت الفرنسيس لقلتهم ، ورجعوا مهزومين ، وكتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئا .

الاثنين ٥ منه (١٨ مايو ١٨٠١ م) :

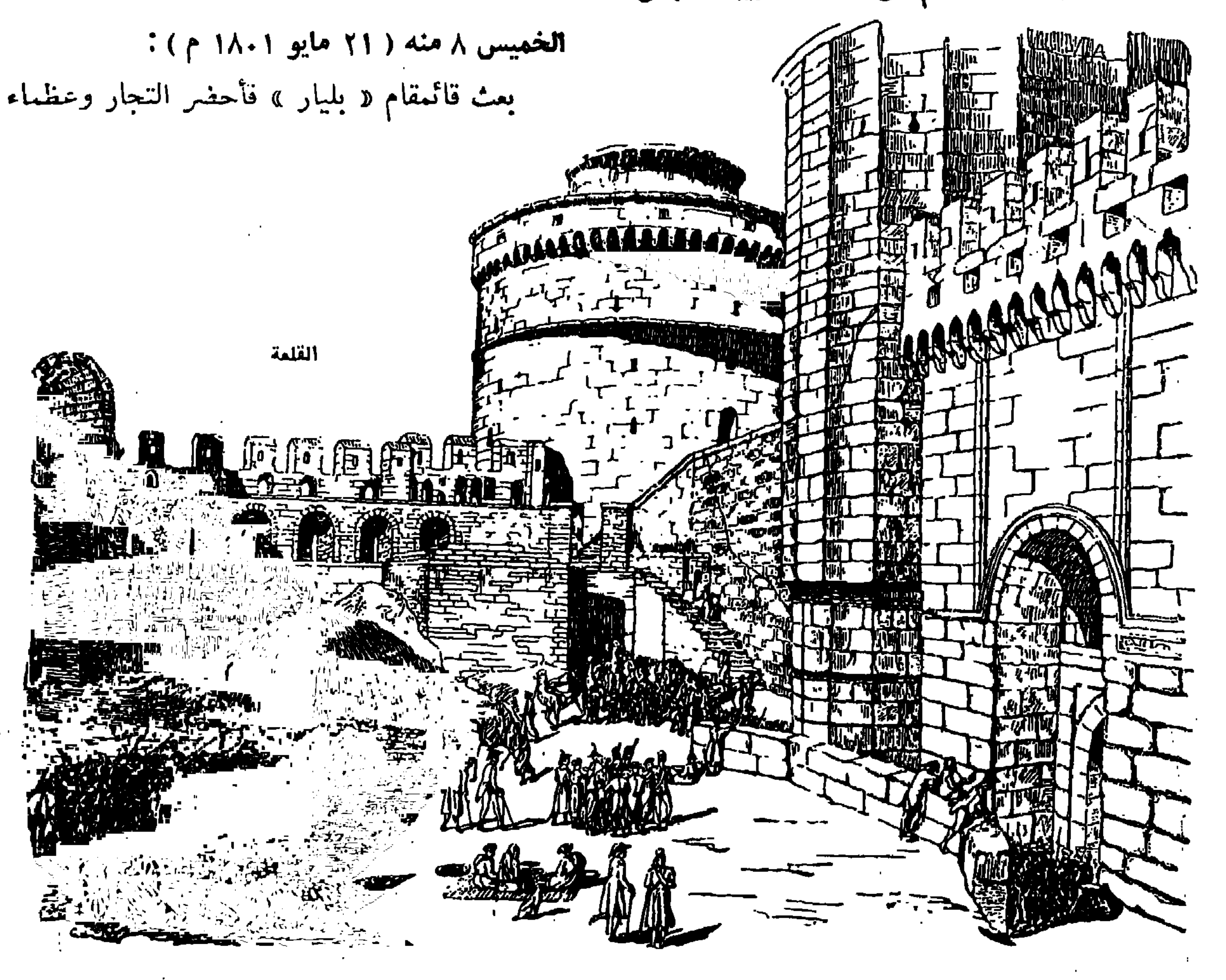
رفعوا الطلب عن الناس بباقى نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم غند خروجهم للحرب ، وخلو البلدة منهم : وكانوا يظنون منهم ذلك .

وفيه : أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت الى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات اليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والقنابر والبنب ، ونقلوا مافى الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة وحملوه اليها ولم يبقوا بالقلاع الصغار الا مهمات الحرب .

وفيه : طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار شيرج ، وسمروا جملة من حوانيتهم . وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ،فقبض عليهم عساكر العثمانية القادمة ، ومنعوهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات الى المدينة . فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليوبية ، وعزت الأقوات ، وشح اللحم والسمن جدا ، وأغلقت حوانيت الجزارين . واجتهد الفرنساوية فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الفعلة للعمل . فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة ، لتمنع المراكب من العبور ، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة الى قنطرة الليمون ، الى قصر افرنج احمد ، الى السبتية الى مجرى البحر .

الخميس ٨ منه (٢١ مايو ١٨٠١ م) :

بعث قائمقام « بليار » فأحضر التجار وعظماء



الناس وسألهم عن سبب غلق الحوانيت فقالوا له : « من وقف، الحال والكساد والجلاء والموت » فقال لهم : « من كان موجودا حاضرا فألزموه بفتح حانوته ، والا فأخبرونى عنه » . ونزلت الحكام فنادت بفتح الحواليت والبيع والشراء .

السبت ١٠ منه (٢٣ مايو ١٨٠١ م) :

شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت عساكر الانكليز القادمة من البر الغربى الى البلد المسماة بـ « نادر » عند رأس ترعة الفرعونية

وفيه : تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوائلها الى بنها وطحلا بساحل النيل ، وأن طائفة من الانكليز رجعوا الى جهة سكندرية ، وأن الحرب قائم بها ، وأن الفرنساوية محصورون بداخل الاسكندرية ، والانكليز ومن معهم من العساكر يحاربون من خارج ، وهى فى غاية المنعة والتحصين ، وأن الانكليز بعد قدومهم وطلوعهم الى البر ، ومحاربتهم لهم المرات السابقة أطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الى الجسر المقطوع ، حتى سالت المياه ، وعمت الأراضى المحيطة بالاسكندرية ، وأغرقت أطيانا كثيرة وبلادا ومزارع ، وأنهم قعدوا فى الأماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ منها ، بحيث أنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية .

الاثنين ١٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠١ م) :

نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة ، وألزموهم باحضارها .

وهذه المرأة اسمها « هوى » كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف ، ثم انها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا ، وأقامت معه مدة . فلما حدثت هذه الحوادث ، جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة وهى على حمار ، ومتاعها محمول على حمار آخر ... فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت .

فلما وقع عليها التفتيش ، وأحضروا المكارية .. قالوا : « لانعلم غير المكان الذى أنزلناها به وأعطتنا الأجرة عنده » ، فشددوا على المكارية ، ومنعوهم من السروح ، وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه ان وجدت المرأة فى حارة من الحارات ولم يخبروا عنها .. نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها ، وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصا عبدالعال ، فانه كان يتنكر ويلبس زى النساء ، ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها ، فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغا ، ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يخشى خالقا ولا مخلوقا !

الخميس ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠١ م) .

قبضوا على الطون أبى طاقية النصرانى القبطى وحبسوه بالقلعة ، وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد .

الجمعة ١٦ منه (٢٩ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن محمد افندى يوسف ، ونزل الى بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه .

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى ومحصلها : أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك الى « بليار » قائمقام ، وأخبره أنه وصل الى أستاذه الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان من عرضى الوزير بالأمان .

وكان هذا باغراء عبد العال ليوقعه فى الوبال ،

ويحرك عليه الفرنسيس لحزازة بينه وبينه . فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائمقام سأله عن ذلك .. فجحده . فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك ، فصدق على ذلك ، وأسند الى المملوك سيده . فأحضروا المملوك وسألوه فقال : « نعم .. » . فقالوا له : « وأين الفرمان .. ؟ » . فقال : «قرأه وقطعه» . فقال الفرنساوية : « وكيف يقطعه ؟ هذا دليل الكذب ، لأنه لايصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ! » فقيل له : « ومن أتى به ؟ » قال : « فلان ... » . فألزموا الشيخ باحضار ذلك الرجل ، وحبس المملوك عند عبد العال يومين ، وحضر الرجل فسألوه .. فجحد ولم يثبت عليه . وظهر كذب الغلام والخادم . فعند ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قائمقام : « ان قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ! » فتشفع فيه سيده ، وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه : حضر حسين كاشف اليهودى الى قائمقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية ، وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهوا الى بحرى من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقرذهب من خلف الجبل الى جهةالشرق . فلما حصل ذلك ، ركب قائمقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها فى أمان هى وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ، ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ يونية ١٨٠١ م) :

توكل رجل قبطى يقال له عبد الله — من طرف يعقوب — بجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس ، فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم ، وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه .. فتشكى الناس من ذلك القبطى ، وأنهوا شكواهم الى « بليار » قائمقام ، فأمر بالقبض على ذلك القبطى ، وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة .

وفيه : وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة .

الاثنين ٢٦ منه (٨ يونية ١٨٠١ م) :

سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

وفى ذلك اليوم ، قبل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان .. فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور الى قائمقام . فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان « نخبركم أن الخصم قد قرب منا . ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية ، وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ، ولا يتداخلوا فى الشر والشغب . فان الرعية بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ! والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح . فانهم ان داوموا على الهدو ... حصل لهم الخير ، ونجوا من كل شر . وان حصل منهم خلاف ذلك .. نزلت عليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهبت أموالهم ومتاعهم ، ويتمت أولادهم ، وسبيت نساؤهم . والزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها . فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة ، فاحذروا من ذلك ... فانهم لايدرون العاقبة . ولا نكلفكم المساعدة لنا ، ولا المعاونة لحرب عدونا ، وانما نطلب منكم السكون والهدو لاغير » . فأجابوه بالسمع والطاعة وقولهم : « كذلك ! » .

وقرىء عليهم ورقة بمعنى ذلك . وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك . وأنهم



اغا

ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا ينزعجوا من ذلك ، فانه شنك وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمعوا كما ذكر ، وحصلت الوصية والتحذير ، وانتهى المجلس ، وذهبوا الى محلاتهم .

وفي ذلك اليوم : أشيع حضور الوزير الى شلقان . وكذلك عساكر الانكليز بالناحية الغربية وصلوا الى أول الوراريق .

الجمعة ٣٠ منه (١٢ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر «استوف» الخازندار ، وترجم عنه «رفاييل» بقوله : «انه يثني على كل من القاضي والشيخ اسماعيل الزرقاني باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال والمصالح على التركات المختومة ، لأن الفرنساوية لم يبق لهم من الايراد الا ما يتحصل من ذلك والقصد الاعتناء أيضا بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها . فلازم أيضا من المصالحة والحلوان . والمهلة فى ذلك ثمانية أيام . فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة .. ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك .

« واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك ، واركزوه فى أذهانكم .. كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ! ! ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم . فانه لا يخرج من أيديهم شيء أبدا . وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية ! وصناعتهم القاء العداوة والفتن ، والعثملي مغتر بهم . فان الفرنساوية كانت من الأحباب الخلص للعثملي ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور . وأن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيرة . ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق مسلوك من البر، لأمحى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد . وتأملوا فى شأنهم ، وأى شيء خرج من أيديهم ! فان لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا الينا ، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يوما . فلو كان فيهم همة أو شجاعة .. لوصلوا مثل وصولنا » ... وكلام كثير من هذا النمط فى معنى ذلك .. من بحر الغفلة !

ثم ذكر البكرى والسيد أحمد الزرو : أنه حضر مكتوب من رشيد علي يد رجل حناوى لآخر من منية كنانة ، يذكر فيه أنه حضر الى اسكندرية مراكب وعمارة من فرانسا ، وأن الانكليز رجعت اليهم ، وأن الحرب قائمة بينهم على ظهر البحر . فقال الخازندار : « يمكن ذلك ، وليس ببعيد » . ثم نقلوا ذلك الى « بليار » قائمقام ، فطلب الرجل الراوى لذلك . فأحضر الزرو رجلا شرقاويا حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل الى منية كنانة من رشيد .

صفر

السبت غرته (١٣ يونيه ١٨٠١ م) :

فى ذلك اليوم ، قبل المغرب ، مشى عبد العال الأغا وشق فى شوارع المدينة وبين يديه منـاد تقول : « الأمن والأمان على جميع الرعايا . وفى غد تضرب مدافع وشنك من القـلاع فى الساعة الرابعة فـلا تخـافوا ، ولا تنزعجوا . فانه حضرت بشـارة وصول بونابارته بعمارة عظيمة الى الاسكندرية ، وأن الانكليز رجعوا القهقرى » .

فلما أصبح يوم الأحد فى الساعة الرابعـة من الشروق ... ضربت عدة مدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وصعد أناس الى المنارات ، ونظروا بالنظارات فشاهدوا عساكر الانكليز بالجهة الغربية وصلوا الى آخر الوراريق وأول انبابة ، ونصبوا خيامهم أسفل انبابة وعند وصولهم الى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرساوية ضرب الآخرون تلك المدافع التى ذكروا أنهـا شـنك

وأما العساكر الشرقيه فوصلت أوائلهم الى منيـة الأمراء المعروفة بمنية السيرج ، والمراكب فيما بينهما من البرين بكثرة فعند ذلك عزت الأقوات وشحت زيادة على قلتها ، وخصوصا السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة الى المدينة الا من جهة باب القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن ، فيأتى ذلك الى عرصة الغلة بالرميلة ، ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة وشح اللحم أيضا وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام ، فوصل سـعر الرطل تسعة أنصاف ، والسمن خمسـة وثلاثين نصفا ، والبصل بأربعمائة فضة القنطار ، والرطل الصابون بثمانين فضة ، والشيرج عشرون نصفا ، وأما الزيت فلا يوجد البتة ، وغلت الأبزار جـدا واتفق لى غريبة : وهو أنى احتجت الى بعض أنيسون فأرسلت خادمى الى الابزارية على العادة ، يشترى لى منـه بدرهم .. فلم يجده ، وقيل له : انه لا يوجد الا عند فلان ، وهو يبيع الوقية بثلاثة عشر نصفا ثم أتانى منه بأوقيتين بعد جهد فى تحصيله ، فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريبا من ذلك .. فكان ذلك من النوادر الغريبة !

الاثنين ٣ منه (١٥ يونيه ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعيـة بالديوان ، وحضر التجـار ومشـايخ الحارات والأغا . وحضر مكتوب من « بليار » قائمقام خطابا لأرباب الديوان والحاضرين يذكر فيـه ، أنه حضر اليه مكتوب من كبـيرهم « مينو » بالاسـكندرية صـحبة هجانة فرنسيس وصلوا اليهم من طريق البرية ، مضمونه : أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم يأتى بها العـربان اليهم . وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية الى بحر الخزز ، وأنها عن قريب تصل الاسـكندرية أن العمارة حاربت بلاد الانكليز واستولت عـلى شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوئكم وسكونكم .. الى آخر ما فيه من التمويهات . وكل ذلك لسكون الناس وخـوفا من قيامهم فى هـذه الحالة . وكان وصول هـذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوما من انقطاع أخبار من فى اسكندرية .. ولا أصل لذلك !

وفى ذلك اليوم : قتل عبد العال رجلا ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل الى بعض أزواجهن بالعرضى قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه : « هذا جزاء من ينقل الأخبار الى العثملى والانكليز » .

وفيه : وصلت العساكر الشرقية الى العادلية ، وامتد العرضى منها الى قبلى منية السيرج . وكذلك الغربية الى انبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم فى النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من

الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا بنادق ، ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ، ورجع كل الى مأمنه . واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم فى كل يوم

الخميس ٦ منه (١٨ يونيه ١٨٠١ م) :

زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر .

وسكن ابراهيم بيك زاوية الشيخ دمرداش .
وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حائط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزارين . ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس ضربوا عليهم بنبادق فأصيب أحدهم فى رجله ، فأخذوه وهرب الآثنان . وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد ، وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى . ولم يزل الضرب بينهم الى قريب العصر . والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتباعدون عن حصونهم .

الجمعة ٧ منه (١٩ يونيه ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح الى العصر أيضا .

وفيه : أشيع موت السيد أحمد المحروقى بدجوة — وكان مريضا بها — وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه : قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوسا . فأحضروه عند قائمقام ، فسألوه ، فلم يقر بشىء ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه .. حتى قيل انهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج ! وهو على حاله . ثم أودعوه الحبس .

وفيه : أطلقوا محبوسا يقال له الشيخ سليمان



وطنى يعذب حتى يعترف

حمزة الكاتب ، وكان محبوسا بالقلعة من مدة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفى ريال

السبت ٨ منه (٢٠ يونية ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة أيضا بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفرا من عسكر العثمانية الى الحسينية ، وجلسوا على مساطب القهوة ، وأكلوا كعكا وخبزا وفولا مصلوقا ، وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا الى مضربهم . وأخذ الفرنساوية عسكريا من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ، المعروف بأبى مرق ، فحبسوه ببيت قائمقام . وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى .
وفيه : زحفت عساكر البر الغربى الى تحت الجيزة ، فحضر فى صبحها « ينى » وأخبر قائمقام ، فركب من ساعته وعدى الى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضا من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم .

الثلاثاء ١١ منه (٢٣ يونية ١٨٠١ م) :

بطل الضرب فى وقت الزوال ، ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا الى قبلى منها ، ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى ... فانقطع الجالب من الناحية

القبلية أيضا ، فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والمواشي . فعزت الأقوات وغلت الأسعار فى الأشياء الموجودة منها جدا . واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة ، فلم يجدوها ... فكثر ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم الى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير شيء . فأحضر عبد العال القبانية وألزمهم باحضار السمن وضرب البعض منهم ، فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلا بعد الجهد فى تحصيلها . وبيعت الدجاجة بأربعين نصفا ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق . واستمر الأمر على ذلك الاربعاء والخميس . والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما — والمتوسط فى ذلك الانكليز وحسين قبطان باشا — فانسر الناس وسكن جأشهم لسكون الحرب .

وفى ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب المجراة ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة ، ورفعوا عشور الغلة .

الاثنين ١٧ منه (٢٩ يونية ١٨٠١ م) :

أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ، وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشا ، وأرسلوهم الى عرضى الوزير . وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق الحبس والجوع ، ومات الكثير منهم . وكذلك أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين .

وفى ليلة الاثنين المذكور : سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ، ثم سمع منها أذان العشاء والفجر . فلما أضاء النهار نظر الناس فاذا البيرق العثماني بأعلاها ، والمسلمون على أسوارها ، فعلموا بتسليمها ، وكان ذلك المدفع اشارة الى ذلك . ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة .

وأشيع الافراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم وباقى المحبوسين فى الصباح . وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم !

وفى ذلك اليوم : أنزلوا عدة مدافع من القلعة ، وكذلك من قلعة باب البرقية ، وأمتعة وفروش وبارود .

الثلاثاء ١٨ منه (٣٠ يونية ١٨٠١ م) :

عمل الديوان ، وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسالمة ، ووعد أن فى الجلسة الآتية يأتى اليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ، ويسمعونه جهارا .

وفى ذلك اليوم : كثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقوة السعى .

وفيه : أفرجوا عن محمد جلبى أبى دفية



الفرنسيون يحملون امتعتهم على الجمال

واسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسى نسيب أبى دفية ، والشيخ خليل المنير وآخرين تكملة ثمانية أنفار ، ونزلوا الى بيوتهم .

وفيه . سافر عثمان بيك البرديسى الى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق المراكب بالغلال والأقوات الى مصر ، ويلاقى ستة آلاف من عسكر الانكليز حضروا من القلزم الى القصير .

وفيه : شنق الفرنساوية شخصا منهم على شجرة ببركة الازبكية . قيل انه سرق !

وفيه : أرسل الفرنساوية الى الوزير وطلبوا منه جمالا ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بارسال مائتى جمل ، وقيل أربعمائة ، مساعدة لهم . وفيها من جمال طاهر باشا وابراهيم بيك .

الخميس ٢٠ منه (٢ يولية ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم : شيخ السادات والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى ، وحسن أغا المحتسب ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم .. فنزلوا الى بيت قائمقام وقابلوه وشكروه . فقال للمشايخ : « ان شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فانى كلمته ووصيته عليكم » .

وفيه : حضر الوزير ومن معه من العساكر الى ناحية شبرا ، وكذلك الانكليز ، وصحبتهم قبطان باشا ، الى الجهة الغربية والعساكر تجاههم . ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر . وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة ، بل يزيد عنه فى الاتقان ، بكونه من الراح فى غاية الثخن ، وله داربزين من الجهتين أيضا ، وهو عمل الانكليز .

وفيه : ألصقوا أوراقا بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ، ونصها : « ثم انه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح .. أنفسكم وأديانكم ومتاعكم ما أحد يقارشكم . ورءوس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه .

« الشرط الثانى عشر : كل واحد من أهالى مصر المحروسة ، من كل ملة كانت ، الذى يريد أن يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الارادة ، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما أحد يعارضهم .

« الشرط الثالث عشر : لا أحد من أهالى مصر المحروسة ، من كل ملة كانت ، يكون قلقا من قبل نفسه ، ولا من قبل متاعه ... جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوى بمدة اقامة الجمهور بمصر . ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة . ثم ياأهالى مصر وأقاليمها ... جميع الملل ، أنتم ناظرون نحو آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم ، فيلزم أنتم أيضا تسلكون فى الطريق المستقيمة ، وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذى يعمل كل شىء » . وعليه امضاء « بليار » قائمقام .

الجمعة ٢١ منه (٣ يولية ١٨٠١ م) :

عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل ، فقال الوكيل : « هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر ؟ » فقالوا : « لا » . فأبرز ورقة من كمه .. بالقلم الفرنساوى ، فشرع يقرؤها والترجمان يفسرها ، وهى تتضمن الأحد عشر شرطا الباقية ، فقال : « ان الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ، ويتوجهون على البر بمتاعهم الى رشيد ، وينزلون فى مراكب ويتوجهون الى بلادهم . وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون فى خمسين يوما ، وأن يساق الجيش من طريق مختص . ومن عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤنة وجمال ومراكب . والمجل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والانكليز والمساعد . وكامل الأستعة

والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة . ولا بد من كون المؤنة التى تترتب لهم كالمؤنة التى كانوا يعطونها هم لجيش الانكليز ورؤسائهم . وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع . والحكام المتقيدون بذلك ، يحضرون لهم المراكب ليسفروهم الى فرانسا من جهة البحر المحيط ، وأن يقدم كل من حضرة العثملى والانكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل التى يأخذونها فى المراكب ، وأن يسيروا معهم مراكب المحافظة عليهم الى أن يصلوا الى فرانسا ، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة الا مينة فرانسا . والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون اليه ، نظرا لكفاية عساكرهم . والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ، ولو التى شروها من مصر . وكل من أهل الأقليم المصرى اذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله ، وكذلك من داخل الفرنساوية من أى ملة كانت فلا معارضة له ، الا أن يجرى على أحواله السابقة . وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملى ، واذا عوفوا توجهوا الى فرانسا بالشروط المتقدم ذكرها . وحكام العثملى يتعهدون من بمصر منهم ، ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين الى «طولو» ، فيرسلون خبرا الى فرانسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم . وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية فلابد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما فى الصلح . ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح . وعلى كل طائفة معين من العثملى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولا بد من رهائن من كل طائفة واحد كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا الى فرانسا » اهـ .

ثم قال الوكيل : « وقدعلمنا بالشروط ومادرى ماذا يكون » . فقيل له : « هذه شروط عليها علامة القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع . وسيكون الصلح العام » . فقال الوكيل : « انى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى » .

وفيه : كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب ، فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم . فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم . فلما أصبحوا ، منعوهم . فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس ، بل كانوا يفتشون البعض ، ويمنعون البعض . وكل ذلك حذرا من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم وتولد الشر بسببهم . وقد دخل بعض أكابر الانجليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق ، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الامام الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

الاثنين ٢٤ منه (٦ يولية ١٨٠١ م) :

نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه ، وذلك لنقل رمة «كلهبر» فلا يرتاع الناس من ذلك . فلما كان فى صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العينى ، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم الى بلادهم .

وفيه : أرسلوا أوراقا ورسلا للاجتماع بالديوان — وهو آخر الدواوين — فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية و «استوف» الخازندار والوكيل والترجمان . فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابا مختوما وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى

عسكر « مينو » بعث به الى مشايخ الديوان ، ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون وصورته — بعد البسملة والجلالة والصدر — « نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط ، أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والانصاف فى الموضع الذى أنتم مستمرون فيه ، وان لم تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى فالله تعالى — بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم — ينعم عليكم فى الدارين عواض خيراتكم .

« وأخبرنا المقدام الجسور بونابرته المشهور عن كل ما فعلتم حاكما ونافعا بوصايا لأجلكم سارة ، رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة ، وعرفنى أيضا أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم اليه قدمتم الى الآن بخير الهدى ، وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ، ونواحيه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا لكن سركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعدائه . وبعون الله هادى كل شىء ، سيغلب كذلك العدا فى مصر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستوبان « جيرار » هذا الذى وضعناه قربكم ، لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة .

«ونوجه الى هممكم النصيحة الى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة ، وولدنا العزيز سليمان مراد ، أن كليهما حالا كائنان فى حصننا فى مصر ، وتأسفناجدا برحلة المرحوم مراد بيك فى انتقاله الى البقاء. ومعلوم فضائلكم أننا أرضينا بانعام علوفة توجه على عمدة العفائف حضرة الست نفيسة خاتون ، لما جرت الحكومة الفرنساوية الى أصدقائه . وقولوا للقوم أن مامنيتى ومرامى وابرامى الا تقيدى بيمنه وخيره. واعتمدوا أيضا الى كل ما سيقول لكم الستويان « استيو » المأمور بتدبير الأمور وكمال العوائد .

والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والاقبال » .

حرر فى أحد عشر « سيدور » ، سنة تسعه من قيام دولة جمهور الفرنساوية ، الموافق لثامن عشر صفر ، وتحته الوحدة الغير المنقسمة .. ممضى « عبد الله جاك مينو » بخطه وختمه .

ونقل بألفاظه وحروفه . وهو من تراكيب «لوماكا» الترجمان ، وكأنه كتب قبل وصول خبر الصلح الى الاسكندرية .

ثم أخذ الوكيل يقول : « ان الجنرال « مينو » انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقراء ، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع ، ولابد من وصول مكاتيب بونابرته بعد أربعة أيام أو خمسة . وأنه لاننسى أحبابه كما لاينسى أعداءه . ولو لم يكن له من الحسن الا جعلكم وسايط لاغاثة الناس ، لكان كافيا . وانكم تعلمون أنه كان نظر الى أحوال المارستان ومصالح المرضى . وكان قصده أن يبنى جامعا ، ولكن عاقه توجهه الى الشام » . وذكر كثيرا من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ، ثم أخرج ورقة بالفرنساوى وقرأها بنفسه حتى فرغ منها . ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان « رفاييل » . ومضمونها : حصول الصلح ، وتمويهات ، وهلسيات ليس فى ذكرها فائدة !

ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضا « استوف » الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى . ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى وصورتها : « خطاب محبة من حضرة «استوف» مدبر الحدود العام فى مجلس الديوان العالى ، فى سبعة عشر « سيدور » سنة تسع من المشيخة الفرنساوية :

« يامشايخ ، وياعلماء وغيرهم ... أعلمكم أن ما على أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ،

ومجيئى عندكم لأجل أن أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة . كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية وما بين أهل الديار المصرية ! قد كان الجيش والأهل المذكورون مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونابرته القنصل الأول من جمهور الفرنساوية فى عز الكفالة عندكم وعندنا !

« كم مرة يامشايخ وياعلماء ، فقد تمت صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله ، الذى عقله ما له مثيل ! كان يستحق أن يكون حاكما عليكم دائما .. عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم . ومن وقت ما التزم ، بسبب التعب الذى حصل له فى بلده ، أن يتوجه اليه ما ضاع منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمنافقة الذى كان وعدكم به وقت ما كان عندكم . وصحيح يامشايخ ، وعلماء ، أن حكم الفرنساوى كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم بونابرته دائما رأى لكم فى الخير والمحبة الى رعاية الديار المصرية لما لها نظير . كم مرة كرر الى حضرة سر عسكر « مينو » أنه ينظر اليكم فى كامل الأمور بالخير ، وكام نوبة حضرة « مينو » المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمان فى أحسن محل .

« وفى حكم سر عسكر « مينو » صار أن كثرة الظلم والجور ، الذى كان مستلقينه الرعية . قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوعا عنكم فى الأحكام السابقة .. قد وصل اليكم بواسطته . وأيضا فى مبدة حكمه رأيتم أن تقضى تحصيل الأموال بالشفقة الى الرعايا . ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يرتب تدبير فى تحصيل الأموال ، وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية . ونحن كنا صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى . وأنتم تعرفون أن خير أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا . وكذلك حضرة سر عسكر « مينو » — قبل ما يتوجه الى السفر بمدة — كان آمر بمسح الديار المصرية ، وكان وكل لذلك مدبرين ونحن من جملتهم . والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا فى تمام هذا الأمر الذى هو كنز لكامل الناس . لكن كل ذلك ما كان يكفى له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذين حواليكم ، وأيضا من الخوف الذى عندكم بسببهم . وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض .. لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل اتمام الخير والصلاح .

« وكذلك مراده . يامشايخ وياعلماء ، أن يسفر فى هذه السنة الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى ، ويظهر جميع ما تشهرونه . وكامل ما تمشون فيه من اللازم أنكم تعرفون جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية هذا . ورعاية الديار المصرية جربه بعض منهم ، وفى عشمى أنهم لم ينسوه إبدا !

« صحيح أن حكم الفرنساوية حقق الكل ، والذى يعجب الأكثر الى الرعايا . بسبب ذلك ، ذات الفرنساوية قتلوا فيه ؛ لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه . والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعاياهم يقبلون الحكم المذكور . وبسبب ذلك اربطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه منا . لكن كل جهاتهم صارت بطالة . وقد حاربونا حربا شديدا مدة عشر سنين متوالية . وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقى محله وكذلك هو الباقى دائما أبدا ! فلا يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفوه . ويكفينا الآن أننا نحقق لكم — من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارته ، ومن عند حضرة سر عسكر « مينو » — المحبة والشفقة الصادقة التى واقعة من الفرنساوية الى الرعايا المصرية .

« وهذه المحبة والعشم لم ينقطعا أبدا ، بسبب سفر جانب من الجيش .. وهلبّت أن يصادف يوم أننا نرجع الى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر من حكم الفرنساوى ، والذى ما أمكننا تميمه ! فلا تتوهموا يامشايخ ، وياعلماء ... ان فراقنا لم يقع الا عن مدة . وذلك محقق عندى ، ولا بد أن دولتنا يربطون ثانيا فى بدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم وبينكم !

« وهل بت أن دولة العثمانية لما تسير حتى الجرف الخالى الذى عمل لهم الانكليز .. يرون أن الفرنساوية فى طلب الديار المصرية ليس لهم الا ربط زيادة محبة صحبتهم لأجل كسر نفس وطيش الانكليز الذين مرادهم نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا » .

وهو من تعريب أبى ديفه ، وانشاء « أستوف » بالفرنساوى .

ولما فرغوا من قراءته قيل له : « ان الأمر لله والملك له . وهو الذى يمكن منه من شاء » .

وانفض الديوان ، وركب المشايخ ، وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا — الذى يقال له الصدر الأعظم — والسلام على القادمين معه أيضا من أعيان دولتهم والأمراء المصرية . وكانوا عزموا على الذهاب فى الصباح ، فعوقوا لبعد الديوان .

وأما الشيخ السادات فانه خرج للسلام من أول النهار ، وكتب لهم قائمقام أوراقا للحرسجية ، لأنهم مستمرون على منع الناس من الدخول والخروج ، وأبواب البلد مغلقة . وكان خروجهم من طريق بولاق . فلما وصلوا الى العرضى ، سلموا على ابراهيم بيك ، وتوجه معهم الى الوزير . فلما وصلوا الى الصيوان أمروهم برفع الطبلسان التى على أكتافهم ، وتقدموا للسلام عليه فلم يقم لقدومهم .. فجلسوا ساعة لطيفة ، وخرجوا من عنده . وسلموا أيضا على محمد باشا



أكابر القبط

المعروف بأبى مرق ، وعلى المحروقى والسيد عمر مكرم ، وباتوا تلك الليلة بالعرضى ، ثم عادوا الى بيوتهم .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ يوليه ١٨٠١ م) :

عدوا الى البر الغربى ، وسلموا على قبطان باشا ، ورجعوا الى منازلهم .

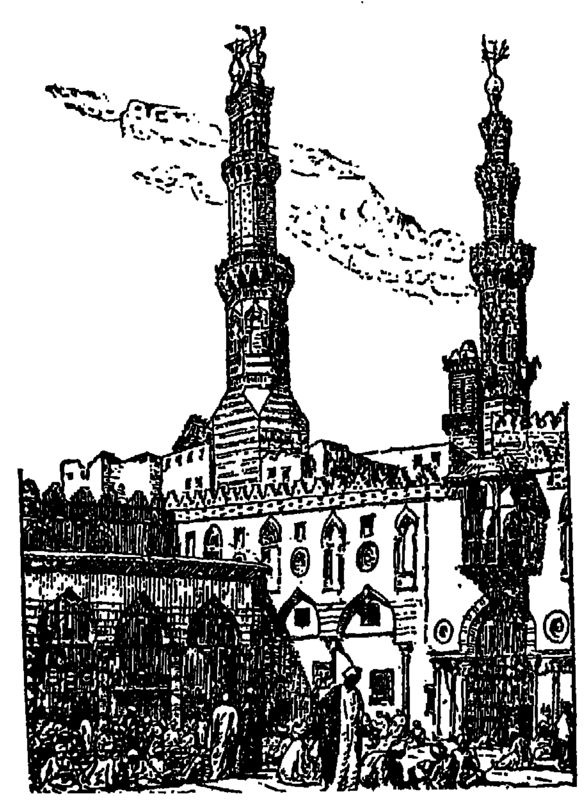
وفيه : أرسل ابراهيم بيك أمانا لأكابر القبط ، فخرجوا أيضا وسلموا ورجعوا الى دورهم .

وأما يعقوب فانه خرج بمتاعه وعازقه وعدى الى الروضة ، وكذلك جمع اليه عسكر القبط ، وهرب الكثير منهم واختفى . واجتمعت نساؤهم وأهلهم وذهبوا الى قائمقام ، وبكوا وولولوا وترجوه فى ابقائهم عند عيالهم وأولادهم ... فانهم فقراء وأصحاب صنائع مابين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك . فوعدهم أنه يرسل الى يعقوب أنه لايقهر منهم من لايريد الذهاب والسفر معه .

وفيه : ذهب بليار قائمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظماء الفرنسيس الى العرضى وقابلوا الوزير ، فخلع عليهم وكساهم فراوى سمور ، ورجعوا .

وفى يوم الأربعاء خرج المسافرون مع الفرنساوية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الافرنج والمترجمين وبعض مسلمين ممن تداخل معهم ، وخاف على نفسه بالتخلف ، وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل يتى ، وبرطلمين ، ويوسف الحموى . وعبد العال الأغا أيضا طلق زوجته ، وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره . فكان اذا باع أشياء يرسل خلف المشترى ويلزمه باحضار ثمنه فى الحال قهرا ، ولم يصحب معه الا ماخف حمله وغلا ثمنه .

وفيه : حضر وكيل الديوان الى الديوان ، وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمن قدره ستة وثلاثون ألف فضة ... على ذمة السيد أحمد الزرو .



داخل صحن الازهر

وفى ذلك اليوم أيضا : فتحوا باب الجامع الأزهر ، وشرعوا فى كنسه وتنظيفه .

وفى ذلك اليوم وما بعده : دخل بعض الانكليز ، ومروابأسواق المدينة يتفرجون ، وصحبتهم اثنان أو واحد من الفرنسيس يعرفونهم الطرق . وأشيع فى ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ، ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال .

فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال ، لم يحصل ذلك ... فاختلفت الروايات : فمن الناس من يقول : « ينزلون يوم الجمعة » . ومنهم من يقول : « انهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين » . وبات الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالاتهم . فنظروا فاذا الفرنساوية خرجوا بأجمعهم ليلا ، وأخلوا القلعة الكبيرة وباقى القلاع والحصون والمتاريس . وذهبوا الى الجيزة والروضة وقصر العينى ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية . ففرح الناس ، كعادتهم ، بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلقن بألسنتهن من الطيقان وفى الأسواق . وقام للناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : « نصر الله السلطان » .. ونحو ذلك . وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب فى السور ، وتسلقوا أيضا من ناحية العطوف والقرافة . وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلوقان ، لم يأذنوا بفتحهما خوفا من تزاحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس ، وباب الفتوح مسدود بالبناء .

فلما تضحى النهار حضر « قبى قول » وفتح باب النصر والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من الينكجرية . ودخل الكثير من العساكر ، مشاة وركبانا ، أجناسا مختلفة . ودخلت بلوكات الينكجرية وطافوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم

ورنكهم على القهاوى والحوانيت والحمامات . فامتعض أهل الأسواق من ذلك ، وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالأسواق ، وتواجدت



ساحل بولاق

البضائع وانحلت الأسعار ، وكثرت الفاكهة مثل : العنب والخوخ والبطيخ . وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤود ، فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الأثمان !

ووصلت مراكب من جهة بحرى ، وفيها البضائع الرومية واليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى . فلما كان قبل صلاة الجمعة ، واذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر . فشق من وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسينى ، فصلى فيه الجمعة ، وزار المشهد الحسينى ، ودعاه حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة للمشهد . فأجابه ، فدخل معه ، وجلس هنيهة . ثم ذهب الى الجامع الأزهر فتفرج عليه ، وطاف بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم ، وكذلك خدمة المسجد الحسينى . ثم ركب راجعا الى وطاقه بناحية الحلى بشاطىء النيل .

وعملوا فى ذلك الوقت شنكا ، وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة ، ودخل قلقات الينكجرية وجلسوا برؤوس العطف والحارات ، وكل طائفة عندها بيرق ، ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وطلب أولئك القلقات من أهل الأخطاط المآكل والمشارب والقهوات والزموهم بذلك .

وانحاز الفرنساوية الى جهة قصر العينى والروضة والجيزة ، الى حد قلعة الناصرية وفم الخليج ، وعليها بنديراتهم . ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من يأوى الى جهتهم من العثمانية ، فلا يمر العثمانى الا الى الجهة الموصلة الى بولاق . وأما اذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد .

وفى مدة اقامة المشار اليه بساحل الحلى ببولاق ، خرب عساكره ماقرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية — من حد باب الحديد الى البحر — وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته وفى الخندق ، فخربوا ذلك جميعه فى هذه المدة القليلة ... وذلك لأجل وجود النار والمطابخ .

السبت غايته (١١ يوليه ١٨٠١ م) :

دخل « قبى‌قول » — وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية — وشق المدينة وأمر بمحو نشانات الانكشارية من الحوانيت ، ولم يترك الا القهاوى .



القوات الفرنسية تستعد للرحيل

ربيع الأول

الأحد غرته (١٢ يولية ١٨٠١ م) :

فيه ركب أغات الينكجرية الكبير العثملى ، وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى . ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها . ودخل محمد باشا المعروف بأبى مرق الغزى — وهو المرشح لولاية مصر — وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفى ، وأرسل الى المشايخ وكبار الحارات وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

الثلاثاء ٣ منه (١٤ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ، ودخل المدينة ، وتوجه الى المشهد الحسينى فزاره وذبح به خمس جواميس وسبعة كباش ، واقتسمتها خدمة الضريح ، وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشميرى ، وأخذ قياس المقام ليصنع له سترا جديدا ، وفرق عليهم وعلى الفقراء نحو ألفى محبوب ذهب اسلامبولى . وامتدحه صاحبنا العلامة ، أحد أدباء مصر وفضلائها فى العلوم الأدبية ، الشيخ على الشرنفاشى بقصيدة مطلعها :

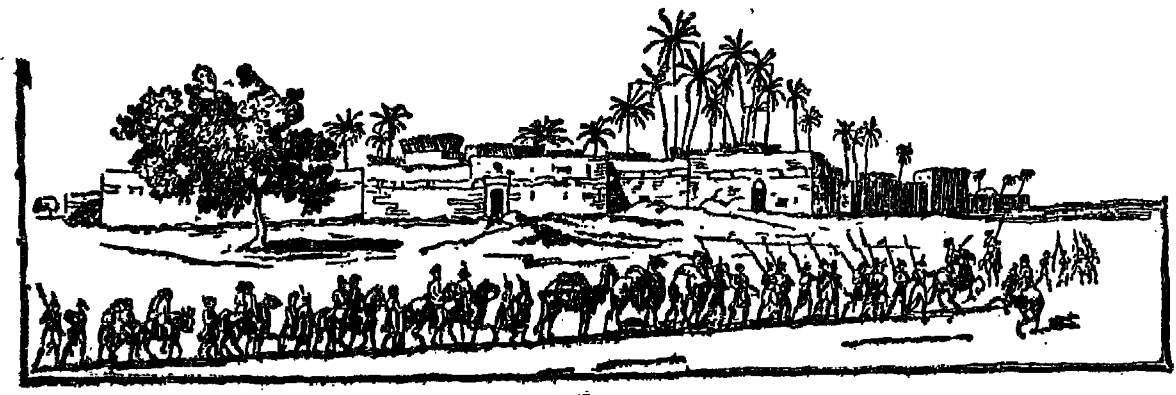
بدر المسرة بالمعالى أمنا
والوقت من بعد المخاوف آمنا

وهى طويلة ، يقول فى بيت التاريخ منها :

ولمصرنا نادى السرور مؤرخا :
صدر الكمال حسينه شرف الهنا
٢٩٤ ١٢٢ ٨٧ ١٣٣ ٥٨٠
= ١٢١٦ هجرية

وقدمها اليه وهو جالس للزيارة ، فأعطاه جائزة سنية . ثم ركب وعاد الى مخيمه بالجيزة .

وفى ذلك اليوم وقعت حادثة : وهو أن شخصا من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسى شربة عرقسوس ولم يدفع له ثمنها . فكلم العرقسوسى



الفرنساوية يرحلون

القلق الانكشارى ، فأحضره وأمره بدفع ثمنهـا ، ونهره وأراد ضربه . فاستل ذلك العسكرى الطبنجة وضرب ذلك الحـاكم فقتـله ، وهرب الى حارة الحوانية ودخل الى دار وامتنع فيها ، وصار يضرب الرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار . ومر شخصان من الأرنؤود بتلك الخطة ، فقتلهما الانكشارية لكون الغريم أرنؤوديا من جنسهما . فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار ، فخرج هاربا من النـار ، فقبضوا عليه وقتلوه . ومات تسـعة أشخاص فى شربة عرقسوس !

ووقع فى ذلك اليوم أيضا : أن شخصـين من القليونجية دخلا الى دار رجل نصرانى ، فأخـذا من بيته بقجتين من الثياب ، وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين ، فسخراهما فى حمل البقجتين . فخرج النصرانى وشـكا الى القلق ، فأمر بالقبض على الشخصين العسكريين ، فتخلصا وهربا ، بعد أن انجرح أحدهما ، وأخذوا الشخصين المسخرين ، فقطعوا رؤوسهما ظلما وعدوانا .. وذلك من مبادى قبائحهم .

الاربعاء ٤ منه (١٥ يولية ١٨٠١ م) :

ارتحل الفرنســاوية ، وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة ، وانحدروا الى بحرى الوراريق. وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ونحـو الخمسة آلاف من عسكر الأرنؤود ، ومن الأمراء المصرية : عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وأحمد بيك الكلارجي ، وأحمد بيك حسن .

فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية: ثلاث سنوات وواحدا وعشرين يوما (١) . فانهم ملكوا بر انبابة والجيزة ، وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع شهر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف . وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو المدينة منهم ، وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ، ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف .. فسبحان من لا يزول ملكه ولا تتحول سلطانه .

وفى ذلك اليوم : حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف وصحبته السيد أحمد المحروقى شاه بندر التجار بمصر ، وعليهما خلعتا سمور ، وتوجها الى دورهما .

وفيه : نبهوا على موكب حضرة الوزير يوسف باشا من الغد .

الخميس ٥ منه (١٦ يولية ١٨٠١ م) :

اجتمـع الناس من جميع الطوائف وسـائر الأجناس ، وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت من خدرها ، واكتروا الدور المطلة عـلى الشارع بأغلى الأثمان . وجلس النـاس على السـقائف والحوانيت صفوفا . وانجر الموكب من أول النهار

(١) لعل الصواب : واحد عشر يوما .



موكب الباشا عند دخوله القاهرة

الى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وأمامه العساكر المختلفة من الأرنؤود وأرط الينكجرية ، والعساكر الشامية ، والأمراء المصرلية والمغاربة والقليونجية ، وطاهرباشا — باشة الأرنؤود — وابراهيم باشا والى حلب ، ومحمد باشا والى مصر ، والكتبة ورئيس الكتاب ، وكتخدا الدولة ، والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات ، وقاضى العسكر ونواب القضاء ، والعلماء المصرية ومشايخ التكايا ، والدراويش . وأقبل المشار اليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية ، وعليه كرك صوف سنجابى مطرز مخيش ، وعلى رأسه شلنج بفصوص الماس ، وخلفه اثنان — عن يمينه وشماله — ينثرون دراهم الفضة البيضاء — ضربخانة اسلامبول — على المتفرجين من النساء والرجال ، وخلفه أيضا العدة الوافرة من أكابر اتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر الأرنؤود وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية المختصة به ، ثم المدافع وعربات الجبخانات . وعملوا وقت الموكب شنكا ضربوا فيه مدافع كثيرة . فكان ذلك اليوم يوما مشهودا ، وموسما وبهجة وعيدا ... عمت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات ، ودقت البشائر ، وقرت النواظر . وأمروا بوقود المنارات سبع ليال متواليات ... فلله الحمد والمنة على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المطلوب ، ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ، ويهديهم الى الصراط المستقيم ... صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ... آمين .

وممن قدم بصحبة ركاب المشار اليه من آكابر دولتهم : ابراهيم باشا والى حلب ، وابراهيم باشا شيخ أوغلى ، ومحمد باشا المعروف بأبى مرق ، وخليل افندى الرجائى الدفتردار ، ومحمود افندى رئيس الكتاب ، وشريف أغا نزلة أمين ، ومحمد أغا جبجى باشا الشهير بطوسون . ووقع الاختيار بأن يكون سكن المشار اليه ببيت رشوان بيك بحارة عابدين تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى .

الجمعة ٦ منه (١٧ يولية ١٨٠١ م) :

نودى بابطال كلف القلقات ، وابطال شرك العسكر لأرباب الحرف ... الا من شارك برضاه وسماحة نفسه . فلم يمتثلوا لذلك ، واستمر أكثرهم على الطلب من الناس .

الاحد ٨ منه (١٩ يولية ١٨٠١ م) :

نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصرانى ولا يهودى ، سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا ، فانهم من رعايا السلطان .. والماضى لا يعاد .

والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزى العثمانية ، وتسلحوا بالأسلحة واليطقانات ودخلوا فى ضمنهم ، وشمخوا بآنافهم ، وتعرضوا بالأذية للمسلمين فى الطرقات... بالضرب ، والسب باللغة التركية . ويقولون فى ضمن سبهم للمسلم : « فرنسيس كافر » ! ولا يميزهم الا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفيه : أرسلوا هجانا الى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر ، وارتحال الفرنساوية من أرض مصر ، ودخول العثمانية . ومكاتبات من التجار لشركائهم بارسال المتاجر الى مصر .

وفيه : أرسلوا فرمانات أيضا الى الأقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال الى الملتزمين ، ولا يدفعون شيئا الا بفرمان من الوزير .

الاثنين ٩ منه (٢٠ يولية ١٨٠١ م) :

قتلوا شخصا بالرميلة يسمى حجاجا ، كان متولى الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس ، وجار ، وعسف وقتل معه آخر يقال انه أخوه .

وفيه أيضا : قتلوا أشخاصا بالأزبكية وجهات مصر .

وفيه : ركب الوزير بثياب التخفيف ، وشق المدينة ، وتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنائع ، ومشاركتهم فى أرزاقهم . ثم توجه الى المشهد الحسينى فزاره ، ثم عبر الى دار السيد أحمد المحروقى وشرفه بدخوله اليه فجلس ساعة ثم ركب ، وأعطى أتباعه عشرين دينارا ، وذكر له أنه انما قصد بحضوره اليه ، تشريفه وتشريف أقرانه ، وتكون له منقبة ، وذلك على ممر الأزمان . وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر الا أياما قليلة . ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ يولية ١٨٠١ م) :

وصل قاصد من دار السلطنة ، وعلى يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان ... خطابا لحضرة الوزير ، ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس . وهو جواب عن رسالته بدخوله بلبيس .

وفيه : نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيما ليوم المولد النبوى الشريف .

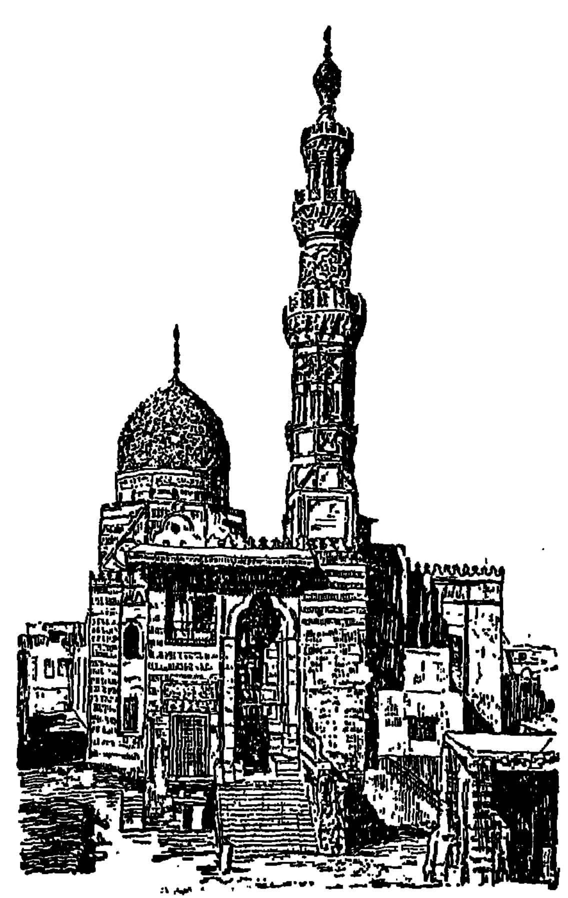
الاربعاء ١١ منه (٢٢ يولية ١٨٠١ م) :

كررت المناداة والأمر بالكنس والرش : فحصل الاعتناء ، وبذل الناس جهدهم ، وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والازردخان والتفاصيل الهندية — مع تخوفهم من العسكر — وركب الوزير [illegible] عصر ذلك اليوم وشق المدينة ، وشاهد الشوارع . وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجمع بتكية الكلشنى على العادة . وتردد الناس ليلا للفرجة ، وعملوا مغانى ومزامير فى عدة جهات ، وقراءة قرآن . وضجت الصغار فى الاسواق ، وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ومصر وبولاق . وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك الا بجهة الازبكية — حيث سكن الشيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظائفه — وبولاق فقط ...

الخميس ١٢ منه (٢٣ يوليه ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا وكيل دار السعادة ، وصحبته عدة هجانة ، الى ناحية الشام لاحضار المحمل الشريف ، وحريمات الأمراء الى مصر .

وفيه : افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس ، وذلك ببيت الدفتردار .. ولله الأمر من قبل ومن بعد !



جامع قايتباى

وفيه : حضر اليسرجى ، الـذى جلب مملوك الشيخ البكرى،الذى تقدم ذكره،الى بيت القاضى ، وأحضروا الشيخ خليل البكرى ، وادعى عليه أنه قهره فى أخذالمملوك بالفرنسيس ، وأخذه منه بدون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بيك .

وطال بينهما النزاع ، وآل الأمر بينهما الى انتزاع المملوك من المذكور ... وقد كان أعتقه ، وعقد له على ابنته . فأبطلوا العتق ، وفسخوا الزواج.وأخذ المملوك عثمان بيك الطنبرجى المرادى ، ودفع للشيخ دراهمه ، ولجلابه باقى الثمن .. وتجرع فراقه .

الجمعة ١٣ منه (٢٤ يولية ١٨٠١ م) :

ركب الوزير ، وحضرالىالجامع الأزهر ، وصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فرجية صوف .

وفى ذلك اليوم : احترق جامع قايتباى الكائن بالروضة ، المعروف بجامع السيوطى والسبب فى ذلك أن الفرنسيس كانوا يصنعون البارود بالجنينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لمـا يصنعونه ، فبقى ذلك المسجد ، وذهب الفرنسيس ، وتركوه كما هو ، وجانب كبريت فى انخاخ أيضا فدخل رجل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان . وكأنه فتح ماعونا من ظروف البارود ، ليأخذ منه شيئا ، ونسى المسكين القصبة بيـده ، فأصابت البارود ، فاشتعل جميعه ، وخرج له صوت هائل ودخان عظيم ! واحترق المسجد ، واستمرت النـار فى سقفه بطول النهـار . واحترق الرجل والغلام .

الاحد ١٥ منه (٢٦ يوليه ١٨٠١ م) :

أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى ، أنهم لا يلبسون الملونات ، ويقتصرون على لبس الأزرق والأسـود فقط فبمجرد الاشاعة وسماع ذلك ، ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ، ومن يجـدوه بثياب ملونة يأخـذوا طربوشـه ومداسه الأحمـر ، ويتركوا له الطاقية والشـد الأزرق !

وليس القصـد من أولئك القلقات الانتصـار للدين ، بل استغنام السلب ، وأخذ الثياب ! ثم ان النصارى صرخوا الى عظمائهم ، فأنهوا شكواهم . فنودى بعدم التعرض لهم ، وأن كل فريق يمشى على طريقته المعتادة .

الاثنين ١٦ منه (٢٧ يوليه ١٨٠١ م) :

طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهـار ، وألزمهم باحضارها من الغد فاجتمع المسـتعدون لجمع الفردة فى أيام الفرنساوية : كالسيد أحمد الزرو ، وكاتب البهار ، وأرادوا توزيعها على المحترفين كعادتهم فاجتمع



رسول يحضر مكتوبا للباشا

أرباب الحرف الدنية ، وذهبوا الى بيت الوزير والدفتردار ، واستغاثوا وبكوا .. فرفعوا عنهم الطلب ، وألزموا بها المياسير !

وفيه : قلدوا محمد أغا ، تابع قاسم بيك موسقو الابراهيمى ، وجعلوه واليا عوضا عن على أغا الشعراوى .

الجمعة ٢٠ منه (٣١ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر الوزير الى الجامع المؤيد ، فصلى به الجمعة .

وفيه : قبضوا على عرفة بن المسيرى ، وحبس ببيت الوزير بسبب أخيه ابراهيم .. كان شيخ مرجوش ، وتقيد بقبض فردة الفرنسيس ، ثم ذهب الى المحلة ، وتوفى بها . فغمزوا على أخيه عرفة المذكور ، وقبضوا عليه وحبسوه ، وأرسلوا فرمانا الى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند شركائهما ثم نهبوا بيت المذكور .

الثلاثاء ٢٤ منه (٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

طلبت ابنة الشيخ البكرى — وكانت ممن تبرج مع الفرسيس — بمعينين من طرف الوزير . فحضروا الى دار أمها بالجودرية بعد المغرب ، وأحضروها ووالدها . فسألوهما عما كانت تفعله . فقالت : « انى تبت من ذلك » . فقالوا لوالدها : « ماتقول أنت ؟ » . فقال : « أقول انى برىء منها » . فكسروا رقبتها ! وكذلك المرأة التى تسمى « هوى » .. التى كانت تزوجت نقولا القبطان ، ثم أقامت بالقلعة ، وهربت بمتاعها ، وطلبها الفرنساوية ، وفتش عليها عبد العال ، وهجم بسببها عدة أماكن — كما تقدم ذكر ذلك — فلما دخل المسلمون ، وحضر زوجها مع من حضر ، وهو اسماعيل كاشف ، المعروف بالشامى ، أمنها وطمنها ، وأقامت معه أياما . فاستأذن الوزير فى قتلها ، فأذنه . فخنقها فى ذلك اليوم أيضا ومعها جاريتها البيضاء — أم ولده — وقتلوا أيضا امرأتين من أشباههن .

الاربعاء ٢٥ منه (٥ اغسطس ١٨٠١ م) :

أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا أبى مرق الى أخى الشواربى شيخ قليوب . فأحضروه على غير صورة .. ماشيا ، مكتوفا ، مسحوبا ، مضروبا .. من قليوب الى مصر . فحبسوه ببيت الوزير . ثم حضر أخوه ، وصالح عليه بعشرة أكياس .. قام بدفعها ، وأطلق !

قيل ان السبب فى ذلك : أن جماعة من أتباع محمد باشا ذهبوا الى قليوب وطلبوا تبنا ، فطردهم وشتمهم وردهم من غير شىء . وقيل : ان ذلك باغراء ابن المحروقى ، لضغن بينه وبينه قديم .

الاثنين آخره (١٠ اغسطس ١٨٠١ م) :

تحرر ديوان العشور . فكان المتحصل ستة عشر ألف كيس .

وفيه : تشاجر طائفة من الينكجرية مع طائفة من الانكليز بالجيزة ، وقتل بينهما أشخاص . فنودى على الينكجرية ، ومنعوا من التعدى الى بر الجيزة .

وفيه : كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء فى أصناف المأكولات ، وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ، ورتبوا على السوقة وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم فى كل يوم ، ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن ، وكذلك يشربون القهوة من القهاوى ، ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ، ويبيعونها بأغلى الأثمان ، ولا يسرى عليهم حكم المحتسب . وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية بأدنى سبب ، وتعرضوا للسكان فى منازلهم . فتأتى منهم الطائفة ويدخلون الدار ، ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها . فان لاطفهم الساكن

واعطاهم دراهم .. ذهبوا عنه وتركوه ، وان عاند سبوه وضربوه ... ولو عظيما . وان شكا الى كبيرهم،قوبل بالتبكيت ، ويقال له : « ألا تفسحون لاخوانكم المجاهدين ، الذين حاربوا عنكم ، وأنقذوكم من الكفارالذين كانوا يسومونكم سوء العذاب ، ويأخذون أموالكم ، ويفجرون بنسائكم ، وينهبون بيوتكم .. وهم ضيوفكم أياما قليلة ؟! ». فما يسع المسكين الا أن يكلفهم بما قدر عليه . وان أسعفته العناية ، وانصرفوا عنه بأى وجه ... فيأتى اليه خلافهم ! وان سكنوا دارا أخربوها .

وأما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى ، فانهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين ، ويطلبون منهم — بعد كلف المآكل واللوازم — مصروف الجيب ، وأجرة الحمام وغير ذلك .. !!

وتسلطت عليهم المسلمون بالدعاوى والشكاوى، على أيدى أولئك القلقات ، فيخلصون منهم مالزمهم بأدنى شبهة ، ولا يعطون المدعى الا القليل من ذلك . والمدعى يكتفى بما حصل له من التشفى والظفر بعدوه .

واذا تداعى شخص على شخص ، أو امرأة مع زوجها ، ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة — ان كانت الدعوى شرعية — فاذا تمت الدعوى ، أخذ القاضى محصوله ، ويأخذ مثله أتباع القلق .. على قدر تحمل الدعوى !

ربيع الآخر

الثلاثاء غرته (١١ اغسطس ١٨٠١ م) :

أفرج عن عرفة ابن المسيرى ، وصولح عليه بخمسة عشر كيسا . وكتب له فرمان برد منهوباته ، وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة .

الاربعاء ٢ منه (١٢ اغسطس ١٨٠١ م) :

آمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم القديمة . فأخبروا ابراهيم بيك . فقال : « الأمر عام لنا ولكم أولكم فقط ؟ » . فقالوا : «لاندرى» فسأل ابراهيم بيك الوزير المشار اليه ، فقال له : « بل ذلك عام » .

الخميس ٣ منه (١٣ أغسطس ١٨٠١ م) :

نبهوا على العساكر المتداخلة فى الينكجرية وغيرهم بالسفر .

وفيه : كتبت فرمانات باللغة العربية — بترصيفه صاحبنا العلامة السيد اسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب — وأرسلت الى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها : الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة . وعدم التعرض لهم وفى ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم .

الجمعة ٤ منه (١٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

أحضروا رمة زوجة ابراهيم بيك ، وعملوا لها قبرا بجانب أخيها محمد بيك أبى الذهب بمدرسته المقابلة للجامع الأزهر ، ودفنوها به .

السبت ٥ منه (١٥ اغسطس ١٨٠١ م) :

ورد الخبر بوفاة احمد بيك حسن ، أحد الأمراء الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان والفرنساوية وكان القبطان وجهه الى عرب الهنادى الذين يحملون الميرة الى الفرنسيس المحصورين بسكندرية ، وضم اليه عدة من العسكر فحاربهم وقاتلهم عدة مرار ، فأصابته رصاصة دخلت فى جوفه . فرجع الى مخيمه ، ومات من ليلته . وكان يضاهى سيده فى الشجاعة والفروسية .

وفيه : أطلقوا للملتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة ، ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقى ، ومال



فلاح يحرث الأرض

الميرى والمضاف ، ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة... بأوراق مختومة من ابراهيم بيك وعثمان بيك .

والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية ، والرجاء بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحلوان . مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ، ونظروا فى الأموال الميرية والخراج فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجلة ، ونظروا فى الدفاتر القديمة ، واطلعوا على العوائد السالفة ، ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى الأراضى وعدمه . فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار وقالوا : « ليس من الانصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة » . وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة، فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ، ولا الفلاحين بالخراج . فتنفست الفلاحون ، وراج حالهم وتراجعت أرواحهم ، مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ... ونحو ذلك .

الثلاثاء ٨ منه (١٨ اغسطس ١٨٠١ م ــ ١٣ مسرى ١٥١٧ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وركب محمد باشا ، المعروف بأبى مرق المرشح لولاية مصر ، فى صبحها الى قنطرة السد . وكسروا جسر الخليج بحضرته ، وفرق العوائد ، وخلع الخلع ، ونثر الذهب والفضة .

وفيه : عزل الوزير القاضى ، وهو قاضى العرضى الذى كان ولاه الوزير قاضى العسكر بمصر عمن يؤول اليه القضاء باسلامبول .

فلما تولى ذلك حصل منه تعنت فى الأحكام وطمع فاحش ، وضيق على نواب القضاء بالمحاكم ومنعهم من سماع الدعاوى ، ولم يجرهم على عوائدهم . وأراد أن يفتح بابا فى الأملاك والعقار ويقول : « انها صارت كلها ملكا للسلطان ! لأن مصر قد ملكها الحربيون ، وبفتحها صارت ملكاً للسلطان ، فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى ثانيا !! » .

ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات ومناقشات وفتاوى ، وظهروا عليه . ثم تحامل عليه بعض أهل الدولة وشكوه الى الوزير .. فعزله ، وقلد مكانه قدسى أفندى نقيب الأشراف بحلب سابقا . ونقل المعزول متاعه من المحكمة فكانت مدة ولايته خمسة عشر يوما .

وفى ذلك اليوم أيضا : خلع الوزير على الأمير محمد بيك الألفى فروة سمور ، وقلده امارة الصعيد ، وليرسل المال والغلال ، ويضبط مواريث من مات بالصعيد بالطاعون . فبرز خيامه من يومه الى ناحية الآثار ، وأسكن داره بالأزبكية رئيس أفندى .

وفيه : وصلت قافلة شامية وبها بضائع وصابون ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسى والحاج سعودى الحناوى وآخرون . وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلى والدخان .

وفيه : ورد الخبر بسفر الفرنساوية ، ونزولهم المراكب من ساحل أبى قير .

الجمعة ١١ منه (٢١ اغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الوجاقلية ، والأمراء المصرية ، ازيهم من القواويق المختلفة الأشكال ــ على عادتهم القديمة ــ حسب الأمر بذلك ، وكذلك الأمراء



بعض الأمراء المصرية بزيهم

الصناجق . وحضروا فى يوم الجمعة بديوان الوزير ونظر اليهم ، وأعجب بهيئاتهم ، واستحسن زيهم ، ودعا لهم وأثنى عليهم ، وأمرهم أن يستمروا على هيئتهم...وذلك على ماهم فيه من التفليس . وغالبهم لا يملك عشاء ليلته ، فضلا عن كونه يقتنى حصانا وشنشارا وخدما ، ولوازم لا بد منها ، ولا غنى للمظهر عنها !

وفيه : حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية ، فتخلفوا عنهم ، ورجعوا الى مصر .

وفيه : أرسلوا تنابيه للملتزمين بطلب بواقى مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة ... فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف ، فمن أين يدفعون البواقى ؟

الاحد ١٣ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠١ م) :

حبس حسن أغا محرم المنفصل عن الحسبة ، وطولب بمائتى كيس ... وذلك معتاد الحسبة فى الثلاث سنوات التى تولاها أيام الفرنساوية فانه لما تقلد أمر الحسبة فى أيامهم ، منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوقة ، وجعلوا له مرتبا فى كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته ، وكذلك أتباعه . وطالبوه أيضا بأربعة آلاف غرش ... كان أعطاها لـه نزلة أمين عند حضورهم فى العام الماضى لمشتروات الذخيرة . ثم نقض الصلح عقيب ذلك ، وخرجوا من مصر ، وبقيت بذمته . فأخبر أن الفرنساوية علموا بها ، وأخذوها منه ، وأعطوه ورقة بوصول ذلك اليهم... فلم يقبلوا منه ذلك ، وبقى معتقلا .

وادعوا عليه أيضا بتركة الأغا الذى كان نزيله ، ومات عنده ، واحتوى على موجوده فأخبر أيضا أن الفرنسيس أخذوا منه ذلك أيضا ، وأعطوه سندا ... فلم يقبلوا منه ذلك ، واستمر محبوسا .

الاثنين ١٤ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

نودى على أن أهل البلدة لايصاهرون العساكر العثمانية ، ولا يزوجونهم النساء وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد ، وأكثرهم النساء اللاتى درن مع الفرنساوية . ولما حضر العثمانية تحجبن وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ، ورغبوا فيهن الخطاب فأمهروهن المهور الغالية ، وأنزلوهن المناصب العالية .

وفى ذلك اليوم أيضا : نودى على أهل الذمة بالأمن والأمان ... وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات !

وفيه : قبض على جربجى موسى الجيزاوى ، وعمل عليه عشرون كيسا

وفيه : قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتى ، وضربه علقة ، وحبسه ، وألزمه بمبلغ دراهم .

وفيه سافر الانكليزية الذين بالجيزة والروضة الى جهة الاسكندرية وأشيع أن الحرب قائم بين العساكر والفرنسيس بالاسكندرانية من يوم الاثنين

سابعه . فطلبوا المراكب حتى شح وجودها ، وضاق الحال بالمسافرين . واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام ... وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الاسلامية بالسفر .

الخميس ١٧ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠١ م) :

نقضت الأوامر بتصرف الملتزمين فى البلاد ، وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول الى البلاد لقبض الأموال فى غير أوانها لطرف الدولة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ اغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم .

وفيه : قبض من مصطفى الطاراتى — المعتقل ، المتقدم ذكره — خمسة عشر ألف ريال .. ولم يزل معتقلا . وقيل : انه غمز عليه ، فوجد له فى مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عين .

ومصطفى هذا كان كلارجيا عند قائد أغا حين كان بمصر . فلما خرج الأمراء ، تقيد مقدما عند بونابرته . ثم عند كلهبر . فلما وقعت الفتنة السابقة ، وظهر يعقوب القبطى ، وتولى أمر الفردة وجمع المال... تقيد بخدمته ، وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم . فكان يجلس على الكرسى وقت القائلة ويأمر أعوانه باحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس ... فيمثل بين يديه ، ويطالبه باحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ، ولا قدرة له على تحصيله ، فيعتذر بخلو يده ويترجى امهاله ، فيزجره ويسبه ويأمر بضربه . فيبطحونه ويضرب بين يديه ، ويرده الى السجن بعد أن يأمر أحد أعوانه أن يذهب الى داره ، وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس ، ويهجمون على حريمه ... وأمثال ذلك !

الأحد ٢٠ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠١ م) :

وردت أخبار من سكندرية بتملك العساكر



معركة بين الانجليز والفرنسيين فى البحر

الاسلامية والانجليزية متاريس الفرنساوية ، وأخذهم المتاريس التى جهة العجمى وباب رشيد ، وجانبا من سكندرية القديمة . وتخطت المراكب وعبرت الى المينة ، وأن الفرنساوية انحصروا داخل الأبراج ، وأخذ منهم نحو المائة وسبعين أسيرا ، وقتل منهم عدة وافرة .

ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها ، وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا ، وكذلك من الانجليز . ثم انجلت الحرب عما ذكر فلما ورد الخبر بذلك ، ضربوا عدة مدافع ، وسر الناس بذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول سليمان صالح الى بلبيس وصحبته المحمل والحريمات ، وأحضر معه رمة سيده صالح بيك ليدفنها بمصر بالقرافة . فخرج أناس لملاقاتهم ، وأخذوا معهم حمير مكارية لكراوى النساء ... وهدية .

الاثنين ٢١ منه (٣١ اغسطس ١٨٠١ م) :

وصل سليمان أغا الى بركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ، ومعه أيضا رمة صالح بيك ليدفنها بقرافة مصر . فخرج الناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النساء ، وهديات .

ونودى فى عصريته بعمل موكب من الغد، وطاف آلاى جاويش بزيه المعتاد، وخلفه القابجية وهم ينادون باللغة التركية بقولهم : « يارن آلاى ! » .

الثلاثاء ٢٢ منه (اول سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل الموكب ، وانجر الألاى ، ودخل المخمل من باب النصر ، وشقوا به من الشارع الأعظم وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسينى ، والأسواق مزينة ، وعلى الحوانيت الشقق الحرير والزردخان والتفاصيل وتعاليق القناديل . ومشى فى الموكب رسوم الوجاقلية والأوده باشية وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ونقيب الأشراف . ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور فى صبح ذلك اليوم للمشى فى ذلك الموكب . فمشى كل من كان له عمامة خضراء ... يكبرون ويهللون ، فكانوا عددا كثيرا . وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبوه وسحبوه قهرا ، وأمروه بالمشى . وان أبى ضربوه وسبوه ، وبكتوه بقولهم : « ألست من المسلمين ! » ، وكذلك تجمع أرباب الأشاير ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم ، وخورهم وصياحهم .. فلم يزالوا حتى وصلوا الى قراميدان . وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان أغا الذى وصل به ، ولكونه عوضا عن سيده أمير الحج صالح بيك . ثم صعدوا به الى القلعة ، وأودعوه هناك ، وعملت وقدة وشنك ... تلك الليلة .

وفى ذلك اليوم : شرعوا فى فتح باب الفتوح . وكان القصد ادخال المحمل منه لضيق باب الاستتنا الثانى ، الذى جدده الفرنساوية عند باب النصر ، فلم يتأت ذلك لمتانة البناء . واستمروا ثلاثة أيام يهدمون فى البناء الذى على الباب من داخل .. فلم يمكن ..

ودفنوا صالح بيك بتربة أعدت له بقرافة المجاورين . والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء والصديقين . وهؤلاء الثلاثة (١) بالعكس ، فما هو الا لتطهيرها منهم !

وفيه : ورد خبر باسكندرية بانقضاء الحرب . وطلب الفرنسيس الصلح بعد وقوع الغلبة عليهم وهزيمتهم . وأخذ منهم عدة أسرى ، وانحصروا فى الأبراج ، فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرينه .

وفيه : ألزموا حسن أغا المحتسب بالنقلة من داره — وهو فى الحبس — فأرسل الى حريمه وأتباعه ، فانتقلوا الى مكان آخر

وفيه : ورد الخبر أيضا بورود عثمان كتخدا الدولة ... الذى كان بمصر فى العام السابق ، وباشر الحروب بمصر ، وصحبته آخر يقال له شريف افندى .

السبت ٢٦ منه (٥ سبتمبر ١٨٠١ م)

قدم محمد أفندى المعروف بشريف أفندى الدفتردار ، وقدم بصحبته عثمان كتخدا الدولة وسكن شريف أفندى بدرب الجماميز ، وسكن الكتخدا بمنزل حسن آغا — المحتسب سابقا — بسويقة اللالا .

غايته (٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل شنك ومدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر بتسليم الاسكندرية . وسبب تأخرهم الى هذه المدة — بعد وقوع الصلح — انتظار الأمر بالانتقال من بونابرته .. وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم ، أرسل سارى عسكر « مينو » تطريدة الى فرنسا بالخبر الى بونابارته ، وانتظر الجواب فورد عليه

(١) « وهؤلاء الثلاثة » : يعنى صالح بيك ومن مقته ممن مات بالشام .

الأمر بالانتقال والحضور . فعند ذلك أنزلوا متاعهم الى المراكب ، وسافروا الى بلادهم .

جمادى الأولى

غرته (٩ سبتمبر ١٨٠١ م) :

قرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا ، وفيها التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم ، مثل جرجس الجوهرى وواصف ومالطى ومقدمهم فى تحرير الأموال الميرية .

وفيه : انفصل مولانا السيد محمد ، المعروف بقداسى أفندى ، عن القضاء . وسافر ذلك اليوم وذلك بمراده واستعفائه وطلبه . وتقلد القضاء عوضه عبد الله أفندى قاضى الميرى وكاتب الجمرك ، وحضر فى ذلك اليوم الى المحكمة .

٣ منه (١١ سبتمبر ١٨٠١ م) :

أفرج عن حسن أغا المحتسب بشفاعة عثمان كتخدا وحسن أغا وكيل قبطان باشا من غير شىء . وتوجه الى دار بجوار داره .

وفيه : تجمع النساء والفلاحون والملتزمون والوجاقلية ببيت الوزير بسبب الالتزام ، والمنع من التصرف ، وحضور الفلاحين للضيق عليهم بطلب المال الى ملتزميهم ، ومطالبتهم اياهم بما قبضوه منهم .

فلما اجتمعوا وصرخوا ، سأل الوزير عن ذلك... فأخبروه . فأمر بكتابة فرمان بالاطلاق والاذن للملتزمين بالتصرف . ووجهوا الأمر الى الدفتردار فكتب عليه ، ثم الى الروزنامجى كذلك . ثم توجهوا به الى دفتردار الدولة ... فتوقف ، وبقى الأمر أياما . وذلك أن القوم يريدون أمورا مبطونة فى نفوسهم ، وأطماعا مركوزة فى طباعهم .

٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠١ م) :

نودى بالزينة ثلاثة أيام : أولها الأربعاء وآخرها الجمعة ... سرورا بتسليم الاسكندرية .

فزينت المدينة ، وعملت الوقدات بالأسواق ، والمغانى للفرجة ليلا ونهارا . وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريخ وبارود ببركة الغرابين المطل عليها بيت الوزير .

وفيه : حضر نحو ستة أنفار من أعيان الانكليز وصحبتهم جماعة من العثمانية يفرجونهم على مواطن مزارات المسلمين . فدخلوا الى المشهد الحسينى وغيره بمداساتهم ، فتفرجوا وخرجوا !

وفيه : تحاسب السيد أحمد المحروقى مع السيد أحمد الزرو على شركة بينهما ، فتأخر على الزرو احدى وعشرون كيسا فألزمه باحضارها ، وحبسه بسجن قواس باشا ، وأمره بالتضييق عليه .

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

لغط الناس باستمرار الزينة سبعة أيام ، وانتظروا الاذن فى رفع التعاليق ، فلم يؤذن لهم بشىء . فاستمروا طول النهار فى اختلاف وحل وربط . ثم اذن لهم — قبيل الغروب — برفعها بعد ما عمروا القناديل . وكان الناس يبيتون سهارى بالحوانيت ، والقلقات يطوفون بالأسواق ، فمن وجدوه نائما .. نبهوه بازعاج !

١٢ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وقع من طوائف العسكر عربدة بالأسواق ، وتخطفوا أمتعة الناس ، ومن باعة المآكل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح . فانزعجت الناس ، ورفعوا متاعهم من الحوانيت ، وأخلوا منها وأغلقوها . فحضر اليهم بعض أكابرهم وراطنهم .. فانكفوا وراق الحال . وتبين أن السبب فى ذلك تأخير علائفهم . وذلك أن من عادتهم القبيحة : أنه اذا

تأخرت عنهم علائفهم ... فعلوا مثل ذلك بالرعية ، وأثاروا الشرور . فعنـد ذلك يطلبون خواطرهم ، ويوعدونهم أو يدفعون لهم !

وفيه : ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على مصر — وهو كتخدا حسـين باشا القبودان — فألبس الوزير وكيله خلعة عوضا عنه .

واشيع عزل محمد باشا أبو مرق وسفره الى بلاده . وحضر السـفار أيضـا من جهـة رشيد واسكندرية ، وأخبروا بأن الفرنسـاوية لم يزالوا باسكندرية وبنديراتهم على الأبراج ، وأن القبطان ومن معه لم يدخلوها ، وانما يدخلها معهم الانكليزية وأنهم ينتظـرون الى الآن الجـواب والاذن من شيختهم (١) ... وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له . وأما الطائفة الأخرى التى سافرت من مصر ، فانهم نزلوا وسـافروا ، على وفق الشرط ، من أبى قير كمـا تقـدم .

٢٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بيك المرادى وعثمـان بيك البرديسى وابراهيم كتخدا السنارى والحاج سلامه تابعه وآخرين . فسافروا فى رابع عشرينه .

٢٤ منه (٢ اكتوبر ١٨٠١ م) :

فى ليلته : قتلوا شخصا يسمى مصطفى الصيرفى من خط الصاغة ... قطعوا رأسه تحت داره عنـد حانوته . وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى نصارى القبط والذين يتعاطون الفرد ويوزعونها . وتولى فردة أهل الصاغة وسوق السلاح ، وتجاهر بأمور نقمت عليه ، وأضر أشخاصا . وأغرى به ، فحبس أياما ثم قتل بأمر الوزير . وترك مرميا ثلاث ليال ثم دفن !

(١) لعله يعنى ملكة انجلترا .

وفى صبيحة قتـله ، طاف المشـاعلى بالخطة ودوائرها : مثل الجمالية والضببية والنحاسين وباب الزهومة وخان الخليلى . فجبى من أرباب الحوانيت دراهم مابين خمسة أنصاف فضة وعشرة . وعند شبله جبى القلقان أيضا مايزيد على المائة قرش . وذلك من جملة عوائدهم القبيحة .

وفيه : هرب السيد أحمد الزرو ، فلم يعلم له خبر . وذلك بعدما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن محرم . فكتب الوزير عدة فرمانات ، وأرسـلها صحبة هجانة الى جهة الشام ، وختموا على دوره . ولم نعلم هروبه الا بعد أربعة أيام ، لما داخله من الخوف بقتل الصيرفى المذكور .

٢٩ منه (٧ اكتوبر ١٨٠١ م) :

عقد ابراهيم بيك الكبير عقد ابنته عديلة هانم التى كانت تحت ابراهيم بيـك الصـغير المعروف بالوالى ، الذى غرق بواقعة الفرنسيس بانبـابه ... على الأمير سـليمان كاشـف — مملوك زوجها الأول ! — على صداق ألفى ريال .

وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر النقيب والفيومى وبعض الأعيان .

غايته (٨ اكتوبر ١٨٠١ م) :

قتل شخص أيضا بسوق السلاح ، وهو من ناحية المنصورة . وجبى المشاعلية والقلقات دراهم من أرباب الحوانيت ... مثل ذلك المذكور فيمـا تقـدم .

* * *

وانقضى هذا الشهر وحوادثه التى منهـا : الارتباك فى أمر حصص الالتزام ، والمزاد فى المحلول وعدم الراحة والاستقرار على شىء يرتاح الناس عليـه .

ومثل ذلك : الرزق الأحباسية والأوقاف .

وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع

الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها ، وبيده دفاتر ذلك . فجمع المباشرين واستملاهم ، وكذلك كاتب المحاسبة ، وبث المعيين لاحضار النظار بين يديه وحسابهم على الايراد والمصرف ، وأظهر أنه يريد بذلك تعمير المساجد ، واجراء مشروطات الأوقاف . وآخر مثله لتحرير الأوقاف والمساجد الكائنة بالقرى المصرية . وانضمت اليه الأغوات ، وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك . واستمروا على ذلك بطول السنة .

ثم انكشف الأمر ، وظهر أن المراد من ذلك ليس الا تحصيل الدراهم فقط ، وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الامكان بعد التعنت فى التحرير ، والتعلل باثبات المدعى فى الايراد والمصرف — خصوصا اذا كان الشخص ضعيفا وليس من أرباب الوجاهة والمتوجهين ، أو بينه وبين الكتبة حزازة باطنية — ثم يحررون دفترا ويحررون الفايظ . ثم يطلبون منه ايراد ثلاث سنوات أو أربع !

ولم يزل حتى يصالح على نفسه بما أمكنه ، ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين ؛ ان شاء عمر ، وان شاء أخر ! فان انتهت اليهم بعد ذلك شكوى فى ناظر وقف سبقت له مصالحة ... لا تسمع شكوى الشاكى ، ولا يلتفت اليها ! ويفعلون هذا الفعل فى كل سنة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضى أيضا ، حتى غطى الذراع الذى زاده الفرنساوية على عمود المقياس . فان الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس ، رفعوا الخشبة المركبة على العمود ، وزادوا فوق العمود قطعة رخام مربعة مهندمة ، وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطا وركبوا عليها الخشبة ... فسترها الماء أيضا ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة . ولم يقع فى هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية ، وخصوصا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم ، وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيس أماكن النزاهة ، وقطع الأشجار ، وتلف المقاصف التى كانت تجلس بها أولاد البلد مثل : دهليز الملك والجسر والرصيف ، وغير ذلك مثل : الكازرونى والمغربى وناحية قنطرة السد وقصر العينى والقصور .

ومنها : أن محمد بيك المعروف بالمنفوخ المرادى حصل عنده وحشة من قبطان باشا . فحضر الى ناحية الأهرام بالجيزة ، وطلب الحضور عند الوزير يستجير به فذهب اليه خشداشه عثمان بيك البرديسى...وحادثه ، وأشار عليه بالرجوع الى جهة القبطان . فأقام أياما ثم رجع الى ناحية سكندرية .

والسبب فى ذلك ماحصل فى الواقعة التى قتل بها أحمد بيك الحسينى قيل ان ذلك بنفاقه عليه ، واتضح ذلك للقبطان ، وأحضرت العرب مراسلته اليهم بذلك ، فانحرف عليه القبطان . فلما علم ذلك داخله الخوف ، ثم أرسل اليه الأمراء والقبطان أمانا .... فرجع بعد أيام .

ومنها : حضور الجمع الكثير من أهالى الصعيد هروبا من الألفى وما أوقعه بهم من الجور والمظالم ، والتقارير والضرائب والغرائم .

وحضر أيضا الشيخ عبدالمنعم الجرجاوى والشيخ العارف وخلافهم يتشكون مما أنزله على بلادهم . وطلب متروكات الأموات وأحضر ورثتهم وأولادهم وأطفالهم ، ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيئا من القضاة والفقهاء ، وحبسهم وعاقبهم وطالبهم ، وطلب استئصال ما بأيديهم ، ونحو ذلك .

كل ذلك بأمر من الدولة ، وغير ذلك معين ... فحضروا فصالحوا على تركة سليم كاشف باثنين وعشرين ألف ريال ، بعد أن ختموا على دوره ...

بعد أن أزعجوا حريمه وعياله . ولطوا من الحيطان ثم حضروا الى مصر ... وأمثال ذلك .

ومنها : كثرة تعدى العسكر بالأذية للعامه وأرباب الحرف . فيأتى الشخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت ، ثم يقوم فيدعى ضياع كيسه أو سقوط شىء منه ، وان أمكنه اختلاس شىء فعل ! أو يبدلون الدنانير الزيوف،الناقصة النقص الفاحش ... بالدراهم الفضة قهراء أو يلاقشون النساء فى مجامع الأسواق ، من غير احتشام ولا حياء . واذا صرفوا دراهم أو أبدلوها ، اختلسوا منها !

وانتشروا فى القرى والبلدان ، ففعلوا كل قبيح ، فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوبةباللغة التركية،ويوهمونهم أنهم حضروا اليهم بأوامر : اما برفع الظلم عنهم ، أو مايبتدعونه من الكلام المزوو ... ويطلبون حق طريقهم مبلغا عظيما ، ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ، ويخطفون الأغنام ، ويهجمون على النساء ، وغير ذلك مما لايحيط به العلم . فطفشت الفلاحون ، وحضر أكثرهم الى المدينة ، حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم .

أو يركب العسكرى حمار المكارى قهرا ، ويخرج به الى جهة الخلاء ، فيقتل المكارى ، ويذهب بالحمار فيبيعه ساحة الحمير ! واذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدنة ، أخذوا دراهمهم ، أو شلحوهم ثيابهم ، أو قتلوهم بعد ذلك !

وتسلطوا على الناس بالسب والشتم ، ويجعلونهم كفرة .. وفرنسيس وغير ذلك !

وتمنى أكثر الناس — وخصوصا الفلاحين — أحكام الفرنساوية !

ومنها : أن أكثرهم تسبب فى المبيعات وسائر إصناف المأكولات والخضارات ، ويبيعونها بما احبوا من الأسعار ، ولا يسرى عليهم حكم


الناس يبنون ما هدمه الفرنسيون

المحتسب ولا غيره . وكذلك من تولى منهم رياسة حرفة من الحرف ، كالمعمارجية أو غيرهم ، قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات ، وتركهم وما يدينون، فيسعرون كل صنف بمرادهم ، وليس له هو التفات لشىء سوى مايأخذه من دراهم الشكاوى . فغلا بسبب ذلك الجبس والجير ، وأجر الفعلة والبنائين ... خصوصا وقد احتاج الناس لبناء ما هدمه الفرنسيس ، وما تخرب فى الحروب بمصر وبولاق وجهات خارج البلد ، حتى وصل الأردب الجبس الى مائة وعشرين نصف فضة ، والجير بخمسين نصف فضة ، وأجرة البناء أربعين فضة ، والفاعل عشرين . وأما الغلة فرخيصة ، وكذلك باقى الحبوب بكثرتها .. مع أن الرغيف ثلاثة أواق بنصف ، لما ذكر من عدم الالتفات الى الأحكام والتسعيرات .

جمادى الآخرة

غرته (٩ أكتوبر ١٨٠١ م) :

تفكك الجسر الكبير المنصوب من الروضة الى الجيزة ، وذلك من شدة الماء وقوته ... فتحللت

رباطاته ، وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشـابه ، وتفرقت سفنه ، وانحدرت الى بحرى .

٢ منه (١٠ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل .

٣ منه (١١ اكتوبر ١٨٠١ م) :

قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى ، بين المفارق بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياما عـديدة ، وضربه وعقـابه حتى تورمت أقدامه ؛ وطاف مع المعينين عـدة أيام يتداين بواقى ما قرر عليه ، ودخل دارا نافذة ، وأجلس الملازمين له ببابها ـوهم لا يعلمون بنفوذهاـ وأوهم أنه يريد التداين من صاحب الدار ، ونفذ من الجهة الأخرى ، واختفى فى بعض الزوايا . فاستعوقه الجماعة ، ودخلوا الى الدار ... فلم يجدوه ، وعلموا بنفوذها . فقبضوا على خدمة الدار وضربوهم ، فلم يجدوا عندهم علمـا منه . فأطلقوهم ، وأوقعوا عليـه الفحص والتفتيش . فرآه شـخص ممن صادره فى أيام الفردة ، فصادفه فى صبحها خارج باب القرافة ، فقبض عليه وأحضره بين يدى جماعة القلق . فدل عليه فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام ، وتركوه مرميا تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة الازدحام ثلاث ليـال ، وفعلوا عادتهـم فى جبى الدراهم من تلك الخطة !

وفيه : ورد فرمان من محمد باشا والى مصر بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم . فكتبوا تنابيه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب .

٤ منه (١٢ اكتوبر ١٨٠١ م) :

وصل شمس الدين بيك أمير آخور كبير ، ومرجان أغا دار السعادة . فأرسلوا تنابيه الى الوجاقليـة والأمراء والمشايخ ومحمد باشـا وابراهيم باشا . فاجتمعوا ببيت الوزير ، وحضر المذكوران بعـد الظهر ، فخرج الوزير ولاقاهما من المجلس الخارج ، فسلماه كيسا بداخله خط شريف ، فأخذه وقبله وأحضرا له بقجة بداخلهـا خلعة سمور عظيمة ... فلبسها ، وسيفا تقلد به ، وشلنج جوهر وضـعه على رأسه ، ودخل صحبتهما الى القاعة حيث الجمع ، ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان ، ففتحه وأخرج منه ورقة صغيرة فسلمها لرئيس أفندى فقرأها باللغة التركيـة — والقوم قيـام على أقدامهـم — مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا وحسين باشا القبطان والباشات والأمراء والعساكر المجاهدين ، والثناء عليهم ، والشـكر لصنيعهم ، وما فتحه الله على يديهم ، واخراجهم الفرنسيس ونحو ذلك . ثم وعظ بعض الأفنـدية بكلمـات معتـادة ، ودعوا للسـلطان والوزير والعساكر الاسلامية . وتقـدم ابراهيم باشا ومحمـد باشا وطاهر باشا وباقى الأمراء ، فقبلوا ذيل الخلعـة وانصرفوا . وضربوا مـدافع كثيرة من القلعـة فى ذلك الوقت .

وفى ذلك اليوم ، ألبس الوزير الأمراء والبلات فراوى وخلعا وشلنجات ذهب على رءوسهم !

وفيه : حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا توسون أغات الجبجية ... وهو انسان لا بأس به .

وفيه : حضر القاضى الجديد من الروم ووصل الى بولاق ، وهو صـاحب المنصب ، فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه .

٨ منه (١٦ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر بموكبه الى المحكمة ، وذهب اليه الأعيان فى صبحها ، وسلموا عليه ، وله مسيس بالعلم

١١ منه (١٩ اكتوبر ١٨٠١ م) :

عمل الوزير الديوان ، وحضر عنده الأمراء ، فقبض عـلى ابراهيم بيك الكبير وباقى الأمـراء ،

الصناجق وحبسهم . وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الأرنؤود الى محمد بيك الألفى بالصعيد ، وكان أشيع هروبه الى جهة الواحات . وذهبت طائفة الى سليم بيك أبى دياب ، وكان مقيما بالمنيل . فلما أخذ الخبر ، طلب الهرب وترك حملته . فلما حضرت العسكر اليه فلم يجدوه نهبوا القرية ، وأخذوا جماله وهى نحو السبعين ، وهجنه وهى نيف وثلاثون هجينا ، وذهبت اليه طائفة بناحية طرا فقاتلهم ، ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح . ثم هرب الى جهة قبلى من على الحاجر . ووقفت طائفة العسكر والأرنؤود بالأخطاط والجهات وخارج البلد يقبضون على من يصادفونهم من المماليك والأجناد .

ونودى فى ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية . وأطلق الوزير مرزوق بيك ورضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، وسليمان أغا كتخداه ، المسمى بالحنفى. وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين ، واختفى باقيهم ، ونودى عليهم وبالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم . وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس ، وخاب أملهم ، وضاع تعبهم وطمعهم . وكان فى ظنهم أن العثملى يرجع الى بلاده ، ويترك لهم مصر ، ويعودون الى حالتهم الأولى ، يتصرفون فى الأقاليم كيفما شاءوا . فاستمروا فى الحبس ، ثم تبين أن سليم بيك أبا دياب ذهب الى عند الانكليز والتجأ اليهم بالجيزة . وألبس الوزير سليمان أغا تابع صالح أغا ، زى العثمانيين وجعله سلخور ، وأمره أن يتهيأ ليسافر الى اسلامبول فى عرض الدولة .

١٧ منه (٢٥ اكتوبر ١٨٠١ م) :

سافر اسماعيل أفندى شقبون ، كاتب حوالة ، الى رشيد باستدعاء من الباشا والى مصر .

ووزد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة السلطان .

١٩ منه (٢٧ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر واحد أفندى وآخرون وصحبتهم الكسوة ، فنادوا بمرورها فى صباح اليوم التالى .

٢٠ منه (٢٨ اكتوبر ١٨٠١ م) :

ركب الأعيان والمشايخ والأشاير وعثمان كتخدا — المنوه بذكره — لامارة الحج ، وجمع من الجاويشية والعساكر والقاضى ونقيب الأشراف وأعيان الفقهاء . وذهبوا الى بولاق وأحضروها وهم أمامها . وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع ، والخمسة مطوية . وكذلك البرقع ومقام الخليل ... كل ذلك مصنوع بالمخيش العال ، والكتابة غليظة مجوفة متقنة ، وباقى الكسوة فى سحاحير على الجمال وعليها أغطية جوخ أخضر . ففرح الناس بذلك ، وكان يوما مشهودا .

وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر ، أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت فى ثلاثين يوما . وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلا . وكان الريح مخالفا ، فعندما حلوا المراسى اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى . وحضروا الى اسكندرية فى أحد عشر يوما .

وفيه : وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان لم يزل يتحيل وينصب الفخاخ للأمراء الذين عنده ، وهم محترزون منه ، وخائفون من الوقوع فى حباله . فكانوا لا يأتون اليه الا وهم متسلحون ومحترزون ، وهو يلاطفهم ويبش فى وجوههم .. الى أن كان اليوم الموعود به ، عزم عليهم فى الغليون الكبير الذى يقال له « ازج عنبرلى » . فلما طلعوا الى الغليون وجلسوا ، فلم يجدوا القبودان ، أحسوا بالشر . وقيل انه كان بصحبتهم ، فحضر

اليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة بمكاتبة . فقام ليرى تلك المراسلة . فما هو الا أن حضرَ اليهم بعض الأمراء ، وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعائهم الى حضرة مولانا السلطان ، وأمرهم بنزع السلاح . فأبوا ، ونهض محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله . فما وسع البقية الا أنهم فعلوا كفعله وقاتلوا من بالغليون من العساكر ، وقصدوا الفرار . فقتل عثمان بيك المرادى الكبير وعثمان بيك الأشقر ومراد بيك الصغير وعلى بيك أيوب ومحمد بيك المنفوخ ومحمد بيك الحسينى — الذى تأمر عوضا عن أحمد بيك الحسينى — وابراهيم كتخدا السنارى . وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب . وفر البقية مجروحين الى عند الانكليز ، وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر ، فاغتاظ الانكليز وانحازوا الى اسكندرية ، وطردوا من بها من العثمانيين ، وأغلقوا أبواب الأبراج . وحضر منهم عدة وافرة ، وهم طوابير بالسلاح والمدافع ، واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر . فتهيأ عساكره لحربهم .. فمنعهم ، فطلب الانكليز بروزه بعساكره لحربهم . فقال : « لم يكن بيننا وبينكم حرب » . واستمر جالسا فى صيوانه . فحضر اليه كبير الانجليز وتكلم معه كثيرا ، وصمم على أخذ بقية الأمراء المسجونين ... فأطلقهم له فتسلمهم ، وأخذ أيضا المقتولين ونقل عرضى الأمراء من محطتهم الى جهة اسكندرية ، وعملوا مشهدا للقتلى مشى به عساكر الانكليز على طريقتهم فى موتى عظمائهم .

ووصل الخبر الى من بالجيزة من الانجليز ... وذلك ثانى يوم من قبض الوزير على الأمراء ففعلوا كفعلهم ، وأخذوا حذرهم ، وضربوا بعض مدافع ليلا ، وشرعوا فى ترتيب آلة الحرب .

وفى ذلك اليوم ، طلع محمد باشا طوسون والى جدة — الساكن ببيت طرا — الى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ، وشرعوا فى نقل قمح ودقيق وقومانية ، وملاوا الصهاريج . وشاع ذلك بين الناس فارتاعوا ، وداخلهم الوسواس من ذلك واستمروا ينقلون الى القلعة مدافع وبارودا وآلات حرب .

٢٤ منه (١ نوفمبر ١٨٠١ م) :

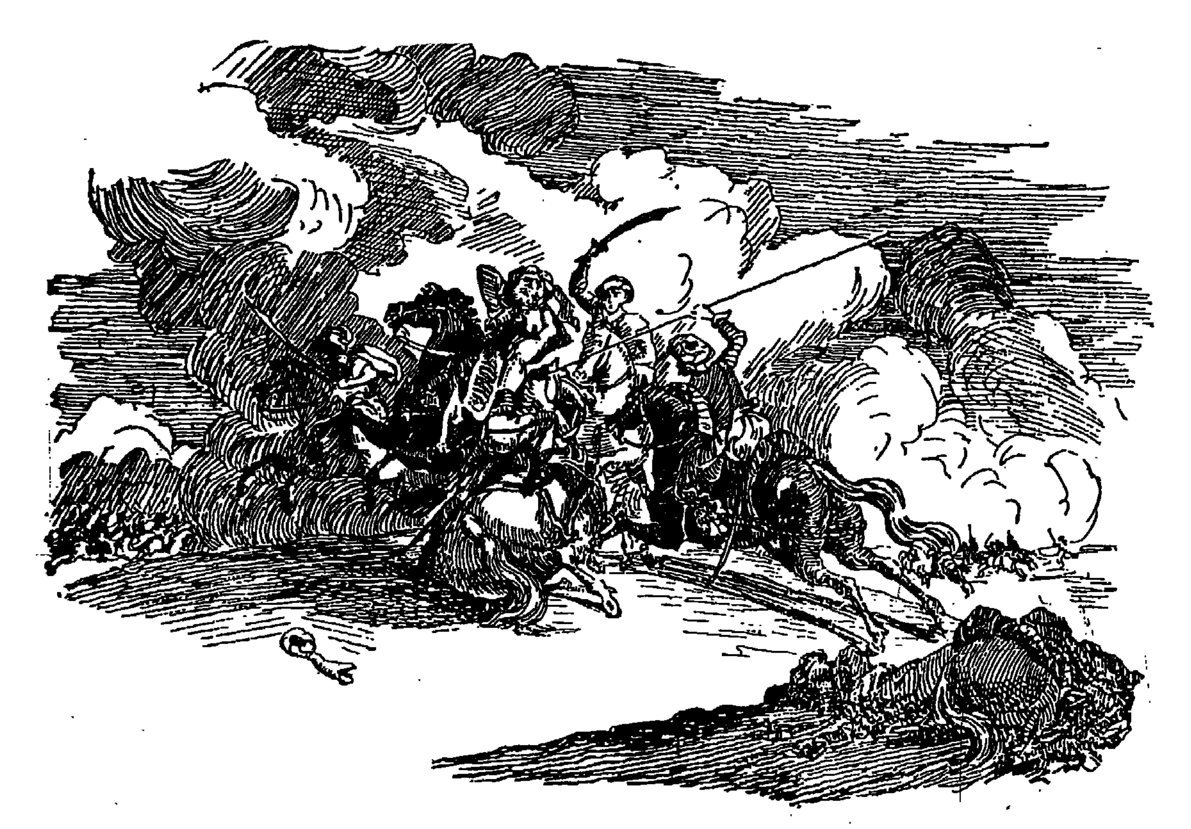
حضر كبير الانكليز الذى بالجيزة ، فألبسه الوزير فروة وشلنجا .

وفى ذلك اليوم ، خلع الوزير على عثمان آغا المعروف بـ « قبى كتخدا » وقلده على أمارة الحج .

وفى ذلك اليوم ، وقع بين عسكر المغاربة والانكشارية فتنة ، ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين، وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين . ولم يزالوا على ذلك ، حتى حضر أغات الانكشارية ، وسكنت الفتنة بين الفريقين .



غليون قبطان باشا والقوارب تحيط به



قتال بين المغاربة والانكشارية

٢٧ منه (٤ نوفمبر ١٨٠١ م) :

مروا بزفة عروس بسوق النحاسين ، وبها بعض انكشارية ، فحصلت فيهم ضجة ، ووقع فيهم فشل . فخطفوا ما على العروس وبعض النساء من المصاغ المزينات به . وفى أثناء ذلك مر شخص مغربى ، فضربه عسكرى رومى ببارودة ... فسقط ميتا عند الأشرفية . فبلغ ذلك عسكر المغاربة ، فأخذوا سلاحهم ، وسلوا سيوفهم ، وهاجت حماقتهم ، وطلعوا برمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون .

فأغلقت الناس الحوانيت ، وهرب قلق الأشرفية بجماعته ، وكذلك قلق الصنادقية ، وفزعت الناس ولم يزالوا على ذلك من وقت الظهر الى الغروب . ثم حال بينهم الليل . وقتل من المغاربة أربعة أشخاص ، وأصبحوا محترسين من بعضهم . فحضر أغات الانكشارية على تخوف ، وجلس بسبيل الغورية ، وحضر الكثير من عقلاء الانكشارية وأقاموا بالغورية ، وحوالى جهة الكعكيين والشوائين ... حيث سكن المغاربة .

واستمر السوق مغلوقا ذلك اليوم ورجعت القلقات الى مراكزها . وبردت القضية ، وكأنهم اصطلحوا . وراحت على من راح !

* * *

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التى منها : استمرار نقل الأدوات الى القلعة ، وكذلك مراكز باقى القلاع ... مع أنهم خربوا أكثرها .

ومنها : زيادة تعدى العسكر على السوقة والمحترفين والنساء ، وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس فى أيام قليلة .

ومنها : استمرار مكث النيل على الأرض وعدم

هبوطه ، حتى دخل شهر هاتور ، وفات أوان الزراعة ، وعدم تصرف الملتزمين ، وهجاج الفلاحين من الأرياف ، لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم فى البلاد ، حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ، ونودى عليهم عدة مرار بذهابهم الى بلادهم .

ومنها : أن الوزير أمر المصرلية بتغيير زيهم ، وأن يلبسوا زى العثمانية . فلبس أرباب الأقلام والأفندية والقلقات القواويق الخضر والعنتريات ، وضيقوا أكمامهم . ولبس مصطفى أغا — وكيل دار السعادة سابقا — وسليمان أغا — تابع صالح أغا — وخلافهما .

رجب

٢ منه (٨ نوفمبر ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا ، تابع صالح أغا ، الى اسلامبول .

وفيه : أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا كتابا الى الانكليز بأنهم أتباع السلطان ، وتحت طاعته وأمره ، ان شاء أبقاهم فى امارتهم ، وان شاء قلدهم مناصب فى ولايات أخرى ، وان شاء طلبهم يذهبون اليه ، فلا دخل لكم بيننا وبينه .. وكلام فى معنى ذلك . فأرسلوا يقولون ان هذا الكلام لا عبرة به ، فانهم مسجونون وتحت أمركم ، ومكتوب المقهور المكره لا يعمل به . فان كان ولا بد فأرسلوهم الينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم ، وحقيقة حالهم .

٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠١ م) :

أحضر الوزير ابراهيم بيك والأمراء وأعلمهم أن قصده ارسالهم الى بر الجيزة عند الانجليز ليتفسحوا ذلك اليوم ، ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان ، وتحت أوامره . وأن المراسلة التى أرسلوها عن طيب قلب منهم . وليسوا مكرهين فى ذلك . فأظهر ابراهيم بيك التمنع عن الذهاب ، وأنه لا غرض له فى الذهاب الى مخالفى الدين فجزم عليه ووعده خيرا ، وعاهدهم ، وحلفهم . فنزلوا وركبوا من عنده فى الصباح ، وما صدقوا بالخلاص ، وعدوا الى الجيزة ، وذهبوا الى عند الانكليز ، فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون اليهم ويلحقون بهم . فأقاموا هناك ، ولم يرجعوا . فانتظر الوزير رجوعهم خمسة أيام ، وأرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع حكم عهدهم . فامتنع ابراهيم بيك وتكلم بما فى ضميره من قهره من الوزير وخيانته له .

١٤ منه (٢٠ نوفمبر ١٨٠١ م) :

عملوا جمعية ببيت الشيخ السادات ، واجتمع المشايخ والوجاقلية . وذلك بأمر من الوزير . وأرسل اليهم مكاتبة وفى ضمنها النصيحة والرجوع الى الطاعة . فأرسلوا فى جواب الرسالة يقولون : « انهم ليسوا مخالفين ، ولا عاصين ، وانهم مطيعون لأمر الدولة . وانما تأخرهم بسبب خوفهم ... وخصوصا ما وقع لاخوانهم باسكندرية . وانهم لم يذهبوا الى عند الانكليز ، الا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ، ومن المساعدين له على أعدائه . ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه ... رجعوا الى الطاعة » . ونحو ذلك من الكلام .

٢٧ منه (٣ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر عابدى بيك ، نسيب مولانا الوزير ، فخرج اليه غالب أعيان العثمانية والجاويشية ، وطاهر باشا وعسكر الأرنؤود ... وتلقوه . ودخل بحموله فى موكب جليل . وكان حضرة الوزير حاصلا عنده توعك ، وغالب أوقاته محتجب عن ملاقاة الناس .

وفيه : ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبى قير الى الديار الرومية فى منتصف الشهر . وأما محمد باشا الوالى على مصر ، فانه لم يزل مقيما بأبى قير . وحضر خازنداره وسكن ببيت البكرى بالأزبكية

شعبان

غرته (٧ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر يوسف أفندى ، وبيده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف . فبات ببولاق ، وأرسل ناسا يعلمون بحضوره . فلم يخرج لملاقاته أحد . ثم ان بعض الناس أحضر اليه فرسا فركبه فى ثانى يوم ، وحضر الى مصر ، وأشاع أنه متولى نقابة الأشراف ومشيخة المدرسة الحبانية .

وخبر ذلك الانسان : أنه كان يبيع الخردة واليميش بحانوت بخان الخليلى ، وهو من متصنوفة الأتراك الذى يتعاطون الوعظ والاقراء باللغة التركية . فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر . فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور ، فتولاها بمعونة بعض سفهائهم .

فنقم عليه الطائفة أمورا ، واختلاسات من الوقف ، فتعصبوا عليه وعزلوه ، وولوا مكانه السيد حسين أفندى — المولى الآن — فحنق من ذلك ، وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندى المذكور ، وأضمر له فى نفسه المكروه . فدعاه يوما الى داره ، ودس له سما فى شرابه فنجاه الله من ذلك . وشربت ابنة يوسف أفندى الداعى تلك الكاسة المسمومة غلطا وماتت ، وشاع ذلك ، وتواترت حكايته بين الناس . ورجع كيده عليه ، وذاق وبال أمره كما قيل :

ومن يحتفر بئرا ليوقع غيره
سيوقع بالبئر الذى هو حافرُ

ثم انه سافر الى اسلامبول ، وأقام هناك مدة اقامة الفرنسيس بمصر . ولم يزل يتحيل ويتداخل فى بعض حواشى الدولة ، وأعرض بطلب النقابة ومشيخة الحبانية ، فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه ، وظنهم أنه أهل لذلك ، بقوله لهم : انه كان شيخا على الأزهر ومعرفته بالعلم .

فلما حصل بمصر ، وظهر أمره ، تجمعت أعيان الأشراف وقالوا : « لا يكون هذا حاكما ولا نقيبا علينا أبدا » . وتنوقل خبره ، وظهر حاله لأكابر الدولة ، وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا اليه ، ولم يسعفوه ، وأهمل أمره . وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم ، اذا تبين لهم الصواب فى قضية ، لا يعدلون الى خلافه .

وفيه من الحوادث : أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ، ومعهم بعض من العسكر . فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئا ، سواء كان داخلا أو خارجا ، بحسب اجتهادهم ، وكذلك ما يجلب من الأرياف . وزاد تعديهم ... فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعار وكل من ورد بشىء يبيعه بشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس . فلا يسع المشترى الا التسليم لقوله ، والتصديق له وقبول عذره .

والسبب فى ذلك ، أن الذين تقيدوا بدبوان العشور بساحل بولاق ، دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط بأن كثيرا من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة تحاشيا عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن يتقيد بكل باب من يترقب لذلك ويرصده ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك . فأذن كبراء الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب فولجوه ، ولم يحسبوا للعاقبة من حساب . وزادوا فى الجور والفضائح ، وأظهروا ما فى نفوسهم من القبائح . فساءت الظنون ، واستغاث المستغشون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى هذا المعنى :

وكنا نستطب اذا مرضنا
فصار الداء من قبل الطبيب

الى أن زاد التشكى ، وأنهى الأمر الى الوزير ، فأمر بابطال ذلك ، وانجلت تلك الغمة .

وفيه أيضا : أعرض طائفة القبانية وتشكوا منا رتب عليهم من الجمرك السنوى . فأطلق لهم الأمر برفعه عنهم .

وفيه : قبضوا على رجل من المفسدين باقليم المنوفية يقال له راضى النجار ، وأحضروه الى مصر وقطع رأسه بالرميلة .

وفيه : كتب فرمان الى ناحية البحيرة وصورته :

« صدر الفرمان العالى السلطانى ، وأمرنا الجليل الخاقانى... الى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه ، والى كامل المشايخ من عربان الهنادى والأفراد والجمعيات والبهجة وبنى عونة عموما — زيد فى عشيرتهم — بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى : تحيطون علما أنكم أنهيتم الى ديوانتا الهمايونى ، أنكم من قديم الزمان منازلكم أبا عن جد فى فيافى البحيرة وفدافدها ، وأنكم تحت قدم الطاعة ! والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية ، ودولتنا الخاقانية ، استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم ، حكم السنين الخوالى . فحيث انه جرت العادة أن قبائل العربان فى الديار المصرية ، كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم ، لا ينازعهم فيها غيرهم .

« ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم . فبحسب التماسكم من مراحم دولتنا العلية ! قد أقررناكم فى منازلكم المزبورة كما كنتم قديما نازلين بها من غير منازع لكم ... بالشروط التى تعهدتم بها ، وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سندا عليكم . وهى أن توفوا بعدم التعدى وايصال الرزية والمضرة ، ولو مقدار ذرة ، الى الرعايا وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم اتلاف شىء من مزروعات أهل البلاد ، واضاعة مواشيهم ، وألا تسكنوا عندكم شقيا من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى .

« وقد نذرتم على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة ، تقومون بدفع مائتى ألف قرش الى خزينة مصر .

« فبناء على ذلك ، أصدرنا فرماننا الشريف وأمرنا العالى المنيف ، ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها . وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها بالشروط السابقة الذكر ، التى التزمتموها ، والنذور التى قبلتموها ، وتعهدتم بها ، وكتبتم على أنفسكم سندا أنه متى اختل شرط



خيمة البدو

من الشروط المذكورة ، بعد بيان دفعكم المائتى ألف قرش ، يكون اخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها ، والطلوع من حقكم .

« فاعملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضوح .. اعلموه ، واعتمدوه غاية الاعتماد .

« والحذر ثم الحذر من المخالفة ! » .

وكتب بمضمونه حجة ، وأمضى عليها قاضى العسكر ، وقيدت بالسجل ، وهى من انشاء صاحبنا اللبيب الأديب ، الناظم الناثر ، جامع فضائل المآثر السيد اسماعيل الشهير بالخشاب ، ونصه : « لما ورد الفرمان الشريف الواجب القبول والاجلال والاعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب ، من حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفخم ، عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ... من انجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية واشراق ضياء حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا — بلغه الله من المرادات ما شاء — خطابا الى سائر الحكام والمتشرعين والنواب وسكان اقليم البحيرة من قبائل الأعراب ، ومن التحق بهم من الأبناء والذرارى والعشائر المنجمعين معهم فى تلك القدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر اليهم بعين الاحسان والرعاية وادخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يتجنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يمر بهم بالاكرام والاعزاز والانصاف ، واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا » .

« وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه — خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه — كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم المعهودة ، وأظلهم بظلال أمانه الظليلة الممدودة حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، وعوارف عواطف رأفته ... بعد التزامهم بما سلف من الشروط ، على الوجه المشروح المحرر المضبوط . وعلى أنهم ان عصوا أمره وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق ونهبوا الأموال ، أو آووا شقيا من يفعل ذلك بحال من الأحوال — أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلاء مالا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد ... « ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد » .. بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيروا لا عين ولا أثر ، ولا مخبر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ، ولا مشارع ، ولا موارد ... جزاء بما أسلفوا ، وعقابا على ما اقترفوا اذا خالفوا !

« وعاهد رؤساءهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه على ما تقدم ذكره . وكتب لهم بذلك التوقيع السلطانى ، والأمر الخاقانى ، المتضمن لما تقدم من المعانى ، المتوج بالعلامة الشريفة ، والطرة السلطانية المنيفة . المبدا بذكره ، المؤرخ بتاريخه .

« وحضر به الى حضرة مولانا شيخ الاسلام المومى اليه أعلاه ، كل من فلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون .

« ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، ونزه طرفه فى رياض فصوله ، ورآه جاريا على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له ، مقوية لمعناه ... أمر بكتابة هذا المرسوم ، على

الوجه المشروح المرقوم وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ليراجع عند الاحتياج اليه ، والاحتجاج به » .

٥ منه (١١ ديسمبر ١٨٠١ م) :

نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة فى موكب ، وتوجه الى العادلية ، قاصدا السفر الى جدة .

٩ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠١ م) :

قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزيين بزى العساكر الانكشارية ، ويعملون القبائح بالرعية فرموا رقابهم : أحدهم بالدرب الأحمر ، والثانى بسوق السلاح عند الرفاعى ، والثالث بالرميلة .

١٠ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠١ م) :

أيضا قطعوا رأس على جلبى ، تابع حسين أغا شنن ، بباب الخرق ، بين المفارق بأمر من الوزير . والسبب فى ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور الكبير ، المتوفى بالمدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — كان أودع عند حسين أغا شنن وديعة . فلما ملك الفرسيس مصر ، وجرى ما جرى من ورود العرضى ، والصلح ونقضه . فاعتقد قصار العقول ، أن الأمر انتهى للفرنسيس ، فتجاوزوا الحد ، وأغروا ببعضهم ، وتتبعوا العورات ، وكشفوا عن المستورات ، ودلوا الفرنسيس على المخبآت ، وتقربوا اليهم بكل ما وصلت اليه همتهم ، وراجت به سلعتهم !

والمسكين المقتول ، مد يده الى بعض ودائع سيده فاختلس منها ، وتوسع فى نفسه ، وركب الخيول ، واتخذ له خدما ، وتداخل مع الفرنسس وحواشيهم . فاستخفوا عقله ، فاستفسروا منه . فأخبرهم بالودائع والخبايا ، فاستخرجوها ونقلوها — وكانت شيئا كثيرا جدا — وأظهر أن ذلك لم يكن بواسطته ، ليوارى ما اختلسه لنفسه ، ويكون له عذر فى ذلك .

فلما حضر له سيده صحبة العرضى ، ذهب اليه وتملق له ، وربط فى رقبته منديلا فأهمل أمره الى هذا الوقت ، حتى اطمأن خاطره . ثم انه أخبر بقصته الوزير ، لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف باشا . فأمره بأن يرفع قصته الى القاضى ، ويثبت تلك الدعوى ، لتبرأ ساحتهعند الدولة ... ففعل ، ثم أمر الوزير بقتل على جلبى المذكور . فقتل وترك مرميا ثلاثة أيام بلياليها .

رمضان

غرته (٥ يناير ١٨٠٢ م) :

لم يعمل فيه شنك الرؤيا على العادة ، خوفا من عربدة العساكر . والمحتسب كان غائبا ، فركب كتخداه بدلا عنه بموكبه فقط . ولم يركب معه مشايخ الحرف فذهب الىالمحكمة ، وثبت الهلال تلك الليلة . ونودى بالصوم من الغد .

وفيه : أمر الوزير محمد باشا العربى بالسفر الى البلاد الشامية فبرز خيامه الى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثالثه وسافر وأشيع سفر الوزير أيضا . وذلك بعد أن حضرت أجوبة من الباب الأعلى .

٣ منه (٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ارتحل محمد باشا المذكور .

٥ منه (٩ يناير ١٨٠٢ م)

انتقل رئيس آفندى من بيت الألفى وسكن فى بيت اسماعيل بيك ، وشرعوا فى تعميره واصلاحه لسكن والى مصر .

١٢ منه (١٦ يناير ١٨٠٢ م)

وصل محمد باشا والى مصر الى شلقان .

١٣ منه (١٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحاً ومساء . فقيل انه حضر ستة قناصل الى الجيزة .

١٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٢ م) :

حضر القناصل المذكورون الى بيت الوزير وقابلوه . فخلع عليهم خلعاً ، ورجعوا الى أماكنهم بالجيزة .

وفى ذلك اليوم : وصل محمد باشا والى مصر الى جهة بولاق ، ونصب وطاقه بالقرب من المكان المعروف بالحلى . ثم انتقل الى جهة قبة النصر .

١٧ منه (٢١ يناير ١٨٠٢ م) :

وصل الى المدينة من باب النصر فى موكبه وطوائفه ، على غير الهيئة المعتادة ، ولم يلبس الطلخان تأدبا مع الوزير ، لحصوله بمصر . فتوجه الى بيت الوزير وأفطر معه .

وفى تلك الليلة : عزل خليل أفندى الرجائى من دفتردارية الدولة ، وقلد عوضه حسن أفندى باش محاسب . وسببه : أن الوزير طلب خلعاً ليخلعها على والى مصر ، وقناصل الانكليز ، فتأخر حضورها . فحنق وسأل عن سبب تأخير المطلوب . فقال الرسول : « ان الخازندار قال : حتى أستأذن الدفترداز » . فحنق الوزير ، وأمر بحبس الخازندار ، وعزل الدفتردار . وهرب السفير الذى كان بينهما !

وفيه : انتقل الأمراء المصرلية المرادية من الجيزة الى جزيرة الذهب ، ونصبوا وطاقهم بها . وأرسلوا ما كان عندهم من الحريم الى دورهم بمصر .

واستمر ابراهيم بيك وعثمان بيك الحسينى ومحمد بيك المبدول وقاسم بيك أبو سيف بالجيزة . ولم نعلم حقيقة حالهم .

ثم فى ثانى يوم ، لحق ابراهيم بيك وباقى الجماعة بالآخرين ، وخرج اليهم طلبهم ومتاعهم وأغراضهم .

١٩ منه (٢٣ يناير ١٨٠٢ م) :

ركبوا ليلا بأجمعهم الى الصعيد من الجهة الغربية ، وتخلف عنهم قاسم بيك أبو سيف لمرضه . وكذلك تخلف عنهم محمد أغا أغات المتفرقه وآخرون .

٢٠ منه (٢٤ يناير ١٨٠٢ م) :

نودى بالأمان على المماليك وأتباعهم ومن تخلف عنهم أو انقطع منهم ، وكذلك فى ثانى يوم .

وفيه : قلد محمد باشا والى مصر ، حسن أغا وألبسه على جرجا .

٢٨ منه (اول فبراير ١٨٠٢ م)

عزل الباشا محمد أغا المعروف بالزربة من الكتخدائية ، وهو من المصرلية ، وولاه كشوفية الغربية . وتقلد عوضه فى الكتخدائية يوسف أغا أمين الضربخانة سابقا ، وتقلد كشوفية المنوفية . وتقلد كشوفية القليوبية .

٢٩ منه (٢ فبراير ١٨٠٢ م)

ذهب يوسف أفندى الى عند والى مصر فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة ، بعد أن كان أهمل أمره .

وفيه : عزل أغات الانكشارية وتولى آخر عوضه من العثمانية ، ونزل المعزول الى بولاق ليسافر الى جهة الصعيد .

شوال

السبت ٣ منه (٦ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج جاليش الوزير الى قبة النصر ، ونودى بخروج العساكر ، ويكون آخر خروجهم يوم الاثنين . فشرعوا فى الخروج بأحمالهم ودوابهم .

الاثنين ٥ منه (٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج الوزير على حين غفلة الى قبة النصر ، وتتابع خروج الأثقال والأحمال والعساكر . وحصل منهم فى الناس عربدة وأذية ، وأخذ بعضهم من عطارين القصرين ثلاثة أرطال بن ثمنها مائة وعشرون نصف . فرمى له عشرين نصفا ، فصرخ الرجل وقال : « أعطنى حقى » . فضربه وقتله ! فأغلق الناس الحوانيت ، وانكفوا فى دورهم .

فاستمرت جميع حوانيت البلدة مغلوقة ، حتى سافرت العساكر ، وانتقلت من قبة النصر . ولازم حضرة محمد باشا والى مصر وطاهر باشا على المرور والطواف بالشوارع ... بالتبديل وثياب التخفيف ليلا ونهارا . ولولا ذلك لحصل من العسكر ما لا خير فيه .

وفيه : كتبت فرمانات ، وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها : بأن لا أحد يتعرض بالأذية لغيره ، وكل من كان له دعوة أو شكية فليرفع قصته الى الباشا . وكل انسان يمشى فى زيه وقانونه القديم ، ويلازموا على الصلوات بالجماعة فى المساجد ، ويوقدوا قناديل ليلا على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التى بالشوارع ، ولا يمر أحد من العسكر من بعد الغروب . والذى يمشى بعد الغروب من أهل البلد ، يكون معه فانوس أو سراج ، ويبيعون ويشترون بالحق والمصلحة ولا أحد يخفى عنده أحدا من عسكر العرضى . والذى يبقى منهم بعد سفر الوزير من غير ورقة بيده ، يعاقب .

وأن القهاوى المحدثة جميعها تغلق ، ولا يفتح الا القهاوى القديمة الكبار ، ولا يبيت أحد من العسكر فى قهوة ، ولا يبيعون المسكرات ، ولا يشترونها .. الا الكفرة سرا . وأمثال ذلك .

فانسرت القلوب بتلك الفرمانات ، واستبشروا بالعدل .

وفيه : خرجت عساكر وسافرت الى جهة قبلى ، وعدتهم ستة آلاف . وذلك بسبب الأمراء المصرلية الهربانين ، وقرر لهم بأن من أتى برأس صنجق فله ألف دينار ، أو كاشف فله ثلثمائة ، أو جندى أو مملوك فله مائة .

السبت ١٠ (١٣ فبراير ١٨٠٢ م) :

ركب الوزير من قبة النصر ، وارتحل العرضى الى الخانكة . وعند ركوبه حضر اليه السيد عمر أفندى النقيب وبعض المتعممين لوداعه ، فأعطاهم صررا ، وقرءوا له الفاتحة ، وركب . وخرج أيضا فى ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا الى الخانكاه أيضا ، وودعوه ورجعوا .

الاثنين ١٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد آغا الوالى وسليم آغا المحتسب ، وأمر برمى رقابهما . فقطعوا رأس الوالى تحت بيت الباشا على الجسر ، والمحتسب عند باب الهواء . وختم على دورهما فى تلك الساعة . وشاع خبر ذلك فى البلد . فارتاع الناس لذلك واستعظموه ، وداخل الخوف أهل الحرف مثل : الجزارين والخبازين وغيرهم وعلقوا اللحم الكثير بحوانيتهم ، وباعوه بتسعة أنصاف . بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر ... مع قلته واحتكاره ! وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك ، فلم يستمعوا .

الثلاثاء ١٣ منه (١٦ فبراير ١٨٠٢ م)

فى صبحه : قلد على آغا الشعراوى الزعامة عوضا عن محمد آغا المقتول ، وزين الفقار كتخدا أمين احتساب عوضا عن سليم آغا أرنؤود المقتول أيضا .

واجتمعوا ببيت القاضى ، وحضر أرباب الحرف ، وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات

وغيرها. فعملوا اللحم الضانى بثمانية أنصاف ، والماعز بسبعة ، والجاموسى بستة . وألا يباع فيه شيء من السقط مثل : الكبدة والقلب وغير ذلك .

والسمن المسلى بمائة وثمانين نصفا العشرة أرطال ، بعد أن كانت بثلثمائة وأربعين . والزبد العشرة بمائة وستين بعد أن كانت بمائتين وأربعين . وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون . والجبن الذى بخيره بثلاثة أنصاف ، بعد عشرة . والخبز رطل بنصف فضة .. وكذلك جميع الأشياء العطرية والأقمشة : العشرة أحد عشر . والراوية الماء بعشرة أنصاف ، بعد عشرين . وغير ذلك .

ورسموا بأن الرطل فى الأوزان مطلقا يكون قبانى اثنى عشر وقية . وأبطلوا الرطل الزياتى الذى يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات ، وهو أربع عشرة وقية ... فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال !

ولما برزت هذه الرسوم ، هرع الناس لشراء اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران .

وشق المحتسب ، فقبض على جماعة من الخبازين ، وخزم آنافهم ، وعلق فيها الخبز ... وكذلك الجزارون خزمهم وعلق فى آنافهم اللحم !

وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس ، والمرور والمشى فى الأزقة والأسواق حتى أخافوا الناس .

وانكف العسكر عن الأذية ، ولزموا الأدب . ومشى كل أحد فى طريقته وأدبه . ومشت النساء كعادتهن فى الأسواق لقضاء أشغالهن . فلم يتعرض لهن أحد من العسكر ، كما كانوا يفعلون .

الخميس ١٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

ارتحل الوزير من بلبيس .

السبت ١٧ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٢ م) :

سافر خليل أفندى الرجائى الدفتردار المعزول فى البحر من طريق دمياط . وانتقل شريف أفندى الدفتردار الى الدار التى كان بها الأول ، وهى دار البارودى بباب الخرق .

الاثنين ١٩ منه (٢٢ فبراير ١٨٠٢ م) :

كان موكب أمير الحج عثمان بيك ، وصحبته المحمل على العادة . وخرج فى أبهة ورونق ، وانسرت القلوب فى ذلك اليوم الى لقائه ، ونجز له جميع اللوازم مثل : الصرة وعوائد العربان ، وغير ذلك .

وكان المتقيد بتشهيل ذلك ، وبجميع اللوازم ... حضرة شريف محمد أفندى الدفتردار .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢ مارس ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة أنفار فى جهات مختلفة ، تزيوا بزى العسكر ، يقال انهم من الفرنسيس ، افتقدوهم من العسكر المتوجه الى الحج .

وفى ذلك اليوم : عمل حضره الباشا ديوانا ، وأرسل الجاويشية الى جميع المشايخ والعلماء ، وخلع عليهم خلعا سنية زيادة على العادة ... أكثر من سبعين خلعة ، وكذلك على الوجاقلية والأفندية . وجبر خاطر الجميع .

وكانت العادة فى هذا التلبيس أن يكون عند قدومه . والسبب فى تأخيره لهذا الوقت تعويق حضور المراكب التى بها تلك الخلع .

الخميس ٢٩ منه (٤ مارس ١٨٠٢ م) :

انتقل أمير الحج بالركب من الحصوة الى البركة .

وفيه : ركب حضرة محمد باشا الى الامام الشافعى .. فزاره ، وأنعم على الخدمة بستين ألف

فضة ، وألبسهم خلعا ، وفرق دنانير ودراهم كثيرة في غير محلها .

وكذلك يوم الجمعة : ركب وتوجه الى المشهد الحسيني . فصلى الجمعة ، وخلع على الامام الراتب ، والخطيب وكبير الخدمة فراوى . وفرق دراهم كثيرة في طريقه ، ورجع من ناحية الجمالية . وكان في موكب جليل على الغاية .

وفيه : أمر المشار اليه بنصب عدة مشانق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسببين والخبازين وغيرهم . وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف . وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوانيتهم وخزموهم من آنافهم ! فرخص السعر ، وكثرت البضائع والمأكولات ، وحصل الأمن في الطرق ، وانكفت العربان وقطاع الطريق . فحضرت الفلاحون من البلاد ، وكثر السمن والجبن والأغنام ، وكبر العيش وكثر وجوده ، وانحط سعر السمن عن التسعيرة عشرين نصفا لكثرته ... ولله الحمد !

وهاب الناس هذا الباشا وخافوه ، وصاروا يترنمون به في البلاد والأرياف ، ويغنون بذكره حتى الصبيان في الأسواق ويقولون : « سيدى .. يا محمد باشا .. يا صاحب الذهب الأصفر ! ! » وغير ذلك .

وكان في مبتدأ أمره يظنه الظمآن ماء !

ذو القعدة

غرته (٥ مارس ١٨٠٢ م) :

نهبت العربان قافلة التجار الواصلة من السويس .

وفيه : حضر السيد أحمد الزرو الخليلى التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار ، وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال . فأمر الباشا بسجنهم .

٤ منه (٨ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر السيد أحمد المذكور الى بيت الباشا ، فأمر بقتله . فقبض عليه جماعة من العسكر ، وقطعوا رأسه عند المشنقة — حيث قنطرة المغربى — على قارعة الطريق . وختموا على موجوده ، وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين .

والسبب في ذلك أن بعضهم وشى الى الباشا ، أنه كان يحب الفرنسيس ويميل اليهم ويسالمهم ، وعند خروجهم هرب الى الطور خوفا من العثمانية ، ثم حضر بأمان من الوزير .

٥ منه (٩ مارس ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا المعروف بالوسيع — أغات المغاربة — وأمر بقتله . فقطعوا رأسه على الجسر ببركة الأزبكية قبالة بيت الباشا ، لأمور نقمها عليه . وكتبت في ورقة وضعت عند رأسه .

٦ منه (١٠ مارس ١٨٠٢ م) :

توفى قاسم بيك أبو سيف على فراشه .

٨ منه (١٢ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر المشار اليه (١) الى الجامع الأزهر بالموكب . فصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فروة سمور ، وفرق ونثر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وايابه .

وتقيد قبى كتخداه ، واسماعيل أفندى شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة والعميان والفقراء . ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس .

وفيه : عمل الشيخ عبد الله الشرقاوى وليمة لزواج ابنه . ودعا حضرة المشار اليه فحضر في يوم الأحد ، وحضر أيضا شريف أفندى وعثمان كتخدا الدولة . فتغدوا عنده ، وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية ، وألبسه فروة سمور ،

(١) يقصد الباشا العثمانى .



الطلبة وقت الدرس

وفرق على الخدم والفراشين والقراء دنانير ودراهم بكثرة . وكذلك دفع عثمان كتخدا وشريف أفندى كل واحد منهم كيسا . وانصرفوا .

فى منتصفه (١٩ مارس ١٨٠٢ م) :

وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياع نحو الخمسين مركبا ، حلت مراسيها من ثغر سكندرية ، مشحونة بمتاجر وبضائع . وكانت معوقة بكرتيلة الانكليز ، فلما أذنوا لهم بالسراح فما صدقوا بذلك . فصادفتهم فرتونة خرجت عليهم ، فضاعوا بأجمعهم .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم !

وفيه : طلب الباشا المشايخ ، وتكلم معهم فى شأن الشيخ خليل البكرى وعزله عن وظيفته ، وسأل رأيهم فى ذلك . فقالوا له : « الرأى لحضرتكم » . فقال : « ان الشيخ خليل البكرى لا يصلح لسجادة الصديق ، وأريد عزله عنها من غير ضرر عليه ، بل أعطيه اقطاعا لنفقته والقصد أن تروا رأيكم فيمن يصلح لذلك ، ومن يستحق » . فطلبوا المهلة الى غد ، وانحط الرأى ، بعد اختلاف كبير ، على تقليد ذلك لمحمد سعد من أولاد جلال الدين .

فلما حضروا فى اليوم الثانى ، أخبروه بذلك ، وأنه يستحقها الا أنه فقير . فقال : « ان الفقر ليس بعيب » . فأحضروه ، وألبسه فروة سمور ، وأركبه فرسا بعباءة مزركشة ، وأنعم عليه بثمانين ألف درهم . وكان من الفقراء المحتاجين للدرهم الفرد !

ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات خلع أيضا فروة سمور عليه .

٢٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٢ م) :

توفى الى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوى الشافعى ، وكان عالما نجيبا ، وشاعرا لبيبا . وقد ناهز الستين .

وفيه : جهزت عدة من العسكر الى قبلى .

وفيه : نودى بأن خراج الفدان مائة وعشرون نصفا ، وكذلك نودى برفع عوائد القاضى والأفندى التى كانت تؤخذ على اثبات الجامكية والجراية ، والرفق بعوائد تقاسيط الالتزام والاقطاع . وكتبوا بذلك أوراقا وألصقت بالأسواق ، وفى آخرها « لا ظلم اليوم » (أى مما تقرر الا قبل اليوم) . فان الفدان بلغ فى بعض القرى بمصاريفه ومغارمه أربعة آلاف نصف فضة . وأما بدعة القاضى وعوائد التقاسيط فزادت عن أيام الوزير . وزاد على ذلك اهمال الأوراق ببيت الباشا لأجل العلامة شهرين وأربعة ، حتى يسأم صاحبها وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجىء ، ومقاساة الذل من الخدم والأتباع ، ودفع البقشيش والرشوة على التعجيل ، أو يتركها . وربما ضاعت بعد طول المدة ، فيحتاج الى استئناف العمل !

ذو الحجة

الاربعاء ٤ منه (٧ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالى - من أتباع ابراهيم بيك الوالى — الى مصر ،مان . فقابلوا حضرة والى مصر ، وأنعم عليهم بألبسهم خلعا .

وفيه : أنعم على خدامهم .

وفيه عمل الانكليز كرنتيلة بالجيزة ، ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها وذلك لتوهم وقوع الطاعون ، وورود الأخبار بكثرته فى جهة قبلى وبعض البلاد البحرية ، وأما المدينة ففيها بعض تنقير .

الاثنين ٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٢ م) :

كان يوم الوقوف بعرفة ، وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضرت أغنام وعجول كثيرة للاضحية حتى امتلأت منها الطرقات ، وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء ، وغيمت السماء فى ذلك اليوم ، وأمطرت مطرا كثيرا حتى توحلت الأزقة .

ونودى بفتح الحوانيت والقهاوى والمزينين ليلا ، واظهار الفرح والسرور ، واظهار بهجة العيد . واستمر ضرب المدافع فى الأوقات الخمسة .

ونودى أيضا بالمواظبة على الاجتماع للصلوات فى المساجد ، وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة . وأن يسقوا العطاش من الأسبلة ولا يبيعوا ماءها .

وأشيع سفر الانكليز ، وسفر عثمان كتخدا الدولة ، وتشهيل الخزينة .



اطلاق المدافع فى الاعياد

الاحد ١٥ منه (١٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر ، وعزل يوسف أفندى .

وفى صبحها ركب السيد عمر المذكور ، وتوجه الى عند الباشا ، فألبسه خلعة سمور ثم حضر الى عند الدفتردار كذلك . وكانت مدة ولاية يوسف أفندى المعزول شهرين ونصفا

الاربعاء ١٨ منه (٢١ ابريل ١٨٠٢ م) :

خرج أحمد أغا خورشيد أمير الاسكندرية الى بولاق ، قاصدا السفر الى منصبه . وركب الباشا لوداعه فى عصريته . وضربوا عدة مدافع من بولاق وبر انبابة

ونودى فى ذلك اليوم بأن لا أحد يوارى أحدا من الانكليز أو يحبيه ، وكل من فعل ذلك عوقب .

الاربعاء ٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام ، وشنقوها عند باب زويلة .

* * *

وانقضت هذه السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التى من جملتها :

أن شريف أفندى الدفتردار أحدث على « الرزق الأحباسية» المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها « مال حماية » : على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر فى جميع الأراضى المصرية القبلية والبحرية . وجرروا بذلك دفاتر فكل من كان تحت يده شيء من ذلك قل أو كثر ، يكتب له عرضحال ويذهب به الى ديوان الدفتردار ، فيعلم عليـه علامته ، وهى قوله : « قيـد » ، بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التى تثبت دعواه . ثم يذهب بذلك العرضحال الى كاتب الرزق ، فيكشف عليها فى الدفاتر المختصـة بالاقليم الذى فيه الأرصـاد بموجب الاذن بتلك العلامة ، فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ، ويطيب خاطره ... بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب ، ويكتب تحته علامته فيرجع به الى الدفتردار ، فيكتب تحته علامة غير الأولى فيذهب به الى كاتب الميرى فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ، ومن أين وصل اليه ذلك فان سهلت عليه الدنيا ، ودفع له ما أرضاه ، كتب له تحت ذلك عبارة بالتركى لثبوت ذلك ، والا تعنت عـلى الطـالب بضروب من العلل ، وكلفه بثبوت كل دقيقة براها فى سنداته ، وعطل شغله فما يسع ذلك الشخص الا بذل همته فى تتميم غرضه بأى وجه كان ... اما أن يستدين أو يبيع ثيـابه ، ويدفع مالزمه فان ترك ذلك وأهمله — بعد اطلاعهم عليه — حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر ، وكتبوا له سندا جديدا يكون هو المعول عليه بعـد ، ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من الوقفيات والحجج والافراجات القديمة ولو كانت عن أسلافه !

ثم يرجع كذلك الى الدفتردار ، فيكتب له علامة لكتابة الاعلام . فيذهب به الى الاعلامجى . فيكتب له عبارة أيضا فى معنى ما تقدم ، ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار ، ويأخذ على ذلك دراهم أيضا . وبعد ذلك يرجع الى الدفتردار فيقرر مايقرره عليها من المال الذى يقال له « مال الحماية » . ثم يذهب بها الى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته . ويطول عند ذلك انتظـاره لذلك . ويتفق اهمالها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجى . وصاحبها يغدو ويروح فى كل يوم .. حتى تحفى قدماه ، ولايسهل به تركها بعد ما قاساه من التعب وصرفه من الدراهم فاذا تمت علامتها .. دفع أيضا المعتاد الذى على ذلك ، ورجع بها الى بيت الدفتردار .. فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها ، فيدفعه عن تلك السنة ، ثم يكتبون له سندا جديدا ، ويطالب بمصروفه أيضـا — وهـو شيء له صـورة أيضـا — فلا يجـد بدا من دفعـــه . ولا يزال كذلك .. يغدو ويروح مدة أيام . حتى يتم له المراد !

ومنها المعروف بـ « الجامكية » و « مرتبات الغلال » بالأنبار وذلك أن من جملة الأسباب فى رواج حال أهل مصر المتوسطين وغنـاهم ، ومدار حال معاشهم وايرادهم فى السابق هذان الشيئان . وهما « الجامكية » و « الغلال » التى يقـال لها « الجرايات » ... رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعســاكر المنتسـبة للوجاقات ، والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالى الاقليم ومنها ماهو للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ونحوهم .

وكانت من أروج الايراد لأهل مصر ، وخصوصا أهل الطبقة الذين ليس لهم اقطاع ولازراعات ولا تجارات ، كأهل العلم ومساتير أولاد البلد والأرامل ونحوهم وثبت وتقرر ايرادها وصرفهـا فى كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر الى أواخر الثانى عشر . بحيث تقرر فى الأذهان عدم اختلالها أصلا

ولما صارت بهذه المثابة ، تناقلوها بالبيع والشراء والفراغ ، وتغالوا فى أثمانهـا ، ورغبوا فيها ... وخصوصا لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما فى العقار ، وأوقفوها وأرصدوها ، ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصـالح المساجد ونفقات أهل الحرمين وأهل بيت المقدس . وأفتى العلماء بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل .

فلما اختلت الأحوال ، وحدثت الفتن ، وطمع الحكام والولاة فى الأموال الميرية ... ضعف شأنها ، ورخص سعرها ، وانحط قدرها ، وافتقر أربابها . ولم تزل فى الانحطاط والتسفل ، حتى بيع الأصل والايراد بالغبن الفاحش جدا ، وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها ولم يزل حالها فى اضطراب الى أن وصل هؤلاء القادمون ، وجلس شريف أفندى الدفتردار المذكور ، ورأى النـاس فيـه مخايل الخـير لما شاهدوه فيه من البشاشة واظهار الرفق والمكارم... عرض الناس عليه شأن العلوفة المذكورة والغلال . فلم يمـانع فى ذلك . وكتب الاذن على الأوراق كعادته ، وذهب بها أربابها الى ديوان الكتبة ، وكبيرهم يسمى حسن أفنـدى باش محاسب — وهو من العثمانيين — عارض فى حسابها وقال : « أن العثمانى اسم لواحد الاقجة . وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أقجات بنصف فضة . ومافى دفاتركم يزيد فى الحساب الثلث ! » . فعورض وقيـل له : « ان الأقجة المصرى ، كل أثنين بنصف ، بخـلاف اصطلاح الروم ، وهذا أمر تداولنا عليه من قديم الزمان » . ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا على فقد الثلاث ، ورضى الناس بذلك لظنهم رواج الباقى.. وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس فى الثبوت . وقد كان الناس اصطلحوا فى أكثرها ، عند فراغها ، على عدم تغيير الأسماء التى رقمت بها ، وخصوصا بعد ضعفها ... فيبيعها البائع ويأخذها المشترى بتمسك البيع فقط . ويترك سند الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده ، أو تكون باسم الشخص ويموت وتبقى عند أولاده . فجعلوا معظمها بهذه الصورة ، وأخذوه لأنفسهم ، وأعطوا منهم لأغراضـهم بعـد رفع الثلث الأصل ، وثلث الايراد . وضاعت على أربابها مع كونهم فقراء !

وكذلك فعـلوا فى أوراق الغلال ، وجعلوها بدراهم ... عن كل اردب خمسون نصفا : غلا أو رخص . وزادوا فى القيـود التى تـكتب عـلى العرضحالات المصطلحين عليها ... بأن يكتب عليها أيضا قاضى العسكر — بعد حسـابهم — مقدار العلوفة والغلال ، ويأخذ على كل عثمانى نصفين أو اقل أو أكثر ، وعلى كل اردب قرشا روميا . وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطانى !

وحرروا ما حرروه ، ودفعوا للنـاس ما دفعوه مقسـطا على الجمع والشـهور . ورضوا بذلك وفرحوا به ، لظنهم دوامه ، واستعوضوا الله فيما ذهب لهم ! وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم .. وما ظهر بعد ذلك لايعمل به ويذهب فى المحلول .

ولما انقضت هذه السنة الأخرى ، وافتتح الناس الطلب . قيل لهم : « ان الذى أخذتموه ، هو عن السنة القابلة . وقد قبضتموها معجلة ! » .

وعزل شريف أفندى الدفتردار فى أثرها . ووصل خليل افندى الرجائى ، واضطربت الأحوال ، ولم ينفع القيل والقال .. كما يأتى .

ممن مات في هذه السنة :

الشيخ العمدة الامام ، خاتمة العلماء الأعلام ، ومسك ختام الجهابذة ذوى الافهام ، ومن افتخر به عصره على الأعصار ، وصاح بلبل فصاحته في الأمصار . يتيمة الدهر ، وشامة وجه أهل العصر ، العالم المحقق ، والنحرير المدقق ، بديع الزمان ، والتاج المرصع على رؤوس الأقران ، الناظم الناثر ، الفصيح الباهر : الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوى .

وسمى بالصاوى نسبة الى بلدته « صوة » بشرقية بلبيس والنسبة اليها على غير قياس .

دخل الأزهر ، واشتغل بالقراءة ، فحفظ القرآن والمتون ، واشتغل بالعلم ، ومهر وأنجب ، وأقرأ الدروس ، وختم الختوم ، وشهد له الفضلاء .

وكان لطيف الذات ، مليح الصفات ، رقيق حواشى الطبع ، مشارا اليه في الأفراد والجمع ، مهذب الأخلاق ، جميل الأعراق . اللطف حشو اهابه ، والفضل لايلبس غير جلبابه .

ومن نثره ما كتبه تقريظا على المؤلف الذى ألفه الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ، الذى ضاهى به عنوان الشرف للعلامة السيوطى ، قوله :

« حمدا لمولى يضيق نطاق المنطق عن شكره ، ويعجز لسان اللسن عن الافصاح بذكره ، يدنى لب الموحد الى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه سبل التهجد والتحميد ، ويسعده بنهاية الوصول الى مقاصد فقه الأصول ... وصلاة وسلاما على المحمود بأكمل ثناء ، المدوح بأجمل ضياء وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ماألف كتاب ، وكللت تيجان الربى بلآلىء السحاب .

« أما بعد ، فقد سرحت طرفى فى رياض هذا التأليف الرائق ، وفرحت بصرى بالمشاهدة لمحاسن هذا التصنيف الفائق . واقتطفت بيدى ثمرات أوراقه ، واستضأت بأنوار اشراقه . وحليت سمعى بدرر فوائده ، وفكرى بغرر عوائده . وعرضت على فهمى لآلىء جواهره ، فلاحت لعينى بدوز زواهره ... فاذا هو عقد نظم من درر العلوم ، وتحلت به غوانى الفهوم : رشيق الألفاظ والمعانى ، رقيق التراكيب والمبانى . لم ينسج ناسج على منواله ، ولم يأت بلبغ بمثاله . قد أفحم فصحاء الرجال ، وألقت له البلغاء العصى والحبال . وأعجز الفصحاء كبيرا وصغيرا ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . يفوق بحسنه كل مؤلف ، ويروق برونقه على كل مصنف . جمع فيه من العلوم أشرفها وأشرقها ، ومن المعارف أرقها وأروقها . فهو مجموع جامع مانع ، وروض نافع يانع . فلا شك أنه صنعة قادر . وصنعة لبيب ماهر .

« وكيف لا ... وهو العلامة الامام ، والفهامة الهمام . المحقق الفاضل ، المدقق الكامل . جامع شمل المعارف ، حائز ألوان اللطائف . وحيد الكمالات اللدنية ، وفريد المحاسن الخلقية والخلقية : مولانا الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ... قابل الله صنيعه بحسن القبول ، وبلغه من خير الدارين كل مأمول . وأدام الكريم النفع بوجوده ، وأقام لديه جزيل احسانه وجوده ... ماكرت الليالى ومرت

الأيام ، وقطر غيث الغمام . والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده » .

ومن نثره أيضا هذه المراسلة : « بسم الله الرحمن الرحيم . نحمدك يامن أجريت المقادير على وفق الارادة ، وجعلت المطالب سببا للافادة والاستفادة ، ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الاحسان ، ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان ، ونصلى ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان .. الى آخره » .

من اهدائه : « .. لحضرة ذوى المهابة والفخار ، والعلو والاقتدار ، الجامعين بين المتاجر والمفاخر ، الحائزين لجمال الأول والآخر ، القاطنين بخير البلاد ، القائمين بمصالح العباد ... مصابيح الدنيا وبهجتها ، وكواكب البلاد وتحفتها ، حماة حرم يجبى اليه الثمرات ، وزينة محل تقضى به الحاجات ، عين أعيان المكاسب والتجارة ، وزين أبناء المطالب والاشارة ، نعنى بذلك فلانا وفلانا . أسبغ الله عليهم سوابغ الانعام ، وأسبل عليهم حلل الجود والاكرام ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم الأمانى والآمال ، وبسط لهم الأرزاق ، وحباهم بلطفه الخلاق .

« أما بعد بسط كف الرجاء، ومد سواعد القصد والالتجاء بدعوات مقرونة بالانابة ، ليس لها حاجب عن أبواب الاجابة . فمما يعرض عليكم ، وينهى بعد السلام اليكم ... أنه قد وصل الينا رقيمكم المكنون ، المحتوى على الدر المصون فشممنا منه نفحات مكية حرمية ، ونسيمات سحرية بهية . فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر ، وتطيبنا بعبير عنبرها الأزهر . وذكرتم أنكم بذلتم المجهود ، فى طلب المقصود ... الخ » .

وله غير ذلك كثير ، وحاله وفضله شهير . ولم يزل يملى ويفيد ، ويكرر ويعيد . حتى قطفت يد الأجل نواره ، وأطفأت رياح المنية أنواره .

وذلك يوم الاثنين رابع عشرين شهر القعدة من السنة .

ورثاه الشيخ اسماعيل الزرقانى بقوله :

تداولت الأيام بالعسر واليسر
وتلك شئون الحق فى مطلق الدهر

فكيف أرى قلبى على فقد الفه
حزينا ... ودمع العين — من فيضه — يجرى ؟

فقال : لنا فى سيد الخلق أسوة
فقد دمعت عيناه حزنا كما تدرى

وهذا الذى أمسى حليف ضريحه
الى فضله تصبو الأنام مدى العمر

امام له فضل الرواية والحجا :
فمن نقله يملى ، ومن عقله يقرى

قوى فهمه ، صارت بنور معيدها
ترى من مبادى الحال عاقبة الأمر

عتبت على الأيام فى نثر عقدها
وقد غاب من أثنائه معدن الدر

فقالت : وما لى ... ذاك حبر موفق
أحب لقاء الله ... أسرع للأجر !

تلقته أملاك النعيم تحفه
وتنقله من ورد نهر الى قصر

الى أن يرى وجه العزيز مكانه
ويبقى حميدا فى الترقى مع البشر

بمقعد صدق صار عند مليكه
فيا مصطفاه ، فزت مرتفع القدر

* * *

ومات الأمير عثمان بيك الأشقر الابراهيمى — وهو من مماليك ابراهيم بيك الكبير — وعرف بالأشقر لشقرته .

وكان قتل مع من قتل بأبي قير ودفن بإسكندرية. وكان ذاحشمة وسكون، وحسن عشرة مع مافيه من الشح.

* * *

ومات الأمير عثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجي المرادى — وهو من مماليك مراد بيك.

وكان أميرا لا بأس به، وجيه الشكل، عظيم اللحية، ساكن الجأش، فيه تؤدة وعقل. وسبب تلقبه بالطنبرجي: أنه كان فى عنفوان أمره مولعا بسماع الآلات وضرب الطنبور، وربما باشر ضربه بيديه، مع الاتقان لذلك، فغلبت عليه الشهرة بذلك.

* * *

ومات الأمير مراد بيك — المعروف بالصغير — وهو من مماليك محمد بيك أبي الذهب. وكان يعرف بمراد كاشف، وله ايراد واسع ومماليك.

تقلد الامارة والصنجقية فى سنة ١٢٠٦ فزادت وجاهته. وسافر مع عثمان بيك الأشقر وأحمد بيك الحسنى مع القبودان. وقتل كذلك بأبى قير ودفن بالاسكندرية.

* * *

ومات الأمير قاسم بيك أبو سيف — وهو مملوك عثمان بيك أبي سيف — وكان يعرف بقاسم كاشف أبي سيف. وكان له اقطاع والتزام وايراد. واشتهر ذكره فى أيام مراد بيك، وبنى له دارا بالناصرية وأنفق عليها أموالا جمة.

وكان له ملكة وفكرة فى هندسة البناء، واستأجر قطعة عظيمة من أراضى البركة الناصرية تجاه داره من وقف المولوية، وسورها بالبناء، وبنى فى داخلها قصرا مزخرفا برحبة متسعة، وقسم تلك الأرض بتقاسيم للمزارع، وحولها طرق ممهدة مستطيلة، ومجار للمياه التى تصل اليها أيام النيل، ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن والخافقى، من داخلها تجرى فيها المياه من السواقى ويحيط بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدانية القطاف!

وبداخل تلك البركة المنقسمة، النخيل والأشجار، ومزارع المقاثىء والبرسيم والغلة وغيرها. يسرح فيها النظر من سائر جهاتها، وتنشرح النفوس فى أرجائها ومساحاتها. وجعل السواقى فى ناحية، تجتمع مياهها فى حوض، وبأسفله أنابيب تتدفق منها المياه الى حوض أسفل منه، وعنده مجلس ومساطب للجلوس، وتجرى منه المياه الى المجارى المخفقة المرتفعة، ومنها تنصب من مصبات من حجر الى أحواض أسفل منها ... صغار، وتجرى الى مساقى المزارع وعند كل مصب منها محل للجلوس وعليه أشجار تظله، وبوسطه أيضا ساقية بفوهتين تجرى منها المياه أيضا.

والقصر يشرف على ذلك كله، وحول رحبة القصر وطرق المشاة، كروم العنب والتكاعيب. وأباح للناس الدخول اليها، والتنزه فى رياضها، والتفسح فى غياضها، والسروح فى خلالها، والتفيؤ فى ظلالها. وسماها « حديقة الصفصاف والآس، لمن يريد الحظ والائتناس ». ونقش ذلك فى لوح من الرخام وسمره فى أصل شجرة يقرأها الداخلون اليها. فأقبل الناس على الذهاب اليها للنزاهة، ووردوا عليها من كل جهة، وعملوا فيها قهاوى ومساقى ومفارش وأنخاخا يفرشنها القهوجية للعامة، وقللا وأباريق.

واجتمع بها الخاص والعام، وصار بها مغان وآلاتب، وغوان ومطربات، والكل يرى بعضهم بعضا. وجعل بها كراسى للجلوس، وكنيفات لقضاء الحاجة.

وجعل للقصر فرشا ومساند ولوازم ومخادع لنفسه

ولمن يأتى اليه بقصد النزاهة من أعيان الأمراء والأكابر، فيبيتون به الليالى ، ولايحتاجون لسوى الطعام ، فيأتى اليهم من دورهم .

وزاد بها الحال ، حتى امتنع من الدخول اليها أهل الحياء والحشمة !

وأنشأ تجاهها أيضا على يسار السالك الى طريق الخلاء ، بستانا آخر على خلاف وضعها .

وأخبرنى المترجم أيضا من لفظه أنه أنشأ بستانا بناحية قبلى أعجب وأغرب من ذلك .

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر ، وخرج منها أمراؤها .. تخلف المترجم عن مخدومه واستقر بمصر ، فقلدوه الامارة والصنجقية فى سنة احدى ومائتين وألف . فعظمت امرته ، وزادت شهرته ، وتقلد امارة الحج مرتين .

ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرلية ما أوقعوه ، وانفصلوا من حبس الوزير ، وانضموا الى الانكليز بالجيزة . ثم انتقلوا الى جزيرة الذهب ، وارتحلوا منها الى قبلى .. تخلف عنهم المترجم لمرض اعتراه ، وحضر الى مصر ولازم الفراش . فلم يزل حتى مات فى يوم الخميس سادس القعدة من السنة .

وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين ... رحمه الله .

* * *

ومات ابراهيم كتخدا السنارى الأسود — وأصله من برابرة دنقلة — وكان بوابا فى مدينة المنصورة ، وفيه نباهة ، فتداخل فى الغز القاطنين هناك ، مثل الشابورى وغيره ، بكتابة الرقى وضرب الرمل ونحو ذلك ! ولبس ثيابا بيضا ، ثم تعاشر مع بعضهم ، وركب فرسا ، وانتقل الى الصعيد مع من اختلط بهم ، وتداخل فى أتباع مصطفى بيك الكبير .

ولم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور ، وتعلم اللغة التركية ، فاستعمله فى مراسلاته وقضاياه . فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء ، فأراد مراد بيك قتله . فالتجأ الى حسين بيك وخدمه مدة . ثم تحيل والتجأ الى مراد بيك وعاشره وأحبه ولازمه فى الغربة والأسفار ، واشتهر ذكره ، وكثر ماله ، وصار له التزام وايراد . وبنى داره التى بالناصرية ، فصرف عليها أموالا ، واشترى المماليك الحسان ، والسرارى البيض .

وتداخل فى القضايا والمهمات العظيمة ، والأمور الجسيمة ، وصار من أعظم الأعيان المشار اليهم بمصر . ونما ذكره ، وعظم شأنه ، وباشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمراء . فكان يحل مايعقده الأمراء الكبار .

ولما تحجب مخدومه بقصر الجيزة .. كان المترجم لسان حاله فى الأمر والنهى ، وبيده مقاليد الأشياء الكلية والجزئية ، ولا يحجب عن ملاقاة مخدومه فى أى وقت شاء . فينهى اليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه !

واتخذ له أتباعا وخدما يقضون القضايا ، ويسعون فى المهمات ، ويتوسطون لأرباب الحاجات ويصانعهم الناس — حتى الأكابر — ويسعون الى دورهم !

وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات .

ولم يزل ظاهر الأمر ، نامى الذكر ، حتى وقعت الحوادث ، وسافر الفرنساوية ، ودخل العثمانية ، ورجع قبودان باشا الى أبى قير . فأرسل يطلبه فى جملة من استدعاهم اليه ، وقتل مع من قتل ، ودفن بالاسكندرية .

المحرم

في غرته (٤ مايو ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومى بين القرانات جميعا ، ورفع الحروب فيما بينهم .

وفيه : ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه ، من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ، ودخل فى عقيدته قبائل من العرب كثيرة ، وبث دعاته فى أقاليم الأرض . ويزعم أنه يدعو الى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ، ويأمر بترك البدع التى ارتكبها الناس ومشوا عليها ... الى غير ذلك .

وفيه : سافر عثمان ، كتخدا الدولة ، الى الديار الروميـة ، ونزل الى بولاق ، وضربوا له عـدة مدافع ، وأخذ صحبته الخزينة ، وسافر معه مختار أفندى بن شريف أفندى دفتردار مصر .

وفى هذه الأيام : حصلت أمطار متتابعة وغيـام ورعود وبروق عدة أيام . وذلك فى أواسط نيسان الرومى .

وفى ذلك اليوم : نبهوا على الوجاقات والعساكر بالحضور من الغد الى الديوان لقبض الجامكية . فلما كان فى صبحها يوم الثلاثاء ، نصبوا صيوانا كبيرا ببركة الأزبكية ، وحضر العساكر والوجاقلية بترتيبهم ، ونزل الباشا بموكبه الى ذلك الصيوان وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس — وهو شـعار الوزارة — ووضـعوا الأكياس وخطفوها عـلى العـادة القديمة ، فكان وقتـا مشهودا .

٩ منه (١٢ مايو ١٨٠٢ م) :

حضر كبير الانكليز من الاسكندرية ، ونصبوا وطاقهم ببر انبابة .

١٠ منه (١٣ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى كبير الانكليز ومعه عـدة من أكابرهم . فتهيأ لملاقاته الباشا ، واصطفت العساكر عند بيت الباشا ، ووصل الانكليز الى الأزبكية ، وطلعوا الى عند الباشا وقابلوه . فخلع عليهم وقدم لهـم خيـلا وهدية . ثم نزلوا وركبـوا ورجعوا الى وطاقهم ، وعند ركوبهم ضربوا لهم عـدة مدافع ، فلم يعجب الباشا ضربها ، فأمـر بحبس الطبجية لكونهم لم يضربوها على نسق واحد !

وفيه : وردت الأخبار بأن الانكليز أخلوا القلاع بالاسكندرية ، وسلموها لأحمد بيك خورشيد ... وذلك يوم الاثنين ثامنه . وأبطلوا الكرنتيلة أيضا ، وحصل الفرج للناس ، وانطلق سبيل المسافرين برا وبحرا ، وأخذ الباشا فى الاهتمام بتشهيل الانكليز المسافرين الى السويس والقصير ، وما يحتاجون اليه من الجمال والأدوات وجميع مايلزم . ولما حضر الانكليز الى عند الباشا ، دعوه الى الحضور الى عندهم . فوعدهم على يوم الجمعة .

١٣ منه (١٦ مايو ١٨٠٢ م) :

ركب الباشـا وصحبته طاهر باشا ، فى نحـو الخمسين ، وعدى الى الجيزة بعد الظهر . ووقفت عساكر الانكليز صفوفا ، رجالا وركبانا ، وبأيديهم البنادق والسـيوف ، وأظهروا زينتهـم وأبهتهم

ـ وذلك عندهم من التعظيم للقادم ـ فنزل الباشا ودخل القصر ، فوجدهم كذلك صفوفا بدهليز القصر ومحل الجلوس . فجلس عندهم ساعة زمانية ، وأهدوا له هدايا وتقادم . وعند قيامه ورجوعه ، ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب لهم هو عند حضورهم اليه .

فلقد أخبرنى بعض خواصهم أن الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعا ، ولقد عددت ما ضربه الانكليز للباشا فكان كذلك .

وأخبرنى حسين بيك وكيل قبطان باشا ـ وكان بصحبة الباشا عند ذهابه الى الانكليز ـ قال :

« كنا فى نحو الخمسين والانكليز فى نحو الخمسة آلاف .. فلو قبضوا علينا فى ذلك الوقت لملكوا الاقليم من غير ممانع .. فسبحان المنجى من المهالك ! » .

واذا تأمل العاقل فى هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبارات والكرامة لدين الاسلام . حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة ، هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم . وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . فسبحان القادر الفعال .

واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من الانكليز ، حتى يريد الله !

وفى ذلك اليوم : سافرت الملاقاة للحجاج بالوش .

وفيه : وصلت مكاتبات من أهل القدس ويافا والخليل يشكون ظلم محمد باشا أبى مرق ، وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ، ويستغيثون برجال الدولة . وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزار . وحضر الكثير من أهل غزة ويافا والخليل والرملة هروبا من المذكور .

وفى ضمن المكاتبات : أنه حفر قبور المسلمين والأشراف والشهداء بيافا ونبشهم ، ورمى عظامهم ، وشرع يبنى فى تلك الجبانة سورا يتحصن به ، وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم ، ومكنهم أيضا من مغارة السيدة مريم بالقدس ، وأخذ منهم مالا عظيما على ذلك . وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة !

وفيه : حضر جماعة من العسكر القبالى ، وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرلية ، وفيهم رأس على كاشف أبى دياب . وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرلية ، وكانت الغلبة على العثمانية ، وقتل منهم الكثير ... وذلك عند أرمنت . ورأس عصبة المصرلية الألفى وصحبته طائفة من الفرنسيس ، وتجمع عليهم عدة من عسكر الفرنساوية والعثمانية طمعا فى بذلهم .. وأن عثمان بيك حسن انفرد عنهم وأرسل يطلب أمانا ليحضر ، فأرسلوا له أمانا ، فحضر الى باشة الصعيد ، وخلع عليه فروة سمور ، وقدم له خيلا وهدية .

وفيه : ورد الخبر بموت محمد باشا طوسون والى جدة وكذلك خازنداره .

١٤ منه (١٧ مايو ١٨٠٢ م) :

شرع الانكليز المتوجهون الى جهة السويس فى تعدية البر الشرقى ، ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران ، وبعضهم جهة العادلية . وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربى متوجهين الى القصير . واستمروا يعدون عدة أيام ، ويحضر أكابرهم عند الباشا ، ويركبون فيرمون لهم مدافع حال ركوبهم الى أماكنهم .

٢٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى حسين بيك وكيل القبطان الى الجيزة وتسلمها من الانكليز ، وأقام بها وسكن بالقصر .

٢٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠٢ م) :

وصل الى ساحل بولاق أغا ، وعلى يده شالات وأوامر . وحضر أيضا عساكر رومية ، فأرسلوا عدة منهم الى الجيزة . فركب ذلك الأغا فى موكب من بولاق الى بيت الباشا . فخلع عليه وقدم له تقدمة ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر ططرى من ناحية قبلى بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرلية ، وطلب جبخانة ولوازمها .

وفيه : وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكرا الى أبى مرق من البر والبحر فأحاطوا بيافا ، وقطعوا عنهم الجالب ، واستمروا على حصاره .

وفيه : اتخذ الباشا عسكرا من طائفة «التكرور» الذين يأتون الى مصر بقصد الحج ... فعرضهم واختار منهم جملة . وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قناطيش قصارا من جوخ أحمر ، وألبسة من جوخ أزرق ، وصدريات ... وجميعها ضيقة مقمطة مثل ملابس الفرنسيس ، وعلى رءوسهم طراطير حمر ا وأعطوهم سلاحا وبنادق ، وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهرى خارج الحسينية ، وجعلوا عليهم كبيرا يركب فرسا ويلبس فروة سمور . وجمع الباشا أيضا العبيد السود ، وأخذهم من أسيادهم بالقهر ، وجعلهم طائفة مستقلة ، وألبسهم شبه ما تقدم ، وأركبهم خيلا ، وجعلهم فرقتين : صغارا وكبارا ، واختارهم للركوب اذا خرج الى الخلاء ، وعليهم كبير يعلمهم هيئة اصطفاف الفرنسيس وكيفية أوضاعهم ، والاشارات بمرش وأردبوش ا وكذلك طلب المماليك ، وغصب ما وجده منهم .. من أسيادهم واختص بهم وألبسهم شبه لبس المماليك المصرلية ، وعمائم شبه عمائم البحرية الأروام ، ويلكات وشراويل . وأدخل فيهم ا وجده من الفرنسيس ، وجعل لهم كبيرا أيضا من الفرنسيس يعلمهم الكر والفر والرمى بالبنادق . وفى بعض الأحيان يلبسون زرديات وخودا ، وبأيديهم السيوف المسلولة . وسموا ذلك كله « النظام الجديد » .

صفر

٢ منه (٤ يونيه ١٨٠٢ م) :

وصل سعيد أغا وكيل دار السعادة ، وهو فحل

معركة بين العثمانية والمصرلية

أسمر ، فحضر عند الباشا ، فقابله وخلع عليه وقدم له تقدمة ، وضربوا له عدة مدافع أيضا .

٩ منه (١١ يونيه ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وحضر القاضي والعلماء والأعيان ، وقرأوا خطا شريفا حضر بصحبة وكيل دار السعادة بأنه ناظر أوقاف الحرمين .

١٣ منه (١٥ يونيه ١٨٠٢ م) :

قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم : الطون ابو طاقية ، وابراهيم زيدان ، وبركات معلم الديوان سابقا . وفي الحال أرسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم ، وشرعوا في نقل ذلك الى بيت الدفتردار على الجمال ليباع في المزاد . فبدأوا باحضار تركة الطون ابى طاقية ، فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها ، وجوارى سود وحبوش ، وساعات واستمر سوق المزاد في ذلك عدة أيام .

وفيه : تواترت الأخبار بأن بونابرته خرج بعمارة كبيرة ليحارب الجزائر ، وأنه انضم الى طائفة الفرنسيس «الأسبانيول» و « النامرطان » وتفرقوا في البحر وكثر اللغط بسبب ذلك ، وامتنع سفر المراكب ، ورجع الانكليز الى قلاع الاسكندرية . واستمرت هذه الاشاعة مدة أيام ، ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار ، وأن ذلك من اختلاقات الانكليز .

١٧ منه (١٩ يونيه ١٨٠٢ م) :

حضر جاويش الحج ، وصحبته مكاتبات الحجاج من العقبة ، وضربوا لحضوره مدافع ، واخبروا الأمن والرخاء والراحة ذهابا وايابا ، ومشوا من الطريق السلطاني ، وتلقتهم العربان وفرحوا بهم .

٢١ منه (٢٣ يونيه ١٨٠٢ م) :

وصل الحجاج ، ودخلوا الى مصر .

وفي صبحها : دخل أمير الحج وصحبته المحمل .

٢٣ منه (٢٥ يونيه ١٨٠٢ م) :

سافر حسين أغا شنن وزين الفقار كتخدا ، وصحبتهما على كاشف ، لملاقاة عثمان بيك حسن ، وأخلوا له دار عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين .

٢٨ منه (٣٠ يونيه ١٨٠٢ م) :

حضر عثمان بيك حسن ، فأرسل اليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب ، فحضر بصحبتهم وقابل حضرة الباشا ، وخلع عليه خلعة ، وقدم له تقدمة . وذهب الى الدار التى أعدت له ، وحضر صحبته صالح بيك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ، ومعهم نحو المائتين من الغز والمماليك ... سكن كل من الأمراء والكشاف في مساكن أزواجهم . فكانوا يركبون في كل يوم الى بيت عثمان بيك ، ويذهبون صحبته الى ديوان الباشا . ورتب له خمسة وعشرين كيسا في كل شهر .

ربيع الأول

غرته (٢ يولية ١٨٠٢ م) :

شرعوا في عمل المولد النبوى ، وعملوا صوارى ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكرى ، ونصبوا خياما في وسط البركة .

٨ منه (٩ يولية ١٨٠٢ م) :

نودى بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت ، والسهر بالليل ثلاث ليال : أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف . فكان كذلك .

وفي ليلة المولد : حضر الباشا الى بيت الدفتردار باستدعاء وتعشى هناك ، واحتفل لذلك الدفتردار ،

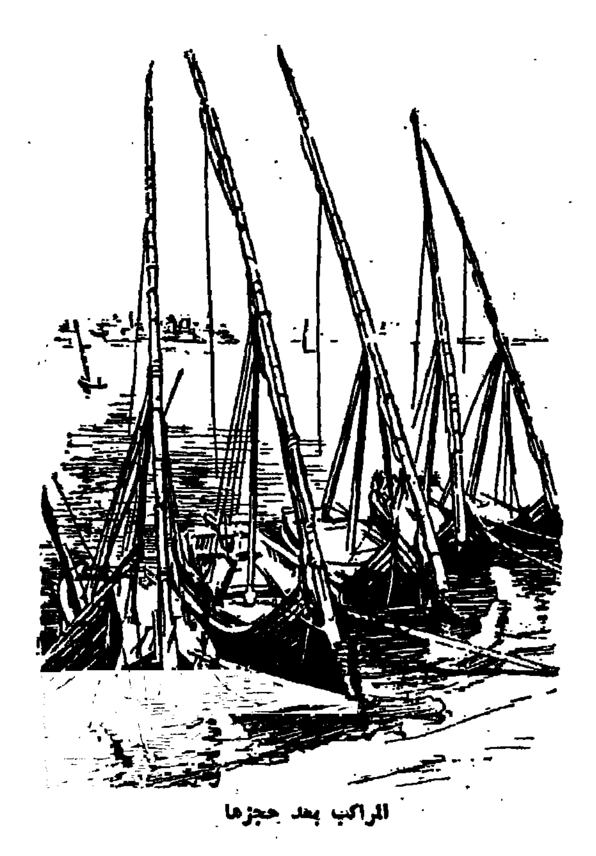
وعمل له حراقة لفوط وسواريخ ، حصة من الليل .

وفيه : وصلت الأخبار بكثرة عربدة الأمراء القبالي . وتجمع عليهم الكثير من غوغاء العربان والهوارة والغربان ، ووصلوا الى غربي أسيوط . وخافتهم العساكر العثمانية ، وداخلهم الرعب منهم ، وتحصن كل فريق في الجهة التي هو فيها . وانكمشوا عن الاقدام عليهم ، وهابوا لقاءهم ... مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل الريف ، والعسف بهم ، وطلبهم الكلف الشاقة ، والقتل والحرق . وذلك هو السبب الداعي لنفور أهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية .

ومن جملة أفاعيلهم التي ضيقت المنافس وأحرجت الصدور — حتى أعاظم الدولة — حجزهم المراكب ومنعهم السفار .. حتى تعطلت الأسباب ، وامتنع حضور الغلال من الجهة القبلية ، وخلت عرضات الغلة والسواحل من الغلال ... مع كثرتها في بلاد الصعيد . ولولا تشديد الباشا في عدم زيادة سعر الغلة .. لغلت أسعارها . وأمر بأن لا يدخلوا الى الشون والحواصل شيئا من الغلة ، بل يباع ما يرد على الفقراء حتى يكتفوا .

وفي كل وقت يرسلون أوراقا وفرمانات الى العساكر باطلاق المراكب ، فلا يمتثلون . ويحجز الواحد منهم أو الاثنان المركب التي تحمل الألف أردب ، ويربطونها بساحل الجهة التي هم بها ، وتستمر كذلك من غير منفعة ! . وربما مرت بهم المراكب المشحونة بالغلة فيأخذون منها النواتية والرئس يستخدمونهم في مراكبهم ، ويأخذ غيرهم المراكب فيرمي ما بها من الغلال على بعض السواحل ان لم يجدوا من يشتريه ! ويأخذون المراكب فيربطونها عندهم ... وأمثال ذلك ما تقصر عنه العبارة .

ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالي ،



المراكب بعد حجزها

شرعوا في تسفير عساكر أيضا ، وسارى عسكرهم طاهر باشا ، وأخذ في التشهيل والسفر .

١٥ منه (١٦ يولية ١٨٠٢ م) :

عدى طاهر باشا الى البر الغربي وتبعته العساكر .

وفي ذلك اليوم : حضرت مكاتبة من الأمراء القبالي . ملخصها : أن الأرض ضاقت عليهم ، واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم ، وأنهم في طاعة الله والسلطان ، ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم .. فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية ، وأبلوا مع الفرنساوية ، فجوزوا بضد الجزاء . ولا يهون بالنفس الذل والاقبال على الموت . فاما أن تعطونا جهة نتعيش فيها ، أو ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا ، وتشهلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز ، أو تعينوا لنا جهة نقيم بها نحو خمسة أشهر مسافة ما نخاطب الدولة في أمرنا

ويرجع لنا الجواب ، ونعمل بمقتضى ذلك . فان لم تجيبونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلائق فى رقابكم .. لا رقابنا !

وورد الخبر عنهم أنهم رجعوا القهقرى الى قبلى . فلما حضرت تلك المكاتبة ، فاشتوروا فى ذلك ، وكتبوا لهم جوابا بامضاء الباشا والدفتردار والمشايخ ، حاصله الأمان ... لما عدى ابراهيم بيك والألفى والبرديسى وأبو دياب ، فلا يمكن أن يؤذن لهم بشيء حتى يرسلوا الى الدولة ، ويأتى الاذن بما تقتضيه الآراء . وأما بقيتهم فلهم الأمان والاذن بالحضور الى مصر،ولهم الاعزاز والاكرام. ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ، ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والالتزام وغير ذلك .. مثل ما وقع لعثمان بيك حسن ، فانهم رتبوا له خمسة وعشرين كيسا فى كل شهر ، ومكنوه مما طلبه من خصوص الالتزام ، ورفعوها عمن كان أخذها بالحلوان . وهذه أول قضية شنيعة ظهرت نقدومهم .

واستمر طاهر باشا مقيما بالبر الغربى .

وفى هذا الشهر : كمل تتميم عمارة المقياس على ما كان عمره الفرنسيس على طرف الميرى ، وأنشأ به الباشا طيارة فى علوه عوضا عن الطيارة القديمة التى هدمها الفرنسيس . وأنشأ أيضا مصطبة فى مرمى النشاب بالناصرية ، وجعل فيها كشكا لطيفا مزينا بالأصباغ ودرابزين حول المصطبة المذكورة

ومن الحوادث بسكندرية : أنه حضر قليون وفيه تجار وبزرجانية يقال له « قليون مهردار الدولة » . فأرسى بالمينة الغربية ، وطلع منه قبطان وبعض التجار الى البلدة ، وأقاموا نحو يومين أو ثلاثة . فطلع رجل نصرانى ، وأخبر الانكليز أنه مات به رجل بالطاعون ، ومات قبله ثلاثة أيضا . فطلبوا القبطان ... فهرب ، فأرسلوا الى المركب وأحضروا اليازجى ، وتحققوا القضية ، وأحرقوا المركب بما فيها ، وأشهروا اليازجى وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم فى الأسواق . وكلما مروا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مساطب القهاوى ، بطحوه بين أيديهم ، وضربوه ضربا شديدا ، ولم يزالوا يفعلون به ذلك حتى قتلوه !

ووقع أيضا : أن خورشيد ، حاكم الاسكندرية ، أحدث مظالم ومكوسا على الباعة والمحترفين . فذهب بعض الانكليز يشترى سمكا . فطلب السماك منه زيادة فى الثمن عن المعتاد ، فقال له الانكليزى : « لأى شيء تطلب زيادة عن العادة ؟ » فعرفه بما أحدث عليهم من المكس . فرجع الانكليزى وأخبر كبراءه . فتحققوا القضية ، وأحضروا المنادى وأمروه بالمناداة بابطال ما أحدثه العثمانية من المكوس والمظالم فخرج المنادى وقال . « حسبما رسم الوزير محمد باشا وخورشيد أغا بأن جميع الحوادث المحدثة بطالة » فسمعوه يقول ذلك ، فأحضروه وضربوه ضربا شديدا وعزروه على ذلك القول ، وقالوا له : « قل فى مناداتك : حسبما رسم سارى عسكر الانكليز » .

ووقع أيضا : أن جماعة من العسكر أرادوا القبض على امرأة من النساء اللاتى يصاحبن الانكليز فمنعها منهم عسكر الانكليز . فتضاربوا معهم ، فقتل من الانكليز اثنان . فاجتمع الانكليز وأرسلوا الى خورشيد بأن يخرج الى خارج البلدة ويحاربهم . فامتنع من ذلك . فأمروه بالنزول من القلعة ، وأسكنوه فى دار بالبلد ، ومنعوا عسكره من حمل السلاح مطلقا مثل الانكليزية ، واستمروا على ذلك .

ربيع الآخر

الاحد غرته (اول اغسطس ١٨٠٢ م) :

شرع الباشا فى هدم الأماكن المجاورة لمنزله

— التى تهدمت واحترقت فى واقعة الفرنسيس — ليبنيها مساكن للعساكر المختصة به ، وتسمى عندهم « بالقشلة » ، وذلك من قبالة منزله من المكان المعروف بالساكت الى جامع عثمان كتخدا حيث رصيف الخشاب ، واهتم لذلك اهتماما عظيما ، ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى . وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد مع ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر والمباشرين ، وحق الطرق وفرد الانكليز .

وفيه : حضر أحمد أغا شويكار من عند القبالى ، ومحمد كاشف صحبته من جماعة الألفى ، ومعهم مكاتبات . واشيع طلبهم الصلح فأقاموا عدة أيام محجوبين عن الاجتماع بالناس ، ثم سافروا فى أواسطه . ولم يظهر كيفية ما حصل . وبطل سفر طاهر باشا الى الجهة القبلية ، ورجع الى داره بعد أيام من رجوعهم .

وفيه : عمل مولد المشهد الحسينى .

الخميس ٥ منه (٥ اغسطس ١٨٠٢ م) :

دعا شيخ السادات الباشا بمناسبة الاحتفال بالمولد ، وتعشى هناك ، ورجع الى داره .

وفيه : تقلد السيد أحمد المحروقى أمين الضربخانة ، وفرق ذهبا كثيرا فى ذلك اليوم ببيت الباشا . وعمل له ليلة بالمشهد الحسينى ، ودعا الباشا والدفتردار وأعيان الدولة والعلماء ، وأولم لهم وليمة عظمة ، وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة ، وقدم للباشا تقدمة .

وفى صبحها : أرسل مع ولده هدية وتعبية أقمشة نفيسة . فخلع عليه الباشا فروة سمور .

١٢ منه (١٢ اغسطس ١٨٠٢ — ٦ مسرى ١٥١٨ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وكسر السد فى صبحها يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضى ، والشىء المعتاد . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يطف مثل العادة . ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة للنزهة ، وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية .

١٥ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٢ م) :

كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، وكان من خبره : أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره عبد الرحمن كتخدا القازدغلى فى جملة عمائره ، وذلك فى سنة أربع وسبعين ومائة وألف فلم يزل على ذلك الى أن ظهر به خلل ومال شقه ، فانتدب لعمارته عثمان بيك المعروف بالطنبرجى المرادى فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف .. فهدمه وكشف أنقاضه ، وشرع فى بنائه ، وأقام جدرانه ، ونصبوا أعمدته ، وأرادوا عقد قناطره . فحصلت حادثة الفرنسيس ، وجرى ما جرى . فبقى على حالته الى أن خرج الفرنسيس من أرض مصر وحضرت الدولة العثمانية ... فعرض خدمة الضريح الى الوزير يوسف باشا،فأمر باتمامه واكماله على طرف الميرى . ثم وقع التراخي فى ذلك الى أن استقر قدم محمد باشا فى ولاية مصر ، فاهتم لذلك . فشرعوا فى اكماله وتتميمه وتسقيفه . وتقيد لمباشرة ذلك ذو الفقار كتخدا ، فتم على أحسن ماكان . وأحدثو به حنفية وفسحة ، وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ .

ولما كان يوم الجمعة حصلت به الجمعية ، وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة . وبعد انقضاء الصلاة ، عقد الشيخ محمد الأمير المالكى درس وظيفته ، وأملى «انما يعمر مساجد الله .. الآية» والأحاديث المتعلقة بذلك ، وتم المجلس ، وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة .. وكذا الامام .

وفيه : نصب للباشا خيمة عند بيته بقرب الهدم ، يجلس بها حصة كل يوم لمباشرة العمل ... وربما

باشر بنفســه ، ونقل بعض الأنقاض .. فلما عاينه الأغوات والجوخدارية .. بادروا الى الشيل ونقل التراب بالغلقان فلما أشيع ذلك ، حضر طاهر باشا وأعيان العساكر ، فنقلوا أيضا وطلبوا المساعدة .

وحضر طائفة من ناحية الرميلة وعرب اليسار ، ومعهم طبول وزمور . فسأل عن ذلك ، فقال له ، المحتسب ذو الفقــار : « هؤلاء طائفة من طوائفى حضروا لأجل المســاعدة » . فشــكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب . فبقى منهم طائفة ، وأخذوا فى شيل التراب بالأغلاق ساعة ، والطبول تضرب لهم . فانسر الباشــا من ذلك ، وحسن القرناء للباشــا المساعدة ، وأن الناس تحب ذلك . فرتبــوا ذلك وأحضروا قوائم أرباب الحرف التى كتبت أيام فرد الفرنسيس ، ونبهــوا عليهم بالحضــور . فأول ما بدأوا .. بالنصارى والأقباط . فحضروا ويقدمهم رؤســاؤهم : جرجس الجوهرى ، وواصــف ، وفلتيوس ومعهم طبول وزمور . وأحضر لهم أيضا مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين .. حتى البرامكة بالرباب ، فاشــتغلوا نحــو ثلاث ســاعات .

وفى ثانى يوم : حضر منهم أيضا كذلك طائفة . ولمــا انقضت طوائف الأقباط ، حضر النصــارى الشوام والأروام . ثم طلبــوا أرباب الحرف من المسلمين .فكانيجتمع الطائفتان والثلاثويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ، ويحضرون الى العمل ويقدمهم الطبول والزمور والمجرية . وذلك خلاف ما رتبه مهتار باشا.فيصير بذلك ضجةعظيمة مختلطة من نوبات تركية ، وطبول شامية ، ونقاقير كشوفية ، ودبادب حربية ، وآلات موســيقية ، وطبلات بلدية ، وربابات برامكية .. كل ذلك فى الشمس والغبار والعفار .

وزادوا فى الطنبور نغمة : وهى أنهم بعــد أن يفرغوا من الشغل ، ويأذنوا لهم بالذهاب ، يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار باشا برسم البقشيش على أولئك الطبالين والزمارين . فيعطيهم النزر اليسير ويأخذ لنفســه البــاقى ! وذلك بحسب رسمه واختياره . فيأتى على الطائفة المائة قرش والخمسون قرشا ونحو ذلك . فيركب فى ثانى يوم ويذهب الى خطتهم ، ويلزمهم باحضــار الذى قــرره عليهم . فيجمعونه من بعضهم ويدفعــونه . واذا حضرت طائفة ، ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة .. طولوا عليهم المدة ، وأتعبوهم ونهروهم ، واستحثوهم فى الشغل ، ولو كانوا من ذوى الحرف المعتبرة .. كما وقع لتجار الغورية والحريرية . واذا قدموا بين أيديهم شــيئا .. خففوا عليهم وأكرموهم ، ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل ، وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا ، وأحضر لهم الآلات والمغانى فضربت بين أيديهم ! كما وقع ذلك لليهود .

واستمر هذا العمل بقية الشــهر الماضى الى وقتنا هــذا .. فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة ، وهى : الســـخرة ، والعونة ، وأجرة الفعلة ، والذل ، ومهنة العمل ، وتقطيع الثياب ، ودفع الدراهم ، وشماتة الأعداء من النصــارى ، وتعطيل معاشهم ، وعاشرها : أجرة الحمام !

وفيه : حضر قصــاد من الططر ، وعلى يدهم مكاتبات من الدولة ، بوقوع الصلح العــام بين الدولة والقرانات . وعثمان باشــا ومن معه من المخالفين على الدولة ، من جهة الروملى . فعملوا شنكا ومدافع ثلاثة أيام ، تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة . وكتبوا أوراقا بذلك والصقوها فى مفارق الطرق بالأسواق . وقد تقدم مثل ذلك ... وأظنه من المختلقات !

فى اواخره (اواخر اغسطس ١٨٠٢ م) :

حضر حريم الباشا من الجهــة الرومية . وهما اثنتان : احداهما معتوقة أم السلطان ، والأخرى

معتوقة أخته زوجة قبطان باشا ، وصحبتهما عـدة سراری . فأسكنهن ببيت الشيخ خليل البكرى ، وقد كان عمره قبل حضورهن ، وزخرفه . ودهنوه بأنواع الصباغات والنقوش ، وفرشـوه بالفرش الفاخرة .

وفرش المحـروقى مكانا ، وكـذلك جرجس الجوهرى فرش مكانا ، وأحمد بن محرم . واعتنوا بذلك اعتناء زائدا ... حتى أن جرجس فرش بساطا من الكشمير وغير ذلك وعمل وليمة العقد ، وعقد على الثنتين فى آن واحد بحضرة القاضى والمشايخ ، وأهـدوا لكل من الحاضرين بقجـة من ظرائف الأقمشة الهندية والرومية ، وعملوا شنكا وحراقة بالأزبكية عدة ليال .

جمـادى الأولى

الاثنين ٨ منه (٦ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام : أحدهم بباب زويلة ، والثانى بباب الخرق ، والثالث بالأزبكية بالقرب من جامع عثمان كتخـدا . وقتلوا أيضـا شخصا بالنحاسين .

الثلاثاء ٩ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

عمل الباشـا ديوانا ، وفرق الجامكية عـلى الوجاقلية .

وفيه : وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالى والعثمانية . وذلك أن شخصا من العثمانية يقال له « أجدر » موصوفا بالشجاعة والاقدام ، أراد أن يكبس عليهم على حين غفلة ، ليكون له ذكر ومنقبة فى أقرانه . فركب فى نحـو الألف من العسكر المعدودين ـ وكانوا فى طرف الجبل بالقرب من الهـوة ـ فسبق العين الى الأمـراء وأخبرهم بذلك .

فلما توسطوا سطح الجبل ... واذا بالمصرليـة أقبلت عليهم فى ثلاثة طوابير ، فأحاطوا بهم . فضرب العثمانية بنادقهم طلقا واحدا لاغير ، ونظروا ... واذا بهم فى وسطهم ، وتحت سيوفهم ، ففتـكوا فيهم وحصدوهم ، ولم ينج منهم الا القليل ، وأخذ كبيرهم « أجدر » المذكور أسيرا ، وانجلت الحرب بينهم وأحضروا «أجدر» بين يدى الألفى ، فقال له : « لأى شيء سموك أجـدر ... ؟ ! » فقال : « الأجدر ، معناه الأفعى العظيم وقد صرت من أتباعك ! » . فقال : « لكن يحتـاج الى تطريمك واخراج سمك أولا » . وأمر به ، فأخذوه وقلعوا أسنانه ، ثم قتلوه ، وأخذوا جميع ما كان معـه ، ومن جملة ذلك أربعة مدافع كبار .

وفيه : قلدوا أحمد كاشف سليم امارة أسيوط . وعزل أميرها مقدار بيك العثمانى بسبب شكوى أهل النواحى من ظلمه .

الاثنين ١٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار برجوع الأمـراء القبالى الى بحرى ، وأنهم وصلوا الى بنى عدى ، فنهبوا غلالها ومواشيهم ، وقبضوا أموالها ، وأعطوهم وصولات بختمهم ، وكذلك الحواوشـة وما جاور ذلك من البـلاد .

فشرع العثمانية بمصر فى تشـهيل تجـريدة وعساكر .

وفيه : حضرت أيضا عساكر كثيرة من«هبود»[1] الأتراك والأرنؤود ، فأحضروا مشـايخ الحارات وأمروهم باخـلاء البيوت لسكناهم فأزعجـوا الكثير من الناس ، وأخرجوهم من دورهم بالقهر . فحصل للناس غاية الضرر ، وضاق الحال بالناس وكلما سكنت منهم طائفة بدار ، أخربوها وأحرقوا

ـــــــــــــــ

ـ هبود : صفة للتحقير بمعنى « صعاليك » .

أخشابها وطيقانهـا وأبوابها ، وانتقلوا الى غيرها فيفعلون بها كذلك .

ومن تكلم أو دافع عن داره ، وبخ بالكـلام ، وقيل له : « عجب ! ... كنتم تسكنون الفرنسيس ، وتخلون لهم الدور » .. وأمثال ذلك من الـكلام القبيح الذى لا أصل له .

ولما شرعوا فى تشهيل التجريدة ، حصلت منهم أمور وأذية فى الناس كثيرة .

فمنها : أنهم طلبوا الحمارة المكارية وأمروهم باحضار ستمائة حمار ، وشددوا عليهم فى ذلك . فقيل انهم لما جمعوها ، أعطوهم أثمانها فى كل حمار خمسة ريال .. بعدته ولجامه ، مع أن فيها ما قيمته خمسون ريالا خلاف عدته . ثم ما كفاهم ذلك ، بل صاروا يخطفون حمير الناس من أولاد البلد بالقهر ، وكذلك حمير السقائين التى تنقل الماء من الخليج ، حتى امتنعت السقاءون بالكلية ، وبلغ ثمن القربة الكتاف من الخليج ، عشرة أنصاف فضة !

وتعدى بالخطف أيضا من ليس بمسافر . فكانوا ينزلون الناس من على حميرهم ، ويذهبون بها الى الساحة ويبيعونها . والبعض تبعهم واشترى حماره بالثمن . فخبى جميـع الناس حميرهم فى داخـل الدور ، فكان يأتى الجماعة من العسكر وينصتون بآذانهم عـلى باب الدار ، ويتبعـون « نهيق » الحمير ! وبعض شـياطينهم يقف عـلى الـدار ويقول : « زر ! » ويكررهـا ... فينهق الحمار ، فيعلمون به ، ويطلبونه من البيت : فاما أخذوه ، أو افتداه صاحبه بما أرادوه ... وغير ذلك !

وفيه : حضر قاضى سكندرية الى مصر . وذلك أنه لما حضر من اسلامبول طلع الى داره ، وحضرت اليه الدعاوى ، فأخذ منهم المحصول على الرسـم المعتاد فأرسل اليه الانكليز ولاموه على عـدم حضوره اليهم وقت قدومه ، وقالوا له : « ان أقمت هنا بتقليدنا اياك فلا تأخذ من أحد شيئا ، ونرتب لك ثلاثة قروش فى كل يوم ... والا فاذهب حيث شئت » . فحضر الى مصر بذلك السبب .

جمـادى الآخرة

الأحد ٥ منه (٣ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافرت العساكر الى الأمراء القبالى ، وسـافر أيضا عثمان بيك الحسنى وباقى العساكر المعزولين ، وأمير العساكر العثمانية محمد على سرششمه .

وكان الباشا أرسل ابراهيم ، كاشف الشرقية ، بجواب اليهم ، فرجع فى ثامنه بجواب الرسـالة ، وأعطاه الألفى ألفى ريال ، وقـدم له حصانين . وحاصل تلك الرسالة — كما تقدم — الأمان لجميع الأمـراء المصرليـة ، وأنهـم يحضرون الى مصر ويقيمون بها ، ولهم مايرضيهم من الفائظ وغيره مَاعـدا الأربعة الأمـراء ، وهم : ابراهيم بيك ، والألفى ، والبرديسى ، وأبو دياب ، فانهم مطلوبون الى حضرة السلطان يتوجهون اليه مع الأمن عليهم ، ويعطيهم مناصب وولايات كما يحبـون . فان لم يرضوا بذلك ، فيأخذوا اقطاع اسنا ويقيمون بها

فلما وصل ابراهيم أغا المذكور الى أسيوط ، وأرسل اليهم ... أرسلوا اليه أحمـد أغا شويكار ومحمد كاشف الألفى فانتظروه خارج الجبانة ، فخرج اليهم ، ولاقوه ، وأخـذوه بصحبتهم الى عرضيهم ، وأنزلوه بوطاق بات به .

فلما أصبح الصباح طلبوه الى ديوانهم ، فحضر ووقفت عساكرهم صفوفا ببنادقهم ، وفيهم كثـير على هيئة اصطفاف الفرنسيس ، وعملوا له شنكا ومدافع . ثم أعطاهم المكاتبـة بحضرة الجميع ... فقرأوها ، ثم تكلم الألفى وقال : « أما قولـكم نذهب الى اسلامبول و نقابل السلطان ينعم علينا ... فهذا مما لا يمكن . وان كان مراده أن ينعم علينا

فاننا فى بلاده وانعامه ، لايتقيه بخضورنا بين يديه . وأما بقية اخواننا فهم بالخيار : ان شاءوا أقاموا معنا ، والا ذهبوا .. وكل انسان أمير نفسه . وأما كون حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا .. فلا يكفينا هذا ، وانما يكفينا من أسيوط الى آخر الصعيد ، ونقوم بدفع خراجه . فان لم يرضــوا بذلك فان الأرض لله ... ونحن خلق الله ، نذهب حيث شئنا ، ونأكل من رزق الله ما يكفينــا ، ومن أتى الينــا حاربناه حتى يكون من أمــرنا ما يكون » . ثــم استقروا بقنطرة اللاهــون ، وكسروا القنطرة ، وشرعوا فى قبض الأموال من بلاد الفيوم .

فلما رجع ابراهيم كاشف بذلك الجواب ، ركب الباشا فى صبحها الى الآثار ، واســتعجل العسكر بالذهاب . فعدوا الى البر الغربى ، وتأخر عنهــم عثمان بيك الحسنى والغز المصرلية ، وباتوا بطرا .

وفيه : شنق الباشا رجلا طبجياً فى المشنقة التى عند قنطرة المغربى .

ثم ان عثمان بيك أرسل الى الباشا يطلب حسين أغا شنن ومصطفى أغا الوكيل ، ليتفاوض معهما فى كلام فأرســل له ابراهيم أغا كاشف الشرقية ، فأعطاه الخلعة التى خلعها عليه الباشــا ، ودراهم الترحيلة ، وقال له : « سلم على أفندنا وأخبره أنى جاهدت الفرنسيس ، وبلوت معهم .. ثم انى حضرت بأمان طائعا ، فلم أجاز ، ولم يحصل ماكنت أؤمله ، ولم يوفوا معى وعــدا ... وأنا لا أقاتل اخوانى المسلمين ، وأختم عملى بذلك ، ولا أقيم بمصر آكل الصدقة ، وانما أذهب سائحا فى بــلاد الله !! » . وكان فى ظن عثمان بيك أنه اذا أتى الى مصر على هذه الصورة ، يجعله الباشا أمير البلد ، أو أمير الحج .

وفيه : أمر الباشــا محمــد كتخدا ، المعروف بالزربة ، بالسفر الى جهــة قبلى . فاســتعفى من ذلك .. فأمر بقتــله . فشفع فيه يوسف كتخــدا الباشا ، وقال : « ان له حرمة ، وقد كان فى السابق كتخدا لأفندينا ، ولا يناسب قتــله عــلى هــذه الصورة » ، فأمر بسفره الى جهة البحيرة محافظا . فسافر من يومه .

وأما عثمان بيك ، فانه ركب وذهب الى جهــة قبلى ، مشرقا على غير الرسم . وأشــيع ذلك فى الناس ، ولغطوا به . فلمــا تحقق العثمانية ذلك ، رسموا لطوائف العسكر أن يقيموا منهم طوائف بالقلاع التى على التلول ، ونصبوا عليها بيارق ، وأوقفوا حراســا على أبواب المدينــة يمنعون من يخرج من المدينة من الغز الخيالة والمصرلية . فمن خرج الى بولاق أو غيرها .. فلا يخرج الا بورقة من كتخدا الباشا .

الجمعة ١٠ منه (٨ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

أمر الباشــا بكبس بيوت الأمــراء الحسنية ، ونهب مابها من الخيول والجمال والســلاح

وفيه : حضر أغات التبديل الى بيت الحربطلى بعطفه « خشقدم » وبه جماعة من عسكر المغاربة ، فكبس عليهم ، وقبض على جمــاعة منهم وكتفهم وكشف رؤوسهم . وأحاطت بهم عساكره وسحبوهم وأخذوا ما وجدوه فى جيوبهم على هيئة شنعة ، ومروا بهم على الغورية ، ثم على النحاسين وباب الشعرية .. حتى انتهوا بهم الى الأزبكية على حارة النصارى ، ودخلوا بهم بيت الباشا وهم لا يعلمون لهم ذنبا .

فلما مثلوا بين يدى كتخدا الباشا ، ذكر لهم أن بجوارهم ديرا للنصارى ، وأنهم فتحوا طاقة صغيرا يطل على الدير فقــالوا : « لا علم لنــا بذلك » ، وأخبروا أن جماعة من الأرنؤود ساكنون معهم بأعلى الدار ، ويحتمل أن ذلك من فعلهم فأرسلوا من كشف على ذلك ، فوجدوه كما قال

المغاربة ، فأطلقوهم بعد هذه الجرسة الشنيعة ، ومرورهم بهم الى حارة النصارى ، وأخذوا دراهمهم ومتاعهم .. والأمر لله وحده !

وفيه : أشيع مرور جماعة من الغز القبالى على جهة الجيزة ، الى جهة سكندرية ، وكذلك جماعة من الانكليز من سكندرية الى قبلى .

وفيه : تداعى مصطفى — خادم مقام سيدى أحمد البدوى — مع نسيبه سعد بسبب ميراث أخته . فقال مصطفى : « أنا أحاسبه على خمسين ألف ريال » . فقال سعد : « أنا أستخرج منه مائتى ألف ريال ... بشرط أن تعوقوه هنا ، وتعطونى خادمه وجماعة من العسكر » . ففعلوا ذلك ، وعوقوه ببيت السيد عمر النقيب ، وتسلم سعد خادمه والعسكر ، وذهب بهم الى طندتا . فعاقبوا الخادم ، فأقر على مكان أخرجوا منه ستة وثلاثين ألف ريال فرانسة . ثم فتحوا بئرا مردومة بالأتربة ، وأخرجوا منها ريالات فرانسة ، وأنصافا وأرباعا وفضة عددية ... كلها مخلوطة بالأتربة وقد ركبها الصدأ والسواد ، فأحضروها وجلوها فى قاعة اليهود . ولم يزالوا يستخرجون .. حتى غلقوا مائة وسبعة وثمانين الفا وسبعمائة وكسورا ! وآخر الأمر ، أخرجوا خبيئة لا يعلم قدرها . ثم حصل العفو ، ورجع العسكر ، وأخذوا كراء طريقهم ، وأخذوا من أولاد عمه عشرة أكياس .

السبت ١١ منه (٩ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

كان آخر التسخير فى نقل التراب من العمارة[1] ، وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرداتية وأرباب الملاعيب . وبطل الزمر والطبل . واستمر الفعلة فى حفر الأساس ، ورشح عليهم الماء بأدنى حفر لكون ان ذلك فى وقت النيل ، والبركة ملآنة بالماء حول ذلك .

١٥ منه (١٣ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر ودلاة أيضا ، وسافروا الى قبلى .

٢٣ منه (٢١ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافر عساكر فى نحو الأربعين مركبا الى جهة البحيرة بسبب عرب بنى على ، فانهم عاثوا بالبحيرة ودمنهور .

ومن الحوادث السماوية : أن فى تلك الليلة — وهى ليلة الأربعاء — احمرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت ، وظهر فى أثرها برق من ناحية الجنوب فى سحاب قليل متقطع ، وازداد ، وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل شعلة النفط المتوقدة المتموجة بالهواء . واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ، ثم تحول الى جهة المغرب ، وتتابع ... لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد ، واستمر الى خامس ساعة ، ثم أخذ فى الاضمحلال ، وبقى أثره غالب الليل . وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج الميزان ، وحادى عشر بابه القبطى ، وثامن تشرين أول الرومى (٢٤ اكتوبر ١٨٠٢ م) . ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث .

وفيه : ورد الخبر بورود مركب من فرانسا وبها الجى وقنصل وصحبتهما عدة فرنسيس . فعمل لهم الانكليز شنكا ومدافع بالاسكندرية .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٦ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

فى ليلته وصل ذلك الألجى ، وصحبته خمسة من أكابر الفرنسيس ، الى ساحل بولاق . فأرسل الباشا لملاقاتهم خازنداره وصحبته عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة . فقابلوهم ، وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية . وركبوا الى دار أعدت لهم بحارة البنادقة ،

(١) يقصد عمارة مسجد السيدة زينب .

وحضروا فى صبحها الى عند الباشا فقابلوه ، وقدم لهم خيلا معـددة ، وأهدى لهم هدايا ، وصاروا يركبون فى هيئـة وأبهة معتبرة . وكان فيهم جبير ترجمان بونابارته .

وفيه : وردت الأخبار بأن الغـز القبالى نهبوا بلاد الفيـوم ، وقبضوا أموالها ، ونهبوا غـلالها ومواشيها ، وحرقوا البـلاد التى عصت عليهم ، وقتلوا ناسها ... حتى قتلوا من بلدة واحـدة مائة وخمسين نفرا ! وأما العثمانية الكائنون بالفيوم فانهم تحصـنوا بالبلدة ، وعمـلوا لهم متـاريس بالمدينة ، وأقاموا داخلها .

رجب

فى غرته (٢٨ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

رموا أساس عنارة الباشـا ، وكان طلب من الفلكيين أن يختاروا له وقتا لوضع الأساس ... ففعلوا ذلك ، وكان بعد إثنى عشر يوما من يوم تاريخه .. فاستبعده ، وأمر برمى الأساس فى اليوم المذكور ... ورب النجم يفعل ما يشاء !

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس ، فوضعت عند باب الباشا . زعموا أنهم من قتلى الغز المصرلية .

٥ منه (اول نوفمبر ١٨٠٢ م) :

سافر الألجى الفرنسـاوى وأصحابه ، فنزلوا الى بولاق وأمامهم مماليك الباشا بزينتهم ، وهم لابسـون الزروخ والخود ، وبأيديهم السـيوف المسلولة ، وخلفهم العبيد المختصة بالباشا ، وعلى رءوسهم طراطير حمـر ، وبأيدهم البنـادق على كواهلهم . فـلم يزالوا صـحبتهم حتى نـزلوا ببيت راشتو ببولاق . ثم رجعوا ، ثم نزلوا المراكب الى دمياط ، وضربوا لهم مدافع عنـد تعويمهم السفن

وفيه : أشيع انتشار الأمراء القبانى الى جهـة بحرى ، وحضروا الى اقليم الجيزة ، وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا الى وردان .

وفيه : حضر محمد كتخدا ، المعروف بالزربة ، الذى كان كتخدا الباشا — وتقدم أنه كان أمره بالسفر الى قبلى ، فامتنع — وأذن له بالسفر الى البحيرة محافظا . فلما تقـدم طوائف الأمراء الى بحرى ، مر منهم جماعة قليـلة على محمد كتخدا الزربة المذكور ، فلم يتعرض لهم مـع قدرته على تعويقهم . فبلغ البـاشا ذلك ، فحقـدها عليـه ، وأرسل اليه ، وطلبه الى الحضـور ... فحضر .

٩ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

طلبه الباشا فى بكرة النهار . فلما أحضر ، أمر بقتله . فنزل به العسكر ، ورموا رقبته عنـد باب الباشا ، ثم نقلوه الى بين المفارق قبالة حمام عثمان كتخدا . فاستمر مرميا عريانا الى قبيل الظهر ثم شالوه الى بيته ، وغسلوه فى حوش البيت سكنه ، ودفنوه .

وعند موته أرسل الدفتردار فختم على داره ، وأخرج حريمه .

١٠ منه (٦ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

أحضروا تركتـه ومتـاعه ، وباعوا ذلك ببيت الدفتردار .

وفيه : وردت مكاتبات من الديار الروميـة ، وفيها الخبر بعزل شريف أفندى الدفتردار ، وولاية خليل افندى الرجائى المنفصل عن الدفتردارية عام أول . فحزن الناس لذلك حزنا عظيما ... فان أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية الى مصر — بل من نحو أربعين سنة — سوى هذه السنة التى باشرها هو فانه أرضى خواطر الصغير قبل الكبير ، والفقير قبل الغنى . وصرف الجامكية

وغلال الأنبار عينا وكيلا . وكان كثير الصدقات ، ويحب فعل الخير والمعروف ، وكان مهذبا فى نفسه ، بشوشا متواضعا . وهو الذى أرسل بطلب الاستعفاء من الدفتردارية لما رأى من اختلال أحكام الباشا .

١١ منه (٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

عدى يوسف كتخدا الباشا الى بر انبابة ، وعدى معه الكثير من العسكر ، ونصب العرضى ببر انبابة على ساحل البحر .

وأشيع وصول الأمراء الى ناحية الجسر الأسود ، وقطعوا الجسر لأجل تصفية المياه وانحدارها من الملق ... لأجل مشى الحافر . ثم جعوا الى ناحية المنصورية وبشتيل .

واستمر خروج العساكر العثمانية — التى كانت جهة قبلى — الى بر انبابة ، وهم كالجراد المنتشر . ونصبوا وطاقهم ظاهر انبابة . واستمر خروج العساكر والطلب ونقل البقسماط والجبخانة على الجمال والحمير ليلا ونهارا . وأخذوا المراكب ووسقوها معهم فى البحر ، وغصبوا ما وجدوه من السفن قهرا ، وانتشرت عساكرهم وخيامهم ببر انبابة حتى ملأوا الفضاء .. بحيث يظن الرائى لهم أنهم متى تلاقوا مع الغز المصرلية أخذوهم تحت أقدامهم لكثرتهم واستغدادهم ، بحيث كان أوائل العرضى عند الوراريق ، وآخرهم بالقرب من بولاق التكرور طولا . ثم ان الأمراء رجعوا الى ناحية وردان والطرانة .

١٥ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

انتقل العرضى من بر البابة ، وحلوا الخيام .

١٦ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر خلافهم ، ونصبت مكانهم وسافروا ، وخرج خلافهم . وهكذا دأبهم فى كل يوم ... تخرج طائفة بعد أخرى .

وفيه : رسم الباشا بألف أردب قمح انعام تفرق على طلبة العلم المجاورين ، والأروقة ، بالجامع الأزهر ... ففرقت بحسب الأغراض ! وأنعم أيضا — بعد أيام — بألف أردب أخرى .. فعل بها كذلك .

فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما [1]

١٧ منه (١٣ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

وصلت جماعة ططر ، وأخبروا بتقليد شريف محمد أفندى الدفتردار ... ولاية جدة .

١٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرج طاهر باشا ، ونصب وطاقه جهة انبابة للمحافظة وخرجت عساكره ونصبت وطاقاتهم ببر انبابة أيضا ، متباعدين عن بعضهم البعض . واستمروا على ذلك .

٢٢ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

حضر رجل من طرف الدولة يقال له «حجان» ، وهو رجل عظيم من أرباب الأقلام ، وعلى يده فرمان . فأرسل الباشا الى شريف أفندى الدفتردار والقاضى والمشايخ ، وجمعهم بعد صلاة الجمعة ، وقرىء عليهم ذلك الفرمان ، وهو خطاب الى حضرة الباشا ، وملخصه : « أننا اخترناك لولاية مصر ... لكونك ربيت بالسراية ، ولما نعلمه منك من العقل والسياسة والشجاعة . وأرسلنا اليك عساكر كثيرة ، وأمرناك بقتال الخائنين واخراج الأربعة

(١) ورد هذا البيت خطا فى الجزء الرابع . وهو ثانى بيتين هما :

لاتمدحن ابن عباد وان هطلت
يمناه بالجود حتى يسبق الديما
فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

أنفار من الأقليم المصرى بشرط الأمان عليهم من القتل ، وتقليدهم ما يختارونه من المناصب فى غير اقليـم مصر ، واكرامهم غاية الاكرام ان امتثلوا الأوامر السلطانية . وأطلقنا لك التصرف فى الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم . وما عرفنا موجب تأخير أمرهم لهذا الوقت . فان كان لقلة العساكر .. أرسلنا اليك الأمـداد الكثيرة من العساكر . أو المال ... أرسلنا اليك كذلك ان لم يمتثلوا . وكل من انضم اليهم كان مثلهم ، ومن شذ عنهم وطلب الأمان .. فهو مقبول وعليـه الأمان » . الى آخر ما ذكر من ذلك المعنى .

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

كتبت أوراق بمعنى ذلك ، وألصقت بالطرقات .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانيين والأمراء المصرليـة بأراضى دمنهـور ، وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة . وكانت الغلبـة للمصرليين ، وانتصروا على العثمانيين .

وصورة ذلك : أنه لما تراءى الجمعان ، واصطفت عساكر العثمانيين الرجالة ببنـادقهم ، واصطفت الخيالة بخيولهم . وكان الألفى بطائفة من الأجنـاد — نحو الثلاثمائة — قريبا منهم وصحبتهم جماعة من الانكليز . فلما رأوهم مجتمعين لحربهم ، قال لهم الانكليز: «ماذا تصنعون؟». قالوا : «نصدمهم ونحاربهم » : قال الانكليز : « انظروا...ماتقولون؟ ان عساكرهم الموجهين اليكم أربعة عشر ألفا ، وأنتم قليلون » . قالوا : « النصر بيد الله » . فقالوا : « دونكم » . فساقوا اليهم خيولهم ، واقتحموا الى الخيالة . فقتل منهم من قتل ، فانهزم الباقون ، وتركوا الرجالة خلفهم . ثم كروا على الرجالة ، فلم يتحركوا بشىء ، وطلبوا الأمان . فسـاقوا منهم نحو السبعمائة مثل الأغنام ! وأخـذوا الجبخانة والمدافع وغالب الحملة ... والانكليز وقوف على علوة ينظرون الى الفريقين بالنظارات . فلما تحقق الباشا ذلك ، اهتم فى تشهيل عساكر ومـدافع ، وعدوا الى بر انبـابة ، ونصبوا وطاقهم هنـاك ، وانتقل طاهر باشا الى ناحية الجيزة .

شعبـان

السبت غرته (٢٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

شرعوا فى عمـل متـاريس جهـة الجيزة ، وقبضوا على أناس كثيرة من ساحل مصر القديمة ليسخروهم فى العمل .

وفيه : حضر الكثير من العسـاكر المجاريح ، وجمع الباشا النجارين والحدادين وشرع فى عمل شركفلك . فاشتغلوا فيه ليـلا ونهارا حتى تمموه فى خمسـة أيام ، وحملوه على الجمـال ، وأنزلوه المراكب ، وسفروه الى دمنهور فى سادسه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

كتبوا عـدة أوراق ، وختم عليهـا المشـايخ ، ليرسلوها الى البلاد ، خطابا لمشايخ البلاد والعربان ... مضمونها معنى ما تقدم .

وكتبوا كذلك نسـخا وألصقت بالأسـواق ، وذلك باشارة بعض قرناء الباشا المصرلية ، وهى بمعنى التحـذير والتخويف لمن يسـالم الأمراء المصرلية ، وخصوصا المغضوب عليهم ... مطرودى السلطنة ، العصاة ، الى آخر معنى ماتقدم .

وفى هذه الأيام : كثرت الغلال حتى غصت بها السواحل والحواصل ، ورخص سعرها حتى بيع القمح بمائة وعشرين نصفا الأردب . واستمرت الغلال معرمة فى السواحل ولا يوجد من يشتريها .

وكان شريف افندى الدفتردار أنشأ أربعة مراكب كبار لغلال الميرى . ولما حصلت النصرة للمصرلية على العثمانية — خصوصا هذه المرة مع كثرتهـم وقوتهم واستعدادهم — ضبعوا فيهم واحتكروها ،

ووقفوا على سواحل النيل يمنعون الصادر والوارد منهم ومن غيرهم .

وأما الباشا فانه سخط على العساكر ، وصار يلعنهم ويشتمهم فى غيابهم وحضورهم .

وفيه : حضرت جماعة من أشراف مكة وعلمائها هربوا من الوهابيين،وقصدهم السفر الى اسلامبول يخبرون الدولة بقيام الوهابيين ، ويستنجدون بهم لينقذوهم منهم ، ويبادروا لنصرهم عليهم . فذهبوا الى بيت الباشا والدفتردار وأكابر البلد ، وصاروا يحكون ويشكون ، وتنقل الناس أخبارهم وحكاياتهم .

رمضان

الأحد غرته (٢٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

فى ليلته:عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة ولم ير الهلال — وكان غيما مطبقا — فلزم اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا أنهم رأوا هلال شعبان ليلة الجمعة ... فقبله القاضى ، وحكم به تلك الليلة . على أن ليلة الجمعة التى شهدوا برؤيته فيها ... لم يكن للهلال وجود البتة وكان الاجتماع فى سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكورة ... باجماع الحساب والدساتير المصرية والرومية . على أنه لم ير الهلال ليلة السبت الا جديد البصر .. فى غاية العسر والعجب .

وشهر رجب كان أوله الجمعة ، وكان عسر الرؤية ايضا ، وأن الشاهد بذلك لم يتفوه به الا تلك الليلة فلو كانت شهادته صحيحة لأشاعها فى أول الشهر لوقوع ليلة النصف — التى هى من المواسم الاسلامية — فى محلها ... حيث كان حريصا على اقامة شعائر الاسلام .

وفيه : حضرت جماعة من أشراف مكة وغيرها .

الأربعاء ٢٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٣ م) :

حضر خليل أفندى الرجائى الدفتردار فى قلة من أتباعه ، وترك أثقاله بالمراكب ، وركب من مدينة فوة وحضر على البر ، وذلك بسبب وقوف جماعة من الأمراء المصرلية ناحية النجيلة يقطعون الطريق على المارين فى المراكب . ولما حضر نزل بيت اسماعيل بيك بالازبكية .

غايته (٢٤ يناير ١٨٠٣ م) :

وقع ماهو أشنع مما وقع فى غرته . وذلك أن ليلة الاثنين غايته كان بالسماء غيم مطبق ، ومطر ورعد وبرق متواتر . وأوقدت قناديل المنارات والمساجد ، وصلى الناس التراويح ، واستمر الحال الى سابع ساعة من الليل ... واذا بمدافع كثيرة وشنك من القلعة والأزبكية . ولغط الناس بالعيد ، وذكروا أن جماعة حضروا من دمنهور البحيرة ، وشهدوا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة السبت . فذهبوا الى بيت الباشا ، فأرسلهم الى القاضى ... فتوقف القاضى فى قبول شهادتهم . فذهبوا الى الشيخ الشرقاوى ... فقبلهم ، وأيدهم ، وردهم الى القاضى ، وألزمه بقبول شهادتهم . فكتبوا بذلك اعلاما الى الباشا ، وقضوا بتمام عدة رمضان بيوم الأحد ، ويكون غرة شوال صبحها يوم الاثنين .. وأصبح الناس فى أمر مريج(١) : منهم الصائم ومنهم المفطر ! فلزم من ذلك أنهم جعلوا رجب ثمانية وعشرين يوما ، وشعبان تسعة وعشرين ، وكذلك رمضان ... والأمر لله وحده !

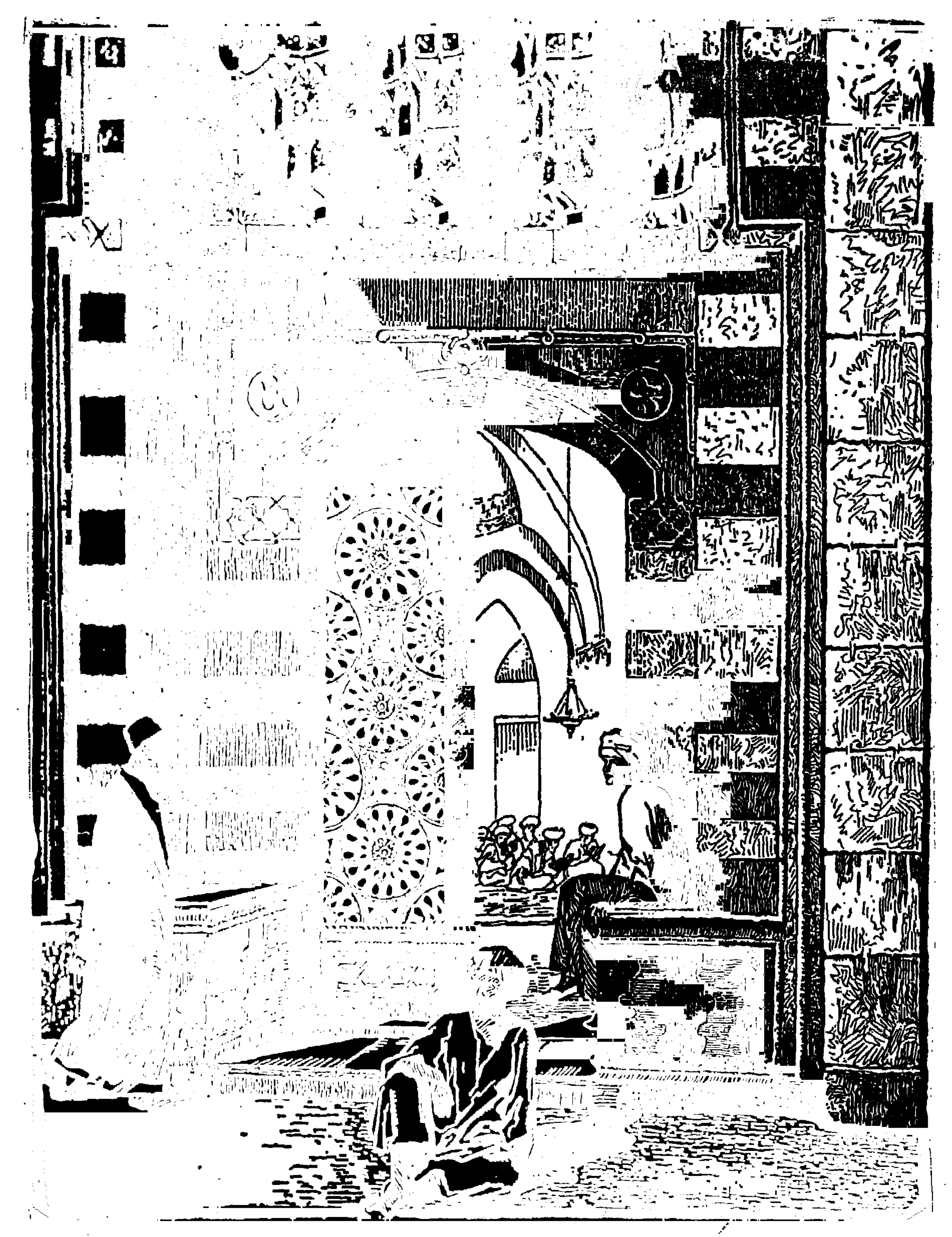
شوال

غرته (٢٥ يناير ١٨٠٣ م) :

كان أوله الحقيقى يوم الثلاثاء ، وجزم غالب الناس المفطرين بقضاء يوم الاثنين .

---

(١) مختلط



الجامع الأزهر
ويرى الطلبة داخله يتلقون دروسهم

٥ منه (٢٩ يناير ١٨٠٣ م) :

وصلت أثقال خليل أفندى الرجائى الدفتردار .

وفيه : طلبوا ألف كيس سلفة من التجار وأرباب الحرف ، فوزعت ، وقبضت على يد السيد أحمد المحروقى ... وهى أول حادثة وقعت بقدوم الدفتردار !

١٠ منه (٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

نصب جالش شريف باشا ، المعبر عنه بالطوخ ، عند بيته بالأزبكية ، وضربت له النوبة التركية ، واهدى له الباشا خياما كثيرة وطقما ولوازم .

٢٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٣ م) :

كان خروج امير الحج بالموكب والمحمل المعتاد الى الحصوة . وكان ركب الحجاج فى هذه السنة عالما عظيما . وحضر الكثير من حجاج المغاربة من البحر . وكذلك عالم كثير من الصعيد وقرى مصر البحرية والأروام .. وغير ذلك .

٢٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

خرج شريف باشا فى موكب جليل ، ونصب وطاقه عند بركة الشيخ قمر ، فأقام به الى أن يسافر الى جدة من القلزم ، وانتقل خليل أفندى الرجائى الدفتردار الى دار شريف باشا بالأزبكية .

غايته (٢٢ فبراير ١٨٠٣ م) :

حضر أولاد الشريف سرور ، شريف مكة ، هروبا من الوهابيين ، ليستنجدوا بالدولة . فنزلوا ببيت المحروقى بعد ما قابلوا محمد باشا والى مصر وشريف باشا والى جدة .

ذوالقعدة

الاربعاء غرته (٢٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

تقدم الناس بطلب الجامكية ، فأمرهم الدفتردار بكتابة عرضحالات . فثقل عليهم ذلك ، فقالوا « اننا كتبنا عرضحالات فى السنة الماضية ، وأخذنا سنداتنا من الدفتردار المنفصل ، ودفع لنا سنة ستة عشر » . فقيل لهم : « انه دفع لكم سنة معجلة .. والحساب لا يكون الا من يوم التوجيه ! » . فضجوا من ذلك ، وكثر لغط الناس بسبب ذلك ، وأكثروا من التشكى من الدفتردار .

الاثنين ٦ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

اجتمع الكثير من النساء بالجامع الأزهر ، وصاحوا بالمشايخ ، وأبطلوا دروسهم . فاجتمعوا بقبلته ، ثم ركبوا الى الباشا ، فوعدهم بخير حتى ينظر فى ذلك ... وبقى الأمر ، وهم فى كل يوم يحضرون ، وكثر اجتماعهم بالأزهر وباب الباشا فلم يحصل لهم فائدة من ذلك سوى أن رسم لهم ، بمواجب آخر سنة تاريخه ... معجلة . ولم يقبضوا منها الا ماقل بسبب تتابع الشرور والحوادث .

السبت ١١ منه (٥ مارس ١٨٠٣ م) :

ارتحل شريف باشا الى بركة الحج متوجها الى السويس .

وفيه : ارتحل حجاج المغاربة ، وكانوا كثيرين ، فسافر أغنياؤهم ، والكثير من فقرائهم ، من طريق البر ، وآخرون من السويس على القلزم .

الثلاثاء ١٤ منه (٨ مارس ١٨٠٣ م)

حضر ططريات الى الباشا ، وعلى يدهم شالات شريفة وبشارة بتقريره على السنة الجديدة ، وزيد له « تشريف ترخانة » ، ومعناه مرتبة عالية فى الوزارة . فضربوا شنكا ومدافع متوالية يومين

وفيه : أشيع انتقال الأمراء المصرلية من جهة البحيرة ، وقبلوا الى ناحية الجسر الأسود .

وأشيع أيضا أن جماعة منهم نزلوا بصحبة جماعة من الانكليز الى البحر ، قاصدين التوجه الى

اسلامبول . وانتقل كتخدا بيك خلفهم بعساكره ، ولكن لم يتجاسروا على الاقدام عليهم .

وفيه : وصلت الأخبار من الجهات الشامية بهروب محمد باشا أبى مرق من يافا ، واستيلاء عساكر أحمد باشا الجزار عليها وذلك بعد حصاره فيها سنة وأكثر .

وفيه : حضر كتخدا الباشا ، وتقدم الأمراء المصرلية الى جهة قبلى حتى عدوا الجيزة ، وحصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير فى مرورهم على البلاد ... من التفاريد والكلف ، ورعى الزروع ، وقطع الطرق برا وبحرا .

وكان أغات الجوالى القبلية — وهو نجيب أفندى كتخدا الدفتردار — وصحبته أرباب مناصب ، عدوا الى الجيزة متوجهين الى الصعيد ، ونصبوا خيامهم ببر الجيزة . فصادفوهم ، وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم من وجدوه ، وهرب الباقون ... فاستولوا على خيامهم وطاقهم . وكذلك كتخدا الدفتردار خرج الى مصر القديمة متوجها الى الصعيد لقبض الغلال والأموال ... فاستمر مكانه ، وتأخر لعدم المراكب وخوفا من المذكورين .

وفيه : ورد الخبر بنزول شريف باشا الى المراكب بالقلزم يوم الخميس سادس عشره .

الاربعاء ٢٢ منه (١٦ مارس ١٨٠٣ م) :

طلبوا أيضا خمسة آلاف كيس سلفة : من التجار ثلاثة آلاف ، ومن الملتزمين ألفا كيس ، وشرعوا فى توزيعها . فانزعج الناس ، وأغلق أهل الغورية حوانيتهم ، وكذا خلافهم ، وهرب أهل وكالة الصابون الى الشام على الهجن . واختفى أكثر الناس مثل : السكرية وأهل مرجوش وخلافهم . فطلبهم المعينون ، ولزموا بيوتهم ، وسمروا مطابخ السكر وكذلك عملوا فردة على البلاد : أعلى وأوسط وأدنى ... الأعلى : خمسمائة ريال ، والأوسط : ثلثمائة ، والأدنى : مائة وخمسون .

وفيه : تحقق الخبر بنزول طائفة الانكليز وسفرهم من ثغر الاسكندرية فى يوم السبت حادى عشره . ونزل بصحبتهم محمد بيك الألفى وصحبته جماعة من أتباعه .

السبت ٢٥ منه (١٩ مارس ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد باشا والى دمياط ، وكانوا أرسلوا له طوخا ثالثا ، وأنه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة . وكذلك قلدوا آخر باشاوية المدينة ، يسمى أحمد باشا ، وضموا لهما عسكرا يسافرون صحبتهم للمحافظة من الوهابيين ، وأخذوا فى التشهيل .

وفى هذه الأيام : كثر تشكى العسكر من عدم



العسكر بواجهة الحوانيت

الحاكمة والنفقة ، فالمجتمع لهم جامكية نحو سبعة شهور ، وقد قطع عليهم الباشا رواتبهم وخرجهم لقلة الايراد ، وكثرة المطلوبات ، وكراهته لهم . فصار كبراؤهم يترددون ويكثرون من مطالبة الدفتردار ، حتى كان يهرب من بيته غالب الأيام .

وأشيع بالمدينة قيام العسكر ، وأنهم قاصدون نهب أمتعة الناس . فنقل أهل الغورية وخلافهم بضائعهم من الحوانيت ، وامتنع الكثير منهم من فتح الحوانيت ، وخافهم الناس حتى فى المرور .. وخصوصا أوقات المساء . فكانوا اذا انفردوا بأحد شلحوه من ثيابه ، وربما قتلوه !

وكذلك أكثروا من خطف النساء والمردان !

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٢ مارس ١٨٠٣ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الحمل ، وأول فصل الربيع . وفى تلك الليلة هبت رياح شمالية شرقيـة هبوبا شديدا مزعجا ، واستمرت بطول الليل . وفى آخر الليل — قبل الفجر — اشتد هبوبهـا .. ثم سكنت عند الشروق .

وسقط تلك الليلة دار بالحبالة بالرميلة ، ومات بها نحو ثلاثة أشخاص ، وداران أيضا بطولون ، وغـير ذلك حيطان وأطارف أماكن قديمة . ثـم تحولت الريح غربية قوية ، واستمرت عـدة أيام ومعها غيم ومطر .

وفيه : وصل الأمـراء المصرلية الى الفيـوم ، فأخذوا كلفا ودراهم كثيرة فردوها على البلاد ، ثم سافروا الى الجهة القبلية .

وفيه : ورد الخبر بأن المراكب التى بها ذخـيرة أمير الحاج بالقلزم ، المتوجهة الى الينبع والمويلح ... غرقت بما فيها ، ومركب الجميعى من جملتها .

وفيه . حضر مصطفى بيناشا ، الذى كان أيام الوزير بمصر ، الى بلبيس ، وهو موجه بطلب مبلغ دراهم . فأقام ببلبيس حتى أرسلوها له ، ثم ذهب الى دمياط ، وصحبته نحو الأربعمائة من الأرنؤود ، ليسافر من البحر .

وفيه : توجه المحروقى والكثير من الناس لزيارة سيدى أحمد البدوى لمولد الشرنبلالية . وأخـذ معه عدة كثيرة من العسـكر خوفا من العربان ، ووصل اليه فرمان بطلب دراهم من أولاد الخادم ومن أولاد البلد ... فدلوا عـلى مكان لمصطفى الخادم ، فاستخرجوا منه ستة آلاف ريال ، وطلبوا من كل واحد من أولاد عمه مثلها .

ذو الحجـة

الاثنين ٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا عسكريا نصرانيا عند باب الخرق... قتله أغات التبديل بسبب أنه كان يقف عند باب داره بحارة عابدين هو ورفيقان له ، ويخطفون من يمر بهم من النساء فى النهار ... الى أن قبض عليه وهرب رفيقاه .

وفيه أيضا : أخرجوا من دار بحارة « خشقدم » قتلى كثيرة نساء ورجالا من فعل العسكر !

وفيه : عدى ابراهيم باشا الى بر الجيزة .

الاحد ١٠ منه (٣ ابريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد الأضحى .

فى ذلك اليوم : حضر من الأمراء القبالى مكاتبة على يد الشيخ سليمان الفيومى خطابا للمشايخ ، فأخذها بختمها وذهب بها الى الباشا ، ففتحها واطلع على ما فيها . ثم طلب المشايخ فحضروا اليه وقت العصر .

الجمعة ١٥ منه (٨ ابريل ١٨٠٣ م) :

حضرت مكاتبات من الديار الحجازية ، يخبرون فيها عن الوهابيين ، أنهم حضروا إلى جهة الطائف .

مخرج اليهم شريف مكة - الشريف غالب - فحاربهم ، فهزموه ، فرجع الى الطائف ، وأحرق داره التى بها ، وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون الى البلدة ، وكبيرهم « المضايفى » نسيب الشريف ، وكان قد حصل بينه وبين الشريف وحشة ، فذهب مع الوهابيين ، وطلب من مسعود الوهابى أن يؤمره على العسكر الموجهة لمحاربة الشريف ... ففعل . فحاربوا الطائف ، وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة ، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والأطفال ... وهذا دأبهم مع من يحاربهم !

وفى ذلك اليوم : مر أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين الصورين عند القنطرة الجديدة . فعارضهم الأسطى الحلاق فى أخذ الغلام ، فضربوا الحلاق وقتلوه ! ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطة . فقامت فى الناس ضجة وكرشة وحضر أغات التبديل فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه البنادق من الطيقان ، فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ، ولم يزالوا على ذلك الى ثانى يوم .

فركب الباشا فى التبديل ، ومر من هناك ، وأمر بالقبض عليهم . فنقبوا عليهم من خلف الدار ، وقبضوا عليهم ، بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين ، فشنقوهم ، ووجدوا بالدار مكانا خربا أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة .. وفيهن من وجدوها وطفلها مذبوح معها فى حضنها !!

وفيه : حضر على أغا الوالى الى بيت أحمد أغا شويكار بدرب سعادة ، وأخرج منه قتلى كثيرة وأمثال ذلك .. شىء كثير !!

وفيه : أمر الباشا الوجاقلية أن يخرجوا جهة العادلية لأجل الغفر من العربان . فانهم قحش أمرهم ، وتجاسروا فى التعرية والخطف .. حتى على



مقاتل من الوهابيين

نواحى المدينة ، بل وطريق بولاق وغير ذلك .

السبت ١٦ منه (٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ركب الوجاقلية بأبهتهم وبيارقهم ، وحضروا الى بيت الباشا ، وخرجوا من هنالك الى وطاقهم الذى أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة ، وشرعوا أيضا فى تعمير قصر من القصور الخارجة ، التى خربت أيام الفرنسيس .

الثلاثاء ١٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٣ م) :

سافر جماعة الوجاقلية المذكورين ، وصحبتهم عدة من العسكر ، الى جهة عرب الجزيرة .. بسبب اغارة موسى خالد ومن معه على البلاد ، وقطع الطرق . فلاقاهم المذكور ، وحاربهم ، وهزمهم الى وردان ، وذهب هو الى جهة البحيرة .

الأحد ٢٤ منه (١٧ ابريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد النصارى الكبير . فى ليلتها — وهى ليلة الاثنين — وقع الحريق فى الكنيسة التى بحارة الروم .

وفى صبحها شاع ذلك . فركب اليها أغات الانكشارية والوالى ، وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون فى عمارة الباشا .. حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالأنماطيين ، وحضر الباشا أيضا فى التبديل ، واجتهدوا فى اطفائها بالماء والهدم .. حتى طفئت فى ثانى يوم .

واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ، ونهبت أشياء !

وفيه : وردت أخبار بأن الأمراء المصرلية وصلوا الى منية ابن خصيب ، فأرسلوا الى حاكمها بأن ينتقل منها ، ويعدى هو ومن معه من العسكر الى البر الشرقى ، حتى انهم يقيمون بها أياما ويقضون أشغالهم ثم يرحلون !

فأبوا عليهم ، وحصنوا البلدة ، وزادوا فى عمل المتاريس . وحاكمها المذكور سليم كاشف — تابع عثمان بيك الطنبرجى المرادى المقتول — فانه سالم العثمانيين ، وانضم اليهم ، فألبسوه حاكما على المنية ، وأضافوا اليه عساكر . فذهب اليها ، ولم يزل مجتهدا فى عمل متاريس ومدافع ... حتى ظن أنه صار فى منعة عظيمة .

فلما أجابهم بالامتناع ، حضروا الى البلدة . وحاربهم أشد المحاربة مدة أربعة أيام بلياليها ، حتى غلبوا عليهم ، ودخلوا البلدة ، وأطلقوا فيها النار ، وقتلوا أهلها وما بها من العسكر . ولم ينج منهم الا من ألقى نفسه فى البحر ، وعام الى البر الآخر ، أو كان قد هرب قبل ذلك !

وأما سليم كاشف فانهم قبضوا عليه حيا ، وأخذوه أسيرا الى ابراهيم بيك .. فوبخه ، وأمر بضربه . فضربوه علقة بالنبابيت !

وفيه : وصلت هجانة — من شريف باشا — بمكاتبة للباشا والدفتردار ، يخبر فيها أنه وصل الى الينبع ، وهو عازم على الركوب من هناك على البر ليدرك الحج ، ويترك أثقاله ... فتوجه فى المركب الى جدة .

وفى غايته (٢٢ ابريل ١٨٠٣ م) :

وصل سلحدار الباشا وصحبته أغات المقرر ، الذى تقدمت بشارته . فلما وصلوا الى بولاق ، أرسل الباشا فى صبحها اليهم . فركبوا فى موكب الى بيت الباشا ، وضربوا لهم مدافع . وحضر المشايخ والقاضى والأعيان والوجاقات ، فقرىء عليهم ذلك . وفيه : الأمر بتشهيل غلال للحرمين ، والحث والأمر بمحاربة المخالفين .

وفيه : بعثوا نحو ألف من العسكر الى جهة أسيوط للمحافظة . فساروا على الهجن من البر الشرقى .

وفيه : أرسلوا أوراقا الى التجار وأرباب الحرف ، بطلب باقى الفردة .. وهو القدر الذى كان تشفع فيه المحروقى ، وأخذوا فى تحصيله .

* * *

وانقضت هذه السنة ، وما وقع بها من الحوادث الكلية التى ذكر بعضها ، وأما الجزئية فلا يمكن الاحاطة ببعضها فضلا عن كلها ، لكثرتها واختلاف جهاتها ، واشتغال البال عن تتبع حقائقها ، ونسيان الغائب بالأشنع ، والقبيح بالأقبح .

فمن الكلية التى عم الضرر بها : زيادة المكوس أضعاف المعتاد فى كل ثغر ذهابا وايابا .

ومنها : توالى الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف ، وحق طرق المعينين ، وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول .. بأدنى شكوى ، ولو



اسيوط

بالباطل . فبمجرد ما يأتى الشاكى بعرضحال شكواه ، يكتب له ورقة ، ويعين بها عسكرى أو اثنان أو آكثر .. بحسب اختيار الشاكى وطلبه ، للتشفى من خصمه . فبمجرد وصوله الى المشكى بصورة منكرة ، وسلاح كثير متقلد به ، فلا يكون له شغل الا طلب خدمته ، ولا يسأل عن الدعوى ولا عن صورتها ويطلب طلبا خارجا عن المعقول كألف قرش فى دعوى عشرة قروش ! وخصوصا اذا كانت الشكوى على فلاح فى قرية ، فيحصل أشنع من ذلك ... من اقامتهم عندهم ، وطلبهم وتكليفهم الذبائح والفطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم . وربما يذهب الشخص الذى يكون بينه وبين آخر عداوة قديمة ، أو مشاحنة ، أو دعوى ... قضى عليه فيها بحق من زمان طويل ، فيقدم له عرضحال ، ويعين له مباشرا بفرمان ، ويذهب هو فلا يظهر ، ويذهب المعين فى شغله ... والمشكى لا يرى الشاكى ، ولا يدرى من أين جاءته هذه المصيبة !

ويمكن أنه من بعد خلاصه من أمر المباشر ، يحضر الى بيت الباشا ، ويفحص عن خصمه ويعرفه ، فينهى دعواه ، ويظهر حجته بأنه على الحق ، وأن خصمه على الباطل . فيقال له : « عين على خصمك أيضا » . فان أجاب الى ذلك ، رسم له بفرمان ومعين آخر كذلك .. والا ترك أجره على الله ورجع !

فضاق ذرع الناس من هذه الحال ، وكرهوا هذه الأوضاع وربما قتل الفلاحون المعينين ، وهربوا من بلادهم ، وجلوا عن أوطانهم خوف الغائلة .

ولم يزل هذا دأبهم ، حتى نفرت منهم القلوب ، وكرهتهم النفوس ، وتمنوا لهم الغوائل .

وعصت أهل النواحى ، وعربدت العربان ، وقطعوا الطرق ، وعلموا خياناتهم ... فخانوهم ، ومكالبتهم ... فكالبوهم

وانتمى عربان الجهة القبلية الى الأمراء المصرلية وساعدوهم عليهم . ولما انحدر الأمراء الى جهة

بحرى ، انضمت اليهم جميع قبائل الجهة الغربيـة والهنادى وعرب البحيرة وخلافهم .

فلما وقعت الحروب بين الأمـراء والعثمانيين ، وكانت الغلبة للأمراء والعربان ... زادت جسارتهم عليهم ، ورصدوا لهم الغوائل ، وقطعوا عليهم وعلى المسافرين الطرق بحـرا وبـرا . فمن ظفـروا به ومانعهم ، نهبـوا متاعه وقتلوه .. والا سـلبوه وتركوه !

وفحش الأمـر جدا ، قبلى وبحـرى ، حتى وقف حال الناس ، ورضوا عن أحكام الفرنسيس !

ومنها : أن الباشا لما قتل الوالى والمحتسب ، وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات ، وأن يكون الرطل اثنتى عشرة أوقيـة فى جميـع الأوزان ، وأبطلوا الرطل الزياتى الذى يـوزن به السمن والجبـن والعسـل واللحم وغير ذلك — وهو أربع عشرة أوقية — لم ينفذ من تلك الأوامر شىء سوى نقص الأرطال !

ولم يزل ذو الفقار محتسبا حتى رتب المقررات على المتسببين زيادة عن القانون الأصلى ، وجعل منها قسطا لخزينة الباشا وللكتخدا وخلافهما .

ورجعت الأمور فى الأسعار أقبح وأغلى ممـا كانت عليه فى كل شىء ، واستمر الرطل اثنتى عشرة أوقية لاغير .

وكثر ورود الغلال أيام النيل ، ورخص سعرها . والرغيف على مقدار رغيف الغلاء !

ومنها : أن الفضة الأنصاف العددية ، صـاروا يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها الى الروم والشـام بزيادة الصرف ، ولا ينـزل الى الصيارف منها الا القليل ، حتى شحت بأيدى الناس جدا ، ووقف حالهم فى شراء لوازم البيوت ومحقرات الأمور . ويدور الانسان بالريال أو المحبوب أو المجر — وهو فى يده طول النهـار — فلا يجـد مصارفته !

وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك ، وبسبب أذية العسكر . فانهم يأتون اليهم ويلزمونهم بالمصارفة ، فيقول له الصيرفى : «ليس عندى فضة» فلا يقبل عذره ، ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته . وان وجـد عنـده المصارفة ، وكان المحبـوب أو البندقى ناقصا فى الوزن ... لا يستقيم فى نقصه ، ولا يأخذ الا صرفه كاملا . واذا اشترى شيئا من سوقى ، أعطاه بندقيا وطلب باقيه .. ولم يكن عند البائع باقيه ، أخذ الذى اشتراه والبندقى وذهب . ولا نقدر المتسبب على استخلاص حقه منه ! وان وجد معه باقى المصارفة ، وأخذ ذلك البندقى ونقده عند الصراف ، وكان ناقصا — وهو الغـالب — لا يقدر الصيرفى أن يذكر نقصه .. فان قال : « انه ينقص كذا » ، فزع عليه وسبه . وبعضهم أدخـل اصبعه فى عين الصراف .. وأمثال ذلك !

ومنها : شحت المراكب ، حتى ان المسافر يمكث الأيام الكثيرة ينتظر مركبـا ... فلا يجد . وربمـا أخذوها بعد تمام وسقها .. فنكتوه ، وأخـذوها . وان مرت على الأمـراء المصرلية وما انضم اليهم ، تعرضوا لها ، ونهبوا ما بها من الشحنة ، وأخذوا المركب .

واستمر هذا الحال على الدوام . فكان ذلك من أعظم أسباب التعطيل أيضا .

ومنها : تسلط العسـكر على خطف النـاس وسلبهم وقتلهم ، وخصوصا فى أواخر هذه السنة ، حتى امتنعت الناس من المرور فى جهـات سكنهم الا أن يكونوا فى عزوة ومنعة وقسوة . ولا تكاد ترى شخصا يمر فى الأسواق السلطانيـة من بعد المغرب وقبيل العشاء !



السير من بعد الغروب .. بالخفارة والعزوة

واذا اضطر الانسان الى المرور تلك الأوقات ، فلا يمر الا كالمجازف على نفسه ، وكأنما على رأسه الطير . فيقال ان فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة ... اذا تأخرت نفقاتهم ، فعلوا ذلك مع العامة ، على حد قول القائل : « خلص ثارك من جارك » . وذلك كله بسبب تأخير جماكيهم وقطع خرجهم نحو خمسة أشهر . والباشا يسوقهم ويقول : « هؤلاء لا يستحقون فلسا ، وأى شىء خرج من يدهم ، وطول المدى نكلفهم ونعطيهم ، وما ستروا أنفسهم مع الغز المصرلية ... ولا مرة ، فلا حاجة لنا بهم . بل يخرجون عنى ، ويذهبون حيث شاءوا فليس منهم الا الرزية والفنطزية ! » وهم يقولون: « لا نخرج ، ولا نذهب ، حتى نستوفى حقنا على دور النصف الفضة الواحد . وان شئنا أقمنا ، وان شئنا ذهبنا ! » .

ومنها : استمرار الباشا على الهمة والاجتهاد فى العمارة والبناء ، وطلب الأخشاب والمون .. حتى عز جميع أدوات العمارة ، وضاق حال الناس بسبب احتياجهم لعمارة أماكنهم التى تخربت فى الحوادث السابقة . وبلغ سعر الأردب الجبس : مائة وعشرين نصفا ، والجير المخلوط : أربعين نصفا ، وأجرة المعلم فى اليوم : خمسة وأربعين نصفا ، وتبعه آخر ، مثل ذلك ، والفاعل : اثنين وعشرين نصفا !

وأحدثوا أخذ اجازة من المعمارجى ، وهو أن الذى يريد بناء — ولو كانونا — لا يقدر أن يأتيه البناء حتى يأخذ ورقة من المعمارجى ، ويدفع عليها خمسين نصفا . ولم يزل الاجتهاد فى العمارة المذكورة ، حتى أقاموا جانبا من « القشلة » ، وهى عبارة عن وكالة يعلوها طباق ، وأسفلها اصطبلات ، وحولها — من داخل — حواصل ، ومن خارج

حوانيت وقهوة . فعند ما تمت الحوانيت ، ركبوا عليهـا درفها ، وأسكنوا بها قهوجيـا ومزينا من أتبـاع الباشا ، وخيـاطين وعقادين وصروجيـة الباشا ، وغير ذلك .

ولم يكمل تسقيف الطباق ، وعملوا لهـا بوابة عظيمة بمصاطب ، وهدموا حائط الرحبـة المقابلة لبيت الباشا الخارجة ، وعمرت ، وأنشئت بالحجر النحت المحكم الصنعة ، وعملوا لهـا بابا عظيمـا بيدنات وأبراج عظيمة ، وبها طاقات عليا وسفلى ، وصفوا بها المدافع العظيمة .

وبركة الرحبة مثل ذلك . وعملوا لها بابا آخر قبالة باب « القشلة » بحيث صـار بينهـا وبين « القشلة » رحبة متسعة سلك منها المـارون الى جهة بولاق ، على الجسر الذى عمله الفرنسيس .

ويخرجون أيضـا فى سلوكهم من بوابة عظيمة الى طريق بولاق ، من الجهة الغربية ، بحائط حجر متصـلة من الرحبـة .. حيث البوابة المواجهـة « للقشلة » الى آخر « القشلة » .

وعلى هذه البوابة من الجهتين مدافع مركبة على بدنات وأبراج وطيقان مهندمة ، وبأسفلها — من داخل — مصطبة كبيرة من حجر ، وبها باب يصعد منه الى تلك الأبراج . والجبخانة والعساكر جلوس على تلك المصاطب الخارجة والداخلة ... لابسين الأسلحة ، وبنادقهم مرصوصة بدائر الحيطان . وبداخل الرحبة الوسطانية مدافع عظيمة مرصوصة بطول الرحبة يمينا وشمالا . وكذلك بداخل الحوش الجوانى الأصلى ، وبأسفل البركة نحو المائتى مدفع مرصوصة أيضا ، وعربيـات وصنـاديق جبخانة وآلات حرب وغير ذلك .

والجبخانة الكبيرة لها محل مخصوص بالحوش الداخل الأصلى ، ولها خزانة وطبجية وعربجية

ومنها : أنه عدم البصـل الأحمـر .. حتى بيع الرطل بسعر القنطار فى الزمن السابق !

وعدم الملح أيضا .. بسبب احتكاره ! وعـدم المراكب التى تجلبه من بحرى ، لما ترتب عليهم من زيادة الجمرك ، وعدم مكاسبهم فيه ... لأن الذى تولى علي جمرك الملاحة صار يأخذه من أصحابه على ذمته بسعر قليل معلوم ، ويبيعه على ذمتـه بسعر كثير لمن يسافر به الى جهـة قبلى ، وذلك خـلاف ما يأخذه من المراكب التى تحمله .

فامتنع المتسببون فيه من تجارته ... فعز وجوده فى آخر السنة ، حتى بيع الربع بثمانين نصـفا .. من ثلاثة أنصاف !

وضجت الناس من ذلك ، فأرسل ذلك الملتزم ثلاثة مراكب على ذمته ، ووسقوها ملحا ، وصار يبيع الربع بعشرين نصفا ، ويبيعه المسبب بثـلاثين !.. وهذا لم يعهد فيما تقدم من السنين !!

وعدم أيضا الصابون بسبب تأخر القافلة ، حتى بيع بأغلى ثمن . ثم حضرت القافلة ، فانحل سعره وتواجد ، وغير ذلك مما لايمكن الاحاطة به . ونسأل الله تعالى حسن العاقبة .

المحرم

السبت غرته (٢٣ ابريل ١٨٠٣ م)

فى ذلك اليوم : وقعت زعجة عظيمة فى الناس ، وحصلت كرشات فى مصر وبولاق ، وأغلق أهل الأسواق حوانيتهم ، ورفعوا منها ماخف من متاعهم من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته ، وهرب والبعض سقط متاعه من يده ولم يشعر .. من شدة مالحقهم من الخوف والارجاف ولم يعلم سبب ذلك !!

فيقال : ان السبب فى ذلك أن جماعة من كبار العسكر ذهبوا الى الباشا وطلبوا جماكيهم المنكسرة وخرجهم فقال لهم : « اذهبوا الى الدفتردار » ، فذهبوا الى الدفتردار ، فقال لهم : « جمكيتكم عند محمد على » ، فذهبوا الى محمد على — وكانوا وعدوهم بقبض جمكيتهم فى ذلك اليوم . فلما ذهبوا الى محمد على قال لهم : « لم أقبض شيئا » فعملوا معه شراسة ، وضرب بينهم بعض بنادق ، وهاجت العسكر عند بيت محمد على سرششمة .

فحصلت هذه الزعجة فى مصر وبولاق . ثم سكن ذلك بعد أن وعدهم بعد ستة أيام .

وفيه : وردت عدة تقاير ، وبها جبخانة وجملة من العساكر ، وصحبتهم ابراهيم أغا — الذى كان كاشف الشرقية عام أول — وكان توجه الى اسلامبول ... فحضر وصحبته ذلك .. فحملوا الجبخانة وطلعوها الى القلعة . فيقال انها متوجهة الى جدة بسبب فتنة الحجاز . وقيل غير ذلك .

الجمعة ٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ثارت العسكر ، وحضروا الى بيت الدفتردار ، فاجتمعوا بالحوش ، وقفلوا باب القيطون ، وطردوا القواسة . وطلع جمع منهم فوقفوا بفسحة المكان الجالس به الدفتردار ، ودخل أربعة منهم عند الدفتردار ، فكلموه فى انجاز الوعد ، فقال لهم : « انه اجتمع عندى نحو الستين ألف قرش .. فاما أن تأخذوها ، أو تصبروا كم يوم حتى يكمل لكم المطلوب » . فقالوا : « لابد من التشهيل ، فان العسكر تقلقوا من طول المواعيد » ، فكتب ورقة وأرسلها الى الباشا بأن يرسل اليه جانب دراهم تكملة للقدر الحاصل عنده فى الخزينة .

فرجع الرسول وهو يقول : « لا أدفع ، ولا آذن بدفع شىء ... فاما ان يخرجوا ويسافروا من بلدى ، أو لا بد من قتلهم عن آخرهم ! » .

فعند ما رجع بذلك الجواب ، قال له : « ارجع اليه ، وأخبره أن البيت قد امتلأ بالعساكر فوق وتحت ، وأنى محصور بينهم » فعند وصول المرسال ، وقبل رجوعه ، أمر الباشا بأن يديروا المدافع ويضربوها على بيت الدفتردار ، وعلى العسكر ! فما يشعر الدفتردار الا وجلة وقعت بين يديه ، فقام من مجلسه الى مجلس آخر . وتتابع الرمى ، واشتعلت النار فى البيت وفى الكشك الذى أنشأه ببيت جده المجاور لبيته — وهو من الخشب والحجنة (١) ، من غير بياض لم يكمل — فالتهب

(١) بوص رفيع ينمو على شاطىء النيل وفى البرك والمستنقعات .

بالنار ، فنزل الى أسفل — والأرنؤود محيطة به — وبات تحت السلالم الى الصباح . ونهب العسكر الخزينة والبيت ، ولم يسلم الا الدفتردار . والأوراق وضعوها فى صناديق وشالوها !

وكان ابتداء رمى المدافع وقت صلاة الجمعة . وأما أهل البلد فانهم كانوا متخوفين ومتطيرين من قومة او فزعة تحصل من العسكر قبل ذلك . فلما عاين الناس تجمعهم ببيت الدفتردار ، شاع ذلك فى فى المدينة ومر الوالى يقول للناس : « ارفعوا متاعكم ، واحفظوا أنفسكم ، وخذوا حذركم وأسلحتكم » فأغلق الناس الدكاكين والدروب ، وهاجوا وماجوا . فلما سمعوا ضرب المدافع زاد تطيرهم ، وتخيلوا هجوم العسكر ونهب البلد ... بل ودخول البيوت . ولا راد بردهم ، ولا حاكما يمنعهم . ونادى المنادى : « معاشر الناس ، وأولاد البلد .. كل من كان عنده سلاح فليلبسه ، واجتمعوا عند شيخ مشايخ الحارات ، يذهب بكم الى بيت الباشا » .

وحضرت أوراق من الباشا لأهل الغورية ومغاربة الفحامين وتجار خان الخليلى وأهل طولون .. بطلبهم بأسلحتهم ، والحضور عنده ، والتحذير من التخلف

فذهب بعض الناس ، فأقاموهم عند بيت حريم الباشا وبيت ابن المحروقى المجاور له — وهو بيت البكرى القديم — فباتوا ليلتهم هناك .

وحضر حسن أغا والى العمارة ، عشاء تلك الليلة ، وطاف على الناس يحرضهم على القيام ومعاونة الباشا . وتجمع بعض الأوباش بالعصى والمساوق ، وتحزبوا أحزابا ، وعملوا متاريس عند رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسينى .

فلما دخل الليل ، بطل الرمى الى الصباح ، فشرعوا فى الرمى بالمدافع والقنابر من الجهتين ، وترست العساكر بجامع أزبك وبيت الدفتردار وبيت محمد على وكوم الشيخ سلامة . وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة .

وأما القلعة الكبيرة ، فان الباشا مطمئن من جهتها ، لأنه مقيد بها الخازندار ومعه عدة من الأرنؤود وغيرهم ، وقافل أبوابها .

ولما كان يوم الجمعة — أمس تاريخه — قبل حصول الواقعة ، وحضر أغات الانكشارية والوجاقلية لأجل السلام على عادتهم ، ودخلوا عند كتخدا بيك ، قال لهم : « نبهوا على أهل البلد بغلق الدكاكين والأسواق والاستعداد .. فان العسكر حاصل عندهم قلة أدب ! » .

فلما طلعوا عند الباشا ، أعلموه بمقالة كتخدا بيك ، فقال لهم: «نعم»، فقال له أغات الانكشارية « ياسلطانم ... ينبغى الاحتفاظ بالقلعة الكبيرة قبل كل شىء » فقال : « ان بها الخازندار ، وأوصبته بالاحتفاظ وغلق الأبواب » ، فقال له الأغا : « لكن ينبغى أن تترك عند كل باب من خارج قدر خمسين انكشاريا » ، فقال : « وايش فائدتهم ؟ ما عليكم من هذا الكلام...تريدون تفريق عساكرى . اذهبوا لما أمرتكم به » . وذلك لأجل انفاذ القضاء !

وحضر طاهر باشا أيضا فى ذلك الوقت ، وهو كالمحب ومكمن العداوة ، فلم يقابله الباشا ، وأمره بأن يذهب الى داره ، ولا يقارش .

السبت ٨ منه (٣٠ ابريل ١٨٠٣ م) :

رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيس — وهو المسمى بالنظام الجديد — فخرجوا بأسلحتهم وبنادقهم وخيولهم ، وهم طوابير ، ومروا حوالى البركة ، وانقسموا فرقتين : فرقة أتت على رصيف الخشاب ، وفرقة على جهة باب الهواء ... ليأخذوا الأرنؤودية بينهم ، ويحصروهم من الجهتين .

فلما حضرت الفرقة التى من ناحية رصيف

الخشاب ... قاتلوا الأرنؤودية . فعند ذلك أركبوا الدفتردار ، وأخـذوه الى بيت طاهر باشا ، ومعه أتبـاعه . وانهـزم الأرنـؤودية من تلك الجهة ، وانحصروا جهة جامـع أزبك ، واشتغلوا بمحاربة الفرقة الأخرى ، وتحققـوا الهزيمـة والخذلان .

وعندما وصلت عساكر الباشا الى بيت الدفتردار والمحروقى وبيت حريم الباشا ، اشـتغلوا بالنهب واخراج الحريم ، وتركوا القتال وتفرقوا بالمنهوبات. وفترت همة الفرقة الأخرى،وجرى أكثرهم ليخطف شيئا ، ويغنم مثلهم ! وقالوا : « نحن نقاتل ونموت... لا على شيء .. وأصحابنا ينهبون ويغنمون ! » ، فهـزموا أنفسهم لذلك ، وتراجـع الأرنؤودية ، واشتدت عزيمتهم . ورجع البعض منهم على عساكر الباشا ، فهزموا من بقى منهم ، وملكوا الجهة التى كانوا أجلوهم عنها .

فعند ذلك ظهر طاهر باشا ، وركب الى الرميلة ، وتقدم الى باب العزب ، فوجـده مغلوقا ، فعالج الطاقات الصغار التى فى حائط باب العزب ، القريبة من الأرض ، المعدة لرمى المدافع من أسفل ... ففتح بعضها ، ودخل منهـا بعض عسـكر . فتلاقوا مـع الأرنؤود المحافظين داخل الباب ، فالتف بعضهـم على بعض . ثم طلعوا عند الخازندار ـــ وكان عنده ابن أخت طاهر باشـا متمرضـا قبل ذلك بأيام ـــ وصحبته طائفة أيضا . فالتفوا على بعضهم،وصاروا عصبة ، وطلبـوا مفاتيح القلعة من الخازندار ... فمانعهم ولما رأى منهـم العين الحمـراء سلمهم المفاتيح ، فنزلوا وفتحوا الأبواب لطاهر باشـا ، وحبسـوا الخازندار ، وأنزلوا من القلعة مدافـع وبنبات وجبخانة الى الأزبكية لجماعتهم .

وكذلك قيدوا بالقلعة طبجية وعساكر ... كل ذلك ومحمد باشا لا يدرى بشيء من ذلك . فـلم يشعر الا والضرب نازل عليه من القلعة . فسأل : « ما هذا ؟ » . فقيل له : « انهم ملكوا القلعة » فسقط فى يده !

وعند ذلك نزل طاهر باشا من القلعة ، وشق من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادى : « أمان واطمئنان افتحوا دكاكينكم ، وبيعوا واشتروا . وما عليكم بأس » !

وطاف يزور الأضرحة والمشـايخ والمجاذيب ، ويطلب منهم الدعاء ! . ورفع الناس المتاريس من الطرق ، وانكفوا عن مقارشة العسـكر ، وكذلك لم يحصل أذية من العسكر لأحد من الرعية .

وأمروا بفتح مخابز العيش والمآكل ، وأخذوا ، واشتروا من غير اجحاف ولا بخس .

فلما علم الباعة منهم ذلك ، ذهبوا اليهم بالعيش والكعك والجبن والفطير والسميط وغـير ذلك ودخلوا فيهم يبيعون عليهم ، وهم يشترون منهـم بالمصلحة .

وصار بعض أولاد البـلد يذهب الى الفرجة ، ويدخل بينهم ويمر من وسطهم .. فـلا يتعرضون لهم ، ويقولون : « نحن مع بعضنا ... وأنتم رعية فلا علاقة لكم بنا ! » .ووجدوا مع البعض سلاحا ، ذهب به عندما أرسل الباشا ونادى على الناس ، فردوهم بلطف .. وكل ذلك على غير القياس !

وطاهر باشا لم يكن له شغل الا الطواف بالمدينة والأسواق وخارج البلد ، ويقول للفلاحين الذين يجلبون الحطب والجلة والسمن والجبن من الأرياف: « كونوا على ما أنتم عليه ، وهاتوا أسـبابكم ، وبيعوا واشـتروا ... وليس عليـكم بأس ! » . وحضر اليه الوالى ، فأمره بالمرور والمناداة بالأمن للناس .

واسـتمر الحرب بين الفريقين نهـار السبت ، واشتد ليلة الأحد طول الليل . فما أصبح النهـار حتى زحف عساكر الأرنؤود الى جامع عثمان كتخدا والى حارة النصارى من الجهة الأخرى ، وطلعوا

الى التلول التى بناحية بولاق ، وملكوا بولاق ، وهجموا على مناخ الجمال الذى بالقرب من الشيخ فرج ، فقتلوا من به من عسكر التكرور ، وهرب من بقى منهم عريانا . وقبضوا على «متش» القبطان ، وعدوا بالغليون الى بر انبابة ، ونهبوا ما فيه — وكان به مال القبطان وذخائره التى جمعها من مظالم المراكب والمسافرين والقادمين شيئا كثيرا — وكذلك ذهبت طائفة منهم الى قصر العينى ، وقبضوا على من به من عبيد الباشا ، وعروهم وأخذوهم أسرى .

ونهبوا بيت السيد أحمد المحروقى بالأزبكية — وهو بيت البكرى القديم — وقد كان أخلاه لنفسه ، وعمره وسكنه بحريمه ... فنهبوا منه شيئا كثيرا يفوق الحصر ، وأخرجوا منه النساء بعد ما فتشوهن ، أو افتدين أنفسهن . وكذلك بيت حريم الباشا الملاصق له ، بعد ما أرسل الباشا عساكره قبل بيوم ، فنقل منه الحريم عنده بطولهن لاغير ، ونهبوا بيت جرجس الجوهرى وأخذوا منه أشياء نفيسة كثيرة ، وفراوى مثمنة . وحريم بيت الباشا لم يتمكنوا منه الا بعد انفضاض القضية بيومين ... بسبب أن المحافظين عليه كانوا ثمانية عشر فرنساوية . فحاصروا فيه هذه المدة ، حتى خرجوا منه بأمان .

وأما سكان تلك الخطة ... فانهم كانوا يذهبون الى طاهر باشا ، أو محمد على ، فيرسل معهم عسكرا لخفارتهم ، حتى ينقلوا أمتعتهم أو ماأمكنهم الى جهات بعيدة عن ذلك المحل ، ليأمنوا على أنفسهم من الحرب . وهرب المحروقى وابنه عند الباشا .

ولاحت لوائح الخذلان على الباشا ، واستعد للفرار ... فانه لما بات تلك الليلة ، لم يجد عليقا ولا خبزا ، فعلقوا على الخيل أرزا ، وتعشى الباشا بالبقسماط ، وأرسل الى حارة النصارى فطلب منهم خبزا . فأرسلوا له خبزا ، فخطفه الأرنؤود فى الطريق ، ولم يصل اليه .

ثم ان عسكر الأرنؤود أحضروا له آلة بنبة ، ووضعوها بالبركة ، وضربوا بها على بيت الباشا فوقعت واحدة على الباذاهنج ، فالتهب فيه النار ، فأرادوا اطفاءها ، فلم يجدوا سقائين تنقل الماء . ويقال ان الخازندار الذى كان بالقلعة — لما قبضوا عليه — التزم لهم بحرق بيت الباشا ويطلقوه . فأرسل بعض أتباعه الى مكانه — الذى ببيت الباشا — فأوقدوا فيه النار فى ذلك الوقت ، واشتعلت فى الأخشاب والسقوف ، وسرت الى مساكن الباشا . فعند ذلك نزل الباشا الى أسفل ، وأنزل الحريم — وعددهن سبع عشرة امرأة — فأركبهن بغالا ، وأمر الدلاة والهوارة أن يتقدموهن ، وركب صحبتهن المحروقى وابنه وترجمانه وصيرفه وعبيده وفراشوه . وتأخر الباشا حتى أركب الحريم ، ثم ركب فى مماليكه ومن بقى من عسكره وأتباعه ، وركب معه حسين أغا شنن وبعض أغوات ، وصحبته ثلاثة هجن ، وخرج الى جزيرة بدران .

فعندما أشيع ركوبه ، هجمت عساكر الأرنؤود على البيت ، واشتغلوا بالنهب .. هذا والنار تشتعل فيه . وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم . وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الأرنؤود ، فرجع عليهم وهزمهم مرتين ، وقيل ثلاثا .

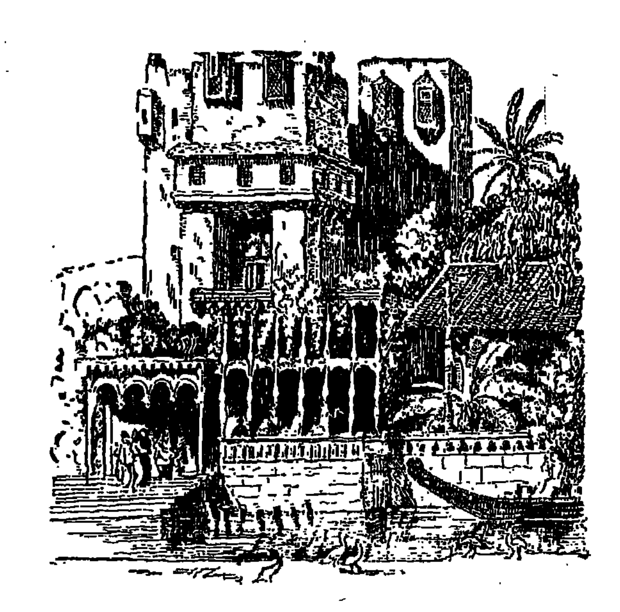
وأما المحروقى ومن معه فانهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة ، ولم يلحقوهم . وانقطع حزام بغلته ، فنزل عنها . فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا ، فعروه وشلحوه هو وأتباعه وابنه ، وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولى نقدية ، وقيل جواهر بنحو ذلك . فأدركهم عمر أغا بينباشى المقيم ببولاق ، فوقعوا عليه .. فأمنهم ، وأخذهم معه الى

بولاق ، وباتوا عنده إلى ثانى يوم ، وأخـذ لهم أمانا ، وحضر الى طاهر باشـا وقابله . وكذلك جرجس الجوهرى .

ونهب العسكر بيت الباشا ، وأخذوا منه شيئا كثيرا . وباتت النـار تلتهب فيـه ... والدخان صاعد الى عنـان السماء ، حتى لم يبق فيـه الا الجـدران التحتانية الملاصقة للأرض . واحترقت وانهدمت تلك الأبنية العظيمة الشيدة العالية وما



محمد باشا يخرج منهزما الى جزيرة بدران .



جانب من بيت الباشا

من القصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبابيك والقمريات والمناظر والتنهات والخزائن والمخادع .

وكان هذا البيت من أضخم المبانى المكلفة . فانه اذا حلف الحالف أنه صرف على عمارته — من أول الزمان الى أن احترق — عشرة خزائن من المال أو أكثر ... لا يحنث . فان الألفى لما أنشأه صرف عليه مبالغ كثيرة . وكان أصل هذا المكان قصرا عمره وأنشأه السيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر — من فقهاء الحنفية — وجعل فى أسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة ، وجعلها برسم النزهة لعامة الناس . فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شىء كثير . وبها قهاوى وبياعون وفكهانية ومغانى وغير ذلك . ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس . فكان يقع بها ، وبالجسر المقابل لها — من عصر النهار الى آخر الليل — من الحظ والنزاهة مالا يوصف . ثم تداول ذلك القصر أيدى الملاك ، وظهر على بيك وقناوة حكمه ... فسدوا تلك البوائك ، ومنعوا الناس عنها لما كان يقع بها فى الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين .

ثم اشترى ذلك القصر الأمير أحمد أغا شبويكار... وباعه بعد مدة . فاشتراه الأمير محمد بيك الألفى فى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ، وشرع فى هدمه وتعميره وانشائه على الصورة التى كان عليها . وكان غائبا جهة الشرقية ، فرسم لكتخداه صورته فى كاغد بكيفية وضعه . فحضر ذو الفقار كتخدا ، وهدم ذلك القصر ، وحفر الجدران ، ووضع الأساس ، وأقام الدعائم ، ووضع سقوف الدور السفلى ، فحضر عند ذلك مخدومه فلم يجده على الرسم الذى حدده له ... فهدمه ثانيا ، وأقام دعائمه على مراده ، واجتهد فى عمارته ، وطلب له الصناع والمؤن من الأحجار والأخشاب المتنوعة ... حتى شحت المؤن فى ذلك الوقت . وأوقف أربعة من أمرائه على أربع جهاته ، وعمل على ذمة العمارة طواحين للجبس وقمن الجير ، وأحضر البلاط من الجبل قطعا كبارا ، ونشرها على قياس مطلوبه ، وكذلك الرخام ... وذلك خلاف أنقاض رخام المكان ، وأنقاض الأماكن التى اشتراها وهدمها وأخذ أخشابها وأنقاضها ونقلها على الجمال وفى المراكب لأجل ذلك . فمنها البيت الكبير الذى كان أنشأه حسن كتخدا الشعراوى على بركة الرطلى ، وكان به شىء كثير من الأخشاب والأنقاض والشبابيك والرواشن ... نقلت جميعها الى العمارة . فصار كل من الأمراء المشيدين يبنى وينقل ويبيع ويفرق على من أحب حتى بنوا دورا من جانب تلك العمارة والطلب مستمر حتى أتموه فى مدة يسيرة ، وركب على جميع الشبابيك شرائح الزجاج أعلى وأسفل وهو شىء كثير جدا . وفى المخادع المختصة به ألواح الزجاج البلور الكبار التى يساوى الواحد منها خمسمائة درهم — وهو كثير أيضا — ثم فرشه جميعه بالبسط الرومى والفرش الفاخر ، وعلقوا به الستائر والوسائد المزركشة وطوالات المراتب كلها مقصبات . وبنى به حمامين علويا وسفليا الى غير

ذلك ... فما هو الا أن تم ذلك ، فأقام به نحو عشرين يوما ، ثم خرج الى الشرقية فأقام هناك .

وحضر الفرنسيس فسكنه ساري عسكر بونابرته فعمر فيه أيضا عمارة . ولما سافر وأقام مكانه كلهبر عمر فيه أيضا . فلما قتل كليهبر ، وتولى عوضه عبد الله مينو ... لم يزل مجتهدا فى عمارته ، وغير معاليمه ، وأدخل فيه المسجد ، وبنى الباب على الوضع الذى كان عليه ، وعقد فوقه القبة المحكمة ، وأقام فى أركانها الأعمدة بوضع محكم متقن ، وعمل السلالم العراض التى يصعد منها الى الدور العلوى والسفلى على يمين الداخل ، وجعل مساكنه كلها تنفذ الى بعضها البعض على طريقة وضع مساكنهم . واستمر يبنى فيه ويعمر مدة اقامته الى أن خرج من مصر .

فلما حضر العثمانية ، وتولى على مصر محمد باشا المذكور ، ورغب فى سكنى هذا المكان ، شرع فى تعميره هذه العمارة العظيمة .. حتى انه رتب لحرق الجير فقط اثنى عشر قمينا تشتغل على الدوام ، والجمال التى تنقل الحجر من الجبل ثلاث قطارات : كل قطار سبعون جملا . وقس على ذلك بقيه اللوازم . ورموا جميع الأتربة فى البركة حتى ردموا منها جانبا كبيرا ردما غير معتدل ، حتى شوهوا البركة ، وصارت كلها كيمانا وأتربة .

والعجب أن منتهى الرغبة فى سكن هذه البركة وأمثالها .. انما هو تسريح النظر ، وانبساط النفس باتساعها واطلاقها .. وخصوصا أيام النيل حين تمتلىء بالماء فتصير لجة ماء دائرة بركارية ، مملوءة بالزوارق والقنج ، والشطيات المعدة للنزهة تسرح فيها ليلا ونهارا . وعند دخول المساء يوقدون القناديل بدائرها فى جميع قواطين البيوت . فيصير لذلك منظر بهيج ، لاسيما فى الليالى المقمرة ، فيختلط ضحك الماء فى وجه البدر والقناديل وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضا ، وصدى أصوات القيان والأغانى فى ليال لاتعد من الأعمار ، اذ الناس ناس ، والزمان زمان ! فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. الى أن كان ما كان ، ووقعت هذه الحوادث فتضاعف المسخ والتشويه .

والعجب أنه لما وقعت الحرابة بين الفرنساوية والعثمانية وأهل مصر . وأقام الحرب ستة وثلاثين يوما ، وهم يضربون على ذلك البيت بالمدافع والقنابر .. لم يصبه شىء ، ولم ينهدم منه حجر واحد . ولما وقعت هذه الحرابة بين الباشا وعسكره ، احترق وانهدم فى ليلة واحدة !

وكذلك احترق بيت الدفتردار — وهو بيت ثلاثة ولية — الذى كان أنشأه رضوان كتخدا الحلفى . وكان بيتا عظيما ليس له نظير فى عمارته وزخرفته وكلفته . وسقوفه من أغرب ما صنعته أيدى بنى آدم فى الدقة والصنعة ، وكله منقوش بالذهب واللازورد والأصباغ . وعلى مجالسه العليا قباب مصنعة ، وأرضه كلها بالرخام الملون .. فاحترق جميعه ولم يبق به شىء الا بعض الجدران اللاطئة بالأرض .

وسكنت الفتنة . وشق الوالى على أغا الشعراوى ، وذو الفقار المحتسب ، وأغات الانكشارية ، ونادوا بالأمان والبيع والشراء . فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر ، سنة وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما .

وكان سيىء التدبير ، ولا يحسن التصرف ، ويحب سفك الدماء ، ولا يتروى فى ذلك ، ولايضع شيئا فى محله . ويتكرم على من لايستحق ، ويبخل على من يستحق

وفى آخر مدته ، داخله الغرور ، وطاوع قرناء السوء المحدقين به ، والتفت الى المظالم والفرد على الناس وأهل القرى .. حتى أنهم كانوا حرروا

دفاتر فردة عامة على الدور والأماكن بأجرة ثلاث سنوات . وقيل أشنع من ذلك !

فأنقذ الله منه عباده، وسلط عليه جنده وعساكره ، وخرج مرغوما مقهورا على هذه الصورة ! ولم يزل فى سيره الى أن نزل بقليوب بعد الغروب ، فعشاه الشوربى شيخ قليوب . ثم سار ليلا الى دجوة ، فأنزل الحريم والأثقال فى ثلاث مراكب ، وسار هو الى جهة بنها ، وغالب جماعته تخلفوا عنه بمصر . وكذلك الكتخدا وديوان أفندى والخازندار — الذى كان بالقلعة — والسلحدار وخليل أفندى خزنة كاتب .

الاثنين ١٠ منه (٢ مايو ١٨٠٣ م) :

نودى بالأمان أيضا ، وأن العساكر لايتعرضون لأحد بأذية . وكل من تعرض له عسكرى بأذية ، ولو قليلة ، فليشتكه الى القلق الكائن بخطته ، ويحضره الى طاهر باشا ، فينتقم له منه .

الخميس ١٣ منه (٥ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر الأغا والوجاقلية الى بيت القاضى ، وأعلموه باجتماعهم فى غد عند طاهر باشا ، ويتفقون على تلبيسه قائمقام ، ويكتبون عرض محضر بحاصل ما وقع .

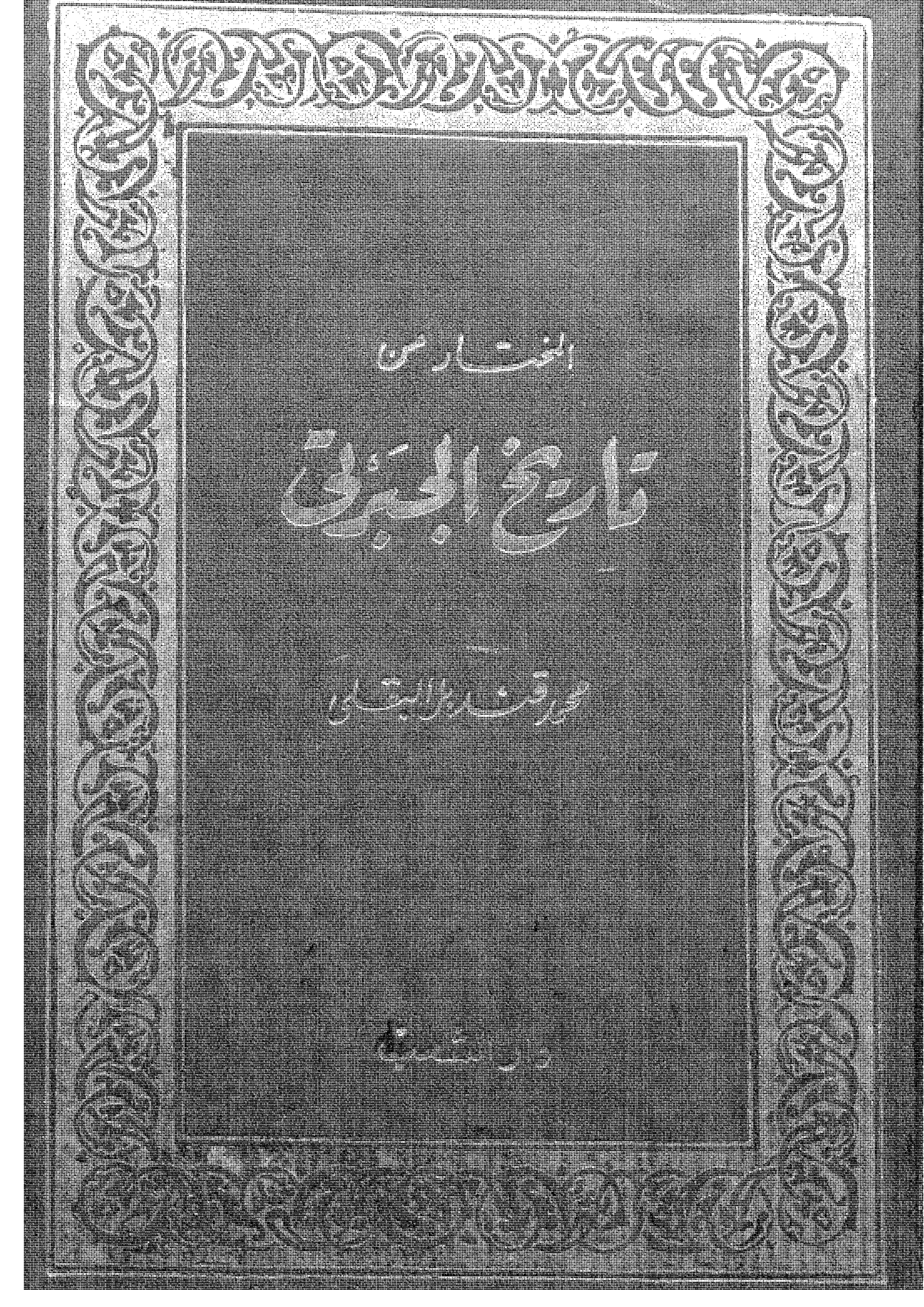
وفى ذلك اليوم حضر جعفر كاشف ، تابع ابراهيم بيك ، وبيده مراسلة خطابا للعلماء والمشايخ . وقيل انه كان بمصر من مدة أيام . وكان يجتمع بطاهر باشا كل وقت بالشيخونية .

الجمعة ١٤ منه (٦ مايو ١٨٠٣ م) :

اجتمع المشايخ عند القاضى ، وركبوا صحبته وذهبوا عند طاهر باشا ، وعملوا ديوانا . وأحضر القاضى فروة سمور ألبسها لطاهر باشا ليكون قائمقام حتى تحضر له الولاية ويأتى وال وكلموه على رفع الحوادث والمظالم ، وظنوا فيه الخيرية ، واتفقوا على كتابة عرضحال بصورة ماوقع ، وقرءوا المكتوب الذى حضر من عند الأمراء القبالى . وهو مشتمل على آيات وأحاديث وكلام طويل،ومحصله: أنهم طائعون وممتثلون ، ولم يحصل منهم تعد ولا محاربة ، وانما اذا حضروا الى جهة أو بلد وطلبوا المرور عليها أو قضاء حاجة من بندر...منعهم الحاكم والعساكر التى بها ونابذوهم بالمحاربة والطرد . ومع ذلك اذا وقعت بيننا محاربة لايثبتون لنا وينهزمون ويفرون ، وقد تكرر ذلك المرة بعد المرة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من النهب والسلب وهتك الحرائر .

وقد وقع أننا لما حضرنا بالمنية فحصل ما حصل ، وبدأونا بالطرد والابعاد ، حصل ما حصل مما ذكر ، وعوقب من لا جنى . وذنب الرعية والعباد فى رقابكم . وقد التمسنا من سادتنا المشايخ أن يتشفعوا لنا عند حضرة الوزير ، ويعطينا ما يقوم بمؤونتنا ومعايشنا ، فأبى حضرة الوزير الا اخراجنا من القطر المصرى كليا . وبعثتم تحذروننا مخالفة الدولة العلية مستدلين علينا بقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . ولم تذكروا لنا آية تدل على أننا نخرج من تحت السماء ، ولا آية تدل على أننا نلقى بأيدينا الى التهلكة . وذكرتم لنا أن حريمنا وأولادنا بمصر ، وربما ترتب على المخالفة وقوع الضرر بهم . وقد تعجبنا من ذلك فاننا انما تركنا حريمنا ثقة بأنهم فى كفالتكم وعرضكم ... على أن المروءة تأبى صرف الهمة الى امتداد الأيدى للحريم ... والرجال للرجال على أن الفلك دوار ، والله مقلب الليل والنهار ، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء « قل اللهم مالك الملك » الآية .

فلما قرىء ذلك بتفاصيله ، تعجب السامعون له . فكأنما كانوا ينظرون من خلف حجاب الغيب .


المختار من
تاريخ الجبرتي
محمد قنديل البقلي

وأخذ ذلك المكتوب طاهر باشا (١) ، وأودعه فى جيبه ثم قال الحاضرون : « فما يكون الجواب؟ ». قال : « حتى تتروى فى ذلك » . ثم كتب لهم جوابا يخبرهم فيه بما وقع ، ويأمرهم بأنهم يحضرون بالقرب من مصر لربما اقتضى الحال الى المعاونة .

الاثنين ١٧ منه (٩ مايو ١٨٠٣ م) :

كتبوا العرض المحضر بصورة ما وقع ، وختم عليه المشايخ والوجاقلية ، وأرسلوه الى اسلامبول . وأما محمد باشا (١) المهزوم ، فانه لم يزل فى سيره حتى وصل الى المنصورة ، وفرد على أهلها تسعين ألف ريال ، وكذلك فرد على ما أمكنه من بلاد الدقهلية والغربية فردا ومظالم وكلفا وصادف فى طريقه بعض المعينين حاضرين بمبالغ الفردة السابقة فأخذها منهم .

الثلاثاء ١٨ منه (١٠ مايو ١٨٠٣ م) :

أرسل طاهر باشا عدة من العسكر ، فقبضوا على جماعة من بيوتهم وهم : أغات الانكشارية ، ومصطفى كتخدا الرزاز ، ومصطفى آغا الوكيل ، وأيوب كتخدا الفلاح ، وأحمد كتخدا على ، والسيد أحمد المحروقى ، وخليل افندى كاتب خزنة محمد باشا . وأطلعوهم الى القلعة ، وأصبح الناس يتحدثون بذلك .

ثم ان جماعة من الفقهاء سعوا الى السيد أحمد المحروقى ، فأنزلوه الى بيته فى ثانى يوم ، وعملوا عليه ستمائة كيس ، ولزم العسكر بيته ، وكذلك بقية الجماعة ، منهم من عمل عليه مائتا كيس وأقل وأكثر . وأقاموا فى الترسيم .

الجمعة ٢١ منه (١٣ مايو ١٨٠٣ م) :

ركب طاهر باشا بالموكب والملازمين ، وصلى الجمعة بجامع الحسين .

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية رجعوا الى قبلى ، ووصلوا الى قرب بنى سويف .

وفيه : تشفع الشيخ السادات فى مصطفى أغا

---

(١) انتهز طاهر باشا هذه الفرصة ليجتذب اليه المماليك ، وكتب لهم يدعوهم الى الحضور والاقتراب من القاهرة .. وظهرت للمشايخ فى هذا التعيين سلطة رسمية ، وان كانت فى الواقع اسمية ، لأن طاهر باشا انما وصل الى قائمقاميته بحد السيف... لكن مجرد استشعاره بضرورة اتفاق العلماء على اختياره ، هو تسليم منه بان لهم شأنا فى حل الأزمات . كما أن تدخلهم فى الوساطة بين البكوات المماليك والوالى أكسبهم نفوذا على الفريقين ، ومساعيهم فى رفع المظالم أعلت مكانتهم ، وزادت فى التفاف الناس حولهم .

وقد كان للعلماء مقام محمود فى مقاومة المظالم التى ارتكبها طاهر باشا . فان اول عمل له أن ألقى القبض على جماعة من كبار الموظفين والاعيان بحجة انهم من انصار خسرو باشا ، منهم : السيد أحمد المحروقي كبير التجار ، ورئيس الإنكشارية ، وكاتب خزانة خسرو باشا ، ومصطفى الوكيل ، وغيرهم ، وسجنهم فى القلعة . فتدخل المشايخ ووصلوا الى اطلاق سراح السيد احمد المحروقى . فنزل من القلعة فى اليوم التالى لاعتقاله . وتدخل السادات للافراج عن مصطفى الوكيل واخذه معه الى بيته ، وكان ذلك يوم الجمعة ٢١ محرم ١٢١٨ (١٣ مايو ١٨٠٣) .

فلما كان يوم الاحد ارسل طاهر باشا يطلب مصطفى الوكيل من عند الشيخ السادات ، فذهب معه السادات الى طاهر باشا ليحميه من بطشه . فلما رآه الجنود اعادوا القبض عليه ثانية ، وأخذوه الى القلعة . فحنق السيد السادات من هذا الظلم ، ودخل على طاهر باشا ، واعترضه اعتراضا شديدا . فاطلعه طاهر باشا على خطاب مرسل الى مصطفى الوكيل من خسرو باشا ليبرهن له على أنه موال لخسرو ، وأن اعتقاله واجب . فقال السادات : أن هذا لا يؤاخذ به وانما يؤاخذ اذا كان المكتوب منه الى خسرو باشا . وكان طاهر باشا مصمما على قتله ، فانتهى الامر على الا يقتله ، وان يبقى ببيت السادات مشمولا بحمايته . وخشى طاهر باشا من تغير خاطر السادات بسبب هذه الحادثة فذهب اليه فى بيته يسترضيه .

ومن مظالم طاهر باشا انه امر بقتل المعلم سلطى من كبار الكتبة الاقباط — وهو الذى كان متوليا القضاء فى زمن الفرنسيس — وامر كذلك بقتل المعلم حنا الصبحانى أحد التجار السوريين ، (وبلا نزاع أن سبب قتلهما الطمع فى أموالهما)

على أن طاهر باشا لم يدم له الامر . فقد اشتهر بالظلم والجبروت ، وأطلق لجنوده الالبانيين عنان السلب والنهب ، وضرب الغرامات الفادحة على التجار .

(عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية ج ٢ ص ٢٣٧)

(١) لم يسع خسرو باشا الا أن يلوذ بالهرب . وفر هو وعائلته وحاشيته وبقية من جنوده ، وخرج من المدينة ، وقصد الى قليوب فالمنصورة فدمياط ، واستقر بها ، واخذ يستعد لاسترجاع ولايته . ومن غريب امره أنه — وهو فى محنته وفى فراره — ضرب الضرائب على البلاد التى مر بها ، واخذ من الاموال ما استطاع نهبه .

وبفرار خسرو باشا انتهت ولايته الفعلية ، فكانت مدتها سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما .

(عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية ج ٢ ص ٢٣٧)

وكلما طلب الانكشارية شيئا من جماكيهم ، قال لهم : « ليس لكم عندى شيء ، ولا أعطيكم الا من وقت ولايتى .. فان كان لكم شيء ، فاذهبوا وخذوه من محمد باشا » . فضاق خناقهم وأوغر صدورهم ، وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والى المدينة .

فلما كان فى هذا اليوم : ركب الجماعة المذكورون من جامع الظاهر ، وهم نحو المائتين وخمسين نفرا ، بعددهم وأسلحتهم — كما هى عادتهم — وخلفهم كبراؤهم وهم : اسماعيل أغا ومعه آخر يقال له موسى أغا وآخر . فذهبوا على طاهر باشا ، وسألوه فى جماكيهم فقال لهم : « ليس لكم عندى الا من وقت ولايتى ، وان كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد باشا » . فألحوا عليه .. فنتر فيهم .. فعاجلوه بالحسام ، وضربه أحدهم ، فطير رأسه ، ورماها من الشباك الى الحوش !

وسحبت طوائفهم الأسلحة ، وهاجوا فى أتباعه . فقتل منهم جماعة ، واشتعلت النار فى الأسلحة والبارود الذى فى أماكن أتباعه . فوقع الحريق والنهب فى الدار ، ووقع فى الناس كرشات . وخرجت العساكر الانكشارية وبأيديهم السيوف المسلولة ، ومعهم ما خطفوه من النهب !

فانزعجت الناس ، وأغلقوا الأسواق والدكاكين ، وهربوا الى الدور ، وأغلقوا الأبواب ، وهم لا يعلمون ما الخبر !

وبعد ساعة ، شاع الخبر ، وشق الوالى والأغا ينادون بالأمن والأمان حسب ما رسم أحمد باشا ، وكرروا المناداة بذلك .

ثم نادوا باجتماع الانكشارية البلدية وخلافهم عند أحمد باشا على طائفة الأرنؤود ، وقتلهم واخراجهم من المدينة . فتحزبوا أحزابا ، ومشوا طوائف طوائف . وتجمع الأرنؤود جهة الأزبكية وفى بيوتهم الساكنين فيها . وصار الانكشارية اذا ظفروا بأحد من الأرنؤود ، أخذوا سلاحه ، وربما قتلوه . وكذلك الأرنؤود يفعلون معهم مثل ذلك .

هذا .. والنهب والحريق عمال فى بيت طاهر باشا ، وفرج الله عن المعتقلين والمحبوسين ، على المغارم والمصادرات .

وبقيت جثة طاهر باشا مرمية لم يلتفت اليها أحد ، ولم يجسر أحد من أتباعه على الدخول الى البيت واخراجها ودفنها . وزالت دولته ، وانقضت سلطنته فى لحظة !

فكانت مدة غلبته ستة وعشرين يوما . ولو طال عمره زيادة على ذلك ، لأهلك الحرث والنسل !

وكان صفته : أسمر اللون ، نحيف البدن ، أسود اللحية ، قليل الكلام بالتركى ... فضلا عن العربى ، ويغلب عليه لغة الأرنؤودية ، وفيه هوس وانسلاب ، وميل للمسلوبين والمجاذيب والدراويش وعمل له خلوة بالشيخونية ، وكان يبيت فيها كثيرا ، ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردى الى السطح فى الليل ، ويذكر معه . ثم سكن هناك بحريمه . وقد كان تزوج بامرأة من نساء الأمراء ، وكان يجتمع عنده أشكال مختلفة الصور ... فيذكر معهم ، ويجالسهم ، ويظهر الاعتقاد فيهم . ولما رأوا منه ذلك ، خرج الكثير من الأوباش ، وتزيا بما سولت له نفسه وشيطانه ، ولبس له طرطورا طويلا ، ومرقعة ودلقا ، وعلق له جلاجل وبهرجان وعصا مصبوغة وفيها شخاشيخ وشراريب ، وطبلة يدق عليها ، ويصرخ ويزعق ، ويتكلم بكلمات مستهجنة ، وألفاظ موهمة ، بأنه من أرباب الأحوال .. ونحو ذلك !

ولما قتل ، أقام مرميا الى ثانى يوم لم يدفن . ثم دفنوه من غير رأس بقبة عند بركة الفيل .

وأخذ بعض الينكجرية رأسه وذهبوا بها ليوصلوها الى محمد باشا ، ويأخذوا منه البقشيش . فلحقهم جماعة من الأرنؤود ، فقتلوهم ، وأخذوا الرأس منهم ورجعوا بها ودفنوها مع جثته .

وكتب أحمد باشا مكتوبا الى محمد باشا يعلمه بصورة الواقعة ، ويستعجله للحضور .

وكذلك المحروقى وسعيد آغا ، أرسل كل واحد مكتوبا بمعنى ذلك ، وظنوا تمام المنصف !

ولما نهبوا بيته ، نهبوا ما جاوره من دور الناس من الحبانية الى ضلع السمكة الى درب الجماميز . ثم ان أحمد باشا أحضر المشايخ ، وأعلمهم بما وقع ، وأمرهم بالذهاب الى محمد على ، ويخاطبوه بأن يذعن الى الطاعة .

فلما ذهبوا اليه وخاطبوه فى ذلك ، أجاب بأن أحمد باشا لم يكن واليا على مصر .. بل انما هو والى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وليس له علاقة بمصر . وأنا كنت الذى وليت طاهر باشا لكونه محافظ الديار المصرية من طرف الدولة ، وله شبهة فى الجملة . وأما أحمد باشا فليس له جرة ولا شبهة .. فهو يخرج خارج البلد ، ويأخذ معه الانكشارية ، ونجهزه ويسافر الى ولايته . فقاموا من عنده على ذلك ، واستمر الانكشارية على ما هم عليه من النهب ، وتتبع الأرنؤود ، وتحزبوا وتسلحوا ، وعملوا متاريس على جهاتهم ونواحيهم الى آخر النهار .

فنادوا على الناس بالسهر والتحفظ ، والدكاكين تفتح ، والقناديل تعلق . وبات الناس على تخوف .

٥ منه (٢٧ مايو ١٨٠٣ م)

مر الوالى والأغا ينادون بالأمان برسم حكم أحمد باشا . ثم ان أحمد باشا أرسل أوراقا الى المشايخ بالحضور . فذهبوا اليه ، فقال لهم : « أريد منكم أن تجمعوا الناس والرعية ، وتأمروهم بالخروج على الأرنؤود وقتلهم ! » . فقالوا : « سمعا وطاعة » . وأخذوا فى القيام . فقال لهم : « لا تذهبوا ، وكونوا عندى ، وأرسلوا للناس كما أمرتكم » . فقالوا له : « ان عادتنا أن يكون جلوسنا فى المهمات بالجامع الأزهر ، ونجتمع به ، ونرسل الى الرعية . فانهم عند ذلك لا يخالفون » . وكان مصطفى أغا الوكيل حاضرا ، فرادهم فى ذلك ، وعرف منهم الانفكاك ... فلم يزالوا حتى تخلصوا وخرجوا .

وكان أحمد باشا أرسل أحضر الدفتردار ويوسف كتخدا الباشا ، وعبد الله أفندى رامز الروزنامجى ، وغالب آكابر العثمانية .

ومصطفى أغا الوكيل كان مرهونا عند شيخ السادات — كما تقدم — فعندما سمع بقتل طاهر باشا ، ركب بجماعته وأبهته ، وأخذ معه عدة من الانكشارية وذهب الى عند أحمد باشا ، ووقف بين يديه يعاضده ويقويه .

وأما محمد على والأرنؤود ، فانهم مالكون القلعة الكبيرة ، ويجمعون أمرهم ، ويراسلون الأمراء .

فلما أصبح ذلك اليوم ، عدى الكثير من المماليك والكشاف الى بر مصر ، ومروا فى الأسواق . وعدى أيضا محمد على وقابلهم فى بر الجيزة ورجع ، وعدى الكثير منهم من ناحية أبابة ، ومعهم عربان كثيرة ، وساروا الى جهة خارج باب النصر وباب الفتوح ، وأقاموا هناك .

وأرسل ابراهيم بيك ورقة الى أحمد باشا يقول فيها : « انه بلغنا موت المرحوم طاهر باشا ، عليه الرحمة والرضوان . فأنتم تكونون مع أتباعكم الأرنؤود حالا واحدا ، ولا تتداخلوا مع الانكشارية » .

فلما كانت ضحوة النهار ، ذهب جماعة من الانكشارية الى جهة الرميلة . فضربوا عليهم من القلعة مدافع ... فولوا ، وذهبوا . ثم بعد حصة ضربوا أيضا عدة مدافع متراسلة على جهة بيت أحمد باشا — وكان ساكنا فى بيت على بيك الكبير بالداودية — فعند ذلك أخذ أمره فى الانحلال ، وتفرق عنه غالب الانكشارية البلدية .

ووافق أن المشايخ لما خرجوا من عنده وركبوا ، لم يزالوا سائرين الى أن وصلوا جامع الغورية ، فنزلوا به وجلسوا ، وهم فى حيرة متفكرين فيما يصنعون . فعند ما سمعوا صوت المدافع ، قاموا وتفرقوا وذهبوا الى بيوتهم .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل ورقة الى أحمد باشا — قبيل العصر — يأمره فيها بتسليم الذين قتلوا طاهر باشا ، ويخرج الى خارج البلد ، ومعه مهلة الى حادى عشر ساعة من النهار ، ولا يقيم الى الليل .. وان خالف فلا يلومن الا نفسه !

فلما رأى حال نفسه مضمحلا ، لم يجد بدا من الامتثال .. الا أنه لم يجد جمالا يحمل عليها أثقاله ، فقال للرسول : « سلم عليه ، وقل له يرسل لى جمالا ، وأنا أخرج . وأما تسليم القاتلين . فلا يمكن » فقال له : « أما حضور الجمال .. فغير متيسر فى هذا الوقت لبعد المسافة » فقال له : « وكيف يكون العمل ؟ » . فقال : « يركب حضرتكم .. ويخرج . ووقت ما حضرت الجمال الليلة أو غدا ... حملت الأثقال ولحقتكم خارج البلد » .

فعند ذلك قام ، وركب وقت العصر ، وتفرق من كان معه من أعيان العثمانية مثل : الدفتردار ، وكتخدا بيك ، والروزنامجى ، وذهبوا الى محمد على والتجأوا اليه . فأظهر لهم البشر والقبول .

وخرج أحمد باشا فى حالة شنيعة ، وأتباعه مشاة بين يديه ... وهم يعدون فى مشيهم ، وعلى أكتافهم وسائد وأمتعة خفيفة . فعند ما خرج من البيت ، دخل الأرنؤود ونهبوا جميع مافيه ولم يزل سائرا حتى خرج من المدينة من باب الفتوح ، فوجد العسكر والعربان وبعض كشاف ومماليك مصرية محدقة بالطرق ، فدخل مع الانكشارية الى قلعة الظاهر ، وأغلقوها عليهم . وخرج خلفهم عدة وافرة من الأرنؤود والكشاف المصرلية والعرب والغز ، وأحاطوا بهم ، وأقاموا على ذلك تلك الليلة .

وبعد العشاء ، مر الوالى وأمامه المناداة بالأمان حسب ما رسم ابراهيم بيك حاكم الولاية وأفندينا محمد على .

فكانت مدة الولاية لأحمد باشا يوما وليلة لا غير !

وفى ذلك اليوم : نهبوا بيت يوسف كتخدا بيك ، وأخرجوا منه أشياء كثيرة ... أخذ ذلك جميعه الأرنؤود .

٦ منه (٢٨ مايو ١٨٠٣ م) :

ركب المشايخ والأعيان ، وعدوا الى بر الجيزة ، وسلموا على ابراهيم بيك والأمراء .

وفيه : استأذن الدفتردار وكتخدا بيك ، محمد على فى الاقامة عنده أو الذهاب . فأذن لهما بالتوجه الى بيوتهما . فركبا قبيل الظهر ، وسارا الى بيت الدفتردار — وهو بيت البارودى — فدخل كتخدا بيك مع الدفتردار لعلمه بنهب بيته . فنزلا وجلسا مقدار ساعة ... واذا بجماعة من كبار الأرنؤود ، ومعهم عدة من العسكر ، وصلوا اليهما . وعند دخولهم طلبوا المشاعلى من بيت على آغا الشعراوى — وهو تجاه بيت البارودى — فلم يجدوه فذهب معهم رفيق له ، وليس معه سلاح ، فدخلوا الدار وأغلقوا الباب . وعلم أهل الخطة

مرادهم ، فاجتمع الكثير من الأوباش والجعيدية والعسكر خارج الدار يريدون النهب !

ولما دخلوا عليهما ، قبضوا أولا على الدفتردار وشلحوه من ثيابه وهو يقول : « عيتر ! » . وأصابه بعضهم بضربة على يده اليمنى ، وأخرجوه الى فسحة المكان ، وقطعوا رأسه بعد ضربات ، وهو يصيح مع كل ضربة ، لكون المشاعلى لا يحسن الضرب ولم يكن معه سلاح ! بل ضربه بسلاح بعض العسكر الحاضرين . ثم فعلوا ذلك بيوسف كتخدا بيك — وهو ساكت لم يتكلم ! — وأخذوا الرأسين وتركوهما مرميين ، وخرجوا بعد ما نهبوا ما وجدوه من الثياب والأمتعة بالمكان ، وكذلك ثياب أتباعهم . وخرج أتباعهم فى أسوأ حال يطلبون النجاة بأرواحهم ، ومنهم من هرب وطلع الى حريم البارودى الساكنات فى البيت . وصرخ النساء وانزعجن . وكانت الست نفيسة المرادية فى ذلك المنزل أيضا فى تلك الأيام ... فعندما رأت وصول الجماعة ، أرسلت الى سليم كاشف المحرمجى ، فحضر فى ذلك الوقت . فكلمته فى أن يتلافى الأمر ، فوجده قد تم . فخرج بعد خروجهم بالرأسين ، فظن الناس أنها فعلته .

ثم حضر محمد على فى أثر ذلك ، وطرد الناس المجتمعين للنهب ، وختم على المكان ، وركب الى داره .

ثم ان على أغا الشعراوى استأذن محمد على فى دفنهما .. فأذن له ، فأعطى شخصا ستمائة نصف فضة لتجهيزهما وتكفينهما ، فأخذها وأعطى منها لآخر مائتين نصف لا غير . فأخذها وذهب فوضعهما فى تابوت واحد من غير رؤوس — وكانوا ذهبوا برؤوسهما الى الأمراء بالجيزة ، ولم يردوهما ، ولم يدفنا معهما — ثم رفعهما بالتابوت الى ميضأة جامع السلطان شاه المجاور للمكان — وهو مكان قذر — فغسلهما وكفنهما فى كفن حقير ، ودفنهما فى حفرة تحت حائط بتربة الأزبكية من غير رؤوس .. فهذا ما كان من أمرهما .

وأما الذين فى قلعة الظاهر . فانهم انحصروا ، وأحاط بهم الأرنؤود والغز والعربان، وليس عندهم ما يأكلون ، ولا ما يشربون . فصاروا يرمون عليهم من السور ، القرابين والبارود ، وهم كذلك يرمون عليهم من أسفل ، وجمعوا أتربة وعملوها كيمانا عالية ، وصاروا يرمون عليهم منها كذلك بقية نهار الجمعة . وليلة السبت اشتد الحرب بينهم بطول الليل .

وفى الصباح ، أنزلوا من القلعة مدافع كبارا وبنبة وجبخانة وأصعدوها على التلول ، وضربوا عليهم الى قبيل العصر . فعند ذلك طلبوا الأمان ، وفتحوا باب القلعة . وخرج أحمد باشا وصحبته شخصان ، وهما اللذان قتلا طاهر باشا ، فأخذوهم وعدوا بهم الى الجيزة .. وبطل الحرب والرمى ، وبقى طائفة الانكشارية داخل القلعة وحولهم العساكر .

فلما ذهبوا بهم الى الجيزة ، أرسلوا أحمد باشا الى قصر العينى ، وأبقوا الاثنين — وهما : اسماعيل آغا ، وموسى آغا — بالقصر الذى بالجيزة .

ونودى بالأمان للرعية حسب ما رسم ابراهيم بيك وعثمان بيك البرديسى ومحمد على .

٧ منه (٢٩ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد بيك أخو محمد على الى جهة خان الخليلى لاجراء التفتيش على منهوبات الأرنؤود التى نهبها الانكشارية ، وأودعوها عند أصحابهم الأتراك . وفتحوا عدة حوانيت وقهاوى وأماكن ، وأخذوا ما فيها ، وأجلسوا طوائف من عسكر الأرنؤود على الخانات والوكائل والأماكن ، وشلحوا ناسا كثيرة من ثيابهم ، وربما قتلوا من عصى عليهم .

فتخوف أهل خان الخليلي ومن جاورهم . واستمر الأرنؤود كلما مرت بهم طائفة ، ووجدوا شخصا فى أى جهة فيه شبه ما بالأتراك ... قبضوا عليه وأخذوا ثيابه ، وخصوصا ان وجدوا شيئا معه من السلاح أو سكينا . فتوقى أكثر الناس ، وانكفوا عن المرور فى أسواق المدينة .: فضلا عن الجهات البرانيـة .

وفيـه : كثر مرور الغز والكشاف المصرلية ، وترددوا الى المدينة وعلى أكتافهم البنادق والقرابين ، وخلفهم المماليك والعربان . فيذهبون الى بيوتهم ويبيتون بهـا . ويدخلون الحمامات ، ويغـيرون ثيابهم ، ويعودون الى بر الجيزة . وبعضهم أمامه المناداة بالأمان عند مروره بوسط المدينة .

وفيـه : كتبت أوراق بطلب دراهم فردة على البلاد المنوفية والغربية ، كل بلد ألف ريال ، وذلك خلاف مضايف العرب وكلفهم .

٩ منه (٣١ مايو ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا بباب الخرق ، يقال انه كان من أكبر المتحـزبين على الأرنؤود ، وجمع منهوبات كثـيرة .

وفيه أيضا : قتلوا اسماعيل أغا وموسى أغا ، وهما اللذان كانا قتلا طاهر باشا . وتقدم أنهـم كانوا أخذوهما بالأمان صحبة أحمد باشا فأرسلوا أحمد باشا الى قصر العينى ، وبقى الاثنان بقصر الجيزة فأخذوهما وعدوا بهما الى البر الآخر ، وقطـعوا رأسيهما عند الناصرية ، وأخذوا الراسين وذهبوا بهما الى زوجة طاهر باشا بالشيخونية . ثم طلعوهما الى أخى طاهر باشا بالقلعة .

وفيه : تقلد سليم أغا — أغات مسـتحفظان سابقا — الأغاوية كما كان . وركب وشق المدينة بأعوانه ، وأمامه جماعة من العسكر الأرنؤود . ولبسوا أيضـا حسين أغا أمين خزنة مراد بيك ، وقلدوه والى الشرطة . ولبسـوا محمد المعروف بالبرديسى كتخدا قائد أغا ، وجعلوه محتسبا . وشق كل منهم بالمدينة وأمامه المنـاداة بالأمن والأمان ، والبيع والشراء .

وفيه : أخرجوا الانكشارية الذين بقلعة الظاهر ، وسفروهم الى جهة الصالحية ، وصحبتهم كاشفان وطائفة من العرب ، بعدما أخذوا سلاحهم ومتاعهم ، بل وشلحوهم ثيابهم ، والذى بقى لهم بعد ذلك ، أخذته العرب . وذهبوا فى أسوأ حال ، وأنحس بال ، وهم نحو الخمسمائة انسان . ومنهم من التجأ الى بعض المماليك والغز . فستر عليه ، وغـير هيئته ، وجعله من أتباعه . وكذلك الانكشـارية الذين كانوا مختفين ، التجأوا الى المماليـك ، وانتموا اليهم وخدموهم ... فسبحان مقلب الأحوال !

وحضر سليم كاشف المحرمجى ، وسكن بقلعة الظاهر ، وكتب الى اقليم القليوبية أوراقا ، وقرر على كل بـلد ألف ريال ، ومن كل صـنف من الأصناف سبعين ، مثل : سبعين خاروف ، وسبعين رطل سمن ، وسبعين رطل بن ، وسـبعين فرخة .. وهكذا ! وحق طريق المعين لقبض ذلك ، خمسـة وعشرين ألف فضة من كل بلد .

١١ منه (٢ يونية ١٨٠٣ م) :

حضر محمـد على ، وعبـد الله افنـدى رامز الروزنامجى ، ورضوان كتخدا ابراهيم بيك ، الى بيت الدفتردار المقتول ، وضبطوا تركته . فوجد عنده نقود ثلثمائة كيس ، وقيمة عروض وجواهر وغيرها نحو ألف كيس .

وفيه : أرسـل ابراهيم بيك فجمع الأعيـان والوجاقلية ، وأبرز لهـم فرمانات وجدوها عنـد الدفتردار المقتـول ... مضمونها تقريرات مظالم ، منها : أن المماليك المصرليـة كانوا أحدثوا على الغـلال التى تبـاع الى بحر برا عن كل أردب

محبوب . فيقــرر ذلك ، بحيث يتحصل من ذلك للخزينة العامرة عشرة آلاف كيس فى السنة . فان نقصت عن ذلك القدر ، أضر ذلك بالخزينة

ومنها : تقرير المليون الذى كان قرره الفرنسيس على أهالى مصر فى آخر مدتهم ، ويوزع ذلك على الرؤوس والدور والعقار والأملاك .

ومنها : أن الحلوان عن المحلول ثلاث سنوات.

ومنها : أنه يحسب المضاف والبرانى الى ميرى البلاد .. وغير ذلك .

١٢ منه (٣ يونية ١٨٠٣ م) :

عمل عثمان بيك البرديسى عزومة بقصر العينى ، وحضر ابراهيم بيك والأمراء ومحمد على ورفقاؤه . وبعد انقضاء العزومة ، ألبسوا محمد على ورفقاءه خلعا ، وقدموا لهم تقادم .

١٣ منه (٤ يونية ١٨٠٣ م) :

عملوا عزومة لابن أخى طاهر باشا المقيم بالقلعة ، وصحبته عابدى بيــك ورفقاؤهم بقصر العينى ، وخلعوا عليهم وقدموا لهم تقادم أيضا .

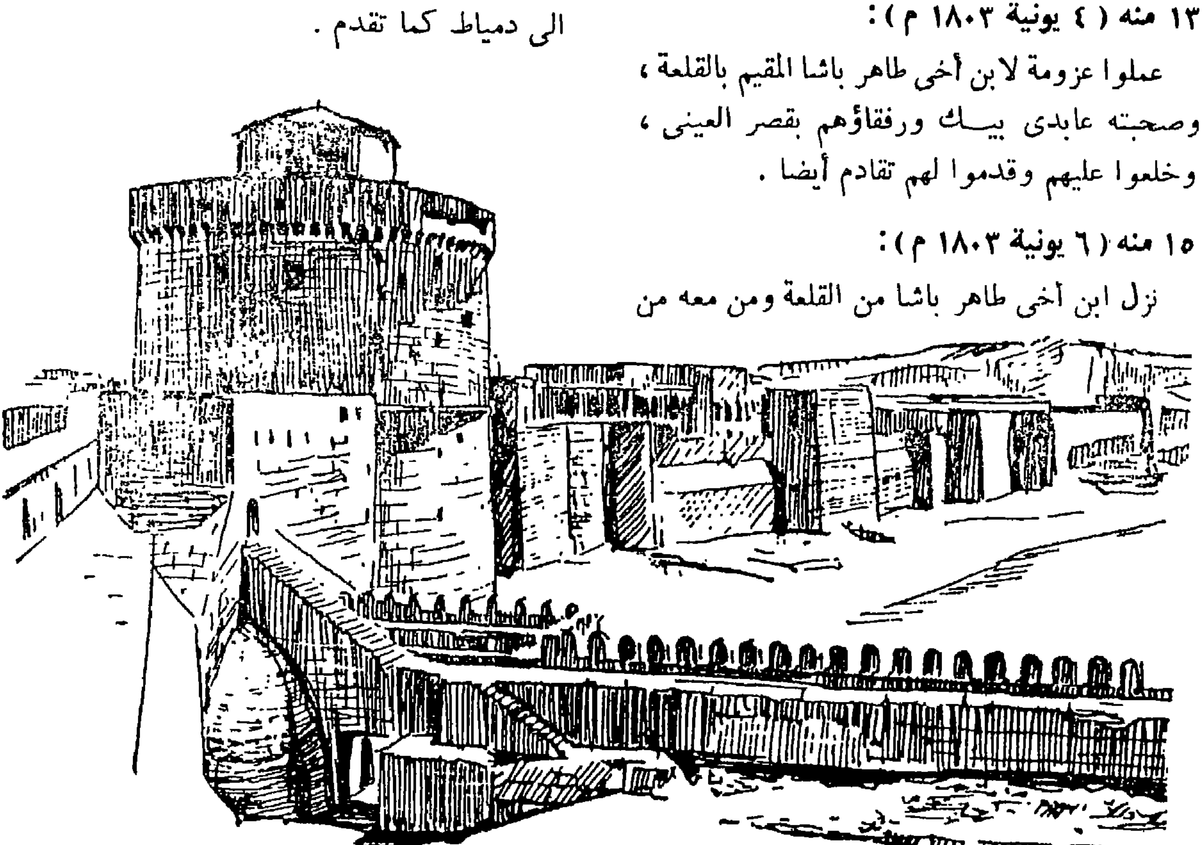
١٥ منه (٦ يونية ١٨٠٣ م) :

نزل ابن أخى طاهر باشا من القلعة ومن معه من أكابر الأرنؤود وأعيــانهم وعساكرهم بعــزالهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات ، وهو شيء كثير جدا ، وسلموا القلعة الى الأمراء المصرلية . وطلع أحمد بيك الكلارجى الى باب الانكشارية ، وأقام به ، وعبد الرحمن بيك ابراهيم الى باب العزب ، وسليم أغا مستحفظان الى القصر .

فعند ذلك اطمأن الناس بنزولهم من القلعة . فانهم كانوا على تخوف من اقامتهم بها ، وكثر فيهم اللغط بسبب ذلك .

فلم يزل الأمــراء يدبرون أمرهم حتى أنزلوهم منها ، وبقى بها طائفة من الأرنؤود ، وعليهم كبير يقال له : حسين قبطان .

وفيه : ورد الخبر أن محمد باشا لما قربت منه العساكر التى كان أرسلها له طاهر باشــا ، ارتحل الى دمياط كما تقدم .



القلعة بعد اخلائها وتسليمها للأمراء المصرية

١٦ منه (٧ يونية ١٨٠٣ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية مؤرخة فىمنتصف محرم ، وفيها الأخبار باستيلاء الوهابيين على مكة فى يوم عاشــوراء ، وأن الشريف غالب أحرق داره وارتحل الى جدة ، وأن الحجاج أقاموا بمكة ثمانية أيام زيادة عن المعتاد بسبب الارتباك قبل حصول الوهابيين بمكة ، ومراعاة للشريف ، حتى نقل متاعه الى جدة . ثم ارتحل الحجاج ، وخرجوا من مكة طالبين زيارة المدينة . فدخل الوهابيون بعد ارتحال الحج بيومين .

١٨ منه (٩ يونية ١٨٠٣ م) :

أخرجوا باقى الانكشارية والدلاة والسجمان ، وكانوا مجتمعين بمصر القديمة ، فتضرر منهم المارة وأهل تلك الجهة بسبب قبائحهم وخطفهم أمتعة الناس بل وقتلهم. وكان تجمعهم على أن يذهبوا الى جهة الصعيد ، ويلتفون على حسن باشــا بجرجا ، وينضــمون اليــه والى من بناحية الصعيــد من أجناسهم . فذهب منهم من أخبر الأمراء المصرلية بذلك ، فضبطوا عليهم الطرق .

واتفق أن جماعة منهم وقفوا لبعض الفــلاحين المارين بالبطيخ والخضار ، فحجزوهم ، وطلبــوا منهم دراهم . فمر بهم بعض مماليك من أتبــاع البرديسى ، فاستجار بهم الفلاحون ، فكلموهم .. فتشاحنوا معهم ، وسحبوا على بعضهم السلاح ، فقتل مملوك منهم . فذهبوا الى سيدهم وأعلموه . فأرســل الى ابراهيم بيك . فركب الى العرضى ناحية بولاق التكرور ، وترك مكانه بقصر الجيزة محمد بيك بشتك وكيل الألفى . وشركوا عليهم الطرق ، وأمروهم بالركوب والخروج من مصر الى جهة الشام واللحوق بجماعتهم فركبوا من هناك ، ومروا على ناحية الجبل من خلف القلعة الى جهة العادلية ، وأمامهم وخلفهم بعض الأمراء المصرلية ، ومعهم مدفعان وهم نحو ألف وخمسمائة وأزيد . فلما خرجوا وتوسطوا البرية عروا الــكثير منهم ومن المتخلفين والمتأخرين عنهم ، وأخذوا أسلحتهم ، وقتلوا كثيرا منهم . ورجع المماليك ومعهم الكثير من بنادقهم وسلاحهم ، يحملونهمعهم ومعخدامهم .

فلمــا رجع المماليك بهــذه الصورة ، ووقف العسكر الأرنؤودية على أبواب المدينة ... انزعج الناس كعادتهم فى كرشاتهم ، وأغلقوا الدكاكين .

وعين للسفر معهم حسين كاشف الألفى ، يذهب معهم الى القنطرة . ونودى فى عصريتــه بالأمان ، وخروج من تخلف من الانكشارية ، وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام ... فدمه وماله هدر .

٢١ منه (١٢ يونية ١٨٠٣ م) :

مر الوالى والمناداة أمامه على الأتراك الانكشارية والبشناق والسجمان بالخروج من مصر ، والتحذير لمن آواهم أو ثاواهم . وكلما صــادف فى طريقــه شحصا من الأتراك قبض عليه ، وسأله عن تخلفه ، فيقــول : « أنا من المتسببين والمتأهلين من زمان بمصر » . فيطلب منــه بينة على ذلك ، ويســتلمه عسكر الأرنؤود ، فيودعونه فى مكان مع أمثاله ، حتى تتحققوا أمره .

وفيه : مر بعض المماليك بجهة الميــدان ناحية باب الشــعرية ، فصــادفوا جماعة من العســكر المذكورين يحملون متــاعا لهم . فاشتبكوا بهم ، وأرادوا أخــذ سلاحهم ومتاعهم ... فمانعوهم ، وتضــاربوا معهم ، فقتــل بينهم شــخصان من الانكشــارية ، وشخصان من المماليك : أحدهما فرنساوى .

وفيه : حضر أيضا ثلاثة من المماليك الى وكالة الصاغة الى رجل رومى طظرى وسألوه عن جوارى سود عنده لمحمد باشــا ، وأنهم يطلبونهن لعثمان بيك البرديسى . فأنكر ذلك ، وشهد جيرانه أنهن



... فزعوا عليه وطردوه ، وذهبوا بالجوارى

ملكه ، واشتراهن ليتجر فيهن . فلم يزالوا حتى أخذوا منه ثلاثا على سوم الشراء ، وذهب معهن . فلما بعدوا عن الجهة .. فزعوا عليـه وطردوه . وذهبوا بالجوارى !

فذهب ذلك الططرى الى محمد على ، فأرسل الى البردسى ورقة بطلب الجـوارى أو ثمنهن . ففحص عنهن حتى ردهن الى صاحبهن .

وفيه : حضر أيضا جماعة من المماليك الى بيت عثمان أفندى بجوار ضريح الشيخ الشعرانى — وهو من كتبة ديوان محمد باشا — فأخذوا خيله وسلاحه ومتاعه التى بأسفل الدار .

١٩ منه (١٠ يونية ١٨٠٣ م) :

نهبوا أيضا دار أحمد افندى الذى كان شهر حواله وكاشف الشرقية فى العام الماضى . فأخذوا جميع ما عندم حتى ثيابه التى عـلى بدنه ، وقتلوا خادمه على باب داره ... قتله الوالى ، زاعمـا أنه هو الذى دل عليه !

٢٠ منه (١١ يونية ١٨٠٣ م) :

مر سليم أغا وأمامه المناداة على الأغراب الشوام والحلبية والرومية يجتمعون بالجمالية يوم تاريخه . فلم يجتمع منهم أحد .

٢١ منه (١٢ يونية ١٨٠٣ م) :

حضر الشريف عبدالله بن سرور ، وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحـو ستين نفرا ، وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج ، وأن عبد العزيز بن سعود الوهابى دخـل الى مكة من غير حرب ، وولى الشريف عبد المعين أميرا على مكة والشيخ عقيل قاضيا ، وأنه هدم قبة زمزم والقباب التى حول الكعبة والأبنية التى أعلى من الكعبة .. وذلك بعد أن عقد مجلسا بالحرم ، وباحثهم على ما الناس عليه من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة . وأخبروا أن الشريف غالب وشريف باشا ذهبا الى جدة وتحصنا بها ، وأنهم فارقوا الحجاج فى الجديدة .

وفيه : كتبـوا عرضحالين : أحدهما بصـورة ما وقع لمحمد باشا مع العساكر ، ثم قيام الانكشارية وقتلهم لطاهر باشـا ، ثم كـرة الأرنؤود عـلى الانكشارية لما أثاروا الفتنة مع أحمد باشا ، حتى اختلت أحوال المدينة ، وكاد يعمها الخراب ... لولا قرب الأمراء المصرلية وحضورهم . فسكنوا الفتنة، وكفـوا أيدى المعتـدين . والثانى يتضمن رفع الاحداثات التى فى ضمن الأوامر التى كانت مـع الدفتردار ، التى تقدمت الاشارة اليها .

وفيه : عزم الأمراء على التوجه الى جهة بحرى . فقصد البرديسى ، وصحبته محمد بيك — تابع محمد بيك المنفوخ — جهة دمياط ومعهم محمد على وعلى بيك أيوب وغيرهم ، وصحبتهم الجم الـكثير من العساكر والعربان ، ولم يتخلف الا ابراهيم بيك وأتباعه والحكام . وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحبته عساكر أيضا .

٢٣ منه (١٤ يونية ١٨٠٣ م) :

فيه عدى الكثير الى البر الشرقى .

٢٥ منه (١٦ يونية ١٨٠٣ م) :

قدم جاويش الحجاج بمكاتيب العقبة ، وأخبروا بموت الكثيرمن الناس بالحمىوالاسهال ، وحصل لهم تعب شديد من الغلاء أيضا ، ذهابا وايابا . ومات الشيخ أحمد العريشى الحنفى ودفن بنبط ، ومات أيضا محمد افندى باش جاجرت ودفن بالينبع . والشيخ على الخياط الشافعى .

وفيه : عدى ابراهيم بيك الى قصر العينى ، وركب مع البرديسى الى جهة الحلى ، وودعه ، ورجع الي قصر العينى فأقام به ، وجلس ابنه مرزوق بيك فى مضرب النشاب . واستمر وكيل الألفى مقيما بقصر الجيزة .

وفيه : وردت الأخبار بأن محمد باشا لما ارتحل من المنصورة الى دمياط ، أبقى بفارسكور ابراهيم باشا ومملوكه سليم ، كاشف المنوفية ، بعدة من العسكر ، فتحصنوا بها . فلما حضر اليهم حسن بيك أخو طاهر باشا بالعساكر ، تحاربوا معهم وملكوا منهم فارسكور ، فنهبوها وأحرقوها ، وفسقوا بنسائها ، وفعلوا ما لا خير فيه . وقتل سليم كاشف المنوفية المذكور أيضا .

ثم ان بعض أكابر العسكر المنهزمين أرسل الى حسن بيك يطلب منه أمانا — وكان ذلك خديعة منهم — فأرسل لهم أمانا . فحضروا اليه وانضموا لعسكره ، وسهلوا له أمر محمد باشا ، وأنه فى قلة وضعف ... وهم مع ذلك يراسلون أصحابهم ، ويشيرون عليهم بالعودة والتثبت ... الى أن عادوا وتأهبوا للحرب ثانيا . وخرج اليهم حسن بيك بعساكره ، وخلفه المنضافون اليه من أولئك ، فلما أن نشبت الحرب بينهم ، أخذوهم مواسطة ... فأثخنوهم . ووقعت فيهم مقتلة عظيمة ، وانهزموا الى فارسكور ، فتلقاهم أهل البلدة ، وكملوا قتلهم ، ونزلوا عليهم بالنبابيت والمساوق والحجارة .. جزاء لما فعلوه معهم ، حتى اشتفوا منهم . ولم ينج منهم الا من كان فى عزوة أو هرب الى جهة أخرى . وحضر الكثير منهم الى مصر فى أسوأ حال .

وفى يوم الجمعة والسبت حضر الكثير منحجاج المغاربة ، وصحبتهم مصاروة وفلاحون كثيرة .

٢٨ منه (١٩ يونية ١٨٠٣ م) :

فيه : حضرت مكاتبة من الديار الرومية على يد شخصيسمى صالح أفندى الى سكندرية . فأرسل خورشيد أفندى حاكم الاسكندرية يستأذن فى حضوره بمكاتبة على يد راشته [١] قنصل النيمسا . فذهب راشته الى ابراهيم بيك ، وأخبره وأطلعه على المكتوب الذى حضر له . فبعد ساعة وصل الخبر بوصول صالح افندى المذكور الى بولاق فأرسل ابراهيم بيك رضوان كتخدا وأحمد بيك الأرنؤودى ، وأمرهما بأن يأخذا ما معه من الأوراق ويأمراه بالرجوع بغير مهلة ، ولا يدعاه يطلع الى البر .. ففعلا ذلك .

ومضمون مافى تلك الأواق خطاب لطاهر باشا « وأنه بلغنا ما حصل من محمد باشا من الجور والظلم وقطع علوفات العسكر ، وأنهم قاموا عليه وأخرجوه ... وهذه عادة العساكر اذا انقطعت علوفانهم . وأننا وجهنا له ولاية سنانيك [٢] ، وأن طاهر باشا يستمر على المحافظة ، وأحمد باشا قائمقام الى أن يأتى المتولى » . وخطاب لمحمد باشا بمعنى ذلك .

والسر فى تقليد أحمد باشا قائمقام — دون طاهر باشا — أن طاهر باشا أرنؤودى وليس له الا طوخان . ومن قواعدهم القديمة أنهم لايقلدون الأرنؤود ثلاثة أطواخ أبدا .

---

(١) Rossetti كان هو والمحروقى من أصحاب النفوذ فى القاهرة بعد خسرو باشا ، وكانا يكرهان فرنسا ، والعداء — مع ذلك — مستحكم بينهما

(دكتور فؤاد عسكر — مصر فى القرن التاسع عشر حـ ١ ص ٤١)

(٢) سلونيك .

وفيه : دخل الكثير من الحجاج آخر النهار وفى الليل .

٢٩ منه (٢٠ يونية ١٨٠٣ م) :

دخل الجم الغفير من الحجاج ، ومات الكثير من الداخلين فى ذلك اليوم ، وكثير مرضى . وحصل لهم مشقة عظيمة ، وشوب وغلاء.. وخصوصا بعد مجاوزتهم العقبة . وبلغت الشربة الماء دينارا ، والبطيخة دينارين !

وكان حجاج كثير ، وأكثرهم أوباش الناس من الفلاحين والنساء وغير ذلك !

وخرج سليم أغا مستحفظان ، وصحبته جماعة من الانكشارية والكشاف والأجناد والعسكر ، فاستلموا المحمل من أمير الحج ، وأمروه بأن لايدخل المدينة ، بل يقيم بالبركة حتى يحاسبوه . ويسافر بمن معه من العسكر الى جهة الشام .

ثم رجعوا بالمحمل ودخلوا به المدينة وقت الظهر على خلاف العادة .

وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة ، هروبا من الوهابى . ولغط الناس فى خبر الوهابى ، واختلفوا فيه . فمنهم من يجعله خارجيا وكافرا — وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم — ومنهم من يقول بخلاف ذلك ، لخلو غرضه .

وأرسل الى شيخ الركب المغربى كتابا ، ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته ، وصورتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ... من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضر الا نفسه ، ولن يضر الله شيئا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

« أما بعد . فقد قال الله تعالى : « قل هذه سبيلى : أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » . وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » . وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » . فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين ، وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا بلزوم ما أنزل الينا من ربنا ، وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال تعالى : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء .. قليلا ما تذكرون » . وقال تعالى : « وان هذا صراطى مستقيما ، فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ... ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أن أمته تأخذ ما أخذ القرون قبلها : شبرا بشبر ، وذراعا بذراع .

« وثبت فى الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » ، قالوا : « يا رسول الله ... اليهود والنصارى ؟ » . قال : « فمن ؟ » .

« وأخبر فى الحديث الآخر ، أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار الا واحدة . قالوا : « من هى يا رسول الله ؟ » قال : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » .

« اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التى أعظمها : الاشراك بالله ، والتوجه الى الموتى ، وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات التى لايقدر عليها الا رب الأرض والسموات ... وكذلك التقرب

اليهم بالنذور وذبح القربان ، والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد ، وجلب الفوائد .. الى غير ذلك من أنواع العبادة التى لا تصلح الا لله . وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها . لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ، ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا . كما قال تعالى : « فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » . فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين الا ما كان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ، ويشفعوا لهم عنده . وأخبر أنه لا يهدى من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » . فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسايط يسألهم الشفاعة ، فقد عبدهم وأشرك به . وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » . وقال تعالى : « فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم » . وقال تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » . وهو سبحانه وتعالى لا يرضى الا التوحيد ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون » .

« فالشفاعة حق ، ولا تطلب فى دار الدنيا الا من الله . كما قال تعالى : « وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا » . وقال تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ... فان فعلت ، فانك اذا من الظالمين » .

« فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه — لا يشفع الا باذن الله... لا يشفع ابتداء ، بل يأتى فيخر لله ساجدا ، فيحمده بمحامد يعلمه اياها ، ثم يقال : « ارفع رأسك ، وسل ... تعط ، واشفع ... تشفع . ثم يحد له حدا فيدخلهم الجنة ... فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟ !

« وهذا الذى ذكرناه ... لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين . بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ... ممن سلك سبيلهم ، ودرج على منهاجهم .

« وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها ، واسراجها ، والصلاة عندها ، واتخاذها أعيادا ، وجعل السدنة والنذور لها... فكل ذلك من حوادث الأمور التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم أمته ، وحذر منها ... كما فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان » .

« وهو — صلى الله عليه وسلم — حمى جناب التوحيد أعظم حماية ، وسد كل طريق يؤدى الى الشرك . فنهى أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه ، كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث جابر . وثبت فيه أيضا : أنه بعث على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وأمره لا يدع قبرا مشرفا الا سواه ، ولا تمثالا الا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم » .

« فهذا هو الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل بهم الأمر الى أن

كفرونا وقاتلونا ، واستحلوا دماءنا وأموالنا ... حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم . وهو الذى ندعو الناس اليه ، ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع السلف الصالح من الأمة ... ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله » .

« فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، قاتلناه بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

« وندعو الناس الى اقامة الصلوات فى الجماعات على الوجه المشروع ، وايتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر . كما قال تعالى : « الذين ان مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور » .. فهذا هو الذى نعتقده وندين الله به . فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم ... له ما لنا وعليه ما علينا .

«ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، المتبعين للسنة ، لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لاتزال طائفة من أمته على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » .

أقول : ان كان كذلك .. فهذا ماندين الله به نحن أيضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين والمتعصبين . فقد بسط الكلام فى ذلك ابن القيم فى كتابه « اغاثة اللهفان » ، والحافظ المقريزى فى « تجريد التوحيد » ، والامام البوسى فى « شرح الكبرى » ، و « شرح الحكم » لابن عباد ، وكتاب « جمع الفضائل وقمع الرذائل » ، وكتاب « مصايد الشيطان » .. وغير ذلك .

وفى ذلك اليوم : نودى على المتخلفين من الانكشارية بالسفر صحبة أمير الحج ، وقبضوا على أنفار منهم وأخرجوهم . ومنعوا أيضا حجاج المغاربة من الدخول الى المدينة ، ومن دخل منهم لأجل حاجة ، فليدخل من غير سلاح . فذهبوا الى بولاق ، وأقاموا هناك .

٣٠ منه (٢١ يونية ١٨٠٣ م) :

مر الوالى بناحية الجمالية ، فوجد انسانا من أكابر غزة ، يسمى على أغا شعبان ، حضر الى مصر من جملة من حضر مع العرضى ، وكان مهندسا فى عمارة الباشا ، ثم عين لسد ترعة الفرعونية لمعرفته بأمور الهندسة . فوجده جالسا على دكان يتنزه حصة ، وفرسه وخدمه وقوف أمامه . فطلبه وأمره بالركوب معه . فركب وذهب صحبته .. فكان آخر العهد به !

وكان فى جيبه ألف دينار ذهبا ... باخبار أخيه ، خلاف الورق ، فأخذ ثيابه وفرسه وما معه ، وخنقه وأخفى أمره وأنكره . وكان رجلا لا بأس به .

ربيع الأول

السبت ٥ منه (٢٥ يونية ١٨٠٣ م) :

سافر أحمد باشا والعساكر الانكشارية الذين جمعوهم من المدينة ، وسافر صحبتهم من العساكر الذين كانوا صحبة أمير الحج ، والجميع كانوا نحو ألفين وخمسمائة . وأما أمير الحج فانهم عفوا عنه من السفر ، ودخل المدينة بخاصته .

وفى هذا اليوم : حضر على كتخدا من جهة قبلى — وهو كتخدا حسن باشا والى جرجا — ومعه مكاتبة الى الأمراء المصرلية ، وأنه وصل الى أسيوط . فكتبوا له أمانا بالحضور الى مصر بمن

معه من العسكر ، ورجع على كتخدا بذلك فى ثانى يومه فقط .

وفيه : ورد الخبر بوصول أنجد بيك الى ثغر دمياط بالريالة الى محمد باشا .

الاربعاء ٩ منه (٢٩ يونية ١٨٠٣ م) :

سافر الشريف عبد الله بن سرور الى سكندرية متوجها الى اسلامبول . وأنعم عليه ابراهيم بيك بخمسين ألف فضة .

الجمعة ١١ منه (أول يولية ١٨٠٣ م)

كان المولد النبوى ، ونادوا بفتح الدكاكين ووقود القناديل . فأوقدت الأسواق تلك الليلة ، والليلة التى قبلها .. ولكن دون ذلك . وأما الأزبكية فلم يعمل بها وقدة الا قبالة بيت البكرى ، لاستيلاء الخراب عليها .

السبت ١٢ منه (٢ يولية ١٨٠٣ م)

سفروا جبخانة وجللا وبارودا الى جهة بحرى . وأشيع بأن كثيرا من العسكر المصحوبين بالتجريدة ذهبوا الى محمد باشا ، وكذلك طائفة من الانكشارية المطرودين الذين خلصوا الى طريق دمياط .

الاثنين ١٤ منه (٤ يولية ١٨٠٣ م) :

وقع بين عثمان بيك البرديسى ومحمد باشا وعساكره مقتلة عظيمة ، وكانوا ملكوا منه متاريس



من المعركة

القنطرة البيضاء قبل ذلك ، ثم هجم المصريون فى ذلك اليوم عليهم هجمة عظيمة ، وكبسوا على دمياط بمخامرة بعض رؤساء عساكر الباشا ، وفتكوا فى عسكر الباشا بالقتل ، وقتلت خواصه وأتباعه ، وقتل حسين كتخدا شنن ومصطفى أغات التبديل ، ونهبوا دمياط ، وأسروا النساء ، وافتضوا الأبكار ، وأخذوهن أسرى ، وصاروا يبيعونهن على بعضهم ، وفعلوا أفعالا شنيعة من الفسق والفجور ، وأخذوا حتى ما على أجساد الناس من الثياب ، ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أسباب التجار التى بها من أصناف البضائع الشامية والرومية والمصرية — وكان شيئا كثيرا يفوق الحصر — وما بالمراكب . حتى بيع الفرد الأرز الذى هو نصف أردب بثلاثة عشر نصفا ، وقيمته ألف نصف ، والكيس الحرير الذى قيمته خمسمائة ريال ، بريالين .. الى غير ذلك ، والأمر لله وحده .

والتجأ الباشا الى القرية ، وتترس بها . فأحاطوا به من كل جهة ، فطلب الأمان ، فأمنوه . فنزل من القرية وحضر الى البرديسى وخطف عمامته بعض العسكر . ولما رآه البرديسى ترجل عن مركوبه اليه ، وتمنى بالسلام عليه ، وألبسه عمامة ، وأنزله فى خيمة بجانب خيمته متحفظا به . ولما وصل الخبر بذلك الى مصر ، ضربوا مدافع كثيرة من قصر العينى والقلعة والجيزة ومصر العتيقة . واستمر ذلك ثلاثة أيام بلياليها فى كل وقت .

وفى عصريتها حضر «جوخدار» البرديسى — وهو الذى قتل حسين آغا شنن — وحكى بصورة الحال . فألبسه ابراهيم بيك فروة ، وأنعم عليه ببلاد المقتول وبيته وزوجته وأملاكه ، وجعله كاشف الغربية . وذهب الى وكيل الألفى أيضا فخلع عليه فروة سمور ، وصار يبدر الذهب فى حال ركوبه .

الاربعاء ١٦ منه (٦ يولية ١٨٠٣ م) :

وردت مكاتبات من عثمان بيك البرديسي بالخبر بوقوع الحرب بينهم وبين محمد باشا وعساكره .

الجمعة ١٨ منه (٨ يولية ١٨٠٣ م) :

ذهب الجوخدار الي مقام الامام الشافعي ، وأرخى لحيته على عادتهم الي سنها البدنة ليعفيها بعد ذلك من الحلق .

وفي ذلك اليوم : عمل ابراهيم بيك ديوانا ببيت ابنته بدرب الجماميز ، وحضر القاضي والمشايخ ، ولبس خلعة وتولي قائمقام مصر ، وضربت في بيته النوبة التركية .

الاحد ٢٠ منه (١٠ يولية ١٨٠٣ م) :

ورد الخبر بوصول علي باشا الطرابلسي الي سكندرية واليا على مصر ، عوضا عن محمد باشا . وحضر منه فرمان خطابا للامراء يعلمهم بوصوله ، ويذكر لهم « أنه متولي علي الأقطار المصرية عوضا عن محمد باشا ، من اسكندرية الى أسوان . ولم يبلغ الدولة موت طاهر باشا ولا دخولكم الي مصر ، ومعنا أوامر لطاهر باشا وأحمد باشا : أنهم يتوجهون بالعساكر الي الحجاز بسبب الوهابيين . فلما وصلنا الى سكندرية ، بلغنا موت طاهر باشا وحضوركم الى المدينة بمعاونة الأرنؤودية ، وقتل رجال الدولة والانكشارية وقتل من معهم ، واخراج من بقي على غير صورة ، الى غير ذلك .

« وهذا غير مناسب ، ولا نرضى لكم بهذا على هذا الوجه ... فاننا نحب لكم الخير ، ولنا معكم عشرة سابقة ومحبة أكيدة ، ونطلب راحتكم في أوطانكم ، ونسعى لكم فيها على وجه جميل . وكان المناسب أن لا تدخلوا المدينة الا باذن من الدولة . فان تظاهركم بالخلاف والعصيان مما يوجب لكم عدم الراحة ، فان سيف السلطنة طويل .. فربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم » .

ثم قال لهم في ضمن ذلك : « ان لنا معكم بعض كلام لايحتمله الكتاب .. وعن قريب يأتيكم اثنان من طرفنا عاقلان ، تعملون معهما مشاورة » .

فكتبوا له جوابا حاصله : آن محمد باشا لما كان متوليا .. لم نزل نترجى مراحمه ، وهو لا يزداد الا قسوة معنا ، ولا يسمح لنا بالاقامة بالقطر المصري جملة . وجرد علينا التجاريد والعساكر من كل جهة ، وينصرنا الله عليه في كل مرة ... الى أن حصل بينه وبين عساكره وحشة بسبب جماكيهم وعلوفاتهم . فقاموا عليه وحاربوه ، وأخرجوه من مصر بمعونة طاهر باشا . ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلوه ظلما ، وقامت العساكر بعضهم على بعض .

وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا . فلما



منظر لضواحي دمياط

قتل طاهر باشا ، بقيت المدينة رعية من غير راع ، وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم . فحضر الينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا،فأرسلنا من عندنا من ضبط العساكر وأمن المدينة والرعية . وأما محمد باشا ، فانه نزل الى دمياط ، وظلم البلاد والعباد ، وفرد عليها الفرد الشاقة ، وحرقها . فتوجه عثمان بيك البرديسى لتأمين أهالى القرى ، الى أن وصل الى ظاهر دمياط فأقام بمن معه خارج المدينة .. فما يشعر الا ومحمد باشا صدمهم ليلا وحاربهم فحاربوه ، فنصرهم الله عليه ، وانهزمت عساكره وقبض عليه . وهو الآن عندنا فى الاعزاز والاكرام ، ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو !

وأما قولكم أننا نخرج من مصر .. فهذا لايمكن ، ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من أوطانهم بعد استقرارهم فيها . واما قولكم ان حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين . فاننا لا نستعين الا بالله ، وأننا أرسلنا عرضحال نطلب العفو ، ونترجى الرضا .. ومنتظرون الجواب .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٢ يولية ١٨٠٣ م) :

حضر واحد أغا ومعه آخر . فضربوا له مدافع ، وعملوا ديوانا ، وتكلم معهم ، وتكلم المشايخ الحاضرون فى ظلم العثمانيين وما أحدثوه من المظالم والمكوس ، واتفقوا على كتابة عرضحال الى الباشا. فكتبوا ذلك ، وأمضوا عليه ، ونادوا فى الأسواق برفع ما أحدثه الفرنساوية والعثمانية من المظالم وزيادة المكوس ودفعوا الى الأغا الواصل ألف ريال ... حق طريقه ، وسافر .

وفيه : وصل الخبر بأن سليمان كاشف لما وصل الى رشيد ، وبها جماعة من العثمانية . وحاكمها ابراهيم أفندى ، فلما بلغه وصول سليمان كاشف، أخلى له البلد ، وتحصن فى برج مغيزل . فعبر سليمان كاشف الى البلد ، وخرج يحاصر ابراهيم أفندى . فهم على ذلك .. واذا بالسيد على باشا القبطان وصل الى رشيد وأرسل الى سليمان كاشف يعلمه بحضوره وحضور على باشا والى مصر ، ويقول : « ماهذا الحصار ؟ » فقال له : « نحن نقاتل كل من كان من طرف حسين قبطان باشا .. وأما ماكان من طرف الوزير يوسف باشا فلا نقاتله » . وارتحل من رشيد الى الرحمانية ، ودخل السيد على القبطان الى رشيد .

الأربعاء ٢٣ منه (١٣ يولية ١٨٠٣ م) :

سافر جوخدار البرديسى الى ولاية الغربية ، وكان شاهين كاشف المرادى هناك يجمع الفردة ، وتوجه الى طنتدا ، وعمل على أولاد الخادم ثمانين ألف ريال . فحضروا الى مصر — ومعهم مفاتيح مقام سيدى أحمد البدوى — هاربين،وتشكوا وتظلموا ، وقالوا لابراهيم بيك : « لم يبق عندنا شىء ، فان الفرنساوية نهبونا وأخذوا أموالنا ، ثم ان محمد باشا أرسل المحروقى فحفر دارنا ، وأخذ منا نحو ثلثمائة ألف ريال ، ولم يبق عندنا شىء ... جملة كافية » .

الثلاثاء ٢٩ منه (١٩ يولية ١٨٠٣ م) :

وصل محمد باشا الى ساحل بولاق وصحبته المحافظون عليه — وهم جماعة من عسكر الأرنؤود الذين كانوا سابقا فى خدمته ، وجماعة من الأجناد المصرلية — ولم يكن معه من أتباعه الا ستة مماليك فقط ... فان مماليكه المختصين به اختار منهم البرديسى من اختاره ، واقتسم باقيهم الأرنؤود . ومنهم من يخدم الأرنؤود المحافظين عليه .

ووافق أن ذلك اليوم كان جمع سيدى أحمد البدوى ببولاق على العادة ، فنصبوا له خيمة لطيفة بساحل البحر ، وطلع اليها فرأى جمع الناس فظن



الخيمة اللطيفة ..

أنهم اجتمعوا للفرجة عليه فقال : « ماهذا ؟ » فأخبروه بصورة الحال .

وكان ابراهيم بيك فى ذلك اليوم حضر الى بولاق ، ودخل الى بيت السيد عمر نقيب الأشراف باستدعاء ، فجلس عنده ساعة ، ثم ركب الى ديوان بولاق ، فنزل هناك ساعة أيضا ، ثم ركب الى بيته بحارة عابدين .

فلما وصل الباشا ، كما ذكر ، حضر اليه سليم كاشف المحرمجى وأركبه حصانا ، وركب مماليكه حميرا ، وذهبوا به الى بيت ابراهيم بيك بحارة عابدين ، فوجدوا ابراهيم بيك طلع الى الحريم ، فلم ننزل اليه ولم نقابله فرجع به سليم كاشف الى بيت حسن كاشف جركس — وهو بيت البرديسى — فبات به .

فلما كان فى الصباح ، ركب ابراهيم بيك الى قصر العينى ، فركب المحرمجى وأخذ معه الباشا ، وذهب به الى قصر العينى ، فقابل ابراهيم بيك هناك وسلم عليه . وحضر الألفى وباقي الأمراء بجموعهم وخيولهم فترامحوا تحت القصر وتسابقوا ولعبوا بالجريد . ثم طلع أكابرهم الى أعلى القصر فصاروا يقبلون يد ابراهيم بيك فقط ، والباشا جالس ، حتى تحلقوا حواليهما . ثم ان ابراهيم بيك قدم له حصانا وقام وركب مع المحرمجى الى بيت حسن كاشف بالناصرية . فسبحان المعز المذل القهار !

الأربعاء غايته (٢٠ يولية ١٨٠٣ م) :

ركب ابراهيم بيك والألفى وذهبا الى الباشا وسلما عليه فى بيت البرديسى ، وهادياه بثياب وأمتعة . وبعد أن كانوا يترجون عفوه ، ويتمنون الرضا منه ، ويكونوا تحت حكمه .. صار هو يترجى عفوهم ، ويؤمل رفدهم واحسانهم ، وبقى تحت حكمهم ..

فالعياذ بالله من زوال النعم وقهر الرجال .

ربيع الآخر

٢ منه (٢٢ يولية ١٨٠٣ م) :

ضربت مدافع كثيرة بسبب اقامة بندبرة الانجليز بمصر .

وفيه : عدى البرديسى من المنصورة الى البر الغربى متوجها الى جهة رشيد .

٤ منه (٢٤ يولية ١٨٠٣ م) :

وردت هجانة من ناحية الينبع ، وأخبروا أن الوهابيين جلوا عن جدة ومكة بسبب أنهم جاءتهم أخبار بأن العجم زحفوا على بلادهم الدرعية ، وملكوا بعضها والأوراق فيها خطاب من شريف باشا وشريف مكة ... لطاهر باشا ، على ظن حياته .

٦ منه (٢٦ يولية ١٨٠٣ م) :

نادي الأغا والوالى بالأسواق على العثمانية

والأتراك والأغراب من الشوام والحلبية بالسفر والخروج من مصر ، فكل من وجد بعد ثلاثة أيام فدمه هدر . وأمروا عثمان بيك أمير الحاج بالسفر على جهة الشام من البر ، ويسافر المنادى عليهم صحبته ، وكذلك ابراهيم باشا .

٨ منه (٢٨ يولية ١٨٠٣ م) :

خرج عثمان بيك الى جهة العادلية ، وخرج الكثير من أعيان العثمانية معه ، وتتابع خروجهم فى كل يوم ، وصاروا يبيعون متاعهم وثيابهم .. وهم خزايا حيارى .. فى أسوأ حال ، وأكثرهم متأهل ومتزوج . ومنهم من نهب وسلب ، وصار لا يملك شيئا !

فلما تكامل خروجهم وسافروا فى عاشره ، وهم زيادة عن ألفين ، وبقى منهم أناس التجأوا الى بعض المصرلية والانجليز . واتتموا اليهم .

وفيه : وصلت الأخبار بأن البرديسى وصل الى رشيد ، وأن السيد على باشا ريس القبطانية تحصن ببرج مغيزل ، وغالب أهلها جلا عنها خوفا من مثل حادثة دمياط . ولما دخل عثمان بيك البرديسى الى رشيد ، فرد على أهلها مبلغ دراهم ، يقال ثمانين ألف ريال .

١٣ منه (٢ اغسطس ١٨٠٣ م) :

حضر قنصل الفرنسيس ، فعملوا له شنكا ومدافع ، وأركبوه من بولاق بموكب جليل ، وقدامه أغات الانكشارية والوالى وأكابر الكشاف وحسين كاشف المعروف بالأفرنجى وعساكره الذين مثل عسكر الفرنسيس ، وهيئته لم يتقدم مثلها بين المسلمين . ونصب بنديرته فى بركة الأزبكية من ناحية قنطرة الدكة ، على صارى طويل مرتفع فى الهواء .

واجتمع اليه كثير من النصارى الشوام والأقباط وعملوا جمعيات وولائم ، وازدحموا على بابه . وحضر صحبته كثير من الذين هربوا عند دخول المسلمين مع الوزير ، وكان المحتفل بذلك حسين كاشف الأفرنجى .

١٨ منه (٧ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصلت مكاتبة من البرديسى الى ابراهيم بيك يخبرفيها : « أنه لما وصل الى رشيد وتحصن السيد على باشا بالبرج...أرسل اليه ، فبعث له حسن بيك — قرابة على باشا الطرابلسى الوالى — فتكلم معه وقال له : « ما المراد ؟ ان كان حضرة الباشا واليا على مصر فليأت على الشرط والقانون القديم،ويقيم معنا على الرحب والسعة ، وان كان خلاف ذلك فأخبرونا به »..الى أن انتهى الكلام بيننا وبينه على مهلة ثلاثة أيام ... ورجع . وانتظرنا بعد مضى الميعاد بساعتين ، فلم يأتنا منهم جواب . فضربنا عليهم فى يوم واحد مائة وخمسين قنطارا من البارود . وأنكم ترسلون لنا أعظم ما يكون عندكم فى البنب والمدافع والبارود » .

فشهلوا المطلوب ، وأرسلوه فى ثانى يوم صحبة حسين الأفرنجى ، وتراسل الطلب خلفه ، ولحقوا به عدة أيام .

٢٠ منه (٩ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصل حسن باشا — الذى كان والى جرجا — الى مصر العتيقة . فركب ابراهيم بيك للسلام عليه ، وحضر الطبجية الى جبخانته ، فأخذوها وطلعوا بها الى القلعة ، وكذلك الجمال أخذها الجمالة ، والعسكر ذهبوا الى رفقائهم الذين بمصر . وطولب بالمال ، واستمر بمصر العتيقة مستحفظا به من كل ناحية .

٢٥ منه (١٤ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وقعت نادرة ، وهى أن محمد باشا طلب من

سليم كاشف المحرمجى أن يأذن له فى أن يركب الى خارج الناصرية لقصد التفسح . فأرسل سليم كاشف يستأذن ابراهيم بيك فى ذلك ، فاذن له بأن يركب ويعمل رماحة ، ثم يأتى اليه بقصر العينى فيتغدى عنده ثم يعود . وأوصى على ذبح أغنام ، ويعملون له كبابا وشواء .

فأركبه سليم كاشف بمماليكه وعدة من مماليك المحرمجى ، وصحبته ابراهيم باشا . فلما ركب وخرج الى خارج الناصرية ، أرسل جواده ورمحه ، وتبعه مماليكه من خلفه . فظن المماليك المصرلية أنهم يعملون رماحة ومسابقة . فلما غابوا عن أعينهم ، سباقوا خلفهم .. ولم يزالوا سائقين الى الأزبكية وهو شاهر سيفه ، وكذلك بقية الطاردين والمطرودين . فدخل الى أحمد بيك الأرنؤودى وضرب بعض المماليك فرسه ببارودة فسقط ، وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بيك المذكور..

ووصل الخبر الى سليم كاشف ، فركب على مثل ذلك بباقى أتباعه ، وهم شاهرون السيوف ورامحون الخيول . واتصل الخبر بابراهيم بيك ، فأمر الكشاف بالركوب ، وأرسل الى البواقى بالطلوع الى القلعة وحفظ أطارف البلد .

فركب الجميع ، وتفرقوا رامحين وبأيديهم السيوف والبنادق . فانزعجت الناس ، وترامحوا ، وأغلقوا الحوانيت ، واختلفت رواياتهم ، وظنوا وقوع الشقاق بين الأرنؤود والمصرلية . وكذلك المماليك المصرلية أيقنوا ذلك ، وطلع الكثير منهم الى القلعة .

ولما دخل محمد باشا عند أحمد بيك ومن معه من أكابر الأرنؤود ... قاموا فى وجهه ، ووبخوه بالكلام ، وقبضوا عليه وعلى مماليكه ، وأخذوا ما وجدوه معهم من الدراهم . وكان فى جيب الباشا خاصة ألف وخمسمائة دينار . وحضر سليم كاشف المحرمجى عند ذلك ، فسلموه له ، فأركبه الباشا أكديشا لأن فرسه أصيب ببارودة من بعض المماليك اللاحقين به وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بيك . وركب معه أحمد بيك أيضا ، وأخذوه الى عند ابراهيم بيك بقصر العينى . فخلع ابراهيم بيك على أحمد بيك فروة سمور وقدم له حصانا بسرجه . وسكنت الفتنة .. ونعوذ بالله من الخذلان ومعاداة الزمان .

٢٦ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وردت الأخبار ومكاتبة من البرديسى بنصرتهم على العثمانية ، واستيلائهم على برج رشيد بعد أن حاربوا عليه نيفا وعشرين يوما ، وأسروا السيد على القبطان وآخرين معه وعدة كثيرة من العسكر ، وأرسلوهم الى جهة الشرقية ليذهبوا على ناحية الشام ، بعد أن قتل منهم من قتل . فعند ذلك عملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة ، وكذلك فى ثانى يوم وثالث يوم .



بعض اعوان ابراهيم بيك يرمحون شاهرى السيوف

٢٩ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٣ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة ، وكان المنكسف تسعة أصابع — وهو نحو الثلثين — وأظلم الجو . وابتداؤه الساعة واحدة وثماني دقائق ونصف ، وتمام الانجلاء فى ثالث ساعة وست عشرة دقيقة. وكان ذلك فى أيام زيادة النيل . نسأل الله العفو والعافية ، فى الدين والدنيا والآخرة .

جمـــادى الأولى

السبت ٢ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٣ م الموافق ١٥ مسرى ١٥١٩ ق) :

وفى النيل سبعة عشر ذراعا ، وكسر سد الخليج صبحها بحضرة ابراهيم بيـك قائمقام والقاضى . وجرى الماء فى الخليج على العادة

وفيه : وردت الأخبار بأن على باشا كسر السد الذى ناحية أبى قير الحاجز على البحر المالح . وهذا السد من قديم الزمان من السدود العظام المتينـة السلطانية وتتفقده الدول على ممر الأيام بالمرمة والعمارة اذا حصل به أدنى خلل فلمـا اختلت الأحوال ، وأهمل غالب الأمور وأسباب العمارات ، انشرم منه شرم فسالت المياه المالحة على الأراضى والقرى التى بين رشيد وسكندرية ، وذلك فى نحو ستة عشرعاما . فلم يتدارك أمره واستمرحاله بزيد، وخرقه يتسع ، حتى انقطعت الطرق . واسـتمر ذلك الى واقعة الفرنسيس .

فلما حضرت الانكليز والعثمانية شرموه أيضا من النـاحية البحرية لأجـل قطع الطـرق على الفرنسس فسالت المياه المالحة على الأراضى الى قريب دمنهـور ، واختلطت بخليج الأشرفيـة . وشرقت الأراضى ، وخربت القرى والبلاد ، وتلفت المزارع ، وانقطعت الطرق حول الاسكندرية من البر،وامتنع وصول ماء النيل الى أهل الاسكندرية. فلم يصـل اليهم الا ما يصلهم من جهة البحر فى النقاير ، أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة .

فلما استقر العثمانيون بمصر ، حضر شخص من طرف الدولة يسمى صـالح أفنـدى معين لخصوص السد ، وأحضر معه عدة مراكب بهـا أخشـاب وآلات ، وبذل الهمة والاجتهاد فى سد الجسر . فأقام العمل فى ذلك نحو سنة ونصف حتى قارب الاتمـام ، وفرح النـاس بذلك غاية الفرح ، واستبشر أهل القرى والنواحى .

فما هو الا وقد حصلت هذه الحوادث ، وحضر على باشـا الى الثغر ، وخرج الأجناد المصرليـة وحاربوا السيد على باشا القبطان على برج رشيد . فخاف حضورهم الى الاسكندرية ، ففتحه ثانيـا ورجع التلف كما كان ، وذهب ما صنعه صالح أفندى المذكور فى الفارغ ... بعدما صرف عليـه أموالا عظيمة !

وأما أهل سكندرية ، فانهم جلوا عنها ، ونزل البعض فى المراكب وسافر الى أزمير ، وبعضهم الى قبرص ورودس والأضات . وبعضهم اكترى بالأيام وأقاموا بها على الثغر ، ولم يبق بالبلدة الا الفقراء والعواجز ، والذين لا يجـدون ما ينفقونه على الرحلة ، وهم أيضا مستوفزون . وعم بها الغلاء لعدم الوارد ، وانقطاع الطرق .

وقيل ان على باشا المذكور فرد عليهم مالا ، وقبض على ستة أنفار من أغنياء المغاربة ، واتهمهم أنهم كتبوا كتابا للبرديسى يعدونه انه اذا حضر يدلونه على جهة يملك منها البـلد بمعونة عسكر المغاربة . فأخذ منهم مائة وخمسين كيسا بشفاعة القبطان الذى فى البيليك بالثغر .

واجتهد فى حفر خندق حول البلد واستعملهم فى ذلك الحفر .. وفى عزمه أن يطلق فيه ماء البحر المالح . فان فعل ذلك ، حصل به ضرر عظيم . فقد

أخبر من له معرفة ودراية بالأمور ، أنه ربما خرب اقليم البحيرة بسبب ذلك !

واجتهدوا أيضا فى تحصين المدينة زيادة عن فعل الفرنسيس والانكليز .

السبت ٩ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصل السيد على القبطان الى مصر ، وطلع الى قصر العينى، وقابل ابراهيم بيك . فخلع عليه فروة سمور ، وقدم له حصانا معددا وأكرمه وعظمه . وأنزلوه عند على بيك أيوب ، وأعطوه سرية بيضاء وجارية حبشية وجاريتين سوداوين للخدمة ! ورتبوا له ما يليق به . وهو رجل جليل من عظماء الناس وعقلائهم .

وأخبر القادمون أن البرديسى والأجناد المصريين ارتحلوا من رشيد الى دمنهور قاصدين الذهاب الى سكندرية . وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة ومماليك وعساكر .

وفيه : أرادوا عمل فردة . وأشيع بين الناس ذلك ، فانزعجوا منه . واستمر الرجاء والخوف أياما . ثم انحط الرأى على قبض مال الجهات، ورفع المظالم والتحرير من البلاد والميرى عن سنة تاريخه من الملتزمين . ويؤخذ من القبط ألف وأربعمائة كيس ، هذا مع توالى وتتابع الفرد والكلف على البلاد ... حتى خرب الكثير من القرى والبلاد ، وجلا أهلها عنها ، خصوصا اقليم البحيرة فانه خرب عن آخره . ثم ان البرديسى استقر بدمنهور بعد ما أبقى برشيد مملوكه يحيى بيك ومعه جملة من العساكر ، وكذلك بناحية البغاز . وهم كانوا من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الامداد الذى أتاه من البحر ، وكان ما كان .

وشحن البرديسى برج مغيزل بالذخيرة والجبخانة . وأنزلوا برشيد عدة فرد ومغارم ، وفتحوا بيوت الراحلين عنها ونهبوها ، وأخذوا أموالهم من الشوادر والحواصل والأخشاب والأحطاب والبن والأرز . وقلت الأقوات فيهم والعليق ، فعلفوا الدواب بشعير الأرز ... بل والأرز المبيض .. وغير ذلك مما لا تضبطه الأقلام ، ولا تحيط به الأوهام !

الجمعة منتصفه (٢ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

فى أيام النسىء : نقص النيل نقصا فاحشا ، وانحدر من على الأراضى . فانزعج الناس وازدحموا على مشترى الغلال ، وزاد سعرها . ثم استمر يزيد قيراطا وينقص قيراطين الى أيام الصليب .

وانكبت الخلائق على شراء الغلال ، ومنع الغنى من شراء ما زاد على الاردب ونصف أردب ، والفقير لا يأخذ الا ويبة فأقل ، ويمنعون الكيل بعد ساعتين . فتذهب الناس الى ساحل بولاق ومصر القديمة ويرجعون من غير شىء .

واستمر سليم أغا مستحفظان ينزل الى بولاق فى كل يوم ، وصار الأمراء يأخذون الغلال القادمة بمراكبها قهرا عن أصحابها ويخزنونها لأنفسهم ... حتى قلت الغلة ، وعز وجودها فى العرصات والسواحل ، وقل الخبز من الأسواق والطوابين ، وداخل الناس وهم عظيم .. وخصوصا مع خراب البلاد بتوالى الفرد والمغارم .

وعز وجود الشعير والتبن ، وبيعت الدواب والبهائم بالسعر الرخيص بسبب قلة العلف .

واجتمع بعض المشايخ ، وتشاوروا فى الخروج الى الاستسقاء ... فلم يمكنهم ذلك لفقد شروطها . وذهبوا الى ابراهيم بيك وتكلموا معه فى ذلك . فقال لهم : « وأنا أجب ذلك .. ! » فقالوا له : « وأين الشروط التى من جملتها رفع المظالم وردها ، والتوبة والاقلاع عن الذنوب ، وغير ذلك » . فقال لهم : « هذا أمر لا يمكن .. ولا

يتصور .. ولا أقدر عليه .. ولا أحكم الا على نفسي ! » . فقالوا : « اذن . نهاجر من مصر » ، فقال : « وأنا معكم ! » . ثم قاموا وذهبوا .

فى اواخره (حوالى منتصف سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وردت الأخبار برجوع البرديسى ومن معه من العساكر . وقد كان أشيع أنهم متوجهون الى الاسكندرية ، ثم ثنى عزمه عن ذلك لأمور ... الأول وجود القحط فيهم وعدم الذخيرة والعلف . والثانى : الحاح العسكر بطلب جماكيهم المنكسرة وما يأخذونه من المنهوبات لا يدخل فى حساب جماكيهم . والثالث : العجز عن أخذ الاسكندرية لوعر الطريق ، وانقطاع الطرق بالمياه المالحة . فلو وصلوها ، وطال عليهم الحصار .. لايجدون ما يأكلون ولا ما يشربون .

جمادى الآخرة

الاحد غرته (١٨ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

نقص ماء النيل ، ووقف ماء الخليج ، وازدحم السقاءون على نقل الماء الى الصهاريج والأسبلة ليلا ونهارا من الخليج ، وقد تغير ماؤه بما ينصب فيه من الخرارات والمراحيض !

ولم ينزل بالأراضى التى بين بولاق والقاهرة قطرة ماء . وزاد ضجيج الناس ، وارتفعت الغلات من السواحل والعرصات بالكلية . فكانت الفقراء من الرجال والنساء يذهبون بغلقانهم الى السواحل ويرجعون بلا شيء ، وهم يبكون ويولولون !

الجمعة ٦ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وصل البرديسى ومن معه من العساكر الى بر الجيزة ، وخرج الأمراء وغيرهم وعدوا لملاقاتهم .

فلما أصبح يوم السبت ، عدى محمد على والعساكر الأرنؤودية الى بر مصر . وكذلك البرديسى .. فخرجت اليهم الفقراء بمقاطفهم وغلقانهم ، وعيطوا فى وجوههم ... فوعدهم بخير وأصبح البرديسى مجتهدا فى ذلك ، وأرسل محمد على وخازنداره ، ففتحوا الحواصل التى ببولاق ومصر العتيقة ، وأخرجوا منها الغلال الى السواحل . واجتمع العالم الكثير من الرجال والنساء ، فأذنوا لكل شخص من الفقراء بويبة غلة لا غير . فكان الذى يريد الشراء يذهب الى خازندار البرديسى ويأخذ منه ورقة بعد المشقة والمزاحمة ، ويذهب بها . فيكيلون له ويدفع ثمنها لصاحب الغلة ، وما رتبوه عليها . فحصل للناس اطمئنان . واشترى الخبازون أيضا ، وفتحوا الطوابين والمخابز ، وخبزوا وباعوا ، فكثر الخبز والكعك بالأسواق . وجعلوا سعر القمح ستة ريال الأردب ، والفول خمسة ريال ، وكذلك الشعير ان وجد . وكان السعر لا ضابط له : منهم من كان يشتريه بثمانية وتسعة وسبعة خفية ، ممن توجد عنده الغلة فى مصر أو الأرياف . فعند ذلك سكن روع الناس ، واطمأنت نفوسهم ، وشبعت عيونهم ، ودعوا لعثمان بيك البرديسى !

وفى هذا الشهر تحقق الخبر بجلاء الوهابى عن جدة ومكة ورجوعه الى بلاده . وذلك بعد أن حاصر جدة وحاربها تسعة أيام ، وقطع عنها الماء . ثم رحل عنها وعن مكة ، ورجع الشريف غالب الى مكة وصحبته شريف باشا ، ورجع كل شيء الى حاله الأول .. ورد المكوس والمظالم !

الأحد ٨ منه (٢٥ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وصل البرديسى الى بيته بالناصرية — وهو بيت حسن كاشف جركس وبيت قاسم بيك — وقد فرشا له ، ونقلوا محمد باشا من بيت جركس الى دار صغيرة بجواره وعليه الحرس .

الاثنين ٩ منه (٢٦ سبتمبر ١٨٠٣) :

عملوا ديوانا عند ابراهيم بيك . فاجتمع فيه هو والبرديسى والألفى وتشاوروا فى أمر جامكية العسكر ، فوزعوا على أنفسهم قدرا ، وكذلك على باقى الأمراء والكشاف والأجناد ... كل منهم على قدر حاله فى الايراد والمراعاة : فمنهم من وزع عليه عشرون كيسا ، ومنهم عشرة ، وخمسة ، واثنان ، وواحد ، ونصف واحد .

وطلبوا من جمرك البهار قدرا كبيرا ، فعملوا على كل فرقتين مائة ريال ، وفتحوا الحواصل وأخرجوا منها متاع الناس ، وباعوه بالبخس على ذلك الحساب ... وأصحابه ينظرون !

وأخذوا بن الحضارمة والينبعاوية ، بحيث وقف الفرق البن بستة ريال على صاحبه ، وأخذوا من ذلك الأصل ألف فرق بن ، وأخرجت من الحواصل وحملت .

السبت ١٤ منه (اول اكتوبر ١٨٠٣ م) :

أنزلوا فردة أيضا على أهل البلد ، ووزعوها على التجار وأرباب الحرف ... كل طائفة قدرا من الأكياس : خمسين فما دونها ، الى عشرة وخمسة وبث الأعوان للمطالبة . فضج الناس ، وأغلقوا حوانيتهم ، وطلبوا التخفيف بالشفاعات والرشوات للوسايط والنصارى ، فخفف عن البعض . وبعد منتصف الشهر انقلب الوضع المشروع فى الغلة ، وانعكس الحال الى أمر شنيع . وهو أنهم سعروها كل أردب بستة ريال بظاهر الحال ، ولا يبيع صاحب الغلة غلته الا باذن من القيم بعد ما يأخذ منه نصف الغلة أو الثلث أو الربع — على حسب ضعفه وقوته — من غير ثمن . واذا أراد ذو الجاه الشراء ذهب أولا سرا وقدم المصلحة والهدية الى بيت القيم ، فعند ذلك يؤذن له فى مطلوبه ، فيكيلون له الغلة ليلا . وصار يتأخر فى حضوره الى الساحل الى قريب الظهر ، فيذهب الناس والفقراء فينتظرونه واذا حضر ازدحموا عليه ، وتقدم أرباب المصانعات والوسايط فيؤذن لهم ، ويؤخذ منهم عن كل أردب ريال ... يأخذها القيم لنفسه زيادة عن الثمن وعن الكلفة — وهى نحو الخمسين فضة — خلاف الأجرة ! ويرجع الفقراء من غير شىء .

وأطلقوا للمحتسب أن يأخذ فى كل يوم أربعمائة أردب : منها مائتان للخبازين ، ومائتان توضع بالعرصات داخل البلد . فكان يأخذ ذلك الى داره ، ولا يضعون بالعرصات شيئا ، ويعطى للخبازين من المائتين ، خمسين أردبا أو ستين ! ويبيع الباقى بأغراضه بما أحب من الثمن ليلا . فضج الناس ، وشح الخبز من الأسواق ، وخاطب بعض الناس الأمراء الكبار فى شأن ذلك . واستمر الحال على ذلك الى آخر الشهر .. والأمر فى شدة . وتسلط العسكر والمماليك على خطف ما يصادفونه من الغلة أو التبن أو السمن فلا يقدر من يشترى شيئا من ذلك أن يمر به ، ولو قل ، حتى يكترى واحدا عسكريا ، أو مملوكا يحرسه حتى يوصله الى داره .

وان حضرت مركب بها غلال وسمن وغنم من قبلى أو بحرى ، أخذوها ونهبوا ما فيها جملة ، فكان ذلك من أعظم أسباب القحط والبلاء !

الجمعة ٢٠ منه (٧ اكتوبر ١٨٠٣ م) :

مات محمد بيك الشرقاوى ، وهو الذى كان عوض سيده عثمان بيك الشرقاوى .

رجب

فى غرته (١٧ اكتوبر ١٨٠٣ م) :

رفعوا خازندار البرديسى من الساحل ، وقلدوا محمد كاشف — تابع سليمان بيك الأغا — أمين

البحرين والساحل . ورفق بالأمر ، واستقر سعر الغلة بألف ومائتين نصف فضة.. الأردب ، فتواجدت بالرقع والساحل ، وقل الخطف . وأما السمن فقل وجوده جدا ، حتى بيع الرطل بستة وثلاثين نصفا، فيكون القنطار بأربعين ريالا . وأما التبن فصار يباع بالقدح ان وجد ، وسرب الناس بهائمهم من عدم العلف .

وفيه : حضر واحد انكليزى وصحبته مملوك الألفى وبعض من الفرنسيس ، فعملوا لهم شنكا ومدافع . وأشيع حضور الألفى الى اسكندرية ، ثم تبين أن هذا الانكليزى أتى بمكاتبات . فلما مر على مالطة وجد ذلك المملوك ، وكان قد تخلف عن سيده لمرض اعتراه ، فحضر صحبته الى مصر . فأشيع فى الناس أن الألفى حضر الى الاسكندرية ، وأن هذا خازنداره سبقه بالحضور .. الى غير ذلك .

وفيه : حضر أيضا بعض الفرنسيس بمكاتبة الى القنصل بمصر ، وفيها الطلب بباقى الفردة التى بذمة الوجاقلية . فخاطب القنصل الأمراء فى ذلك ، فعملوا جمعية ، وحضر المشايخ وتكلموا فى شأن ذلك ، ثم قالوا : « ان الوجاقلية الذين كانت طرفهم تلك الفردة ... مات بعضهم ، وهو يوسف باشجاويش ، ومصطفى كتخدا الرزاز — وهم عظماؤهم — ومن بقى منهم لا يملك شيئا » . فلم يقبلوا هذا القول ، ثم اتفق الأمر على تأخير هذه القضية الى حضور الباشا ويرى رأيه فى ذلك .

وحضر أيضا صحبة أولئك الفرنسيس الخبر بموت يعقوب القبطى ، فطلب أخوه الاستيلاء على مخلفاته ، فدافعته زوجته ، وأرادت أخذ ذلك على مقتضى شريعة الفرنسيس . فقال أخوه : « انها ليست زوجته حقيقة،بل هى معشوقته ، ولم يتزوج بها على ملة القبط ، ولم يعمل لها الاكليل الذى



قبط مصر

هو عبارة عن عقد النكاح ... فأنكرت ذلك . فأرسل الفرنسيس يستخبرون من قبط مصر عن حقيقة ذلك . فكتبوا لهم جوابا بأنها لم تكن زوجته على مقتضى شرعهم وملتهم ، ولم يعمل بينهم الاكليل ، فيكون الحق فى تركته لأخيه .. لا لها .

وفيه : ورد الخبر بوقوع حادثة بالاسكندرية بين عساكر العثمانية وأجناس الأفرنج المقيمين بها . واختلفت الرواة فى ذلك . وبعد أيام وصل من أخبر بحقيقة الواقعة ، وهى : أن على باشا رتب عنده طائفة من عسكره على طريقة الأفرنج . فكان يخرج بهم فى كل يوم الى جهة المنشية ويصطفون ويعملون مرش واردبوش ! ثم يعودون ، وذلك مع انحراف طبيعتهم عن الوضع فى كل شىء . فخرجوا فى بعض الأيام ثم عادوا فمروا بمساكن الأفرنج ووكالة القنصل ، فأخرج الافرنج رءوسهم من الطيقان ، نساء ورجال ، ينظرون ركبهم ، ويتفرجون عليهم كما جرت به العادة فضربوا عليهم من أسفل بالبنادق ، فضرب الافرنج عليهم أيضا ... فلم يكن الا أن هجموا عليهم ، ودخلوا يحاربونهم فى أماكنهم ، والافرنج فى قلة . فخرج القناصل الستة ومن تبعهم ، ونزلوا الى البحر ، وطلعوا غليون الريالة ، وكتبوا كتابا بصورة الواقعة ، وأرسلوه الى اسلامبول والى بلادهم .

وأما العسكر أتباع الباشا فانه لما خرج الأفرنج وتركوا أماكنهم ، دخلوا اليهـا ، ونهبوا متاعهم وما أمكنهم . وأرسل الى القناصل خورشيد باشا فصالحهم وأخذ بخواطرهم ، واعتذر اليهم وضمن لهم ما أخذ منهم ، فرجعوا بعد علاج كبير.

وجمع الباشا علماء البلدة وأعيانها وطلب منهم كتابة عرض محضر على ما يمليه ، على غير صورة الحال . فامتنعوا عن الكتابة الا بصورة الواقع . وكان المتصدر للرد الشيخ محمد المسيرى المالكى ، فمقتـه ووبخه . ومن ذلك الوقت صار يتكلم فى حقه ويزدريه اذا حضر مجلسه . وسكنت على ذلك .

٤ منه (٢٠ اكتوبر ١٨٠٣ م) :

اجتمـع المشـايخ وذهبوا الى ابراهيم بيك ، وكلموه بسبب ما أخـذوه من حصـــة الالتزام بالحلوان أيام العثمانيين . ثم اسـتولى على ذلك جماعتهم وأمراؤهم . فطمنهم بالـكلام اللين على عادته ، وكلموه أيضـا على خبز الجراية المرتبـة لفقراء الأزهر ؛ فأطلق لهم دراهم تعطى للخبـاز يعمل بها خبزا .

٨ منه (٢٤ اكتوبر ١٨٠٣ م) :

كتبوا مراسلة على لسان المشايخ ، وأرسلوها الى على باشـا باسكندرية ، مضمونها : طلبـه لمنصبه ، والحضور الى مصر ليحصل الاطمئنـان، والسكون وتأمين الطرقات ، ويبطل أمر الاهتمام بالعساكر والتجاريد ، ولأجل الأخذ فى تشهيل أمور الحج . وان تأخر عن الحضور ربمـا تعطل الحج فى هـذه السنة ، ويكون هو السبب فى ذلك .. الى غير ذلك من الكلام .

١٠ منه (٢٦ اكتوبر ١٨٠٣ م) :

سافر جعفر كاشـف الابراهيمى رسـولا الى أحمد باشا الجزار بعكا ، لغرض باطنى لم يظهر .

وفى هـذه الأيام : كثرت الغـلال بالسـاحل والعرصات ، ووصلت مراكب كثيرة ، وكثر الخبز بالأسواق ، وشبعت عيون الناس ، ونزل السـعر الى ثمانية ريال وسبعة . وانكفوا عن الخطف الا فى التبن .

١٥ منه (٣١ اكتوبر ١٨٠٣ م) :

فتحوا طلب مال الميرى ومال الجهات ، ورفع المظالم عن سنة تاريخه . وعين لطلبها من البـلاد أمراء كبار ، ووجهت الغربية والمنـوفية لعسـكر الأرنؤود ، فزاد على ذلك حـق الطرق للمعينين للطلب والاستعجالات ، وتكثير المغـارم والمعينن وكلفهم على من يتوانى فى الدفـع . هـذا وطلب الفـردة مستمر حتى على أعيـان الملتزمين ، ومن تأخر عن الدفع ضبطوا حصته وأخذوها وأعطوها لمن يدفع ما عليها من مياسير المماليك . فربماصالح صاحبها بعد ذلك عليها ، واستخلصها من واضع اليد ... ان أمكنه ذلك .

فى اواخره (حوالى منتصف نوفمبر ١٨٠٣ م) :

نبهوا على تعمير الدور التى أخربها الفرنسيس . فشرع الناس فى ذلك ، وفردوا كلفها على الدور والحوانيت والرباع والوكائل . وأحـدثوا على الشوارع السالكة دروبا كثيرة لم تكن قبل ذلك . وزاد الحال ، وقلد أهل الأخطاط بعضهم كما هو طبيعة أهل مصر فى التقليد فى كل شىء ! حتى عملوا فى الخطة الواحدة دربين وثلاثة . واهتموا لذلك اهتماما عظيما ، وظنوا ظنونا بعيـدة ، وأنشـأوا بدنات وأكتافا من أحجـار منحـوتة ، وبوابات عظيمة . ولزم لبعضها هدم حوانيت اشتروها من أصحابها . وفردوا أثمانها على أهل الخطة .

وفى أواخره أيضا : تجزت عمارة عثمان بيك البـرديسى فى الأبراج والبوابات التى أنشـأها بالناصرية . فأنه أنشأ بوابتين عظيمتين بالرحبـة

المستطيلة خارج بيته .. الذى هو بيت حسن كاشف جركس : احداهما عند قناطر السباع ، والأخرى عند المزار المعروف بكعب الأحبار . وبنى حولهما أبراجا عظيمة ، وبها طيقان بداخلها مدافع أفواهها بارزة تضرب الى الخارج ، ونقل اليها مدافع الباشا التى كانت بالأزبكية .. فسبحان مقلب الأحوال .

وفيه : نزل ابراهيم بيك والبرديسى وحسين بيك اليهودى الى بولاق ، وأخذوا ما وجدوه بساحل الغلة ، وأرسلوه الى بحرى . فارتج الناس من ذلك ، وعزت الغلال ، وزاد سعرها بعد الانحلال .

شعبان

الأربعاء غرته (١٦ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

وصل كاتب ديوان على باشا — الذى يقال له ديوان أفندى — وعلى يديه مكاتبة وهى صورة خط شريف وصل من الدولة مضمونه : الرضا عن الأمراء المصرلية بشفاعة صاحب الدولة الصدر الأعظم يوسف باشا ، وشفاعة على باشا والى مصر ، وأن يقيموا بأرض مصر . ولكل أمير فائظ خمسة عشر كيسا لاغير ، وحلوان المحلول ثمانى سنوات ، وأن الأوسية والمضاف والبرانى يضم الى الميرى ، وأن الكلام فى الميرى والأحكام والثغور ... الى الباشا ، والروزنامجى الذى يأتى صحبة الباشا . والجمارك والمقاطعات ، على النظام الجديد ، للدفتردار الذى يحضر أيضا .

فلما قرىء ذلك بحضرة الجمع من الأمراء والمشايخ ، أظهروا البشر ، وضربوا مدافع . ثم اتفق الرأى على ارسال جواب ذلك الفرمان . فكتبوا جوابا مضمونه مختصرا « أنه وصل الينا صورة الخط الشريف ، وحصل لنا بوروده السرور بالعفو والرضا . وتمام السرور حضوركم لتنتظم الأحوال ، وأعظمها تشهيل الحج الشريف » .

وأرسلوه ليلة الاثنين ثانيه ، صحبة رضوان كتخدا ابراهيم بيك ، ومحمود باشجاويش الانكشارية ، وصحبتهما من الفقهاء السيد محمد ابن الدواخلى من طرف الشيخ الشرقاوى .

وفى هذه الأيام : كثر عبث العسكر وعربدتهم فى الناس ، فخطفوا عمائم وثيابا ، وقبضوا على بعض أفراد ، وأخذوا ثيابهم وما فى جيوبهم من الدراهم .

وفيه : وصل قاضى عسكر مصر ، وكان معوقا بالاسكندرية من جملة المحجوز عليهم .

الأربعاء ٨ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

حضر الوالى الى قصر الشوك ، ونزل عند رجل من تجار خان الخليلى يسمى عثمان كجك . فتعشى عنده ، ثم قبض عليه وختم على بيته ، وأخذه صحبته ، وخنقه تلك الليلة ورماه فى بئر . فاستمر بها أياما حتى انتفخ . فأخرجوه وأخذته زوجته فدفنته !

وسببه : أنه كان يجتمع بالعثمانيين ، ويغريهم بنساء الأمراء ، وأن بعضهم اشترى منه أوانى نحاسا ولم يدفع له الثمن . فطالب حريمه فى أيام محمد باشا . فلم تدفع له ، فعين عليها جماعة من عسكر محمد باشا ، ودخل بهم الى دارها وطالبها ، فقالت : ليس عندى شىء . فطلع الى داخل الحريم وصحبته العسكر ، ودخل الى المطبخ ، وأخذ قدور الطعام من فوق الكوانين ، وقلب ما فيها من الطعام ، وأخذها وخرج .

الجمعة ١٠ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

وقف جماعة من العسكر فى خط الجامع الأزهر ، فى طلوع النهار ، وشلحوا عدة أناس وأخذوا ثيابهم وعمائمهم . فانزعج الناس ، ووقعت فيهم كرشة ، وصلت الى بولاق ومصر العتيقة ،

وأغلقوا الدكاكين . واجتمع أناس وذهبوا الى الشيخ الشرقاوى والسيد عمر النقيب والشيخ الأمير . فركبوا الى الأمراء ، وعملوا جمعية ، وأحضروا كبار العساكر وتكلموا معهم .

ثم ركب الأغا والوالى وأمامه عدة كبيرة من عسكر الأرنؤود وخلافهم . والمنادى ينادى بالأمن والأمان للرعية . وان وقع من العسكر أو المماليك خطف شيء ... يضربوه ، وان لم يقدروا عليه فليأخذوه الى حاكمه .. ومثل هذا الكلام الفارغ !

وبعد مرور الحكام بالمناداة ... خطفوا عمائم ونساء !

الاحد ١٢ منه (٢٧ نوفمبر ١٨٠٣م) :

نبه القاضي الجديد على أن نصف شعبان ليلة الثلاثاء ، وأخبر أن أتباعه شاهدوا الهلال ليلة الثلاثاء وهم عند البغاز . على أن الهلال كان ليلة الأربعاء عسر الرؤية جدا . فكان هذا أول أحكامه الفاسدة !

الأربعاء ١٥ منه (٣٠ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

أشيع أن الأمراء فى صبحها ، قاصدون عمل ديوان ببيت ابراهيم بيك ليلبسوا ستة من الكشاف، ويقلدوهم صناجق عوضا عمن هلك منهم . وهم : سليمان كاشف مملوك ابراهيم بيك الوالى ، الذى تزوج عديلة بنت ابراهيم بيك الكبير عوضا عن سيده ، وعبد الرحمن كاشف مملوك عثمان بيك المرادى الذى قتل بأبى قير ، الذى تزوج امرأة سيده أيضا ، وعمر كاشف مملوك عثمان بيك الأشقر الذى تزوج امرأة سيده أيضا ، ومحمد كاشف مملوك المنفوخ ، ورستم كاشف مملوك عثمان بيك الشرقاوى ، ومحمد كاشف مملوك سليمان بيك الأغا ، وتزوج ابنته أيضا .

فلما وقع الاتفاق على ذلك . تجمع الكشاف



لفيف من الأمراء والصناجق

الكبار ، ومماليك مراد بيك ، وآخرون من طبقتهم ، وخرجوا غضابا نواحى الآثار ، ثم اصطلحوا على تلبيس خمسة عشر صنجقا .

الاحد ١٩ منه (٤ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

عملوا ديوانا بالقلعة ، وألبسوا فيه خمسة عشر صنجقا ، وهم أربعة من طرف ابراهيم بيك الكبير ، وهم صهراه : سليمان زوج عديلة هانم ابنة الأمير ابراهيم بيك الكبير عوضا عن سيده ، واسماعيل كاشف مملوك رشوان بيك الذى تزوج بزوجة سيده زينب هانم ابنة الأمير ابراهيم بيك أيضا ، ومحمد كاشف الغربية ، وعمر تابع عثمان كاشف الأشقر الذى تزوج بامرأته ، وخليل أغا كتخدا ابراهيم .

ومن طرف البرديسى : حسين أغا الوالى ، وسليمان خازندار مراد بيك ، وشاهين كاشف مراد ، ومحمد تابع محمد بيك المنفوخ المرادى ، ورستم تابع عثمان بيك الشرقاوى ، وعبد الرحمن كاشف تابع عثمان بيك الطنبرجى ... الذى تزوج بامرأته .

ومن طرف الألفي : عثمان آغا الخازندار ، وحسين كاشف المعروف بالوشاش ، وصالح كاشف ، وعباس كاشف تابع سليمان بيك الأغا .

ولبسوا حسن آغا مراد والى عوضا عن حسين المذكور .

وفيه : ورد الخبر بوصول طائفة من الانكليز الى القصير ، وهم يريدون على الألفين .

الاثنين ٢٠ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

حضر مكتوب من رضوان كتخدا ابراهيم بيك من اسكندرية ، يخبر فيه : أنه وصل الى اسكندرية ، وقابل الباشا ، ووعد بالحضور الى مصر ، وأنه يأمر بتشهيل أدوات الحج ولوازمه . وأطلق أربعة وأربعين نقيرة حضرت الى رشيد ببضائع للتجار .

وفيه : حضر جعفر كاشف الابراهيمى من الديار الشامية ، وقد قابل أحمد باشا الجزار وأكرمه ، ورجع بجواب الرسالة . وسافر ثانيا بعد أيام .

وفيه : قلدوا سليمان بيك الخازندار ولاية جرجا ، وخرج بعسكره الى مصر القديمة ، وجلس هناك بقصر المحرمجى . فاتفق أن جماعة من عسكره الأتراك الذين انضموا اليهم من العثمانية ، تشاجروا مع العساكر البحرية جماعة حسين بيك اليهودى بسبب امرأة رقاصة فى قهوة . فقتل من الأتراك ثلاثة ، ومن البحرية أربعة ، وانجرح منهم كذلك جماعة . فحنق حسين بيك وترس بالمقياس وبالمراكب ، ووجه المدافع الى القصر وضرب بها عليه .

وكان سليمان بيك غائبا عن القصر . فدخلت جلة داخل القصر من الشباك بين جماعة من الأمراء كانوا جالسين هناك ينتظرون رب المكان ، ففزعوا وخرجوا من المجلس . وبلغ سليمان بيك الخبر ، فذهب الى البرديسى وأعلمه . فأرسل البرديسى يطلب حسين بيك . فامتنع من الخضور ، والتجأ الى الألفى .

فأرسل البرديسى خبرا الى الألفى بعزل حسن بيك عن قبطانية البحر ، وتولية خلافه . فلم يرض الألفى بعزله ، وقال : « لايذهب .. ولا يعزل » ، وترددت بينهم الرسل ، وكادت تكون فتنة . ثم انحط الأمر على أن حسين بيك يطلع الى القلعة يقيم بها يومين أو ثلاثة تطييبا لخاطر سليمان بيك واخمادا للفتنة . فكان كذلك ، واستمر على ما هو عليه .

الأحد ٢٦ منه (١١ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ألبس ابراهيم بيك عثمان كاشف تابع على أغا كتخدا جاويشان ، واستقروا به كتخدا جاويشان عوضا عن سيده . وكان شاغرا من مدة حلول الفرنساوية .

الثلاثاء ٢٨ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ركب حسن بيك أخو طاهر باشا فى عدة وافرة ، وحضر الى بيت عثمان بيك البرديسى بعد العصر على حين غفلة . وكان عند الحريم ، فانزعج من ذلك ، ولم يكن عنده فى تلك الساعة الا أناس قليلة . فأرسل الى مماليكه . فلبسوا أسلحتهم وأرسلوا الى الأمراء والكشاف والأجناد بالحضور. وتوانى فى النزول حتى اجتمع الكثير منهم ، وصعد بعض الأمراء الى القلعة ، وحصل بعض قلقة . ثم نزل الى التنهة وأذن لأخى طاهر باشا بالدخول اليه فى قلة من أتباعه ، وسأله عن سبب حضوره على هذه الصورة . فقال : « نطلب العلوفة » . ووقع بينهما بعض كلام . وقام وركب ولم يتمكن من غرضه .

وأرسل البرديسي الى محمد علي ، فحضر اليه وفاوضه في ذلك . ثم ركب من عنده بعد المغرب .

وفي تلك الليلة : نادوا بعمل الرؤية . فاجتمع المشايخ عند القاضي وكلموه في ذلك ، فرجع عما كان عزم عليه . ونادوا بها ليلة الخميس . فعملت الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب بموكبه على العادة الى بيت القاضي . فلم يثبت الهلال تلك الليلة .

ونودي بأنه من شعبان ، وأصبح الناس مفطرين . فلما كان في صبحها حضر بعض المغاربة وشهدوا برؤيته . فنودي بالامساك وقت الضحى !

وترقب الناس الهلال ليلة الجمعة . فلم يره الا القليل من الناس بغاية العسر ، وهو في غاية الدقة والخفاء .

رمضان

٢ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

قرروا فردة على البلاد برسم نفقة العسكر ، أعلى وأوسط وأدنى : ستين الفا ، وعشرين ألفا ، وعشرة ... مع ما الناس فيه من الشراقي والغلاء والكلف والتعابين وعبث العسكر ، وخصوصا بالأرياف .

وفيه : نزلت الكشاف الى الأقاليم . وسافر سليمان بيك الخازندار الى جرجا واليا على الصعيد . وصالح بيك الألفي الى الشرقية .

٨ منه (٢٢ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

وصل الى ساحل بولاق عدة مراكب بها بضائع رومية ويميش ، وهي التي كان أطلقها الباشا . وفيها حجاج وفرمان .

وفيه : حضر ساع من سكندرية وعلى يده مكتوب من رضوان كتخدا ومن بصحبته ، يخبرون بأن الباشا كان وعدهم بالسفر يوم الاثنين ، وبرز خيامه وخازنداره الى خارج البلد . فورد عليه مكاتبة من أمراء مصر يأمرونه بأن يحضر من طريق البر على دمنهور ، ولا يذهب الى رشيد .

فانحرف مزاجه من ذلك ، وأحضر الرسل الذين هم : رضوان كتخدا ومن معه ، وأطلعهم على المكاتبة ، وقال لهم : « كيف تقولون اني حاكمكم وواليكم ، ثم يرسلون تتحكمون على أني لا أذهب الى مصر على هذا الوجه ؟ » ، فأرسلوا بخبر ذلك .

١٣ منه (٢٧ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

غيمت السماء غيما مطبقا ، وأمطرت مطرا عظيما متتابعا ... من آخر ليلة الأربعاء الى سادس ساعة من ليلة الخميس .

وسقط بسببها عدة أماكن قديمة في عدة جهات ، وبعضها على سكانها ، وماتوا تحت الردم . وزاد منها بحر النيل وتغير لونه حتى صار لونه أصفر ، مما سال فيه من جبل الطفل ، وبقي على ذلك التغير أياما ، الا انه حصل بها النفع في الأراضي والمزارع .

١٥ منه (٢٩ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ورد الخبر بخروج الباشا من الاسكندرية ، وتوجهه الى الحضور الى مصر على طريق البر . وشرعوا في عمل المركب التي تسمى بالعقبة لخصوص ركوب الباشا ، وهي عبارة عن مركب كبير قشاشي ... يأخذونها من أربابها قهرا ، وينقشونها بأنواع الأصباغ والزينة والألوان ، ويركبون عليها مقعدا مصنوعا من الخشب المصنع ، وله شبابيك وطيقان من الخرط ، وعليه بيارق ملونة وشراريب مزينة ، وهو مصفح بالنحاس الأصفر ،

ومزين بأنواع الزينة والستائر ... والمتكفل بذلك أغات الرسالة .

فلما خرج الباشا من الاسكندرية ، أرسل محمود جاويش والسيد محمد الدواخلي الى يحيى بيك ، يقولان له : « ان حضرة الباشا يريد الحضور الى رشيد في قلة .. وأما العساكر فلا يدخل أحد منهم الى البلد ، بل يتركهم خارجها » .

فلما وصلوا الى يحيى بيك ، وأرادوا يقولون له ذلك ، وجدوه جالسا مع عمر بيك كبير الأرنؤود الذي عنده ، وهم يقرأون جوابا أرسله الباشا الى عمر بيك المذكور ، يطلبه لمساعدته والخروج معه ، مسكه بعض أتباع يحيي بيك مع الساعي .

فلما سمعوا ذلك قالوا لبعضهم : « أي شيء هذا ؟ » ، وتركوا ما معهم من الكلام ، وحضروا الى مصر صحبة رضوان كتخدا .

١٦ منه (٣٠ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ، لورود الخبر بموت حسين قبطان باشا ، وتولية خلافه .

٢٠ منه (٣ يناير ١٨٠٤ م) :

أشيع سفر الألفي لملاقاة الباشا وصحبته أربعة من الصناجق وأبرز الخيام من الجيزة الى جهة انبابة ، وأخذوا في تشهيل ذخيرة وبقسماط وجبخانة وغير ذلك .

٢٤ منه (٧ يناير ١٨٠٤ م) :

عدى الألفي ومن معه الى البر الشرقي . وأشيع تعدية الباشا الى بر المنوفية . فلما عدوا الى البر الشرقي ، انتقلوا بعرضيهم وخيامهم الى جهة شبرا ، وشرعوا في عمل مخابز العيش في شلقان .

وفيه : حضر واحد بيان آغا ، يسمى صالح أفندي ، وعلى يده فرمان . فأنزلوه ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بيك ، ولا يجتمع به أحد .

في غايته (١٣ يناير ١٨٠٤ م) :

وصل الباشا الى ناحية منوف ، وفرضوا له فردا على البلاد ، وأكلوا الزروعات وما أنبتته الأرض !

وانقضى هذا الشهر وما حصل به من عربدة الأرنؤود ، وخطفهم عمائم الناس ، وخصوصا بالليل . حتى كان الانسان اذا مشى يربط عمامته خوفا عليها ! واذا تمكنوا من أحد ، شلحوا ثيابه وأخذوا ما معه من الدراهم !

ويترصدون لمن يذهب الى الأسواق — مثل سوق انبابة في يوم السبت — لشراء الجبن والزبد والأغنام والأبقار . فيأخذون مامعهم من الدراهم ، ثم يذهبون الى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون من ذلك للبيع

فامتنع الفلاحون عن ذلك ، الا في النادر ... خفية . وقل وجوده ، وغلا السمن حتى وصل الى ثلثمائة وخمسين نصف فضة العشرة أرطال قباني .

وأما التبن فصار أعز من التبر ، وبيع قنطاره بألف نصف فضة .. ان وجد ، وعز وجود الحطب الرومي ، حتى بلغ سعر الحملة ثلثمائة فضة ؛ وكذا غلا سعر باقي الأحطاب ، وباقي الأمور المعدة للوقود ، مثل البقمة وجلة البهائم وحطب الذرة .

ووقفت الأرنؤود لخطف ذلك من الفلاحين ! فكانوا يأتون بذلك في آخر الليل ، وقت الغفلة ، ويبيعونه بأغلى الأثمان . وعلم الأرنؤود ذلك .. فرصدوهم ، وخطفوهم ، ووقع منهم القتل في كثير من الناس .. حتى في بعضهم البعض . وغالبهم لم يصم رمضان .. ولم يعرف لهم دين يتدينون به ، ولا مذهب ، ولا طريقة يمشون عليها ... اباحية .. أسهل ما عليهم قتل النفس ، وأخذ مال

الغير ، وعــدم الطاعة لكبيرهم وأميرهم ... وهم أخبث منهم . فقطع الله دابر الجميع !

وأما ما فعله كشاف الأقاليم فى القرى القبلية والبحرية من المظـالم والمغـارم وأنواع الفـرد والتساويف .. فشيء لاتدركه الأفهام ، ولا تحيط به الأقلام . وخصــوصا سليمان كاشف البواب بالمنوفية .. فنسأل الله العفو والعـافية ، وحسن العاقبة فى الدين والدنيا والآخرة !

شــوال

الأحد ٢ منه (١٥ يناير ١٨٠٤ م) :

تبع رجـلا تاجرا من وكالة التفـاح ثلاثة من العسكر ، فهرب منهم الى حمام الطنبدى . فدخلوا خلفه وقتلوه داخل الحمام ، وأخذوا ما فى جيبه من الدراهم وغيرها ، وذهبوا .

وحضر أهله وأخذوه فى تابوت ، ودفنوه ولم ينتطح فيه شاتان .

وقتل فى ذلك اليوم أيضا ، رجل عنــد حمام القيسرلى ، وغير ذلك .

وفيه : وصل الباشا الى ناحية شلقان ، وصحبته عســاكر كثيرة انكشارية وغيرها . وأكثرهم من الذين خرجوا مطرودين من مصر ، وصحبته نحو ستين مركبا فى البحر ، بها أثقــاله ومتاعه وعساكر أيضا .

وفيه : ركب الألفى والأمراء ، ما عـدا ابراهيم بيك والبرديسى ، فانهما لم يخرجا من بيوتهمـا . وذهبوا الى مخيمهم بشبرا .

وخرج أيضا محمد علىوأحمد بيك وأتباعهم ، وأبقوا عند بيوتهم طوائف منهم .

وفيه : وقعت مشــاجرة بين الأرنؤودية جهــة بيوت سوارى العســاكر بسبب امرأة ... قتل فيها نحو خمسة أنفار بالأزبكية .

الاثنين ٣ منه (١٦ يناير ١٨٠٤ م) :

أوقفوا على أبواب المدينة جماعة من العسكر بأسلحتهم . فانزعج الناس ، وارتاعوا من ذلك ، وأغلقوا الدروب والبـوابات ، ونقلوا أمتعتهــم وبضائعهم من الدكاكين ، وأكثــروا من اللغط . وصار العسكر الواقفون بالأبواب يأخــذون من الداخل والخــارج دراهم ، ويفتشــون جيوبهم ويقولون لهم : « معــكم أوراق » . فيــأخذون بحجة ذلك ما فى جيوبهم .

الثلاثاء ٤ منه (١٧ يناير ١٨٠٤ م) :

غيروا العســكر بأجنــاد من الغز المصرلية ، فجلس على كل باب كاشف ومعــه جمــاعة من العسكر . فكان الكاشف الذى على باب الفتوح يأخذ ممن يمر به دراهم . فان كان بزى الفلاحين بأن كان لابس جبة صوف أو زعبوط ، أخذ منه ما فى جيبه ، أو عشرة أنصاف ان كان فقيرا . وان



جنديان من الغز المصرلية

كان من أولاد البلد ومجمل الصـورة ، أو لابس جوخة ، ولو قديمـة ، طالبه بألف نصف فضة أو حبسه حتى يسعى عليه أهله ، ويدفعوها عنـه ، ويطلقه .

وسـدوا باب الوزير وباب المحروق ، وقفلوا باب البرقية المعروف بالغريب ... بعـد أن كانوا عزموا على سده بالبناء ، ثم تركوه بسبب خروج الأموات .

وفيه : نودى بوقود القناديل ليلا على البيوت والوكائل ، وكل ثلاثة دكاكين قنديل .

الأربعاء ٥ منه (١٨ يناير ١٨٠٤ م) :

فى صبحها ، شق الوالى وسمر عدة حوانيت بسبب القناديل ، وشدد فى ذلك .

وفيه : انتقل الألفى ومن معـه من الأمراء الى ناحية شلقان ، ونصبوا خيامهم قبال عرضى الباشا . فحضر اليه بعض أتباع الباشا وكلموه عن نزوله فى ذلك المكان ، ونصب الخيام فى داخل الخيام ، ودوسهم لهم .

فقال لهم : « هـذه منزلتنا ومحطتنا » ، فلم يسـع الباشا وأتباعه الا قلعهم الخيام والتأخر . فهذه كانت أول حقارة فعلها المصرلية فى العثمانية .

ونصب محمد على وأحمـد بيك وعساكرهم جهة البحر . ثم ان خدم الألفى أخـذوا جمـالا



معسكر الألفى ناحية شلقان

ليحملوا عليهـا البرسيم ، فنزلوا بهـا الى بعض الغيطان . فحضر أمير آخور الباشا بالجمال لأخذ البرسيم أيضا ، فوجدوا جمال الألفى وأتباعه ، فنهزوهم وطردوهم ، فرجعوا الى سيدهم وأخبروه فأمر بعض كشافه بالركوب اليهم . فركب رامحا الى الغيط ، وأحضر أمير آخور البـاشا ، وقطع رأسه قبالة صيوان البـاشا ، ورجع الى سـيده بالجمال ورأس أمير آخور !

فذهب أتباع الباشا وأخبروه بقتل أمير آخـور وأخذ الجمال . فحنق وأحضر رضـوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، وتكلم معه . ومن جملة كلامه : « أنا فعلت معكم ما فعلت ، وصالحت عليكم الدولة . ولـم تزل تضـحك على دقنى .. وأنا أطاوعك ، وأصدق تمويهـاتك الى أن سرت الى ها هنا .. فأخـذتم تفعلون معى هـذه الفعـال ، وتقتلون أتباعى ، وترذلونى ، وتأخذون حملتى وجمالى » . فلاطفه رضوان كتخدا فى الجواب ، واعتذر اليـه وقال له : « هؤلاء صغار العقول .. ولا يتدبرون فى الأمـور .. وحضرة أفنـدى شـأنه العفـو والمسامحة ! » . ثم خرج من بين يديه ، وأرسـل الى أتباع الألفى ، فأحضر منهم الجمـال وردها الى وطاق الباشا .

وحضر اليـه عثمان بيك يوسف ، المعـروف بالخازندار ، وأحمد أغا شويكار ، فقابلاه وأخذا بخاطره . ولم يخرج اليه أحد من الأمراء سواهما .

وفيه : نادوا بخروج العساكر الأرنؤودية الى العرضى . وكل من بقى منهم ، ولم يكن معه ورقة من كبيره ... فدمه هدر . وصار الوالى بعد ذلك كلما صادف شخصا عسكريا من غير ورقة قبض عليه وغيبه .

واستمر يفتش عليهم ، ويتجسس على أماكنهم ليلا ونهارا ، ويقبض على من يجده متخلفا .

والقصد من ذلك ، تمييز الأرنؤودية من غيرهم المتداخلين فيهم ، وكذلك كل من مر على المتقيدين بأبواب المدينة ، وذلك باتفاق بين المصرلية والأرنؤودية لأجل تميزهم من بعضهم ، وخروج غيرهم .

وفيه : أطلقوا السيد على القبطان أخا على باشا الى القلعة .

الخميس ٦ منه (١٩ يناير ١٨٠٤ م) :

خرج البرديسى الى جهة شلقان ، ولم يخرج ابراهيم بيك ، ولم ينتقل من بيته . فنصب خيامه على موازاة خيام الألفى ، وباقى الأمراء كذلك الى الجبل ، والأرنؤودية جهة البحر .

وقد كان الباشا أرسل الى محمد على وكبار الأرنؤودية وغيرهم من قبائل العربان ومشايخ البلاد المشهورين ، مكاتبات قبل خروجه من الاسكندرية يستميلهم اليه ، ويعدهم ويمنيهم ان قاموا بنصرته ، ويحذرهم ويخوفهم ان استمروا على الخلاف وموافقة العصاة المتغلبين .

فنقل الأرنؤودية ذلك الى المصرلية ، وأطلعوهم على المكاتبات سرا فيما بينهم . واتفقوا على رد جواب المراسلة من الأرنؤودية بالموافقة على القيام معه اذا حضر الى مصر وخرج الأمراء لملاقاته والسلام عليه ، فيكون هو وعساكره من أمامهم ، والأرنؤودية المصرية من خلفهم . فيأخذونهم مواسطة ، فيستأصلونهم .. والموعد بشلقان !

وسهلوا له أمر الأمراء المصرلية ، وأنهم فى قلة لا يبلغون ألفا .. ولو بلغوا ذلك ، فمن المنضمين اليهم من خلاف قبيلتهم ، وهم أيضا معنا فى الباطن !

ودبروا له تدابير ومنــ ـنحات تروج على الأبالسة .. منها : أن يختار من عسكره قدر كذا من الموصوفين بالشجاعة والمعرفة بالسباحة والقتال فى البحر ، ويجعلهم فى السفن قبالته فى البحر ، وأن يمدوا بالعساكر البرية الى البر الشرقى من مكان كذا ، ويجعل الخيالة والرجالة معه .. على صفة ذكروها له .

ولما وصل الى الرحمانية ، أرسل له الأرنؤود مكاتبة سرا بأن يعدى الى البر الشرقى ، وبينوا له صواب ذلك...وهو يعتقد نصحهم فعدى الى البر الشرقى . فلما حضر الى شلقان ، رتب عساكره ، وجعلهم طوابير ، وجعل كل بينباشا فى طابور . وعملوا متاريس ، ونصبوا المدافع ، وأوقفوا المراكب بما فيها من العساكر والمدافع بالبحر على موازاة العرضى .

فخرج الألفى ، كما ذكر ، بمن معه من الأمراء المصرلية والعساكر الأرنؤودية ، وأرسل الى الباشا بالانتقال والتأخر . فلم يجد بدا من ذلك فتأخر الى زفيتة ، ونزل ونصب هناك وطاقه ومتاريسه .

وفى وقت تلك الحركة ، تسلل حسين بيك الافرنجى ومن معه من العساكر بالغلايين والمراكب ، واستعلوا على مراكب الباشا ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، وساقوهم الى جهة مصر ، وأخذوهم أسرى ، وذهبوا بهم الى الجيزة ... بعدما قتلوا من كان فيهم من العساكر المحاربين ، وكبيرهم يسمى مصطفى باشا ، أخذوه أسيرا أيضا .

وكان بالمراكب أناس كثيرة من التجار وصحبتهم بضائع وأسباب رومية — كان الباشا عوقهم بسكندرية — فنزلوا فى المراكب ليصلوا ببضائعهم ، وطمعا فى عدم دفعهم الجمرك ... فوقعوا أيضا فى الشرك ، وارتبكوا فيمن ارتبك .

ولما تأخر الباشا عن منزلته ، واستقر بأراضى زفيتة ... أحاطت به المصريون والعربان ، وتحلقوا حوله ، ووقفوا لعرضيه بالرصد . فكل من خرج من الدائرة خطفوه ، ومن الحياة أعدموه !

وأرسل اليه الألفى على كاشف الكبير ، فقال له : « حضرة ولدكم الألفى يسلم عليكم ، ويسأل عن هذه العساكر المصحوبين بركابكم ... وما الموجب لكثرتها ؟ وهذه هيئة المنابذين ... لا المسالمين . والعادة القديمة أن الولاة لا يأتون الا بأتباعهم وخدمهم المختصين بخدمتهم ، وقد ذكروا لكم ذلك وأنتم بسكندرية ! » فقال : « نعم . وانما هذه العساكر متوجهة الى الحجاز تقوية لشريف باشا على الخارجي . وعندما نستقر بالقلعة نعطيهم جماكيهم ، ونشهلهم ونرسلهم » . فقال : « انهم أعدوا لكم قصر العينى تقيمون به .. فان القلعة خربها الفرنسيس ، وغيروا أوضاعها ، فلا تصلح لسكناكم ... كما لا يخفاكم ذلك . وأما العسكر فلا يدخلون معكم بل ينفصلون عنكم ، ويذهبون الى بركة الحج ، فيمكثون هناك حتى نشهل لهم احتياجاتهم ونرسلهم . ولسنا نقول ذلك خوفا منهم ، وانما البلدة فى قحط وغلاء ، والعساكر العثمانية منحرفو الطباع ، ولا يستقيم حالهم مع الأرنؤودية ، ويقع بينهم ما يوجب الفشل والتعب لنا ولكم » .

فقال : « اذن أرحل وأرجع الى سكندرية حيثما كنت » . فقال له : « هذا لايكون .. وان فعلتم ذلك حصل لكم الضرر » ، فقال : « ان العسكر لهم عندى أربعمائة وثمانون كيسا ، أحضروها من حسابى معكم .. ندفعها لهم . وينتقلون الى البركة كما قلتم » .

ورجع على كاشف الى الأمراء بذلك الجواب . وأحضر عابدى بيك من طرف الباشا الى الأمراء — وهو كبير العساكر الانكشارية — فكلموه وكلمهم ، وميلوه وخدعوه . وذهب الى الباشا ، وعاد اليهم . فكان آخر كلامهم له : « ان بيننا وبينه فى غد : اما أن الباشا يحضر عندنا فى جماعته المختصين به ، وينزل بمخيمنا ، واما الحرب بيننا وبينه » .

وانتظروا عابدى بيك . فلم يرجع لهم بجواب ، وهى العلامة بينهم وبينه !

واشتغل هو تلك الليلة مع أصحابه وثبطهم وحل عزائمهم .

فلما أصبح الصباح ، ركب الأمراء المصرلية بعساكرهم ، وجعلوها طوابير ، وزحفوا الى عرضى الباشا من كل جهة . فأمر عساكره بالركوب والمحاربة ... فلم يتحركوا ، وقالوا : « لم تأمر بالمحاربة ؟ وليس معك فرمان بذلك ، واخواننا البحريون أخذوا عن آخرهم ، ولم تعطنا جامكية ولا نفقة ، ولا طاقة لنا بحرب المصريين على هذا الوجه » .

فلما تحقق خذلانهم له فى ذلك الوقت الضيق ، ركب فى خاصته ، وذهب الى الأمراء ، وترك خيامه وأثقاله . فاستقبلوه وأرسلوه — صحبة عثمان بيك الخازندار ورضوان كتخدا البرديسى وأحمد أغا شويكار — الى خيام أعدوها له عند خيام البرديسى .

وحضر اليه كتخدا الجاويشية وكاتب حوالة والوالى وباقى أرباب خدم الديوان . وذهب بعض خدمه وفراشينه الى قصر العينى ليفرشوه ويرتبوه وينظموه .

وأحضروا مصطفى باشا الذى كان فى المراكب ، وما كان بصحبته من لوازم الباشا الى القصر المذكور . وأشيع صلح الأمراء مع الباشا . ثم ان الألفى أرسل الى كبار عسكر الباشا ،فطلبهم ليعطيهم جماكيهم . فلما حضروا عنده — وعدتهم سبعة — عرف منهم ستة من المطرودين فى الفتن السابقة ، داروا ورجعوا الى اسكندرية لما سمعوا بعلى باشا..

فوبخهم ولعنهم ، وقال لهم : « أطلقناكم ، وعتقناكم وعفونا عنكم ، وسفرناكم ، وكأنكم عدتم لتأخذوا بثأركم » . ثم أمر بضرب أعناقهم... ففعل بهم ذلك ، ورموا فى البحر ، ماعدا سابعهم ، فانه لم يكن من الذين حضروا الى مصر ، وتعارف محمد على معه فشفع فيه ، وتركوه مع الأرنؤود !

وأحضروا متاع الباشا وحملته وطبلخاناته من عرضيه الى عرضى الأمراء ، وأمروا أولئك العساكر بالرحيل . فرحلوا مع حسين بيك الوشاش الألفى وصالح بيك الألفى . وقد كان نزل الى الشرقية ، وحضر عند وصول الباشا وصحبته جملة من العربان . ثم رجع مع خشداشينه ، مع العسكر الى شرقية بلبيس ، ليوصلوهم الى الصالحية .. والله أعلم ماذا فعل بهم . وعدتهم ألفان وخمسمائة .

السبت ٨ منه (٢١ يناير ١٨٠٤ م) :

انتقل الأمراء والباشا الى منية السيرج .

الاثنين ١٠ منه (٢٣ يناير ١٨٠٤ م) :

أشيع ركوب الباشا بالموكب الى قصر العينى على طريق بولاق . وجمع المحتسب خيول الطواحين. وخرج كثير من الناس فى ذلك اليوم الى جهة بولاق لأجل الفرجة ، وانتظروا ذلك ... فلم يحصل . وقيل انهم أخروه الى يوم الأربعاء ثانى عشرة .

الأربعاء ١٢ منه (٢٥ يناير ١٨٠٤ م) :

وصل فى صبحها التنابيه لاختيارية الوجاقات بالحضور والركوب مع الباشا . فلما كان وقت الضحوة الكبرى ، تواترت الأخبار أنهم أركبوا الباشا وسفروه الى جهة بلبيس والصالحية .

وكان من خبره أنه لما حضر الى مخيم الأمراء ، أرسل اليه عثمان بيك البرديسى كتخداه رضوان كاشف — المعروف بالقرباوى — بهدية وألف نصفية ذهب ، وبلغه السلام ولاطفه ، وقال الباشا له ولمن حضر من الأمراء : « أنا عندما قلدونى ولاية مصر ، قلت للدولة ان أول حوائجى العفو والرضا عن الأمراء المصرلية ، لأن لهم فى عنقى جميلا عندما حضرت اليهم هاربا من طرابلس ، فآوونى وأكرمونى ، وأقمت معهم مدة طويلة فى غاية الحظ والاكرام .. ولا أنسى معروفهم » .

فأجابوه بأنهم أيضا يراعون له ذلك ، ولا ينسون عشرتهم معه ، وخصوصا صداقته لسيدهم مراد بيك ، فانه كان معه كالأخوين، ولا يأتنس الا بمجالسته وركوبه معه الى الصيد وغيره ... ولو وقع منه ما وقع بمكاتبة الأرنؤود والعربان وغيرهم . فقال : « هذا شىء قد كان ، ونحن أولاد اليوم ! » .

وأقام ثلاثة أيام بالخيام التى أجلسوه بها فى عرضى البرديسى ، ورتب له طعاما فى الغداء والعشاء من طعامه . ولم يجتمع به أحد من الأمراء الكبار سوى عثمان بيك يوسف المعروف بالخازندار ، وأحمد أغا شويكار ، وأرباب الخدم .

وأما الذنب الذى نقموه عليه ، فهو أنهم ذكروا أن فى الليلة التى بات بها فى عرضى البرديسى ، كان خرج من خيامه فارس على فرس يعدو بسرعة ، فصهلت الخيل ، وانزعج العرضى ، وجروا خلفه فلم يلحقوه . فسألوا الباشا عن ذلك ، فقال : « لعله حرامى أراد أن يسرق شيئا وخرج هاربا ! » . فلما حصل ذلك ، أجلسوا حوله عدة من المماليك المسلحين . فسأل عنهم ، فقيل له : « انهم جلوس بقصد المحافظة من السراق ! » . ثم انهم قبضوا على هجان بناحية البساتين مسافر الى قبلى ، زعموا أنهم وجدوا معه مكاتبات من الباشا خطابا الى عثمان بيك حسن بقنا ، يطلبه للحضور الى مصر ليكون معينا له ، ويعده بامارة مصر .. ونحو ذلك .

فلما كان يوم الأربعاء المذكور ، حضر اليه الجماعة فسلموا عليه ، وأذن لهم بالجلوس فجلسوا وهم سكوت ينظرون الى بعضهم . فنظر لهم الباشا وقال : « خيرا » . فتكلم رضوان كتخدا البرديسي وقال : « ألسنا اصطلحنا مع حضرة أفندينا ، وصفا خاطره معنا ؟ » . قال : « نعم .. ». قال له : « هل وقع من حضرتكم لأحد مكاتبة قبل ذلك ؟ » . قال : « لا » . قال : « لعلكم أرسلتم مكاتبة الى قبلى ؟ » ، قال : « لم يكن ذلك أبدا » ، فأخرج له مكتوبا وناوله اياه .. فلما رآه قال : « نعم .. هذا مما كنا كتبناه بسكندرية » . فقالوا له : « انا وجدناه أمس مع الهجان المسافر به الى جهة البساتين ، قبض عليه المحافظون بتلك الجهة فى ساعته ، وتاريخه قريب » . فسكت متفكرا . فقاموا على أقدامهم وقالوا : « بيرون » .. يعنى تفضلوا . فقال : « الى أين ؟ » فقالوا : « الى غزة .. فانه لا أمان لنا معك بعد ذلك » .

ولم يمهلوه لكلام يقوله ، ولا عذر يبديه . حتى انهم لم يمهلوه لمجيء مركوبه المختص به ، بل قدموا له فرسا لبعض المماليك ، وأركبوه له . وفى حال ركوبه ، رأى الأمراء المستعدين للذهاب معه وقوفا فى انتظاره . فقال لهم : « ان صحبنى أحد منكم فقولوا لهم يكونون متباعدين عنى فى الحط والترحال » . فأجابوه الى ذلك .

وسار معه محمد بيك المنفوخ ، وسليمان بيك صهر ابراهيم بيك ... على الشرط وركب أتباعه خيول الطواحين ، التى كانوا أعدوها للركوب . وكان الطحانون ينتظرون متى ينقضى الركوب ، ويأخذون خيولهم.فلما تحقق سفرهم ، طارت عقول الطحانين ، وذهبوا الى صيوان البرديسي يشكون اليه عطل مطاحن البلد . فقال لهم : « دونكم .. ها هى أمامكم اذهبوا فخذوها » . فجروا خلفهم ، ومسك كل طحان فى فرسه أو أفراسه ، وأنزل عنها راكبها ، وأخذوها ورجعوا مسرورين بخيولهم . ولم يقدروا على منعهم ، لأنهم صاروا أذلاء مقهورين !

وركبوا بدلها جمالا ، وحجز البرديسي طبلخانة الباشا ومهاترته وطقمه وغالب متاعه . وأشيع ركوبه وذهابه .

الخميس ١٣ منه (٢٦ يناير ١٨٠٤ م) :

دخل الأمراء والعساكر الأرنؤودية وأكابرهم ، وهم فرحون مسرورون ، وخلفهم الطبول والزمور. وركب حسين بيك الأفرنجى المعروف باليهودى ، وأمامه العسكر المختصون به ، بطبلهم مثل طبل الفرنسيس ، وعلى رءوسهم برانيط من نحاس أصفر ، وهم نصارى وأروام وتكرور . وخلف البرديسى نوبة الباشا ومهاترته بعينهم يطبلون ويزمرون . ولم يدخل الألفى معهم ، بل ركب من عرضيه بأمرائه وكشافه ، فذهب الى عرب بلى بالجزيرة ... فطرقهم على حين غفلة ، وقتل منهم أناسا ، ونهب مواشيهم ونجعهم . وضرب أيضا زفيتة وأجهور ونحو عشرين بلدا،وحرقوا أكثرهم، وأخذوا زرعهم ومتاعهم . بسبب أنه لما كان الباشا كاتب مشايخ البلاد والعربان ، اغتروا به ، وعندما حل بالقرب منهم قبحوا فى حق المصرلية وأتباعهم ، وطردوهم وأسمعوهم أفحش الكلام . وقامت عربان الشرقية ، وتعصبوا علىصالح بيك الألفى ، فأوجب تحامل المصرلية عليهم ، حتى جازوهم به عندما فرغوا من أمر الباشا

وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الجمعة رابع عشره — حصل خسوف للقمر جزئى بعد رابع ساعة من الليل ، ومقدار المنخسف أربع أصابع وثلث ، وانجلى فى سابع ساعة ... الا شيئا يسيرا .

وفى ذلك اليوم : أرسل البرديسى الى شيخ السادات تذكرة صحبة واحد كاشف من أتباعه ، يطلب عشرين ألف ريال سلفة ، فلاطفه ورده بلطف. فرجع الى مخدومه وأبقى ببيت الشيخ جماعة من العسكر . فوبخه على الرجوع من غير قضاء حاجة ، وأمره بالعود ثانيا . فعاد اليه فى خامس ساعة من الليل وصحبته جماعة أخرى من العسكر ، فأزعجوا أهل البيت . وأرسلت عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك الى المعينين تأمرهم أن لايعملوا قلة أدب ، وأرسلت الى أبيها لأن منزلها بجواره ، فاهتم لذلك وأرسل خليل بيك الى البرديسى فكفه عن ذلك بعد علاج وسعى ، ورفع المعينين .

الخميس ٢٠ منه (٢ فبراير ١٨٠٤ م) :

وصلت أخبار ومكاتبات من الأمراء الذين ذهبوا بصحبة الباشا يخبرون فيها بموت الباشا بالقرين ، فضربوا مدافع كثيرة بعد العشاء ونصف الليل . ومضمون ما ذكروه فى المراسلة « أن الباشا أراد أن يكبسهم بمن معه ليلا ، وكان معهم سائس يعرف بالتركى ، فحضر اليهم وأخبرهم ، فتحذروا منه . فلما كبسوهم وقعت محاربة بينهم وقتل منهم عدة من المماليك وخازندار محمد بيك المنفوخ ، وانجرح المنفوخ أيضا جرحا بليغا ، وأصيب الباشا وصاحبه من غير قصد — والليل ليس له صاحب — فقضى عليه ، وكان ذلك مقدورا ، وفى الكتاب مسطورا ! وانكم ترسلون لنا أمانا بالحضور الى مصر ، والا ذهبنا الى الصعيد » . هذا ماقالوه .

والواقع أنهم لما سافروا معه ، كان بصحبته خمسة وأربعون نفسا لا غير . والعساكر التى كانت سافرت قبله نجعت الى الصالحية ، أو ذهبت حيث شاء الله . وكان أمامه عسكر المغاربة وخلفه الأمراء المصرلية .

فلما وصلوا الى أراضى القرين ، ونزلوا هناك ، عمل المغاربة مع الخدم مشاجرة ، وجسموها الى أن تضاربوا بالسلاح . فقامت الأجناد المصرلية من خلفهم ، فصار الباشا ومن معه فى الوسط ، والتحموا عليهم بالقتال . ففر من أتباعه أربعة عشر نفسا الى الوادى ، وثلاثة عشر رموا بأنفسهم فى ساقية قريبة منهم ... من حلاوة الروح .

وضرب الباشا بعض المماليك منهم بقرابينة ، فأصابته ، وقتل معه ابن أخته حسن بيك ، وكتخداه ، وباقى الثمانية عشر .

فلما سقط الباشا — وبه رمق — رأى أحد الأميرين فقال له : « فى عرضك يا فلان .. ان معى كفنا بداخل الخرج . فكفنى فيه ، وادفنى ، ولا تتركنى مرميا » ! فلما انقضى ذلك ، أعطى ذلك الأمير لبعض العرب دنانير ، وأعطاه الكفن الذى أوصاه عليه ، وقال له : « اذهب الى مقتلهم ، وخذ الباشا .. فكفنه وادفنه فى تربة » . فقال : « أنا لا أعرفه » . فقال : « هو الذى لحيته عظيمة من دونهم » ، ففعل كما أمره .

وحفروا لباقيهم حفرا وواروهم فيها ، وانقضى أمرهم .

هذا اخبار بعض أهل تلك البلاد المشاهدين للواقعة . وكل ذلك وبال فعله ، وسوء سريرته ، وخبث ضميره . فلقد بلغنا أنه قال لعسكره : « ان بلغت مرادى من الأمراء المصريين ، وظفرت بهم وبالأرنؤود ، أبحت لكم المدينة والرعية ثلاثة أيام ... تفعلون بها ما شئتم » . والدليل على ذلك ما فعله بالاسكندرية مدة اقامته بها ، من الجور والظلم ، ومصادرات الناس فى أموالهم وبضائعهم ، وتسلط عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق ، وترذيله لأهل العلم واهانته لهم ... حتى انه كان يسمى الشيخ محمد المسيرى — الذى هو أجل مذكور فى الثغر — « بالمزور » . واذا دخل عليه

مع أمثاله — وكان جالسا — اتكأ ، ومد رجليه قصدا لاهانتهم .

وخبر على باشا المترجم المذكور مختصرا : أنه كان أصله من الجزائر مملوك محمد باشا حاكم الجزائر . فلما مات محمد باشا ، وتولى مكانه صهره ... أرسله بمراسلة الى حسين قبطان باشا . وكان أخوه ، المعروف بالسيد على ، مملوكا للدولة ومذكورا عند قبطان باشا ، ومتولى الريالة ... فنوه بذكره . فقلده قبطان باشا ولاية طرابلس وأعطاه فرمانات وبرق . فذهب اليها ، وجيش له جيوشا ومراكب ، وأغار على متوليها — وهو أخو حمودة باشا صاحب تونس — وحاربه عدة شهور حتى ملكها بمخامرة أهلها ... لعلمهم أنه متوليها من طرف الدولة .

وهرب أخو حمودة باشا عند أخيه بتونس . فلما استولى على باشا المذكور على طرابلس ... أباحها لعسكره ففعلوا بها أشنع وأقبح من التمرلنكية : من النهب ، وهتك النساء ، والفسق والفجور ، وسبى حريم متوليها ، وأخذهن أسرى ، وفضحهن بين عسكره .

ثم طالبهم بالأموال ، وأخذ أموال التجار ، وفرد على أهل البلد ، وأخذ أموالهم . ثم ان المنفصل حشد وجمع جموعا ، ورجع الى طرابلس وحاصره أشد المحاصرة .

وقام معه المغرضون له من أهل البلدة ، والمقروصون من على باشا . فلما رأى الغلبة على نفسه ، نزل الى المراكب بما جمعه من الأموال والذخائر ، وأخذ معه غلامين جميلين من أولاد الأعيان شبه الرهائن ، وهرب الى اسكندرية ، وحضر الى مصر ، والتجأ الى مراد بيك ... فأكرمه ، وأنزله منزلا حسنا عنده بالجيزة . وصار خصيصا به .

وسبب مجيئه الى مصر ، ولم يرجع الى القبطان ... علمه أنه صار ممقوتا فى الدولة . لأن من قواعد دولة العثمانيين ، أنهم اذا أمروا أميرا فى ولاية ، ولم يفلح .. مقتوه وسلبوه ، وربما قتلوه . وخصوصا اذا كان ذا مال !

ثم حج المترجم فى سنة سبع ومائتين وألف من القلزم ، وأودع ذخائره عند رشوان كاشف ، المعروف بكاشف الفيوم ، لقرابة بينهما من بلادهما.

ولما كان بالحجاز ، ووصل الحجاج الطرابلسية ، ورأوه وصحبته الغلامان ... ذهبوا الى أمير الحج الشامى ، وعرفوه عنه وعن الغلامين ، وأنه يفعل بهما الفاحشة . فأرسل معهم جماعة من أتباعه فى حصة مهملة ، وكبسوا عليه — على حين غفلة — فوجدوه كما قالوا . فلعنوه وقطعوا لحيته ،وضربوه بالسلاح ، وجرحوه جرحا بالغا ، وأهانوه ، وأخذوا منه الغلامين . وكادوا يقتلونه .. لولا جماعة من جماعة أمير الحج . ثم رجع الى مصر من البحر أيضا . وأقام فى منزلته — عند مراد بيك — زيادة عن ست سنوات ... الى أن حضر الفرنسيس الى الديار المصرية . فقاتل مع الأمراء ، وتغرب معهم فى قبلى وغيره . ثم انفصل عنهم ، وذهب من خلف الجبل ، وسار الى الشام . فأرسله الوزير يوسف باشا — بعد الكسرة — بمكاتبات الى الدولة . فلم يزل حتى وقعت هذه الحوادث . وقامت العسكر على محمد باشا وأخرجوه .

ووصل الخبر الى اسلامبول ، فطلب ولاية مصر على ظن بقاء حبل الدولة العثمانية وأوامرها بمصر .. وليس بها الا طاهر باشا والأرنؤود . وجعل على نفسه قدرا عظيما من المال ، ووصل الى اسكندرية وبلغه انعكاس الأمر ، وموت طاهر باشا وطرد الينكجرية . وانضمام طائفة الأرنؤود للمضرلية ، وتمكنهم من البلدة .

فأراد أن يدبر أمرا ، ويصطاد العقاب بالغراب ، فيحوز بذلك سلطنة مجددة ، ومنقبة مؤبدة ... فلم تنفعه التدابير ، ولم تسعفه المقادير . فكان كالباحث على حتفه بظلفه ، والجادع بيده مارن أنفه . ولم يعلم أنها القاهرة ، كم قهرت جبابرة ، وكادت فراعنة

اذا لم يكن عـــون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليـــه اجتهـــاده

وكان صفته : أبيض اللـــون ، عظيم اللحيـة والشوارب ، أشقرهما ، قليل الكلام بالعربى ، يحب اللهو والخلاعة !

ولما انقضى أمره ، وأرسل سليمان بيك ومحمد بيك مكاتبات الى شـــاهين بيك ونظـرائه بمـــا ذكروا ، وأن يأخذوا لهم أمانا من ابراهيم بيك والبرديسى . فكتبوا لهـــم أمانا ... بعـــد امتناع منهما ، واظهار التغـير والغضب والتأسف عـلى التفريط منهما فى قتله .

وفيه : عملوا ديوانا ، وأحضروا صالح آغا قابجى باشا ، الذى حضر أولا ونزل ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بيك ، وقرأوا الفرمان الذى معه وهو يتضمن ولاية على باشـــا والأوامر المعتـــادة لا غير . وليس فيها ما كان ذكره عـــلى باشا من الجمارك والالتزام وغيره . وتكلم الشيخ الأمير فى ذلك المجلس ، وذكر بعض كلمات ونصائح فى اتباع العدل ، وترك الظلم ، وما يترتب عليه من الدمـــار والخراب . وشـــكا الأمراء المتأمرون من أفعال بعضهم البعض ، وتعدى الكشاف النازلين فى الأقاليم وجورهم على البلاد ، وأنه لا يتحصـــل لهم من التزامهم وحصصهم ما يقوم بنفقاتهم .

فاتفق الحال على ارسال مكاتبـــات للكشـــاف بالحضور والكف عن البلاد . وأما مصطفى باشا ، فانهم أنزلوه فى مركب مع أتبـــاع البـــاشا الذين كانوا بقصر العينى ، وسفروهم الى حيث شاء الله !

وفيـــه : وصـــل الألفى من سرحتـــه الى مصر القديمة . فأقام فى قصره الذى عمره هناك — وهو قصر البارودى — يومين . ثم عدى الى الجيزة ، ودخل أتباعه بالمنهوبات من الجمـــال والأبقـــار والأغنام ، ومعهم الجمـــال محملة بالقمح الأخضر والفول والشـــعير لعدم البرسيم ، فانهـــم رعوا ما وجدوه فى حال ذهابهم ، وفى رجوعهم لم يجدوا خلاف الغلة ، فرعوها وحملوا باقيها على الجمال !

ولو شاء ربك ما فعلوه .

السبت ٢٢ منه (٤ فبراير ١٨٠٤ م) :

وقعت معركة بين الأرنؤودية وعسكر التكرور بالقرب من الناصرية بسبب حمل برسيم ، وضربوا على بعضهم بنادق رصاص ، وقتل بينهـــم أنفار ، واستمروا على مضاربة بعضهم البعض نحو سبعة أيام ، وهم يترصدون لبعضهم فى الطرقات .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ فبراير ١٨٠٤ م) :

عملوا ديوانا وقرأوا فرمانا وصـــل من الدولة مع الططر ... خطابا لعلى باشا والأمراء بتشـــهيل أربعة آلاف عسكرى وسفرهم الى الحجاز لمحاربة الوهابيين ، وارسال ثلاثين ألف أردب غـــلال الى الحرمين ، وأنهم وجهـــوا أربع باشات من جهـــة بغداد بعســـاكر ... وكذلك أحمد باشا الجزار ، أرسلوا له فرمانا بالاســـتعداد والتوجه لذلك . فان ذلك من أعظم ماتتوجه اليه الهمم الاسلامية .. وأمثال ذلك من الكلام ، والترفق . وفيـــه بعض القـــول بالحسب والمروءة بتنجيز المطـــلوب من الغـــلال ، وان لم تكن متيسرة عنـــدكم ، تبذلوا الهمّة فى تحصلها من النواحى والجهـــات بأثمانها على طرف الميرى بالسعر الواقع .

وفيه : تقيد لضبط مخلفات على باشا : صالح أفنـــدى ، ورضوان كتخـــدا ، ونائب القاضى ، وباشكاتب .

وفيــه : حضر الأمراء الذين توجهوا بصحبــة الباشا الى الشرقية .

وفى هذا اليوم : حضر عثمان كاشف البواب الذى كان بالمنوفية ، وترك خيامه وأثقاله وأعوانه على ما هم عليه ، وحضر فى قلة من أتباعه .

وفيه : نقلوا عسكر التكرور من ناحية قناطر السباع الى جهة أخرى . وأخرجوا ســكانا كثيرة من دورهم جهة الناصرية ، وأزعجوهم من مواطنهم ، وأسكنوا بها عساكر وطبجية .

وفيه : أنزلوا السيد على القبطان من القلعــة الى بيت على بيك أيوب كما كان . وهــذا السيد على هو أخو على باشا المقتول كما ذكر . وأصله مملوك ، وليس بشريف كما يتبادر الى الفهم من لفظة ســيد أنها وصف خاص للشريف ، بل هى منقولة من لغة المغاربة ، فانهم يعبرون عن الأمير بالسيد ... بمعنى المالك وصاحب السيادة .

الاربعاء ٢٦ منه (٨ فبراير ١٨٠٤ م) :

أنزلوا محمــل الحاج من القلعة مطويا من غير هيئة . وأشيع فى الناس دورانه الى بيت ابراهيم بيك صحبة أحد الكشــاف وطائفة من المماليك . واتفق الرأى على ســفره من طريق بحــر القلزم صحبة محمود جاويش مستحفظان ، ومعه الكسوة والصرة . وكان حضر الــكثير من الحجاج بالجهة القبلية بجمالهم ودوابهم ومتاعهم .. فلما تحققوا عدم السفر — حكم المعتــاد — باعوا جمــالهم ودوابهم بالرميلة بأبخس الأثمان ، لعدم العلف بعدما كلفوها بطول السنة ، وما قاسوه أيضا فى الأيام التى أقاموها بمصر فى الانتظار والتوهم .

ذو القعــدة

غرته (١٢ فبراير ١٨٠٤ م) :

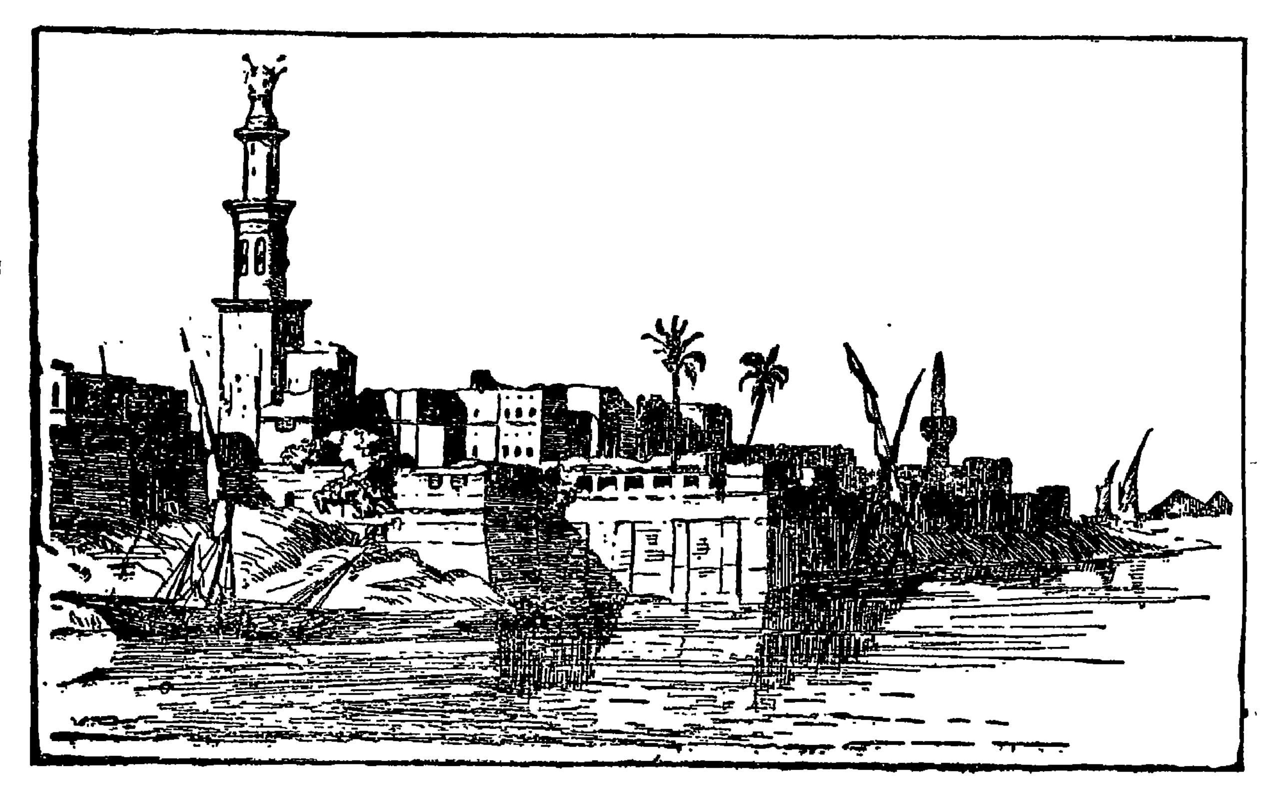
أنزلوا حســين قبطان ومن معــه من عســكر الأرنؤود من القلعــة ، وكانوا نحــو الأربعمائة ، فذهبوا الى بولاق وسكنوا بها ، بعــدما أخرجوا السكان من دورهم بالقهر عنهم . ولم يبق بالقلعة من أجناسهم سوى الطوبجية .. المتقيدين بخدمة المصرليــة .

وفيه : ألبس ابراهيم بك كتخــداه رضــوان خلعة . وأشيع أنه قلده دفتردارية مصر . وذهب الى البرديسى فخلع عليه أيضا ، وكذلك الألفى . وذلك اكراما له وتنويها بذكره ، جزاء فعله ومجيئه بالباشا ، وتحيله عليه .

ه منه (١٦ فبراير ١٨٠٤ م) :

وصلت مكاتبات من يحيى بيك البرديسى حاكم رشيد ، يخبر فيها بوصول محمد بيك الألفى الكبير الى ثغر رشيد يوم الأربعاء ثالثه . وقد طلع على أبى قير ، وحضر الى ادكو ثم الى رشيد فى يوم الأربعاء المذكور ... وقصده الاقامة برشيد ستة أيام .

فلما وصلت تلك الأخبار ، عملوا شنكا ، وضربوا مدافع كثيرة بعد الغروب ، وكذلك بعد العشاء ، وفى طلوع النهار ، من جميع الجهات : من الجيزة ومصر القديمة وبيت البرديسى والقلعة ، وأظهروا البشر والفرح . وشرعوا فى تشهيل الهدايا والتقادم ، وأضمروا فى نفوسهم السوء له ولجماعته المتآمرين . حســدا لرياسته عليهم ، وخمولهم بحضــوره . فهاجت حفائظهم ، وكتموا حقدهم ، وتناجوا فيما بينهم ، وبيتوا أمرهم مع كبار العسكر . وأرسل البرديسى كتابا الى مملوكه يحيى بيك تابعه حاكم رشيد ، يأمره فيه بقتل الألفى هناك . وركب هو الى المنيل ، وعدى شــاهين بيك ، ومحمد بيك المنفوخ ، واسماعيل بيك صــهر ابراهيم بيك ، وعمر بيك الابراهيمى الى بر الجيزة ليلة الأحد .



الجيزة

ونصبوا خيامهم ليستعدوا الى السفر من آخر الليل ، صحبة الألفى الصغير .

وعدى أيضا قبلهم حسين بيك الوشاش الألفى ، ونصب خيامه بحرى منهم .

فلما كان فى خامس ساعة من الليل ، أرسلوا الى حسين بيك يطلبونه اليهم . فحضر مع مماليكه ، وقد رتبوا جماعة منهم تأتى بخيول ومشاعل من جهة القصر . فقالوا له : « أين الخيول .. فاننا راكبون فى هذا الوقت للملاقاة ، وها هو أخوك الألفى قد ركب .. وهو مقبل ! » ، فنظر فرأى المشاعل والخيول ، فلم يشك فى صحة ذلك ، ولم يخطر بباله خيانتهم له . فأمر مماليكه أن يذهبوا الى خيولهم ويركبوا ، ويأتوه بفرسه . فأسرعوا الى ذلك ، وبقى هو وحده ينتظر فرسه . فعاجلوه ، وغدروه وقتلوه بينهم ، وأرسلوا الى البرديسى بالخبر .

وكان محمد على وأحمد بيك والأرنؤودية عدوا قبلى الجيزة ليلا ، وكمنوا بمكان ينتظرون الاشارة ، ويتحققون وقوع الدم بينهم . فلما علموا ذلك ، حضروا الى القصر ، وأحاطوا به . وكان طبجى الألفى مخامرا أيضا ، فعطل « فوانى » المدافع . واستمروا فى ترتيب الأمراء على القصر الى آخر الليل . فحضر الى الألفى من أيقظه وأعلمه بقتل حسين بيك ، واحاطتهم بالقصر . فأراد الاستعداد للحرب ، وطلب الطبجى فلم يجده ، وأعلموه بما فعل بالمدافع . فأمر بالتحميل ، وركب فى جماعته الحاضرين ، وخرج من الباب الغربى ، وصار مقبلا . فركب خلفه الأمراء المذكورون ، وساروا مقدار ملقتين حتى تعبت خيولهم ... ولم يكن معهم خيول كثيرة ، لأنهم لم يكونوا يظنون خروجهم من القصر .

واشتغل أكثر أتباعهم بالنهب ، لأنه عند ماركب

الألفى وخرج من القصر .. دخله العسكر والأجناد ونهبوا مافيه من الأثقال والأمتعة والفرش وغيرها .

وكان كاتبه المعلم غالى ساكنا بالجيزة ، وكذلك كثير من أتباعه ومقدميه . فذهبوا الى دورهم .. فنهبوها ، وأخـذوا ماعنـد كاتبـه المذكور من الأموال . ثم نهبوا دور الجيزة عن آخرها ، ولم يتركوا بها جليلا ولا حقيرا حتى عروا ثياب النساء ، وفعلوا بها مثل مافعلوا بدمياط .

وأصبح الناس بالمدينة يوم الأحـد لايعلمون شيئا من ذلك ... الا أنهم سمعوا الصراخ ببيت حسين بيك جهة التبانة . وقيل انه قتل ببر الجيزة . فصار الناس فى تعجب وحيرة ، واختلفت رواياتهم ولم يفتحوا دكاكينهم ، ونقلوا أسـبابهم منها ... وظلوا غالب اليوم لم يعلموا سر قتل حسين بيك الا من صراخ أهل بيته . وكل ذلك وقع وابراهيم بيك جالس فى بيته ويسأل ممن يدخل اليه عن الخبر . وأحضر محمود جاويش المعين للسفر بالمحمل وصيرفى الصرة والكتبة ، واشتغل معهم ذلك اليوم فى عدد مال الصرة وحسابها ولوازم ذلك .

وبعد العصر ، أشيع المرور بالمحمل . فاجتمع الناس للفرجة ، فمروا به من الجمالية الى قراميدان قبل الغروب .

٨ مـ - (١٩ فبراير ١٨٠٤ م) :

ركب ابراهيـم بيك وأمراؤه الى قرميـدان ، وسلم المحمل . واجتمع الناس للفرجة على العادة ، فمروا به من الشارع الأعظم الى العادلية ، وأمامه الكسوة فى أناس قليلة وطبل وأشـاير . وعينوا للذهاب معه أربعمائة مغربى من الحجاج ، رتبوا لهم جامكية ثلاثين نفرا من عسكر الأرنؤود .

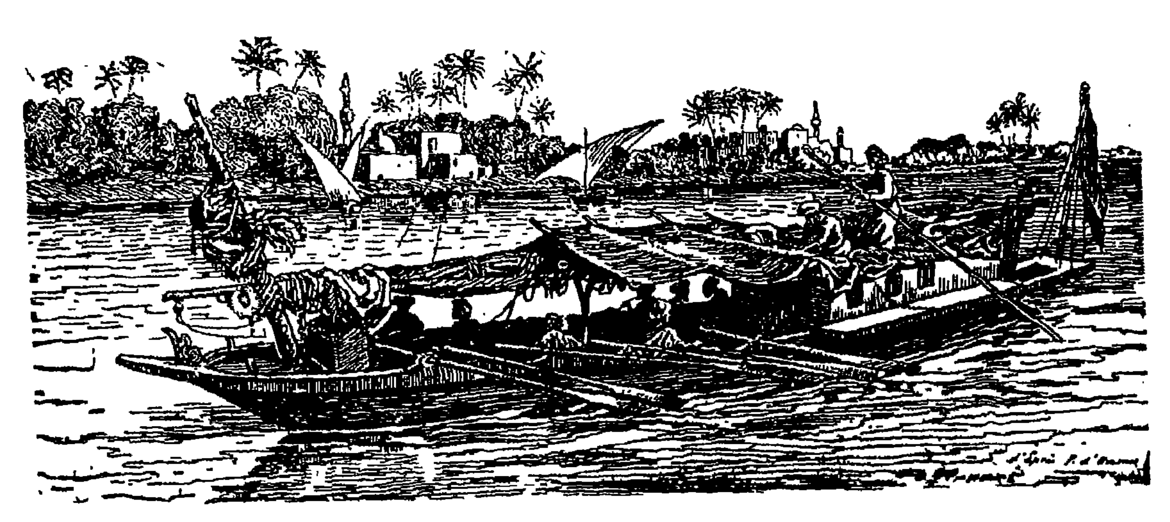
هـذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من أمر الألفى الكبير ... فانه لما حضر الى رشـيد يوم الأربعاء ثالثه ، كما تقدم ، قابله يحيى بيك ، وعمل له شنكا وطعاما ، وما يليق به ، وسأله عن مـدة اقامته فى رشيد ، فقـال له : « أريد الاقامة ستة أيام حتى نستريح » . ونزل ببيت مصطفى عبد الله التاجر، ولم يكن معه الا خاصة مماليكه وجوخداره تتمة ستة عشر ... فاستأذنه يحيى بيك فى ارسال الخبر الى مصر ، ليأتى الأمراء الى ملاقاته .. فلم يرض بذلك . ثم انه لم يقم برشيد الا ليلة واحدة . وأنزل أمتعته فى أربع مراكب من الرواحل ، وانتقل آخر الليل الى بيت البطروشى [1] القنصل . وأمر بتنقيـل المتاع الى مراكب النيـل ، وأهـدى له البطروشى غرابا من صناعة الانجليز مليح الشكل.. نزل هو به ، وصار الى مصر . وكان قصده الحضور بغتة فعندما يصلهم الخبر ، يصـبحون يجدونه فى الجيزة .. ويأبى الله الا ما يريد . فلم يسعفه الريح ، وكان تأخيره سببا لنجاته .

ولما وصل الخبر بحضوره ، وعملوا الشنك ... جهز له الألفى الصغير بعض الاحتياجات ، وأرسلها فى الذهبية والقنجة صحبة الخواجا محمود حسن وخلافه . فنزلوا من بولاق ، وانحدروا بعد الظهر من يوم السبت . فاجتمعوا به عند « نادر » نصف الليل .

فلما أصبح الصباح ، حضر اليه سليمان كاشف البواب وقابله ورجع معه الى منوف العلى . فأقام هناك يوم الأحد وبات هناك ، ودخل الحمام ، وسار منها بعد طلوع النهار ، وهم يسحبون المراكب باللبان لمخالفة الريح . فلم يزل سائرا الى الظهيرة ، فلاقاه عدة من عسـكر الأرنؤود الموجهـة اليه فى أربع مراكب ، فى مضيق الترعة . فسـلم عليهم ، فردوا عليه السلام . فسألهم بعض أتباعه بالتركى ، فقال لهم : « أين تريدون..؟ » . قالوا : «نريد الألفى» ، فقال لهم : « هاهو الألفى » . فسـكتوا ، ثم

---

(1) Petrucci نائب قنصل الانجليز فى رشيد .



القنجة

تلاغى الملاحون مع بعضهم ، فأعلموهم الخبر ، فنقلوه الى الألفى .. فكذب ذلك ، وقال : « هذا شىء لايكون .. ولا يصح أن اخواننا يفعلون ذلك معى ، وأنا سافرت وتغربت سنة لأجل راحتنا ، ولعلها حادثة بينهم وبين العسكر » .

ثم ان طائفة منهم أدركت الغراب الذى قدمه له البطروشى ، وكان متأخرا عن المراكب ، فصعدوا اليه ، وأخذوا مافيه من المتاع . فأخبروه بذلك .. ونظر ، فرآهم يفعلون ذلك . فأرسل اليهم بعض من معه من الأتراك ليستخبر عن شأنهم وأمرهم . ولم ينتظر رجوعه بالجواب ، ولكنه أخذ بالحزم ، ونزل فى الحال الى القنجة مع المماليك ... وصحبته الخواجا محمود حسن ، وأمرهم أن يمسكوا المقاذيف ... ففعلوا ذلك ، وهو يستحثهم ، حتى خرجوا من الترعة الى البحر . فلاقاهم طائفة أخرى فى سفينتين ، وفيهم سراج باشا تابع البرديسى — وكان بعيدا عنهم — فأعماهم الله عنه ، وكأنهم لم يظنوه اياه . ولم يزل يجد فى السير حتى وصل الى شبرا الشهابية . فنظر الى رجل ساع ، وأعلمه أنه مرسل من بيت سليمان كاشف البواب بخبر الواقع .

فعند ذلك تحقق الخبر ، وطلع الى البر ، وأمر بتغريق القنجة ، ومشى مع المماليك على أقدامهم ، وتخلف عنه الخواجا محمود حسن بشبرا . فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرنفيل ، ودخل الى نجع عرب الحويطات ، والتجأ الى امرأة منهم ، فأجارته ولبت دعوته ، وأركبته فرسا وأصحبت معه شخصين هجانين . وركب معهما وسار الى قرب الخانكة ليلا والمماليك معه مشاة . فقابلهم جماعة من عرب بلى — وكبيرهم يقال له سعد ابراهيم — فاحتاطوا به ، فاشتغل المماليك بحربهم ، فتركهم وسار مع الهجانة الى ناحية الجبل ، ومضى . فسمع الأجناد القريبون منهم — وفيهم البرديسى — صوت البنادق بين العرب والمماليك ، فأسرعوا اليهم وسألوهم عن سيدهم . فقالوا : « انه كان معنا .. وفارقنا الساعة » .

فأمر البرديسى من معه من المماليك والأجناد أن يسرعوا خلفه ويتفرقوا فى الطرق ، وكل من أدركه فليقتله فى الحال . فذهبوا خلفه ، فلم يعثر به أحد منهم ، وخرم عليه سعد ابراهيم بجماعة قليلة من طريق يعرفها ، فرمى لهم مامعه من الذهب

والجوهر والكرك الذى على ظهره ... فاشتغلوا به ، وتركهم وسار وغاب أمره .

وفى حال جلوسه عند العرب ، مر عليهم طائفة من الأجناد سائرين ... لأنهم لما فعلوا فعلتهم فى الجيزة ، لم يبق لهم شغل ... الا هو . وأخذوا فى الاحتياط عليه ما أمكن . فأرسلوا عسكرا فى المراكب ، وانبثت طوائفهم فى الجهات البحرية شرقا وغربا . فذهبت طائفة منهم الى الشرقية ، وطائفة الى القليوبية ، وكذلك المنوفية والغربية والبحيرة ، وسلكوا طريق الجبل الموصلة الى قبلى .

وذهب حسين بيك ، ورستم بيك ، الى صالح بيك الألفى الذى بالشرقية ، وذهب شاهين بيك الى سليمان كاشف البواب من البر الغربى ، ليقطع عليه الطريق . وذهب على بيك أيوب ومحمد على ... على جهة القليوبية ليلحقه بمنوف

فلما وصل الى دجوة ، تعوق بسبب قلة المعادى . فلما وصل الى منوف ، فوجدوه عدى الى الجهة الأخرى ، فأخذوا متروكاته التى تركها — وهى بعض خيول وجمال ، وخمسين زلعة سمن مسلى — وعملوا على أهل البلد أربعة آلاف ريال قبضوها منهم ورجعوا . وكان عندما بلغه الخبر الاجمالى ... لم يكذب المخبر — وذلك بعد مفارقة الألفى له بنحو ثلاث ساعات — فعدى فى الحال الى الجهة الغربية بأثقاله وعساكره ، فوجد أمامه شاهين بيك فأرسل يطلب منه أمانا ، فأجابه الى ذلك . وأرسل الى مصر من يأتى بالأمان ، واطمأن شاهين بيك . فارتحل سليمان كاشف ليلا .

فلما أصبح شاهين بيك وجده قد ارتحل ، فرجع بخفى حنين ، وعدى الى القليوبية ، فبلغه خبر الألفى وما وقع له مع العرب فطلبهم ، فأخبروه أنه غاب عنهم فى الجبل من الطريق الفلانى ، فقبض عليهم ، وأحضرهم صحبته مشنوقين فى عمائمهم . ووجد المماليك ، فقبض عليهم وأرسلهم الى البرديسى . وأما مراكبه ، فانه عندما نزل الى القنجة وفارقها ، أدركها العسكر الذين قابلوه فى المراكب ونهبوا مافيها ، وكان بها شىء كثير من الأموال وظرائف الانكليز ، والأمتعة والجوخ ، والأسلحة والجواهر . فانه لما وصل الى القرالى أكرمه اكراما كثيرا ، وأهدى اليه تحفا غريبة ، وكذلك آكابرهم ، وأعطاه جملة كافية من المال على سبيل الأمانة ، يرسل له بها غلالا وأشياء من مصر . واشترى هو لنفسه أشياء بأربعة آلاف كيس ، يدفعها الى القنصل بمصر ، وأرسل له بها القرالى بولصة ، وأهدى له صورة نفسه من جوهر ، ونظارات وآلات وغير ذلك .

وأما الألفى الصغير ، فانه ذهب الى جهة قبلى ، وفرد الفرد والكلف على البلاد ، ومن عصى عليه أو توانى فى دفع المطلوب ، نهبهم وحرقهم .

وأما صالح بيك الألفى ، فانه لما وصل اليه الخبر ، وقدوم الموجهين اليه ... ركب فى الحال من زنكلون ، وترك حملته وأثقاله ، فلم يدركوه أيضا .

٩ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٤ م) :

أحضروا مماليك الألفى الكبير وجوخداره الى بيت البرديسى وأرسل ابراهيم بيك والبرديسى مكاتبات الى الأمراء بقبلى ، وهم : سليمان بيك الخازندار ، حاكم جرجا ، وعثمان بيك حسن بقنا ، ومحمد بيك ، المعروف بالغربية الابراهيمى ... يوصونهم ويحذرونهم من التفريط فى الألفى الصغير والكبير ان وردا عليهم .

وأما شاهين بيك ، فانه عدى الى الشرقية ، واجتهد فى التفتيش . ثم رجع فى يوم الثلاثاء المذكور وأمامه العرب المتهمون بأنهم يعرفون

طريقه ، وأنهم أدركوه ... فأعطاهم جوهرا كثيرا وتركوه . وأحضروا صحبتهم حقا من خشب وجدوه مرميا فى بعض الطرق . فأحضر البرديسى مماليك الألفى وأراهم ذلك الحق ، فقالوا : « نعم .. كان مع أستاذنا ، وفى داخله جوهر ثمين » .

وأرسلوا عدة من المماليك والهجانة الى الطريق التى ذكرها العرب . وأحضر البرديسى ابن شديد وسأله ، فأخبره أنه لم يكن حاضرا فى نجعه وأن أمه أو خالته هى التى أعطته الفرس والهجانة ، فوبخه ولامه . فقال له : « هذه عادة العرب من قديم الزمان .. يجيرون طنيبهم ، ولا يخفرون ذمتهم » . فحبسه أياما ثم أطلقه . وقيل انه مر عليه على بيك أيوب ومحمد على ومن معهم من العسكر ، وهو فى خيش العرب ، وهو يراهم . وأعماهم الله عن تفتيش النجع ، وعن السؤال أيضا !

وفى ذلك اليوم : خرج عثمان بيك يوسف وحسين بيك الوالى وأحمد أغا شويكار الى جهة الشرقية ، ومرزوق بيك الى القليوبية ... يفتشون على الألفى .

وفيه : شرعوا فى تشهيل تجريدة الى الألفى الصغير . وأميرها شاهين بيك ؛ وصحبته محمد بيك المنفوخ ، وعمر بيك ، وابراهيم كاشف .

١٢ منه (٢٣ فبراير ١٨٠٤ م) :

سافرت قافلة الحج بالمحمل الى السويس .

١٣ منه (٢٤ فبراير ١٨٠٤ م) :

حضر على بيك أيوب ومحمد على من سرحتهما على غير طائل .

وفيه : سافر قنصل الانكليز من مصر بسبب هذه الحادثة . فانه لما وقع ذلك .. اجتمع بابراهيم بيك والبرديسى ، وتكلم معهما ، ولامهما على هذه الفعلة ، وكلمهما كلاما كثيرا ... منه أنه قال لهما : «هذا الذى فعلتماه لأجل نهب مال القرالى . ومطلوب منى أربعة آلاف كيس .. وهى البوليصة الموجهة على الألفى » وغير ذلك . فلاطفاه وأرادا منعه من السفر ، فقال : « لا يمكن أنى أقيم ببلدة هذا شأنها ، وطريقتنا .. لا نقيم الا فى البلدة المستقيمة الحال ! » . ثم نزل مغضبا وسافر ، وأراد أيضا قنصل الفرنسيس السفر فمنعاه .

وفيه : طلب العسكر جماكيهم من الأمراء ، وشددوا فى الطلب ، واستثقلوا الأمراء فى أعينهم ، وتكلموا مع محمد على واحمد بيك وصادق أغا كلاما كثيرا . فسعوا فى الكلام مع الأمراء المصرلية ، فوعدوهم الى يوم الثلاثاء .

ومات بقطر المحاسب كاتب البردسى يوم الأحد .

١٦ منه (٢٧ فبراير ١٨٠٤ م) :

اجتمع العسكر ببيت محمد على ، وحصل بعض قلقة ، فحولهم على القبط بمائتى ألف ريال منها : خمسون على غالى كاتب الألفى ، وثلاثون على تركة بقطر المحاسب ، والمائة والعشرون موزعة عليهم . فسكن الاضطراب قليلا .

وفيه : رجع مرزوق بيك من القليوبية .

١٧ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٤ م) :

توفى ابراهيم أفندى الروزنامجى .

وفيه : حصلت رجات وقلقات بسبب العسكر وجماكيهم ، وأرادوا أخذ القلعة فلم تتمكنوا من ذلك . وقفل الناس دكاكينهم . وقتلوا رجلا نصرانيا عند حارة الروم ، وخطفوا بعض النساء وأمتعة وغير ذلك .

وركب محمد على ونادى بالأمان .

٢٠ منه (٢ مارس ١٨٠٤ م) :

حضر سليمان كاشف البواب بالأمان ، ودخل الى مصر .

٢١ منه (٣ مارس ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن كشاف الألفى المحبوسين .

وفيه : حضر عثمان بيك يوسف من ناحيـة الشرقية واستمر هناك حسين بيك الوالى ورستم بيك وذهب المنفوخ واسماعيل بيك الى ناحية شرق اطفيح ، لأنه أشيع أن الألفى ذهب عند عرب المعـازة . فقبضوا على جماعة منهم وحبسوهم ، وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحى ، وأعطوهم دراهم يفتشون على الألفى .

وفيه : شرعوا فى عمل فردة على أهل البلد ، وتصدى لذلك المحروقى . وشرعوا فى كتب قوائم لذلك ، ووزعوها على العقار والأملاك . أجرة سنة . تقوم بدفع نصفها المستأجر ، والنصف الثانى يدفعه صاحب الملك .

٢٤ منه (٦ مارس ١٨٠٤ م) :

سرح كتاب الفردة والمهندسون ، ومع كل جماعة شخص من الأجناد،وطافوا بالأخطاط يكتبون قوائم الأملاك ، ويصقعون الأجـر . فنزل بالناس ما لا يوصف من الكدر مع ماهم فيه من الغلاء ووقف الحال . وذلك خلاف ماقرروه على قرى الأرياف .

فلما كان فى عصر ذلك اليـوم ، تطقت أفـواه الناس بقولهم : « الفردة بطالة .. » وباتوا على ذلك ، وهم مابين مصدق ومكذب !

٢٥ منه (٧ مارس ١٨٠٤ م) :

أشيع ابطال الفردة مع سعى الكتبة والمهندسين فى التصقيع والكتـابة ، وذهبوا الى نواحى باب الشـعرية ، ودخلوا درب مصطفى . فضج الفقراء والعـامة والنساء ، وخرجوا طوائف يصرخون ... وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويندبن وينعين ، ويقلن كلاما على الأمـراء ، مثل قولهم : « ايش تاخد من تفليسى .. يا برديسى ! » ، وصبغن أيديهن بالنيلة .. وغـير ذلك . فاقتـدى بهن خلافهن ، وخرجوا أيضـا ومعهم طبول وبيـارق ، وأغلقوا الدكاكين . وحضر الجمع الكثير الى الجامع الأزهر ، وذهبوا الى المشايخ ، فركبوا معهم الى الأمراء ، ورجعوا ينـادون بابطالها . وسر النـاس بذلك ، وسكن اضطرابهم .

وفى وقت قيام العامة ، كان كثير من العسـكر منتشرين فى الأسواق . فداخلهم الخوف ، وصاروا يقولون لهم : « نحن معكم .. سوا .. سوا . أنتم رعية .. ونحن عسكر . ولم نرض بهـذه الفردة . وعلوفاتنا على الميرى ، ليست عليكم .. أنتم أناس فقراء ! » فلم يتعرض لهم أحد .

وحضر كتخدا محمد على مرسولا من جهته الى الجامع الأزهـر ، وقال مثـل ذلك ، ونادى به فى الأسواق ففرح الناس ، وانحرفت طبـاعهم عن الأمـراء ، ومالوا الى العسـكر . وكانت هـذه الفعله من جملة الدسائس الشيطانية !

فان محمد على لما حرش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته ، وأوقع به ما تقدم ذكره ، بمعونة طاهر باشا والأرنؤود ، ثم بالأتراك عليه ... حتى أوقع به أيضا . وظهر أمر أحمد باشا ، وعرف أنه ان تم له الأمر ، ونمـا أمر الأتراك .. لايبقون عليه . فعاجله وأزاله بمعونة الأمراء المصرليـة . واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا . ثم محاربة محمد باشا بدمياط ، حتى أخذوه أسيرا . ثم التحيل على على باشا الطرابلسى حتى أوقعوه فى فخهم وقتلوه ونهبوه .. كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين ، وخصوصا البرديسى ... فانه تآخى معه ، وجـرح كل منهما نفسه ، ولحس من دم الآخر ! واغتر به البرديسى ، وراج سوقه عليه ، وصدقه وتعضد به ، واصطفاه دون خشداشينه ، وتحصن بعساكره ، وأقامهم حوله فى الأبراج ، وفعل بمعونتهم مافعله بالألفى وأتباعه ،

وشردهم ، وقص جناحه بيده ، وشتت البواقى ، وفرقهم بالنواحى فى طلبهم . فعند ذلك استقلوهم فى أعينهم ، وزالت هيبتهم من قلوبهم ، وعلموا خيانتهم ، وسفهوا رأيهم ، واستضعفوا جانبهم ، وشمخوا عليهم ، وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة...مع الاحجام — خوفا من قيام أهل البلد معهم ، ولعلمهم بميلهم الباطنى اليهم . فاضطروهم الى عمل هذه الفردة ، ونسب فعلها للبرديسى ... فثارت العامة ، وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد على والعسكر من ذلك ، وساعدوهم فى رفعها عنهم . فمالت قلوبهم اليهم ، ونسوا قبائحهم ، وابتهلوا الى الله فى ازالة الأمراء ، وكرهوهم ، وجهروا بالدعاء عليهم . وتحقق العسكر منهم ذلك .

وانحرف الأمراء على الرعية باطنا ... بل أظهر البرديسى الغيظ والانحراف من أهل مصر . وخرج من بيته مغضبا الى جهة مصر القديمة ، وهو يلعن أهل مصر ويقول : « لابد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات . ولأفعل بهم وأفعل ... حيث لم تمتثلوا لأوامرنا ! » . ثم أخذوا يديرون على العسكر ، وأرسلوا الى جماعتهم المتفرقين فى الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور .

فأرسلوا الى حسين بيك الوالى ورستم بيك من الشرقية ، واسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ومحمد بيك المنفوخ ... ليأتيا من شرق أطفيح . والفريقان كانوا لرصد الألفى وانتظاره .

وأرسلوا الى سليمان بيك حاكم الصعيد بالحضور من أسيوط بمن حوله من الكشاف والأمراء . والى يحيى بيك حاكم رشيد ، وأحمد بيك حاكم دمياط . وأصعدوا محمد باشا المحبوس الى القلعة .

٢٨ منه (١٠ مارس ١٨٠٤ م) :

علم الأرنؤودية منهم ذلك ... فبادروا واجتمعوا بالأزبكية ، فارتاع الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب . وذهب جمع من العسكر الى ابراهيم بيك ، واحتاطوا بمهمات بيته بالدوادية ، وكذلك بيت البرديسى بالناصرية . وتفرقوا على بيوت باقى الأمراء والكشاف والأجناد .

وكان ذلك وقت العصر ، والبرديسى عنده عدة كبيرة من العسكر المختصين به ، ينفق عليهم ويدر عليهم الأرزاق والجماكى والعلوفات ، ومنهم الطبجية وغيرهم . وعمر قلعة الفرنسيس التى فوق تل العقارب بالناصرية ، وجددها بعد تخربها ، ووسعها ، وأنشأ بها أماكن ، وشحنها بآلات الحرب والذخيرة والجبخانة . وقيد بها طبجية وعساكر من الأرنؤودية .. وذلك خلاف المتقيدين بالأبراج والبوابات التى أنشأها قبالة بيته بالناصرية جهة قناطر السباع والجهة الأخرى كما سبق ذكر ذلك .

فلما علم بوصول العساكر حول دائرته — وكان جالسا صحبة عثمان بيك يوسف — فقام وقال له : « كن أنت فى مكانى هنا ، حتى أخرج وأرتب الأمر وأرجع اليك » . وتركه وركب الى خارج فضربوا عليه بالرصاص ، فخرج على وجهه بخاصته وهجنه ولوازمه الخفيفة ، وذهب الى ناحية مصر القديمة .. وذلك فى وقت الغروب .

وكان العسكر نقبوا نقبا من الجنينة التى خلف داره ودخلوا منه ، وحصلوا بالدار ، فوجدوه قد خرج بمن معه من المماليك والأجناد . فقاتلوا من وجدوه ، وأوقعوا النهب فى الدار ، وانضم اليهم أجناسهم المتقيدون بالدار ، وقبضوا على عثمان بيك يوسف ومماليكه ، وشلحوهم ثيابهم ، وسحبوهم بينهم عرايا مكشوفى الرءوس . وتسلمهم طائفة منهم على تلك الصورة ، وذهبوا

بهم الى جهة الصليبة ، فأودعوهم بدار هناك .

وفى سابع ساعة من الليل ، أرسل محمد على جماعة من العسكر ومعهم فرمان وصل من أحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية بولايته على مصر . فذهبوا به الى القاضى ، وأطلعوه عليه ، وأمروه أن يجمع المشايخ فى الصباح ويقرأه عليهم ليحيط علم الناس بذلك .

فلما أصبح ، أرسل اليهم فقالوا : « لاتصح الجمعية فى مثل هذا اليوم ... مع قيام الفتنة » . فأرسله اليهم واطلعوا عليه . وأشيع ذلك بين الناس .

وأما ابراهيم بيك ، فانه استمر مقيما ببيته بالداودية ، وأمر مماليكه وأتباعه أن يجلسوا برءوس الطرق الموصلة اليه . فجلس منهم جماعة — وفيهم عمر بيك تابعه — بسبيل الدهيشة المقابل لباب زويلة ، وكذلك ناحية تحت الربع والقربية وجهة سويقة لاجين والداودية وصار العسكر يضربون عليهم وهم كذلك ، ودخل عليهم الليل . فلم يزالوا على ذلك الى الصباح ، واضمحل حالهم ، وقتل الكثير من المماليك والأجناد ، ووصل اليهم خبر خروج البرديسى . فعند ذلك طلبوا الفرار والنجاة بأرواحهم .

وعلم ابراهيم بيك بخروج البرديسى ، وأنه ان استمر على حاله أخذ . فركب فى جماعته فى ثانى ساعة من النهار ، وخرجوا على وجوههم ... والرصاص يأخذهم من كل ناحية . فلم يزل سائرا حتى خرج الى الرميلة ، وهدم فى طريقه أربعة متاريس ، وأصيب بعض مماليك وخيول وخدامين ، وأصيب رضوان كتخداه وطلعت روحه عند الرميلة ، فأنزلوه عند باب العزب ، وأخذوا ما معه من جيوبه ، ثم شالوه الى داره ودفنوه .

وقبضوا على عمر بيك تابع الأشقر الابراهيمى من سبيل الدهيشة هو ومماليكه . وأما الذين بالقلعة من الأمراء فانهم أصبحوا يضربون بالمدافع والقنابر على بيوت الأرنؤود بالأزبكية الى الضحوة الكبرى .

فلما تحققوا خروج ابراهيم بيك والبرديسى ومن أمكنه الهروب ... لم يسعهم الا أنهم أبطلوا الرمى ، وتهيأوا للفرار ، ونزلوا من باب الجبل ، ولحقوا بابراهيم بيك . وعند نزولهم أرادوا أخذ محمد باشا وعلى باشا القبطان وابراهيم بيك ، فقام عليهم عسكر المغاربة ومنعوهم من أخذهم . ونهب المغاربة الضربخانة وما فيها من الذهب والفضة والسبائك .. حتى العدد والمطارق .

وتسلم العسكر القلعة من غير مانع ، ولم تثبت المصرلية للحرب نصف يوم فى القلعة ، ولم ينفع اهتمامهم بها طول السنة من التعمير والاستعداد ، وما شحنوه بها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب ، وملأوا ما بها من الصهاريج بالماء الحلو .

وقام أحمد بيك الكلارجى وعبد الرحمن بيك الابراهيمى وسليم أغا مستحفظان من وقت مجيئهم الى مصر متقيدين ومرتبطين بها ليلا ونهارا ... لا ينزلون الى بيوتهم الا ليلة فى الجمعة بالنوبة ، اذا نزل أحدهم أقام الآخران .

وطلع محمد على اليها ، ونزل وبجانبه محمد باشا خسرو ورفقاؤه ، وأمامهم المنادى ينادى بالأمان ... حكم مارسم محمد باشا ومحمد على . وأشيع فى الناس رجوع محمد باشا الى ولاية مصر ، فبادر المحروقى الى المشايخ ، فركبوا الى بيت محمد على يهنئون الباشا بالسلامة والولاية . وقدم له المحروقى هدية . وأقام على ذلك بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء .

فكان مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة . فانه حضر الى مصر بعد كسرته بدمياط فى آخر ربيع



محمد علي

الأول ، وهو آخر يوم منه ، وأطلق فى آخر يوم من ذى القعدة .

وخرج الأمراء على أسوأ حال من مصر ، ولم يأخذوا شيئا مما جمعوه وكنزوه من المال وغيره ... الا ما كان فى جيوبهم ، أو كان منهم خارج البلد ، مثل سليم كاشف أبى دياب ، فانه كان مقيما بقصر العينى ، أو الغائبين منهم جهة قبلى وبحرى ، وأما من كان داخل البلد فانه لم يخلص له سوى ماكان فى جيبه فقط .

ونهب العسكر أموالهم وبيوتهم وذخائرهم وأمتعتهم وفرشهم ، وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم ، وسحبوهن بينهم من شعورهن ، وتسلطوا على بعض بيوت الأعيان من الناس المجاورين لهم ، ومن لهم بهم أدنى نسبة أو شبهة ، بل وبعض الرعية ... الا من تداركه الله برحمته ، أو التجأ الى بعض منهم ، أو صالح على بيته بدراهم يدفعها لمن التجأ اليه منهم !

ووقع فى تلك الليلة واليومين بعدها ما لا يوصف من تلك الأمور ، وخربوا أكثر البيوت ، وأخذوا أخشابها ، ونهبوا ما كان بحواصلهم من الغلال والسمن والأدهان ، وكان شيئا كثيرا ، وصاروا يبيعونه على من يشتريه من الناس . ولولا اشتغالهم بذلك لما نجا من الأمراء المصرليه الذين كانوا بالبلدة أحد . ولو رجع الأمراء عليهم ، وهم مشتغلون بالنهب ، لتمكنوا منهم ، ولكن غلب عليهم الخوف والحرص على الحياة والجبن ، وخابت فيهم الظنون ، وذهبت نفختهم فى الفارغ ، وجازاهم الله ببغيهم وظلمهم وغرورهم . وخصوصا مافعلوه مع على باشا من الحيل حتى وقع فى أيديهم ، ثم رذلوه وأهانوه وقتلوا عسكره ونهبوا أمواله ، ثم طردوه وقتلوه . فانه ، وان كان خبيثا ، لم يعمل معهم مايستحق ذلك كله . وأعظم منه مافعلوه مع أخيهم الألفى الكبير بعدما سافر لحاجتهم وراحتهم وصالح عليهم ، ورتب لهم مافيه راحتهم وراحة الدولة معهم بواسطة الانكليز ، وغاب فى البحر المحيط سنة ، وقاسى هول الأسفار ، والفراتين فى البحار ... فجازوه بالتشريد والتشتيت والنهب ، وقتل أتباعه وحبسهم وبلصهم ، واتخذوهم أعداء وأخصاما من غير جرم ولا سابقة عداوة معهم ... الا الحسد والحقد ، وحذرا من رياسته عليهم . وكانت هذه الفعلة سببا لنفور قلوب العسكر منهم ، واعتقادهم خيانتهم وقلتهم فى أعينهم .

فان الألفى وأتباعه كانوا مقدار النصف منهم ، ونصف النصف متفرق فى الأقاليم ، مغمورون فى غفلتهم ، ومشتغلون بما هم فيه من مغارم الفلاحين وطلب الكلف . فلما أرسلوا لهم بالحضور ، لم يسهل بهم ترك ذلك ، ولم يستعجلوا الحركة حتى يستوفوا مطلوباتهم من القرى ... الى أن حصل ما حصل ، ونزل بهم ما نزل . ولم يقع لهم منذ ظهورهم أشنع من هذه الحادثة ، وخصوصا كونها على يد هؤلاء ، وكانوا يرون فى أنفسهم أن الشخص منهم يدوس برجله الجماعة من العسكر ! وأحسنوا ظنهم فيهم ، واعتقدوا انهم صاروا أتباعهم وجندهم ... مع أنهم كانوا قادرين على ازالتهم من الاقليم ، وخصوصا عندما خرجوا من المدينة لملاقاة على باشا ، وأخرجوا جميع العسكر وحازوهم الى جهة البحر ، وحصنوا أبواب البلد بمن يثقون به من أجنادهم ، ورسموا لهم رسوما امتثلوها . فلو أرسلوا لهم بعد ايقاعهم بعلى باشا أقل أتباعهم وأمروهم بالرحلة لما وسعتهم المخالفة ، حتى ظن كثير ممن له أدنى فطنة حصول ذلك ... فكان الأمر بخلاف ذلك ، ودخلوا بعد ذلك ، وهم بصحبتهم ، ضاحكين من غفلة القوم ، ومستبشرين برجوعهم ودخولهم الى المدينة ثانيا .

وعند ذلك تحقق لذوى الفطن سوء رأيهم وعدم فلاحهم .

وزادوا فى الطنبور نغمه بما صنعوه مع الألفى ... وكان العسكر يهابون جانبه ، ويخافون أتباعه ويخشونهم . وخصوصا لما سمعوا بوصوله على الهيئة المجهولة لهم ... داخلهم من ذلك أمر عظيم استمر فى أخلاطهم يوما وليلة الى أن جلاه البرديسى ومن معه بشؤم رأيهم وفساد تدبيرهم ، وفرقوا جمعهم فى النواحى حرصا على قتل الألفى وأتباعه .

فعند ذلك ، زالت هيبتهم من قلوب العسكر وأوقعوا بهم ما أوقعوه ... ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله !

ذو الحجة

الثلاثاء غرته (١٣ مارس ١٨٠٤ م) :

قلدوا على أغا الشعراوى واليا على مصر .

وفيه : نهبوا بيت محمد أغا المحتسب ، وقبضوا عليه وحبسوه .

الاربعاء ٢ منه (١٤ مارس ١٨٠٤ م) :

أنزلوا محمد باشا خسرو وابراهيم باشا الى بولاق ، وسفروهما الى بحرى ومعهما جماعة من العسكر .

وكانت ولايته — هذه الولاية الكذابة — شبيهة بولاية أحمد باشا الذى تولى بعد قتل طاهر باشا يوما ونصفا وكان قد اعتقد فى نفسه رجوعه لولاية مصر ، حتى أنه لما نزل من القلعة الى بيت محمد على ، نظر الى بيته من الشباك مهدوما متخربا ، فطلب فى ذلك الوقت المهندسين وأمرهم بالبناء ، وذلك من وساوسه . ويقال ان السبب فى سفره اخوة طاهر باشا ، فانهم داخلهم غيظ شديد . ورأى محمد على نفرتهم وانقباضهم من ذلك ، وعلم أنه لايستقيم حاله معهم ، وربما تولد بذلك شر ... فعجل بسفره وذهابه .

ومن الاتفاقات العجيبة أيضا ، أن طاهر باشا لما غدر بمحمد باشا ، أقام بعده اثنين وعشرين يوما ، وكذلك لما غدر المصرلية بالألفى ، لم يقوموا بعد ذلك الا مثل ذلك .

وفيه : صعد عابدى بيك أخو طاهر باشا بالقلعة ، وأقام بها .

الخميس ٣ منه (١٥ مارس ١٨٠٤ م) :

أطلقوا عثمان بيك يوسف ، وسافر الى جماعته



جانب من بيوت بعض الأعيان ... فى القاهرة

جهة قبلي ويقال انه افتدى نفسه منهم بمال ، وأطلقوه ومعه خمسة مماليك ، وأعطوه خمسة جمال وأربعة هجن وخيلا .

وفيه : أفرجوا عن محمد أغا المحتسب وأبقوه في الحسبة على مصلحة عملوها عليه . وقام بدفعها ، وركب وشق في المدينة ، وعمل تسعيرة ، ونادى بها في الشوارع والأسواق .

وأما الأمراء ، فانهم باتوا أول ليلة جهة البساتين . وفي ثاني يوم ، ذهبوا الى حلوان . وحضر اليهم حسين بيك الوالي ورستم بيك من الشرقية . ومروا من تحت القلعة ، وانفصلوا من العسكر الذين كانوا معهم في المطرية ، وتركوا لهم الحملة . ووصل اليهم أيضا يحيى بيك من ناحية رشيد ، وأحمد بيك من دمياط ، وذهبوا اليهم . ووصل يحيى بيك من ناحية الجيزة ، وأحضر معه عربانا كثيرة من الهنادي وبني على وغيرهم ، ونزلوا باقليم الجيزة ، ونهبوا البلاد ، وأكلوا المزروعات ، واستمروا على ذلك ، وانتشروا الى أن صارت أوائلهم بزاوية المصلوب وأواخرهم بالجيزة .

وفيه : كتبوا مكاتبات من نساء الأمراء المصرلية بأنهم لايتعرضون لأحد من العساكر الكائنة بقبلي ، وان قتل منهم أحد ... اقتصوا من حريمهم وأولادهم بمصر .

الجمعة ٤ منه (١٦ مارس ١٨٠٤ م) :

حضر محمد بيك المبدول بأمان ودخل الى مصر .

الأحد ٦ منه (١٨ مارس ١٨٠٤ م) :

أصعدوا عمر بيك ، وبقية الكشاف ، وبعض الأجناد المصرية ... الى القلعة .

وفيه : عدى كثير من العسكر الى بر الجيزة ، ووقع بينهم وبين العرب بعض مناوشات ، وقتل أناس كثيرة من الفريقين .

الاثنين ٧ منه (١٩ مارس ١٨٠٤ م) :

ظهر محمد بيك الألفي الكبير من اختفائه ... وكان متواريا بشرقية بلبيس برأس الوادي عند شخص من العربان يسمى عشيبة . فأقام عنده مدة هذه الأيام ، وخلص اليه صالح تابعه بما معه من المال . وكان البرديسي استدل على مكانه ، وأحضر أناسا من العرب ، وجعل لهم مالا كثيرا عليه ، وأخذوا في التحيل عليه ... فحصلت هذه الحوادث وجوزى البرديسي بنيته ، وخرج من مصر كما ذكر . وكانوا في تلك المدة يشيعون عليه اشاعات : مرة بموته ، ومرة بالقبض عليه ، وغير ذلك .

فلما حصل ما حصل ، وانجلت الطرق من المراصدين ... اطمأن حينئذ ، وركب في عدة من الهجانة ، وصحبته صالح بيك تابعه ، ومروا من خلف الجبل ، وذهب الى شرق أطفيح ، ونزل عند عرب المعازة ، وتواتر الخبر بذلك .

الاربعاء ٩ منه (٢١ مارس ١٨٠٤ م) :

وصل أحمد باشا خورشيد الى منوف ، فتقيد السيد أحمد المحروقي وجرجس الجوهري بتصليح بيت ابراهيم بيك بالدوادية وفرشه .

الاثنين ١٤ منه (٢٦ مارس ١٨٠٤ م) :

وصل الباشا الى ثغر بولاق ، فضربوا شنكا ومدافع . وخرج العساكر في صبحها والوجاقلية ، وركب ودخل من باب النصر ، وأمامه كبار العساكر بزينتهم ، ولم يلبس الشعار القديم .. بل ركب بالتخفيفة ، وعليه قبوط مجرور ، وخلفه النوبة التركية ، ودخل الى الدار التي أعدت له بالداودية . وقدموا له التقادم ، وعملوا بها تلك الليلة شنكا وسواريخ .

الثلاثاء ١٥ منه (٢٧ مارس ١٨٠٤ م) :

مر الوالي وأمامه المنادي ، وبيده فرمان من

الباشا ، ينادى به على الرعية بالأمن والأمان والبيع والشراء .

وفيه : حضر عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، وكان فى بشبيش بناحية بحرى ، فطلب أمانا وحضر الى مصر .

الجمعة ١٨ منه (٣٠ مارس ١٨٠٤ م) :

تحول الباشا من الداودية الى الأزبكية ، وسكن ببيت البكرى ، حيث كان حريم محمد باشا ، فركب قبل الظهر فى موكب وذهب الى المشهد الحسينى ، وصلى الجمعة هناك ، ورجع الى الأزبكية .

وفيه : فتحوا طلب مال الميرى من السنة القابلة لضرورة النفقة . فاغتم الملتزمون لذلك ... لضيق الحال ، وتعطل الأسباب ، وعدم الأمن ، وتوالى طلب الفرد من البلاد ، فلو فضل للملتزم شىء .. لا يصل اليه الا بغاية المشقة وركوب الضرر ، لوثوب الخلائق من العربان والفلاحين والأجناد والعساكر على بعضهم البعض ، من جميع النواحى القبلية والبحرية . ثم ان الوجاقلية وبعض المشايخ راجعوا فى ذلك . فانحط الأمر بعد ذلك على طلب نصف مال الميرى من سنة تسعة عشر ، وبواقى سنة سبعة عشر وثمانية عشر ، وكذلك باقى الحلوان الذى تأخر على المفلسين . وكتبوا التنابيه بذلك ، وقالوا : « من لم يقدر على الدفع .. فليعرض تقسيطه على المزاد » . هذا والأجناد والعرب محيطة ببر الجيزة ، والعسكر من داخل الأسوار لا يجسرون على الخروج اليهم .

وحجزوا المراكب الواردة بالغلال وغيرها ، حتى لم يبق بالسواحل شىء من تلك الغلة أبدا . ووصل سعر الأردب القمح — ان وجد — خمسة عشر ريالا .

الاحد ٢٠ منه (اول ابريل ١٨٠٤ م) :

وصل العسكر الذين كانوا صحبة سليمان بيك حاكم الصعيد ، فدخلوا الى البلدة ، وأزعجوا كثيرا من الناس ، وسكنوا البيوت بمصر القديمة بعدما أخرجوهم منها ، وأخذوا فرشهم ومتاعهم..وكذلك فعلوا ببولاق ومصر عندما حضر الذين كانوا ببحرى.

وفيه : قلدوا الحسبة لشخص عثمانلى من طرف الباشا ، وعزلوا محمد أغا المحتسب . وكذلك عزلوا على أغا الشعراوى ، وقلدوا الزعامة لشخص آخر من أتباع الباشا ، وقلدوا آخر أغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢٢ منه (٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

خرجت عساكر كثيرة وعدت الى البحر الغربى . ووقعت فى صبحها حروب بينهم وبين المصرلية والعربان . وكذلك فى ثانى يوم ، ودخلت عساكر جرحى كثيرة ، وعملوا لهم متاريس عند ترسة والمعتمدية وتترسوا بها . والمصرلية والعربان يرمحون من خارج ، وهم لا يخرجون اليهم من المتاريس . واستمروا على ذلك الى يوم الأحد ٢٧ منه (٨ أبريل) .

وفى ذلك اليوم : ضربوا مدافع ورجع محمد على والكثير من العساكر . وأشيع ترفع المصرلية الى فوق ، ووقع بين العربان اختلاف ، وأشاعوا نصرتهم على المصرلية ، وأنهم قتلوا منهم أمراء وكشافا ومماليك وغير ذلك .

وفى ذلك اليوم : شنقوا شخصا بباب زويلة وآخر بالحبانية ، وهما من الفلاحين ، ولم يكن لهما ذنب . قيل انه وجد معهما بارود اشترياه لمنع الصائلين عليهم من العرب . فقالوا : انكم تأخذونه الى المحاربين لنا . وكان شيئا قليلا .

وفيه : نزل جماعة من العسكر جهة قبة الغورى ، ومعهم نحو ثلاثين نفرا بجمالهم ، فقرطوا القمح المزروع — وكان قد بدا صلاحه — فطارت عقول

الفلاحين ، واجتمعوا وتكاثروا عليهم ، وقبضــوا على ثلاثة أشخاص منهم ، وهرب الباقون . فدخلوا بهم المدينة ، ومعهم الأحمال وصحبتهم طبل وأطفال ونساء ، وذهبوا تحت بيت الباشـا . فأمر بقتل شخص منهم ... لأنه شـامي وليس بأرنؤودى ولا انكشارى ! فقتلوه بالأزبكية ، فوجـدوا عـلى وسطه ستمائة بندقى ذهب وثلثمائة محبوب ذهب.. والله أعلم .

وانقضت السنة وما حصل بها من الحوادث .

* * *

وأما من مات فيها ممن له ذكر ...

فمات الفقيـه العـلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ أحمد اللحام اليونسى ، المعروف بالعريشى الحنفى . حضر من بلدته خان يونس فى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف ، وحضر أشياخ الوقت ، وأكب على حضور الدروس ، وأخذ المعقول على مثـل الشيخ أحمد البيلى ، والشـيخ محمد الجناجى والصبان والفرماوى وغيرهم .

وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العريشى ولازمه وبه تخرج ، وحضر على الشـيخ الوالد فى الدر المختار ، من أول كتاب البيوع الى كتاب الاجارة بقراءته ... وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف . ولم يزل ملازما للشيخ عبد الرحمن ملازمة كلية ، وسافر صحبته الى اسلامبول فى سنة تسعين لبعض المقتضيات . وقرأ هناك الشفاء والحـكم بقراءة المترجم ، وعاد صحبته الى مصر . ولم يزل ملازما له حتى حصل للعريشى ما حصـل ، ودنت وفاته . فأوصى اليـه بجميع كتبـه ، واستقر عوضه فى مشيخة رواق الشوام ، وقرأ الدروس فى محله .

وكان فصيحا مستحضرا ، متضلعا من المعقولات والمنقولات ، وقصدته الناس فى الافتاء ، واعتمدوا أجـوبته .

وتداخل فى القضايا والدعاوى ، واشتهر ذكره .

واشترى دارا واسعة فى سوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشـعرية ، وتجمل بالملابس ، وركب البغال ، وصار له أتباع وخدم .

وهرعت الناس والعامة والخاصـة فى دعاويهم وقضاياهم وشكاويهم .. اليه .

وتقلد نيابة القضاء لبعض قضـاة العسـاكر أشهرا . ولمـا حضرت الفرنسـاوية الى مصر ، وهرب القاضى الرومى بصحبة كتخـدا الباشـا — كما تقدم — تعين المترجم للقضاء بالمحكمـة الكبيرة ، وألبسه كلهبر سارى عسكر الفرنساوية خلعة مثمنة ، وركب بصحبة قائمقام فى موكب الى المحكمة ، وفوضوا اليه أمر النواب بالأقاليم .

ولما قتل كلهبر ، انحرف عليه الفرنسـاوية ، لكون القاتل ظهر من رواق الشوام ... وعزلوه . ثم تبينت براءته من ذلك ... الى أن رتبوا الديوان فى آخر مدتهم . ورسم عبد الله جاك منو باختيار قاض بالقرعة ، فلم تقم الا على المترجم ، فتولاه أيضـا . وخلعوا عليه ، وركب مثـل الأول الى المحكمة ، واستمر بها الى أن حضرت العثمانيـون وقاضيهم ، فانفصل عن ذلك ولازم بيته ، مع مخالطة فصل الخصومات والحكومات والافتاء .

ثم قصد الحج فى هذه السنة ، فخـرج مـع الركب ، وتمرض فى حال رجوعه ، وتوفى ودفن بنبط .. رحمه الله .

* * *

ومات الشيخ الامام ، العمدة الفقيه ، الصالح المحقق ، الشيخ على المعروف بالحياط الشافعى حضر أشياخ الوقت ، وتفقه على الشـيخ عيسى البراوى ولازم دروسه وبه تخرج ، واشتهر بالعلم والصلاح ، وأقرأ الدروس الفقهيـة والمعقولية ، وانتفع به الطلبة ، وانقطع للعلم والافادة .

ولمـا وردت ولاية جدة لمحمد باشا توسون ، طلب انسانا معروفا بالعلم والصـلاح ، فذكر له

الشيخ المترجم ، فدعاه اليه وأكرمه وواساه وأحبه ، وأخذه صحبته الى الحجاز ، وتوفى هناك .. رحمه الله .

* * *

ومات الرئيس المبجل المهذب ، صاحبنا محمد أفندى باش جاجرت الروزنامة . وأصله تربية محمد أفندى كاتب كبير الينكجرية ، وتمهر فى صناعة الكتابة وقوانين الروزنامة .

وكان لطيف الطبع ، سليم الصدر ، محبوبا للناس ، مشهورا بالذوق وحسن الأخلاق ، مهذبا فى نفسه متواضعا ... يسعى فى حوائج اخوانه ، وقضاء مصالحهم المتعلقة بدفاترهم ، قانعا بحاله ، مترفها فى مآكله وملبسه .

واقتنى كتبا نفيسة ومصاحف . وتجتمع ببيته الأحباب ، ويدير عليهم سلاف أنسه المستطاب ... مع الحشمة والوقار ، وعدم الملل والنفار .

ولما اختلفت الأحوال ، وترادفت الفتن ... ضاق صدره من ذلك ، واستوحش من مصر وأحوالها . فقصد الهجرة بأهله وعياله الى الحرمين ، وعزم على الاقامة هناك .

فلما حصل هناك ، رأى فيها الاختلاف والخلل كذلك ، بسبب ظلم الشريف غالب وأتباعه ، واغارة الوهابيين على الحرمين ، وفتن العربان . فلم يستحسن الاقامة هناك ، واشتاق لوطنه ، فعزم على العود الى مصر ، فمرض بالطريق ، وتوفى ودفن بالينبع .. رحمه الله .

* * *

ومات الأمير حسين بك ، الذى عرف بالوشاش ، وهو من مماليك محمد بيك الألفى ، وكان يعرف أولا بكاشف الشرقية ، لأنه كان تولى كشوفيتها .

وكان صعب المراس ، شديد البأس ، قوى الجنان ... قلبه ، مع نحافة جسمه ، أعظم من جبل لبنان : لا يهاب كثرة الجنود ، وتخشى سطونه الأسود .

ولما أجمعوا على خيانة الألفى وأتباعه ، قال لهم ابراهيم بيك الكبير — على ما بلغنا — لايتيم مرامكم بدون البداءة بالمترجم . فان امكنكم ذلك .. والا فلا تفعلوا شيئا . فلم يزالوا يدبرون عليه ، ويتملقون له ، ويظهرون له خلاف ما يبطنون حتى تمكنوا من غدره على الصورة المتقدمة .

وسبب تلقبه بالوشاش ، أنه كان طلع لملاقاة الحجاج بمنزلة « الوش » فى سنة ورود الفرنساوية. فلما لاقى الحجاج ، وأمير الحج صالح بيك ، رجع صحبتهم الى الشام ، وحصل منه بعد ذلك المواقف الهائلة مع الفرنساوية ، مع أستاذه ومنفردا ، فى الجهات القبلية والشامية .

ولما انجلت الحوادث ، وارتحلت الفرنساوية من الديار المصرية ، واستقرت المصريون — بعد حوادث العثمانية — تأمر المترجم فى ستة عشر صنجقا المتأمرين ، وظهر شأنه ، واشتهر ذكره فيما بينهم ، ونفذت أوامره فيهم ، ونغص عليهم ، وناكدهم وعاندهم ، وغار على ما بأيديهم ... حتى ثقلت وطأته عليهم .

فلم يزالوا يحتالون عليه ، حتى أوقعوه فى حبال صيدهم ، وهو لا يخطر بباله خيانتهم ، وغدروه بينهم كما ذكر .

* * *

ومات الأمير رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، وهو أغنى مماليكه ... رباه وأعتقه ، وجعله جوخداره .

وكان يعرف أولا برضوان الجوخدار ، واستمر فى الجوخدارية مدة طويلة .

ولما رجع مع أستاذه — فى أواخر سنة خمس

ومائتين وألف ، بعد موت اسماعيل بيك وأتباعه — الى مصر ، أرخى لحيته ، وتقلد كتخدائية أستاذه ، وتزوج ببعض سراريه ، وسكن دار عابدى بيك بناحية سويقة العزى ، ثم انتقل منها الى دار ملكه على بركة الفيل تجاه بيت شكرفره ... وعمرها .

وصارت له وجاهة بين الأمراء والأعيان ، وباشر فصل الخصومات والدعاوى . وازدحم الناس ببيته ، واشتهر ذكره ، وعظم شأنه ، وقصدته أرباب الحاجات ... وأخذ الرشوات والجعالات !

وكان يقرأ ويكتب ، ويناقش ويحاجج ، ويعاشر الفقهاء ، ويباحثهم ، ويميل بطبعه اليهم ، ويحب مجالستهم ولا يمل منهم .

وعنده حلم وسعة صدر وتؤدة وتأن فى الأمور . واذا ظهر له الحق لا يعدل عنه ، وعنده مداهنة وقوة حزم .

ولما حضر على باشا الطرابلسى — على الصورة المتقدمة — كان المترجم هو المتعين فى الارسال اليه . فلم يزل يتحيل عليه حتى انخدع له ، وأدخل رأسه الجراب ، وصدق تمويهاته ، وحضر به الى مصر ، وأوردوه بعد الموارد . وحاز بذلك منقبة بين أقرانه . ونوه بعد بشأنه ، وخلعوا عليه الخلع ، وعرضوا عليه الامارة ... فأباها ، واستمر على حالته معدودا فى أرباب الرياسة ، وتأتى الأمراء الى داره .

ولم يزل حتى ثارت العسكر على من بالبلدة من الأمراء ، وحصروا ابراهيم بيك ببيته ، وخرج فى ثانى يوم هاربا والمترجم خلفه ، والرصاص يأخذهم من كل ناحية . فأصيب فى دماغه ، فمال عن جواده واستند على الخدم ، وذلك جهة الدرب الأحمر . فلم يزل فى غشوته حتى خرجت روحه بالرميلة . فأنزلوه عند باب العزب ، واحتاط به المتقيدون بالباب ، وأخذوا ما فى جيوبه . ثم أحضروا له تابوتا وحملوه فيه الى داره ، فغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة .. سامحه الله ، فانه كان من خيار جنسه ... لولا طمع فيه !

ولقد بلوته سفرا وحضرا ، يافعا وكهلا ... فلم أر ما يشينه فى دينه : عفوفا ، طاهر الذيل ، وقورا محتشما ، فصيح اللسان ، حسن الرأى ، قليل الفضول ، جيد النظر .

* * *

ومات الأجل العمدة ، الشريف السيد ابراهيم افندى الروزنامجى . وهو ابن أخى السيد محمد الكماحى الروزنامجى ، المتوفى سنة سبع ومائتين وألف . وأصلهم روميون الجنس .

وكان فى الأصل جربجيا ، ثم عمل كاتب كشيدة وكان يسكن دارا صغيرة بجوار دار عمه ، واستمر على ذلك خامل الذكر .

فلما توفى عمه السيد محمد ، انتبذ عثمان أفندى العباسى المنفصل عن الروزنامة سابقا ، يريد العود اليها عن شوق وتطلع لها ، وظنه شعور المنصب عن المتأهل اليه سواه . فلم تساعده الأقدار لشدة مراسه .

وسأل ابراهيم بيك عن شخص من أهل بيت المتوفى ، فذكر له السيد ابراهيم المرقوم وخموله ، وعدم تحمله لأعباء ذلك المنصب ، فقال : « لابد من ذلك : قطعا لطمع المتطلعين » . والتزم بمراعاته ومساعدته ، وطلبه ونقله من حضيض الخمول الى أوج السعادة والقبول .

فتقلد ذلك ، وساس الأمور بالرفق والسير الحسن ، واشترى دارا عظيمة بدرب الأغوات وسكنها . واستمر على ذلك الى أن ورد الفرنساوية الى مصر ، فخرج مع من خرج هاربا الى الشام . ثم رجع مع من رجع ، ولم يزل حتى تمرض وتوفى فى يوم الأربعاء سادس عشرة القعدة من السنة . رحمه الله تعالى .

المحرم

الخميس غرته (١٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

ركب الوالى العثملى ، وشق من وسط المدينة ، فمر على سوق الغورية ، فأنزل شخصا من أبناء التجار المحتشمين — وكان يتلو فى القرآن — فأمر الأعوان فسحبوه من حانوته وبطحوه على الأرض ، وضربوه عدة عصى من غير جرم ولا ذنب وقع منه . ثم تركه وسار الى الأشرفية ، فأنزل شخصا من حانوته وفعل به مثل ذلك . فانزعج أهل الأسواق ، وأغلقوا حوانيتهم ، واجتمع الكثيرمنهم ، وذهبوا الى بيت الباشا يشكون فعل الوالى . وسمع المشايخ بذلك فركبوا أيضا الى بيت الباشا وكلموه ، فأظهر الحنق والغيظ على الوالى .

ثم قاموا وخرجوا من عنده ، فتبعهم بعض المتكلمين فى بيت الباشا ، وقال لهم : « ان الباشا يريد قتل الوالى ، والمناسب منكم الشفاعة .. ! » ، فرجعوا الى الباشا ، وشفعوا فى الوالى .

وأرسل سعيد أغا الوكيل، وأحضروا له المضروب وأخذ بخاطره ، وطيب نفسه بكلمات . ورجع الجميع كما ذهبوا ، وظنوا عزل الوالى ... فلم يعزل .

وفيه : رجع المصرلية والعربان ، وانتشروا باقليم الجيزة حتى وصلوا الى انبابة ، وضربوها ونهبوها ، وخرج أهلها على وجوههم ، وعدوا الى البر الشرقى . وأخذ العسكر فى أهبة التشهيل والخروج لمحاربتهم .

الجمعة ٢ منه (١٤ ابريل ١٨٠٤ م) :

سافر السيد على القبطان الى جهة رشيد ، وخرج بصحبته جماعة كثيرة من العساكر الذين غنموا الأموال من المنهوبات ، فاشتروا بضائع وأسبابا ومتاجر ونزلوا بها صحبته ، وتبعهم غيرهم من الذين يريدون الخلاص والخروج من مصر .

فركب محمد على الى وداع السيد على المذكور ، ورد كثيرا من العساكر المذكورة ، ومنعهم عن السفر .

الثلاثاء ٦ منه (١٨ ابريل ١٨٠٤ م) :

خرج محمد على وأكابر العسكر بعساكرهم ، وعدوا الى بر انبابة ، ووصلوا ونصبوا وطاقهم ، وعملوا لهم عدة متاريس ، وركبوا عليها المدافع واستعدوا للحرب .

الأحد ١١ منه (٢٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

كبس المماليك والعربان — وقت الغلس — على متاريس العسكر ، وحملوا على متراس حملة واحدة ، فقتلوا منهم وهرب من بقى ، وألقوا بأنفسهم فى البحر .. فاستعد من كان بالمتاريس الأخر ، وتابعوا رمى المدافع ، وخرجوا للحرب . ووقع بينهم مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو أربع ساعات ، ثم انجلت الحرب بينهم ، وترفع المصرلية والعربان ، وانكفوا عن بعضهم .

وفى وقت الظهر ، أرسلوا سبعة رءوس من الذين قتلوا من المصرلية فى المعركة ، وشقوا بهم المدينة ثم علقوهم بباب زويلة . وفيهم رأس حسين

بيك الوالي وكاشفين ، ومنهم حسن كاشف الساكن بحارة عابدين ، ومملوكان .

وعلقوا عند رأس حسين بيك الوالي المذكور صليبا من جلد ، زعموا أنهم وجدوه معه .

وأصيب اسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ، ومات بعد ذلك ودفن بأبي صير .

الاثنين ١٢ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٤ م) :

حصلت أعجوبة ببيت بالقربية به بغلة تدور بالطاحون ، فزنقوها بالادارة ، فأسقطت حملا ليس فيه روح ، فوضعوه في مقطفه ، ومروا به من وسط المدينة ، وذهبوا به الى بيت القاضي . وأشيع ذلك بين الناس وعاينوه !

السبت ١٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٤ م) :

حضر علي كاشف المعروف بالشغب (بثلاث معجمات وتشديد الشين وفتح الغين وسكون الباء) رسولا من جهة الألفي ، ووصل الى جهة البساتين ، وأرسل الى المشايخ يعلمهم بحضوره لبعض أشغال . فركب المشايخ الى الباشا وأخبروه بذلك . فأذن بحضوره ، فحضر ليلا ، ودخل الى بيت الشيخ الشرقاوي .

فلما أصبح النهار ، أشيع ذلك ، وركب معه المشايخ والسيد عمر النقيب ، وذهبوا به الى بيت الباشا ، فوجدوه راكبا في بولاق ، فانتظروه حصة الى أن حضر ، فتركوا عنده علي كاشف المذكور ، ورجعوا الى بيوتهم . واختلى به الباشا حصة ، وقابله بالبشر ، ثم خلع عليه فروة سمور ، وقدم له مركوبا بعدة كاملة ، وركب الى بيته وأمامه جملة من العسكر مشاة . وقدم له محمد علي أيضا حصانا .

وفيه : شرعوا في عمل شركفلك للحرب بالأزبكية .

الاثنين ١٩ منه (اول مايو ١٨٠٤ م) :

ورد ططري وعلى يده بشارة للباشا ... بتقليده ولاية مصر ، ووصول القابجي الذي معه التقليد والطوخ الثالث الى رشيد ، وطوخان لمحمد علي وحسن بيك أخي طاهر باشا وأحمد بيك فضربوا عدة مدافع ، وذهب المشايخ والأعيان للتهنئة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ مايو ١٨٠٤ م) :

قتل الباشا ثلاثة أشخاص ، أحدهم رجل سروجي . وسبب ذلك أن الرجل السروجي له أخ أجير عند بعض الأجناد المصرلية ، فأرسل لأخيه فاشترى له بعض ثياب ونعالات وأرسلها مع ذلك الرجل ، فقبضوا عليه وسألوه ... فأخبرهم . فأحضروا ذلك الرجل السروجي ، وأحضروا أيضا رجلا بيطارا متوجها الى بولاق معه مسامير ونعالات ، فقبضوا عليه واتهموه أنه يعدي الى البر الآخر ليعمل لأخصامهم نعالات للخيل فأمر الباشا بقتله وقتل السروجي والرجل الذي معه الثياب ، فقتلوهم ظلما !

الاربعاء ٢١ منه (٣ مايو ١٨٠٤ م) :

حضر القابجي الذي على يده البشرى ، وهو خازندار الباشا ، وكان أرسله حين كان بسكندرية ويسمونها « المجدة » . ولم يحضر معه أطواخ ولا غير ذلك . فضربوا له شنكا ومدافع .

وفيه : خلع الباشا على السيد أحمد المحروقي فروة سمور ، وأقره على ما هو عليه ... أمين الضربخانة وشاه بندر . وكذلك خلع على جرجس الجوهري ، وأقره باش مباشر الأقباط على ماهو عليه .

وفيه : رجع علي كاشف الشغب بجواب الرسالة الى الألفي .

وفيه : تحقق الخبر بموت يحيى بيك . وكان مجروحا من المعركة السابقة .

الخميس ٢٢ منه (٤ مايو ١٨٠٤ م) :

عمل الباشا الديوان ، وحضر المشايخ والوجاقلية ، وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع ومضمونه : « أننا كنا صفحنا ورضينا عن الأمراء المصرلية على موجب الشروط التى شرطناها عليهم بشفاعة على باشا والصدر الأعظم ، فخانوا العهود، ونقضوا الشروط ، وطغوا وبغوا ، وظلموا وقتلوا الحجاج ، وغدروا على باشا المولى عليهم ، وقتلوه ونهبوا أمواله ومتاعه ... فوجهنا عليهم العساكر فى ثمانين مركبا بحرية . وكذلك أحمد باشا الجزار بعساكر برية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لهم ، وقتلهم واخراجهم . فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الأول ، وصفحنا عنهم صفحا كليا ، وأطلقنا لهم السفر والاقامة متى شاءوا وأينما أرادوا من غير حرج عليهم ...

« وولينا حضرة أحمد باشا خورشيد ، كامل الديار المصرية ، لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ، ووفور العقل والرياسة » .. الى غير ذلك .

وعملوا شنكا وحراقة وسواريخ بالأزبكية ثلاث ليال ، ومدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة من القلعة وغيرها .

وفيه : تواترت الأخبار بأن الأمراء القبالى عملوا وحسات ، وقصدهم التعدية الى البر الشرقى .

الاحد ٢٥ منه (٧ مايو ١٨٠٤ م) :

عدى الكثير منهم على جهة حلوان ، وانتقل الكثير من العسكر من بر الجيزة الى بر مصر . فخاف أهل المطرية وغيرها ، وجلوا عنها ، وهربوا الى البلاد ، وحضر كثير منهم الى مصر خوفا من وصول القبالى .

الاثنين ٢٦ منه (٨ مايو ١٨٠٤ م) :

سافر الشيخ الشرقاوى الى مولد سيدى أحمد البدوى ، واقتدى به كثير من العامة وسخاف العقول . وكان المحروقى وجرجس الجوهرى مسافرين أيضا ، وشهلوا احتياجاتهم ، واستأذنوا الباشا ... فأذن لهم .

فلما تبين لهم تعدية المصرلية الى الجهة الشرقية ، امتنعوا من السفر ، ولم يمتنع الشيخ الشرقاوى ومن تابعه .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ مايو ١٨٠٤ م) :

وصل فريق منهم الى جهة قبة باب النصر والعادلية — من خلف الجبل — ورمحوا خلف باب النصر من خارج ، وباب الفتوح ، ونواحى الشيخ قمر والدمرداش، ونهبوا الوايلى وماجاوره ، وعبروا الدور ، وغروا النساء ، وأخذوا دسوتهم وغلالهم وزروعهم . وخرج أهل تلك القرى على وجوههم ومعهم بعض شوالى وقصاع ، ودخل الكثير منهم الى مصر .

الاربعاء ٢٨ منه (١٠ مايو ١٨٠٤ م) :

جمع الباشا ومحمد على العسكر ، واتفقوا على الخروج والمحاربة وأخرجوا المدافع والشركفلكات الى خارج باب النصر ، وشرعوا فى عمل متاريس .

وفى آخر النهار ، ترفع المصرلية والعرب وتفرقوا فى اقليم الشرقية والقليوبية ... وهم يسعون فى الفساد ، ويهلكون الحصاد . فما وجدوه مدروسا من البيادر أخذوه ، أو قائما على ساقه رعوه ، أو غير مدروس أحرقوه ، أو كان من المتاع نهبوه ، أو من المواشى ذبحوه وأكلوه !

وذهب منهم طائفة الى بلبيس ، فحاصروا بها



احد الاعراب

كاشف الشرقية يومين ، ونقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه ، وقتلوا من معه من العسكر . وأخذوه أسيرا ومعه اثنان من كبار العسكر ، ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين .

وحضر أبو طويلة شيخ العائد عند الأمراء ولامهم ، وكلمهم على هذا النهب ، وقال لهم : « هذه الزروعات غالبها للعرب ، والذى زرعه الفلاح فى بلاد الشرق شركة مع العرب ، وأن هبود العرب المصاحبين لكم .. ليس لهم رأس مال فى ذلك ، فكفوهم وامنعوهم ، ويأتيكم كفايتكم . وأما النهب فانه يذهب هدرا » . فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهنادى وغيرهم قوله : « هبود العرب » اغتاظوا منه ، وكادوا يقتلونه .

ووقع بين العربان منافسة واختلاف . وكذلك حصروا كاشف القليوبيه ، فدخل بمن معه جامع قلوب وترس به ، وحارب ثلاث ليال ، وأصيب كثير من المحاربين له . ثم تركوه ففر بمن بقي معه الى البحر ، ونزل فى قارب وحضر الى مصر . وأخذوا حملته ومتاعه وجبخانته ، وطلبوا مشايخ النواحى مثل : شيخ الزوامل والعائد وقليوب ، وألزموهم بالكلف ، وفردوا على القرى الفرد والكلف الشاقة مثل ألف ريال وألفين وثلاثة ، وعينوا بطلبها العرب ، وعينوا لهم خدما وحق طرق ، خلاف المقرر ، عشرين ألف فضة وأزيد . ومن استعظم شيئا من ذلك أو عصى عليهم ، حاربوا القرية ونهبوها ، وسبوا نساءها ، وقتلوا أهلها ، وحرقوا جرونهم .

وقل الواردون الى المدينة بالغلال وغيرها ، فقلت من الرقع ، وازدحم الناس على مايوجد من القليل فيها . واحتاج العسكر الى الغلال لأخبازهم، لأنهم لم يكن عندهم شيء مدخر ، فأخذوا ماوجدوه فى العرصات ... فزاد الكرب ، ومنعوا من يشترى زيادة على ربع ... من الكيل ، ولا يدركه الا بعد مشقة بستين نصفا . واذا حضر للبعض من الناس غلة من مزرعته القريبة ، لا يمكنه ايصالها الى داره الا بالتجوه والمصانعة والمغرم لقلقات الأبواب وأتباعهم .

فيحجزون ما يرونه داخل البلد من الغلة متعللين بأنهم يريدون وضعها فى العرصات القريبة منهم ، فيعطونها للفقراء بالبيع ، فيعطونهم دراهم ويطلقونهم .

وفيه : طلبوا جملة أكياس لنفقة العسكر ، فوزعوا جملة أكياس على الأقباط ، والسيد أحمد المحروقى ، وتجار البهار ، ومياسير التجار والملتزمين ... وطلبوا أيضا مال الجهات والتحرير ، وباقى مسميات المظالم عن سنة تاريخه معجلة !

الخميس ٢٩ منه (١١ مايو ١٨٠٤ م) :

خرج الكثير من العسكر ، ورتبوا أنفسهم ثلاث فرق فى ثلاث جهات ، وردوا الخيول .. الا القليل . ووقع بينهم مناوشات قتل فيها أنفار من الفريقين .

صفر

فى غرته (١٢ مايو ١٨٠٤ م) :

نادوا على الفلاحين والخدامين البطالين بالخروج من مصر . وكل من وجد بعد ثلاثة أيام ، وليس بيده ورقة من سيده ، يستأهل الذى يجرى عليه .

٢ منه (١٣ مايو ١٨٠٤ م) :

طاف الأعوان ، وجمعوا عدة من الناس العتالين وغيرهم ، ليسخروهم فى عمل المتاريس وجر المدافع .

٥ منه (١٦ مايو ١٨٠٤ م) :

قبض الوالى على شخص يشترى طربوشا عتيقا من سوق العصر بسويقة لاجين ، واتهمه أنه يشترى الطرابيش للاخصام ... من غير حجة ولا بيان ، ورمى رقبته عند باب الخرق ظلما !

٧ منه (١٨ مايو ١٨٠٤ م) :

نزل الأرنؤود من القلعة ، وتسلمها الباشا وطلع اليها . وضربوا لطلوعه عدة مدافع ، ورجع الى داره آخر النهار .

وفيه : أشيع قدوم سليمان بيك حاكم جرجا ، ووصوله الى بنى سويف ، وفى عقبه الألفى الصغير أيضا .

وفيه : هجم طائفة من الخيالة — فى طلوع الفجر — على المذبح السلطانى ، وأخذوا ثورين : أحدهما من المذبح ، والآخر من بعض الغيطان ، وهرب الجزارون .

٩ منه (٢٠ مايو ١٨٠٤ م) :

طلع الباشا الى القلعة وسكن بها ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر كاشف الشرقية المقبوض عليه ببلبيس ، ومعه اثنان . وقد أفرج عنهم الأمراء المصرلية وأطلقوهم . فلما وصلوا الى الباشا ، خلع عليهم ، وألبسهم فراوى جبرا لخاطرهم .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حرب بين العسكر والمصرلية والعربان ، وحضر عدة جرحى . وكانت الواقعة عند الخصوص وبهتيم . وجلا أهل تلك القرى وخرجوا منها ، وحضروا الى مصر بأولادهم وقصاعهم ... فلم يجدوا لهم مأوى ، ونزل الكثير منهم بالرميلة .

وفيه : حضر أناس من الذين ذهبوا الى مولد السيد البدوى ، وفيهم عرايا ومجاريح وقتلى . وقد وقفت لهم العرب ، وقطعت عليهم الطرق ، فتفرقوا فرقا فى البر والبحر ، وحصر العرب طائفة كبيرة منهم بالقرطين ، وحصل لهم ما لا خير فيه .

وأما الشيخ الشرقاوى ، فانه ذهب الى المحلة الكبيرة وأقام بها أياما ، ثم ذهب مشرقا الى بلده القرين .

وفيه : حضر مصطفى أغا الأرنؤودى هجانا برسالة من عند الألفى ، وفيها طلب أتباعه الذين بمصر ، فلم يأذنوا لهم فى الذهاب اليه ، واحتجوا بعدم تحقق صداقته للعثمانية .

وفيه : ورد الخبر بتوجه سليمان بيك الخازندار حاكم جرجا الى جهة بحرى ، وأنه وصل الى بنى سويف ، وأن الألفى الصغير فى أثره بجرى منية ابن خصيب ، والألفى الكبير مستقر بأسيوط يقبض فى الأموال الديوانية والغلال . وأشيع صلحه مع عشيرته سرا ، ومظهر خلاف ذلك مع العثمانية .

١٠ منه (٢١ مايو ١٨٠٤ م) :

أحضروا جماعة من الوجاقلية عند كتخدا الباشا . فلما استقروا فى الجلوس ، كلموهم ، وطلبوا منهم سلفة ، وحبسوا رضوان كاشف الذى بباب الشعرية وطلبوا منه عشرين كيسا ، وكذلك طلبوا من باقى الأعيان مثل : مصطفى أغا الوكيل وحسن أغا محرم

ومحمد أفندى سليم ، وابراهيم كتخـدا الرزاز وخلافهم ... مبالغ مختلفة المقادير . وعملوا على الأقباط ألف كيس ، وحلف الباشا أنها لاتنقص عن ذلك . وفردوا على البنادر مثل دمياط ورشيد وفوة ودمنهور والمنصورة وخلافها ... مبالغ أكياس : مابين ثمانين كيسا ، ومائة كيس ، وخمسين كيسا . وغـير ذلك ، لنفقة العسـكر . وأحضر الباشـا الروزنامجى واتهمه فى التقصير .

١١ منه (٢٢ مايو ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا الوالى والمحتسب الى بيت الست نفيسـة زوجة مراد بيك وطلبها ، فركبت معهمـا وصحبتها امرأتان ، فطلعا بهن الى القلعة . وكذلك ارسلوا بالتفتيش على باقى نساء الأمراء فاختفى غالبهن ، وقبضوا على بعضهن ، وذلك كله بعـد عصر ذلك اليوم .

فلما حصلت الست نفيسـة بين يديه ، قام اليها وأجلها ، ثم أمرها بالجلوس ، وقال لها على طريق اللوم : « يصح أن جاريتك منور تتكلم مع صادق أغا ، وتقول له يسعى فى أمر المماليك العصـاة ، وتلتزم له بالمكسور من جامكية العسكر» .فأجابته: « ان ثبت أن جاريتى قالت ذلك ، فأنا المأخوذة به دونهـا » . فأخرج من جيبـه ورقة وقال لهـا : « وهذه ؟ » وأشار الى الورقة ، فقالت : « وما هذه الورقة ؟ أرنيها ، فانى أعرف أن أقرأ ، لأنظر ماهى ؟ » فأدخلها ثانيا فى جيبه ، ثم قالت له : « أنا بطول ماعشت بمصر ... وقدرى معلوم عند الأكابر وخـلافهم . والسـلطان ورجال الدولة وحريمهم يعرفونى أكثر من معرفتى بك . ولقد مرت بنا دولة الفرنسيس الذين هم أعداء الدين فما رأيت منهم الا التكريم ، وكذلك سـيدى محمد باشـا كان يعرفنى ويعرف قدرى ، ولم نر منه الا المعروف . وأما أنت .. فلم يوافق فعلك فعل أهل دولتك ولا غيرهم! » فقال : «ونحن أيضا لانفعل غير المناسب». فقالت له : « وأى مناسـبة فى أخذك لى من بيتى بالوالى مثل أرباب الجرائم ؟» . فقال : «أنا أرسلته لكونه أكبر أتباعى . فارساله من باب التعظيم » . ثم اعتذر اليهـا ، وأمرها بالتوجه الى بيت الشيخ السحيمى بالقلعة ، وأجلسـوها عنده بجماعة من العسكر .

وأصـبح الخبر شائعا بذلك ، فتكدرت خواطر النـاس لذلك ، وركب القـاضى ونقيب الأشراف والشيخ السادات والشيخ الأمير ،وطلعوا الى الباشا وكلموه فى أمرها . فقال : « لا بأس عليها . وانى أنزلتها ببيت الشيخ السحيمى مكرمة حسما للفتنة ، لأنها حصل منها مايوجب الحجر عليها » . فقالوا : « نريد بيان الذنب . وبعـد ذلك : اما العفو أو الانتقام » . فقال : « انهـا سـعت مع بعض كبار العسكر تستميلهم الى المماليك العصاة ، ووعدتهم بدفع علوفاتهم . وحيث أنها تقدر على دفع العلوفة ، فينبغى أنها تدفع العلوفة ! » .

فقالوا له : « ان ثبت عليها ذلك ، فانها تستحق ما تأمرون به ، فيحتاج أن تتفحص على ذلك » . فقام اليهـا الفيومى والمهدى ، وخاطباها فى ذلك . فقالت : « هـذا كلام لا أصل له . وليس لى فى المصرليـة زوج حتى انى أخاطر بسببه ، فان كان قصده مصادرتى ، فلم يبق عندى شىء ، وعلى ديون كثيرة » .

فعادوا اليه ، وتكلموا معه .. وراددهم . فقال الشيخ الأمير للترجمان : « قل لأفندينا .. هذا أمر غير مناسب ، ويترتب عليه مفاسد . وبعـد ذلك يتوجه علينا اللوم . فان كان كذلك ، فلا علاقة لنا بشىء من هذا الوقت ، أو نخرج من هذه البلدة » . وقام قائما على حيله يريد الذهاب . فمسكه مصطفى أغا الوكيل وخلافه ، وكلموا الباشـا فى اطلاقها ،

وأنها تقيم ببيت الشيخ السادات .. فرضى بذلك ، وأنزلوها ببيت الشيخ السادات .

وكانت عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك ، عندما وصلها الخبر ، ذهبت الى بيته أيضا .

وفيه . شنقوا شخصا على السبيل بباب الشعرية، شكا منه أهل حارته ، وأنه يتعاطى القيادة ويجمع بين الرجال والنساء وغير ذلك .

١٤ منه (٢٥ مايو ١٨٠٤ م) :

كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق بطلب ميرى سنة تاريخه المعجلة بالكامل — وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها ثم اضطرهم الحال بطلب الباقى — وعملوا قوائم بتوزيع خمسة آلاف كيس . استقر منها على طائفة القبطة خمسمائة كيس بعد الألف ، وجملة على الملتزمين ، خلاف ما أخذ منهم قبل ذلك ، وعلى الست نفيسة وبقية نساء الأمراء ثمانمائة كيس .

وفيه : خطف العرب جرابة العسكر من عند الزاوية الحمراء .

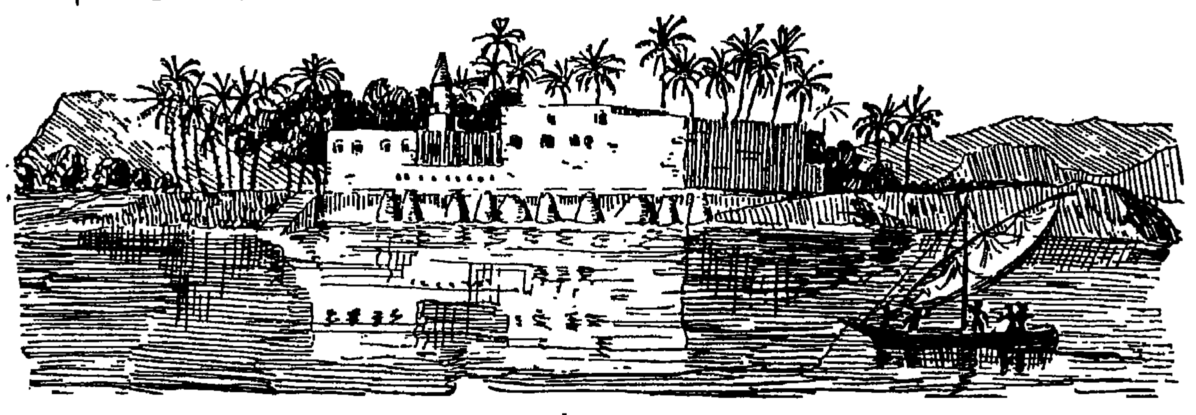
وفيه : وصل سليمان بيك الخازندار ، وعدى الى جهة طرا . فخرج عدة من العسكر — خلاف المرابطين هناك قبل ذلك من العسكر والمغاربة — فقصد المرور من خلف الجبل واللحوق بجماعته جهة الشرق فى آخر الليل . فوقف له العسكر وضربوا عليه بالمدافع الكثيرة ، واستمر الضرب من الفجر الى عصر يوم الجمعة ، ونفذ بمن معه على حماية ، وقتلوا منه مملوكا واحدا ، وحضروا برأسه الى تحت القلعة .

وفيه : رجع الكثير من عسكر الأرنؤود وغيرهم ، ودخلوا الى المدينة يطلبون العلوفة ، واستمر من بقى منهم ببهتيم وبلقس ومسطرد .. وقد أخرجوا أهاليها منها ونهبوها ، واستولوا على ما فيها من غلال وأتبان وغير ذلك . وكرنكوا فيها ونقبوا الحيطان لرمى بنادق الرصاص من الثقوب ، وهم مستترون من داخلها ، ونصبوا خيامهم فى أسطحة الدور ، وجعلوا المتاريس من خارج البلدة ، وعليها المدافع . فلا يخرجون الى خارج ، ولا يبرزون الى ميدان الحرب . وكل من قرب منهم من الخيالة المقاتلين ، رموا عليه بالمدافع والرصاص ، ومنعوا عن أنفسهم واستمروا على ذلك .

وفيه : وردت مكاتبات الى التجار من الحجاز ، وأخبروا بأن الحجاج أدركوا الحج والوقوف بعرفة ، ودخلوا قبل الوقوف بيومين .

وأخبروا أيضا بوفاة شريف باشا الى رحمة الله تعالى ، وكان من خيار دولة العثمانيين .

ووردت أخبار أيضا من البلاد الشامية بوفاة أحمد باشا الجزار فى سادس عشرين المحرم .



طرا

١٦ منه (٢٧ مايو ١٨٠٤ م) :

أرسلوا تنابيه الى أرباب الحرف والصنائع بطلب دراهم وزعت عليهم ... مجموعها خمسمائة كيس . فضج الناس وتكدروا ، مع ماهم فيه من وقف الحال ، وغلاء الاسعار فى كل شيء .

وأصبحوا على ذلك يوم الأحد ، فلم يفتحوا الحوانيت ، وانتظروا مايفعل بهم .

وحضر منهم طائفة الى الجامع الأزهر ، ومر الأغا والوالى ينادون بالأمان وفتح الدكاكين . فلم يفتح منهم الا القليل .

وفيه : سرح سليم كاشف المحرمجى الى جهة بحرى ، وأشيع وصول الألفى الصغير الى المنية .

١٨ منه (٢٩ مايو ١٨٠٤ م) :

اجتمع الكثير من غوغاء العامة والأطفال بالجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وصعدوا الى المنارات يصرخون ويطبلون ، وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ويقولون : « يا لطيف .. » وأغلقوا الأسواق والدكاكين .

ووصل الخبر الى الباشا ، بل سمعهم من القلعة ، فأرسل قاصدا الى السيد عمر النقيب يقول : « اننا رفعنا عن الفقراء » . فقال له : « ان هؤلاء الناس وأرباب الحرف والصنائع كلهم فقراء ، وما كفاهم ماهم فيه من القحط والكساد ووقف الحال حتى تطلبوا منهم مغارم لجوامك العسكر ! وما علاقتهم بذلك ؟ » . فرجع الرسول بذلك .

وحضر الأغا ومعه عدة من العسكر ، وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الحوانيت ، ويتوعد من يتخلف . فلم يحضر أحد ، ولم يسمعوا لقوله !

وفى وقت العصر ، رجع القاصد ومعه فرمان برفع الغرامة عن المذكورين ، ونادى المنادى بذلك .

فاطمأن الناس وتفرقوا ،وذهبوا الى بيوتهم ، وخرج الأطفال يرمحون ويصرخون ويفرحون .

وفى ذلك اليوم ، عدى محمد على وجمع كثير من العسكر والمغاربة الى بر الجيزة ، وبرزوا الى خارج . فنزل عليهم جملة من العرب فحاربوهم ، فقتل بينهم أنفار وانجرح منهم كذلك ، ثم ترفعوا عنهم فرجعوا ومعهم رأس من العرب ، ومع المغاربة قتيل منهم فى تابوت ، وهم يقولون : «طردناهم» . وخطفوا بعض مواش وأغنام فى طريقهم من الرعيان، فقتلوهم وأخذوها منهم .

١٩ منه (٣٠ مايو ١٨٠٤ م) :

أحضر كتخدا الباشا كاتب البهار وأمره باحضار ستمائة فرق بن ، فاعتذر اليه بعدم وجود ذلك ، فقال : « انما نأخذها بأثمانها » . فقال له : « ليس على الا التعريف . وقد عرفتك أن هذا القدر لايوجد ، وانأردت فأرسل معى من تريد ونكشف على حواصل التجار والخانات » . فطافوا على الخانات ، وفتحوا الحواصل فلم يجدوا الا سبعين فرقا ، وأكثرها عليه نشانات كبار العسكر من مشترواتهم ، فرجعوا من غير شيء . ثم نودى فى أثر ذلك بالأمان .

وفيه : وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض العسكر الذين يتحشرون فى أيام الأسواق فى الدلالين والباعة ،ويعطلون عليهم دلالتهم وصناعتهم ومعايشهم ، وضربوا على بعضهم بالرصاص . ففزع الناس ، وحصلت كرشة ، وظن من لايعلم الحقيقة من العسكر أنها قومة ، فهربوا يمينا وشمالا وطلبوا النجاة والتوارى . ووافق مرور أغاة الانكشارية فى ذلك الوقت .. فانزعج هو ومن معه وطلب الهرب ! ثم انكشف الغبار ، وظهرشخص عسكرى مطروح وبه رمق وآخر مجروح ، فرجع الأغا وأمر بحمله فى تابوت ، ونادى بالأمان .

٢٢ منه (٢ يونية ١٨٠٤ م) :

قبل المغرب ... ضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وكذلك فى صبحها يوم السبت . ولم يظهر لذلك سبب سوى مايقولونه من التمويهات من وصول الأطواخ وعساكر ودلاة برية تارة وبحرية أخرى .

وفيه : أشيع وقوع معركة بين المصرلية والعثمانية وأخذوا منهم متاريس بلقس ومدافع ، ووصل منهم جرحى دخلوا ليلا . وحضر من المصرلية طائفة ناحية شلقان وقطعوا الطريق على السفار فى البحر ، وأخذوا مركبين ، واحرقوا مراكب . وامتنع الواصلون والذاهبون ، وارتفعت الغلال من الرقع والعرصات ، وغلا سعرها . فخرج اليهم مراكب يقال لها « الشلنبات » ، وضربوا عليهم بالمدافع ، وأجلوهم عن ذلك الموضع . ووصل بعض مراكب من المعوقين .

٢٦ منه (٦ يونية ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا الى المشايخ . فذهبوا اليه ، فاستشارهم فى خروجه الى الحرب وخروجهم صحبته مع الرعية ... فلم يصوبوا رأيه فى ذلك . وقالوا له : « اذا انهزم العسكر ، تأمر غيرهم بالخروج واذا كانت الهزيمة علينا ، وأنت معنا ، من نخرج بعد ذلك ؟ » وانفض المجلس على غير طائل .

فى اواخره (٨ ، ٩ يونية ١٨٠٤ م) :

وقع بينهم مساجلات ومحاربات ومغالبات ، واحترقت جبخانة العثمانيين ... وقيل أخذ باقيها . ورجع منهم قتلى ومجاريح ، وانجرح عابدى بيك أخو طاهر باشا ، واحترق أشخاص من الطبجية ، ودخل سلحدار الباشا والوالى وأمامهما رأس واحدة بشوارب كأنه من المماليك .

وفى عصرية ذلك اليوم : اخرجوا عساكر ومعهم مدافع وجبخانة أيضا ... محملة على نيف وثلاثين جملا .

وفيه : ضيقوا على نساء الأمراء فى طلب الغرامة ، وألزموا بقبضها وتحصيلها الست نفيسة وعديلة هانم ابنة ابراهيم بيك . فوزعتاها بمعرفتهما على باقى النساء . وأرسلوا عساكر يلازمون بيوتهن حتى يدفعن ما التزمن به ، فاضطر أكثرهن لبيع متاعهن ، فلم يجدن من يشترى لعموم المضايقة والكساد !

* * *

وانقضى هذا الشهر ... والحال على ما هو عليه من استمرار الحروب ، والمحاصرات بين الفريقين ، وانقطاع الطرق برا وبحرا ، وتسلط العربان واستغنامهم تفاشل الحكام ، وانفكاك الأحكام .

وكذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سعد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة والقوة والضعف ، وجهل القائمين المتأمرين بطرائق سياسة الاقليم ، ولا يعرفون من الأحكام الا أخذ الدراهم بأى وجه كان .

وتمادى قبائح العسكر بما لاتحيط به الأوراق والدفاتر ... بحيث أنه لا نخلو يوم من زعجات ورجفات وكرشات فى غالب الجهات : اما لأجل امرأة أو أمرد ، أو خطف شىء ، أو تنازع وطلب شر بأدنى سبب مع العامة والباعة ، أو مشاحنة مع السوقة والمتسببين بسبب ابدال دنانير ذهب ناقص بدراهم فضة كاملة المصارفة من صيارف أو باعة أو غير ذلك !

وتعطل أسباب المعايش ، وغلو الأسعار فى كل شىء ، وقلة المجلوب ، ومنع السبل . ووصل سعر الأردب القمح ستة عشر ريالا ، والفول والشعير أكثر من ذلك ... لقلته وعزته . واذا حضر منه شىء ، أخذوه لاحتياج العليق .. قهرا بأبخس الثمن عند وصوله المأمن . وأجرة طحين الويبة من القمح

ستة وأربعون نصفا ... مع ما يسرقه الطحانون منها ويخلطونه فيها . وأجرة خبيزها عشرون نصفا ... بحيث حسب ثمن الأردب بعد غربلته وأجرته ومكسه وكلفته وطحينه وخبيزه الى أن يصير خبزا : أربعة وعشرين ريالا ! فسبحان اللطيف الخبير المدبر . ومن خفى لطفه ، كثره الخبز وأصناف الكعك والفطير فى الأسواق .

وسعر الرطل من اللحم الجفيط،بما فيه من العظم والكبد : تسعة أنصاف ، والجاموس : سبعة أنصاف الرطل ، والراوية الماء : ثلاثون نصفا ، والسمن القنطار بألفين وأربعمائة نصف . وشح الأرز ، وقل وجوده ، وغلا ثمنه . ووصل سعر الأردب الى خمسة وعشرين ريالا . والجبن القريش بثمانية عشر نصفا الرطل .

وأما الخضارات فعز وجودها وغلا ثمنها ... بحيث أن الرطل من البامية — بما فيها من الخشب الذى يرمى من وقت طلوعها الى أن بلغت حد الكثرة ... بثمانية أنصاف كل رطل . والرطل قبانى اثنتا عشرة أوقية . وعز وجود البن وغلا سعره ، حتى بلغ فى هذا الشهر الرطل سبعين نصفا ، والسكر العادة الصعيدى خمسة وأربعون نصفا الرطل الواحد ، والعسل الأبيض الغير الجيد ثلاثون نصفا ، والعسل الأسود خمسة عشر نصفا ، والعسل القطر عشرون نصفا الرطل ، والصابون أربعة وعشرون نصفا .

كل ذلك بالرطل القبانى الذى عمله محمد باشا ... فلا جزاه الله خيرا ! والشيرج بألفين فضة القنطار . وورد الكثير من الحطب الرومى ورخص سعره الى مائة وعشرين نصفا الحملة بعد ثلثمائة نصف .

وأما أنواع البطيخ والعبدلاوى فلم يشتره أكثر الناس لقلته وغلو ثمنه ، فانه بيعت الواحدة بعشرين نصفا فأقل فأكثر ، والخيار بخمسة أنصاف الرطل — من وقت طلوعه الى أن بلغ حد الكثرة — وبقى بحال لاتقبله الطبيعة البشرية ، فعند ذلك بيع بنصفين !

وأما الفاكهة ، فلا يشتريها الا أفراد الأغنياء ، أو مريض يشتهيها ، أو امرأة وحمى ... لغلوها . فان رطل الخوخ بخمسة عشر نصفا ، والتفاح الأخضر كذلك . وقس على ذلك .

وذلك لقلة المجلوب وخراب البساتين ، وغلو علف البهائم ، وخوز المتسببين ، وأخذ الرشوات منهم وتركهم وما يدينون . وأما الأتبان فانها كثرت وانحل سعرها عما كانت .

ربيع الأول

فى غرته (١٠ يونية ١٨٠٤ م) :

وقع هرج ومرج واشاعات ، ثم تبين أن طائفة من العربان والمماليك وصلوا الى خارج باب النصر وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الحمراء وجزيرة بدران جهة الحلي ، ورمحوا على من صادفوه بتلك النواحى ، وحالوا بين العسكر الخارجين وبين عرضيهم ، وأخذوا مامعهم من الجراية والعليق والجبخانة .

فنزل الباشا ومعه عساكر ، وذهب الى جهة بولاق ، ثم الى ناحية الزاوية الحمراء ، وأغلقوا أبواب المدينة . ثم رجع الباشا بعدالعصر ، ودخل من باب العدوى ، وطلع الى القلعة وهو لابس برنسا . ثم تكرر بينهم وقائع وخروج عساكر ودخول خلافهم ، ونزول الباشا وطلوعه .

٤ منه (١٣ يونية ١٨٠٤ م) :

حضر الشيخ عبد الله الشرقاوى من غيبته بالقرين بعد ذهابه الى المحلة من طندتا .

٦ منه (١٥ يونية ١٨٠٤ م) :

حضر هجانة بمكاتبة من عند الألفى الكبير

خطابا للباشا ، وفيها الاخبار بعزمه على الحضور الى مصر هو وعثمان بيك حسن ، ويلتمس أن يخلو له الجيزة وقصر العينى لينظر فى هذا الأمر والفساد الواقع بمصر .

فكتب له الباشا جوابا ملخصه — على مانقل الينا — « أنك فىالسابق عرفتنا أنك مذعن للطاعة ، وأرسلنا لك بالاذن والاقامة بجرجا ... وما عرفنا موجب هذا الحضور ؟ فان كنت طائعا وممتثلا فارجع الى جرجا موضع ماكنت ، ولك الولاية والحكم بالاقليم القبلى ، وأرسل المال والغلال » ونحو ذلك من الكلام . وسافروا بالجواب يوم السبت ثامنه .

٨ منه (١٧ يونية ١٨٠٤ م) :

ترفع الأمراء المصرلية الى ناحية مشتهر وبنها ، وانتقلوا من منزلتهم . وأشاع العسكر ذهابهم وهروبهم .

وفيه : وردت مكاتبات من الحجاز ، وأخبروا فيها بموت محمود جاويش الذى سافر بالمحمل ، وكذلك الحاج يوسف صيرفى الصرة . وأن طائفة من الوهابيين حاصروا جدة ولم يملكوها ، وأن ببلاد الحجاز غلاء شديدا ... لمنع الوارد عنهم ، والأردب القمح بثلاثين ريالا فرانسا ، عنها من الفضة العددية خمسة آلاف وأربعمائة .

وفيه : أرسلوا فعلة وعمالا لعمل متاريس وأبنية بناحية طرا ، وكذلك بالجيزة . وأرسلوا هناك مراكب حربية يسمونها « الشلنبات » .

١١ منه (٢٠ يونية ١٨٠٤ م) :

خرج محمد على وحسن بيك أخو طاهر باشا الى جهة القليوبية ، وصحبتهم عساكر كثيرة وأدوات ، وعدى طائفة من الأمراء الى بر المنوفية ، وهرب حاكم المنوفية من منوف .

١٣ منه (٢٢ يونية ١٨٠٤ م) :

ورد الخبر بوصول مراكب وأدوات من القلزم الى السويس ، وفيها حجاج والمحمل ، وأخبروا بمحاصرة الوهابيين لمكة والمدينة وجدة ، وأن أكثر أهل المدينة ماتوا جوعا لعزة الأقوات .. والأردب القمح بخمسين فرانسا ان وجد ، والأردب الأرز بمائة فرانسا . وقس على ذلك .

١٥ منه (٢٤ يونية ١٨٠٤ م) :

وصلت مراكب وفيها طائفة من العسكر ، وهم الذين يسمونهم النظام الجديد الذين يقلدون محاربة الافرنج . وأشاعوا أنهم خمسة آلاف وعشرة آلاف . ووصل صحبتهم الأغا الذى كان حضر بالمجدة والبشارة للباشا بالتقليد والأطواخ ورجع الى اسكندرية . فحضر أيضا وضربوا لوصوله مدافع وشنكا جهة بولاق ، وأرسلوا له خيولا ويرقا وطبلخانات ، وأركبوه من بولاق . وشق



موكب الأغا

من وسط المدينة ، وأمامه وخلفه أتباع الباشا والوالى والجنيبات وعسكر النظام الجديد — وهم دون المائة شخص — والأغا المذكور ، ومعه أوراق فى أكياس حرير ملون ، وخلفه آخر راكب ومعه بقجة يقال ان بداخلها خلعة برسم الباشا ، وآخر معه صندوق صغير وعليه دواة كتابة منقوشة بالفضة ، وخلفهم الطبلخانات .

فلما وصلوا الى القلعة ، ضربوا لوصولهم مدافع كثيرة من القلعة ، وعمل الباشا ديوانا فى ذلك الوقت بعد العصر ، وقرأوا التقليد المذكور .

وفيه : وصلت طائفة من العربان الى جهة بولاق وجزيرة بدران وناحية المذبح ،وخطفوا ماخطفوه ، وذهبوا بما أخذوه !

وفيه : ورد الخبر بوصول الألفى الكبير الى ناحية بنى سويف ، وعثمان بيك حسن فى مقابلته بالبر الشرقى .

١٧ منه (٢٦ يونية ١٨٠٤ م) :

وصل قاصد من الألفى بمكتوب ، خطابا للمشايخ العلماء ، مضمونه : أنه لايخفاكم أننا كنا سافرنا سابقا لقصد راحتنا وراحة البلاد ، ورجعنا بأوامر ، وحصل لنا ماحصل . ثم توجهنا الى جهة قبلى واستقرينا بأسيوط بعد حصول الحادث بين اخواننا الأمراء والعسكر ولخروجهم من مصر .

وأرسلنا الى أفندينا الباشا بذلك ، فأنعم علينا بولاية جرجا ونكون تحت الطاعة ، فامتثلنا ذلك وعزمنا على التوجه حسب الأمر . فبلغنا مصادرة الحريم ، والتعرض لهم بما لايليق من الغرائم ، وتسلط العساكر عليهم ولزومهم لهم . فثنينا العزم واستخرنا الله تعالى فى الحضور الى مصر لننظر فى هذه الأحوال . فان التعرض للحريم والعرض لاتهضمه النفوس .. وكلام كثير من هذا المعنى .

فلما وصلتهم المكاتبة ، أخذوها الى الباشا وأطلعوه عليها ، فقال فى الجواب : « انه تقدم أنهم تركوا نساءهم للفرنسيس ، وأخذوا منهم أموالا . وانى كنت أعطيت له جرجا ، ولعثمان بيك قنا وما فوق ذلك من البلاد ، وكان فى عزمى أن أكاتب الدولة وأطلب لهم أوامر ومراسيم بما فعلته لهم وبراحتهم .. فحيث أنهم لم يرضوا بفعلى ، وغرتهم أمانيهم ، فليأخذوا على نواصيهم ! »

وفيه : شرعوا فى حفر خندق قبلى الأمام الليث ابن سعد ومتاريس .

وفيه : أرسل محمد على الى مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى . فلما حضرا اليه ... عوقهما الى الليل ، ثم أرسلهما الى القلعة بعد العشاء ماشيين ، ومعهما عدة من العسكر ... فحبسا بها

٢٠ منه (٢٩ يونية ١٨٠٤ م) :

عمل الباشا ديوانا وحضر المشايخ والوجاقلية ، وأظهر زينته وتفاخره فى ذلك الديوان ، وأوقف خيوله المسومة بالحوش ، وخيول شجر الدر واصطفت العساكر بالأبواب والحوش والديوان ووقفت أصناف الديوان باختلاف أشكالهم ، والسعاة بالطاسات المذهبة على رءوسهم . وخرج الباشا بالشعار والهيبة ، وعلى رأسه الطلخان بالطراز ، الى الديوان الكبير المعروف بديوان الغورى . وقد أعدوا له كرسيا بغاشية جوخ أحمر ، وبساط مفروش ، خلاف الموضع القديم . فجلس عليه ، وزغقت الجاويشية ، وأحضر التقليد .. فقرأه ديوان أفندى بحضور الجمع الكبير ، ثم قرأ فرمانين آخرين مضمون أحدهما أكثر كلاما من الثانى .. ملخصه : الولاية وحكاية الحال الماضية من ولاية على باشا وشفاعته فى الأمراء المصرية

بشرط توبتهم ورجوعهم ، ثم عودهم الى البغى والفجور ، وغدر على باشا المذكور ، وظلمهم الرعية بمعونة العسكر ، ثم قيام الرعية والعسكر عليهم حتى قتلوهم وأخرجوهم من مصر . فعند ذلك صفحنا عن العسكر ، وعفونا عما تقدم منهم ، وأمرناهم بأن يلازموا الطاعة ويكونوا مع أحمد باشا خورشيد بالحفظ والصيانة ، والرعاية لكافة الرعية والعلماء ، وابعاد أهل الفساد والمعتدين وطردهم ، وتسهيل لوازم الحج والحرمين من الصرة والغلال ، ونحو ذلك من الكلام المحفوظ المعتاد المنمق !

ولما انقضى أمر قراءة الأوراق ، قام الباشا الى مجلسه الداخل ، ودخل اليه المشايخ ، فخلع عليهم فراوى سمور ، وكذلك الوجاقلية والكتبة والسيد أحمد المحروقى . ثم عملوا شنكا ومدافع كثيرة وطبولا

وأحضر فى ذلك الوقت المعلم جرجس وكبار الكتبة — وعدتهم اثنان وعشرون قبطيا ، ولم تجر عادة باحضارهم — فخلع عليهم أيضا ، ثم نزلوا الى بيت المحروقى فتغدوا عنده ، ثم عوقهم الى العصر ، ثم طلبهم الباشا الى القلعة فحبسهم تلك الليلة ، واستمروا فى الترسيم ، وطلب منهم ألف كيس !

٢٢ منه (اول يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى على ثلثمائة كيس .

وفيه : حضر محمد على وحسن بيك أخو طاهر باشا ، وطلعا الى القلعة . فخلع عليهما الباشا ، وهنأه بالولاية . واستقر بمحمد على والى جرجا ، وحسن بيك والى الغربية . وضربوا لذلك مدافع كثيرة وشنكا ، وعملوا تلك الليلة حراقة وسواريخ



احد شوارع جرجا

من الأزبكية وجهة الموسكى . والحال أنهم لايقدرون أن يتعدوا بر الجيزة ولا شلقان . فان طوائف عسكر الألفى وصلوا الى بر الجيزة ، وأخذوا منها الكلفة ، والأمراء البحرية منتشرون ببر الغربية والمنوفية .

وفيه : هرب شخص من كبار الأرنؤود يقال له ادريس أغا ، كان بجماعته جهة برشوم التين ، فركب الى المصرلية ولحق بهم ، وتبعه جماعته وهم نحو المائة وخمسين شخصا .

وفيه : أرسل الباشا أغاة الانكشارية ليقبض على على كاشف من أتباع الألفى من بيته بسوق السلطيين . فأرسل الى الأرنؤود ، فأرسلوا له جماعة منعوا الأغا من أخذه ، وجلسوا عنده . فأرسل الباشا من طرفه جماعة أقاموا محافظين عليه فى بيته .

ثم ان سليمان أغا كبير الأرنؤود ، الذى التجأ اليه المذكور ، حضر اليه وأخذه الى داره

بالأزبكية ، وصحبته الأمير مصطفى البردقجي الألفي أيضا .

٢٤ منه (٣ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل شخص رومي بمراسلة من عند الألفي الى الباشا . فعندما قرأ الباشا المراسلة ، أمر بقتله حالا . فرموا عنقه برحبة القلعة !

وحضر أيضا مملوك بمراسلة من عند عثمان بيك حسن ، يذكر فيها حضوره مع الألفي ، وأنه اغتر بكلامه وتمويهاته عليه ، وأن بيده أوامر شريفة من الدولة ومن حضرة الباشا بالحضور . ثم ظهر أنه لم يكن بيده شيء ، وأن عثمان بيك ممتثل لما يأمره به الباشا ، وأمثال ذلك .

فكتب له جوابا ، وخلع على ذلك المملوك ورجع سالما !

٢٦ منه (٥ يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن النصارى الأقباط ، بعدما قرروا عليهم ألف كيس ... خلاف البراني وقدره مائتان وخمسون كيسا . ونزلوا الى بيوتهم بعد العشاء الأخيرة فى الفوانيس .

وفيه : وصل الألفي الصغير ، وانتشرت خيوله الى بر انبابة . فرموا عليهم مدافع من المراكب وبولاق ، ورفعوا الغلة من الرقع . وأشيع أن الألفي الكبير وصل الى الشوبك ، وعثمان بيك حسن وصل الى حلوان ، ورجع ابراهيم بيك والبرديسي وباقى الأمراء الى ناحية بنها ، بعدما طافوا المنوفية والغربية ، وقبضوا الكلف والفرد .

وخرج كثير من العسكر الى معسكرهم ناحية شلقان وما وازاها الى الشرق ، وخرج أيضا عدة من العسكر الى ناحية طرا والجيزة .

وفيه : أرسل الألفي الصغير ورقة لشخص من كبار العسكر مقطوع الأنف ، كان من أتباعه حين كان بمصر ، يطلبه للحضور اليه ويعده بالاكرام ، وأن يكون كما كان فى منزلته عنده .

فأخذ الورقة والرسول الى الباشا ، فأمر بقتل المرسال — وهو رجل فلاح — فقطعوا رأسه بالرميلة ، وأنعم على مقطوع الأنف بعشرين ألف نصف فضة ، وشكره .

وقبل ذلك بأيام ، وصلت هجانة من العريش ، وأخبروا بورود عساكر من الدلاة وغيرهم معونة لمن بمصر . واختلفت الروايات فى عدتهم .. فالمكثر من كذابى العثمانية يقولون : عشرة آلاف ، والمقل من غيرهم يقولون : ألفان أو ثلاثة .

وفيه : تواترت الأخبار بقربهم من الصالحية ، وانتقل الأمراء البحرية الى بلبيس ، وركب منهم عدة وافرة لملاقاة العسكر الواردين . وخرج محمد على وحسن بيك فى جمع كثير من العسكر الخيالة والرجالة الى جهة الشرقية ببلبيس ، ونقلوا عرضيهم من ناحية البحر ، وردوا الكثير من أثقالهم الى المدينة .

٢٧ منه (٦ يولية ١٨٠٤ م) :

أحضر الباشا طائفة اليهود وحبسهم وطلب منهم ألف كيس ، واستمروا فى الحبس .

وفيه : رجع الألفي الصغير من ناحية انبابة الى جهة الشيمى باستدعاء من سيده . وأشاع العثمانية أنهم ذهبوا ورجعوا من حيث أتوا ، لعجزهم وعدم قدرتهم عليهم . وكان فى ظنهم أمور لاتتم لهم كما ظنوا . ولحقتهم جميع العساكر من الجهة الشامية .

وفيه : أرسلوا ملاقاة للعساكر الواردين وفيها قومانية وجبخانة ولوازم على ستين جملا ومعهم هجانة . فعندما توسطوا البرية ، أحاط بهم العربان وأخذوهم .

وفيه : تسحب أشخاص من كبار العسكر بأتباعهم ، وذهبوا الى المصريين وانضموا اليهم : فمنهم من ذهب الى قبلى ، ومنهم من ذهب الى بحرى .

وفيه : عدى الألفى الكبير والصغير الى البر الشرقى عند عثمان بيك ، وترفعت مراكبهم الى قبلى .

وفيه : حضر عابدى بيك وحسن بيك من البحر الى بولاق ، وانتقل محمد على الى طنطـ جهة براشيم التين ، بعد مقتلة وقعت بينهم وبين المصرلية ، وانهزموا وذهبوا الى تلك الجهة .

غايته (٩ يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن طائفة اليهود بعد أن قرروا عليهم مائتى كيس خلاف البرانى .

وفيه : حضر خازندار الباشا من الديار الرومية الى ساحل بولاق ، وصحبته أمتعة ولوازم للباشا ، وأشياء فى صناديق .

ربيع الآخر

غرته (١٠ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب الخازندار المذكور ، وطلع الى القلعة من وسط المدينة ، ونزل لملاقاته أغوات الباشا والجاويشية والشفاسية . وحضر صحبته نحو خمسين عسكريا ، ومشوا أمامه وخلفه ، والصناديق التى حضرت معه خلفه محملة على الجمال ، والجاويشية أمامه يضربون على طبلات حكم العادة فى ركوباتهم ، ومعه علة كبيرة من أتباع الباشا ، وأمامه الجنيبات والخيول .

وفيه : وصلت مراكب من الديار الحجازية الى السويس ، وفيها حجاج ومغاربة . ولم يصل منهم الا القليل ، وأكثرهم قتله العسكر الذى بقى بمكة بعد موت شريف باشا ومن انضم اليهم من أجناسهم . وقد حصل منهم غاية الضرر والفساد والقتل ، حتى فى داخل الحرم ، لأن الشريف غالبا ضمهم اليه ، ورتب لهم جامكية . واستمروا معه على هذا الحال الفظيع !

وفيه : انبهم أمر العسكر الدلاة القادمين من الجهة الشامية ، واضطربت الروايات عن أخبارهم : فمنهم من قال : ان المصرلية وقفوا لهم بالطرق وقاتلوهم ، ورجع من نجا منهم بنفسه . ومنهم من قال : انهم لما بلغهم قطع الطريق عليهم .. رجعوا من حيث أتوا ، وبعضهم طلب الأمان ، وانضم اليهم . ومنهم من قال ان فرقة منهم ذهبت من فم الرمانة من طريق دمياط ، وقيل انهم حضروا بثمانين رأسا منهم الى بلبيس .

٣ منه (١٢ يولية ١٨٠٤ م) :

خرج الوالى بعلة من العسكر وصحبته مدافع وجبخانة ، واستقر بزاوية الدمرداش .

٤ منه (١٣ يولية ١٨٠٤ م) :

هجم الأمراء القبالى — وهم : الألفى وأتباعه وعثمان بيك حسن ومن انضم اليهم — على طرا وملكوا منها البرج الذى من ناحية الجبل ، بعد ما ضربوا عليه من أعلى الجبل ، وتعدوا الى ناحية البساتين ، وتركوا طرا ومن فيها خلف ظهورهم ، وتحاربوا مع طوابير العسكر — وكانوا أنفارا قليلة — ونظرهم الباشا من قلعته ، فزعق على السلحدار ، فركب فى عدة من الشفاسية وخرج اليهم . فعندما واجهوهم .. لم يثبتوا ، وولوا بعدما سقط منهم أنفار .

وفيه : وصل جواب من الأمراء القبالى الى المشايخ يذكرون فيه : أنهم يخاطبون الباشا فى اخماد الحرب ، وصلحه معهم ... فان ذلك أصلح له ،

ويكونون معه على مايحب وما يأمر به ، ويرتاح من علوفة العسكر التى أوجبت له المصادرات وسلب الأموال وخراب الاقليم ، وأن يختار من العسكر طائفة معلومة معدودة يقيمون بمصر ، ويأمر الباقى بالسفر الى بلادهم .

فلما خاطبوه بذلك ، وأطلعوه على المكاتبة ، أبى وقال : « ليس لهم عندى الا الحرب » .

٥ منه (١٤ يولية ١٨٠٤ م) :

حصلت أيضا بينهم محاربة ، وأصيب من المراكب الحربية ، التى يسمونها الشلنبات ، اثنتان : غرقت احداهما ، وأحرقت الثانية . واتهم الباشا الطبجية فقتل منهم خمسة : اثنان بالقلعة ، وثلاثة بالرميلة .

٦ منه (١٥ يولية ١٨٠٤ م) :

حضر محمد على من بحرى وذهب الى جهة القرافة فأقام بمقام عقبة بن عامر الجهنى . ووقع فى ذلك اليوم محاربات أيضا .

٧ منه (١٦ يولية ١٨٠٤ م) :

أشيع حضور الأمراء القبالى الى ناحية بهتيم ، وأنهم أرسلوا الى المطرية بالجلاء عنها ، ورمحت العرب نواحى بولاق والجهات البرانية ، وضربوا عليهم مدافع .

وفى ذلك اليوم : نظر الباشا وكبار العسكر الى جهة البساتين ، فلم يروا أحدا من المصرلية . فركب محمد على وأخذ معه عدة وافرة ودخلوا تلك الجهة فلم يروا أمامهم أحدا . فلم يزالوا سائرين ، واذا بكمين خرج عليهم من جانب الجبل ، فأوقع معهم وقعة قوية حتى أثخنوهم ، وقتل منهم من قتل ، حتى لحقوا بالمشاة الرجالة ، فضربوا عليهم طلقا وولوا مدبرين . فصار محمد على يستحثهم ويردهم ويحرضهم ، فلم يسمعوا له ، ورجعوا وفيهم جرحى كثيرة طلعوا بطائفة منهم الى القلعة ، ودخل الباقون الى المدينة ، وطلبوا طائفة المزينين لمداواة الجرحى بالقلعة . وأخذوا فى ذلك اليوم برج الدير الذى كان بأيدى العسكر جهة البحر بطرا ، وقتلوا من به من العسكر ، وأعطوا لمن بقى الأمان ... وهم نحو الثلاثين شخصا .

٨ منه (١٧ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل المصرلية الذين كانوا جهة الشرق ، ووصلت مقدماتهم الى جهة العادلية وناحية الشيخ قمر...بل وعند الكيمان خارج باب النصر . فأغلقوا باب النصر وباب الفتوح والعدوى ، وهربت سكان الحسينية ، وحصلت كرشة بالجمالية . ولم يخرج اليهم أحد من العسكر ، بل أخذوا يضربون المدافع من أعلى السور . ودخل محمد بيك المنفوخ الى الحسينية ، وجلس بمسجد البيومى ، وانتشر المماليك والأتباع على الدكاكين والقهاوى ، واستمر ضرب المدافع الى بعد الظهر . ثم ان المصرلية ترفعوا عن الحسينية الى اليشبكية .. فبطل الرمى ، ودخل الوالى وأمامه ثلاثة رؤوس تبين أنها رؤوس مغاربة من مقاطيع الحجاج المرضى كانوا مطروحين خارج القاهرة .

وفيه : طلب جماعة من المماليك السيد بدر المقدسى ، فخرج اليهم من داره خارج باب الفتوح ، فأخذوه عند البرديسى وابراهيم بيك ، فأسر اليه ابراهيم بيك بأن يكون سفيرا بينهم وبين الباشا فى الصلح معهم ، وأنه لايستقيم حاله مع العسكر ، ولا يرتاح معهم ، وليعتبر بما فعلوه مع محمد باشا . وأما نحن فنكون معه على ماينبغى من الطاعة والخدمة ، وحضر فى أواخر النهار .

٩ منه (١٨ يولية ١٨٠٤ م) :

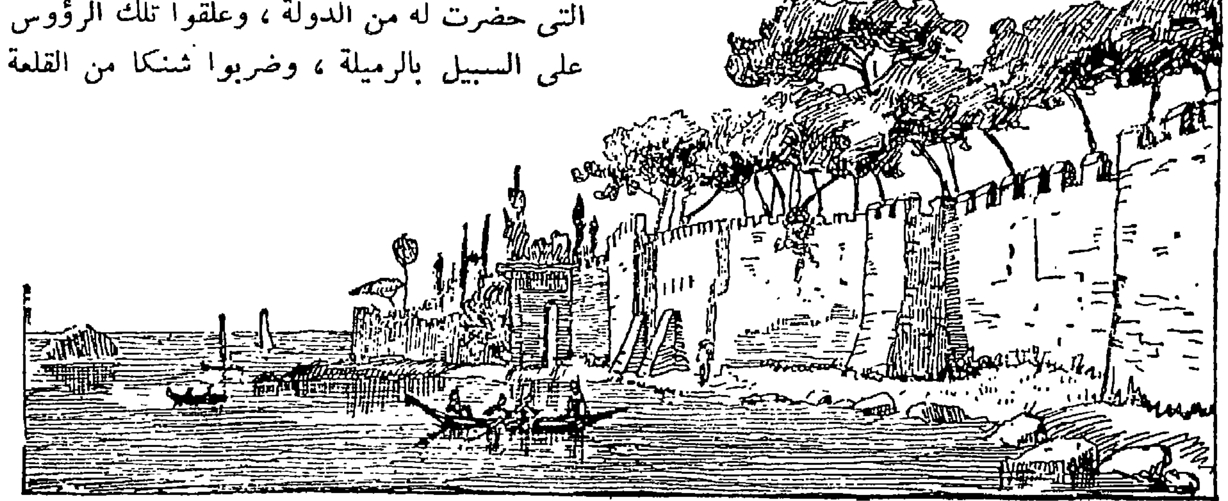
ركب وطلع الى الباشا وبلغه ذلك ، فقال له الباشا على سبيل الاختبار والمسايرة : « قولك

صحيح .. ومن يرجع اليهم بالجواب ؟ » . فقال : « أنا » فحقدها عليه ، ثم قام من عنده ،فأرسل خلفه وعوقه عند الخازندار .

فذهب اليه فى ثانى يوم شيخ السادات والسيد عمر النقيب ، وترجوا فى اطلاقه ، فامتنع وقال : « أخاف عليه أن يقتله العسكر ، ولا بأس عليه . ولا يصلح اطلاقه فى هذا الوقت ، وبعد خمسة أيام يكون خيرا ، فانه مقيم عند الخازندار فى اكرام وفى مكان أحسن من داره .. وهذا رجل اختيار يفعل هذه الفعال : يخرج الى المخالفين متنكرا ، ويرجع من عندهم بكلام ، ثم يطلب العود اليهم ثانيا ! » .

وفيه : حضر محمد على عند الباشا بعد الغروب وقبض منه خمسين كيسا ، وقيل ثمانين ورجع الى معسكره ، فجمع العسكر وتكلم معهم وفرق عليهم الدراهم ، واتفق معهم على الركوب والهجوم على من بطرا فى تلك الليلة على حين غفلة . وكان كاتبهم قبل ذلك يلاطفهم ويظهر العجز ويطلب معهم الصلح وأمثال ذلك . وفى ظن أولئك صدقه ، وعدم قدرتهم على مقاومتهم وملاقاتهم. فلما مضى نحو خمس ساعات من الليل ، ركب محمد على فى نحو أربعة آلاف .. فرسانا ورجالا . فلما قربوا من الحرس فى آخر السادسة ، ترجلوا وقسموا أنفسهم ثلاثة طوابير : ذهب قسم منهم جهة الدير ، والثانى جهة المتاريس ، والثالث جهة الخيل ... والجماعة وهم : صالح بيك الألفى ومن معه فى غفلتهم ونومهم مطمئنون ، وكذلك حرسهم ، فلم يشعروا الا وقد صدموهم ، فاستيقظ القوم وبادروا الى الهرب والنجاة ، فملكوا منهم الدير وأبراج طرا — وكان بها عسكر العثمانيين الى هذا الوقت محصورين ، وقد أشرفوا على طلب الأمان — وأخذوا مدفعين كانوا بالمتراس وبعض أمتعة ، وثمانى هجن ، وثلاثة عشر فرسا . وقتل بينهم بعض أشخاص وانجرح كذلك ، ورجع محمد على والعسكر على الفور من آخر الليل ، ومعه خمسة رؤوس : فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هى ، والباقى رؤوس عربان أو سياس أو غير ذلك . وزعموا أن تلك الرأس هى رأس صالح بيك ، وأرسلوا المبشرين آخر الليل الى الأعيان ليأخذوا البقاشيش . وأشاعوا أنهم قبضوا على الألفى الصغير ، وأحضروه معهم حيا ، والباقى رموا بأنفسهم الى البحر .

ولما طلع محمد على الى الباشا ، خلع عليه الفروة التى حضرت له من الدولة ، وعلقوا تلك الرؤوس على السبيل بالرميلة ، وضربوا شنكا من القلعة



برج الدير .. فى طرا

ومدافع ، وأظهروا السرور ، وداروا بالأسواق يضربون بالطنابير ، وشمخ المغرضون بآنافهم على المغرضين للمصرلية . ثم تبين عدم صحة تلك الاشاعة وأن تلك الرأس رأس بعض الأجناد ، ولم يمسك الألفي كما قالوا .

١٠ منه (١٩ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل من بحرى ثلاث شلنبات ، كان الباشا أرسل يطلبها عوضا عما تلف . فعند ما وصلوا الى جهة باسوس — وهناك مركز للمصرلية على جرف عال ، أقعدوا به طبجية ، ليمنعوا من يمر بالمراكب — فضربوا عليهم، وضرب من في المراكب الحربية أيضا على من في البر ، فكان ضرب من في البر يصيب من في البحر ، وضربهم لا يصيبهم لعلو الجرف عليهم . فاحترقت جبخانة احدى الشلنبات ، واحترق ما فيها بها ، وغرقت الثانية ، ويقال ان الثالثة لم تكن من المراكب الحربية ، بل هي مركب معاش .

وكان حضر في خفارتهم عدة من المراكب المسافرين ، فخافوا ورجعوا ، وقبضوا على بعض قواويس بها غلال ، فأخذوا ما فيها . فلما شاع ذلك بالمدينة ، رفعوا ما كان موجودا من الغلة بالعرصات وشحت الغلال ، وعدم الفول والشعير ، وبيع ربع الويبة من الفول بتسعين نصفا ، وقل وجود الخبز من الأسواق ، وخطف بعض العسكر ما وجدوه من الخبز ببعض الأفران ، وأخذوا الدقيق من الطواحين !

وصار بعض العسكر يدخل بعض البيوت ، ويطلبون منهم الأكل والعليق لدوابهم .

وفي يوم الخميس والجمعة : اشتد الحال ، وبيع ربع الويبة من القمح بسبعين نصفا وثمانين نصفا ، وعدم الفول ، واشترى بعض من وجده ربعا بمائة نصف فضة . فيكون الأردب على ذلك الحساب بألفين وأربعمائة نصف !

وخرج عساكر كثيرة ، ووقعت حروب بين الفريقين ، ورجع القبليون الى طرا وحاربوا عليها ، وكانوا شرعوا في عمارة ماتهدم من أبراجها ، ونقلوا اليها الذخيرة والقومانية والجبخانة والعسكر ، وأخذوا جمال السقائين لنقل الماء الي الصهريج الذى ببرج طرا .

ودار الأغا والوالى على المخازن ببولاق ومصر ، وأخذوا منها ما وجدوه من الغلة ، وأمروا ببيعه على الناس بخمسين نصفا .. الربع . وأخذوا لأنفسهم ما وجدوه من الشعير والفول .

١٣ منه (٢٢ يولية ١٨٠٤ م) :

قلدوا حسن أغا نجاتى الحسبة ، فخافته السوقة ، واجتهدوا في تكثير العيش والكعك والمأكولات بقدر امكانهم . واجتهد هو أيضا في الفحص على الغلال المخزونة وبيعها للخبازين . وأما اللحم الضانى ، فانه انعدم بالكلية لعدم ورود الأغنام .

وفيه : شح ورود الغلة في العرصات ، وذهب أناس الى بر انبابة ، فاشتروا الربع بثمانين نصفا وأزيد من ذلك ، والفول بمائة وعشرين . وعلق أكثر الناس على بهائمهم ما وجدوه من أصناف الحبوب مثل : الحمص والعدس — وهم المياسير من الناس — وأما غيرهم فاقتصروا على التبن .

وأما العنب والتين — في وقت وفرتهما — فلم يظهر منهما الا القليل . وبيع الرطل من العنب بأربعة عشر نصفا ، والتين بسبعة أنصاف ، وذلك بعد سلوك الطريق ومشى السفن .

١٤ منه (٢٣ يولية ١٨٠٤ م) :

اجتمعت العساكر الكثيرة للحرب عند شبرا ،

ورموا على بعضهم بالمدافع والقرابين والبنادق من ضحوة النهار . ثم التحم الحرب بين الفريقين ، واشتد الجلاد بينهما الى بعد منتصف النهار . وصبر الفريقان ، وقتل بينهما عدة كبيرة من العسكر الأرنؤود ، وطائفة المماليك والعربان . فقتل من أكابر العسكر أربعة أو خمسة ، ودخلوا بهم المدينة ، وانكف الفئتان ، وانحازا الى معسكرهما.

وبعد هجعة من الليل ، اجتمع العسكر من الانكشارية والأرنؤودية وغيرهم ، وكبسوا على متاريس شبرا — وبها حسين بيك المعروف بالأفرنجى ، وعلى بيك أيوب ، ومعهما عسكر من الأرنؤود الذين انضموا اليهما ... ومنهم الرماة والطبجية — فأجلوهم عن المتاريس ، وملكوها منهم ، ووقع بينهم قتلى كثيرة.. وقتل من عسكر حسين بيك المذكور نحو مائة وستين نفرا ، وعدة من مماليك على بيك أيوب خلاف الجرحى . وزحفوا على باقى المتاريس ، فملكوا منهم متاريس شلقان وباسوس ، وانهزم المصرلية الى جهة الشرق بالخانكة وأبى زعبل .

وقيل ان العسكر المنضمين اليهم المتقيدين بالمتاريس ، هم الذين خامروا عليهم ، وانهزموا عن المتاريس ، حتى كانوا هم السبب فى هزيمتهم .

فلما أصبح النهار ، حضروا بسبعة رؤوس فيها ثلاثة من الأجناد الملتحين ، وثلاثة بشوارب ، ورأس أسود ، فعلقوها بباب زويلة . ومن الثلاثة أجناد رأس له لحية طويلة شائبة شبيهة بلحية ابراهيم بيك الكبير . فقال بعض الناس : « هذه رأس ابراهيم بيك بلا شك » . وأشيع ذلك بينهم . فاجتمع الناس من كل ناحية للنظر اليه ، ووصل الخبر الى الباشا ، فأحضر عبد الرحمن بيك والمزين الذى كان يحلق له ، لمعرفتهما به وآخرين ، وطلب الرأس فأحضروها وتأملوها . فمنهم من اشتبهت عليه ، ومنهم من أنكرها لعلامات يعرفها به ، وهى : الصلع ، وسقوط بعض الأسنان . ثم أعيدت الى مكانها على ذلك الاشتباه . ثم انهم عملوا شنكا ومدافع لذلك .

ثم طلبها محمد على أيضا ، وفعل مثل ذلك ، وردها أيضا ، ثم رفعوها فى الليل . واستمر الفرح والشنك يومين .. والناس بين ناف ومثبت ، ومسلم ومنكر ، ومعاند ومكابر .. حتى وردت خدم من معسكرهم ، وأخبروا بحياة ابراهيم بيك ، وأنه بوطاقه جهة الشرق . فزال الشك وأرسل المصريون الى بيوتهم أوراقا .

١٥ منه (٢٤ يولية ١٨٠٤ م) :

وقع خسوف قمرى . وطلع من المشرق منخسفا آخذا فى الانجلاء ، ومقدار المنخسف منه عشرة أصابع ، وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من الليل ، وكان بأول برج الدلو .

١٧ منه (٢٦ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب الأمراء المصرلية وانتقلوا من الخانكة ، ومروا من خلف الجبل بحملاتهم وأثقالهم ، وذهبوا الى جهة قبلى ، وخاب سعيهم ، ولم ينالوا غرضهم . وكان فى ظنهم أنهم اذا حصلوا بالقرب من المدينة خرج اليهم الكثير من العسكر ، وانضم اليهم ... لمقدمات سبقت منهم ، ومراسلات وكلام وقع بينهم وبين أتباعهم ومماليكهم المجتمعين عند أكابرهم ، وذبهم عنهم وعن بيوتهم وحريمهم ، بل واخراج بعض

الأتباع والمماليك بمطلوبات الى أسيادهم خفية وليلا ، حتى استقر فى أذهان كثير من العقلاء ممالآت كثير من البنباشيات ورؤساء العسكر مع المصرلية .

وعندما تحقق العسكر ذهابهم ، دخلوا الى المدنية بأثقالهم وحمولهم ، وانتشروا بها حتى ملأوا الأزقة والطرق والبيوت .

وقدمت السفن المعوقة ، وتواجدت الغلال بالرقع . وتخلف عنهم أناس كانوا منضمين اليهم ... طلبوا أمانا بعد ذلك ، وحضروا بعد ذلك الى مصر.

وقدمت عساكر ودلاة فى المراكب ، ودخلوا البيوت بمصر وبولاق ، وأخرجوا منها أهلها وسكنوها . واذا سكنوا دارا أخربوها ، وكسروا أخشابها وأحرقوها لوقودهم . فاذا صارت خرابا تركوها ، وطلبوا غيرها... ففعلوا بها كذلك. وهذا دأبهم من حين قدومهم الى مصر ! حتى عم الخراب سائر النواحى ، وخصوصا بيوت الأمراء والأعيان، وبواقى دور بركة الفيل وما حولها من بيوت الأكابر والقصور التى كانت يضرب بأدناها المثل . وفى ذلك يقول صاحبنا العلامة ، الشيخ حسن العطار :

« وأما بركة الفيل ، فقد رميت بكل خطب جليل، وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويلا ، والقلب بذكر ماسلف من مباهجها حزنا طويلا . تبدلت مغردات أطيارها بنواعب الغربان ، ومحاسن غزلانها بكل علج تقذى به العينان ، ومشيد قصورها بخرائب وتلال ، وأكابر أمرائها بصعاليك وأرذال . ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف ، ومعهد أنس كأن الكآبة بعده خلف . فقلت متذكرا أولئك الأيام ، التى مرت كأضغاث أحلام :

علّلانى بذكر خشف رخيم
واسقيانى فى الروض بنت الكروم

وصفا لى زمان أنس صفا لى
بحبيب غض وراح قديم

حيثما الدهر طوعنا والأمانى
فى قياد ، والوهم فى تهويم

والربا فى نضارة وزهو
حل فيه من الغمام السجيم

خافضات به الغصون رؤوسا
مثقلات من در طل نظيم

ولصفو الغدير فيها ولوع
يرقب الوصل من مرور النسيم

وترى الورد كالمليك لديه
كل غصن يهوى بقد قويم

بسط الروض نحوه وشى بسط
حاكاها الطل فى ابتداع وسيم

للجين النهور فيها طراز
ولدر الزهور رقش الرسوم

وبكاء الحمام هيج عندى
فرط شوق الى الزمان القديم

زمن بالسرور لم يك الا
حلما مر أو تغاضى حليم

فيه كانت تجلى بدور جمال
أشرقت عن نجوم ليل بهيم

من بنى الترك ذى الجمال المفدّى
أيضا هى فى الحسن ريم الروم

كل ظبي تـراه يزهـو ويـرنو
بقـوام القنـا وطـرف الريـم

برهة باجتـلا المـدام يحييـك
ويحييـك بعـد بالتكليـم

أسرونى وأطلقـوا دمع جفنى
وأثاروا فى القلـب نار الجحيـم

يا زمـانا بـبركة الفيـل ولى
فيـه قـد كنت ثـاويا فى نعيـم

لا عدمنـاك من زمـان تقضى
بـين سـاق وشـادن ونديـم »

قلت وهكذا الدنيـا طبعت على هذا الشأن ، من سره زمان ، ساءته أزمان . وللعـاقل فى تقلبات الأيام عبر : ماشوهد منها وما غبر !

١٨ منه (٢٧ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل أمير أخور الصغير من الديار الرومية ، وطلع الى بولاق فى صبحها ، وركب الى القلعة . فأنزله الباشا ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بيك بدرب الجماميز . ولم يعلم مابيده من الأوامر ، ثم تبين أن من الأوامر التى معـه ، اخراج خمسمائة من العسكر الى بنـدر ينبع البحر ، يقيمون بها محافظين لها من الوهابيين ، ويدفع لهم جامكيـة سنة كاملة وذخيرتها وما يحتـاجون اليه من مؤنة وغلال وجبخانة .

٢٣ منه (اول اغسطس ١٨٠٤ م) :

قرأوا تلك الأوامر . وفيها أنه تعين محمد باشا أبو مرق بعسـاكر الشـام الى الحجـاز . فأحضر الباشا كبار العسكر ، وعرض عليهم ذلك الأمر ، وقال لهم : « انه ورد لى اذن عام فى تقليـد من أقلده .. فمن أحب منـكم قلدته امرية طوخ أو طوخين » . فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : « نحن لانخرج من مصر ، ولا تتقلد منصبا خارجا عنها » .

ووصلت الأخبار فى هذه الأيام ، أن الوهابيين ملكوا الينبع .

وفيه : وردت الأخبار بأن الألفى عـدى الى البر الشرقى . وكان قبـل ذلك عـدى الى البر الغربى ، وانتشرت عسـاكره الى الجسر الأسود ، ثم رجعوا وعدوا الى البر الشرقى .

وفيه : طلع المشايخ عنـد الباشا ، وشفعوا فى السيد بدر المقدسى ، فأطلقه ونزل الى داره .

٢٥ منه (٣ اغسطس ١٨٠٤ م) :

قلدوا على أغا الوالى على العسكر المعين الى الينبـع أميرا ، وضربوا له مدافع . وفرح النـاس بعزله من الولاية . فانه كان أخبث من تقلد الولاية من العثمانية ، وكان الباشـا يراعى خاطره ، ولا يقبل فيه شكوى .

وتعين للسفر معه عدة من العسكر من أخلاط مصر البطالين : أروام وخلافهم .

وفيه : قلدوا مناصب كشوفية الأقاليم لأشخاص من العثمانية .

٢٨ منه (٦ اغسطس ١٨٠٤ م) :

تشاجر شخص من العسكر مع شخص حكيم فرنسـاوى عند حارة الافرنج بالموسكى ، فأراد العسكرى قتـل الفرنساوى ، فعاجله الفرنساوى فضربه فقتله وفر هاربا . فاجتمع العسكر وأرادوا نهب الحارة ؛ فوصل الخبر الى محمد على فركب فى الوقت ، ومنع العسكر من النهب ، وأغلق باب



السقاءون يجلبون الماء من البحر الى القلعة

الحارة ، وقبض علـى وكيل قنصل الفرنساوية ، واخذه معه ، وحبسه عنده ... حتى سكن العسكر .

وفى تلك الليلة أيضا ، مر جماعة من العسكر بخط الدرب الأحمر ، فأرادوا أخـذ قنديل من قناديل السوق.. فقام عليهم الخفير يريد منعهم ... فذبحوه ، وأخذوا القنديل .فأصبح الناس ... فرأوا الخفير مذبوحا ، وسمعوا القصة من سكان الدور بالخطة . ووجـدوا أيضـا عسكريا مفتولا جهة الموسكى . وغير ذلك حوادث كثيرة فى كل يوم ... من أخذ النساء والمردان والأمتعة والمبيعات من غير ثمن !

* * *

وانقضى الشهر ، وفيه استقر الأمراء المصرلية جهـة صول والبرنبل وما قابلهما من البر الغربى .

واستمر عثمان بيك حسن والبردسى وأتباعهما بالبر الشرقى ، وشرعوا فى بنـاء متاريس وقلاع بساحل البحر من الجهتين .

وأرسل الباشـا الى جهة دمياط ورشيد يطلب عدة مراكب وشـلنبات ، لاسـتعداد الحروب . واجتهد فى ملء صهاريج القلعة ، وطلبوا السقائين وألزموهم بذلك فشـح المـاء بالمدينـة ، وغلا سعره لذلك ، ولغلو العليق ، حتى بلغ ثمن الراوية أربعين نصفا بعد المشقة فى تحصيله . لأنه لم يبق الا الروايا اللاكى لأكابر الناس ، فيمنعها العطاش عند مرورها قهرا ، ويدفعون ثمنها بالزيادة . واتفق شدة الحر ، وتوالى هبوب الرياح الحارة ، وجفاف الجو ، وتأخير زيادة النيل .

جمادى الأولى

فى غرته (٨ اغسطس ١٨٠٤ م) :

كان مولد المشهد الحسينى ، ونزل الباشا وزار المشهد ، ودخل عند شيخ السادات باستدعاء ، وتغدى عنده ، ثم ركب راجعا قبل الظهر الى القلعة. ولم يقع فى ليالى المولد حظ للناس ، ولا انشراح صدور كالعادة ، بسبب أذية العسكر واختلاطهم بهم ، وتكديرهم عليهم فى الحوانيت والأسواق . حتى انهم فى آخر الليلة — التى كان من عادتهم يسهرونها مع ليال قبلها الى الصباح — أغلقوا الحوانيت ، وأطفأوا القناديل من بعد أذان العشاء ، وذهبوا الى دورهم .

وفيه : قرروا فردة غلال على البلاد : قمح وشعير وتبن ... أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة عشر أردبا .. وخمسة عشر حمل تبن ، والأوسط عشرة ، والأدنى خمسة . على أن اقليم القليوبية لم يبق به الا خمسة وعشرون قرية فيها بعض سكان . والباقى خراب ليس فيها ديار ، ولا نافخ نار !

ومجموع المطلوب ثمانية آلاف أردب ، خلاف التبن ، وذلك برسم ترحيلة على باشا الى الينبع .

ثم قرروا فردة أخرى كذلك أيضا وقدرها ألف وخمسمائة كيس رومية .

٤ منه (١١ اغسطس ١٨٠٤ م) :

جمع الباشا المشايخ فى ديوان خاص ، بسبب مكتوب حضر من الأمراء المصريين ، خطابا للمشايخ مضمونه : « أنهم يسعون بينهم وبين الباشا فيما يكون فيه الراحة للبلاد والعباد ، وأنه يخرج هذه العساكر ... فانهم ان داموا بالاقليم كملوا خرابه وهتكوه بأفاعيلهم وظلمهم وفسقهم ، وطلب العلوفات التى لا يفى ببعضها خراب الأقليم .

« وأما نحن .. فاننا مطيعون السلطنة وخدامون بلا جامكية ولا علوفة ، وان لم يفعل ذلك يعطينا جهة قبلى نتعيش فيها . وان أرادوا الحرب .. فليخرجوا لنا بعيدا عن الأبنية ، ويحاربونا فى الميدان . والله يعطى النصر لمن يشاء » .. الى آخر ما قالوه

فقال الباشا للمشايخ : « اكتبوا لهم .. يأخذوا جهة اسنا ومقبلا» ، فقالوا : « نحن لا نكتب شيئا اكتبوا لهم مثل ما تعرفون » . وانفض المجلس .

وفيه : عزم جماعة من أكابر العسكر على السفر الى بلادهم ، وهم : أحمد بيك رفيق محمد على ، وصادق أغا وخلافهما . وأخذوا فى تشهيل أنفسهم وبيع متاعهم ، ونزلوا الى بولاق عند عمر أغا ونزل محمد على لوداعهم ببيت عمر أغا .

فاجتمع العسكر وأحاطوا بهم ، ومنعوهم من السفر قائلين لهم : « أعطونا علوفاتنا المنكسرة .. والا عطلناكم ، ولا ندعكم تسافرون بأموال مصر ومنهوباتها » . فأخذوا خواطرهم ووعدوهم على أيام ، وامتنعوا من السفر .

٨ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٤ م) :

تقلد شخص من العثمانيين الزعامة عوضا عن على أغا الذى تولى باشة السفر للينبع

١٠ منه (١٧ اغسطس ١٨٠٤ م) :

اجتمع العسكر وطلبوا علوفاتهم من الباشا ، فدفعوا للأرنؤود جامكية شهر .

١١ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٤ م — ١٢ مسرى ١٥٢٠ ق) :

أوفى النيل المبارك سبعة عشر ذراعا ، وكسر سد الخليج فى صبح يوم السبت ... بحضرة الباشا والقاضى ومحمد على وباقى كبار العسكر وجميع العسكر ... وكان جمعا مهولا . وضرب الجميع بنادقهم ، وجرى الماء بالخليج ، وركبوا القوارب والمراكب ، ودخلوا فيه وهم يضربون بالبنادق . وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت .

وكان الموسم خاصا بهم دون أولاد البلد وخلافهم . وكذلك سكنوا بيوت الخليج مع قحابهم من النساء .

ومات فى ذلك اليوم عدة أشخاص — نساء ورجالا — أصيبوا من بنادقهم . ومما وقع : أنه أصيب شخص من أولادالبلد برصاصة منهم ومات ، وحضر أهله بصرخون ، وأرادوا أخذه ليواروه ، فمنعهم الوالى ، وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم فضة . ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على ألف وخمسمائة !

وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت ، أذن لهم فى أخذه ومواراته . ونظر بعضهم الى أعلى بيوت الخليج فرأى امرأة جالسة فى الطاقة ، فضربها برصاصة فأصابتها فى دماغها وماتت من ساعتها ، وغير ذلك مما لم تتحقق أخباره .

١٣ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٤ م) :

خرج على باشا الوالى المسافر الى الينبع خارج البلد ، وأقام جهة العادلية ، وارتحل يوم السبت تاسع عشره ، ومعه مائة عسكرى لا غير ، وذهب الى جهة السويس .

وفيه : أرسل الباشا الى المشايخ والوجاقلية وتكلم معهم فى توزيع فردة على أهل مصر ، لغلاق جامكية العسكر . فدافعوا بما أمكنهم من المدافعة ، فقال : « هذا الذى نطلبه ، انما نأخذه على سبيل القرض ، ثم نرده اليهم ! » . فقالوا له : « لم يبق بأيدى الناس ما يقرضونه ، ويكفى الناس ما هم فيه من الغلاء ووقف الحال . وغير ذلك » . فالتفت الى الوجاقلية ، وقال : « كيف يكون العمل ؟ » . فقال أيوب كتخدا : « نعمل جمعية مع السيد أحمد المحروقى ، ويحصل خير » . فركن الباشا على ذلك . ثم اجتمعوا مع المذكور ، واتفقوا أنهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة ولا بشاعة . وهى : أنهم قرروا على الوجاقلية قدرا من الأكياس ، وكتبوا بها تنابيه بأسماء أشخاص . منها ما جعلوا عليه عشرين كيسا ، وعشرة ، وخمسة وأقل وأكثر . وكذلك وزعوا على أشخاص من تجار البن وخان الخليلى ، ومغاربة أغراب ، وأهل الغورية وخلافهم . ومن تراخى فى الدفع ، قبضوا عليه وأودعوه فى أضيق الحبوس ، ووضعوا الحديد فى يديه ورجليه ورقبته .

ومنهم من يوقفونه على قدميه والجنزيرمربوط بالسقف !

وأرسلوا العسكر الى بيوتهم ، فجلسوا بها يأكلون ويسكرون ، ويطلبون من النساء المصروف .. خلاف الأكل الذى يطلبونه ويشتهونه — وهو ثمن الشراب والدخان والفاكهة — بل ويأتون بالقحاب معهم ، ويضربون بالبندق والرصاص بطول الليل والنهار .. وأمثال ذلك .

٢٤ منه (٣١ اغسطس ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا عسكرا ، فقبض على الأمير على المدنى صهر ابن الشيخ الجوهرى ، وحبسه . فركب اليه المشايخ ، وكلموه فى شأنه ، وقالوا :

« انه رجل وجاقلى من خيار الناس .. وما السبب فى القبض عليه ، وما ذنبه الموجب لذلك ؟ » ، فقال : « انه رجل قبيح . ولى عليه دعوى شرعية . واذا كان من خيار الناس ومن الوجاقلية .. لأى شيء يعمل كتخدا عند صالح بيك الألفى ، وأنه عند هروب مخدومه من الشرقية .. أخذ ما كان معه من المال على أربعة جمال ، ودخل بها الى داره . وعندى بينة تشهد عليه بذلك ، فأنا أطالبه بالمال الذى عنده » . وقاموا ونزلوا من غيرطائل .

٢٦ منه (٢ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

توفى الشيخ موسى الشرقاوى الشافعى ، وكان من أعيان العلماء الشافعية .

٢٨ منه (٤ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

احضروا المحمل من السويس ، فنزل كتخدا الباشا والأغا والوالى وأكابر العسكر ، وعدة كبيرة من العسكر ، وعملوا له الموكب ، وشقوا به البلد .. وخلفه الطبل والزمر .

فى اواخره (اوائل سبتمبر ١٨٠٤ م) :

وصلت قوافل البن من السويس ، فحجزها الباشا وأخذها ، وأعطى أصحاب البن وثائق بثمن البن لأجل ، ووكل فى بيعه ، وحول به العسكر ، يأخذونه من أصل علوفاتهم . فبلغ ثمن المحجوز تسعمائة كيس . وانهمك المشترون على الشراء ، ومنعوا القبانية من الوزن .. الا بحضور المقيدين لذلك .

وانقضى هذا الشهر وحوادثه ، وما وقع فيه من عكوسات العسكر : من الخطف ، والقتل ، والدعاوى الكذب ، وشهاداتهم الزور لبعضهم فيما يدعونه ، وتواطؤهم على ذلك .. فيذهب الخبيث منهم ، فيكتب له عرضحال ، ويشكو من بعض مساتير الناس أنه غصبه فى مدة سابقة قبل ذلك ، وطلق منه زوجته قهرا ، بعد أن كان صرف عليها مبلغ دراهم كثيرة فى المهر والنفقة والكسوة ، ويكتبون له عليه علامة الباشا ، ويأخذ صحبته أشخاصا معينين من أقرانه ، فيسحبون المدعى عليه الى المحكمة ، فلا يثبت عليه ذلك ، فيكتب له القاضى اعلاما بعدم صحة الدعوى بدراهم يدفعها على ذلك الاعلام . فيذهبون الى ديوان الباشا ، ويخبرون الكتخدا ببطلان الدعوى ، ويطلعون على الاعلام بحضرة الخصم — وهو يظن البراح والخلاص من تلك الدعوى الباطلة — فيقول الكتخدا للخصم : « أعط المباشرين خدمتهم خمسة أكياس .. واذهب » . وأمثال ذلك !

فان وجد شافعا أو مغيثا-توسط له ، أو تشفع فى تخفيف ذلك قليلا ، أو ضمنه ، أو دفع عنه وأنقذه..والا حبس كغيره ، وذاق فى الحبس أنواع العذاب حتى يدفع ماقرره عليه الكتخدا .

واتفق أن جماعة من سكان المحجر شكوا نظار جامع وسبيل ومدرسة متخربة من أيام الفرنسيس، ومعطلة الشعائر والايراد . فأمر الكتخدا باحضار النظار — وهم ناس فقراء وعواجز — وسألهم ، فأخبروا بتعطيل الايراد ، فأحضروا مباشرين الأوقاف فحاسبوهم ، فلم يطلع عليهم شيء . فقال الكتخدا : « أعطوا المباشرين خدمتهم » . فلما فرغوا من ذلك بعد مشقة عظيمة ، قالوا : « هاتوا محصول الخزينة » . فقالوا : « وما يكون محصول الخزينة ؟ » . قالوا : « ثلاثون كيسا : على كل ناظر عشرة أكياس » . فبهت الجماعة وتحيروا فى أمرهم ، ولم يعلموا مايقولون .

وفى الحال ، جذبوهم الى الحبس ، وفيهم رجل من جماعة المشهدية ، عاجز لايقدر على القيام .. فسعى عليه حريمه وخشداشينه ، وصالحوا عليه بكيسين ، وخلصوه .

وأما الاثنان الآخران ، فاستمرا فى الحبس والحديد مدة طويلة . وأمثال ذلك !

وفى أواخره : أفرجوا عن السيد على المدنى بعدما قرروا عليه أربعة آلاف ريال .. خلاف البرانى . وأمثال ذلك كثير .

جمادى الآخرة

غرته (٧ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

حضر القاضى الجديد الى جهة بولاق

٢ منه (٨ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

ركب القاضى الجديد ، وطلع الى القلعة ، وسلم على الباشا ، ورجع الى المحكمة . وكان عندما وصل الى رشيد ، أرسل الى الباشا ليأمر له بعمارة المحكمة . فألزم الباشا أصحابها بالعمارة ، وأمرهم بالاجتهاد فى ذلك .

وفيه : فقد اللحم وشح وجوده ، وكذلك السكر والعسل . وأما العسل الأبيض ، فبلغ الرطل خمسين نصفا — ان وجد — لعدم الوارد من ناحية قبلى ، وقلة المرعى بالجهة البحرية .

واستقر الألفى الكبير جهة اللاهون ، وبقية الجماعة جهة المنية وأسيوط ، وعثمان بيك حسن بجبل الطير بالبر الشرقى .

٥ منه (١١ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

أشيع سفر محمد على الى بلاده ، وكذلك أحمد بيك وغيرهم من أكابرهم . وشرعوا فى بيع جمالهم وبلادهم ومتاعهم . وكثر لغط الناس بسبب ذلك ، وكثر افساد العساكر وخطفهم . وأغلق أهل الأسواق الدكاكين ، وخاف الناس المرور ، وتطيروا منهم .. خصوصا الانكشارية .

٦ منه (١٢ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

مر محمد على وخلفه عدة كبيرة من العسكر ، وهو ماش على أقدامه ، وكذلك حسن بيك اخو طاهر باشا ، وعابدى بيك ، وأغاة الانكشارية والوالى . وجلس منهم جماعة جهة الغورية وخان الخليلى ساعة ، ثم ذهبوا وكأنهم يطمنون الناس . وأمام بعضهم المناداة بالتركى : بالأمن والأمان ، وفتح الدكاكين ، وكل من تعرض لكم اقتلوه . وفى أثر مرورهم ، وقع الخطف والتعرية !

وفى ذلك اليوم — أواخر النهار — مرت مركبان فيهما عسكر أرنؤود بالخليج المرخم ، ومعهم امرأة — وبتلك الجهة عسكر انكشارية ساكنون ببيت المجنون — فضربوا عليهم رصاصا من الشبابيك ، فقتل منهم جماعة ، وهرب من نجا أو عرف العوم .

فتحزب الأرنؤود ، وجاء منهم طائفة لذلك البيت ، فلم يجدوا به أحدا . فأرسل محمد على الى حسن بيك ، وتكلم معه فى شأن ذلك .

٧ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

قتلوا ثلاثة ، وقيل خمسة ، ناحية الموسكى . يقال انه بسبب تلك الحادثة . وقيل بسبب آخر .

وفيه : سافر جماعة من العسكر ، وأخذوا المراكب ، وأرسلوا الى سكندرية ودمياط ورشيد وغيرها بطلب المراكب . فشحت المراكب ، ووقف حال المسافرين وتعطلوا عن الرواح والمجىء ، وغلا سعر القمح والسمن ، وعدم اللحم . وكذلك باقى الأسباب والمأكولات .. زيادة عن الواقع .

واذا وصلت مراكب ، نزل فى المركب الكبيرة الخمسة أنفار أو العشرة ، والحال أنها تسع المائة ، وصاروا ينهبون فى طريقهم ما يصادفونه من المسافرين ، ويقتلونهم ، ويطلبون من البلاد الكلف والمآكل . وغير ذلك .

١٧ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

سافر أحمد بيك وعلى بيك أخو طاهر باشا .



جهة الموسكى ..

وفيه : قلد الباشا سلحداره ولاية جرجا ، وبرز خيامه جهة دير العدوية .

٢٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

وصلت مراكب من الشلنبات الحربية ، فضربوا لها مدافع من القلعة .

٢٥ منه (اول اكتوبر ١٨٠٤ م) :

تعدى جماعة من العسكر ، وخطفوا عمائم الناس . واتفق أن الشيخ ابراهيم السجينى مر من جهة الداودية ، وهو راكب بهيئته ، فأخذوا طيلسانه من على كتفه وعمامة تابعه . وقتلوا من بعضهم أنفارا .

٢٦ منه (٢ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الأغا ونادى على العسكر بالخروج والسفر الى التجريدة ، وكل من كان مسافرا الى بلاده .. فليسافر .

وفيه : هربت زوجة عثمان بيك البرديسى مع العرب الى زوجها بقبلى . فلما بلغ الخبر الباشا أحضر أخاها والمحروقى وسألهما عنها ، فقالا : « لم نعلم بهروبها » . فعوق أخاها عنده ، ثم أطلقه بشفاعة المحروقى .

رجب

السبت غرته (٦ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

انتقل العسكر المسافرون من دير العدوية الى ناحية طرا ، وسافر منهم عدة مراكب . وسافر قبل ذلك بأيام كاشف بنى سويف ، ويقال له محمد افندى ..

الاثنين والثلاثاء ٣ ، ٤ منه (٨ ، ٩ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

نادى الأغا وأغات التبديل بخروج العسكر المسافرين . وكثر أذى العسكر للناس ، وخطفوا الحمير ، وتعطلت أشغال الناس فى السعى الى مصالحهم ونقل بضائعهم .

الأربعاء ٥ منه (١٠ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

سافرت التجريدة برا وبحرا ، وتأخر محمد على عن السفر الى بلاده — كما كان أشيع ذالك — واشتهر أنه مسافر الى جهة قبلى . وورد الخبر باستقرار كاشف بنى سويف بها . ولم يكن بها أحد من المصرلية .

الأحد ٩ منه (١٤ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الباشا الى وليمة عرس مدعوا ببيت السيد محمد بن الدواخلى — بحارة الجعيدية وكفر الطماعين — ونزل فى حال مروره ببيت السيد عمر افندى نقيب الأشراف ، فجلس عنده ساعة ، وقدم له حصانين .

الثلاثاء ١١ منه (١٦ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الباشا فى التبديل ، ومر من سوق السمكرية ، فرأى عسكريا يشترى كوز صفيح ، فأعطاه خمسة أنصاف .. فأبى السمكرى الا بعشرة .. فأبى ولم يدفع له الا خمسة ، فرآه الباشا فقال له : « أعطه ثمنه » فقال له : «وايش علاقتك؟» — وهو لم يعرفه — فقال له : « أما تخاف من الباشا ؟ » . فقال : « الباشا على ... » . فضربه الباشا وقتله ومضى .

الاثنين ١٧ منه (٢٢ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا أربعة رؤوس ، ووضعوها تجاه باب زويلة ، وأشاعوا أنهم من مقتلة وقعت بينهم وبين القبالى ، وأشاعوا أنه بعد يومين تصل رؤوس كثيرة . ووصل أيضا جملة أسرى طلعوا بهم الى القلعة .

الأربعاء ١٩ منه (٢٤ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

طلع محمد على الى القلعة ، فخلع عليه الباشا فروة سمور على سفره الى قبلى ، وبرز بوطاقه الى خارج .

الأربعاء ٢٦ منه (٣١ اكتوبر ١٨٠٤ م) :

اتهموا قادرى أغا بأنه يكاتب الأمراء المصرلية القبالى ، ومنعوه من السفر الى قبلى ، وأمروه بأن يسافر الى بلاده . فركب فى عسكره وذهب الى بولاق ، وفتح وكالة على بيك الجديدة ، ودخل فيها بعسكره ، وامتنع بها ، وانضم اليه كثير من العسكر . فحضر اليه محمد على وكلمهم ، وكذلك حضر اليهم الباشا ببولاق . فلم يمتثلوا وقالوا : « لا نسافر ولا نذهب الا بمرادنا .. وأعطونا المنكسر من علوفاتنا» . فتركوهم ونادوا على خبازين بولاق لا يبيعون عليهم الخبز ولا المأكولات . فأرسل قادرى أغا الى المحتسب وقال له : « نحن نأخذ العيش بثمنه .. فان منعتموه من الأسواق طلعنا الى البيوت وأخذنا ما فيها من الخبز ، ويترتب على ذلك مايترتب من الافساد » . فأخبروا الباشا بذلك ، فأطلقوا لهم بيع الخبز وغيره . واستمر على ذلك أياما .

وفيه : شرعوا فى تحرير فردة على البلاد ، وكتبوا دفاترها .. الأعلى ثمانون ألف فضة ودون ذلك . ويتبعها على كل بلد جملان وسمن وأغنام وقمح وتبن وشعير .

فى اواخره (اوائل نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حصلت نوة ، وتتابع مرور الغيوم ، وتحصيل رعد هائل ، ودخل الليل فكثر الرعد والبرق وتبعه المطر . ثم حضر أناس بعد أيام من جهة شرقية بلبيس ، وأخبروا أنه نزل بناحية مشتول صواعق أهلكت نحو العشرين من بنى آدم وأبقارا وأغناما ، وعميت أعين أشخاص من الناس !

وفى هذا الشهر : شرعوا فى عمل كسوة الكعبة بيد السيد أحمد المحروقى ، فقيد بها وكيله بذلك . وشرعوا فى عملها فى بيت الملا بحارة المقاصيص .

شعبان

٤ منه (٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حضر لحسن بيك طوخان ، وطلع الى القلعة ، ونزل الى الباشا . ولبس خلعة من خلع الباشا وقاووقا ، وركب ونزل من القلعة وأمامه الجاويشية والسعاة والملازمون ، وضربت له النوبة .. بمعنى أنه صار عوضا عن أخيه .

٨ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

نزل قادرى أغا ومن معه من العسكر فى المراكب وسافر جهة بحرى ، وسافر خلفهم عدة من الدلاة .

وفيه : أشيع ابطال الفردة فى هذا الوقت ، ثم قرروا مطلوبات دون ذلك .

١٢ منه (١٦ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

نودى بخروج العسكر الى السفر لجهة قبلى ، ولا يتأخر منهم من كان مسافرا فشرعوا فى الخروج وقضاء حوائجهم ، وصاروا يخطفون حمير الناس والجمال .

١٣ منه (١٧ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده فرمان جواب عن مراسلة للباشا .. بارسال باشة الينبع لمحافظتها من الوهابيين ، وأنه أعطاه ذخيرة شهرين ... بأن يرسل اليه ما يحتاجه من الذخيرة . وكذلك محمد باشا والى جدة يعطى له ما يحتاجه من الذخيرة لأجل حفظ الحرمين ، والوصية برعية مصر ودفع المخالفين .. وأمثال ذلك فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم ، وقرأوا الفرمان ، وضربوا عدة مدافع .

وفيه : مات الشيخ حجاب .

١٤ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

سافر محمد على .

وفيه : هرب على كاشف السلحدار الألفى ، ومن بمصر من جماعته . فلما وصل الخبر الى الباشا ، أرسل الى بيوتهم ، فلم يجد فيها أحدا . فسمروها ، وقبضوا على الجيران ، ونهبوا بعض البيوت !

١٧ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

سافر حسن باشا أيضا ، ونادوا على العسكر بالخروج

وفيه : عمل السيد أحمد المحروقى وليمة ، ودعا الباشا الى داره . فنزل اليه وتغدى عنده ، وجلس نحو ساعتين ، ثم ركب وطلع الى القلعة . فأرسل المحروقى خلفه هدية عظيمة — وهى : بقج قماش هندى ، وتفاصيل ، ومصوغات مجوهرة ، وشمعدانات فضة ، وذهب ، وتحائف ، وخيول له ولكبار أتباعه — صحبة ولده وترجمانه وكتخداه .

وخلع عليهم الباشا فراوى سمور .

١٩ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حضر طائفة من الدلاة — نحو المائتين وخمسين نفرا — فأنزلهم الباشا بقصر العينى

٢٢ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

توفى السيد أحمد المحروقى فجأة . وكان جالسا مع أصحابه حصة من الليل ، فأخذته رعدة ، فدثروه ، ومات فى الحال فى سادس ساعة من الليل .. فسبحان الحى الذى لا يموت !

وركب ابنه وطلع الى الباشا ، فوعده الباشا بخير ، وأرسل القاضى وديوان أفندى وختم على بيته وحواصله . ثم حضروا فى ثانى يوم ، فضبطوا موجوداته وكتبوها فى دفاتر ، وأودعوها فى مكان، وختموا عليها . وأرسلوا علم ذلك الى الدولة ... صحبة صالح أفندى . وكان على أهبة السفر ، فعوقوه حتى حرروا ذلك ، وسافر فى سابع عشرينه .

٢٥ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا احدى وعشرين رأسا لا يعلم ما هى ، وهى متغيرة محشوة بالتبن ، وأشاعوا أنهم من ناحية المنية ، وأنهم حاربوا عليها وملكوها . ولم يظهر لذلك أثر بين .

٢٨ منه (اول ديسمبر ١٨٠٤ م) :

ألبس الباشا ابن السيد أحمد المحروقى فروة سمور وقفطانا على دار الضرب ، وعلى ما كان أبوه عليه من خدمة الدولة والالتزام . ونزل من القلعة صحبة القاضى الى المحكمة ، ثم رجع الى بيته .

وفى ذلك اليوم — بعد العصر — وقع ربع بجوار حمام المصبغة جهة الكعكيين على الحمام ، فهدم ليوان المسلخ ، فمات من به من النساء

والأطفال والبنات : ثلاثة عشر ، وخرج الاحياء من داخله وهن عرايا ، ينفضن غبارات الأتربة والموت .

وحضر الاغا والوالى ، ومنعوا من رفع القتلى الا بدراهم ! ونهبوا متاع النساء وقبضوا على الشيخ محمد العجمى مباشر وقف الغورى ليلا وأزعجوه، لأن ثلث الحمـام جار فى الوقف ... والحـال أن الحمام لم يسقط ، وانما هدمه ما سقط عليه !

وكذلك طلبوا ملاك الربع — وهم الشيخ عمر الغريانى وشركاؤه — فذهبـوا الى بيت الشيخ الشرقاوى والتجـأوا اليـه . ثم ان القاضى كلم البـاشا فى أمر المردومين ، وذكر له طلب الحاكم دراهم على رفعهم ، واجتماع مصيبتين على أهليهم . والتمس منه ابطال ذلك الأمر . فكتب فرمانا بمنع ذلك ، ونودى به فى البلدة ، وسجل .

غايته (٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

عمل موسم الرؤية لثبوت هلال رمضان ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف ، على العادة ، من بيت القاضى . ولم يثبت الهلال تلك الليلة ، ونودى أنه من شعبان .

وانقضى شهر شعبان ... وقادرى أغا عاص جهة شابور فى قرية ، وصالح أغا ومن معه من العساكر مستمرون على حصـاره ، وصحبتهم أخلاط من العربان . وجلا أهل شابور عنها ، وخرجوا على وجوههم مما نزل بهم من النهب وطلب الـكلف وغير ذلك من العاصى منهم والطائع .

فان كلا من الفريقين تسلطوا على نهب البلاد وطلب الكلف وغيرها . واذا مرت بها مركب نهبوها وأخذوا ما فيها . فامتنع ورود المراكب، وزاد الغلاء وامتنع وجود السمن . واذا وجد بيع العشرة أرطال بخمسمائة نصف فضة وستمائة ، ولا يوجد . وبيع الرطل من البصل — فى بعض الأيام — بثمانيـة أنصـاف ، والاردب الفـول بثمانية عشر ريالا ، والقمح بستة عشر ريالا ، والرطل الشمع الدهن بأربعين نصفا ، والشيرج بخمسة وثلاثين نصفا . وأما زيت الزيتون فنادر الوجود . وقس على ذلك .

رمضـان

الاربعاء ٢ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

حضر صالح أغا الذى كان يحاصر قادرى أغا ، وضربوا له مدافع . وتحقق أن قادرى طلب أمانا ، فأرسلوه مع من معه الى دمياط ... وذلك بعد أن ضيقوا عليه ، وحضر اليه كاشف البحيرة وضايقه من الجهة الأخرى ، وفرغت ذخيرته . فعند ذلك أرسل الى كاشف البحيرة ... فأمنه .

الاثنين ٧ منه (١٠ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

وصل جماعة من الانكليز الى مصر ، وهم نحو سبعة عشر شخصا ، وفيهم فسيال كبير وآخر كان بصحبة على باشآ الطرابلسى .

الخميس ١٠ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

سفر صالح أغا الى جهة بحرى . قيل ليـأتى بجانم أفندى الدفتردار ، فانه لم يزل عاصـيا عن الحضور الى مصر .

وفيه : ركب الباشا فى التبديل ونزل من جهـة التبانة ، فوجد فى طريقه عسكريا يأخذ حمل تبن من صاحبه قهرا ... فكلمه — وهو لم يعرفه — فأغلظ فى الجواب ، فقتله . ثم نزل الى جهة باب الشعرية ، وخرج على ناحية قناطر الأوز ، فوجد جماعة من العسكر غاصبين قصعة زبدة من رجل فلاح ... وهو يصيح . فأدركهم ، وهم سـبعة ، وفيهم شخص ابن بلد أمرد لابس ملابس العسكر . فأمر بقتلهم ، فقبضوا على ثلاثة منهم — وفيهم ابن البلد — وقتلوهم ، وهرب الباقون .

ثم نزل الى ناحية قنطرة الدكة ، وقتل شخصين

أيضا ، وبناحية بولاق كذلك ، وبالجملة ... فقتل فى ذلك اليوم نيفا وعشرين شخصا ، وأراد بذلك الاخافة . فانكف العسكر عن الايذاء قليلا ، وتواجد السمن وبعض الأشياء .. مع غلو الثمن .

وفيه : تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء المصريين فى المنية ، وقتل من الأمراء صالح بيك الألفى ، ومراد بيك من الصناجق الجدد المقلدين الامارة خارج مصر ، وهو زوج امرأة قاسم بيك وخازندار البرديسى .. سابقا موسقو . ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين .

وأرسلوا بطلب ذخيرة وعلوفة ، فأرسلوا لهم بقسماطا وغيره .

الأحد ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

حضر الى الباشا بعض الرواد ، وأخبره أن طائفة من عرب أولاد على نزلوا ناحية الأهرام بالجيزة ، وهم مارون يريدون الذهاب الى ناحية قبلى . فركب فى عسكره اليهم ، فوجدهم قد ارتحلوا ، ووجد هناك قبيلة يقال لهم « الجوابيص » نازلين بنجعهم هناك — وهم جماعة مرابطون من خيار العرب ، لم يعهد منهم ضرر ولا أذية لأحد — فقتل منهم جماعة ، ونهب نجعهم وجمالهم وأغنامهم ، وأحضر صحبته عدة أشخاص منهم ، وعدى الى مصر بمنهوباتهم . وقد باع الأغنام والمعز للجزارين قهرا ، وكذلك الجمال باعوا منها جملة بالرميلة .

السبت ٢٦ منه (٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

نهب العربان قافلة التجار الواصلة من السويس ، وهى نيف وأربعة آلاف جمل من البن والبهار



نجع احدى قبائل الاعراب

والقماش ، وأصيب فيها كثير من فقراء التجار ، وسلبت أموالهم ، وأصبحوا لا يملكون شيئا .

وفيه : حضر صالح أغا ، وصحبته جانم أفندى الدفتردار ، فأسكنه الباشا بالقلعة ، وذكر جانم أفندى المذكور ومن معه للباشا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة الاثنين .. صاموه بالاسكندرية ذلك اليوم ، وكذلك صاموه فى رشيد وفوة وغالب بلاد بحرى .

وحضر أيضا الشيخ سليمان الفيومى قبل ذلك بأيام ، وحكى ذلك ... فلم يعمل به القاضى وقال : « ان رؤى الهلال ليلة الأربعاء .. أفطرنا ، وان لم ير .. فهو من رمضان » .

فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ، ضربت مدافع من القلعة ، فاشتبه على الناس الأمر ، وذهب جماعة الى القاضى وسألوه ، فقال : « لاعلم لى بذلك » . وأرسل فى المساء جماعة من أتباعه وباش كاتب ، الى منارة المارستان . فصعدوا اليها ، وطلع معهم آخرون ، وترقبوا رؤية الهلال ، فلم يروه . وأخبروا القاضى بذلك ، فأمر بالصوم ، ونادوا به ، وأوقدوا المنارات والقناديل ، وصلوا التراويح بالمساجد ، وتحقق الناس الصيام من الغد .

فلما كان بعد العشاء الأخيرة ، ضربت مدافع كثيرة من القلعة وسواريخوشنك . فوقع الارتباك ، فأرسل القاضى ينادى بالصوم وذكروا أن هذا المسموع شنك لأخبار وردت بملك المنية وحضر المبشر بذلك لابن السيد أحمد المحروقى ، وخلع عليه خلعة ، وكذلك بقية الأعيان .

وبعد حصة ، مر الوالى ينادى بالفطر والعيد فزاد الارتباك ، وركب بعض المشايخ الى القاضى وسأله ، فأخبر أنه لم يأمر بذلك ، ولم يثبت لديه رؤية الهلال ، وأن غدا من رمضان . فخرجوا من عندهم يقولون ذلك للناس ، ويأمرونهم بالصوم

والحط الأمر على ذلك ، وطافت المسحرون على العادة !

فلما كان فى سادس ساعة من الليل ، أرسل الباشا الى القاضى فطلبه ، فطلع اليه ، فعرفه بشهادة الجماعة الواصلين من بحرى وأحضرهم بين يديه ، فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الاثنين — وهم نحو العشرين شخصا — فما وسع القاضى الا قبول شهادتهم ... وخصوصا لكونهم أتراكا !

ونزل القاضى ينادى بالفطر ، ويأمر بطفى القناديل من المنارات ... وأصبح كثير من الناس لا علم له بما حصل آخرا فى جوف الليل . وبالجملة .. فكانت هذه الحادثة من النوادر . وتبين أن خبر المنية لا أصل له ، بل هو من جملة اختلاقاتهم !

وانقضى شهر رمضان ، وكان لا بأس به فى قصر النهار ، لأنه كان فى غاية الانقلاب الشتوى ، والراحة بسبب غياب العسكر وقلتهم بالبلدة وبعدهم ، ولم يحصل فيه من الكدورات العامة — خصوصا على الفقراء — سوى غلاء الأسعار فى كل شىء ، كما تقدم ذكر ذلك فى شعبان .

شوال

٣ منه (٥ يناير ١٨٠٥ م) :

سافر السيد محمد بن المحروقى وجرجس الجوهرى ، ومعهما جملة من العسكر ، الى جهة القليوبية بسبب القافلة المنهوبة .

٦ منه (٨ يناير ١٨٠٥ م) :

طلبوا مال الميرى عن سنة عشرين معجلة ، بسبب تشهيل الحج ، وكتبوا التنابيه بطلب النصف حالا ، وعينوا بها عساكر عثمانية وجاويشية وشفاسية فدهى الملتزمون بذلك — مع أن أكثرهم أفلس ، وباق عليهم بواق من سنة تاريخه وما قبلها — لخراب البلاد ، وتتابع الطلب والفرد

والتعابين والشكاوى والتساويف ، ووقوف العربان بسائر النواحى ، وتعطيل المراكب عن السفر لعدم الأمن ، وغصبهم ما يرد من السفائن والمعاشات ، ليرسلوا فيها الذخيرة والعسكر والجبخانة معونة للمحاربين على المنية .

١٠ منه (١٢ يناير ١٨٠٥ م) :

طلبوا طائفة من المزينين ، وأرسلوهم الى قبلى لمداواة الجرحى .

وفيه : تواترت الأخبار بحصول مقتلة عظيمة بين المتحاربين ، وأن العسكر حملوا على المنية حملة قوية من البر والبحر ، وملكوا جهة منها . وحضر المبشرون بذلك ليلة الأربعاء أواخر رمضان — كما تقدم — وعملوا الشنك لذلك . فورد الخبر ، بعد ذلك بنحو ساعتين ، برجوع الأخصام ثانيا ومقاتلتهم حتى هزموهم ، وأجلوهم عن ذلك . وذلك هو الحامل على المغالطة والمناداة فى سابع ساعة بثبوت العيد وافطار الناس ذلك اليوم !

١٨ منه (٢٠ يناير ١٨٠٥ م) :

نزل الباشا الى قراميدان ، وحضر القاضى والدفتردار وأمير الحج . فسلمه الباشا المحمل ، ونزلوا بقطع الكسوة أمام أمير الحج ، وركب أمامه الأغا والوالى والمحتسب وناظر الكسوة ، بهيئة محتقرة من غير نظام ولا ترتيب ، ومن خلفهم المحمل على جمل صغير أعرج !

وفيه : أرسل العسكر يطلبون العلوفة والمعونة . فعمل الباشا فردة على الأعيان وعلى أتباعه ، وجمع لهم خمسمائة كيس ، وعين للسفر بذلك صالح أغا وعدة عساكر وجبخانة وذخيرة .

٢٠ منه (٢٢ يناير ١٨٠٥ م) :

رجع ابن المحروقى وجرجس الجوهرى ، وأحضرا معهما بعض أحمال قليلة ، بعد ماصرفا أضعافها فى مصالح وكساوى للعرب ، وغير ذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول دفتردار جديد الى ثغر سكندرية — وهو أحمد أفندى الذى كان بمصر سابقا ، وعمل قبطانا بالسويس فى أيام محمد باشا وشريف أفندى — فكتب الباشا عرضا للدولة بأنهم راضون على جانم أفندى الدفتردار ، وأن أهل البلد ارتاحوا عليه ، وطلبوا ابقاءه دون غيره . وختم عليه القاضى والمشايخ والاختيارية ، وبعثوه الى الدولة .

وأرسلوا الى الدفتردار الواصل ، بعدم المجىء ، ويذهب الى قبرص حتى يرجع الجواب . فاستمر باسكندرية .

وفى أواخره : تواترت الأخبار ، بأن جماعة من الأمراء القبالى ، ومن معهم من العربان ، حضروا الى ناحية الفشن . وحضر أيضا كاشف الفيوم مجروحا ، ومعه بعض عسكر ودلاة فى هيئة مشوهة . وتتابع ورود كثير من أفراد العسكر الى مصر . وأشيع انتقالهم من أمام المنية الى البر الشرقى ، بعد وقائع كثيرة ومحاربات .

غايته (غاية يناير ١٨٠٥ م) :

برز أمير الحج المسافر بالمحمل ، وخرج الى خارج ... ومعه الصرة ، أو ماتيسر منها !

وعين للسفر معه عثمان أغا — الذى كان كتخدا محمد باشا — بجماعة من العسكر لأجل المحافظة ليوصلوه الى السويس ، ويسافر من القلزم مثل عام أول .

وفيه : ورد الخبر بضياع ثلاث داوات بالقلزم ، وأنها تلفت بالقرب من الحسانى ، وتلف بها كثير من أموال التجار وصرر النقود . وكان بها قاضى المدينة أحمد افندى — المنفصل عن قضاء مصر —

فنرق ، وطلعت أولاده ، ورجعوا الى مصر بعد أيام ، وسافروا الى بلادهم .

وورد الخبر بأن القبليين قتلوا حسين بيك ، المعروف باليهودى ، بعد أن تحققوا خيانته ومخامرته . وانقضى هذا الشهر .

ذو القعدة

الجمعة غرته (اول فبراير ١٨٠٥ م) :

قرر الباشا فردة على البلاد ، فجعل على كل بلد من البلاد ... العال : مائة ألف فضة ، والدون : ستين ألفا . وعين لذلك ذا الفقار كتخدا الألفي على الغربية ، وعلى كاشف الصابونجي على المنوفية ، وحسن أغا نجاتى المحتسب على الدقهلية .. وذلك خلاف ماتقرر على البنادرمن عشرين كيسا وثلاثين وخمسين ومائة وأقل وأكثر .

الجمعة ٨ منه (٨ فبراير ١٨٠٥) :

حضروا بعلى أغا يحيى — المعروف بالسبع قاعات — ميتا من سملوط . وقد كانوا أرسلوه ليكون كتخدا لحسن بيك أخى طاهر باشا ، وكان المحروقى أرسله الى بشبيش فتوعك هناك ، فطلب الباشا رجلا من الرؤساء يجعله كتخدا لحسن بيك فأشاروا عليه بعلى أغا هذا ، فطلبه من المحروقى ، فأرسل بإحضاره ، فحضر فى اليوم الذى مات فيه المحروقى ، وسافر بعد أيام الى قبلى ، فزاد به المرض هناك ، ومات بسملوط . فأحضروه الى مصر بعد موته بخمسة أيام .

وخرجوا بجنازته فى يوم الجمعة من بيته المجاور لبيت المحروقى ، وصلوا عليه بالأزهر ، ودفن الى رحمة الله تعالى .

الثلاثاء ١٢ منه (١٢ فبراير ١٨٠٥ م) :

علقوا ثلاثة رؤوس بباب زويلة ، لا يدرى أحد من هم .

١٤ منه (١٤ فبراير ١٨٠٥ م) :

وقعت حادثة . وهو أن كاشفا من أكابر الأرنؤود سكن ببيت ابن السكرى ، الذى بالقرب من الحلوجى ، ويتردد عليه رجل من المنتسبين الى الفقهاء — يسمى الشيخ أحمد البرانى ، خبيث الأفعال ، يصلى اماما بالمذكور — فرأى ما رابه منه مع فراشه ، فضربه بالخنجر والتبابيت ، حتى ظن هلاكه . وأخرجه أتباعه وحملوه الى منزله فى خامس ساعة من الليل ، وبه بعض رمق ، ومات بعد ذلك .

وأخبر المشايخ بذلك ، ورفع القتيل الى المحكمة ، وتغيب القاتل . فامتنع المشايخ من حضور الجامع والتدريس بسبب ذلك ، وبسبب أولاد سعد الخادم سدنة ضريح سيدى أحمد البدوى ... وقد كانوا شكوا بعضهم بعضا ، وتعين بسبب ذلك كاشف على أحمد بن الخادم ، وهجم داره وقبض على بناته ونسائه ، ونبشوا داره ، وفحروا أرضها للتفتيش على المال . وطالت قصتهم من أواخر الشهر الماضى لوقت تاريخه .

وتكلم المشايخ مرارا مع الباشا فى أمرهم ... وهو يغالط طمعا فى المال . وقد كان سمع تهمتهم بكثرة المال، وأن محمد باشا خسرو أخذمنهم سابقا — فى أيام ولايته — مائة وخمسة وثمانين ألف ريال خلاف حق الطريق ، وذلك من مصطفى الخادم — وهو الذى شكو الآن قسيمه ، ويقول انه هو الذى شكانى وتسبب فى مصادرتى ، وهو مثلى فى الايراد ، وعنده مثل ما عندى — فلما حضروا الى الدار وفتشوا وقرروا نساءه وأتباعه ، فلم يظهر له شىء ... فأدرجوا هذه القضية فى دعوة المقتول ، وامتنعوا من حضورهم الأزهر ، وأشيع امتناعهم من التدريس والافتاء . فحضر اليهم سعيد أغا الوكيل ، وتلطف بهم ، وطلب منهم تسكين هذه الفتنة ، وأنه يتكفل بتمام المطلوب .

واستمر الحال على ذلك الى يوم الثلاثاء تاسع عشرة فحضر كتخدا الباشا وسعيد آغا وصالح أغا الى بيت الشيخ الشرقاوى ، واجتمع هنـاك الكثير من المتعممين ، وتكلموا كثـيرا ، ورمحوا المرتب وقالوا : « لابد من حضور الخصم القاتل والمرافعة معه الى الشرع ، ورفع الظلم عن أولاد الخادم وعن الفلاحين » . وأمثال ذلك . وهم يقولون فى الجواب : « سمعا وطاعة فى كل ما تأمرون به » . وانقضى المجلس على ذلك ، وذهبوا حيث أتوا .

فلما كان العصر من ذلك اليوم ، حضر سعيد أغا — وصحبته القاتل — الى المحكمة ، وأرسلوا الى المشايخ ،فحضروا بالمجلس ، واقيمت الدعوى. وحضر ابن المقتول ، وادعى بقتل أبيه ، وذكر أنه أخبر قبل خروج روحه أن القـاتل له الـكاشف صاحب المنزل ، فسئل ، فأنكر ذلك وقال : « انه كان اماما عنده ، يصلى به الأوقات ، وأنه لم يأت الينا تلك الليلة التى حصل له فيها هذا الحادث » . فطلب القاضى من ابن المقتول بينة تشهد بقول أبيه ، فلم يجدوا الا شخصا سمع من المقتول ذلك القول . وأفتى المالكى أنه يعتبر قول المقتول فى مثل ذلك ، لأنه فى حالة يستحيل عليـه فيها الكذب .. وذلك نص مذهبهم ، ولا بد من بينة تشهد على قوله .

فطلب القاضى الشطر الثانى ، فلم يوجد عـلى أن هناك من كان حاضرا بالمجلس وقت الضرب ، ومشاهدا الحادثة ، وكتم الشهادة خوفا على نفسه وانفض المجلس ، وأهمل الأمر حتى يأتوا بالبينة .

الجمعة ١٥ منه (١٥ فبراير ١٨٠٥ م):

تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسـكر والأمراء القبالى ، وملك العسكر جهة من المنيـة بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر . فوصـل الأخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس ، وأجلوهم ، وقتل من قتل بين الفريقين ، واحترق عدة مراكب من مراكب العسكر وما فيها من المتاع والجبخانة ، وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة وثياب وغـير ذلك .

وانتشر عسـكر القبليين الى جهة بحرى حتى وصـلوا الى زاوية المصلوب ، وحاصروا من فى بوش والفشن وبنى سويف ، وكذلك من بالفيوم .

وشرع الباشا ، واجتهد فى تجهيز المطلوبات ، وتشهيل الاحتياجات .

وفيه : حضر سعاة من ثغر سكندرية ، وأخبروا بـورود عـدة مراكب انجليـزية الى المينـا ، وسألوا أهل الثغـر عن مراكب فرلسيس وردت المينا أم لا . ثم قضوا بعض أشغالهم وذهبـوا .

الاحد ١٧ منه (١٧ فبراير ١٨٠٥ م) :

عزم على السفر محمد افندى — حاكم اسـنا سابقا — بمراكب الذخيرة والجبخانة واللوازم ، وصحبته عدة من العساكر لخفارتها .

ذوالحجـة

السبت ٧ منه (٩ مارس ١٨٠٥ م) :

وردت أخبـار بوقوع حـرب بين العسكر والمصريين القبليين ، وهو أن العسكر حملوا عـلى المنيـة حملة عظيمـة — فى غفلة — وملكوها ، فاجتمعت عليهم الغز والعربان ، وكبسوا عليهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمـة ، وأخرجوهم منهـا ، وأجلوهم عنها ثانيا ، وذلك فى سابع عشرين القعدة .

الاحد ٨ منه (١٠ مارس ١٨٠٥ م) :

طلع يوسف أفندى ، الذى كان تولى نقـابة الأشراف فى أيام محمـد باشا ثم عزل عنها ، الى القلعة . فقبض عليه صالح أغاقوش ، وضربه ضربا مبرحا ، وأهـانه إهـانة زائدة . وأنـزلوه أواخر النهار ، وحبسوه ببيت عمر أفنـدى النقيب . ثم

تشفع فيه الشيخ السادات ، فأفرجوا عنه تلك الليلة ، وذهب الى داره ليلا . وذلك بسبب دعوى تصدر فيها المذكور ، وتكلم كلاما فى حق الباشا . فحقدوا عليه ذلك ، وفعلوا معه ما فعلوا ... ولم ينتطح فيها عنزان !

الجمعة ١٣ منه (١٥ مارس ١٨٠٥ م) :

طلع المشايخ الى الباشا يهنئونه بالعيد ، فأخرج لهم ورقة ، حضرت اليه من محمد أفندى حاكم اسنا سابقا — الذى سافر بالذخيرة آنفا ، واستمر ببنى سويف ، ولم يقدر على الذهاب الى قبلى — ومضمون تلك الورقة : أن البرديسى قتل الألفى غيلة ... ولم يكن لهذا الكلام صحة .

وفيه : وردت أخبار بقدوم طائفة من الدلاة على طريق الشام ، وبالغوا فى عددهم — فيقولون اثنا عشر الفا وأكثر — وأنهم وصلوا الى الصالحية، وأنهم طالبون علوفة وذخيرة . فشرعوا فى تشهيل ملاقاة للمذكورين ، وطلبوا من تجار البهار خمسمائة كيس ، وزعوها وشرعوا فى جمعها !

وفيه : وصلت طائفة من القبالى والعرب الى بلاد الجيزة ، وطلبوا من البلاد دراهم وكلفا . ومن عصى عليهم من البلاد .. ضربوه .

وعدى كتخدا الباشا وجملة من العساكر الى بر الجيزة ، وشرعوا فى تحصينها وعملوا بها متاريس ، وتردد الكتخدا فى النزول والتعدية الى هناك والرجوع .

ثم انه عدى فى رابع عشره وأقام هناك ، وأحضروا ثلاثة رؤوس من العرب فى ذلك اليوم .

وفيه : رجع الكتخدا وأشيع رجوع المذكورين.

—وفيه : قرروا فردة أخرى على البلاد لأجل عسكر الدلاة القادمين،وجعلوا على كل بلد عشرين أردب فول ، وعشرين خروفا ، وعشرين رطل سمن ، وعشرين رطل بن ، وعشرة قناطير عيش ، وربع أردب وسدس أرز أبيض ومثله برغل ، وكلفة المطبخ ألف فضة . وذلك خلاف حق الطريق والاستعجالات المتتابعة ... وكلها بمقررات وحق طرقات !

الاربعاء ١٨ منه (٢٠ مارس ١٨٠٥ م) :

حضر ططرى من ناحية قبلى ، وأخبر أن العسكر دخلوا الى المنية وملكوها . فضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وعملوا شنكا ، وأظهر العثمانية وأغراضهم الفرح والسرور ، وكأنهم ملكوا مالطة !

وبالغوا فى الأخبار والروايات الكذب فى القتلى وغير ذلك . والحال أن الأخصام خرجوا منها وزجموها ، ولم يبقوا بها ما ينقره الطير . ولم يقع بينهم كبير قتال .. بل ان العسكر لما دهسوها من الناحية القبلية — ولم يكن بها الا القليل من المصريين ،وباقيهم خارجها من الناحية الأخرى فتحاربوا مع من بها وهزموهم ، فولى أصحابهم وتركوهم بالبلدة ، فدخلوها فلم يجدوا بها شيئا .

الخميس ١٩ منه (٢١ مارس ١٨٠٥ م) :

وصل أغاة المقرر -- وهو عبد أسود — وطلع الى القلعة بموكب . وعملوا له شنكا ومدافع ، وقرءوا المقرر فى ذلك اليوم بحضرة الجمع .

الاحد ٢٢ منه (٢٤ مارس ١٨٠٥ م) :

وصلت طائفة من العرب بناحية الجيزة ، فوصل الخبر الى الكاشف الذى بها — وهو دملى عثمان كاشف ، الذى قتل الشيخ أحمد البرانى المتقدم ذكره — فانه بعد تلك الحادثة قلدوه كشوفية الجيزة ، وذهب اليها وأقام بها . فلما بلغه ذلك ، ركب على الفور فى نحو خمسة وعشرين خيالا ، ورمحوا عليهم ، فانهزموا أمامهم ، فطمع فيهم وذهب خلفهم الى ناحية برنشت .

فخرج عليه كمين آخر ، احتاطوا به ، وقتلوه وقطعوا رأسه وستة أنفار معه ، وذهبوا برؤوسهم على مزاريق . واقتص الله منه ... فكان بينه وبين قتله للمذكور دون الشهر . وكان مشهورا فيهم بالشجاعة والاقدام .

وفيـه : اجتهـدوا فى تشهيل علوفة وذخيرة وجبخانة ، وسفروها مع جملة من العسكر — نحو الخمسمائة — فى يوم الاثنين ثالث عشرينه .

الاربعاء ٢٥ منه (٢٧ مارس ١٨٠٥ م) :

وصل الدلاة الى الخانكة ، فحضر منهم طائفة ودخلوا الى مصر ، فردوهم الى أصـحابهم حتى يكونوا بصحبتهم فى الدخول .

الخميس ٢٦ منه (٢٨ مارس ١٨٠٥ م) :

نزل كتخدا الباشا وصالح أغاقوش ، وخرجوا الى جهـة العادليـة لملاقاة الدلاة المذكورين ، وكبيرهم يقال له ابن كور عبد الله .

الجمعه ٢٧ منه (٢٩ مارس ١٨٠٥ م) :

دخل الدلاة المذكورون ، وصحبتهم الكتخدا ، وصـالح أغاقوش ، وكاشف الشرقيـة ، وكاشف القليوبية ، وطوائف العسكر..ومعهم نقاقير وطبول — وهم نحو الألفـين وخمسـمائة ... أجنـاس مختلفة ، وأشكال مجتمعـة — فذهبوا بهـم الى ناحية مصر القديمة ونواحى الآثار .

* * *

وانقضت السنة ، وما حصل بهـا من الغلاء ، وتتابع المظالم ، والفرد عـلى البلاد ، واحـداث الباشا له مرتبـات وشـهريات على جميع البلاد ، والقبض على أفراد النـاس بأدنى شـبهة ، وطلب الأموال منهم وحبسهم . واشتد الضنك فى آخـر السنة ، وعدم القمح والفول والشعير ، وغلا ثمن كل شىء ... لولا اللطف عـلى الخلائق بوجـود الذرة ، التى لم يبق بالرقع والعرصات سواها .

واستمرت سواحل الغلال خالية من الغلة هذا العام .. من العام الماضى ، وبطول هـذه السنة . وامتنع الوارد من الجهة القبلية ، وبطلت ... (1) وقل وجودها وغلا ثمنها . ومع ذلك اللطف حاصل من المولى جل شأنه ، ولم يقع قحط ولا موت من الجوع — كما رأينا فى الغلوات السابقة — من عدم الخبز فى الأسـواق ، وخطف أطباق العيش والكعك ، وأكل القشور وما يتساقط فى الطرقات من قشور الخضروات وغير ذلك .

وكان ... النيل من المعتاد ... وكثرة مجىء الغلال من جميـع النواحى ، حتى من الشـام والـروم بخلاف هذه السنة......الشراقى فى السنة الماضية .

ولم نر فيما رأيناه ...... الفتن والنهب ...... والظلم ...... والعرى وانقطاع الطريق وتعطيـل المتاجر ، و ...... من قبلى وبحرى ...... وجهات الأرزاق ، وغلو الأثمان . ومع ذلك......المأكولات، مع شبع الأنفس ، وعدم القحط وتيسير الأمور . فسبحان المدبر الفعّال .

وبلغ سـعر الأردب القمح الى ثمانيـة عشر ريالا ، والفـول مثـل ذلك ، والذرة باثنى عشر ريالا ، والسمن أربعمائة وأكثـر ...... أرطال ، والعسـل النحل خمسـة وثلاثين نصفا الرطل ، والأسود عشرين نصفا ، والأرز بستة وثلاثين ريالا الأردب . وقس على ذلك !

* * *

وأما من مات فى هذه السنة من الأعيان :

فقد مات العمدة العلامة ، والنحرير الفهامة ؛ الفقيه النبيه ، الأصولى النحوى المنطقى : الشيخ موسى السرسي الشافعي . أصله من سرس الليانة

(1) بياض بالأصـل (ص ٣٢٠ ج ٣ طبعة المطبعة الخديوية سنة ١٢٩٧ هـ — ١٨٨٠ م) ؛ وكذلك فى سائر المواطن التى وضعت بها نقط .

بالمنوفية ، وحضر الى الأزهر ، ولازم الاستفادة وحضور الأشياخ من الطبقة الثانية ... كالشيخ عطية الأجهورى ، والشيخ عيسى البراوى ، والشيخ محمد الفرماوى ، وغيرهم .

وتمهر وأنجب فى المعقولات والمنقولات ، واقراء الدروس . وأفاد الطلبة ، وانطوى الى الشيخ حسن الكفراوى مدة ، ورافقه فى الافتاء والقضايا ، ثم الى شيخنا الشيخ احمد العروسى ، وصار من خاصة ملازميه ، وتخلق بأخلاقه ، وألزم أولاده بحضور دروسه المعقولية وغيرها — دون غيره — لحسن القائه وجودة تفهيمه وتقريره .

واشتهر ذكره ، وراش جناحه ، وراج أمره بانتسابه للشيخ المذكور .

واشترى أملاكا ، واقتنى عقارا بمصر وببلده سرس ومنوف ، ومزارع وطواحين ومعاصر .

واشترى دارا نفيسة بدرب عبد الحق بالأزبكية ، وعدد الأزواج ، واشترى الجوارى والعبيد والحبشيات الحسان .

وكان حلو المفاكهة ، حسن المعاشرة ، عذب الكلام ، مهذب النفس ، جميل الأخلاق ، ودودا قلبل الادعاء ، محبا لاخوانه ، مستحضرا للفروع الفقهية .

وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان الشيخ العروسى ، ويعتمده فى النقول والأجوبة عن المسائل الغامضة ، والفروع المشكلة .

وله كتابات وتحقيقات . ولم يزل مشتغلا بشأنه ، حتى تعلل أياما بدار عيدان القطن ، مطلة على الخليج . وتوفى يوم السبت سادس عشرين جمادى الأولى من السنة .

* * *

ومات الجناب المكرم ، والشهير المفخم ، الوزير الكبير ، والدستور الشهير : أحمد باشا الشهير بالجزار . وأصله من بلاد البشناق ، وخدم عند المرحوم على باشا حكيم أوغلى ، وعمل عنده شفاسيا ، وحضر صحبته الى مصر — فى ولايته الثانية سنة احدى وسبعين ومائة وألف — فتشوقت نفسه الى الحج ، واستأذن مخدومه ، فأذن له فى ذلك ، وأوصى عليه أمير الحج اذ ذاك صالح بيك القاسمى ، فأخذه صحبته وأكرمه ، وواساه رعاية لخاطر على باشا ، ورجع معه الى مصر .

فوجد مخدومه قد انفصل من ولاية مصر ، وسافر الى الديار الرومية . ووصل نعيه بعد أربعة أشهر من ذهابه . فاستمر المترجم بمصر ، وتزيا بزى المصريين ، وخدم عند عبد الله بيك تابع على بيك بلوط قبان ، وتعلم الفروسية على طريق الأجناد المصرية . فأرسل على بيك عبد الله بيك بتجريدة الى عرب البحيرة ، فقتلوه .

فرجع المترجم مع باقى أصحابه الى مصر ، فقلده على بيك كشوفية البحيرة ، وقال له : « ارجع الى الذين قتلوا أستاذك وخلص ثأره » . فذهب اليهم وخادعهم ، واحتال عليهم ، وجمعهم فى مكان وقتلهم — وهم نيف وسبعون كبيرا — وبذلك سمى الجزار ، ورجع منصورا . وأحبه على بيك لنجابته وشجاعته ، وتنقل عنده فى الخدم والمناصب والأمريات ، ثم قلده الصنجقية ، وصار من جملة أمرائه .

ولما خرج على بيك منفيا ، خرج صحبته ، ورافقه فى الغربة والتنقلات والوقائع . ولم يزل حتى رجع على بيك وصحبته صالح بيك من الجهة القبلية ، وقتل خشداشينه وغيرهم ، ثم عزم على غدر صالح بيك ، وأسر بذلك الى خاصته — ومنهم المترجم — فلم يسهل به ذلك ، وتذكر مابينه وبين صالح بيك من المعروف السابق ، فأسر به اليه وحذره .

فلما اختلى صالح بيك بعلى بيك ، عرض له بذلك . فحلف له على بيك أنه باق على مصافاته ،

وكذب المخبر .. الى أن كان ماكان من قتلهم وغدرهم لصالح بيك ، كما تقدم ، واحجام المترجم وتأخره عن مشاركته لهم فى دمه ، ومناقشتهم له بعد الانفصال . فتجسم له الأمر ، فتنكر وخرج هاربا من مصر فى صورة شخص جزائرلى . وتفقده على بيك ، وأحاط بداره — وكان يسكن ببيت شكر فره بالقرب من جامع أزبك اليوسفى — فلم يجدوه .

وسار المذكور الى سكندرية ، وسافر الى الروم ، ثم رجع الى البحيرة ، وأقام بعرب الهنادى ، وتزوج هناك .

ولما أرسل على بيك التجاريد الى ابن حبيب والهنادى ، حارب المترجم معهم . ثم سار الى بلاد الشام فاستمر هناك فى هجاج وتنقلات ومحاربات .

واشترى مماليك ، واجتمع لديه عصبة ، واشتهر أمره فى تلك النواحى . ولم يزل على ذلك الى أن مات الظاهر عمر فى سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، ووصل حسن باشا الجزائرلى الى عكا ، فطلب من يكون كفؤا للاقامة بحصنها ، فذكروا له المترجم ، فاستدعاه وقلده الوزارة ، وأعطاه الأطواغ والبيرق .

وأقام بحصن عكا ، وعمر أسوارها وقلاعها ، وأنشأ بها البستان والمسجد ، واتخذ له جندا كثيفا ، واستكثر من شراء المماليك ، وأغار على تلك النواحى ، وحارب جبل الدروز مرارا ، وغنم منهم أموالا عظيمة ، ودخلوا فى طاعته ، وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب ، وجبيت اليه الأموال من كل ناحية حتى ملأ الخزائن ، وكنز الكنوز ، وصار يصانع أهل الدولة ورجال السلطنة ، ويتابع ارسال الهدايا والأموال اليهم .

وتقلد ولاية بلاد الشام ، وولى على البلاد نوابا وحكاما من طرفه ، وطلع بالحج الشامى مرارا ، وأخاف النواحى وعاقب على الذنب الصغير بالقتل والحبس والتمثيل ، وقطع الآناف والآذان والأطراف . ولم يغفر زلة عالم لعلمه ، أو ذى جاه لوجاهته .

وسلب النعم عن كثير جدا من ذوى النعم ، واستأصل أموالهم ، ومات فى محبسه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ، ومنهم من أطال حبسه سنين حتى مات .

واتفق أنه استراب من بعض سراريه ومماليكه، فقتل من قويت فيه الشبهة وحرقهم ، ونفى الباقى .. الجميع ذكورا واناثا بعد أن مثل بهم ، وقطع آنافهم وأخرجهم من عكا وطردهم وشردهم، وسخط على من آواهم أو تاواهم...ولو فى أقصى البلاد . وحضر الكثير منهم الى مصر ، وخدموا عند الأمراء ، وانضوى نحو العشرين شخصا منهم وخدموا عند على بيك كتخدا الجاوشية .

فلما بلغ المترجم ذلك ، تغير خاطره من طرفه ، وقطع حبل وداده بعد أن كان يراسله ويواصله دون غيره من أمراء مصر . وكان ذلك سبب استيحاشه منه الى أن مات .

ولما فعل بهم ذلك ، تعصب عليه مملوكاه سليم باشا الكبير وسليمان باشا الصغير — وهو الموجود الآن — وانضم اليهما المتآمرون من خشداشينهما وغيرهم...غيظا على مافعله بخشداشينهم ، وعلمهم بوحدته وانفراده . وحاصروه بعكا . ولم يكن معه الا القليل من العساكر البرانيين والفعلة والصناع الذين يستعملهم فى البناء ، فألبسهم طراطير مثل الدلاة ، وأصعدهم الى الأسوار مع الرماة والطبجية ، ورآهم المخالفون عليه فتعجبوا وقالوا : « انه يستخدم الجن » !

وكبس عليهم فى غفلة من الليل ، وحاربهم وظهر عليهم ، وأذعنوا لطاعته ، وتفرق عنهم المساعدون لهم ، ثم تتبعهم واقتص منهم ... وكاد

البلاد ، وقهر العباد . ونصبت الدولة فخاخا لصيده مرارا فلم يتمكنوا من ذلك . فلم يسعهم بعد ذلك الا مسالمته ومسايرته .

وثبت قدمه ، وطار صيته فى جميع الممالك الاسلامية ، والقرانات الافرنجية ، والثغور

واشتهر ذكره ، وراسله ملوك النواحى وراسلهم ، وهادوه وهابوه .

وبنى عدة صهاريج وملأها بالزيت والسمن والعسل والشيرج والأرز وأنواع الغلة .

وزرع ببستانه سائر أصناف الفواكه والنخيل والأعناب الكثيرة ، وجدد دولته ثانيا ، واشترى مماليك وجوارى بدلا عن الذين أبادهم .

وبالجملة ... فكان من غرائب الدهر ، وأخباره لايفى القلم بتسطيرها،ولا يسعف الفكرة بتذكارها. ولو جمع بعضها جاءت مجلدات . ولو لم يكن له من المناقب الا استظهاره على الفرنساوية ، وثباته فى محاربتهم له أكثر من شهرين — لم يغفل فيها لحظة — لكفاه !

وكان يقول : « ان الفرنساوية لو اجتهدوا فى ازالة جبل عظيم لأزالوه فى أسرع وقت » وقد تقدم بعض خبر ذلك فى محله .

وكان يقول : « أنا المنتظر .. وأنا أحمد المذكور فى الجفور ... الذى يظهر بين القصرين ! » .

واستخرج له كثير من الذين يدعون معرفة الاستخراج عبارات وتأويلات ، ورموزا واشارات، ويقولون : « المراد بالقصرين .. مكانان جهة الشام ... أو المحملان » .. أو نحو ذلك من الوساوس .

ولم يزل حتى توفى فى آخر هذا العام على فراشه . وكان سليمان باشا تابعه غائبا بالحجاز فى امارة الحج الشامى . فلما علم أنه مفارق الدنيا ، أحضر اسماعيل باشا والى مرعش — وكان فى محبسه يتوقع منه المكروه فى كل وقت — فأقامه وكيلا عنه الى حضور سليمان باشا من الحج ، وأعطاه الدفاتر، وعرفه بعلوفة العسكر ، وأوصاه .

فلما انقضى نحبه ودفنوه ، صرف النفقة ، واتفق مع طه الكردى وصالح الدولة ، وتحصن بعكا وحضر سليمان باشا فامتنعا عليه ، ولم يمكنه الدخول اليها . فاستمر اسماعيل باشا الى أن أخرجه أتباع المترجم بحيلة ، وملكوا سليمان باشا — بعد أمور لم نتحقق كيفيتها — وذلك فى السنة التالية .

* * *

ومات عين الأعيان ، ونادرة الزمان ، شاه بندر التجار ... والمرتقى بهمته الى سنام الفخار ، النبيه النجيب ، والحسيب النسيب : السيد أحمد بن أحمد الشهير بالمحروقى الحريرى .

كان والده حرايريا بسوق العنبريين بمصر ، وكان رجلا صالحا ، منور الشيبة ، معروفا بصدق اللهجة والديانة والأمانة بين أقرانه . وولد له المترجم ، فكان يدعو له كثيرا فى صلاته وسائر تحركاته . فلما ترعرع ، خالط الناس وكتب وحسب ، وكان على غاية من الحذق والنباهة ، وأخذ وأعطى ، وباع واشترى ، وشارك وتداخل مع التجار ، وحاسب على الألوف ، واتحد بالسيد أحمد بن عبد السلام ، وسافر معه الى الحجاز ، وأحبه وامتزج به امتزاجا كليا ، بحيث صارا كالتوأمين ... أو روح حلت بدنين .

* * *

ومات عمدة التجار العرايشى ، وهو بالحجاز ، وهو أخو السيد أحمد بن عبد السلام — فى تلك السنة — فأحرز مخلفاته وأمواله ، ودفاتر شركائه . فتقيد المترجم بمحاسبة التجار والشركاء

والوكلاء ومحاققتهم ، فوفر عليه لسكوكا من الأموال !

واستأنف الشركات والمعاوضات ، وعند ذلك من سعادة مقدم المترجم ، ومرافقته له ، ووجع صحبته الى مصر ، وزادت محبته له ، ورغبته فيه .

وكان لابن عبد السلام شهرة ووصلة بأكابر الأمراء كأبيه ، وخصوصا مراد بيك ، فيقضى له ولأمرائه لوازمهم اللازمة لهم ولأتباعهم ، واحتياجاتهم من التفاصيل والأقمشة الهندية وغيرها. وينوب عنه المترجم فى غالب أوقاته وحركاته . ولشدة امتزاج الطبيعة بينهما ، صار يحاكيه فى ألفاظه ولغته ، وجميع اصطلاحاته فى الحركات والسكنات والخطرات . واشتهر ذكره به عند التجار والأعيان والأمراء . واتحدا بمحمد أغا البارودى — كتخدا مراد بيك — اتحادا زائدا ، وأتحفاه بالجراية ، وخصصاه بالمزايا ، فراج به عند مخدومه شأنهما ، وارتفع به بالزيادة قدرهما .

ولما تأمر اسماعيل بيك ، واستوزر أيضا البارودى ، استمر حالهما كذلك ، بل وأكثر . الى أن حصل الطاعون ومات به السيد أحمد بن عبد السلام فى شعبان ، فاستقر المترجم فى مظهره ومنصبه — شاه بندر التجار — بواسطة البارودى أيضا ، وسعايته وسعادة طالعه .

وسكن داره العظيمة التى عمرها بجوار الفحامين — محل دكة الحسبة القديم — وتزوج بزوجاته ، واستولى على حواصله ومخازنه ، واستقل بها من غير شريك ولا وارث . وعند ذلك زادت شهرته ، وعظم شأنه ووجاهته ، ونفذت كلمته على أقرانه .

ولم يزل طالعه يسمو ، وسعده يزيد وينمو . وعاد مراد بيك والأمراء المصريون — بعد موت اسماعيل بيك ، وانقلاب دولته — الى امارة مصر فاختص بخدمته وقضاء سائر أشغاله ، وكذلك ابراهيم بيك وباقى الأمراء . وقدم لهم الهدايا والظرائف ، وواسى الجميع أعلاهم وأدونهم بحسن الصنع ، حتى جذب اليه قلوب الجميع ، ونافس الرجال ، وانعطفت اليه الآمال ، وعامل تجار النواحى والأمصار ، من سائر الجهات والأقطار .

واشتهر ذكره بالأراضى الحجازية ، وكذا بالبلاد الشامية والرومية ، واعتمدوه وكاتبوه وراسلوه وأودعوه الودائع ، وأصناف التجارات والبضائع .

وزوج ولده السيد محمد ، وعمل له مهما عظيما افتخر فيه الى الغاية ، ودعا الأمراء والأكابر والأعيان . وأرسل اليه ابراهيم بيك ومراد بيك الهدايا العظيمة ، المحملة على الجمال الكثيرة ، وكذلك باقى الأمراء ، ومعها الأجراس التى لها رنة تسمع من البعد ، ويقدمها جمل عليه طبل نقارية ، وذلك خلاف هدايا التجار وعظماء الناس ، والنصارى الأروام والأقباط الكتبة ، وتجار الافرنج ، والأتراك والشوام والمغاربة ، وغيرهم .

وخلع الخلع الكثيرة ، وأعطى البقاشيش والانعامات والكساوى ، ولا يشغله أمر عن أمر آخر يمضيه ، أو غرض ينفذه ويمضيه ، كما قيل :

أخو عزمات لا يريد على الذى
يهم به من مقطع الأمر صاحبا
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وحج فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف ، وخرج فى تجمل زائد ، وجمال كثيرة ، وتختروانات ، ومواهى ومسطحات ، وفراشين وخدم ، وهجن وبغال وخيول .

وكان يوم خروجه يوماً مشهودا . اجتمع الكثير من العامة والنساء ، وجلسوا بالطريق للفرجة عليه ، ومن خرج معه لتشييعه ووداعه من الأعيان والتجار ، الراكبين والراجلين معه منهم ، وبأيديهم البنادق والأسلحة وغير ذلك .

وبعث بالبضائع والذخائر والقومانية ، والأحمال الثقيلة على طريق البحر ، لمرساة الينبع وجدة .

وعند رجوع الركب ، وصل الفرنساوية الى بر مصر ، ووصلهم الخبر بذلك .

وأرسل ابراهيم بيك الى صالح بيك أمير الحج ، يطلبه مع الحجاج الى بلبيس — كما تقدم — وذهب بصحبته المترجم وجرى عليه ماذكر ... من نهب العرب متاعه وحموله — وكان شيئا كثيرا — حتى ماعليه من الثياب ، وانحصر بطريق القرين . فلم يجد عند ذلك بدا من مواجهة الفرنساوية ، فذهب الى سارى عسكر بونابرته وقابله ، فرحب به ، وأكرمه ولامه على فراره وركونه للمماليك . فاعتذر اليه بجهل الحال ، فقبل عذره ، واجتهد له فى تحصيل المنهوبات ، وأرسل فى طلب المتعدين ، واستخلص ما أمكن استخلاصه له ولغيره ، وأرسلهم الى مصر ، وأصحب معهم عدة من العساكر لخفارتهم ، ويقدمهم طبلهم ، وهم مشاة بالأسلحة بين أيديهم ، حتى أدخلوهم الى بيوتهم .

ولما رجع سارى عسكر الى مصر ، تردد عليه ، وأحله محل القبول ، وارتاح اليه فى لوازمه . وتصدى للامور وقضايا التجار ، وصار مرعى الجانب عنده ، ويقبل شفاعاته ، ويفصل القوانين بين يديه ويدى أكابرهم .

ولما رتبوا الديوان ، تعين من الرؤساء فيه ، وكاتبوا التجار ، وأهل الحجاز ، وشريف مكة بواسطته . واستمر على ذلك حتى سافر بونابرته . ووصل بعد ذلك عرضى العثمانية والأمراء المصرية ، فخرج فيمن خرج لملاقاتهم ، وحصل بعد ذلك ما حصل من نقض الصلح والحروب .

واجتهد المترجم فى أيام الحرب ، وساعد ، وتصدى بكل همته ، وصرف أموالا جمة فى المهمات والمؤن .. الى أن كان ما كان من ظهور الفرنساوية ، وخروج المحاربين من مصر ورجوعهم . فلم يسعه الا الخروج معهم ، والجلاء عن مصر . فنهب الفرنساوية داره ، وما يتعلق به .

ولما استقر يوسف باشا الوزير جهة الشام آنسه المترجم وعاضده ، واجتهد فى حوائجه ، واقترض الأموال ، وكاتب التجار ، وبذل همته وساعده بما لا يدخل تحت طوق البشر . ويراسل خواصه بمصر سرا ، فيطالعونه بالأخبار والأسرار . الى أن حصل العثمانيون بمصر ، فصار المترجم هو المشار اليه فى الدولة ، والتزم بالاقطاعات والبلاد .

وحضر الوزير الى داره ، وقدم اليه التقادم والهدايا . وباشر الأمور العظيمة ، والقضايا الجسيمة ، وما يتعلق بالدول والدواوين ، والمهمات السلطانية .

وازدحم الناس ببابه ، وكثرت عليه الأتباع والأعوان ، والقواسة والفراشون ، وعساكر رومية ، ومترجمون وكلارجية ووكلاء .

وحضرت مشايخ البلاد والفلاحون الكثيرة بالهدايا والتقادم ، والأغنام والجمال والخيول .

وضاقت داره بهم ، فاتخذ دورا بجواره ، وأنزل بها الوافدين ، وجعل بها مضايف وحبوسا وغير ذلك .

ولما قصد يوسف باشا الوزير السفر من مصر ، وكله على تعلقاته وخصوصياته . وحضر محمد باشا خسرو ، فاختص به أيضا اختصاصا كليا ، وسلم اليه المقاليد الكلية والجزئية ، وجعله أمين الضربخانة . وزادت صولته وشهرته ، وطار صيته ،

واتسعت دائرته ، وصار بمنزلة شيخ البلد .. بل أعظم .

ونفذت أوامره فى الاقليم المصرى والرومى والحجازى والشامى ، وأدرك من العز والجاه والعظمة ما لم يتفق لأمثاله من أولاد البلد

وكان ديوان بيته أعظم الدواوين بمصر ، وتغرب وجهاء الناس لخدمته ، والوصول لسدته .

ووهب وأعطى ، وراعى جانب كل من انتمى اليه وأغدق عليه .

وكان يرسل الكساوى فى رمضان للأعيان والفقهاء والتجاز ، وفيها الشالات الكشميرى ، ويهب المواهب ، وينعم الانعامات ، ويهادى أحبابه ، ويسعفهم وبواسيهم فى المهمات .

وعمل عدة أعراس وولائم . وزاره محمد باشا المذكور فى داره مرتين أو ثلاثا باستدعاء ، وقدم له التقادم والهدايا والتحايف ، والرخوت المثمنة ، والخيول ، والتعابى من الأقمشة الهندية والمقصّبات .

ولما ثارت العسكر على محمد باشا ، وخرج فارا .. كان بصحبته فى ذلك الوقت ، فركب أيضا يريد الفرار معه ، واختلفت بينهما الطرق ، فصادفه طائفة من العسكر ، فقبضوا عليه ، وعروا ثيابه وثياب ولده ومن معه ، وأخذوا منه جوهرا كثيرا ونقودا ومتاعا . فلحقه عمر بيك الأرنؤودى الساكن ببولاق ، وأدركه وخلصه من أيديهم ، وأخذه الى داره وحماه ، وقابل به محمد على وغيره . وذهب الى داره واستقر بها .. الى أن انقضت الفتنة ، وظهر طاهر باشا ، فساس أمره معه ، حتى قتل . وحضر الأمراء المصريون ، فتداخل معهم ، وقدم لهم ، وهاداهم واتحد بهم ، وبعثمان بيك البرديسى ، فأبقوه على حالته ، ونجز مطلوبات الجميع .

ولم يتضعضع للمزعجات ، ولم يتقهقر من المفزعات ... حتى أنهم لما أرادوا تقليد الستة عشر صنجقا فى يوم ، أحضره البرديسى تلك الليلة ، وأخبره بما اتفقوا عليه . ووجده مشغول البال ، متحيرا فى ملزوماتهم ، فهون عليه الأمر وسهله ، وقضى له جميع المطلوبات واللوازم للستة عشر أميرا فى تلك الليلة .

وما أصبح النهار الا وجميع المطلوبات ، من خيول ورخوت ، وفراوى وكساوى ومزركشات وذهب وفضة — برسم الانعامات والبقاشيش ومصروف الجيب — حاضر لديه بين يديه ؛ حتى تعجب هو والحاضرون من ذلك ، وقال له : « مثلك من يخدم الملوك ! » وأعطاه فى ذلك اليوم فارسكوز زيادة عما بيده .

ولما ثارت العسكر على الأمراء المصريين ، وأخرجوهم من مصر ، وأحضروا أحمد باشا خورشيد من سكندرية ، وقلدوه ولاية مصر — وكان كبعض الأغوات ، مختصر الحال — هيأ له رقم الوزارة والرخوت والخلع واللوازم فى أسرع وقت ، وأقرب مدة .

ولم يزل شأنه فى الترفع والصعود ، وطالعه مقارنا للسعود ، وحاله مشهور ، وذكره منشور ، حتى فاجأته المنية ، وحالت بينه وبين الأمنية .

وذلك أنه لما دعا الباشا فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر شعبان ، نزل الى داره ، وتغدى عنده ، وأقام نحو ساعتين ، ثم ركب وطلع الى القلعة ، فأرسل فى أثره هدية جليلة صحبة ولده والسيد أحمد الملا ترجمانه ، وهى : بقج قماش هندى ، وتفاصيل ، ومصوغات مجوهرة ، وشمعدانات فضة ، وتحايف وخيول مرختة ، ويدونها برسمه ورسم كبار أتباعه .

ومضى على ذلك خمسة أيام . فلما كان ليلة الأحد ثانى عشرين شعبان المذكور ، جلس حصة من الليل مع أصحابه يحادثهم ، ويملى الكتبة

المراسلات والحسابات ، فأخذته رعدة . وقال : « انى أجد بردا » . فدثروه ساعة ، ثم أرادوا ايقاظه ليدخل الى حريمه ، فحركوه ، فوجدوه خالصا قد فارق الدنيا .. من تلك الساعة التى دثروه فيها . فكتموا أمره ، حتى ركب ولده السيد محمد الى الباشا فى طلوع النهار ، وأخبره . ثم رجع الى داره ، وحضر ديوان افندى والقاضى ، وختموا على خزائنه وحواصله ، واشهروا موته ، وجهزوه وكفنوه ، وصلوا عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ثم رجعوا به الى زاوية العربى — تجاه داره — ودفنوه مع السيد أحمد بن عبد السلام . وانقضى أمره .

ثم ان الباشا ألبس ولده السيد محمد فروة وقفطانا على الضربخانة ، وما كان عليه والده من خدمة الدولة والالتزام ، ونزل من القلعة صحبة القاضى ، ثم ذهب الى داره ... بارك الله فيه وأعانه على وقته !

* * *

ومات الأمير المبجل : على أغا يحيى . وأصله مملوك يحيى كاشف تابع احمد بيك السكرى الذى كان كتخدا عند عثمان بيك الفقارى الكبير المتقدم ذكرهما .

ولما ظهر على بيك ، وأرسل محمد بيك ومن معه الى جهة قبلى — بعد قتل صالح بيك — كان الأمير يحيى فى جملة الأمراء الذين كانوا بأسيوط ووقع لهم ما تقدم ذكره من الهزيمة ، وتشتتوا فى البلاد ، فذهب الأمير يحيى الى اسلامبول وصحبته مملوكه المترجم . وأقام هناك الى أن مات .

فحضر الأمير على تابعه الى مصر — فى أيام محمد بيك — وتزوج بنت أستاذه ، وسكن بحارة السبع قاعات ، واشتهر بها ، وعمل كتخدا عند سليمان أغا الوالى ... الى أن تقلد سليمان أغا المذكور أغاوية مستحفظان . فصار المترجم مقبولا عنده ، ويتوسط للناس عنده فى القضايا والدعاوى ، واشتهر ذكره من حينئذ ، وارتاح الناس عليه فى غالب المقتضيات . وباشر فصل الحكومات بنفسه

وكان قليل الطمع ، لين الجانب . ولما تقلد مخدومه الصنجقية ، بقى معه على حالته فى القبول والكتخدائية ، وزادت شهرته ، وتداخل فى الأمور الجسيمة عند الأمراء .

ولما حضر حسن باشا ، وخرج مخدومه من مصر — مع من خرج — وظهر شأن اسماعيل بيك والعلويين ، استوزره حسن بيك الجداوى ، وعظم أمره أيضا فى أيامه ، مع مباشرته لوازم مخدومه الأول وقضاء أشغاله سرا .

واشترى دار مصطفى أغا الجراكسة — التى بجوار العربى بالقرب من الفحامين — وانتقل من السبع قاعات وسكن بها .

وسافر مرارا الى الجهة القبلية سفيرا بين الأمراء البحرية والقبلية فى المراسلات والمصالحات ، وكذلك فى بعض المقتضيات بالبلاد البحرية .

ولم يزل وافر الحرمة ، حتى كانت دولة العثمانيين ، ونما أمر السيد أحمد المحروقى ، فانضوى اليه — لقرب داره منه — فقيده ببعض الخدم ، وجبى الأموال من البلاد الجسيمة ، فأرسله قبل موته الى جهة بشبيش ، فتمرض بها .

فلما تأمر حسن بيك — أخو طاهر باشا — على التجريدة الموجهة الى ناحية قبلى ، طلبوا رجلا من المصريين يكون رئيسا عاقلا ... يكون كتخدا ، فأشاروا على المترجم . فطلبه الباشا من السيد احمد المحروقى ، فأرسل اليه بالحضور . فوصل فى اليوم الذى توفى فيه المحروقى . فأقام أياما حتى قضى أشغاله ، وسافر وهو متوعك . وتوفى بسمالوط فى ثالث القعدة ، وحضروا برمته فى ليلة الجمعة ثامنه ، وخرجوا بجنازته من بيته ، وصلوا عليه بالأزهر ، ودفنوه بالقرافة ... رحمه الله تعالى وغفر له .

المحرم

الاثنين غرته (أول ابريل ١٨٠٥ م) :

... ولما نزل الدلاة جهة البساتين وتلك النواحى، فأكلوا زروعات الناس ، ونهبوا دوزرا بدير الطين ، وطلبوا علوفات زائدة .. رتب لهم الباشا الجرايات والعليق والجامكية وقدرها ستمائة كيس فى كل شهر .

الاثنين ٨ منه (٨ ابريل ١٨٠٥ م) :

سافر أناس كثيرة لزيارة مولد سيدى احمد البدوى المعتاد ، وسافر أيضا الشيخ الشرقاوى وحضر هناك كاشف الغربية ، وحصل منه قبائح كثيرة ، وقبض على خلائق كثيرة وبلصهم وحبسهم، وخوزق أناسا كثيرة من غير ذنب ، ولا يقبل شفاعة أحد فى شىء !

وفيه : أشيع قدوم محمد على وحسن باشا الى مصر . وذلك أنهما لما سمعا بوصول طائفة الدلاة ، وأن أحمد باشا أرسل اليهم وطلبهم ليتعاضد بهم ، ويقوى بهم ساعده على الأرنؤودية ، عزموا على الرجوع الى مصر ليتلافوا أمرهم قبل استفحال الأمر .

الخميس ١١ منه (١١ ابريل ١٨٠٥ م) :

طلب الباشا المشايخ ، وعمر أفندى النقيب ، والوجاقلية وأرباب الديوان . فلما اجتمعوا ، قال لهم : « ان محمد على وحسن باشا راجعان من قبلى من غير اذن ، وطالبان شرا ... فاما أن يرجعا من حيث أتيا ، ويقاتلا المماليك ... واما أن يذهبا الى بلادهما ، أو أعطيهما ولايات ومناصب فى غير أراضى مصر . ومعى أمر من السلطان ، ووكيل مفوض ، ودستور مكرم : أعزل من أشاء ، وأولى من أشاء ، وأعطى من أشاء ، وأمنع من أشاء ! » . ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة فى كيس حرير أخضر ، وأخبرهم أنها بخط السلطان بما ذكر .. « فأنتم تكونون معى ، وتقيمون عندى صحبة كبار الوجاقلية » . فقالوا له : « ان الشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ المهدى غائبون عن مصر » ، فقال : « نرسل لهم بالحضور » . فكتبوا لهم أوراقا من الباشا ، وأرسلوها اليهم مع السعاة يستعجلونهم للحضور . ثم اتفقوا على أن يبيت عنده بالقلعة فى كل ليلة اثنان من المتعممين ، واثنان من الوجاقلية ، وأعدوا لهم مكانا بالضربخانة

وأمر بأن يذهب الدلاة والعسكر الباقية الى ناحية طرا والجيزة . وأخذوا مدافع وجبخانة .

ووصل محمد على وحسن باشا الى ناحية طرا ومعهم عساكرهم . فلم يجسر الدلاتية على ممانعتهم .

وكاد لهم محمد على كيدا منها : أنه أرسل اليهم يقول : « انما جئنا فى طلب العلائف ، ولسنا مخالفين ولا معاندين » . فقال الدلاتية لبعضهم : « اذا كان الأمر كذلك .. فلا وجه للتعرض لهم ، واخلوا من طريقهم » .

ودخل الكثير من طوائف عساكرهم ، ورجع

الدلاتية الى أماكنهم بدير الطين وقصر العينى والآثار .

ونزل كتخدا الباشا وعمر بيك الأرنؤودى ، فتكلما مع الدلاتية ، فقالوا : « ان القوم لم يكن عندهم خلاف ولا تعدى .. واذا كنتم تمنعون وتحاربون من يطلب حقه ، فكذلك تفعلون معنا اذا خدمناكم زمنا ثم طلبنا علائفنا » .

فرجع الكتخدا وعمر بيك الأرنؤودى ، وتتابع دخول أولئك ، فى كل يوم طائفة بعد أخرى ، وسكنوا الدور والبيوت .

الاربعاء ١٧ منه (١٧ ابريل ١٨٠٥ م) :

ذهب اليهم سعيد أغا وقابجى باشا الأسودان ، وسلما على محمد على وحسن باشا ثم رجعا .

الجمعة ١٩ منه (١٩ ابريل ١٨٠٥ م) :

دخل محمد على بعد العصر ، وذهب الى بيته بالأزبكية ، ودخل حسن باشا فى صبحها ، ودخلت طوائفهم ، وأخذوا الحمير والبغال وجمال السقائين لينقلوا عليها متاعهم . ودخلوا البيوت ، وأزعجوا السكان ، وأخرجوهم من مساكنهم ، وفتحوا البيوت المسدودة ، وكثرت أخلاطهم بالأسواق . ومنع الباشا المشايخ والوجاقلية من الذهاب الى محمد على والسلام عليه .

واستمر الأمر على القلقلة واللقلقة والتوحش . وأخذ محمد على فى التدبير على أحمد باشا وخلعه .

صفر

الأربعاء غرته (اول مايو ١٨٠٥ م) :

استهل والأمر على ماهو عليه ، وسعيد أغا ساع ومجتهد فى اجراء الصلح ، ويركب تارة الى الباشا ، وتارة الى محمد على والى حسن باشا . ويطلع من المشايخ فى كل ليلة اثنان ، وكذلك اثنان من الوجاقلية يبيتون بمكان فى دار الضرب ، وينزلون فى الصباح .. ولم يعقل لذلك معنى .

وفى كل وقت يقع التشاحن بين أفراد العسكر فى الطرقات ، ويقتلون بعضهم بعضا . وحضر سليمان كاشف البواب ، ومر من خلف الجيزة ، وذهب الى جهة وردان ، وطلب الأموال من البلاد والكلف ، وعدى خازنداره الى بر المنوفية — ومعه عدة كثيرة من العربان — بطلب الأموال من البلاد . ومن عصى عليهم من البلاد ضربوهم ، ونهبوهم وحرقوا أجرانهم ، وكاشف المنوفية داخل منوف لايقدر على الخروج الى خارج .

وحضر أيضا محمد بيك الألفى الى ناحية أبو صير الملق ، وانتشرت طوائفه وعربانه بأقليم الجيزة . ومصر مشحونة بأخلاط العسكر ، وأجناسهم المختلفة ، داخل المدينة وخارجها ، والدالاتية جهة مصر القديمة وقصر العينى والآثار ودير الطين ... يأكلون الزروعات ، ويخطفون ما يجدونه مع الفلاحين والمارين ، ويأخذون ما معهم ، ويخطفون النساء والأولاد .. بل و ... فى الرجال الاختيارية !

وفيه : حضر سكان مصر القديمة ، نساء ورجالا ، الى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدالاتية ، ويخبرون أن الدالاتية قد أخرجوهم من مساكنهم وأوطانهم قهرا عنهم ، ولم يتركوهم يأخذوا ثيابهم ومتاعهم ... بل ومنعوا النساء أيضا عندهم ، وما خلص منهم الا من تسلق ونط من الحيطان .. وحضروا على هذه الصورة . فركب المشايخ الى الباشا ، وخاطبوه فى أمرهم . فكتب فرمانا خطابا للدالاتية بالخروج من الدور ، وتركها الى أصحابها ، فلم يمتثلوا ولم يسمعوا ذلك . وخوطب الباشا ثانيا ، وأخبروه بعصيانهم ، فقال : « انهم مقيمون ثلاثة أيام ، ثم يسافرون » .

وزاد الضجيج والجمع ، فاجتمع المشايخ فى

صبحها ، يوم الخميس بالأزهر ، وتركوا قراءة الدروس ، وخرجت سرية من الأولاد الصغار يصرخون بالأسواق ، ويأمرون الناس بغلق الحوانيت وحصل بالبلدة ضجة ، ووصل الخبر الى الباشا بذلك ، فأرسل كتخداه الى الأزهر فلم يجد به أحدا .

وكان المشايخ انتقلوا بعد الظهر الى بيوتهم لأغراض نفسانية ، وفشل مستتمر فيهم . فلما لم ير أحدا ذهب الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وحضر هناك السيد عمر أفندى وخلافه ، فكلموه وأوهموه ، ثم قام وانصرف . وفى حال خروجه ، رجمه الأولاد بالحجارة ، وسبوه ، وشتموه . وبقى الأمر على السكوت الى يوم الجمعة عاشره .. والمشايخ تاركون الحضور الى الأزهر . وغالب الأسواق والدكاكين مغلوقة ، واللغط والوسوسة دائران . وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة .

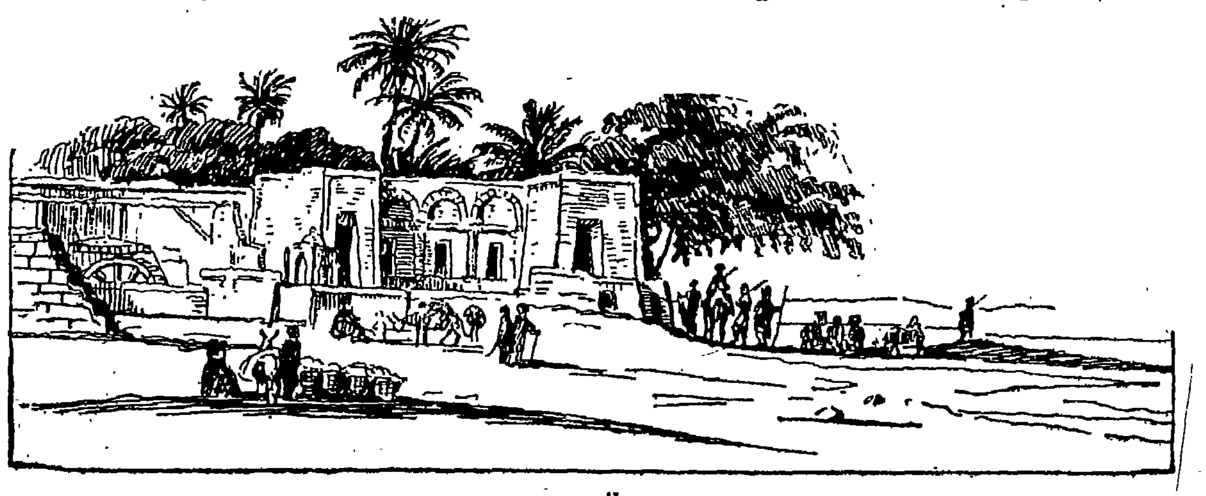
وفى ذلك اليوم : نزل أحمد باشا من القلعة ، ودخل بيت سعيد آغا . وذلك أنه ورد قاصد من اسلامبول وعلى يده تقليد لمحمد على بولاية جدة . فامتنع من طلوع القلعة . فوقع الاتفاق على أن الباشا ينزل الى بيت سعيد آغا ، ويخلع على محمد على هناك . فلما حضر الباشا هناك ، وحضر محمد على وحسن باشا وأخوه عابدى بيك ، وتقلد محمد على باشا ولاية جدة ، ولبس فروة وقاووقا ، وخرج يريد الركوب ... ثارت عليه العسكر ، وطلبوا منه العلوفة . فقال لهم : « هاهو الباشا عندكم » وركب هو وذهب الى داره بالأزبكية ، وصار يفرق وينثر الذهب بطول الطريق . ثم ان العسكر ساروا الى أحمد باشا ومنعوه من الركوب . فلم يزل الى بعد الغروب . فلاطفهم حسن باشا ووعدهم . ثم ذهب مع حسن باشا الى داره وأشيع فى المدينة حبسه ، وفرح الناس وباتوا مسرورين .

السبت ١١ منه (١١ مايو ١٨٠٥ م)

فلما طلع النهار — يوم السبت — تبين أنه طلع ثانيا الى القلعة فى آخر الليل ، وطلع صحبته عابدى بيك ... فاغتم الناس ثانيا .

وفى ذلك اليوم : طلب الباشا من ابن المحروقى وجرجس الجوهرى ألفى كيس . وأشيع أنه عازم على عمل فردة على أهل البلد ، وطلب أجرة الأملاك بموجب قوائم الفرنساوية .

وفيه : ركب الدلاة ، وذهبوا الى قليوب ، ودخلوها واستولوا عليها وعلى دورها ، وربطوا



قليوب

خيولهم على أجرانها ، وطلبوا من أهلها النفقـا والكلف ، وعملوا على الدور دراهم يطلبونها منهم فى كل يوم ، وقرروا على دار شيخ البلد الشواربى كل يوم مائة قرش ، وحبسوا حريمهم عن الخروج — وكان الشواربى بمصر — فوصل اليه الخبر بذلك .

واستمروا على ذلك حتى أخذوا النساء والبنات والأولاد ، وصاروا يبيعونهم فيما بينهم .

وبعد أيام ، أرسـل اليهم محمـد على ، وقرر لهم الكلف على البلاد ، فصاروا يقبضونها ، ومن عصى عليهم ضربوه ونهبوه . وأرسـلوا الى بلدة يقال لها أبو الغيط ، فامتنعت عليهم ، وخرج أهلها ودفنوا متاعهم بالجزيرة المقابلة للقرية . فركبـوا عليهم وحاربوهم ، فقتل من الفلاحين زيادة عن مائة شخص . ودلهم بعض النـاس من الفلاحين عـلى خباياهم بالجزيرة ، فذهبوا اليها واستخرجوها ... وكانت أشياء كثيرة ، والأمر لله وحده لاشريك له !

والمشايخ تاركون الحضور الى الأزهر . وغالب الأسواق والدكاكين مغلوقة . وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة . فحضر الأغا الى نواحى الأزهر ، ونادى بالأمان وفتح الدكاكين فى العصر . فقال الناس : « وأى شىء حصل من الأمان .. وهو يريد سلب الفقراء ، ويأخذ أجر مساكنهم ، ويعمل عليهم غرامات ! » وباتوا فى هرج ومرج .

الأحد ١٢ منه (١٢ مايو ١٨٠٥ م) :

ركب المشايخ الى بيت القاضى ، واجتمـع به الكثير من المتعممين والعامة والأطفال ، حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس ، وصرخوا بقولهم : « شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم » . ومن الأولاد من يقول : « يالطيف .. » . ومنهـم من يقول : « يارب يامتجلى .. أهلك العثملى ! » . ومنهم من يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وغير ذلك .

وطلبوا من القاضى أن يرسل بحضار المتكلمين فى الدولة لمجلس الشرع . فأرسل الى سعيد أغا الوكيل ، وبشير أغا — الذى حضر قبل تاريخه — وعثمان أغا قبى كتخدا ، والدفتردار والشمعدانجى . فحضر الجميـع ، واتفقـوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات .. ففعلوا ذلك ، وذكروا فيـه تعـدى طوائف العسكر ، والايذاء منهم للناس ، واخراجهم من مساكنهم ، والمظالم والفرد وقبض مال الميرى المعجل ، وحق طرق المباشرين ، ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك . وأخـذوه معهم ، ووعدوه برد الجواب فى ثانى يوم .

وفى تلك الليلة : أرسل الباشا مراسلة الى القاضى يرقق فيهـا الجواب ، ويظهـر الامتثال ، ويطلب حضوره اليه من الغد مع العلمـاء ليعمل معهـم مشورة . فلما وصلته التذكرة ، حضر بها الى السيد عمر أفندى ، واستشاروا فى الذهاب ، ثم اتفقوا على عدم التوجه اليه . وغلب على ظنهم أنها منه خديعة ، وفى عزمه شىء آخر ، لأنه حضر بعد ذلك من أخبرهم أنه كان أعد أشـخاصا لاغتيالهم فى الطريق ، وينسب ذلك الفعل لأوباش العسكر ... أن لو عوتب بعد ذلك !

الاثنين ١٣ منه (١٣ مايو ١٨٠٥ م) :

اجتمعوا ببيت القاضى ، وكذلك اجتمع الكثير من العامة فمنعوهم من الدخول الى بيت القاضى ، وقفلوا بابيه . وحضر اليهـم أيضا سـعيد أغا والجماعة ، وركب الجميع وذهبوا الى محمد على وقالوا له : « انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ، ولا بد من عزله من الولاية» .فقال : « ومن تريدونه يكون واليا ؟ » فقالوا له : « لا نرضى الا بك ، وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير » . فامتنع أولا ! ثم رضى . وأحضروا له

كركا وعليه قفطان ، وقام اليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى ، فألبساه له ... وذلك وقت العصر . ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة ، وأرسلوا الى أحمد باشا الخبر بذلك ، فقال : « انى مولى من طرف السلطان ، فلا أعزل بأمر الفلاحين ، ولا أنزل من القلعة الا بأمر من السلطنة ! » .

وأصبح الناس ، وتجمعوا أيضا .. فركب المشايخ — ومعهم الجم الغفير من العامة ، وبأيديهم الأسلحة والعصى — وذهبوا الى بركة الأزبكية حتى ملأوها . وأرسل الباشا الى مصر العتيقة ، فحمل جمالا من البقسماط والذخيرة والجبخانة ، وأخذ غلالا من عرصة الرميلة . وطلع عمر بيك الأرنؤودى — الساكن ببولاق — عند الباشا بالقلعة . ثم ان محمد على باشا والمشايخ كتبوا مراسلة الى عمر بيك وصالح أغا قوش — المعضدين لأحمد باشا المخلوع — يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ، ولا ينبغى مخالفتهم وعنادهم ، لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم ، وخراب الاقليم .

فأرسلا يقولان فى الجواب : « أرونا سندا شرعيا فى ذلك » .

الخميس ١٦ منه (١٦ مايو ١٨٠٥ م) :

اجتمع المشايخ ببيت القاضى ، ونظموا سؤالا ، وكتب عليه المفتون ، وأرسلوه اليهم . فلم يتعقلوا ذلك ، واستمروا على خلافهم وعنادهم . ونزل كثير من أتباع الباشا بثيابهم الى المدينة ، وانحل عنه طائفة الينكجرية ، ولم يبق معه الا طوائف الأرنؤود المغرضون لصالح أغا قوش وعمر أغا .

وفى هذه الأيام : حضر محمد بيك الألفى ومن معه من أمرائه وعربانه ، وانتشروا جهة الجيزة ، واستقر الألفى بالمنصورية — قرب الأهرام — وانتشرت أتباعه الى الجسر الأسود ، وأرسل مكاتبة الى السيد عمر أفندى والشيخ الشرقاوى ومحمد على باشا ، يطلب له جهة يستقر فيها هو وأتباعه . فكتبوا له بأن يختار له جهة يرتاح فيها ، ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر .

واستمر أحمد باشا المخلوع ومن معه ، على الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ، ويقول : « لا أنزل حتى يأتينى أمر من السلطان الذى ولانى » . وأرسل تذكرة الى القاضى يذكر فيها « أن العسكر الذين عنده بالقلعة ، لهم جامكية منكسرة فى المدة الماضية ، وأنهم كانوا محولين على مال الجهات ورفع المظالم سنة تاريخه معجلا ، فتقبضونها وترسلونها ، وتعينوا لنا ولهم خرجا ومصاريف الى حين حضور جواب من الدولة . وليس فى اقامتنا بالقلعة ضرر أو خراب على الرعية ، فاننا لا نريد اضرارهم » . فأجابه القاضى بقوله : « أما ما كان من الجامكية المحولة .. فانها لازمة عليكم من ايراد المدة التى قبضتموها فى المدة السابقة ، ومن قبيل ماذكرتموه من عدم ضرر الرعية ، فان اقامتكم بالقلعة ... هى عين الضرر ، فانه حضر يوم تاريخه نحو الأربعين ألف (١) نفس بالمحكمة ، وطالبون نزولكم ، أو محاربتكم ، فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور .. وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم ... والسلام » .

فأجابوه بمعنى الجواب الأول . واجتهد السيد عمر أفندى النقيب ، وحرض الناس على الاجتماع والاستعداد ، وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ، ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجاقلية ، والكل بالأسلحة والعصى والنبابيت ، ولازموا السهر بالليل فى الشوارع والحارات ، ويسرحون أحزابا وطوائف ومعهم المشاعل ،

(١) من المرجح انهم « ألف » ، اذ ان من البديهى استحالة اجتماع مثل هذا العدد بالمحكمة .

ويطوفون بالجهات والنواحي وجهات السور ، ثم اتفقوا على محاصرة القلعة . فأرسل محمد على باشا عساكره فى جهات الرميلة والحطابة ، وسطرق النافذة مثل : باب القرافة ، والحصرية ، وطريق الصليبة ، وناحية بيت آقبردى ، وجلسوا بالمحمودية والسلطان حسن ، وعملوا متاريس فى تلك الجهات . وذلك فى تاسع عشره .

ومنعوا من يطلع ومن ينزل من القلعة ، وأغلق أهل القلعة الأبواب ، ووقفوا على الأسوار يبكت بعضهم بعضا بالكلام ، ويترامون بالبنادق ، وصعدوا على منارة السلطان حسن يرمون منها الى القلعة .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٢ مايو ١٨٠٥ م)

ركب السيد عمر أفندى والمشايخ ، ومعهم جمع كثير من الناس الى الأزبكية . وبعد ركوبهم ، حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الأجناد والرجاقلية ، وعصب النواخى ، وأهل الحسينية ، والعطوف ، والقرافة ، والرميلة ، والحطابة ، والصليبة ، وجميع الجهات — ومعهم الطبول والبيارق — حتى غصت بهم الأزقة ، فحضروا الى جهات الجامع الأزهر ، ثم رجعوا الى الأزبكية ولحقوا بالمش'

وخرج المشايخ من عند محمد على باشا ، وذهبوا إلى حسن بيك أخى طاهر باشا ثم رجعوا . واستمر الحال على ذلك الى ليلة الجمعة . فنزل بين المغرب والعشاء عدة من العسكر كبيرة ، وفتحوا باب القلعة بالرميلة ، وأرادوا الهجوم على المتاريس . فتابعوا عليهم بالرمى . فلم يزالوا يترامون الى بعد العشاء الأخيرة ثم رجعوا .

وعند ما سمع الناس صوت الرمى ، ذهبوا أرسالا الى جهات المتاريس ، ثم عادوا بعد رجوع المذكورين الى القلعة . كل ذلك ، وحسن باشا طاهر ومن معه من الأرنؤود يراعون من بالقلعة من جناسهم ، لأن غالبهم منهم .

الجمعة ٢٤ منه (٢٤ مايو ١٨٠٥ م) :

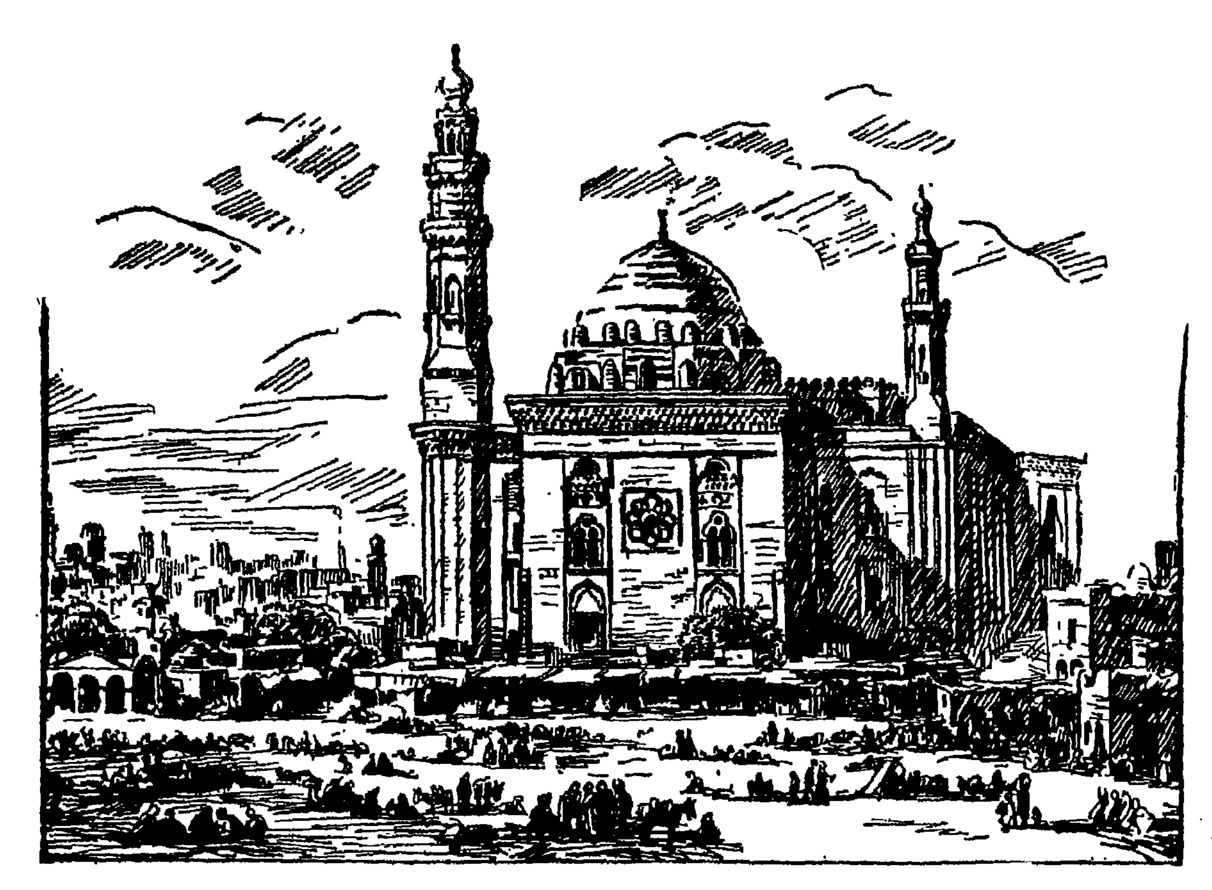
طلع عابدى بيك — أخو حسن باشا — الى القلعة . ونزل عمر بيك ، وأمروا برفع المتاريس ، وتفرق من بها . وأشيع نزول الباشا من الغد ، وبات الناس على ذلك ليلة السبت ، وهم على ماهم عليه من التجمع والسروح والحيرة .

السبت ٢٥ منه (٢٥ مايو ١٨٠٥ م) :

مر ثلاثة من العسكر السجمان بناحية مرجوش ، فصادفوا غلاما حماميا من اللاونجية ، خرج ليشترى قهوة . فأرادوا أخذه ، ففر منهم . فضربوه برصاصة وقتلوه . وذلك فى صلاة الحنفى . فتبعهم الناس ، فوصلوا الى النحاسين ، وعطفوا على خان الخليلى ، وأرادوا الخلوص الى جهة المشهد الحسينى . فأغلقوا فى وجوههم البوابة . فضربوا على المتبعين لهم ، فقتلوا شخصا وجرحوا آخر ، وخرجوا من القبو الى ناحية الصنادقية . وفرغ ما معهم من البارود ، فطلعوا الى ربع وكالة الشبراوى (١) ، فاجتمع الناس وكسروا باب الربع ، فنزلوا يريدون الهرب فقتلهم الناس .. وذهبت أرواحهم الى النار !

وفى ذلك اليوم : ركب السيد عمر أفندى فى قلة من الناس ، وذهب الى بيت حسن بيك أخى طاهر باشا . وكان هناك عمر بيك الذى نزل من القلعة ، فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة فى الكلام طويلة . ومن جملة ما قال : « كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم .. وقد قال تعالى : (أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم) ؟ » . فقال له : « أولو الأمر العلماء ، وحملة الشريعة ، والسلطان العادل ... وهذا رجل ظالم . وجرت

(١) فى بعض النسخ (وكالة جوهر اللالا) .



جامع السلطان حسن

العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة .. وهذا شيء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه ويخلعونه » . ثم قال : « وكيف تحصرونا ، وتمنعون عنا الماء والأكل وتقاتلونا ... نحن كفرة حتى تفعلوا معنا ذلك ؟ » قال : « نعم .. قد أفتى العلماء والقاضى بجواز قتالكم ومحاربتكم ، لأنكم عصاة » .

فقال : « ان القاضى هذا .. كافر ! » . قال : « اذا كان قاضيكم كافرا ، فكيف بكم ؟ ! وحاشاه الله من ذلك . انه رجل شرعى لايميل عن الحق » . وانفصل المجلس على ذلك .

وخاطبه الشيخ السادات فى مثل ذلك . فلم يتحول عن الخلاف والعناد ... هذا والأمر مستمر ، من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل ، واتخاذهم الأسلحة والنبابيت ... حتى ان الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشترى به سلاحا ! وحضرت عربان كثيرة من نواحى الشرق وغيره .

الاثنين ٢٧ منه (٢٧ مايو ١٨٠٥ م) :

ركب السيد عمر وصحبته الوجاقلية ، وأمامه الناس بالأسلحة والعدد والأجناد وأهل خان الخليلى والمغاربة .. شيء كثير جدا ، ومعهم بيارق ولهم جلبة وازدحام ، بحيث كان أولهم بالموسكى وآخرهم جهة الأزهر . وانفصل الأمر على رجوع عمر بيك الى القلعة ، ونزول عابدى بيك ، بعد أن قضوا أشغالهم وعبوا ذخيرتهم واحتياجهم من الماء

والزاد والغنم ليلا ونهارا ، فى مدة الثلاثة أيام المذكورة . وقد كانوا أشرفوا على طلب الأمان . وتبين أنهم انما فعلوا ذلك من باب المكر والخديعة .

واتفق الحال على اعادة المحاصرة ، وصعد المغرضون الى القلعة ، ونزل أشخاص من المغرضين لأهل البلد اليهم . ورجع السيد عمر الى منزله . وأخذ فى أسباب الاحاطة بالقلعة كالأول . وذلك بعد العشاء ليلة الثلاثاء . ووقع الاهتمام فى صبحها بذلك ، وجمعوا الفعلة والعربجية،وشرعوا فى طلوع طائفة من العسكر والعرب وغيرهم الى الجبل ، وأصعدوا مدافع ، ورتبوا عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز ، وروايا الماء تطلع وتنزل فى كل يوم مرتين . وطلع اليهم الكثير من باعة الخبز والكعك والقهاوى .. وغير ذلك .

ربيع الأول

الخميس غرته (٣٠ مايو ١٨٠٥ م) :

استهل بيوم الخميس .. والأمر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل فى سائر الأخطاط .

الثلاثاء ٦ منه (٤ يونية ١٨٠٥ م) :

تحرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد على . فقال لهم : « ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل أحمد باشا من القلعة ونحاسبه ، وتأخذوا علائفكم منه » . فلم يمتثلوا ، وتركوا المتاريس التى حوالى القلعة ، فتفرقوا وذهبوا . فذهب جماعة من الرعية وترسوا فى مواضعهم !

الخميس ٨ منه (٦ يونية ١٨٠٥ م) :

حضرت طائفة من العسكر الساكنين بناحية المظافر ، وقت الغروب ، وضربوا على من بالمتاريس من الأجناد والرعية على حين غفلة ، وخطفوا عمائم وأسلحة ، وأجلوهم عن المتراس وجلسوا به فتسامع أهل الرميلة ، فاجتمعوا وحضروا اليهم — وكبيرهم حجاج الخضرى واسماعيل حودة — وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم أنفارا . وانحاز باقيهم الى الوكالة فأغلقوها عليهم فحضر ذو الفقار كتخدا ، ودافع عنهم وأخرجهم ، ثم أرسل الى محمد على ، وأمرهم بالهروب من تلك الجهة .

الجمعة ٩ منه (٧ يونية ١٨٠٥ م)

قتل العسكر شخصا بناحية المظفر ، وآخر بناحية قنطرة الأمير حسن .

السبت ١٠ منه (٨ يونية ١٨٠٥ م) :

حصل من بعض أفراد العسكر قبائح ، وقتلوا بعض أنفار وحمارين وبغلين . وقبض العامة أيضا على أشخاص منهم ، وقتلوا منهم أيضا . وحضرت طائفة من الأرنؤود ، وملكوا سبيل اسكندر بباب الخرق . وحضر أيضا طائفة ببيت السيد عمر أفندى النقيب ، فقام فهم الحرس الواقفون عند باب البيت فهرب منهم طائفة خالة ودخل منهم البعض، فحجزوهم . ووقع فى الناس هوزعات وكرشات ، ثم أحضر حسن أغا نجاتى المحتسب ، وأمر الأفندى بالمناداة ، فمر وأمامه المنادى يقول : « حسبما رسم السيد عمر الأفندى والعلماء لجميع الرعايا ، بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ويحترسوا فى أماكنهم وأخطاطهم ، واذا تعرض لهم عسكرى بأذية قابلوه بمثلها ، والا فلا تتعرضوا له » .

وأخذ الناس يعملون متاريس فى رؤوس الأخطاط ثم تركوا ذلك .

وحضر أيضا شخص من طرف محمد على ونادى بمثل ذلك ومعه أيضا شخص ينادى بالتركى بمعنى ذلك .

وفى الليلة الماضية حضر كتخدا محمد على ليلا ومعه فرمان أرسله أحمد باشا المخلوع الى الدلاة

يطلبهم للحضور ، ويذكر لهم أنه يجب عليهم معاونته صيانة لعرض السلطنة ، واقامة لناموسها وناموس الدين ، وأن الفلاحين محاصرونه ومانعون عنه الأكل والشرب .

فلما وصل ذلك الفرمان اليهم بقليوب ، أرسلوه الى محمد على ، وأرسله محمد على الى السيد عمر أفندى النقيب .

الاحد ١١ منه (٩ يونية ١٨٠٥ م) :

وقعت أيضا مناوشات ، وتعدى بعض العسكر ودحلوا باب زويلة ووصلوا الى العقادين . فخرجت عليهم طائفة المغاربة وغيرهم ، فتترس منهم جماعة بجامع الفاكهانى ، فحصروهم به ، وقبضوا على نحو العشرة أنفار ، فأخذهم السيد محمد المحروقى ، ودافع عنهم العامة ، وقتل من الفريقين بعض أنفار . وحضر عابدى بيك وطلبهم ، فسلموهم اليه ، ورجع .

وفى تلك الليلة أيضا : ذهب جماعة من العسكر الى جهة الرميلة يطلبون أنفارا منهم ساكنين بتلك الناحية ، فأخذ أهل الرميلة سلاحهم وحبسوهم عندهم . فذهبت امرأة من المتزوجات بهم فأخبرتهم ، فحضر منهم طائفة أواخر النهار وطلبوهم فلم يسلموا فيهم ، وحاربوهم وهزموهم الى جهة الصليبة . وقتل بينهم أنفار ، ورجع العسكر ... واختلطت القضية ، واشتبه أمرها على أهل البلد ... فلا يعرف كلا الفريقين الصاحب من العدو : فتارة يتشابك العسكر مع أهل البلد ، وكذلك أهل البلد معهم ، وتارة تتشابك فرقة منهم مع الكائنين بالقلعة وتارة الفريقان ليساعد بعضهم بعضا . واذا وقع بين الكائنين بنواحى حى الرميلة مع العسكر ، فرح من بالقلعة وأغروا أولاد البلد بهم . ومنهم من يغرى العسكر على أولاد البلد ويقولون لهم بلسانهم وبالعربى : « اضربوا الفلاحين » : ونحو ذلك . وبالجملة فهى قضية مشكلة بين أوباش مختلفة ، وطباع معوجة منحرفة . ومضت ليالى المولد الشريف ولم يشعر بها أحد !

وفيه : حضر كبار الدلاة . فخلع عليهم محمد على باشا خلعا وكساوى ، وسافروا . ثم ارتحلوا من قليوب يريدون الذهاب الى محاربة الألفى وأتباعه ومن معهم من العرب... فانهم أفحشوا فى نهب البلاد ونهب الأموال ما لم يسمع بمثله ولم يتقدم نظيره . فساروا على البلاد والقرى : يأخذون الكلف وينهبون ويقتلون ويفسقون فى النساء والأولاد ، ولم يذهبوا الى ما وجهوا اليه !

الاربعاء ١٤ منه (١٢ يونية ١٨٠٥ م) :

حضر كتخدا محمد على وجرجس الجوهرى الى بيت السيد عمر ، وحضر أيضا الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والقاضى ، وتشاوروا على أمر ورأى رآه محمد على باشا .

وأما على باشا السلحدار — الذى جهة مصر القديمة — فأنه أخذ فى استمالة العسكر وفتنتهم ، وانضم اليه كثير منهم ، ووعدهم بعلائفهم ، وصار يراسل أحمد باشا سرا ، ويرسل اليه الخبز واللحم والسكر والذخيرة على الجمال من باب صغير فتحوه من عرب اليسار من داخل .

السبت ١٧ منه (١٥ يونية ١٨٠٥ م)

أجمع رأى على باشا السلحدار على مكيدة يصنعها وهو أنه يركب فيمن معه ، ويهجم على المتاريس من جهة الصليبة . وأرسل الى مخدومه يعلمه بذلك ، وأنه اذا هجم من تلك الناحية يساعده هو من القلعة برمى المدافع والقنابر على البلد والمتاريس فتنزعج الناس ، ويتم لهم مأمكروه .

وكتب رجب أغا وسليمان أغا — وهما كبيرا عسكر على باشا المذكور — تذكرة من عندهما

خطابا للسيد عمر أفندى النقيب وباقى المشايخ ، مضمونها : أنهما يريدان الحضور الى جهة القلعة ، ويسعيان فى أمر يكون فيه الراحة للفريقين وتسكين الفتنة ، ويلتمسان من المخاطبين أنهم يرسلون الى من بالمتاريس من العامة بأن يخلوا لهما طريقا ولا يتعرضوا لهما — فحضر الى السيد عمر أفندى النقيب من أخبره بذلك الاتفاق بعد الفجر ، قبل حضور التذكرة ، فأرسل الى من بالنواحى والجهات وأيقظهم وحذرهم . فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحى ، فنظروا الى ناحية القرافة فرأوا الجمال التى تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة ومعها أنفار من الخدم والعسكر ، وعدتهم ستون جملا ، فخرج عليهم حجاج الخضرى ومن معه من أهالى الرميلة ، فضربوهم وحاربوهم ، وأخذوا منهم تلك الجمال ، وقتلوا شخصين من العسكر ، وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم وبرؤوس المقتولين الى بيت السيد عمر فأرسلهم الى محمد على باشا ، فأمر بقتل الآخرين .

فلما رأى من بالقلعة ذلك ... رموا بالمدافع والقنابر على البلد وبيت محمد على وحسن باشا وجهة الأزهر ، ولم يزالوا يراسلون الرمى من أول النهار الى بعد الظهر فلم ينزعج أهل البلد من ذلك لما ألفوه من أيام الفرنسيس وحروبهم السابقة . ثم رموا كذلك من العشاء الى سادس ساعة من الليل ، فلم يجبهم أحد ، ولم يرموا عليهم شيئا من الجبل مع استعدادهم لذلك .

وأصبحوا يوم الأحد ، فراسلوا الرمى بطول النهار ، وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين . هذا وفى كل ليلة يطلع الى الجبل أربعة عشر جملا تحمل قرب الماء : على كل بعير أربع قرب ؛ وستة أقفاص خبز على ثلاثة جمال ، نقلتين فى كل يوم ، وأصعدوا جبخانة وجللا وقنابر ، وضربوا عليهم فى ذلك اليوم ضربا قليلا ... واستمر ذلك ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء . فأكثروا الرمى ، وسقطت قنابر وجلل فى عدة أماكن مع الضرر القليل . وباتوا على ذلك ليلة الأربعاء ويومه ، وليلة الخميس ويومه الى آخر النهار . وبطل الرمى تلك الليلة . فقال الناس : « انهم تركوا ذلك احتراما لليلة الجمعة » .

الجمعة ٢٣ منه (٢١ يونية ١٨٠٥ م) :

وفى تلك الليلة حضر جماعة من أهل الأطارف ليلا وحرقوا باب الجبل ، وأوقدوا فيه النار . فظن أهل الجبل أن أهل القلعة يريدون الخروج ، فضربوا عليهم مدافع ، فتنبه من بالقلعة وأسرعوا الى جهة باب الجبل ، وضربوا الرصاص . فلما تحقق من بالجبل القضية رموا عليهم أيضا . وتسامع الناس كثرة ضرب الرصاص فلم يعلموا الحقيقة ، ورجع من أتى الى الباب من غير طائل . فلما طلع النهار ظهر الأمر .

وفى اليوم الثانى بعد الظهر ، تسلق جماعة من العسكر القلعاوية على سلالم صنعوها من حبال ، ونزلوا الى جهة المحجر لأخذ شىء من الأكل والشرب ؛ وهم نحو العشرين ، فتنبه الناس لهم ، واجتمعوا بالخطة وأخذوا ما أخذوه من أهل الدور من الخبز والدقيق وقرب ماء ، وصعدوا من حيث أتوا . وأعادوا الرمى بالمدافع والقنابر من عصر يوم الجمعة وليلة السبت ، واستمروا على ذلك . وسقط بسبب ذلك حيطان وبعض من أبنية الدور . وخرج كثير من الناس وبعدوا عن جهات الضرب — وخصوصا جهة الأزهر — وذهبوا الى ناحية الحسينية والأطارف ، وخرجت النساء هاربات الى تلك النواحى وبولاق ، وانزعجوا من أوطانهم .

الأحد ٢٥ منه (٢٣ يونية ١٨٠٥ م) :

أرسل كتخدا محمد على باشا الى السيد عمر ،

وأشار عليه بارسال العتالين والشيالين الى ناحية قلعة الفرنساوية التى بقنطرة الليمون ، لرفع المدفع الكبير الذى هناك . وأرسلوا أشخاصا من الانكليز يتقيدون بذلك . فجمعوا الرجال والأبقار وذهبوا الى هناك ، وأحضروه وأخرجوه من باب البرقية يريدون وضعه عند باب الوزير حيث مجرى السيل ليرموا به على برج القلعة .. واستمروا فى جره يومين .

وفى ذلك اليوم : نزل أيضا ستة أشخاص يريدون أخذ الماء من صهريج جهة الحطابة ، فضرب عليهم من هناك من المتترسين ، فهربوا وطلعوا من حيث نزلوا .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٥ يونية ١٨٠٥ م) :

نصبوا المدفع المذكور وضربوا به ، وضربوا أيضا من أعلى الجبل . ومن بالقلعة يضربون على البلد ، يواصلون الضرب بالمدافع والقنابر والبنبات الكبار ، والآلات المحرقة . واستمروا على ذلك الى ليلة الجمعة الأخرى فسكن الرمى تلك الليلة . وأصيب كثير من الدور والحيطان والأبنية . وأصابت أشخاصا قتلتهم ... ووزن بعض البنبات فبلغ وزنها — بما فيها — قنطارين !

ربيع الآخر

غرته (٢٩ يونية ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار من ثغر سكندرية بورود قابجى — وهو صالح آغا الذى كان سابقا بمصر ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بيك — وعلى يده جوابات بالراحة . فحصلت ضجة فى الناس ، وفرحوا ورمحوا بطول ذلك اليوم ، وعملوا شنكا تلك الليلة — التى هى ليلة السبت — ورموا صواريخ فى سائر النواحى ، وضربوا بنادق وقرابين بالأزبكية وخارج باب الفتوح وباب النصر والمدافع التى على أبراج الأبواب .

ولما سمع من بالقلعة ومن بمصر القديمة ظنوا أن العساكر ، الذين فى قلوبهم مرض ، تحاربوا مع أهل البلد ، فرموا من القلعة بالمدافع والبنب . وحضر على باشا ومن معه من جهة مصر القديمة . ونزل من القلعة طائفة من العسكر جهة عرب اليسار وتترسوا هناك . فاجتمع عليهم حجاج وأهل الرميلة ومن معهم من عسكر محمد على ، وتحاربوا مع المتترسين والواصلين ، وضربوا من القلعة على محاربيهم وعلى أهل البلد ، وكذلك من بالجبل ، ومن بالذنجزية يضربون على القلعة المدافع والسواريخ .

ونزل أيضا طائفة وهجموا على الذنجزية ، وأرادوا سد فلوة المدفع الكبير . فضربوا عليهم وقتل كبيرهم ومعه آخر ، وأخذوا سلاحهما ورؤوسهما وأحضروهما الى السيد عمر . وحصل بالبلدة تلك الليلة من ضرب النار من كل ناحية ما هو عجيب من المستغربات . واختلط الشنك بالحرب ، وصار الضرب من الجبل على القلعة بالبنب والمدافع والسواريخ ، وكذلك من القلعة على البلد وعلى الذنجزية ، ومنها على القلعة والمحاربين مع بعضهم البعض ، والشنك من كل جهة ، واجتماع الناس والعامة بالأخطاط والنواحى ، وضربوا طبولا ومزامير ونقرزانات .. وكانت ليلة من الغرائب . وأصبحوا على الحال الذى هم عليه من الرمى بالمدافع والبنب !

٣ منه (اول يولية ١٨٠٥ م) :

سافرت أنفار من الوجاقلية وغيرهم لملاقاة صالح آغا ، وصحبتهم طائفة من العسكر ، أرسلها محمد على باشا فى مركب لخفارته . وقد كانوا اتفقوا على سفر بعض المتعممين ، ثم بطل ذلك .

وأرسل السيد عمر أفندى باشجاويش والسيد عثمان البكرى وسلحدار محمد على والخواجة عمر الملطيلى وبكتاش وأحمد أودة باشا .

٥ منه (٣ يولية ١٨٠٥ م) :

اشيع وصول القابجى الى بولاق ليلا ، فخرج كثير من العامة لملاقاته أفواجا واصطفوا فى الأسواق للفرجة عليه ... واستمروا على ذلك الرج بطول النهار ولم يصل أحد . ثم تبين عدم وصوله ، وأنه وصل الى ثغر رشيد .

وفى ذلك اليوم ، وقت الشروق ، حصلت زلزلة عظيمة ، وارتجت الأرض نحو أربع رجات .

٦ منه (٤ يولية ١٨٠٥ م)

سافر جماعة من المتعممين وهم : السيد محمد الدواخلى ، وابن الشيخ الأمير ، والشيخ بدوى الهيثمى ، وابن الشيخ العروسى . واستمر الحال على ذلك اليوم ويوم الخمس والجمعة ، ولم يبطل رمى المدافع والبنب ليلا و نهارا فى غالب الأوقات ، ماعدا ليلة الجمعة ويومها الى العصر .

١١ منه (٩ يولية ١٨٠٥ م) :

وصل الخبر بوصول القابجى الى قليوب ، وأنه طلع الى بر فوة وسار من هناك . وحصر فى ذلك اليوم المشايخ الذين كانوا ذهبوا لملاقاته . فلما أشيع ذلك ، اجتمع الناس وطوائف العامة وخرجوا من آخر الليل ، وهم بالأسلحة والعدد والطبول ، الى خارج باب النصر . ووقفوا بالشوارع والسقائف للفرجة .. وكذلك النساء والصبيان ، وازدحموا ازدحاما زائدا . ووصل الأغا المذكور ، وصحبته سلحدار الوزير ، الى زاوية دمرداش ... ونزلا هناك . وعمل لهما اسماعيل الطوبجى الفطور ، فأكلاه وشربا القهوة وركبا ، وانجرت الطوائف والغوغاء من العامة وهم يضربون بالبنادق والقرابين والمدافع من أعلى سور باب النصر والفتوح . واستمر مرورهم نحو ثلاث ساعات .

وخرج كتخدا محمد على وأكابر الأرنؤود ، وطائفة من العسكر كبيرة والوجاقلية ، وكثير من الفقهاء العاملين رؤوس العصب ، وأهالى بولاق ومصر القديمة والنواحى ، والجهات مثل : أهل باب الشعرية ، والحسينية ، والعطوف ، وخط الخليفة ، والقرافتين ، والرميلة ، والحطابة ، والحبالة ، وكبيرهم حجاج الحضرى وبيده سيف مسلول ، وكذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وخلافه ، ومعهم طبول وزمور ... والمدافع والقنابر والبنبات نازلة من القلعة . فلم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الأزبكية ، فنزلوا ببيت محمد على باشا .

وحضر المشايخ والأعيان وقرأوا المرسوم الذى معه . ومضمونه الخطاب لمحمد على باشا والى جدة سابقا ، ووالى مصر حالا من ابتداء عشرين ربيع الأول (١٨ يونية ١٨٠٥) حيث رضى بذلك العلماء والرعية . وأن احمد باشا معزول عن مصر ، وأن يتوجه الى سكندرية بالاعزاز والاكرام حتى يأتيه الأمر بالتوجه الى بعض الولايات . وسكن صالح أغا القابجى المذكور ببيت الخواجا محمود حسن بالأزبكية ، وسكن السلحدار عند السيد محمد ابن المحروقى .

١٢ منه (١٠ يولية ١٨٠٥ م) :

ركب السيد عمر فى جمع كثير من العسكر من أولاد البلد والمغاربة والصعائدة والأتراك ، والكل بالأسلحة ، وذهب الى عند محمد على باشا وجلس عنده حصة ، وذهب الى القابجى وسلم عليه ، وذهب الى السلحدار أيضا وسلم عليه ورجع

وفيه : بطل الرمى من القلعة وكذلك أبطلوا الرمى عليها من الجبل والذنجزية ، مع بقاء المحاصرة

والمتاريس حول القلعة من الجهات ، ومنع الواصل اليهم ، واستمرار من بالجبل .

ويطلع اليهم فى كل يوم الجمال الحاملة للخبز وقرب الماء واللوازم . وأما الدلاة فاستقروا بمحلة أبى على ، وطلبوا الفرد والكلف من البلاد . ووصل محمد بيك الألفى الى دمنهور والبحيرة ، فتمنعوا عليه ، فحاصر البلد وضرب عليها ، وضربوا عليـه أياما كثيرة .

وفيه : وقع بباب الشعرية مناوشة بين العسكر وأولاد البلد بسبب سكن البيوت ، وكذلك جهة باب اللوق وبولاق ومصر القديمة ، وقتل بينهـم أنفار ، وقتل أيضا المتكلم بمصر القديمة . وحصلت زعجات فى الناس .

١٣ منه (١١ يولية ١٨٠٥ م) :

مر بعض أولاد البلد بجهة الخرنفش ، فضربه بعض عسكر «حجو» الساكن ببيت شاهين كاشف فقتله ، فثـار أهل الناحية وتضاربوا بالرصاص . واجتمع العسكر بتلك الناحية ودخلوا من حارة النصارى النافذة من بين السورين ، وصعدوا الى البيوت وثقبوا نقوبا ، وصـاروا يضربون على الناس من الطيقان .

واجتمع الناس وانزعجوا ، وبنوا متاريس عند رأس الخرنفش ومرجوش وناحية الباسطية برأس الدرب ، وتحاربوا وقتـل بينهم أشـخاص من الفريقين ونهب العسـكر عـدة دور ، وتسلقوا على بيت حسن بيك مملوك عثمان الحمامى الحكيم وذبحوه ، ونهبوا بيتـه الذى برأس الخرنفش ، وكذلك رجل زيات ، وعبـد صالح أغا الجلفى ، وحسن ابن كاتب الحردة .. وكانت واقعة شنيعة استمرت الى العصر .

وحضر الأغا وكتخدا محمـد على ، فلم تسكن الفتنة . وحضر أيضا اسماعيل الطبجى . ثم سـكن الحال بعد اضطراب شديد ، وبات الناس على ذلك.

وسبب هذه الحادثة : أن رجلا عسكريا اشترى من رجل خردجى ملاعق ثم ردها من الغـد ... فلم يرض وتسابا ، فضربه العسكرى ، فصاح الخردجى وقال : « مايحـل من الله ... يضرب النصرانى الشريف ! » . فاجتمع عليه الناس ، وقبضوا عليـه وسحبوه الى بيت النقيب . فلما قربوا من البيت ضربوه وقتلوه وأخرجوه الى تل البرقية ورمـوه هناك . فحصل بسبب ذلك ما ذكر .

وفيه : أرسلوا صورة المكاتبة الواردة مع صالح أغا الى الباشا فلم يمتثل وامتنع عن النزول وقال : « أنا متول بخطوط شريفة ، وأوامر منيفة ، ولا أنعزل بورقة مثل هذه » . وطلب الاجتماع بصالح أغا والسلحدار يخاطبهم مشافهة ، وينظر فى كلامهم وكيفية مجيئهم . فلم يرضـوا بطلوع المذكورين اليـه .

١٤ منه (١٢ يولية ١٨٠٥ م) :

وقع بين حجاج الخضرى والعسكر مقاتلة جهة طيلون ، وقتل بينهم أشخاص .

وفيه : تواترت الأخبار بقدوم الأمراء المصريين القبليين الى جهة مصر .

وفيه : اجتمع الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وغالب المتعممين وقالوا : « ايش هذا الحال ؟ وما



المشايخ

تداخلنا فى هذا الأمر والفتن ؟ » . واتفقوا أنهم يتباعدون عن الفتنة ، وينادون بالأمان ! وأن الناس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها ، وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ، ويتقيدون بقراءة الدروس ، وحضور الطلبة . وركبوا الى محمد علي وقالوا له : « أنت صرت حاكم البلدة ، والرعية ليس لهم مقارشة فى عزل الباشا ونزوله من القلعة ، وقد أتاك الأمر فنفذه كيف شئت » . وأخبروه بأمرهم. فأجابهم الى ذلك .

وركب الأغا ، وصحبته بعض المتعممين ، ونادوا فى المدينة : بالأمن والأمان ، والبيع والشراء ، وأن الناس يتركون حمل الأسلحة بالنهار . واذا وقع من بعض العسكر قباحة رفعوا أمره الى محمد علي ، وان كان من الرعية رفعوه الى بيت السيد عمر النقيب . واذا دخل الليل حملوا الأسلحة وسهروا فى أخطاطهم على العادة ، وتحفظوا على أماكنهم فلما سمع الناس ذلك أنكروه وقالوا : « ايش هذا الكلام ؟ حينئذ نصير طعمة للعسكر بالنهار وغفراء بالليل ! والله لانترك حمل أسلحتنا ولا نمتثل لهذا الكلام ، ولا هذه المناداة » .

ومر الأغا ببعض العامة المتسلحين فقبض عليهم ، وأخذ سلاحهم ، فازدادوا قهرا ، وباتوا على ذلك . واجتمعوا عند السيد عمر النقيب ، وراجعوه فى ذلك ، فاعتذر وأخبر بأن هذا الأمر على خلاف عن مراده !

١٥ منه (١٣ يولية ١٨٠٥ م)

حصل خسوف قمر كلي . وكان ابتداؤه من بعد العشاء الأخيرة بنصف ساعة ، وانجلى فى سابع ساعة ..

واصبح يوم الجمعة : فحضر عند السيد عمر كتخدا بيك وعابدى بيك فى جمع من العسكر ، وجلسوا عنده ساعة ، وذكروا له أن فى عصرها يرسلون الى الباشا الكائن بالقلعة ، ويجتمعون عليه بالنزول . فان أبى ... جدوا فى قتاله ومحاربته . وذكروا أنه ممالىء الأمراء القبالي ، وهو الذى أرسل بحضورهم ، ومطمعهم فى المملكة فلزم الاجتهاد فى انزاله من القلعة ، ثم يتفرغون لمحاربة القادمين ويخرجون اليهم بالعساكر . ثم قاموا من عنده وذهبوا الى بيت القاضي .

وحضر « حجو أغا » ، الذى كان يحارب بالخرنفش . فرجع صحبته كتخدا بيك عند السيد عمر ليأخذ بخاطره ، وصحبته طائفة من العسكر فوقفوا متفرقين ، ودخل منهم طائفة الى بيت الشيخ الشرقاوى وباقيهم بالشارع ، وتجمع حولهم أهالى البلد بالأسلحة . فاتفق بينهم انطلاق بندقية — اما خطأ أو قصدا — فهاجت الناس وماجت ، واجتمعوا من كل ناحية ، وخرج جاويشية النقابة الى نواحى الدائرة ينادون فى الناس ويقولون : « عليكم ببيت السيد عمر النقيب .. يامسلمين انجدوا اخوانكم ! » .

وحصلت من تلك البندقية التى انطلقت فزعة عظيمة وصاح السيد عمر على الناس من الشباك يأمرهم بالسكون والهجوع ... فلم يسمعوا له ، ونزل الى أسفل ووقف بباب داره يصيح بالناس ، فلا يزدادون الا خباطا ، وأقبلوا طوائف من كل جهة ، فصار يأمرهم بالمرور والخروج الى جهة باب البرقية . ولم يزالوا على ذلك الى بعد صلاة الجمعة حتى سكن الحال .

وأقام « حجو » والكتخدا حتى تغديا مع السيد عمر ، وركبا وذهبا .

ونودى فى عصر ذلك اليوم بالأمان ، وفتح الحوانيت ، والبيع والشراء ، ولا يرفعون معهم السلاح ، بل يجعلونه معهم فى حوانيتهم تحذرا من غدر العسكر . وفتحوا أبواب الأزهر .

١٦ منه (١٤ يولية ١٨٠٥ م) :

فتح الناس بعض الحوانيت . ونزل المشايخ الى الجامع الأزهر وقرأوا بعض الدروس ، ففترت همم الناس ورموا الأسلحة ، وأخذوا يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم اياهم . وشمخ عليهم العسكر وشرعوا فى أذيتهم ، وتعرضوا لقتلهم واضرارهم .

١٧ منه (١٥ يولية ١٨٠٥ م) :

قتلوا أشخاصا فى جهات متفرقة . وضج الناس وأغلقوا الدكاكين ، وكثرت شكاويهم . وأقلقوا السيد عمر النقيب وهو يعتذر اليهم ويقول لهم : « اذهبوا الى الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير فهما اللذان أمرا الناس برمى السلاح » . فلما زادت الشكوى نادوا فى الناس بالعود الى حمل السلاح والتحذر .

وفيه : وصل الأمراء القبليون الى قرب الجيزة ، وعدى منهم طائفة الى البر الشرقى جهة دير الطين والبساتين وهم : عباس بيك ، ومحمد بيك المنفوخ ، ورشوان كاشف ، وهدموا قلاع طرا وساووها بالأرض .

١٨ منه (١٦ يولية ١٨٠٥ م) :

ركب محمد على وخرج الى جهة مصر القديمة ، وصحبته حسن باشا وأخوه عابدى بيك ، فنزل بقصر بلفيه ، وأقاموا الى العصر وخرج كثير من العسكر الى ناحية مصر القديمة ثم ركب محمد على وحسن باشا وأخوه فى آخر النهار ، وساقوا الى جهة البساتين ومعهم العساكر أفواجا . فلما قربوا من الأمراء المصريين تقهقروا الى خلف ، ورجعوا الى جهة قبلى . وقيل عدوا الى بر الجيزة ، وانضم اليهم على باشا الذى بالجيزة . واستمر محمد على ومن معه بمصر القديمة ، وتراموا بالمدافع .

١٩ منه (١٧ يولية ١٨٠٥ م) :

حضر أيضا جماعة من القبليين الى الجيزة ، وتراموا بالمدافع والبنب من البرين ، ذلك اليوم وليلة الأربعاء .

وفيه : عدى طائفة الدلاة الكائنين بالبر الغربى ، وانضم اليهم المقيمون بجزيرة بدران ، وحضروا الى بولاق وهجموا على البيوت ، وأخرجوا سكانها قهرا عنهم ، وأزعجوهم من أوطانهم وسكنوها ، وربطوا خيولهم بخانات التجار ووكالة الزيت . فحضر الكثير من أهالى بولاق الى بيت السيد عمر ، وتظلموا وتشكوا . فأرسل الى كتخدا بيك يمنعهم من ذلك ، فلم يمتنعوا واستمروا على فعلهم وقبائحهم !

وفيه : طلب محمد على باشا دراهم سلفة من النصارى والتجار ، وقرروا فردة على البلاد والبنادر ، وهى أول طلبة طلبها بعد رآسته

وفيه : أرسلوا بنائين وخمسمائة فاعل لبناء ما تهدم من حصون طرا .

٢١ منه (١٩ يولية ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار بوصول قبطان باشا الى ثغر سكندرية وأبى قير ، وصحبته مراكب كثيرة لايعلم المرسلون أخبار من بها . فاجتمع المشايخ واتفقوا على كتابة عرضحال يرسلونه اليه مع بعض المتعممين ، ثم اختلفت آراؤهم فى ذلك !

٢٥ منه (٢٣ يولية ١٨٠٥ م) :

ورد الخبر بورود سلحدار قبطان المذكور الى شلقان . فأعرضوا عن ذلك .

وفيه : وقع بين طائفة من العسكر الكائنين ببولاق وأهل البلد مناوشة ، بسبب نقب البيوت . وقتل بينهم أنفار ، واستظهر عليهم أهل بولاق .

٢٦ منه (٢٤ يولية ١٨٠٥ م)

وصل السلحدار الى بولاق ، وركب من هناك الى المكان الذى أعد له ، وصحبته مكاتبة الى أحمد باشا المخلوع . ومضمونها : الأمر بالنزول من القلعة ساعة وصول الجواب اليه من غير تأخير، وحضوره الى الاسكندرية . وجواب آخر الى محمد على بابقائه فى القائمقامية حيث ارتضاه الكافة والعلماء ، والوصية بالسلوك والرفق بالرعية .. والكلام المحفوظ المعتاد الذى لا أصل له ! وأن يقلد من قبله باشا على عسكر يعين ارساله الى البلاد الحجازية ، ويشهل له جميع احتياجاته من الجبخانة وسائر الاحتياجات واللوازم فأرسلوا الى أحمد باشا المخلوع بجوابه فقال : « حتى يطلع الى السلحدار الواصل ويخاطبنى مشافهة » .

٢٧ منه (٢٥ يولية ١٨٠٥ م) :

قبض المحافظون على خيال مقبل من جهة مصر القديمة يريد الطلوع الى القلعة من آخر النهار ، ووجدوا معه أوراقا . فأخذوه الى محمد على باشا فوجدوا فى ضمنها خطابا الى الباشا المخلوع مر على باشا وياسين بيك الكائنين بالجيزة ، مضمونها : « أنه فى صبح يوم الجمعة نطلق من الجيزة سبعة سواريخ تكون اشارة بيننا وبينكم ، فعندما ترونها .. تضربون بالمدافع والبنب على بيت محمد على ، ونحن نعدى الى مصر القديمة ، ويصل البرديسى من خلف الجبل الى جهة العادلية . ويأتى باقى المصريين من ناحية طرا ، ويقوم من بالبلدة على من فيها فيشغلون الجهات ويتم المرام بذلك » .

فلما اطلع محمد على على ذلك — وكان القاضى حاضرا عنده — اشتد غيظه على ذلك الرجل ، ووجده من الأكراد .. فاستجار بالقاضى . فلم يجره ، وأمر به ، فأخذوه وقتلوه ، ورموه ببركة الأزبكيــة .

٢٨ منه (٢٦ يولية ١٨٠٥ م) :

أحضروا سبعة رؤوس وعلقوها على السبيل المواجه لباب زويلة . ذكروا أنها من ناحية دمنهور، وعلى أحدها ورقة مكتوبة أنها رأس شاهين بيك الألفى ، وأخرى سلحداره ، وهى متغيرة جدا ومحشوة تبنا ، ولا يظهر لها خلق ، ولم يكن لذلك صحة .

وفيه : أخبر الاخباريون بأن الألفى ارتحل من دمنهور ، ولم ينل منها غرضه ، وأنه كبس على سليمان كاشف البواب ونهب مامعه ، وقيل انه قتل وفى رواية وقع الى البحر ، وهرب باقى أتباعه الى جهة المنوفية فى أسوأ حال ، وأخذ منه شيئا كثيرا .. وهو ما جمعه فى هذه السرحة ، وذلك خلاف ما جمعه فى العام الماضى عندما كان كاشفا بمنوف .. ومن ذلك أنه لما قتل موسى خالد ، أخذ منه مالا كثيرا ، وذلك خلاف ما دل عليه من خباياه

وفيه : طلع السلحدار المذكور وصحبته صالح أغا القابجى ، الذى وصل قبله الى القلعة ، واجتمع بأحمد باشا المخلوع وتكلما معه . فقال : « أنا لست بعاص ولا مخالف للأوامر ، وانما لصالح أغا وعمر أغا علائف نحو خمسمائة كيس باقية ، ولم يبق عندى شىء سوى ما على جسدى من الثياب . وقد أخذ العسكر المحاربون موجوداتى جميعا . فاذا طيبتم خواطرهما نزلت فى الحال » . فنزلا بذلك الجواب ، ثم ترددوا فى الكلام والعقد والابرام . ولم يحسن السكوت على شىء .

وفيه : وصل الأمراء القبالى الى حلوان . وعلى بيك أيوب دخل الى الجيزة صحبة من بها ، وسليمان بيك خارجها .

٢٩ منه (٢٧ يولية ١٨٠٥ م):

عدى ياسين بيك من الجيـزة الى متاريس الروضة — ولم يكن بها سوى الطبجية — فطلعوا اليهم وقبضوا على بعضهم، وأخذوا منهم ثلاثة مدافع، وسدوا فالية المدفع الكبير، وآخر رموه الى البحر. فثارت رجة بمصر القديمة والروضة، وضربوا بالمدافع والرصاص.

ورجع الواصلون من الجيـزة الى أماكنهم. وحضر الألفى الى جهة الطرانة.

وفيه: حضر صالح أغا القابجى الى السيد عمر النقيب، وأخبره أنهم تواعدوا مع أحمد باشا فى عصر غد من يوم السبت: اما أن ينزل، أو يستمر على عصيانه.

فلما كان يوم السبت — فى الميعاد — أفرجوا عن ضعفاء الرعية الكائنين بالقلعة، وكذلك النساء. بعدما أخذوا ما معهم من الأمتعة والثياب، وأبقوا عندهم الشبان والأقوياء للمعاونة فى الأشـغال. وأظهروا المخالفة وامتنعوا من النزول، وباتوا على ذلك. وكثر اللغط فى الناس .. وانقضى شهر ربيع الثانى على ذلك.

جمـادى الأولى

الاحد غرته (٢٨ يولية ١٨٠٥ م)

ضربوا ثلاثة مدافع من القلعة وقت الشروق. وكأنها اشارة وعلامة لأصحابهم.

الاثنين ٢ منه (٢٩ يولية ١٨٠٥ م):

سبح جماعة من الجيزة الى جهة انبابة. وكان ببولاق طائفة من العسكر يترامحون بجهة ديوان العشور، فضربوا عليهم مدافع، فحصل ببـولاق ضجة. وركب محمد على باشـا أواخر النهار وذهب الى بولاق، ونزل ببيت عمربيك الأرنؤودى ووصب جملة من العسكر، وعدوا ليـلا وطلعوا ناحية بشـتيل، وحضروا الى جهـة البـابة يوم الثلاثاء، وتحاربوا مع من بها حتى أجلوهم عنها. وعملوا هناك متاريس فى مقابلتهم. واستمروا على ذلك يتضاربون بالمدافع.

السبت ٧ منه (٣ اغسطس ١٨٠٥ م):

طلع بشير أغا القابجى وصالح أغا السلحدار الى القلعة، وتكلموا مع أحمد باشا ومن معه. وقد كانت وردت مكاتبات من قبطان باشا فى أمر أحمد باشا .. ثم نزلوا، وصحبتهم كتخدا أحمد باشا، الى بيت سعيد أغا الوكيل، وركبوا معه الى بيت محمد على باشا، واختلوا مع بعضهم. ثم طلع صالح أغا وأربعة من عظمائهم .. ثم نزلوا .. ثم طلعوا، وترددوا فى الذهاب والاياب ومراودة الخطـاب. وبات الكتخدا أسفل، وطلب القلعاويون شروطا وعلائفهم الماضية وغير ذلك. وانتهى الكلام بينهم على نزول أحمد باشـا المخلوع فى يوم الاثنين وتسليم القلعة والجبخانة.

الاثنين ٩ منه (٥ اغسطس ١٨٠٥ م):

طلبوا جمالا لحمل أثقالهم. فأرسلوا الى السيد عمر، فجمع لهم من جمال الشواغرية مائتى جمل. فنقلوا عليها متاعهم وفرشهم. وأنزل الباشا حريمه الى بيت مصـطفى أغا الوكيل، ونزل كثير من عساكرهم وخدمهم، وهم متغيرو الصور، وذهب أكثرهم بعزالهم الى بولاق. ونهبوا بيوت الرعايا التى بالقلعة، وأخذوا ما وجدوه فيها من المتاع. وطلع حسن أغا سرششمه بجملة من العسكر الى القلعة. وانقضى ذلك اليـوم ولم ينقض نزولهم. وحضر الوالى أيضا وقت العشاء الى بيت السيد عمر وطلب خمسين جملا .. فلم يتيسر الا بعضها!

الثلاثاء ١٠ منه (٦ اغسطس ١٨٠٥ م):

أنزلوا باقى متاعهـم. ونزل الباشـا المخلوع

من باب الجبل فى رابع ساعة من النهار علـى جهة باب النصر ، ومر من خارجه الى جهة الخروبى . وذهب الى بولاق ، وصـحبته كتخـدا محمـد على باشا ، وعمر بيك ، وصالح أغا قوش . وأنزل صحبته مدافع تعوق بعضها عند الذنجزية لضعف الاكاديش . ومـسكن ببيت السـيد عمر النقيب . وسكن صالح أغا ببيت شيخ السادات وذلك عاشر جمادى الأولى .

واطمأن النـاس بعض الاطمئنـان مـع بقاء التحـرز وأرسـل السـيد عمر فنـادى تلك الليلة باستمرار الناس على التحرز والسهر وضبط الجهات ... فان القوم لا أمان لهم ، وانحشروا فى داخل المدينـة والوكائل والبيـوت ، ولا يتركون قبائحهم .

وأما الأمراء المصرلية ، فانهم وصـلوا الى التبين ، واجتمعوا هناك ، ماعدا على بيـك أيوب وسليمان بيك وعباس بيك ، فانهم بالجيزة مع على باشا وياسين بيك . وأما الدالاتية الأنجاس فانهم مستمرون على نهب البلاد وسلب الأموال وأذية العبـاد . ونهبـوا كاشف الغربية وهجموا على سمنود — وهى مدينة عظيمة — فنهبوا بيوتها وأسواقها ، وأخذوا ما فيها من الودائع والأموال وسبوا النساء ! وفعلوا فعـالا شنيعة تقشعر منها الأبدان ، ثم انتقلوا الى المحـلة الكبرى .. وهم الآن بها .

وأما محمد بيك الألفى فانه حاصر دمنهور مدة مديدة ، فلم يتمكن منها ، ثم ارتحل عنهـا ورجع مقبلا ووصل الى ناحية الطرانة . وأما قبطان باشا فانه لم يزل مقيما على ساحة أبى قير .

الخميس ١٢ منه (٨ اغسطس ١٨٠٥ م) :

وصـلت الأخبـار بذهاب قبطان باشـا الى سكندرية .

الأحد ١٥ منه (١١ اغسطس ١٨٠٥ م) :

نزل أحمـد باشـا المخلوع الى المراكب من بولاق ، وسافر الى جهة بحرى بعيـاله وأتبـاعه المختصين به ، وتخلف عنـه كتخـداه وعمر بيك وصالح قوش والدفتردار وكثير من آتباعه ، ولم يسهل بهم مفارقة أرض مصر وغنائمها .. مع أنهم مجتهدون فى خرابها !

وفيـه : وصل الألفى الكبير والصـغير الى بر الجيزة .

الاثنين ١٦ منه (١٢ اغسطس ١٨٠٥ م)

اتفق جماعة من الأرنؤود وقصدوا الذهاب الى بر الجيزة ، فوصل خبرهم الى محمد على باشا ، فأرسل اليهم عسكرا ، ومعهم حجو ، فلحقهم عند المعادى بحرى بولاق ، فقتلوا منهم نحو العشرين وهرب باقيهم وتفرقوا .

وفيه : بنى حجاج الخضرى حائطا وبوابة على الرميلة عند عرصات الغلة .

الأربعاء ١٨ منه (١٤ أغسطس ١٨٠٥ م) :

قبض محمد على باشا على جرجس الجوهرى ومعه جماعة من الأقباط ، فحبسهم ببيت كتخداه ، وطلب حسابه من ابتداء سنة خمس عشرة ، وأحضر المعلم غالى الذى كان كاتب الألفى بالصعيد وألبسه منصبه فى رآسة الأقباط ، وكذلك خلع على السيد محمد بن المحروقى خلع الاستمرار على ما كان عليه آبوه من أمانة الضربخانة وغيرها .

وفى تلك الليلة : قتـل شخص كبير بيكباشى تحت بيت الباشـا بالأزبكيـة ، وضربوا لمـوته مدفعا ... وذلك لأمر نقموه عليه .

وفيه : سافر كتخـدا بيك الى جهة المنوفية ، وقبض على كاشفها ، وأخذ مامعه من الأموال التى

جمعها من منهوبات البلاد ، ودل على ودائعه وأخذها أيضا .. ووجد له غلالا كثيرة ومواشى وغير ذلك .

الجمعة ٢٠ منه (١٦ اغسطس ١٨٠٥ م — ١١ مسرى ١٥٢١ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك . وأشيع فى ذلك اليوم وصول فرقة من الأمراء المصريين من خلف الجبل . وبات الناس مستعدين للفرجة على موسم الخليج على العادة . فأمر الباشا باخراج الخيام والنظام الى ناحية الجسر وعمل الحراقة ، ثم أمر بكسر السد ليلا . فما طلع النهار الا والماء يجرى فى الخليج ، ولم يذهب الباشا ولا القاضى ولا أحد من الناس ، ولم يشعروا بذلك .

وكان قد بلغه ورود الأمراء ، فتأخر عن الخروج ... وهم ظنوا خروجه مع العسكر الى خارج المدينة .

وفى وقت الشروق من ذلك اليوم : وصل طائفة من الأمراء الى ناحية المذبح ، وكسروا بوابة الحسينية ، ودخلوا من باب الفتوح فى كبكبة عظيمة وخلفهم نقاقير كثيرة وجمال وأحمال ، فشقوا من بين القصرين حتى وصلوا الى الأشرفية . وشخص لهم الناس ، وضجوا بالسلام عليهم وبقولهم : « نهار مبارك وسعيد .. والحمد لله على السلامة » . وشخص الناس وبهتوا وخمنوا التخامين . فلما وصلوا عطفة الخراطين افترقوا فرقتين ... فدخل عثمان بيك حسن وشاهين بيك المرادى وأحمد كاشف سليم وعباس بك وغيرهم : كشاف وأجناد ومماليك وعبيد كثيرة نحو الألف ، وخلف كل طائفة نقاقير وهجن ، وبأيديهم البنادق والسيوف والأسلحة . ومروا بالجامع الأزهر ، وذهبوا الى بيت السيد عمر والشيخ الشرقاوى . فامتنع السيد عمر من مقابلتهم ... فدخلوا الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وحضر عندهم السيد عمر . فطلبوا منهم النجدة وقيام الرعية . فقالوا لهم : « هذا لا يصح ، ولم يكن بيننا وبينكم موعد ولا استعداد ، والأولى ذهابكم والا أحاطت بنا وبكم العساكر وقتلونا معكم » .

فعند ذلك ركبوا وخرجوا من باب البرقية ، وبعد خروجهم حضر فى أثرهم حسن بيك الأرنؤودى فى عدة وافرة من العسكر ، وهم مشاة ، وخرج خلفهم فوجدهم خرجوا الى الخلاء ، فرجع على أثره .

وأما الفرقة الأخرى ، فانهم وصلوا الى باب زويلة ، وتقدموا قليلا الى جهة الدرب الأحمر . فضرب عليهم العسكر الساكنون هناك بالرصاص ، فرجعوا القهقرى الى داخل باب زويلة ، وأرادوا الدخول الى جامع المؤيد والكرنكة بتلك الناحية . فضرب عليهم المغاربة والمرابطون هناك ، فأصيب منهم أشخاص ... وقوى جاش العسكر الذين جهة الدرب الأحمر لما سمعوا ضرب الرصاص ،



عطفة الخرنفش

وتنبه غيرهم أيضا ، واجتمعوا لمعاونتهم ، وانصرع منهم ثلاثة أشخاص وقعوا الى الأرض .

فلما عاينوا ذلك ، ولوا الأدبار . وتبعهم العسكر يضربون فى أقفيتهم ، فلم يزالوا فى سيرهم الى النحاسين .. وقد أغلق الناس بوابة الكعكيين ، وكذلك بوابة الحراطين ، وبوابة البندقانيين .

وكان « حجو » الساكن بالخرنفش عندما سمع بدخولهم لحقه الفزع والخوف ، فخرج من بيته بعسكره يريد الفرار ! وخرج من عطفة الخرنفش وذهب الى جهة باب النصر لظنه أنه لايمكنه الخروج من باب الفتوح الذى دخلوا منه ... فلما وصل الى باب النصر وجده مغلقا ، وامتنع المرابطون عليه من فتحه . فعاد على أثره وذهب الى باب الفتوح ، فلم يجد به أحدا ، فاطمأن حينئذ وعلم سوء رأيهم فأغلقه وأجلس عنده جماعة من أتباعه .

ورجع على أثره الى جهة بين القصرين ، فصادف ادبار الجماعة والعسكر فى أقفيتهم بالرصاص ، فعندذلك قوى جأشه وضرب فى وجوههم هو ومن معه من العسكر . فاختبل القوم وسقط فى أيديهم ، وعلموا أنه قد أحيط بهم ، فنزلوا عن خيولهم ، ودخل منهم جماعة كثيرة جامع البرقوقية ، وذهب منهم طائفة كبيرة بخيولهم نحو المائة الى جهة باب النصر فوجدوه مغلقا ، فنزلوا أيضا عن خيولهم ودخلوا المطوف ، ونطوا من السور الى الخلاء ، وتفرق منهم جماعة اختفوا فى الجهات وبعض الوكائل والبيوت .

ولما انحصر الذين دخلوا جامع البرقوقية وأغلقوا على أنفسهم الباب... احتاطت بهم العسكر وأحرقوا الباب ، وتسور أيضا عليهم جماعة من العطفة التى بظاهر البرقوقية ، وقبضوا عليهم ، وعروهم ثيابهم وأخذوا مامعهم من الذهب والنقود والأسلحة المثمنة ، وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل الأغنام ، وسحبوا نحو ذلك العدد بالحياة عرايا مكشوفو الرأس ، حفاة الأقدام ، [illegible] الأيدى .. يضربونهم ويصفعونهم على أ[illegible] ووجوههم ، ويسبونهم ويشتمونهم ويسحبو[illegible] وجوههم حتى ذهبوا بهم وبرؤوس القتلى [illegible] الباشا بالأزبكية ... وكان قداستعد للفرار [illegible] فى أمره ، ونزل الى أسفل يريد الركوب [illegible] بالعسكر داخلون عليه ومعهم الرءوس و[illegible] فى أيديهم . فعند ذلك سكن جأشه ، وامتلأ [illegible]

ولما مثل بين يديه أحمد بيك — تابع ال[illegible] الذى كان أميرا بدمياط — وحسن شب[illegible] معهما ، قال لأحمد بيك : « ياأحمد بيك [illegible] فى الشرك » . فطلب ماء ، فحلّوا كتافه ، و[illegible] بماء يشرب ، فنظر لمن حوله وخطف يطق[illegible] وسط بعض الواقفين ، وهاج فيهم وأراد قتل[illegible] على باشا ، وقتل أنفارا . فقام الباشا وهر[illegible] فوق ! وتكاثروا عليه وقتلوه ، ووضعوا باقى[illegible] فى جنازير ، وفى أرجلهم القيود ، ور[illegible] بالحوش ، وهم على الحالة التى حضروا [illegible] العرى والحقارة والذلة .

السبت ٢١ منه (١٧ اغسطس ١٨٠٥ م) :

أحضروا الجزارين وأمروهم بسلخ الرؤ[illegible] يدى المعتقلين .. وهم ينظرون الى ذلك ، وأ[illegible] جماعة من الاسكافية فحشوها تبنا وخيطو[illegible]

الاثنين ٢٣ منه (١٩ اغسطس ١٨٠٥ م)

خرج عابدى بيك بعساكر الأرنؤود برا[illegible] الى جهة طرا ، فالتقى مع من بها من المصر[illegible] وكان بها ابراهيم بيك الكبير وابنه مرزو[illegible] وأمراؤهم — فقتل من عسكر الأرنؤود [illegible] كبيرة ، وولوا منهزمين ، وحضروا الى مصر ، [illegible] من مراكبهم مركبان فى ليلة الثلاثاء .

الثلاثاء ٢٤ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٥ م) :

قتلوا المتقلين ماعدا حسن شبكة ومعه اثنان . قيل انهم عملوا على أنفسهم ثلثمائة كيس فأبقوهما . وقتلوا الباقى قتلا شنيعا ، وعذبوهم فى القتل من أول الليل الى آخره ، ثم قطعوا رءوسهم ، وحشوها تبنا ، ووسقوها فى مركب وأرسلوها الى سكندرية — وعدتهم ثلاثة وثمانون رأسا — وفيهم من غير جنسهم ، وأناس جربجية ملتزمون ، واختيارية التجأوا اليهم ورافقوهم فى الحضور وبعثوا من يوصلهم الى اسلامبول ، وكتبوا فى المراسلة أنهم حاربوهم وقاتلوهم ، وحاصروهم حتى أفنوهم واستأصلوهم ولم يبقوا منهم باقية ... وهذه الرؤوس رؤوس أعيانهم وأكابرهم . فكان عدة من قتل فى هذه الحادثة من المعروفين المنصبين : مراد بيك تابع عثمان بيك حسن ، وقبطان بيك تابع البردسى ، وسليم بيك الغربية ، وأحمد بيك الدمياطى ، وعلى بيك تابع خليل بيك ، ونحو الخمسة والعشرين من مماليكهم وأتباعهم .

ونجا حسن بيك شبكة واثنان معه دون أتباعه ، وباقيهم أشخاص مجهولة . وفيهم فرنساوية وأرنؤودية .. ولم يتفق للأمراء المصرية أقبح ولا أشنع من هذه الحادثة ، وربط الله على قلوبهم ، وأعمى أبصارهم ، وغل أيديهم !

الاربعاء ٢٥ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٥ م) :

حضرت طائفة الدلاة الى ناحية الخانكة ، بعدما طافوا اقليم الغربية والمنوفية والشرقية والدقهلية ، وفعلوا أفعالا شنيعة من النهب والسلب والقتل والأسر والفسق .. ومالا يسطر ولا يذكر . ولا يمكن الاحاطة ببعضه !

وفيه : أفرجوا عن جرجس الجوهرى ومن معه على أربعة آلاف وثمانمائة كيس ، وأن يبقى على حاله . فشرع فى توزيعها على باقى الأقباط وعلى نفسه ، وعلى كبرائهم وصيارفهم ، ماعدا فلتيوس وغالى ، وحولت عليه التحاويل ، وحصل لهم كرب شديد ، وضج فقراؤهم واستغاثوا .

الجمعة ٢٧ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠٥ م) :

خرج عدة كبيرة من العسكر الى ناحية الشرق لمحاربة الدلاة ... وأميرهم عمر بيك — تابع عثمان بيك الأشقر — ومحمد بيك المبدول ، وكثير من الأجناد المصرية ، وحسن باشا الأرنؤودى .

السبت ٢٨ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠٥ م) :

رجع القرابة المشاة ، وذهب الخيالة خلفهم متباعدين عنهم بمرحلة . فكان شأنهم : أن الدلاة المذكورين اذا وردوا قرية نهبوها وأخذوا ماوجدوه فيها ، وأخذوا الأولاد والبنات وارتحلوا .. فيأتى خلفهم العرب التابعون خلفهم ، فيطلبون الكلف والعليق ، وينهبون أيضا ما أمكنهم ، ثم يرتحلون أيضا خلفهم ... فتنزل بعدهم التجريدة ، فيفعلون أقبح من الفريقين من النهب والسلب .. حتى ثياب النساء . وأخذ الدلاة من عرب العائد خمسمائة جمل ، وذهبوا على طريق رأس الوادى !

وفيه : ورد الحبر بوصول كتخدا بيك الى منوف ، وقبض على كاشفها وأخذ منه ماجمعه ، ثم انه فرد على البلاد التى وجد بها بعض العمار أموالا من الف ريال فازيد ، وحصر ذلك فى قائمة — وهى نحو الستين بلدا — وأرسل يستأذن فى ذلك ويطلب عدم الرفع عن شىء منها ليحصل قدرا يستعان به على علائف العسكر وجماكيهم .. وليكمل خراب الاقليم . وانقضى شهر جمادى الأولى .

٢ منه (٢٨ اغسطس ١٨٠٥ م) :

وصل ولدا محمد على باشا الى ساحل بولاق ، فركب أغوات الباشا واستقبلوهما وأحضروهما الى الأزبكية ، وعملوا لهما شنكا تلك الليلة .

٣ منه (٢٩ اغسطس ١٨٠٥ م) :

طلع محمد على باشا الى القلعة ، وأجلس ابنه الكبير بها . وضربوا له فى ذلك الوقت مدافع .

٤ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠٥ م) :

رجع عابدى بيك ومن بصحبته من المصرلية من جهة الشرق ، وقد وصلوا خلف الدلاة الى حد العائد ثم رجعوا . وذهب الدلاة الى جهة الشام بما معهم من المال والغنائم والجمال والأحمال — وعدتها أكثر من أربعة آلاف جمل — وما نهبوه من البلاد ، وأسروه من النساء والصبيان وغير ذلك .

وكانوا من نقمة الله على خلقه . ولم يحصل من مجيئهم وذهابهم الا زيادة الضرر . ولم يحصل للباشا المخلوع الذى استدعاهم لنصرته الا الخذلان . وكان فى عزمه وظنه أنهم يصيرون أعوانه وأنصاره ويستعين بهم وبطائفة الينكجرية ، على ازالة الطائفة الأخرى ... فانتحس بقدومهم ، وأورثه الله ذلهم . وتخلوا عنه وخذلوه ، وضاع عليه ماصرفه عليهم .. فى استدعائهم ، وملاقاتهم ، وخلعهم ، وتقدماتهم ومصارفهم وعلائفهم ، وخرجهم . ولم ينفعوه بنافعة .. بل كانوا من الضرر الصرف عليه وعلى الاقليم

وكان كلما خوطب أو عوتب فى أمر أو فعل يقول : « اصبروا حتى تأتى الدالاتية ، ويحصل بعد ذلك النظام » . فلم يحصل بوصولهم الا الفساد العام . وانتقضت دولته ، وانعكست قضيته !

وفيه : شرعوا فى عمل دفتر فردة على البلاد التى بقى فيها بعض الرمق !

٥ منه (٣١ اغسطس ١٨٠٥ م) :

حضر كتخدا بيك ليلا ، وأشار بابطال ذلك الدفتر لما فيه من الاشاعة والشناعة ، واتفق مع الباشا والمتكلمين أنه يفعل ذلك باجتهاده ورأيه ، ورجع فى تلك الليلة وشرع فى التحصيل مع الجور والعسف الزائد كما هو شأنهم .

وفيه : سافر أيضا جانم أفندى الدفتردار ، وسافر صحبته قابجى باشا الأسود ، المسمى بشير أغا .

وفيه : سافر بعض كبرائهم الى جهة السويس ليأتى بالمحمل .

١٢ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٥ م)

ورد أحمد أفندى من سكندرية — وهو الذى كان أتى بالدفترداريه فى العام السابق ، ومنعه أحمد باشا خورشيد من الورود ، وكتبوا فى شأنه عرضحال من المشايخ والوجاقلية لمنعه وابقاء جانم أفندى ، واستمر بالاسكندرية الى هذا الوقت — وحضر الآن بمراسلة من قبطان باشا ، وأحضر صحبته تقريرا لسعيد أغا على الوكالة ، وابقائه على ماهو عليه ، ونظر الخاصكية لسليمان أغا حافظ .

١٤ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

تغيب جرجس الجوهرى . فيقال انه هرب .. ولم يظهر خبره . وطلب محمد على فلتيوس وغالي وجرجس الطويل .

١٥ منه (١٠ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

حضر محمد كتخدا الألفى بجواب من مخدومه .

وقابل محمد على باشا ، وذهب الى بيته لقضاء أشغاله .

وفيه : وصلت القافلة والمحمل . وأراد الباشا نهب قافلة التجار . فصالحوا على أحمالهم بألف كيس . ودخل المحمل فى ذلك اليوم صحبة المسفر .

وفيه : طلب الباشا حسن أغا نجاتى المحتسب والأمير ابراهيم الرزاز ، وطلب أن يقلد حسن أغا كتخدا الحج ، والأمير ابراهيم دويدار ... بشرط أن يكلفا أنفسهما من مالهما . فاعتذرا بعدم قدرتهما على ذلك . فحبسهما وطلب من كل واحد منهما خمسمائة كيس ، وعزل حسن أغا ، وقلد عوضه آخر يسمى قاضى أوغلى على الحسبة .

١٦ منه (١١ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

ظهر الخبر عن جرجس الجوهرى بأنه ركب من دير مصر العتيقة ، وذهب الى الأمراء المصرلية بناحية التبين .

١٧ منه (١٢ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

توفى الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية .

١٩ منه (١٤ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

توفى حسن أفندى ابن عثمان الأماحى الخطاط .

وفيه : قلدوا على جلبى ابن أحمد كتخدا ، على كشوفية القليوبية . ولبس القفطان ، وركب بالملازمين .

وفيه : سافر محمد كتخدا الألفى عائدا الى مخدومه ، وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودى .

٢٠ منه (١٥ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

تقلد الحسبة شخص يقال له عبد الله قاضى أوغلى ، وكذلك تقلد قبله بأيام ابراهيم الحسينى الزعامة ، وهو حليق اللحية ، وتقلد محمد من مماليك اسمعيل بيك — ويعرف بالألفى ، وهو زوج هانم ابنة بنت اسمعيل بيك — أغاوية مستحفظان .

وفيه : أفرجوا عن حسن أغا المحتسب وابراهيم الرزاز . وقرروا على الأول خمسة وستين كيسا ، وعلى الثانى خمسة عشر كيسا ... يقومان بدفعها .

وفيه : أنزلوا قوائم على البلاد والحصص التى كانت تحت التزام جرجس الجوهرى ... الى المزاد ، فاشتراها القادرون والراغبون .

٢١ منه (١٦ سبتمبر ١٨٠٥ م)

قلدوا ياسين بيك كشوفية بنى سويف والفيوم ، وكذلك لبسوا كاشفا على منفلوط وغيرها .

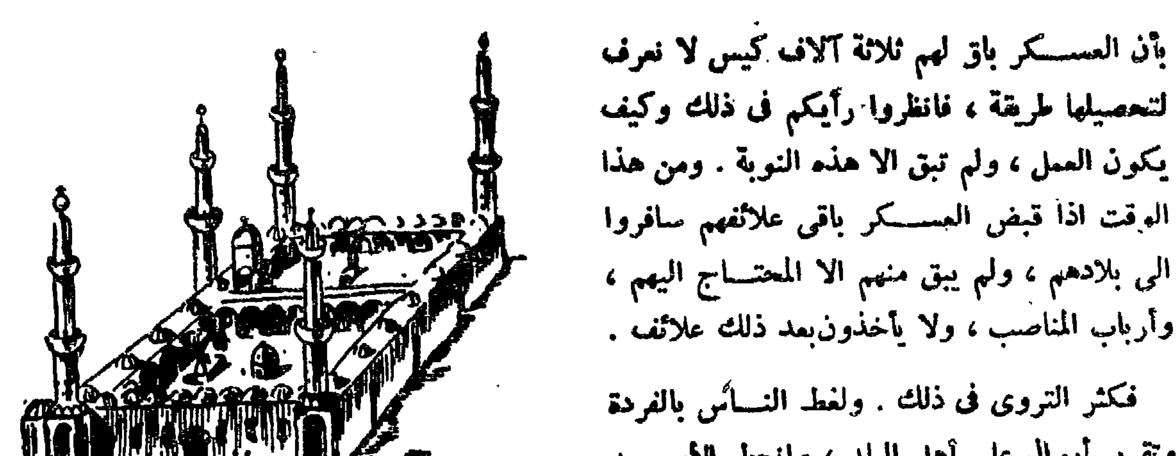
اواخره (أواخر سبتمبر ١٨٠٥ م) :

حضر محمد ، كتخدا الألفى ، والسلحدار ، وذكرا مطلوبات الألفى . وهو أنه يطلب كشوفية الفيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة ، ومائتى بلد التزام ، وأنه يأتى الى الجيزة ويقيم بها ، ويكون تحت طاعة محمد على باشا .. وتشاوروا فى ذلك أياما .

وأما باقى الأمراء المصرليين ، فانهم إنتقلوا من مكانهم ، وترفعوا الى جهة قبلى بناحية بياضة ثم اتفق الرأى على أن يعطوهم من فوق جرجا ، وينزل بها الحاكم المولى عليها من العثمانية . وأن المصريين القبالى اقتسموا بينهم البلاد ، ويقومون بدفع المال والغلال الميرية ... وكل ذلك لا أصل له ولا حقيقة من الطرفين . وكتبوا للألفى مكاتبات بذلك ، وأن يكون فى ضمنهم .

وفى اواخره ايضا :

احتاج أيضا محمد على باشا الى باقى علوفة العسكر . فتكلم مع المشايخ فى ذلك ، وأخبرهم



بأن العسكر باق لهم ثلاثة آلاف كيس لا نعرف لتحصيلها طريقة ، فانظروا رأيكم فى ذلك وكيف يكون العمل ، ولم تبق الا هذه النوبة . ومن هذا الوقت اذا قبض العسكر باقى علائفهم سافروا الى بلادهم ، ولم يبق منهم الا المحتاج اليهم ، وأرباب المناصب ، ولا يأخذون بعد ذلك علائف .

فكثر التروى فى ذلك . ولغط الناس بالفردة وتقرير أموال على أهل البلد ، وانحط الأمر بعد ذلك على قبض ثلث الفائظ من الحصص والالتزام . فضج الناس وقالوا : « هذه تصير عادة .. ولم يبق للناس معايش » . فقال : « نكتب فرمانا ونلتزم بعدم عود ذلك ثانيا ونرقم فيه : لعن الله من يفعلها مرة أخرى ! » ، ونحو ذلك من التمويهات الكاذبة . الى أن رضى الناس ، واستقر أمرها ، وشرعوا فى تحريرها وطلبها .



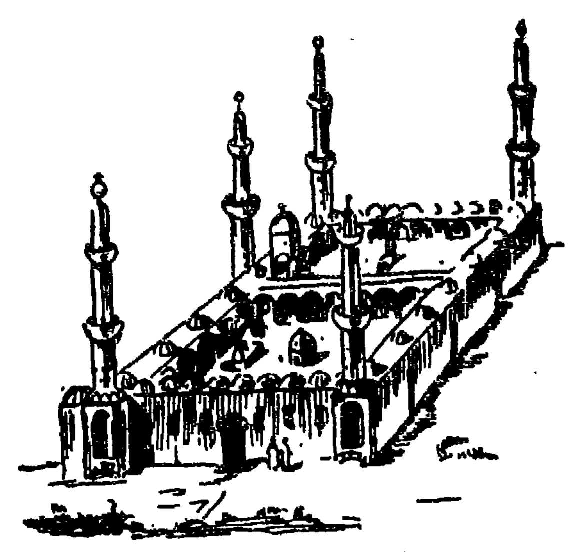
رجب

السبت ١١ منه (٥ اكتوبر ١٨٠٥ م) :

سافر محمد كتخدا الألفى بالجواب المتقدم الى مخدومه ، بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك . وخرج ياسين بيك وباقى الكشاف المسافرون الى الجيزة ، وطلبوا المراكب حتى عز وجودها وامتنع ورودها من الجهة البحرية .

الاثنين ١٣ منه (٧ اكتوبر ١٨٠٥ م) :

سافر المذكورون بعساكرهم . وسافر أيضاً على باشا ، سلحدار أحمد باشا خورشيد المنفصل ، الى سكندرية وأما قبطان باشا فانه لم يزل بثغر سكندرية .



قبر الرسول عليه السلام

الاربعاء ١٥ منه (٩ اكتوبر ١٨٠٥ م)

برز طاهر باشا الذاهب الى البلاد الحجازية بعساكره الى خارج باب النصر .

وفيه : وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا على المدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم — بعد حصارها نحو سنة ونصف من غير حرب ، بل تحلقوا حولها ، وقطعوا عنها الوارد . وبلغ الأردب الحنطة بها مائة ريال فرانسة .

فلما اشتد بهم الضيق سلموها . ودخلها الوهابيون ، ولم يحدثوا بها حدثا .. غير منع المنكرات وشرب التنباك فى الأسواق ، وهدم القباب .. ماعدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأحد ١٩ منه (١٣ اكتوبر ١٨٠٥ م) :

وقع بالأزبكية معركة بين العسكر ، قتل بها واحد من أعيانهم واثنان آخران ، ورجل سائس وبغل وفرس وحمار !

السبت ٢٥ منه (١٩ اكتوبر ١٨٠٥ م) :

ورد الخبر بسفر القبطان وأحمد باشا خورشيد من ثغر سكندرية .

وفيه : حضر أهل رشيد يتشكون الى السيد عمر النقيب والمشايخ ، ويذكرون أن محمد على باشا أرسل يطلب منهم أربعين ألف ريال فرانسة على ثلاثة عشر نفرا من التجار بقائمة .

وفيه : حضر محو بيك — الذى كان بالمنيا — وتواترت الأخبار بوصول الغز المصريين الى أسيوط وملكوها . وأما الألفى فانه جهة الفيوم . ووقع بينه وبين جماعة ياسين بيك محاربة ، وظهر عليهم . وأرسل ياسين بيك يطلب عسكرا وذخيرة.

وفيه : ركب المشايخ والسيد عمر النقيب الى محمد على ، وترجوا عنده فى أهل رشيد . فاستقرت غرامتهم على عشرين ألف فرانسة . وسافروا على ذلك ، واخذوا فى تحصيلها .

وفيه : طلب بترك الدير ، واحتجوا عليه بهروب جرجس الجوهرى . وانحط الأمر على المصالحة بمائة وأربعين كيسا ... وزعها النصارى على بعضهم ودفعوها .

شعبان

الجمعة غرته (٢٥ اكتوبر ١٨٠٥ م) :

امر محمد على باشا برفع حصص الالتزام التى على النساء . وكتبوا قوائم مزادها . وانحط الأمر على المصالحات بقدر حالهن ، وغير ذلك أمور كثيرة ، وجزئيات وتحيلات على استنضاح الأموال .. لايمكن ضبطها !

اواخره (٢٢ نوفمبر ١٨٠٥ م) :

زوج محمد على حسن الشماشيرجى تابعه ببنت سليم كاشف الأسيوطى — وهى بنت بنت عبد الرحمن بيك تابع عثمان بيك الجرجاوى ، وهى ربيبة أحمد كاشف تابع سليم كاشف المذكور — فعقدوا عقدها ، وعملوا لها مهما ببيت أمها هانم بحارة عابدين . واحتفل بذلك محمد على ، وأمر بأن يعمل لها زفة مثل زفف الأمراء المتقدمين . ونبهوا على أرباب الحرف فعملوا لهم عربات وملاعيب وسخريات قاموا بكلفها من مالهم الموزع على أفرادهم . وداروا بالزفة يوم الخميس غاية شعبان .

وحضر محمد على الى مدرسة الغورية مع أولاده ليرى ذلك . وعمل له السيد محمد المحروقى ضيافة فى ذلك اليوم وأحضر اليه الغداء بالمدرسة

ولما انقضى أمر الزفة ، شرعوا فى عمل موكب المحتسب ومشايخ الحرف لرؤية رمضان ، وحضروا الى بيت القاضى . ولم يثبت الهلال تلك الليلة . وانقضى شهر شعبان .

رمضان

السبت غرته (٢٣ نوفمبر ١٨٠٥ م) :

شح وجود اللحم ، وغلا سعره لعدم المواشى . وتوالى الظلم والعسف والفرد والكلف على القرى والبلاد ، حتى بلغ الرطل اللحم الجفيط الهزيل خمسة وعشرين نصفا .. ان وجد ، والجاموسى اثنى عشر نصفا ، وامتنع وجود الضانى بالأسواق بالكلية رأسا !

ولما استهل رمضان انكب الناس على من يوجد من جزارين اللحم الخشن ، وكذلك شح وجود السمن وعدم بالكلية . واذا وجد منه شىء خطفه العسكر وذهبوا به الى سوق انبابة وهبوا ماوجدوه مع الفلاحين من الزبد والجبن وغير ذلك وزاد فحشهم وقبحهم وتسلطهم على ايذاء الناس ، وكثروا بالبلد ، وانحشروا من كل جهة ، وتسلطوا على تزوج النساء اللاتى مات أزواجهن من الأمراء المصرلية قهرا . ومن أبت عليهم أخذوا ما بيدها من الالتزام والابراد ، وأخرجوها من دارها ، ونهبوا متاعها . فما يسعها الا الاجابة والرضا بالقضاء .

وتزوج بعضهم بزوجة حسن بيك الجداوى — وهى بنت أحمد بيك شنن — وأمثالها ، ولم ينفعهن الهروب ولا الاختفاء ولا الالتجاء . وتزيوا بزى المصريين فى ملابسهم ، وركبوا الخيول المسومة بالسروج المذهبة ، والقلاعيات والرخوت المكلفة وأحدق بهم الخدم والأتباع والقوامة والسواس والمقدمون . ووصل كل صعلوك منهم لما لايخطر على باله أو يتوهمه أو يتخيله ... ولا فى عالم الرؤيا..مع انحراف الطبع ، والجهل المركب ، وعمى البصيرة ، والفظاظة والقساوة والتجارى ، وعدم الدين والحياء والخشية والمروءة . ومنهم من تزوج الاثنتين والثلاث وسار له عدة دور !

وفيه : تواترت الأخبار بما حصل لياسين بيك . وأنه بعد انهزامه هرب بجماعة قليلة وذهب عند سليمان بيك المرادى وانضم اليه .

الخميس ١٣ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

نهبوا بيت ياسين بيك المذكور ، وأخذوا مافيه . ونفوا محمد أفندى أبام وأنزلوه فى مركب وذهبوا به الى بحرى .. وقيل انهم قتلوه .

وفيه وردت الأخبار بأنه غرق بمينا الاسكندرية أحد عشر غليونا من الكبار . وذلك أنه فى أواخر شعبان هبت ريح غربية عاصفة ليلا ، فقطعت مراسى المراكب .. ودفعتها الرياح الى البر فانكسرت وتلف مافيها من الأموال والأنفس ، ولم ينج منها الا القليل .. وكذلك تلف ثمان وأربعون مركبا واصلة من بلاد الشام الى دمياط ببضائع التجار .

وفيه : حضر جماعة من الألفية الى بر الجيزة ، وطلبوا كلفا من اقليم الجيزة وقبضوها ورجعوا الى الفيوم . ومضى فى أثرهم عربان أولاد على من ناحية البحيرة . وعاثوا بأراضى الجيزة . فعينوا لهم طاهر باشا الذى كان مسافرا الى بلاد الحجاز ، وخرج بعساكره وخيامه وموكبه الى خارج باب النصر . ونصب وطاقه ، وصار يضرب فى كل ليلة مدافعه وطبله ونوبته . واستمر مقيما على ذلك نحو ثلاثة شهور . وهم يجمعون له الأموال ويفردون الفرد على الأقاليم ، ويقولون برسم تشهيل العسكر المسافر للخوارج ، واستخلاص البلاد الحجازية من أيديهم . ولم يزالوا يحتجون بعدم أخذ النفقة . وفى كل يوم يتسللون شيئا بعد شىء ويدخلون الى المدينة ويتفرقون الى الجهات ، حتى لم يبق منهم الا القليل .

ثم انهم ارتحلوا من مخيمهم بحجة العرب ، وطردهم من الجيزة . فلما عدوا الى الجيزة دخلوا الى دورها وسكنوها غصبا عن أهلها ، واستولوا على فراشهم ومتاعهم ، ولم يخرج منهم أحد للعرب، ولم يتعدوا خارج السور . وبطل أمر السفرة المذكورة .

الاربعاء ١٩ منه (١١ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

أرسل محمد على من قبض على الأغا الشمعدانجى ، وعثمان أغا كتخدا بيك سابقا — وقت المغرب — وأنزلوهما الى بولاق فى مركب وذهبوا بهما . يقال انهم قتلوهما ومعهما اثنان أيضا من كبار العسكر . ولم يعلم سبب ذلك ، وأنزلوا حصصهم فى المزاد .

وفيه : فتحوا طلب الميرى من الملتزمين عن سنة احدى وعشرين — مع أن سنة تاريخه لم يستحق منها الثلث ، وكانوا فتحوها معجلة لقدر الاحتياج وقبضوا نصفها ، وطلبوا النصف الآخر بعد أربعة أشهر — وأما هذه ... فطلبوها بالكامل قبل أوانها بسنة ، وخصوصا فى شهر رمضان ، مع ما الناس فيه من ضيق المعاش وغلو الأسعار فى كل شىء ، بل وعدم وجود الأقوات ، ووقوف العسكر خارج المدينة يخطفون ما يأتى به الفلاحون من

السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك ، ومن دونهم العرب .. ومثل ذلك في البحر والمراكب ، حتى امتنع وجود المجلوبات برا وبحرا .

وطلبوا المراكب لسفر العساكر بالتجاريد ، فتسامع القادمون فوقفوا عن القدوم خوفا من النهب والتسخير ، ولم يبق بسواحل البحر مركب ولا قارب ، وبطل ديوان العشنور .

ووصل سعر العشرة أرطال السمن ستمائة نصف فضة .. ان وجد ، والعشرة من البيض بخمسة عشر نصف فضة .. ان وجد ، والدجاجة بأربعين نصفا ، والرطل الصابون بستين نصفا ، ولم يزل يتزايد حتى وصل الرطل الى مائة وعشرين ، والراوية الماء بأربعين نصفا ، ورطل القشطة بستين نصفا ، والرطل من السمك الطرى بستة عشر نصفا ، والقديد المملوح بعشرة أنصاف — وقد كان يباع بنصفين ، وبالعدد من غير وزن — والحوت الفسيخ بأربعين نصفا . وقس على ذلك .

الخميس ٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

رجع خازندار طاهر باشا الى جهة العادلية ثانيا ، ومعه جملة من العسكر ، وصاروا يضربون فى كل ليلة مدفعين . واستمر طاهر باشا بالجيزة .

وفيه : كتب محمد على باشا مكاتبة الى الأمراء القبالى ، وأرسل بها مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ... ليصطلحوا على أمر .

وفيه : وصل أيضا جماعة من الألفية الى جهة سقارة وبلاد الجيزة ، وطلبوا منها كلفة ودراهم . فأمر محمد على بخروج العساكر ، فتلكأوا واحتجوا بطلب العلوفة . فعزم على الخروج بنفسه .

الأربعاء ٢٦ منه (١٨ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

طلب كبار العساكر ، وركب معهم الى مصر القديمة ، وشرعوا فى التعدية بطول الليل . وهم محمد على وعسكره وخواصه ، وعابدى بيك وعمر بيك وصالح قوش ، والدلاة وكبيرهم ، وعلى كاشف الذى تزوج بنت شنن وأتباعه فى تجمل ، وكبير الدلاة وطائفته . وركب الجميع — وقت الشروق — وبرزوا الى الفضاء ، وانفرد كل كبير بعسكره خمسة طوابير وستة ، ونظروا على البعد منهم فرأوا خيالة من العربان وغيرهم متفرقين كل جماعة فى ناحية ، فحمل كل طابور على جماعة منهم ، فانهزموا أمامهم ، فساقوا خلفهم . فخرج عليه كمائن من خلفهم ، ووقع بينهم الضراب ، وحمل على كاشف وآخر يقال له أوزى فى جماعته ، فرأوه مجملا فظنوه محمد على ، فاحتاطوا به ، وتكاثروا عليه وأخذوه أسيرا هو ومن معه ، وفر من نجا منهم ، ووقعت فيهم الهزيمة ، ورجع الجميع القهقرى وعادوا الى بر مصر من غير تأخير . وذهب من الأرنؤود طائفة الى الأخصام وانضموا اليهم .

وفيه : وقع بين أهل الأزهر منافسات بسبب أمور وأغراض نفسانية ، يطول شرحها . وتحزبوا حزبين : حزب مع الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وحزب مع الشيخ محمد الأمير .. وهم الأكثر ، وجعلوا الشيخ الأمير ناظرا على الجامع ، وكتبوا له تقريرا بذلك من القاضى وختم عليه المشايخ ، والشيخ السادات والسيد عمر أفندى النقيب .

وكانت النظارة شاغرة من أيام الفرنسيس ، وكان يتقلدها أحد الأمراء . فلما خرج الأمراء من مصر ، سارت تابعة للمشيخة لوقت تاريخه . فانفعل لذلك الشيخ الشرقاوى . ولما فعلوا ذلك ، اجتهد الشيخ الأمير فى النظر لخدمة الجامع بنفسه وبابنه ، وأحضر الخدمة ، وكنسوا الجامع ، وغسلوا صحنه ومسحوه وفرشوه ، وفرشوا المقصورة بالحصر الجدد ، وعلقوا قناديل البوائك . وصار كل يوم يقف على الخدمة ، ويأمرهم بالتنظيف وغسل

الميضأة والمراحيض ، وأمر بغلق الأبواب من بعد صلاة العشاء ماعدا الباب الكبير ، ورتبوا له بوابا ، وطردوا من يبيت به من الأغراب الذين يلتفون بالحصر ويلوثونها ببولهم وغائطهم ونحو ذلك !

غايته (٢٢ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

عدى طائفة من العسكر الى بر الجيزة وانضموا الى الأخصام . وحصل فى العسكر ارتجاج واختلافات ، وعملوا شنكا فى تلك الليلة فى الأزبكية بعدما أثبتوا هلال شوال بعد العشاء الأخيرة . وقد كانوا أسرجوا المساجد وصلوا التراويح ، ثم أطفأوا المنارات فى ثالث ساعة من الليل .

شوال

غرته (٢٣ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

استهل وجميع الأمور مرتبكة ، والحال على ماهو عليه من الاضطراب ، ولم يحصل فى شهر رمضان للناس جمع خواس ولا حظوظ ، ولا أمن . وانكف الناس عن المرور فى الشوارع ليلا خوفا من أذية العسكر ، وفى كل وقت يسمع الانسان أخبارا ونكاتا وقبائح من أفاعيلهم .. من الخطف والقتل وأذية الناس .

٤ منه (٢٦ ديسمبر ١٨٠٥ م)

قلدوا مناصب كشوفات الأقاليم ، وتهيأوا للذهاب، وعملوا قوائم فرد ومظالم على البلاد خلاف ماتقدم ، وخلاف ما يأخذه الكشاف لأنفسهم وما يأخذونه قبل نزولهم . وذلك أنه عندما يترشح الشخص منهم لتقليد المنصب يرسل من طرفه معينين الى الاقليم الذى سيتولى عليه بأوراق البشارات وحق طرق باسم المعينين .. اما عشرين ألفا أو أكثر أو أقل . فاذا قبضوا ذلك ، أتبعوها بأوراق أخرى ويسمونها أوراق « تقبيل اليد » وفيها مثل ذلك ، أو أكثر أو أقل . ثم كذلك أوراق « لبس القفطان » ونحو ذلك ! وقد يتفق بعد ذلك جميعه أنه يتولى خلافه ويستأنف العمل..الى غير ذلك . هذا وكتخدا بيك مستمر فى سرحاته بالأقاليم ، وجمع الأموال والعسف والجسور : مرة بالمنوفية ، ومرة بالغربية ، ومرة بالشرقية ، ولا يقرر الا الأكياس من الشهريات والمغارم وحق الطرق ، والاستعجالات المترادفة .. مما لا يحيط به دفتر ولا كتاب !

٨ منه (٣٠ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

توفى ابراهيم أفندى كاتب البهار ، وترك ولدا صغيرا . فقلدوا مملوكه حسنا فى منصبه وكيلا عن ولده .

وفيه : كثر تحرك العسكر والمناداة عليهم بالخروج الى نواحى طرا والجيزة . وذلك بسبب أن بعض الألفية عدى الى ناحية الشرق ، وأخذوا كلفا من البلاد ، وبعضهم وصل الى ورادان بالبر الغربى .

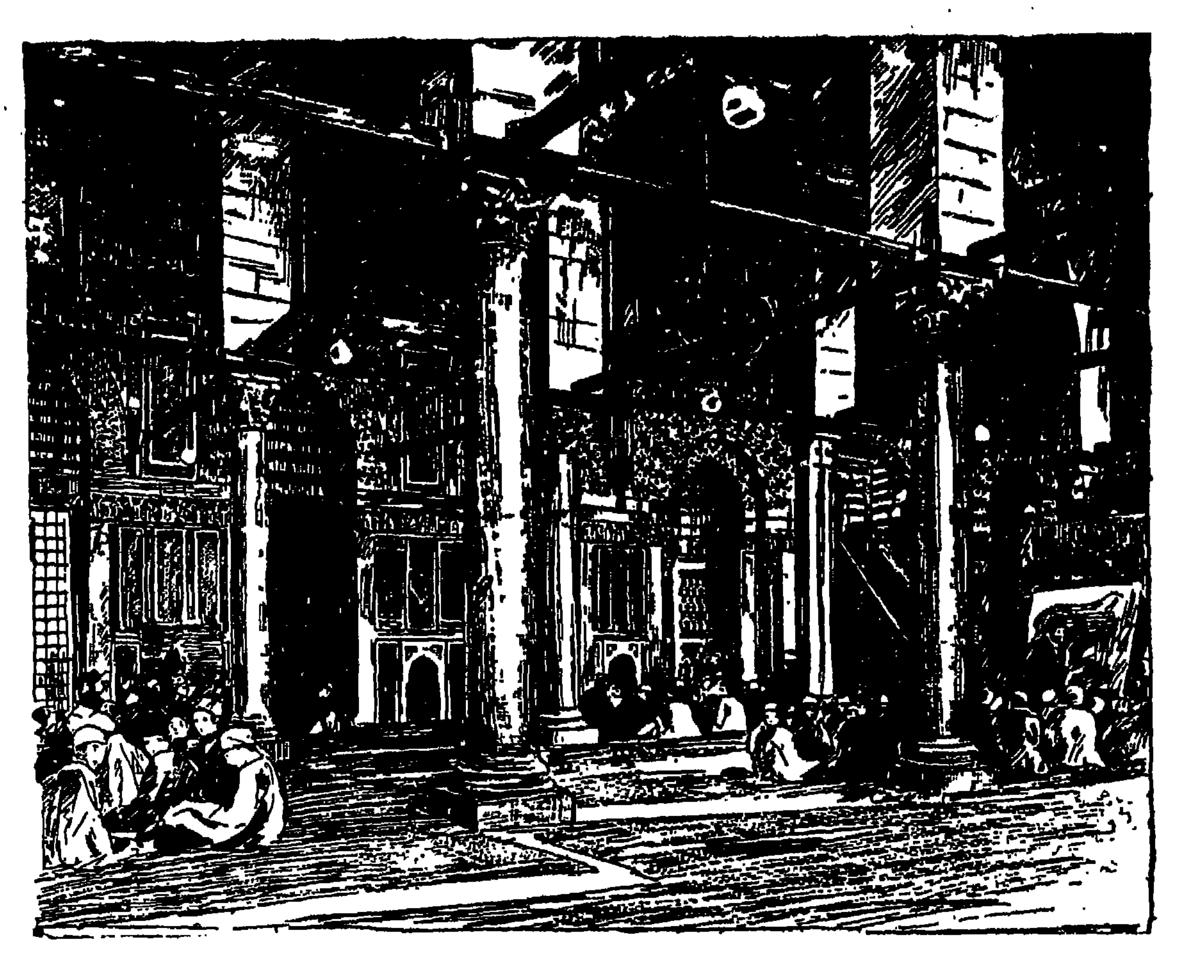
١٠ منه (اول يناير ١٨٠٦ م) :

حضر جملة من الدالاتية وغيرهم من ناحية الشام : فمنهم من حضر فى البحر على دمياط ، ومنهم من حضر فى البر . وعدى طاهر باشا الذى كان مسافرا على جدة .

وفيه : سافرت القافلة المتوجهة الى السويس وصحبتها نحو المائتين من العسكر ، وعليهم كبير من طرف طاهر باشا بدلا عنه . وسافر صحبتهم حسن أفندى القاضى المنفصل ليكون قاضيا بمكة حسب القانون .

١٥ منه (٦ يناير ١٨٠٦ م) :

وصلت قوافل التجار من السويس . فأرسل محمد على وفتح الحواصل وأراد أخذ بضائع التجار



داخل الأزهر ..

وفروق البن . فانزعج التجار بوكائل الجمالية وغيرها ، وذلك بعد أن دفعوا عشورها ونولونها وأجرها وما جعلوه عليها من المغارم السابقة . وانحط الأمر على المصالحة عن كل فرق خمسون ريالا .. ولم ينتطح فى ذلك شاتان !

٢١ منه (١٢ يناير ١٨٠٦ م) :

حضر كتخدا بيك الى مصر بعدما جمع الأموال من الأقاليم ، وفعل ما فعله من الفرد والمظالم الخارجة عن الحد .

٢٥ منه (١٦ يناير ١٨٠٦ م) :

توفى عثمان أفندى العباسى .

ذو القعدة

الثلاثاء غرته (٢١ يناير ١٨٠٦ م) :

الاجتهاد حاصل بخروج العسكر للتجريدة فى كل يوم ، ونصبوا عرضيهم ببر الجيزة وناحية طرا — من ابتداء شعبان كما تقدم — وفى كل يوم يخرجون طوائف ويعودون كذلك .

الأربعاء ٩ منه (٢٩ يناير ١٨٠٦ م) :

حضر مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى وعلى جاويش الفلاح ، الذين كانوا توجهوا الى قبلى لأجل الصلح . وحضر صحبتهم نيف وثلاثون مركبا من السفار والمتسببين ، فيها

غلال وادهان وجلود وتمر وغير ذلك . ولم يعلم حقيقة ماحصل .

الجمعة ١١ منه (٣١ يناير ١٨٠٦ م) :

نودى على العسكر بالخروج من الغد بالتركى والعربى ، والتحذير من التأخير .

الاحد ١٣ منه (٢ فبراير ١٨٠٦ م) :

رجع مصطفى آغا بجواب ثانيا هجانا من طريق البر .

الاثنين ١٤ منه (٣ فبراير ١٨٠٦ م) :

اخرجوا المحمل والكسوة وعين للسفر بهما ، من القلزم ، مصطفى جاويش العنتبلى ، ومعه صراف السرة ... دفعوا له ربعها وثمنها ، وهذا لم يتفق نظيره ! .

الثلاثاء ١٥ منه (٤ فبراير ١٨٠٦ م) :

ورد نحو السبعين ططريا ومعهم البشارة لمحمد على باشا بوصول الأطواخ الى رودس ، ووصل معهم أيضا مراسيم بمنصب الدفتردارية لأحمد افندى الملقب بجديد . وهو الذى كان وصل فى العام الأول بالدفتردارية الى سكندرية فى أيام أحمد باشا خورشيد ، وجانم آفندى الدفتردار ... ومنعوه عنها ، وكتبوا فى شأنه عرضا للدولة بعدم قبوله ، وأن أهل البلد راضون على جانم آفندى .

فلما حصل ماحصل لخورشيد باشا ، وعزل عن مصر ، وعزل أيضا جانم آفندى .. حضر أيضا أحمد افندى المذكور بمراسيم اخر وفيها الوكالة لسعيد آغا مجددة له ، ونظر الخاصكية لحافظ سليمان . واستمر من ذلك الوقت بمصر ، فوصل اليه الأمر بتقليد الدفتردارية . وكان حسن آفندى الروزنامجى هو المتقلد لذلك .

الخميس ١٧ منه (٦ فبراير ١٨٠٦ م) :

اجتمع بديوان محمد على : صالح آغا قابجى باشا ، وسعيد آغا ، ونقيب الأشراف ، وبعض المشايخ ، ولبس أحمد أفندى خلعة الدفتردارية ، وشرطوا عليه أنه لا يحدث حوادث كغيره . فان حصل منه شيء .. عزلوه ، وعرضوا فى شأنه . وقبل ذلك على نفسه .

الجمعة ١٨ منه (٧ فبراير ١٨٠٦ م) :

ارتحلت القافلة ، وصحبتها الكسوة والمحمل ، أواخر النهار ، من ناحية قايت باى بالصحراء ، وذهبوا الى جهة السويس ، ليسافروا من القلزم .

وفيه : وصلت الأخبار بأن بونابرته كبير الفرنسيس ركب فى جمع كبير ، وأغار على بلاد النمساوية ، وحاربهم حربا عظيما ، وظهر عليهم ، وملك تختهم وقلاعهم ، وطلب ملكهم بعد خروجه من حصونه ، فأعاده لمملكته بعدما شرط عليه شروطه . وملك غير ذلك من القرانات والحصون ، ثم سار الى بلاد الموسقو ، ووقع بينه وبينهم هدنة على ثلاثة أشهر .

الاربعاء ٢٣ منه (١٢ فبراير ١٨٠٦ م) :

خرج حسن باشا طاهر الى ناحية مصر القديمة .

السبت ٢٦ منه (١٥ فبراير ١٨٠٦ م) :

حضر مبشرون بحصول مقتلة عظيمة ، وأنهم أخذوا من الأخصام جملة عسكر أسرى ورؤوس . فضربوا مدافع لذلك ، وأظهروا السرور .

الأحد ٢٧ منه (١٦ فبراير ١٨٠٦ م) :

وصلت الرؤوس والأسرى : وهى أحدٌ وعشرون رأسا ، وذراع مقطع ، وسبعة عشر أسيرا .. ليس فيهم من يعرف ، ولا من جنس الأجناد ، وغالبهم فلاحون . فأعطى محمد على لكل أسير نصف دينار

وأطلقهم ، ووضعوا الرؤوس والذراع عند باب زويلة .

وفيه وصلت القافلة من السويس ، ووصل أيضا صحبتهم جنرال من الانكليز راكب فى تخت ، وحملته ومتاعه على نحو سبعين جملا ، فذهب عند قنصلهم .

الاربعاء غايته (١٩ فبراير ١٨٠٦ م) :

بعد ذلك ركب فى التخت وذهب عند محمد على بالأزبكية فتلقاه وعمل له شنكا ومدافع ، وقدم له هدية وتقادم . ثم رجع الى مكانه

ذوالحجة

الخميس غرته (٢٠ فبراير ١٨٠٦ م)

حضر مصطفى أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى من الجهة القبلية ، وقد تقدم أنهما ذهبا وعادا ، ثم رجعا ثانيا على الهجن لتقرير الصلح ، ثم رجعا ... ولم يظهر أثر لذلك الصلح .

وحكى الناس عنهما : أن المذكورين لما ذهبا الى أسيوط وجدا ابراهيم بيك قد انتقل الى ناحية طحطا ، واجتمعا بعثمان بيك حسن والبرديسى .. فلم يرضيا بالتوجه الذى وجها به اليهم ، وهو من حدود جرجا ، وقالا : « لا يكيفنا الا من حدود المنية . فان الفرنساوية كانوا أعطوا حكم البلاد القبلية من حدود المنية لمراد بيك بمفرده ، فكيفه أنه يكفينا نحن الجميع من جرجا ! » . وشرطوا أيضا : أنه ان استقر الصلح على مطلوبهم ، لا بد من اخلاء الاقليم من هذه العساكر الذين لايتحصل منهم الا الضرر والخراب والدمار والفساد ، ولا يبقى الباشا منهم الا مقدار ألفى عسكرى . وقالوا : « انه أيضا اذا لم يعطنا مطلوبنا ، فهو لايستغنى عن أناس من العسكر يقيمون بالبلاد التى يبخل علينا بها . فنحن أولى له وأحسن منهم ، وتقوم بما على البلاد من المال والغلال . وعند ذلك يحصل الأمن ويسير المسافرون فى المراكب ، وترد المتاجر والغلال ، ويحصل لنا وله الراحة . وأما اذا استمر الحال على هذا المنوال ، فانه لم يزل متعبا من كثرة العسكر ونفقاتهم ، وكذلك سائر البلاد . على أنه ان لم يرض بذلك .. فها هى البلاد بأيدينا والأمر مستمر معنا ومعهم على التعب والنصب » .

الأحد ٤ منه (٢٣ فبراير ١٨٠٦ م)

ورد الخبر بأن جماعة من كبار العسكر — وفيهم سليمان أغا الأرنؤدى الذى تولى كشوفية منفلوط ، ومعهم عدة وافرة من العسكر — عدوا من المنية الى البر الشرقى بالمطاهرة ، بسبب ما عندهم من القحط وعدم الأقوات ... لاحاطة المصريين بهم .

فلما دخلوا الى بلدة المطاهرة وملكوها ، وصل اليهم بعض الأمراء والأجناد المصرية ، وأحاطوا بهم وحاربوهم أياما حتى ظهروا عليهم ، وقتلوا منهم ، وهرب من هرب — وهو القليل — وأسروا الباقى — وفيهم سليمان أغا المذكور — فالتجأ الى بعض الأجناد ، فحماه من القتل ، وقابل به كبار الأمراء . فأنعموا عليه بكسوة ودراهم وسلاح ، وأقام معهم أياما ... ثم استأذنهم للعود وحضر الى مصر ، وجلس بداره .

وفيه : ورد الخبر أيضا بموت الأمير بشتك بيك المعروف بالألفى الصغير .. مبطونا .

وفيه : حضر أيضا حجاج الخضرى الرميلاتى الى مصر .. وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفا من العسكر . وذهب الى بلده بالمنوات ، ثم ذهب عند الألفى ، وأقام فى معسكره الى هذا الوقت . ثم أن الألفى طرده لنكتة حصلت منه ، فرجع الى بلده .

وأرسل الى السيد عمر فكتب له أمانا من الباشا ، فحضر بذلك الأمان ، وقابل الباشا ، وخلع عليه ، ونادوا له فى خطته بأنه على ماهو عليه فى حرفته وصناعته ووجاهته بين أقرانه ، فصار يمشى فى المدينة وصحبته عسكرى ملازم له .

الجمعة ٩ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٦ م) :

كان يوم الوقوف بعرفة . وفى ذلك اليوم : ركب محمد على بالأبهة الكاملة ، وصلى الجمعة



الابهة الكاملة !

بالمشهد الحسينى . ولم يركب من وقت ولايته بالهيئة الا فى هذا اليوم .

وفى عصر تلك الليلة ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما بالعيد ، وكذلك فى صبحها ، وفى كل وقت من الأوقات الخمسة ... مدة أيام التشريق .

الأربعاء ١٤ منه (٥ مارس ١٨٠٦ م) :

حضر جاهين بيك الألفى ، ومعه طوائف من العربان ، الى اقليم الجيزة ، وأخذوا الكلف وأغناما من البلاد ودراهم واشيع بذلك ، وأمروا بخروج العساكر اليهم . وركب محمد على باشا فى يوم الخميس ، وخرج الى ناحية بولاق . وأنزلوا من القلعة جبخانة ومدافع ، وطفقوا يخطفون الحمير من الأسواق ... ان وجدوها !

الخميس ١٥ منه (٦ مارس ١٨٠٦ م) :

عدى طائفة من العساكر الخيالة الى بر الجيزة . وعدى طاهر باشا الى بر امبابة وصحبته عساكر كثيرة ، وأزعجوا أهل القرية ، وأخرجوهم من دورهم وسكنوا بها ، وأطلقوا دوابهم وخيولهم على المزارع ، فأكلوها بأجمعها ، ولم يبقوا منها ولا عودا أخضر فى أيام قليلة .

وفيه : اختفى حجاج الخضرى أيضا بسبب ما داخله من الوهم والخوف من العسكر .

الثلاثاء ٢٠ منه (١١ مارس ١٨٠٦ م) :

شرع عساكر حسن باشا فى التعدية من ناحية معادى الخبيرى الى البر الآخر .

الأحد ٢٥ منه (١٦ مارس ١٨٠٦ م) :

عدى حسن باشا أيضا .

الاثنين ٢٦ منه (١٧ مارس ١٨٠٦ م) :

نودى فى الأسواق على العساكر الذين لم يكونوا فى قوائم العسكر الذين يقال لهم السير (١) بالسفر والخروج الى بلادهم ؛ ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل .

وكذلك كتبوا فرمانات وأرسلوها الى البلاد بمعنى ذلك ، ومن كان من أهل البلد أو المغاربة أو الأتراك بصورة العسكر ومتزييا بزيهم ، فلينزع ذلك وليرجع الى زيه الأول .

وفيه أيضا : نودى على المعاملة الناقصة : لا تقبض الا بنقص ميزانها . لأن المعاملة فحش نقصها جدا ... وخصوصا الذهب

(١) قوله (السير) هكذا فى نسخ .. وفى بعض النسخ «القبسيز» .

البندقى الذى كان أحسن أصناف العملة فى الوزن والعيار والجودة ، فان العسكر تسلطوا عليه بالقص . فيقصون من المشخص الواحد مقدار الربع ، أو أكثر أو أقل ، ويدفعونه فى المشتروات ولا يقدر المتسبب على رده أو طلب أرش نقصه . وكذلك الصيرفى لا يقدر على رده أو وزنه . وقتل بذلك قتلى كثيرة ، وأغلق الصيارف حوانيتهم ، وامتنعوا من الوزن خوفا من شرهم .

وكذلك نودى على التعامل فى بيع البن بالريال المعاملة — وهو تسعون نصفا — وقد كان الاصطلاح فى بيع البن بالفرانسة فقط . وبلغ صرف الفرانسة مائة وثمانين نصفا — ضعف الأول — وعز وجوده لرغبة الناس فيه لسلامته من الغش والنقص ، لأن جميع معاملة الكفار سالمة من الغش والنقص ... بخلاف معاملات المسلمين ! فان الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص . فلما انطبعوا على ذلك ، ونظروا الى معاملات الكفار وسلامتها ، تسلطوا عليها بالقطع والتنقيص والتقصيص .. تتميما للغش والخسران والانحراف عن جميع الأديان . وقال صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة ، ومن غشنا فليس منا » . فيأخذون الريالات الفرانسة الى دار الضرب ويسبكونها ، ويزيدون عليها ثلاثة أرباعها نحاسا ، ويضربونها قروشا يتعاملون بها . ثم ينكشف حالها فى مدة يسيرة ، وتصير نحاسا أحمر من أقبح المعاملات شكلا ووضعا ، لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التى كانت تصرف بالأرطال فى الدول المصرية السابقة ... فى الكم والكيف ، بل تلك أجمل من هذه فى الشكل . وقد شاهدنا كثيرا منها وعليها أسماء الملوك المتقدمين ، ووزن الواحد منها نصف أوقية

وكان الدرهم المتعامل به اذ ذاك ، من الفضة الخالصة ، على وزن الدرهم الشرعى ستة عشر قيراطا ، ويصرف بثلاثة أرطال من الفلوس النحاس . فيكون صرف الدرهم الواحد اثنين وسبعين فلسا ... تستعمل فى جميع المشتروات والمرتبات والمعاليم واللوازم للبيوت والجزئيات والمحقرات . فلما زالت الدولة القلاوونية ، وظهرت دولة الجراكسة ، واستقر الملك المؤيد شيخ فى سلطنة مصر ، وبدأ الاختلال ... اختصر الدرهم المتعامل به وجعله نصف درهم — وهو ثمانية قراريط — وسمى نصف مؤيدى . ولم تزل تتناقص ، حتى صارت فى آخر دولة الجركسية أقل من ربع الدرهم .

واختل أمر الفلوس النحاس ، والمرتبات والوظائف بالأوقاف المشروط فيها صرف المعاليم بالفلوس . ولم يزل الحال يختل ويضعف بسبب الجور والطمع والغش وغباوة أولى الأمر ، وعمى بصائرهم عن المصالح العامة التى بها قوام النظام ، حتى تلاشى أمر الدراهم جدا فى الوزن والعيار ، وصار الدرهم المعبر عنه بالنصف أقل من العشر للدرهم ، وفيه من الفضة الخالصة نحو الربع .. فيكون فى النصف الذى هو الآن بدل الدرهم الأصلى من الفضة الخالصة أقل من ربع العشر .

فيكون فى النصف الواحد من معاملتنا الآن — الذى وزنه خمس قمحات — قيراط وربع ثلث قيراط من الفضة ، وذلك بدل عن ستة عشر قيراطا — وهو الدرهم الأصلى الخالص — فانظر الى هذا الخسران الخفى الذى انمحقت به البركة فى كل شىء . فان الدرهم الفضة الآن صار بمنزلة الفلس النحاس القديم ... فتأمل واحسب ، تجد الأمر كذلك !

فاذا فرضنا أن انسانا اكتسب ألف درهم من دراهمنا هذه ، فكأنه اكتسب خمسة وعشرين لاغير

— وهو ربع عشرها — على أنه اذا حسبنا قيمة الخمسة وعشرين فى وقتنا هــذا — عن كل درهم ثلاثون نصفا — فانهــا تبلغ سبعمائة وخمسين ، ويذهب الباقى — وهو مائتان وخمسون — هدرا .

وأما الذهب : فان الدينار كان وزنه فى الزمن الأول مثقالا من الذهب الخالص . ثم صار فى الدولة الفاطمية وما بعدها عشرين قيراطا ، وكان يصرف بثلاثين درهما من الفضة . فلما نقص الدرهم زاد صرف الدينار ، الى أن استقر وزن الدينار فى أوائل القرن الماضى ثلاثة عشر قيراطا ونصفا ، ويصرف بتسعين نصفا .. وهو المعبر عنــه « بالأشرفى » ، والطرلى ، المعروف « بالفندقلى » ، يصرف بمائة . وكانا جيدين فى العيار ، وكذلك الأنصاف العددية كانت اذ ذاك جيدة العيار والوزن .

وكان الريال يصرف بخمســين نصفا . والريال « الكلب » باثنين وأربعين نصفا . ثم صار الدينار — وهــو « المحبــوب الجنزرلى » — بمــائة وخمسين ، والفندقلى بمائة وعشرين ، والفرانسة بستين .

ثم حدث « المحبوب الزر » فى أيام السلطان أحمــد بــدلا عن « الجنزرلى » . وغــلا صرف الجنزرلى ، وكان فى وزن « المشخص » وعياره . ووزن « الــزر » ثلاثة عشر قيراطــا ونصــف .. الى أن زاد الاختــلال فى أيام على بيــك والمعلم رزق واســتيلائه على دار الضرب والقــروش . واستعمل ضرب القروش واستكثر منها ، وزاد فى غشها لكثرة المصاريف على العساكر والتجــاريد والنفقات . واستقر « الأشرفى » المعروف « بالزر » بمائة وعشرة ، و « الطرلى » بمائة وستة وأربعين ، و « المشخص » بمائتين . والريال « الفرانسة » بخمسة وثمانين ، مدة من أيام على بيك .

وفحش وجــود القــروش المفــردة وضعفها وأجزاؤها ... حتى لم يبــق بأيدى النــاس من التعامل الا هى . وعز باقى الأصناف المذكورة ، وطلبت للسبك والادخار وصياغة الحلى ، فترقت فى المصارفة والابدال .

فلما زالت دولة على بيك ، وتملك محمد بيك أبو الذهب ، نادى بابطال تلك القــروش بأنواعها رأســا . فخسر النــاس خســـارة عظيمــة من أموالهم ، وباعوها بالأرطال للســبك واقتصروا على ضرب الأنصــاف العــددية والمحبــوب الزر والنصفيات لاغير ، ونقصوا من وزنها وعيارها ، ونقصت قيمتها ، وغلت فى المصارفة . وزاد الحال بتوالى الحوادث والمحن والغــلاء والغــرامات ، وضيق المعاش وكساد البضائع . وتساهلوا فى زيادة المصارفة .. وخصوصا فى ثمن السلع والمبايعات ، وخــلاص الحقوق من الممــاطلين . واقترن بذلك تغافل الحكام وجورهم ، وعدم التفاتهم لمصــالح الرعية ، وطمعهم وتركهم النظر فى العواقب .. الى أن تجاوزت فى وقتنا هذا ... الحدود ، وبلغت فى المصارفة أكثر من الضعف . وصار صرف المحبوب مائتين وخمسة ... بل وعشرة .

والريال « الفرانسة » بمائة وخمسة وسبعين ، بل وثمانين . و «المشخص البندقى» بأربعمائة وأكثر . و « المجر » بثلثمائة وســتين . و « الفنــدقلى » بثلثمائة وعشرين ، وهو الجديد . ويزيد القــديم لجودة عياره عن الجديد ، وتتفاوت « المثلية » فى المحبوب بجودة العيــار . فاذا أبدل « السليمى » الموجود الآن « بالمحمودى » .. زيد فى مصارفته أربعون نصفا وأكثر ، بحسب الرغبة والاحتياج . ويتفــاوت أيضــا « المحمودى » بمثله .. فيزيد « أبو وردة »عن « الراغب » ، ويزيد « الراغب » عن الذى فيــه حــرف « العــين » ويــكون

المحبوبان فى تحويل المعاملة بدلا عن «المشخص» الواحد ... مع أن وزنهما سبعة وعشرون قيراطا ، ووزن « المشخص » ثمانية عشر قيراطا . فالتفاوت بينهما تسعة قراريط ، وهى مافيه من الخلط ... وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويعسر تحقيقه وضبطه !

ولم يزل أمر المعاملة ، وزيادة صرفها ، واتلاف نقودها ، واضطرابها ... مستمرا. وكل قليل ينادون عليها مناداة بحسب أغراضهم ، لا تسمع ولا تقبل ولا ملتفت اليها . لأن أصل الكدر منبعث عنهم ، ومنحدر عن مجراة خبائثهم وفسادهم .

آخره (٢٠ مارس ١٨٠٦ م) :

أذن الباشا لولده الكبير بالذهاب لزيارة سيدى أحمد البدوى — رضى الله عنه — بطندتا ، وعين صحبته أتباعا وعسكرا وهجنا ، وقرر له دراهم على البلاد ألف ريال .. فما دونها ، خلاف الكلف . وكذلك سافر حريمات — ورئيستهن حريم مصطفى أغا الوكيل — فى هيئة لم يسبق مثلها .. فى تختروانات وعربات ومواهى وأحمال وجمال وعسكر وخدم وفراشين ، وفرضوا لهن أيضا مقررات على البلاد وكلفا ونحو ذلك ... وأظن أن هذه المحدثات من أهوال القيامة !

وانقضت السنة وما حصل فيها من الحوادث والانذارات .

* * *

ومات فيها : الامام العلامة ، والبحر الفهامة ، صدر المدرسين ، وعمدة المحققين ، مفتى الحنفية بالديار المصرية : الشيخ محمد عبد المعطى بن الشيخ أحمد الحريرى الحنفى .

ولد سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، ونشأ فى عفة وصلاح ، وحفظ القرآن وجوده ، وحفظ المتون .. وحضر أشياخ العصر ، وجود الخط .

وكان ينسخ بالأجرة ، وكتب كتبا كثيرة ، وخطه فى غاية الصحة والجودة ، وغالبها فى الأدبيات « كالريحانة » و « خبايا الزوايا » و « خزانة الأدب » والتى بخطه من ذلك فى غاية الحسن والقبول .

وكان شافعى المذهب ثم تحنف ، وحضر على أشياخ المذهب مثل : الشيخ محمد الدلجى ، والشيخ محمد العدوى . ولازم الشيخ حسن المقدسى ملازمة كلية ، وانتسب اليه ، وعرف به ، وحضر عليه ، وتلقى عنه غالب الكتب المشهورة فى المذهب . وحضر باقى العلوم على الشيخ الملوى والحفنى والشيخ على العدوى وغيرهم . وكان يكتب الأجوبة على الفتاوى عن لسانه .

ولما توفى شيخه المذكور ، تقرر مكانه فى وظيفة الخطابة والامامة بجامع عثمان كتخدا بالازبكية . وسكن بالدار المشروطة له بها السكنى برحاب الجامع المذكور .

وكانت خطبه فى غاية الخفة والاختصار ، ولوعظه وقع فى النفوس .. لخلوه عن التصنع .

ولما مات الشيخ أحمد الدمنهورى فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ، وحصل ماحصل للشيخ عبد الرحمن العريشى — كما تقدم — تعين المترجم لمشيخة الحنفية والفتوى عوضا عن المذكور — قبل وفاته بأيام قليلة — وكان أهلا لذلك ، وكفؤا له ، وسار فيها سيرا حسنا بحشمة .

واشتهر ذكره ، وقصدته الناس للفتوى والافادة ، وأقبلت عليه الدنيا ، وسكن دارا مشرفة على الأزبكية جارية فى وقف عثمان كتخدا . واشترى أيضا دارا نفيسة بالجودرية ، وأسكنها لغيره بالأجرة .

وانحصرت فيه وظائف مشيخة الحنفية كالتدريس فى مدرسة المحمودية والصرغتمشية

والمحمدية وغيرها — فكان يباشر الاقراء بنفسه فى بعضها ، والبعض ولده العلامة الشيخ ابراهيم . ولم يزل يقرىء ويملى ويفيد — حتى فى حال انقطاعه — وذلك أنه لما مات أحمد أغا غانم ، وحصل بين عتقائه منازعة ، ثم اتفقوا على تحكيم المترجم بينهم ، والتمسوا منه أن يذهب صحبتهم الى فوة ليصلح بينهم ... فلما ذهب الى بولاق وأراد النزول فى السفينة ، اعتمد على بعض الواقفين ، فعثرت رجله ، فقبض ذلك الرجل على معصمه فانكسر عظمه لنحافة جسمه ، فعادوا به الى داره ، وأحضروا له من عالجه حتى برىء بعد شهور ، وفرحوا بعافيته .

ودعاه بعض أحبابه بناحية قناطر السباع . فركب وذهب اليه — وكانت أول ركباته بعد برئه — فلما طلع الى المجلس وأراد الصعود الى مرتبة الجلوس ، زلقت رجله فانكسر عظم ساقه . وتكدر الحاضرون وحملوه وذهبوا به الى داره ، وأحضروا له المعالج ، فلم يحسن المعالجة . وتألم تألماً كثيرا ، واستمر ملازما الفراش نحو سبع سنوات . ثم توفى يوم الأربعاء ، سابع عشر رجب من السنة ، عن سبع وسبعين سنة ، ودفن بتربة الأزبكية

وتعين بعده فى المشيخة والافتاء ولده المحقق العلامة المستعد الشيخ ابراهيم ، أدام الله النفع بحياته ، وحفظ عليه أولاده .

وللمترجم مآثر ، وتقييدات ومنظومات ، وضوابط وتخميسات . فمن ذلك قوله :

مشبه به مع الشبه
أداة تشبيه ووجه شبه

والخامس المشبه النبيه
فقد حوى أركانه التشبيه

وله تخميس على البيتين المشهورين :

قد قلت لما وهى جسمى وأقلقنى
ما حل بى من سقام أنحلت بدنى
وما رمانى به دهرى من المحن
يا رب ان كان تمريضى يقربنى
زلفى اليك .. فباب العفو أوسع لى

أو كان من أجل عصيانى الذى عظما
وسوء ما قلته جهرا ومكتتما
فالعفو عمن عصا من شيمة الكرما
أو كان من أجل تمحيص الذنوب فما
يحتاج عفوك للأسقام والعلل

وله تخميس أيضا على « المنبهجة » وتخميس على قصيدة الشيخ عبد الله الشبراوى المشهورة وأوله :

ان نفسى وغيها والتمنّى
صيرت دأبى المعاصى وفنّى
ثم انى ناديت من حسن ظنى
رب انى تعاظم الذنب منى
غير أنى وجدت عفوك أعظم

الى آخرها ... وله غير ذلك .. سامحه الله !

* * *

ومات الأجل الأمثل ، المفوه المنشىء ، النبيه الفصيح المتكلم : عثمان أفندى ابن سعد العباسى الأنصارى . من ولد آخر الخلفاء العباسية بمصر المتوكل على الله . ووالده يعرف بالأنصارى من جهة النساء .. من بيت السيادة والخلافة .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، واشتغل بالعلم على فضلاء الوقت ، ومهر فى الفنون بذكائه ، وعانى الحساب والنجوم وأخذ منها حظا ، ونزل كاتب سر فى ديوان بعض الأمراء ، ولامه بعض محبيه

فى ذلك ، فاعتذر أنه انما قدم عليه صيانة لبعض بلاده وضياعه التى استولت عليها أيدى الظلمة ، فلا محيد له عن عشرتهم !

واجتمع بشيخنا الشيخ محمود الكردى ، وأراد السلوك فى طريق الخلوتية ، وترك شرب الدخان ، ولازمه كثيرا ، وتلقن الاسم الأول والأوراد ، وأقلع عما كان عليه ... حتى لاحت عليه آنوار ملازمته ، واعتقده جدا . وبعد وفاة الأستاذ .. رجع الى حالته ، وشرب الدخان .

ثم ولى خليفة على غلال الحرمين فباشرها بشهامة ، ثم ولى روزنامة مصر بصرامة وقوة مراس وشدة ومخادعة . وراج أمره واتسع حاله وزادت حشمته ... وذلك بعد عزل أحمد أفندى أبى كلبه ، وقبل وفاة السيد محمد أفندى الكماخى الروزنامجى. وثقل أمره على باقى الكتبة والناس ، فأوغروا عليه وعزلوه . فضاق صدره وزاد قلقه ، وحدث فيه بعض رعونة ، وتردد لمشاهد الأولياء فى الليل والنهار ... يبتهل ويدعو ، ويفرق خبزا ودراهم ، ويأوى اليه المجاذيب ، والذين يدعون الصلاح والولاية ، فيكرمهم برهة ويرون له مرائى ومنامات واخباريات ، فيزداد هوسه . ثم لما يطول الحال ينقطع عنهم ، ويبدلهم بآخرين ... وهكذا .

وكان ينام مع بعضهم فى الحريم ، ويترجم بعضهم بمكاشفات وشطحيات ويقول : « فلان يطلع على خطرات القلوب .. وفلان يصعد الى السماء .. ومن كرامات فلان كذا .. » ثم يرجع عن ذلك .

ولما مات السيد محمد ، اعيد فى كتابة الروزنامة أيضا ، واستمر بها ثمانية عشر شهرا . وكانت اعادته فى سنة ثمان بعد المائتين ، ثم انحرف عليه ابراهيم بيك الكبير وعزله . وكان يظن أن الأمر يؤول اليه .. فلم يتم له ذلك . وأحضر ابراهيم بيك السيد ابراهيم ابن أخى المتوفى وقلده ذلك . فعندها أيس المترجم منها . واختلفت الأمور بحدوث الفتن ، وتقلب الدول والأحوال .

ولازم شأنه وبيته بعد رجوعه من هجرته الى الشام فى حادثة الفرنسيس ، واعترته الأمراض ... واجتمعت لديه كتب كثيرة فى سائر العلوم ، وبيعت بأسرها فى تركته . توفى يوم الأربعاء خامس عشرين شوال من السنة ..

* * *

ومات العمدة الامام ، الصالح الناسك العلامة ، والبحر الفهامة : الشيخ محمد بن سيرين بن محمد ابن محمود بن جيش الشافعى المقدسى . ولد فى حدود الستين ، وقدم به والده الى مصر . فقرأ القرآن. واشتغل بالعلم ، وحضر دروس الشيخ عيسى البراوى فتفقه عليه ، وحلت عليه أنظاره ، وحصل طرفا جيدا من العلوم على الشيخ عطية الأجهورى ، ولازمه ملازمة كلية .

وبعد وفاة شيخه ، اشتغل بالحديث . فسمع صحيح مسلم على الشيخ أحمد الراشدى ، واتصل بشيخنا الشيخ محمود الكردى . فلقنه الذكر ولازمه ، وحصلت له منه الأنوار . وانجمع عن الناس ، ولاحت عليه لوائح النجابة ، وألبسه التاج ، وجعله من جملة خلفاء الخلوتية . وأمره بالتوجه الى بيت المقدس . فقدمه وسكن بالحرم وصار يذاكر الطلبة بالعلوم ، ويعقد حلقة الذكر ، وله فهم جيد ، مع حدة الذهن .

وأقبلت عليه الناس بالمحبة ، ونشر له القبول عند الأمراء والوزراء ، وقبلت شفاعته ... مع الانجماع عنهم ، وعدم قبول هداياهم !

وأخبرني بعض من صحبه : أنه يفهم من كلام الشيخ ابن العربي ، ويقرره تقريرا جيدا ، ويميل الى سماعه . وحج من بيت المقدس ، وأصيب في العقبة بجراحة في عضده ، وسلبت ماعليه ، وتحمل تلك المشقات . ورجع الى مصر فزار شيخه الشيخ محمودا ، وجلس مدة ثم أذن له بالرجوع الى بلده . وسمع أشياء كثيرة في مبادى عمره ، واقتبس من الأشياخ فوائد جمة ... حتى قبل اشتغاله بالعلم .

وفي سنة ١١٨٢ كتب الى شيخنا السيد مرتضى يستجيزه . فكتب له أسانيده العالية في كراسة وسماها « قلنسوة التاج » . ولم يزل يملي ويفيد ، ويدرس ويعيد ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وانعقد على اعتقاده وانفراده الاتفاق ، وسطعت أنواره ، وعمت أسراره ، وانتشرت في الكون أخباره ، وازدحمت على سدته زواره ... الى أن أجاب الداعي ، ونعته النواعي . وذلك سابع عشرين شهر شعبان من السنة . ولم يخلف بعده مثله ، وبه ختمت دائرة المسلكين من الخلوتية ورجال السادة الصوفية . وحسن به ختم هذا الجزء الثالث من كتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لغاية سنة عشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية — على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — وسنقيد ان شاء الله تعالى ما يتجدد بعدها من الحوادث ، من ابتداء سنة أحدى وعشرين — التي نحن بها الآن — ان امتد الأجل ، وأسعف الأمل . ونرجو من الكريم المتعال صلاح الأحوال ، وانقشاع الهموم ، وصلاح العموم ... انه على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير . والله أعلم .

المحرم

استهل شهر المحرم بيوم الخميس حساباً ، ويوم السبت هلالا . ووافق ذلك انتقال الشمس لبرج الحمل ، فاتحدت السنة القمرية والشمسية . وهو يوم « النوروز » السلطانى ، وأول سنة الفرس . وهو التاريخ الجلالي اليزدجردى . وتاريخهم فى هذه السنة ١١٧٦ .

وكان طالع التحويل الواقع فى يوم الجمعة — فى خامس ساعة ونصف من النهار — سبع درجات ونصفا من برج السرطان ، وصاحبه فى حيز العاشر منصرف عن تربيع المشترى ، ومقارنة عطارد والمشترى فى السابع ، والمريخ مع الزهرة فى العاشر هى راجعة ، وكيوان فى الرابع — وهو دليل على ثبات دولة القائم ... وتعب الرعية !

والحكم لله العلي الكبير .

٣ منه (٢٣ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الى بولاق قابجى وعلى يده تقرير لمحمد على باشا بولايته بمصر ، وصحبة التقرير خلعة ، وهى فروة سمور .. فلما أصبح النهار عمل محمد على باشا ديوانا بمنزله بالأزبكية . وحضر السيد عمر النقيب والمشايخ والأعيان . وحضر ذلك الأغا من بولاق فى موكب ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينه .. وأمامه الأغا والوالى والمحتسب والأغوات والجاويشية ، وخلفه النوبة التركية . فلما وصلوا الى باب الخرق ، عطفوا على جهة الأزبكية .

فلما قرىء التقليد ، ضربوا مدافع كثيرة من الأزبكية والقلعة ، وعملوا تلك الليلة شنكا وحراقات ونفوطا وسواريخ كثيرة وطبولا وزمورا بالأزبكية .

٧ منه (٢٧ مارس ١٨٠٦ م) :

وصلت الأخبار بوقوع حروب بين العساكر والعربان والأمراء المصرية بناحية جزيرة الهواء ، وقتل شخص من كبار العسكر يسمى « كور يوسف » وغيره . ووصل الى مصر عدة جرحى ، وهرب من العسكر طائفة وانضموا الى الأمراء المصريين . وأرسل حسن باشا يستنجد الباشا بارسال عساكر اليه .

وفى ذلك اليوم : نادوا فى الأسواق بعدم المشى فى الأسواق من آذان العشاء ، وخرج كتخدا بيك الى بولاق فى آخر النهار ، ونصب وطاقه بير البابه . وخرج سليمان أغا بجملة من العسكر وذهب الى ناحية طرا .

٨ منه (٢٨ مارس ١٨٠٦ م)

عدى كتخدا بيك الى البر الغربى ، وانتقل طاهر باشا الى الجيزة وأقام بها محافظا .

وفيه : أمر الباشا بجمع الأجناد المصرية والوجاقلية ، وآمرهم بالتعدية الى البر العربى ، وكأنه تخوف من اقامتهم بالمدينة ، وقال لهم : « من أراد منكم الذهاب الى الأخصام فليذهب والا يستمر معنا » .

وفى هذه الأيام : كان مولد سيدى أحمد

البدوى ، والجمع بطندتا ، المعروف بمولد الشرنبابلية . وهرع غالب أهل البلد بالذهاب اليه ، وأكتروا الجمال والحمير بأغلى الأجرة . لأن ذلك صار عند أهل الاقليم موسما وعيدا لا يتخلفون عنه ، اما للزيارة أو التجارة أو للنزاهة أو للفسوق !

ويجتمع به العالم الأكبر ، وأهالى الاقليم البحرى والقبلى . وخرج أكثر أهالى البلد بحمولهم . فكان الواقفون على الأبواب يفتشون الأحمال ، فوجدوا مع بعضهم أشياء من أسباب الأجناد المصرية وملابسهم ونحو ذلك . فوقع بسبب ذلك ايذاء لمن وجدوا معه شيئا من ذلك ، ولباقى الناس ضرر ينبش متاعهم ، فكان من الناس من يأخذ معه أشخاصا من العسكر من طرف الأغا يسلكونه للخروج من غير تفتيش ، ويمنعون المتقيدين بالأبواب عن التعرض لهم وبش متاعهم وأحمالهم .

٩ منه (٢٩ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الخبر بأن عابدين بيك لما بلغه خروج الألفى من الفيوم ذهب اليها صحبة الدلاة ، فلم يجد بها أحدا فدخلها ، وأرسل مبشرين الى مصر بأنه ملك الفيوم . فضربوا مدافع لذلك ، وانبث المبشرون يطوفون على بيوت الأعيان يبشرونهم بذلك ، ويأخذون على ذلك الدراهم والبقاشيش . ثم لما بلغ عابدين بيك ما حصل لأخيه حسن باشا من الهزيمه ، رجع اليه وأقام معه ناحية الرقق .

١٠ منه (٣٠ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الألفى الى ناحية كرداسة ، وانتشرت عساكره وعربانه باقليم الجيزة ، فلم يخرج لهم أحد من الجيزة ، مع كونهم بمرأى منهم ، ويسمعون نقاقيرهم وطبولهم ووطء حوافرخيولهم .

وفيه : أرسل الألفى مكتوبا خطابا الى السيد عمر أفندى مكرم النقيب والمشايخ مضمونه : « نخبركم أن سبب حضورنا الى هذه الجهة انما هو لطلب القوت والمعاش ، فان الجهة التى كنا بها لم يبق فيها شىء يكفينا ويكفى من معنا من الجيش والأجناد ، ونرجو من مراحم أفندينا بشفاعتكم أن ينعم علينا . بما نتعيش به ، كما رجونا منه فى السابق » .

١١ منه (٣١ مارس ١٨٠٦ م) :

فى الصباح ركب السيد عمر الى الباشا ، وأخبره بذلك ، وأطلعه على المراسلة . فقال : « ومن أتى به ؟ » . قال له : « تابع مصطفى كاشف المورلى ، وقد ترك متبوعه بالبر الآخر » . فقال له : « اكتب له بالحضور ، حتى نتروى معه مشافهة » .

وفى ذلك الوقت حضر الى الباشا من أخبره بأن طائفة من المصريين وجيوشهم وصلوا الى بر انبابه ، فخرج اليهم طائفة من العسكر المرابطين هناك ، وتحاربوا معهم بسوق الغنم ، ووقع بينهم بعض قتلى وجرحى . فركب من فوره وذهب الى بولاق ، فنزل بالساحل وجلس هناك ساعة . ثم ركب عائدا الى داره بعد أن منع من تعدية المراكب الى بر انبابة ، ثم أمرهم بالتعدية لربما احتاجوهم ، وكان كذلك ، فانهم رجعوا مهزومين ... فلو لم يجدوا المعادى لحصل لهم هول كبير .

١٢ منه (أول ابريل ١٨٠٦ م)

حضر مصطفى كاشف المورلى — المرسل من طرف الألفى ، وصحبته على جربجى ابن موسى الجيزاوى — الى بيت السيد عمر . فركب صحبته الى الباشا ، وكتبوا له جوابا . ورجع من ليلته .

١٤ منه (٣ ابريل ١٨٠٦ م) :

حضر ثانيا مصطفى كاشف المورلى بجواب آخر ومضمونه : « اننا أرسلنا لكم ، لرجو منكم أن تسعوا بيننا بما فيه الراحة لنا ولكم ، وللفقراء والمساكين وأهالى القرى .. فأجبتمونا بأننا نتعدى على القرى ، ونطلب منهم المغارم ، ونرعى زرعهم ، وننهب مواشيهم ... والحال أنه — والله العظيم ، ونبيه الكريم — أن هذا الأمر لم يكن على قصدنا ومرادنا مطلقا . وانما الموجب لحضورنا الى هذا الطرف ضيق الحال والمقتضى ، للجمعية التى نصحبها من العربان وغيرهم ، ارسال التجاريد والعساكر علينا . فلازم لنا أن نجمع الينا من يساعدنا فى المدافعة عن أنفسنا .. فهم يجمعون أصناف العساكر من الأقطار الرومية والمصرية لمحاربتنا وقتالنا ، وهم كذلك ينهبون البلاد والعباد للانفاق عليهم . ونحن كذلك : نجمع الينا من يساعدنا فى المنع ، ونفعل كفعلهم لننفق على من حولنا من المساعدين لنا . وكل ذلك يؤدى الى الخراب والدمار وظلم الفقراء . والقصد منكم ، بل الواجب عليكم ، السعى فى راحة الفريقين ، وهو أن يكفوا الحرب ، ويفرزوا لنا جهة نرتاح فيها .. فان أرض الله واسعة ، تسعنا وتسعهم . ويعطونا عهدا بكفالة بعض من نعتمد عليهم ، من عندنا وعندهم . ويكتب بذلك محضر لصاحب الدولة ، وننتظر رجوع الجواب . وعند وصوله يكون العمل بمقتضاه » .

فعند ذلك اقتضى الرأى أن يقطعوه اقليم الجيزة ، وكتبوا له جوابا بذلك ، من غير عقد ولا عهد ولا كفالة كما أشار . وسلموا الجواب لمصطفى كاشف ورجع به .

وفى أثناء ذلك : طلب أجناد الألفى كلفا من بلد برطس وأم دينار ومنية عقبة . فامتنعوا عليهم ، فضربوهم وحاربوهم ونهبوهم . وسبب ذلك أن العساكر الأتراك أغروهم ، وأرسلوا يقولون لهم : « اذا طلبوا منكم كلفة أو دراهم ، لاتدفعوا لهم واطردوهم وحاربوهم وانهبوهم . واذا سمعنا حربكم معهم أتيناكم وساعدناكم » . فاغتروا بذلك وصدقوه . فلما حصل لهم ما حصل ، لم يسعفوهم ولم يخرجوا من أوكارهم ، حتى جرى عليهم المقدور !

٢٣ منه (١٢ ابريل ١٨٠٦ م) :

كتب الباشا مراسيم وأرسلها الى كشاف الأقاليم والكائنين بالبلاد من الأجناد المصرية ، بأن يجتمعوا بأسرهم ويذهبوا الى ساحل السبكية للمحافظة عليها من وصول الأخصام اليها ، ولمنعهم من تعدية البحر اليها ، لأنهم اذا حصلوا بها تعدى شرهم الى بلاد المنوفية بأسرها . وأشيع عزم الباشا على الركوب بنفسه وذهابه الى تلك الجهة ، ويكون سيره على طريق القليوبية ويلحق بهم . وكتخدا بيك وطاهر باشا يسيران على الساحل الغربى تجاههم . ثم بطل ذلك وأرسل الى حسن باشا سر ششمه بأن يحضر بمن معه من العسكر من عند حسن باشا طاهر من ناحية بنى سويف ، وكذلك عساكر « كور يوسف » الذى قتل فى المعركة كما ذكر .

وفى ذلك اليوم : وصل رسول أيضا من عند الألفى بمكاتبات ، واجتمع بالسيد عمر النقيب . والمكاتبات خطاب له ولبقية المشايخ وللباشا ولسعيد أغا دار السعادة وصالح بيك القابجى بمعنى ماتقدم ، صحبة احمد أبى ذهب العطار . فكتبوا له جوابا بالمعنى الأول ، وأعادوا الرسول ، وأصحبوه ببعض المتعممين ، وهو السيد أحمد الشتيوى — ناظر جامع الباسطية — وكل ذلك أمور صورية وملاعبات من الطرفين لاحقيقة لها .

٢٥ منه (١٤ ابريل ١٨٠٦ م) :

وصل الجماعة المذكورون الذين استدعاهم الباشا بعساكرهم ، وخلع الباشا على أحد كبارهم عوضا عن « كور يوسف » المقتول .

وفيه : وصل الخبر بأن طائفة من الأجناد المصرية ، ومن يصحبهم من العربان ، عدوا الى بر السبكية ، ولم يمنعهم المحافظون ، بل هربوا من وجوههم . فأمر الباشا بسفر العساكر وطلب دراهم سلفة من الأعيان لأجل نفقة العساكر ، وفرضوا على البلاد ثلاثة آلاف كيس . ويكون على العال منها مائة ألف فضة ، وفيها الأوسط والدون .

٢٧ منه (١٦ ابريل ١٨٠٦ م) :

نودى فى الأسواق بخروج العساكر .

٢٩ منه (١٨ ابريل ١٨٠٦ م) :

سافر طاهر باشا الى منوف على جرائد الخيل ، وسافر بعده كتخداه بالحملة ، واحتاجوا الى جمال ، فأخذوا جمال السقايين والشواغرية .

وفيه : حضر عمر بيك الأرنؤودى من ناحية بنى سويف ، وأخبر الواردون من الناحية أن رجب أغا وطائفة من العسكر خامروا عليه ، وانضموا الى الأمراء القبليين — وهم نحو الستمائة — فعند ذلك حضر عمر بيك المذكور فى تطريده ليبرىء نفسه من ذلك .

وحضر أيضا محو كبير العسكر المحاصرين بالمنية يطلب علوفة للعسكر .

وفيه : أراد كتخدا بيك — وهو المعروف بدبوس أوغلي — أن يركب من انبابة ، وحمل أحماله ليسير الى جهة بحرى . فثارت عليه العسكر ، وطالبوه بعلائفهم ، وسفهوا عليه ، ومنعوه من الركوب . فأراد التعدية الى بر بولاق ، فمنعوه أيضا ، وجذبوا لحيته . فأقام يومه وليلته ، ثم قال لهم : « وما الفائدة فى مكثى معكم ؟ دعونى أذهب الى الباشا ، وأسعى فى مطلوبكم » . ولم يزل حتى تخلص منهم ، وعدى الى مصر ، ولم يرجع اليهم .

غايته (١٩ ابريل ١٨٠٦ م) :

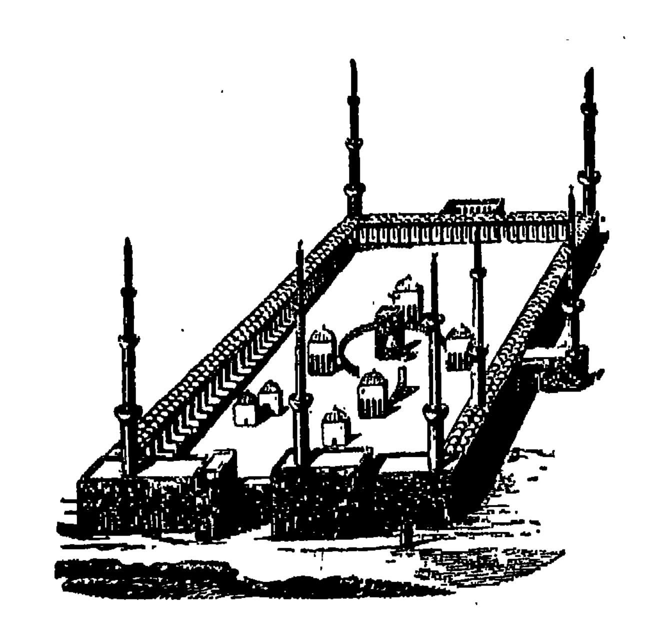
وصلت عساكر الدلاة الذين كانوا بناحية بنى سويف والفيوم الى بر انبابة ، وضربوا لهم مدافع لوصولهم .

وفيه : أرسل كبار العسكر الذين بناحية منوف مكاتبة الى الباشا ، يذكرون أن العساكر يطلبون مرتبات لحم وأرز وسمن . فانهم لايحاربون ولا يقاتلون بالجوع .

وفى هذه الأيام : وصل الكثير من العساكر القبلية ، ودخلوا البلدة وكثروا بها .

وفيها أيضا : وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين ، وذلك لشدة ماحصل لهم من المضايقة الشديدة ، وقطع الجالب عنهم من كل ناحية .. حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز خمسمائة ريال ، والأردب البر ثلثمائة وعشرة . وقس على ذلك السمن والعسل ، وغير ذلك . فلم يسع الشريف الا مسالمتهم ، والدخول فى طاعتهم ، وسلوك طريقتهم ، وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة . وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتنباك فى المسعى وبين الصفا والمروى ، وبالملازمة على الصلوات فى الجماعة ودفع الزكاة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ، وابطال المكوس والمظالم

وكانوا خرجوا عن الحدود فى ذلك . حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله . وان لم يدفع أهله القدر الذى يتقرر عليه ، فلا يقدرون على رفعه ودفنه ، ولا يتقرب اليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الاذن .. وغير ذلك من



الكعبة الشريفة

البـدع والمكوس والمظالم التى أحدثوها على المبيعات والمشتروات ، عـلى البائع والمشترى ، ومصادرات الناس فى أموالهم ودورهم . فيكون الشخص من سائر الناس جالسا بداره ، فما يشعر على حين غفلة منه الا والأعوان يأمرونه باخـلاء الدار وخروجه منها ، ويقولون : « ان سيد الجميع محتاج اليها » . فاما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف ، واما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر !

فعاهده على ترك ذلك كله ، واتباع ما أمر الله تعالى به ، فى كتابه العزيز ، من اخلاص التوحيد لله وحده ، واتباع سنة الرسول عليه الصـلاة والسلام ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون ، والأئمة المجتهدون .. الى آخر القرن الثالث . وترك ما حدث فى الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين ، الأحياء والأموات ، فى الشدائد والمهمات ، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف ، وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل ، والمناداة والطواف ، والنذور والذبح والقربان ، وعمل الأعياد والمواسم لها . واجتماع أصناف الخلائق ، واختلاط النساء بالرجال ... وباقى الأشياء التى فيها شركة المخلوقين مع الخالق فى توحيد الألوهية التى بعثت الرسل الى مقاتلة من خالفها ، ليكون الدين كله لله . فعاهده على منع ذلك ، وعلى هدم القبـاب المبنيـة على القبور والأضرحة ، لأنها من الأمور المحدثة التى لم تكن فى عهده .. بعد المناظرة مـع علماء تلك الناحية ، واقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التى لا تقبل التأويل من الكتاب والسنة ، واذعانهم لذلك .

فعند ذلك أمنت السبل ، وسلكت الطرق بين مكة والمدينة ، وبين مكة وجدة والطائف ، وانحلت الأسعار ، وكثر وجود المطعومات وما يجلبه عربان الشرق الى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال ... حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريال .

واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار ، واذا نوقش فى ذلك يقول : « هؤلاء مشركون ، وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين » !

صـفـر

الأحد غرته (٢٠ ابريل ١٨٠٦ م)

سافر محو بيك الى جهة المنية .

وفيه : ورد من اسلامبول شخص قابجى ، وعلى يديه مرسومات بالجمارك وغيرها . ومنها : ضبط ترك الموتى المقتولين والمقبورين ، وكذلك تركة السيد أحمد المحروقى وآخر يسمى الشريف محمد البرلى ... والقصـد تحصيل الدراهم بأى حجة كانت . ووصل أيضا آخر متعين لجمرك الاسكندرية وآخر لدمياط ولرشيد أيضا .

وفيه : عزم الباشا على السفر لمحاربة الألفى ، وأشـيع عنـه ذلك ، وأنزلوا مدافع من القلعـة وجبخانة وآلات حربية .

الاربعاء ٤ منه (٢٣ ابريل ١٨٠٦ م) :

قوى عزمه على ذلك . وأشيع أنه مسافر يوم السبت ، وأشار على السيد عمر أفندى النقيب بأن ينوب عنه ، ويكون قائما مقامه فى الأحكام مدة غيابه : فلم يقبل السيد عمر ذلك وامتنع ، ثم فترت همته عن ذلك ، وتبين أنها ايهامات لا أصل لها .

الخميس ٥ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٦ م) :

أرسل الباشا الى الخانات والوكائل أعوانا ، فختموا على حواصل التجار بما فى داخلها من البن والبهار ، وذلك بعد أن أمنهم وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس . فلما وصلت القافلة ، واستقرت البضائع بالحواصل ، فعل بهم ذلك . ثم صالحوا وأفرج عنهم !

وفيه : ورد الخبر بأن الألفى ارتحل من ناحية الجسر الأسود والطرانة ، وقصد جهة البحيرة .

السبت ٧ منه (٢٦ ابريل ١٨٠٦ م) :

ركب صالح أغا قابجى باشا ، ونزل الى بولاق ليسافر الى الديار الرومية . فركب لوداعه الباشا وسعيد أغا والسيد عمر النقيب ، فشيعوه الى بولاق حتى نزل الى المراكب ، وخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة بعد أن وفاه خدمته وهاداه بهدايا ، وأصحب معه هدايا للدولة وأربابها ، وعرفه بقضايا وأغراض يتممها له هناك ، وودعوه ورجعوا الى بيوتهم بعد الغروب .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٦ م) :

سافر صالح أغا السلحدار الى جهة بحرى على طريق المنوفية ، وصحبته عساكر ، وقرروا له مقادير من الأكياس : على كل بلد من البلاد الرائجة عشرون كيسا فما فوقها وما دونها ، ومن كل صنف مقادير أيضا .

وفيه : فرضوا أيضا على البلاد غلال قمح وفول وشعير : كل بلد عشرون أردبا فما فوقها وما دونها . وهذه ثالث فرضة ابتدعت من الغلال على البلاد فى هذه الدولة !

وفيه ورد الخبر بأن الألفى توجه الى ناحية دمنهور البحيرة يوم الأربع رابعه وانهم امتنعوا عليه . فحاصرهم لأنهم استعدوا لذلك .. والبلد منضافة الى السيد عمر النقيب . فكان يرسل اليهم ويحذرهم منه ، ويرسل اليهم ويمدهم بآلات الحرب والبارود ، ويحرضهم على الاستعداد للحرب . فحصنوا البلدة وبنوا سورها ، وجعلوا فيها أبراجا وبدنات ، وركبوا عليها المدافع الكثيرة ، وأحضروا لهم ما يحتاجون اليه من الذخيرة والجبخانة وما يكفيهم سنة . وحفروا حولها خنادق . وهى فى موقعها مرتفعة .

وفيه : عزل الباشا محمد أغا كتخدا بيك من كتخدائيته ، بسبب أمور نقمها عليه ، وحبسه وطلب منه ألف كيس ، وقلد فى الكتخدائية خازنداره ، وهو المعروف بدبوس أوغلى .

الأحد ١٥ منه (٤ مايو ١٨٠٦ م) :

عدى صارى عسكر الى بر انبابة بوطاقه ، وهو دبوس أوغلى الكتخدا المذكور ، وذلك فى أواخر النهار . وضربوا مدافع كثيرة لتعديته . وأخذ العسكر فى تشهيل أمورهم ولوازمهم ، وأنفق عليهم الباشا نفقة . هذا والطلب والتوزيع بالأكياس مستمر لاينقطع عن أعيان الناس والتجار ، والأفندية الكتبة ، وجماعة الضربخانة والملتزمين بالجمارك ، وكل من كان له أدنى علاقة ، أو خدمة أو تجارة أو صنعة ظاهرة ، أو فائظ أو له شهرة قديمة ، أو من مساتير الناس ... وغالب الأحيان المحصل لذلك والقاضى فيه السيد عمر أفندى النقيب . وقد حكمت عليه الصورة

التى ظهر فيها ، وانعكس الحال والوضع ، وساءت الظنون . والأمر لله وحده !

الخميس ١٩ منه (٨ مايو ١٨٠٦ م)

ارتحل عرضى التجريدة من انبابة ، وذهبوا الى جهة الوراريق .

وفى هذه الأيام : كان بين مشايخ العلم منافسات ومنافرات ومحاسدات — وذلك من أوائل شهر رمضان — وتعصبات بسبب مشيخة الجامع ونظر أوقافه وأوقاف عبد الرحمن كتخدا . فاتفق أن الشيخ عبد الرحمن السجينى ابن الشيخ عبد الرءوف عمل وليمة ودعاهم اليها ، فاجتمعوا فى ذلك اليوم وتصالحوا فى الظاهر .

الاثنين ٢٣ منه (١٢ مايو ١٨٠٦ م) :

هبت رياح جنوبية حارة ، وأثارت غبارا وزوابع ولواقح . ثم غيمت السماء غيما متقطعا ، وأرعدت وأمطرت . فكان الغبار والزوابع...والشمس طالعة والمطر نازل ، وذلك بعد العصر . وحصل مثل ذلك أيضا فى يوم الثلاثاء .. ولكن بعد الظهر .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٣ مايو ١٨٠٦ م) :

وفى تلك الليلة ، بعد الغروب ، أخرج الباشا محمد أفندى المنفصل عن الكتخدائية منفيا الى جهة دمياط ، وأصحب معه عدة من العسكر ذهبوا به من طريق البر .

وفى أواخره : رجعت عساكر من الأرنؤود ، وكانوا كثيرين ، ونزلوا ببولاق ومصر القديمة . وغالبهم الذين كانوا بصحبة حسن باشا طاهر ، وأخيه عابدين بيك . وسبب رجوعهم أنهم طلبوا علائفهم من حسن باشا — وكان قد ظهر له فيهم المخامرة عليه وميلهم الى الأخصام — فامتنع من دفع علائفهم وقال لهم : « اذهبوا الى مصر ، واطلبوا علائفكم من الباشا » . وأرسل اليه يعرفه بحالهم ونفاقهم . فلما تراسلوا فى الحضور ، منعهم الباشا من الدخول الى البلد ، ووعدهم بايصال علائفهم اليهم وهم خارج المدينة ، وبعد أن يقبضوا مالهم يعودون الى مرابطهم كما كانوا . فأقاموا بناحية بولاق .

وأرسل الباشا فجمع عربان الحويطات والعائد وغيرهم ، فأقاموا بناحية شبرا ومنية السيرج ، وهم جملة كبيرة ... استمروا فى تجمعهم أربعة أيام . وأرسل الى الأجناد والجربجية وأمثالهم المقيمين بمصر ، وأمر بأن يتهيأوا ويقضوا أشغالهم ويحرجوا صحبة حسن أغا الشماشيرجى . فمن كان منهم ذا مقدرة ، وعنده حصان يركبه ، أو جمل يحمل عليه متاعه ، خرج بنفسه ، والا أخرج بدلا عنه وأعطاه مصروفه واحتياجاته ولوازمه . وبرزوا الى خارج .

ثم أرسل الى العساكر المذكورين يأمر كبارهم بالسفر الى بلادهم . فامتنعوا وقالوا : « لانسافر حتى نقبض المنكسر لنا من علائفنا » فعند ذلك دس الى أصاغرهم من خدعهم واستمالهم حتى تفرقوا فى خدمة المستوطنين ، ولم يبق مع كبارهم المعاندين الا القليل . فلم يسعهم بعد ذلك الا الامتثال .

فى غايته (١٨ مايو ١٨٠٦ م) :

ارتحلوا من بولاق ، وسافر معهم الشماشيرجى المذكور ومن بصحبته من المصريين ، وحولهم العربان ، وساروا على طريق دمياط — وهم اثنان وخمسون شخصا من كبار طائفة الأرنؤود — وحصل من العرب فى مدة تجمعهم ما لا خير فيه ، وكذلك فى مدة اقامتهم .. من الخطف والتعرية وقطع الطريق على المسافرين .

٦ منه (٢٤ مايو ١٨٠٦ م) :

حصل رعد كثير وبرق بين المغرب والعشاء بدون مطر ، والغيم قليل متقطع . وذلك سابع عشر بشنس ، وثاني عشر أيار ، والشمس في ثالث درجة من برج الجوزاء ، وذلك من النوادر في مثل هذا الوقت .

وفيه : ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وردت من الجهة القبلية ... وذلك أن رجب أغا وياسين بيك اللذين انضما الى الأمراء المصرية القبليين عملا متاريس بحرى المنية ليمنعا من يصل اليها من مراكب الذخيرة . فلما سافر محو بيك بمراكب الذخيرة ووصل الى حسن باشا طاهر ببنى سويف ، أصحب معه عابدين بيك وعدة من العسكر في عدة مراكب . فلما وصلوا الى محل المتاريس تراموا بالمدافع والرصاص ، واقتحموا المرور ، وساعدهم الريح فخلصوا الى المنية ، وطلعوا اليها ، ودخلها عابدين بيك . وقتل فيما بينهم أشخاص ، وأرسلوا بذلك المبشرين ، فأخبروا بذلك وبالغوا في الأخبار ، وأن ياسين بيك قتل هو وخلافه ، ورأسه واصلة مع رؤوس كثيرة . فعملوا لذلك شنكا ، وضربت مدافع كثيرة . ولم يكن لقتل ياسين بيك صحة . ثم وصل محو بيك وابن وافى وقد نزلا في شكترية لها عدة مقاديف ودفعوا في قوة التيار حتى وصلوا الى مصر ، ولم يصل معهم رؤوس كما أخبر المبشرون .

وفيه : قرر فرضة على البلاد ، وهى دراهم وغلال . وعينوا لذلك كاشفا ، فسافر ومعه عدة من العسكر وصحبتهم نقاقير . وسافر أيضا خازندار الباشا وصحبته على جلبى — وهو ابن أحمد كتخدا على ... قلده الباشا كشوفية شرقية بلبيس — وأخذ صحبته أكثر رفقائه وأصحابه من أولاد البلد ، فسافروا على حين غفلة الى ناحية الدقهلية .

١٠ منه (٢٨ مايو ١٨٠٦ م) :

وصلت الأخبار بأن الألفى ارتحل من البحيرة ورجع الى ناحية وردان ، وعدى من جيشه وعربانه طائفة الى جزيرة السبكية ، وهرب من كان مرابطا فيها من الأجناد المصرية وغيرهم ، وطلبوا من أهالى السبكية دراهم وغلالا ، وفر غالب أهلها منها وجلوا عنها ، وتفرقوا في بلاد المنوفية .

١٢ منه (٣٠ مايو ١٨٠٦ م) :

عمل المولد النبوى ، ونصبوا بالأزبكية صوارى تجاه بيت الباشا والشيخ محمد سعيد البكرى ... وقد سكن بدار مطلة على البركة داخل درب عبد الحق ، وأقام هناك ليالى المولد اظهارا لبعض الرسوم .

وفيه : علقوا تسعة رؤوس على السبيل المواجه لباب زويلة ... ذكروا انها من قتلى دمنهور ، وهى رؤوس مجهولة . ووضعوا بجانبهم بيرقين ملطخين بالدماء .

وفيه : طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم ، بموجب دفتر أحمد باشا خورشيد ، الذى كان قبضها في عام أول — قبل القومة والحرابة — فعينوا مقاديرها ، وعينوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة . ومن لم يجدوه ، بأن كان غائبا أو متغيبا ، دخلوا داره ، وطالبوا أهله أو جاره أو شريكه . فضاق ذرع الناس ، وذهبوا أفواجا الى السيد عمر أفندى النقيب . فيتضجر ويتأسف ويتقلق ، ويهون عليهم الأمر ، وربما سعى في التخفيف عن البعض بقدر الامكان ... وقد تورط في الدعوى !



مراكب المعاشات

وفيه : سافر السيد محمد المحروقى الى سد ترعة الفرعونية . وذلك أن الترعة المذكورة لما اجتهد فى سدها المصريون فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف ، كما تقدم ، انفتحت من محل آخر ينفذ الى ناحية الترعة المسماة بالفيض ، وكان ذلك باشارة أيوب بيك الصغير لعدم انقطاع الماء عن رى بلاده ، فتهورت أيضا هذه الناحية واتسعت وقوى اندفاع الماء اليها فى مدة هذه السنين ... حتى جف البحر الغربى والشرقى ، وتغير ماء النيل فى الناحية الشرقية ، وظهرت فيه الملوحة من حدود المنصورة، وتعطلت مزارع الأرز ، وشرقت بلاد البحر الشرقى، وشربوا الأجاج ومياه الآبار والسواقى ... وكثر تشكى أهالى البلاد ، فحصل العزم على سدها فى هذا العام ، وتقيد بذلك السيد محمد المحروقى وذو الفقار كتخدا . وطلبوا المراكب لنقل الأحجار من الجبل ، وذهب ذو الفقار الى جهة السد وجمع العمال والفلاحين ، وسيقت اليه المراكب المملوءة بالأحجار من أول شهر صفر الى وقت تاريخه . وجبوا الأموال من البلاد لأجل النفقة على ذلك . ثم سافر السيد المحروقى أيضا وبذل جهده . ورموا بها من الأحجار ما يضيق به الفضاء من الكثرة . وتعطل بسبب ذلك المسافرون لقلة المراكب ، وجفاف البحر الغربى ، والخوف من السلوك فيه من قطاع الطريق والعربان .

فكانت المراكب المعاشات التى تأتى بالسفار وبضائع التجار ، يأتون بشحناتهم الى حد السد ومحل العمل والشغل ... فيرسون هناك ثم ينقلون ما بها من الشحنة والبضائع الى البر ، وينقلونها الى السفن والقوارب التى تنقل الأحجار ، ويأتون بها الى ساحل بولاق ، فيخرجون مافيها الى البر ، وتذهب تلك السفن والقوارب الى أشغالها فى نقل الحجر . ولا يخفى ما يحصل فى البضائع من الاتلاف والضياع والسرقة وزيادة الكلف والأجر ، وغير ذلك ... وطال أمد هذا الأمر .

اواخره (حوالى منتصف يونية ١٨٠٦ م) :

نزل الباشا للكشف على الترعة ، فغاب يومين وليلتين ، ثم عاد الى مصر .

ربيع الآخر

فيه : وردت سعاة من الاسكندرية ، وأخبروا بورود أربع مراكب وفيها عساكر من النظام الجديد وصحبتهم ططريات وبعض أشخاص من الانكليز . ومعهم مكاتبة خطابا الى الألفى ، وبشارة بالرضا والعفو للأمراء المصرية من الدولة بشفاعة الانكليز .

فلما وصلوا اليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة ، سر بقدومهم ، وعمل لهم شنكا ، وضرب لهم مدافع كثيرة ، ثم شهلهم وأرسلهم الى الأمراء القبليين ، وصحبتهم أحد صناجقه — وهو أمين بيك — ومحمد كاشف تابع ابراهيم بيك الكبير . ثم أنه أرسل عدة مكاتبات بذلك الخبر الى المشايخ وغيرهم بمصر ، وكذلك الى مشايخ العربان ، مثل : الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقى المشاهير فأحضر بن شديد وابن شعير الأوراق التى أتتهم من الألفى الى الباشا وفيها : « ونعلمكم أن محمد على باشا ربما ارتحل الى ناحية السويس ، فلا تحملوا أثقاله . وان فعلتم ذلك فلا نقبل لكم عذرا » . ولما سمع الباشا ذلك قال : « انه مجنون وكذاب » .

وفيه : فتح الباشا الطلب بفائظ البلاد والحصص من الملتزمين والفلاحين ، وأمر الروزنامجى وطائفته بتحرير ذلك عن السنة القابلة . فضج الملتزمون وترددوا الى السيد عمر النقيب ، والمشايخ ... فخاطبوا الباشا . فاعتذر اليهم باحتياج الحال والمصاريف . ثم استقر الحال على قبض ثلاثة أرباعه : النصف على الملتزمين ، والربع على الفلاحين . وأن يحسب الريال فى القبض منهم بثلاثة وثمانين نصفا ، ويقبضه باثنين وتسعين . وعلى كل مائة ريال خمسة أنصاف حق طريق ، سواء كان القبض من الملتزم عن حصته فى المصر ، أو بيد المعينين من طرف الكاشف فى الناحية . واذا كان التوجيه بالطلب من كاشف الناحية كانت أشنع فى التغريم والكلف ... لترادف الارسال ، وتكرار حق الطريق !

الاثنين ٦ منه (٢٣ يونية ١٨٠٦ م)

حضر أحمد كاشف سليم من الجهة القبلية . وسبب حضوره : أن الباشا لما بلغته هذه الأخبار ، أرسل الى الأمراء القبليين يستدعى منهم بعض عقلائهم ، مثل : أحمد أغا شويكار ، وسليم أغا مستحفظان ، ليتشاور معهم فى الأمر . فلم يجب واحد منهم الى الحضور . ثم اتفقوا على ارسال أحمد كاشف لكونه ليس معدودا من أفرادهم ، وبينه وبين الباشا نسب — لأن ربيبته تحت حسن الشماشيرجى — فحضر واختلى به الباشا مرارا ، ثم أمره بالعود . فسافر فى يوم الثلاثاء رابع عشره وأصحب معه هدية الى ابراهيم بيك والبرديسى وعثمان بيك حسن ، وغيرهم من الأمراء ، وهى عدد خيول وقلاعيات وثياب وأمتعة وغير ذلك .

وفيه : قبض الباشا على ابراهيم أغا الوالى وحبسه مع أورباب الجرائم . وسبب ذلك : أن البصاصين شاهدوا حمولا فيها ثياب من ملابس الأجناد أعدها بعض تجار النصارى ليرسلها الى جهة قبلى ، لتباع على أجناد الأمراء المصريين ومماليكهم ويربح فيها . وسئل الحاملون لها ، فأخبروا أن أربابها فعلوا ذلك باطلاع الوالى المذكور على مصلحة أخذها منهم . ووصل خبر ذلك الى الباشا ، فأحضره ، وقبض عليه وحبسه ، ثم أطلقه بعد أيام على مصلحة تقررت عليه بشفاعة امرأة من القهارمة المتقربين ! وعاد الى منصبه ، وأخذت البضاعة ، وضاعت على أصحابها ، وغرموهم زيادة على ذلك غرامة ، وكذلك اتهم الذى حجزها بأنه اختلس منها أشياء وحبس وأخذت منه مصلحة ! فتحصل من هذه القضية جملة من المال ، مع أنها فى خلال المراسلة والمهاداة . ونودى بعد ذلك بأن من أراد أن يرسل شيئا أو متجرا ، ولو الى السويس ، فليستأذن على ذلك ويأخذ به ورقة من باب الباشا ، فان لم يفعل وضاع عليه ... فاللوم عليه .

الثلاثاء ١٤ منه (أول يولية ١٨٠٦ م) :

ورد ساعى ، وصحبته مكتوب من حاكم

الاسكندرية خطابا الى الدفتردار ، يخبره بوصول قبطان باشا الى الثغر ، وفى أثره واصل باشا متولى على مصر ، واسمه موسى باشا ، وصحبتهم مراكب بها عساكر من الصنف الذى يسمى النظام الجديد .

وكان ورود القبطان الى الثغر ليلة الجمعة عاشره . وطلعوا الى البر بالاسكندرية يوم السبت حادى عشره .

فلما قرأ الدفتردار الورقة ، أرسل الى السيد عمر النقيب ، فحضر اليه ، وركب صحبته للباشا ، واختليا معه ساعة .. ثم فارقاه .

ولما بلغ الألفى ورود هذه الدونانمة ، وحضرت اليه المبشرون — وهو بالبحيرة — امتلأ فرحا ، وأرسل عدة مكاتبات الى مصر صحبة السعاة . فقبضوا على السعاة ، وحضروا بهم الى الباشا ... فأخفاها ، ووصل غيرهاالى أربابهاعلى غيريدالسعاة ، وصورتها : الاخباربحضور الدونانمة صحبةقبطان باشا والنظام الجديد وولاية موسى باشا على مصر ، وانفصال محمد على باشا عن الولاية . وأن مولانا السلطان عفا عن الأمراء المصريين ، وأن يكونوا كعادتهم فى امارة مصر وأحكامها ، والباشا المتولى يستقر بالقلعة كعادته ، وأن محمد على باشا يخرج من مصر ويتوجه الى ولايته التى تقلدها — وهى ولاية سلانيك — وأن حضرة قبطان باشا أرسل يستدعى اخواننا الأمراء من ناحية قبلى . فالله يسهل بحضورهم ... فتكونوا مطمئنين الخاطر ، وأعلموا اخوانكم من الأولداشات والرعية بأن يضبطوا أنفسهم ويكونوا مع العلماء فى الطاعة . وما بعد ذلك الا الراحة والخير والسلام .

الجمعة ١٧ منه (٤ يولية ١٨٠٦ م) :

ورد قاصد من طرف قبودان باشا الى بولاق ، فأرسل اليه الباشا من قابله وأركبه وحضر به الى بيت الباشا . وأراد أن ينزله بمنزل الدفتردار ، فاستعفى الدفتردار من نزوله عنده ، فانزلوه ببيت الروزنامجى ، وأقام يوم السبت والأحد . ولم يظهر ما دار بينهما . ثم سافر فى يوم الاثنين ، وذهب صحبته سليم ، المعروف « بقبيلركخسى » .

وشرع الباشا فى عمل آلات حرب وجلل ومدافع ، وجمعوا الحدادين بالقلعة ، وأصعدوا بنبات كثيرة واحتياجات ومهمات الى القلعة . وظهر منه علامات العصيان وعدم الامتثال ، وجمع اليه كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم فوافقوه على ذلك ، لأن ما من أحد منهم الأوصار له عدة بيوت وزوجات والتزام بلاد وسيادة ... لم يتخيلها ، ولم تخطر بذهنه ولا بفكره ، ولا يسهل به الانسلاخ عنها والخروج منها .. ولو خرجت روحه !

وأخبر المخبرون : أن الألفى أرسل هدية الى قبودان باشا ، وفيها ثلاثون حصانا : منها عشرة برخوتها ، ومن الغنم أربعة آلاف رأس ، وجملة أبقار وجواميس ، ومائة جمل محملة بالذخيرة ، وغير ذلك من النقود والثياب والأقمشة برسمه ورسم كبار أتباعه .

ثم ان الباشا أحضر السيد عمر والخاصة وعرفهم بصورة الأمر الوارد بعزله وولاية موسى باشا ، وأن الأمراء المصريين أعرضوا للسلطنة فى طلب العفو وعودهم الى امرياتهم ، وخروج العساكر التى أفسدت الاقليم عن أرض مصر . وشرطوا على أنفسهم القيام بخدمة الدولة والحرمين الشريفين وارسال غلالها ، ودفع الخزينة وتأمين البلاد . فحصل عنهم الرضا ، وأجيبوا الى سؤالهم على هذه الشروط . وأن المشايخ والعلماء يتكفلون بهم ، ويضمنون عهدهم بذلك ... فأعملوا فكركم ورأيكم فى ذلك . ثم انفصلوا من مجلسه .

وفيه : أرسل الباشا فجمع الأخشاب التى

وجدها ببولاق في الشوادر والحواصل والوكائل ، وطلعوا جميع ذلك الى القلعة لعمل العربات والعجل برسم المدافع والقنابر .

الثلاثاء ٢١ منه (٨ يولية ١٨٠٦ م) :

كان مولد المشهد الحسيني المعتاد ، وحضر الباشا لزيارة المشهد . ودعاه شيخ السادات — وهو الناظر على المشهد والمتقيد لعمل ذلك — فدخل اليه وتغدى عنده ، ثم ركب وعاد الى داره . وأكثر من الركوب والطواف بشوارع المدينة والطلوع الى القلعة ، والنزول منها ، والذهاب الى بولاق وهو لابس برنسا .

الخميس ٢٣ منه (١٠ يولية ١٨٠٦ م)

حضر ديوان أفندي وعبدالله أغا بكتاش الترجمان عند السيد عمر ، ومعهما صورة عرض يكتب عن لسان المشايخ الى الدولة ... في شأن هذه الحادثة . فتناجوا مع بعضهم حصة من النهار ، ثم ركبا وحضرا في ثاني يوم عند الشيخ عبد الله الشرقاوي ، وأمروا المشايخ بتنظيم العرضحال وترصيعه ، ووضع أسمائهم وختومهم عليه ، ليرسله الباشا الى الدولة ... فلم تسعهم المخالفة ، ونظموا صورته ، ثم بيضوه في كاغد كبير ، وصورته بالحرف :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الرءوف الحليم ، الحمد لله ذي الجلال على جميع الشئون والأحوال . نرفع اليك أكفا من بحر جودك مغترفة ، ونتوجه الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوحدانية معترفة ، أن تديم بهجة الزمان ، ورونق عنوان اليمن والأمان ... بدوام وزير تخضع لمهابته الرقاب ، وتدنو لهمة سطوته المهمات الصعاب ... منتهى آمال المقاصد والوسائل ، ومحط رحال المطالب من كل سائل : حضرة صدر الصدور ، ومدبر مهمات الأمور ... الصدر الأعظم محمد على باشا . أدام الله دعائم العز بقبابه ، وفسح للأنام في أيامه ، محفوفا بعناية الرب الكريم ، محفوظا بآيات القرآن العظيم .. آمين

« أما بعد رفع القصد والرجاء ، ومد سواعد الخضوع والالتجاء ، فاننا ننهي لمسامعكم العلية ، وشيم أخلاقكم المرضية : بأنه قد قدم حضرة الدستور المكرم ، والمشير المفخم ، مدبر مهمات الاسكلات البحرية ، خادم الدولة العلية ، الوزير قبودان باشا الى ثغر سكندرية . فأرسل كتخدا البوابين سعيد أغا ... وصحبته الأمر الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، المعنون بالرسم الهمايوني العالي ... دامت مسراته على ممر الدهور والأعوام والأيام والليالي . فأوضح مكنونه ، وأفصح مضمونه : بأنه قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد على باشا وبين الأمراء المصريين . فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات ، وتنظيم أمير الحج على حكم سوابق العادات ..

« والحال .. أنه ينبغي تقديم ذلك على سائر المطلوبات ، وأن هذا التأخير سببه كثرة العساكر والعلوفات ، وترتب على ذلك لكامل الرعية بالأقاليم المصرية الدمار والاضمحلال ، وأنهت الأمراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية ، وأنهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات ، واخراج أمير الحج على حكم أسلوب المتقدمين ... مع الامتثال لكامل ما يرد من الأوامر الشريفة الى ولاة الأمور بالديار المصرية ، وأنهم يقومون في كل سنة بدفع الأموال الميرية الى خزينة الدولة العلية .. ان حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية ، والرضا بدخولهم مصر المحمية .

« والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم ، وبلوغهم مأمولهم . فأصدرتم لهم الأمر



.. فى مولد الحسين

الهمايونى الشريف ، المطاع المنيف ، بعزل الوزير المشار اليه ، لتقرير العداوة معه . ووجهتم له ولاية سلانيك ، ووجهتم ولاية مصر الى الوزير موسى باشا ، وقبلتم توبتهم .

« وأن العلماء والوجاقلية ، والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية ، الداعين لحضرة مولانا الخنكار بلوغ المأمولات المرضية .. ان تعهدوا بهم وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية ، حكم التماسهم من أعتاب حضرة الدولة العلية . فأمركم مطاع ، وواجب القبول والاتباع .

« غير أننا نلتمس من شيم الأخلاق المرضية ، والمراحم العلية ، العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم . فان شرط الكفيل قدرته على المكفول ، ونحن لاقدرة لنا على ذلك .. لما تقدم من الأفعال الشهيرة ، والأحوال والتطورات الكثيرة ، التى منها خيانة المرحوم السيد على باشا — والى مصر سابقا — بعد واقعة ميرميران طاهر باشا ، وقتل الحجاج القادمين من البلاد الرومية ، وسلب الأموال بغير أوجه شرعية !

« والصغير لايسمع كلام الكبير ، والكبير لا يستطيع تنفيذ الأمر على الصغير . وغير ذلك مما هو معلومنا وبمشاهدتنا . خصوصا ما وقع فى العام الماضى من اقدامهم على مصر المحمية ، وهجومهم عليها فى وقت الفجرية . فجلاهم عنها حضرة المشار اليه ، وقتل منهم جملة كثيرة ، فكانت واقعة شهيرة ... فهذا شىء لاينكر . فحينئذ لا يمكننا

التكفل والتعهد ، لأننا لا نطلع على ما فى السرائر ، وما هو مستكن فى الضمائر .

« فنرجو عدم المؤاخذة فى الأمور التى لا قدرة لنا عليها ، لأننا لا نقدر على دفع المفسدين والطغاة والمتمردين الذين أهلكوا الرعايا ودمروهم ، فأنتم خلفاء الله على خليقته ، وأمناؤه على بريته !

« ونحن ممتثلون لولاة أموركم فى جميع ماهو موافق للشريعة المحمدية ، على حكم الأمر من رب البرية ، فى قوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسوله . فان حصل منهم خلاف ذلك ، نكل الأمر فيهم الى مالك الممالك لأن أهل مصر قوم ضعاف . وقال عليه الصلاة والسلام : « أهل مصر الجند الضعيف فما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته » . وقال أيضا : « وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة » .

« ونفيد أيضا حضرة المسامع العلية ، من خصوص القرض والسلف ، التى حصل منها الثقلة للأهالى ، من حضرة محسوبكم الوزير محمد على باشا . فانه اضطر اليها لأجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الأشقياء والمفسدين ، والطغاة المتمردين ... امتثالا لأوامر الدولة العلية فى دفعهم ، والخروج من حقهم . واجتهد فى ذلك غاية الاجتهاد ، رغبة فى حلول أنظار الدولة العلية فالأمر مفوض اليكم ، والملك أمانة الله تحت أيديكم . يسأل الله الكريم المنان ، أن يديم العز والامتنان ، لسدة السلطان ، مع رفعة ترشح بها فى النفوس عظمته ، وسطوة تسرى بها فى القلوب مهابته . وأن يبقى دولته على الأنام ، وأن يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية ، وآله وصحبه ذوى المناقب الوفية » .

وكتبوا من ذلك نسختين : احداهما الى القبطان ، وأخرى الى السلطان . وكتبوا عليهما الامضاء والختوم وأرسلوهما .

الاثنين ٢٧ منه (١٤ يولية ١٨٠٦ م) :

وصل شاكر أغا سلحدار الوزير الى بولاق فتلقوه ، وأركبوه الى بيت الباشا . فلما أصبح النهار ، أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار المذكور : احداها خطابا للمشايخ ، وأخرى الى شيخ السادات ، وثالثة الى السيد عمر النقيب ، وكلها على نسق واحد ، وهى من قبودان باشا ، وعليها الختم الكبير ، وهى بالعربى . وفرمان رابع — باللغة التركية — خطابا للجميع . ومضمون الكل : الاخبار بعزل محمد على باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك ، وولاية النشيد موسى باشا المنفصل عنها — مصر ، وأن يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للأوامر ، والاجتهاد فى المعاونة ، وتشهيل محمد على باشا فيما يحتاج اليه من السفن ولوازم السفر ، ليتوجه هو وحسن باشا والى جرجا ، من طريق دمياط بالاعزاز والاكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تأخير ... حسب الأوامر السلطانية .

ثم انهم اجتمعوا فى عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر ، وركبوا الى الباشا . فلما استقروا بالمجلس . قال لهم : « وصلت اليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار ؟ » ، قالوا : « نعم » . قال : « وما رأيكم فى ذلك ؟ » . قال الشيخ الشرقاوى : « ليس لنا رأى .. والرأى ما تراه ، ونحن الجميع على رأيك ! » . فقال لهم : « فى غد أبعث اليكم صورة تكتبونها فى رد الجواب »

وأرسل اليهم من الغد صورة مضمونها : أن الأوامر الشريفة وصلت الينا ، وتلقيناها بالطاعة والامتثال .. الا أن أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف وربما عصت العساكر عن الخروج ، فيحصل لأهل

البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات . وأنتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف ... ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات ، وأصدروها اليه .

وفى أثناء ذلك ... محمد على باشا آخذ فى الاهتمام والتشهيل ، واظهار الحركة ، والخروج لمحاربة الألفى وبرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة ، وعدوا بالخيام الى البر الغربى . وتقدم الى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفا بالجندية . ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم . ففعلوا ذلك .

ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج ، وعليها ختم الباشا ، ومسطور فى ورقة الأمر بأن المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة ، على أن أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ، ولا ما يحمل عليه متاعه ، ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره ! وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة .

وفيه : شرع الباشا فى تقرير فرضة على البلاد البحرية ، وهى : القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية ، والمزاحمتين الى آخر مجرى النيل . ورتبوها أعلى وأدنى وأوسط ، وهى غلال : الأعلى ثلاثون أردبا ، وثلاثون رأسا من الغنم ، وأردب أرز ، وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك . وغير هذه الأصناف كالتبن والجلة وغير ذلك . والأوسط : عشرون أردبا وما يتبعها مما ذكر والأدنى : اثنا عشر . ومع ذلك القبض والطلب مستمر فى فائظ الملتزمين : بعضه من ذواتهم ، وبعضه من فلاحيهم ... مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالى الاستعجالات .

الثلاثاء ٢٨ منه (١٥ يولية ١٨٠٦ م) :

فى ليلته سافر شاكر أغا السلحدار بالأجوبة .

جمادى الأولى

الجمعة ٢ منه (١٨ يولية ١٨٠٦ م) :

احترق معمل البارود بناحية المدابغ ، فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل ، مثل المدفع العظيم ، سمعه القريب والبعيد . ومات به عدة أشخاص . ويقال أنهم رموا بنبة من القلمة ، بقصد التجربة على جهة بولاق . فسقطت فى المعمل المذكور ، وحصل ماذكر .

السبت ٣ منه (١٩ يولية ١٨٠٦ م) :

فى وقت الزوال ، ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الألفى ، ونزل الى بولاق ، وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضى ، وأرسل أوراقا لتجمع العربان ، وعين لذلك حسن أغا محرم وعلى كاشف الشرقية .

الاثنين ٥ منه (٢١ يولية ١٨٠٦ م) :

حضر سليم أغا قابجى كتخدا — الذى تقدم سفره صحبة سعيد أغا كتخدا البوابين — مرسلا الى قبودان باشا من طرف محمد على باشا ، فرجع بجواب الرسالة ومحصلها : أن القبودان لم يقبل هذه الأعذار ، ولا مانمقوه من التمويهات التى لا أصل لها ، ولابد من تنفيذ الأوامر وسفر الباشا . ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما ، وخروجهم من مصر ، وذهابهم الى ناحية دمياط ، وسفرهم الى الجهة المأمورين بالذهاب اليها ، ولا شىء غير ذلك أبدا .

الخميس ٨ منه (٢٤ يولية ١٨٠٦ م) :

حضر على كاشف الشرقية ، وذلك أنه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله ، وأحضروه محمولا .

وفيه : وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات،

ونصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق . وضربوا لحضورهم مدافع .

وفيه : ركب طوائف الدالاتية ، وتقدموا الى جهة بحرى . وأشيع ركوب محمد علي باشا ذلك اليوم . فلم يركب .

الاثنين ١٢ منه (٢٨ يولية ١٨٠٦ م) :

ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر سكندرية يوم الأحد حادى عشره . والمذكور أرسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لأحمد أفندى الدفتردار بأن يكون قائما مقامه ، ويأمره بضبط الايراد والمصرف . فلم يقبل الدفتردار ذلك ، وقال : « لم يكن بيدى قبض ولا صرف ، ولا علاقة لى بذلك » .

وفيه : وردت الأخبار بأن العساكر الكائنين بالرحمانية ومرقص ، رجعوا الى النجيلة ، ونصبوا عرضيهم هناك . وحضر الألفى تجاههم . فركبوا لمحاربته — وكانوا جمعا عظيما — فركب الألفى بجيوشه وحاربهم . ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم ، وانهزام العسكر . وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة .

ولم يزالوا فى هزيمتهم الى البحر ، وألقوا بأنفسهم فيه . وامتلأ البحر من طراطير الدالاتية . وهرب كتخدا بيك وطاهر باشا الى بر المنوفية ، وعدوا فى المراكب . واستولى الألفى وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبخاناتهم ، وأرسل برءوس القتلى والأسرى الى القبودان . وأشيع خبر هذه الواقعة فى الناس وتحدثوا بها ، وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما ، وعدى الى بر بولاق .

وطاف الوالى وأصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج الى العرضى ، ويكتبوا أسماءهم .

وحضر الباشا الى داره ، وأكثر من الركوب والذهاب والمجىء والطواف حول المدينة والشوارع ، ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ، ويرجع ليلا ونهارا وهو راكب رهوانا تارة أو فرسا أو بغلة ، ومرتد ببرنس ابيض — مثل المغاربة — والعسكر أمامه وخلفه .

ووصل مجاريح كثيرة ، وأخبروا بالواقعة المذكورة .

ومات من جماعة الألفى : أحمد بيك الهنداوى فقط ، وانجرح أمين بيك وغيره جرح سلامة .

الاحد ١٨ منه (٣ اغسطس ١٨٠٦ م) :

طافت جماعة قواسة على بيوت الأعيان ، يبشرونهم بأن العساكر الكائنين بناحية الرحمانية ركبوا على عرضى الألفى ، ووقعت بينهم مقتلة كبيرة ، وقتلوا منه جملة فيهم أربع صناجق ، ونهبوا منه زيادة عن ثمانمائة جمل بأحمالها وعدة هجن محملة بالأموال ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين رأسا ومائة أسير ، وغير ذلك . وأن الألفى هرب بمفرده الى ناحية الجبل ، وقيل الى الأسكندرية فكانوا يطوفون على الأعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش . ثم ظهر أن هذا الكلام لا أصل له ، وتبين أن طائفة من العرب يقال لهم (الجوابيص) وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم أذية ولا ضرر لأحد مطلقا ، نزلوا بالجبل بتلك الناحية ، فدهمهم العسكر ، وخطفوا منهم ابلا وأغناما . وقتل فيما بينهم أنفار من الفريقين لمدافعتهم عن أنفسهم .

وفى ذلك اليوم أيضا ، ركب حسن أغا الشماشيرجى الى المنصورية — قرية بالجيزة — ومعه طائفة من العسكر وهى بالقرب من الأهرام . فضربوا القرية ، ونهبوا منها أغناما ومواشى وأحضروها الى العرضى بانبابة . وحضر خلفهم أصحاب الأغنام ، وفيهم نساء يصرخن ويصحن . وصادف ذلك أن السيد عمر النقيب عدى الى

العرضى ، فشاهدهم على هذه الحالة ، فكلم الباشا فى شأنهم . فأمر برد الأغنام التى للنساء والفقراء الصارخين ، وذهبوا بالباقى للمطابخ !

الاربعاء ٢١ منه (٦ اغسطس ١٨٠٦ م) :

وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق ، وفيهم مجاريح كثيرة ، وهم فى أسوأ حال فمنعهم الباشا من طلوع البر ، وردهم بمراكبهم الى بر انبابة ، واستمر هناك الى آخر النهار . وهم عدد كثير ، وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف . ثم انهم طلعوا الى بولاق وانتشروا فى النواحى ، وذهب منهم الكثير الى مصر القديمة ، وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ، ودخلوا البيوت ، وأزعجوا كثيرا من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة اللالا والناصرية وغير ذلك من النواحى ، وأخرجوهم من دورهم .

وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم .

الاربعاء ٢٨ منه (١٣ اغسطس ١٨٠٦ م — ٨ مسرى ١٥٢٢ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وركب الباشا فى صبيحة يوم الخميس الى قنطرة السد . وحضر القاضى والسيد عمر النقيب ، وكسر الجسر بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا ، بسبب علو أرضه ، وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه ويقال انهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا ، وتطيره وخوفه من حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع ، وخصوصا وقد وصل الى بر الجيزة الكثير من أجناد الألفى .

جمادى الآخرة

الخميس ٦ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٦ م) :

حضر طاهر باشا الى بر انبابة ، ونصب خيامه هناك ، وعدى هو فى قلة الى بر بولاق وذهب الى داره بالأزبكية .

وكان من أمره : انه لما حصلت له الهزيمة ذهب الى المنوفية . وقد اغتاظ عليه الباشا ، وأرسل يقول له : « لا ترينى وجهك بعد الذى حصل » . وترددت بينهما الرسل . ثم أرسل اليه يأمره بالذهاب الى رشيد ، فذهب الى فوة .

ثم حضر شاهين بيك الألفى الى الرحمانية . فأرسل الباشا الى طاهر باشا يأمره بالذهاب الى شاهين بك ويطرده من الرحمانية . فذهب اليه فى المراكب ، فضرب عليه شاهين بيك بالمدافع فكسر بعض مراكبه فرجع على أثره ، وركب من البر حتى تعدى بحر الرحمانية ، ثم حضر الى مصر . ووصل بعده الكثير من العسكر ، فأمرهم الباشا بالعود ، فعاد الكثير منهم فى المراكب .

وحضر أيضا اسماعيل آغا الطوبجى كاشف المنوفية ، وقد داخل الجميع الخوف من الألفى . وأما الألفى فانه بعد انفصال الحرب من النجيلة،رجع الى حصار دمنهور . وذلك بعد أن ذهب أغيانها الى قبودان باشا وقابلوه وامنهم ورجعوا على أمانه . فافترقوا فرقتين : فرقة منهم اطمأنت ورضيت بالأمان ، والأخرى لم تطمئن بذلك . وأرسلوا الى السيد عمر والباشا . فرجع اليهم الجواب يأمرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربة من يأتى لحربهم . فامتثلوا ذلك ، وتبعتهم الفرقة الأخرى وأرسل اليهم القبودان يدعوهم الى الطاعة ، ويضمن لهم عدم تعدى الألفى عليهم .. فلم يرضوا بذلك . فعند ذلك استفتى العلماء فى جواز حربهم حتى يذعنوا للطاعة ، فأفتوه بذلك فعند ذلك أرسل الى الألفى يأمره بحربهم . فحاصرهم وحاربهم واستمر ذلك .

الجمعة ٧ منه (٢٢ اغسطس ١٨٠٦ م) :

ورد الخبر بموت الكاشف الذى بدمنهور .

الخميس ١٣ منه (٢٨ اغسطس ١٨٠٦ م) :

وصلت قافلة من السويس وصحبتها المحمل ، فأدخلوه وشقوا به من المدينة . وخلفه طبل وزمر ، وامامه أكابر العسكر وأولاد الباشا ومصطفى جاويش المتسفر عليه .

ولقد أخبرنى مصطفى جاويش المذكور : أنه لما ذهب الى مكة — وكان الوهابى حضر الحج واجتمع به — فقال له الوهابى : « ما هذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم ؟ » . (يشير بذلك القول الى المحمل) . فقال له : « جرت العادة من قديم الزمان بها . يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج » . فقال : « لا تفعلوا ذلك ، ولا تأتوا به بعد هذه المرة . وان أتيتم به مرة أخرى فانى أكسره » .

الأربعاء ١٩ منه (٣ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

حضر الأفندى المكتوبجى من طرف القبودان الى بولاق . فأرسل اليه الباشا حصانا فركبه . وحضر الى بيت الباشا بالأزبكية فى صبح يوم الاربعاء المذكور . فأحضر الباشا الدفتردار وسعيد أغا ، واختلوا مع بعضهم ، ولم يعلم مادار بينهم .

الخميس ٢٠ منه (٤ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

ارتحل من بالجيزة من الأمراء المصريين — وعدتهم ستة من المتأمرين الجدد الذين أمرهم الألفى — فذهبوا عند أستاذهم بناحية دمنهور ، ونزلوا بالقرب منه .

الثلاثاء ٢٥ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

مر سليمان أغا صالح من ناحية الجيزة ، راجعا من عند الأمراء القبالى ، وصحبته هدايا من طرفهم الى القبودان ، وفيها خيول وعبيد وطواشية وسكر . ولم يجيبوا الى الحضور لممانعة عثمان بيك البرديسى وحقده الكامن للألفى ... ولكون هذه الحركة — وهى مجىء القبودان وموسى باشا — باجتهاده وسفارته وتدبيره كما سيتلى عليك فيما بعد .

وفيه : ظهرت فحوى النتيجة القياسية ، وانعكاس القضية . وهو أن القبودان لما لم يجد فى المصرلية الاسعاف ، وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف ، وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات .. فعند ذلك استأنف مع محمد على باشا المصادقة ، وعلم أن الأروج له معه الموافقة . فأرسل اليه المكتوبجى ، واستوثق منه ، والتزم له بأضعاف ما وعد به من الكذابين معجلا ومؤجلا على ممر السنين .. والالتزام بجميع المأمورات ، والعدول عن المخالفات .

فوقع الاتفاق على قدر معلوم . وأرسل الى محمد على باشا يأمره بكتابة عرضحال خلافه الأولين ، ويرسله صحبة ولده على يد القبودان . فعند ذلك لخصوا عرضحال ، وختم عليه الأشياخ والاختيارية والوجاقلية . وأرسله صحبة ابنه ابراهيم بيك ، وأصحب معه هدية حافلة وخيولا وأقمشة هندية وغير ذلك . وتلفت طبخة الألفى والتدابير ، ولم تسعفه المقادير !

ومضمون العرضحال وملخصه : « أن محمد على باشا كافل الاقليم ، وحافظ ثغوره ، ومؤمن سبله ، وقامع المعتدين . وأن الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدله . والشريعة مقامة فى أيامه ! ولا يرتضون خلافه .. لما رأوا فيه من عدم الظلم ! والرفق بالضعفاء وأهل القرى والأرياف ، وعمارها بأهلها ، ورجوع الشاردين منها فى أيام المماليك المصرية المعتدين

الذين كانوا يتعدون عليهم ، ويسلبون أموالهم ومزارعهم ، ويكلفونهم بأخذ القرض والكلف الخارجة عن الحد .

« وأما الآن فجميع أهل القطر المصرى آمنون مطمئنون بولاية هذا الوزير ! ويرجون من مراحم الدولة العلية أن يبقيه واليا عليهم ، ولا يعزله عنهم .. لما تحققوه فيه من العدل والصاف المظلومين ، وايصال الحقوق لأربابها ، وقمع المفسدين من العربان الذين كانوا يقطعون الطرقات على المسافرين ، ويتعدون على أهل القرى ، ويأخذون مواشيهم وزرعهم ، ويقتلون من يعصى عليهم منهم .

« وأما الآن فلم يكن شيء من ذلك . وجميع أهل البلاد فى غاية من الراحة والأمن برا وبحرا .. بحسن سياسته وعدله ، وامتثاله للأحكام الشرعية ، ومحبته للعلماء وأهل الفضائل ، والاذعان لقولهم ونصحهم ! » . ونحو ذلك من الكلمات التى عنها يسألون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون !

ولما كتبوا ذلك ... لم يطلع عليه الا بعض الأفراد المتصدرين . ويكتب كاتبه جميع الأسماء تحته بخطه ، ولا يمكنون البواقى — الذين يضعون امضاءهم وأسماءهم — من قراءته ، بل يطلب منهم الخاتم فيختمون به تحت اسمه ، اذ لا يمكنه الشذوذ والمخالفة لحرصه على دوام ناموسه وقبوله عند سلطانه ، ودائرة أهل دولته !

وان كان متورعا ، وليس له كبير صورة فيهم ، ولا صدارة مثلهم ، وابى أن يسلم خاتمه ليفعل به كغيره .. ختموه بخاتم موافق لاسمه تحت امضائه .. وهذا هو السبب فى عدم نقلى هذه الصورة ، بل فهمت المضمون فقط . والله ولى التوفيق .

وفى هذه الأيام : تخاصم عرب الحويطات والعيايدة ، وتجمع الفريقان حول المدينة ، وتحاربوا مع بعضهم مرارا . وانقطعت السبل بسبب ذلك . وانتصر الباشا للحويطات ، وخرج بسببهم الى العادلية .. ثم رجع . ثم انهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم .

رجب

الأحد غرته (١٤ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

وصل القاضى الجديد ، ويسمى عارف أفندى ، وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول . والفصل محمد أفندى سعيد ، حفيد على باشا المعروف بحكيم أوغلى . وكان انسانا لا بأس به ، مهذبا فى نفسه . وسافر الى قضاء المدينة المنورة من القلزم بصحبة القافلة .

الجمعة ٦ منه (١٩ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

سافر ابراهيم بيك ابن الباشا بالهدية . وسافر صحبته محمد أغا لاظ ، الذى كان سلحدار محمد باشا خسرو .



ترجمان الباشا

السبت ٧ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

ارسل الباشا الى الشيخ عبد الله الشرقاوى ترجمانه يأمره بلزوم داره ، وأنه لا يخرج منها .. ولا الى صلاة الجمعة ! وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين اخوانه : كالسيد محمد الدواخلى ، والسيد سعيد الشامى ، وكذلك السيد عمر النقيب . فأغروا به الباشا ، ففعل به ماذكر .، فامتثل الأمر ، ولم يجد ناصرا . وأهمل أمره .

وفيه : تواترت الأخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والألفى . وذلك أن الألفى لم يزل محاصرا دمنهور .. وهم ممتنعون عليه الى الآن . وسد خليج الأشرفية ، ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار . فأرسل الباشا بربر باشا الخازندار ومعه عثمان أغا ، ومعهما عدة كثيرة من العساكر فى المراكب . فوصلوا الى خليج الأشرفية من ناحية الرحمانية ... وعليه جماعة من الألفية ، فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وفتحوا فم الخليج . فجرى فيه الماء ، ودخلوا فيه بمراكبهم . فسد الألفية الخليج من أعلى عليهم . وحضر شاهين بيك فسد مع الألفية فم الخليج بأعدال القطن والمشاق . ثم فتحوه من أسفل ، فسال الماء فى السبخ ، ونضب الماء من الخليج ، ووقفت السفن على الأرض . ووصلتهم الألفية فأوقعوا معهم وقعة عظيمة .. وذلك عند قرية يقال لها « منية القران » . فانهزموا الى سنهور ، وتحصنوا بها فأحاطوا بهم ، واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد .

وفيه أيضا : وصلت الأخبار بأن يس بيك لم يزل يحارب من بمدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ، ولم ينج منهم الا القليل ! وكانوا أرسلوا يستنجدون بارسال العسكر ، فلم يلحقوهم .

وفيه : وردت الأخبار من الجهة القبلية بأن الأمراء المصريين أخلوا منفلوط وملوى ، وترفعوا الى أسيوط وجزيرة منقباط ، وتحصنوا بهما . وذلك لما أخذ النيل فى الزيادة ، وخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحى ، فلا يمكنهم التحصن فيها .. فترفعوا الى أسيوط .

فلما فعلوا ذلك ، أشاعوا هروبهم ، وذكروا أن عابدين بيك وحسن بيك ، حارباهم وطرداهم الى أن هربوا الى أسيوط . ولما خلت تلك النواحى منهم .. رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما ، الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى ، وفروا من مقاتلتهم .

وفيه : شرع الباشا فى تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحرى وقبلى . وحجزوا المراكب للعسكر ، فانقطعت سبل المسافرين .. وذلك عندما اطمأن خاطره من قضية القبودان والعزل .

وفيه : شرع أيضا فى تقرير فردة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الأروام والأقباط والشوام ومساتير الناس ونساء الأعيان والملتزمين وغيرهم — وقدرها ستة آلاف كيس — وذلك برسم مصلحة القبودان . وذكروا أنها سلفة لمدة ستة أيام ، ثم ترد الى أربابها .. ولا صحة لذلك .

الاثنين ٩ منه (٢٢ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق . فضربوا لقدومه مدافع ، وعملوا له شنكا وأرسل له فى صبحها خيولا صحبة ابنه طوسون ، ومعهم أكابر الدولة والأغا والوالى والأغوات . فركب فى موكب عظيم ، ودخلوا به من باب النصر . وشق من وسط المدينة .

وعمل الباشا الديوان ، واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ، ما عدا الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن يلوذ به ، فسأل عليه القاضى وعلى من تأخر . فقيل له : الآن يحضر . ولعل الذى

آخره ضعفه ومرضه . ثم انهم انتظروا باقى الوجهاء وأرسلوا لهم جملة مراسيل . فلما حضروا قرأوا المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور .

ومضمونه : ابقاء محمد على باشا ، واستمراره على ولاية مصر .. حيث أن الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله ، بشهادة العلماء وأشراف الناس . وقبلنا رجاءهم وشهادتهم ، وأنه يقوم بالشروط التى منها : طلوع الحج ، ولوازم الحرمين ، وايصال العلائف والغلال لأربابها على النسق القديم . وليس له تعلق بثغر رشيد ولا دمياط ولا سكندرية . فانه يكون ايرادها من الجمارك يضبط الى الترسخانة السلطانية باسلامبول . ومن الشروط أيضا : أن يرضى خواطر الأمراء المصريين ، ويمتنع من محاربتهم ، ويعطيهم جهات يتعيشون بها ، وهذا من قبيل تحلية البضاعة !

وانفض المجلس . وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق . وأشيع عمل زينة بالبلدة . وشرع الناس فى أسبابها ، وبعضهم علق على داره تعاليق ثم بطل ذلك . وطاف المبشرون من أتباعهم على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش . وأذن الباشا بدخول المراكب الى الخليج والأزبكية . ثم عملوا شنكا وحراقات وسواريخ ، ثلاثة أيام بلياليها ... بالأزبكية .

شعبان

فيه تكلم القاضى مع الباشا فى شأن الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والافراج عنه ، ويأذن له فى الركوب والخروج من داره حيث يريد . فقال : « أنا لا ذنب لى فى التحجير عليه . وانما ذلك من تفاقمهم مع بعضهم » . فاستأذنه فى مصالحتهم ، فأذن له فى ذلك . فعمل القاضى لهم وليمة ، ودعاهم ، وتغدوا عنده ، وصالحهم . وقرأوا بينهم الفاتحة ، وذهبوا الى دورهم .. والذى فى القلب مستقر فيه !

وفيه : وردت الأخبار من الديار الرومية بقيام الرومنلى ، وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث . فوجهوا عليهم عسكر النظام ، فتلاقوا معهم ، وتحاربوا ... فكانت الهزيمة على النظام ، وهلك بينهم خلائق كثيرة . ولم يزالوا فى أثرهم حتى قربوا من دار السلطنة ، فترددت بينهم الرسل ، وصانعوهم وصالحوهم على شروط ، منها : عزل أشخاص من مناصبهم ، ونفى آخرين — ومنهم الوزير ، وشيخ الاسلام ، والكتخدا ، والدفتردار — ومنع النظام والحوادث ، ورجوع الوجاقات على عادتهم ، وتقلد أغات الينكجرية الصدارة .. وأشياء لم تثبت حقيقتها .

وفيه : حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية .

الخميس ١٠ منه (٢٣ اكتوبر ١٨٠٦ م) :

تواترت الأخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية ، واختلاف العساكر ، ورجوع من كان بناحية منفلوط ، وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تأخر علائفهم . ورجع حسن باشا الى ناحية المنية . فضرب عليه من بها ، فانحدر الى بنى سويف .

وفيه : حضر اسماعيل الطوبجى كاشف المنوفية باستدعاء . فأرسله الباشا بمال الى الجهة القبلية ليصالح العساكر .

وفيه : وردت الأخبار ، من ثغر الاسكندرية ، بسفر قبودان باشا وموسى باشا الى اسلامبول . وأخذ القبودان صحبته ابن محمد على باشا . وكان نزولهم وسفرهم فى يوم السبت خامسه . واستمر كتخدا القبودان بمصر .. متخلفا حتى يستغلق مال المصالحة .

وفيه : شرعوا فى تقرير فرضة على البلاد أيضاً

وفيه : حضر محو بيك من ناحية قبلى .

الاربعاء ١٦ منه (٢٩ اكتوبر ١٨٠٦ م) :

سافر كتخدا القبودان بعد ما استغلق المطلوب .

وفيه : وصل الى ثغر بولاق قابجى . وعلى يده تقرير لمحمد على باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف . فأركبوه من بولاق الى الأزبكية فى موكب حفل ، وشـقوا به من وسط المدينـة .

وحضر المشايخ والأعيان والاختيارية . ونصب الباشا سحابة بحوش البيت للجلع والحضـور . وقرئت المرسومات وهما فرمانان : أحدهما يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر ، بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والأشراف . والثانى يتضمن الأوامر السابقة وباجراء لوازم الحرمين ، وطلوع الحج ، وارسال غلال الحرمين ، والوصية بالرعية ، وتشهيل غلال — وقدرها ستة آلاف أردب — وتسفيرها على طريق الشام .. معونة للعسـاكر المتوجهين الى الحجاز . وفيه : الأمر أيضا بعدم التعرض للأمراء المصريين وراحتهم ، وعدم محاربتهم ... لأنه تقدم العفـو عنهم ، ونحـو ذلك . وانقضى المجلس ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية .

رمضـان

(١٢ نوفمبر ــ ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م)

انقضى بخير ... ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالى الطلب ، والفرض ، والسلف التى لا تردّ ، وتجريد العسكر الى محاربة الألفى ، واسـتمرار الألفى بالجيزة ، ومحاصرة دمنهور ، واستمرار أهل دمنهور على الممانعة ، وصبرهم على المحـاصرة ، وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة .

وفيه : ورد الخبر بموت عثمان بيك البرديسى فى أوائل رمضان بمنفلوط . وكذلك سليم بيك أبو دياب بنى عدى .

وفى أواخره : تقدم محمد على باشا الى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة أكياس عـلى أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة .

ولم يقع فى شهر رمضان هذا ارتباك فى هلاله أولا وآخرا كما حصل فيما تقدم . وكذلك حصل به سـكون وطمأنينة من عربدة العساكر ... لولا توالى الطلب ، والسلف ، والدعاوى البـاطلة فى المدينـة والأرياف ، وعسف أرباب المنـاصب فى القرى .

شـوال

الجمعة غرته (١٢ ديسمبر ١٨٠٦ م) :

عملوا شنكا للعيـد بمدافع كثيرة فى الأوقات الخمسة ثلاثة أيام العيد .

وفيه : فتحوا طلب الميرى على السنة القابلة ، وجدوا فى التحصيل ، ووجهوا بالطلب العسـاكر والقواصة والأتراك بالعصى المفضضة ، وضيقوا على الملتزمين .

الأحد ١٠ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٦ م)

أخرج الباشا خياما ، ونصب عرضى بناحية شبرا ومنية السـيرج ، والتمس من السيد عمر توزيع أربعمائة كيس برأيه ومعرفته .. فضاق صـدره ، وشرع فى توزيعها على التجار ومساتير الناس ، حيث لم يمكنه التحلف ولا التباعد عن ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٢ يناير ١٨٠٧ م) :

وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ، ودخل داره . وخرج محمد على باشا الى جهة الخلاء يريد السفر الى الألفى . ووصلت عربان الألفى وعساكره الى بر الجيزة ، وطلبوا الكلف من البلاد .

الأحد ٢٤ منه (٤ يناير ١٨٠٧ م) :

عدى محمد على باشا الى بر انبابة .

كفر حكيم

الاثنين ٢٥ منه (٥ يناير ١٨٠٧ م) :

عدى محمد على باشا وغالب العسكر الى بر بولاق . وأشاعوا أن الأخصام هربوا من وجوههم .. فلم يذهبوا خلفهم ، بل رجعوا على أثرهم ، ونهبوا كفر حكيم وما جاوره من القرى .. حتى أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشى ، ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة ، ويبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار !

ذو القعدة

السبت غرته (١٠ يناير ١٨٠٧ م) :

وصل الحجاج الطرابلسية ، وعدوا الى بر مصر .

الاحد ٢ منه (١١ يناير ١٨٠٧ م) :

وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل ، وبها أحمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم . فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ، ونهبهم ، وأخذ جمالهم وأحمالهم ومتاعهم — حتى أولاد العربان ، والنساء والبنات — ودخلوا بهم الى المدينة يقودونهم أسرى فى أيديهم ، ويبيعونهم فيما بينهم ... كما فعلوا بأهل كفر حكيم وما حوله !

وفى ذلك اليوم : ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود أشخاص من الططر ببشارة الى الباشا ، وتقريره على السنة الجديدة .

السبت ٨ منه (١٧ يناير ١٨٠٧ م) :

أداروا كسوة الكعبة والمحمل . وركب معها المتسفر عليها من القلزم — وهو شخص يقال له محمود أغا الجزيرى — وركب أمامه الأغا والوالى والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر .

الاثنين ١٠ منه (١٩ يناير ١٨٠٧ م) :

وصلت الأخبار بوصول الألفى الى ناحية الأخصاص ، وانتشار جيوشه باقليم الجيزة . وكان الباشا معزوما ذلك اليوم عند سعودى الحناوى ، بسوق الزلط ، وحارة المقس . وركب قبيل العصر ، وذهب الى بولاق ، وأمر العساكر بالخروج ، ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل . وعدى بمن معه الى بر انبابة .

الاربعاء ١٢ منه (٢١ يناير ١٨٠٧ م) :

فى ليلته وقع بين الألفى والعسكر معركة . وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ، ووصل منهم جرحى الى البلد . واستمر الأمر على ذلك .. وهم يهابون البروز الى الميدان ، وأخصامهم لا يحاربون المتاريس والحيطان !

الثلاثاء ١٨ منه (٢٧ يناير ١٨٠٧ م) :

ركب الألفى بجيوشه ، وتوجه الى ناحية قناطر شبرامنت . فلما عاينهم الباشا ومن معه مارين ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وماحوله ، وساروا الى جهة الجيزة ، ونصب وطاقه بحريها . وباتوا تلك الليلة ، وعملوا شنكا فى صبحها .. وهم يشيعون هروب الألفى !

والحال : أنه مر فى جيش كثيف وصورة هائلة ، وقد رتب جنوده وعساكره طوابير ، وبين يديه النظام الذى رتبه — على هيئة عسكر الفرنسيس — ومعهم طبول بكيفية خرعت عقولهم .. والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه ،

وتارة بالنظارة، ويقول : « هذا طهماز الزمان ! » ويتعجب . وقال لطائفة الدلاة : « تقدموا لمحاربته، وأنا أعطيكم كذا ، وكذا من المال » . فلم يجسروا على التقدم .. لما سبق لهم معه .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٨٠٧ م) :

حضر أشخاص من العرب الى الباشا ، وأخبروه بأن الألفى قد مات يوم وصوله الى تلك المحطة — وذلك ليلة الأربع تاسع عشره — وقد نزل به خلط دموى فتقايأ ثم مات .. وذلك بناحية المحرقة بالقرب من دهشور . وأن مماليكه اجتمعوا ، وأمروا عليهم شاهين بيك ، وذلك باشارة أستاذهم ، وأن طائفة أولاد على انفصلوا عنهم ، ورجعوا الى بلادهم ، وآخرين يطلبون الأمان .

فاشتبه الحال ، وشاع الخبر . وصارت الناس ما بين مصدق ومكذب . واستمر الاشتباه والاضطراب أياما ، حتى أن الباشا خلع على ذلك المخبر — بعد أن تحقق خبره — فروة سمور ، وركب بها ، وشق من وسط المدينة .. والناس ما بين مصدق ومكذب ، ويظنون أن ذلك من مكايده وتحيلاته لأمور يدبرها .. الى أن حضر بعض الخدم الى دوره ، وأخبروا بحقيقة الحال كما ذكر .

فعند ذلك زال الاشتباه . وعد ذلك من تمام سعد محمد على باشا الدنيوى .. حتى انه قال فى مجلس خاصته : « الآن ملكت مصر »

ولما مات الألفى ارتحلت أجناده ومماليكه وأمراؤه ، وارتفعوا الى ناحية قبلى . فسبحان الحى الذى لا يموت .

قال الشاعر :

فقل للشامتين بنا : أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم ان الباشا أرسل الى أمرائه مكاتبة ، يستميلهم ويطلبهم للصلح ، ويدعوهم للانضمام اليه ، ويعدهم أن يعطيهم فوق مأمولهم ... ونحو ذلك . وأرسل تلك المكاتبة صحبة قادرى أغا ، الذى كان طرده الألفى ونفاه .

وأخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب واللحوق بهم . وفى كل يوم ينادى على العسكر بالمدينة بالخروج . وقوى نشاطهم ، ورفعوا رؤوسهم ، وسعوا فى قضاء أشغالهم ، وخطفوا الجمال والحمير ! وحضر الباشا الى بيته بالأزبكية ، وبات به ليلة الأحد ، وصرح بسفره يوم الخميس . وخرج الى العرضى ثانيا ، وطلب السلف والمال . ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر .

السبت ٢٩ منه (٧ فبراير ١٨٠٧ م) :

نزل به حادر ، وتحرك عنده خلط ، وحصل له اسهال وقىء . وأشاع الناس موته يوم السبت وتناقلوه ، وكاد العسكر ينهبون العرضى .. ثم حصلت له افاقة . وخرج السيد عمر والمشايخ للسلام عليه يوم الأحد ، وليهنئوه بالعافية ، وكذلك خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا .

وفيه : حضر قادرى بجوابات الرسالة من أمراء الألفى : أحدها للباشا ، وعليه ختم شاهين بيك وباقى خشداشينه الكبار . وآخر خطابا لمصطفى كاشف آغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى ، ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق .. يذكرون فى جوابهم : ان كان سيدهم قد مات — وهو شخص واحد — فقد خلف رجالا وأمراء .. وهم على طريقة أستاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ، ونحو ذلك . وليس كل مدع تسلم له دعواه . ومن أمثال المغاربة « ما كل حمراء لحمة ، ولا كل بيضاء شحمة » . وذكروا فى الجواب أيضا : أنه ان اصطلح مع كبرائهم الكائنين بقبلى — وهم : ابراهيم بيك الكبير ، وعثمان بيك حسن ، وباقى أمرائهما —

كنا بمثلهم . وان كان يريد صلحنا دونهم .. فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الأقاليم ، ونحو ذلك .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٩ فبراير ١٨٠٧ م) :

ارتحل الباشا بالعرضى ، الى ساقية مكى بالجيزة ، متوجها لقبلى .

وفيه : طلبوا المراكب من كل ناحية . وعز وجودها ، وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات .. مع استمرار الطلب للمغارم والسلف ونحو ذلك .

وفى منتصفه : وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية ، وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثمانى والموسكوب ، والأمر بالتيقظ والتحفظ ، وتحصين الثغور .. فربما أغاروا على بعضها على حين غفلة .

وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك ، من حاكم أزمير وحاكم رودس . وأن الانجليز معاونون لطائفة الموسكوب .. لاستمرار عداوتهم مع الفرانساوية ، لكون الفرانساوية متصادقين مع العثمانى .

والخبر عن مجمل القضية : أن « بونابارته » — أمير جيش الفرانساوية — وعساكرهم ، خرجوا فى العام الماضى ، وأغاروا على القرانات والممالك الأفرنجية ، واستولوا على النيمسة



بونابرت يغزو اوربا

— التى هى أعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب — فأرسل الموسكوب جندا كثيفا ، مساعدة للنيمساوية ، مع كبير من قرابة قرابتهم ، فتلاقوا مع بونابرته ، بعد استيلائه على تخت النيمسة ، فهزمهم أيضا ، وأسر عظماءهم وسار بجيوشه الى الروسية ، واستولى على عدة أساكل . وكلما استولى على جهة ، قرر بها حكامها ، وشرط عليهم شروطه التى منها : معاداة الانكليز ، ومنابذتهم .

وراسله العثمانى ، وراسله هو أيضا . ورأى العثمانى قوة بأسه .. فصادقه ، وأرسل اليه من طرفه « الچى » الى اسلامبول . فدخلها فى أهبة عظيمة ، وأنزلوه منزلا حسنا ، وأرسل صحبته هدايا ، وقوبل بأعظم منها . وكذلك أرسل الى خصوص (١) « بونابارته » تحفا وهدايا وتاجا من الجوهر .

فعند ذلك انتبذ الموسكوب ، ونقض الهدنة بينه وبين العثمانى ، وطلب المحاربة . فخافه العثمانى ... لما يعلمه منه من القوة والكثرة . وسعى الانجليز بينهما بالصلح ، واجتهد فى ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة ، وصلت الينا صورتها ، وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا . ونصها :

الأول : أن أمراء القلاع والبغازات يحتاج أن يتغيروا باذن الانكليز والموسكوب .

الثانى : مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لا تكون تابعة غير الموسكوب .

الثالث : تعريفة الديوان فى بلاد العثمانى ، هى التى كانوا يأخذونها قبل النظام الجديد .

الرابع : الدولة العلية تسمح للموسكوب فى طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أى محل أرادوه من بلاد العثمانى ! وذلك مدة اتفاق الانكلبز والموسكوب ، وهو تسع سنين .

---

(١) كناية عن « زوجته » .

الخامس : يكون مسموحا لعمارة الموسكوب أنها تدخل لمينة الترسخانة باسلامبول ، لأجل أنهم يأخذون من هناك كامل الذى يلزمهم .

السادس : جميع الرعايا والحمايات التى للموسكوب ، من جديد وقديم ، لهم الاقامة والتجارة وشراء الأملاك فى كامل بلاد العثمانى .

السابع : كامل مراكب الموسكوب التجارى ، التى كانوا عن بعض الأسباب نزلوا بيسارقها ، يقدرون أن نتوجهوا بها الى قنصولية الموسكوب باسلامبول ... وحالا تعطى لهم بطانات جديدة .

الثامن : كامل الأروام الموجودين فى بلاد العثمانى ، ويريدون أن يدخلوا فى حماية الموسكوب ، يمكنهم بكل حرية .

التاسع : البراتلية والفرمائلية يحصلون على قوتهم التى كانوا بها سابقا .

العاشر : « الجى » الفرنساوية ملزوم يسافر من اسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما .

الحادى عشر : مراكب الأروام والعثمانى لا سافرون بها لبلاد فرانسا ما دام الحرب بين الموسكوب والفرنساوية (١) .

فلما تقررت هذه الشروط ، واطلع عليها الفرنساوى .. فكأنه لم يرض بها ، وقال للعثمانى : « لم يبق بيدك مملكة » ، وأشار عليه بنقضها ، وتكفل بمساعدته ومقاومتهم . فركن اليه ، ونقض تلك الشروط .

فعند ذلك لبذوا صداقة العثمانى ، وأظهروا مخاصمته ، ووافقهم على ذلك الانكليز ... لكونه صادق الفرنساوية . وأغاروا على بعض النواحى ، وأخذوا الختن وغيرها .

وشرع أهل الاسكندرية فى تحصين قلاعها وأبراجها ، وكذلك أبو قير . وأرسل كتخدا بيك من بتقيد بيناء قلعة بالبرلس . وحصل لمصر قلق ولغط . وغلت الأسعار فى البضائع المجلوبة . وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بيك ، وببيت السيد عمر النقيب ، واتفقوا على ارسال تلك المراسلات الى محمد على باشا بالجهة القبلية ، صحبة ديوان أفندى .

السبت ٢٠ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٧ م) :

اجتمعوا بالأزهر لقراءة صحيح البخارى فى أجزاء صغار !

وفيه : حضر ديوان أفندى بمكاتبات ، وفيها : طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا فى اجراء الصلح بين الأمراء المصريين وبين الباشا . فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص ، وهم : ابن الشيخ الأمير ، وابن الشيخ العروسى ، والسيد محمد الدواخلى . فسافروا فى يوم الأحد سادس عشرينه .

ووصلت الأخبار بأن الانجليز حضروا فى اثنى عشر مركبا ، وعبروا بوغاز اسلامبول — وكانوا محترسين — فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين . فلم يكترثوا ، ولم يفزعوا ، ولم يتأخروا ، ولم يصب الضرب الا مركبا واحدا من الاثنى عشر ، وعمروا ثلثها فى الحال . ولم يزالوا سائرين حتى رسوا بين اسلامبول ... فهاج كل أهلها ، وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما ، وأيقنوا بأخذ الانجليز البلدة . ولو أرادوا حرقها لأحرقوها عن آخرها .

فعند ذلك نزل اليهم السيد على باشا القبطان — وهو أخو على باشا الذى كان أخذ أسيرا مع البرديسى من برج مغيزل برشيد — فتكلم معهم وصالحهم . وخرجوا من البوغاز سالمين مغبوطين بعفوهم مع المقدرة . وانقضت السنة بحوادثها .

* * *

وأما من مات بها من العلماء والأمراء ، ممن له ذكر :

(١) لم يرد فى الأصل الشرط الثانى عشر .

مات العمدة الفاضل ، صدر المدرسين وعمدة المحققين ، الفقيه الورع . الشيخ محمد الخشنى الشافعى .

تخرج على الشيخ عطية الأجهورى وغيره من أشياخ العصر المتقدمين ، كالحفنى والعدوى . ومسكنه بخطة السيدة نفيسة . ويأتى الى الأزهر فى كل يوم ، فيقرأ دروسه ثم يعود الى داره . متقللا فى معيشته ، منعزلا عن مخالطة غالب الناس — وهو آخر الطبقة .

وتمرض شهورا بمنزله الذى بالمشهد النفيسى . وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمى ، وكان يقول : « لا أموت حتى يموت البجيرمى ، لأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال له : « أنت آخر أقرانك موتا » . ولم يكن من أقرانه سوى البجيرمى .. فلذلك كان يسأل عنه !

ثم مات البجيرمى بقرية تسمى « مصطية » . ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر . وكانت وفاته فى يوم الاثنين خامس عشرين ذى الحجة . ولم يحضروا بجنازته الى الأزهر بل صلى عليه بالمشهد النفيسى ودفن هناك .. رحمة الله تعالى عليه .

* * *

ومات الشيخ الفقيه المحدث ، خاتمة المحققين وعمدة المدققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف : الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمى الشافعى الأزهرى .. المنتهى نسبه الى الشيخ جمعة الزيدى المدفون ببجيرم ، نسبة الى « زيدة » بالقرب من منية ابن خصيم .. وينتهى نسب الشيخ جمعة المذكور الى سيدى محمد بن الحنفية .

ولد ببجيرم — قرية من الغربية — سنة احدى وثلاثين ومائة ألف . وحضر الى مصر صغيرا دون البلوغ . ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمى ، وحفظ القرآن ، ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم . وحضر على الشيخ العشماوى فى الصحيحين وأبى داود والترمذى ، والشفاء والمواهب وشرح المنهج لشيخ الاسلام ، وشرحى المنهاج لكل من الرملى وابن حجر .

وحضر دروس الشيخ الحفنى ، وأجازه الملوى والجوهرى والمدابغى ، وأخذ عن الديربى وغيره . وحضر أيضا دروس الشيخ على الصعيدى والسيد البليدى ، وشارك كثيرا من الأشياخ ، كالشيخ عطية الأجهورى وغيره .

وكان انسانا حسنا حميد الأخلاق ، منجمعا عن مخالطة الناس ، مقبلا على شأنه . وقد انتفع به أناس كثيرون .

وكف بصره سنين ، وعمر وتجاوز المائة سنة(1). ومن تآليفه بأيدى الطلبة ، حاشية على المنهج ، وأخرى على الخطيب . وغير ذلك .

وقبل وفاته ، سافر الى « مصطية » بالقرب من بجيرم ، فتوفى بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن هناك . رحمة الله تعالى عليه .

* * *

ومات الأجل العلامة ، والفاضل الفهامة ، فريد عصره علما وعملا ، ووحيد دهره تفصيلا وجملا : الشيخ مصطفى العقباوى المالكى ... نسبة لمنية عقبة بالجيزة .

حضر الى الأزهر صغيرا ، ولازم السيد حسن البقلى ، ثم الشيخ محمد العقاد المالكى ، ثم الشيخ محمد عبادة العدوى ، ملازمة كلية حتى تمهر فى مذهبه فى المنقولات وفى المعقولات .

وحضر دروس أشياخ العصر ، كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلى ، والشيخ الأمير ، وغيرهم . وتصدر لالقاء الدروس ، وانتفع به الطلبة ، واشتهر فضله .

---

(1) لعله يعنى تسعين سنة .

وكان انسانا حسن الأخلاق ، مقبلا على الافادة والاستفادة ... لا يتداخل فيما لا يعنيه ، ويأتيه من بلدته ما يكفيه ، قانعا متورعا متواضعا .

ومن مناقبه : أنه كان يحب افادة العوام حتى أنه كان اذا ركب مع المكارى يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة .. الى أن توفى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة . ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه .

* * *

ومات الأجل المعظم المبجل ، المحقق المدقق المفضل ، العالم العامل ، الفاضل الكامل : الشيخ على النجارى المعروف بالقبانى ، الشافعى مذهبا ، المكى مولدا ، المدنى أصلا ... ابن العالم الفاضل الشيخ أحمد تقى الدين ، ابن السيد تقى الدين المنتهى نسبه الى أبى سعيد الخدرى ، وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة النجارى ، أحد بطون الخزرج . وينتهى نسب أخواله الى السيد أحمد الناسك بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الأنور بن سيدنا الحسن السبط رضى الله تعالى عنه .

ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة ، وقدم الى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن سنة احدى وسبعين ومائة : فليلة وصولهم ، مرض أخوه المذكور ، وتوفى صبح ثالث يوم . فجزع والده لذلك جزعا شديدا ، وتشاءم به ، وعزم على السفر الى مكة ثانيا ، ولم يتيسر له ذلك الا أواخر شوال من السنة المذكورة .

وبقى المترجم ، واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ومشاركة أشياخ العصر فى الافادة والاستفادة ، مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الارساليات التى ترد اليه من أولاد أخيه من جدة ومكة ، وشراء ما يشترى وارساله لهم ... الى أن تمرض ، وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريبا من الأستاذ الحنفى ، سنة تسع ومائتين

وكان عالما ماهرا ، وأديبا شاعرا .. تخرج على والده وعلى غيره بمكة ، وعلى كثير من أشياخ العصر المتقدمين كالشيخ العشماوى ، والشيخ الحفنى ، والشيخ العدوى وغيرهم .

وتخرج فى الأدب على والده ، وعلى الشيخ على بن تاج الدين المكى ، وعلى الشيخ عبد الله الاتكاوى وغيرهم . وله مؤلفات منها : نفح الأكمام على منظومته فى علم الكلام ، ومنها : تقريره على الرملى — وهو مجلد ضخم — ومنها : شرح بديعيته التى سماها : « مراقى الفرج فى مدح عالى الدرج » . وله ديوان شعر صغير غالبه جيد .

وكان فى مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة . وقيد ولده السيد سلامة بأشغال تجارتهم ، وولده السيد أحمد بملازمته واسماعه فيما يريد مطالعته .

وكانت داره ، فى غالب الأوقات ، لا تخلو من المترددين ... الى أن توفى ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وعمره سبع وثمانون سنة ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بمقبرة أخيه بباب الوزير . وخلف ولديه المذكورين .

وكان وجيها لطيفا ، محبوبا للنفوس ورعا . رحمة الله تعالى عليه .

* * *

ومات صاحبنا الأجل المعظم ، والوجيه المكرم : الأمير ذو الفقار البكرى — نسبة ونسابة — وهو مملوك السيد محمد بن على أفندى البكرى الصديقى . اشتراه سيده المذكور سنة احدى وسبعين ومائة وألف . ورباه ، وأدبه ، وأعتقه ، وزوجه ابنته . ونشأ فى عز ورفاهية ، وسيادة وعفة ، وطيب خيم ، وعلو همة .

ولما توفى سيده ، اتحد بولده السيد محمد أفندى — وهو أخو زوجته — اتحادا كليا بحيث صارا كالأخوين ... لا يصبر أحدهما عن الآخر ساعة واحدة ، وسكنهما واحد فى بيتهم الكبير بالأزبكية .

ولما توفى السيد محمد أفندى ، استقل المترجم بالسكنى فى الدار الى أن حضر الفرنساوية. فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام . ونهبت كتبه وداره . ثم رجع بأمان فى أيام الفرنساوية ، فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية ، فاشترى دارا غيرها بخطة عابدين ، وجدد بها نظامه.

ولما حصلت حادثة عسكر الأروام العثمانية مع الأمراء المصريين — التى خرج فيها ابراهيم بيك والبرديسى وأمراؤهم — نهبت داره المذكورة أيضا فيما نهب . فانتقل الى ناحية الأزهر ، ثم سكن بحارة السبع قاعات بالأجرة .

واقتنى كتبا ، شراء واستكتابا ، وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ « مرآة الزمان » لابن الجوزى ، و « خطط المقريزى » وغيرها .. الى أن اخترمته المنية ، ومات فجأة يوم الثلاثاء فى ثانى عشرين رجب من السنة قبيل الغروب ، وصلى عليه فى صبحها بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الامام الشافعى .

وكان انسانا حسنا محبوبا لجميع الناس ، وجيه الذات ، مليح الصفات ، حسن المفاكهة والمعاشرة ، متوقد الفطنة ، صادق الفراسة ، ساكن الجأش ، وقورا أدوبا محتشما . وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوى ، المرزوق له من ابنة سيده المذكور لكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام ... أنشأه الله انشاء صالحا وبارك فيه .

* * *

ومات الأمير الكبير ، والضرغام الشهير : محمد بيك الألفى المرادى . جلبه بعض التجار الى مصر فى سنة تسع وثمانين ومائة ألف . فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون . فأقام ببيته أياما فلم تعجبه أوضاعه لكونه كان مماجنا سفيها ممازحا . فطلب منه بيع نفسه ، فباعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتمرلنك ، فأقام عنده شهورا ثم أهداه الى مراد بيك . فأعطاه فى نظيره ألف أردب من الغلال ... فلذلك سمى بالألفى .

وكان جميل الصورة ، فأحبه مراد بيك ، وجعله جوخداره ، ثم أعتقه وجعله كاشفا بالشرقية . وعمر دارا بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام ، وأنشأ هناك حماما بتلك الخطة عرفت به .

وكان صعب المراس ، قوى الشكيمة . وكان بجواره على أغا المعروف بالتوكلى . فدخل عليه وتشفع عنده فى أمر ، فقبل رجاءه ثم نكث ، فحنق منه واحتد ، ودخل عليه فى داره يغادره ويعاتبه . فرد عليه بغلظة . فأمر الخدم بضربه . فبطحوه وضربوه بالعصى المعروفة بالنبابيت . فتألم لذلك ومات بعد يومين . فشكوه الى أستاذه مراد بيك فنفاه الى بحرى فعسف بالبلاد مثل : فوةومطوبس وبارنبال ورشيد ، وأخذ منهم أرزا وأموالا . فتشكوا منه الى أستاذه ... وكان يعجبه ذلك ؟

وفى أثناء ذلك ... وقع خلاف بمصر بين الأمراء، ونفوا سليمان بيك الأغا ، وأخاه ابراهيم بيك ومصطفى بيك — كما ذكر ذلك فى محله — وأرسل اليه مراد بيك وأمره أن يتعين على مصطفى بيك ويذهب به الى سكندرية منفيا ، ثم يعود هو الى مصر . ففعل ورجع المترجم الى مصر . فعند ذلك قلدوه الصنجقية ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف .

واشتهر بالفجور ... فخافته الناس ، وتحاموا شدته . وسكن أيضا بدار بناحية قيصون — وذلك

عندما اتسعت دائرته — وهدم داره القديمة أيضا ووسعها ، وأنشأها انشاء جديدا .

واشترى المماليك الكثيرة ، وأمر منهم أمراء وكشافا . فنشأوا على طبيعة أستاذهم فى التعدى والعسف والفجور ، ويخافون من تجبره عليهم !

والتزم باقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ، ومن البلاد البحرية محلة دمنة ومليج وزوبر وغيرها . وتقلد كشوفية شرقية بلبيس ونزل اليها . وكان يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها ، وأخاف جميع عربان تلك الجهة ، وجميع قبائل الناحية . ومنعهم من التعدى والجور على الفلاحين بتلك النواحى — حتى خافته الكثير من العربان والقبائل وكانوا يخشونه . وصادهم بأشراك منهم . وقبض على الكثير من كبرائهم وسحبهم فى الجنازير وصادرهم فى أموالهم ومواشيهم . وفرض عليهم المغارم والجمال !

ولم يزل على حالته وسطوته الى أن حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر . فخرج المترجم مع عشيرته الى ناحية قبلى ، ثم رجع معهم فى أواخر سنة خمس ومائتين بعد الألف ، بعد الطاعون الذى مات فيه اسماعيل بيك . وذلك بعد اقامتهم فى الصعيد زيادة عن أربع سنوات .

ففى تلك المدة ترزن عقله ، وانهضمت نفسه ، وتعلق قلبه بمطالعة الكتب ، والنظر فى جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات ، وأشكال الرمل ، والزايرجات والأحكام النجومية والتقاويم ،ومنازل القمر وأنوائها .

ويسأل عمن له المام بذلك، فيطلبه ليستفيد منه واقتنى كتبا فى أنواع العلوم والتواريخ ، واعتكف بداره القديمة ، ورغب فى الانفراد وترك الحالة التى كان عليها قبل ذلك ، واقتصر على مماليكه والاقطاعات التى بيده . واستمر على ذلك مدة من الزمان . فثقل هذا الأمر على أهل دائرته . وبدأ يصغر فى أعين خشداشينه ويضعف جانبه ، وطفقوا يباكتونه ، وتجاسروا عليه ، وطمعوا فيما لديه . وتطلع أدونهم للترفع عليه . فلم يسهل به ذلك ، واستعمل الأمر الأوسط .

وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب سعادة ، وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطىء النيل تجاه المقياس ، وأنشأ أيضا قصرا فيما بين باب النصر والدمرداش ، وجعل غالب اقامته فيهما .

وأكثر من شراء المماليك ، وصار يدفع فيهم الأموال الكثيرة للجلابين ، ويدفع لهم أموالا مقدما يشترونهم بها ، وكذلك الجوارى .. حتى اجتمع عنده نحو الألف مملوك خلاف الذى عند كشافه، — وهم نحو الأربعين كاشفا : الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من الأمراء السابقين — وكل مدة قليلة يزوج من يختاره من مماليكه لمن تصلح له من الجوارى ، ويجهزهم بالجهاز الفاخر ، ويسكنهم الدور الواسعة ، ويعطيهم الفائظ والمناصب .

وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعا لنفسه عن ذلك ، وينزل هو اليهم أيضا على سبيل التروح .

وبنى له قصرا خارج بلبيس وآخر بالدمامين . وأخمد شوكة عربان الشرق ، وجبى منهم الأموال والجمال . وأخمد ناموسهم الذى كان يغشى أبدان الفلاحين وأرواحهم . وأضعف شوكتهم ، وأخفى صولتهم .

وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة أو أربعة ثم يعود الى مصر . واصطنع قصرا من خشب مفصلا قطعا ويركب بشناكل وأغربة متينة قوية يحمل على عدة جمال . فاذا أراد النزول فى محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد اليه بثلاث درج ،مفروش بالطنافس والوسائد يسع

ثمانية أشخاص ، وهو مسقوف وله شبابيك من الأربع جهات ، تفتح وتغلق بحسب الاختيار ، وحوله الأسرة من كل جانب ، وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان !

وكان له داران بالأزبكية احداهما كانت لرضوان بيك بلغيا ، والأخرى للسيد أحمد بن عبد السلام . فبدا له فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف ، أن ينشىء دارا عظيمة خلاف ذلك بالأزبكية : فاشترى قصر ابن السيد سعودى الذى بخطة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من أحمد أغا شويكار ، وهدمه ، وأوقف فى شيادته على العمارة كتخداه ذا الفقار ... أرسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ، ورسم له صورة وضعه فى كاغد كبير . فأقام جدرانه وحيطانه ، وحضر هو — فى أثناء ذلك — فوجده قد أخطأ الرسم . فاغتاظ ، وهدم غالب ذلك ، وهندسه على مقتضى عقله . واجتهد فى بنائه ، وأوقف اربعة من كبار أمرائه على تلك العمارة : كل أمير فى جهة من جهاته الأربع يحثون الصناع ، ومعهم أكثر أتباعهم ومماليكهم .

وعملوا عدة قمن لحرق الأحجار وعمل النورة ، وكذلك ركب طواحين الجبس لطحنه ... وكل ذلك بجانب العمارة . وقطعوا الأحجار الكبار ونقلوها فى المراكب من طرا الى جنب العمارة بالأزبكية ، ثم نشروها بالمناشير ألواحا كبارا لتبليط الأرض وعمل الدرج والفسحات ، وأحضروا لها الأخشاب المتنوعة من بولاق واسكندرية ورشيد ودمياط .

واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوى المطل على بركة الرطلى من عتقائه ، وهدمه ونقل أخشابه وأنقاضه الى العمارة ، وكذا نقلوا اليه أنواع الرخام والأعمدة .

ولم يزل الاجتهاد فى العمل حتى تم على المنوال الذى أراده . ولم يجعل له خرجات ولا حرمدانات بارزة عن أصل البناء ، ولا رواشن .. بل جعله ساذجا حرصا على المتانة وطول البقاء ثم ركبوا على فرجاته المطلة على البركة والبستان والرحبة الشبابيك الخرط المصنعة ، وركبوا عليها شرائح الزجاج ، ووضع به النجف والأشياء والتحف العظيمة التى اهداها اليه الأفرنج .

وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ، ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها . وجعل بها حمامين علويا وسفليا . وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق لسكنى المماليك ، وجعله دورا واحدا . ولما تم البناء والبياض والدهان .. فرشه بأنواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات ، وجعل خلفه بستانا عظيما ، وأنشأ به جملونا مستطيلا متسعا به دكك وأعمدة — وهو من الجهة البحرية — ينتهى آخره الى الدور المتصلة بقنطرة الدكة .

وأهدى اليه أيضا الافرنج فسقية رخام فى غاية العظم ... فيها صورة أسماك مصورة ، يخرج من أفواهها الماء ، جعلها بالبستان ونجز البناء والعمل . وسكن بها هو وعياله وحريمه فى آخر شهر شعبان من سنة اثنتىعشرة .واستهل شهر رمضان فأوقدوا فيها الوقدات والأحمال الممتلئة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة ، وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والصحب والفنيارات الزجاج

وهنته الشعراء . ونظم مولانا الأستاذ الفاضل الشيخ حسن العطار تاريخا لقاعة الجلوس فى بيتين نقشوهما بالأزمير على أسكفة باب القاعة ، وموهوهما بالذهب ، وهما :

شموس التهانى قد أضاءت بقاعة

محاسنها للعين تزداد بالألف

عــلى بابهــا قال السرور مؤرخا :

ســماء ســعاداتى تجــدد بالألفى

١٠١ ٥٤٦ ٤١١ ١٥٤

= ١٢١٢

وازدحمت خيول الأمراء ببابه . فأقام على ذلك الى منتصف شهر رمضــان ، وبدا له السفر الى الشرقيــة ... فأبطلوا الوقدة ، وأطفــأوا السرج والشموع : فكان ذلك فألا ! فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليهــا . وانما أطنبنا فى ذكر ذلك ، ليعتبر أولو الألباب ، ولا يجتهد العاقل فى تعمير الخراب !

وفى أثناء غيبته بالشرقية ، وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ، ثم الى مصر . وجرى ما جرى مما سبق ذكره . وذهب مع عشــيرته الى قبلى . وعنــد وصــول الفرنساوية الى بر انبــابة بالبر الغربى ، وتحاربهم مع المصريين ... أبلى المترجم وجنده — فى تلك الواقعة — بلاء حسنا ، وقتل من كشافه ومماليكه عدة وافرة . ولم يزل — مدة اقامة الفرنساوية بمصر — ينتقل فى الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ، ويعمل معهم مكايد ، ويصطاد منهم بالمصايد .

ولما وصل عرضى الوزير الى ناحيــة الشام . ذهب اليه وقابله وأنعم عليه ... وكان معه رؤساء من الفرنساوية وعدة أسرى وأسد عظيم اصطاده فى سروحه . فشكره الوزير ، وخلع عليــه الخلع السنية ، وأقام بعرضيه أياما . ثم رجع الى ناحيه مصر ، وذهب الى الصعيد ، ثم رجع الى الشام . والفرنســاوية يأخــذون خبره ، ويرصــدونه فى الطرق ... فيزوغ منهم ، ويكبسهم فى غفلاتهم ، وينال منهم .

ولما وصل الوزير ، وحصل انتقاض الصلح ، وانحصر المصريون والعثمانيون بداخــل المدينة وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة : فكان يكر ويفر هو وحسن بيك الجداوى ، ويعمــل الحيل والمكايد . وقتل من كشافه فى تلك الحروب رجال معدودة ، منهم : اسماعيل كاشف المعــروف بأبى قطية ، احترق هو وجنده ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان أنشأه برصيف الخشاب .

وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته لغم بارود فى أسفل جدرانه — ولم يعلم به أحد — فلما تترس فيه اسماعيل كاشف ومن معه ، أرسلوا من ألهمه النار ... فالتهب على من فيه ، واحترقوا بأجمعهم ، وتطايروا فى الهواء .

ولما اصطلح مــراد بيــك مع الفرنساوية ، لم يوافقه على ذلك واعتزله . ولمــا اشــتد الأمر بين الفريقين ، وشاطت طبخة العثمانيين ومن تبعهم ... طفق يسعى بين الفريقين فى الصلح ، ويمشى مــع رســل الفرنســاوية فى دخــولهم بين العســكر وخروجهم ، ليمنع من يتــعدى عليهم من أوباش العســـكر ، خــوفا من ازدياد الشر .. الى أن تم الصلح .

وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحى الشام ، ثم رجع الى جهة الشرقية ، فيحــارب من يصادفه من الفرنسيس ، ويقتــل منهــم . فاذا جمعــوا جيشــه ، وأتوا لحــربه ... لم يجدوه . ويمر من خلف الجبل ، ويمر بالحاجر الى الصعيد ، فلا يعلم أين ذهب ! ثم يظهر بالبر الغربى ، ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام . وهكذا كان دأبه بطول السنة التى تخللت بين الصلحين ... الى أن نظم العثمانية أمرهم ، وتعاونوا بالانكليز ، ورجــع الوزير على طريق البر ، وقبطان باشــا بصحبة الانكليز من البحــر .

فحضر المترجم وباقى الأمراء ، واستقر الجميع بداخل مصر ... والانكليز ببر الجيزة . وارتحلت الفرنساوية ، وخلت منهم مصر . فعند ذلك ، قلق

المترجم وداخله وسواس ، وفكر ... لأنه كان صحيح النظر في عواقب الأمور ، فكان لا يستقر له قرار . ولم يدخل الى الحريم ، ولم يبت بداره الا ليلتين على سجادة ومخدة في القاعة السفلى ، ولم يكن بها حريم !

يقول الفقير (١) : ذهبت اليه مرة في طرف اليومين ، فوجدته جالسا على السجادة ، فجلست معه ساعة . فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه في زواج احدى زوجات من مات من خشداشينه . فنتر فيه وشتمه وطرده . وقال لي : « انظر الى عقول هؤلاء المغفلين : يظنون أنهم استقروا بمصر ، ويتزوجوا ويتأهلوا ... مع أن جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها ، أهون من الورطة التي نحن فيها الآن ! » .

ولما أطلق الوزير لابراهيم بيك الكبير التصرف ، وألبسه خلعة ، وجعله شيخ البلد كعادته ، وأن أوراق التصرفات في الاقطاعات والأطيان وغيرها تكون بختمه وعلامته ... اغتر هو وباقي الأمراء بذلك . وازدحم الديوان ببيت ابراهيم بيك المرادي وعثمان بيك حسن والبرديسي، وتناقلوا في الحديث ... فذكروا ملاطفة الوزير ، ومحبته لهم ، واقامته لناموسهم . فقال المترجم : « لاتغتروا بذلك ؛ فانما هي حيل ومكايد ، وكأنها تروج عليكم . فانظروا في أمركم ، وتفطنوا لما عساه يحصل ، فان سوء الظن من الحزم ! » .

فقالوا له : « وما الذي يكون ؟ » . قال : « ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والأزمان المديدة يتمنون نفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الاقليم . ومضت الأحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ، ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة ... وخصوصا دولتنا الأخيرة ، وما كنا نفعله معهم من الاهانة ، ومنع الخزينة ، وعدم الامتثال لأوامرهم . وكل ذلك مكنون في نفوسهم ... زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره . وقد ولجوا البلاد الآن ، وملكوها على هذه الصورة ، وتأمروا علينا ، فلا يهون بهم أن يتركوها لنا كما كانت بأيدينا ، ويرجعوا الى بلادهم بعد ما ذاقوا حلاوتها ... فدبروا رأيكم ، وتيقظوا من غفلتكم » .

فلما سمعوا منه ذلك ، صادق عليه بعضهم ، وقال بعضهم : هذا من وساوسك . وقال آخر : « هذا لايكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهرا بأموالنا وأنفسنا ... وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها ، فلا غنى لهم عنا » . وقال آخر غير ذلك .

ثم قالوا له : « وما رأيك الذي تراه ؟ » . فقال : « الرأي عندي ، ان قبلتموه ، أن نعدي بأجمعنا الى بر الجيزة ، ونتصب خيامنا هناك ، ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ؛ وتتمم الشروط التي نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ، ولا نرجع الى البر الشرقي ، ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ، ويرجعوا الى بلادهم ، ويبقى منهم من يبقى : مثل من يقلدوه الولاية والدفتردارية .. ونحو ذلك » .

وكان ذلك هو الرأي ، ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر . وقال : « كيف ننابذهم ، ولم يظهر لنا منهم خيانة ،ونذهب الى الانكليز — وهم أعداء الدين — فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الاسلام ... على أنهم ان قصدوا بنا شيئا ، قمنا بأجمعنا عليهم ، وفينا — ولله الحمد — الكفاية . وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الانكليز . فتكون لنا المندوحة والعذر » .

فقال المترجم : « أما الاستنكاف من الالتجاء للانكليز ، فان القوم لم يستنكفوا من ذلك ، واستعانوا بهم . ولولا مساعدتهم .. لما أدركوا هذا

(١) الجبرتي .

المحصول ، ولا قدروا على اخراج الفرنساوية من البلاد . وقد شاهدنا ما حصل فى العام الماضى ، لما حضروا بدون الانكليز . على أنه قياس مع الفارق : فان تلك مساعدة حرب ، وأما هذه .. فهى وساطة مصلحة لا غير !

« وأما انتظار حصول المنابذة ، فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع ... لأمور . والرأى لكم » .

فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم . ولما لم يوافقوا المترجم على ما أشار به عليهم ... أخذ يدبر فى خلاص نفسه ، فانضم الى محمود أفندى رئيس الكتاب .. لقربه من الوزير ، وقبوله عنده ، وأوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الأموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امارة الصعيد .. فانه يجمع له أموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون فى العام الماضى وخلافه ولم يكن لهم ورثة ، وغير ذلك من الجهات التى لا يحيط بها خلافه ، والمال والغلال الميرية .

فلما عرف الرئيس الوزير بذلك ، لم يكن بأسرع من اجابته لوجهين ، الأول : طمعا فى تحصيل المال . والثانى : لتفريق جمعهم . فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقى الجماعة ، لكثرة جيشه وشدة احترازه . فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب فى الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه . وعندما أجاب الوزير الى سفره ، كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية ، وأطلق له الاذن ، ورخص له فى جميع ما يؤدى اليه اجتهاده من غير معارض . وتمم الرئيس القصد .

وفى الوقت : حضر المترجم ، فأخذ المرسوم ، ولبس الخلعة بنفسه ، وودع الوزير والرئيس ، وركب فى الوقت والساعة ، وخرج مسافرا ، وجعل رئيس أفندى وكيلا عنه وسفيرا بينه وبين الوزير ، بعد ما أسكنه فى داره ... ولم يشعر بذلك أحد ، ولم ير للوزير وجها بعد ذلك .

وعندما أشيع ذلك ، حضر الى الوزير من اعترض عليه فى هذه الغفلة ، وأشار عليه بنقض ذلك ، فأرسل يستدعيه لأمر تذكره على ظن تأخره . فلم يدركوه الا وقد قطع مسافة بعيدة ، ورجعوا على غير طائل . وذهب هو الى أسيوط ، وشرع فى جبى الأموال ، وأرسل للوزير دفعة من المال وأغناما ، وعبيدا طواشية ، وغلالا .

ثم لم يمض على ذلك الا نحو ثلاثة شهور ، وسافر طائفة من الانكليز الى سكندرية ، وكذلك حسين باشا القبطان . ونصبوا للمصريين الفخاخ . وأرسل القبطان بطلب طائفة منهم ، فأوقع بهم ما أوقع ، وقبض الوزير على من بمصر من الأمراء وحبسهم ... وجرى ما هو مسطور فى محله . وعينوا على المترجم طاهر باشا بعساكر . وحصلت المفاقمة .. وقتل من قتل ، والتجأ من بقى الى الانكليز . ولم يندمل الجرح بعد تقريحه ! وذهب الجميع الى الناحية القبلية . وأرسلوا لهم التجاريد .

وتصدى المترجم لحروبهم ، ثم حضر الى ناحية بحرى ، ونزل بظاهر الجيزة ، وسار الى ناحية البحيرة — بعد حروب ووقائع — فاجتهد محمد باشا خسرو فى اخراج تجريدة عظيمة ... وصارى عسكرها كتخداه — وهو يوسف كتخدا بيك — وهى التجريدة التى سماها العوام « تجريدة الحمير » لأنهم جمعوا من جملة ذلك حمير الحمارة والتراسين ، وحمير اللكاف والسقائين . وعملوا على أهل بولاق ألف حمار ، وكذلك مصر ومصر القديمة ، وطفقوا يخطفون حمير الناس ، ويكبسون البيوت ، ويأخذون ما يجدونه .

وكان يأتى بعض معاكيس العسكر عند الدور ، ويضع أحدهم فمه عند الباب ويقول « زر .. ! » فينهق الحمار ... فيأخذوه !

فلما تم مرادهم من جمع الحمير اللازمة لهم ، سافروا الى ناحية البحيرة . فكانت بينهم واقعة عظيمة بمرأى من الانكليز ، وكانت الغلبة له على العسكر ، وأخذ منهم جملة أسرى ، وانهزم الباقون شر هزيمة ، وحضروا الى مصر فى أسوأ حال .. وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر . فانه غضب عليهم ، وأمرهم بالخروج من مصر . فطلبوا علائفهم . فقال : « بأى شىء تستحقون العلائف .. ولم يخرج من أيديكم شىء ؟ » ... فامتنعوا من الخروج وكان المشار اليه فيهم محمد على سر ششمه ، فأراد الباشا اصطياده ، فلم يتمكن منه لشدة احتراسه . فحاربه ، فوقع له ما ذكر فى محله . وخرج الباشا هاربا الى دمياط .

ومن ذلك الوقت ، ظهر اسم « محمد على » ، ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك .

وأما المترجم ، فانه — بعد كسرته للعسكر — ذهب ناحية دمنهور ، وذهبت كشافه وأمراؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية . وطلبوا منهم المال والكلف ، ثم رجعوا الى البحيرة . ثم بعد هذه الوقائع ، سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم ، واختار من مماليكه خمسة عشر شخصا — أخذهم صحبته — وأقام عوضه أحد مماليكه المسمى « بشتك بيك » وسمى « الألفى الصغير » ، وأمره على مماليكه وأمرائه ، وأمرهم بطاعته ، وأوصاه وصايا . وسافر وغاب سنة وشهرا وبعض أيام ... لأنه سافر فى منتصف شهر شوال سنة سبعة عشر ، وحضر فى أول شهر ذى القعدة سنة ثمانية عشر .

وجرى فى مدة غيابه من الحوادث التى تقدم ذكرها ما يغنى عن اعادتها : من خروج محمد باشا خسرو ، وتولية طاهر باشا ثم قتله ، ودخول الأمراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمانية عشر ، وتأمير صناجق من أتباع المترجم ، وماجرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز ... بتدبير محمد على ونفاقه وحيله . فانه سعى أولا فى نقض دولة مخدومه محمد باشا خسرو ، بتواطؤه مع طاهر باشا ، وخازنداره محمد باشا المحافظ للقلعة ، ثم الاغراء على طاهر باشا حتى قتل ، ثم معاونته للأمراء المصريين ودخولهم وتملكهم واظهار المساعدة الكلية لهم ، ومصادقتهم وخدمتهم ، ومعاونتهم ، والرمح فى غفلتهم — وخصوصا عثمان بيك البرديسى ، فانه كان مخرقا غشوما يحب التراؤس — فاظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة .. حتى قضى منهم أغراضه : من قتل الدفتردار ، والكتخدا ، وعلى باشا الطرابلسى ، ومحاربة محمد باشا ، وأخذه أسيرا من دمياط ، وأخيه السيد على القبطان برشيد ... ونسبة جميع هذه الأفعال والقبائح اليهم !

فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الألفى وجماعته .. والبرديسى ، الذى هو خشداشه ، يحقد عليه ويغار منه ، ويعلم أنه اذا حضر ، لا يبقى له معه ذكرا ، وتخمد أنفاسه . فيتناجيا ، ويتسارا فى أمر المترجم ، ويتذاكرا تعاظم وكيله وخشداشينه ، وتقضهم علي ما يبرمونه — مع غياب أستاذهم — فكيف بهم اذا حضر ! ويوهمه المساعدة والمعاضدة ، ويكون خادما له ، وعساكره جنده ... الى أن حضر المترجم ، فأوقع به ما تقدم ذكره ، ونجا بنفسه ، واختفى عند عشيبة البدوى بالوادى .

فلما خلا الجو من الألفى وجماعته ، أوقع محمد على — عند ذلك -- بالبرديسى وعشيرته ما أوقع .

وظهر — بعد ذلك — المترجم من اختفائه ، وذهب الى ناحية قبلى هو ومملوكه صالح بيك . واجتمعت عليه أمراؤه وأجناده ، واستفحل أمره ، واصطلح مع عشيرته والبرديسى ... على ما فى نفوسهما .

وما زال منجمعا عن مخالطتهم .. وجرى ما جرى : من مجيئهم جوالى مصر ، وحروبهم مع العساكر — في أيام خورشيد أحمد باشا — وانفصالهم عنهـا بدون طائل ، لتفاشلهم واختلاف آرائهم ، وفساد تدبيرهم . ورجعوا الى ناحية قبلى ، ثم عادوا الى ناحية بحرى ... بعد حروب ووقائع مع حسن باشا ومحمد على وعساكرهم .

ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد أحمد باشا . والتصر محمد على بالسـيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضى ، وأهل البلدة والرعايا ، وهاجت الحروب بين الباشا وأهل البلدة — كما هو مذكور — كانت الأمراء المصريون بناحية التبين ، والمترجم منعزل عنهم بناحية الطرانة . والسيد عمر يراسله ويعـده ، ويذكر له بأن هذا القيـام من أجلك ، واخراج هذه الأوباش ، ويعود الأمر اليكم كما كان ... وأنت المعنى بذلك لظننا فيك الخـير والصلاح والعدل . فيصدق هذا القول ، ويساعده بارسال المال ليصرفه فى مصالح المقاتلين والمحاربين.

ومحمد على يداهن السيد عمر سرا ، ويتملق اليه ، ويأتيه ويراسله ، ويأتى اليه فى أواخر الليل ، وفى أوساطه ، مترددا عليه فى غالب أوقاته ، حتى تم له الأمر ... بعد المعاهدة والمعاقدة ، والأيمـان الكاذبة عـلى سـيره بالعـدل ، واقامة الأحكام والشرائع ، والاقلاع عن المظالم ، ولا يفعل أمرا الا بمشورته ومشورة العلمـاء ، وأنه متى خالف الشروط عزلوه وأخرجوه — وهـم قادرون على ذلك ، كما يفعلون الآن — فيتورط المخاطب بذلك القول ويظن صحته ، وأن كل الوقائع « زلابية » ! وكل ذلك سرا لم يشعر به خلافهم ... الى أن عقد السـيد عمر مجلسـا عند محمد على ، وأحضر المشايخ والأعيان ، وذكر لهم أن هذا الأمر وهذه الحروب ما دامت على هـذه الحالة ، لا تزداد الا فشلا ، ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم للولاية . فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الأمر ليكون قائمقام حتى يتعـين من طرف الدولة من يتعين . فقال الجميع : « الرأى ماتراه » . فأشـار الى محمد على . فاظهر التمنع ! وقال : « أنا لاأصلح لذلك . ولست من الوزراء ، ولا من الأمراء ، ولا من أكابر الدولة » . فقالوا جميعا : « قد اخترناك لذلك برأى الجميع والكافة ، والعبرة رضا أهل البلاد » . وفى الحال أحضروا فروة والبسوها له ، وباركوا له وهنأوه ، وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية ، واقامة المذكور فى النيابة حتى يأتى المتولى ... أو يأتى له تقرير بالولاية .

ونودى فى المدينة بعزل الباشا واقامة محمد على فى النيابة ... الى أن كان ما هو مسطور قبل ذلك فى محله .

فلمـا بلغ المترجم ذلك — وكان ببر الجيزة ، ويراسل السيد عمر مكرم والمشـايخ — انقبض خاطره ، ورجع الى البحيرة ، وأراد دمنهـور . فامتنع عليه أهلها ، وحاربوه وحاربهم . ولم ينل منهم غرضه .

والسيد عمر يقويهم ، ويمدهم ويرسل اليهم البارود وغيره من الاحتياجات . وظهـر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه ، وكأنه كان يقويه على نفسه، فقبض على السفير الذى كان بينهما ، وحبسـه وضربه ، وأراد قتـله ، ثم أطلقه ... ثم عاد الى بر الجيزة . وسكنت الفتنة .

واستقر الأمر لمحمد على باشا . وحضر قبطان باشا الى ساحل أبى قير ، ووصل سلحداره الى مصر ، وأنزل أحمد باشا المخلوع عن الولاية من القلعة الى بولاق ليسافر . ومنع محمد على من الذهاب والمجىء الى المصريين ، وأوقف أشخاصا برا وبحرا يرصدون من يأتى من قبلهم ، أو يذهب اليهم بشىء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ، ومن عثروا عليه بشىء قبضوا عليه ، وأخذوا ما

له ولأتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بهـا معه وعاقبوه . فامتنع الباعة والمتسببون وغيرهم من الذهاب اليهم بشيء مطلقا .

فضاق خناق المترجم ، فاحتال بأن أرسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا . فالسر لذلك وفرح ، واعتقد صحة ذلك ، وأنعم على الكتخدا ، وعين هدية جليلة لمخدومه من ملابس وفراوى وأسلحة وخيام ونقود وغير ذلك . وعندها قضى الكتخدا أشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولأتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بهـا جهارا من غير أن يتعرض له أحد . وذهب صحبته السلحدار ، وموسى البارودى .

ثم عاد الكتخدا ثانيا وصحبته السلحدار وموسى البارودى ، وذكروا أنه يطلب كشوفية الفيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة ومائتى بلد من الغربيـة والمنوفية والدقهلية ... يستغل فائظها ، ويجعـل اقامته بالجيزة ، ويكون تحت الطاعة . فلم يرض الباشا بذلك ، وقال : « اننا صالحنا باقى الأمراء ، وأعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التى شرطناها عليهم ... وهو داخل فى ضمنهم » . فرجع محمد كتخدا له بالجواب — بعـد أن قضى أشـغاله واحتياجاته ولوازمه من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك — وتمت حيلته ، وقضى أغراضه ، وذهب الى الفيوم ، وتحارب جنـده مع جند ياسين بيك . وانخذل فيها ياسين بيك . ثم عاد شاهين بيك الألفي بجند كثير بعد شهور الى بر الجيزة .

وخرج محمد على باشا لمحاربته بنفسه ، فكانت له الغلبة . وقتل فى هذه الواقعة على كاشف الذى كان تزوج بزوجة حسن بيك الجـداوى ، وهى بنت حسن بيك شنن ... رآه الأخصام متجمـلا ، فظنوه الباشا ، فأحاطوا به وأخذوه أسـيرا ، ثم قتلوه . ورجع الباشـا الى بر مصر ، واجتهـد فى تشهيل تجريدة أخرى . وكل ذلك مع طول المدى .

وفى أثناء ذلك : مات بشـتاك بيك ، المعروف بالألفى الصغير ، مبطونا بناحية قبلى . ثم ان المترجم خرج من الفيـوم فى أوائل المحـرم من السـنة المذكورة .

وكان حسن باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء بمن معه من العساكر . فكانت بينهما واقعة عظيمة ، انهزم فيها حسن باشا الى الرقق ، وأدركه أخـوه عابدين بيك فأقام معه بالرقق ، كما تقدم .

وحضر الألفى الى بر الجيزة وانبابة ، وخرجت اليهم العساكر . فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ، ظهر عليهم فيها أيضا ، ثم سار مبحرا ، وعدى من عسكره وجنده جملة الى السبكية ، فأخذوا منها ما أخذوه ، وعادوا الى أستاذهم بالطرانة . ثم انه انتقـل راحـلا الى البحيرة ، وحرب دمنهـور ومحاصرتها وكانوا قد حصنوها غاية التحصين ، فلم يقدر عليها ، فعاد الى ناحية وردان ، ثم رجع الى حوش ابن عيسى ، لأنه بلغه وصـول مراكب ، وبها أمين بيك تابعه وعدة عساكر من النظام الجديد وأشخاص من الانكليز ... لأنه كان — مع ما هو فيـه من التنقلات والحروب — يراسـل الدولة والانكـليز . وأرسل بالخصوص أمين بيـك الى الانكليز ، فسعوا مع الدولة بمساعدته ، وحضروا اليه بمطلوبه . فعمل لهم بحوش ابن عيسى شنكا ، وأرسلهم مع أمين بيك الى الأمراء القبليين .

فلما بلغ محمد على باشا ذلك ، راسل الأمـراء القبليين وداهنهم ، وأرسل لهم الهدايا . فراجت أموره عليهم ... مـع ما فى صـدورهم من الغل للمترجم .

وفى أثـر ذلك : حضر قبطـان باشـا الى الاسكندرية ، ووردت السعاة بخبر وروده ، وأن

بعده واصل موسى باشا واليا على مصر ... وبالعفو عن المصريين .

وكان من خبر هذه القضية والسبب فى حركة القبطان : ارساليات الألفى للانكليز ، ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها ، المسمى محمد باشا السلحدار — وأصله مملوك السلطان مصطفى ، ولا يخفى الميل الى الجنسية — فاتفق أنه اختلى بسليمان أغا تابع صالح بيك الوكيل — الذى كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا ، وأرسله الى اسلامبول — وسأله عن المصريين هل بقى منهم غير الألفى . فقال له : « جميع الرؤساء موجودون » . وعددهم له — وهم ومماليكهم يبلغون ألفين وزيادة — فقال : « انى أرى تمليكهم ورجوعهم على شروط نشترطها عليهم ، أولى من تمادى العداوة بينهم وبين هذا الذى ظهر من العسكر ... وهو رجل جاهل متحيل ، وهم لايسهل بهم اجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التى ورثوها عن أسلافهم . فيتمادى الحال ، والحروب بينهم وبينه ، واحتياج الفريقين الى جمع العساكر ، وكثرة النفقات ، والعلائف والمصاريف ، فيجمعونها من أى وجه كان ، ويؤدى ذلك الى خراب الإقليم . فالأولى والمناسب صرف هذا المتغلب واخراجه وتولية خلافه ... فما رأيك فى ذلك ؟ » .

فقال سليمان : « لا رأى عندى فى ذلك » . وخاف أن يكون كلامه له باطن خلاف الظاهر ... وأدرك منه ذلك ، فحلف له عند ذلك الوزير أن كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته .. لكن لابد من مصلحة للخزينة العامرة .

فقال له سليمان أغا : « اذا كان كذلك ، ابعثوا الى الألفى باحضار كتخداه محمد أغا لأنه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك » . ففعل وحضر المذكور فى أقرب وقت ، وتمموا الأمر على مصلحة ألف وخمسمائة كيس ... كفلها محمد كتخدا المذكور يدفعها لقبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور ، وكفالته أيضا لمحمد كتخدا ، بعد اتمام الشروط التى قررها له مخدومه . ومن جملتها : اطلاق بيع المماليك وشرائهم ، وجلب الجلابين لهم الى مصر كعادتهم . فإنهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك .

وسافر كل من سليمان أغا الوكيل ومحمد كتخدا ، بصحبة قبودان باشا ، حتى طلعوا على ثغر سكندرية فركبا ، صحبة سلحدار القبودان ، فتلاقوا مع المترجم بالبحيرة ، وأعلموه بما حصل . فامتلأ فرحا وسرورا وقال لسليمان أغا : « اذهب الى اخواننا بقبلى ، واعرض عليهم الأمر ، ولا يخفى أننا الآن ثلاث فرق : كبيرنا ابراهيم بيك وجماعته ، والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بيك البرديسى ، وأنا وأتباعى ... فيكون ما يخص كل طائفة خمسمائة كيس . فاذا استلمت منهم الألف كيس ورجعت الى ... سلمتك الخمسمائة كيس » .

فركب المذكور ، وذهب اليهم ، واجتمع بهم ، وأخبرهم بصورة الواقع ، وطلب منهم ذلك القدر . فقال البرديسى : « حيث ان الألفى بلغ من قدره أنه يخاطب الدول والقرانات ويراسلهم ، ويتمم أغراضه منهم ، ويولى الوزراء ويعزلهم بمراده ، ويتعين قبودان باشا فى حاجته ... فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه ، لأنه صار الآن هو الكبير ، ونحن الجميع أتباع له وطوائف خلفه ، بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بيك وعثمان بيك حسن وحلافه » .

فقال سليمان أغا : « هو على كل حال واحد منكم وأخوكم » . ثم انه اختلى مع ابراهيم بيك الكبير وتكلم معه . فقال ابراهيم بيك : « أنا أرضى بدخولى أى بيت كان ، وأعيش ما بقى من

عمرى مع عيالى وأولادى تحت امارة أى من كان من عشيرتنا .·. أولى من هذا الشتات الذى نحن فيه . ولكن كيف أفعل فى الرفيق المخالف ؟ وهذا الذى حصل لنا كله بسوء تدبيره ونحسه ، وعشت أنا ومراد بيك المدة الطويلة بعد موت أستاذنا — وأنا أتغاضى عن أفعاله وأفعال أتباعه ، وأسامحهم فى زلاتهم . كل ذلك حذرا وخوفا من وقوع الشر والقتل والعداوة ... الى أن مات وخلف هؤلاء الجماعة المجانين ، وترأس البرديسى عليهم مع غياب أخيه الألفى ، وداخله الغرور ، وركن الى أبناء جنسه ، وصادقهم ، واغتر بهم ، وقطع رحمه ، وفعل بالألفى ، الذى هو خشداشه وأخوه ، ما فعل ، ولا يستمع لنصح ناصح أولا وآخرا » .

ومازال سليمان أغا يتفاوض معهم فى ذلك أياما ، الى أن اتفق مع ابراهيم بيك على دفع نصف المصلحة ، ويقوم المترجم بالنصف الثانى . فقال : « سلمونى القدر أذهب به ، وأخبره بما حصل » . فقالوا : « حتى ترجع اليه وتعلمه وتطيب خاطره على ذلك ، لئلا يقبضه ثم يطالبنا بغيره » .

فلما رجع اليه وأخبره بما دار بينهم ، قال : « أما قولهم انى أكون أميرا عليهم ، فهذا لايتصور ولا يصح أنى أتعاظم على مثل والدى ابراهيم بيك وعثمان بيك حسن ، ولا على من هو فى طبقتى من خشداشينى ... على أن هذا لايعيبهم ولاينقص مقدارهم بأن يكون المتأمر عليهم واحدا منهم ومن جنسهم ، وذلك أمر لم يخطر لى ببال ، وأرضى بأدنى من ذلك ، ويأخذوا على عهدا بما أشترطه على نفسى : أننا اذا عدنا الى أوطاننا ، أن لا أداخلهم فى شىء ، ولا أقارشهم فى أمر ، وأن يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بيك على عادته ، ويسمحوا لى باقامتى بالجيزة ، ولا أعارضهم فى شىء ، وأقنع بايرادى الذى كان بيدى سابقا ، فانه يكفينى .

وان اعتقدوا غدرى لهم فى المستقبل ، بسبب ما فعلوه معى من قتلهم حسين بيك تابعى ، وتعصبهم وحرصهم على قتلى واعدامى أنا وأتباعى ، فبعض ما نحن فيه الآن أنسانى ذلك كله ، فان حسين بيك المذكور مملوكى ، وليس هو أبى ولا ابنى من صلبى ، وانما هو مملوكى اشتريته بالدراهم ، وأشترى غيره ، ومملوكى مملوكهم ، وقد قتل لى عدة أمراء ومماليك فى الحروب فأفرضه من جملتهم،ولا يصيبنى ويصيبهم الا ما قدره الله علينا ... وعلى أن الذى فعلوه بى لم تكن لسابق ذنب ولا جرم حصل منى فى حقهم ، بل كنا جميعا اخوانا . وتذكروا اشارتى عليهم السابقة فى الالتجاء الى الانكليز ، وندموا على مخالفتى بعد الذى وقع لهم ، ورجعوا الى ، ثم أجمع رأيهم على سفرى الى بلاد الانكليز ، فامتثلت ذلك ، وتجشمت المشاق ، وخاطرت بنفسى وسافرت الى بلاد الانكلترة ، وقاسيت أهوال البحار سنة وأشهرا ، كل ذلك لأجل راحتى وراحتهم .

وحصل ما حصل فى غيابى ، ودخلوا مصر من غير قياس ، وبنوا قصورهم على غير أساس ، واطمأنوا الى عدوهم ، وتعاونوا به على هلاك صدقهم . وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم وأحاط بهم وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم، واحتال عليهم ثانيا — يوم قطع الخليج — فراجت حيلته عليهم أيضا ، وأرسلت اليهم فنصحتهم ، فاستغشونى وخالفونى ، ودخل الكثير منهم البلد، وانحصروا فى أزقتها ، وجرى عليهم ما جرى من القتل الشنيع ، والأمر الفظيع ، ولم ينج الا من تخلف منهم ، أو ذهب من غير الطريق .

ثم انه الآن أيضا يراسلهم ويداهنهم ، ويهاديهم ويصالحهم ، ويثبطهم عما فيه النجاح لهم ، وما أظن أن الغفلة استحكمت فيهم الى هذا الحد ؟

فارجع اليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع فلعلهم يتنبهوا من سكرتهم ، ويرسلوا معك الثلثين أو النصف الذى سمح به والدنا ابراهيم بيك .. وهـذا القدر ليس فيـه كبـير مشقة ، فانهم اذا وزعوا على كل أمـير عشرة أكيـاس ، وعلى كل كاشف خمسـة أكياس ، وكل جنـدى أو مملوك كيسا واحدا ، اجتمع المبلغ وزيادة ... وأنا أفعل ذلك مع قومى ، والحمد لله ليسـوا هم ولا نحن مفاليس . وثمرة المال قضاء مصالح الدنيا ، وما نحن فيه الآن من أهم المصالح .

وقل لهم : « البدار قبل فوات الفرصة ، والخصم ليس بغافل ولا مهمل ، والعثمانيون عبيد الدرهم والدينـار ! » .

فلما فرغ من كلامه ، ودعه سليمان أغا ، ورجع الى قبلى . فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع شىء .

ورجع ابراهيم بيك أيضا الى قولهم ورأيهم . ولما ألقى لهم سليمان أغا العبارات التى قالها صاحبه ، وأنه يكون تحت أمرهم ونهيهم ، ويرضى بأدنى المعاش معهم ، ويسكن الجيزة الى آخر ما قال ... قالوا : « هذا والله كله كلام لا أصل له ، ولا ينسى ثأره ، وما فعلناه فى حقه وحق أتباعه . ولو اعتزل عنا ، وسكن قلعة الجبل ، فهو الألفى الذى شاع ذكره فى الآفاق ، ولا تخاطب الدولة غيره . وقد كنا فى غيبته لا نطيق عفريتا من عفاريته ، فكيف نكون هو وعفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم ! » . وداخلهم الحقد ، وزاد فى وساوسهم الشيطان . فقال لهم سليمان أغا : « اقضوا شغلكم فى هذا الحين ، حتى تنجلى عنكم الأعـداء الأغراب ، ثم اقتلوه بعد ذلك وتسـتريحوا منه » . فقـالوا : « هيهات بعد أن يظهر علينا ، فانه يقتلنا واحدا بعد واحد ، ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا . وهو بعيد المكر ، فلا نأمن اليه مطلقا » ..

وغرهم الخصم بتمويهاته ، وأرسل اليهم هدايا وخيولا وسروجا وأقمشة . هذا ورسل القبودان تذهب وتأتى بالمخـاطبات والعرضـحالات ، حتى تمموا الأمر كما تقدم .

وفى أثناء ذلك : ينتظر القبودان جوابا كافيا ، وسلحداره مقيم أيضـا عنـد المترجم . والمترجم يشاغل القبودان بالهدايا والأغنـام والذخيرة من الأرز والغلال والسمن والعسل وغير ذلك ... الى أن رجع اليـه سليمان أغا بخفى حنـين ، محزونا مهموما متحيرا فيما وقع فيه من الورطة ، مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة ، وكيف يكون جوابه للمذكور ... والقبـودان جعل فى الابـرة خيطين ليتبع الأروج .

فلما وصل اليه سليمان أغا وأخبره أن الجماعة القبليين لا راحة عندهم ، وامتنعوا من الدفع ومن الحضور ، وأن المترجم يقوم بدفع القـدر الذى يقدر عليه ، والذى يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه . فاغتاظ القبودان وقال : « أنت تضحك على ذقنى وذقن وزير الدولة ! وقد تحركنا هذه الحركة على ظن أن الجماعة على قلب رجل واحد . واذا حصل من المالك للبلدة عصيان ومخالفة ، ولم يكن فيهم مكافأة لمقاومته ... ساعدناهم بجيش من النظام الجديد وغيره . وحيث أنهم متنافرون ومتحاسدون ومتباغضون فلا خير فيهم ، وصاحبك هذا لا يكفى فى المقاومة وحده ، ويحتاج الى كثير المغاولة ، وهى لا تكون الا بكثرة المصاريف » .

ولـما ظهر لسليمان أغا الغيظ والتغـير من القبودان ، خاف على نفسه أن يبطش به ، وعرف

منه أن المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم ، لأنه قال له : « وأين سلحدارى ؟ » . قال : « هو عند الألفى بالبحيرة » . فقال : « اذهب فأتنى به ، واحضر صحبته » .

وكان موسى باشا المتولى قد حضر أيضا . فما صدق سليمان أغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه، فركب فى الوقت وخرج من الاسكندرية ، فما هو الا أن بعد عنها مقدار غلوة ... الا والسلحدار قادم الى سكندرية . فسأله : الى أين يذهب ؟ فقال : « ان مخدومك أرسلنى فى شغل ، وهاأنا راجع اليكم » . وذهب عند المترجم ولم يرجع .

وفى أثناء هذه الأيام كان المترجم يحارب دمنهور ، وبعث اليه محمد على باشا التجريدة العظيمة التى بذل فيها جهده ، وفيها جميع عساكر الدلاة ، وطاهر باشا ومن معه من عساكر الأرنؤود والأتراك وعسكر المغاربة . فحاربهم وكسرهم وهزمهم شر هزيمة ، حتى ألقوا بأنفسهم فى البحر ، ورجعوا فى أسوأ حال .

فلو تجاسر المترجم وتبعهم .. لهرب الباقون من البلدة ، وخرجوا جميعا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ، ولكن لم يرد الله ذلك . ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك .

ولما تنحت عنه عشيرته ، ولم يلبوا دعوته ، وأتلفوا الطبخة ، وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة ... استأنف المترجم أمرا آخر ، وراسل الانكليز يلتمس منهم المساعدة ، وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم ... كما التمس منهم فى العام الماضى ، فاعتذروا له بأنهم صلح مع العثمانى ، وليس فى قانون الممالك — اذا كانوا صلحا — أن يتعدوا على المتصادقين معهم ، ولا يوجهون نحوها عساكر الا باذن منهم ، أو بالتماس المساعدة فى أمر مهم ، فغاية ما يكون المكالمة والترجى .. ففعلوا ، وحصل ما تقدم ذكره ، ولم يتم الأمر .

فلما خاطبهم بعد الذى جرى ... صادف ذلك وقوع الغرة بينهم وبين العثمانى . فأرسلوا الى المترجم يعدونه بانفاذ ستة آلاف لمساعدته . فاقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور . وكان ذلك أوان القيظ ، وليس ثم زرع ولا نبات . فضاقت على جيوشهم الناحية — وقد طال انتظاره للانكليز — فتشكى العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ماهم فيه من الجهد ... وفى كل حين يوعدهم بالفرج ، ويقول لهم : « اصبروا لم يبق الا القليل » . فلما اشتد بهم الجهد ، اجتمعوا اليه وقالوا له : « اما ان تنتقل معنا الى ناحية قبلى ... فان أرض الله واسعة ، واما أن تأذن لنا فى الرحيل فى طلب القوت » . فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر فى بلوغ المآرب . الأول : مجىء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ، ورجوعهما على غير طائل . الثانى : عدم ملكه دمنهور . وكان قصده أن يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تأتيه النجدة . الثالث: تأخر مجىء النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل ، الرابع : وهو أعظمها ، مجانبة اخوانه وعشيرته ، وخذلانهم له ، وامتناعهم عن الانضمام اليه . فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان ، حتى وصل الى الأخصاص .

فنادى محمد على باشا على العساكر بالخروج، ولا يتأخر منهم واحد . فخرجوا أفواجا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى ساحل بولاق ، وعدوا الى بر انبابة ، وجيشوا بظاهرها .

وقد وصل المترجم الى كفر حكيم ، يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة ، وانتشرت جيوشه بالبر الغربى ناحية انبابة والجيزة . وركب الباشا وأصناف العساكر ، ووقفوا على ظهر خيولهم ، واصطفت

الرجالة ببنادقهم وأسلحتهم ... ومر المترجم فى هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء ، وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول ، وصحبته قبائل العرب من أولاد علي والهنادى وعربان الشرق فى كبكبة زائدة ... والباشا والعسكر وقوف ينظرون اليهم من بعد ، وهو يتعجب ويقول : « هذا طهماز الزمان ! والا ايش يكون ؟ » . ثم يقول للدلاة والخيالة : « تقدموا ، وحاربوا . وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال » . ويذكر لهم مقادير عظيمة ، ويرغبهم . فلم يتجاسروا على الاقدام ، وصاروا باهتين ومتعجبين ، ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون فى تقدمهم وتأخرهم ... وقد أهملوا بأعينهم !

ولم يزل سائرا حتى وصل الى قريب قناطر شبرامنت ، فنزل على علوة هناك ، وجلس عليها . وزاد به الهاجس والقهر ، ونظر الى جهة مصر وقال : « يا مصر .. انظرى الى أولادك ، وهم حولك مشتتين ، متباعدين مشردين ، واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرنؤود ، وصاروا يقبضون خراجك ، ويحاربون أولادك ، ويقاتلون أبطالك ، ويقاومون فرسانك ، ويهدمون دورك ، ويسكنون قصورك ، ويفسقون بولدانك وحورك ، ويطمسون بهجتك ونورك ! » . ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله ، وقد تحرك به خلط دموى ، وفى الحال تقايأ دما ، وقال : « قضى الأمر ، وخلصت مصر لمحمد على ، وما ثم من ينازعه ويغالبه ، وجرى حكمه على المماليك المصرية ، فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم » .

ثم انه أحضر أمراءه ، وأمر عليهم شاهين بيك ، وأوصاه بخشداشينه ، وأوصاهم به ، وأن يحرصوا على دوام الألفة بينهم وترك التنازع الموجب للتفرق والتفاشل ، وأن يحذروا من مخادعة عدوهم .

وأوصاهم أنه اذا مات محملوه الى وادى البهنسا ويدفنوه بجوار قبور الشهداء . فمات فى الليلة ، وهى ليلة الأربعاء تاسع عشر ذى القعدة

فلما مات ، غسلوه وكفنوه ، وصلوا عليه وحملوه على بعير ، وأرسلوه الى البهنسا ، ودفنوه هناك بجوار الشهداء . وانقضى نحبه ، فسبحان له سرمدية البقاء .

وفى الحال : حضر المبشر الى محمد على باشا وبشره بموت المترجم . فلم يصدقه ، واستفهم ذلك ، وحبس البدوى الذى أتاه بالبشارة أربعة أيام ... وذلك لأن أتباعه كانوا كتموا أمر موته ولم يذيعوه فى عرضيه . والذى أشاع الخبر وأتى بالبشارة رفيق البدوى الذى حمله على بعيره

ولما ثبت موته عند الباشا ، امتلأ فرحا وسرورا وكذلك خاصته ، ورفعوا رؤوسهم .

وأحضر ذلك المبشر ، فألبسه فروة سمور وأعطاه مالا ، وأمره أن يركب بتلك الخلعة ويشق بها من وسط المدينة ليراه أهل البلدة .

وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضور المبشر ، وهم يكذبون ذلك الخبر ، ويقولون : هو من جملة تحيلاته ، فانه لما سافر الى بلاد الانكليز لم يعلم بسفره أحد ، ولم يظهر سفره الا بعد مضى أشهر ... فلذلك أمر الباشا ذلك المبشر أن يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ، ومع ذلك استمروا فى شكهم نحو شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل بعد ذلك .

فانه لما مات تفرقت قبائل العربان التى كانت متجمعة حوله ، وبعضهم أرسل يطلب أمانا من الباشا ، وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره فى ضمن ماتقدم ... وكان محمد على باشا يقول : « مادام هذا الألفى موجودا ... لايهنأ لى عيش ، ومالى

أنا وهو : مثال بهلوانين يلعبان على الحبل ، لكن هو فى رجليه قبقاب ! » .

فلما أتاه المبشر بموته قال — بعد أن تحقق ذلك — : « الآن .. طابت لى مصر ، وما عدت أحسب لغيره حسابا ! » .

وكان المترجم أميرا جليلا مهيبا ، محتشما ، مدبرا بعيد الفكر فى عواقب الأمور ، صحيح الفراسة . اذا نظر فى سحنة انسان عرف حاله وأخلاقه بمجرد النظر اليه ، قوى الشكيمة ، صعب المراس ، عظيم البأس ، ذا غيرة حتى على من ينتمى اليه ، أو ينسب الى طرفه . يحب علو الهمة فى كل شىء ، حتى أن التجار الذين تعاملهم فى المشتروات ، لايساومهم ولا يفاصلهم فى أثمانها ، بل يكتبون الأثمان بأنفسهم كما يحبون ويريدون فى قوائم ، ويأخذها الكاتب ليعرضها عليه ، فيمضى عليها ولا ينظر فيها . ويرى أن النظر فى مثل ذلك ، أو المحاققة فيه عيب ونقص يخل بالأمرية .

ولا تمضى السنة الا والجميع قد استوفوا حقوقهم ، ويستأنفوا احتياجات العام الجديد . ولذلك راج حال المعاملين له رواجا عظيما لكثرة ربحهم عليه ومكاسبهم . ومع ذلك يواسيهم فى جملة أحبابه والمنتسبين اليه ، بارسال الغلال لمئونة بيوتهم وعيالهم ، وكساوى العيد !

وينتصر لأتباعه ولمن انتمى اليه ، ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم ... مع أنه اذا حصل من أحد منهم هفوة تخل بالمروءة ، عنفه وزجره . فترى كشافه ومماليكه — مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم — يخافونه خوفا شديدا ، ويهابون خطابه .

ومن عجيب أمره ومناقبه التى انفرد بها عن غيره ، امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصرى لأمره ، وتسخيرهم وطاعتهم له .. لايخالفونه فى شىء . وكان له معهم سياسة غريبة ، ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم ... فكأنما هو مربى فيهم ، أو ابن خليفتهم ، أو صاحب رسالتهم ... يقومون ويقعدون لأمره مع أنه يصادرهم فى أموالهم وجمالهم ومواشيهم ، ويحبسهم ويطلقهم ، ويقتل منهم . ومع ذلك لاينفرون منه !

وقد تزوج كثيرا من بناتهم : فالتى تعجبه يبقيها حتى يقضى وطره منها ، والتى لاتوافق مزاجه يسرحها الى أهلها . ولم يبق فى عصمته غير واحدة — وهى التى أعجبته — فمات عنها .

فلما بلغ العرب موته ... اجتمعت بنات العرب ، وصرن يندبنه بكلام عجيب ، تناقلته أرباب المغانى يغنون به على آلات اللهو المطربة ، وركبوا عليه أدوارا وقوافى وغير ذلك !

والعجب منه — رحمه الله — أنه لما كان فى دولتهم السابقة ، وينزل فى كل سنة الى شرقية بلبيس ويتحكم فى عربانها ، ويسومهم سوء العذاب بالقبض عليهم ووضعهم فى الزناجير ، ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ، ويأخذ منهم الأموال والخيول والأباعر والأغنام ، ويفرض عليهم الفرض الزائدة ، ويمنعهم من التسلط على فلاحى البلاد !

ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز ، وتعصب عليه البرديسى والعسكر ، وأحاطوا به من كل جانب ... فاختفى منهم ، وهرب الى الوادى عند عشيبة البدوى ، فآواه وأخفاه ، وكتم أمره . والبرديسى ومن معه يبالغون فى الفحص والتفتيش ، وبذل الأموال والرغائب لمن يدل عليه أو يأتى به... فلم يطمعوا فى شىء من ذلك ، ولم يفشوا سره ، وقيدوا بالطرق الموصلة له أنفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتى على حين غفلة ... وهذا من العجائب ، حتى كان كثير من الناس يقولون : « انه يسحرهم ، أو معه سر يسخرهم به ! » .

فلما مات ، تفرق الجميع ، ولم يجتمعوا على أحد بعده ، وذهبوا الى أماكنهم ، وبعضهم طلب من الباشا الأمان . وأما مماليكه وأتباعه ، فلم يفلحوا بعده ، وذهبوا الى الأمراء القبليين،فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ، ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر ، فانعزلوا عنهم الى أن جرى ماجرى من صلحهم مع الباشا ، وأوقع بهم ماسيتلى عليك بعد ... ان شاء الله تعالى .

وبعد موت المترجم بنحو الأربعين يوما ، وصلت نجدة الانكليز الى ثغر الاسكندرية ، وطلعوا اليه . فبلغهم عند ذلك موت المذكور ، فلم يسهل بهم الرجوع ، فأرسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين — ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة — يطلبونهم للحضور ، ويساعدهم الانكليز على ردهم لملكتهم وأوطانهم .

وكان محمد على باشا — حين ذاك — بناحية قبلى يحاربهم ، فطلبهم للصلح معه ، وأرسل اليهم بعض فقهاء الأزهر وخادعهم وثبطهم ، فقعدوا عن الحركة ، وجرى ماجرى على طائفة الانكليز ، كما سيتلى عليك خبره ، ثم عليهم بعد ذلك .. وكان أمر الله مفعولا .

وكان للمترجم ولوع ورغبة فى مطالعة الكتب ... خصوصا العلوم الغريبة ، مثل : الجفريات ، والجغرافيا ، والاسطرنوميا ، والأحكام النجومية ، والمناظرات الفلكية وما تدل عليه من الحوادث الكونية . ويعرف أيضا مواضع المنازل وأسماءها وطبائعها ، والخمسة المتحيرة ، وحركات الثوابت ومواقعها ... كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقى على طريقة العرب من غير مطالعة فى كتاب ، ولا حضور درس . واذا طالع أحد بحضرته فى كتاب ، أو أسمعه ، ناضله مناضلة متضلع ، وناقشه مناقشة متطلع .

وله أيضا معرفة بالأشكال الرملية ، واستخراجات الضمائر بالقواعد الحرفية . وكان له فى ذلك اصابات ، ومنها ما أخبرنى به بعض أتباعه : أنه لما وصل الى ثغر سكندرية — راجعا من بلاد الانكليز — رسم شكلا وتأمل فيه ، وقطب وجهه ، ثم قال : « انى أرى حادثا فى طريقنا ، وربما أنى أفترق منكم ، وأغيب عنكم نحو أربعين يوما » . فلذلك .. أحب أن يخفى أمره ويأتى على حين غفلة .

وكان البرديسى قد أقام بالثغر رقيبا ، يوصل خبر وروده . فلما وصل ، أرسل ذلك الرقيب ساعيا فى الحال — وكان ماذكرناه فى سياق التاريخ ، من غدرهم وقتلهم حسنين بيك الوشاش بالبر الغربى ، وهروب بشتك بيك من القصر ، وارسال العسكر للاقاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه ، وهروبه واختفاؤه ، ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة ، أو قريب منها .

وكان — رحمه الله — اذا سمع بانسان فيه معرفة بمثل هذه الأشياء ، أحضره ومارسه فيها ، فان رأى فيه فائدة أو مزية أكرمه وواساه وصاحبه وقربه اليه وأدناه .

وكان له مع جلسائه مباسطة — مع الحشمة والترفع عن الهذيان والمجون . وكان غالب اقامته بقصوره التى عمرها خارج مصر — وهو القصر الكبير بمصر القديمة ، تجاه المقياس بشاطىء النيل ، والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش ، والقصر الذى بجانب قنطرة المغربى على الخليج الناصرى .

وكان اذا خرج من داره — لبعض تلك القصور — لا يمر من وسط المدينة ، واذا رجع كذلك . فسئل عن سبب ذلك ، فقال :

« استحى أن أمر من وسط الأسواق وأهل

الحوانيت والمارة ينظرون الى ، وأفرجهم على نفسى » .

وللمترجم أخبار وسير ووقائع .. لو سطرت ، لكانت سيرة مستقلة ، خصوصا وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، أيام أقام الفرنساوية بالقطر المصرى ، ورحلته بعد ذلك الى بلاد الانكليز ، وغيابه بها سنة وشهورا . وقد تهذبت أخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة أحكامهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم فى رعيتهم ، مع كفرهم ، بحيث لايوجد فيهم فقير ولا مستجدى ، ولا ذو فاقة ولا محتاج . وقد أهدوا له هدايا وجواهر ، وآلات فلكية ، وأشكالا هندسية ، واسطرلابات وكرات ونظارات . وفيها ما اذا نظر الانسان فيها فى الظلمة يرى أعيان الأشكال كما يراها فى النور . ومنها لخصوص النظر فى الكواكب ، فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم ، وحوله عدة كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ! ومن أنواع الأسلحة الحربية أشياء كثيرة . وأهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق ، بداخله أشكال تدور بحركات ، فيظهر منها أصوات مطربة ، على ايقاع الأنغام وضروب الألحان ، وبها لشانات وعلامات لتبديل الانغام بحسب مايشتهى السامع.. الى غير ذلك ... نهب ذلك جميعه العسكر الذين أرسلهم اليه البرديسى ليقتلوه ، وطفقوا يبيعونه فى أسواق البلدة . وأغلبه تكسر وتلف وتبدد .

وأخبرنى بعض من خرج لملاقاته عند منوف العليا ، انه لما طلع اليها ، وقابله سليمان بيك البواب ، أخلى له الحمام — فى تلك الليلة — وكان قد بلغه كافة أفعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف ، وكذا باقى اخوانه وأفعالهم بالأقاليم . فكان مسامرتهم معه تلك الليلة فى ذكر العدالة الموجبة لعمارة البلاد .

ويقول لسليمان بيك فى التمثيل : « الانسان الذى يكون له ماشية — يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها وجبنها — يلزمه أن يرفق بها فى العلف ، حتى تدر وتسمن وتنتج له النتاج ، بخلاف ما اذا أجاعها وأجحفها وأتعبها وأشقاها وأضعفها ، حتى اذا ذبحها لا يجد بها لحما ولا دهنا » .

فقال : « هذا ما اعتدناه ، وربينا عليه » . فقال : « ان أعطانى الله سيادة مصر والامارة فى هذا القطر ، لأمنعن هذه الوقائع ، وأجرى فيه العدل ليكثر خيره ، وتعمر بلاده ، وترتاح أهله ، ويكون أحسن بلاد الله » . ولكن الاقليم المصرى ليس له بخت ولا سعد ، وأهله تراهم مختلفين فى الأجناس ، متنافرى القلوب ، منحرفى الطباع. فلم يمض على هذا الكلام الا بقية الليل وساعات من النهار ، حتى أحاطوا به ، وفر هاربا ونجا بنفسه . وجرى ماتقدم ذكره من اختفائه وظهوره ، وانتقاله الى الجهة القبلية ، واجتماع الجيوش عليه ، وحكمت عليه الصورة التى ظهر فيها ، وحصل له ما حصل .

واخبرنى من اجتمع عليه فى البحيرة ، وسامره ، فقال : « يافلان .. والله يخيل لى أن أقتل نفسى .. ولكن لاتهون على ، وقد صرت الآن واحدا بين ألوف من الأعداء ، وهؤلاء قومى وعشيرتى فعلوا بى ما فعلوا ، وتجنبونى وعادونى من غير جرم ولا ذنب سبق منى فى حقهم ، وأشقونى وأشقوا أنفسهم ، وملكوا البلاد لأعدائى وأعدائهم ، وسعيت واجتهدت فى مرضاتهم ومصالحتهم والنصح لهم ، فلم يزدهم ذلك الا نفورا ، وتباعدا عنى .

« ثم هذه الجنود ورئيسهم ، الذين ولجوا البلاد وذاقوا حلاوتها ، وشبعوا بعد جوعهم ، وترفهوا بعد ذلهم ، يجيشون على ويحاربونى ، ويكيدونى

ويقاتلوني . ثم ان هؤلاء العربان المجتمعين على ، أصانعهم وأسوسهم ، وأغاضبهم وأراضيهم ، وكذلك جندي ومماليكي ، وكل منهم يطلب مني رياسة وامارة ، ويظنون — بغفلتهم — أن البلاد تحت حكمي ، ويظنون أني مقصر في حقهم : فتارة أعاملهم باللطف ، وتارة أزجرهم بالعنف . فأنا بين الكل مثل الفريسة ، والجميع حولي مثل الكلاب الجياع ، يريدون نهشي وأكلي ، وليس بيدى كنوز قارون فأنفق على هؤلاء الجموع منها ، فيضطرني الحالي الى التعدى على عباد الله ، وأخذ أموالهم ، وأكل مزارعهم ومواشيهم . فان قدر الله لي بالظفر ، عوضت عليهم ذلك ، ورفقت بحالهم ، وان كانت الأخرى ، فالله يلطف بنا وبهم ، ولا بد أن يترحموا علينا ، ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا » .

وبالجملة . فكان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة ، ونظرا في عواقب الأمور .

وكان وحيدا في نفسه ، فريدا في أبناء جنسه . وبموته اضمحلت دولتهم ، وتفرقت جمعيتهم ، وانكسرت شوكتهم ، وزادت نفرتهم . وما زالوا في نقص وادبار ، وذلة وهوان وصغار ، ولم تقم لهم بعده راية ، وانقرضوا وطردوا الى أقصى البلاد في النهاية .

وأما مماليكه وصناجقه ، فانهم تركوا نصيحته ، ونسوا وصيته ، وانضموا الى عدوهم وصادقوه . ولم يزل بهم حتى قتلهم وأبادهم عن آخرهم ، كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد .

وكانت صفة المترجم معتدل القامة ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، جميل الصورة ، مدور اللحية ، أشقر الشعر قد وخطه الشيب ، مليح العينين ، مقرون الحاجبين ، معجبا بنفسه ، مترفها في زيه وملبسه ، كثير الفكر ، كتوما لا يبيح بسر ولا لأعز أحبابه . الا انه لم يسعفه الدهر ، وجنى عليه بالقهر ، وخاب أمله ، وانقضى أجله ، وخانه الزمان ، وذهب في خبر كان . ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة .. غفر الله له .

* * *

ومات الأمير عثمان بيك البرديسي المرادى ، وسمى البرديسي لأنه تولى كشوفية برديس بقبلي وعرف بذلك واشتهر به .

تقلد الأمرية والصنجقية في سنة ١٢١٠ ، وتزوج ببنت احمد كتخدا على ، وهي أخت على كاشف الشرقية ، وعمل لها مهما ، وذلك قبل أن يتقلد الصنجقية . وسكن بدار على كتخدا الطويل بالأزبكية . واشتهر ذكره ، وصار معدودا من جملة الأمراء .

ولما قتل عثمان بيك البرديسي المرادى بساحل أبو قير . ورجع من رجع الى قبلي . كان الألفي هو المتعين بالرياسة على المرادية . فلما سافر الألفي الى بلاد الانكليز . تعين المترجم بالرياسة على خشداشينه مع مشاركة بشتك بيك الذى عرف بالألفي الصغير .

فلما حضروا الى مصر في سنة ثمان عشرة بعد خروج محمد باشا خسرو وقتل طاهر باشا ، انضم اليه محمد على باشا — وكان اذ ذاك سرششمه العساكر ، وتواخى معه وصادقه ، ورمح في ميدان غفلته ، وتحالفا ، وتعاهدا ، وتعاقدا على المحبة والمصافاة ، وعدم خيانة أحدهما للآخر ، وأن يكون محمد على باشا وعساكره الأروام اتباعا له ، وهو الأمير المتبوع . فانتفخ جأشه — لأنه كان طائش العقل ، مقتبل الشبيبة — فاغتر بظاهر محمد على باشا ، لأنه حين عمل شغله في مخدومه محمد باشا ، وبعده طاهر باشا ، دعا الأمراء المصريين ، وأدخلهم الى مصر ، وانتسب الى ابراهيم بيك الكبير ، لكونه رئيس القوم وكبيرهم ، وعين لابراهيم بيك خرجا وعلوفة مثل

أتباعه وسبره واختبره ، فلم ترج سلعته عليه ، ووجده محرصا على دوام التراحم والألفة والمحبة ، وعدم التفاشل فى عشيرته وأبناء جنسه ، متحرزا من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر فى قبيلته .

فلما أيس منه ، مال عنه وانضم الى المترجم ، واستخفه واحتوى على عقله ، وصاحبه وصادقه ، وصار يختلى معه ، ويتعاقر معه الشراب ، ويسامره ويسايره ، حتى باح له بما فى ضميره من الحقد لاخوانه ، وتطلب الانفراد بالرياسة . فصار يقوى عزمه ، ويزيد فى اغرائه ، ويوعده بالمعاونة والمساعدة على اتمام قصده .

ولم يزل به ، حتى رسخ فى ذهن المترجم نصحه وصدقه .. كل ذلك توصلا لما هو كامن فى نفسه من اهلاك الجميع ، ثم أشار عليه ببناء أبراج حول داره التى سكن بها بالناصرية . فلما أتمها ، أسكن بها طائفة من عساكره كأنهم محافظون لما عساه أن يكون .

ثم سار معه الى حرب محمد باشا خسرو بدمياط فحاربوه ، وأتوا به أسيرا ، وحبسوه . ثم فعلوا بالسيد على القبطان مثل ذلك ، ثم كائنة على باشا الطرابلسي وقتله — وقد تقدم خبر ذلك كله ، وجميعه نسب فعله للمصريين — ولم يبق الا الايقاع بينهم فكان وصول الألفى عقب ذلك ، فأوقعوا به وبجنده ما تقدم ذكره ، وتفاشلوا وتفرقوا بعد جمعهم ، وقلوا بعد الكثرة .

ثم أشار على المترجم ، المصادق الناصح ، بتفريق أكثر الجمع الباقى فى النواحى والجهات : البعض منهم لرصد الألفى والقبض عليه وعلى جنده ، والبعض الآخر لظلم الفلاحين فى البلاد . ولم يبق بالمدينة غير المترجم وابراهيم بيك الكبير وبعض الأمراء . فعند ذلك سلط محمد على العساكر بطلب علائفهم المنكسرة ، فعجزوا عنها . فأراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فرضة — بعد أن استشار الأخ النصوح — وطافت الكتاب فى الحارات والأزقة ، يكتبون أسماء الناس ودورهم . ففزعوا وصرخوا فى وجوه العسكر . فقالوا : « نحن ليس لنا عندكم شىء ، ولا نرضى بذلك ، وعلائفنا عند أمرائكم ونحن مساعدون لكم » . فعند ذلك قاموا على ساق ، وخرجت نساء الحارات وبأيديهم الدفوف ، يغنون ويقولون : « ايش تأخذ من تفليسى يابرديسى ! » . وصاروا يسخطون على المصريين ، ويترضون عن العسكر . وفى الحال ، أحاطت العسكر ببيوت الأمراء ، ولم يشعر البرديسى الا والعسكر — الذين أقامهم بالأبراج ، التى بناها حوله ليكونوا له عزا ومنعة — يضربون عليه ويحاربونه ، ويريدون قتله . وتسلقوا عليه . فلم يسع الجميع الا الهروب والفرار . وخرجوا خروج الضب من الوجار .

وذهب المترجم الى الصعيد مذءوما مدحورا ، مذموما مطرودا ، وجوزى مجازاة من ينتصر بعدوه ويعول عليه ، ويقص أجنحته برجليه ، وكالباحث على حتفه بظلفه ، والجاذع بظفره مارن أنفه .

ولم يزل فى هجاج وحروب — كما سطر فى السياق — ولم ينتصر فى معركة . ولم يزل مصرا على معاداة أخيه الألفى ، وحاقدا عليه وعلى أتباعه ، محرصا على زلاته وأعظمها قضية القبودان وموسى باشا .. الى غير ذلك .

وكان ظالما غشوما طائشا ، سيىء التدبير . وقد أوجده الله جل جلاله ، وجعله سببا لزوال عزهم ودولتهم ، واختلال أمرهم ، وخراب دورهم ، وهتك أعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم . ولم يزل على خبثه ، حتى مرض ومات بمنفلوط ، ودفن هناك .

* * *

ومات الأمير بشتك بيك — وهو الملقب بالألفى الصغير — وهو مملوك محمد بيك الألفى الكبير . أمره وجعله وكيلا عنه مدة غيابه فى بلاد الانكليز . وكان قبل ذلك سلحداره ، وأمر كشافه ومماليكه وجنده بطاعته ، وامتثال أمره .

فلما حضر الأمراء المصريون فى سنة ثمان عشرة أقام هو بقصر مراد بيـــك بالجيزة . فلم يحسن السياسة ، وداخله الغرور وأعجب بنفسه ، وشمخ على نظرائه ، وعلى أعمامه الذين هم خشداشون لأستاذه ... بل وعلى ابراهيم بيك الكبير الذى هو بمنزلة جده . وكان مراد بيك — الذى هو أستاذ أستاذه — يراعى حقه ، ويتأدب معه ، ويقبل يده فى مثل الأعياد ، ويقول : « هو أميرنا وكبيرنا » . وكذلك أستاذ المترجم . كان اذا دخل على ابراهيم بيك قبل يده ، ولا يجلس بحضرته الا بعـــد أن يأذن له .

فلم يقتف المترجم فى ذلك أسلافه ، بل ســـلك مســـلك التعاظم والتكبر على الجميع ، واستعمل العسف فى أموره ، مع الترفع على الجميع . واذا عقـــدوا أمرا بدونه حله ، أو حلوا شـــيئا بدونه عقده . فضاق لذلك خناق الجميع منه ، وكرهوه وكرهوا أستاذه .

وكان هو من جملة أسباب نفورهم من أستاذه ، وانحراف قلوبهم عنه .

فلما رجـــع أستاذه ، وظهر من اختفائه ، وبمعه أفعاله ، مقته وأبعده . ولم يزل ممقوتا عنده . حتى مات مبطونا فى حياة أستاذه بناحية قبلى فى تلك السنة .

* * *

ومات غير هؤلاء ، ممن له ذكر مثل : سليمان بيك المعروف بأبو دياب ، بناحية قبلى أيضا .

* * *

ومات أيضـــا ، أحمد بيك المعروف بالهنداوى الألفى فى واقعة النجيلة .

* * *

ومات أيضا ، صالح بيك الألفي ، وهو أيضـــا ممن تأمر فى غياب أستاذه . وعند حضور أستاذه من بلاد الانـــكليز ، كان هو متوليا كشـــوفية الشرقيـــة ، وغائبا هناك . فأرســـلوا له تجريدة ليقتلوه — وكان بناحية شـــلشمون — فوصله الخبر ، فترك خيـــامه وأحماله وأثقاله ، وهرب واختفى .

فلما وقعت حادثة الأمراء مع العسكر وخرجوا من مصر هاربين ، وظهر الألفى من الوادى ، ذهب اليـــه وأمده بما معه من الأموال ، وذهب مـــع أستاذه الى قبلى . ولم يزل حتى مات أيضا فى هذه السنة . وغير أولئك كثير ، لم تحضرنى أسماؤهم ، ولا وفاتهم .

المحرم

الأربعاء غرته (١١ مارس ١٨٠٧ م) :

وصل القابجى الذى على يده التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر . وطلع الى بولاق .

وفيه : وردت مكاتبات من الجهة القبلية ، فيها : أنهم كبسوا على عرضى الألفية — وصحبتهم سليمان بيك البواب — وحاربوهم ، وهزموهم ، ونهبوا حملاتهم ، وقطعوا منهم عدة رؤوس ، وهى واصلة فى طريق البحر .

وصادفت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجى ووصوله ، فعمل لذلك شنك ، وضربت لذلك مدافع كثيرة من القلعة فى كل وقت من الأوقات الخمسة ... ثلاثة أيام آخرها الجمعة .

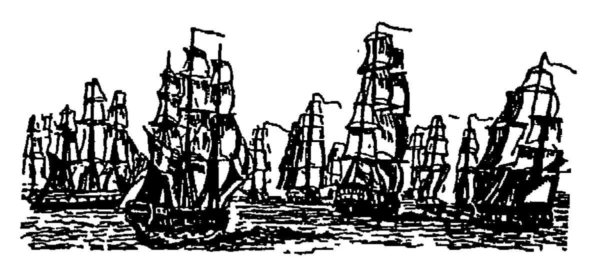
ثم انه مضى عدة أيام ، ولم تحضر الرؤوس التى أخبروا عنها . واختلفت الروايات فى ذلك .

الثلاثاء ٧ منه (١٧ مارس ١٨٠٧ م) :

عملوا جمعية ببيت القاضى ، حضرها المشايخ والأعيان . وذكروا أنه لما وردت الأوامر بتحصين الثغور ، أرسل الباشا سليمان أغا ، ومعه طائفة من العسكر ، وأرسل الى أهالى الثغور والمحافظين عليها مكاتبات بأنهم ان كانوا يحتاجون الى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين أرسلهم . فأجابوا بأن فيهم الكفاية ، ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر... فانهم اذا كثروا فى البلد تأتى منهم الفساد والافساد ... فعملوا هذه الجمعية لاثبات هذا القول ، ولخلاص عهدة الباشا ، لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة ، وينسب اليه التفريط .

الخميس ٩ منه (١٩ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبات مع السعادة من ثغر سكندرية، وذلك يوم الخميس وقت العصر ، وفيها : الاخبار بورود مراكب الانكليز — وعدتهم اثنان وأربعون مركبا ... فيهم عشرون قطعة كبار ، والباقى صغار



مراكب الانجليز

— فطلبوا الحاكم والقنصل ، وتكلموا معهم ، وطلبوا الطلوع الى الثغر . فقالوا لهم : « لا لمكنكم من الطلوع الا بمرسوم سلطانى » . فقالوا : « لم يكن معنا مراسيم ، وانما مجيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس ، فانهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة . وقد أحضرنا صحبتنا خمسة آلاف من العسكر تقيمهم بالأبراج ، لحفظ البلدة والقلعة والثغر » . فقالوا لهم : « لم يكن معنا اذن . وقد أتتنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من أى جنس كان » . فقالوا : « لا بد من ذلك : فاما أن تسمحوا لنا فى الطلوع بالرضا والتسليم ، واما بالقهر والحرب . والمهلة فى رد الجواب بأحد الأمرين ، أربع وعشرون ساعة ،

ثم تندموا على الممانعة » . فكتبوا بذلك الى مصر.

فلما وصلت تلك المكاتبات ... اجتمع كتخدا بيك ، وحسن باشا ، وبونابارته الخازندار ، وطاهر باشا ، والدفتردار ، والروزنامجى ، وباقى أعيانهم — وذلك بعد الغروب — وتشاوروا فى ذلك . ثم أجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد على باشا ، ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ، ليستعدوا لما هو أولى وأحق بالاهتمام .

ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم ، بعد حصة من الليل ، وأرسلوا تلك المكاتبة اليه فى صبح يوم الجمعة صحبة هجانين ، وشاع الخبر ، وكثر لغط الناس فى ذلك .

ولما انقضت الأربع والعشرون ساعة التى جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية — وهم فى الممانعة — ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر .. فهدموا جانبا من البرج الكبير ، وكذلك الأبراج الصغار والسور . فعند ذلك طلبوا الأمان . فرفعوا عنهم الضرب ، ودخلوا البلدة .. وذلك يوم الجمعة التالى .

الاثنين ١٣ منه (٢٣ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال ... بل بالعلم بأنهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة ، وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال ، واشتبه الأمر .

وفيه : حضر قنصل الفرنساوية الى مصر — وكان بالاسكندرية — فلما وردت مراكب الانكليز ، انتقل الى رشيد . فلما بلغه طلوعهم الى البر ، حضر الى مصر ، وذكر أنه يريد السفر الى الشام هو وباقى الفرنساوية القاطنين بمصر .

الخميس ١٦ منه (٢٦ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها : أنه تحارب مع المصريين ، وظهر عليهم ، وأخذ منهم أسيوط ، وقبض على أنفار منهم ، وقتل فى المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم . فعملوا فى ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة ... من القلعة والأزبكية ، ثلاثة أيام — فى الأوقات الخمسة — آخرها السبت .

وأشاعوا أيضا أن الاسكندرية ممتنعة على الانكليز ، وأنهم طلعوا الى رأس التين والعجمى . فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر ، وحاربوهم ، وأجلوهم عن البر ، ونزلوا الى المراكب مهزومين . وحرقوا منهم مركبين وأنه وصل اليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية ، وحاربوهم فى البحر ، وأحرقوا مراكبهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يبق منهم الا القليل .

واستمر الأمر فى هذا الخلط القبلى والبحرى عدة أيام . ولم يأت من الاسكندرية سعاة ولا خبر صحيح .

وفيه : وصل الكثير من أهالى الفيوم ، ودخلوا الى مصر ... وهم فى أسوأ حال من الشتتات والعرى ، مما فعل بهم ياسين بيك . فخرجوا على وجوههم ، وجلوا عن أوطانهم ولم يمكنهم الخروج من بلادهم ... حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور الى ناحية مصر ، عندما بلغه خبر حضور الانكليز الى ثغر سكندرية .

الجمعة ١٧ منه (٢٧ مارس ١٨٠٧ م) :

وصل ياسين بيك المذكور الى ناحية دهشور ، وأرسل مكاتبة خطابا للسيد عمر والقاضى وسعيد أغا ... يذكر فيها : أنه لما بلغه وصول الانكليز ، أخذته الحمية الاسلامية ، وحضر — وصحبته ستة آلاف من العسكر — ليرابط بهم بالجيزة أو بقليوب ، ويجاهد فى سبيل الله . فكتبوا له أجوبة ... مضمونها : ان كان حضوره بقصد

الجهاد ، فينبغي أن يتقدم بمن معه الى الاسكندرية. واذا حصل له النصر ، تكون له اليد البيضاء ، والمنقبة والذكر والشهرة الباقية . فانه لا فائدة باقامته بالجيزة أو قليوب ... وخصوصا قليوب بالبر الشرقى .

وكان حسن باشا خرج بعرضيه فى موكب الى ناحية الخلاء ، قبل ذلك بأيام ، ويرجع الى داره ، آخر النهار ، فيبيت بها . ثم يخرج فى الصباح .. وعساكره وأوباشه ينتشرون بتلك النواحى ، يعبثون ويخطفون متاع الناس ، ومبيعات الفلاحين وأهل بولاق . وفى كل يوم يشيعون بأنه مسافر الى جهة البحيرة لمحاربة الانكليز .

فلما ورد خبر مجىء ياسين بيك ، تأخر عن السفر . وعملوا مشورة فاقتضى رأيهم أن حسن باشا يعدى الى البر الغربى ، ويقيم بالجيزة .. لئلا يأتى ياسين بيك ويملكها . فعدى حسن باشا فى يوم الاثنين عشرينه ، وأقام بها ، وأعرض عن السفر الى جهة البحيرة .

وفيه : وردت الأخبار الصحيحة بأخذ الاسكندرية ، واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم ، تاسع الشهر . ودخلوها ، وملكوا الأبراج يوم الأحد صبيحة النهار ، وسكن صارى عسكرهم بوكالة القنصل .

وشرطوا مع أهالى البلد شروطا . منها : أنهم لا يسكنون البيوت قهرا عن أصحابها ، بل بالمؤاجرة والتراضى ، ولا يمتهنون المساجد ، ولا يبطلون منها الشعائر الاسلامية . وأعطوا أمين أغا الحاكم أمانا على نفسه وعلى من معه من العسكر ، وأذنوا لهم بالذهاب الى أى محل أرادوه . ومن كان له دين على الديوان .. يأخذ نصفه حالا ، والنصف الثانى مؤجلا . ومن أراد السفر فى البحر من التجار وغيرهم .. فليسافر فى خفارتهم الى أى جهة أراد ، ماعدا اسلامبول . وأما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها ، فمطلق السراح لا حرج ... ذهابا وايابا .

ومن شروطهم التى شرطوها مع أهل البلد : أنهم ان احتاجوا الى قومانية أو مال .. لا يكلفون أهل الاسكندرية بشىء من ذلك ، وأن محكمة الاسلام تكون مفتوحة تحكم بشرائعها ، ولا يكلفون أهل الاسلام بقيام دعوى عند الانكليز بغير رضاهم . والحمايات ، من أى بنديرة ، تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين فى الاسكندرية ، ويقيمون مأمونين رعاية لخاطر أهل الاسكندرية ، ولم يحصل لهم شىء من المكروه من كامل الوجوه .. حتى الفرنساوية . والجمارك من كل الجهات ، على كل مائة اثنان ونصف . وعلى ذلك انتهت الشروط .

وليعلم أن هذه الطائفة من الانكليز ، ومن انضم اليهم — وعدتهم على ما قيل ستة آلاف — لم تأت الى الثغر طمعا فى أخذ مصر ، بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للألفى على أخصامه .. باستدعائه لهم ، واستنجاده بهم قبل تاريخه .

وسبب تأخرهم فى المجىء .. لما بينهم وبين العثمانى من الصلح . فلا يتعدون على ممالكه من غير اذنه ، لمحافظتهم على القوانين . فلما وقعت الغرة بينهم وبينه بما تقدم .. فعند ذلك انتهزوا الفرصة ، وأرسلوا هذه الطائفة .

وكان الألفى ينتظر حضورهم بالبحيرة ، فلما طال عليه الانتظار ، وضاقت عليه البحيرة ، ارتحل بجيوشه مقبلا .. وقضى الله موته باقليم الجيزة .

وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية ، فوجدوه قد مات ، فلم يسعهم الرجوع . فأرسلوا الى الأمراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم . ويقولون لهم : « انما جئنا الى

بلادكم باستدعاء الألفى لمساعدته ومساعدتكم ، فوجدنا الألفى قد مات . وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع .. فلا يكون عندكم تأخير فى الحضور لقضاء شغلكم . فانكم لا تجدون فرصة بعد هذه ، وتندمون بعد ذلك ان تلكأتم » .

فلما وصلتهم مراسلة الانجليز ، تفرق رأيهم .. وكان عثمان بك حسن منعزلا عنهم — وهو يدعى الورع ، وعنده جيش كبير — فأرسلوا اليه يستدعونه . فقال : « أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت فى الفرنساوية ، والآن أختم عملى والتجىء الى الافرنج ، وأنتصر بهم على المسلمين ؟ . أنا لا أفعل ذلك ! » . وعثمان بك يوسف كان بناحية الهـو .

وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط ، وهم : المرادية ، والابراهيمية ، والألفى . والتقى معهم ، وانكسروا منه ، وقتل منهم أشخاصا . فلما ورد عليه خبر الانكليز ، انفعل لذلك ، وداخله وهم كبير ، وأرسل اليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح . وكان ما سيتلى عليك قريبا .. وما كان الا ما أراده المولى جل جلاله .. من تعسة الانكليز والقطر وأهله ... الى أن يشاء الله !

وفيه : وصل مكتوب من محمد على باشا بطلب مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ، ليرسلهم الى الأمراء القبالى . فتراخوا فى الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادى عشر الشهر ، فعلموا أن ذلك قبل تحقق خبر الانكليز .

ثم ورد منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع الى مصر قريبا .. فان العساكر يطالبونه بالعلائف ، ويأمرهم فيه بتحصيل ذلك وتنظيمه ، ليستلموها عند حصولهم بمصر ، ويتجهزوا لمحاربة الانكليز .

الخميس ٢٣ منه (٢ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورد مكتوب من أهالى دمنهور — خطابا الى السيد عمر النقيب — مضمونه : « أنه لما دخلت المراكب الانكليزية الى سكندرية ، هرب من كان بها من العساكر ، وحضروا الى دمنهور . فعندما شاهدهم الكاشف الكائن بدمنهور ، ومن معه من العسكر ، انزعجوا انزعاجا شديدا ، وعزموا على الخروج من دمنهور . فخاطبهم آكابر الناحية قائلين لهم : «كيف تتركونا وتذهبوا .. ولم تروا منا خلافا ، وقد كنا ، فيما تقدم من حروب الألفى ، من أعظم المساعدين لكم .. فكيف لا نساعد الآن بعضنا بعضا فى حروب الانكليز ؟!» . فلم يستمعوا لقولهم لشدة ماداخلهم من الخوف . وعبوا متاعهم ، وأخرج الكاشف أثقاله وجبخانته ومدافعه ، وتركها وعدى وذهب الى فوه من ليلته ، ثم أرسل فى ثانى يوم من أخذ الأثقال ! فهذا ما حصل أخبرناكم به » .

وأما « بونابارته » الخازندار ، الذى سافر لحرب الانكليز ، فانه نزل على القليوبية ، وفعل ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد ، من السلب والنهب والجور والكلف والتساويف ، حتى وصل الى المنوفية .

وكذلك طاهر باشا الذى سافر فى أثره ، واسماعيل كاشف — المعروف بالطوبجى — فرض على البلاد جمالا وخيولا وأبقارا وغير ذلك .

ومن جملة أفاعيلهم : أنهم يوزعون الأغنام المنهوبة على البلاد ، ويلزمونهم بعلفها وكلفها ، ثم يطلبون أثمانها مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين ... وأمثال ذلك !

الجمعة ٢٤ منه (٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الانكليز وصلت الى رشيد ، فى صبح يوم الثلاثاء حادى عشرينه ، ودخلوا الى البلد .. وكان

أهل البلدة ، ومن معهم من العساكر ، متنبهين ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت . فلما حصلوا بداخل البلدة ، ضربوا عليهم من كل ناحية فالقوا ما بأيديهم من الأسلحة ، وطلبوا الأمان . فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا منهم جملة كثيرة ، وأسروا الباقين . وفر طائفة الى ناحية دمنهور .. وكان كاشفها — عندما بلغه ما حصل برشيد — اطمأن خاطره ، ورجع الى ناحية دببى ومحلة الأمير ، وطلع بمن معه الى البر ، فصادف تلك الشرذمة ، فقتل بعضهم ، وأخذ ما بقى منهم أسرى . وأرسلوا السعاة الى مصر بالبشارة .

فضربوا مدافع ، وعملوا شنكا ، وخلع كتخدا بيك على السعاة الواصلين . وأسرعت المبشرون من أتباع العثمانيين — وهم القواسة الأتراك — بالسعى الى بيوت الأعيان يبشرونهم ، ويأخذون منهم البقاشيش والخلع ، وصار الناس ما بين مصدق ومكذب .

الاحد ٢٦ منه (٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

أشيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من الأسرى الى بولاق . فهرع الناس بالذهاب للفرجة . ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق . وركب أيضا كبار العسكر ، ومعهم طوائفهم ، لملاقاتهم فطلعوا بهم الى البر ، وصحبتهم جماعة العسكر المتسفرين معهم ، فأتوا بهم من خارج مصر ، ودخلوا بهم من باب النصر ، وشقوا بهم من وسط المدينة .. وفيهم فسيال كبير ،وآخر كبير فى السن، وهما راكبان على حمارين ، والبقية مشاة فى وسط العسكر . ورؤوس القتلى معهم على نبابيت .. وقد تغيرت وأنتنت رائحتها — وعدتهم أربعة عشر رأسا — والأحياء خمسة وعشرون . ولم يزالوا سائرين بهم الى بركة الأزبكية . وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع ، وطلعوا بالأحياء مع فسيالهم الى القلعة .

وفيه : نبه السيد عمر النقيب على الناس ، وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد فى الانكليز ... حتى مجاورى الأزهر ، وأمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك القاء الدروس !

وفيه : وصل عابدين بيك وعمر بيك وأحمد أغا لاظ آوغلى ، من ناحية قبلى . وأشيع وصول الباشا بعد يومين .

الاثنين ٢٧ منه (٦ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا جملة من الرؤوس والأسرى الى بولاق . فطلعوا بهم على الرسم المذكور .. وعدتهم مائة رأس واحدى وعشرون رأسا ، وثلاثة عشر أسيرا ، وفيهم جرحى ، ومات أحدهم على بولاق . فقطعوا رأسه ، ورشقوها مع الرؤوس . وشقوا بهم من وسط المدينة آخر النهار .

الثلاثاء ٢٨ منه (٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

حصلت جمعية ببيت القاضى . وحضر حسن باشا وعمر بيك والدفتردار وكتخدا بيك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وباقى المشايخ ... فتكلموا فى شأن حادثة الانكليز ، والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم .. فانهم أعداء الدين والملة . وقد صاروا أيضا أخصاما للسلطان ، فيجب على المسلمين دفعهم . ويجب أيضا أن يكون الناس والعسكر على حال الألفة والشفقة والاتحاد ، وأن تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالايذاء كما هو شأنهم ، وأن يساعدوا بعضهم بعضا على دفع العدو . ثم تشاوروا فى تحصين المدينة وحفر خنادق . فقال بعضهم : « ان الانكليز لا يأتون الا من البر الغربى .. والنيل حاجز بين الفريقين ، وأن

الفرنساوية كانوا أعلم بأمر الحروب . وأنهم لم يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى البر فينبغى الاعتناء باصلاحه .. ولو لم نكن كوضعهم واتقانهم ، اذ لا يمكن فعل ذلك » . واتفقوا على ذلك .

وفيه : حضر مكتوب من ثغر رشيد .. عليه امضاء على بيك حاكم رشيد ، وأحمد بيك المعروف « بونابارته » — مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشرينه — يذكرون فيه : « أن الانكليز لما حضروا الى رشيد ، وحصل لهم ما حصل من القتل والأسر ، ورجعوا خائبين .. حصل لباقيهم غيظ عظيم . وهم شارعون فى الاستعداد للعود والمحاربة . والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال الرجال والمحاربين والأسلحة والجبخانة .. بسرعة وعجلة ، والا فلا لوم علينا بعد ذلك . وقد أخبرناكم وعرفناكم بذلك » .

فأرسلوا فى ذلك اليوم عدة من المقاتلين ، وكتبوا مكاتبات الى البلاد والعربان الكائنين ببلاد البحيرة ، يدعونهم للمحاربة والمجاهدة . وكذلك أرسلوا فى ثانى يوم عدة من العسكر .

الاربعاء ٢٩ منه (٨ ابريل ١٨٠٧ م) :

ركب السيد عمر النقيب والقاضى والأعيان المتقدم ذكرهم ، ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور ، وصحبتهم قنصل الفرنساوية — وهو الذى أشار عليهم بذلك — وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والأتباع .. والكل بالأسلحة .

وفيه : وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا لاجراء الصلح بين الباشا والأمراء القبالى ، وذهبوا الى دورهم .

وكان من خبرهم : أنهم لما وصلوا الى الباشا بناحية ملوى .. استأذنوه فى الذهاب فيما أتوا بسببه من السعى فى الصلح ، فاستمهلهم ، وتركهم بناحية ملوى ، واستعد وذهب الى أسيوط . وأودع الجماعة بمنفلوط . وتلاقى مع الأمراء ، وحاربهم ، وظهر عليهم . وقتل من الأمراء فى تلك المعركة سليمان بيك المرادى ، المعروف بريحة (بتشديد الياء) ، وسليمان بيك الأغا . ورجع الأمراء القبالى الى ناحية بحرى .

فعند ذلك حضر المشايخ ، وكتب مكاتبات الى الأمراء ، وأرسلها صحبة المشايخ المذكورين ، الى الأمراء — وكانوا بالجانب الغربى بناحية ملوى — فتفاوضوا معهم فيما أتوا بسببه : من أمر الصلح مع الباشا ، وكف الحروب ، فقالوا : « كم من مرة يراسلنا فى الصلح ، ثم يغدر بنا ويحاربنا » فاحتجوا عليهم بما لقنه لهم من مخالفتهم لأكثر الشروط التى كان اشترطها عليهم : من ارسال الأموال الميرية والغلال ، وتعديهم على الحدود التى يحددها معهم فى الشروط .

ثم انهم اختلوا مع بعضهم ، وتشاوروا فيما بينهم . وكان عثمان بيك حسن منعزلا عنهم بالبر الشرقى ، ولم يكن معهم فى الحرب ولا فى غيره ، وبعد انقضاء الحرب استعلى الى جهة قبلى . وعثمان بيك يوسف كان أيضا بناحية الهو والكوم الأحمر .

وفى أثناء ذلك : ورد على الباشا خبر الانكليز ، وأخذهم الاسكندرية ، وأرسلوا رسلهم الى الأمراء القبالى . فارتبك فى أمره ، وأرسل الى المشايخ يستعجلهم فى اجراء الصلح ، وقبولهم كل ما اشترطوه على الباشا ، ولا يخالفهم فى شىء يطلبونه أبدا !

ولما وصلتهم رسل الانكليز ، اختلفت آراؤهم ، وأرسلوا الى عثمان بيك حسن يخبرونه ويستدعونه للحضور .. فامتنع ، وتورع وقال : « أنا لا أنتصر بالكفار » ووافقه على رأيه ذلك عثمان بيك

يوسف . واختلفت آراء باقى الجماعة ، وهم : ابراهيم بيك الكبير ، وشاهين بيك المرادى ، وشاهين بيك الألفى ، وباقى أمرائهم .

فاجتمعوا ثانيا بالمشايخ وقالوا لهم : « ما المراد بهذا الصلح ؟ » .

فقالوا : « المراد منه راحة الطرفين ، ورفع الحروب ، واجتماع الكلمة . ولا يخفاكم أن الانكليز تخاصمت مع سلطان الاسلام ، وأغارت على ممالكه ، وطرقت ثغر سكندرية ودخلتها . وقصدهم أخذ الاقليم المصرى كما فعل الفرنساوية » .

فقالوا : « انهم أتوا باستدعاء الألفى لنصرتنا ومساعدتنا » .

فقالوا : « لا تصدقوا أقوالهم فى ذلك واذا تملكوا البلاد لا يبقوا على أحد من المسلمين .. وحالهم ليس كحال الفرنساوية .. فان الفرنساوية لا يتدينون بدين ، ويقولون بالحرية والتسبوية ! وأما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ... ولا تخفى عداوة الأديان . ولا يصح ولا ينبغى منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم » .

ووعظوهم ، وذكروا لهم الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية . وأن الله هداهم فى طفوليتهم ، وأخرجهم من الظلمات الى النور . وقد نشأوا فى كفالة أسيادهم ، وتربوا فى حجور الفقهاء وبين أظهر العلماء ، وقرأوا القرآن ، وتعلموا الشرائع ، وقطعوا ما مضى من أعمارهم فى دين الاسلام ، واقامة الصلوات ، والحج والجهاد .. ثم يفسدون أعمالهم آخر الأمر ، ويوادون من حادّ الله ورسوله ، ويستعينون بهم على اخوانهم المسلمين ، ويملكونهم بلاد الاسلام يتحكمون فى أهلها .. فالعياذ بالله من ذلك !

وكان بصحبة المشايخ مصطفى أفندى كتخدا قاضى العسكر يكلمهم باللغة التركية ، ويترجم لهم ذلك — وهو فصيح الكلام — فقالوا : « كل ما قلتموه وأبديتموه .. نعلمه ، ولو تحققنا الأمن والصدق من مرسلكم ما حصل منا خلاف ، ولحاربنا وقاتلنا بين يديه . ولكنه غدار لا يفى بعهد ولا بوعد ، ولا يبر فى يمين ، ولا يصدق فى قول ! وقد تقدم أنه يصطلح معنا ... وفى أثر ذلك يأتى لحربنا ويقتلنا ، ويمنع عنا من يأتى الينا باحتياجاتنا من مصر ، ويعاقب على ذلك حتى من يأتى من الباعة والمتسببين الى الناحية التى نحن فيها . ولا يخفاكم أنه لما أتى القبودان ، ومعه الأوامر بالرضا والعفو الكامل عنا والأمر له بالخروج .. فلم يمتثل، وأرسل الينا وخدعنا ، وتحيل علينا بارسال الهدايا، وصدقناه واصطلحنا معه . فلما تم له الأمر غدر بنا . وما مراده بصلحنا الا تأخرنا عن ذهابنا الى الانكليز .. فلا نذهب اليهم ، ولا نستعين بهم . وان كان مراده يعطينا بلادا يصالحنا عليها ... فها هى البلاد بأيدينا ، وقد عمها الخراب باستمرار الحروب من الفريقين ، وقد تفرق شملنا ، وانهدمت دورنا ، ولم يبق لنا ما نأسف عليه ، أو نتحمل المذلة من أجله . وقد ماتت اخواننا ومماليكنا .. فحن نستمر على مانحن معه عليه حتى نموت عن آخرنا ، ويرتاح قلبه من جهتنا » .

فقال لهم الجماعة : « هذه المرة ، هى الأخرى ... وليس بعدها شر ولا حرب ، بل بعدها الصداقة والمصافاة ، ويعطيكم كل ما طلبتموه من بلاد وغيرها .. فلو طلبتم من الاسكندرية الى أسوان ، لا يمنع ذلك بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة فى حرب الانكليز ودفعهم عن البلاد . وأيضا تسيرون بأجمعكم من البر الغربى .. والباشا وعساكره من البر الشرقى . وعند انقضاء أمر الانكليز ، ورجوعكم الى بر الجيزة .. ينعقد مجلس الصلح

بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر . وان شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز . ولا شر بعد ذلك أبدا » .

فانخدعوا لذلك . وكتبوا أجوبة ، ورجع بها مصطفى أفندى كتخدا القاضى — وصحبته يحيى كاشف — ثم رجع اليهم ثانيا ، وسار الفريقان الى جهة مصر . وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل .

وفيه : شرعوا فى حفر الخندق المذكور . ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجى . وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة . وعلى البعض أجرة خمسين ، وعشرين .. وكذلك أهل بولاق ، ونصارى ديوان المكس ، والنصارى الأروام ، والشوام والأقباط . واشتروا المقاطف والغلقان والفئوس والقزم وآلات الحفر . وشرعوا فى بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية .

الخميس غايته (٩ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورد مكتوب من السيد حسن كريت — نقيب الأشراف برشيد ، والمشار اليه بها — يذكر فيه « أن الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ، ورجعوا فى هزيمتهم الى الاسكندرية .. استعدوا ، وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد — ومعهم المدافع الهائلة والعدد — ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا .. وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه ، فهذا ما حصل أخبرناكم به ، ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبخانة والعدة والعدد ، وعدم التأنى والاهمال » .

فلما وصل ذلك الجواب ... قرأه السيد عمر النقيب على الناس ، وحثهم على التأهب والخروج للجهاد . فامتثلوا ولبسوا الأسلحة ، وجمع اليه طائفة المغاربة ، وأتراك خان الخليلى ، وكثير من العدوية والأسيوطية وأولاد البلد . وركب فى صبحها الى كتخدا بيك ، واستأذنه فى الذهاب .. فلم يرض ، وقال : « حتى يأتى أفندينا الباشا ، ويرى رأيه فى ذلك » . فسافر من سافر ، وبقى من بقى . وانقضى الشهر وحوادثه .

وفيه : ورد الخبر ، بأن ركب الحاج الشامى رجع من منزلة هدية ، ولم يحج فى هذا العام .

وذلك أنه لما وصل الى المنزلة المذكورة ، أرسل الوهابى الى عبد الله باشا أمير الحاج يقول له : « لاتأت الا على الشرط الذى شرطناه عليك فى العام الماضى » . وهو أن يأتى بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة ، وكل ما كان مخالفا للشرع . فلما سمعوا ذلك .. رجعوا من غير حج ، ولم يتركوا مناكيرهم !

صفر

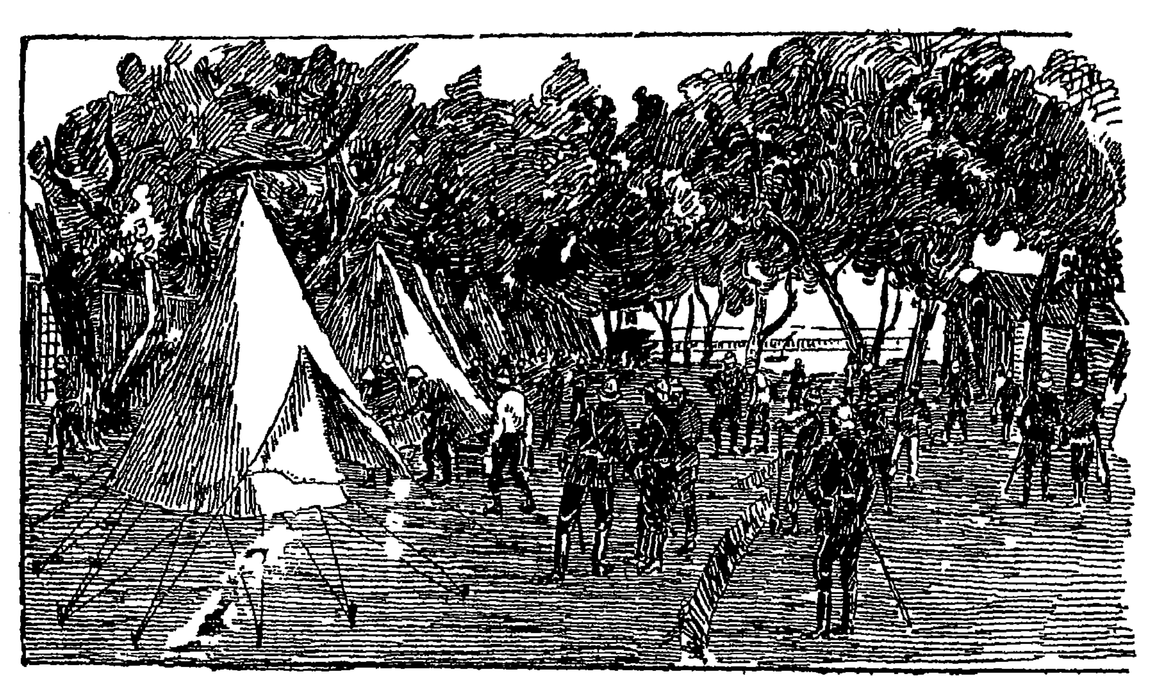
الجمعة غرته (١٠ ابريل ١٨٠٧ م) :

كتبوا مراسلة الى الأمراء القبالى . وختم عليها كثير من مشايخ الأزهر وغيرهم . وأرسلوها اليهم .

السبت ٢ منه (١١ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة أيضا من ثغر رشيد — وعليها امضاء على بك السنانكلى حاكم الثغر ، وطاهر باشا ، وأحمد أغا المعروف ببونابارته — بمعنى مكتوب السيد حسن السابق . ويذكرون فيه : أن الانكليز ملكوا أيضا كوم الأفراح وأبو منضور .. ويستعجلون النجدة .

وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الاحد — وصل محمد على باشا ، ودخل الى داره بالأزبكية فى سادس ساعة من الليل .. وكان أشيع وصوله قبل ذلك اليوم . وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ



معسكر الانجليز

والمحروقى لملاقاته يوم الجمعة : فبعضهم ذهب الى الآثار وبات هناك ، وبعضهم بات بالقرافة بضريح الامام الشافعى . ورجعوا فى ثانى يوم ، ولم يحصل لهم ملاقاة .

فلما طلع نهار ذلك اليوم ، وأشيع حضوره الى داره ، ركب الجميع وذهبوا للسلام عليه . ودار بينهم الكلام فى أمر الانكليز .. فأظهر الاهتمام ، وأمر كتخدا بيك وحسن باشا بالخروج فى ذلك اليوم . فأخرجوا مطلوباتهم وعازتهم الى بولاق. وسخط على أهل الاسكندرية والشيخ المسيرى وأمين آغا ... حيث مكنوا الانكليز من الثغر ، وملكوهم البلدة . ولم يقبل لهم عذرا فى ذلك .

ثم قالوا له : « انا نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر » . فقال : « ليس على رعية البلد خروج . وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » .

وانقضى المجلس ، وركبوا الى دورهم .

وفيه : وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق البر ، وأخبروا أنهم حجوا وقضوا مناسكهم، وأن مسعودا الوهابى وصل الى مكة بجيش كثيف ، وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار . وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصرى وقال له : « ما هذه العويدات والطبول التى معكم ؟ » . (يعنى بالعويدات : المحمل) . فقال : « هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم » . فقال : « لا تأت بذلك بعد هذا العام ... وان أتيت به أحرقته » . وأنه هدم القباب ، وقبة آدم ، وقباب ينبع والمدينة . وأبطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق ، وبين الصفا والمروة ، وكذلك البدع .

وفى تلك الليلة : أرسل الباشا وطلب السيد عمر ، فى وقت العشاء الأخيرة ، وألزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر ، وأن يوزعها بمعرفته .

الاثنين ٤ منه (١٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة

القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التى كانوا ساكنين بها وأخربوها .

الثلاثاء ٥ منه (١٤ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة من رشيد ، وعليها امضاء السيد حسن كريت ، يخبر فيها : « بأن الانكليز محتاطون بالثغر ، ومتحلقون حوله ، ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر . وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ، ومات كثير من الناس. وقد أرسلنا لكم، قبل تاريخه ، نطلب الاغاثة والنجدة .. فلم تسعفونا بارسال شيء . وما عرفنا لأى شيء هذا الحال ، وما هذا الاهمال ؟! فالله ، الله فى الاسعاف ... فقد ضاق الخناق ، وبلغت القلوب الحناجر .. من توقع المكروه ، وملازمة المرابطة ، والسهر على المتاريس » . ونحو ذلك من الكلام .. وهى خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ، ومؤرخة فى ثانى شهر صفر .

وفى ذلك اليوم : اهتم الباشا ، وعزم علي السفر بنفسه . وركب الى بولاق ، وصحبته حسن باشا وعابدين بيك وعمر بيك ، فسافروا فى تلك الليلة

الاربعاء ٦ منه (١٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

سافر أيضا حجو بيك . وخرج معه بعض المتطوعة من الأتراك وغيرهم..تهيئوا واتفقوا مع المسافرين معهم ، وأمدهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ، ونصبوا لهم بيرقا . وخرجوا ومعهم طبل وزمر .

الجمعة ٨ منه (١٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

ركب أيضا أحمد آغا لاظ ، وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنية . وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم ، وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية . ومر الجميع من وسط المدينة فى عدة وافرة .

ويذهب الجميع الى بولاق ، يوهمون أنهم مسافرون على قدم الاستعجال .. بهمة ونشاط واجتهاد . فاذا وصلوا الى بولاق .. تفرقوا ، ويرجع الكثير منهم ، ويراهم الناس فى اليوم الثانى والثالث بالمدينة ! ومن تقدم منهم ، وسافر بالفعل .. ذهب فريق منهم الى المنوفية ، وفريق الى الغربية ، ليجمعوا فى طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرة عسفهم : من المال والمغارم والكلف، وخطف البهائم، ورعى المزارع، وخطف النساء والبنات والصبيان ، وغير ذلك !

وفيه : سافر أيضا حسن باشا طاهر .

وفيه : نزل الدالاتية الى بولاق ، وكذلك الكثير من العسكر . وحصل منهم الازعاج فى أخذ الحمير والجمال قهرا من أصحابها . ونزلوا بخيولهم على ربب البرسيم والغلال الطائبة التى بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها .. فرعتها وأكلتها بهائمهم فى يوم واحد ! ثم انتقلوا الى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والأميرية ... فأكلوا زروعات الجميع ، وخطفوا مواشيهم ، وفجروا بالنساء ، وافتضوا الأبكار ، ولاطوا بالغلمان ، وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم .. حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره ... وهكذا يفعل المجاهدون !

ولشدة قهر الخلائق منهم ، وقبح أفعالهم .. تمنوا مجيء الافرنج من أى جنس كان ، وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة ... الذين ليس لهم ملة ولا شريعة ولا طريقة يمشون عليها . فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم ، فيزداد حقدهم وعداوتهم ، ويقولون : « أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لأنهم يكرهوننا ويحبون النصارى ! » . ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ، ولا ينظرون لقبح أفعالهم .

صفر

الاثنين ١١ منه (٢٠ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضر جماعة من الططر .. الذين من عادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب — وقد وصلوا من طريق الشام — يبشرون بولاية السيد على باشا قبودان باشا ، وعزل صالح قبودان عن رياسة الدونانمة . ويذكرون أنه خرج بالدونانمة التى تسمى بالعمارة — وصحبته عدة مراكب فرنساوية — قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق . وأن هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الانكليز الى الاسكندرية الا عند وصولهم صيدا .

وذكروا أن سبب عزل صالح القبودان : أن الانكليز وردوا بغاز اسلامبول باثنى عشر مركبا — وقيل أربعة عشر — وظلوا داخلين ... والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة . فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد . فانزعج أهالى البلد انزعاجا شديدا ، وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت بأناسها . ولو ضرب عليها الانكليز لاحترقت عن آخرها ... لكنهم لم يفعلوا ، بل استمروا يومهم ، ورموا مراسيهم . ثم أخذوها وولوا راجعين .. ولسان حالهم يقول : ها نحن ولجنا بغازكم الذى تزعمون أنه لا أحد يقدر على عبوره ، وقدرنا عليكم وعفونا عنكم . ولو شئنا أخذ دار سلطنتكم لأخذناها أو أحرقناها !

وعند ما فعلوا ذلك ، طلب السلطان قبودان باشا ، فوجدوه يتعاطى الشراب فى بعض الأماكن . فعند ذلك أحضروا السيد على ، وقلدوه رياسة الدونانمة . ونزل الى الانكليز ، وتكلم معهم الى أن خرجوا من البغاز . وأخرجوا صالح قبودان منفيا الى بعض الجهات .

وفى ذلك اليوم : طلع الباشا الى القلعة ، وصحبته قنصل الفرنساوية يهندس معه الأماكن ومواطن الحصار .. والقنصل المذكور يظهر الاهتمام والاجتهاد ، ويسهل الأمر ، ويبذل النصح ، ويكثر من الركوب والذهاب والاياب .. وأمامه الخدم وبأيديهم الحراب المفضضة ، وخلفه ترجمانه وأتباعه .

وفيه : أرسل الأمراء القبليون جوابا عن جواب أرسل اليهم قبل ذلك ، وعليه ختوم كثيرة ، باستدعائهم ، واستعجالهم للحضور فأرسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بأن السبب فى تأخرهم أنهم لم يتكاملوا ، وأن أكثرهم متفرقون بالنواحى : مثل عثمان بيك حسن وغيره ، وأنهم الى الآن لم يثبت عندهم حقيقة الأمر ، لأن من الثابت عندهم صداقة الانكليز مع العثمانى من قديم الزمان ، وأن المراسيم التى وردت : بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ... ولم يذكر الانكليز .

فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة ، صحبة مصطفى أفندى كتخدا القاضى ، ويصحب معه المراسيم التى وردت فى شأن ذلك ، وفيها ذكر الانكليز ومنابذتهم للدولة . فسافر الكتخدا المذكور فى صبحها اليهم .. وكانوا حضروا الى ناحية المنية .

وأما ياسين بيك ، فانه أذعن للصلح ... على أن يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشـا . ثم أنه عـدى الى ناحية شرق أطفيح ، وفرض عليهم الأموال الجسيمة . وكان أهل تلك البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم وأموالهم ومواشـيهم ، فنزل عليهم ، وطلب منهم الأموال ... فعصوا عليه . فأوقد فيهـم النيران ، وحرق جرونهم ونهبهم !

الثلاثاء ١٢ منه (٢١ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضر جماعة من العرب ، وصحبتهم ثلاثة أنفار من الانكليـز ... قبضـوا عليهم من البـرية ، وأحضروهم الى مصر . فمثلوا بين يدى الباشا ، وكلمهم ، ثم أمر بطلوعهم الى القلعـة .. وفيهـم شخص كبير يقال انه من قباطينهم .

الخميس ١٤ منه (٢٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

عمـلوا ديوانا ببيت القاضى ... اجتمع فيـه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية ، وقرأوا مرسـوما تقـدم حضـوره قبـل وصـول الانكليز الى الاسكندرية مضمونه : ضبط تعلقات الانكليـز وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور .

وفى ذلك اليوم : حضر شـخصان من السـعاة وأخبرا بالنصر على الانكليز وهزيمتهم .

وذلك أنه اجتمع الجم الكثير من أهالى بلاد البحيرة وغيرها ، وأهالى رشيد ، ومن معهـم من المتطوعة والعسـاكر وأهل دمنهور ... وصادف وصول كتحدا بيك واسماعيـل كاشف الطوبجى الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة ، وأسروا من الانكليز طائفة ، وقطعوا منهـم عـدة رؤوس . فخلع الباشا على الساعيين جوختين .

وفى أثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر . وبالغا فى الأخبار ، وأن الانكليز انجلوا عن متـاريس رشـيد وأبى منضور والحماد ، ولم يزل المقاتلون من أهل القرى خلفهـم ، الى أن توسـطوا البرية وغنمـوا جبخاناتهم وأسـلحتهم ومدافعهم ومهراسـين عظيمين .

وذكرا أنه واصل خلفهم أسرى ورؤوس قتـلى كثيرة فى عدة مراكب ، وأنه وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من أهل مكة التجـار المقيمـين بمصر ... كانا فى الواقعة بنحـو مائة من البـدو المغاربة وغيرهم : ينفقـان عليهـم ، ويحرضانهم على القتال ، ويعينان المقاتلين من الأهالى بمـا فى أيديهما ، ويقاتلان بأنفسهما . وبذلا جهـدهما فى ذلك ، وأنهما — بعد هزم الانكليز وسلبهم — فرقا ما غنماه ومابقى معهما من الأشياء على من خـرج خلف الانكليز ، وحضرا معهما وهما السـيد أحمد النجارى ، وأخوه السيد سـلامة فطلبهما الباشا وسألهما عن الخبر ، فأخبراه بخبر التركيين . فانسر الباشا لذلك سرورا عظيما ، وشكر فعلهما ، وأنعم عليهمـا ، وخلع عليهما ، ورتب لهما مرتبا ، وأوعدهما بالاستخدام فى مصالحه وخلع عـلى ذينك التركيين فروتى سمور

وحضرا — بصـحبه الساعيين — الى منزل السيد عمر النقيب بعـد الغروب وتعشوا عنده ، وطلبوا البقشيش وبعد أن أخذوه توسل التركيان به بأن يسعى لهما عنـد الباشا فى أنه ينعم عليهما بمناصب فأوعدهما بذلك ، وترجى الباشا لهما . فضاعف مرتبهما وضربوا فى صبح ذلك اليوم مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة ، وذلك بين الظهر والعصر .

الجمعة ١٥ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضروا بأسرى — وعدتهم تسعة عشر شخصا —

وعدة رووس ، فمروا بهم من وسط الشارع الأعظم . وأما الرؤوس فمروا بها عن طريق باب الشعرية — وعدتها نيف وثلاثون رأسا — موضوعة على نبابيت ، رشقوها بوسط بركة الأزبكية مع الرؤوس الأولى ... صفين على يمين السالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله .

وفيه : وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس ، فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون . وذكروا أن الوهابي نادى بعد انقضاء الحج : « ألا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن » . وتلا في المناداة قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس . فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » . وأخرجوا هؤلاء الواصلين الى مصر .

السبت ١٦ منه (٢٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا تسعة أشخاص أسرى من الانجليز ، وفيهم فسيال

الاحد ١٧ منه (٢٦ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا نيف وستون ، وفيهم رأس واحدة مقطوعة ، فمروا بهم على طريق باب النصر من وسط المدينة . وهرع الناس للتفرج عليهم . وبعد الظهر أيضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤوس ، وبعد العصر بثلاثة وعشرين رأسا وأربعة وأربعين أسيرا من ناحية باب الشعرية ، وطلعوا بالجميع الى القلعة .

وفيه : وصل ياسين بيك الى ناحية طرا ، وحضر أبوه الى مصر ، ودخل كثير من أتباعه الى المدينة وهم لابسون زي المماليك المصرية .

وفيه : دفنوا رؤوس القتلى من الانكليز ... وكانوا قطعوا آذانهم ، ودبغوها وملحوها ، ليرسلوها الى اسلامبول !

وفيه : أرسل الباشا فسيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية ، بدلا عن ابن أخي عمر بيك . وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الأموال . فعوقه الانكليز . فأرسلوا هذا الفسيال ليرسلوا بدله ابن أخي عمر بيك .

الاثنين ١٨ منه (٢٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصلت خيام ياسين بيك وحملاته . ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج .

الاربعاء ٢٠ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصل الى ساحل بولاق مراكب ، وفيها أسرى وقتلى وجرحى . فطلعوا بهم الى البر ، وساروا بهم على طريق باب النصر ، وشقوا بهم من وسط المدينة الى الأزبكية . فرشقوا الرؤوس بالأزبكية مع الرؤوس الأول — وهم نحو المائة واثنين وأربعين — والأحياء والمجاريح نحو المائتين وعشرين . فطلعوا بهم الى القلعة عند اخوانهم .. فكان مجموع الأسرى : أربعمائة أسير وستة وستين أسيرا ، والرؤوس ثلثمائة ونيف وأربعون . وفي الأسرى نحو العشرين من فسيالاتهم .

وهذه الواقعة حصلت على غير قياس ، وصادف بناؤها على غير أساس !

وقد أفسد الله رأي كل من طائفة الانكليز ، والأمراء المصرية ، وأهل الاقليم المصري ... لبروز ما كتبه وقدره في مكنون غيبه على أهل الاقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد .. كما ستسمع به ، ويتلى عليك بعضه .

أما فساد رأي الانكليز ... فلتعديهم الاسكندرية مع قلتهم ، وسماعهم بموت الألفي ، وتغريرهم بأنفسهم . وأما الأمراء المصريون فلا يخفى فساد رأيهم بحال . وأما أهالي الاقليم ،

فلانتصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم . « وما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيدى الناس . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

ولم يخطر فى الظن حصول هذا الواقع ، ولا أن الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز .. وخصوصا شهرتهم باتقان الحروب . وقد تقدم لك أنهم هم الذين حاربوا الفرنساوية وأخرجوهم من مصر .

ولما شاع أخذهم الاسكندرية ، داخل العسكر والناس وهم عظيم . وعزم أكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام ، وشرعوا فى قضاء أشغالهم واستخلاص أموالهم التى أعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا ، وابدال ما بأيديهم من الدراهم والقروش والفرانسة التى يثقل حملها ... بالذهب البندقى والمحبوب الزر ، لخفة حملها . حتى أنها زادت فى المصارفة بسبب كثرة الطلب لها . وبلغ صرف البندقى المشخص الناقص فى الوزن ، أربعمائة وعشرين نصفا . والزر ، مائتين وعشرين . والفرانسة ، مائتين . واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك ... وسيزيد الأمر فحشا !

وسعوا فى مشترى أدوات الارتحال ، والأمور اللازمة لسفر البر . وفارق الكثير منهم النساء ، وباعوا ما عندهم من الفرش والأمتعة .

حتى ان محمد على باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية — وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم — فعند ذلك انحلت عزائمه ، وأرسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه . وثبت فى يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية ، وعزم على العود متلكئا فى السير ... يظن سرعة ورودهم الى المدينة ، فيسير مشرقا على طريق الشام ، ويكون له عذر بغيبته فى الجملة !

فلما وصلت الشرذمة الأولى من الانكليز الى رشيد ، ودخلوها من غير مانع ، وحبسوا أنفسهم فيها ، فقتلوا وأسروا ، وهرب من هرب ، ووصلت الرؤوس والأسرى ، وأسرعت المبشرون الى الباشا بالخبر ... فعند ذلك تراجعت اليه نفسه ، وأسرع فى الحضور . وتراجعت نفوس العساكر ، وطمعوا عند ذلك فى الانكليز ، وتجاسروا عليهم . وكذلك أهل البلاد قويت هممهم ، وتأهبوا للبروز والمحاربة ، واشتروا الأسلحة ، ونادوا على بعضهم بالجهاد .

وكثر المتطوعون ، ونصبوا لهم بيارق وأعلاما ، وجمعوا من بعضهم دراهم ، وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء . وخرجوا فى مواكب وطبول وزمور . فلما وصلوا الى متاريس الانكليز ، دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم ، وصدقوا فى الحملة عليهم ، وألقوا أنفسهم فى النيران ، ولم يبالوا برميهم ، وهجموا عليهم ، واختلطوا بهم ، وأدهشوهم بالتكبير والصياح ... حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم ، فألقوا سلاحهم ، وطلبوا الأمان ... فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا الكثير منهم . وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة . وفر الباقون الى من بقى بالاسكندرية .

وليت العامة شكروا على ذلك ، أو نسب اليهم فعل ... بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره ، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك !

ولما أصعدوا الأسرى الى القلعة ، طلع اليهم قنصل الفرنساوية ومعه الأطباء ، لمعالجة الجرحى . ومهد لهم أماكن ، وميز الكبار منهم والفسيالات فى مكان يليق بهم ، وفرش لهم فرشات ، ورتب لهم تراتيب ، وصرف عليهم نفقات ولوازم . واستمر يتعاهدهم فى غالب الأيام ... والجرائحية يترددون اليهم فى كل يوم لمداواتهم ، كما هى عادة الافرنج

مع بعضهم : اذا وقع فى أيديهم جرحى من المحاربين لهم ... فعلوا بهم ذلك ، وأكرموا الأسرى •

وأما من وقع منهم فى أيدى العسكر من المردان ، فانهم اختصوا بهم ، وألبسوهم من ملابسهم ، وباعوهم فيما بينهم . ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة . فمن ذلك : أن غلاما منهم قال للذى هو عنده : « ان لى بولصة عند قنصل الفرنساوية ، وهى مبلغ عشرون كيسا » . ففرح ، وقال له : « أرنيها » . فأخرج له ورقة بخطهم — وهو لايعرف ما فيها — فأخذها منه ، طمعا فى احرازها لنفسه ، وذهب مسرعا الى القنصل وأعطاها له . فلما قرأها قال له : « لا أعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا ، ويعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى » .

فلما صاروا بين يدى الباشا ، أخبره القنصل . فأمر باحضار الغلام . فلما حضر سأله الباشا . فقال: « أريد الخلاص منه ، واحتلت عليه بهذه الحيلة لأتوصل اليك » . فطيب الباشا خاطر العسكرى



احد المتطوعين

بدراهم ، وأرسل الغلام الى أصحابه بالقلعة .

ولما انقضى أمر الحرب من ناحية رشيد ، وانجلت الانكليز عنها،ورجعوا الى الاسكندرية ... نزل الأتراك على الحماد وما جاورها ، واستباحوا أهلها ونساءها وأموالها ومواشيها ... زاعمين أنها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها !

حتى أن بعض الظاهرين كلمهم فى ذلك ، فرد عليه بذلك الجواب . فأرسلوا الى مصر بذلك . وكتبوا فى خصوص ذلك سؤالا . وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز . وحتى يأتى الترياق من العراق يموت الملسوع . ومن يقرأ ومن يسمع ! وعلى أنه لم يرجع طالب الفتوى ، بل أهملت عند المفتى وتركها المستفتى .

ثم أحاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد ، وضربوا على أهلها الضرائب ، وطلبوا منها الأموال والكلف الشاقة ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأرز للعلىق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكتخدا بيك ، وتكلم معهما وشنع عليهما وقال . « أما كفانا ما وقع لنا من الحروب ، وهدم الدور ، وكلف العسكر ، ومساعدتهم ، ومحاربتنا معهم ومعكم ، وما قاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال ... ونجازى منكم بعدها بهذه الأفاعيل ! فدعونا نخرج بأولادنا وعيالنا ، ولا نأخذ معنا شيئا ، ونترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم » .

فلاطفوه فى الجواب ، وأظهروا له الاهتمام بالمناداه والمنع . وكتب المذكور أيضا مكاتبات بمعنى ذلك ، وأرسلها الى الباشا والسيد عمر بمصر . فكتبوا فرمانا وأرسلوه اليهم بالكف والمنع ... وهيهات !

ولما وصل من وصل بالقتلى والأسرى ، أنعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش ،

وألبسهم شلنجات فضة على رؤوسهم ... فازداد جبروتهم وتعديهم . ولما رجع الانكليز الى ناحية الاسكندرية ، قطعوا السد . فسالت المياه ، وغرقت الأراضي حول الاسكندرية .

الثلاثاء ٢٦ منه (٥ مايو ١٨٠٧ م) :

وصل ياسين بيك المذكور ، وصحبته سليمان أغا صالح وكيل دار السعادة سابقا — وهو الذى كان باسلامبول ، وحضر بصحبته القبودان فى الحادثة السابقة ، وتأخر عنه ، واستمر مع الألفى ، ثم مع أمرائه بعد موته — وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بأمان . فأجاب الى الحضور بشرط أن يجرى عليه الباشا مرتبه بالضربخانة . وقدر ذلك ألف درهم فى كل يوم . فأجابه الى ذلك .

وحضر صحبته ياسين بيك ، وقابلا الباشا ، وخلع عليهما خلعتى سمور ، ونزلا وركبا ولعبا مع أجنادهما بوسط البركة بالرماح . وظهر من حسن رماحة سليمان أغا ما أعجب الباشا ومن حوله من الأتراك ، بل أصابوه بأعينهم .. لأنه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بيك الى ناحية بولاق يترامحون ويتلاعبون . فأخرج طبنجته بيده اليمنى والرمح فى يده اليسرى — وكان زنادها مرفوعا — فانطلقت رصاصتها ، وخرقت كفه اليسار القابض به على سرع الجواد ، ونفذت من الجهة الأخرى . فرجع الى داره بجراحته ، وأذن له برد حملته . وذهب ياسين بيك الى بولاق فبات بها فى دار حسن الطويل بساحل النيل .

وفيه : سافر المتسفر بآذان قتلى الانجليز — وقد وضعوها فى صندوق — وسافر بها على طريق الشام ، وصحبته أيضا شخصان من أسرى قسيالات الانكليز . وكتبوا عرضا بصورة الحال من انشاء السيد اسماعيل الخشاب ، وبالغوا فيه .

وفيه : حضر اسماعيل كاشف الطوبجى من ناحية بحرى ليقضى بعض الأغراض ثم يعود .

الخميس ٢٨ منه (٧ مايو ١٨٠٧ م) :

سافر عمر بيك ، تابع عثمان بيك الأشقر ، وعلى كاشف بن أحمد كتخدا الى ناحية القليوبية .. لأجل القبض على أيوب فودة بسبب رجل يسمى زغلول ينسب اليه بأنه يقطع الطريق على المسافرين فى البحر . وكلما مرت بناحية مركب ، حاربها ونهب ما فيها من بضائع التجار وأموالهم ، أو أنهم يفتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال . فكثر تشكى الناس منه . فيرسلون الى أيوب فوده ، كبير الناحية ، فيتبرأ منه .

فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله ، فبلغه الخبر ، فهرب من بلده أبناس . فلما وصلوا الى محله ، فلم يجدوه ، أحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وما له من المواشى والودائع بالبلاد .

فلما جرى ذلك ، حضر الى السيد عمر ، وصالح على نفسه بثلثمائة كيس ، ورجع الحال الى حاله ... وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التى مروا عليها ، وأقاموا فيها ، واحتجوا عليها .

وفيه : حضر الكثير من أهل رشيد بحريمهم وأولادهم ، ورحلوا عنها الى مصر .

وفيه : حضر كتخدا القاضى من عند الأمراء القبالى . وأخبر أنهم محتاجون الى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة . فهيأ الباشا عدة مراكب ، وأرسلها اليهم . ومع هذه الصورة ، واظهار المصالحة والمسالمة ، يمنعون ويحجزون من يذهب اليهم من دورهم بثياب ومتاع . وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والأمتعة التى يبيعونها عليهم . واذا وقعوا بشخص ، أو غمزوا عليه عند الحاكم ، أو صادفه بعض العيون المترقبة عليه ... قبضوا عليه ، ونهبوا ما معه ،

وعاقبوه وحبسوه .. بل ونهبوا داره وغرموه ، ولا يغفر ذنبه ، ولا تقال عثرته ، ويتبرأ منه كل من يعرفه .

وكذلك نبهوا على القلقات الذين يسمونهم الضوابط ، المتقيدين بأبواب المدينة ، مثل : باب النصر ، وباب الفتوح ، والبرقية ، والباب الحديد ، بمنع النساء عن الخروج خوفا من خروج نساء القبالي وذهابهن الى أزواجهن .

واتفق أنهم قبضوا على شخص فى هذه الأيام يريد السفر الى ناحية قبلى ، ومعه تليس ، ففتحوه فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات مصرية ومغربية التى تسمى بالبلغ . فقبضوا عليه ، واتهموه أنه يريد الذهاب بذلك الى الأمراء وأتباعهم فنهبوا منه ذلك وغيره ، وقبضوا عليه ، وحبسوه . واستمر محبوسا .

وكذلك اتفق أن الوالى ذهب الى جهة القرافة ، وقبض على أشخاص من التربية الذين يدفنون الموتى ، واتهمهم بأن بعض أتباع الأمراء القبالى يخرجون اليهم بالأمنعة لأسيادهم ، ويخفونها عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى أسيادهم فى الغفلات ... وضربهم ، وهجم على دورهم فلم يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الأضرحة وأهل القرافة ، وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه ... فهرب منهم وحضروا فى صبحها عند السيد عمر والمشايخ يشكون من الوالى وما فعله مع الحفارين ونحو ذلك ... فاعجب لهذا التناقض !

وفيه : وصل مكتوب من كبير الانكليز الذى بالاسكندرية مضمونه : طلب أسماء الأسرى من الانكليز ، والوصية بهم ، واكرامهم . كما هم يفعلون بالأسرى من العسكر . فانهم لما دخلوا الى الاسكندرية ، أكرموا من كان بها منهم ، وأذنوا لهم بالسفر بمتاعهم وأموالهم الى حيث شاءوا ، وكذلك من أخذوه أسيرا فى حرابة رشيد .

ربيع الأول

السبت غرته (٩ مايو ١٨٠٧ م) :

كتبوا لكبير الانكليز جوابا عن رسالته .

السبت ١٥ منه (٢٣ مايو ١٨٠٧ م) :

حضر على كاشف الكبير الألفى بكلام من طرف شاهين بيك الألفى ، يعتذر عن التأخير الى هذا الوقت ، وأنهم على صلحهم واتفاقهم الأول ، وحضورهم الى ناحية الجيزة ... وبات تلك الليلة فى بيته بمصر . ثم أقام ثلاثة أيام ، ورجع الى مرسله .. وصحبته سليمان أغا الوكيل .

وفيه : حضر عابدين بيك أخو حسن باشا من ناحية بحرى . . وحضر أيضا فى أثره أحمد أغا لاظ وغيره من ناحية بحرى . وذلك أنهم ذهبوا خلف الانكليز الى قرب معدية البحيرة فخرج عليهم طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيرانا كثيرة ، فولوا راجعين ، وحضروا الى مصر .

وفيه : حضر أيضا الفسيال الكبير الانكليزى الذى كان أرسل بدلا عن ابن أخى عمر بيك — وقيل انه ابن أخى صالح قوش — فلما وصل اليهم، أجابوا بأن المذكور سافر مع من سافر الى الروم بمتاعهم وأموالهم قبل الواقعة وحيث لم يكن المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليزى المذكور فردوه بعد أن رفعوا منزلته ورتبته عندهم فلما رجع الى مصر ، خلى سبيله الباشا ، ولم يحبسه مع الأسرى بل أطلق له الاذن أيضا فى الرجوع الى الاسكندرية ، أو الى بلاده متى أحب واختار .

وفيه : استوحش الباشا من ياسين بيك ، وضاق خناقه منه وذلك أنه لما حضر الى مصر ، وخلع عليه الباشا ، ودفع اليه ماكان وعده به من الأكياس ،

وقدم له تقادم وأنعامات ... على أنه يسافر الى الاسكندرية لمحاربة الانكليز ، طلب مطالب كثيرة له ولأتباعه ، وأخذ لهم الكساوى والسراويلات ، وأخذ جميع ما كان عند جبجى باشا من الأقمشة والخيام والجبخانة والاحتياجات من القرب وروايا المساء ، ولوازم العسكر فى سفر البر والافازة والمحاصرة .. الى غير ذلك . وقلد أباه كشوفية الشرقية ، وخرج هو بعرضيه وخيامه الى ناحية الخلاء ببولاق . فانضم اليه الكثير من العسكر والدلاتية وغيرهم ، وصار كل من ذهب اليه يكتبه فى جملة عسكره . فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق ، وصرح بالخلاف ، وتطلعت نفسه للرياسة . وكلما أرسل اليه الباشا يرده وينهاه عن فعله ، يعرض عن ذلك . وداخله الغرور ، وانتشرت أوباشه يعبثون فى النواحى ، وبث أكابر جنده فى القرى والبلدان ، وعينهم لجمع الأموال والمغارم الخارجة عن المعقول ... ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها ، وأخذوا أهلها أسرى . فعند ذلك أخذ الباشا فى التدبير عليه ، واستمال العسكر المنضمين اليه . وحلل عرى رباطاته .

الاربعاء ١٩ منه (٢٧ مايو ١٨٠٧ م) :

أمر عساكر الأرنؤود بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق . فخرجوا بأجمعهم الى نواحى السبتية والخندق ، وحالوا بينه وبين بولاق ومصر .

السبت ٢٢ منه (٣١ مايو ١٨٠٧) :

ركب الباشا بجنوده ، وخرج الى تلك الناحية ، وحصن أبواب المدينة بالعساكر ، وأيقن النساس بوقوع الحرب بين الفريقين . وأرسل الباشا الى ياسين بيك يقول له : « أن تستمر على الطاعة ، وتطرد عنك هذه اللموم ، وتكون من جملة كبار العسكر ... والا تذهب الى بلادك . والا فأنا واصل اليك ومحاربك » .

فعند ذلك داخله الخوف ، وانحلت عزائم جيوشه ، وتفرق الكثير منهم . فلما كان بعد الغروب ، طلب الركوب ، ولم يعلم عسكره أين يريد . فركب الجميع — وهم ثلاثة طوابير — واشتبهت عليهم الطرق فى ظلام الليل . فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل .. على طريق حلق الجرة . وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج ، والثالثة ذهبت على طريق القليوبية ، وفيهم أبوه .

فلما علم الباشا بركوبهم ، ركب خلفهم ، وذهب خلف الطائفة التى توجهت الى ناحية البركة..حصة. فلما علموا انفرادهم عن أميرهم ، رجعوا متفرقين فى النواحى . ورجع الباشا الى داره ، ولم يزل ياسين بيك فى سيره حتى نزل بمن معه فى التبين ، واستقر بها . وأما أبوه فانه التجأ الى شيخ قليوب.. الشواربى ، فأخذ له أمانا ، وأحضر فى ثانى يوم الى الباشا . فألبسه فروة ، وأمره أن يلحق بابنه . فنزل الى بولاق ، ونزل فى مركب مسافرا .

الاثنين ٢٤ منه (٢ يونية ١٨٠٧ م) :

عين الباشا عسكرا ورؤساء عساكر وخيالة . وأصحب معهم شديدا وجملة من عرب الحويطات للحوق بياسين بيك ومحاربته . ولما نزل ياسين بيك بناحية التبين ، نهب قرى الناحية بأسرها ، مثل : التبين ، وحلوان ، وطرا ، والمعصرة ، والبساتين . وفعلوا بها أفاعيلهم الشنيعة .. من السلب والنهب ، وأخذ النساء ، ونهب الأجران والغلال والأتبان والمواشى ، وأخذ الكلف الشاقة . ومن عجز عن شىء من مطلوباتهم ، أحرقوه بالنار .

الخميس ٢٧ منه (٥ يونية ١٨٠٧ م) :

رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين بيك . وذلك أنهم لما قربوا من وطاقهم

ارتحل الى صول والبرنبل . فولوا راجعين ، وتمموا فى ذهابهم وايابهم تدمير القرى !

وفيه : ورد قاصد قابجى من اسلامبول ، وعلى يده مرسوم بالبشارة .. بولاية السيد على باشا قبودان الدونانمة ، وتاريخه نحو ثلاثة أشهر ، فضربوا لقدومه المدافع من القلعة .

السبت ٢٩ منه (٧ يونية ١٨٠٧ م) :

رجع سليمان أغا من قبلى الى مصر وأخبر بقرب قدوم الأمراء المصريين ، وأن شاهين بيك وصل الى زاوية المصلوب ، وابراهيم بيك جهة قمن العروس ، وأنهم يستدعون اليهم مصطفى أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى .

ربيع الآخر

الاثنين غرته (٨ يونية ١٨٠٧ م) :

فيه : سافر مصطفى أغا والصابونجى الى جهة قبلى ، وصحبتهما كتخدا القاضى .

السبت ٦ منه (١٣ يونية ١٨٠٧ م) :

وصل شخص ططرى ، وعلى يده مرسوم ، فعمل الباشا ديوانا ، وقرأ المرسوم بحضرة الجمع مضمونه : أن العرضى الهمايونى ، الموجه لحرب الموسكوب ، خرج من اسلامبول ، وذهب الى ناحية أدرنه ، وأن العساكر سارت لمحاربة الأعداء ، ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل رؤوس قتلى وأسرى كثيرة ، وأنه بلغ الدولة ورود نحو الأربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر الاسكندرية ، وأن الكائنين بالثغر تراخوا فى حربهم .. حتى طلعوا الى الثغر فمن اللازم الاهتمام ، وخروج العساكر لحروبهم ، ودفعهم وطردهم عن الثغر .

وقد أرسلنا البيورلديات الى سليمان باشا والى صيدا ، والى يوسف باشا والى الشام ، بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة وان لزم الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على دفع العدو ... الى آخر ما نمقوه وسطروه

ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات والفرامانات والأغوات والقبجيات ، انما هو جر المنفعة لهم بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم ، من الدراهم والتقادم والهدايا .

فان القادم منهم ، اذا ورد ، استعدوا لقدومه .. فان كان ذا قدر ومنزلة ، أعدوا له منزلا يليق به ، ونظموه بالفرش والأدوات اللازمة . وخصوصا اذا كان حضر فى أمر مهم ، أو لتقرير المتولى على السنة الجديدة ، أو بصحبته خلع رصا وهدايا ، فانه يقابل بالاعزاز الكبير ، ويشاع خبره قبل وروده الى الاسكندرية ، وتأتى المبشرون بوروده من الططر قبل خروجه من دار السلطنة بنحو شهر أو شهرين ، ويأخذون خدمتهم وبشارتهم بالأكياس واذا وصل هو أدخلوه فى موكب جليل ، وعملوا له ديوانا ومدافع وشنكا ، وأنزل فى المنزل المعد له وأقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولى وأعيان دولته ، ورتب له الرواتب والمصاريف لمأكله هو وأتباعه لمطبخه وشراب حانته ، أيام مكثه ، شهرا أو شهورا ثم يعطى من الأكياس قدرا عظيما وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات المتنوعة ، والسكر المكرر ، وأنواع الطيب . كالعود والعنبر ، والأقمشة الهندية ، والمقصبات لنفسه ورجال دولته .

وان كان دون ذلك ، أنزلوه بمنزل بعض الأعيان بأتباعه وخدمه ومتاعه فى أعز مجلس ويقوم رب المنزل بمصرفهم ولوازمهم وكلفهم وما تستدعيه شهوات أنفسهم ، ويرون أن لهم المنة عليه بنزولهم عنده ، ولا يرون له فضلا ، بل ذلك واجب عليه ،

وفرض يلزمه القيام به ، مع التآمر عليه وعلى اتباعه ! ويمكث على ذلك شهورا ، حتى يأخذ خدمتـــه ، ويقبض أكياسه . وبعد ذلك كله يلزم صاحب المنزل أن يقدم له هدية ليخرج من عنده شاكرا ومثنيا عليه عند مخدومه وأهل دولته .. أقضية يحار العقل والنقل فى تصورها !

الاحد ٧ منه (١٤ يونيه ١٨٠٧ م) :

وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مرسى السويس . وحضر فيها أغوات الحرم ، والقاضى الذى توجه لقضاء المدينة — وهو المعروف بسعد بيك — وكذلك خدام الحرم المكى ، وقد طردهم الوهابى جميعا . وأما القاضى المنفصل ، فنزل فى مركب ولم يظهر خبره . وقاضى مكة توجه بصحبة الشاميين .

وأخبر الواصلون أنهم منعوا من زيارة المدينة ، وأن الوهابى أخذ كل ما كان فى الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر .

وحضر أيضا الذى كان أميرا على ركب الحجاج ، وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابى ومكتوب من شريف مكة . وأخبروا أنه أمر بحرق المحمل . واصطربت أخبار الاخباريين عن الوهابى بحسب الأغراض . ومكاتبة الوهابى بمعنى الكلام السابق فى نحو الكراسة ، وذكر فيها ما ينسبه الناس اليه من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها .

وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بيك وصل الى بنى سويف ، وأن شاهين بيك ذهب الى الفيوم لاختلاف وقع بينهم ، وأن أمين بيك وأحمد بيك الألفيين ذهبا الى ناحية الاسكندرية للانكليز .

وفيه : كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التى ابتدعوها فى العام الماضى على القراريط واقطاعات الأراضى . وكذلك أخذ نصف فائظ الملتزمين . وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين ... وذلك خلاف ما فرضوه على البنادر من الأكياس الكثيرة المقادير .

وفى ذلك اليوم : أرسل الأغا ووالى الشرطة أتباعهما لأرباب الصنائع ، والحرف ، والبوابين بالوكائل والخانات ... يأمرونهم بالحضور من الغد الى بيت القاضى . فانزعجوا من ذلك ، ولم يعلموا لأى شىء هذا الطلب وهذه الجمعية ، وباتوا متفكرين ومتوهمين .

فلما أصبح يوم الاثنين ، واجتمع الناس ، أبرزوا لهم مرسوما قرىء عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة . وذلك أن الريال الفرانسة وصلت مصارفته الى مائتين وعشرة من الأنصاف العددية . والمحبوب الى مائتين وعشرين وأكثر . والمشخص البندقى وصل الى أربعمائة وأربعين فضة ونحو ذلك .

فلما قرأوا عليهم المرسوم ، وأمروهم بعدم الزيادة ، وأن يكون صرف الفرانسة بمائتين فقط ، والمحبوب بمائتين وعشرين فضة ، والبندقى بأربعمائة وعشرين .. فلما سمعوا ذلك ، قالوا : « نحن ليس لنا علاقة بذلك .. هذا أمر منوط بالصيارف » . وانفض المجلس .

وفيه : وصلت مكاتبة من ابراهيم بيك ومن الرسل مضمونها : الاخبار بقدومهم . وأرسل ابراهيم بيك يستدعى اليه ابنه الصغير ، وولد ابنته المسمى نور الدين ، ويطلب بعض لوازم وأمتعة .

السبت ١٣ منه (٢٠ يونية ١٨٠٧ م) :

سافر أولاد ابراهيم بيك والمطلوبات التى أرسل يطلبها ، وصحبتهم فراشون وباعة ومتسببون وغير ذلك .

الاثنين ١٥ منه (٢٢ يونية ١٨٠٧ م) :

ورد سلحدار موسى باشا .. وعلى يده مرسوم

بالعربى ، وآخر بالتركى ، مضمونهما جواب رسالة أرسلت الى سليمان باشا بعكا بخبر حادثة الانكليز، وملخصها : « أنه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه وصول طائفة الانكليز الى ثغر سكندرية ، ودخولهم اليها بمخامرة أهلها ، ثم زحفهم الى رشيد .. وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر ، وقتلوا الكثير منهم ، وأسروا منهم كذلك . ونؤكد على محمد باشا ، والعلماء ، وأكابر مصر : بالاستعداد والمحافظة ، وتحصين الثغور — مثل السويس والقصير — ومحاربة الكفار ، واخراجهم وابعادهم عن الثغر . وقد وجهنا لكل من سليمان باشا ، وجنج يوسف باشا بتوجيه ماتريدون من العساكر للمساعدة » . ونحو ذلك .

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس من الانكليز ، وخمسة أشخاص أحياء ، فمروا بهم من وسط المدينة .. ذكروا أن كاشف دمنهور حارب ناحية الاسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء . وقيل انهم كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحى الريف ، فبلغ الكاشف خبرهم ، فأحاط بهم ، وفعل بهم ما فعل ، وأرسلهم الى مصر .. وهم ليسوا من المعتبرين ، وكأنهم مالطية . وقيل انهم سألوهم ، فقالوا : « نحن متسببون ... طلعنا ناحية أبو قير وتهنا عن الطريق ، فصادفونا — ونحن تسبعة لاغير — فأخذونا ، وقتلوا منا من قتلوه وأبقونا » .

وفيه : وصلت مكاتبة من ابراهيم بيك . وأرسل الباشا اليهم جوابا صحبة انسان يسمى شريف أغا .

الثلاثاء ٢٣ منه (٣٠ يونية ١٨٠٧ م) :

وردت أخبار من ناحية الشام ، بأنه وقع باسلامبول فتنة بين الينكجرية والنظام الجديد ، وكانت الغلبة للينكجرية ... وعزلوا السلطان سليم ، وولوا السلطان مصطفى ابن عمه — وهو ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد — وخطب له ببلاد الشام .

الخميس ٢٥ منه (٢ يولية ١٨٠٧ م) :

وصل ططرى من طريق البر بتحقق ذلك الخبر . وخطب الخطباء للسلطان مصطفى ، على منابر مصر وبلاد مصر وبولاق ... وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه

وفى اواخره (أوائل يولية ١٨٠٧ م) :

أحدثوا طلب مال الأطيان المسموح الذى لمشايخ البلاد ، وحرروا به دفترا ، وشرعوا فى تحصيله ، وهى حادثة لم يسبق مثلها : أضرت بمشايخ البلاد ، وضيقت عليهم معايشهم ومضايفهم .

وفيه : كتبوا أوراقا للبلاد والأقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد ، وعينوا بها المعينين ، وعليها حق الطرق .. مبالغ لها صورة ، وكل ذلك من التحيل على سلب أموال الناس !

وفيه : كتبوا مراسلة الى الأمراء القبليين بالصلح . وأرسلوا بها ثلاثة من الفقهاء ، وهم : الشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ ابراهيم السجينى ، والسيد محمد الدواخلى . وذلك أنه لما رجع شريف أغا ، الذى كان توجه اليهم بمراسلتهم ، أرسلوا يطلبون الشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ، والسيد عمر النقيب ، لاجراء الصلح على أيديهم . فأرسلوا الثلاثة المذكورين بدلا عنهم .

وفى هذه الأيام : كثر خروج العساكر والدلاة ، وهم يعدون الى البر الغربى . وعدى الباشا بحر النيل الى بر امبابة ، وأقام هناك أياما .

جمادى الأولى

الثلاثاء غرته (٧ يولية ١٨٠٧ م) :

فيه : شرع الباشا فى تعمير القلاع التى كانت

أنشأتها الفرنساوية خارج بولاق ، وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ، ووزع على الجيارة جيرا كثيرا ، ووسق عدة مراكب ، وأرسلها الى ناحية رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وأبراجا . وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وأنزلوهم فى المراكب قهرا .

الثلاثاء ١٥ منه (٢١ يولية ١٨٠٧ م) :

وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية ، أتوا من ناحية الشام ، ودخلوا الى المدينة

وفيه : طلب الباشا من التجار نحو الألفى كيس على سبيل السلفة ، فوزعت على الأعيان وتجار البن ، وأهل وكالة الصابون ، ووكالة التفاح ، ووكالة القرب وخلافها . وحجزوا البضائع ، وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون من يخرج من حاصله أو مخزنه شيئا الا بقصد الدفع من اصل المطلوب منهم تم أردفوا ذلك بمطلوبات من أفراد الناس المساتير فيكون الانسان جالسا فى بيته فما يشعر الا والمعينون واصلون اليه وبيدهم بصلة الطلب ، اما خمسة أكياس أو عشرة أو أقل أو أكثر فاما أن يدفعها ، والا قبضوا عليه وسحبوه الى السجن ، فيحبس ويعاقب حتى يتمم المطلوب منه فنزل بالناس أمر عظيم ، وكرب جسيم

وفى الناس من كان تاجرا ، ووقف حاله بتوالى الفتن والمغارم ، وانقطاع الأسباب والأسفار ، وأفلس وصار نتعيش بالكد والقرض ، وبيع متاعه وأساس داره وعقاره — واسمه باقى فى دفاتر التجار — فما يشعر الا والطلب لاحقه بنحو ماتقدم لكونه كان معروفا فى التجار فيؤخذ ويحبس ، ويستغيث فلا يغاث ، ولا يجد شافعا ولا راحما !

وهذا الشىء خلاف الفرض المتوالية على البلاد والقرى فى خصوص هذه الحادثة . وكذلك على البنادر مقادير لها صورة ، وما يتبعها من حق طرق المعينين والمباشرين ، وتوالى مرور العساكر آناء الليل وأطراف النهار بطلب الكلف واللوازم وأشياء يكل القلم عن تسطيرها ، ويستحى الانسان من ذكرها ، ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها .. حتى خربت القرى ، وافتقر أهلها وجلوا عنها فكان يجتمع أهل عدة من القرى فى قرية واحدة بعيدة عنهم ، ثم يلحقها وبالهم فتخرب كذلك !

وأما غالب بلاد السواحل ، فانها خربت ، وهرب أهلها ، وهدموا دورها ومساجدها ، وأخذوا أخشابها

ومن جملة أفاعيلهم الشنيعة التى لم يطرق الأسماع نظيرها : أنهم قرروا فرضة من فرض المغارم على البلاد فكتبوا أوراقا ، وسموها بشارة الفرضة ! يتولاها بعض من يكون متطلعا لمنصب أو منفعة ثم يرتب له خدما وأعوانا ، ثم يسافر الى الاقليم المعين له — وذلك قبل منصب الأصل — وفى مقدمته يبعث أعوانه الى البلاد يبشرونهم بذلك ، ثم يقبضون مارسم لهم فى الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى اليه اجتهاده ، قليلا أو كثيرا .. وهذه لم يسمع بما يقاربها فى ملة ولا ظلم ولا جور !

وسمعت من بعض من له خبرة بذلك أن المغارم التى قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس ، وذلك خلاف المصادرات الخارجة .

وفى اواخره (اوائل اغسطس ١٨٠٧ م) :

قوى عزم الباشا على السفر لناحية الاسكندرية ، وأمر باحضار اللوازم والخيام ، وما يحتاج اليه الحال من روايا الماء والقرب وباقى الأدوات .

جمادى الآخرة

الجمعة ٢ منه (٧ اغسطس ١٨٠٧ م) :

ركب الباشا الى بولاق ، وعدى الى ناحية

بر انبابة . ونصبوا وطاقه هناك . وخرجت طوائف العسكر الى ناحية بولاق وساحل البحر ، وطفقوا يأخذون مايجدونه من البغال والحمير والجمال ! واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجيء والرجوع والتعدية أياما .. وهم على ذلك النسق من خطف البهائم . وامتنعت السقاءون عن نقل الماء من البحر حتى شح الماء ، وغلا سعره ، وعطشت الناس ، وامتنع حمل البضائع .

السبت ٣ منه (٨ اغسطس ١٨٠٧ م) :

طلبوا أيضا خيول الطواحين لجر المدافع والعربات ، حتى تعطلت الطواحين عن طحن الدقيق . ولما ذهبوا بها الى العرضى ، اختاروا منها جيادها ، وأعطوا أربابها عن كل فرس خمسين قرشا ، وردوا البواقى لأصحابها .

وفيه : طلبوا أيضا دراهم من طائفة القبانية والحطابة ، وباعة السمك القديد ، المعروف بالفسيخ ... فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا .. فأغلقوا حوانيتهم ، وهربوا ، والتجأوا الى الجامع الأزهر . وكذلك الحطابة وغيرهم : منهم من هرب ، ومنهم من التجأ الى السيد عمر .. واستمر كذلك ثلاثة أيام .

وركب السيد عمر ، وعدى الى الباشا ، وتشفع فى الطوائف المذكورة . فرفعوا عنهم غرامتهم ، وكتبوا لهم أمانا بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٠ اغسطس ١٨٠٧ م) :

حضر قابجى من طرف الانكليز ، وصحبته أشخاص ، فأنزلهم الباشا فى خيمة بمخيمه بانبابة . فرقدوا بها ليأخذوا لهم راحة ، وناموا . فلما استيقظوا لم يجدوا ثيابهم ، وسطا عليهم السراق فشلحوهم . فأرسلوا الى حارة الفرنساوية فأتوا لهم بثياب وقفوات لبسوها .

السبت والاحد ١٠ ، ١١ منه (١٥ ، ١٦ اغسطس ١٨٠٧ م) :

عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحارتهم . وأولموا بينهم ولائم ، وأوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة ، وحراقات نفوط ، وسواريخ وشنكا ... حصة من الليل . وهو عبارة عن مولد « بونابارته » السنوى .

الثلاثاء ١٣ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٧ م) :

طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى . فعدى اليه ببر انبابة . فخلع عليه خلعة الدفتردارية . وحضر الى داره الجديدة — وهو بيت الهياتم ، بالقرب من قنطرة درب الجماميز — وذهب اليه الناس يهنئونه . وانفصل أحمد أفندى عاصم عن الدفتردارية .

الخميس ١٥ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٧ م) :

عمل الباشا شنكا بالبر الغربى بين المغرب والعشاء . ولما أصبح أمر بالارتحال ، وتمهل حتى تكامل ارتحال العساكر . فركب قريب الزوال الى المنصورة .

الجمعة ١٦ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٧ م — ١٦ مسرى ١٥٢٣ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وذلك بعد أن حصل فى الناس ضجر وقلق ، بسبب تأخر الوفاء ، ووقفات حصلت فى الزيادة قبل الوفاء عدة أيام .. حتى رفعوا الغلال من العرصات ، وزادت أثمانها . فلما حصل الوفاء اطمأن الناس ، وتراجعت اليهم أنفسهم ، وأظهروا الغلال فى العرصات والرقع . وركب كتخدا بيك فى صبح يوم السبت ، وكذلك القاضى ، وطوسون ابن الباشا ، والسيد عمر النقيب . وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه : وصل قابجى الى ثغر سكندرية .

وحضر بعد ذلك الى ثغر بولاق من طريق البر الى قبرص ، وتحرى الوصول الى دمياط . ثم حضر الى بولاق وقابل الباشا فى طريقه ، ووصل على يده سكة ضرب المعاملة الجديدة بالضربخانة باسم السلطان الجديد وكذلك الأمر بالخطبة والدعاء ، والاخبار برفع النظام الجديد وابطاله من اسلامبول ، ورجوع الوجاقات على قانونها الأول القديم ... ووصل فى نيف وخمسين يوما .

فاجتمعوا فى صبحها ، يوم الأحد ، بباب الباشا وأحضروا الأغا بموكب ، ودخل من باب النصر . وقرىء الفرمان بحضره الجمع ، وضربوا شنكا ومدافع من أبراج القلعة ، ثلاثة أيام ، فى الأوقات الخمسة

ومن الحوادث أنه ظهر فى هذه الأيام رجل بناحيه بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فأقام مدة فى عشة بالغيط واعتقد فيه الناس بالولاية والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من أهل القرى — وأكثرهم الأحداث — ونصبوا له خيمة وكثر جمعه ، وأقبلت عليه أهالى القرى بالندور والهدايا وصار يكتب الى النواحى أوراقا يستدعى منهم القمح والدقيق ، ويرسلها مع المريدين يقول فيها : « الذى نعلم به أهل القرية الفلانية ، حال وصول الورقة اليكم ، تدفعوا لحاملها خمسة أرادب قمح (أو أقل أو أكثر) برسم طعام الفقراء . وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا » أو نحو ذلك . فلا يتأخرون عن ارسال المطلوب فى الحال

وصار الذين حوله ينادون فى تلك النواحى بقولهم « لاظلم اليوم ، ولا تعطوا الظلمة شيئا من المظالم التى يطلبونها منكم ومن أتاكم فاقتلوه ! » .

فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك النواحى يطلب الكلف أو الفرض التى يفرضونها ، فزعوا عليه ، وطردوه وان عاند . قتلوه

فثقل أمره على الكشاف والعسكر . وصار له عدة خيام وأخصاص ، واجتمع لديه من المردان نحو



.. المردان

المائة وستين أمرد .. وغالبهم أولاد مشايخ البلاد وكان اذا بلغه أن بالبلد الفلانية غلاما وسيم الصورة ، أرسل يطلبه . فيحضروه اليه فى الحال .. ولو كان ابن عظيم البلدة ! حتى صاروا يأتون اليه من غير طلب — ولا يخفى حال الاقليم المصرى فى التقليد فى كل شىء — وهذا من جنس المردان .. وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون أيضا .

وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون فى أعناقهم ولبعضهم أقراطا فى آذانهم .

ثم ان شيخا من فقهاء الأزهر من أهالى بنها — يقال له الشيخ عبد الله البنهاوى ادعى دعوى بطين مستأجره من أراضى بنها كان لاسلافه ، وأن الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه .. بل باغراء بعض مشايخ القرية . والمذكور به رعونة ، ولم يحسن سبك دعواه — وخصوصا كونه مفلسا ، وخليا من الدراهم التى لابد منها الآن فى الجعالات والبراطيل للوسايط ، وأرباب الأحكام وأتباعهم — ويظن فى نفسه أنه يقضى قضيته بقال المصنف : اكراما لعلمه ودرسه ! فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده . وانعقدت

بسببه مجالس ، ولم يحصل منها شيء سوى التشنيع عليه من المشايخ الأزهرية والسيد عمر النقيب .

ثم كتب له عرضحال ، ورفع أمره الى كتخدا بيك والباشا . فأمر الباشا بعقد مجلس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ . وقالوا للباشا : « انه غير محق » وطردوه . فسافر الى بلده . وسافر الباشا أيضا الى جهة البحيرة والاسكندرية .

فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور ، وأغراه على الحضور الى مصر ، وأنه متى وصل اجتمع عليه المشايخ وأهل البلدة وقابلوه ، ويكون على يده الفتح والفتوح . وحركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجيء الى مصر ، ويكون له شأن ... لأن ولايته اشتهرت بالمدينة ، ولهم فيه اعتقاد عظيم وحب جسيم !

ومن أوصاف ذلك الشيخ : أنه لا يتكلم الا بالذكر أو الكلام النزر الذى لا بد منه ، ويتكلم فى أكثر أوقاته بالاشارة .

ثم انه أطاع شياطينه ، وحضر برجاله وغلمانه ، ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ أهل العصر والأوان ... الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا ! ودخلوا الى المدينة على حين غفلة ، وبأيديهم فراقل يفرقعون بها فرقعة متتابعة ، وصياح وجلبة ، ومن خلفهم الغلمان والبدايات .. وشيخهم فى وسطهم . فما زالوا فى سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسينى ، وجلسوا بالمسجد يذكرون . ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرم النقيب ، وهم يفرقعون بما فى أيديهم من الفرقلات . فأقاموا بالمسجد الى العصر . ثم دعاهم انسان من الأجناد — يقال له اسماعيل كاشف أبو مناخير — له فى الشيخ المذكور اعتقاد . فذهبوا معه الى داره بعطفة عبد الله بيك . فعشاهم ، وباتوا عنده الى الصباح .

ولما طلع النهار : ركب الشيخ بغلة ذلك الجندى وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعى ، فجلس بالمسجد أيضا مع أتباعه يذكرون . وبلغ خبره كتخدا بيك وأمثاله . فكتب تذكرة ، وأرسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور .. ليتبركوا به ، وأكد فى الطلب . وقصده أن يفتك به لقهرهم منه .

وعلم السيد عمر ما يراد به . فأرسل يقول له : « ان كنت من أهل الكرامة ، فاظهر سرك وكراماتك . والا فاذهب وتغيب » .

وكان صالح أغا قوج — لما بلغه خبره — ركب فى عسكره ، وذهب الى مقام الشافعى ، وأراد القبض عليه . فخوفه الحاضرون ، وقالوا له : « لا ينبغى لك التعرض له فى ذلك المكان . فاذا خرج فدونك واياه » . فانتظره بقصر شويكار ، فتباطأ الشيخ الى قريب العصر ، وأشاروا عليه بالخروج من الباب القبلى . وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه . فذهب الى مقام الليث بن سعد ، ثم سار من ناحية الجبل ، وذهبت بداياته وغلمانه الى دار اسماعيل كاشف التى باتوا بها .

ولما سار الى ناحية الصحراء ، لحقه الحاج سعودى الحناوى ، واقتفى أثره ، وبلغه رسالة السيد عمر ، ورجع الى السيد عمر فوجد كتخدا بيك ورجب أغا حضرا الى السيد عمر يسألانه عنه ، ولم يكتفوا بالطلب الأول . فأخبرهما أنه ذهب ولم تلحقه المراسيل .

فاغتاظوا وقالوا : « نرسل الى كاشف القليوبية بالقبض عليه أينما كان » . وانصرفوا ذاهبين .

وقصدت العساكر بيت اسماعيل كاشف أبو مناخير ، فقبضوا على الغلمان ، وأخذوهم الى دورهم . ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب . وتغيب وتفرق أتباعه ذوو اللحى .

وأما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل الى بهتيم ، وذهب الى نوب . فعرف بمكانه الشيخ عبد الله زقزوق البنهاوى الذى كان أغراه على الحضور الى مصر ، ولما سقط فى يده .. تبرأ منه ، وذهب الى كتخدا بيك ، وطلب له أمانا ، وأخبره أنه مختف بضريح الامام الشافعى . فأعطاه أمانا ، وذهب اليه وأحضره من نوب .

فلما حضر عند الكتخدا قال له : « أرخ لحيتك ، واترك ما أنت عليه ، واقم فى بلدك .. وأعطيك طينا تزرعه ، ولا تتعرض لأحد ، ولا أحد يتعرض لك » .. والشيخ ساكت لا يتكلم ، وصحبته أربعة أنفار من تلاميذه ، هم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه .

ثم أمر أشخاصا من العسكر ، فأخذوه وذهبوا به الى بولاق ، وأنزلوه فى مركب ، وانحدروا به ، ثم غابوا حصة وانقلبوا راجعين . ثم بعد ذلك تبين أنهم قتلوه ، وألقوه فى البحر .. الا واحدا من الأربعة ألقى بنفسه فى البحر ، وسبح فى الماء ، وطلع الى البر وهرب ... وانفض أمره .

وفيه : أرسل الباشا ، وهو بالرحمانية ، يطلب شيخ دسوق . فحضر اليه طائفة من العسكر . فلما أتوا اليه .. امتنع ، وقال : « مايريد الباشا منى ؟ أخبرونى بطلبه وأنا أدفعه .. ان كان غرامة أو كلفة » . فقالوا : « لا ندرى . وانما أمرنا باحضارك » فشاغلهم بالطعام والقهوة ، ووزع بهائمه وحريمه والذى يخاف عليه .

وفى الوقت وصلت مراكب وبها عساكر ، وطلعوا الى البر . فركب شيخ البلد خيوله وخيالته ، ، واستعد لحربهم ، وحاربهم وأبلى معهم ، وقتل منهم عدة كبيرة ، ثم ولى هاربا . فدخل العسكر الى البلد ونهبوها ، وأخذوا ما وجدوه فى دور أهلها ، وعبروا مقام السيد الدسوقى ، وذبحوا من وجدوه من المجاورين .. وفيهم من طلبة العلم العواجز !

وفيه : ركب كتخدا بيك ومر على بيت الداودية — وبه طائفة من الدلاة — فرأى شخصا منهم يرجم دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار أخرى .. فانتهره وأراد ضربه . فقامت عليه رفقاؤه الدلاتية ، وفزعوا عليه ، فولى هاربا منهم ، فعدوا خلفه .. ولم يزل رامحا هو وأتباعه حتى وصل الى ناحية الأزبكية .

رجب

الاثنين ٤ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الانكليز . واتفقوا على خروجهم من الاسكندرية وخلوها ونزولهم منها . وأرسل يطلب الأسرى من الانكليز .

الاحد ١٠ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ورد قابجى — ويسمى نجيب أفندى — فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادى عشره . وكان وروده من ناحية دمياط . فلما علم أن الباشا بناحية البحيرة ، ذهب اليه وقابله بدمنهور .. وبصحبته — لخصوص الباشا — قفطان وسيف وشلنج ، وخلع لكبار العسكر مثل : حسن باشا ، وطاهر باشا ، وعابدين بيك ، وعمر بيك ، وصالح قوج . فنزل ببيت محمد الطويل التتنجى ببولاق .

وفيه : نزلوا بالأسرى من الانكليز الى المراكب ليسافروا الى الاسكندرية .

الاربعاء ١٣ منه (١٦ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

وصل المبشر بنزول الانكليز من ثغر الاسكندرية الى المراكب . ودخل اليها كتخدا بيك ونزل بدار الشيخ المسيرى . واستمر الباشا مقيما عند السد .

السبت ١٦ منه (١٩ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ركب القابجى من بولاق بالموكب ، وشق من وسط المدينة ، وذهب الى بيت الباشا . وضربوا لقدومه مدافع من القلعة .

الاربعاء ٢٧ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ولد لمحمد على باشا مولود من حظيته . وحضر المبشرون بنزول الانكليز من الاسكندرية ، ودخول الباشا بهـا . فعملوا شنكا ، وضربوا مدافع من القلعـة ثلاثة أيام ، فى الأوقات الخمسة ، آخرها السبت .

الخميس والجمعة والسبت ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ منه (١ ، ٢ ، ٣ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

وصلت عساكر كثيرة ، ودخلوا المدينة ، وطلبوا سكنى البيوت ، وأزعجوا الناس ، وأخرجوهم من أوطانهم وضجت الخلائق ، وحضر الكثـير الى السيد عمر والمشايخ .. فكتبوا عرضا فى شأن ذلك وأرسلوه الى كتخدا بيـك . فأظهر الاهتمـام ، وأحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم فى ذلك ، وقال لهم : « كل من كان ساكنا قبل الخروج الى العرضى فى دار فليرجع اليهـا ويسـكنها . ولا تعارضوا الناس فى مساكنهم » . فلم يفد كلامه فى ذلك شيئا . لأن البيوت التى كانوا بها أخربوها وحرقوا أخشابها ، وتركوها كيمانا .. وذلك دأبهم !

شعبـان

٣ منه (٦ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

وصل الباشا الى سـاحل بولاق . فضربوا لقدومه مدافع من القلعة ، وعملوا له شنكا ثلاثة أيام .

واتفـق أن الباشـا — فى حال رجـوعه من الاسكندرية — نزل فى سفينة صغيرة ، وصحبته : حسن باشا طاهر ، وسليمان أغا ، الوكيل سابقا ، فانقلبت بهم ، وأشرف ثلاثتهم على الغرق ، وتعلق بعضهم بحرف السفينة . فلحقتهم مركب أخـرى أنقذتهم من الغرق ، وطلعوا سـالمين .. وكان ذلك عند زفيتة .

وفيه : كتبوا أوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية ، وأرسلوها الى البلاد والقرى .. وعليها حق الطريق : أربعة آلاف وألفين فضـة .

وصورة ما حصل : أنه لما وصل الباشـا الى ناحية الاسكندرية ، راسل الانكليز ، وحضر اليه أنفار منهم ، واختلى معهم . ولم يعلم أحد ما دار بينهم من الكلام . وذهبوا من عنـده ، وأشـيع الصلح . وفرحت العسكر ، لأنهم لما رأوا صورة المتاريس والطوابى والخنادق ، وجرى الميـاه بين ذلك بالأوضاع المتقنة .. هالهم ذلك .

ثم حضر من عظمائهم أشـخاص . ولمـا علم الباشا بوصولهم ، رتب العسـاكر ، ونظم ديوانا وهيأه ، وأوقف العسـاكر صفوفا يمنـة ويسرة . وعندما وصلوا ضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا ، وقدم لهم خيولا وهدايا وأقمشة هنـدية ، وخلع عليهم خلعا وشيلانا كشميرية وغير ذلك . ثم ركب معهم فى قلة الى حيث منزلة صـارى عسـكرهم وكبيرهم .. فتلاقى معهم ، وقدم له الآخر هـدايا وظرائف . ثم ركب معه الى الاسكندرية ، وتسلم القلعة . وذلك بعد دخول كتخدا بيك بخمسة أيام . وكان فى أسرى الانـكليز أنفـار من عظمائهم . فأحضرهم الباشا مع باقى الأسرى ، وتم الصلح على رد المذكورين .. على أنهم لم يأتوا طمعا فى البلاد كما تقدم .

ولمـا نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغـر الا مسـافة قليلة ، واستمروا يقطعـون على المراكب

الواردين على الثغور .. وذلك لمـا بينهم وبين العثمانى من المفاقمة

هذا ما كان من أمر الانكليز .

وأما العساكر ، فانهم أفحشوا فى التعدى على النـاس ، وغصب البيوت من أصحابها ، فتـأتى الطائفة منهم الى الدار المسكونة ، ويدخلونها من غير احتشام ولا اذن ، ويهجمون على سكن الحرم بحجة أنهم يتفرجون على أعالى الدار .. فتصرخ النسـاء . ويجتمع أهل الخطة ويكلمونهم ، فلا يلتفتون اليهم . فيعالجونهم مرة بالملاطفة ، وأخرى بكثرة الجمع .. ان كان بهم قوة ، أو بمعونة ذى مقدرة .

واذا انفصـلوا .. فلا يخرجون من الدار الا بمصلحة أو هدية لهـا قدر ، ويشترطون فى ذلك الشيلان الكشميرى . فاذا أحضروا لهم مطلوبهم ، فلا يعجب كبيرهم ، ويطلب خلافه أحمر أو أصفر .

واتفق أن بعضهم دخل عليه بمباشا بجماعته ، فلم يزل به حتى صالحه على شال يأخذه ويترك له داره . فأتاه بشال أصفر . فأظهر أنه لا يريد الا الأحمر الدودة .. فلم يسعه الا الرضى ، وأراد أن يرد الأصفر ويأتيه بالأحمر . فحجزه وقال : « دعه حتى تأتى بالأحمر ، فأختار منهما الذى يعجبنى » . فلما أتاه بالأحمر ضمه الى الأصفر ، وأخذ الاثنين ثم انصرف عنـه ! وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم .

فاذا انصرفوا ، وظن صاحب الدار أنهم انجلوا عنه .. فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم . ويقع فى ورطة أخرى مثل الأولى أو أخف أو أعظم منها .

وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيل والملاطفة مع صاحب الدار فيقول له : « ياأخى .. ياحبيبى.. أنا معى ثلاثة أنفـار أو أربعـة لا غير ، ونحـن مسافرون بعد عشرة أيام . والقصد أن تفسح لنـا تقيم فى محل الرجال . وأنت بحريمك فى مكانهم أعلى الدار » . فيظن صدقهم ، ويرضى بذلك على تخوف وكره . فيعبرون ويجلسـون ، كما قالوا ، فى محـل الرجال ، ويربطون خيولهم فى الحوش ، ويعلقون أسلحتهم ، ويقولون : « نحن صرنا ضـيوفك » . فاذا أراد أن يرفع فرش المكان .. يقولون : « نحن نجلس على الحصير والبلاط ! وأى شىء يصيب الفرش ؟ » . فيتركه حياء وقهرا . ثم يطلبون الطعام والشراب .. فما يسعه الا أن يتكلف لهم ذلك فى أوقاته . ويستعملون الأوانى ويطلبون ما يحتاجون اليه .. مثل الطشت والأبريق وغير ذلك . ثم تأتيهم رفقاؤهم شيئـا فشيئـا ، ويدخلون ويخرجون وبأيديهم الأسلحة ، ويضيق عليهم المكان فيقولون لصاحب المكان : « اخل لنا محلا آخر فى الدار فوق لرفقائنا » . فان قال : ليس عندنا محل آخر ، أو قصر فى مطلوب ، ابتدأوه بالقسوة ، فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا انفكاك لهم عن المكان .

وربما مضت العشرة أيام أو أقل أو أكثر ، وظهرت قبائحهم ، وقذروا المكان ، وحرقوا البسط والحصر — بما يتساقط عليها من الجمـر — من شربهم النارجيلات والتنبـاك والدخان ، وشربوا الشراب ، وعربدوا وصرخوا وصفقوا ، وغنـوا بلغاتهم المختلفة ، وفقمت رائحة العرقى فى المنزل . فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته ، ويطيب خاطرهم على الخروج والنقلة .. فيطلبون لأنفسهم مسكنا ، ولو مشتركا ، عند أقاربهم أو معارفهم . وتخرج النساء فى غفلة بثيابهن وما يمكنهم حمله . ثم يشرعون فى اخراج المتاع والأوانى والنحاس والفرش . فيحجزونه منهم ويقولون : « اذا أخذتم ذلك ... فعلى أى شىء نجلس ؟ وفى أى شىء نطبخ .. وليس معنا فرش ولا نحاس ، والذى كان معنا استهلك منا فى السفر والجهاد ، ودفع الكفار

عنكم .. وأنتم مستريحون فى بيوتكم وعند حريمكم ؟ » فيقع النزاع ، وينفصل الأمر بينهم وبين صاحب الدار .. اما بترك الدار بما فيها ، أو بالمقاسمة والمصالحة بالترجى والوسائط ونحو ذلك !

وهذا الأمر يقع لأعيان الناس ، والمقيمين بالبلدة من الأمراء والأجناد المصريين وأتباعهم ، ونحوهم .

ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحى التى لم يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك ، مثل : نواحى المشهد الحسينى ، وخلف الجامع المؤيدى ، والخرنفش ، والجمالية ... حتى ضاقت المساكن بالناس لقلتها ، وصار بعض المحتشمين ، اذا سكن بجواره عسكر ، يرتحل من داره — ولو كانت ملكه — بعدا من جوارهم ، وخوفا من شرهم وتسلقهم على الدار ، لأنهم يصعدون على الأسطح والحيطان ، ويتطلعون على من بجوارهم ، ويرمون بالبندقيات والطبنجات .

ومما اتفق أن كبيرا منهم دخل بطائفته الى منزل بعض الفقهاء المعتبرين ، وأمره بالخروج منها ليسكن هو بها ، فأخبره أنه من مشايخ العلم .. فلم يلتفت لقوله فتركه ولبس عمامته ، وركب بغلته ، وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم . فركب معه جماعة منهم ، وذهبوا الى الدار ، ودخلوا اليها راكبين بغالهم .

فعندما شاهدهم العسكر ، وهم واصلون فى كبكبة ، أخذوا أسلحتهم ، وسحبوا عليهم السيوف فرجع البعض هاربا ، وثبت الباقون ، ونزلوا عن بغالهم ، وخاطبوا كبيرهم ، وعرفوه أنها دار العالم الكبير ، وهذا لا يناسب ، وأن النصارى واليهود يكرمون قسسهم ورهبانهم وأنتم أولى بذلك لأنكم مسلمون .

فقالوا لهم فى الجواب : « أنتم لستم بمسلمين ، لأنكم كنتم تتمنون تملك النصارى لبلادكم ، وتقولون أنهم خير منا . ونحن مسلمون ومجاهدون ... طردنا النصارى ، وأخرجناهم من البلاد فنحن أحق بالدور منكم » ! ونحو ذلك من القول الشنيع .

ثم لم يزالوا فى معالجتهم الى ثانى يوم . ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مائتى قرش ، وشال كشمير لكبيرهم .

وفعل مثل ذلك بعدة بيوت ... دخلها على هذه الصورة ، وأخذ منها أكثر من ذلك ومنها دار اسماعيل أفندى صاحب العيار بالضربخانة ، وهو رجل معتبر ، أخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير .

وفعل مثل ذلك بغيرهم . هو وأمثاله

ولما أكثر الناس من التشكى للباشا وللكتخدا .. قال الكتخدا : « أناس قاتلوا وجاهدوا أشهرا وأياما ، وقاسوا ما قاسوه فى الحر والبرد والطل حتى طردوا عنكم الكفار ، وأجلوهم عن بلادكم .. أفلا تسعونهم فى السكنى ؟ » ونحو ذلك من القول !

ولما انقضى هذا الأمر ، واستقر الباشا ، واطمأن خاطره ، وخلص له الاقليم المصرى ، وثغر الاسكندرية — الذى كان خارجا عن حكمه حتى قبل مجىء الانكليز ... فان الاسكندرية كانت خارجة عن حكمه فلما حصل مجىء الانكليز وخروجهم ، صار الثغر فى حكمه أيضا — فأول ما بدأ به : أنه أبطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافى البلاد التى التزموا بها .. لأنه لما ابتدع المغارم والشهريات والفرض التى فرضها على القرى ومظالم الكشوفية ، جعل ذلك عاما على جميع الالتزامات والحصص التى بأيدى جميع الناس — حتى أكابر العسكر وأصاغرهم — ما عدا البلاد والحصص التى للمشايخ .. خارجة عن ذلك ،

ولا يؤخذ منها نصف الفائظ ولا ثلثه ولا ربعه ، وكذلك من ينتسب لهم أو يحتمى فيهم ، ويأخذون الجعالات والهدايا من أصحابها ، ومن فلاحيهم تحت حمايتها ونظير صياناتها .

واغتروا بذلك ، واعتقدوا دوامه ، وأكثروا من شراء الحصص من أصحابها المحتاجين بدون القيمة ، وافتتنوا بالدنيا ، وهجروا مذاكرة المسائل ، ومدارسة العلم .. الا بمقدار حفظ الناموس ، مع ترك العمل بالكلية !

وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء الألوف الأقدمين ، واتخذوا الخدم والمقدمين والأعوان ، وأجروا الحبس والتعزير ، والضرب بالفلقة والكرابيج المعروفة « بـ ... الفيل ! » واستخدموا كتبة الأقباط ، وقطاع الجرائم فى الارساليات للبلاد ، وقدروا حق طرق لأتباعهم ، وصارت لهم استعجالات ، وتحذيرات والنذارات عن تأخر المطلوب .. مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ، ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم .. بموجبات التحاسد والكراهية ، المجبولة والمركوزة فى طباعهم الخبيثة .

وانقلب الوضع فيهم بضده ، وصار ديدنهم واجتماعهم : ذكر الأمور الدنيوية ، والحصص والالتزام ، وحساب الميرى ، والفائظ والمضاف ، والرماية والمرافعات ، والمراسلات والتشكى ، والتناجى مع الأقباط ، واستدعاء عظمائهم فى جمعياتهم وولائمهم ، والاعتناء بشأنهم ، والتفاخر بترددهم والترداد عليهم ، والمهاداة فيما بينهم .. الى غير ذلك مما يطول شرحه .

وأوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر ، والتحاسد ، والتحاقد على الرياسة ، والتفاقم والتكالب على سفاسف الأمور ، وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية .. مع ما جبلوا عليه من الشح والشكوى ، والاستجداء ، وفراغ الأعين ، والتطلع للأكل فى ولائم الأغنياء والفقراء ، والمعاتبة عليها .. ان لم يدعوا اليها ، والتعريض بالطلب ، واظهار الاحتياج لكثرة العيال والأتباع واتساع الدائرة ، وارتكابهم الأمور المخلة بالمروءة ، المسقطة للعدالة : كالاجتماع فى سماع الملاهى والأغانى والقيان والآلات المطربة ، واعطاء الجوائز والنقوط بمناداة الخلبوص وقوله : « واعلاماه ! » فى السامر ، وهو يقول فى سامر الجمع بمسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم ، برفع الصوت الذى يسمعه القاصى والدانى ، وهو يخاطب رئيسة المغانى : « يا ستى ! حضرة شيخ الاسلام والمسلمين .. مفيد الطالبين : الشيخ العلامة فلان .. منه كذا .. وكذا » من النصفيات الذهب : قدر مسماه كثير ، وجرمه قليل .. نتيجته التفاخر الكذب ، والازدراء بمقام العلم بين العوام وأوباش الناس الذين اقتدوا بهم فى فعل المحرمات الواجب عليهم النهى عنها كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة ، مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد فى كل مجمع ، ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات وألفاظ الكناية المعبر عنها عند أولاد البلد بالأنقاط والتنافس فى الأحداث ... الى غير ذلك .

وفيه : فتحوا الطلب من الملتزمين بيواقى الميرى على أربع سنوات ماضية .

١٠ منه (١٣ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

فتحوا أيضا دفاتر الطلب بميرى السنة المقابلة. ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية . منها : خراب القرى بتوالى المظالم والمغارم والكلف ، وحق الطرق والاستعجالات ، والتساويف والبشارات . فكان أهل القرية النازل بها ذلك ، ينتقلون الى القرية المحمية لشيخ من الأشياخ ... وقد بطلت الحماية أيضا حينئذ ثم

أنزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الأكياس الكثيرة ، وذلك عقب فرضة البشارة ، مثل دمياط ورشيد والمحلة والمنصورة : مائة كيس ، وخمسون كيسا ، ومائة وخمسون ... وأكثر وأقل .

وفى أثناء ذلك : قرروا أيضا فرضة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى . وان لم يجد المعينون للطلب شيئا من الدراهم عند الفلاحين ، أخذوا مواشيهم وأبقارهم لتأتى أربابها ويدفعوا ما تقرر عليهم ويأخذوها ، وبتركونها بالجوع والعطش ، فعند ذلك يبيعونها على الجزارين ، ويرمونها عليهم قهرا بأقصى القيمة ، ويلزمونهم باحضار الثمن ... فان تراخوا وعجزوا ، شددوا عليهم بالحبس والضرب .

١٣ منه (١٦ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

مر الباشا فى ناحية سويقة العزى سائرا الى ناحية بيت بلغيا ، وهناك المكتب فوق السبيل الذى بين الطريقين تجاه من ياتى من تلك الناحية ، فطلع الى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان الباشا فى مروره . فحينما أتى مقابلا لذلك المكتب ، أطلقا فى وجهه برودتين فأخطأتاه ، وأصابت احدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط . ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلوقة ، وأمر الخدم باحضار الكامنين بذلك المكتب . فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما . ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان ، واعتذر الى الباشا بأنهما مجنونان وسكرانان ، فأمره باخراجهما وسفرهما من مصر . وركب وذهب الى داره .

٢٣ منه (٢٦ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

اجتمع عسكر الأرنؤود والترك على بيت محمدعلى باشا وطلبوا علائفهم ، فوعدهم بالدفع ، فقالوا : « لا نصبر » ، وضربوا بنادق كثيرة ، ولم يزالوا واقفين ، ثم انصرفوا وتفرقوا .

وارتجت البلد ، وأرسل السيد عمر الى أهل الغورية والعقادين والأسواق يأمرهم برفع بضائعهم من الحوانيت . ففعلوا وأغلقوها .

فلما كان قبيل الغروب ، وصل الى بيت الباشا طائفة الدلاتية ، وضربوا أيضا بنادق . فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك . فقتل من الدلاة أربعة أنفار ، وانجرح بعضهم ، فانكفوا ورجعوا .

وبات الناس متخوفين ، وخصوصا نواحى الأزهر ، وأغلقوا البوابات من بعد الغروب ، وسهروا خلفها بالأسلحة ... ولم تفتح الا بعد طلوع الشمس .

٢٤ منه (٢٧ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

أصبح .. والحال على ما هو عليه من الاضطراب . ونقل الباشا أمتعته الثمينة تلك الليلة الى القلعة ، وكذلك فى ثانى يوم .

ثم انه طلع الى القلعة فى ليلتها ، وشيعه حسن باشا الى القلعة ورجع الى داره . ويقال ان طائفة من العسكر الذين معه بالدار ، أرادوا غدره تلك الليلة ، وعلم ذلك منهم باشارة بعضهم لبعض رمزا . فغالطهم وخرج مستخفيا من البيت ، ولم يعلم بخروجه الا بعض خواصه الملازمين له ، وأكثرهم أقاربه وبلدياته .

ولما تحققوا خروجه من الدار ، وطلوعه الى القلعة ... صرف بونابارته الخازندار الحاضرين فى الحال ، ونقل الأمتعة والخزينة فى الحال ، وكذلك الخيول والسروج . وخرجت عساكره يحملون ما بقى من المتاع والفرش والأوانى الى القلعة .

وأشيع فى البلدة أن العساكر نهبوا بيت الباشا ، وزاد اللغط والاضطراب . ولم يعلم أحد من الناس

حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر . وزاد تخوف الناس من العسكر . وحصل منهم عربدات وخطف عمائم وثياب وقتل أشخاص .

٢٦ منه (٢٩ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

أصبح وباب القلعة مفتوح ، والعساكر مرابطون به ، ووواقفون بأسلحتهم .

وطلع أفراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا . واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة .. والعسكر والناس فى اضطراب ، وكل طائفة متخوفة من الأخرى ، والأرنؤود فرقتان : فرقة تميل الى الأتراك ، وفرقة تميل الى جنسها . والدلاة تميل الى الأتراك وتكره الأرنؤود .. وهم كذلك . والناس متخوفة من الجميع . ومهم من يخشى من قيام الرعية ، ويظهر التودد لهم . وقد صاروا مختلطين بهم فى المساكن والحارات وتأهلوا وتزوجوا منهم .

٢٨ منه (٣١ اكتوبر ١٨٠٧ م) :

طلع طائفة من المشايخ الى القلعة ، وتكلموا وتشاوروا فى تسكين هذا الحال بأى وجه كان . ثم نزلوا .

٢٩ منه (أول نوفمبر ١٨٠٧ م) :

كانت رؤية هلال رمضان . فلم يعمل الموسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضى ، وما يعمل به من الحراقة والنفوط والشنك ، وركوب المحتسب ومشايخ الحرف ، والزمور والطبول ، واجتماع الناس للفرجة بالأسواق والشوارع وبيت القاضى . فبطل ذلك كله . ولم تثبت الرؤية تلك الليلة .

وأصبح يوم الأحد ...والناس مفطرون . فلما كان وقت الضحوة نودى بالامساك ، ولم تعلم الكيفية !

رمضان

الاثنين غرته (٢ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

فى ليلته ، بين العصر والمغرب ، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة . وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة . وكذلك العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن — وكان شيئا هائلا — واستمر ذلك الى بعد الغروب . وذلك شنك لقدوم رمضان ، فى دخوله وانقضائه .

الخميس ٤ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفى كيس بعد جمعيات ومشاورات : تارة ببيت السيد عمر النقيب ، وتارة فى أمكنة أخرى ، كبيت السيد المحروقى وخلافه ، حتى رتبوا ذلك ونظموه ... فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا ، وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم فى فرض حصصهم التى أكلوها — وهى مبلغ مائتى كيس — ووزعت على القراريط : على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض ، لأجل أن ترد أو تحسب لهم فى الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهاد .. يأخذونها من فلاحيهم . وفرض من ذلك مبالغ على أرباب الحرف ، وأهل الغورية ، ووكالة الصابون ، ووكالة القرب ، والتجار الآفاقية .

واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوى بما يتعلق بالفقهاء ، واسماعيل الطوبجى بالمطلوب من طائفة الأتراك وأهل خان الخليلى .. والمرجع فى الطلب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب .

واجتمع الكثير من أهل الحرف ، كالصرماتية وأمثالهم ، والتجأوا الى الجامع الأزهر ، وأقاموا به ليالى وأياما فلم ينفعهم ذلك .

وانبث المعينون بالطلب ، وبأيديهم الأوراق بمقدار المبلغ المطلوب من الشخص ، وعليها حق الطريق ، وهم : قواسة أتراك ، وعسكر ، ودلاة ، وقواسة بلدى .

ودهى الناس بهذه الداهية فى الشهر المبارك . فيكون الانسان نائما فى بيته ، ومتفكرا فى قوت عياله .. فيدهمه الطلب ، ويأتيه المعين قبل الشروق ، فيزعجه ويصرخ عليه ، بل ويطلع الى جهة حريمه فينتبه كالمفلوج من غير اصطباح ، ويلاطف المعين ، ويوعده ويأخذ بخاطره ، ويدفع له كراء طريقه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شىء . فما يفارقه .. الا ومعين آخر واصل اليه على النسق المتقدم ، وهكذا !

وفيه : حضر محمد كتخدا شاهين بيك الألفى بجواب عن مراسلة أرسلها الباشا الى مخدومه . فأقام أياما يتشاور مع الباشا فى مصالحته مع شاهين بيك . وحصل الاتفاق على حضور شاهين بيك الى الجيزة ، وتراضى مع الباشا على أمر ، وسافر فى ثانى عشره ، وصحبته صالح أغا السلحدار .

الخميس ١٨ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

قصد الباشا نفى رجب أغا الأرنؤودى . وأرسل اليه يأمره بالخروج والسفر بعد أن قطع خرجه وأعطاه علوفته . فامتنع من الخروج ، وقال : « أنا لى عنده خمسون كيسا ولا أسافر حتى أقبضها » .

وذلك أنه فى حياة الألفى الكبير اتفق مع الباشا بأن يذهب عند الألفى ، وينضم اليه ، ويتحيل فى اغتياله وقتله . فان فعل ذلك وقتله ، وتمت حيلته عليه ... أعطاه خمسين كيسا . فذهب عند الألفى ، والتجأ اليه ، وأظهر أنه راغب فى خدمته ، وكره الباشا وظلمه . فرحب به وقبله ، وأكرمه مع التحذر منه . فلما طال به الأمد ، ولم يتمكن من قصده .. رجع الى الباشا . فلما أمره بالذهاب ، أخذ يطالبه بالخمسين كيسا . فامتنع الباشا ، وقال : « جعلت له ذلك فى نظير شىء يفعله ، ولم يخرج من يده فعله ، فلا وجه لمطالبته به » . واستمر رجب أغا فى عناده .. وذلك أنه لا يهون بهم مفارقة مصر التى صاروا فيها أمراء وأكابر ، بعد أن كانوا يحتطبون فى بلادهم ، ويتكسبون بالصنائع الدنيئة .

ثم انه جمع جيشه اليه من الأرنؤود بناحية سكنه — وهو بيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق — فأرسل اليه الباشا من يحاربه ، فحضر حسن أغا سرششمة من ناحية قنطرة باب الخرق ، وحضر أيضا الجم الكثير من الأتراك وكبرائهم من جهة المدابغ . وعمل كل منهم متاريس من الجهتين ، وتقدموا قليلا حتى قربوا من مساكن الأرنؤود تجاه بيت البارودى . فلم يتجاسروا على الاقدام عليهم من الطريق ، بل دخلوا من البيوت التى فى صفهم ، ونقبوا من بيت الى آخر حتى انتهوا الى أول منزل من مساكنهم ، فنقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى ، ونفذوا منه الى المنزل الذى بجواره ، ثم منه الى منزل على أغا الشعراوى ، ثم الى بيت سيدى محمد وأخيه سيدى محمود ، المعروف بأبى دفية ، الملاصق لمسكن طائفة من الأرنؤود .

وعبثوا فى الدور ، وأزعجوا أهلها بقبيح أفعالهم .. فانهم عندما يدخلون فى أول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة ، من غير دستور ولا استئذان ، وينقبون من مساكن الحريم العليا ، فيهدمون الحائط ، ويدخلون منها الى محل حريم الدار الأخرى . وتصعد طائفة منهم الى السطح .. وهم يرمون بالبنادق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا !

ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ، ويصرن يصرخن ويصحن بأطفالهن ، ويهربن الى الحارات الأخرى ، مثل : حارة قواديس ، وناحية حارة عابدين — بظاهر الدور المذكورة — بغاية الخوف والرعب والمشقة .

وطفقت العساكر تنهب الأمتعة والثياب والفرش ، ويكسرون الصناديق ، ويأخذون مافيها ، ويأكلون ما فى القدور من الأطعمة فى نهار رمضان ... من غير احتشام !

ولقد شاهدت أثر قبيح فعلهم ببيت أبى دفية المذكور : من الصناديق المكسرة ، وانتشار حشو الوسائد والمراتب التى فتقوها وأخذوا ظروفها ، ولم يسلم لأصحاب المساكن سوى ما كان لهم خارج دورهم وبعيدا عنها ، أو وزعوه قبل الحادثة . وأصيب محمد أفندى أبو دفية برصاصة أطلقها بعضهم من النقب الذى نقب عليهم نفذت من كتفه . وكذلك فعل العساكر التى أتت من ناحية المدابغ بالبيوت الأخرى . واستمروا على هذه الأفعال ثلاثة أيام بلياليها .

الاثنين ٢٢ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

حضر فى ليلته عمر بيك كبير الأرنؤود ، الساكن ببولاق ، وصالح قوج ، الى رجب أغا المذكور ، وأركباه وأخذاه الي بولاق . وبطل الحرب بينهم ، ورفعوا المتاريس فى صبحها وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونقبها وازعاج أهلها . ومات فيما بينهم أنفار قليلة . وكذلك مات أناس وانجرح أناس من أهل البلد .

الخميس ٢٥ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

سافر رجب أغا ، وتخلف عنه كثير من عساكره وأتباعه ، وذهب من ناحية دمياط .

وفيه : حضر ديوان أفندي من دهشور وابن الباشا أيضا . وخلع شاهين بيك على ابن الباشا فروة ، وقدم له تقدمة وسلاحا نفيسا انكليزيا .

السبت ٢٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

وصل شاهين بيك الألفى الى دهشور ، ووصل صحبته مراكب بها سفار وهدية من ابراهيم بيك ومحمد بيك المرادى ، المعروف بالمنفوخ ، برسم الباشا .. وهى نحو الثلاثين حصانا ، ومائة قنطار بن قهوة ، ومائة قنطار سكر ، وأربعة خصيان ، وعشرون جارية سوداء . فلما وصل شاهين بيك الى دهشور ، حضر محمد كتخداه وعلى كاشف الكبير . فأرسل الباشا اليه صحبتهما هدية ومعهما ولده وديوان أفندى .

الاحد ٢٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

وصل شاهين بيك الى شبرامنت ... وقد أمر الباشا بأن يخلوا له الجيزة ، وينتقل منها الكاشف والعسكر . فعدى الجميع الى البر الشرقى ، وتسلم على كاشف الكبير الألفي القصر وما حوله وما به من الجبخانة والمدافع وآلات الحرب وغيرها .

شوال

غرته (٢ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

لم يعمل العسكر شنكهم تلك الليلة ، من رميهم بالرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحى والبيوت والأسلحة ، لانقباض نفوسهم ، وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة أيام العيد فى الأوقات الخمسة .

٥ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بيك بالجيزة .. وكان العسكر أخربوه . وكذلك بيوت الجيزة ، ولم يتركوا بها دارا عامرة الا القليل . فرسم الباشا للمعمارجية بعمارة القصر . فجمعوا

البنائين والنجارين والخراطين ، وحملوا الأخشاب من بولاق وغيرها ، وهدموا بيت أبي الشوارب ، وأحضروا الجمال والحمير لنقل أخشابه وأنقاضه ، وأخرجوا منه أخشابا عظيمة فى غاية العظم والثخن ليس لها نظير فى هذا الوقت والأوان .

٧ منه (٨ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

حضر شاهين بيك الى بر الجيزة وبات بالقصر . وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له على جربجى موسى الجيزاوى وليمة ، وفرض مصروفها وكلفتها على اهل البلدة ! وأعطاه الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية ، وأطلق له فيها التصرف ، وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من اقليم البهنسا مع كشوفيتها ، وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التى ننتقيها ويختارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية ، وضم له كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الاسكندرية ، وأطلق له التصرف فى جميع ذلك .. ومرسوماته نافذة فى سائر البر الغربى .

٩ منه (١٠ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

ركب السيد عمر افندى النقيب والمشايخ . وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية ارسلت اليهم فى تلك الليلة . فلما طلعوا الى القلعة ، ركب معهم ابن الباشا طوسون بيك . ونزل الجميع ، وساروا الى ناحية مصر القديمة .

وكان شاهين بيك عدى الى البر الشرقى ، بطائفة من الكشاف والمماليك والهوارة ، فسلموا عليه . وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ، ساروا أمام القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ، ومن خلفهم طائفة من الهوارة ، ومن خلفهم الكشاف والمماليك ، والسيد عمر النقيب والمشايخ .. ثم شاهين بيك ، وبجانبه ابن الباشا ، وخلفهم الطوائف والأتباع والخدم ، وخلفهم النقاقير . فساروا الى ناحية جهة القرافة ، وزاروا ضريح الامام الشافعى . ثم ركبوا وساروا الى القلعة ، وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان . وانفصل عنهم المشايخ ، ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا ، وسلم شاهين بيك عليه . فخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابى ، وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا ، فأذن له ان يتوجه صحبته الى سرايته ، فركب معه وتغدى عنده . ثم ركب بصحبته ، ونزلا من القلعة ، وذهب عند حسن باشا ، فقابله أيضا ، وسلم عليه ، وخلع عليه أيضا ، وقدم له خيولا وركب صحبتهما وذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا . فسلم عليه أيضا وقدم له تقادم . ثم ركب عائدا الى الجيزة ، وذهب الى مخيمه بشبرامنت ، واستمر مقيما بالمخيم حتى تمم عمارة القصر وتردد كشافهم وأجنادهم الى بيوتهم بالمدينة ، فيبيتون الليلة والليلتين ويرجعون الى مخيمهم

وفيه : قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وأمروا بالسفر الى بلادهم .

١١ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

انتقل الألفية بعرضيهم وخيامهم الى بحرى الجيزة

١٢ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

وصل أربعة من صناجق الألفية ، وهم : أحمد بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك ، ومراد بيك فطلعوا الى القلعة ، وخلع علهم الباشا فراوى ، وقلدهم سيوفا ، وقدم لهم تقادم . ثم نزلوا الى حسن باشا فسلموا عليه ، وخلع عليهم أيضا خلعا . ثم ذهبوا الى بيت صالح آغا السلحدار ، فأقاموا عنده الى أواخر النهار ثم ذهبوا الى البيوت التى

بها حريمهم ، فباتوا بها ، وذهبوا فى الصباح الى الجيزة .

١٥ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

عملت وليمة . وعقدوا لأحمد بيك الالفى على عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير ، والوكيل فى العقد شيخ السادات ، وقبل عنه محمد كتخدا بوكالته عن أحمد بيك . ودفع الصداق الباشا من عنده ، وقدره ثمانية آلاف ريال .

وفيه : اتفقوا على ارسال نعمان بيك ، ومحمد كتخدا ، وعلى كاشف الصابونجى الى ابراهيم بيك الكبير لاجراء الصلح .

وفيه أيضا : أرادوا اجراء عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بيك على نعمان بيك . فامتنعت . وقالت : « لا يكون ذلك الا عن اذن أبى . وها هو مسافر اليه فليستأذنه ، ولا أخالف أمره » . فأجيبت الى ذلك .

وأراد شاهين بيك أن يعقد لنفسه على زوجة حسين بيك المقتول ، المعروف بالوشاش — وهو خشداشه ... وهى ابنة السفطى — فاستأذن الباشا . فقال : « انى أريد أن أزوجك ابنتى وتكون صهرى ، وهى واصلة عن قريب ... أرسلت بحضورها من بلدى « قولة » . فان تأخرحضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها » .

١٦ منه (١٧ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى مضرب النشاب ، واستدعى شاهين بيك من الجيزة ، وعمل معه ميدانا ، وترامحوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف . ثم طلع الجميع الى القلعة .

واستمر شاهين بيك عند الباشا الى بعد الظهر . ثم نزل مع نعمان بيك الى بيت عديلة هانم ، فمكثا الى قبيل المغرب . ثم أرسل اليهما الباشا ، فطلعا الى القلعة ، فباتا عنده ، ونزلا فى الصباح ، وعديا الى الجيزة . قال الشاعر :

أمور تضحك السفهاء منها
ويبكى من عواقبها اللبيب

وفيه : تقلد حسن أغا سرششمة امارة دمياط عوضا عن أحمد بيك . وتقلد عبد الله كاشف الدرندلى امارة المنصورة عوضا عن عزيز أغا .

٢٣ منه (٢٤ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

وصل قابجى ومعه مرسومات : يتضمن أحدها التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر . وآخر بالدفنردارية باسم ولده ابراهيم . وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن اخراجهم الانكليز من ثغر الاسكندرية . وآخر بالتأكيد فى التشهيل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز ، واستخلاص الحرمين ، والوصية بالرعية والتجار ... وصحبته أيضا خلع وشلنجات . فأركبوه فى موكب فى صبح يوم الخميس ، وطلع الى القلعة . وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بيك وخشداشينه الألفية . وضربوا مدافع وشنكا .

وفيه : سافر ابراهيم بيك ابن الباشا على طريق القليوبية ، وصحبته طائفة من مباشرى الأقباط ، وفيهم جرجس الطويل — وهو كبيرهم — وأفندية من أفندية الروزنامة ، وكتبة مسلمين للكشف على الأطيان التى رويت من ماء النيل ، والشراقى . فأنزلوا بالقرى النوازل : من الكلف ، وحق الطرقات . وقرروا على كل فدان رواه النيل أربعمائة وخمسين نصف فضة ... تقبض للديوان ، وذلك خلاف ما للملتزم والمضاف والبرانى ، وما يضاف الى ذلك من حق الطرق والكلف المتكررة ا

ذو القعدة

فى غرته (٣١ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

فرضوا على مساتير الناس سلف أكياس . ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من أصل ما يتقرر على حصصهم من المغارم فى المستقبل ، وعينوا العساكر بطلبها . فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بأيديهم ، وخلو أكياسهم من المال . والتجأ الكثير منهم الى ذوى الجاه ، ولازموا أعتابهم حتى شفعوا فيهم ، وكشفوا غمتهم .

١٠ منه (٩ يناير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر من الجهة القبلية بأن الأمراء المصريين تحاربوا مع ياسين بيك بناحية المنية — وذلك عن أمر الباشا — وهزموه فدخل الى المنية ونهبوا حملته ومتاعه وفى أثر ذلك : حضر أبو ياسين بيك الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلى — وأميرها بونابارته الخازندار — وتقدمهم سليمان بيك الألفى فى آخرين

٢٠ منه (١٩ يناير ١٨٠٨ م) :

تعين أيضا عدة عساكر الى ناحية بحرى — وفيهم عمر بيك تابع الأشقر المصرلى — لمحافظة رشيد ، وآخرين الى الاسكندرية . ثم تعوق عمر بيك عن السفر وسبب ذلك أنه ورد قائف الانكليز الى ثغر سكندرية ، وأخبر بخروج عمارة الفرنسيس الى البحر بسيسيلية ، وربما استولوا عليها . وكذلك مالطة فلما ورد هذا الخبر ، حضر « البطروش » ، قنصل الانجليز المقيم برشيد ، الى مصر بأهله وعياله .

اواخره (اواخر يناير ١٨٠٨ م) :

جمعوا عدة كبيرة من البنائين ، والنجارين ، وأرباب الأشغال .. لعمارة أسوار وقلاع الاسكندرية وأبى قير والسواحل .

ذو الحجة

١٢ منه (١٠ فبراير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بأن سليمان بيك الألفى لما وصل الى المنية ونزل بفنائها ، خرج اليه ياسين بيك بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة عظيمة ، وانهزم ياسين بيك ، وولى هاربا الى المنية فتبعه سليمان بيك فى قلة ، وعدى الخندق خلفه ، فأصيب من كمين بداخل الخندق ، ووقع ميتا ... بعد أن نهب جميع متاع ياسين بيك وجماله وأثقاله ، وشتت جموعه ، وانحصر هو وعساكره وعربانه ، وما بقى منهم ، بداخل المنيَّة . وكانت الواقعة يوم الأربعاء سادس الشهر .

فلما ورد الخبر بذلك على الباشا ، أظهر أنه اغتم على سليمان بيك ، وتأسف على موته وأقام العزاء عليه خشداشينه بالجيزة وفى بيوتهم وطفق الباشا يلوم على جراءة المصريين واقدامهم وكيف أن سليمان بيك يخاطر بنفسه ، ويلقى بنفسه من داخل الخندق ويقول : « أنا أرسلت إليه أحذره وأقول له انه ينتظر بونابارته الخازندار ، ويراسل ياسين بيك ويطلعه على ما بيده من المراسيم ، فإن أبى وخالف ما فى ضمنها فعند ذلك يجتمعون على حربه ، وتتقدم عسكر الأتراك لمعرفتهم وصبرهم على محاصرة الأبنية فلم يستمع لما قلب له وأغرى بنفسه وايضا ينبغى لكبير الجيش التأخر عن عسكره ، فان الكبير عبارة عن المدبر الرئيس ، وبمصابه تنكسر قلوب قومه وهؤلاء القوم بخلاف ذلك ... يلقون بأنفسهم فى المهالك » .

ولما أرسل جماعة سليمان بيك يخبرون بموت كبيرهم ، وأنهم مجتمعون على حالتهم ، ومقيمون

بعرضيهم ومحطتهم على المنية ، وأنهم منتظرون من يقيمه الباشا رئيسا مكانه ... فعند ذلك أرسل الباشا الى شاهين بيك يعزيه ، ويلتمس منه أن يختار من خشداشينه من يقلده الباشا امارة سليمان بيك . فتشاور شاهين بيك مع خشداشينه ، فلم يرض أحد من الكبار أن يتقلد ذلك . ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى ، وأرسلوه الى الباشا . فخلع عليه ، وأمره بالسفر الى المنية . فأخذ فى قضاء أشغاله ، وعدى الى بر الجيزة .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بأن بونابارته الخازندار وصل الى المنية بعد الواقعة ، وياسين بيك محصور بها ، فأرسل اليه يستدعيه الى الطاعة ، وأطلعه على المكاتبات والمراسيم التى بيده من الباشا خطابا له وللأمراء الحاضرين والغائبين المصرية . وفى ضمنها : « ان أبى ياسين بيك عن الدخول فى الطاعة ، واستمر على عناده وعصيانه .. فان بونابارته والأمراء المصرية يحاربونه » . فعند ذلك نزل ياسين بيك على حكم بونابارته . وحضر عنده ، بعد أن استوثق منه بالأمان ، ووصلت الأخبار بذلك الى مصر . وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد أن صالحوا على أنفسهم ، وفتحوا لهم طريقا ، وذهبوا الى أماكنهم . واستلم بونابارته المنية ، فأقام بها يومين ، وارتحل عنها وحضر الى مصر .

١٩ منه (١٧ فبراير ١٨٠٨ م) :

حضر ياسين بيك الى ثغر بولاق ، وركب فى صبحها وطلع الى القلعة . فعوقه الباشا وأراد قتله . فتعصب له عمر بيك الأرنؤودى وصالح قوج وغيرهما ، وطلعوا فى يوم الجمعة ... وقد رتب الباشا عساكره وجنده ، وأوقفهم بالأبواب الداخلة والخارجة وبين يديه . وتكلم عمر بيك وصالح أغا مع الباشا فى أمره ، وأن يقيم بمصر . فقال الباشا : « لا يمكن أن يقيم بمصر ... والساعة أقتله وأنظر أى شىء يكون » . فلم يسع المتعصبين له الا الامتثال . ثم أحضره ، وخلع عليه فروة ، وأنعم عليه بأربعين كيسا . ونزلوا بصحبته بعد الظهر الى بولاق . وسافر الى دمياط ليذهب الى قبرص ومعه محافظون .

٢٠ منه (١٨ فبراير ١٨٠٨ م) :

حضر بونابارته الخازندار من المنية الى مصر . وانقضت السنة .

* * *

وأما من مات فيها ممن له ذكر . فمات الشيخ العلامة ، بقية العلماء والفضلاء والصالحين ، الورع القانع : الشيخ أحمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوى الذهبى الشافعى الضرير .

ولد ببلدة « برما » بالمنوفية سنة ١١٣٨ ، ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصرى ، ثم انتقل الى مصر ، فجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة ، وتخرج فى الحديث على الشيخ أحمد البرماوى ، وحضر دروس مشايخ الأزهر : كالشيخ محمد فارس والشيخ على قايتباى والشيخ الدفرى والشيخ سليمان الزيات والشيخ الملوى والشيخ المدابغى والشيخ الغنيمى والشيخ محمد الحفنى وأخيه الشيخ يوسف وعبد الكريم الزيات والشيخ عمر الطحلاوى والشيخ سالم النفراوى والشيخ عمر الشنوانى والشيخ أحمد رزه والشيخ سليمان البسوسى والشيخ على الصعيدى .

وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة ، ولازم الاقراء . وكان منجمعا عن الناس ، قانعا راضيا بما قسم له ، لا يزاحم على الدنيا ، ولا يتداخل فى أمورها .

وأخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى : أنه ولد بصيرا ، فأصابه الجدرى ، فطمس بصره فى صغره ، فأخذه عم أبيه الشيخ صالح الذهبى ، ودعا له ، فقال فى دعائه : « اللهم كما أعميت بصره ، نور بصيرته » . فاستجاب الله دعاءه. وكان قوى الادراك ويمشى وحده من غير قائد ، ويركب من غير خادم ، ويذهب فى حوائجه المسافة البعيدة ، ويأتى الى الأزهر ولا يخطىء الطريق ، ويتنحى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه ، أو شىء معترض فى طريقه. أقوى من ذى بصر ! فكان يضرب به المثل فى ذلك من شدة التعجب . كما قال القائل :

ما عماء العيون مثل عمى القلـ
ـب فهذا هو العمى والبلاء

فعماء العيون تغميض عين
وعماء القلوب فهو الشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع ، والاشتغال بالعلم والعمل به ، وتلاوة القرآن ، وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن .. الى أن توفى يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وله من العمر أربع وثمانون سنة ، وصلى عليه بجامع طولون ، ودفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضى الله عنها ، بجانب الشيخ البرماوى رحمه الله وبارك فى ولده الشيخ مصطفى ، وأعانه على وقته

* * *

ومات العمدة الفاضل ، حاوى الكمالات والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى

ولد سنة ١٢٦٣ ، وتربى فى حجر جده ، وتخلق بأخلاقه ، وحفظ القرآن والألفية والمتون ، وحضر دروس جده وأخى جده الشيخ يوسف الحفناوى ، وحضر أشياخ الوقت : كالشيخ على العدوى والشيخ أحمد الدردير والشيخ عطية الأجهورى والشيخ عيسى البراوى وغيرهم .

وتمهر وانجب ، وأخذ طريق الخلوتية عن جده، ولقنه الأسماء ولما توفى جده ، ألقى الدروس فى محله بالأزهر ونشأ من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس ، وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيوية ، ولازم الاشتغال بالعلم ، وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته

وكان عظيم النفس مع تهذيب الأخلاق والتبسط مع الاخوان والممازحة مع تجنبه ما يخل بالمروءة .

وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ولم يزل على حالته الى أن توفى يوم السبت رابع شهر ربيع الأول من السنة وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن مع جده فى تربة واحدة بمقبرة المجاورين ولم يخلف ذكوراً.. رحمه الله

* * *

ومات الشيخ العلامة المفيد ، والنحرير المجيد : محمد الحصافى الشافعى ، الفقيه النحوى الفرضى تلقى العلوم ، وحضر أشياخ الطبقة الأولى ، ودرس العلوم بالأزهر ، وأفاد الطلبة ، وقرأ الكتب المفيدة ، وعاش طول عمره منعكفا فى زوايا الخمول ، منعزلا عن الدنيا ، وهى منعزلة عنه ، راضياً بما قسم الله له ، قانعا بما يسره له مولاه لا يدعى فى وليمة ، ولا ينهمك على شىء من أمور الدنيا

ولم يزل على حالته ، حتى توفى يوم الاثنين ثالث عشر شوال من السنة

* * *

ومات العمدة المفضل : الشيخ محمد عبد الفتاح المالكى ، من أهالى « كفر حشاد » بالمنوفية .

قدم من بلده صغيرا ، فجاور بالأزهر ، وحضر على أشياخ الوقت ، ولازم دروس الشيخ الأمير وبه تخرج ، وتفقه عليه وعلى غيره من علماء المالكية ، وتمهر فى المعقولات وأنجب ، وصارت له ملكة واستحضار . ثم سافر الى بلده ، وأقام بها يفيد ويفتى ، ويرجعون اليه فى قضاياهم ودعاويهم فيقضى بينهم ، ولا يقبل من أحد جعالة ولا هدية . فاشتهر ذكره بالاقليم ، واعتقدوا فيه الصلاح والعفة ، وأنه لا يقضى الا بالحق ، ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ، ولا يحابى فى الحق . فامتثلوا لقضاياه وأوامره . فكان اذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين ، رجعا الى المترجم وأعادا عليه دعواهما فان رأى القضاء صحيحا موافقا للشرع أمضاه ، وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد ذلك أبدا ، ويذعن لما قضاه الشيخ لعلمه أنه لالغرض دنيوى . والا أخبرهم بأن الحق خلافه . فيمتثل الخصم الآخر .

ولم يزل على حالته .. حتى كان المولد المعتاد بطندتا . فذهب ابن الشيخ الأمير الى هناك ، فأتى لزيارة ابن شيخه ، ونزل فى الدار التى هو نازل فيها ، فانهدمت الجهة التى هو بها ، وسقطت عليه ، فمات شهيدا مردوما ومعه ثلاثة أنفار من أهالى قرية « العكروت » ، وذلك فى أوائل شهر الحجة . ولم يخلف بعده مثله ، رحمه الله .

* * *

ومات الأمير سعيد ، أغا دار السعادة ، العثمانى الحبشى . قدم الى مصر بعد مجىء يوسف باشا الوزير فى أهبة ، ونزل بدرب الجماميز فى البيت الذى كان نزل به شريف أفندى الدفتردار ، بعد انتقاله منه . وفتح باب التفتيش على جهات أوقاف الحرمين وغيرها .

وأخاف الناس ، وحضر اليه كتبة الأوقاف ، وجلسوا لمقارفة الناس ، والتعنت عليهم بطلب السندات ، ويهولون عليهم بالأغا المذكور ، ويأخذون منهم المصالحات ، ثم ينهون اليه الأمر على حسب أغراضهم ، ويعطونه جزءا ، ويأخذون لأنفسهم الباقى . ثم تنبه لذلك ، فطرد غالبهم وشدد على الباقين ، وتساهل مع الناس .

وكان رئيسا عاقلا ، معدودا فى الرؤساء . تعمل عنده الدواوين والاجتماعات فى مهمات الأمور والوقائع — كما تقدم ذكر ذلك فى مواضعه — ثم انه تمرض بذات الرئة شهورا ، ومات فى يوم الاثنين رابع شهر صفر .

* * *

ومات الأمير سليمان بيك المرادى — وهو من الأمراء الذين تأمروا بعد موت مراد بيك — وكان ظالما غشوما ، ويعرف بريحه (بتشديد الياء) . وسبب تسميته بذلك : أنه كان اذا أراد قتل انسان ظلما يقول لأحد أعوانه : « خذه وريحه » . فيأخذه ويقتله !

ومات فى واقعة أسيوط الأخيرة ... أخذت جلة المدفع دماغه ، وقطع ذراعه . وعرفوا قتله بخاتمه الذى فى أصبعه فى ذراعه المقطوع .

* * *

ومات سليمان بيك الألفى الذى قتل فى واقعة ياسين بيك بالمنية عند الخندق ... وغير هؤلاء . والله أعلم .

سنة ١٢٢٣ هجرية

المحـرم

الأحد غرته (٢٨ فبراير ١٨٠٨ م) :

برز القابجى ، المسمى بيانجى بيك ، الى السفر على طريق البر . وخرج الباشا لوداعه .

وهـذا القابجى كان حضر بالأوامر بخـروج العساكر للبلاد الحجازية ، وخلاص البلاد من أيدى الوهابية . وفى مراسيمه التى حضر بها : التأكيـد والحث على ذلك . فلم يزل الباشا يخادعه ، ويعده بانفاذ الأمر ، ويعرفه أن هذا الأمر لا يتم بالعجلة ، ويحتاج الى اسـتعداد كبير ، وانشاء مراكب فى القلزم ... وغير ذلك من الاستعدادات .

وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالى والسيد عمر والمشـايخ . وقال لهم : « لا يخفاكم أن الحرمين اسـتولى عليهـا الوهابيون ، ومشوا أحكامهم بها وقد وردت علينا الأوامر السـلطانية ، المرة بعد المرة ، للخـروج اليهم ومحاربتهم وجلائهم وطردهم عن الحرمين الشريفين . ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التى كانت سببا فى التأخير عن المبادرة فى امتثال الأوامر . والآن حصل الهدو ، وحضر قابجى باشا بالتأكيد والحث على خروج العساكر وسـفرهم . وقد حسـبنا المصاريف اللازمة فى هـذا الوقت فبلغت أربعـة وعشرين الف كيس .. فأعملوا رأيكم فى تحصيلها». فحصل ارتباك واضطراب ، وشاع ذلك فى الناس ، وزاد بهم الوسواس . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القابجى معه .. بصورة نمقوها .

الجمعة ٦ منه (٤ مارس ١٨٠٨ م) :

حضر مرزوق بيك ، وسليم بيـك المحرمجى ، وعلى كاشف الصابونجى المرسـل . فطلعوا الى القلعة ، وقابلوا الباشا . وخلع على مرزوق بيك والمحرمجى فروتين ، ونزلا الى دورهمـا . ثم ترددوا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسـائل الأمـراء القبليين ، وذكـروا مطالبهم وشروطهم وشروط الباشا عليهم ، والاتفاق فى تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام .

وفيه : حضر عرب الهنادى والجهنة وصالحوا على أنفسهم ، وأن يرجعوا الى منازلهم بالبحيرة ، ويطردوا أولاد على — وكانوا تغلبوا على الاقليم ، وحصـل منهـم الفسـاد والافسـاد — وكانت مصالحتهم بيد شـاهين بيك الألفى ، وسافر معهم شاهين بيك وخشداشينه ، ولم يبق بالجيزة سوى نعمـان بيـك ، وذهبوا الى ناحيـة دمنهور ، وارتحل أولاد على الى حوش ابن عيسى . وذلك أواخر المحـرم .

ثم ان شاهين بيك ركب بمن معه وحاربوهم ، ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وقتل فيها شحصان من كبار الأجناد الألفية ، وهم : عثمان كاشف وآخر ، ونحو سـتة مماليـك ، وقتل جملة كثـيرة من العـرب ، وانكشف الحرب عن هزيمـة العرب ، وأسروا منهم نحو الأربعين ، وغنموا منهم غنـائم كثيرة من أغنام وجمـال . وتفرقوا وتشتتوا ، وذهبوا الى ناحيـة قبلى والفيوم ... وذلك فى شهر صفر .

ملحوظة : لم يرد شىء عن شهرى صفر وربيع الاول ، ولعل ذلك لعدم وجود حوادث بهما .

ربيع الآخر

الأحد ١٠ منه (٥ يونية ١٨٠٨ م) :

حضر شاهين بيك وباقى الألفية .

الأربعاء ٢٠ منه (١٥ يونية ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بموت شاهين بيك المرادى . فخلع الباشا على سليم بيك المخرمجى ، وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية ، عوضا عن شاهين بيك ، وسافر الى قبلى

وفيه حضر أيضا أمين بيك الألفى من غيبته . وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد ، وحصل لهم ما حصل... فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح خشداشينه مع الباشا ، فرجع وطلع على ردته . فأرسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم ، وحضر فى التاريخ المذكور .

وفيه : زوج الباشا شاهين بيك سرية ... انتقتها زوجة الباشا ونظمتها وفُرش له سبعة مجالس بقصر الجيزة ، وجمعوا لذلك المنجدين ، وتقيد بتجهيز الشوار والأقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن وكذلك زوج نعمان بيك سرية أخرى ، وسكن بيت المشهدى بدرب الدليل ... بعد أن عمرت له الدار ، وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بيك بجارية من جوارى الست نفيسة المرادية ، وجهزتها جهازا نفيسا من مالها وتزوج أيضا على كاشف الكبير الألفى بزوجة أستاذه .

جمادى الأولى

(يونية - يولية ١٨٠٨ م) :

سافر مرزوق بيك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الأمراء المصريين القبالى وقلد الباشا مرزوق بيك ولاية جرجا وامارة الصعيد ، وألبسه الخلعة، وشرط عليه ارسال المال والغلال الميرية . فعند ذلك اطمأنت الناس ، وسافرت السفار والمتسببون ، ووصل الى السواحل مراكب الغلال ، والأشياء التى تجلب من الجهة القبلية .

جمادى الآخرة

قطع الباشا مرتب الدلاة الأغراب ، وأخرجهم ، وعزل كبيرهم الذى يسمى كردى بوالى ، الساكن ببولاق وقلد ذلك مصطفى بيك من أقاربه ، وجعله كبيرا على طائفة الدلاتية الباقين ، وضم اليهم طائفة من الأتراك .. ألبسهم طراطير وجعلهم دلاتية وسافر كردى بوالى لبلاده فى منتصف الشهر ، وخرج صحبته عدة كبيرة من الدلاة

اواخره (أواخر اغسطس ١٨٠٨ م) :

وردت الأخبار من اسلامبول وذلك أن طائفة من الينكجرية تعصبت ، وقامت على السلطان سليم ... وعزلوه ، وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى . وأبطلوا النظام الجديد ، وقتلوا دفتردار النظام الجديد وكتخدا الدولة ودفتردار الدولة وغيرهم ، وقطعوهم فى « أت ميدان » ، بعد أن تغيبوا واختفوا فى أماكن ... حتى فى بيوت النصارى . واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد ، فكانوا يسحبون الأمير منهم المترفه ، على صورة منكرة ، الى « أت ميدان » فيقتلونه ، وبعضهم قطعوه فى الطريق وسكن الحال على سُلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد .

وكان السلطان سليم — عندما أحس بحركة الينكجرية — أرسل يستنجد ويستدعى مصطفى باشا البيرقدار ، وكان « برشق » بالرملى بمخيم العرضى المتعين على حرب الموسكوب ، ووصل خبر الواقعة الى من بالعرضى ، فأقام أيضا الينكجرية الفتنة بالعرضى ، وقتلوا أغاة العرضى وخلافه .

وهــرب الرئيس وخلافه عنــد مصطفى باشا المذكور — وقد وصله مراسلة السلطان سليم — فحركوا همتــه على القيــام بنصرة السلطان سليم على الينكجرية ، فركب من العرضى فى عدة وافرة ، وحضر الى اسلامبول ، وشق بجمعه وعسكره من وسطها فى كبكبة حتى وصــل الى باب السراية ، فوجده مغلوقا ، فأراد كسره أو حرقه ... الى أن فتحوه بالعنف . وعبر الى داخل السراية ، وطلب السلطان سليم فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولى جماعة من خاصــته فدخلوا على السلطان سليم فى المكان الذى هــو مختف به ، وقتــلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات ، وأحضروه ميتا الى مصطفى باشا البيرقدار ، وقالوا له : « ها هو الســلطان سليم الذى تطلبــه » . فلما رآه ميتا بكى وتأسف .

ثم انه عزل السلطان مصطفى ، وأحضر محمودا أخاه ابن عبد الحميد ، وأجلسه على تخت الملك. ونودى باسمه — وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة — وعمره ثلاث وعشرون ســنة • ومات السلطان سليم وعمــره احــدى وخمسون سنة ، لأنه ولد ســنة ١١٧٢ . ومدة ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهرا

فلما وردت هذه الأخبار ، وتواترت فى مكاتبات التجار والسفار ... خطب بعض الخطبــاء ، يــوم الجمعة سادس عشرينه ، باسم السلطان محمود ، وبعضهم أطلق فى الدعاء ولم يذكر الاسم .

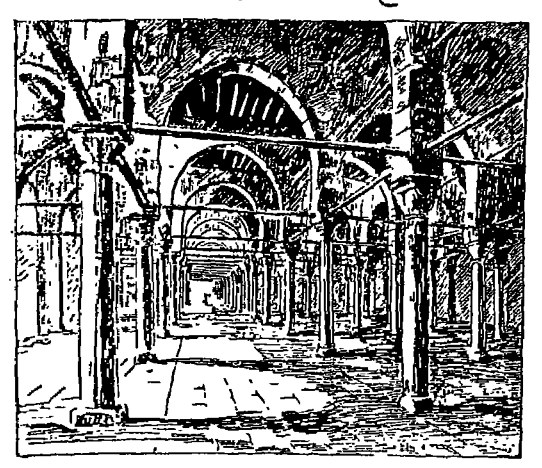
وفيه : قوى عزم الباشا على السفر الى جهــة دمياط ورشيد والاسكندرية فطلب لوازم السفر ، ووعد بسفره بعد قطع الخليج . وطفق يستعجل بالوفاء ، ويطلب ابن الرداد المقياسى ويسأله عن الوفاء ، ويقول : « اقطعوا جسر الخليج فى غد أو بعد غد » فيقول : « تأمرونا بقطعه قبل الوفاء ؟ » فيقول : « لا » ويقول : « ليس الوفاء بأيدينا » .

السبت ٢٧ منه (٢٠ أغسطس ١٨٠٨ م ـ ١٥ مسرى ١٥٢٤ ق) :

نقص النيل نحو خمسة أصــابع . وانكشف الحجر الراقد الذى عند فم الخليج تحت الحجر القائم . فضج الناس ، ورفعوا الغلال من الرقــع والعرصات والسواحل . وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل فى العام الماضى ، وهيفان الزرع ، وتنوع المظالم ، وخراب الريف وجلاء أهله .

واجتمع فى ذلك اليوم المشايخ عند الباشا ، فقال لهــم : « اعملوا استسقاء ، وأمروا الفقــراء والضعفاء والأطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا الله » . فقال له الشيخ الشرقاوى : « ينبغى أن ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم » . فقال : « أنا لست بظالم وحدى ، وأنتــم أظلم منى ... فانى رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم اكراما لكم .. وأنتم تأخذونها من الفلاحين ! وعندى دفتر محرر فيــه ما تحت أيديكم من الحصص يبلغ ألفين كيس . ولا بد انى أفحص عن ذلك . وكل من وجــدته يأخذ الفرضة المدفوعة من فلاحينه ، أرفع الحصة عنه » . فقالوا له : « لك ذلك » .

ثم اتفقوا على الخروج والســقيا فى صبحها بجامع عمرو بن العاص — لكونه محــل الصحابة والسلف الصالح — يصلون به صلاة الاستسقاء .



جامع عمرو بن العاص

ويدعون الله ويستغفرونه ، ويتضرعون اليه في زيادة النيل .. وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم ، والأطفال . واجتمع عالم كثير ، وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر القديمة . فلما كان صبحها ، وتكامل الجمع ، صعد الشيخ جاد المولى على المنبر ، وخطب بعد أن صلى صلاة الاستسقاء ، ودعا الله ، وأمن الناس على دعائه . وحول رداءه . ورجع الناس بعد صلاة الظهر . وبات السيد عمر هناك .

وفي تلك الليلة : رجع الماء الى محل الزيادة الأولى ، واستتر الحجر الراقد بالماء .

الاثنين ٢٩ منه (٢٢ اغسطس ١٨٠٨ م) :

خرجوا أيضا ، وأشار بعض الناس باحضار النصارى أيضا ... فحضروا ، وحضر المعلم غالى ، ومن يصحبه من الكتبة الأقباط ، وجلسوا في ناحية من المسجد يشربون الدخان ! وانفض الجمع أيضا .

وفي تلك الليلة ، التي هي ليلة الثلاثاء ، زاد الماء ، ونودى بالوفاء . وفرح الناس ، وطفق النصارى يقولون : ان الزيادة لم تحصل الا بخروجنا ...

فلما كانت ليلة الأربعاء : طاف المنادون بالرايات الحمر ، ونادوا بالوفاء ، وعمل الشنك والوقدة ... تلك الليلة على العادة

وفي صبحها حضر الباشا والقاضي ، واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء في الخليج جريانا ضعيفا لعلو أرض الخليج وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه من مدة سنين . وكان ذلك يوم الأربعاء غرة شهر رجب وتاسع عشر مسرى القبطي .

رجب

٢ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠٨ م) :

وصل الى بولاق راغب افندى ــ وهو أخو خليل افندى الرجائي ، الدفتردار المقتول ــ وعلى يده مرسوم باجراء الخطبة باسم السلطان محمود بن عبد الحميد . وأنزلوه ببيت ابن السباعي بالغورية . وضربوا مدافع بالقلعة وشنكا ، ثلاثة أيام ، في الأوقات الخمسة .. وخطب الخطباء في صبحها باسم السلطان محمود والدعاء له في جميع المساجد .

٥ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠٨ م) :

سافر محمد على باشا الى بحرى ، ونزل في المراكب . وأرسل قبل نزوله بأيام بتشهيل الاقامات والكلف على البلاد ، من كل صنف خمسة عشر . وأخلوا له ولمن معه بيوت البنادر ــ مثل المنصورة ، ودمياط ، ورشيد ، والمحلة ، والاسكندرية ــ وفرض الفرض والمغارم على البلاد ، على حكم القراريط التي كانوا ابتدعوها في العام الماضي ... على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة ، وسماها كلفة الذخيرة ، وأمر بكتابة دفتر لذلك .

فكتب اليه الروزنامجي « أن الخراب استولى على كثير من البلاد . فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب » فأرسل من المنصورة يأمر بتحرير العمار بدفتر مستقل ، والخراب بدفتر آخر .

فلما فعل الروزنامجي ذلك ، أدخل فيها بلادا بها بعض الرمق لتخلص من الفرضة ، وفيها ماهو لنفسه . فلما وصلت اليه ، أمر بتوزيع ذلك الخراب على أولاده وأتباعه وأغراضه ــ وعدتها مائة وستون بلدة ــ وأمر الروزنامجي بكتابة تقاسيطها بالأسماء التي عينها له . فلم يمكن الروزنامجي

أن يتلافى ذلك فتظهر خيانته . ووزعت وارتفعت عن أصحابها .

وكذلك حصل باقليم البحيرة ، لما عمها الخراب وتعطل خراجهـا ، وطلبوا المـيرى من الملتزمين . فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب . فرفعوها عنهم، وفرقهـا الباشا على أتبـاعه . واستولوا عليهـا ، وطلبوا الفلاحين الشاردة ، والمتسحبة من البـلاد الأخر ، وأمروهم بسكناها .

وزادوا فى الطنبـــور نغمـــات ، وهـو أنهم صـاروا يتتبعـون أولاد البـلد ، وأرباب الصنائع الذين لهم نسـبة قديمة بالقرى ، وذلك باغراء أتباعهم وأعوانهم .. فيكون الشخص منهم جالسا فى حانوته وصناعته ، فما يشعر الا والأعوان محيطون به يطلبونه الى مخدومهم . فان امتنع أو تلكأ ، سحبوه بالقهر ، وأدخلوه الى الحبس ، وهو لا يعرف له ذنبـا . فيقول : « وما ذنبى ؟ » . فيقال له : « عليك مال الطين » . فيقول : « وأى شىء يكون الطين ؟ » . فيقـولون له : « طـين فلاحتك ... من مدة سنين لم تدفعه ، وقدره كذا وكذا » . فيقول : « لا أعرف ذلك ، ولا أعرف البلد ، ولا رأيتها فى عمرى ... لا أنا ولا أبى ولا جدى ! » . فيقال له : « ألست فلانا ... الشبراوى أو المنياوى مثلا ؟ » فيقول لهم : « هذه نسبة قديمة سرت الى من عمى أو خالى أو جدى .. » . فلا يقبل منه ، ويحبس ويضرب حتى يدفع ما ألزموه به ، أو يجد شافعا يصالح عليه . وقد وقع ذلك لكثير من المتسببين والتجار وصناع الحرير وغيرهم .

ولم يزل الباشا فى سيره حتى وصل الى دمياط ، وفرض على أهلها أكياسا ، وأخـذ من حكامها هدايا وتقادم . ثم رجع الى سمنود ، وركب فى البر الى المحلة ، وقبض مافرضه عليهـا ، وهـو خمسون كيسا ، نقصت سبعة أكياس ... عجزوا عنها بعد الحبس والعقاب . وقدم له حاكمها ستين جملا وأربعين حصانا خلاف الأقمشة المحلاوية مثل الزردخانات والمقاطع الحرير ، وما يصنع بالمحلة من أنواع الثياب والأمتعة ، صناعة من بقى بهـا من الصناع .

ثم ارتحل عنها ورجع الى بحر منوف ، وذهب الى رشيد والاسكندرية . ولما استقر بها عبى هدية الى الدولة ، وأرسل الى مصر فطلب عدة قناطير من البن ، والأقمشة الهندية ، وسبعمائة أردب أرز أبيض .. أخذت من بلاد الأرز . وأرسـل الهدية صحبة ابراهيم افندى المهردار . وحضر اليه ، وهو بالاسكندرية ، قابجى من طرف مصطفى باشـا البيرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على أثره ، ولم يعلم ما دار بينهما .

شعبـان

الخميس ١٥ منه (٦ أكتوبر ١٨٠٨ م) :

حضر محمد على باشا من غيبته ، وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره ، وذهب الى داره بالأزبكيـة . ثم طلع فى ثانى يوم الى القلعة ، وضربوا لقدومه مدافع .

رمضـان

الجمعة غرته (٢١ أكتوبر ١٨٠٨ م) :

وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية ، وظهر حريقها من كنيسة الأروام .

وفيه : سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بيك الألفى ، ومعه طائفة من المماليك ، الى البحيرة بسبب عربان أولاد على . فانهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالاقليم ، وشاركوا ، وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادى والجهنة . فلما اصطلح الألفية مع الباشا ، توسط شاهين بيك فى صلح الهنـادى والجهنة على قدر ، وذلك لما كان بينهم وبين أستاذه

من النسابة . ونزل صحبتهم الى البحيرة ، وعمرهم بأرضها كما كانوا أولا ، وطرد أولاد على وحاربهم ، ومكن الهنادى والجهنة ، ورجع الى الجيزة .

فراسل أولاد على الباشا بوساطة بعض أهل الدولة ، وعملوا للباشا مائة ألف ريال على رجوعهم للبحيرة واخراج الهنادى . فأجابهم طمعا فى المال . فحنق أولئك وعصوا ، وحاربوا أولاد على ، ونهبوا ونالوا منهم بعد أن كانوا ضيقوا عليهم .

وحصلت اختلافات ، وامتنع أولاد على من دفع المال الذى قرروه على أنفسهم ، واجتمعوا بحوش ابن عيسى . فأرسل اليهم الباشا عمر بيك المذكور ومن معه ، فحاربوهم مع الهنادى . فظهر عليهم أولاد على وهزموهم ، وقتل من الدلاة أكثر من مائة ، وكذلك من العسكر ، ونحو الخمسة عشر من المماليك . فأمر الباشا بسفر عساكر أيضا ، وصحبتهم نعمان بيك وخلافه . وسافرت طائفة من العرب الى ناحية الفيوم ، فأرسلوا لهم عدة من العسكر .

آخره (١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م) :

سافر أيضا شاهين بيك وباقى الألفية ، خلاف أحمد بيك ، فانه أقام بالجيزة .

وفيه : نودى على المعاملة بأن يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين ، وكان بلغ فى مصارفته الى مائتين وأربعين . والمحبوب بمائتين وخمسين ، فنودى على صرفه بمائتين وأربعين وذلك كله من عدم الفضة العددية بأيدى الناس والصيارف لتحكيرهم عليها ، ليأخذها تجار الشام بفرط فى مصارفتها تضم للميرى ... فيدور الشخص على صرف القرش الواحد ، فلا يجد صرفه الا بعد جهد شديد ، ويصرفه الصراف أو خلافه للمضطر بنقص نصفين أو ثلاثة .

وفيه : سافر أيضا حسن الشماشرجى ولحق بالمجردين .

وفيه : ورد الخبر بأن محو بيك ، كاشف البحيرة ، قبض على السيد حسين نقيب الأشراف بدمنهور ، وأهانه وضربه وصادره ، وأخذ منه ألفى ريال بعد أن حلف أنه ان لم يأت بها فى مدة أربع وعشرين ساعة ، والا قتله . فوقع فى عرض النصارى المباشرين ، فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة . وكذلك قبض على رجل من التجار ، وقرر عليه جملة كثيرة من المال . فدفع الذى حصلته يده . وبقى عليه باقى ما قرره عليه . فلم يزل فى حبسه حتى مات تحت العقوبة . فطلب أهله رمته . فحلف لا يعطيها لهم حتى يكون ابنه فى الحبس مكانه !

ومن الحوادث السماوية : أن فى سابع عشرين رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى ، وأمطرت بردا فى مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر فهدمت دورا ، وأصابت أنعاما .. غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدرى .

شـــوال

اواخره (حوالى منتصف ديسمبر ١٨٠٨ م) :

حضر شاهين بيك الألفى من ناحية البحيرة ، وذلك بعد ارتحال أولاد على من الاقليم .

وفيه أيضا : حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلى ، وصحبته عدة من المماليك ، وأربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه ، وأنزله ببيت طنان بسويقة العزى ، وسكن بها . وحضر مطرودا من اخوانه المرادية .

ذو القعـــدة

الاثنين غرته (١٩ ديسمبر ١٨٠٨ م) :

فيه : عزل الباشا السيد المحروقى عن نظارة الضربخانة ، ونصب بها شخصا من أقاربه .

السبت ١٣ منه (٣١ ديسمبر ١٨٠٨ م):

نزل والى الشرطة ، وأمامه المناداة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة .. على أن يكون على كل كيس ستة عشر قرشا فى كل شهر لاغير — والكيس عشرون ألف نصف فضة ، وهو الكيس الرومى — وذلك بسبب ما انكسر على المحتاجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا لضيق المعاش ، وانقطاع المكاسب ، وغلو الاسعار، وزيادة المكوس . فيضطر الشخص الى الاستدانة فلا يجد من يداينه من أهل البلد ، فيستدين من أحد العسكر ، ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشا فى كل شهر . واذا قصرت يد المديون عن الوفاء ، أضافوا الزيادة على الأصل . وبطول الزمن تفحش الزيادة ، ويؤول الأمر لكشف حال المديون .

وجرى ذلك على كثير من مساتير الناس ، وباعوا أملاكهم ومتاعهم . والبعض لما ضاق به الحال ، ولم يجد شيئا ، خرج هاربا ، وترك أهله وعياله خوفا من العسكرى وما يلاقى منه ، وربما قتله . فأعرض بعض المديونين الى الباشا . فأمر بكتابة هذا البيورلدى ، ونزل به والى الشرطية ، ونادى به فى الأسواق . فعد ذلك من غرائب الحكام .. حيث ينادى على الربا جهارا فى الأسواق ، من غير احتشام ولا مبالاة ، لأنهم لا يرون ذلك عيبا فى عقيدتهم !

الاربعاء ٢٤ منه (١١ يناير ١٨٠٩ م):

غضب الباشا على محو بيك الكبير ، الذى كان كاشفا بالبحيرة ، ونفاه الى أبى قير وأخذ أمواله ، وأنعم ببيته — وهو بيت حسين أغا شنن بحارة عابدين — وما بها من الخيل والجمال والجوار والخيام والمتاع ، على محو بيك الصغير الأورفلى .

ذو الحجة

غرته (١٨ يناير ١٨٠٩ م):

وصلت الأخبار من اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة . وأنه لما حصل ما حصل فى منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة ، وقتل السلطان سليم ، وتولية السلطان محمود ، وخذلان الينكجرية وقتلهم ونفيهم ، وتحكم مصطفى باشا فى أمور الدولة ... واستمر من بقى منهم تحت الحكم ، فاجمعوا أمرهم ، ومكروا مكرهم . وحذر بعضهم مصطفى باشا من المذكورين ، فلم يكترث بذلك ، واستهون أمرهم ، واحتقر جانبهم ، وقال : « أى شيء هؤلاء ؟ .. مناولرى » بمعنى أنهم بياعون الفاكهة . فكان حاله كما قيل :

فلا تحتقر كيد العدو فربما
تموت الأفاعى من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى سرايته على حين غفلة ، بعد السحور ، ليلة السابع والعشرين من رمضان — وجماعته وطائفته متفرقون فى أماكنهم — فحرقوا باب السراية ، وكبسوا عليه . فقتل من قتل من أتباعه ، وهرب من هرب على حمية . واختفى مصطفى باشا فى سرداب فلم يجدوه ، وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب . وخاف السلطان ، لأن سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ، ففتح باب السراية التى بناحية البحر ، وأرسل يستعجل قاضى باشا بالحضور ، وكذلك قبطان باشا .. فحضرا الى السراية ، واشتد الحرب بين الفريقين ، وأكثر الينكجرية من الحريق فى البلدة ، حتى أحرقوا منها جانبا كبيرا .

فلما عاين السلطان ذلك ... هاله ، وخاف من عموم حريق البلدة — وهو ومن معه محصورون

بالسراية يوماً وليلة — فلم يسعه الا تلافى الأمر . فراسل كبار الينكجرية ، وصالحهم . وأبطلوا الحرب ، وشرعوا فى اطفاء الحريق . وخرج قاضى باشا هاربا ، وكذلك قبودان باشا — وهو عبد الله رامز أفندى الذى كان فى أيام الوزير بمصر — ثم انهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان الذى اختفى فيه ميتا من تحت الردم ، وسحبوه من رجليه الى خارج ، وعلقوه فى شجرة ، ومثلوا به ، وأكثروا على رمته من السخرية !

وعند وقوع هذه الحادثة ، ومجىء قاضى باشا — وكان من أغراض السلطان مصطفى المنفصل — فخاف السلطان أن قاضى باشا ، ان غلب على الينكجرية ، فيعزله ويولى أخاه ، ويرده الى السلطنة ... فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى خنقا . ثم لما سكن الحال ، عينوا على قاضى باشا وقتلوه ، وكذلك عبد الله أفندى رامز قبودان باشا .

وكان مصطفى باشا البيرقدار هذا ، مشكور السيرة ، يحب اقامة العدل .. والوقت بخلاف ذلك .

وفيه : قوى الاهتمام بسد ترعة الفرعونية ، وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلى الذى كان مباشرا على جسر الاسكندرية .

١٥ منه (اول فبراير ١٨٠٩ م) :

سافر الباشا ، وبصحبته حسن باشا ، لمباشرة لترعة التى يريدون سدها ، وأمر بوسق الأحجار . وأفردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن بالأحجار والأخشاب الكثيرة ، وترجع فارغة ، وتعود موسوقة فى كل يوم مرة . وأمر بجمع الرجال من القرى للعمل .

وفيه أيضا : شرع الباشا فى انشاء أبنية بساحل شبرا — الشهيرة الآن بشبرا المكاسة — وأشيع أن قصده انشاء سواقى وعمائر وبساتين ومزارع . وأخذ فى الاستيلاء على ما يحاذى ذلك من القرى والأطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا الى جهة بركة الحاج ... عرضا .

١٧ منه (٣ فبراير ١٨٠٩ م) :

خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربى بقصد الذهاب الى الفيوم ، صحبة شاهين بيك والألفية ، بسبب أولاد على الذين كانوا بالبحيرة .

٢٢ منه (٨ فبراير ١٨٠٩ م) :

وصل واحد قابجى وأشيع أنه طلع من بولاق ، وذهب الى بيت الباشا ، وعلى يده مرسومان : أحدهما تقرير للباشا على ولاية مصر . والثانى يذكر فيه أن يوسف باشا المعدلى ، الصدر السابق ، تعين بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز ، وأن يقوم محمد على باشا بلوازمه وما يحتاج اليه من أدوات وذخيرة وغير ذلك . ولم يظهر لذلك الكلام أثر .

ولما أصبح النهار ، وحضر ذلك القابجى فى موكب الى بيت الباشا ، وحضر الأشياخ والأعيان — وكان الباشا غائبا فى الترعة كما تقدم — وعوضه كتخدا بيك ، وأكابر دولتهم ، وقرئت المراسيم ... تحقق الخبر .

وانقضت السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها .

فمن الحوادث العامة : توالى الفرض والمظالم المتوالية ، واحداث أنواع المظالم على كل شىء ، والتزايد فيها ، واستمرار الغلاء فى جميع أسعار المبيعات والمآكل والمشارب بسبب ذلك ، وفقر أهل القرى ، وبيعهم لمواشيهم فى المغارم ، فقل اللحم والسمن والجبن . وأخذ مواشيهم وأغنامهم من غير ثمن فى الكلف ، ثم رميها على الجزارين بأغلى

لمن ، ولا يذبحونها الا فى المذبح ، ويؤخذ منهم أسقاطها وجلودها ورؤوسها ورواتب الباشا وأهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لحوانيتهم . فتباع على أهل البلد بأغلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله واذا عثر المحتسب على جزار ذبح شـاة اشتراها فى غير المذبح ، قبض عليه وأشهره ، وأخذ ما فى حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويغرم مالا ، ولا يغفر ذنبه ، ويسمى خائنا وفلاتيا !

ومنها : انقطاع الحج الشامى والمصرى ، معتلين بمنع الوهابى النـاس عن الحج .. والحـال ليس كذلك فانه لم يمنع أحـدا يأتى الى الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البـدع التى لا يجيزها الشرع : مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة . وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة ، وحجوا ورجعوا فى هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشىء .

ولمـا امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى ، وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التى كانوا يتعيشون منها .. خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسـائهم ، ولم يمكث الا الذى ليس له ايراد من ذلك ، وأتوا الى مصر والشام . ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشـكون من الوهابى ، ويسـتغيثون بالدولة فى خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التى كانوا عليها : من اجراء الأرزاق ، واتصال الصـلات ، والنيابات والخـدم فى الوظائف التى بأسماء رجال الدولة ، كالفراشة والكناسـة ونحو ذلك ، ويذكرون أن الوهابى استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ، ونقلها وأخذها ... فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام .

وهذه الأشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم : اما حرصاً على الدنيـا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعـدهم ، أو لنـوائب الزمان . فتكون مدخـرة ومحفوظة لوقت الاحتيـاج اليهـا ، فيستعان بها على الجهـاد ودفع الأعداء . فلما تقـادمت عليها الأزمنة ، وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة — وهى فى الزيادة — ارتصـدت معنى لاحقيقة ، وارتسم فى الأذهان حرمة تناولها ، وأنها صارت مالا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لأحد أخذها ولا انفاقها . والنبى عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك ، ولم يدخر شيئا من عرض الدنيا فى حياته . وقد أعطاه الله الشرف الأعلى ، وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب ، واختـار أن يكون نبيـا عبدا ، ولم يختر أن يكون نبيا ملكا . وثبت فى الصحيحين وغيرهما أنه قال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » . وروى الترمذى بسنده عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا . قلت : لا يارب . ولكن أشبع يوما وأجوع يوما — أو قال : ثلاثا ، أو نحو ذلك — فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت شـكرتك وحمدتك » .

ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ، ومحبة فيه ، فهو فاسـد .. لقول النبى صلى الله عليه وسـلم : « ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد ... انما هى أوساخ الناس » . ومنع بنى هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم .

والمراد الانتفاع فى حال الحياة لا بعدها فان المال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا ، لا من أمور الآخـرة قال تعالى : « انمـا الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » . وهو من جملة السبعة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى قوله

تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . فهذه السبعة بها تكون الخبائث والقبائح . وليست هى فى نفسها أمورا مذمومة ، بل قد تكون معينة على الآخرة اذا صرفت فى محلها

وعن مطرف ، عن أبيه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ « ألهاكم التكاثر » . قال : يقول ابن آدم : مالى مالى .. فهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » الى غير ذلك .

ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته ، لا بمخالفة أوامره ، وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين ، وباقى الأصناف الثمانية .

وان قال المدخر : أكنزها لنوائب الزمان ، ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة اليها . قلنا : قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا ، واضطرارهم فى مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج ، وخلو خزائنهم من الأموال التى أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم . فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة ... بكفالة أحد الفرق من الافرنج المسالمين لهم . واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والطلبات ، والاستيلاء على الأموال بغير حق .. حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم ، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئا ... بل ربما كان عندهم أو عند خونداتهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات ، فيرسلونه هدية الى الحجرة ، ولا ينتفعون به فى مهماتهم ، فضلا عن اعطائه لمستحقه من المحتاجين . واذا صار فى ذلك المكان لا ينتفع به أحد ... الا ما يختلسه العبيد الخصيون الذين يقال لهم أغاوات الحرم .

والفقراء من أولاد الرسول ، وأهل العلم ، والمحتاجون وأبناء السبيل ، يموتون جوعا ... وهذه الذخائر محجور عليها ، وممنوعون منها . الى أن حضر الوهابى ، واستولى على المدينة ، وأخذ تلك الذخائر . فيقال : انه عبى أربعة سحاحير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت ، العظيمة القدر . ومن ذلك : أربع شمعدانات من الزمرد ، وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة يضىء نورها فى الظلام ، ونحو مائة سيف : قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ، ومنزل عليها ألماس وياقوت ، ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك ، وسلاحها من الحديد الموصوف — كل سيف منها لاقيمة له — وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك .

ومنها : أن الباشا عزم على عمارة المجراة التى تنقل الماء الى القلعة . وقد خربت وتلاشى أمرها ، وتهدمت قناطرها ، وبطل نقل الماء عليها من نحو عشرين سنة . فقيد بعمارتها محمد أفندى طبل ناظر المهمات ، فعمرها ، وأجرى الماء بها فى أواخر الشهر الماضى .

ومنها : احداث عدة مكوس على أصناف كثيرة ، منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة ثلثمائة نصف فضة . وكذلك على صنف الحناء ، عن كل مخلة عشرة أنصاف . وكذلك الموزونات ، كل مائة درهم أربعة دراهم : على البائع درهمان ، وعلى المشترى درهمان . وغير ذلك حوادث كثيرة لا نعلمها .

* * *

وأما من مات بها ممن له ذكر :

فمات الأجل المبجل ، والمحترم المفضل : السيد

خليل البكرى الصديقى — ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفى — وهو أخو الشيخ أحمد البكرى الصديقى الذى كان متوليا على سجادتهم .

ولما مات أخوه لم يلها المترجم ، لما فيه من الرعونة ، وارتكابه أمورا غير لائقة ، بل تولاها ابن عمه السيد محمد أفندى — مضافة لنقابة الأشراف — فتنازع مع ابن عمه المذكور ، وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالأزبكية نصفين ، وعمر منابه عمارة متقنة ، وزخرفه ، وأنشأ فيه بستانا زرع فيه أصناف الأشجار والفواكه .

فلما توفى السيد محمد أفندى ، تولى المترجم مشيخة السجادة ، وتولى نقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطى . فلما طرق البلاد الفرنساوية، تداخل المترجم فيهم . وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية الى بلاد الشام .

وعرف المترجم الفرنساوية أن النقابة كانت لبيتهم ، وأنهم غصبوها منه ... فقلدوه اياها . واستولى على وقفها وايرادها ، وانفرد بسكن البيت ، وصار له قبول عند الفرنساوية . وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذى كانوا نظموه لاجراء الأحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة ، مسموع الكلمة ، مقبول الشفاعة عندهم . فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى ، واجتمع عنده مماليك من مماليك الأمراء المصرية — الذين كانوا خائفين ومتغيبين — وعدة خدم وقواسة ، ومقدم كبير وسراجين وأجناد .

واستمر على ذلك الى أن حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى التى انتقض فيها الصلح ، ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية والأمراء المصرية وأهل البلدة . فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه ، وهتكوا حريمه ، وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم مكشوف الرأس من الأزبكية الى وكالة ذى الفقار بالجمالية — وبها عثمان كتخدا الدولة — فشفع فيه الحاضرون ، وأطلقوه بعد أن أشرف على الهلاك . وأخذه الخواجة أحمد بن محرم الى داره ، وأسكن روعه ، وألبسه ثيابا وأكرمه . وبقى بداره الى أن انقضت أيام الفتنة ، وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم ، وخرجوا من البلدة ، واستقر بها الفرنساوية .

فعند ذلك ذهب اليهم ، وشكا لهم ماحل به بسبب موالاته لهم ، فعوضوا عليه ما نهب له ، ورجع الى الحالة التى كان عليها معهم .

وكانت داره أخربها النهابون . فسكن ببيت البارودى بباب الخرق ، ثم انتقل منه الى بيت عبد الرحمن كتخدا القزدغلى بحارة عابدين ، وجدد بها عمارة .

وكان له ابنة خرجت عن طورها فى أيام الفرنسيس . فلما أشيع حضور الوزير والقبودان والانكليز ، وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر ... فقتل ابنته المذكورة بيد حاكم الشرطة . فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية ، عزل المترجم عن نقابة الأشراف ، وتولاها السيد عمر مكرم ... كما كان قبل الفرنساوية

ولما حضر محمد باشا خسرو ، أنهى اليه الكارهون له بأنه مرتكب للموبقات ، ويعاقر الشراب .. وغير ذلك . وأن ابنته كانت تذهب الى الفرنسيس بعلمه ، وأنه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التى لايمكنه سترها ، ولا يقبل عذره فيها ، ولا التنصل منها ، وأنه لايصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية . وعرفوه أن هناك شخصا من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد ، وهو من جملة أتباع المترجم ، ولكنه فقير لايملك شيئا ، ولا دابة يركبها .

فقال الباشا : « أنا أواسيه وأعطيه » . فأحضروه له ، بعد أن ألبسوه تاجا كبيرا وثيابا — وهو رجل مبارك ، طاعن فى السن — فألبسه فروة سمور ، وقدم له حصانا معددا ، وقيد له ألف قرش . وسكن دارا بناحية باب الخرق ، وتريش حاله . وخمل أمر المترجم .

واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة الفرن ، وكان بظاهرها قطعة جنينة ، فاشتراها وغرس بها أشجارا ، وحسنها وأتقنها . وبنى له مجلسا مطلا عليها ، وبالأسفل مساطب ولواوين جلوس لطيفة ، واشترى دارين من دور الأمراء المتقدمين — بظاهر ذلك — وهدمهما ، وبنى بأنقاضهما وأخشابهما ، وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام ، وسد بأثمانها ديونه ، واقتصر على إيراده فيما يخصه من وقف جده لأمه الأستاذ الحنفى ، وتصدى لمناقمته وأذيته أنفار من المتظاهرين مثل : السيد عمر مكرم النقيب ، والشيخ محمد وفا السادات ، وخلافهما ... حتى انه كان عقد لابنه سيدى أحمد ، على بنت المرحوم محمد أفندى البكرى . فتعصبوا عليه ، بعد عزله من المشيخة والنقابة ، وأبطلوا العقد ، وفسخوا النكاح ببيت القاضى !

وتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة ، حتى يبيعوه حصصه . وكان قد اشترى مملوكا — فى أيام الفرنساوية — جميل الصورة . فلما حصل له ما حصل ، ادعى عليه البائع أنه أخذه بدون القيمة ، ولم يدفع له الثمن . فلم يثبت عليه ذلك .

وكان المملوك ذهب من عنده ، وتم الأمر والمصالحة على أن عثمان بيك المرادى أخذ ذلك المملوك لنفسه ... وقد تقدم ذكر قصته فى الحوادث السابقة .

ولم يزل المترجم على حالة خموله ، حتى تحرك عليه داء الفتق ، ومات على حين غفلة فى منتصف شهر ذى الحجة ، وصلى عليه بمسجد جده لأمه الشيخ شمس الدين أبى محمد الحنفى ، ودفن عند أسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة . رحمه الله ، وعفا عنا وعنه .

***

ومات الأمير شاهين بيك المرادى — ويعرف بباب اللوق ، لأنه كان ساكنا هناك — وهو من مماليك مراد بيك ، وأصله جركسى الجنس . ولما أعتقه مراد بيك ، أنعم عليه بكشوفية اقليم الغربية ، ثم رجع الى مصر ، وأقام بطالا متطلعا للامارة ويرى أنه أحق بها من غيره .

ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا — وكان الألفى غائبا ببلاد الانكليز — انضم اليه عثمان بيك البرديسى ووافقه على كراهة الألفى الباطنية . وكان هو أحد المباشرين والضاربين لحسين بيك الوشاش بالبر الغربى ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الألفى . ثم خرج من مصر مع عشيرته .

ولم يزل حتى مات فى منتصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . والله أعلم .

المحرم

الجمعة ٢ منه (١٧ فبراير ١٨٠٩ م) :

مرت سحابة سوداء مظلمة فى وقت العشـاء ، وحصـل فيها رعد مزعج وبرق مستتير شـديد اللمعان ، وأمطرت فى محـلات قليلا وفى أخرى كثيرا . ثم انجلت السماء سريعا ، فظهرت النجوم . وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد السماحات بالغربية ، أنها أمطرت بتلك الناحية فى تلك الليلة بردا كبـيرا وصـغيرا ، والكبير فى مقدار حجر الطـاحون ! والصـغير فى مقدار بيض الدجاج . وتهدمت منهـا دور ، وقتلت مواشى وآدميـة ، وأهلكت زروعا كثيرة .

الأحد ٤ منه (١٩ فبراير ١٨٠٩ م) :

قتل الباشا حسـين بن الخبيرى ، وهو بترعة الفرعونية ، وأرسل رأسه الى مصر فعلقت بباب زويلة .

أواخره (حوالى منتصف مارس ١٨٠٩ م) :

حضر الباشا من ترعة الفرعونية ، وقد عجز عن سـدها بعـد أن بذل جهـده ، وفرض الفرض العظيمة على البلاد ، وأشـغلوا المراكب فى نقل الأحجار ليلا ونهارا ... والسيد محمد المحروقى متقيـد لذلك ، ومقيم بمسـجد الآثار لتشـهيل الحجارين ، ووسقها بالمراكب ، وقطعها من الجبل قطعا وصخورا . فكانوا يشـقون الجبل بألغـام البارود ، مثـل عمل الأفرنج ، وظهـر فى قطعهم كهوف ومغارات وتجاويف . وتحدث الناس بذلك بأنواع الأكاذيب والخرافات ، كقولهم : ظهر فى الجبل باب من حـديد ، وعليه أقفـال ، ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصا على خيول ... الى غير ذلك !

وفيه : حضر قاصـد من قبودان باشا ، بطلب عوائده بالاسكندرية . فقال له حاكم الاسكندرية : « ينبغى أن تذهب الى الباشا بالترعة وتقابله » . فذهب اليه وقابله عند السد . فبات تلك الليلة ، وأصبح ميتا . فأخرجوه الى المقبرة .

ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجى وعلى يده مرسومان : أحدهما : الاخبار عن صلح الدولة مع الانجليز والموسكوب ، وانفتاح البحر ، وأمن المسافرين . والثانى : الأمر بالسفر والخروج الى فتح الحرمين ، وطرد الوهابية عنهما . وأن يوسف باشا — الصدر السابق ، المعروف بالمعدن — تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام . وكذلك سليمان باشا والى بغداد متعين أيضا بالسفر من ناحيتـه على الدرعية . وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا .

صـفر

السبت غرته (١٨ مارس ١٨٠٩ م) :

حضر الأغا الواصل الى بولاق . فركب لملاقاته أغـاة الينـكجرية والوالى وأرباب العـكاكيز فأركبوه فى موكب ، ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة . وقرأوا المراسيم بحضرة الجمع . وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا .

وفيه : غيمت السماء بالسحاب ، وأمطرت كثيرا ، ونزل مطر ببركة الحاج .. وجدوا فيه سمكا صغيرا ، من جنس السمك الذي يعرف بالقاروص ، وصار يتنطط على الأرض .. وأحضروا منه الى مصر وشاهدناه ... وهو فى غاية البرودة !

وفيه : اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الأمراء القبليين . وذلك أنه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلال والأموال الميرية ، المرار العديدة ، ويعدون ولا يوفون . ووصل اليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسى — وهو بالترعة — ومعه أجوبة وهدية ، وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان . فاغتاظ الباشا وقال : « أنا لست أطلب احسانهم وصدقاتهم ، حتى أنهم يضحكون على ذقنى بهذه الأمور . وحيث انهم لايزجعون عن الكامن فى رؤوسهم ، فلا بد من خروجى اليهم ومحاربتهم » . وأرسل الى من بمصر من الأكابر يأمرهم بالبراز والخروج . فخرج حسن باشا ، وصالح أغا قوج ، وطاهر باشا ، وأحمد بيك ، والكثير من أعيانهم بعساكرهم . وعدوا الى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم .

ثم ان رضوان كتخدا لم يزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة . فلما حضر من الترعة أخذ فى التشهيل والخروج . فانتقلت العساكر الى البر الغربى . وأخذ يستحث فى المطلوبات ، وخروج الخيام ، وجمع المراكب . وسافر قبودان بولاق الى جهة بحرى لجمع المراكب ، وفرضوا على القرى غلالا وجمالا . وذلك فى عقب مافرضه عليهم فى مهمات الترعة المتقدمة وخلافها : من بشارة القبطان والتقرير ، وما فى ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين .. مع ما الناس فيه من القحط والغلاء فى الغلال وغيرها ، وعدم وجود الغلة . والذين لايقدرون على تحصيل الغلة ، يلزمونهم بدفع ثمنها ، بأقصى القيمة ، بعد مصانعة المباشرين لذلك ، واعطائهم الرشوات .

وحضر أيضا نعمان سراج باشا من عند ابراهيم بيك ، وقابل الباشا على الترعة . فلم ينجع حضوره أيضا ، ولم يسمع له قول ، ورجع مزيفا .

الأربعاء ٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٩ م) :

حضر على بيك أيوب ، وصحبته آخر — يقال له رضوان بيك البرديسى — فطلعا الى القلعة ، وتقابلا مع الباشا . وانخضع له على بيك أيوب وقبل رجله ، وترجى عنده فى عدم خروج التجريدة ، وكلمه فى أمر الغلال المنكسرة والجديدة ، وعلى أنهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل ، وليس عندهم مخالفة ... والقصد الامهال الى حصاد الغلال . فقال : « انهم اذا حصدوا الغلال أخذوها ، وفروا الى الجبال » . واستمر هذا القيل والقال نحو أربعة أيام ، ثم أشيع فى ثامنه الصلح . وفرح الناس ، واستبشروا بذلك لما يترتب وما يحصل من الفساد ، وأكل الزروعات ، وخراب البلدان ... فانهم أكلوا فى الأربعة أيام التى ترددوا فيها بالجيزة ، نيفا وخمسمائة فدان .

ولما أشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة ، انزعجوا وأيسوا من زروعاتهم ، وخرجوا من أوطانهم على وجوههم لايدرون أين يذهبون بأولادهم ونسائهم وقصاعهم ، وتفرقوا فى مصر والبلاد البحرية .

السبت ٨ منه (٢٥ مارس ١٨٠٩ م) :

أعيد أمر التجريدة . وأشيع خروج العساكر ثانيا . فانقبضت النفوس ثانيا ، وباتوا فى نكد ،

وطلبت السلف من المساتير والملتزمين ، وكتبت الدفاتر ، وحولت الأكياس ، وانبثت المعينون للطلب .

الاثنين ١٠ منه (٢٧ مارس ١٨٠٩ م) :

بطل أمر التجريدة .والقضى أمر الصلح على شروط ، وهى : أنهم التزموا بثلث ماعليهم من غلال الميرى ، وقدره مائة ألف أردب وسبعة آلاف أردب ، بعد مناقشات ومحققات ، والذى تولى المناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بيك الألفى . والموعد أحد وثلاثون يوما .

وسافر على بيك أيوب ورضوان بيك البرديسى . وأكرمهما الباشا وخلع عليهما .

الثلاثاء ١١ منه (٢٨ مارس ١٨٠٩ م) :

قتل الباشا مصطفى أغا تابع حسن بيك فى قصبة رضوان ، ظلما وسبب ذلك : أنه لما نزل قبودان بولاق لجمع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة ، فصادف شخصا من الارنؤود — الذين يتسببون فى بيع الغلال — فى مركب ومعه غلة ، وذلك عند قرية تسمى « سهرجت » ، فحجزه ليأخذ منه السفينة . فقال : « كيف تأخذها وفيها غلتى ؟ » . قال : « أخرج غلتك منها على البر واتركها ، فانها مطلوبة لمهمات الباشا » . فلم يرض ، وخاف على تبددها ، ولم يجد سفينة أخرى ، لأن جميع السفن مطلوبة مثلها ، وقال له : « عندما أصل بها الى مصر ، وأنقل منها الغلة ، أرسل معى من يأخذها » . فقال القبودان : « لا سبيل الى ذلك ، » وتشاجرا . فحنق القبودان على الأرنؤودى ، وسل عليه سيفه ليضربه ، فعاجله الأرنؤودى ، وضربه بالطبنجة فقتله . فأراد أتباع القبودان القبض عليه . ففر منهم الى البلدة — وبها جماعة من الدلاة معينون لقبض الفرضة — فالتجأ اليهم . فمانعوا عنه ... وتنازع الفريقان .

وكان مصطفى أغا المذكور ملتزم البلدة هناك ، وغائبا فى بعض شئونه ، فبلغه الخبر . فحضر اليهم ، وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة ، فيكون سببا لخراب الناحية . فقال : « يا جماعة ، اذهبوا بنا الى الباشا ليرى رأيه » . فرضوا بذلك . وحضر بصحبتهم — والقاتل معهم — وطلعوا الى ساحل بولاق . فعند ما وصلوا الى البر ، هرب القاتل ، وذهب عند عمر بيك الأرنؤودى الساكن ببولاق . فتبعه الأمير مصطفى المذكور . فقال له عمر بيك : « اذهب الى الباشا وأخبره أنه عندى ، وأنت لا بأس عليك » . ففعل . فقال له الباشا : « ولأى شيء لم تحتفظ عليه وتتركه حتى يهرب ؟ » فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجىء اليهم — وكأنهم هم الذين أفلتوه — فأمر بحبسه . فأرسل الى عمر بيك ، فحضر الى الباشا وترجى فى اطلاقه . فوعده أنه فى غد يطلقه اذا حضر القاتل . فقال : « انه عند أزمير أغا ، وهو لايسلم فيه » ، وركب الى داره .

فلما كان فى الصباح ، أمر بقتل الأمير مصطفى المذكور . فأنزلوه الى الرميلة ، ورموا رقبته عند باب القلعة ظلما .

وفى صبحها : قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة .

الأربعاء ١٢ منه (٢٩ مارس ١٨٠٩ م) :

قتل الأرنؤود شخصين من الدلاة أيضا .

الخميس ١٣ منه (٣٠ مارس ١٨٠٩ م) :

أرسل الباشا وطلب الأرنؤودى القاتل للقبودان من عمر بيك ، وشدد فى الطلب ، وقال : « ان لم يرسله .. والا أحرقت عليه داره » . فامتنع من

ارساله ، وجمع اليه طائفة الأرنؤود ، وصالح أغا قوج جاره .

وركب الباشا ، وذهب الى ناحية الشيخ فرج . وحصل ببولاق قلقة وانزعاج . ثم ركب الباشا راجعا الى داره بالأزبكية وقت الغروب . وكثرت الأرجاف واللقلقة بين الأرنؤود والدلاتية .

السبت ١٥ منه (اول ابريل ١٨٠٩ م) :

قتل الأرنؤود شخصين من الدلاتية أيضا جهة قناطر السباع . ثم ان القاتل الذى قتل القبودان التجأ الى كبير من كبار الأرنؤود . فأرسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير ، وأكد فى طلبه ، أو أنه يقطع رأس القاتل ويرسلها — فكأنه فعل — وأرسل اليه برأس ملفوفة فى ملاية تسكينا لحدته ! وبردت القضية ، وسكنت الحدة ، وراحت على من راحت عليه .

أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٨٠٩ م) :

أمر الباشا بتحرير دفاتر فرضة الأطيان ، وزادوا فيها عن عام الشراقى الماضى الثلث ، وربطوها ورتبوها أربع مراتب : تزيد كل ضريبة عن الأخرى مائة نصف فضة ، أعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة . على أن الفرضة الماضية بقى الكثير منها بالذمم ، لخراب القرى وعجزهم . واختلى لتنظيم ذلك من الأفندية والأقباط بجهات متباعدة : الأفندية بربع أيوب ببولاق ، والأقباط بدير مصر العتيقة . حتى حرروا ذلك وتمموه ورتبوه فى عدة أيام . ووقع الطلب فى جانب معجلا ، سموه « الترويجة » .

وفيه : أمر الباشا عمر بيك الأرنؤودى بالسفر من مصر ، وقطع خرجه ورواتبه هو وعسكره . فلم تمنعه المخالفة ، وحاسب على المنكسر له ولعسكره من العلائف ، وكذلك حلوان البلاد التى فى تصرفه . فبلغ نحو ستمائة كيس وزعت على دائرة الباشا وخلافهم .

وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس ، واستولى عليها من بلاد القليوبية ، بحرى شبرا ، واختصها لنفسه . فلما استولى على حصص عمر بيك ، ودفع له حلوانها — وهى بالمنوفية والغربية والبحيرة — عوض بعض من يراعى جانبه من ذلك . وأخذ عمر بيك ومن يلوذ به فى تشهيل أنفسهم وقضاء حوائجهم .

ربيع الأول

(١٦ ابريل — ١٥ مايو ١٨٠٩ م)

فيه : شرع السيد عمر مكرم نقيب الأشراف فى عمل مهم لختان ابن ابنته ، ودعا الباشا والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا والتعابى . وعمل له زفة ، يوم الاثنين سادس عشره ، مشى فيها أرباب الحرف والعربات والملاعيب وجمعيات ، وعصب صعايدة وخلافهم ، من أهالى بولاق والكفور والحسينية وغيرها من جميع الأصناف ، وطبول وزمور وجموع كثيرة . فكان يوما مشهودا ، اكتريت فيه الأماكن للفرجة . وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر بمصر . فانه حصل له عقيب ذلك ماسيتلى عليك قريبا من النفى والخروج من مصر .

وفيه : كمل سد ترعة الفرعونية ، واستمر العمل فيها وفى تأييد السد بالأحجار والمشمعات والأتربة نحو ستة أشهر ، وصرف عليها من الأموال ما لا يحصى . وجرى مجرى البحر الشرقى وغزر ماؤه ، وجرت فيه السفن من دمياط بعد أن كان مخاضة ، وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه وخالطه من ماء البحر الملح ... الى قبلى « فارس كور » .

وأقام بالسد عمر بيك تابع الأشقر لخفارته وتمهد الخلل ، وكتم الجسر من النشع والتنفيس ، وسكن

هنـاك ولم يفارقه . واسـتمر فى هـذه الوظيفة والخدمة ، ولم يقم بمصر .

وفيه : تشحطت الغلال وغلا سعرها . حتى بلغ الأردب القمح ألف وستمائة نصف فضـة ، وعز وجوده بالرقع والعرصات . وأما السـواحل فلا يكاد يوجد بها شيء من الغلة بطول السنة ، ولولا لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق . ومع ذلك استمرار المغارم والفرض ، حتى فرض الغلة عين ، وكذلك تبن وجمال وما ينضـاف الى ذلك مما سمعته غير مرة مما يطول شرحه .

وفيه : نودى على صرف الفرانسة والمحبـوب والمجر ، كما نودى فى العام المـاضى ، لأنه لمـا نودى بنقص صرفهـا ، ومضى نحـو الشـهر أو الشهرين ، رجع الصرف الى ما كان عليه وزيادة . فأعيد النداء كذلك ... وسـيعود الخلاف مادام الكرب والضيق بالنـاس . على أن هذه المنـاداة والأوامر بالنقص والزيادة ليست من باب الشفقة على الناس ، ولا الرحمة بهم ، وانمـا هى بحسب أغراضهم وزيادة طمعهم فانه اذا توجهت المطالبات بالفرض والمغارم ، نودى بالنقص ليزيد الفرط ، ويتوفر لهم الزيادة ، ويحصل التشديد والمعاقبـة على من يقبض بالزيادة من أهل الأسـواق واذا كان الدفع من خزانتهم فى عـلائف العسـكر أو لوازمهم الكبيرة ، قبضوها بأزيد من الزيادة التى نادوا عليها ، من غير مبالاة ولا احتشام ... تناقض ما لنا الا السكوت عنه !

فى اواخره (منتصف مايو ١٨٠٩ م) :

تواجلت الغـلال ، وانحل سـعرها . وحضر الفلاحون ببدارى الغلة ، وانحط السعر ... والحمد لله !

ربيع الآخر

الأحد ٦ منه (٢١ مايو ١٨٠٩ م) :

وردت مراسيم من الروم ، وبشـارة بمولودة ولدت للسلطان وسموها « فاطمة » . وفى المراسيم الأمر بالزينـة . فاقتضى الرأى أن يعملوا شـنكا ومدافع من القلعة ، تضرب فى الأوقات الخمسـة سبعة أيام .. وهذا شيء لم يسمع بمثله فيما سبق : أن يعملوا للأنثى شـنكا أو زينة ، أو يذكر ذلك مطلقا ، وانما يعمل ذلك للمولود الذكر .. من بدع الأعاجم !

الثلاثاء ٨ منه (٢٣ مايو ١٨٠٩ م) :

حضر من الأمراء المصريين القبالى مرزوق بيك ابن ابراهيم بيك ، وسليم أغا مستحفظان ، وقاسم بيك سلحدار مراد بيك ، وعلى بيك أيوب ، حسب الاتفاق المتقدم فى تقرير الصلح . ولكن لم يكن سليم أغا مذكورا فى الحضور ، بل كان منجمعا وممتنعا عن التداخل فى هذه الأحوال . والسبب فى حضوره أن زوجته توفت من نحو نصف شهر ، فحضر لأجل تركتها ومتاعهـا ومتاعه الذى عندها وحصصها .

ولما حضر وجد الباشا استولى على ذلك ، وأخذ المتاع والمصاغ والجواهر والعقار ، وأخذ الحصص ، وأخذ حلوانها وذلك بيد محمود بيك الدويدار . فلما حضر سليم أغا لم يجـد شيئا . لا دار ولا عقـار ولا نافخ نار ! فنزل عنـد على بيك أيوب بمنزله بشمس الدولة فحضر اليه محمـود بيك الدويدار والترجمان ، وأخـذا بخاطره وطمناه ، وأخبراه أن الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه ... وزيادة ! ووزعا له فوق السـطوح . فلم يسعه الا التسليم .

وفيه : سقط سقف القصر الذى أنشأه الباشا بشبرا . وشرعوا فى تعميره ثانيا .

وفيه : وصل الخبر بحضور زوجة الباشا أم أولاده ، وابنه الصغير — واسمه اسماعيل — وابن بونابارته الخازندار ، وكثير من أقاربهم وأهاليهم ... حضر الجميع من بلدهم « قولة » الى سكندرية . فانهم لما طابت لهم مصر ، واستوطنوها وسكنوها ، وتنعموا فيها ... أرسلوا الى أهاليهم وأولادهم وأقاربهم بالحضور . فكانوا فى كل وقت يأتون أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا .

فلما وصل خبر وصولهم الى سكندرية ، سافر لملاقاتها ابنها ابراهيم بيك الدفتردار . وذلك حادى عشره .

الأحد ١٢ منه (٢٨ مايو ١٨٠٩ م) :

حضر المذكور قبل حضور الواصلين . ولما وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم الى بولاق .

الاثنين ١٤ منه (٢٩ مايو ١٨٠٩ م) :

نبهوا على جميع النساء والخوندات ، وكل من كانت لها اسم فى الالتزام ، أن يركبن بأسرهن ويذهبن الى ملاقاة امرأة الباشا ببولاق ، وذلك صبح يوم الأربعاء ، واعتذرت الست نفيسة المرادية بأنها مريضة ، ولا تقدر على الحركة والخروج . فلم يقبلوا لها عذرا .

الأربعاء ١٦ منه (٣١ مايو ١٨٠٩ م) :

اجتمع السواد الأعظم من النساء بساحل بولاق على الحمارة المكارية — وهم أزيد من خمسمائة مكارى — حتى ركبت زوجة الباشا ، وساروا معها الى الأزبكية . وضربوا لوصولها وحلولها بمصر عدة مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية . ثم وصلت الهدايا والتقادم ، وأقبلت من كل ناحية الهدايا المختصة بالأولاد ، والمختصة بالنساء .

جمادى الأولى

٣ منه (١٦ يونية ١٨٠٩ م) :

نزل عمر بيك الأرنؤودى الى المراكب من بيته من بولاق ، وسافر على طريق دمياط ليذهب الى بلاده ، وسافر معه نحو المائة — وهم الذين جمعوا الأموال — واجتمع لعمر بيك المذكور من المال والنوال أشياء كثيرة ، عبأها فى صناديق كثيرة وأخذها معه . وذلك خلاف ما أرسله الى بلاده فى دفعات قبل تاريخه .

١٥ منه (٢٨ يونية ١٨٠٩ م) :

سافر على بيك أيوب ، وسليم أغا مستحفظان الى ناحية قبلى . واستمر بمصر مرزوق بيك ، وقاسم بيك المرادى ؛

وفيه : طلب الباشا ألف كيس من المعلم غالى ، وألزمه بها . فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها فى أقرب زمن .

وفيه : حضر سلحدار الوزير يوسف باشا وعلى يده مرسوم مضمونه : طلب ما كان أحدثه حين كان بمصر على أوراق الاقطاعات والفراغات وتقاسيط الالتزام ، الذى سموه « قصر اليد » و « خرج القلم » ، وجعل ايراد ذلك لنفسه . فأرسل بطلب ذلك ، من تاريخ سنة سبعة عشر ومائتين وألف الى وقت تاريخه ، حسب قدر ذلك فبلغ ليفا وأربعة آلاف كيس .

وفيه : شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين ، ودفتر آخر بفرض مال على الرزق الأحباسية المرصدة على المساجد والأسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات ، وكذلك أطيان الأوسية المختصة أيضا بالملتزمين . وكتبوا بذلك مراسيم الى القرى والبلاد ، وعينوا بها معينين وحق طرق

من طرف كشاف الأقاليم بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات .

وتقدموا الى كل متصرف فى شىء من هذه الأطيان ، وواضع عليها يده : بأن يأتى بسنده الى الديوان ، ويجدد سنده ، ويقوى بمرسوم جديد ، وان تأخر عن الحضور فى ظرف أربعين يوما ، يرفع عنه ذلك ، ويمكن منه غيره .

وذكروا فى مرسوم الأمر علة وحجة ، لم يطرق الأسماع نظيرها ، بأنه اذا مات السلطان أو عزل ، بطلت تواقيعه ومراسيمه ، وكذلك نوابه ، ويحتاج الى تجديد تواقيع من نواب المتولى الجديد .. ونحو ذلك

ثم ليعلم أن هذه الارصادات والأطيان موضوعة من أيام الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبى فى القرن الخامس ، وجعلها من مصاريف بيت المال ، ليصل الى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال بسهولة ثم اقتدى به فى ذلك الملوك والسلاطين والأمراء الى وقتنا هذا فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والأسبلة ، ويرصدون عليها أطيانا يخرجونها من زمام أوسيتهم ، فيستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهة .

وكذلك يربطون على بعض الأشخاص من طلبة العلم والفقراء ، على وجه البر والصدقة ، ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم واذا مات المرصد عليه ذلك ، قرر القاضى أو الناظرخلافه ممن يستحق ذلك ، وقيد اسمه فى سجل القاضى ودفتر الديوان السلطانى عند الأفندى المقيد بذلك ، الذى عرف بكاتب الرزق فيكتب له ذلك الأفندى سندا بموجب التقرير يقال له « الافراج » ، ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار . ولكل اقليم من الأقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ، ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص أرباب الاستحقاقات

ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا فى جميع الدول المصرية ، جيلا بعد جيل ، لايتطرقه خلل ، الا ما نزل عنه أربابه لشدة احتياجهم — بالفراغ لبعض الملتزمين — بقدر من الدراهم معجل ويقرر للمفرغ على نفسه قدرا مؤجلا — دون القيمة الأصلية — فى نظير المعجل الذى دفعه للمفرغ . ويسمونها حينئذ « داخل الزمام » . ولم تزل على ذلك بطول القرون الماضية .

وتملك الفرساوية الديار المصرية ، فلم يتعرضوا لشىء من ذلك ولما حضر شريف أفندى الدفتردار — بعد دخول يوسف باشا الوزير — ووجه الطلب على الملتزمين بأن يدفعوا للدولة حلوانا جديدا ، على النظام والنسق الذى ابتدعوه للتحيل على تحصيل المال بأى وجه ... زاعمين أن أرض مصر صارت دار حرب بتملك الفرنساوية ! وأنهم استنقذوها منهم ، واستولوا عليها استيلاء جديدا ، وصارت جميع أراضيها ملكا لهم فمن يريد الاستيلاء على شىء من أرض وغيرها ، فليشتره من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذى قدروه .

واطلعوا على التقاسيط ، وفى بعضها ما رفع عنه الميرى الذى قبض للخزينة باذن الولاة ، بعد المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف الميرية ، كالعلائف والغلال والبعض تمم ذلك بمراسيم سلطانية كما يقولون — شريفة ! بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الاحباسية ، ويسمونه « خزينة بند » ومنهم من أبقى على التزامه شيئا قليلا ، سموه « مال الحماية » ... فلم يسهل بهم ابطال ذلك ، بل جعل عليها الدفتردار الميرى الذى كان مقيدا عليها أو أقل أو أزيد ، بحسب واضع

اليد واكرامه ، ان كان ممن يكرم ، وضمه الى مال الحماية الأصلى أو المستجد فقط .

وضيع على الناس سعيهم وما بذلوه من مرتباتهم وعلائفهم التى وضعوها وقيدوها فى نظير جعلهـا « خزينة بند » كما ذكر .

ثم تقيد لكتابة الاعلامات عبد الله أفندى رامز القبـودان وقاضى باشا ، وسمى فى ذلك الوقت بكاتب الميرى ، وتوجه نحوه النـاس لأجل كتابة الاعـلامات لثبـوت رزقهم الأحباسية وتجـديد سنداتها . فتعنت عليهم بضروب من التعنت : كأن يطلب من صاحب العرضحال اثبات استحقاقه ، فاذا ثبت له ، لا يخلو اما أن يكون ذلك بالفـراغ أو المحلول ... فيكلفه احضـار السـندات ، وأوراق الفراغات القديمة ، فربما عـدمت أو بليت لتقادم السنين ، أو تركها واضع اليد لاستغنائه عنها بالسند الجديد ، أو كان القديم مشتملا على غير المفروغ عنه ، فيخصم بهامشه بالمنزول عنه ، ويبقى القديم عند صاحب الأصل ... فان أحضره اليه ، تعلل بشىء آخر ، واحتج بشبهة أخرى . فاذا لم يبق له شبهة ، طالبه بحلوانها عن مقدار ايرادها ثلاث سنوات ... والا فخمس سنوات ، وذلك خلاف المصاريف .

فضج النـاس ، واستغاثوا بشريف أفنـدى الدفتردار . فعزل عبد الله أفندى رامز المذكور عن ذلك ، وقيد أحد كتابه بكتابة الاعلامات ، وقرر على كل فدان عشرة أنصاف فضة فما دونها ... برسمها فى السند الجديد ، وجعلها مال حماية ، وأوهم النـاس أن مال الحمـاية يكون زيادة فى تأكيد الأحباس ، وحماية له من تطـرق الخلل . استسهل الناس ذلك ، وشاع فى الاقليم المصرى ، أقبل الناس من البلاد القبلية والبحرية لتجـديد سنداتهم ، فطفقوا يكتبون السندات على نسـق قاسيط الالتزام ، لا على الوضع القديم ، ويعلم عليها الدفتردار فقط . وأما الصـورة القـديمة فـكانت تكتب فى كاغد كبـير ، بخط عـربى مجود ، وعليهـا طرة بداخلهـا اسم والى مصر ، ومهمورة بختمه الكبير ، وعليها علامة الدفتردار ، وبداخلها صورة أخرى تسمى « التذكرة » مستطيلة على صورة التقسيط الفرمة ، ممهورة أيضا وعليها العلامة والختم ، وهى متضمنة مافى الكبيرة . وعلى ذلك كان استمرار الحال الى هذا الأوان ... من قرون خلت ، ومدد مضت .

وفيه أيضـا : حرروا دفتـرا لاقليم البحيرة بمساحة الطين الرى والشراقى ، وأضافوا اليه طين الأوسية والرزق ، وكتبوا بذلك مناشير ، وأخرج المباشرون كشوفاتها بأسماء الملتزمين . فضج الناس واجتمعوا الى مشايخ الأزهر وتشكوا ، فوعدوهم بالتكلم فى شأن ذلك بعد التثبت .

وفيه : قبض أغاة التبديل على شخص من أهل العلم — من أقارب السيد حسن البقلى — وحبسه. فأرسل المشايخ يترجون فى اطلاقه . فلم يفعـل ، وأرسله الى القلعة .

وفيه : سعى محمد أفندى طبل — ناظر المهمات — لصديقه السيد سلامة النجارى عند الباشا فى انعام ووظيفة . وسبب ذلك أن المذكور أرسل جملة طاقات من الأقمشة الهندية الغريبة المقصبة وغيرها ، وحصانا من أعظم خيول المصريين — كان اشتراه منهم — هدية الى محمد أفندى المذكور . فاقتضت مروءته أنه أخذها وقدمها للباشا ، وقال له : « ان السيد سلامة أحضر هذه الهدية لأفندينا ، شـكرا لانعامه السابق عليه » . فقبلها الباشا ، وأنعم عليه بعشرة آكياس ، وأمر محمـد أفندى بأن يجعله فى وظيفة معه .

وفيه أيضا : شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بأنواع الأقمشة وباعة النعالات — التى هى الصرم والبلغ — وجعلوا عليها ختمية . فلا يباع

منها شيء حتى يعلم بيد الملتزم ويختم ... وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب تلك البضاعة وثمنها . فزاد الضجيج واللغط فى الناس .

١٧ منه (٣٠ يونية ١٨٠٩ م) :

حضر المشايخ بالأزهر على عادتهم لقراءة الدروس . فحضر الكثير من النساء والعامة ، وأهل المسجون — وهم يصرخون ويستغيثون — وأبطلوا الدروس . واجتمع المشايخ بالقبلة ، وأرسلوا الى السيد عمر النقيب . فحضر اليهم ، وجلس معهم . ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم . ثم اجتمعوا فى ثانى يوم ، وكتبوا عرضحالا الى الباشا ... يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع ، وختم الأمتعة ، وطلب مال الأوسية والرزق ، والمقاسمة فى الفائظ ، وكذلك أخذ قريب البقلى وحبسه بلا ذنب . وذلك بعد أن جلسوا مجلسا خاصا ، وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة .

وعند ذلك حضر ديوان أفندى وقال : « الباشا يسلم عليكم ، ويسأل عن مطلوباتكم » . فعرفوه بما سطروه اجمالا ، وبينوه له تفصيلا . فقال : « ينبغى ذهابكم اليه ، وتخاطبوه مشافهة بما تريدون ، وهو لايخالف أوامركم ، ولا يرد شفاعتكم . وانما القصد أن تلاطفوه فى الخطاب لأنه شاب مغرور جاهل ، وظالم غشوم ، ولا تقبل نفسه التحكم ، وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم ، وعدم انفاذ الغرض » .

فقالوا بلسان واحد : « لا نذهب اليه أبدا مادام يفعل هذه الفعال ، فان رجع عنها وامتنع عن احداث البدع والمظالم عن خلق الله ، رجعنا اليه ، وترددنا عليه كما كنا فى السابق ، فاننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور » . فقال لهم ديوان أفندى : « وأنا قصدى أن تخاطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض » . فقالوا : « لا نجتمع عليه أبدا ولا تثير فتنة ، بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ، ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا » .

وأخذ ديوان أفندى العرضحال ، وأوعدهم برد الجواب . ثم بعد رجوعه ، أطلقوا قريب السيد حسن البقلى الذى كان محبوسا ولم يعلم ذلك . ثم انتظروا عودة ديوان أفندى ، فأبطأ عليهم ، وتأخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعية . فاجتمع الشيخ المهدى والشيخ الدواخلى عند محمد أفندى طبل ناظر المهمات — وثلاثتهم فى نفسهم للسيد عمر ما فيها — وتناجوا مع بعضهم ، ثم انتقلوا فى عصريتها وتفرقوا .

وحضر المهدى والدواخلى الى السيد عمر وأخبراه أن محمد أفندى ذكر لهم أن الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الرزق ، وقد كذب من نقل ذلك ، وقال : « انه يقول انى لا أخالف أوامر المشايخ . وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد » . فقال السيد عمر : « أما انكاره طلب مال الرزق والأوسية فها هى أوراق من أوراق المباشرين عندى لبعض الملتزمين ، مشتملة على الفرضة ونصف الفائظ ، ومال الأوسية والرزق . وأما الذهاب اليه فلا أذهب اليه أبدا ، وان كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذى وقع بيننا ... فالرأى لكم » . ثم انفض المجلس .

وأخذ الباشا يدبر فى تفريق جمعهم ، وخذلان السيد عمر..لما فى نفسه منه من عدم انفاذ أغراضه، ومعارضته له فى غالب الأمور ..ويخشى صولته ، ويعلم أن الرعية والعامة تحت أمره : ان شاء جمعهم ، وان شاء فرقهم . وهو الذى قام بنصره ، وساعده وأعانه ، وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الاقليم . ويرى أنه ، ان شاء ، فعل بنقيض ذلك . فطفق يجمع اليه بعض أفراد من أصحاب المظاهر ، ويختلى معه ، ويضحك اليه ... فيغتر بذلك ، ويرى

أنه صار من المقربين ، وسيكون له شأن ان وافق ونصح . فيفرغ له جراب حقده ، ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة .

ثم فى ليلتها حضر ديوان أفندى وعبد الله بكتاش الترجمان ، وحضر المهدى والدواخلى ... الجميع عند السيد عمر . وطال بينهم الكلام والمعالجة فى طلوعهم ومقابلتهم الباشا ، ورقرق لذلك كل من المهدى والدواخلى ... والسيد عمر مصمم على الامتناع . ثم قالوا : « لابد من كون الشيخ الأمير معنا ، ولا نذهب بدونه » . فاعتذر الشيخ الأمير بأنه متوعك . ثم قام المهدى والدواخلى وخرجا ، صحبة ديوان أفندى والترجمان ، وطلعوا الى القلعة ، وتقابلوا مع الباشا ، ودار بينهم الكلام . وقال فى كلامه : « أنا لا أرد شفاعتكم ، ولا أقطع رجاءكم ، والواجب عليكم اذا رأيتم منى انحرافا أن تنصحونى وترشدونى » ! ثم أخذ يلوم على السيد عمر فى تخلفه وتعنته ، ويثنى على البواقى « وفى كل وقت يعاندنى ويبطل أحكامى ، ويخوفنى بقيام الجمهور » .

فقال الشيخ المهدى : « هو ليس الا بنا ، واذا خلا عنا فلا يسوى بشىء . ان هو الا صاحب حرفة ، أو جابى وقف ... يجمع الايراد ويصرفه على المستحقين » !

فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ، ووافق ذلك ما فى نفوسهم من الحقد للسيد عمر ... والشيخ الدواخلى حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوى وعن نفسه ، ثم تناجوا معه حصة ، وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ماهو كامن فى نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس ، غير مفكرين فى العواقب . وحضروا عند السيد عمر — وهو ممتلىء بالغيظ مما حصل من الشذوذ ونقض العهد — فأخبروه بأن الباشا لم يحصل منه خلاف . وقال : « أنا لا أرد شفاعتكم ، ولكن نفسى لا تقبل التحكم ، والواجب عليكم — اذا رأيتمونى فعلت شيئا مخالفا — أن تنصحونى وتشفعوا . فأنا لا أردكم ، ولا أمتنع من قبول نصحكم . وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر ، فهذا لايناسب منكم ، وكأنكم تخوفونى بهذا الاجتماع ، وتهييج الشرور ، وقيام الرعية ، كما كنتم تفعلون فى زمان المماليك ، فأنا لا أفزع من ذلك . وان حصل من الرعية أمر ما ، فليس لهم عندى الا السيف والانتقام » .

فقلنا له : « هذا لايكون ، ونحن لانحب ثوران الفتن ، وانما اجتماعنا لأجل قراءة البخارى .. وندعو الله برفع الكرب » . ثم قال : « أريد أن تخبرونى عمن انتبذ لهذا الأمر ، ومن ابتدأ بالخلف » فغالطناه ، وأنه وعدنا بابطال الدمغة ، وتضعيف الفائظ الى الربع بعد النصف ، وأنكر الطلب بالأوسية والرزق من اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين ، وانفتح بينهم باب النفاق ، واستمر القال والقيل ، وكل حريص على حظ نفسه ، وزيادة شهرته وسمعته ، ومظهر خلاف ما فى ضميره .

جمادى الآخرة

الجمعة غرته (١٤ يولية ١٨٠٩ م) :

حضر ديوان أفندى وعبد الله بكتاش الترجمان . واجتمع المشايخ ببيت السيد عمر ، وتكلموا فى شأن الطلوع الى الباشا ومقابلته . فحلف السيد عمر أنه لا يطلع اليه ، ولا يجتمع به ، ولا يرى له وجها ... الا اذا أبطل هذه الأحدوثات وقال : « ان جميع الناس يتهمونى معه ، ويزعمون أنه لايتجارأ على شىء يفعله الا باتفاقى معه ، ويكفى ما مضى ، ومهما تقادم يتزايد فى الظلم والجور » ، وتكلم كلاما كثيرا . فلما لم يجبهم الى الذهاب ، قالوا : « اذن يطلع المشايخ » . وأرسلوا الى الشيخ الأمير ، فاعتذر بأنه متوعك الجسم ، ولا يقدر على الحركة ولا الركوب .

ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوى والمهدى والدواخلى والفيومى . وذلك على خلاف غرض السيد عمر ، وقد ظن أنهم يمتنعون لامتناعه ، للعهد السابق والأيمان . فلما طلعوا الى الباشا وتكلموا معه — وقد فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية — ثم ذاكروه فى أمر المحدثات . فأخبرهم أنه يرفع بدعة الدمغة ، وكذلك يرفع الطلب عن الأطيان الأوسية ، وتقرير ربع الفائظ . وقاموا على ذلك ، ونزلوا الى بيت السيد عمر ، وأخبروه بما حصل . فقال : « وأعجبكم ذلك ؟ » قالوا ... (١) قال : « انه أرسل يخبرنى بتقرير ربع المال الفائظ ، فلم أرض وأبيت الا رفع ذلك بالكلية . فانه فى العام السابق لما طلب احداث الربع ، قلت له هذه تصير سنة متبعة . فحلف أنها لاتكون بعد هذا العام وذلك لضرورة النفقة ، وان طلبها فى المستقبل يكون ملعونا ومطرودا من رحمة الله ، وعاهدنى على ذلك . وهذا فى علمكم كما لايخفاكم . قالوا : نعم ... وأما قوله انه رفع الطلب الى الأوسية والرزق ، فلا أصل لذلك ، وهاهى أوراق البحيرة .. وجهوا بها الطلب » .

فقالوا : « اننا ذكرنا له ذلك فأنكر ، وكابرناه بأوراق الطلب ، فقال : ان السبب فى طلب ذلك من اقليم البحيرة خاصة ، أن الكشافين لما نزلوا للكشف على أراضى الرى والشراقى — ليقرروا عليها فرضة الأطيان — حصل منهم الخيانة والتدليس . فاذا كان فى أرض البلدة خمسمائة فدان رى ، قالوا عليها مائة ، وسموا الباقى رزقا وأوسية . فقررت ذلك عقوبة لهم فى نظير تدليسهم وخياناتهم » . فقال السيد عمر : « وهل ذلك أمر واجب فعله ؟ أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه فى العام الماضى ... وهى فرضة الأطيان التى ادعى لزومها لاتمام العلوفة ، وحلف أنه لا يعود لمثلها ؟ فقد عاد وزاد ، وأنتم توافقونه وتسايرونه ، ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة ، وأنا الذى صرت وحدى مخالفا وشاذا ! » . ووجه عليهم اللوم فى نقضهم العهد والأيمان .

وانفض المجلس ، وتفرقت الآراء ، وراج سوق النفاق ، وتحركت حفائظ الحقد والحسد ، وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار ... والباشا يراسل السيد عمر ، ويطلبه للحضور اليه والاجتماع به ، ويعده بانجاز ما يشير عليه به . وأرسل اليه كتخداه ليترفق به ، وذكر له أن الباشا يرتب له كيسا فى كل يوم ، ويعطيه فى هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك ... فلم يقبل .

ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ، ويتجسس ويتفحص عن أحواله ، وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر ... وربما أغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا ، وأظهروا له كراهيتهم للباشا ، وأنه ان انتبذ لمقاقمته ساعدوه ، وقاموا بنصرته عليه . فلم يخف على السيد عمر مكره ، ولم يزل مصمما وممتنعا عن الاجتماع به ، والامتثال اليه ، ويسخط عليه ... والمترددون أيضا ينقلون ويحرفون بحسب الأغراض والأهواء .

واتفق فى أثناء ذلك : أن الباشا أمر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة — وهى الأربعة آلاف كيس — ويذكر فيه أنها صرفت فى المهمات : منها ماصرف فى سد ترعة الفرعونية — ومبلغه ثمانمائة كيس — وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية ، حتى دخلوا فى الطاعة ، كذلك مبلغا عظيما ، وما صرف فى عمارة القلعة والمجراة التى تنقل المياه اليها مبلغا أيضا ، وكذلك فى حفر الخلجان والترع ، ونقص المال الميرى بسبب شراقى البلاد ونحو ذلك . وأرسله الى السيد

(١) كذا فى الاصل .

عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال : « أما ماصرفه على سد الترعة ، فان الذى جمعه وجباه من البلاد يزيد على ماصرفه أضعافا كثيرة ، وأما غير ذلك .. فكله كذب لا أصل له وان وجد من يحاسبه على ما أخذه من القطر المصرى من الفرض والمظالم ، لما وسعته الدفاتر » .

فلما ردوا عليه وأخبروه بذلك الكلام ، حنق واغتاظ فى نفسه ، وطلبه للاجتماع به ، فامتنع . فلما أكثر من التراسل ، قال : « ان كان ولا بد .. فأجتمع معه فى بيت السادات ، وأما طلوعى اليه فلا يكون » . فلما قيل له فى ذلك ، ازداد حنقه ، وقال : « انه بلغ به أن يزدرينى ويرذلنى ، ويأمرنى بالنزول من محل حكمى الى بيوت الناس » .

الاربعاء ٢٧ منه (٩ اغسطس ١٨٠٩ م) :

ركب الباشا وحضر الى بيت ولده ابراهيم بيك الدفتردار ، وطلب القاضى والمشايخ المذكورين ، وأرسل الى السيد عمر رسولا من طرفه ، ورسولا من طرف القاضى ، بطلبه للحضور ليتحاقق ويتشارع معه . فرجعا وأخبرا بأنه شرب دواء ولا يمكنه الحضور فى هذا اليوم .

وكان قد أحضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوى . فعند ذلك أحضر الباشا خلعة ، وألبسها لشيخ السادات على نقابة الأشراف ، وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر — يوم تاريخه — فتشفع المشايخ فى امهاله ثلاثة أيام حتى يقضى أشغاله . فأجاب الى ذلك . ثم سألوه فى أن يذهب الى بلده أسيوط . فقال : « لايذهب الى أسيوط ، ويذهب اما الى سكندرية أو دمياط » .

فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك . قال : « أما منصب النقابة ، فانى راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه الا التعب . وأما النفى فهو غاية مطلوبى ، وأرتاح من هذه الورطة . ولكن أريد أن يكون فى بلدة لم تكن تحت حكمه ، اذا لم يأذن لى فى الذهاب الى أسيوط ، فليأذن لى فى الذهاب الى الطور أو الى درنة » فعرفوا الباشا ، فلم يرض الا بذهابه الى دمياط . ثم ان السيد عمر أمر باشجاويش أن يأخذ الجاويشية ، ويذهب بهم الى بيت السادات . وأخذ فى أسباب السفر

الخميس ٢٨ منه (١٠ اغسطس ١٨٠٩ م — ٥ مسرى ١٥٢٥ ق) :

أوفى النيل المبارك ونودى بالوفاء تلك الليلة . وخرج الناس لأجل الفرجة والضيافات فى الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار ، برزت الأوامر بتأخير الموسم لليلة السبت بالروضة . فبرد طعام أهل الولائم والضيافات ، وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم .

وحصلت الحمعية بلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد . وعملوا الجراقات والشنك ، وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضى ، وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج ، وانفض الجمع .

وفيه : اعتنى السيد محمد المحروقى بأمرالسيد عمر، وذهب الى الباشا وكلمه وأخبره بأنه أقامه وكيلا على أولاده وبيته وتعلقاته فأجازه بذلك ، وقال : « هو آمن من كل شىء ، وأنا لم أزل أراعى خاطره ولا أفوته » . ثم أرسل السيد المحروقى فأحضر ابن ابنة السيد عمر ، فقابل به الباشا ، وطمن خاطره . ولكن قال : «لابد من سفره الى دمياط» . وعندما طلب السيد المحروقى الغلام الى الباشا أشيع فى الناس وقوع الرضا ، وتناقل الناس ذلك ، وفرح أهل منزله ، وزغرطوا وسروا ، واستمروا على ذلك حتى رجع الغلام ، وتبين أنه لا شىء .

فانقلب الفرح بالترح . وتعين بالسفر ، صحبة السيد عمر ، كتخدا الألفى الى دمياط .

رجب

غرته (١٢ اغسطس ١٨٠٩ م) :

اجتمع المودعون للسيد عمر . ثم حضر محمد كتخدا المذكور ، فعند وصوله ، قام السيد عمر وركب فى الحال ، وخرج صحبته . وشيعه الكثير من المتعممين وغيرهم ، وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه . وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر ، لأنه كان ركنا وملجأ ومقصدا للناس ، ولتعصبه على نصرة الحق . فسار الى بولاق ، ونزل فى المركب وسافر من ليلته — بأتباعه وخدمه الذين يحتاج اليهم — الى دمياط .

وفيه : حضر الشيخ المهدى عند الباشا ، وطلب وظائف السيد عمر . فأنعم عليه الباشا بنظر أوقاف الامام الشافعى . ونظر وقف سنان باشا ببولاق ، وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات . فأمر بدفعها له من خزينته نقدا ، وقدرها خمسة وعشرون كيسا ، وذلك فى نظير اجتهاده فى خيانة السيد عمر ، حتى اوقعوا به ما ذكر .

وفيه : تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية . فعمرها على وضعها القديم . وقد كان آل الى الخراب .

٣ منه (١٤ اغسطس ١٨٠٩ م) :

خلع الباشا على ثلاثة من الأجناد المصرية المنسوبين لسليمان بيك البواب ، وقلدهم صناجق وأمراء الوقت ، وضم اليهم عساكر أتراك وأرنؤود ، ليسافر الجميع الى الجهة القبلية ، بسبب عصيان الأمراء المرادية ، وتوقفهم عن دفع المال والغلال . وكذلك عين للسفر أيضا احمد آغا لاظ ، وصالح قوج ، وبونابارته ، وحسن باشا ، وعابدين بيك ... فارتجت البلد .

وطلبوا المراكب ، فتعطل المسافرون الى الجهة القبلية والبحرية ، وكذلك امتنع مجىء الواصلين بالغلال والبضائع خوفا من التسخير . وقد كان حصل بعض الاطمئنان وسلوك الطريق القبلية ، ووصول المراكب بالغلال والمجلوبات .

١٠ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٩ م) :

سافر أحمد أغا لاظ وصالح قوج . خرجوا بعساكرهم ونزلوا فى المراكب وذهبوا الى قبلى .

وفيه : حضر محمد كتخدا الألفى من دمياط راجعا من تشييع السيد عمر ، ووصوله الى دمياط واستقراره بها .

١٩ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠٩ م) :

سافر من كان متأخرا الى الجهة القبلية ، ولم يبق منهم أحد .

٢٢ منه (٢ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

نادى منادى المعمار على أرباب الأشغال فى العمائر من البنائين والحجارين والفعلة ، بالا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس كائنا من كان ، وأن يجتمع الجميع فى عمارة الباشا بناحية الجبل .

٢٩ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

وردت أخبار عن التجريدة أزعجت الباشا . فاهتم اهتماما عظيما ، وقصد الذهاب بنفسه ، ونبه على جميع كبراء العساكر بالخروج ، وأن لا يتخلف منهم أحد ، حتى أولاده ابراهيم بيك الدفتردار وطوسون بيك ، وأنا هو المتقدم عنهم فى الخروج فى يوم الخميس . واستعجل التشهيل والطلب ، وأمر بتحرير دفتر فرضة « ترويجة » على اقليم المنوفية

والغربية والشرقيـة والقليوبية . وذكروا أنها من أصل حساب الشهرية المبتدعة .

وفيه : تقلد حسن أغا الشماشرجي كشـوفية المنوفية ، وأرخى لحيته على ذلك .

شعبـان

غرته (١١ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

نمق مشايخ الوقت عرضحال في حق السـيد عمر بأمر الباشا ليرسله صحبة السلحدار . وذكروا فيه سبب عزله ونفيه عن مصر ، وعدوا له مثالب ومعايب وجنحا وذنوبا منها : أنه أدخل في دفتـر الأشراف أسماء أشـخاص ممن أسلم من القبط واليهود . ومنها : أنه أخذ من الألفى — في السابق — مبلغـا من المـال ليملكه مصر في أيام فتنـة أحمد باشا خورشيد . ومنهـا : أنه كاتب الأمـراء المصريين أيضـا في وقت الفتنـة — حين كانوا بالقرب من مصر — ليحضروا على حين غفلة في يوم قطع الخليج ، وحصل لهم ماحصل ، ونصر الله عليهم حضرة الباشا . ومنها : أنه أراد ايقاع الفتن في العساكر لينقض دولة الباشا ، ويولى خلافه ، ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة وأخلاط العوام وغير ذلك . وذلك على حد من أعان ظالمـا سلط عليه . وكتبوا عليه أسماء المشايخ ، وذهبـوا به اليهم ليضعوا ختومهم عليه . فامتنع البعض من ذلك وقال : « هذا كلام لا أصل له » . ووقـع بينهم محاججات ، ولام الأعاظم المتنعـين على الامتناع ، وقالوا لهم : « أنتم لستم بأروع منا ، وأثبت لنفسه ورعا » . وحصـل بينهم منافسـات ومخالفات ومقابحات .

ثم غيروا صـورة العرضحال بأقل من التحامل الأول ، وكتب عليـه بعض المتنعين . وكان من المتنعين أولا وآخرا : السيد أحمـد الطحطاوي الحنفي . فزادوا في التحامل عليه ، وخصوصا شيخ السـادات والشيخ الأمير وخلافهما . واتفق أنه دعى في وليمة عند الشيخ الشنواني بحارة حوش قدم وتأخر حضوره عنهم . فصادفهم حال دخوله الى المجلس ، وهم خارجـون ، فسـلم عليهم ولم يصافحهم ... لمـا سبق منهم في حقه من الايذاء . فتطاول عليه ابن الشيخ الأمير ورفع صوته بتوبيخه وشـتمه لكونه لم يقبل يد والده . ويقول له في جملة كلامه : « أليس هو الا قليل الأدب والحياء . ثالث طبقة للشيخ الوالد » ! ونحو ذلك .

٣ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

سافر الباشا الى الجهة القبلية ، وتبعه العساكر .

١٣ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

سافر حسن باشا وعساكر الأرنؤود ، وتتابعوا في الخروج . وتحدث الناس بروايات عن الباشـا والأمراء المصريين وصلحه معهم ، وأن عثمان بيك حسن،ومحمد بيك المنفوخ ، ومحمد بيك الابراهيمى وصـلوا عند الباشـا وقابلوه . وأنه أرسل الى ابراهيم بيك الكبير ولده طوسون باشا ، فتلقـاه وأكرمه . وأرسل هو أيضا ولده الصغير الى الباشا فأكرمه . ووصـل الى مصر بعض نسـاء حريمـه وحريم الأمراء .

١٥ منه (٢٥ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

خرجت الدلاة والأرنـؤود ، وباقي الأجنـاد والعسكر . وأقام الباشـا كتخدا بيك قائم مقامه ، وأقام بالقلعة

وفيـه : اتفق الأشياخ والمتصدرون على عزل السـيد أحمـد الطحطاوي من افتاء الحنفيـة وأحضروا الشيخ حسـين المنصوري ، وركبـوا صحبته ، وطلعوا به الى القلعة — بعد أن مهدوا

القضية — فألبس قائمقام الشيخ حسين ... فروة ، ثم نزلوا . ثم طاف للسلام عليهم ، وخلعوا هم عليه أيضا خلعهم .

فلما بلغ الخبر السيد أحمد الطحطاوى ، طوى الخلع التى كانوا ألبسوها له عنـدما تقلد الافتاء ، بعـد موت الشـيخ ابراهيم الحريرى ، فى جمادى الأولى ، بقرب عهد ، وأرسلها لهم . وكان الشيخ السادات ألبسه حين ذاك فروة ، فلما ردها عليه ، احتـد واغتاظ ، وأخذ يسـبه ، ويذكر لجلسائه جرمه ، ويقول : « انظروا الى هذا الخبيث .. كأنه يجعلنى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه » .. ونحو ذلك .

وأما السيد أحمد فإنه اعتكف فى داره ، لايخرج منها الا الى الشيخونية بجواره ، واعتزلهم وترك الخلطة بهم ، والتباعد عنهم . وهم يبالغون فى ذمه والحط عليه ، لكونه لم يوافقهم فى شهادة الزور . والحامل لهم على ذلك كله ، الحظوظ النفسـانية والحسد . مع أن السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى أهـل البلدة ، ويدافـع ويرافع عنهم وعن غيرهم . ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ، ولم يزالوا بعده فى انحطاط وانخفاض .

وأما السـيد عمر ... فان الذى وقع له بعض ما يستحقه . ومن أعان ظالمـا سلط عليـه . ولا يظلم ربك أحدا .

رمضـــان

اواخره (اوائل نوفمبر ١٨٠٩ م) :

وصـل طائفة من الدلاتلية من ناحيـة الشام ، ودخلوا الى مصر ، وهم فى حالة رثة ، كما حضر غيرهم وصحبتهم من المخنثين المعروفين بـ . . . . الذين يتكلمون بالـكلام المؤنث ، ومعهـم دفوف وطنابير .

وفيه : حرروا دفتر الأطيان على ضريبة واحدة : عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ، ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى شىء ... كما وقع فى العام الماضى والذى قبله ، فى المراجعـة بحسب الرى والشراقى . وأما فى هذه السـنة فليس فيهـا شراقى ، فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الرى .

فان النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة ، وعلا على الأعالى ، وتلف بزيادته المفرطة الدراوى والأقصـاب بقبلى ، وكذلك غرق مزارع الأرز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقى ، بسبب انسـداد ترعة الفرعونية بتلك النـاحية .

ولمـا تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب — والباشا بقبلى — وأرسل بطلبها ليطلع عليها . فسافر اليه بها المعلم غالى ، وأخذ صحبته أحمـد أفندى اليتيم من طرف الروزنامة وعبد الله بكتاش الترجمان ، فذهبوا اليه بأسيوط وأطلعوه عليها ، فختم عليها . وانقضى شهر رمضان .

شـــوال

الثلاثاء ١٣ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٩ م) :

حضر المعلم غالى وأحمد أفندى وبكتاش وغيرهم من غيبتهم . وحضر أيضا فى أثرهم المعلم جرجس الجوهرى . وقد تقـدم أنه خرج من مصر هاربا الى الجهة القبلية واختفى مدة ، ثم حضر بأمان الى الباشا ، وقابله وأكرمه . ولمـا حضر نزل فى بيته الذى بحارة الونديك ، وفرشه له المعلم غالى ، وقام له بجميـع لوازمه . وذهب الناس ، مسلمهم ونصرانيهم ، وعالمهم وجاهلهم ، للسلام عليه .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٩ م) :

وصل الباشا على حين غفلة الى مصر فى تطريدة ،

وقد وصل من أسيوط الى ناحية مصر القديمة فى ثلاثين ساعة ، وصحبته ابنه طوسون وبونابارته الخازندار وسليمان أغا ، الوكيل سابقا ، لا غير . فركبوا حميرا متنكرين حتى وصلوا الى القلعة من ناحية الجبل ، وطلع من باب الجبل . وعند طلوعه من السفينة ، أمر ملاحيها أن لا يذكروا لأحد وصوله ، حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة . ثم طلع الى سرايته ودخل الى الحريم ، فلم يشعروا به الا وهو بالحريم . وعند ذلك أمر بضرب المدافع ، وأشيع حضوره . فركب كتخدا بيك وغيره مسرعين لملاقاته ، ثم بلغهم طلوعه الى القلعة ، فرجعوا على أثره .

وكان الخواجا محمود حسن البزرجان خرج لملاقاته — قبل وصوله بثلاثة أيام — الى ناحية الآثار ، وأخرج معه مطابخ وأغناما ، واستعد لقدومه استعدادا زائدا ... وذهب تعبه فى الفارغ البطال .

ثم بعد وصول الباشا بثلاثة أيام ، وصلت طوائف العسكر وعظمائهم ، ومعهم المنهوبات من الغلال والأغنام والفحم والحطب والقلل وأنواع التمر وغير ذلك ، حتى أخشاب الدور وأبوابها .

الاثنين ٢٦ منه (٤ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

وصل حسن باشا وطوائف الأرنؤود وصالح قوج والدلاة والترك ، ووصل أيضا شاهين بيك الألفى ، وصحبته محمد بيك المنفوخ المرادى ، ومحمد بيك الابراهيمى — وهم الذين حضروا فى هذه المرة من المخالفين — وقيل ان البواقى أخذوا مهلة لبعد التخضير وأما ابراهيم بيك تابع الأشقر ، ومحمد أغا تابع مراد بيك الصغير ، وصحبتهم عساكر ، فذهبا الى ناحية السويس بسبب وصول طائفة من العربان ، قالوا انها من التابعة للوهابيين ، حضروا وأقاموا عند بئر الماء ، ومنعوا السقيا منها .

ذو القعدة

غرته (٨ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا ، وباقى العسكر ، وسكنوا الدور ، وأزعجوا الناس ، وأخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم ببولاق ومصر وغيرهما .

واتفق أن بعض ذوى المسكر من العسكر — عندما أراد السفر الى جهة قبلى — أرسل لصاحب الدار ، التى هو غاصبها وساكن فيها ، فأحضره وسلمه المفتاح ، وهو يقول له : « تسلم يا أخي دارك واسكنها ، بارك الله لك فيها ، وسامحنى وأبرىء ذمتى ... فربما أنى أموت ولا أرجع ! » ، ولأن الكثير منهم تولى المناصب والأمريات بالجهة القبلية .

وعندما يتسلم صاحب الدار داره ، يفرح بخلاصها ، ويشرع فى عمارتها واعادة ما تهدم منها ، فيكلف نفسه — ولو بالدين — ويعمرها فما هو الا أن تتم العمارة والمرمة فى مدة غيبتهم . فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجمله وخدمه ... فما يسع الشخص الا الرحلة ، ويتركها لغريمه . وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين !

وفيه : وصلت أخبار بأن عمارة الفرنساوية نزلت الى البحر . وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركبا محاربين ، لا يعلم قصدهم أى جهة من الجهات .. وحضر ثلاثة أشخاص من الططر المعدين لتوصيل الأخبار ، وبيدهم مرسوم ، مضمونه : الأمر بالتحفظ على الثغور . فعند ذلك أمر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور .

٨ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر الى

سكندرية ، وكذلك سافر خلافه الى رشيد ، والى دمياط وأبى قير والبرلس .

١٨ منه (٢٥ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

ركب الباشا ليلا ، وخرج مسافرا الى السويس ليكشف على قلاع القلزم . وقام له بالاحتياجات — من أحمال الماء والعليق والزوادة واللوازم — السيد محمد المحروقى . وكان خروجه ومن معه على الهجن .

٢٤ منه (٣١ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

حضر الباشا من السويس — وكان وصوله ليلا — وطلع الى القلعة .

ذو الحجة

الاحد غرته (٧ يناير ١٨١٠ م) :

شرع الباشا فى انشاء مراكب لبحر القلزم . فطلب الأخشاب الصالحة لذلك ، وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصرى القبلى والبحرى ، وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم ، وجعل بساحل بولاق ترسخانة وورشات ، وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين ، فيهيئونها وتحمل أخشابا على الجمال ، ويركبها الصناع بالسويس سفينة ، ثم يقلفطونها ويبيضونها ويلقونها فى البحر . فعملوا أربع سفائن كبار ، احداها يسمى « الأبريق » ، وخلاف ذلك داوات لحمل السفار والبضائع .

ومن الحوادث فى آخره : أن امرأة ذهبت إلى عرصة الغلة بباب الشعرية واشترت حنطة ، ودفعت فى ثمنها قروشا . فلما ذهبت ، نظروها ونقدوها ، فاذا هى من عمل الزغلية . ثم عادت بعد أيام فاشترت الغلة ودفعت الثمن قروشا أيضا فذهب البائع معها الى الصيرفى ، فوجدها مزغولة مثل الأولى فعلموا أنها الغريمة فقال لها الصيرفى : « من أين لك هذا ؟ » فقالت : « من زوجى » . فقبضوا عليها وأتوا بها الى الأغا . فسألها الأغا عن زوجها فقالت : « هو عطار بسوق الأزهر » . فأخذها الأغا وحضر بها الى بيت الشيخ الشرقاوى — بعد العشاء — وأحضروا زوجها ، وسألوه فقال : « أنا أخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى ! » . فانفعل الشيخ وقال : « ان يكن هو ابنى .. فأنا برىء منه » . وطلبوه . فتغيب واختفى . وأخذ الأغا المرأة وزوجها وقررهما ، فأقر الرجل ، وعرف عن عدة أشخاص يفعلون ذلك ، وفيهم من مجاورى الأزهر ، فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض ، وقبض على أشخاص ومعهم العدد والآلات ، وحبسهم أيضا بالقلعة عند كتخدا بيك وفر ناس من مجاورى الأزهر من مصر ، لما قام بهم من الوهم .

وفى كل يوم يشاع بالتنكيل والتجريس للمقبوض عليهم ، وقتلهم ولم يزل الأغا يتجسس حتى جمعوا ستة عشر عدة ، وأرسلوها الى بيت محمد أفندى ناظر المهمات ، وسألوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد منكم ، فأنكروا وجحدوا ، وقالوا : « هذا من صناعه الشام » ثم كسروها وأبطلوها . وطال أمر المحبوسين ، والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره أو شريكه .

فكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث ... خصوصا بنسبتها لخطة الأزهر . فكان كل من اشترى شيئا ، ودفع الثمن للبائع قروشا ، ذهب بها الى الصيرفى — لأن فى ذاك الوقت لم يكن موجودا بأيدى الناس خلافها — وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى . « ربما تكون أزهرية » ! ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

* * *

وانقضت السنة بحوادثها التى منها ما ذكر .

ومنها : احداث بدعة المكس على النشوق . وذلك أن بعض المتصدرين من نصارى الأروام ، أنهى الى كتخدا بيك أمر النشوق وكثرة المستعملين له والدقاقين والباعة ، وأنه اذا جمع دقاقوه وصناعه فى مكان واحد ، ويجعل عليهم مقادير ، ويلتزم به ويضبط رجاله وجمع ماله وايصاله الى الخزينة ... من يكون ناظرا وقيما عليه ، كغيره من أقلام المكوس التى يعبرون عنها بالجمارك ، فانه يتحصل من ذلك مال له صورة .

فلما سمع كتخدا بيك ذلك أنهاه الى مخدومه . فأمر فى الحال بكتابة فرمان بذلك . واختار الذى جعلوه ناظرا على ذلك خانا بخطة «بين الصورين» . ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك الخان ، ومنعوهم من جلوسهم بالأسواق والخطط المتفرقة ... والقيم على ذلك يشترى الدخان المعد لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده : لا يزيد على ذلك ، ولا يشتريه سواه . وهو يبيعه على صناع النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه . ومن وجده باع شيئا من الدخان أو اشتراه ، أو سحق نشوقا خارجا عن ذلك الخان — ولو لخاصة نفسه — قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا .

وعينوا معينين لجميع القرى والبلدان القبلية والبحرية ، ومعهم من ذلك الدخان ، فيأتون الى القرية ويطلبون مشايخها ويعطونهم قدرا موزونا ، ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذى بيدهم . فيقول أهل القرية : « نحن لانستعمل النشوق ولا نعرفه ، ولا يوجد عندنا من يصنعه ، وليس لنا به حاجة ، ولا نشتر به ولا نأخذه » . فيقال لهم : « ان لم تأخذوه .. فهاتوا ثمنه » ! فان أخذوه أو لم يأخذوه ، فهم ملزومون بدفع القدر المعين المرسوم ، ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم !

ومنها أيضا : « النطرون » فرقوه وفرضوه على القرى ، محتجين أيضا باحتياج الحياكة والقزازين اليه ، لغسل غزل الكتان وبياض قماشه ونحو ذلك !

وأشنع من ذلك كله : أنهم أرادوا فعل مثل هذا فى الشراب المسكر المعروف « بالعرقى » . والزام أهل القرى بأخذه ودفع ثمنه — ان أخذوه أو لم يأخذوه — فقيل لهم فى ذلك فقالوا : « ان شربه يقوى أبدانهم على أعمال الزرع والزراعة والحرث والكد فى القطوة والنطالة والشادوف » . ثم بطل ذلك .

ومنها : أن الباشا شرع فى عمل زلاقة تجاه باب القلعة — المعروف بباب الجبل — موصلة الى أعلى الجبل المقطم . فجمعوا البنائين والحجارين والفعلة للعمل ، وحرقوا عدة قمينات للجير بجانب العمارة ، وطواحين للجبس . ونودى بالمدينة على البنائين والفعلة بأن لا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس ، كائنا من كان ، ويجتمع الجميع فى عمارة الباشا بالقلعة والجبل ، الى أن كمل عملها فى السنة التالية : طريقا واسعا ، منحدرا من الأعلى الى الأسفل ، ممتدا فى المسافة ، سهلا فى الطلوع الى الجبل أو الانحدار منه ، بحيث يجوز عليه الماشى والراكب من غير مشقة ولا تعب كثير .

* * *

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

مات العلامة المفيد ، والنحرير الفريد ، الفقيه النبيه : الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريرى الحنفى ، مفتى مذهب السادات الحنفية كوالده .

تفقه على والده ، وحضر فى المعقولات على أشياخ الوقت : كالبيلى والدردير والصبان وغيرهم .

وأنجب وتمهر ، وصارت فيه ملكة جيدة ، واستحضار للفروع الفقهية . ولما مات والده فى شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف ، تقلد منصب والده فى الافتاء . وكان لها أهلا مع التحرى

والمراجعة فى المسائل المشكلة ، والعفة والصيانة والديانة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة . مواظبا لوظائفه ودروسه ، ملازما لداره الا مادعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع أرباب المظاهر .

وكان مبتلى بضعف البصر ، وبآخرته اعتراه داء الباسور ، وقاسى منه شدة ، وانقطع بسببه عن الخروج من داره . ووصف له حكيم بدمياط فسافر اليه لأجل ذلك ، وقصد تغيير الهواء — وذلك باشارة نسيبه الشيخ المهدى — وقاسى أهوالا فى معالجته ، وقطعه بالآلة ... فلم ينجح .

ورجع الى مصر متزايد الألم . ولم يزل ملازما للفراش حتى توفى الى رحمة الله سبحانه وتعالى فى يوم الاثنين ، تاسع عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويدارى ، ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر ، وخلف ولده النجيب الأديب : سيدى محمد ، الملقب عبد المعطى . بارك الله فيه وأعانه على وقته .

* * *

ومات الامام العلامة ، والعمدة الفهامة ، شيخ الاسلام والمسلمين : الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الأزهرى . وهو من آخر طبقة الأشياخ من أهل القرن الثانى .

تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه ، وحضر الأشياخ المتقدمين : كالدفرى ، والحفنى ، والصعيدى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ الصباغ السكندرى ، والشيخ فارس .

وقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة . ولم يزل ملازما على القاء الدروس بالأزهر — على طريقة المتقدمين — مع العفة والديانة ، والانجماع عن الناس ، راضيا بحاله ، قانعا بمعيشته ، ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر .

ولم يتجرأ على الفتيا ، مع أهليته لذلك وزيادة ، ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور... مع التجمل فى الملبس والمركب واظهار الغنى ، وعدم التطلع لما فى أيدى الناس . ويصدع بالحق فى المجالس ، ولا يتردد الى بيوت الحكام والأكابر ... الا فى النادر ، بقدر الضرورة ، مع الأنفة والحشمة . ولا يشكو ضرورة ولا حاجة ولا زمانا .

ولم يزل على حالته ، حتى مرض أياما ، وتوفى ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة ، عن أربع وثمانين سنة . وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية . فمروا بالجنازة على خطة الجمالية ، على النحاسين ، على الأشرفية ، ودخلوا من حارة الخراطين الى الجامع الأزهر ، وصلى عليه فى مشهد حافل . ودفن على والده بتربة المجاورين .

وخلف من الأولاد الذكور أربعة رجال ذوى لحى صلحاء ، وخطهم الشيب ، خلاف البنات ، رحمه الله وعفا عنا وعنه .

* * *

ومات الفقيه النبيه ، الصالح الورع ، العالم المحقق : الشيخ أحمد ، الشهير ببرغوت ، المالكى . ومولده بالبلدة المعروفة « باليهودية » بالبحيرة .

تفقه على أشياخ العصر ، ومهر فى الفقه والمعقول . وأقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة ، واشتهر ذكره بينهم ، وشهدوا بفضله . وكان على حالة حسنة منجمعا عن الناس ، وراضيا بما قسمه له مولاه ، منكسر النفس ، متواضعا . ولم يتزى بعمامة الفقهاء ... يمشى فى حوائجه .

وتمرض « بالزمانة » مدة سنين يتعكز بعصاه ،

ولم يقطع درسه ولا أماليه حتى توفى الى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الأربعاء خامس شهر صفر من السنة ، ودفن بتربة المجاورين . رحمه الله .

* * *

ومات العمدة النحرير ، والنبيل الشهير : الشيخ سليمان الفيومى المالكي . ولد بالفيوم ، وحضر الى مصر ، وحفظ القرآن ، وجاور برواق الفيمة بالأزهر .

وكان فى أول عمره يمشى خلف حمار الشيخ الصعيدى ، وعليه دراعة صوف وشملة صفراء . ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما . واختلط مع المنشدين — وكان له صوت شجى — فيذهب مع المتذكرين الى بيوت الأعيان فى الليالى ، فينشد الانشادات ، ويقرأ الأعشار . فيعجبون به ويكرمونه زيادة على غيره .

واختلط ببعض الأعيان الذين يقال لهم « البرقوقية » من ذرية السلطان « برقوق » — وهم نظار على أوقافه — فراج أمره ، وكثرت معارفه بالأغوات الطواشية ، وبهم توصل الى نساء الأمراء والسعى فى حوائجهن وقضاياهن ، وصار له قبول زائد عندهن وعند أزواجهن .

وتجمل بالملابس ، وركب البغال ، وأحدق به المحدقون . وتزوج بامرأة بناحية قنطرة الأمير حسين ، وسكن بدارها فماتت فورثها .

ولما مات الشيخ محمد العقاد ، تعين المترجم لمشيخة رواق « الفيمة » . وبنى له محمد بيك ، المعروف بالمبدول ، دارا عظيمة بحارة عابدين . واشتهر ذكره ، وعلا شأنه ، وطار صيته .

وسافر فى بعض مقتضيات الأمراء الى دار السلطنة ، وعاد الى مصر . وأقبلت عليه الهدايا من الأمراء والحريمات والأغوات والأقباط وغيرهم . واعتنوا بشأنه وزوجته الست « زليخا » زوجة ابراهيم بيك الكبير بنت عبد الله الرومى وتصرف فى أوقاف أبيها ، ومنها عزب البر تجاه رشيد وغيرها ، فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية .

وكان — مع قلة بضاعته فى العلم — مشاركا بسبب التداخل فى القضايا . وكان كريم النفس جدا : يجود ، وما لديه قليل ، مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع ، والمواساة للكبير والصغير ، والجليل والحقير . وطعامه مبذول للواردين ، ومن أتى الى منزله فى حاجة أو زائرا ، لا يمكنه من الذهاب حتى يغديه أو يعشيه .

واذا أتاه مسترفد ، ولم يجد معه أشياء ... اقترض وأعطاه فوق مأموله ، ولا يبخل بجاهه وسعيه على أحد ، كائنا ما كان ، بعوض وبدونه .

ومما اتفق له مرارا ، أنه يركب من الصباح فى حوائج الناس فلا يعود الا بعد العشاء الأخيرة ، فيلاقيه آخر — ذو حاجة — فى نصف الطريق أو آخره ، فينهى اليه قصته : اما بشفاعة عند أمير ، أو خلاص مسجون أو غير ذلك . فيقف له ، ويستمع قصته ، وهو راكب ، فيقول له : « فى غد نذهب اليه فان الوقت صار ليلا » فيقول صاحب الحاجة : « هو فى داره فى هذا الوقت » فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة الى ذلك الأمير — ولو بعدت داره — ويقضى حاجته ، ويعود بعد حصة من الليل . وهكذا كان شأنه ، ولا ينتظر ولا يؤمل جعالة ولا أجرة نظير سعيه ، فان أتوه بشىء أخذه ، أو هدية قبلها — قلت أو كثرت — وشكرهم على ذلك . فمالت اليه القلوب ، ووفدت اليه ذوو الحاجات من كل ناحية .

فلا يرد أحدا ، ويستقبلهم بالبشاشة ، وينزلهم فى داره ، ويطعمهم ويكرمهم ، ويستمرون فى ضيافته حتى يقضى حوائجهم ويزودهم ، ويرجعون الى أوطانهم مسرورين ، ومجبورين ، وشاكرين . ثم يكافئونه بما أمكنهم من المكافآت . واذا وصلت

اليه هدية ، وصادف وصولها حضوره بالمنزل ، فرق منها على من بمجلسه من الحاضرين .

فبذلك انجذبت اليه القلوب ، وساد على أقرانه ومعاصريه ، كما قيل :

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر ، وارتحل الأمراء المصريون الى الصعيد ، وأحاط بدورهم ، وطلب الأموال من نسائهم ، وقبض على أولادهم وجواريهم وأمهات أولادهم ، وأنزلهم سوق المزاد ... التجأ الى المترجم الكثير من نساء الأمراء الكبار ، فأواهن ، وأجهد نفسه فى السعى فى حمايتهن ، والرفق بهن ومواساتهن ، مدة اقامة حسن باشا بمصر ، وبعدها فى امارة اسمعيل بيك .

فلما رجع أزواجهن — بعد الطاعون — الى امارتهم ، ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبته ووجاهته ، واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ، ومكارم الأخلاق والديانة والتورع . فكان يدخل الى بيت الأمير ، ويعبر الى محل الحريم ، ويجلس معهن ، وينسرون بدخوله عندهم ، ويقولون : « زارنا أبونا الشيخ ... وشاورنا أبانا الشيخ ... فأشار علينا بكذا ... » ونحو ذلك .

ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة ، الى أن طرقت الفرنساوية البلاد المصرية ، وأخرجوا منها الأمراء . وخرج النساء من بيوتهن ، وذهبن اليه أفواجا أفواجا حتى امتلأت داره وما حولها من الدور بالنساء . فتصدى لهن المترجم ، وتداخل فى الفرنساوية ، ودافع عنهن . وأقمن بداره شهورا . وأخذ أمانا لكثير من الأجناد المصرية وأحضرهم الى مصر ، وأقاموا بداره ليلا ونهارا .

وأحبه الفرنساوية أيضا ، وقبلوا شفاعاته ، ويحضرون الى داره ، ويعمل لهم الولائم . وساس أموره معهم ، وقرروه فى رؤساء الديوان الذى رتبوه لأجراء الأحكام بين المسلمين .

ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على النسق الذى جعلوه ، ورتبوا على مشايخ كل بلد شيخا ترجع أمور البلدة ومشايخها اليه ، وشيخ المشايخ المترجم ، مضافا ذلك لمشيخة الديوان ، وحاكمهم الكبير فرنساوى يسمى « ابريزون » . فازدحمت داره بمشايخ البلدان ، فيأتون اليه أفواجا ، ويذهبون أفواجا . وله مرتب خاص خلاف مرتب الديوان .

واستمر معهم فى وجاهته الى أن انقضت أيامهم ، وسافروا الى بلادهم . وحضرت العثمانية والوزير . والمترجم فى عداد العلماء والمتصدرين : وافر الحرمة ، شهير الذكر ، بعيد الصيت ، مرعى الجانب ، مقبول القول عند الأكابر والأصاغر .

ولما قتل خليل أفندى الرجائى الدفتردار وكتخدا بيك فى حادثة مقتل طاهر باشا ، التجأ اليه أخو الدفتردار وخازنداره وغيرهما ، وذهبوا الى داره ، وأقاموا عنده ... فحماهم وواساهم حتى سافروا الى بلادهم .

ولم يزل على حالته حتى نزل به خلط بارد ، فأبطل شقه ، وعقد لسانه ، واستمر أياما ، وتوفى ليلة الأحد ، خامس عشر ذى الحجة ، وخرجوا بجنازته من بيته بحارة عابدين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار المتقدمين ، وربما كان جمع النساء خلفه ، كجمع الرجال فى الكثرة ، ووجدوا عليه ديونا نحو العشرة آلاف ريال ، سامحه أصحابها ولم يخلف من الأولاد الا ابنتين . رحمه الله وسامحه ، وعفا عنا وعنه آمين .

المحرم

غرته (٦ فبراير ١٨١٠ م) :

وردت الأخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب ، واستيلائهم على ممالك كثيرة . وأنه واقع باسلامبول شدة حصر وغلاء فى الأسعار وتخوف . وأنهم يذيعون فى الممالك بخلاف الواقع لأجل التطمين .

٥ منه (١٠ فبراير ١٨١٠ م) :

حضر ابراهيم أفندى القابجى ، الذى كان توجه الى الدولة من مدة سابقة ، وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال . وعملوا لقدومه شنكا ومدافع . وطلع فى موكب الى القلعة .

وفيه : رجع ديوان أفندى من ناحية قبلى ، وصحبته أحمد آغا شويكار ، فأقاما بمصر أياما ، ثم رجعا بجواب الى الأمراء القبليين .

١٣ منه (١٨ فبراير ١٨١٠ م) :

فى ليلته حصلت زلزلة عجيبة مزعجة ، وارتجت منها الجهات ثلاث رجات متواليات ، واستمرت نحو أربع دقائق . فانزعج الناس منها من منامهم ، وصار لهم جلبة وقلقة ، وخرج الكثير من دورهم هاربين الى الأزقة يريدون الخلاص الى الفضاء .. مع بعده عنهم . وكان ذلك فى أول الساعة السابعة من الليل. وأصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم . وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة ، وتشققت جدران ، وسقطت منارة بسوس ، ونصف منارة بأم اخنان بالمنوفية ، وغير ذلك لانعلمه .

وفى عصريته أيضا حصلت زلزلة — ولكن دون الأولى — فانزعج الناس منها أيضا ، وهاجوا ، ثم سكنوا ، ثم كثر لغط العالم بمعاودتها . فمنهم من يقول ليلة الأربعاء ، ومنهم من يقول خلافه ، وأنها تستمر طويلا . وأسندوا ذلك لبعض المنجمين . ومنهم من أسنده لبعض النصارى واليهود . وأن رجلا نصرانيا ذهب الى الباشا وأخبره بحصول ذلك ، وآكد فى قوله وقال له : « احبسنى .. وان لم يظهر صدقى ، اقتلنى » . وأن الباشا حبسه حتى يمضى الوقت الذى عينه ليظهر صدقه من كذبه . وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم وأكاذيبهم ، وما يعلم الغيب الا الله .

١٤ منه (١٩ فبراير ١٨١٠ م) :

أمر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الأقباط : كالمعلم غالى ، والمعلم جرجس الطويل ، وأخيه ، وفلتيوس ، وفرانسيكو — وعدتهم سبعة — فأحضروهم فى صورة منكرة ، وسمروا دورهم ، وأخذوا دفاترهم . فلما حضروا بين يديه ، قال لهم : « أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه » . وأمر بحبسهم . فطلبوا منه الأمان ، وأن يأذن لهم فى خطابه . فأذن لهم . فخاطبه المعلم غالى ، وخرجوا من بين يديه الى الحبس . ثم قرر عليهم بواسطة حسين أفندى الروزنامجى سبعة آلاف كيس ، بعد أن كان طلب منهم ثلاثين ألف كيس .

١٨ منه (٢٣ فبراير ١٨١٠ م) :

شاع فى الناس حصول زلزلة تلك الليلة — وهى ليلة الجمعة — ويكون ذلك فى نصف الليل . فتأهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد ، فخرجوا بنسائهم وأولادهم الى شاطىء النيل ببولاق ونواحى الشيخ قمر ، ووسط بركة الأزبكية ... وغيرها . وكذلك خرج الكثير من العسكر أيضا ، ونصبوا خياما فى وسط الرميلة وقراميدان والقرافتين . وقاسوا تلك الليلة من البرد ما لايكيف ولايوصف، لأن الشمس كانت ببرج الدلو ، وهو وسط الشتاء ، ولم يحصل شىء مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه .

وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والأماكن ، وفتشوها .

فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكى الى الحكام من ذلك . فنادوا فى الأسواق بأن لا أحد يذكر أمر الزلزلة ، وكل من خرج لذلك من داره ... عوقب . فانكفوا وتركوا هذا اللغط الفارغ .

وفيه : ظهر بالأزهر أنفار يقفون بالليل بصحن الجامع الأزهر . فاذا قام انسان لحاجته منفردا أخذوا ما معه ، وأشيع ذلك . فاجتهد الشيخ المهدى فى الفحص والقبض على فاعل ذلك ، الى أن عرفوا أشخاصهم ونسبهم . وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعممين . فستروا أمرهم ، وأظهروا شخصا من رفقائهم ليس له شهرة ، وأخرجوه من البلدة منفيا ، ونسبوا اليه الفعال . وسينكشف ستر الفاعلين فيما بعد ، ويفتضحون بين العالم ... كما يأتى خبر ذلك فى سنة سبع وعشرين .

وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش ، سكنوا بحارة الأزهر ، واجتمعوا فى أهله . حتى ان أكابر الدولة وعساكرهم ، بل وأهل البلد والسوقة ، جعلوا سمرهم ، وديدنهم ذكر الأزهر وأهله ، ونسبوا له كل رذيلة وقبيحة . ويقولون : نرى كل موبقة تظهر منه ومن أهله . وبعد أن كان منبع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك . وقد ظهر منه قبل الزغلية ، والآن الحرامية وأمور غير ذلك مخفية .

وفيه : طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الزلاقة ، التى أنشأها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها . وأراد أن يفرض على الأخطاط والحارات رجالا للعمل بعدد مخصوص ، ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة ، يفرض عليه بدلا عنه ، أو قدرا من الدراهم يدفعها نظير البدل . وأشيع هذا الأمر ، واستحضر الأوباش على الطبول والزمور ... كما كانوا يفعلون فى قضية عمارة محمد باشا خسرو . ثم ان الشيخ المهدى اجتمع بكتخدا بيك ، وأدخل عليه وهما أن محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له أمر ، وعزل ولم تطل أيامه . ونحن نطلب دوام دولتكم ، والأولى ترك هذا الأمر . فتركوا ذلك ، ولم يذكروه بعد .

صفر

غرته (٨ مارس ١٨١٠ م) :

قلد الباشا خليل أفندى النظر على الروزنامجى وكتابه ، وسموه كاتب الذمة — أى ذمة الميرى من الايراد والمصرف — وكان ذلك عند فتح الطلب بالميرى عن السنة الجديدة ، فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ، ويكتب عليها علامته . فتكدر من ذلك الروزنامجى وباقى الكتبة . وهذه أول دسيسة أدخلوها فى الروزنامة ، وابتداء فضيحتها ، وكشف سرها ... وذلك باغراء بعض الأفندية الخاملين . أنهى اليهم أن الروزنامجى ومن

معه من الكتاب يوفرون لأنفسهم الكثير من الأموال الميرية ، ويتوسعون فيها . وفى ذلك اجحاف بمال الخزينة . وخليل أفندى هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ، ولا يفيق من الشرب !

وفيه : طلب الباشا ثلاثة أشخاص من كتبة الأقباط ، الذين كانوا متقيدين بقياس الأراضى بالمنوفية ، وضربهم وحبسهم ... لكونه بلغه عنهم أنهم أخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين أراضى بعض البلاد ، وأنقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين ... وهى البدعة التى حدثت على الطين الرى ، وسموها القياسة — وقد تقدم ذكرها غير مرة — وحررت فى هذه السنة على الكامل ، لكثرة النيل ، وعموم الماء الأراضى . على أنه بقى الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقى بسبب عدم حفر الترع ، وحبس الحبوس ، وتجسير الجسور ، واشتغال الفلاحين والملتزمين بالفرض والمظالم وعجزهم عن ذلك .

ه منه (١٢ مارس ١٨١٠ م) :

طلب الباشا كشاف الأقاليم . وشرع فى تقرير فرضة على البلاد ، بما يقتضيه نظره ونظر كشاف الأقاليم والمعلمين القبط . فقرروا على أعلاها ثمانين كيسا ، والأدنى خمسة عشر كيسا . ولم يتقيد بتحرير ذلك أحد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال ، ولم يعطوا بالمقادير أوراقا لملتزمى الحصص ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك .

فان الملتزم كان اذا بلغه تقرير فرضة ، تدارك أمره ، وذهب الى ديوان الكتبة ، وأخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها ، وأخذ منهم مهلة بأجل معلوم ، وكتب على نفسه وثيقة وأبقاها عندهم . ثم يجتهد فى تحصيل المبلغ من فلاحيه .

وان لم يسعفوه فى الدفع ، وحولوا عليه الطلب ، دفعه من عنده ان كان ذا مقدرة ، أو استدانه ولو بالربا ، ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئا فشيئا .. كل ذلك حرصا على راحة فلاحى حصته وتأمينهم واستقرارهم فى وطنهم ، ليحصل منهم المطلوب من المال الميرى ، وبعض ما يقتاتون به هم وعيالهم . وان لم يفعل ذلك ، تحول باستخلاص ذلك كاشف الناحية ، وعين على الناحية الأعوان بالطلب الحثيث ، وما ينضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم .

وان تأخر الدفع ، تكرر الارسال والطلب على النسق المشروح . فيتضاعف الهم ... وربما ضاع فى ذلك قدر الأصل المطلوب وزيادة عنه مرة أو مرتين . والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط — وهو فى كل ريال عشرة أنصاف فضة يسمونها ديوانى — فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفا فضة ، ويجعل التسعين ثمانين ... وذلك خلاف ما يقرره فى أوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط . فينكشف حال الفلاح ، ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ، ثم يفر من بلدته الى غيرها ، فيطلبه الملتزم ، ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية بحق طريق أيضاً : فربما أداه الحال — ان كان خفيف العيال والحركة — الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية !

وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر ... الذين جلوا عنها وخرجوا منها ، وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور .

واذا ضاق الحال بالملتزم ، وكتب له عرضحالا يشكو حاله أو حال بلده أو حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف ، وتجاسر وقدم عرضحاله الى الباشا ، يقال له : هات التقسيط ، وخذ ثمن حصتك أو بدلها . أو يعين له ترتيبا بقدر فائظها على بعض

الجهات المبرية من المكوس والجمارك التى أحدثوها. فان سلم سنده وكان ممن يراعي جانبه ، حول الى بعض الجهات المذكورة صورة ، والا أهمل أمره . وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال الفرض . وقد وقع ذلك لكثير من أصحاب الذمم المتعددة : انكسر عليه مقادير عظيمة ، فنزل عن بعضها ، وخصموا له ثمنها من المنكسر عليه من القرضة ، وبقى عليه الباقي يطالب به . فان حدثت قرضة أخرى قبل غلاق الباقي ، وقعد بها ، وضمت الى الباقي ، وقصرت يده لعجز فلاحيه ، واستدان بالربا من العسكر ... تضاعف الحال ، وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر الى خلاص نفسه ، وينزل عما بقى تحت يده كالأول وقد يبقى عليه الكسر ويصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا . وقد وقع ذلك لكثير ... كانوا أغنياء ذوى ثروة ، وأصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وفيه : تحركت همم الأمراء المصريين القبليين الى الحضور الى ناحية مصر ، بعد ترداد الرسل والمكاتبات ، وحضور ديوان أفندى ورجوعه ، وحضور محمد بيك المنفوخ أيضا . وكل من حضر منهم أنعم عليه الباشا ، وألبسه الخلع ، ويقدم له التقادم ، ويعطيه المقادير العظيمة من الأكياس — وقصده الباطنى صيدهم — حتى أنه كان أنعم على محمد بيك المنفوخ بالتزام جمرك ديوان بولاق ، ثم عوضه عنه ستمائة كيس وغير ذلك .

وفيه : قلد الباشا نظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز . ونقلوا ورشة الحدادين ومنافخهم وعددهم من بيت محمد أفندى طبل الودنلى — المعروف بناظر المهمات — الى بيت صالح المذكور بناحية التبانة . وكذلك العربجية وصناع الجلل والمدافع ، ونزعوا منه أيضا معمل البارود — وكان تحت نظره — وكذلك قاعة الفضة . وجمرك اللبان وغيره .

وفيه : وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها ، بوقوع الزلزلة فى الوقت الذى حصلت فيه بمصر ... الا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة . وحصل فى بلاد كريت اتلافات كثيرة . وهدمت أماكن ودورا كثيرة . وهلك كثير من الناس تحت الردم ، وخسفت أماكن ، وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب . وحصل أيضا باللاذقية خسف .

وحكى الناقلون : أن الأرض انشقت فى جهة من اللاذقية . فظهر فى أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا !

وفيه من الحوادث : ما وقع ببيت المقدس . وهو أنه لما احترقت القمامة الكبرى (كما تقدم ذكر حرقها فى العام الماضى) أعرضوا الى الدولة . فبرز الأمر السلطانى باعادة بنائها ، وعينوا لذلك أغا قابجى وعلى يده مرسوم شريف . فحضر الى القدس وحصل الاجتهاد فى تشهيل مهمات العمارة ، وشرعوا فى البناء على وضع أحسن من الأول ، وتوسعوا فى مساحة جرمها ، وأدخلوا فيها أماكن مجاورة لها ، وأتقنوا البناء اتقانا عجيبا ، وجعلوا أسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ، ونقلوا اليها من رخام المسجد الأقصى . فقام بمنع ذلك جماعة من الأشراف الينكجرية ، وشنعوا على الأغا المعين وعلى كبار البلدة ، وتعصبوا حماية للدين ، قائلين : « ان الكنائس اذا خربت لا يجوز اعادتها الا بأنقاضها ، ولا يجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ، ولا أخذ رخام الحرم القدسى ليوضع فى الكنيسة » ، ومانعوا فى ذلك . فأرسل ذلك الأغا المعين الى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لأوامر الدولة . فأرسل يوسف باشا طائفة من عسكره فى عدة وافرة ، فوصلوا من طريق « الغور » — وهو مسلك

موصل الى القدس ، قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد — فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة ، وحاصروهم فى دير ، وقتلوهم عن آخرهم — وهم نيف وثلاثون نفرا — وشيدوا القمامة ، كما أرادوا ، أعظم وأضخم مما كانت عليه قبل حرقها . فنسأل المولى السلامة فى الدين .

ذو الحجة

غرته (٦ ابريل ١٨١٠ م) :

وصلت الأمراء المصريون القبالى الى ناحية بنى سويف ، وكثير من الأجناد الى مصر . وترددت الرسل ، وحضر ديوان أفندى ثم رجع ثانيا اليهم .

وفيه : أمر الباشا الكتاب بعمل حساب حسين أفندى الروزنامجى عن السنتين الماضيتين — وهما سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين — وذلك باغراء البعض منهم فاستمروا فى عمل الحساب أياما . فزاد لحسين أفندى مائة وثمانون كيسا . فلم يعجب الباشا ذلك ، واستخونهم فى عمل الحساب ، ثم ألزمه بدفع أربعمائة كيس . وقال : « أنا كنت أريد منه ستمائة كيس ، وقد سامحته فى مائتين فى نظير الذى تأخر له ! » .

وطلع فى صبحها الى الباشا ، وخلع عليه فروة باستقراره فى منصبه ، ونزل الى داره . فلما كان بعد الغروب ، حضر اليه جماعة من العسكر فى هيئة مزعجة ، ومعهم مشاعل ، وطلبوا الدفاتر وهم يقولون : « معزول .. معزول » ! وأخذوا الدفاتر وذهبوا ، وحولوا عليه الحوالات بطلب الأربعمائة كيس فاجتهد فى تحصيلها ودفعها ثم ردوا له الدفاتر ثانيا .

وفيه : حصلت كائنة أحمد أفندى المعروف باليتيم من كتاب الروزنامة وذلك أن الباشا كان ببيت الأزبكية ، فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم الدقهلية ، يعرفه فيه أنه قاس قطعة أرض جارية فى اقطاع أحمد أفندى المذكور ، فوجد مساحتها خلاف المقيد بدفتر القماس الأول ، ومسقوط منها نحو الخمسمائة فدان ، وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين ، لأنهم يراعونه ويدلسون معه لأن دفاتر الروزنامة بيده .

فلما قرأ المكتوب ، أمر فى الحال بالقبض على أحمد أفندى وسجنه — وكان السيد محمد المحروقى حاضرا ، وكذلك على كاشف الكبير الألفى — فترجيا عند الباشا ، وأخبراه بأن المذكور مريض بالسرطان فى رجله ولا يقدر على حركتها ، واستأذنه السيد المحروقى بأن يأخذه الى داره ، فان داره باب من أبوابه . فأجابه الى ذلك . وركب فى الحال ولحق بالمعينين ، وكانوا قد وصلوا اليه وأزعجوه ، فمنعهم عنه وأخذه الى داره ، وراجع الباشا فى أمره ، فقرر عليه ثمانين كيسا بعد أن قال : « انى كنت أريد أن أقول ثلثمائة كيس ، فسبق لسانى فقلت مائة كيس ! وقد تجاوزت لأجلك عن عشرين كيسا ، وهو يقدر على أكثر من ذلك لأنه يفعل كذا وكذا » . وعدد أشياء تدل على أنه ذو غنية كبيرة ، منها : أنه لما سافر الى الباشا بدفتر الفرضة الى ناحية أسيوط ، طلع الى البلدة فى هيئة وصحبته فرش وسحاحير وبشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجية ومضاحبجية والحكيم والمزين . فلما شاهد الباشا هيئته ، سأل عنه وعن منصبه ، فقيل له : انه جاجرت من كتبة الروزنامة فقال : « اذا كان جاجرت (بمعنى تلميذ) ، فكيف يكون باش جاجرت أو قلفاوات الاقليم ، فضلا عن كبيرهم الروزنامجى ، وأى شىء ذلك ! » . وأسر ذلك فى نفسه ، وطفق يسأل ويتجسس عن أحوالهم . لأنه من طبعه الحقد والحسد ، والتطلع لما فى أيدى الناس .

ولما قلد خليل أفندى كتابة الذمة فى الروزنامة ،

كما تقدم ، انضم اليه السكارهون للمذكور ، الذين كانوا خاملى الذكر بوجوده ، وتوصلوا الى باب الباشا وكتخدا بيك ، وأنهوا فيه أنه يتصرف فى الأموال الميرية كما يختار ، وأن حسين أفندى الروزنامجى لا يخرج عن مراده واشارته ، وبيته مفتوح للضيفان ، ويجتمع عنده فى كل ليلة عدة من الفقراء ، يثرد لهم الثريد فى القصاع ، ويواسى الكثير من أهل العلم وغيرهم ، ويتعهد بكثير من الملتزمين بالفرض التى تقرر على حصصهم ، ويضمها فى حسابه ، ويصبر عليهم حتى يوفوها له فى طول الزمن ونحو ذلك . وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة . وأما الذنب الذى أخذه به ، فان القدر المذكور من الطين كان من الموات . فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمى الناحية ، وجرفوه وأحيوه وأصلحوه — بعد أن كان خرسا ومواتا لا ينتفع به — وجعلوه صالحا للزراعة . وظن أن ذلك لا يدخل فى المساحة فأسقطه منها فوقع له ما وقع ، وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامة ، ومنعوه منها ، وانقطع فى داره وزاد به ألم رجله .

وفيه : انحرف أيضا الباشا على الخواجا محمود حسن ، وعزله من الجمارك والبزرجانية ، وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ ألفان وخمسون كيسا .

ربيع الآخر

غرته (٦ مايو ١٨١٠ م) :

وصلت الأخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم ، حصل منه ضرر كثير ، وهدم دورا كثيرة بمكة وجدة ، وأتلف كثيرا من البضائع للتجار ... حكوا أنه هدم بمكة خاصة ستمائة دار . وكان ذلك فى شهر صفر .

وفيه : وصل الأمراء المصريون الى ناحية الرقق ، وأوائلهم وصلوا الى دهشور . وخرج اليهم الأتباع بالملاقاة من بيوتهم ، وأحبابهم .

وذهب اليهم مصطفى أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى ، وديوان أفندى ، ثم الباشا ، ثم فى أثرهم طوسون ابن الباشا . وقدم له ابراهيم بيك تقادم ، وأقام بوطاقه أياما ثم رجعوا . وكثر ترداد المراسلات والاختلافات فى أمر الشروط .

٥ منه (١٠ مايو ١٨١٠ م) :

حضر عثمان بيك يوسف ، وصحبته صنجق آخر ، فطلعا الى القلعة وقابلا الباشا . ثم رجعا وحضرا فى ثانى يوم كذلك . فخلع عليهما خلعا وأعطاهما أكياسا ، وأرسل الى ابراهيم بيك هدايا ، والى سليم بيك المحرمجى المرادى أيضا .

١١ منه (١٦ مايو ١٨١٠ م) :

وصل الجميع الى الجيزة ، ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة ، وصحبتهم عربان وهوارة كثيرة ، وانتظروا أن الباشا يضرب لحضورهم مدافع . فلم يفعل . وقال ابراهيم بيك : « سبحان الله ! ما هذا الاحتقار ؟ ألم أكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة ، وتقلدت قائمقامية ولايتها ووزارتها مرارا ، وبآخره صار من أتباعى ، وأعطيه خرجه من كلارى .. ثم أحضر أنا وباقى الأمراء على صورة الصلح ، فلا يضرب لنا مدافع ... كما يفعل لحضور بعض الافرنج » ! وتأثر من ذلك .

وأشيع فى الناس تعدية الباشا من الغد للسلام على ابراهيم بيك فلم يثبت . وظهر أنه لم يفعل ، وأصبح مبكرا الى شبرا وجلس فى قصره . وحضر اليه شاهين بيك الألفى فى سفينة ، ووقع بينهما مكالمات ، ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر . ثم ان الباشا أعرض عساكره . فاجتمع اليه الجميع وبدأ اللغط وكثرت القلقلة .

وعندما وصل شاهين بيك الى الجيزة ، أزر حريمه ، وأركبهن وأرسلهن الى الفيوم ، ونقل

متاعه وفرشه من قصر الجيزة فى بقية اليوم ، وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التى فى مجالسه الخاصة ... ثم ركب فى طوائفه وأتباعه ، وخشداشينه ومماليكه ، وذهب الى عرضى اخوانه وقبيلته ، ونصب خيامه ووطاقه بحذائهم ، واجتمع بهم وتصافى معهم . وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بيك تابع عثمان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحول دماغه ، واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا . ففعل ما فعل ، وجعلوه رئيس الأمراء المرادية .

وفى ذلك اليوم : عدى حسن باشا ، وصالح أغا قوج الى بر الجيزة . وذهبا الى عرضى الأمراء ، وسلما عليهم ، وتغديا عند شاهين بيك ، وجرى بينهما وبين ابراهيم بيك كلام كثير . وقال له حسن باشا : « انكم وصلتم الى هنا لتمام الصلح على الشروط التى حصلت بينكم وبين الباشا ، والاتفاق الذى جرى بأسيوط ، ويكون تمامه عند وصولكم الى الجيزة واجتماعكم ... وقد حصل » . فقال له ابراهيم بيك : « وما هى الشروط ؟ » . قال : « هى أن تدخلوا تحت حكمه وطاعته ، وهو يوليكم المناصب التى تريدونها ، بشرط أن تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى ، والغلال الميرية والخراج ، وتعيين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين ، وتكونوا معه أمراء مطيعين ، وهو يعطيكم الأمريات والانعامات الجزيلة ، ويعمر لكم ماتريدونه من الدور والقصور التى لكم ولأتباعكم على طرفه ... لايكلفكم بشىء من الأشياء . وقد رأيتم وسمعتم ما فعله من الاكرام والانعام على شاهين بيك ، وما أعطاه من المماليك والجوارى الحسان ، وشفاعاته عنده لا ترد ، وأطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد الى الفيوم الى بنى سويف والبهنسا ، مما هو تحت حكمه ، ويراعى جانبه الى الغاية » .

فقال له ابراهيم بيك : « نعم ... انه فعل مع شاهين بيك ما لا تفعله الملوك ، فضلا عن الوزراء . وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بيك معه ليستحق به ذلك ، بل هو لغرض سوء يكمنه فى نفسه وشبكة يصطاد بها غيره . فاننا سبرنا أحواله وخياناته ، وشاهدنا ذلك فى كثير ممن خدموه ونصحوا معه ، حتى ملكوه هذه المملكة » .

قال : « ومن هم ؟ » . قال : « أولهم مخدومه محمد باشا خسرو ، ثم كتخداه وخازنداره عثمان أغا جنج ، الذى خامر معه وملك مع أخيه المرحوم طاهر باشا القلعة ، وأحرق سرايته ، ثم سلط الأتراك على طاهر باشا حتى قتلوه فى داره .

« وأظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا ، وصبر نفسه من عسكرنا ، واتحد بعثمان بيك البرديسى ، وأظهر له خلوص الصداقة والأخوة ، وعاهده بالايمان حتى أغراه على على باشا الطرابلسى ، وجرى ما جرى عليه من القتل ، ونسب ذلك الينا . ثم اشتغل معه على خيانته لأخيه الألفى وأتباعه . ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة ، وأشار على عثمان بيك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ماوقع ، وخرجنا من مصر على الصورة التى خرجنا عليها . ثم أحضر أحمد باشا خورشيد وولاه وزيرا ، وخرج هو لمحاربتنا . ثم اتضح أمره لأحمد باشا ، وأراد الايقاع به ، فعجل العود الى مصر ، وأوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابذوه .

« وألقى الى السيد عمر والقاضى والمشايخ أن أحمد باشا يريد الفتك بهم . فهيجوا العامة والخاصة ، وجرى ما جرى من الحروب ، وحرق الدور . وبذل السيد عمر جهده فى النصح معه ، بما يظهره له من الحب والصداقة ، وراجت عليه أحواله ، حتى تمكن

أمره ، وبلغ مراده ، وأوقع به ما أوقع ، وأخرجه من مصر ، وغربه عن وطنه ، ونقض العهود والمواثيق التى كانت بينه وبينه .. كما فعل بعمر بيك وغيره . وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم ولغيركم ... فمن يأمن لهذا ، ويعقد معه صلحا ؟ !

« واعلم ، ياولدى ، أننا كنا بمصر نحو العشرة آلاف أو أقل أو أكثر :ما بين مقدمى ألوف وأمراء وكشاف ، وأكابر وجاقات ، ومماليك وأجناد ، وطوائف وخدم وأتباع ... مرفهى المعاش بأنواع الملاذ ، كل أمير مختص ومعتكف باقطاعه ، مع كثرة مصارفنا وانعاماتنا على أتباعنا ومن ينتسب الينا . وأسمطة الجميع ممدودة فى الأوقات المعهودة ، ولا نعرف عسكرا ولا علوفة عسكر . والقرى والبلاد مطمئنة ، والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون فى أوطانهم ، ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيفان ... مع ما كان يلزم علينا من المصارف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان ، وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان ، وكلف الوزراء المتونين والأغاوات ، والقبالجية المعينين وخدمهم ، والهدايا السلطانية وغير ذلك .

« وأفندينا ماكفاه ايراد الاقليم ، وما أحدثه من الجمارك والمكوس ، وما قرره على القرى والبلدان : من فرض المال والغلال والجمال والخيول ، والتعدى على الملتزمين ، ومقاسمتهم فى فائظهم ومعاشهم . وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار فى مصر وقراها ، والدعاوى والشكاوى ، والتزايد فى الجمارك ، وما أحدثه فى الضربخانة من ضرب القروش النحاس ، واستغراقها أموال الناس ... بحيث صار ايراد كل قلم من أقلام المكوس ، بايراد اقليم من الأقاليم ، ويبخل علينا بما نتعيش به نحن وعيالنا ومن بقى معنا من أتباعنا ومماليكنا ، بل وقصده صيدنا وهلاكنا عن آخرنا » .

فقال حسن باشا : « حاشا لله .. لم يكن ذلك ، ودائما يقول والدنا ابراهيم بيك ، ولكن لا يخفاكم أن الله أعطاه ولاية هذا القطر — وهو يؤتى الملك من يشاء — ولا ترضى نفسه من يخالف عليه ، أو يشاركه بالقهر والاستيلاء . فاذا صار الصلح ، ووقع الصفا ، أعطاكم فوق مأمولكم » . فهز ابراهيم بيك رأسه وقال : « صحيح يكون خيرا » . وانفض المجلس ، ورجع حسن باشا وصالح قوج ، وعديا الى بر مصر .

وفى تلك الليلة : خرج جميع من كان بمصر من الأمراء والأجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم ، وعدوا الى بر الجيزة ، ولم يبق منهم الا القليل ، واجتمعوا مع بعضهم ، وقسموا الأمر بينهم ثلاثة أقسام : قسم للمرادية وكبيرهم شاهين بيك ، وقسم للمحمدية وكبيرهم على بيك أيوب ، وقسم للابراهيمية وكبيرهم عثمان بيك حسن . وكتبوا مكاتبات وأرسلوها الى مشايخ العربان ... لم أقف على مضمونها .

١٤ منه (١٩ مايو ١٨١٠ م) :

أوقفوا عساكر على أبواب المدينة يمنعون الخارجين من البلد حتى الخدم ، ومنعوا التعدية الى البر الغربى ، وجمعوا المراكب والمعادى الى البر الشرقى ، ونقلوا البضائع التى فى مراكب التجار المعدة لسفر رشيد ودمياط ، المعروفة بالرواحل ، وأخذوها اليهم ، وشرعوا فى التعدية بطول يوم الجمعة والسبت .

وعدى الباشا آخر النهار ، ودخل الى قصر الجيزة الذى كان به شاهين بيك ، وكذا عدوا بالخيام والمدافع والعربات والأثقال . واجتمعت طوائف العسكر من الأتراك والأرنؤود والدلاة والسجمان بالجيزة ، وتحققت المفاقمة ... والأمراء المصرية خلف السور فى مقابلتهم ، واستمروا على

ذلك الى ثانى يوم ، والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين . ولم يحصل .

وانتقل المصرية وترفعوا الى قبلى الجيزة بناحية دهشور وزنين .

١٧ ، ١٨ منه (٢٢ ، ٢٣ مايو ١٨١٠ م) :

أنفق الباشا على العسكر ، وكان له مدة شهور لم ينفق عليهم .

١٨ منه (٢٣ مايو ١٨١٠ م) :

وركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ، ورجع فى ثانى ليلة . وكان سبب ركوبه : أنه بلغه أن طائفة من العربان مارون يريدون المصرية ، فأراد أن يقطع عليهم الطريق ، فلم يجد أحدا ، وصادف نجعا مقيمين فى محطة ، فنهب مواشيهم ، ورجع متعوبا ، وانقطع عنه أفراد من العسكر ، ومات بعضهم من العطش .

٢١ منه (٢٦ مايو ١٨١٠ م) :

ارتحل المصرية ، وترفعوا الى ناحية جزر الهوا بالقرب من الرقق .

وفيه : حضر مشايخ عربان أولاد على للباشا . فكساهم وخلع عليهم ، وألبسهم شالات كشميرى



مشايخ العربان

عدتها ثمانية شالات ، وأنعم عليهم بمائة وخمسين كيسا . وحضر عند المصرية عربان الهنادى ومشايخهم وانضموا اليهم .

٢٣ منه (٢٨ مايو ١٨١٠ م) :

عدى الباشا الى بر مصر ، وذهب الى بيته بالأزبكية ، فبات به ليلتين ، ثم طلع فى يوم الثلاثاء الى القلعة ، وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد أن حصلوا بالجيزة ، وكاد يتم قصده فيهم ، وخصوصا ما فعله شاهين بيك الذى أنفق عليه ألوفا من الأموال ، ذهبت جميعها فى الفارغ البطال .

وفى هذه الأيام — أعنى منتصف شهر بشنس القبطى — زاد النيل زيادة ظاهرة ، أكثر من ذراع ونصف ، واستمر أياما . ثم رجع الى حاله الأول . وهذا من جملة عجائب الوقت !

جمادى الأولى

غرته (٤ يونية ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة ، فتقنطر به الحصان ووقع به الأرض ، فأقاموه . وأصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات . ويقال ان الضارب لها كان قاصد الباشا ، فأخطأته ، وأصابت ذلك المملوك .. والأجل حصن .

وفيه : نبهوا على العسكر بالخروج . فسعوا بالجد والعجلة فى قضاء أشغالهم ولوازمهم ، وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ، ومن يصادفونه ويقدرون عليه من أهل البلد وخلافهم ، ويقولون : « فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين » . والمصريون أيضا مستمرون فى منزلتهم لم ينتقلوا عنها .

٥ منه (٨ يونية ١٨١٠ م) :

خرج حسن باشا ، وبرز خيامه بناحية الآثار .

وخرج أيضا محو بيك بعسكره وطوائفه ، ومعهم بيارق . وسافر جملة عساكر فى المراكب ليرابطوا فى البنادر ، فانها خالية ليس بها أحد من المصريين . وفى كل يوم يخرج عساكر ثم يرجعون الى المدينة وهم مستديمون على خطف الدواب ، وحمير البطيخ وجمال السقائين . والباشا يعدى الى بر مصر فى كل يومين أو ثلاثة ، ويطلع الى القلعة ثم يعود الى مخيمه فى الجيزة . وامتنع سفر المسافرين قبلى وبحرى .

١٧ منه (٢٠ يونية ١٨١٠ م) :

بلغ الباشا أن الأمراء المرادية والابراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجارى وأخيه وابن أخيه ، وأنه يرسل لهم جميع ما يلزم ، من أسلحة وأمتعة وخلافها ، بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية ، وأنه اشترى جملة أسلحة وخيول وثياب وغيرها ، وأخذ أشياء من بيوت بعضهم لأجل أن يرسل الجميع اليهم ، وأن جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ... ومن جملة أيام حضر مرسول من عندهم بدراهم ومعه حصان نعمان بيك وهو عنده أيضا . فأمر بجلبه وحبسه ، وهجم منزله ، وضبط أوراقه وضبط ما يوجد بها . ففعلوا ذلك ، وحبسوا معه ابن أخيه وأزعجوهما ، وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة أسلحة . فطغوا وبغوا ، ونهبوا متاعه ، وبددوا شمل كتب أبيه ، ولم يجدوا مكاتبات من الأمراء القبالى ولا أثر لذلك ، بل انهم وجدوا جوابا من أخيه السيد أحمد . مضمونه : أننا عند وصولنا الى مكة المشرفة اشترينا أربعة خيول نجدية ، بها العلامات التى أفدتونا عنها ، وهى مرسولة لكم عسى أن تفوزوا بتقديمها لأفندينا .

ولما سئل عن الأسلحة والخيول التى عنده قال : « أن السلاح عندنا من قديم وله مدد ، ورؤيته تدل على ذلك . وأما الخيول فمنها أربعة أحضرتها هدية لأفندينا ، وجاءت ضعيفة فأبقيتها عندى حتى تتقوى وأقدمها اليه ، والحصان الخامس اشتريته لنفسى من رجل عميلنا اسمه عطوان أحمد من أهالى كفر حكيم ، أخبرنى أنه اشتراه من ناحية صول ، ولما رأيت فيه علامات الجودة — وجاءت الأربعة خيول — تركت ركوبه وأبقيته معها حتى أقدم الجميع لأفندينا

فعند ذلك توجه محمد أفندى طبل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور ، وأخبره بما صار وما وجدوه ، وما قاله المذكور . وسعى فى ازالة هذه التهمة عنه ، وعرفه أن هذا الرجل مستقيم الأحوال ، وأنه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون .

فلما ظهر للباشا كذب التهمة ، وتحقق براءته ، وأنه أحضر هذه الخيول هدية له ، أمر باطلاقه من السجن ، واسترجاع ما نهبته الأعوان من منزله ، وتخلق عليهم بسبب ذلك . ثم أمر باحضاره واحضار الخيول المهداة له ، فقبلها منه . ثم سأله عن علامات الجودة وما يحمد فى الخيل وما يذم فيها . فأجابه بأجوبة مفيدة استحسنها . فأنعم عليه ، وضاعف مرتبه ، وأحال عليه نظر مشترى الخيول .

وفيه : وصلت الأخبار بأن حسن باشا وصالح قوج وعابدين بيك وعساكر الأرنؤود وصلوا الى ناحية صول والبرنبل ؛ فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر ليمنعوا مرور المراكب . فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وملكوا المتاريس ، وقتل رجل من الأجناد — وهو الذى كان محافظا على المتاريس — يقال له ابراهيم أغا ، سقط به الجرف الى البحر ، فأخذوه اليهم ومعه آخر ،

وقتلوهما ، وقطعوا رؤوسهما ، وأرسلوهما صحبة المبشرين الى الباشا . فعلقوا الرأسين بباب زويلة . ولما بلغ الأمراء المصريين أخذ المتاريس ، تأهبوا وساروا من أول الليل — وهى ليلة السبت رابع عشره — مكمنين وكاتمين أمرهم ، فدهموا الأرنؤود من كل ناحية . فوقع بينهم مقتلة عظيمة . وأخذوا منهم عدة بالحياة ، وأخذوا منهم أشياء .

وكان حسن باشا وأخوه عابدين بيك صعدا بمراكبهما الى قبلى المتاريس ، فاحترق من مراكب أخيه مركب ، وألقى من فيها بأنفسهم الى البحر : فمنهم من نجا ، ومنهم من غرق . وأما مراكب حسن باشا فانه ساعدها الريح أيضا فسارت الى ناحية بنى سويف . ثم ان المصريين عدى منهم طائفة الى شرق أطفيح ، وانتقل بواقيهم راجعين الى ناحية الجيزة ... قريبا من عرضى الباشا .

١٩ منه (٢٢ يونية ١٨١٠ م) :

عدى الباشا الى بر مصر ، وطلع الى القلعة . فلما كان الليل ، وصل طائفة من المصريين الى المرابطين لخفارة عرضى الباشا ، واحتاطوا بهم وساقوهم اليهم فانزعج العرضى وحصل فيهم غاغة .. فأرسل طوسون باشا الى أبيه . فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل ، وعدى الى البر الغربى . ومما سمعته : أن الباشا عندما نزل المعدية ، وسار بها فى البحر ، سمع واحدا يقول لآخر : « قدم حتى تقتل المصريين ونبدد شملهم » ويكرر ذلك . فأرسل الباشا مركبا ، وأرسل بعض اتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ، ولأى شىء نزلا البحر فى هذا الوقت . فلما ذهبوا الى الجهة التى سمع منها الصوت ، لم يجدوا أحدا ، وتفحصوا عنهما فلم يجدوهما . فاعتقد من له اعتقاد منهم ، أنهما من الأولياء ، وأن الباشا مساعد بأهل الباطن !

٢٠ منه (٢٣ يونية ١٨١٠ م) :

ظهر التفاشل بين الأمراء المصريين ، وتبين أن الذين كانوا عدوا الى البر الشرقى ، هم ثلاثة أمراء من الألفية وهم : نعمان بيك ، وأمين بيك ، ويحيى بيك . وذلك أنهم لما تصالحوا مع الباشا ، وأميرهم شاهين بيك ، وهو الرئيس المنظور اليه ، ومطلق التصرف فى معظم البر الغربى والفيوم ... يتحكم فيهم ، وفى طوائف العربان ، وأهالى البلاد والفلاحين بما يريد ، وكذلك أموال المعادى ، بناحية الاخصاص وانبابة والخبيرى وغير ذلك — وهو شىء له قدر كبير — وزاد فيهم أيضا أضعاف المعتاد . فيأخذ جميع ذلك ويختص به ... وذلك خلاف انعامات الباشا عليه بالمئين من الأكياس ، ويشترى المماليك والجوارى الحسان ولا يدفع لهم ثمنا . فيشكون الى الباشا ، فيدفعه الى اليسرجية من خزينته وهو منشرح الخاطر ... واخوانه يتأثرون لذلك وتأخذهم الغيرة ، ويطمعون فى جانبه ، وهو يقصر فى حقهم ، ولا يعطيهم الا النزر ... مع المن والتضجر . وفيهم من هو أقدم منه هجرة ، ويرى فى نفسه أنه أحق بالتقدم منه . ولما دنت وفاة أستاذهم ، أحضر شاهين بيك وسلمه خزينته ، وأوصاه بأن يعطى لكل أمير من خشداشينه سبعة آلاف مشخص ، ولم يعطهم وطفق كلما أعطاهم شيئا ، حسبه عليهم من الوصية ... حتى اذا أعطى اليلك والبنش لنعمان بيك مثلا ، يعطيه له أنقص من بنش أمين بيك نصف ذراع ، ويقول : هو قصير القامة ! ونحو ذلك . فيحقدون عليه ، ويتشكون من خسته وتقصيره فى حقهم ، ويعلم الباشا ذلك .

فلما نقض شاهين بيك عهده ، وانضم الى المخالفين — وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبى — راسلهم الباشا سرا . ووعدهم ومناهم بأنهم اذا حضروا اليه ، وفارقوا شاهين بيك الخائن المقصر فى

حقهم ، أنزلهم منزلة شاهين بيك وزيادة ، واختص بهم اختصاصا كبيرا ... فمالت نفوسهم لذلك القول ، واعتقدوا — بخسافة عقولهم — صحته ، وأنهم اذا رجعوا اليه هذه المرة ، ونبذوا المخالفين ، اعتقد صداقتهم وخلوصهم ، وزاد قدرهم ومنزلتهم عنده .

وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه ، مدة اقامتهم بمصر ، من التنعم والراحة فى القصور التىعمروها بالجيزة ، والبيوت التى اتخذوها بداخل المدينة ، والرفاهية والفرش الوطيئة . وتحركت غلمتهم للنساء والسرارى ، التى أنعم عليهم الباشا بها . وقالوا ما لنا والغربة ، وتعب الجسم والخاطر ، والانزعاج والحروب ، والالقاء بنفوسنا فىالمهالك ، وعدم الراحة فى النوم واليقظة .

فردوا الجواب بالاجابة ، وتمنوا عليه أيضا ما حاك فى نفوسهم ، بشرط طرح المؤاخذة ، والعفو الكامل ، بواسطة من يعتمد صدقه . فأجابهم لكل ما سألوه وتمنوه ، بواسطة مصطفى كاشف المورلى ... وهو معدود سابقا منهم ، وانفصل عنهم وانتمى الى كتخدا بيك ، وصار من أتباعه .

فعند ذلك شرعوا فى مناكدة أخيهم شاهين بيك ومفارقته ، وعقدوا معه مجلسا ، وقالوا له : « قاسمنا فى ربع المملكة التى خصونا به فى القسمة التى شرطوها ، فاننا شركاؤك ... فان ابراهيم بيك قسم مع جماعته ، وكذلك عثمان بيك ، وعلى بيك أيوب » . فقال لهم : « وما هو الذى ملكناه حتى أقاسمكم فيه ؟ » فقالوا : « أنت تجحف علينا وتختص بالشىء دوننا . فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا ، وصرفك فى البر الغربى . اختصيت بايراده — وهو كذا وكذا — دوننا . ولم تشركنا معك فى شىء ، ولولا أن الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده ... لمتنا جوعا .. فنحن لا نرافقك ولا نصحبك ولا نحارب معك ، حتى تظهر لنا ما نقاتل معك عليه » . وتزايدوا معه فى المكالمة والمعاتبة والمفاقمة ، ثم انفصلوا عنه ونقلوا خيامهم الى ناحية البحر ، واعتزلوه وفارقوا عرضى الجميع .

فلما علم بذلك ابراهيم بيك الكبير ، تنكد خاطره ، وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. أى شىء هذا الفشل وخسافة العقل ، والتفرق بعد الالتئام والاجتماع » ! وذهب اليهم ليصالحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه ، وطمعوا فيه عند تملكهم ، وقال لهم : « ان كنتم محتاجين فى هذا الوقت لمصرف ، أنا أعطيكم من عندى عشرين ألف ريال ، اقسموها بينكم ، وعودوا لمضربكم معنا » . فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بيك ، فرجع ابراهيم بيك يريد أخذ شاهين بيك اليهم . فامتنع من ذهابه اليهم ، وقال : « أنا لست محتاجا اليهم ، وان ذهبوا قلدت أمراء خلافهم . وعندى من يصلح لذلك ، ويكون مطيعا لى دونهم ، فان هؤلاء يرون أنهم أحق منى بالرياسة » . والجماعة شرعوا فى التعدية ، وانتقلوا الى البر الشرقى ... وحال البحر بين الفريقين .

ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلى بمرسوم الباشا ، واجتمعوا معه عند عبد الله أغا ، المقيم بناحية بنى سويف ، وضرب لهم شنكا ومدافع . ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر . فوصلوا فى يوم الخميس خامس عشرينه ، وقابلوا الباشا وخلع عليهم ، وأعطاهم تقادم . ورجعوا الى مضربهم ناحية الآثار ، وصحبتهم ستة عشر من كشافهم ، والجميع يزيدون عن المائتين . وأنعم عليهم الباشا بمائتى كيس : لكل كبير من الأربعة عشرون كيسا ، ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم . واشتروا دورا واسعة ، وشرعوا فى تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا .. فاشترى أمين بيك دار عثمان كتخدا

المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ، ودفع له الباشا ثمنها وأمر لكل أمير منهم بسبعة آلاف ريال ، لبصرفها فيما يحتاج اليه فى العمارة واللوازم ، وحولهم بذلك على المعلم غالى .

ولما تحقق شاهين بيك انفصالهم ، قلد أربعة من أتساعه أمرياتهم ، وأعطاهم بيرقا وخيولا ، وضم اليهم مماليك وطوائف . وتمت حيلة الباشا التى أحكمها بمكره . وعند ذلك أشيع فى الاقليم القبلى والبحرى ، تفرقهم وتفاشلهم ، ورجع من كان عازما من القبائل والعربان عن الانضمام اليهم .. وطلبوا الأمان من الباشا ، وحضروا اليه ، ودخلوا فى طاعته ، وأنعم عليهم وكساهم ..

وكانت أهالى البلاد عندما حصلت هذه الحادثة عصت عن دفع الفرض والمغارم ، وطردوا المعينين وتعطل الحال ، وخصوصا عندما شاع غلبة المصريين على الأرنؤود وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا انضموا اليهم ، وأطاع المخالف والعاصى والممانع . وكلها أسباب لبروز المقدور المستور فى غيبه سبحانه وتعالى .

فى أواخره (أواخر يونية ١٨١٠ م) :

حضر كثير من عسكر الدلاة ، من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون .

جمادى الآخرة

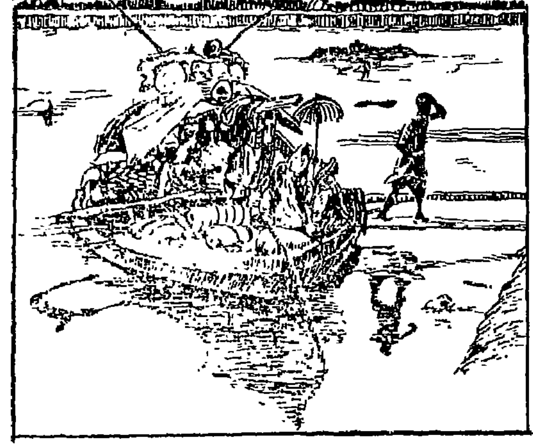
٣ منه (٦ يولية ١٨١٠ م) :

قلد الباشا ديوان افندى نظر مهمات الحرمين ، والتأهب لسفر الحجاز ، لمحاربة الوهابية ، وسكن ببيت قصبة رضوان . كل ذلك مع توجه الهمة ، والاستعداد لمحاربة الأمراء المصريين . والمذكورون بناحية قنطرة اللاهون .

وأما حسن باشا وصالح قوج وعابدين بيك ، ومن معهم ، فانهم صعدوا الى قبلى ، وملكوا البنادر .. الى حد جرجا واستقر دبوس أغلى بمنية ابن خصيب .

٥ منه (٨ يولية ١٨١٠ م) :

ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة ، وانتقل الى جزيرة الذهب ونودى فى المدينة بخروج العساكر المقيمين بمصر ، ولا يتخلف منهم أحد . فزاد تعديهم وخطفهم الحمير والجمال والرجال الفلاحين وغيرهم لتسخيرهم فى خدمتهم وفى المراكب ، عوضا عن النوتية والملاحين ، الذين هربوا وتركوا سفائنهم . فكانوا يقبضون على كل من يصدفونه ، يحبسونهم فى الحواصل ببولاق . واتفق أنهم حبسوا نحو ستين نفرا فى حاصل مظلم ، وأغلقوه عليهم ، وتركوهم من غير أكل ولا شرب أياما ، حتى ماتوا عن آخرهم ! وانحدر قبطان بولاق وأعوانه فى طلب المراكب من بحر النيل ، فكانوا يقبضون على المراكب الواصلة الى مصر بالغلال والبضائع والسفار ، فيلقون شحنها التى لا حاجة لهم بها على شطوط الملق ، ويأتون بالمراكب الى بولاق والجيزة ... الا أن بعطوهم براطيل على تركهم الغلة بالمركب حتى يصلوا بها الى ساحل



المركب .. محملة بالبضائع والسفار

بولاق ، فيخرجونها منها ، ثم يأخذون المركب . وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة .

١٠ منه (١٣ يولية ١٨١٠ م) :

ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين .

١٥ منه (١٨ يولية ١٨١٠ م) :

ورد الخبر بأن حسنين بيك ، تابع حسنين بيك المعروف بالوشاش الألفى ، أراد الهروب والمجىء الى الباشا . فقبض عليه شاهين بيك ، وأهانه وسلب نعمته ، وكتفه وأركبه على جمل مغطى الرأس ، وأرسله الى الواحات . فاحتال وهرب ، وحضر الى عرضى الباشا ، فأكرمه وأنعم عليه ، وأعطاه خمسين كيسا واستمر عنده .

٢٥ منه (٢٨ يولية ١٨١٠ م) :

وصلت الأخبار بأن الباشا ملك قناطر اللاهون ، وأن المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ، ولم يقع بينهم كبير محاربة . وأن الباشا استولى على الفيوم . وأرسل الباشا هدايا لمن فى سرايته ولكتخدا بيك من ظرائف الفيوم ، مثل ماء الورد والعنب والفاكهة وغير ذلك . واستولى على ما كان مودوعا للمصريين من الغلال بالفيوم .

فى اواخره (اواخر يولية ١٨١٠ م) :

وصلت أخبار من ناحية الشام بأن طائفة من الوهابية جردوا جيشا الى تلك الجهة . فتوجه يوسف باشا الى المزيريب وحصن قلعتها ، واستعد اليهم بجيش ، وحاربوهم وطردوهم . ثم اضطربت الأخبار واختلفت الأقوال .

رجب

الخميس غرته (٢ اغسطس ١٨١٠ م) :

وردت الأخبار بورود قزلار أغا من طرف الدولة ... وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد على باشا ، وصحبته أيضا مهمات وآلات مراكب ، ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ؛ ومحاربة الوهابية — وهو يسمى عيسى أغا — وأنه طلع الى ثغر سكندرية .

السبت ١٠ منه (١١ اغسطس ١٨١٠ م — ٦ مسرى ١٥٢٦ ق) :

أوفى النيل ، وحصلت الجمعية ، وحضر كتخدا بيك والقاضى وباقى الأعيان ، وكسر السد بحضرتهم فى صبحها يوم الأحد ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه : وصل الأغا شبرا . وعملوا له هناك شنكا وحراقات ، وتعليقات قبالة القصر الذى أنشأه الباشا بساحل شبرا .. وخرجوا لملاقاته فى صبحها بعد ثلاث ليال .

الثلاثاء ١٣ منه (١٤ اغسطس ١٨١٠ م) :

عملوا له موكبا عظيما ، وطلع الى القلعة ، وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع . وهذا الأغا أسمر اللون ، حبشى مخصى ، لطيف الذات ، متعاظم فى نفسه ، قليل الكلام وفى حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولى على الناس المتفرجين .

وحضر صحبته ، وصحبة أتباعه ، السكة الجديدة التى ضربت باسلامبول من الذهب والفضة وهى دراهم فضة خالصة سالمة من الغش ، زنة الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة عشر قيراطا ، بصرف بخمسة وعشرين نصفا من الأنصاف المعاملة العددية ، المستعملة فى معاملة الناس الآن .. وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزنى ، تصرف بخمسين . وكذلك قطعة مضروبة وزنها أربعة دراهم ، وتصرف بمائة نصف . وقطعة وزنها ثمانية دراهم ، وتصرف بمائتين .

وكذلك ذهب فندقلى اسلامى ، يصرف بأربعمائة نصف ، وأربعين نصفا ، ونصفه وربعه .

الجمعة ١٦ منه (١٧ اغسطس ١٨١٠ م) :

حضر الأغا المذكور الى المسجد الحسينى ، وصلى به الجمعة ، وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين أرباع الفنادقة . وأعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد ، قروشا اسلامبولى فى صرر ... أقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش .

السبت ١٧ منه (١٨ اغسطس ١٨١٠ م) :

عملوا ديوانا بالقلعة ، وأحضروا خلعة وصلت صحبة الأغا المذكور . أرسلها صحبة خازنداره ، وألبسوها لابن الباشا ، وجعلوه باشا مير ميران . وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسماعيل ، وضربوا شنكا ومدافع . وأشيع أنه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين ، وأرسلوا بذلك أوراقا للأعيان ، أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢١ اغسطس ١٨١٠ م) :

أرسلوا تنابيه الى المشايخ بالحضور من الغد لأنفار عدوها ، ويكون حضورهم بالمشهد الحسينى . فبات الناس فى ارتياب وظنون وتخامين . فلما أصبح اليوم ، حضر شيخ السادات — وهو الناظر على أوقاف المشهد — الى قبة المدفن ، وحضر الشيخ البكرى ، وأغلقوا باب القبة ، ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع . وكل من حضر من الأشياخ المشاهير ، استأذنوا له وأدخلوه الى القبة ، وحضر الشيخ الأمير والشيخ المهدى ، وتأخر حضور الشيخ الشرقاوى ، لكونه كان ببيت فى بولاق . ثم حضر الأغا المذكور ودخل الى القبة ، وصحبته ظرف من خشب ، ففتحه ، وأخرج منه لوحا طوله أزيد من ذراعين ، فى عرض ذراع ونصف ، مكتوب فيه البسملة بخط الثلث مموه بالذهب ، وهى بخط يد السلطان محمود ، وتحتها طرة العلامة السلطانية . فعلقوه على مقصورة المقام ، وقرأوا الفاتحة ، ودعا السيد محمد المنزلاوى ، خطيب المسجد ، بدعوات للسلطان . ولما فرغ دعا أيضا السيد بدر الدين المقدسى ، ثم خلع على المشايخ خلعا ، وفرق ذهبا . ثم خرج الجميع ، وركبوا الى دورهم . فكان هذا الجمع جمع سخف لا غير !

الجمعة ٢٣ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٠ م) :

ركب الأغا المذكور ، وذهب الى ضريح السادات الوفائية بالقرافة ، صحبة الشيخ المتولى خلافتهم ، فزار مقابرهم وعلق هناك لوحا أيضا ، وفرق دراهم ، وخلع على الشيخ المذكور خلعة .

ومن الحوادث البدعية من هذا القبيل : أن عثمان أغا المتولى أغات مستحفظان ، سولت له نفسه عمارة مشهد الرأس — وهو رأس زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم — ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين ، وبذلك اشتهر ، ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الأحد . فلما كانت الحوادث ، ومجىء الفرنسيس ، أهملوا ذلك وتخرب المشهد ، وأهيلت عليه الأتربة . فاجتهد عثمان أغا المذكور فى تعمير ذلك . فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترا وتاجا ليوضعا على المقام . وأرسل فنادى على أهل الطرق الشيطانية ، المعروفين بالأشاير ، وهم السونة وأرباب الحرف المرذولة ، الذين ينسبون أنفسهم لأرباب الضرائح المشهورين : كالأحمدية ، والرفاعية ، والقادرية ، والبرهامية ، ونحو ذلك . وأكد فى حضورهم قبل الجمع بأيام .

ثم انهم اجتمعوا فى يوم الأحد خامس عشريته

بأنواع من الطبول والزمامير والبيارق ، والأعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة . ولهم أنواع من الصياح والنياح والجلبة والصراخ الهائل ... حتى ملأوا النواحي والأسواق ، وانتظموا وساروا وهم يصيحون ، ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التي يحرفونها ، وأنواع التوسلات ومناداة أشياخهم أيضا المنتسبين اليهم بأسمائهم ، كقولهم برفع الصوت وضرب الطبلات ، وقولهم : ياهو ياهو ياجباوى ، ويابدوى ، ويادسوقى ، ويابيومى ويصحبهم الكثير من الفقهاء والمتعممين ... والأغا المذكور راكب معهم ، والستر المصنوع مركب على أعواد ، وعليه العمامة مرفوعة بوسط الستر على خشب ، ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع يمنعون أيدى الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك ، من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ، ويرمون الخرق والطرح ، حتى أنهم يرخونها من الطيقان بالحبال لتصل الى ذلك التمثال ، لينالوا جزءا من بركته !

ولم يزالوا سائرين به على هذا النمط ، والخلائق تزداد كثرة ، حتى وصلوا الى ذلك المشهد ... خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح ، حيث المجراة . وصنع فى ذلك اليوم والليلة أطعمة وأسمطة للمجتمعين ، وباتوا على ذلك الى ثانى يوم.

وفيه : بعث عيسى أغا الواصل نجيب أفندى الى الباشا ، يخبره بحضوره ، وبالغرض الذى حضر من أجله ويستدعيه للمجىء .

الجمعة غايته (٣١ اغسطس ١٨١٠ م) :

وردت أخبار بوقوع حرابة بين الباشا والمصريين. وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة ، عند « دلجه » ، و «البدرمان» . وكانت الغلبة الباشا على المصريين. وأخذوا منهم أسرى . وحضر الى الباشا جماعة من الأمراء الألفية بأمان ، وهرب الباقون وصعدوا الى قبلى . فعملوا لذلك اليوم شنكا ومدافع ، ثلاثة أيام ، كل يوم ثلاث مرات .

شعبان

السبت غرته (اول سبتمبر ١٨١٠ م) :

حضر الباشا وقت الغروب فى تطريدة ، وصحبته جماعة قليلون ، وطلع من البحر من بر طرا والمعيصرة . وركب من هناك خيولا من خيول العرب ، وطلع الى القلعة على حين غفلة . فضربوا فى ذلك الوقت مدافع ... اعلاما بحضوره .

وفى ثانى ليلة : صعد اليه عيسى أغا المذكور عند الغروب ، وقابله وسلم عليه .

الاثنين ٣ منه (٣ سبتمبر ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وركب ذلك الأغا من بيت عثمان أغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز ... فى موكب ، وطلع الى القلعة وقرأ المرسوم الذى وصل صحبته بالمعنى السابق ، وهو الأمر بالخروج الى الحجاز . ولبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة الجمع . وضربوا مدافع كثيرة عقيب ذلك .

وفيه : وردت الأخبار بمجىء يوسف باشا والى الشام الى ثغر دمياط . وكان من خبر وروده على هذه الصورة : أنه لما ظهر أمره وأتته ولاية الشام ، فأقام العدل ، وأبطل المظالم ، واستقامت أحواله ، وشاع أمر عدله النسبى فى البلدان فثقل أمره على غيره من الولاة وأهل الدولة . لمخالفته طرائقهم فقصدوا عزله وقتله ، فأرسلوا له ولوالى مصر أوامر بالخروج الى الحجاز ، فحصل التوانى .

وفى أثناء ذلك حضر فرقة من العربان الوهابيين، وخرج اليهم يوسف باشا المذكور وحصن المزيريب كما تقدم ، ورجع الى الشام وتفرقت الجموع . ثم

وصل عيسى أغا هذا ، وعلى يده مراسيم بولاية سليمان باشا على الشام ، وعزل يوسف باشا ، وأشاعوا ذلك . وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا فى جمع ، وخرج يوسف باشا بجموعه أيضا ... فتحاربا ، فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزة ، واستعجل الرجوع الى الشام ، فقامت عليه عساكره ونهبوا متاعه . وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا وتفرقوا عنه ، فما وسعه الا الفرار ، وترك ثقله وأمواله ، ونزل فى مركب ، ومعه نحو الثلاثين نفرا ، وحضر الى مصر ملتجئا لواليها محمد على باشا ، لأن بينهما صداقة ومراسلات .

فلما وصلت الأخبار بوصوله ، أرسل الى ملاقاته طاهر باشا ، وحضر صحبته الى مصر ، وأنزله بمنزل مطل على بركة الأزبكية ، وعين له مايكفيه ، وأرسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه .

وفى هذه الأيام : اختل سد ترعة الفرعونية ، وانفتح منه شرم ، واندفع فيه الماء ، فضج الناس ، وتعين لسدها ديوان أفندى ، وأخذ معه مراكب وأحجارا وأخشابا ، وغاب يومين ثم رجع ، واتسع الخرق ، واستمر عمر بيك تابع الأشقر مقيما عليها لخفارتها ، وليمنع مرور المراكب ، ويقوى ردمها ، لئلا تنحرها المياه فيزداد اتساع الخرق .

وفى هذه الأيام : توقفت زيادة النيل ، فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ، ثم ينقص قليلا ، ثم يرجع النقص وهكذا . فأشار البعض بالاجتماع للاستسقاء بالأزهر ، فتجمع القليل ، ثم تفرقوا . وذلك يوم الثلاثاء رابعه .

وخرج النصارى الأقباط يستسقون أيضا ، واجتمعوا بالروضة ، وصحبتهم القساقسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير فى تجمل زائد . وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا بالعصى المفضضة .

وعملوا فى ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات وأسمطة وسكردانات عند جميز العبد . ويقولون ان النيل لما توقفت زيادته فى العام الذى قبل العام الماضى ، وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو ، وخرج النصارى فى ثانى يوم ، زاد النيل تلك الليلة ... وذلك لا أصل له . على أنه لا استغراب للزيادة فى أوانها . وهذه الأيام أيضا أواخر مسرى وأيام النسىء — وفيها قوة الزيادة — وأيام النوروز .

السبت ٨ منه (٨ سبتمبر ١٨١٠ م) :

خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر القديمة ، وأرسلوا تلك الليلة فجمعوا الأطفال من مصر وبولاق ، فحضر الكثير ، وخطبوا وصلوا وأضر بالمجتمعين الجوع فى ذلك اليوم ولم يجدوا مايأكلونه .

الاحد ٩ منه (٩ سبتمبر ١٨١٠ م) :

نقص النيل واستمر ينقص فى كل يوم .

الخميس ١٣ منه (١٣ سبتمبر ١٨١٠ م) :

حضرت العساكر والتجريدة الى نواحى الآثار والبساتين . ودخلوا فى صبحية يوم الجمعة رابع عشره ، بطموشهم وحملاتهم ، حتى ضاقت بهم الأرض ، وحضر صحبتهم الكثير من الأجناد المصرية أسرى ومستأمنين .

وفيه : حضر يوسف باشا المنفصل عن الشام ، ونزل بقصر شبرا ، وضربوا لقدومه مدافع ، ثم انتقل الى الأزبكية ، وسكن هناك كما تقدم ذكره .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م) :

زاد النيل ، ورجع ما كان انتقصه ، وزاد على ذلك نحو قيراطين ، وثبت الى أواخر توت ، واطمأن الناس .

السبت غايته (٢٩ سبتمبر ١٨١٠ م) :

سافر عيسى أغا بعدما قبض ما أهداه اليه الباشا له ولمخدومه ، من الهدايا والأكياس ، والتحف والسكاكر والشرابات والأقمشة الهندية ، وغير ذلك . ونزل لتشييعه عثمان أغا الوكيل ، وسافر صحبته نجيب أفندى .

وفيه : سافر سليمان بيك البواب ، لمصالحة الأمراء المنهزمين على يد حسن باشا .

رمضان

الثلاثاء ١٧ منه (١٦ أكتوبر ١٨١٠ م) :

قبض الباشا على المعلم غالى ، كبير المباشرين الأقباط ، والمعلم فلتيوس ، والمعلم جرجس الطويل ، والمعلم فرنسيس أخى المعلم غالى ، وباقى أعيان المباشرين . فأما غالى وفلتيوس فنزلوا بهما تلك الليلة الى بولاق ، وأنزلوهما فى مركب ليسافرا الى دمياط . وحبسوا الباقين بالقلعة ، وختموا على دورهم ، ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية . ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضريمون الذى كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقا ، والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه . ثم أنزلوا النصارى المعتقلين من القلعة الى بيت ابراهيم بيك الدفتردار بالأزبكية — وفيهم جرجس الطويل ، وأخوه حنا ، وجريس ، وفرنسيس أخو غالى ، ويعقوب كاتبه ، وغيرهم — وأشاعوا عمل حسابهم ، ثم دار الشغل ، وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه ... الى أن تم الأمر على أربعة وعشرين ألف كيس ، ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر ! وذلك فى آخر رمضان .

شوال

الثلاثاء غرته (٣٠ أكتوبر ١٨١٠ م) :

نزلت طبلخانة الباشا الى بيت المعلم غالى . واستمروا يضربون النوبة التركية ، ثلاثة أيام



اصحاب الطبل ...

العيد ، ببيته . وكذلك الطبل الشامى ، وباقى الملاعيب ، وترمى لهم الخلع والبقاشيش .

الاثنين ٧ منه (٥ نوفمبر ١٨١٠ م) :

حضر المعلم غالى ، وطلع الى القلعة ، وخلع عليه الباشا خلع الرضا ، وألبسه فروة سمور ، وأنعم عليه ، ونزل له عن أربعة آلاف كيس من أصل الأربعة وعشرين ألف كيس المطلوبة فى المصالحة . ونزل الى داره وأمامه الجاويشية والأتباع بالعصى المفضضة ، وجلس بدكة داره ، وأقبل عليه الأعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه ، والتهنئة له بالقدوم المبارك ! وأما المعلم منصور ضريمون ، فجبروا خاطره بأن قيدوه بخدمة

بيت ابراهيم بيك ابن الباشا الدفتردار ، وقيدوا رفيقيه فى خدم أخرى .

الخميس ١٠ منه (٨ نوفمبر ١٨١٠ م) :

حضر شاهين بيك الألفى ومن معه الى مصر ، ونصب وطاقه بناحية البساتين ... وذلك بعد أن تمموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بيك البواب . فلما استقر بخيامه وعرضيه ببر مصر ، حضر مع رفقائه ، وقابل الباشا — وهو ببيت الأزبكية — فبش فى وجهه فقال شاهين بيك : « نرجو سماح أفندينا وعفوه عما أذنبناه » . فقال : « نعم من قبل مجيئكم بزمان ! » . وهو مصر لهم على كل كريهة . وأخلى له بيت محمد كتخدا الأشقر ، بجوار طاهر باشا بالأزبكية ، وفرشوه ونظموه ، ووعده برجوعه الى الجيزة فى مناصبه كما كان ، حتى يتحول منها محرم بيك صهر الباشا . لأنه عند انتقال شاهين بيك من الجيزة ، عدى اليها محرم بك بحريمه — وهى ابنة الباشا — وسكن القصر بعسكره ، وكذلك أسكن كبار أتباعه وخواصه القصور التى كان يسكنها الألفية ، وكذلك البيوت والدور . فوعده بالرجوع الى محله ، وظن — بخسافة عقله — صحة ذلك . وحضر صحبة شاهين بيك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم ، واستمرت حملاتهم وأمتعتهم تدخل الى المدينة أرسالا فى عدة أيام .

الجمعة ١١ منه (٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ديوانا بالأزبكية فى بيت ابنه ابراهيم بيك الدفتردار . واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال : « يا أحبابنا ... لايخفاكم احتياجى الى الأموال الكثيرة لنفقات العساكر والمصاريف والمهمات... والايراد لايكفى ذلك ، فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والأطيان . وقد أجحف ذلك بأهاليها ، حتى جلت وخربت القرى ، وتعطلت المزارع ، وبارت الأطيان ، ولا يمكننى رفع ذلك بالكلية . والقصد أن تدبروا لنا تدبيرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا اجحاف على أهل القرى ، وتعود مصلحة التدبير عليهم وعلينا »

فقال الجميع : « الرأى لك » فقال : « انى فوضت الرأى فى تدبير الأمور السابقة لجماعة الكتبة ، وهم الأفندية والأقباط ، فوجدت الجميع خائنين ، وانى دبرت رأيا لاتدخله التهمة ... وهو أن من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ، ومعين بها مقدار الميرى والفائظ ، فنقرر على كل حصة قدر ميريها وفائظها ، اما سنة أو سنتين ، فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين » .

فانتبذ أيوب كتخدا الفلاح — وهو كبير الاختيارية — وقال : « لكن باأفندينا الى مساواة الناس ... فان حصص كثير من المشايخ مرفوع ماعليها من المغارم ، ويرجع تتميم الغرامة على حصص الشركاء » . فحنق من كلامه الشيخ الشرقاوى ، وقال له : « أنت رجل سوء » . وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين ، وزاد فيهم الصياح .

فقام الباشا من المجلس وتركهم ، وذهب بعيدا عنهم ... وهم يترادون ويتشاجرون . فأرسل اليهم الباشا الترجمان ، وقال : « انكم شوشتم على الباشا ، وتكدر خاطره من صياحكم » ! فسكتوا وقاموا من المجلس ، وذهبوا الى دورهم وهم منفعلو المزاج .

ولعل كلام أيوب كتخدا وافق غرض الباشا ، أو هو باغرائه . ثم شرعوا فى تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات .

وكان فى العزم أولا أن يجعلها على ذمم الأطيان شارقا وغارقا ، بما فيها من الأوسية التى

للملتزمين ، والأرزاق ، ومسموح مشايخ البلاد . وذكر ذلك فى المجلس . فقيل له : « ان الأوسية معايش الملتزمين ، والرزق قسمان : قسم داخل فى زمام أطيان البلد ، ومحسوب فى مساحة فلاحتها ، وقسم خارج عن زمامها . والقسمان من الارصادات على الخيرات ، وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والأسبلة والمكاتب والأحواض لسقى الدواب وغير ذلك ، فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها » . فقال الباشا : «ان المساجد غالبها متخرب ومتهدم». فقالوا له : « عليك بالفحص والتفتيش والزام المتولى على المسجد بعمارته اذا كان ايراده رائجا » . الى آخر ما قيل .

الاثنين ٢١ منه (١٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

قتلوا شخصا من الأجناد الألفية ، وقطعوا رأسه بباب الخرق ، بسبب أنه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها .

ذو القعدة

الخميس ٢ منه (٢٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الأبراج والأسوار ، ويبيع الغلال التى جمعها من البلاد فى الفرض التى فرضت عليهم ، وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية . فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال ، وأرسلوها الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج . فباع عليهم أزيد من مائتى ألف أردب : كل أردب بمائة قرش ، وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا ، وهو لم يشترها ، ولم تكن عليه بمال ... بل أخذها من زراعات الفلاحين من أصل مافرضه عليهم من الظلم ، مع تطفيف الكيل عليهم ، والزامهم بكلفة شيله وأجرة نقله الى المحل الذى يلزمونهم بوضعه فيه ! وأخذ من الافرنج فى ثمنه أصناف النقود : من الذهب المشخص البندقى ، والمجر والفرانسة ، وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة ، والدودة التى يقال لها القرمز ، والقزدير ، وأصناف البضائع الأفرنكية ، واحدث — وهو بالاسكندرية — أحداثا ومكوسا .

ذو الحجة

٢٢ منه (١٨ يناير ١٨١١ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر ، وذلك يوم الجمعة أواخر النهار ، وحضر فى العشية الى بيت الأزبكية وبات عند حريمه . وطلع فى صبح يوم السبت الى القلعة ، وضربوا مدافع كثيرة لحضوره .. وبذلك علم الناس حضوره .

* * *

وانقضت السنة بحوادثها التى قصصنا بعضها ، اذ لا يمكن استيفاؤها للتباعد عن مباشرة الأمور ، وعدم تحققها على الصحة ، وتحريف النقلة ، وزيادتهم ونقصهم فى الرواية . فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار ... وغالبها من الأمور الكلية التى لا تقبل الكثير من التحريف . وربما أخرت قيد حادثة حتى أثبتها ، ويحدث غيرها وأنساها ، فأكتبها فى طيارة حتى أقيدها فى محلها ان شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة . وكل ذلك من تشويش البال ، وتكدر الحال ، وهم العيال ، وكثرة الاشتغال ، وضعف البدن ، وضيق العطن .

ومن حوادثها : احداث عدة مكوس زيادة على ما أحدث على الأرز والكتان والحرير والحطب والملح ، وغير ذلك مما لم يصل الينا خبره .. حتى غلت أسعارها الى الغاية وكان سعر الدرهم الحرير نصفين ، فصار بخمسة عشر نصفا وكنا نشترى القنطار من الحطب الرومى فى أوانه بثلاثين نصفا ، وفى غير أوانه بأربعين نصفا ، فصار بثلثمائة نصف. وكان الملح يأتى من أرضه بثمن القفاف التى يوضع

فيها لا غير ، ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق : الأردب بعشرين نصفا ، وأردبه ثلاثة أرادب ، ويشتريه المتسبب بمصر بذلك السعر ، لأن أردبه أردبان ، ويبيعه أيضا بذلك السعر ، ولكن أردبه واحد .. فالتفاوت فى الكيل لا فى السعر . فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت . وسعره الآن أربعمائة وخمسون نصفا ، والتزم به من التزم ، وأوقف رجاله فى موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من أربابه ، ويذهب به الى قبلى أو نحو ذلك .

ومنها ، وهى من الحوادث الغريبة : أنه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة ، المعروفة الآن بالحطابة ، قبالة الباب المعروف بباب الوزير ، فى وهدة بين التلول .. نار كامنة بداخل الأتربة ، واشتهر أمرها ، وشاع ذكرها ، وزاد ظهورها فى أواخر هذه السنة . فيظهر من خلال التراب ثقب ، ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك . وكثر ترداد الناس للاطلاع عليها أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا ، فيمشون عليها وحولها ، ويجدون حرارتها تحت أرجلهم ، فيحفرون قليلا ، فتظهر النار مثل نار الدمس ، فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك ، فتدق فيها النار وتورى ، ويصعد منها الدخان ... وان غوصوا فيها خشبة أو قصبة احترقت .

ولما شاع ذلك ، وأخبروا بها كتخدا بيك ، نزل اليها بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم ، وشاهد ذلك . فأمر والى الشرطة بصب الماء عليها ، واهالة الأتربة من أعالى التل فوقها ... ففعلوا ذلك ، وأحضروا السقائين ، وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا ، وأهالوا عليها الأتربة .

وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا ، فتظهر النار ، ويظهر دخانها . فيقربون منها الخرق والحلفاء والبدكات فتورى وتدخن . واستمر الناس يغدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين . وشاهدت ذلك فى جملتهم ، ثم بطل ذلك .

ومنها : أنه نودى فى أواخر السنة ، على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفا ، وكان يصرف بمائتين وخمسين ، من زيادات الناس فى معاملاتهم . فكانوا ينادون بالنقص ، ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة ، ويعاقبون على التزايد . وفى هذه الأيام نودى بالزيادة .. وذلك بحسب الأغراض والمقاصد والمقتضيات ، ومراعاة مصالح أنفسهم لا المصلحة العامة ... هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة .

وكذلك نقصوا وزن القروش ، وجعلوا القرش على النصف من القرش الأول ، ووزنه درهمان ، وكان أربعة دراهم ، وفى الدرهمين ربع درهم فضة . هذا مع عدم الفضة العددية ، ووجودها بأيدى الناس والصيارف . واذا أراد انسان صرف قرش واحد من غيره ، صرفه بنقص ربع العشر ، وأخذ بدله قطعا صغارا أفرنجية : يصرف منها الواحدة باثنى عشر ، وأخرى بعشرة ، وأخرى بخمسة ... ولكنها جيدة العيار . وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزاد عليها من النحاس — وهو ثلاثة أرباعها — قروشا ، لأن القطعة الصغيرة التى تصرف بخمسة أنصاف ، وزنها درهم واحد وزنى ، فيصيرونها أربعة قروش ، فتضاعف الخمسة الى ثمانين . وكل ذلك نقص واختلاس أموال الناس من حيث لا يشعرون !

* * *

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

فمات الفقيه الفريد ، والعلامة المفيد : الشيخ على الحصاوى الشافعى . ولا أعلم له ترجمة ، وانما

رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة فى الفقة والمعقول، ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه .

وكان على طريقة المتقدمين فى الانقطاع للافادة ، وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له ، منعكفا فى حاله . وتمرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفى فى منتصف جمادى الثانيـــة من السنة ، وصلى عليه بالأزهـــر ، ودفن فى تربة المجـــاورين بالصحراء .

* * *

ومات المعلم جرجس الجوهرى القبطى ،كبـــير المباشرين بالديار المصرية ، وهو أخو المعلم ابراهيم الجوهرى . ولما مات أخوه فى زمن رياسة الأمراء المصرية ، تعين مكانه فى الرياســـة على المبـــاشرين والكتبة وبيده حل الأمور وربطها فى جميع الأقاليم المصرية ، نافذالكلمة ، وافر الحرمة . وتقدم فى أيام الفرنسيس ، فكان رئيس الرؤساء . وكذلك عند مجىء الوزير والعثمانيين ، وقدموه وأجلسوه لمـــا يســـديه اليهم من الهدايا والرغائب ، حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى .

ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف أفنـــدى الدفتردار ، ويشرب بحضرتهـــم الدخان وغيره ، ويراعون جانبه ، ويشـــاورونه فى الأمور .

وكان عظيم النفس ، ويعطى العطايا ويفرق على جميع الأعيان ، عند قدوم شهر رمضان ، الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوى والبن ، ويعطى ويهب . وبنى عدة بيوت بحارة الونديك والأزبكية ، وأنشأ دارا كبيرة — وهى التى يسكنها الدفتردار الآن ، ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين — عند قنطـــرة الدكة . وكان يقف على أبوابه الحجاب والخدم .

ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالى ، وتداخل فى هذا الباشا ، وفتح له الأبواب لأخـــذ الأموال ... والمترجم يدافع فى ذلك.واذا طلب الباشا طلبا واسعا من المعلم جرجس ، يقول له : « هذا لا يتيسر تحصيله » ، فيأتى المعلم غالى فيسهل له الأمور ، ويفتح له أبواب التحصيل . فضاق خناق المترجم ، وخاف على نفسه ، فهرب الى قبلى ، ثم حضر بأمان — كما تقدم — وانحط قدره ، ولازمته الأمراض . حتى مات فى أواخر شـــعبان ، وانقضى وخلا الجو للمعلم غالى ، وتعين بالتقدم . ووافق الباشا فى أغراضه الكلية والجزئية .. وكل شىء له بداية وله نهاية . والله أعلم .

المحرم

السبت غرته (٢٦ يناير ١٨١١ م) :

أظهر الباشا الاهتمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر ، وركب فى ليلة الجمعة سابعه الى السويس. وسافر صحبته السيد محمد المحروقى ، وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس حجز الداوات التي وصلت بالمحمل ، وسفر عدة من المراكب التى أنشأها ليقبضوا على الداوات والسفن التى بالأساكل وحوزها ، واستولى على البن الذى وجده ببندر السويس للتجار . فلما وصل خبر ذلك الى مصر ، غلا سعر البن ، وزاد حتى وصل الى خمسين ريالا فرانسة ، بعد أن كان بسنة وثلاثين ، عنها اثنا عشر ألف فضة وخمسمائة نصفه فضة

صفر

٢ منه (٢٦ فبراير ١٨١١ م) :

حضر الباشا من السويس الى مصر فى سادس ساعة من الليل . فضربوا فى صبحها عدة مدافع لحضوره . وقد حضر على هجين بمفرده ، ولم يصحبه الا رجل بدوى على هجين أيضا ليدله على الطريق ، وقطع المسافة فى احدى عشرة ساعة . وحضر من كان بصحبته فى ثانى يوم ، وهم مجدون السفر ، وحضر السيد محمد المحروقى بحموله فى اليوم الثالث .

واخبروا أن الباشا أنزل من ساحل السويس خمسة مراكب من المراكب التى أنشأها ، باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ، ووجههم الى ناحية اليمن ، ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب ، وأن الصناع مجتهدون فى العمل فى مراكب كبار لحمل الخيول والعساكر واللوازم .

وفيه : حضر صالح أغا قوج حاكم أسيوط ، وتناقلت الأخبار عن الأمراء المصريين القبليين ، بأنهم حضروا الى الطينة ، ورجعوا الى ناحية قنا وقوص . وخرج اليهم أحمد أغا لاظ ، وتحارب معهم ، وقتل من عساكره عدة وافرة .

وفيه : قلد الباشا ابنه طوسون باشا صارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز ، وأخرجوا جيشهم الى ناحية قبة العزب ، ونصبوا عرضيا وخياما . وأظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوانى ، ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام ، لتمليك يوسف باشا لمحله .. وصارى عسكرهم شاهين بيك الألفى ، ونحو ذلك من الايهامات . وطلب من المنجمين أن يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر . فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة .

٤ منه (٢٨ فبراير ١٨١١ م) :

طاف آلاى جاويش بالأسواق ، على صورة الهيئة القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة ، وهو لابس الضلمة والطبق على رأسه ، وراكب حمار عال ، وأمامه مقدم بعكاز ، وحوله قابجية ينادون بقولهم : « يارن آلاى » . ويكررون ذلك فى أخطاط المدينة . وطافوا بأوراق التنابية على كبار

العسكر والبينبات والأمراء المصرية الألفية وغيرهم ، يطلبونهم للحضور فى باكر النهار الى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم أمام الموكب

٦ منه (٢ مارس ١٨١١ م) :

ركب الجميع ، وطلعوا الى القلعة . وطلع المصرية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم . فدخل الأمراء عند الباشا ، وصبحوا عليه ، وجلسوا معه حصـــة ، وشربوا القهوة وتضاحك معهم !

ثم انجر الموكب على الوضع الذى رتبوه : فانجر طائفة الدلاة وأميرهم المسمى أزون على ، ومن خلفهـم الوالى والمحتسب والأغا والوجاقليـة والالداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ، ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيـالة والبيكباشيات وأرباب المناصب منهم ، وابراهيم أغا أغات الباب .. وسليمـان بيـك البواب يذهب ويجىء ويرتب الموكب .

وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصـالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم ، وأسر بذلك فى صبحها ابراهيم أغا أغات الباب فلما انجر الموكب ، وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والالداشات المصرية ، وانفصلوا من باب العزب .. فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب ، وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية — وقد انحصروا بأجمعهم فى المضيق المنحدر الحجر ، المقطوع فى أعلى باب العزب ، مسافة ما بين الباب الأعلى الذى يتوصل منه الى رحبة سوق القلعة الى الباب الأسفل — وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التى به . فلما حصل الضرب من التحتانيين ، أراد الأمراء الرجوع القهقرى ، فلم يمكنهم ذلك ..لانتظـــام الخيول فى مضيق النقر ، وأخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم أيضا . وعلم العسكر الواقفون بالأعالى المراد ، فضربوا أيضا .

فلما نظروا ما حل بهم ، سـقط فى أيديهـم ، وارتبكوا فى أنفسهم ، وتحيروا فى أمرهم ، ووقع منهم أشخاص كثيرة .. فنزلوا عن الخيول ، واقتحم شاهين بيك وسليمان بيك البواب وآخرون فى عدة من مماليكهم راجعين الى فوق ، والرصاص نازل عليهم من كل ناحيـة ، ونزعوا ما كان عليهم من الفراوى والثياب الثقيلة ، ولم يزالوا سـائرين وشـاهرين سيوفهم ، حتى وصلوا الى الرحبـة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة .. وقد سـقط أكثرهم ، وأصيب شاهين بيك وسقط الى الأرض فقطعوا رأسه ، وأسرعوا بها الى الباشا ليأخـذوا عليها البقشيش .

وكان الباشا ، عندما ساروا بالموكب ، ركب من ديوان السراية ، وذهب الى البيت الذى به الحريم ، وهو بيت اسمعيل أفندى الضربخانة .

وأما سليمان بيك البواب ، فهرب من حلاوة الروح ، وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط ، وقطعوا رأسه أيضا . وهرب كثير الى بيت طوسون باشا ، يظن الالتجاء به ، والاحتماء فيه .. فقتلوهم !

وأسرف العسـكر فى قتل المصريين ، وسلب ما عليهم من الثياب ، ولم يرحموا أحدا ، وأظهروا كامن حقدهم، وضبعو فيهم وفيمن رافقهم متجملا معهم من أولاد النـاس وأهالى البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب ، وهم يصرخون ويستغيثون ، ومنهم من يقول : « أنا لست جنديا ولا مملوكا » ، وآخر يقول : « أنا لست من قبيلتهم » ، فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث .

وتتبعوا المتشتتين والهربانين فى نواحى القلعة وزواياها ، والذين فروا ودخلوا فى البيوت والأماكن ، وقبضوا على من أمسك حيا ولم يمت من الرصاص ، أو متخلفا عن الموكب وجالسا مع

الكتخدا : كأحمد بيك الكيلارجـ ، ويحيى بيـك الألفى ، وعلى كاشف الكبير .. فسلبوا ثيـابهم ، وجمعوهم الى السجن تحت مجلس كتخدا بيك ، ثم أحضروا أيضا المشاعلى لرمى أعناقهم فى حوش الديوان ، واحدا بعد واحد ، من ضحوة النهار الى أن مضى حصة من الليل فى المشاعل .. حتى امتلأ الحوش من القتلى !

ومن مات من المشاهير المعروفين ، وانصرع فى طريق القلعة ، قطعوا رأسه ، وسحبوا جثته الى باقى الجثث .. حتى أنهم ربطوا فى رجلى شاهين بيك ويديه حبالا ، وسحبوه على الأرض ، مثـل الحمار الميت ، الى حوش الديوان !

هذا ما حصل بالقلعة . و أما أسفل المدينة : فانه عندما أغلق باب القلعة ، وسمع من بالرميلة صوت الرصاص ، وقعت الكرشة فى الناس ، وهرب من كان واقفا بالرميلة من الأجناد فى انتظار الموكب ، وكذلك المتفرجون . واتصلت الكرشـة بأسواق المدينة .. فانزعجوا ، وهرب من كان بالحـوانيت لانتظار الفرجة ، وأغلق الناس حوانيتهم . وليس لأحد علم بما حصل وظنوا ظنونا

وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة ، وقتل الأمراء ، انبثوا كالجراد المنتشر الى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم ، طالبين النهب والغنيمة ، فولجوها بغتة ونهبوها نهبا ذريعا ، وهتكوا الحرائر والحريم ، وسحبوا النساء والجوارى والخوندات والستات ، وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب ، وأظهروا الكامن فى نفوسـهم ، ولم يجدوا مانعا ولا رادعا . وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة ، فقطع يد المرأة !

وحل بالنـاس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف. لأن المماليك والأجناد تداخلوا ، وسكنوا فى جميـع الحارات والنواحى ، وكل أمير له دار كبيرة فيهـا عيـاله وأتباعه ومماليكه وخيوله وجماله ، وله دار وداران صغار فى داخل العطف ، ونواحى الأزهر والمشـهد الحسينى .. يوزعون فيها ما يخافون عليه لظنهم بعدها وحمايتها بحرمة الخطة ، وصونها عند وقوع الحوادث .

وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع النواحى ، ويرمقون أحوالهم ، ويطلعون على أكثر حـركاتهم وسـكناتهم ، ويتـداخلون فيهم ، ويعاشرونهم ويسامرونهم بالليـل ، ويظهرون لهم الصداقة والمحبة .. وقلوبهم محشوة من الحقـد عليهم والكراهة لهم ، بل ولجميع أبناء العرب

فلما حصلت هـذه الحادثة ، بادروا لتحصيل مأمولهم ، وأظهروا ما كان مخفيا فى صدورهم .. وخصوصا من التشفى فى النساء . فان العظيم منهم كان اذا خطب ادنى امرأة ليتزوج بها ، فلا ترضى به ، وتعـافه ، وتأنف قربه . وان الح عليهـا ، استجارت بمن يحميها منه ، والا هربت من بيتها ، واختفت شهورا ... وذلك بخـلاف ما اذا خطبها أسفل شخص من جنس المماليك ، أجابته فى الحال

واتفق أنه لما اصطلح الباشا مع الألفية ، وطلبوا البيوت ، ظهر كثير من النساء المستترات المخفيات ، وتنافسوا فى زواجهم ، وعملوا لهم الكساوى : وقدموا لهم التقادم ، وصرفوا عليهم لوازم البيوت التى تلزم الأزواج لزوجاتهم .. كل ذلك بمرأى من الأتراك يحقدونه فى قلوبهم .

وفيهم من حمى جاره ، وصان دياره ، ومانع أعلاهم أدناهم — وقليل ماهم — وذلك لغرض يبتغيه ، وأمر يرتجيه ! فانه بعد ارتفاع النهب ، كانوا يقبضون عليهم من البيوت ، فيستولى الذى حماه ودافع عنه على داره وما فيها . وانتهبت دور



مذبحة القلعة

كثيرة من المجاورين لهم أو لدور أتباعهم ... بأدنى شبهة وبغير شبهة . أو يدخلون بحجة التفتيش ، ويقولون : « عندكم مملوك ، أو سمعنا أن عندكم وديعة لمملوك » . وبات الناس وأصبحوا على ذلك .

ونهب فى هـذه الحادثة من الأموال والأمتعة مالا يقدر قدره ، ويحصيه الا الله سبحانه وتعالى . ونهبت دور كثيرة من دور الأعيان الذين ليسوا من الأمراء المقصودين ، ومن المتقيدين بخدمة الباشا ، مثل : ذى الفقـار كتخدا المتولى خوليـا على بساتين الباشا التى أنشأها بشبرا ، وبيت الأمير عثمان أغا الوردانى ، ومصطفى كاشف المورلى ، والأفندية الكتبة وغيرهم .

وأصبح يوم السبت .. والنهب والقتل والقبض على المتـوارين والمختفين مستمر ، ويدل البعض على البعض أو يغمز عليه .

وركب الباشا فى الضحوة ، ونزل من القلعة ، وحوله أمراؤه الكبار مشاة ، وأمامه الصفاشـية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة . والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواه ، وهم محدقون به وأمامه وخلفه عدة وافرة . والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم ، طافح من وجوههم . فكان كلمـا مر على أرباب الدرك والقلقـات والضابطين ، وقف عليهم ووبخهم على النهب وعدم منعهم لذلك .. والحـال أنهـم هم الذين كانوا ينهبون أولا ، ويتبعهم غيرهم !

فمر على العقادين الرومى والشوائين ، فخرج اليه شخص من تجار المغاربة ، يسمى العربى الحلو ، وصرخ فى وجهه وهو يقول : « ايش هذا الحال ! وايش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر . ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون ، ولسنا مماليك ولا أجناد » .

فوقف اليه ، وأرسل معه نفرا الى داره ، فوجدوا بها شخصين : أحدهما تركى ، والآخر بلدى ، وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين .. فأمر بقتلهما . فأخـذوهما الى باب الخرق ، وقطعوا رؤوسهما .

ثم انه عطف على جهة الكعكيين ، فلاقاه من أخبره بأن المشـايخ مجتمعون ، ونيتهم الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر ! فقال : « أنا أذهب اليهم » . ولم يزل فى سيره حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وجلس عنده ساعة لطيفة . وكان قد التجأ الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية ، فكلمه فى شـأنهما ، وترجى عنـده فى اعتاقهما من القتل ، وأن يؤمنهما على أنفسهما . وقال له : « لاتفضح شـيبتى ياولدى ، واقبـل شفاعتى ، وأعطهما محرمة الأمان » . فأجابه الى ذلك ، وقال له : « شفاعتك مقبولة ، ولكن نحن لا نعطى محارم ، وأنا أمانى بالقول ، أو نكتب ورقة ونرسلها اليـك بالأمان » . فاطمأن الشيخ لذلك .

ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة ، وأرسل ورقة الى الشيخ بطلبهما فقال لهما الشيخ : « ان الباشا أرسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه » . فقالا : « وما يفعل بذهابنا اليه ؟ فلا شك فى أنه يقتلنا » فقال الشيخ : « لا يصح ذلك ولا يكون .. كيف أنه يأخـذكم من بيتى ويقتلكم بعـد أن قبل شفاعتى » . فذهبا مع الرسول . فعندما وصلا الى الحـوش -- وهو مملوء بالقتلى ، وضرب الرقاب واقع فى المحبوسين والمحضرين — قبضوا عليهما ، وأدرجا فى ضمنهم !

وفى ذلك اليوم : نزل طوسون ابن الباشا — وقت نزول أبيه — وشق المدينة ، وقتل شخصا من النهابين أيضا فارتفع النهب ، وانكف العسكر عن ذلك . ولولا نزول الباشا وابنه فى صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة ، وحصل منهم غاية الضرر .

وأما القبض على الأجناد والمماليك فمستمر ، وكذلك كل من كان يشبههم فى الملبس والزى . وأكثر من كان يقبض عليهم عسـاكر حسن باشا الأرنؤودى ، فيكبسـون عليهم فى الدور ، أو فى الأماكن التى تواروا فيهـا واستدلوا عليهـم ، فيمبضون على من يقبضون عليه ، وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله ، وثياب النساء وحليهن ، ويسـحبون الواحـد والاثنـين أو أكثر بينهم ، ويأخذون عمائمهم وثيابهم وما فى جيوبهم فى أثناء الطريق !

واذا كان كبيرا أو أميرا يستحى منه ، طلبوه بالرفق . فاذا ظهر لهم ، قالوا له : « سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شىء » . ويطمئن قليـلا ، ويظن أنهم يجـيرونه ... وعلى أى حال لا يسعه الا الاجابة ، لأنه ان امتنع أخذوه قهرا . فاذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم ، وطلع البواقى الى الدار ، فأخذوا ما قدروا عليه ولحقوا بهم ... وجرى على المأخوذ ما يجرى على أمثاله من المـأخوذين .

والبعض توارى ، والتجأ الى طائفة الدلاة ، وتزيا بشكلهم ، ولبس له طرطورا وأجاروه .

وهرب كثير فى ذلك اليـوم ، وخرجوا الى قبلى . وبعضهم تزيا بزى نساء الفلاحين ، وخرج فى ضمن الفلاحات اللاتى يبعن الجـلة والجبنة . وذهبوا فى ضمنهم . وفر من نجا منهم الى الشام وغيرها .

وأما كتخدا بيك فانه ، لشدة بغضه فيهم ، صار لا يرحم منهم أحـدا . فكان كل من أحضروه — ولو فقيرا هرما من مماليك الأمراء الأقدمين —

يأمر بضرب عنقه . وأرسل أوراقا الى كشـاف النواحى والأقاليم بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان . فـوردت الرؤوس فى ثانى يوم من النواحى ، فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة .

وكان كثـير من الأجناد بالأرياف لتحصيل الفرض التى تعهدوا بدفعها عن فلاحيهم . وانقضت أجلتهم ، وطولبـوا بالدفع والفـلاحون قصرت أيديهم ، ولم يقبلوا للملتزمين عذرا فى التأخير . فلم يسعهم الا الذهاب بأنفسهم لأجل خلاص المطلوب منهم للديوان . فعند ما وصلت الأوامر الى كشاف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد ، بادروا بقتل من يمكنهم قتله . ومن بعد عنهم أرسلوا لهم العساكر فى محلاتهم ، فيدهمونهم على حين غفلة ، ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ، ويرسلون برؤوسهم ، أو يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم . فصار يصـل فى كل يوم العـدد من الرؤوس من قبلى وبحرى ، ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ، ولم يقبلوا شفاعة فى أحد أبدا . ويعطون الأمان للبعض ، فاذا حضروا ... قبضـوا عليهم وشلحوهم ثيابهم وقتلوهم .

والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ، ففوض له الأمر فيهم . حتى أنه كان بينه وبين محمد أغا ، كتخدا الجاويشية سابقا ، بعض منافرة من مدة سابقة ، أو لـكونه صاهر بعض الألفية وزوجه ابنته . وكان غائبا ببلدة يقـال لها الفرعونية جارية فى اقطاعه ، وتعهد بما عليها من الفرضة ، فذهب اليها بنفسه ليستخلص منهـا الفرضة والمـال الميرى . فأرسل الكتخدا بيك الى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يأمره فيه بأمره . فأرسل اليه طائفة من العسـكر دخلوا عليـه فى الفجرية — وهو يتوضأ لصلاة الصبح — فقتلوه وقطعوا رأسه وأحضروها الى مصر !

وكانوا يأتون بأشخـاص من بقايا البيـوت القديمة ، فيمثلونهم بين يدى الكتخدا . فيسألهم فيخبرون عن أنفسهم ونسبتهم ، فيكذبهم ويأمر بهم الى الحبس الأعلى حتى يتبـين أمرهم ... فاما تدركهم الألطاف فيئجون بعد معاينة الموت — وهذا فى النادر — فقتل فى هـذه الحادثة أكثر من ألف انسان ، أمراء وأجناد وكشاف ومماليك . ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشـاب ويرمونهم عنـد المغسل بالرميلة ، ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفـر من الأرض فوق بعضهم البعض ... لا يتميز الأمير عن غـيره . وسـلخوا عـدة رؤوس من رؤوس العظماء ، وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفر .

فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التى لم يتفق مثلها . ولم ينج من الألفية الا أحمد بيك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير ، فانه كان غائبا بناحية بوش ، وأمين بيك تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام ، وعمر بيك أيضـا الألفى كان مسافرا فى ذلك اليوم الى الفيوم ، فقتلوه هناك وبعثوا برأسه بعد خمسة أيام ، ومعها نحو الخمسة عشر رأسا وأرسل دبوس أوغلى حاكم المنيـة خمسة وثلاثين رأسا . وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير .

وأما من قتل فى ذلك اليوم ، ممن له ذكر وبلغنى خبره ، فهم : شاهين بيك كبير الألفية ، ويحيى بيك ، ونعمـان بيك ، وحسين بيـك الصـغير ، ومصطفى بيك الصغير ، ومراد بيك ، وعلى بيك .. هؤلاء من الألفية .

ومن غيرهم أحمد بيك الكيلارجى ، ويوسف بيك أبو دياب ، وحسن بيك صالح ، ومرزوق بيك ابن ابراهيم بيك الكبير ، وسليمان بيك البواب ،

وأحمد بيك تابعه ورشوان بيك ، وابراهيم بيك تابعاه ، وقاسم بيك تابع مراد بيك الكبير ، وسليم بيك الدمرجى ، ورستم بيك الشرقاوى ، ومصطفى بيك أيوب ، ومصطفى بيك تابع عثمان بيك حسن وعثمان بيك ابراهيم ، وذو الفقار تابع جوجر ، وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين ... هرب هو ومصطفى بيك الجداوى وآخر عند صالح بيك السلحدار ، والتجأوا اليه ، وطمنهم ، وأرسل بخبرهم ، فحضر الأمر بقطع رؤوسهم ، فأحضر المشاعلى وقطع رؤوسهم فى مقعده ، وأرسلها .

ومن الأمراء الكشاف الألفية فهم : على كاشف الخازندار ، وعثمان كاشف الحبشى ، ويحيى كاشف ، ومرزوق كاشف ، وعبد العزيز كاشف ، ورشوان كاشف ، وسليم كاشف طظر ، وقايد كاشف ، وجعفر كاشف ، وعثمان كاشف ، ومحمد كاشف أبو قطية ، وأحمد كاشف الفلاح ، وأحمد كاشف صهر محمد أغا ، وخليل كاشف ، وعلى كاشف قيطاس ، وأحمد كاشف ، وموسى كاشف ، وغير ذلك ممن لم يحضرلى أسماؤهم — وهم كثيرون .

وختم الله للجميع بالخير ! فانه بلغنى ممن عاينهم بالحبوس ، وفى حال القتل ، أنهم كانوا يقرأون القرآن ، وينطقون بالشهادتين والاستغفار . وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن يرمى عنقه . ومن لم يجد ماء تيمم .

ولاشتغال أهل المقتولين بأنفسهم ، وما حصل لهم من النهب والسلب والتشتيت عن أوطانهم ، لم يعوا ولم يسألوا عن موتاهم ... غير أم مرزوق بيك ابن ابراهيم بيك الكبير ، فانها وجدت عليه وجدا عظيما ، وطلبته فى القتلى ، فعرفوا جثته بعلامة فيه ، وجمجمته بكونه كان كريم العين ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه فى تربتهم ... وذلك بعد مضى يومين من الحادثة . واجتمع عندها الكثير من أهل المقتولين ونسائهم ، وأقاموا على ذلك شهورا .

وفى يوم الحادثة أرسل محرم بيك ، صهر الباشا حاكم الجيزة ، فجمع مال المصرية باقليم الجيزة فى الربيع ، من الخيول والجمال والهجن وغيرها ، فكان شيئا كثيرا .

٨ منه (٤ مارس ١٨١١ م) :

نودى على نساء المقتولين بالأمان ، وأن يحضرن الى بيوتهن ويسكن فيها — مع كونها صارت بلاقع — فرجع البعض ، وهن اللاتى لم يحصل لهن كثير الضرر ، وبقى البعض فى اختفائه .

وأنعم الباشا على خواصه بالبيوت بما فيها ، فنزلوها وسكنوها ، وألبسوا النساء الخواتم ، وجددوا الفرش والأوانى ... وغالبها من المنهوبات.

وأنعم ببيت شاهين بيك على حسين أغا من أقاربه ، ولم يحصل به ما حصل بغيره لكونه ملاصقا لبيت طاهر باشا ، وأرسل الباشا طائفة من العسكر جلسوا على بابه .

وأما أحمد بيك الألفى ، فانه وصله النذير ، فانتقل من بوش ، وذهب عند الأمراء القبالى . ولما وصلتهم أخبار هذه الحادثة ، وبلغ ابراهيم بيك موت ولده على هذه الصورة ... أقاموا العزاء على اخوانهم ، ولبسوا السواد .

وفى ثانى يوم الواقعة حضر أحد الكشاف رسولا من عند الأمراء القبليين ، يطلبون العفو من الباشا ، وأن يعطيهم جهة يتعيشون منها . فوعده برد الجواب فى غير الوقت ، فأهمله وما أدرى ما تم له

وفيه : قلد الباشا مصطفى بيك ابن أخته ، وجعله كبيرا على طائفة الدلاة . وكان أحضره من ناحية الشرقية ليذهب الى قبلى ، وأقام بدله فى كشوفية الشرقية على كاشف بن أحمد كتخدا من المصرلية .

١٨ منه (١٤ مارس ١٨١١ م) :

عـدى مصطفى بيك المـذكور الى بر الجيزة ليسافر الى قبلى ، ونصب وطاقه بحـرى القصر . وعدى أيضا الباشا وأقام بالقصر ، وشرع عسكره الدلاة فى التعدية ليلا ونهارا .

وفيه أيضا : خرج عدة من عسكر الدلاة ، نحو الخمسمائة نفر ، الى ناحية قبة العزب ليسـافروا الى بلادهم . فاستمروا فى قضـاء أشغالهم أياما ، ثم سافروا .

٢٣ منه (١٩ مارس ١٨١١ م) :

ارتحـل مصطفى بيك ، وانتقل الى ناحيـة الشيخ عثمان ، مسافرا الى قبلى . وعدى الباشا راجعا الى مصر .

وفيه : حضر ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام . وقبـل فيه ترجى باشة مصر وشفاعته .

٢٥ منه (٢١ مارس ١٨١١ م) :

أحضروا من ناحية قبلى أربعة وستين شخصا ، وأكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد .. من بقايا البيوت القديمة ، السنين العديدة ، ومحترفين . فلما أحضروهم الى مصر القـديمة ، أبقـوهم الى الليل فى محبس . ثم أوقدوا المشـاعل بسـاحل البحـر ، وقطعـوا رؤوسهم ، ورموا بجثثهم الى البحـر ، وأتوا بالرؤوس ، فوضعوها تجـاه باب زويلة ليراها الناس كما رأوا غيرها !

ربيع الأول

الاحد ٦ منه (٣١ مارس ١٨١١ م) :

عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما . ونبهوا فى ليلتها على اجتماع العسكر فى صبحها . ونزل هو الى جامع الغورية ليتفرج على الموكب ، وصحبته حسن باشـا . واسـتعد لذلك السـيد المحروقى ، وفرش له بالجامـع المذكور فروشـا ومراتب ووسائد . فمر الموكب ، وفى أوله طائفـة الدلاة . فلما فرغوا ... مروا بعشرة مدافع كبـار على عربيات ، وعربيتين تحملان هونين قنـابر ، وخلفهم طوائف العسـكر الرجالة : أرنؤود ، وأتراك ، وسجمان — وهم كثيرون — مختلطون من غير ترتيب مدة طويلة ، ثم كبـارهم ركبـانا بطوائفهم ، ثم الوالى والمحتسب وأغاة مستحفظان، ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه ، وكذا هجنه ، ثم الجاويشية والسـعاة والملازمون ، ثم طوسون باشا وخلفه أتباعه وأغواته ، ثم الكتحدا — وهو محمد كتخدا ، المعروف بالبرديسى ، وهـو الذى كان كتخدا الألفى — وصحبته الخازندار ، وخلفهم النوبة التركية .

ولما انقضى أمر الموكب ، دعاه المحـروقى الى منزله . فنزل معـه من باب السر الذى بالجـامع المعروف بالغورى ، وصحبته حسن باشا ، وتوجهوا الى بيت المحروقى ، وتغدى عنـده هو وأتبـاعه وخواصـه ، وأحضر له آلات الطرب ، واسـتمر هناك الى آخر النهار فى حظ وكيف ، وقـدم له المحروقى تعابى هدية ... ثم ركب عائدا الى محله .

الاثنين ١٤ منه (٨ ابريل ١٨١١ م) :

نزل الباشا الى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ، ونقل الأحجار فى المراكب مستمر ، فأقام عند السد أربع ليال . وذهب الى الاسكندرية عندما أتتـه الأخبار بورود مراكب الانكليز لأجـل مشـترى الغلال ، فذهب ليبيع عليهم الغلال التى جمعهـا . فبـاع عليهم كل أردب بمـائة قرش رومى ، عنها أربعة آلاف فضة وأكثر . واجتهد ببنـاء أسوار الاسكندرية ، وجدد بها أبراجا وحصونا ، وأرسل بطلب البنائين والصناع ، فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك واقامته لتتميم أغراضه .

وأمن مشايخ عربان أولاد على المسـتولين على

البحيرة ، وتحيل عليهم . فلما حضروا اليه قبض عليهم ، وقرر عليهم أموالا عظيمة ، ثم خلع عليهم وعوقهم . وأرسل العساكر فنهبت نجوعهم ، وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم !

وأما كتخدا بيك ، فانه بمصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه . ونظموا كيفية أخرى ، وهى أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائظ والرزق ... ايراد أربع سنوات ، وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض فى دفعتين . وبعد أن تقرر النصف الأول ، وتحصل منه ما تحصل ، وبقى الباقى مع النصف الآخر ، ويطلب من أربابه ولا بد ... لا مسامحة فى شىء منه . ومن تكفل بما تقرر على حصته ، وألزم نفسه بدفعه ، وكتب على نفسه وثيقة لأجل ... طولب به ، حتى قبل حلول الأجل ، لاحتياج المهمات . فتتوجه عليه الحوالات بيد العساكر ، فينزلون بداره ويلازمونها ويضيقون أنفاسه ، ويكلفونه ما لا يطيق . فلا يجد ملجأ ولا خلاصا الا بأحد الشيئين : اما الدفع بأى وجه كان ، واما ينزل عن حصته بالفراغ للديوان . ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ، ويصبح فقيرا لا يملك شيئا ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى .

ربيع الآخر

(٢٥ ابريل ــ ٢٣ مايو ١٨١١ م)

... الكتخدا يتنوع فى استجلاب الأموال ، ويتحيل فى استخراجها بأنواع من الحيل فمنها : أنه يرسل الى أهل حرفة من الحرف ، ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ، ويظهر أنه يريد الشفقة والرأفة بالناس ، ويرخص لهم فى أسعار المبيعات ، وأن أرباب الحرف تعدوا الحدود فى غلاء الأسعار .

فيجتمع أهل الحرفة ، ويضجون ، ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم ، وما ينضاف اليه من غلو جزئيات تلك البضاعة ، وما استحدث عليها من الجمارك والمكوس ، وغلو الأجر فى البحر والبر ... فلا يستمع لقولهم ، ولا يقبل لهم عذرا ، ويأمر بهم الى الحبس . فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على أنفسهم بقدر من المال يدفعونه ، ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم . ثم يزيدون فى سعر تلك البضاعة ليعوضوا غرامتهم من الناس ... معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ، ثم تستمر الزيادة على الدوام ... وأظن استمرار الغرامة أيضا ! فجمع بهذه الكيفية أموالا عظيمة . وهى فى الحقيقة سلب أموال الناس من الأغنياء والفقراء .

فى اواخره (النصف الثانى من مايو ١٨١١ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة ، فبات بقصر شبرا . ثم حضر الى بيت الأزبكية ، فأقام به يومين ، ثم طلع الى القلعة .

وفيه : وصلت عساكر كثيرة من الأرنؤود والأتراك حتى غصت بهم المدينة . فلا يكاد المار يقع بصره الا عليهم أمام وخلف وبداخل الأزقة والعطف . وذلك خلاف الذين أقرهم وأبقاهم فى الاسكندرية ومن هو بالجهات والأقاليم القبلية والبحرية ... وما يعلم جنود ربك الا هو !

وفيه : اهتم الباشا بتشهيل العرضى اهتماما زائدا وفرض على البلاد جمالا وأتبانا وغلالا .

جمادى الأولى

(٢٤ مايو ــ ٢٢ يونية ١٨١١ م)

فيه : ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة : بأنه ولد للسلطان مولودة أنثى . فعملوا لها شنكا ، وهى مدافع تضرب من أبراج القلعة فى الأوقات الخمسة ... ثلاثة أيام .

وفيه : فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس وأهل الحرف : بغلة وبغلتين وثلاثة . والذى لم يكن عنده بغلة ، يلزم بالشراء ، أو أنه يدفع ثمنها كيسا عشرون الف فضة .

وفيه : انقطع الوارد من الديار الحجازية ، وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل ، وقل وجوده من الأسواق والدكاكين ... فلا يوجد الا مع المشقة . وصنع الناس القهوة من أنواع الحبوب المحمصة : كالشعير والقمح والفول ، وبزر العاقول وغيره ... مخلوطا مع البن ، وبغير خلط !

جمادى الآخرة

الجمعة ٢٠ منه (١٢ يولية ١٨١١ م) :

خرج الباشا الى البركة ، وطلب الجمال وقوافل العرب ، وشهل طائفة من العسكر للسفر الى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة ، وطفقوا يخطفون الحمير والبغال والجمال ، وكل ما صادفوه من الدواب . ومن وجدوه راكبا ، ولو من وجهاء الناس ، أنزلوه عن دابته وركبوها . فانقبض الناس ، وانكمش غالبهم عن الركوب لمصالحهم ، وأخفوا حميرهم وبغالهم . وأقام الباشا ثلاثة أيام جهة البركة ، ثم ركب الى السويس .

وفيه : وردت مراكب وداوات وفيها البن . وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة واليمن لأجل حمل العساكر واللوازم ، وانحل سعر البن قليلا .

رجب

الاثنين ٢٢ منه (١٢ اغسطس ١٨١١ م ــ ٧ مسرى ١٥٢٧ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد فى صبحها يوم الثلاثاء ، بحضرة كتخدا بيك . والباشا غائب بالسويس .

شعبان

٢ منه (٢٢ اغسطس ١٨١١ م) :

سافر ديوان أفندى بمن بقى من العساكر البحرية .

٨ منه (٢٨ اغسطس ١٨١١ م) :

حضر الباشا من السويس ، وشرع فى تشهيل العساكر البرية .

١٥ منه (٤ سبتمبر ١٨١١ م) :

خرج الباشا الى العادلية ، واجتهد فى تشهيل سفر العساكر البرية اجتهادا كبيرا ، وجمع من أهل كل حرفة طائفة ، وكذلك من أهل كل صنعة . والذى يعجز عن السفر ، يخرج عنه بدلا . وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدى من الشافعية ، ومن الحنفية السيد أحمد الطحطاوى ، وشيخ حنبلى وصل من ناحية الشام . وكانوا رسموا باحضار السيد حسن كريت المالكى من رشيد ، والشيخ على خفاجى من دمياط ، فحضرا واعتذرا ، فأعفيا من السفر ورجعا الى بلديهما .

وفى هذا الشهر : ظهر نجم له ذنب فى جهة الشمال بين بنات نعش الصغرى ، وبين منار بنات نعش الكبرى : رأسه جهة المغرب ، وذنبه صاعدا الى جهة المشرق ، وله شعاع مستطيل فى مقدار الرمح . واستمر يظهر فى كل ليلة ... والناس ينظرون اليه ، ويتحدثون به ، ويسألون الفلكيين عنه ، ويبحثون عن دلائله وعن الملاحم المصنفة فى ذوات الأذناب . واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة أشهر ، واضمحل بعض جرمه ، ومشى الى ناحية الجنوب ، وقرب من النسر الطائر .

رمضـــان

٩ منه (٢٧ سبتمبر ١٨١١ م) :

ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج.

١٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨١١ م) :

ارتحلوا من البركة . فكان مدة مكث العرضى ، من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحـــالهم من البركة ، قريبا من ستة أشهر ونصف . والناس فى أمر مريج فى كل شئ .

وفيـه : خرج السيد محمد المحروقى ليسافر صحبة الركب ، وخرج فى موكب جليل ، لأنه هو المشار اليه فى رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته ، وأمور العربان ومشايخها . وأوصى الباشـا ولده طوسون باشا أمير العسكر بأن لايفعل شيئا من الأشياء الا بمشورته واطلاعه ، ولا ينفذ أمرا من الأمور الا بعد مراجعته .

وفيه : وردت الأخبار بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ، ونهبوا ماكان فيه من ودائع التجار . وذلك أنه كان بمرساة الينبع عدة مراكب وداوات .

والشريف غالب ، أمير مكة ، يكاتب الباشـا ويراسله ، ويظهر له النصـح والصداقة وخلوص المودة . والباشا أيضا يراسله ويكاتبه . وأرسل له السيد سلامة النجارى ، والسـيد أحمد المنـلا الترجمان المحروقى بمراسـلات وجوابات مرارا عـديدة ، فكانا همـا السفيرين بينهما . وأيضـا الشريف ، فى كل كتابة مع كل مرسول ، يعاهـد الباشـا ويعاقده ، ويواعـده بنصر عساكره متى وصلت ، وينافق للطرفين : الذى هو العثمانى ، والوهابى ، ويداهنهما .

أما الوهابى فلخوفه منه ، وعدم قدرته عليـه ، فيظهر له الموافقة والامتثال ، وأنه معه على العهود التى عاهده عليها من ترك الظلم ، واجتناب البدع ونحو ذلك . ويميل باطنا للعثمانيين ، لكونه على طريقتهم ومذاهبهم .

وتعاقد مع الباشا أنه متى وصلت عساكره ، قام بنصرتهم ، وساعدهم بكليته وجميع همته . وأرسل الى المراكب الـكائنة بمرساة الينبع ، بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ، ويودعوه قلعـة الينبع تحت يد وزيره ، وترك معـه نحو الخمسمائة من عسكره ، وأخذ المراكب فأوسقها من بضـائعه وبهاره وبنه ، وأرسلها الى السويس لتباع بمصر ، ثم توسق بمهمات العسكر البحرية .

فلما وصلت مراكب العساكر البحرية ، وألقت مراسيها قبالة الينبع ... احتاجوا الى المـاء ، فلم يسعفوهم بالمـاء . فطلع طائفة من العســكر الى البر فى طلب عين الماء ، فمانعهم من عندها مرابط . فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم عن المـاء ... وفى حال رجوعهم ، رموا عليهم من القلعـة المـدافع والرصاص . والحال أن الأمر مبهم على الفريقين !

فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليها القنـابر والمدافع ، وركبوا على سورها سلالم ، وصعدوا عليهـا ، وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهـم من الكائنين بالقلعـة ، فملـكوا القلعـة ، وقتلوا من كان بهـا . ولم ينـج منهم الا الوزير ومعه سـتة أنفار ، خرجوا هاربين على الخيول . ونهبوا كل ماكان بالينبـع من الودائع والأموال والأقمشة والبن ، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر ، وأخذوهن أسرى ، ويبيعوهن على بعضهم البعض .

ووصل المبشرون بذلك فى عشرتـه . فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة ، وعملوا شـنكا . وطافت المبشرون على بيوت الأعيان ليأخذوا منهم البقاشيش . وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معينـا

كبيرا الى اسلامبول يبشرون أهل الدولة وسلطان الاسلام . وكان ذلك أول فتح حصل .

شوال

استهل بيوم الجمعة ، وكان حقه أن يكون بيوم السبت ، لأن الهلال لم يكن موجودا ليلة الجمعة ، ولم يره ليلة السبت الا النادر من الناس . وكان قوسه ليلة السبت عشر درجات .

١٦ منه (٣ نوفمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون بوصولهم الى بندر المويلح فى اليوم السابع من الشهر . وكان العيد عندهم بمغاير شعيب يوم السبت .

وفيه : خرجت تجريدة لتسافر الى قبلى لمحاربة من بقى من الأمراء المصريين بناحية أبريم .

ذو القعدة

الاحد غرته (١٧ نوفمبر ١٨١١ م) :

وصلت حجاج مغاربة فى عدة مراكب على ظهر البحر ، وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر بعدهم بأيام الركب الطرابلسى ، ونزل بساحل بولاق .

الجمعة ٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١١ م) :

حضر أيضا الركب الفاسى ، وفيهم ابن سلطان الغرب مولاى ابراهيم ابن مولاى سليمان . فاعتنى الباشا بشأنه ، وأرسل كتخدا بيك لملاقاته ، وقدم له تقادم ، وأعدوا له منزل على كاشف بالقرب من بيت المحروقى لينزل فيه ، وتقيد بخدمته الرئيس حسن المحروقى وحواشيهم لمطبخه وكلف طعامه .

فلما عدى ، طلع الى القلعة ، وقابل الباشا ، ونزل الى المنزل الذى أعده له ... وأمامه قواسة أتراك وطرادون وأشخاص أتراك يضربون على طبلات ، وأمامه جميع المغاربة مشاة ، ويأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم . فأقام خمسة أيام ، حتى قضى أشغاله . وفى تلك المدة تغدو اليه وتروح رسل الباشا . وأرسل له هدية وذخيرة من كل صنف : سكر وعسل وسمن ودقيق وبقسماط ، وأشياء أخر ، وبارود . وأعطى له ألف بندقية لضرب الرصاص ، وبرز فى عاشره ، وسافروا فى ثانى عشره .

الخميس ١٩ منه (٥ ديسمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة على أيديهم مكاتبات خطابا الى الباشا وغيره . وفيهم الخبر بأن العسكر البرى اجتمع مع العسكر البحرى ، وأخذوا ينبع البر من غير حرب ، وأن العربان أتت اليهم أفواجا ، وقابلوا طوسون باشا وكساهم ، وخلع عليهم ثم انقطعت الأخبار .

ذو الحجة

الثلاثاء ١٥ منه (٣١ ديسمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة ومعهم رؤوس قتلى ومكاتبات مؤرخة فى منتصف شهر ذى القعدة .. مضمونها : أنهم وصلوا الى ينبع البر فى حادى عشرين شوال ، واجتمع هناك العسكران البرى والبحرى ، وأنهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية — ويسمى قرية السويق — وفر ابن جبارة هاربا . وحضرت عربان كثيرة ، وقابلوا ابن الباشا ، وأنهم مقيمون وقت تاريخه فى منزلة الينبع ، منتظرين وصول الذخيرة . وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف .

وأنه ورد عليهم خبر ليلة أربع عشرة شهره : بأن جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال — وفيهم عبد الله بن مسعود ، وعثمان المضايفى ، ومعهم مشاة — وقصدوا أن يدهموا العرضى على حين غفلة . فخرج اليهم شديد شيخ

الحويطات ، ومعه طوائفه ودلاة وعساكر ، فوافاهم قبل شروق الشمس ، ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون : « هاه يامشركون ! » . وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية ، وغنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجن الجياد محملة أدوات . وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين ... هذا ملخص ما ذكروه فى الأجوبة التى حضرت .

الجمعة ٢٥ منه (١٠ يناير ١٨١٢ م) :

وصلت قافلة من السويس . وحضر فيها جاويش باشا وصحبته مكاتبات . وحضر أيضا السيد أحمد الطحطاوى ، والشيخ الحنبلى . وأخبروا أن العرضى ارتحل من ينبع البر فى سابع عشر ذى القعدة ، ووصلوا الى منزلة الصفراء والجديدة ، ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقاتهم بالقرب من الجبال . فوجدوا هناك متاريس وأحجارا ، فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه ، ثم أخذوا متراسا آخر .

وصعدت العساكر الى قلل الجبال ، فهالهم كثرة الجيش ، وسارت الخيالة فى مضيق الجبال .

هذا ... والحرب قائم فى أعلى الجبال يوما وليلة الى بعد الظهيرة من يوم الأربعاء ثالث عشرى القعدة ... فما يشعر السفلانيون الا والعساكر الذين فى الأعالى هابطون منهزمون . فانهزموا جميعا ، وولوا الأدبار ، وطلبوا جميعا الفرار ، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم ، وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خف عليهم من أمتعة رؤسائهم ... فكان القوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ، ويأخذ دابته ويركبها ، وربما قتله وأخذ دابته !

وساروا طالبين الوصول الى السفائن بساحل البريك ، لأنهم كانوا أعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط . ووقع فى قلوبهم الرعب ، واعتقدوا أن القوم فى أثرهم ... والحال أنه لم يتبعهم أحد ، لأنهم لا يذهبون خلف المدبر .

ولو تبعوهم ما بقى منهم شخص واحد . فكانوا يصرخون على القطائر فتأتى اليهم القطيرة — وهى لاتسع الا القليل — فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها . فيصعد منهم الجماعة ، ويمنعون البواقى من اخوانهم . فان لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص ! حتى كانوا ، من شدة حرصهم وخوفهم ، واستعجالهم على النزول فى القطائر ، يخوضون فى البحر الى رقابهم ... وكأنما العفاريت فى أثرهم تريد خطفهم .

وكثير من العسكر والخدم ، لما شاهدوا الازدحام على أسكلة البريك ، ذهبوا مشاة الى ينبع البحر .

ووقع التشتيت فى الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم . ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد أن تغيب يوما عن معسكره ، حتى أنهم ظنوا فقده . ورجع أيضا المحروقى وديوان أفندى ، واستقروا بالينبع .

وترك المحروقى خيامه بما فيها . فنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين ، وهم على جهد من التعب والجوع ، فوجدوا بها المآكل والحلاوات وأنواع الملبسات ، والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والغريبات والخشكنانات والمربيات وأنواع الشرابات ، فوقعوا عليها أكلا ولهبا . ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم ولم تأت فى آثرهم ، أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم ، وشبعت بطونهم ، وارتاحت أبدانهم . ثم لحقوا باخوانهم . فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ... ولو كان على غير قصد منهم ! فكان مدة اقامة المعسكر والعرضى بينبع البر أربعة وعشرين يوما .

وأما الخيالة فانهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلح ، وقد أجهدهم التعب ، وعدم الذخيرة والعليق ... حتى حكوا : أنهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قمح مسوس !

وكانت علائفهم فى كل يوم أربعمائة وخمسين أردبا .

وأما المحروقى ، فان كبار العسكر قامت عليه ، وأسمعوه الكلام القبيح ، وكادوا يقتلونه فنزل فى سفينة وخلص منهم ، وحضر من ناحية القصير . وحضر الكثير من أتباعه وخدمه متفرقين الى مصر .

فأما الذين ذهبوا الى المويلح ، فهم : تامر كاشف وحسين بيك دالى باشا وآخرون فأقاموا هناك فى انتظار اذن الباشا فى رجوعهم الى مصر أو عدم رجوعهم .

وأما صالح أغا قوج فانه عند ما نزل السفنة ، كر راجعا الى القصير ، واستقل برأيه لأنه يرى فى نفسه العظمة ، وأنه الأحق بالرياسة ، ويسفه رأى المحروقى وطوسون باشا ، ويقول : « هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب ؟ ! » ويصرح بمثل هذا الكلام وأزيد منه ، وكان هو أول منهزم . وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طوسون ، فحقده فى نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه الى القصير ، ولم ننتظر اذنا فى الرجوع أو المكث .

ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا ، واستمر على همته فى تجهيزه عساكر أخرى . وبرزوا الى خارج البلدة ، وفرض على البلاد جمالا ، ذكر أنها من أصل الغرائم والفرض فى المستقبل . وكذلك فرض غلالا ، فكان المفروض على اقليم الشرقية خاصة اثنى عشر ألف أردب ، بعناية على كاشف ، قابله الله بما يستحق .

وانقضت السنة بحوادثها التى منها هذه الحادثة ، وأظنها طويلة الذيل .

ومنها : أن النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة بعد أن بلغ فى الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفى والدراوى . ولما انحسر عن الأرض زرعوا البرسيم — والوقت صائف ، والحرارة مستجنة فى الأرض — فتولدت فيه الدودة ، وأكلت الذى زرع . فبذروه ثانيا ، فأكلته أيضا . وفحش أمر الدودة جدا فى الزرع البدرى ، وخصوصا باقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية ، بل وباقى الأقاليم .

ومنها : أن الباشا أحدث ديوانا ، ورتبوه ببيت البكرى القديم بالأزبكية . وأظهر أن هذا الديوان لمحاسبة ما يتعلق به من البلاد ومحاسباتها — والقصد الباطنى غير ذلك — وقيد به ابراهيم كتخدا الرزاز ، والشيخ أحمد يوسف كاتب حسين أفندى الرورنامجى ، وما انضم اليهم من الكتبه المسلمين — دون الأقباط — ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبرانى فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ماعدا يوم الجمعة ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا . وهو أن الكثير من الفلاحين لما سمعوا فى ذلك ، أتوا من كل ناحية الى مصر ، وكتبوا عرضحالات الى كتخدا بيك وللباشا ، يتظلمون من أستاذيهم ، وينهون أنهم يزيدون عليهم زيادات فى قوائم المصروف ، ويشددون عليهم فى طلب الفرض أو بواقيها فيدفعهم الباشا أو الكتخدا الى ذلك الديوان المحدث لينظر فى أمورهم ، ويصحبهم معين تركى مباشر يأتى بالملتزم أيضا والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لأجل المحاققة فعند ذلك تعنت ابراهيم كتخدا فى القوائم ، ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة .... ونحو ذلك .

ولما فشا هذا الأمر ، وأشيع فى البلدان ، أتت طوائف الفلاحين أفواجا الى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ، ويخاصمونهم ويكافحونهم . فيكون أمرا مهولا ، وغاية فى الزحام والعياط والشباط !

وكذلك رفعوا المعلم منصور ، ومن معه من

الـكتبة ، من مباشرة ديوان ابنه ابراهيم بيك الدفتردار . وقيدوا بدلهم : السيد محمد غانم الرشيدى ، ومحمد أفندى سليم ، ومن انضم اليهم . وأظهر الباشا أنه يفعل ذلك لما علمه من خيانة الأقباط ... والقصد الخفى خلاف ذلك ، وهو : الاستيلاء والاستحواذ الكلى والجزئى ، وقطع منفعة الغير ... ولو قليلا ، فيضرب هذا بهذا — والناس أعداء بعضهم لبعض ، وقلوبهم متنافرة ! — فيغرى هذا بذاك وذاك بهذا . ومن الناس من سمى هذا الديوان « ديوان الفتنة » ! .

ومنها : الزيادة الفاحشة فى صرف المعاملة ، والنقص فى وزنها وعيارها . وذلك أن حضرة الباشا أبقى دار الضرب على ذمته، وجعل خاله ناظرا عليها ، وقرر لنفسه عليها فى كل شهر خمسمائة كيس ، بعد أن كان شهريتها ، أيام نظارة المحروقى ، خمسين كيسا فى كل شهر . ونقصوا وزن القرش نحو النصف عن القرش المعتاد ، وزادوا فى خلطه حتى لايكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة . ويصرف بأربعين نصفا . وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه .

ولما كان الناس يتساهلون فى صرف المحبوب ، والريال الفرانسة ، ويقبضونها فى خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين ، وفى المبيعات الكاسدة بالزيادة لضيق المعايش ، حتى وصل صرف الريال الى مائتين وخمسين نصفا ، والمحبوب الى مائتين وثمانين .

ثم زاد الحال فى التساهل فى الناس بالزيادة أيضا عن ذلك . فينادى الحاكم بمنع الزيادة ، ويمشى الحال أياما قليلة ويعود لما كان أو أزيد . فتحصل المناداة أيضا ، ويعقبونها بالتشديد والتنكيل بمن يفعل ذلك ، ويقبض عليه أعوان الحاكم ، ويحبس ويضرب ، ويغرمونه غرامة ... وربما مثلوا به ، وخرموا أنفه ، وصلبوه على حانوته ، وعلقوا الريال فى أنفه ردعا لغيره ... وفى أثناء ذلك : اذا بالمناداة بأن يكون صرف الريال بمائتين وسبعين ، والمحبوب بثلثمائة وعشرة !

فاستمع وتعجب من هذه الأحكام الغريبة التى لم يطرق سمع سامع مثلها ! .

هذا مع عدم الفضة العددية فى أيدى الناس . فيدور الشخص بالقرش ، وهو ينادى على صرفه بنقص أربعة أنصاف ، نصف يوم ، حتى يصرفه بقطع أفرنجية : منها ما هو باثنى عشر ، أو خمسة وعشرين ، أو خمسة فقط ... أو يشترى من يريد الصرف شيئا من الزيات أو الخضرى أو الجزار ، ويبقى عنده الكسور الباقية يوعده بغلاقها . فيعود اليه مرارا حتى يتحصل عنده غلاقها ... وليس هو فقط بل أمثاله كثير !

وسبب شحة الفضة العددية أنه يضرب منها كل يوم بالضربخانة ألوف مؤلفة يأخذها التجار بزيادة مائة نصف فى كل ألف يرسلونها الى بلاد الشام والروم ، ويعوضون بدلها فى الضربخانة الفرانسة والذهب ، لأنها تصرف فى تلك البلاد بأقل مما تصرف به فى مصر . وزاد الحال بعد هذا التاريخ حتى استقر على صرف الألف مائتين ، وتقرر ذلك فى حساب الميرى . فيدفع الصارف ثلاثين قرشا ! عنها ألف ومائتان ، ويأخذ ألفا فقط . والفرانسة والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب . والأمر لله وحده .

* * *

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا ذكر . وأما الأمراء ، فقد تقدم ذكرهم وما وقع لهم ، ومقتلهم اجمالا ، فأغنى عن التكرار ، فالله يرحمنا أجمعين .

المحـــرم

السبت ١٠ منه (٢٥ يناير ١٨١٢ م) :

وصـــل كثير من كبار العســـكر الذين تخلفوا بالمويلح . فحضر منهم حســـين بيك دالى باشـــا وغيره . فوصلوا الى قبة النصر جهة العادليـــة . ودخلت عساكرهم المدينة شيئا فشيئا ... وهم فى أسوأ حال من الجوع وتغير الألوان وكآبة المنظر والســـجن ، ودوابهم وجمـــالهم فى غاية العى . ويدخلون الى المدينة فى كل يوم ، ثم دخل أكابرهم الى بيوتهم ... وقد سخط عليهم الباشا ، ومنع أن لايأتيه منهم أحد ولا يراه .وكأنهم كانوا قادرين على النصرة والغلبة وفرطوا فى ذلك ! ويلومهم على الانهزام والرجوع .

وطفقوا يتهم بعضـــهم البعض فى الانهزام ... فتقول الخيالة : ســـبب هزيمتنا القرابة ، وتقول القرابة بالعكس

ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع « أين لنا بالنصر ... وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لايتدين بدين ، ولا ينتحل مذهبا ؟ وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع فى عرضينا أذان ، ولا تقام به فريضة ، ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شـــعائر الدين ! والقوم اذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع . واذا حان وقت الصـــلاة ، والحرب قائم ، أذن المؤذن وصـــلوا صلاة الخوف ! فتتقدم طائفة للحرب ، وتتأخر الأخرى للصلاة ... وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته . وينادون فى معسكرهم : هلموا الى حرب المشركين ، المحلقين الذقون ، المستبيحين الزنا واللواط ، الشـــاربين الخمور ، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين الأنفس ، المستحلين المحرمات ! ... وكشفوا عن كثير من قتلى العســـكر ، فوجدوهم غلفا غـــير محتونين .

« ولمـــا وصلوا بدرا ، واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف — وبها خيار الناس ، وبها أهل العلم والصلحاء — نهبوهم ، وأخذوا نســـاءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم ... فكانوا يفعلون فيهم ، ويبيعونهم من بعضـــهم لبعض ، ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج ... حتى اتفق أن بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته ، فقـــال له : حتى تبيت معى هـــذه الليـــلة ، وأعطيها لك من الغد » !

وفيه : خرج العسكر المجرد الى السويس — وكبيرهم بونابارته الخازندار — ليذهب لمحافظة الينبع صحبة طوسون باشا .

وفيه : وصل جماعة من الانجليز ، وصحبتهم هدية الى الباشا ، وفيها طيور ببغـــا هندية خضر الألوان وملونة ، وريالات فرانسة نقود معبأة فى براميل ، وحديد وآلات . ومجيئهم وحضورهم فى طلب أخذ الغـــلال . وفى كل يوم تساق المراكب المشحونة بالغلال الى بحرى . وكلما وردت مراكب

سيرت الى بحرى ، حتى شحت الغلال ، وغلا سعرها ، وارتفعت من السواحل والرقع ، ولا يكاد يباع الا ما دون الويبة . وكان سعر الأردب من أربعمائة نصف الى ألف ومائتين ... والفول كذلك ... وربما كان سعره أزيد من القمح لقلته ، فانه هاف زرعه فى هذه السنة ، ولم يتحصل من رميه الا نحو التقاوى .

وحصل للناس فى هذه الأيام شدة بسبب ذلك . ثم بعد قليل وردت غلال ، وانحلت الأسعار ، وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع .

الخميس ١٥ منه (٣٠ يناير ١٨١٢ م) :

حضر رجل نصرانى من جبل الدروز ، وتوصل الى الباشا ، وعرفه أنه يحسن الصناعة بدار الضرب ، ويوفر عليه كثيرا من المصاريف ، وانها بها نحو الخمسمائة صانع ، وأن يقوم بالعمل بأربعين شخصا لاغير ، وأنه يصنع آلات وعددا لضرب القروش وغيرها ، ولا تحتاج الى وقود نيران ولا كثير من العمل . فصدق الباشا قوله ، وأمر بأن يفرد له مكان ، ويضم اليه مايحتاجه من الرجال والحدادين والصناع ، ليعمل لصناعته العدد والآلات التى يحتاجها ، وشرع فى أشغاله ، واستمر على ذلك شهورا .

وفيه التفت الباشا الى خدمة الضربخانة وأفنديتها . وطمعت نفسه فى مصادرتهم وأخذ الأموال ، لما يرى عليهم من التجمل فى الملابس والمراكب ، لأن من طبعه داء الحسد والشره والطمع والتطلع لما فى أيدى الناس وأرزاقهم ! فكان ينظر اليهم ويرمقهم ، وهم يغدون ويروحون الى الضربخانة هم وأولادهم ، راكبون البغال والرهوانات المجملة ، وحولهم الخدم والأتباع ... فيسأل عنهم ، ويستخبر عن أحوالهم ودورهم ومصارفهم .

وقد اتفق أنه رأى شخصا خرج آخر الصناع ، وهو راكب رهوانا ، وحوله ثلاثة من الخدم . فسأل عنه ، فقيل له : ان هذا البواب الذى يغلق باب الضربخانة بعد خروج الناس منها ، ويفتحه لهم فى الصباح . فسأل عن مرتبه فى كل يوم ، فعرفوه أن له فى كل يوم قرشين لاغير . فقال : « ان هذا المرتب له لايكفى خدمه الذين هم حوله ... فكيف بمصرف داره ، وعليق دوابه ، وجميع لوازمه مما ينفقه ويحتاجه فى تجملاته وملابسه وملابس أهله وعياله ! ان هؤلاء الناس كلهم سراق ، وكل ماهم فيه من السرقة والاختلاس ، ولا بد من اخراج الأموال التى اختلسوها وجمعوها » .

وتناجى فى ذلك مع المعلم غالى وقرنائه ثم طلب أولا اسماعيل أفندى ليلا — وهو الأفندى الكبير — وقال له : « عرفنى خيانة فلان النصرانى ، وفلان اليهودى المورد » ! فقال : « لاأعلم على أحد منهم خيانة ... وهذا شىء يدخل بالميزان ويخرج بالميزان » . ثم صرفه وأحضر النصرانى وقال له : «عرفنى بخيانة اسماعيل أفندى وأولاده ، والمداد ، وابراهيم أفندى الحضراوى الختام وغيره » فلم يزد على ماقاله اسماعيل أفندى . ثم أحضر الحاج سالم الجواهرجى وهدده فلم يزد علىَ قول الجماعة شيئا فقال « الجميع شركاء لبعضهم البعض ، ومتفقون على خيانتى » . ثم أمر بحبس الحاج سالم وأحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف ، وألبسه فروة وجعله فى خدمة الحاج سالم .

ثم ركب الباشا الى بيت الأزبكية ، وطلب اسماعيل أفندى ليلا هو وأولاده فأحضروهم بجماعة من العسكر فى صورة هائلة ، وهددهم بالقتل ، وأمر باحضار المشاعلى فأحضروه ، وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون فى العفو عنهم من القتل ، وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الأكياس ،

التزموا بدفعها خوفا من القتل ! ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا ، وعلى ابراهيم المداد مائتى كيس ، وعلى أحمد أفندى الوزان مائتى كيس ، وعلى أولاد الشيخ السحيمى مائتى كيس لأن لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها . وأخذ الجماعة فى تحصيل مافرض عليهم . فشرعوا فى بيع أمتعتهم ، وجهات ايرادهم ، ورهنوا ، وتداينوا بالربا ، وحولت عليهم الحوالات ... لطف الله بنا وبهم !

صفر

٧ منه (٢١ فبراير ١٨١٢ م) :

حضر السيد محمد المحروقى الى مصر ، ووصل من طريق القصير ، ثم ركب بحر النيل . ولم يحضر الشيخ المهدى ، بل تخلف عنه بقنا وقوص لبعض أغراضه .

وفيه : ألبس الباشا صالح أغا السلحدار خلعة ، وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز . وكذلك ألبس باقى الكشاف .

١٠ منه (٢٤ فبراير ١٨١٢ م) :

ورد قابجى وعلى يده مرسوم ببشارة مولود ولد للسلطان محمود ، وتسمى بمراد ، وصحبته أيضا مقرر للباشا على ولاية مصر . فضربوا مدافع لوروده ، وطلع الى القلعة فى موكب وقرئت المراسيم . وعملوا شنكا ومدافع تضرب فى الأوقات الخمسة ، سبعة أيام ، من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة .

ربيع الأول

الاحد غرته (١٥ مارس ١٨١٢ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية .

الاحد ١٥ منه (٢٩ مارس ١٨١٢ م) :

حضر أحمد أغا لاظ ، الذى كان أميرا بقنا وقوص ، وباقى الكشاف بعد أن راكوا جميع البلاد القبلية والأراضى ، وفرضوا عليها الأموال : على كل فدان سبعة ريالات — وهو شىء كثير جدا — وأحصوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة ، بالصعيد ومصر ، فبلغت ستمائة ألف فدان . وأشاعوا بأنهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض ، وهو ثلاثة ريال ونصف .

فضجت أصحاب الرزق ، وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ . فركبوا الى الباشا ، وتكلموا معه فى شأن ذلك . وقالوا له : « هذا يترتب عليه خراب المساجد » . فقال : « وأين المساجد العامرة ؟ الذى لم يرض بذلك ، يرفع يده ، وأنا أعمر المساجد المتخربة ، وأرتب لها مايكفيها » . ولم يفد كلامهم فائدة ، فنزلوا الى بيوتهم .

اواخره (حوالى منتصف ابريل ١٨١٢ م) :

انتقل السيد عمر مكرم النقيب من دمياط الى طندتا ، وسكن بها .

وسبب ذلك : أنه لما طالت اقامته بدمياط ، وهو ينتظر الفرج وقد أبطأ عليه ، وهو يتنقل من المكان الذى هو فيه ، الى مكان آخر على شاطىء البحر ، وتشاغل بعمارة خان أنشأه هناك ، والحرس ملازمون له . فلم يزل حتى ورد عليه صديق أفندى قاضى العسكر فكلمه بأن يتشفع له عند الباشا فى انتقاله الى طندتا ... ففعل . وأجاب الباشا الى ذلك .

ربيع الآخر

٤ منه (١٧ ابريل ١٨١٢ م) :

وصل الحجاج المغاربة . ووصل أيضا مولاى

ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب . وسبب تأخرهم الى هذا الوقت : أنهم أتوا من طريق الشام ، وهلك الكثير من فقرائهم المشاة وأخبروا أنهم قضوا مناسكهم ، وحجوا ، وزاروا المدينة ، وأكرمهم الوهابية اكراما زائدا ، وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر .

١٠ منه (٢٣ ابريل ١٨١٢ م) :

حضر تامر كاشف ومحو بيك وعبد الله آغا — وهم الذين كانوا حضروا الى المويلح بعد الهزيمة — فأقاموا به مدة ، ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند طوسون باشا ، ثم حضروا فى هذه الأيام باستدعاء الباشا . وكان محو بيك فى مركب من مراكب الباشا الكبار التى أنشأها ، فانكسر على شعب ، وهلك من عسكره أشخاص ، ونجا هو بمن بقى معه . وأخبروا عنه أنه كان أول من تقدم فى البحر هو وحسين بيك ، فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار .

وفيه : خرجت أوراق الفرضة ، على نسق العام الأول ، عن أربع سنوات ، مال وفائظ ومضاف وبرانى ورزق وأوسية . واستقر طلبها فى دفعة واحدة ، ويؤخذ من أصل حسابها الغلال من الأجران : بحساب ثمانية ريال عن كل أردب . ويجمع غلال كل اقليم فى نواحى عينوها ، لتساق الى الاسكندرية ، وتباع على الافرنج .

- فشحت الغلال ، وغلا سعرها ... مع كون الفلاح لايقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة أرضه التى غرم عليها المغارم بطول السنة ، بل تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف فى الثمن والكيل ، بحيث يكال الأردب أردبا ونصفا ! ثم يلزمونه بأجرة حملها للمحل المعد لذلك . ويلزم أيضا بأجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الأعوان ، وخدمة الكشوفية ، وأجرة المعادى . وبعض البلاد يطلق له الاذن بدفع المطلوب بالثمن ، والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم ، حسب رسم المعلم غالى وأوامره واذنه ، فانه هو المرخص فى الأمر والنهى . فيبيع المأذون له غلته بأقصى قيمة بمرأى من المسكين الآخر الذى لم تسعده الأقدار . وحضر الكثير من الفلاحين ، وازدحموا بباب المعلم غالى ، وتركوا بيادرهم ، وتعطلوا عن الدراس !

١٥ منه (٢٨ ابريل ١٨١٢ م) :

ذهب الباشا الى قصر شبرا ، وسافر تلك الليلة الى ثغر الاسكندرية . ورجع ابنه ابراهيم بيك الى الجهة القبلية . وكذلك أحمد آغا لاظ لتحرير وقبض الأموال .

وفيه : ورد الخبر بأن العسكر بقبلى ذهبوا خلف الأمراء القبليين الفارين الى خلف أبريم ، وضيقوا عليهم الطرق ، وماتت خيولهم وجمالهم ، وتفرق عنهم خدمهم ، واضمحل حالهم ، وحضر عدة من مماليكهم وأجنادهم الى ناحية أسوان بامان من الأتراك . فقبضوا عليهم ، وقتلوهم عن آخرهم ! وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٨١٢ م) :

سافر عدة من عسكر المغاربة الى الينبع . ووصل جملة كبيرة من عسكر الأروام الى الاسكندرية . فصرف عليهم الباشا علائف ، وحضروا الى مصر ، وانتظموا فى سلك من بها ، ويعين منهم للسفر من يعين .

وفيه : وقعت حادثة بخط الجامع الأزهر . وهو أنه من مدة سابقة ، من قبل العام الماضى ، كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع أمتعة . وتكرر ذلك حتى ضج الناس ، وكثر لغطهم ، وضاع تخمينهم . فمن قائل : أنه

مسترعيات يدخلون من نواحى السور ، ويتفرقون فى الخطة ، ويفعلون مايفعلون . ومنهم من يقول : ان ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقـال لهم الحيطة فى بلادهم ... الى غير ذلك .

ثم فى تاريخـه سرق من بيت امرأة روميـة صندوق ومتاع ، فاتهمت أشخاصـا من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للأزهر . فقبض عليهم الأغا ، وقررهم . فأنكروا وقالوا : « لسنا سارقين . وانما سـمعنا فلانا — سموه ، وهو محمـد بن أبى القاسم الدرقاوى المغربى ، المنفصـل عن مشيخة رواق المغاربة — ومعه اخوته وآخرون ، ونعرفه بصـوته ، وهم يتذاكرون فى ذلك ونحن نسمعهم » .

فلما تحققوا ذلك ، وشاع بين الناس والأشياخ ، ذهب بعضهم الى أبى القاسم ، وخاطبوه وكلموه سرا ، وخوفوه من العاقبة . وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا فى داره ... فغالطهم . فقالوا له : « نحن قصـدنا بخطابك التستر على أهـل الخرقة المنتسبين الى الأزهر ، فى العمل بالشريعة وأخذ العـلم . أوما علمت ما قـد جـرى فى العام السابق من حادثة الزغل ؟» وغير ذلك . فلم يزالوا به حتى وعدهم أنه يتكلم مع أولاده ، ويفحصون على ذلك بنباهتهم ونجابتهم .

وفى اليوم الثالث — وقيل الثانى — أرسـل أبو القاسم المذكور فأحضر السيد أحمد ، الذى يقال له جندى المطبخ ، وابن أخيه — وهما اللذان يتعـاطيان الحِسـبة والأحـكام بخط الأزهر ، ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة — فلما حضرا عنده ، عاهدهما وحلفهما بأن يسـترا عليه وعلى أولاده ، ولا يفضحاهم ، ويبعدا عنهم هذه القضية . وأخبرهما بأن ولده لم يزل يتفحص بفطانته حتى عرف السارق ، ووجد بعض الأمتعة .

ثم فتح خزانة بمجلسه ، وأخرج منها أمتعة . فسألوه عن الصندوق ، فقال : « هو باق عنـد من هو عنده ، ولا يمكن احضاره فى النهار . فاذا كان آخر الليل ، انتظروا ولدى محمدا هذا عند جامع الفكهانى بالعقـادين الرومى ، وهو يأتيكم بالصندوق مع سارقه ، فاقبضوا عليه ، واتركوا أولادى ولا تذكروهم ولا تتعرضوا لهم » . فقالوا له « كذلك » .

وحضر الجـندى وابن أخيه فى الوقت الذى وعـدهم به ، وصـحبتهما أشـخاص من أتباع الشرطة ، ووقفوا فى انتظاره عند جامع الفكهانى . فحضر اليهم ، وصحبته شخص صرماتى ، فقالا لهم : « مكانكم حتى نأتيكم » . ثم طلعا الى ربع بعطفـة الماطيين ، ورجعـا فى الحـال بالصندوق حامله الصرماتى على رأسه . فقبضوا على ذلك الصرماتى ، وأخذوه بالصـندوق الى بيت الأغا ، فعاقبوه بالضرب .. وهـو يقول : « أنا لسـت وحدى ، وشركائى ابن أبى القاسم وأخواه ، وآخر يسمى شلاطة ، وابن عبد الرحيم ... الجميع خمسة أشخاص » !

فذهب الأغا وأخبر كتخدا بيك . فأمره بطلب أولاد أبى القاسم . فأرسـل اليه ورقة بطلبهم . فأجابه بأن أولاده حاضرون عنـده بالأزهر ، من طلبة العلم ، وليسوا بسارقين . فبالاختصار أخذهم الأغا ، وأحضر ذلك الصرماتى معهم لأجل المحاققة. فلم يزل يذكر لابْن أبى القاسم ماكانوا عليـه فى سرحاتهم القديمة والجديدة ، ويقول له : « أما كنا كذا وكذا ، وفعلنا ماهو كذا فى ليلة كذا ، واقتسمنا ما هـو كذا وكذا ؟ » ويقيم عليـه أدلة وقرائن وأمارات ، ويقول له « أنت رئيسنا وكبيرنا فى ذلك كله ، ولا نمشى الى ناحيـــة ولا سرحـة ، الا باشارتك » .

فعند ذلك لم يسع ابن أبى القاسم الانكار .

وأقر واعترف هو واخوته ، وحبسوا سوية . وأما شلاطه ورفيقه فانهما تغيبا وهربا واختفيا .

وشاعت القضية فى المدينة ، وكثر القال والقيل فى أهل الأزهر ونواحيه ، وتذكروا قضية الدراهم الزغل التى ظهرت قبـل تاريخه ، وتذكروا أقوالا أخر . واجتمع كثير من الذين سرق لهم : فمنهم رجل يبيع السمن أخذ من مخزنه عـدة مواعين سمن ،وصينية الفطاطرى التى يعمل عليها الكنافة ، وأمتعـة وفرش وجـدوا فى ثلاثة أماكن ، وخاتم ياقوت ذكروا أنه بيع بجملة دنانير ، وعقد لؤلؤ وغير ذلك .

واستمروا أياما ... والناس يذهبون الى الأغا ، ويذكرون ماسرق لهم . ويسألهم فيقرون بأشـياء دون أشياء ، ويذكرون ضياع أشياء تصرفوا فيها وباعوها وأكلوا بثمنها .

ثم اتفق الحال على المرافعة فى المحكمة الكبيرة ، فذهبوا بالجميع .واجتمع العالم الكثير من الناس ، وأصحاب السرقات وغيرهم ،نساء ورجالا ، وادعوا على هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم . فأحضروا بعض ما ادعوا به عليهم ، وقالوا : أخـذنا ، ولم يقولوا سرقنا . وبرأ محمد بن أبى القاسم أخويه ، وقال : « انهما لم يكونا معنا فى شيء من هذا » .

وحصـل الاختلاف فى ثبـوت القطع بلفظ أخذنا ... وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ . ثم ان القاضى كتب اعلاما للكتخدا بيك بصورة الواقع ، وفوض الأمر اليـه . فأمر بهم الى بولاق ، وأنزلوهم عنـد القبطـان — وصحبتهم أبوهم أبو القاسم — فأقاموا أياما . ثم ان كتخدا بيك أمر بقطع أيدى الثلاثة ، وهم : محمـد بن أبى القـاسـم الدرقاوى ، ورفيقـه الصرماتى ، والصباغ الذى ثبتت عليه السرقة فى الحادثة الأخرى . فقطعوا أيدى الثـلاثة فى بيت القبطان ، ثم أنزلوهم فى مركب ، وصحبتهم أبوهم أبو القاسـم وولداه الآخران اللذان لم تقطـع أيديهما ، وسفروهم الى الاسكندرية . وذلك فى منتصف شهر جمادى الأولى من السنة .

جمـادى الآخرة

غرته (١٢ يونيه ١٨١٢ م) :

حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الأيدى . وذلك أنهم لمـا وصلوا الى الاسكندرية — وكان الباشا هناك — تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين : « انه جرى عليهم الحد بالقطع ، فـلا حاجة الى نفيهم وتغريبهم » . فأمر بنفى أبى القاسم وولديه الصغار الى أبى قـير . ورجـع ولده الآخـر مع رفيقه الصرماتى والصـباغ الى مصر فحضروا اليها ، وذهبوا الى دورهم .

وأما ابن أبى القاسم فذهب الى داره ، وسلم على والدته ، ونزل الى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم ، وهو يتألم مما حصل فى نفسه ، ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجمودة صدغه وغلاظة وجهه ... بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من النكال وكسـوف البـال . ومر فى السوق والأطفـال حوله وخلفه وأمامه ، يتفرجون عليه ، ويقولون : « انظروا الحرامى » ... وهو لايبالى بهم ، ولا يلتفت اليهم . حتى قيل انه ذهب الى مسـجد خرب بالباطلية ، ودعا اليـه غلاما يهواه بناحية الدرب الأحمر ، فجلس معـه حصـة من النهار ، ثم فارقه وذهب الى داره ! واشـتد به الألم ، لأن الذى باشر قطع يده لم يحسن القطع ، فمات فى اليوم الثالث .

وفى هذا الشهر وما قبله : وردت عساكر كثيره من الأتراك ، وعينوا للسفر ، وخرجوا الى مخيم العرضى ، خارج بابى النصر والفتوح ، فـكانوا يخرجون مساء ، ويدخلون فى الصباح ، ويقع منهم

مايقع من أخذ الدواب ، وخطف بعض النساء والأولاد كعادتهم !

٢٢ منه (٣ يوليه ١٨١٢ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية ليلا ، وصحبته حسن باشا ، الى القصر بشبرا وطلع فى صبحها الى القلعة . وضربوا لقدومه مدافع من الأبراج . فكان مدة غيبته فى هذه المدة شهرين وسبعة أيام . واجتهد فيها فى عمارة سور المدينة وأبراجها ، وحصنها تحصينا عظيما ، وجعل بها جبخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب . ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذى رسمه لهم . وأخذ جميع ماورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ، ثم باعه للمتسببين بما أحب من الثمن .

وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الأفرنجى ، وحبه أخضر ، وجرمه أكبر من حب البن اليمنى الذى يأتى الى مصر فى مراكب الحجاز ... أخذه فى جملة ما أخذ فى معاوضة الغلال ،ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسة القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ، ويخلطونه مع البن اليمنى

وفى ابتداء وروده كان يباع رخيصا ، لأنه دون البن اليمنى فى الطعم واللذة فى شربه وتعاطيه ، وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف ألبته .

وفيه : وصل مرسوم صحبة قابجى من الديار الرومية . مضمونه : وكالة دار السعادة باسم كتخدا بيك ، وعزل عثمان أغا الوكيل تابع سعيد أغا .

فعمل الباشا ديوانا يوم الأحد ،وقرىء المرسوم، وخلع على كتخدا بيك خلعة الوكالة وخلعة أخرى باستمراره فى الكتخدائية على عادته ، وركب فى موكب الى داره .

قلما استقر فى ذلك ، أرسل فى ثانى يوم فأحضر الكتبة من بيت عثمان أغا ، وأمرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه . فشرعوا فى ذلك . وأصبح عثمان أغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ، ويطالب بما دخل فى طرفه ، وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين وأوقافهما وغير ذلك .

غايته (١٠ يوليه ١٨١٢ م) :

وصل صالح قوج ومحو بيك وسليمان أغا وخليل أغا ، من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية ، وذهبوا الى دورهم .

رجب

٣ منه (١٢ يولية ١٨١٢ م) :

طلع الجماعة الواصلون الى القلعة ، وسلموا على الباشا ... وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم ، لأنه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم ، فحضروا بجملة عساكرهم . وقد كان ثبت عنده أنهم هم الذين كانوا سببا للهزيمة : لمخالفتهم على ابنه ، واضطراب رأيهم ، وتقصيرهم فى نفقات العساكر ، ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ، ونزولهم بخاصتهم الى المراكب ، وما حصل بينهم وبين ابنه طوسون باشا من المكالمات . فلم يزالوا مقيمين فى بيوتهم ببولاق ومصر ... والأمر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما ، وأمرهم فى ارتجاج واضطراب ، وعساكرهم مجتمعة حولهم . ثم ان الباشا أمر بقطع خرجهم وعلائفهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة .

٢٤ منه (٣ اغسطس ١٨١٢ م) :

أرسل اليهم علائفهم المنكسرة — وقدرها ألف

وثمانمائة كيس ، جميعها ريالات فرانسة — وأمر بحملها على الجمال ، ووجه اليهم بالسفر . فشرعوا فى بيع بلادهم وتعلقاتهم ، وضاق ذرعهم ، وتكدر طبعهم الى الغـــاية ، وعسر عليهم مفـــارقة أرض مصر ، وما صـــاروا فيـــه من التنعم والرفاهيـــة والســــيادة والامارة ، والتصرف فى الأحـــكام والمساكن العظيمة ، والزوجات والسرارى والخدم والعبيد والجوارى ... فان الأقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الأمراء ، ونسائهم اللاتى قتلت أزواجهن على أيديهم وظنوا أن البـــلاد صفت لهم ... حتى أن النساء المترفهات ، ذوات البيوت والايرادات والالتزامات ، صرن يعرضن أنفسهن عليهم ليحتمين فيهم ، بعد أن كن يعفنهم ، ويأنفن من ذكرهم ... فضلا عن قربهم

وفيه : ورد أغا قابجى من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالبشارة بمولود ولد للسطان . فعملوا ديوانا يوم الأحـــد رابع عشرينه ، وطلـــع الأغا المـــذكور فى موكب الى القلعـــة ، وقرىء ذلك المرســـوم ، وصحبته الأمراء ، وضربوا شـــنكا ومدافع ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فى وقت كل آذان كأيام الأعياد .

٢٥ منه (٤ اغسطس ١٨١٢ م) :

مات أحمد بيك — وهو من عظمـــاء الأرنؤود وأركانهم — وكان عنـــدما بلغـــه قطـــع خرج المذكورين ، أرسل الى الباشا يقول له : « اقطع خرجى ، وأعطنى علوفة عســـاكرى وأسافر مـــع اخوانى . فمنعه الباشا ، وأظهر الرأفة به . فتغـــير طبعه ، وزاد قهره ، وتمرض جسمه . فأرسل اليه الباشا حكيمه ، فسقاه شربة ، وافتصده ... فمات من ليلته فخرجوا بجنـــازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى ، وخرج أمامه صالح أغا وسليمان أغا وطـــاهر آغا ، وهم راكبون أمامه ، وطوائف الأرنؤود .. بعدد كبير مشاة حوله .

شعبـــان

٤ منه (١٣ اغسطس ١٨١٢ م — ٧ مسرى ١٥٢٨ ق):

اوفى النيل المبارك أذرعه ، ونزل الباشا فى صبح يوم الخميس فى جمع غفير ، وعدة وافرة من العساكر . وكسر السد بحضرته وحضرة القاضى ، وجرى الماء فى الخليج ، ومنع المراكب من دخولهم الخليج .

١٥ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٢ م) :

سافر سليمان أغا ومحو بيك ، بعد أن قضوا أشغالهم ، وباعوا تعلقاتهم ، وقبضوا علائفهم .

١٩ منه (٢٨ اغسطس ١٨١٢ م) :

سافر صالح أغا قوج ، وصحبته نحـــو المائتين ممن اختارهم من عساكره الأرنؤودية ، وتفرق عنه الباقون ، وانضموا الى حسن باشا وأخيه عابدين بيك وغيرهما .

٢٠ منه (٢٩ اغسطس ١٨١٢ م) :

برزت خيام الباشا الى خارج باب النصر ، وعزم على الخروج والسفر بنفسه الى الحجاز . وقـــد اطمأن خاطره عندما سافر الجماعة المذكورون ... لأنه لما قطع خرجهم ورواتبهم ، وأمرهم بالسفر ، جمعوا عساكرهم اليهم وخيولهم ، وأخذوا الدور والبيوت ببولاق وسكنوها ، وصارت لهم صورة هائلة . وكثرت القالة ، وتخوف الباشا منهم وتحذر ، ونبه على خاصـــته وسفاشيته وغـــيرهم بالملازمة والمبيت بالقلعة ، وغير ذلك .

٢١ منه (٣٠ اغسطس ١٨١٢ م) :

اجتمعت العســـاكر ، وانجر الموكب من باكر النهار : فكان أولهم طوائف الدلاة ، ثم العســـاكر وأكابرهم ، وحسن باشا وأخوه عابدين بيك ، وهو

ماشى على أقدامه فى طوائفه أمام الباشا ، ثم الباشا ، وكتخدا بيك وأغواتهم الصقلية وطوائفهم ، وخلفهم الطبلخانات . وعند ركوبه من القلعة ، ضربوا عدة مدافع . فكان مدة مروهم نحو خمس ساعات . وجروا أمام الموكب ثمانية عشر مدفعا وثلاث قنابر .

رمضان

٢٤ منه (اول اكتوبر ١٨١٢ م) :

وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب ... بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب ، وتدبير شريف مكة ، ولم يجدوا بها أحدا من الوهابيين . فعندما وصلت هذه البشارة ، ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من القلعة ، وظهر فيهم الفرح والسرور .

وفى تلك الليلة : حضر أحمد أغا لاظ ، حاكم قنا ونواحيها . وكان من خبره : أنه لما وصلت اليه الجماعة الذين سافروا فى الشهر الماضى ، وهم : صالح أغا ، وسليمان أغا ، ومحو بيك ، ومن معهم ، واجتمعوا على المذكور بثوا شكواهم ، وأسروا نجواهم ، وأضمروا فى نفوسهم أنهم اذا وصلوا الى مصر ووجدوا الباشا منحرفا منهم ، أو أمرهم بالخروج والعود الى الحجاز ... امتنعوا عليه وخالفوه . وان قطع خرجهم ، وأعطاهم علائفهم ، بارزوه ونابذوه وحاربوه .

واتفق أحمد أغا المذكور معهم على ذلك ، وأنه متى حصل هذا المذكور ، أرسلوا اليه فيأتيهم على الفور بعسكره وجنده ، وينضم اليه الكثير من المقيمين بمصر من طوائف الأرنؤود : كعابدين بيك ، وحسن باشا وغيرهم ، بعساكرهم لاتحاد الجنسية .

فلما حصل وصول المذكورين ، وقطع الباشا راتبهم وخرجهم ، وأعطاهم علائفهم المنكسرة ، وأمرهم بالسفر ، أرسلوا لأحمد أغا لاظ المذكور بالحضور ... بحكم اتفاقهم معه . فتقاعس وأحب أن يبدى لنفسه عذرا فى شقاقه مع الباشا ، فأرسل اليه مكتوبا يقول له فيه : « ان كنت قطعت خرج اخوانى ، وعزمت على سفرهم من مصر واخراجهم منها فاقطع أيضا خرجى ودعنى أسافر معهم » . فأخفى الباشا تلك المكاتبة ، وأخر عود الرسول — ويقال له الخجا — لعلمه بما أضمروه فيما بينهم ، حتى أعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ، ودفع لصالح أغا كل ما طلبه وادعاه ... حتى أنه كان أنشأ مسجدا بساحل بولاق بجوار داره ، وبنى له منارة ظريفة ، واشترى له عقارا وأمكنة وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره . فدفع له الباشا جميع ما صرفه عليه وثمن العقار وغيره ، ولم يترك لهم مطالبة يحتجون بها فى التأخير . وأعطى الكثير من رواتبهم لحسن باشا وعابدين بيك أخيه ، فمالوا عنهم ، وفارقهم الكثير من عسكرهم ، وانضموا الى أجناسهم المقيمين عند حسن باشا وأخيه ، فرتبوا لهم العلائف معهم . وأكثرهم مستوطنون ومتزوجون ، بل ومتناسلون ، ويصعب عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من التنعم ، ولا يهون بمطلق الحيوان استبدال النعيم بالجحيم ! ويعلمون عاقبة ما هم صائرون اليه ... لأنه — فيما بلغنا — أن من سافر منهم الى بلاده ، قبض عليه حاكمها ، وأخذ منه ما معه من المال الذى جمعه من مصر وما معه من المتاع ، وأودعه السجن ... ويفرض عليه قدرا ، فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه ، على ظن أن يكون أودع شيئا عند غيره ، فيشترى نفسه به ، أو يشتريه أقاربه ، أو يرسل الى مصر مراسلة لعشيرته وأقاربه ... فتأخذهم عليه الغيرة ، فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه ، والا فيموت بالسجن ، أو يطلق مجردا ويرجع الى حالته التى كان عليها فى السابق ! من الخدم المتهنة ، والاحتطاب من الجبل ، والتكسب بالصنائع الدنيئة

ببيع الأسقاط والكروش والمؤاجرة فى حمل الأمتعة ونحو ذلك .

فلذلك يختارون الاقامة ، ويتركون مخاديمهم ... خصوصا والخسة من طباعهم !

هذا والباشا يستحث صالح أغا ورفقاءه فى الرحيل حيث لم يبق له عذر فى التأخير .

فعندما نزلوا فى المراكب ، وانحدروا فى النيل ... أحضر الباشا الخجا المذكور — وهو عبارة عن الأفندى المخصوص بكتابة سره وايراده ومصرفه — وأعطاه جواب الرسالة ، مضمونها : تطمينه وتأمينه ، ويذكر له أنه صعب عليه ، وتأثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة . وعدد له أسباب انحرافه عن صالح أغا ورفقائه ، وما استوجبوا به ما حصل لهم من الاخراج والابعاد . وأما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك ، وأنه باق على ما يعهده من المودة والمحبة . فان كان ولابد من قصده وسفره ، فهو لايمنعه من ذلك ، فيأتى بجميع أتباعه ويتوجه بالسلامة أينما شاء .. والا بأن صرف عن نفسه هذا الهاجس ، فليحضر فى القنجة فى قلة ، ويترك وطافه وأتباعه ليواجهه ويتحدث معه فى مشورته وانتظام أموره التى لا يتحملها هذا الكتاب ، ويعود الى محل ولايته وحكمه مكرما .

فراج عليه ذلك التمويه ، وركن الى زخرف القول ، وظن أن الباشا لا يصله بمكروه ، ولا يواجهه بقبيح من القول ، فضلا عن الفعل ، لأنه كان عظيما فيهم ، ومن الرؤساء المعدودين ، صاحب همة وشهامة واقدام ، جسورا فى الحروب والخطوب ... وهو الذى مهد البلاد القبلية ، وأخلاها من الأجناد المصرية . فلما خلت الديار منهم ، واستقر هو بقنا وقوص ، وهو مطلق التصرف ، وصالح أغا قوج بالأسيوطية .

ثم ان الباشا وجه صالح أغا الى الحجاز ، وقلد ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد . فكان يناقض عليه أحمد أغا المذكور فى أفعاله ، ويمانعه التعدى على أطيان الناس وأرزاق الأوقاف والمساجد ، ويحل عقد ابراماته . فيرسل الى أبيه بالأخبار ، فيحقد ذلك فى نفسه ، ويظهر خلافه ويتغافل .

وأحمد أغا المذكور على جليته وخلوص نيته ، فلما وصلته الرسالة ، اعتقد صدقه ، وبادر بالحضور فى قلة من أتباعه حسب اشارته . وطلع الى القلعة ليلة السبت ، وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فعبر عند الباشا وسلم عليه ، فحادثه وعاتبه ، ونقم عليه أشياء ، وهو يجاوبه ويرادده ، حتى ظهر عليه الغيظ .

فقام كتخدا بيك وابراهيم أغا فأخذاه وخرجا من عند الباشا ، ودخلا الى مجلس ابراهيم أغا ، وجلسوا يتحدثون ، وصار الكتخدا وابراهيم أغا يلطفان معه القول ، وأشارا عليه بأن يستمر معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا ، فيدخلون اليه ، ويتسحرون معه . فأجابهم الى رأيهم ، وأمر من كان بصحبته من العسكر — وهم نحو الخمسين — بالنزول الى محلهم . فامتنع كبيرهم ، وقال : « لا نذهب ونتركك وحيدا » . فقال الكتخدا : « وما الذى يصيبه ، وهو همشرى ومن بلدى ، وان أصيب بشىء كنت أنا قبله ؟! » فعند ذلك نزلوا وفارقوه ، وبقى عنده من لا يستغنى عنه فى الخدمة .

فعند ذلك أتاه من يستدعيه الى الباشا .. فلما كان خارج المجلس ، قبضوا عليه ، وأخذوا سيفه وسلاحه ، ونزلوا به الى تحت سلم الركوب . وأشعل الضوى المشعل ، وأداروا كتافه ورموا رقبته ، ورفعوه فى الحال ، وغسلوه وكفنوه ودفنوه ... وذلك فى سادس ساعة من الليل .

وأصبح الخبر شائعا فى المدينة . وأحضر الباشا

الخجا ، وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعه ، وعين فى الحال باشجاويش ليذهب الى قنـا ، ويختم علـى داره ، ويضبط ما له من الغـلال والأموال . وطلبت الودائع ممن هى عنـده التى استدلوا عليها بالأوراق . فظهر له ودائع فى عدة أماكن ، وصناديق مال ، وغير ذلك . ولم يتعرض لمنزله ولا لحريمه .

شـوال

٤ منه (١١ اكتوبر ١٨١٢ م) :

قدم قابجى من اسلامبول ، وعلى يده مقـرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ، ومعه فروة لخصوص الباشا . فلما وصـل الى بولاق ، فنزل كتخـدا بيك لملاقاته . فركب فى موكب جليـل ، وخلفه النوبة التركية ، وشـق من وسـط البلد وصعد الى القلعة . وحضر الأشياخ وأكابر دولتهم ، وقرىء المرسـوم بحضرة الجميع . فلما انقضى الديوان ، ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفيه : ألبس شيخ السادات ابن أخيه سـيدى أحمد خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه فى نقـابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، ومشى أمامه أيضا الجاويشية المختصون بنقيب الأشراف . وأمره بأن يذهب الى الباشا ويقابله ليخلع عليه ، وأرسل صحبته محمد أفندى ، فقال : « مبارك » . وأشار اليه محمد أفندى بأن يخلع عليه فروة . فقـال الباشا : « ان عمه جعله نائبا عنه ووكيلا . فليس له عنـدى تلبيس لأنه لم يتقلدها بالأصـالة من عندى » . فقام ونزل من غير شىء الى داره بجوار المشهد الحسينى .

٢٣ منه (٣٠ اكتوبر ١٨١٢ م) :

سافر مصطفى بيك دالى باشـا بجميـع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز .

وحصل للناس فى هـذا الشهر عدة كربات ، منها — وهو أعظمها — عدم وجود الماء العذب ، وذلك فى وقت النيل وجريان الخليج من وسـط المدينة ، حتى كاد الناس يموتون عطشا ... وذلك بسبب أخذهم الحمير للسخرة ، والرجال لخـدمة العسكر المسافرين ، وغلو ثمن القرب التى تشترى لنقل الماء .

فان الباشا أخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة ، عند الخليلية ، وما كان بغيرها أيضا ... حتى أرسل الى القدس والخليل ، فأحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية فى غلو الأثمان ، حتى بيعت القربة الواحدة ، التى كان ثمنها مائة وخمسين نصفا ، بألف وخمسمائة نصف . ويأخذون أيضا الجمال التى تنقل الماء بالروايا الى الأسبلة والصهاريج وغيرهما من الخليج ، فامتنع الجميع عن السراح والخروج .

واحتاج العسكر أيضا الى الماء ، فوقفوا بالطرق يرصدون مرور السقائين أو غيرهم من الفقراء الذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار عـلى رؤوسهم . فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر ، وهم واقفون بالأسلحة ، ينتظـرون من ستقى من السقائين أو غيرهم . فكان الخدم والنسـاء والفقراء والبنـات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالأوعية الكبيرة والصـغيرة على رؤوسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب . وبيعت القربة الواحدة بخمسـة عشر نصف فضة وأكثر ، وشح وجود اللحم ، وغلا فى الثمن زيادة على غلو سـعره المستمر ، حتى بيع بثمانية عشر نصف فضـة كل رطل ... هذا ان وجد ، والجاموس الجفيط بأربعة عشر .

وطلبوا للسفر طائفة من القبانية ومن الخبازين ومن أرباب الصنائع والحرف ، وشددوا عليهم

الطلب فى أواخر الشهر ، فتغيبوا وهربوا ، فسمرت بيوتهم وحوانيتهم ... وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والأفران ، حتى عدم الخبز من الأسواق ، ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم . فمن الناس ، القادرين على الوقود ، من يخبز عجينه فى داره أو عند جاره الذى يكون عنده فرن ، أو عند بعض الفرانين التى تكون فرنه بداخل عطفة مستورة خفية ، أو ليلا من الخوف من العسس والمرصدين لهم . وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر فى الطرق لأخذ ما يأتى به الفلاحون من الأرياف ، فيخطفونه قبل وصوله الى المدينة . وحصل بسبب هذه الأحوال المذكورة شبكات ومشاجرات ، وضرب وقتل وتجريح أبدان ... ولولا خوف العسكر من الباشا ، وشدته عليهم ، حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه ، لحصل أكثر من ذلك .

ذو القعدة

الخميس ٧ منه (١٢ نوفمبر ١٨١٢ م) :

سافر الباشا هجانا الى السويس وصحبته حسن باشا .

الجمعة ١٥ منه (٢٠ نوفمبر ١٨١٢) :

وصل مبشرون من ناحية الحجاز ، وهم أتراك على الهجن ، والخبر عنهم أن عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها .

الاحد ١٧ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١٢ م) :

رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر .

وفيه : وردت أخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بأن « بونابارته » وعساكر الفرنساوية ، زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ، ووقع بينهم حروب عظيمة ، فكانت الهزيمة على المسكوب ، وانكسروا كسرة قوية وكتبوا بذلك أوراقا ، وألصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم . ولما حضر الباشا طلع اليه القنصل ، وأخبره بتلك الأخبار ، وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم .

الثلاثاء ١٩ منه (٢٤ نوفمبر ١٨١٢ م) :

عدى الباشا الى بر الجيزة ، وأمر بخروج العساكر الى البر الغربى . وعدى أيضا كتخدا بيك ... وذلك بسبب أن عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم ، وأكلوا الزروعات فخرج اليهم حسن أغا الشماشرجى ، فوزن نفسه معهم ، فرأى أنه لا يقاومهم لكثرتهم ، فحضر الى مصر وأخبر الباشا .

وتحرك الباشا للخروج اليهم ، ثم بعقيبه أرسل لهم وخادعهم . فحضر اليه عظماؤهم ، فأخذ منهم رهائن ، وخلع عليهم وكساهم ، وأعطاهم راحتهم ، وعين لهم جهات ، وشرط عليهم ألا يتعدوها . ثم رجع وعدى الى بر مصر فى ليلة الخميس حادى عشرينه .

الثلاثاء ٢٦ منه (اول ديسمبر ١٨١٢ م) :

نهب العرب القافلة القادمة من السويس بحمل بضائع التجار وغيرهم ، وقتلوا العسكر الذين بصحبتهم وخفارتهم ، وأخذوا الجمال بأحمالها ، وذهبوا بها لناحية الوادى .

والجمال المذكورة على ملك الباشا وأتباعه ... لأنهم سيروا لهم جمالا وأعدوها لحمل البضائع ، ويأخذون أجرتها لأنفسهم بدلا عن جمال العرب ! وذلك من جملة الأمور التى احتكروها طمعا وحسدا فى كل شىء . ولم ينج من الجمال الا البعض الذين سبقوهم ، وهم لكتخدا بيك . فحنق لذلك الباشا ، وأرسل فى الحال مراسلات الى سليمان باشا محافظ عكا يعلمه بذلك ، ويلزمه باحضارها ، ويتوعده ان ضاع منها عقال بعير ... والذى ذهب بالمراسلة ابراهيم أفندى المهردار .

ذو الحجة

١٠ منه (١٥ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وردت هجانة من ناحية الحجاز ، وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة المنورة ، ونزول المتولى بها على حكمهم ، وأن القاصد الذى أتت بشائره وصل الى السويس وصحبته مفاتيح المدينة . فحصل للباشا بذلك سرور عظيم . وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد وانتشرت المبشرون على بيوت الأعيان لأجل أخذ البقاشيش !

١١ منه (١٦ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وصل القادمون الى العادلية ، فعملوا لقدومهم شنكا عظيما ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبة العزب حيث العرضى المعد للسفر ، وأيضا ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات ، حتى من أسطحة البيوت الساكنين بها ، واستمر ذلك أكثر من ساعتين فلكيتين .. فكان شيئا مهولا مزعجا . وأشيع فى الناس دخول الواصلين فى موكب ، واختلفت رواياتهم .

وخرج الباشا الى ناحية العادلية ، فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة . فلما كان قريب الغروب ، دخل طائفة من العسكر ، وصحبتهم بعض أشخاص راكبين على الهجن ، وفى يد أحدهم كيس أخضر ، وبيد الآخر كيس أحمر ، بداخلهما المكاتبات والمفاتيح . وعاد الباشا من ليلته وصعد الى القلعة .

هذا والمدافع والشنك يعمل فى كل وقت من الأوقات الخمسة ، وفى الليل .

١٢ منه (١٧ ديسمبر ١٨١٢ م) :

شق الأغا والوالى وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور ، ووقود قناديل وتعاليق ، ويسهرون ثلاث ليال بأيامها : أولها يوم الخميس ، وآخرها يوم السبت الذى هو خامس عشره وأخرجوا وطاقات وخياما الى خارج بابى النصر والفتوح .

وخرج الباشا فى ثانى يوم الى ناحية العادلية — وهو ليلة يوم الزينة — وعملوا حراقات ونفوطا وسواريخ ومدافع من كل ناحية مدة أيام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحى ، وأنعم الباشا بأمريات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه ، وعين لطيف بيك ، أغات المفتاح ، للتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر فى صبح يوم الزينة على طريق البر ، وتعين خلافه أيضا للسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والأساكل الاسلامية : مثل بلاد الأنضول والرومنلى وورودس وسلانيك وآزمير وكرنت وغيرها .

اواخره (اوائل يناير ١٨١٢ م) :

وردت الأخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير باسلامبول . فأشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتيلة بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم . فلا يدعون أحدا من المسافرين والواردين فى المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى أربعين يوما من وروده . واذا مات بالمركب أحد فى أثناء المدة استأنفوا الأربعين

وفيه : أوشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهرجى — المباشر لايراد الذهب والفضة الى الضربخانة ، وانعزل عنها كما ذكر فى وسط السنة ، وذلك عند ورود الرجل النصرانى الدرزى الشامى — بأنه كان فى أيام مباشرته للايراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميرى خاصة به .

فأمر الباشا باثبات ذلك وتحقيقه . فحصل كلام كثير .. والحاج سالم يجحد ذلك وينكره . فقال له : « أيوب تابعك الذى كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره فى كل يوم بحجة الأنصاف العددية التى يفرقها على الصيارف بالمدينة .. وأكثر ما فى الخروج خاص بك » . فأحضروا أيوب المذكور ، وطلبوه للشهادة . فقال : « لا أشهد بما لا أعلم . ولم يحصل هذا مطلقا ، ولا يجوز لى ، ولا يخلصنى من الله أن أتهم الرجل بالباطل » . فقال اليهودى : « هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ، ولا يمكنه أنه يخبر ويقر الا اذا خوف وعوقب . واذا ثبت قولى ، فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس » .

فلما سمع الباشا قول اليهودى « ستة آلاف كيس » ، أمر بحبس الحاج سالم ، ثم أحضروا اخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم ... والباشا يطلب ستة آلاف كيس كما قال اليهودى ! واستمروا على ذلك أياما . وذلك الحبس عند قرا على بجوار بيت الحريم بالأزبكية .

وسبب خصومة شمعون اليهودى مع الحاج سالم : أنهم احتجوا على اليهودى بأشياء ، وقرروا عليه غرامة أيضا . فطلب من الحاج سالم المساعدة ، وقال له : « ساعدنى كما ساعدتك فى غرامتك » . فقال الحاج سالم : « انك لم تساعدنى بمال من عندك ، بل هو من حسابى معك » . فقال اليهودى : « ألست كنت أدارى عليك فيما تفعله ؟ » .

واتسع الكلام بينهما ... وحضرة الباشا وأعوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الأموال بأى وجه كان ، ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا . والناس أعداء لبعضهم البعض .. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى !

ثم ان السيد محمد المحروقى خاطب الباشا فى شأن الحاج سالم ، وحلف له أن الغرامة الأولى تأخر عليه منها ثلاثمائة كيس ، استدانها من الأوربيين ، ودفعها ، وهى باقية عليه الى الآن ومطلوبة منه ... وذلك بعد أن باع أملاكه وحصة التزامه . فاذا كان ولابد من تغريمه ثانيا فاننا نمهل أصحاب الديون ، ونقوم بدفع الثلثمائة كيس المطلوبة للمداينين وندفعها للخزينة . فأجابه لذلك ، وأمر بالافراج عن الحاج سالم واخوته ومن معه . فدفعوا لقرا على المتولى سجنهم وعقوبتهم واتباعه سبعة أكياس .

وفيه : اشتد الأمر على اسماعيل أفندى أمين عيار الضربخانة وأولاده ، بالطلب من أرباب الحوالات ، مثل دالى باشا وخلافه . وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم، ولازموا دورهم ، ولم يجدوا شافعا ولا دافعا ولا رافعا ، فباعوا أملاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم وأوانيهم وملابسهم .

وكان الباشا أخذ من اسماعيل أفندى المذكور داره التى بالقلعة عندما انتقل الى القلعة ، فأمره باخلائها ففعل ، ونزل الى دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد أفندى ، فاتخذ الباشا دار اسماعيل أفندى دارا لحريمه ، وأسكنهم بها لأنها دار عظيمة جليلة .. عمرها المذكور وصرف عليها فى الأيام الخالية أموالا جمة . فلما استولى عليها الباشا ، أسكن بها حريمه وجواريه وسراريه . ولما قرر عليه غرامته ، أسقط عنه منها عشرين كيسا لا غير وجعلها فى ثمن داره المذكورة ... وذلك لا يقوم بثمن رخامها فقط !

فلما اشتد الحال باسماعيل أفندى أشار عليه بعض المتشفعين بأن يكتب له عرضحالا ، ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالى ، كبير الأقباط المباشرين ، ففعل ، ودخل معه المعلم غالى الى الباشا . فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور ، أشار

اليه بالرجوع ، ولم يدعه يتكلم فرجع بقهره ، ونزل الى داره فمرض وتوفى بعد أيام الى رحمة الله تعالى .

ومات قبله ولده حسن أفندى ، وبقى جميع الطلب على ولده محمد أفندى . فحصل له مشقة زائدة ، وباع أثاث بيته وأوانيه وكتبه التى اقتناها وحصلها بالشراء والاستكتاب ، فباعها بأبخس الأثمان على الصحافين وغيرهم . وطال عليه الحال ، وانقضت مواعيد المداينين له ، فطالبوه وكربوه ، فتداين من غيرهم بالربا والزيادة ... وهكذا . والله يحسن لنا وله العاقبة .

وفيه : قدم الى الاسكندرية قليون من بلاد الانكليز فيه بضائع وأشياء للباشا ، ومنها خمسون ألف كيس نقودا ثمن غلال وخيول يأخذونها من مصر الى بلادهم . فطفقوا يطلبون لهم الخيول من أربابها ، فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالأشبار .. فان وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم فى القياس والقيافة ، أخذوه ... ولو بأغلى ثمن ، والا تركوه .

وفيه أيضا : أرسل الباشا لجميع كشاف الوجه القبلى بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه : فلا يدعون أحدا يبيع ولا يشترى شيئا منها ، ولا يسافر بشىء منها فى مركب مطلقا . ثم طلبوا ما عند أهل البلاد من الغلال ، حتى ما هو مدخر فى دورهم للقوت ، فأخذوه أيضا ! ثم زادوا فى الأمر حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال ، قل أو كثر ، ولا يدفعون له ثمنا ، بل يقولون لهم : « نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة » ! ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التى استجدها وأعدها لنقل الغلال ، ثم يسيرون بها الى بحرى فتنقل الى مراكب الافرنج بحساب مائة قرش عن كل أردب .

وانقضت السنة ولم تنقض حوادثها ... بل استمر ماحدث بها كالتى قبلها وزيادة :

فمنها ما أحاط به علمنا وذكرنا بعضه ، ومنها ما لم يحط به علمنا أو أحاط ونسيناه بحدوث غيره قبل التثبت .

ومنها : أن الباشا عمل ترسخانة عظيمة بساحل بولاق ، واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية لخصوص جلب الأخشاب المتنوعة ، وكذلك الحطب الرومى ، من أماكنها على ذمته ، ويبيعه على الحطابين بما حدده عليهم من الثمن ، ويحمل فى المراكب المختصة به بأجرة محددة أيضا ، ويأتى الى ديوان الكمرك ببولاق فيؤخذ كمركه — أى مكسه — وهو راجع اليه أيضا ... الى أن استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة ، وأجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر نصف فضة ، وأجرة تكسيره مثل ذلك . فيكون مجموع ذلك ثلثمائة وأربعين نصف فضة القنطار ! وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفا ، وأجرة حمله فى المركب عشرة أنصاف ، وأجرته من بولاق الى مصر ثلاثة أنصاف ، وتكسيره كذلك ، فيكون مجموع ذلك ستة وأربعين نصفا .

وكذلك فعل فى أنواع الأخشاب الكرسنة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات واستمر ينشىء فى المراكب الكبار والصغار التى تسرح فى النيل من قبلى الى بحرى ومن بحرى الى قبلى ، ولا يبطل الانشاء والأعمال والعمل على الدوام . وكل ذلك على ذمته ، ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحيوها بأجرتهم على طرفه ... لا بالضمان كما كان فى السابق . ولهم قومة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار .

ومنها — وهى من الحوادث الغريبة التى لم يتفق فى هذه الأعصار مثلها — : أن فى أواخر

ربيع الآخر احترق بحر النيل ، وجف بحر بولاق ، وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول ، وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون الى قريب امبابة بمداساتهم ... وكذلك بحر مصر القديمة بقى مخاضا . وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو ، واشتد بالناس العطش بسبب ذلك ، وبسبب تسخير السقائين . ونادى الأغا والوالى على أن يكون حمل القربة للمكان البعيد باثنى عشر نصف فضة .

واستهل شهر بشنس القبطى فزاد النيل فى أوله ، فى ليلة واحدة ، نحو ذراع . ثم كان يزيد فى كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى . وجرى بحر بولاق ومصر القديمة ، وغطى الرمال ، وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة ، وغرقت المقاثىء مثل : البطيخ والخيار والعبداللاوى ، وما كان مزروعا بالسواحل — وهو شىء كثير جدا — واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما ، حتى تغير وابيض وكاد يحمر .

وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التى فى غير وقتها ، حتى اعتقدوا أنه يوفى أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ... ولم يعهد مثل ذلك !. وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش .

ثم انى طالعت فى تاريخ الحافظ المقريزى ، المسمى بالسلوك فى دول الملوك ، فذكر مثل هذه النادرة فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة .

ولما ترادفت هذه الزيادات ، خرج الوالى الى قنطرة السد ، وجمع الفعلة للعمل فى سد فم الخليج ، ونادى على نزح الخليج وتنظيفه وكسح أوساخه وقطع أرضه . ثم وقفت الزيادة ، بل نقص قليلا . وزاد فى أوان الزيادة على العادة ، وأوفى أذرعه فى أيامه المعتادة ... فسبحان الفعال .

ومنها : شحة الغلال وخلو السواحل منها ... فلا يجد الناس الا ما بقى بأيدى فلاحى الجهات البحرية القريبة ، فيحملونه على الحمير الى العرصات والرقع ، ويبيعونه على الناس كل أردب بأربعة وعشرين قرشا خلاف المكس والكلف . واستقر مكس الأردب الواحد أربعة وثلاثين نصف فضة ، وأجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية أو نحوها مائة نصف وأقل وأكثر ، وأجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفا .

ومنها : أنه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ، ولم يبق له فيه منازع ، وقلد امارته لابنه ابراهيم باشا ، ورسم بأن يضبط جميع أطيان بلاد الصعيد ، حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها ، وأوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ، ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك . ففعل ذلك وراك الأراضى بأسرها .

وشاع أنه جعل على كل فدان من أراضى الرزق والأوقاف ثلاثة ريالات لا غير ، وعلى باقى فدادين الأطيان ثمانية ريالات خلاف النبارى — وهو مزارع الذرة — فجعل على كل عود من عيدان القطوة سبعة ريالات . فرضى أصحاب الرزق والأطيان بهذا التنظيم ، وظنوا استمراره . فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له من مزارعى رزقته مقدار ما يحصل له على هذا الحساب .

ومنها : أنه رسم له بالحجر على جميع حصص الالتزام ، فلم يبق لأربابها شيئا الا ما ندر — وهو شىء قليل جدا — واحتج فى ذلك باستيلاء الأمرا المصريين عليها عندما خرجوا من مصر ، وأقاموا بالبلاد القبلية ، فوضعوا أيديهم على ذلك . وأنه حاربهم وطردهم وقتلهم وورث ماكان بأيديهم بحق أو باطل ، وسموه المضبوط . وأما ما كان بأيدى

أربابه أيام استيلاء المصريين — وهم الملتزمون القاطنون بالبلاد القبلية أو بمصر ، ممن يراعى جانبه — فانه اذا عرض حاله ، وطلب اذنا فى التصرف ، وأخبر بأنه كان مفروجا عنه أيام استيلاء المصريين ، وأثبت ذلك بالكشف من الروزنامة وغيرها ... فاما أن يؤذن له فى التصرف ، أو يقال له : نعوضك بدلها من البلاد البحرية . ويسوف ، وتتمادى الأيام ، أو يحيل ذلك على ابنه ابراهيم باشا ، ويقول : « أنا لا علقة لى فى البلاد القبلية ، والأمر فيها لابراهيم باشا » ، واذا ذهب لابراهيم باشا يقول له : « أنا أعطيك الفائظ » ، فان رضى أعطاه شيئا نزرا ، ووعده بالاعطاء . وان لم يرض ، قال له : « هات لى اذنا من أفندينا » . وكل منهما : اما مرتحل أو مسافر ، أو أحدهما حاضر والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشروط ... وأمثال ذلك كثير .

ومنها : الاستيلاء على جميع مزارع الأرز بالبحر الغربى والشرقى ، ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوى والبهائم . ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التى قررها على النواحى . وعند استغلال الأرز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ، ويستوفون المصاريف ، ومعاليم القومة والمباشرين المعين لهم . وان فضل بعد ذلك شىء أعطوه للمزارع ، أو أخذوه منه وأعطوه ورقة يحاسب بها فى المستقبل . وفرض على كل دائرة من دوائر الأرز خمسة أكياس فى كل سنة خلاف المقرر القديم ، وعلى كل عود ثلاثة أكياس . فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر ... حتى اذا صلح وابيض ، حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فان زاد لهم شىء أعطوهم به ورقة ، وحاسبوا بها من قابل . وأبطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم .واستقر الحال الى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا . ويباع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسببين وغيرهم . وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة ، وللأفرنج وبلاد الروم والشام بما لا أدرى .

ومنها : أنه حصل بين عبد الله أغا بكتاش الترجمان وبين النصرانى الدرزى منافسة.وهو الذى حضر من جبل الدروز ، ويسمى الياس ، واجتمع بمصر على من أوصله الى الباشا — وهو بكتاش وخلافه — وعرفوه عن صناعته ، وأنه يعمل آلات بأسهل مما يصنعه صناع الضربخانة ، ويوفر على الباشا كذا وكذا من الأموال التى تذهب فى الدواليب والكلف ، وما يأخذه المباشرون من المكاسب لأنفسهم . وأفرد له بقعة خاصة به بجانب الضربخانة ، وأمر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهورا .

ولما تم الآلة ، صنع قروشا وضربها ناقصة فى الوزن والعيار ، وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ، ووزن القرش درهمان وربع ، وفيه من الفضة الخالصة الربع ، بل أقل ، والثلاثة أرباع نحاس . وكان المرتب فى الأموال من النحاس فى كل يوم قنطارين ، فضوعف الى ستة قناطير ... حتى غلا سعر النحاس والأوانى المتخذة منه ، فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة وأربعين نصف فضة ، بعد أن كان سعره فى الأزمان السابقة أربعة عشر نصفا ، والقراضة سبعة أنصاف أو أقل . ثم زاد الطلب للضربخانة الى عشرة قناطير فى كل يوم ... والمباشر لذلك كله بكتاش افندى .

ثم ان بكتاش افندى المذكور انحرف على ذلك الدرزى ، وذلك باغراء المعاير ، وحصل بينهما مناقشة بين يدى الباشا ، والمعلم غالى بينهم — وانحط الأمر فى ذلك المجلس على منع الدرزى من

مباشرة العمل . ورتب له الباشا أربعة آكياس لمصرفه فى كل شهر ، ومنعوا أيضا من كان معه من نصارى الشوام من الطلوع الى الضربخانة . واستمر بكتاش افندى ناظرا عليها ، ودقق على أرباب الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه . ثم ان الباشا بعد أيام أمر بنفى الدرزى من مصر وجميع أهله وأولاده . وانقضى أمره بعد أن تعلموا تلك الصناعة منه .

وفى تلك المدة بلغ ايراد الضربخانة لخزينة الباشا فى كل شهر ألفا وخمسمائة كيس . وكان الذى يرد منها ، فى زمن المصريين ، ثلاثين كيسا فى كل شهر أو أقل من ذلك . فلما التزم بها السيد أحمد المحروقى أوصلها الى خمسين ، واستمرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة . فاتنبذ لها محمد افندى طبل المعروف بناظر المهمات ، وزاد عليها ثلاثين كيسا ، وبقيت تحت نظارة المحروقى بذلك القدر . ثم ان الباشا عزل السيد محمد المحروقى عنها ، وأبقاها على ذمته ، وقيد خاله فى نظارتها . ولم يزل الباشا يلعب هذه الملاعيب حتى بلغت هذا المبلغ المستمر ، وربما يزيد ... وذلك خلاف الغرامات والمصادرات لأربابها .

ثم وشى له على عبد الله أغا بكتاش بأنه يزيد فى وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود . فاذا حسب القدر المنقوص ، وعمل معدله فى مدة نظارته ، تحصل منه مقدار عظيم من الأكياس . فلما نوقش فى ذلك قال : « هذا الأمر يسأل فيه صاحب العيار » . فأحضروه ، وأحضروا محمد أفندى ابن اسماعيل أفندى بدفتره ، وتحاققوا فى الحساب ، فسقط منهم خمسة أكياس لم تدخل الحساب ... فقالوا : « أين ذهبت هذه الخمسة أكياس » فطفقوا ينظرون الى بعضهم . فقال المورد : « الحق أن هذه الخمسة أكياس من حساب محمد أفندى ، ومطلوبة له ، وتجاوز عنها لفلان اليهودى المورد من مدة سابقة » . فالتفت الباشا الى محمد أفندى ، وقال : « لأى شىء تجاوزت لليهودى عن هذا القدر ؟ » . فقال : « لعلمى أنه خلى ، لبس عنده شىء ... فأخذتنى الرأفة عليه ، وتركت مطالبته حتى يحصل له اليسار » . فقال : « كيف تنعم بمالى على اليهودى ؟ » . فقال : « انه من حسابى » . فقال : « ومن أين كان لك ذلك ؟ » . وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصى ، ثم أقاموه ، وأضافوا الخمسة أكياس على باقى الغرامة المطلوبة منه التى هو متحير فى تحصيلها ، ولو بالاستدانة من الربويين ، كما قال القائل :

شكوت جلوس انسان ثقيل
فجاءونى بمن هو منه أثقل
فكنت كمن شكا الطاعون يوما
فزادوه على الطاعون دمل

ومحمد أفندى هذا من وجهاء الناس وخيارهم . يفعل به هذه الفعال ! ثم انحط الحال مع بكتاش أفندى على أن فرض عليه ستمائة كيس يقوم بدفعها . فقال : « ويعفونى أفندينا من نظارة الضربخانة » . فلم يجبه الى ذلك . واستمر فى تلك الخدمة مكرها خائفا من عواقبها .

ومنها : أن الريال الفرانسة بلغ فى مصارفته ، من الفضة العددية ، الى مائتين وثمانين نصفا ... بل وزيادة خمسة أنصاف . فنودى عليه بنقص عشرة ، وشددوا فى ذلك . وبعد أيام نودى بنقص عشرة أخرى . فخسر الناس حصة من أموالهم . ثم ان ذلك القرش الذى يضاف اليه من الفضة ربع درهم ، ووزن الريال تسعة دراهم فضة ، فيكون الريال الواحد ، بما يضاف اليه من النحاس على هذا الحساب ، ستة وثلاثين قرشا .. يخرج منها ثمن الريال ستة قروش ونصف ، وكلفة الشغل فى الجملة قرش أو قرشان ، يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون

قرشا ونصفه ، وهو المكسب فى الريال الواحد .

وهو من جملة سلب الأموال ، لأن صاحب الريال ، اذا أراد صرفا ، أخذ بدله ستة قروش ونصفا ، وفيها من الفضة درهم ونصف وثمن ، وهى بدل التسعة دراهم التى هى وزن الريال .

ثم زيد فى الطنبور نغمة ، وهى الحجر على الفضة العددية ، فلا يصرفون شيئا منها للصيارف ولا لغيرهم ... الا بالفرط ، وهو أربعة قروش على كل ألف ، فيعطى للضربخانة تسعة وعشرون قرشا زلائط ، ويأخذ ألف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا . ثم زادوا بعد ذلك فى الفرط ، فجعلوه خمسة قروش . فيعطى ألفا ومائتين ، ويأخذ بدلها ألفا فانظر الى هذه الزيادة والرذالة ... وكذا السفالة !

ومنها . استمرار غلاء الأسعار فى كل شىء ، وخصوصا فى الأقوات التى لا تستغنى عنها الغنى والفقير فى كل وقت ، بسبب الاحداثات والمكوس التى ترتبت على كل شىء ، ومنها المأكولات كاللحم والسمن والعسل والسكر ، وغير ذلك مثل الخضارات

وابطال جميع المذابح خلاف مذبح الحسينية والتزم به المحتسب بمبلغ عظيم مع كفاية لحم الباشا وأكابر دولته بالثمن القليل ، ويوزع الباقى على الجزارين بالسعر الأعلى الذى يخرج منه ثمن لحوم الدولة من غير ثمن فينزل الجزار بما يكون معه من الغنمة أو الاثنين الجفيط الى بيت أو عطفة مستورة ، فتزدحم عليه المتبعون له والمنتظرون اليه ، ويقع بينهم من المضاربة والمشاجرة ما لا يوصف وثمن الرطل اثنا عشر نصفا . وقد يزيد على ذلك ، ولا ينقص عن الاثنى عشر .

وكذلك الخضراوات التى كانت تباع جزافا ، تباع بأقصى القيمة ... حتى أن الخس مثلا ، الذى كان يباع كل عشرة أعداد بنصف واحد ، صارت الواحدة تباع بنصف . وقس على ذلك باقى الخضراوات .

وان الباشا لما وضع يده على الأراضى القريبة ، وأنشأ السواقى تجاه القصر والبستان بناحية شبرا ، وحرث الأراضى الخرس ، وزرع فيها أنواع الخضراوات ، وأجرى عليها المياه ، وقيد لخدمتها المرابعين أيضا ، والمزارعين بالمؤاجرة ... والمباشر على ذلك كله ذو الفقار كتخدا . وعند ما يبدو صلاح البقول والخضراوات ، يبيعها على المتسببين فيها بأغلى ثمن ، وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا .

وشاع بين الناس اضافة ذلك الى الباشا ، فيقولون كرنب الباشا ، ولفت الباشا ، وملوخية الباشا ، وفجل الباشا ، وقرنبيط الباشا ! وزرع أيضا بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر ، المتنوعة الأشكال . من الأحمر والأصفر والأزرق والملون وأتوا بنقائلها من بلاد الروم . فنتجت وأفلحت ، وليس لها الا حسن المنظر فقط ، ولا رائحة لها أصلا .

ومنها أن ديوان المكس ببولاق — الذى يعبرون عنه بالكمرك — لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى أوصلوه الى الف وخمسمائة كيس فى السنة وكان فى زمن المصريين يؤدى من يلتزمه ثلاثين كيسا ، مع محاباة الكثير من الناس ، والعفو عن كثير من البضائع لمن ينسب الى الأمراء وأصحاب الوجاهة من أهل العلم وغيرهم فلا يتعرضون له ، ولو تحامى فى بعض أتباعهم ولو بالكذب ، ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ، ولا يبشون المتاع ولا رباط الشىء المحزوم بل على الصندوق أو المحزوم قدر يسير معلوم فلما ارتفع أمره الى هذه المقادير ، صاروا لايعفون عن شىء مطلقا ، ولا يسامحون أحدا ... ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم .

وكان من عادة التجار اذا بعثوا الى شركائهم محزوما من الأقمشة الرخيصة ، مثل العاتكى والنابلسى ، جعلوا بداخل طيها أشياء من الأقمشة الغالية فى الثمن ، مثل المقصبات الحلبى والكشميرى والهندى ونحو ذلك ، فتندرج معها فى قلة الكمرك . وفى هذا الأوان يحلون رباط المحزوم ، ويفتحون الصناديق ، وينبشون المتاع ، ويهتكون ستره ، ويحصون عدده ، ويأخذون عشره — أى من كل عشرة واحدا — أو ثمنه كما يبيعه التاجر ، غاليا أو رخيصا .. حتى البوابيج والأخفاف والمسوت التى تجلب من الروم ، بفتحون صناديقها ، ويعدونها بالواحد ، ويأخذون عشورها عينا أو ثمنا . ويفعل ذلك أيضا متولى كمرك الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام .

فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شيء ، لفحش هذه الأمور .. وخصوصا فى الأقمشة الشامية والحلبية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف ، فان عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها .

وكان الدرهم الحرير فى السابق بنصف فضة ، فصار الآن بخمسة عشر نصفا ، وما يضاف اليه من الأصباغ ، وكلف الصناع ، والمكوس المذكورة ... فبذلك بلغ الغاية فى غلو الثمن ، فيباع الثوب الواحد من القماش الشامى المسمى بالألاجة ، الذى كانت قيمته فى السابق مائتى نصف فضة ، بألفين فضة ... مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر . والنعل الرومى ، الذى كان يباع بستين نصفا ، صار يباع بأربعمائة نصف . والذراع الواحد من الجوخ ، الذى كان يباع بمائة نصف فضة ، بلغ فى الثمن الى ألف نصف فضة ... وهكذا مما يستقصى تتبعه ولا تستقصى مفرداته .

ويتولى هذه الكمارك كل من تزايد فيها من أى ملة كان : من نصارى القبط أو الشوام أو الأروام ، أو من يدعى الاسلام — وهم الأقل — فى الأشياء الدون . والمتولى الآن فى ديوان كمرك بولاق ، شخص نصرانى رومى يسمى كرابيت . من طرف طاهر باشا لأنه مختص بايراده ، وأعوان كرابيت من جنسه ، وعنده قواسة أتراك يحجزون متاع الناس ، ويقبضون على المسلمين ، ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم . واذا عثروا بشخص أخفى عنهم شيئا ، حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به ، وألزموه بغرامة مجازاة لفعله .

والعجب أن بضائع المسلمين يؤخذ عشرها (يعنى من العشرة واحد) ، وبضائع الافرنج والنصارى ومن ينتسب اليهم ، يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف !

وكذلك أحدث عدة أشياء واحتكارات فى كثير من البضائع ، مثل السكر الذى يأتى من ناحية الصعيد ، وزيادات فى المكوس القديمة خلاف المحدثات . وذلك أن من كان بطالا ، أو كاسد الصنعة ، أو قليل الكسب ، أو خامل الذكر ، فيعمل فكرته فى شيء مهمل مغفول عنه ، ويسعى الى الحضرة بواسطة المتقربين أو بعرضحال يقول فيه : « ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى ، ويقوم للخزينة العامرة بكذا من الأكياس فى كل سنة » . فاذا فعل ذلك تنبه المشار اليه ، فيوعد بالانجاز ، ويؤخر أياما . فتتسامع المتكالبون على أمثال ذلك ، فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص ، اما هو أو خلافه ، ويقيد اسمه فى دفتر الروزنامة . ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريده وما يقرره على ذلك الصنف ، ويتخذ له أعوانا وخدمة وأتباعا يتولون استخلاص المقررات ، ويجعلون لأنفسهم أقدارا خارجة عن الذى يأخذه كبيرهم .

والذى تولى كبر ذلك ، وفتح بابه ، نصارى

الأروام والأرمن . فترأسوا بذلك ، وعلت أسافلهم ولبسوا الملابس الفاخرة ، وركبوا البغال والرهوانات ، وأخذوا بيوت الأعيان التى بمصر القديمة ، وعمروها وزخرفوها ، وعملوا فيها بساتين وجناين ... وذلك خلاف البيوت التى لهم بداخل المدينة . ويركب الكلب منهم ؛ وحوله وأمامه عدة من الخدم والقواسة ، يطردون الناس من أمامه وخلفه . ولم يدعوا شيئا خارجا عن المكس ... حتى الفحم الذى يجلب من الصعيد ، والحطب السنط والرتم ، وحطب الذرة الذى كان يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف ، فلما احتكروه صار يباع كل مائة حزمة بألف ومائتى نصف .

وبسبب ذلك تشحطت أشياء كثيرة ، وغلت أثمانها ، مثل الجبس والجير ، وكل ما كان يحتاج للوقود .. حتى الخبازين فى الأفران . فاننا أدركنا الأردب من الجبس بثمانية عشر نصف فضة ، والآن بمائتين وأربعين نصفا . وكذلك أدركنا القنطار من الجير بعشرة أنصاف ، والآن بمائة وعشرين ، والحال فى الزيادة !

ومنها : أن الباشا شرع فى عمارة قصر العينى ، وكان قد تلاشى، وخربته العسكر وأخذت أخشابه ، ولم يبق فيه ولا الجدران . فشرع فى انشائه وتعميره وتجديده على هذه الصورة التى هو عليها الآن .. على وضع الأبنية الرومية .

ومنها أنه هدم سراية القلعة ، وما اشتملت عليه من الأماكن . فهدم المجالس التى كانت بها والدواوين، وديوان قايتباى — وهو المقعد المواجه للداخل الى الحوش ، علو الكلار الذى به الأعمدة — وديوان الغورى الكبير ، وما اشتمل عليه من المجالس التى كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات ، أيام الدواوين ، وشرع فى بنائها على وضع آخر واصطلاح رومى . وأقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب ، ويبنون الأعالى قبل بناء السفل وأشيع أنهم وجدوا مخبآت بها ذخائر للملوك مصر الأقدمين .

ومنها : أن الباشا أرسل لقطع الأشجار المحتاج اليها فى عمل المراكب ، مثل التوت والنبق ، من جميع البلاد القبلية والبحرية . فانبث المعينون لذلك فى البلاد ؛ فلم يبقوا من ذلك الا القليل .. لمصانعة أصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون . فيجتمع بترسخانة الأخشاب لصناعة المراكب ، مع ماينضم اليها من الأخشاب الرومية ، شىء عظيم جدا ، يتعجب منه الناظر من كثرته وكلما نقص منه شىء فى العمل ، اجتمع خلافه أكثر منه .

ومنها : أن أحمد أغا ، أخا كتخدا بيك ، لما تقلد وكالة دار السعادة ونظارة الحرمين ، انضم اليه أباليس الكتبة لتحرير الايراد والمصرف . وحصروا الأحكار المقررة على الأماكن والأطيان التى أجرها النظار السابقون ، المدد الطويلة ، وجعلوا عليها قدرا من المال يقبض فى كل سنة لجهة وقف أصله .. على عادة مصر السابقة واللاحقة فى استئجار الأوقاف من نظارها والأطيان والأماكن المستأجرة من أوقاف الحرمين وتوابعها : كالدشيشة والخاصكية ، والمحمدية ، والمرادية ، وغير ذلك كثيرة جدا ..

ففتحوا هذا الباب ، وتسلطوا على الناس فى طلب ما بأيديهم من السندات ، وحجج التآجرات . فاذا اطلعوا عليها ، فلا يخلو اما أن تكون المدة قد انقضت ومضت ، أو بقى منها بقية من السنين . فان كان بقى منها بقية ، زادوا فى الأجرة المؤجلة . التى هى الحكر ، مثلها أو مثليها بحسب حال المحل ورواجه . وان كانت المدة قد انقضت ومضت . استولوا على عين المحل وضبطوه ، أو جددوا له تآجرا وزادوا فى حكره ، ويكون ذلك بمصلحة جسيمة . وعلى كلتا الحالتين لا بد من التغريم

والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ، ثم المرافعة الى القاضى ، ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة السندات التى يأخذها واضع اليد .

ومنها : التحجير على الأجراء والمعمرين المستعملين فى الأبنية والعمائر ، مثل البنائين والنجارين والنشارين والخراطين ، والزامهم فى عمائر الدولة بمصر وغيرها بالاجارة والتسخير . واختفى الكثير منهم ، وأبطل صناعته ، وأغلق من له حانوت حانوته . فيطلبه كبير حرفته الملزم باحضاره عند معمار باشا : فاما أنه يلازم الشغل ، أو يفتدى نفسه ، أو يقيم بدلا عنه ويدفع له الأجرة من عنده !

فترك الكثير صناعته وأغلق حانوته ، وتكسب بحرفة أخرى . فتعطل بذلك احتياجات الناس فى التعمير والبناء .. بحيث أن من أراد أن يبنى له كانونا أو مذودا لدابته ، تحير فى أمره ، وأقام أياما فى تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجير والقصرمل .

وكان الباشا اشترى ألف حمار ، وعملوا لها مزابل ، وأعدوها لنقل أتربة عمائره وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة ببولاق ، ونودى فى المدينة بمنع الناس كافة عن أخذ شىء من القصرمل . فكان الذى تلزمه الضرورة لشىء منه ، ان كان قليلا ، أخذه كالسرقة فى الليل من المستوقد بأغلى ثمن ، وان كان كثيرا لا يأخذه الا بفرمان بالاذن من كتخدا بيك ، بعد أن كان شيئا مبتذلا ، وليس له قيمة ... ينقلونه اذا كثر بالمستوقدات الى الكيمان بالأجرة . وان احتاجه الناس فى أبنيتهم : اما نقلوه على حميرهم ، أو نقله خدمة المستوقد بأجرتهم : كل فردين بنصف وأقل وأزيد ... ونحو ذلك . كما اذا ضاع لانسان مفتاح خشب ، لايجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر الا خفية ، ويطلب ثمنة خمسة عشر نصف فضة ! وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا ، أو نصف نصف ان كان صغيرا .

ومنها : أن الذى التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتى كيس ، واحتكر جميع لوازمه ، مثل الفحم وحطب الترمس والذرة والكبريت ، فقرر على كل صنف من ذلك قدرا من الأكياس ، وأبطل الذين كانوا يعملون فى السباخ بالكيمان ، ويستخرجون منه ملح البارود ، ثم يؤخذ منهم عبيطا الى المعمل ، فيكررونه حتى يخرج ملحا أبيض يصلح للعمل . وهى صناعة قذرة ممتهنة ، فأبطلهم منها ، وبنى أحواضا بدلا عن الصناديق ، وجعلها متسعة ، وطلاها بالخافقى ، وعمل ساقية ، وأجرى الماء منها الى تلك الأحواض ، وأوقف العمال لذلك بالأجرة يعملون فى السباخ المذكور .

ومنها : شحة الحطب الرومى فى هذه السنة ، واذا ورد منه شىء حجزه الباشا لاحتياجاته ، فلا يرى الناس منه شيئا . فكان الحطابة يبيعون بدله خشب الأشجار المقطوعة من القطر المصرى ، وأفضلها السنط ، فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف فضة ، وأجرة حملها عشرة ، وتكسيرها عشرة . وعز وجود الفحم أيضا حتى بيعت الأقة بعشرين نصفا ، وذلك لانقطاع الجالب ... الا ما يأتى قليلا من ناحية الصعيد مع العسكر .. يتسببون فيه ويبعونه بأغلى ثمن : كل حصيرة بأثنى عشر قرشا وخمسة عشر قرشا — وهى دون القنطار — وكانت تباع فى السابق بستين نصفا ، وهى قرش ونصف وغير ذلك أمور واحداثات وابتداعات لا يمكن استقصاؤها ، ولم يصل الينا خبرها ... اذ لا يصل الينا الا ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات الكلية . وقد يستدل بالبعض على الكل .

أما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

فمات الشيخ الامام العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه الأصولى النحوى ، شيخ الاسلام والمسلمين : الشيخ عبد الله بن حجازى بن ابراهيم الشافعى الأزهرى الشهير بالشرقاوى ، شيخ الجامع الأزهر .

ولد ببلدة تسمى « الطويلة » بشرقية بلبيس بالقرب من القرين ، فى حدود الخمسين بعد المائة ، وتربى بالقرين فلما ترعرع ، وحفظ القرآن ، قدم الى الجامع الأزهر ، وسمع الكثير من الشهابين : الملوى ، والجوهرى ، والحفنى ، وأخيه يوسف ، والدمنهورى ، والبليدى ، وعطية الأجهورى ، ومحمد الفارسى ، وعلى المنسفيسى الشهير بالصعيدى ، وعمر الطحلاوى .. وسمع الموطأ فقط على على بن العربى الشهير بالسقاط وبأخرة تلقن بالسلوك والطريقة على شيخنا الشيخ محمود الكردى ، ولازمه ، وحضر معنا فى أذكاره وجمعياته ، ودرس الدروس بالجامع الأزهر ، وبمدرسة السنانية بالصنادقية ، وبرواق الجبرت والطيبرسية وأفتى فى مذهبه ، وتميز فى الالقاء والتحرير . وله مؤلفات دالة على سعة فضله ... من ذلك : حاشيته على التحرير ، وشرح نظم يحيى العمريطى ، وشرح العقائد المشرقية والمتن له أيضا ، وشرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف — مشهور فى بلاد داغستان — وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ، ومختصر الشمائل وشرحه له ، ورسالة فى لا اله الا الله ، ورسالة فى مسألة أصولية فى جمع الجوامع ، وشرح الحكم والوصايا الكردية فى التصوف ، وشرح ورد سحر للبكرى ، ومختصر المغنى فى النحو .. وغير ذلك .

ولما أراد السلوك فى طريق الخلوتية ، ولقنه الشيخ الحفنى الاسم الأول حصل له ولـه واختلال فى عقله ، ومكث بالمارستان أياما ، ثم شفى ، ولازم الاقراء والافادة ، ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردى ، وقطع الأسماء عليه ، وألبسه التاج ، وواظب على مجالسته

وكان فى قلة من خشونة العيش ، وضيق المعيشة ، فلا يطبخ فى داره الا نادرا ، وبعض معارفه يواسونه ، ويرسلون اليه الصحفة من الطعام ، أو يدعونه ليأكل معهم .

ولما عرفه الناس ، واشتهر ذكره ، واصله بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا والصلات ... فراج حاله ، وتجمل بالملابس ، وكبر تاجه . ولما توفى الشيخ الكردى ، كان المترجم من جملة خلفائه ، وضم اليه أشخاصا من الطلبة والمجاورين الذين يحضرون فى درسه : يأتون اليه فى كل ليلة عشاء يذكرون معه ، ويعمل لهم فى بعض الأحيان ثريدا ، ويذهب بهم الى بعض البيوت فى مياتم الموتى ، وليالى السبح والجمع المعتادة ، ومعهم منشدون ومولهون ، ومن يقرأ الأعشار عند ختم المجلس ، فيأكلون العشاء ، ويسهرون حصة من الليل فى الذكر والانشاد والتوله ، وينادون فى انشادهم بقولهم : « يابكرى مدد ، ياحفنى مدد ، ياشرقاوى مدد » . ثم يأتون اليهم بالطارى ، وهو الطعام ، بعد انقضاء المجلس ، ثم يعطونهم أيضا

دراهم . ثم اشترى له دارا بحارة كتامة ، المسماة بالعينية ، وساعده فى ثمنها بعض من يعاشره من المياسير ، وترك الذهاب الى البيوت ... الا فى النادر .

واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسى ، فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، فزاد فى تكبير عمامته وتعظيمها ، حتى كان يضرب بعظمها المثل . وكانت تعارضت فيه وفى الشيخ مصطفى الصاوى . ثم حصل الاتفاق على المترجم ، وأن الشيخ الصاوى يستمر فى وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية ، المجاورة لضريح الامام الشافعى بعد صلاة العصر ، وهى من وظائف مشيخة الجامع . ولما تولاها الشيخ العروسى ، تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصيلحى الضرير ، وكان يرى فى نفسه أنه أحق بالمشيخة من العروسى .. فلم ينازعه فيها حسما للشر .

فلما مات المصيلحى تنزه عنها العروسى ، وأجلس فيها الصاوى ، وحضر درسه فى أول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته . فلما مات العروسى وتولى المترجم المشيخة ، اتفقوا على بقاء الصاوى فى الوظيفة ، ومضى على ذلك أشهر . ثم ان المجتمعين على الشرقاوى وسوسوا له ، وحرضوه على أخذ الوظيفة ، وأن مشيخته لا تتم الا بها — وكان مطواعا — فكلم فى ذلك الشيخ محمد بن الجوهرى ، وأيوب بيك الدفتردار ، ووافقاه على ذلك ، واغتر بهما ، وذهب بجماعته ومن انضم اليهم — وهم كثيرون — وقرأ بها درسا .

فلم يحتمل الصاوى ذلك ، وتشاور مع ذوى الرأى والمكايد من رفقائه — كالشيخ بدوى الهيتمى وأضرابه — فبيتوا أمرهم ، وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك الكبير — وله به صداقة ومعاملة ومقارضة — فسامحه فى مبلغ كان عليه له . فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور ، وحضر عند الشرقاوى ، وتكلم معه وأفحمه . ثم اجتمعوا فى ثانى يوم ببيت الشرقاوى ، وحضر الصاوى وعزوته ، وباقى الجماعة ، فقال الشرقاوى : « اشهدوا ياجماعة أن هذه الوظيفة استحقاقى ، وأنا نزلت عنها الى الشيخ مصطفى الصاوى » . فقال له الصاوى : « ارجع .. أما الآن فلا . ولا جميلة لك الآن فى ذلك » . وباكته بكلام كثير ، وبانفاذه لرأى من حوله ، وغير ذلك .

وانفض المجلس على منعه من الوظيفة ، واستمرار الصاوى فيها الى أن مات ، فعادت الى المترجم عند ذلك من غير منازع ، فواظب الاقراء فيها مدة ، وطالب سدنة الضريح بمعلومها ، فماطلوه ، فتشاجر معهم وسبهم ، فشكوه للمعاضدين لهم ، وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم ، وتعصبوا عليه ، وأنهوا الى الباشا ، وضموا الى ذلك أشياء ... حتى أوغروا عليه صدره ، واتفقوا على عزله من المشيخة . ثم انحط الأمر على أن يلزم داره ولا يخرج منها ، ولا يتداخل فى شىء من الأشياء . فكان ذلك أياما ، ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى ، فركب وقابله ، ولكن لم يعد الى القراءة فى الوظيفة .. بل استناب فيها بعض الفقهاء ، وهو الشيخ محمد الشبراوينى .

ولما حضرت الفرنساوية الى مصر فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ، ورتبوا ديوانا لاجراء الأحكام بين المسلمين ، جعلوا المترجم رئيس الديوان . وانتفع فى أيامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له عن ذلك ، وقضايا وشفاعات لبعض الأجناد المصرية ، وجعالات على ذلك ! واستيلاء على تركات وودائع خرجت أربابها فى حادثة الفرنساوية ، وهلكوا .

واتسعت عليه الدنيا ، وزاد طمعه فيها ، واشترى دار ابن بيره بظاهر الأزهر — وهى دار واسعة من مساكن الأمراء الأقدمين — وزوجته بنت الشيخ

على الزعفرانى هى التى تدبر أمره وتحرز كل مايأتيه ويجمعه ، ولا يروح ولا يغــدو الا عن أمرهــا ومشورتها . وهى أم ولده سيدى على .. الموجود الآن .

وكانت قبل زواجه بها فى قلة من العيش ، فلمــا كثرت عليه الدنيا ، اشــترت الأملاك والعقار ، والحمامات والحوانيت ، بما يغل ايراده مبلغا فى كل شهر له صورة . وعمل مهمًّا لزواج ابنه المذكور فى أيام محمــد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين وألف ، ودعا اليه الباشا وأعيان الوقت ، فاجتمع اليه شىء كثير من الهدايا . ولمــا حضر اليه الباشا أنعم على ابنه بأربعة أكياس عنهــا ثمانون ألف درهم ، وذلك خلاف البقاشيش .

واتفق للمترجم فى أيام الأمراء المصرية أن طائفة المجاورين بالأزهــر ، من الشرقاويين ، يقطنــون بمدرسة الطيبرسية بباب الأزهر ، وعمل لهم المترجم خزائن برواق معــمر ، فوقــع بينهم وبين بعــض المجاورين بها مشــاجرة ، فضربوا نقيب الرواق . فتعصب لهم الشــيخ ابراهيم السجينى — شــيخ الرواق — على الشرقاويين ، ومنعوهم من الطيبرسية وخزائنها ، وقهروا المترجم وطائفته . فتوسط بامرأة عمياء فقيهة — تحضر عنده فى درسه — الى عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك . فكلمت زوجها ابراهيم بيك — المعروف بالوالى — بأن يبنى له مكانا خاصــا بطائفته . فأجابه الى ذلك ، وأخذ سكن امام الجامع المجــاور لمدرســة الجــوهرية ، من غــير ثمن ، وأضاف اليه قطعة أخرى ، وأنشأ ذلك رواقا خاصا بهم ، ونقل اليه الأحجار والعمــود الرخام الذى بوسطها من جامع الملك الظاهر بيبرس ، خــارج الحســينية ، وهــو تحت نظــر الشيخ ابراهيم السجينى ، ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه .

وعمل به قوائم وخزائن ، واشترى له غلالا من جرايات الشون وأضافها الى أخباز الجامع ، وأدخلها فى دفتره ، يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبز قرصة لأهل ذلك الرواق فى كل يوم . ووزعها على الأنفار الذين اختارهم من أهل بلاده .

وممــا اتفق للمترجم أن بخــارج باب البرقية «خانكاه» أنشأتها خوند طغاى الناصرية بالصحراء ، على يمنة السالك الى وهدة الجبــانة المعروفة الآن بالبستان ، وكان الناظر عليها شــخص من شــهود المحكمة يقال له « ابن الشاهينى » . فلما مات تقرر فى نظرها المترجم ، واستولى على جهات ايرادها . فلما ولج الفرنساوية أراضى مصر ، وأحدثوا القلاع فوق التلول والأماكن المستعلية حوالى المدينــة . هدموا منارة هــذه الخانكاه وبعض الحــوائط الشمالية ، وتركوها على ذلك .

فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها فى التخرب ، وكانت ســاقيتها تجاه بابها فى علوة يصــعد اليها بمزلقان ، ويجرى المــاء منهــا الى الخانكاه على حائط مبنى ، وبه قنطرة يمر من تحتها المــارون ، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب . وقد أدركنــا ذلك ، وشــاهدنا دوران الثور فى الساقية .

ثم ان المترجم أبطل تلك الساقية ، وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة ، وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عالٍ مربع ، وعــلى أركانه عساكر فضة ، وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوى على أروقة ومساكن ، ومطبخ وكلار .

وذهبت الســاقية فى ضــمن ذلك وجعلها بئرا وعليه خرزة يملأون منهــا بالدلو ، ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها ، وكأنها لم تكن .

وقد ذكر هذه الخانكاه العــلامة المقريزى فى خططه عند ذكر الخوانك — لا بأس بايراد ما نصه للمناسبة — فقال :

« خانكاه أم أنوك ... هذه الخانكاه خارج باب البرقية بالصحراء ، أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقى . فجاءت من أجل المبانى ، وجعلت بها صوفية وقراء ، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها » .

ثم ترجمها بقوله : « طغاى الخوندة الكبرى ، زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأم ابنه الأمير « أنوك » كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ، ويقال انها أخت الأمير آقبغا عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال ، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ، وتنعمت فى ملاذ ما وصل سواها لمثلها ، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها ، وصارت خونده بعد ابنة توكاى ... أكبر نسائه ، حتى من ابنة الأمير « تنكز » ، وحج بها القاضى كريم الدين الكبير ، واحتفل بأمرها ، وحمل لها البقول فى محاير طين على ظهور الجمال ، وأخذ لها الأبقار الحلابة ، فسارت معها طول الطريق ، لأجل اللبن الطرى والجبن ، وكان يقلى لها الجبن فى الغداء والعشاء .

« وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن واللبن فى كل يوم بطريق الحج ! فما عساه يكون بعد ذلك !

« وكان القاضى كريم الدين ، وأمير مجلس ، وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ، ويسيرون بين يدى محفتها ويقبلون الأرض لها ، كما يفعلون بالسلطان .

« ثم حج بها الأمير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعماية ، وكان الأمير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة للسلطان لا بد أن يكون لخوند طغاى منها جزء وافر .

« فلما مات السلطان الملك الناصر ، استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت فى شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، أيام الوباء ، عن ألف جارية وثمانين خصيا ، وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة ، كثيرة الخير والصدقات والمعروف ... جهزت سائر جواريها ، وجعلت على قبر ابنها — بقبة المدرسة الناصرية ، بين القصرين — قراء ، ووقفت على ذلك وقفا ، وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ، ودفنت بهذه الخانكاه ، وهى من أعمر الأماكن الى يومنا هذا » .

يقول الحقير : انى دخلت هذه الخانكاه فى أواخر القرن الماضى ، فوجدت بها روحانية لطيفة ، وبها مساكن وسكان قاطنون بها ، وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء ، ودخلت الى مدفن الواقفة وعلى قبرها تركيبة من الرخام الأبيض ، وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرسى بخط جليل وهى مذهبة ، وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى ... فلو أن الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن فى حياته ، وبعد مماته . وبالله التوفيق .

وللمترجم طبقات جمعها فى تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره ، ومن قبلهم من أهل القرن الثانى عشر ... نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكى والأسنوى ، وأما المتأخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد .

وأظن أن ذلك آخر تأليفاته ، وعمل تاريخا قبله مختصرا فى نحو أربعة كراريس — عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر ، وخروج الفرنساوية منها — وأهداه اليه ، عدد فيه ملوك مصر ، وذكر فى آخره خروج الفرنسيس ودخول العثمانية — فى نحو ورقتين —وهو فى غاية البرود ، وغلط فيه غلطات ، منها : أنه ذكر الأشرف شعبان بن الأمير حسين

ابن الناصر محمد بن قلاوون . فجعله ابن السلطان حسن .. ونحو ذلك .

ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات ، فى يوم الخميس ثانى شهر شوال من السنة ، وصلى عليه بالأزهر فى جمع كثير ، ودفن بمدفنه الذى بناه لنفسه كما ذكر ، ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة ، أكبر من طبيزيته التى كان يلبسها فى حياته بكثير ، وعمموها بشاش أخضر ، وعصبوها بشال كشميرى أحمر ، ووقف شخص عند باب مقصورته ، وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ، ويأخذ منهم دراهم !

ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتدعوا له مولدا وعيدا فى أيام مولد العفيفى ، وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ، ونادى به تاج الشرطة بأسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد ، وكتبوا أوراقا ورسائل للأعيان ، وأصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور ، وذبحوا ذبائح ، وأحضروا طباخين وفراشين ، ومدوا أسمطة بها أنواع الأطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشاير والبدع ، ونصبوا قبالة تلك القبة صوارى علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمرا وصفرا يلوحها الريح . واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس ، وعملوا قهاوى وبياعين الحلوى والمخللات والترمس المملح والفول المقلى ، ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الأموات ، وأوقدوا بها النيران ، وصبوا عليها القاذورات ... مع ما يلحقهم من البول والغائط . وأما ضجة الأوباش والأولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود ، وصياحهم وضجيجهم ، فقد شاهدنا به ماكنا نسمعه من عفاريت الترب ، وضرب المثل بهم ، فهم أقبح منهم ، فان العفاريت الحقيقة لم نر لهم أفعالا مثل هذه !

ولما مات الشيخ المترجم ، ومضى على موته ثلاثة أيام ... اجتمع المشايخ فى يوم الأحد ، خامسه ، وطلعوا القلعة ، ودخلوا الى الباشا ، وذكروا له موت المترجم ، ويستأذنونه فيمن يجعلونه شيخا على الأزهر . فقال لهم الباشا : « أعملوا رأيكم ، واختاروا شخصا يكون خاليا عن الأغراض ، وأنا أقلده ذلك » . فقاموا من مجلسه ، ونزلوا الى بيوتهم ، واختلفت آراؤهم : فالبعض اختار الشيخ المهدى ، والبعض ذكر الشيخ محمد الشنوانى ، وأما الشيخ محمد الأمير فانه امتنع من ذلك ، وكذلك ابن الشيخ العروسى .

والشيخ الشنوانى المذكور منعزل عنهم ، وليس له درس بالأزهر ، ويقرأ دروسه بجامع الفاكهانى — الذى فى العقادين — وبيده وظائف خدم الجامع ، وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ، ويغسل القناديل ، ويعمرها بالزيت والفتائل ... حتى يكنس المراحيض ! فلما بلغه أنهم ذكروه ... تغيب .

ثم ان الباشا أمر القاضى ، وهو بهجة أفندى ، بأن يجمع المشايخ عنده ، ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور . فأرسل اليهم القاضى وجمعهم .. وذلك فى يوم الثلاثاء سابعه . وحضر فقهاء الشافعية ، مثل القويسنى والفضالى ، وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة ، فسأل القاضى : « هل بقى أحد ؟ » . فقالوا : « لم يكن أحد غائبا عن الحضور الا ابن العروسى ، والهيتمى ، والشنوانى » . فأرسلوا اليهم . فحضر العروسى والهيتمى . فقال : « وأين الشنوانى ؟ فلا بد من حضوره » . فأرسلوا رسولا فغاب ورجع وبيده ورقة ، ويقول الرسول : « انه له ثلاثة أيام غائبا عن داره ، وترك هذه الورقة عند أهله ، وقال ان طلبونى أعطوهم هذه الورقة » . فأخذها القاضى

وقرأها جهارا ، يقول فيها : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، لحضرة شيخ الاسلام ، اننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوى الهيتمى » الى آخر ما قال .

فعندما سمع الحاضرون ذلك القول ، قاموا قومة ، وأكثرهم طائفة الشوام ، وقال بعضهم : «هو لم يثبت له مشيخة حتى أنه ينزل عنها لغيره » . وقال كبارهم من المدرسين : «لا يكون شيخا الا من يدرس العلوم ، ويفيد الطلبة » . وزادوا فى اللغط ، فقال القاضى : « ومن الذى ترضونه ؟ » ، فقالوا : « نرضى الشيخ المهدى » ، وكذلك قال البقية . وقاموا وصافحوه ، وقرأوا الفاتحة .

وكتب القاضى اعلاما الى الباشا بما حصل ، وانفض الجمع ، وركب الشيخ المهدى الى بيته فى كبكبة ، وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين ، وشربوا الشربات ، وأقبلت عليه الناس للتهنئة .

وانتظر جواب الاعلان بقية ذلك اليوم ، فلم يأت الجواب . ومضى اليوم الثانى والمدبرون يدبرون شغلهم ، وأحضروا الشيخ الشنوانى من المكان الذى كان متغيبا فيه بمصر القديمة ، وتمموا شغلهم ، وأحضروا السيد منصور اليافاوى — المنفصل عن مشيخة الشوام — ليلا ، ليعيدوه الى مشيخة الشوام ، ويمنعوا الشيخ قاسما المتولى قمعا له ولطائفته ، الذين تطاولوا فى مجلس القاضى بالكلام ، وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل ، وركبوا فى الصباح الى القلعة ، فقابلوا الباشا ، فخلع على الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور ، وجعله شيخا على الأزهر ، وكذلك على السيد منصور اليافاوى ، ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان فى السابق . ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم أغات الينكجرية بهيئة الموكب ، وعلى رأسه المجوزة الكبيرة ، وأمامه الملازمون بالبراقع والريش على رؤوسهم . وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم ، فنزلوا بدار ابن الزليجى ، لأن دار ذات الشيخ الشنوانى صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع . والذى أنزله فى ذلك المنزل السيد محمد المحروقى ، وقام له بجميع الاحتياجات ، وأرسل من الليل الطباخين والفراشين والأغنام والأرز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة ، وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ، ومناولة القهوة والشربات ، والبخور وماء الورد . وازدحمت الناس عليه ، وأتوا أفواجا اليه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره .

ووصل الخبر الى الشيخ المهدى ومن معه ، وحصل لهم كسوف ، وبطلت مشيخته .

ولما كان يوم الجمعة ، حضر الشيخ الجديد الى الأزهر ، وصلى الجمعة ، وحضر باقى المشايخ ، وعملوا الختم للشيخ الشرقاوى ، وحصل ازدحام عظيم ، وخصوصا للتفرج على الشيخ الجديد ، وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون اليه ! وبعد فراغ الختم أنشد المنشد قصيدة يرثى بها المتوفى ، من نظم الشيخ عبد الله العدوى ، المعروف بالقاضى ، وانفض الجمع .

* * *

ومات الأستاذ المكرم ، بقية السلف الصالحين ، ونتيجة الخلف المعتقد : الشيخ محمد ، المكنى أبا السعود ، ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد أفندى ، المكنى بأبى المكارم ، ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد ، المكنى بأبى السرور ، صاحب الترجمة ابن السيد ، القطب الملقب بأبى السرور البكرى ، الصديقى العمرى من جهة الأم ، تولى خلافة سجادتهم فى سنة سبع عشرة ومائتين وألف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكرى . ولم تكن الخلافة فى فرعهم ، بل كانت فى أولاد الشيخ احمد بن عبد المنعم ،

وآخرهم السيد خليل المذكور . فلما حضرت العثمانية الى مصر ، واستقر فى ولايتها محمد باشا خسرو ، سعى فى السيد خليل الكارهون له ، وأنهوا اليه فيه ، ورموه بالقبائح ، ومنها : تداخله فى الفرنسيس ، وامتزاجه بهم . وعزلوه من نقابة الأشراف ، وردت للسيد عمر مكرم . ولم يكتفوا بذلك ، وذكروا أنه لا يصلح لخلافة البكرية ، فقال الباشا : « وهل موجود فى أولادهم خلافه ؟ » . قالوا : « نعم » . وذكروا المترجم فيمن ذكروه ، وأنه قد طعن فى السن ، وفقير من المال ، فقال الباشا : « الفقر لا ينفى النسب ! » وأمر له بفرس وسرج وعباءة - كعادة مركوبهم - فأحضروه وألبسوه التاج والفرجية ، وخلع عليه الباشا فروة سمور ، وأنعم عليه بخمسة آكياس ، وأن يأخذ له فائظا فى بعض الاقطاعات ، ويعفى من الحلوان . وسكن بدار جهة باب الخرق ، وراج أمره ، واشتهر ذكره من حينئذ ، وسار سيرا حسنا مقرونا بالكمال ، جاريا على نسق نظامهم بحسب الحال ، ويتحاكم لديه خلفاء الطرائق الصوفية ، وأصحاب الأشاير البدعية كالأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية فيفصل قوانينهم العادية وينتقل فى أوائل شهر ربيع الأول الى دار بالأزبكية بدرب عبد الحق ، فيعمل هناك وليمة المولد النبوى على العادة ، وكذلك مولد المعراج فى شهر رجب بزاوية الدشطوطى ... خارج باب العدوى .

ولم يزل على حالته وطريقته — مع انكسار النفس — الى أن ضعفت قواه ، وتعلل ولازم الفراش . فعند ذلك طلب الشيخ الشنوانى ، وباقى المشايخ ، وعرفهم أن مرضه الذى هو به مرض الموت ، لأنه بلغ التسعين وزيادة ، وأنه عهد بالخلافة على سجادتهم لولده السيد محمد لأنه بالغ رشيد ، والتمس منهم بأن يركبوا معه من الغد ، ويطلعوا الى القلعة ، ويقابلوا به الباشا فأجابوه الى ذلك ، وركبوا من الغد ، صحبته ، الى القلعة ، فخلع عليه الباشا فروة سمور ، ونزل الى داره بالأزبكية بدرب عبد الحق .

وتوفى المترجم فى أواخر شهر شوال من السنة ، وحضروا بجنازته الى الأزهر ، فصلوا عليه ، وذهبوا به الى القرافة ، ودفن بمشهد أسلافهم . رحمه الله تعالى .

❊ ❊ ❊

ومات الأجل المكرم ، المهذب فى نفسه ، النادرة فى أبناء جنسه : محمد افندى الودنلى ، الذى عرف بناظر المهمات ، ويعرف أيضا بـ « طبل » ، أى الأعرج ، لأنه كان به عرج .

قدم الى مصر فى أيام قدوم الوزير يوسف باشا ، وولاه محمد باشا خسرو كشوفية أسيوط ثم رجع الى مصر فى ولاية محمد على باشا ، فجعله ناظرا على مهمات الدولة ، وسكن ببيت سليمان أفندى ميسوا ، بعطفة أبى كلبه بناحية الدرب الأحمر ، فتقيد بعمل الخيام والسروج والبرقات ، ولوازم الحروب ، فضاقت عليه الدار ، فاشترى بيت ابن الدالى باللبودية ، بالقرب من قنطرة عمر شاه — وهى دار واسعة عظيمة متخربة — هى وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ، ورتب بها ورشات أرباب الأشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة ، كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ، ومصاريف طوائف العساكر الطبجية والعربجية والرماة ، وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ، ومكتبا لاقراء الأطفال ، ورتب تدريسا فى المسجد المذكور بعد العصر ، وقرر فيه السيد أحمد الطحطاوى الحنفى ، ومعه عشرة من الطلبة ، ورتب لهم ألف

عثمانى ، تصرف لهم من الروزنامة ، وللأطفال وكسوتهم خلاف ذلك ، ويشترى فى عيد الأضحى جواميس وكباشا ، يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين ، ويرسل الى أصحابه عدة كباش فى عيد الأضحية الى بيوتهم — الكبش والكبشين — على قدر مقاديرهم ، ويرسل فى كل ليلة من ليالى رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم الى الفقراء بالجامع الأزهر .

واتفق أن الباشا قصد تعمير المجراة والسواقى التى تنقل الماء من النيل الى القلعة . وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت ، وبطل عملها مدة سنين . فأحضروا المعمارجية ، فهولوا عليه أمرها ، وأخبروه أنها تحتاج خمسمائة كيس تنفق فى عمارتها ، فعرض ذلك على المترجم فقال له : « أنا أعمرها بمائة كيس » . قال : « كيف تقول ؟ » . قال : « بل بثمانين كيسا » .

والتزم بذلك ، ثم شرع فى عمارتها حتى أتمها على ماهى عليه الآن ، وأهدى اليه رجال دولتهم عدة أثوار معونة له ، فعمر أيضا سواقيها ، وأدارها ، وجرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها ، وانتفع بها أهل تلك الجهات ، ورخص الماء ، وكثر فى تلك الأخطاط ، وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء عدة سنين .

ومما عد من مناقبه أن القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة ، كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين ، من الفلاحين وغيرهم ، ومعهم أشياء أو أحمال — ولو حطبا أو برسيما أو تينا أو سرجينا — دراهم على كل شىء ، ولو امرأة فقيرة معها ، أو على رأسها ، مقطف من رجيع البهائم تبيعه فى الشارع وتقتات بثمنه ... فيحجزونها ولا يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف فضة ، ثم يأخذون أيضا من ذلك الشىء ، ويأخذون على كل حمل حمار أو بغل أو جمل نصف فضة . واذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة أردب غلة أو حملة حطب لعياله ، أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون . فاذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد ... وهكذا سائر الطرق التى يدخل منها المارة الى المدينة ويخرجون ، مثل باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب الشعرية ، وباب العدوى ، وطرق الأزبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصرالقديمة . فسعى المترجم بابطال ذلك ، وتكلم مع الباشا ، وعرفه تضرر الناس ... وخصوصا الفقراء . وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم — وهذا قدر زائد — فرخص له فى ابطال هذا الأمر ، وكتب له « بيورلدى » بمنع هؤلاء المركوزين عن أخذ شىء من الناس جملة كافية . وقيد بكل مركز شخصا من أتباعه لمراقبتهم ، وأشاع ذلك فى الناس . فانكفوا وامتنعوا عن أخذ شىء من عامة الناس .

وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار ، وذلك خلاف ما يأخذونه من الأشياء المحمولة ، كالجبن والزبد والخيار والقثاء ، وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والأحطاب والخضارات وغير ذلك .

ومن مناقبه أيضا : أن الجاويشية والقواسة الأتراك ، المختصين بخدمة الباشا والكتخدا ، كان من عوائدهم القبيحة أنهم فى كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم ، وينتشرون بالمدينة ، ويطوفون على بيوت الأعيان ، وأرباب المظاهر ، وأصحاب المناصب ، ويأخذون منهم البقاشيش ، ويسمونها الجمعية — فما هو الا أن يصطبح أحد من ذكر ، ويجلس مجلسه ، الا واثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان ، فيقفون قبالته وبأيديهم العصى

المفضضة ، فيعطيهم القرشين أو الثلاثة ... بحسب منصبه ومقامه . فاذا ذهبوا وانصرفوا حضر اليه خلافهم ... وهكذا . ولا يرون فى ذلك ثقلا ولا رذالة ، بل يرون أن ذلك من اللازمات الواجبة . فلا يكفى أحد المقصودين : الخمسون قرشا ، أو أقل ، أو أكثر — فى ذلك اليوم — تذهب سبهللا . فكان منهم من ينقطع فى حريمه ذلك اليوم ، أو يتوارى ويتغيب عن منزله . فاذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فيما فاتهم فى السابق : فاما سامحوه وامتنوا عليه بتركها ، أو طالبوه بها ان لم يكن ممن يخشوه ، فسعى أيضا المترجم مع الباشا فى منعهم من ذلك .

ومن مساويه : أنه أول من فتح باب الزيادة فى متحصل الضربخانة ، حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لأهل الضربخانة ، وأوقع بهم ماتقدم ذكره . ومنها احداث المكس على اللبان والحناء والصمغ على ما قيل :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وبالجملة « فمن رأس العين يأتى الكدر » كما قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد ، وقال له : « يا أبا الحرث . ما صلاح بلدكم ؟ » . فقال له : « أما صلاح أمر زراعتها وجدبها وخصبها ... فبالنيل . وأما صلاح أحكامها ... فمن رأس العين يأتى الكدر » . فقال له : « صدقت » . ذكر ذلك الحافظ بن حجر فى « المرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية » .

وعلى كل ... فكان المترجم أحسن من رأينا فى هذه الدولة . وكان قريبا من الخير وفعله ، مواظبا على الصلوات الخمس فى أوقاتها ، ملازما على الاشتغال ومطالعة الكتب ، والممارسة فى دقائق الفنون . واقتنى كتبا كثيرة فى سائر الفنون واستنباط الصنائع ، حتى أنه صنع الجوخ الملون الذى يعمل ببلاد الافرنج ، ويجلب الى الآفاق ، ويلبسه الناس للتجمل ... وكان قل وجوده بمصر ، وغلا ثمنه . فعمل عدة أنوال ومناسج غريبة الوضع ، وأحضر أشخاصا من النساجين ، فنسجوا الصوف بعد غزله مدات حددها لهم فى الطول والعرض ، ثم يتسلمه رجال أعدهم لتخميره وتلبيده بالقلى والصابون ، منشورا ومطويا بكيفيات فى أوقات وأيام ، بمباشرته لهم فى العمل واشارته ، ثم يضعونه مطويا فى أحواض من خشب ثخين مزفت ، تمتلىء بالماء من ساقية ، صنعها لخصوص ذلك ، يصب منها الماء الى تلك الأحواض ، تديرها الأثوار . وعلى تلك الأحواض مدقات شبيهة بمدقات الأرز ، تتحرك فى صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية ، وما يفيض من ماء الأحواض يجرى الى بستان زرعه حول ذلك ، فيسقى ما به من الأشجار والمزارع ، فلا يذهب الماء هدرا ، ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردخونه ويصبغونه بأنواع الأصباغ ، ويضعونه فى مكبس كبير يقال له « التخت » صنعه لذلك ، وعند ذلك يتم عمله . فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك لغرابته عندهم .

ثم حضر اليه شخص فرنساوى ، وأشار عليه باشارات فى تغيير المدقات ، وأفسد العمل ، واشتغل هو بكثرة المهمات ، فتكاسل عن اعادتها ثانيا ، وبطل ذلك .

وكان ، مع كثرة أشغاله ومصاريفه ، ليس له كاتب ، بل يكتب ويحسب لنفسه ، وبين يديه عدة دفاتر : لكل شىء دفتر مخصوص ، ولا يشغله شىء عن شىء .

ولما اتسعت دائرته ، وكثرت حاشيته ، واجتمعت

فيه عدة مناصب ، مضافة لنظر المهمات — مثل : معمل البارود ، وقاعة الفضة ، ومدابغ الجلود ، وغير ذلك — فكان كتخدا بيك يحقد عليه فى الباطن لأمور بينهما ، حتى قيل ان نفسه طمحت فى الكتخدائية . فكان يتصدر فى الأمور والقضايا ، ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويرادده ، ويدخل عليه من غير استئذان . فلم يزل الكتخدا يلقى فيه الدسائس ، ويعمل معدل الأشغال التى تحت نظره ، ويعرف الباشا بما يتوفر من ذلك ... حتى نزعه من نظارة جميع المهمات ، وقلدها صالح كتخدا الرزاز .

ومما نقمه عليه ، أن الكتخدا حضر لزيارة المشهد الحسينى فى عصرية يوم من رمضان ، ثم ركب متوجها الى داره قبيل الغروب فصادف فى طريقه عدة قصاع كبار مغطاة ، تحملها الرجال . فسأل عنها فعرفوه أن المترجم يرسلها فى كل ليلة من ليالى رمضان الى فقراء الجامع الأزهر — وبها الثريد واللحم — فامتعض من ذلك ، وعرف الباشا أنه يؤلف الناس ويتودد اليهم بأموالك ، ونحو ذلك !

واستمر المترجم بطالا نحو السنتين ، ولم يتضعضع ، ولم يظهر عليه تغير ، ونظامه ومطبخه على حاله ، وطعامه مبذول ، ورواتبه جار . وفى تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة ، وعانى الحسابيات وصناعة التقويم ... حتى مهر فى ذلك ، وعمل الدستور السنوى ، وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة ، وتداخل التواريخ والأهلة ، والاجتماعات والاستقبالات ، وطوالع التحاويل والنصبات . ويصنع بيده أيضا الصنائع الفائقة : مثل الظروف التى تأتى من بلاد الهند والافرنج والروم ، ويضع فيها الكتبة محابرهم وأقلامهم ، فيصنعها أولا من الخشب الرقيق والقرطاس المقوم المتلاصق ، ويصبغها وينقشها بأنواع الليق ، ويعيد على النقوشات بالسندروس المحلول ، ويضعها فى صندوق من الزجاج صنعه لخصوص تلك الأشياء والقبورات ، وجفاف دهانها بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء والغبار . وعند تمامها تكون فى غاية الحسن والظرافة والبهجة ، بحيث لا يشك من يراها بأنها من صناعة الهند أو الافرنج المتقنين الصناعة .

وكان كلما سمع بشخص ذى معرفة لصناعة من الصنائع أو المعارف ، اجتهد فى تحصيلها وتلقيها عنه بأى وجه كان — ولو ببذل الرغائب وأعد بمنزله أماكن لأشخاص من أرباب المعارف : ينزلهم فيها ، ويجرى عليهم النفقات والكساوى حتى يجتنى ثمار معارفهم وصنائعهم . ويجتمع عنده فى كل ليلة جمعة جماعة من القراء التى مساكنهم قريبة من داره فيذكر الله معهم حصة من الليل ، ثم يفرق فيهم دراهم .

ولما طال به الاهمال ، وفتور الأحوال ... والباشا قليل الاقامة بمصر ، وأكثر أيامه غائب عنها ، فحسن بباله الرحلة من مصر الى الديار الرومية ، ويذهب الى بلاده فاستأذن الباشا عند وداعه ، وهو متوجه الى ناحية قبلى ، فأذن له . وأخذ فى أسباب السفر ، فأرسل الكتخدا الى الباشا ، ودس اليه كلاما ، فأرسل بمنعه ويرتب له خروجا لمطبخه ... فتعوق عن السفر على غير خاطره .

وفى أوائل السنة حضرت اليه والدته وابنته وزوجها ، فأنزلهم فى دار تجاه داره ، وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه من النفقة . فاتفق أن صهره المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث ، وحنث فيه ، ففرق بينه وبين ابنته ، وطرده ، فشكاه الى كتخدا بك ، فكلمه فى شأن ، فلم يقبل وقال . « لا يجوز

ان أحلل المحرم لأجلك » . واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقى ما يلقيه فى حقه من النميمة ، ويذكر له عنه فى حقــه ما يزيده غيظا وكراهة ، ويقول له : « انه يجمع أناسا فى كل ليـلة جمعة يقرءون ويدعون عليك وعلى مخدومك » ، وذكر له أنه يقول لكم ان قصده السفر الى بلده ، وانما قصده السفر الى اسلامبول، وليجتمع على مخدومه الأول لكونه تولى قبودان باشا ورياسة الدونانمة ، ويقول عندما أكون بدار السلطنة أفعل وأفعل ، وأخبرهم بحقيقة هؤلاء وأفاعيلهم ، وأنقض عليهم أمرهم . وذكر له أيضا أنه اسـتخرج من أحكام النجوم التى يعانيها ، أن الباشا يحصـل له نكبة بعد مدة قريبة ، ويحصل ما يحصل من الفتن ... فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ، ونحو ذلك .

فلما رجع الباشـا من سفرته ، توسل المترجم بالكتخدا فى أن يأخذ له اذنا من الباشا بالسـفر — وهو لايعلم سريرته — ففاوض الباشا فى ذلك ، وألقى اليه ما ألقاه ، حتى أوغر صدره منه ، ثم رد عليه بقوله : « انى استأذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك ، وقال : ان كان عن ضيق فى المعيشة ، فأطلق له فى كل شهر كيسين ، عنها أربعون ألف نصف فضة » . فلما قال له ذلك قال : « أنا لايكفينى هذا المقدار ، فان كان فيطلق لى خمسة أكياس » . فقال : « لم يرض بأزيد مما ذكرته لك » . وكل ذلك مخادعة من الكتخدا ليحقـق ما حشـده فى صدر مخدومه . وما زال يتردد فى طلب الاذن ، حتى أذن له ، وأضمر له القتل بعـد خروجه من مصر !

فعند ذلك باع داره ، وما استجده حـولها ، والبستان خارج قنـاطر السـباع ، وما زاد عن حاجته من الأشـياء والأمتعـة ، واشترى عبيدا وجوارى ، وقضى لوازمه ، وسافر الى رشيد ... فعند ما مضى من نزوله يومان أو ثلاثة ، كتبوا الى خليل بيك ، حاكم الاسكندرية ، مرسوما بقتله . فبلغه خبر ذلك ، وهو بثغر رشيد ، فلم يصدقه ، وقال : « أى ذنب أسـتوجب به القتل ؟ ولو أراد قتلى ما الذى يمنعه منـه وأنا عنده بمصر . وأنا سافرت باذنه وودعتـه ، وقبلت يديه وطـرفه ، وأخذت خاطره ، وهو مبشوش معى كعادته ! » .

فلما حصل بالاسكندرية ، واستقر بالسفينة ، ومضى أيام وهم ينتظرون اعتدال الريح ، والاذن من الحاكم بالاقلاع ، ووصل المرسوم الى خليـل بيك ، أرسل اليه فى وقت يدعوه ليتغدّى معه فى رأس التين . ونظر الي خليل بيك ، وهو واقف فى انتظاره على بعد منه فوق علوة ، فأجاب ، وخرج من السـفينة ، فوصل اليه جمـاعة من العسكر ، وأحاطوا به ... فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ، ونظر الى خليل بيك فلم يره ، فقـال : « أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى ركعتين » . وقام من حلاوة الروح وألقى بنفسه فى البحر ، فضربوا عليه بالرصاص ، وأخرجوه وتمموا قتله ، وأخرجوا صناديقه ، وأخذوا ما فيها من الكتب لأن الباشا أرسل بطلبها . وأخذ ما معه من المـال والدراهم خليل بيك ، فأعطى لولده جانبـا منه ، وأذن له بالسفر مع عياله . وانقضى أمره ، ووصلت الكتب الى سراية الباشا ، وأودعت عند ولى خوجا ، وتبدد الكثير منها ، وفرق منها عدة على غـير أهلها . وكانت قتلته فى أواخر شهر صفر من السنة . والله أعـلم .

المحــرم

الاثنين غرته (٤ يناير ١٨١٣ م) :

فيه : وصل الخبر من الجهة القبلية بأن ابراهيم بيك — ابن الباشــا — قبض على أحمد أفندى ابن حافظ أفنــدى ، الذى بيــده دفاتر الرزق الأحباسية ، وشنقه ، وضرب قاسم أفنــدى ابن أمين الدين -- كاتب الشهر — علقة قوية . وكان والده أصحبهما معه ليباشرا معه الأمور ، ويعرفاه الأحوال . وكان قاسم أفنــدى خصيصا به مثــل الوزير ، والصاحب ، والنديم ، ورتب له الباشا فى كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوى ، وشرط عليه المناصحة فى كشف المســتورات ، وما يكون فيه تحصيل الأموال ... فكأنه قصر فى كشف بعض الأشياء ، وأرسل الى والده يعلمه بخيانته ، هو وكاتب الأرزاق ، وأنهما منهمكان فى ملاذهما ، فأذن له فى فعله بهما ما ذكر ، وأخذ ما كانا جمعاه لأنفسهما ، وأظهر أنه انما فعل بهما ذلك عقوبة على ارتكابهما المعصية .

السبت ٢٠ منه (٢٣ يناير ١٨١٣ م) :

حضر ابراهيم بيك المذكور الى مصر .

وفيه : حصلت منافســة بين حســين أفنــدى الروزنامجى وبين شخصين من كتابه ، وهما : مصطفى باش جاجرت ، وقيطاس أفندى ، ولعل ذلك باغراء باطنى على حسين أفندى ، فرفعا أمرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وأمور يفعلهــا حسين أفندى ويخفيها عن الباشا ، وأنه اذا حوسب على السنين الماضية ، يطلع عليه ألوف من الأكياس .

فعندما سمع ذلك أمرهما بمباشرة حسابه عن أربع سنوات متقدمة . فخرجا من عنده ، وأخــذا صحبتهما مباشرا تركيا ، ونزلوا على حين غفلة بعد العصر ، وتوجهوا الى منزل أخيه عثمان أفنــدى السرجى ، ففتحوا خــزانة الدفاتر ، وأخــذوها بتمــامها ، الى بيت ابن الباشــا ابراهيم بيــك الدفتردار .

واجتمعوا فى صبحها للمحاققة والحســاب مع أخيه عثمان أفندى المذكور ، واستمروا فى المناقشه والمحاققة عدة أيام ... مع المرافعة والمدافعة ؛ والميل الكلى على حسين أفندى ، ويذهبون فى كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون ، وبالقدر الذى ظهر عليه . فيعجبــه ذلك ، ويثنى عليهمــا ، ويحرضهما على التدقيق ، فتنتفخ أوداجهما ، ويزيدان فى الممانعة والمدافعه والمرافعة فى الحساب .

وحسين أفندى على جليته ، ويظن أنه على عادته فى كونه مطلق التصرف فى الأموال الميرية ، ويبلغها اذا سئل فيها للقــائم بالدولة ، ايرادا ومصرفا ، ليكون اجمالا لا تفصيلا ، لكونه أمينا وعدلا .

وكان الايراد والمصرف محــررا ومضــبوطا فى الدفاتر التى بأيدى الأفندية الكتاب ، ومن انضم اليهم من كتاب اليهود فى دفاترهم أيضا بالعبرانى ، لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الأخرى .

فلمــا استــقل هذا الباشــا بمملكة الديار المصرية ، واســتغول فى تحصــيل الأموال بأى

وجه ، واستحدث أقلام المكوس ، وجعلها فى دفاتر تحت أيدى الأفندية وكتبة الروزنامة ، فصارت من جملة الأموال الميرية : فى قبضها وصرفها ، وتحاويلها .. والباشا مرخى العنان للروزنامجى ، ومرخص له فى الاذن والتصرف ... والروزنامجى كذلك مرخى العنان لأحد خواص كتابه ، المعروف بأحمد اليتيم ، لفطانته ، ودرايته . فكان هو المشار اليه من دون الجميع ، ويتطاول عليهم ، ويمقت من فعل فعلا دون اطلاعه ، وربما سبه — ولو كان كبيرا أو أعلى منزلة منه فى فنه — فيمتلىء غيظا ، وينقطع عن حضور الديوان ، فيهمله ولا يسأل عنه .. والأفندى الكبير لايخرج عن رأيه لكونه سادا مسد الجميع . فدبروا على أحمد أفندى المذكور ، وحفروا له ، وأغروا به حتى نكبه الباشا ، وصادره فى ثمانين كيسا ، ومخدومه حسين أفندى ، فى أربعمائة كيس .

وانقطع أحمد افندى عن حضور الديوان ، وتقدم المتأخر ، وضم الباشا الى ديوانهم من طرفه خليل أفندى ، وسموه « كاتب الذمة » بمعنى أنه لا يكتب تحويلا ، ولا ورقة ميرى ، ولا خلاف ذلك ، مما يسطر فى ديوانهم ، حتى يطلع عليه خليل أفندى المذكور ، ويرسم عليه علامته . فأحاط علمه بجميع أسرارهم ... وكل قليل يستخبر منه الباشا ، فيحيطه بمعلوماته . ولم يزل حتى تحول ديوانهم ، وانتقل الى بيت خليل أفندى تجاه منزل ابراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية ، وترأس بالديوان قاسم أفندى كاتب الشهر وقريبه قيطاس أفندى ومصطفى أفندى باش جاجرت .

وبعد عدة أشهر سافر ابراهيم بيك ، وأخذ صحبته قاسم أفندى على الصورة المتقدمة ... والروزنامجى وولده محمد أفندى يراعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له ، ويضمانه فى عهدتهما . فلما وصل الخبر بنكبة ابراهيم بيك لقاسم أفندى ، فعند ذلك قصرا معهما ، وأظهر ابن الروزنامجى مكمون غيظه فى حقهما ، ومانعهما أيضا ، وخشن القول لهما ، فاتفقا على انهاء الحال الى باب الباشا ففعلا ما ذكر .

وكان حسين أفندى عند ما استأذن الباشا فى صرف الجامكية السائرة ، للعامة والخاصة ، فأذن له فى صرف ما يتعلق بمشايخ العلم والأفندية الكتبة ، والسيد محمد المحروقى بالكامل ، وما عداهم ربع استحقاقهم ، وكتب له فرمانا بذلك ... فقال له الروزنامجى : « فى بعضهم من يستحق المراعاة كبعض أهل العلم الخاملين ، وأهل الحرمين المهاجرين ، ومستوطنين بمصر بعيالهم ، وليس لهم ايراد يتعيشون منه الا ما هو مرتب لهم من العلائف فى كل سنة ، وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميرى ، وبعضه بما لهم من الاتلافات ، والعلائف والغلال» . فقال له : « النظر فى ذلك فى ذلك لرأيك ... فان هذا شىء يعسرضبط جزئياته » . فاعتمد ذلك ، وطفق يفعل فى البعض بالنصف ، والبعض بالثلث ، أو الثلثين. وأما العامة والأرامل ، فيصرف لهم الربع لاغير ، حسب الأمر ، ويقاسون فى تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعى وتكرار الذهاب ، والتسويف ، والرجوع فى الأكثر من غير شىء ، مع بعد المسافة ، وفيهم الكثير من العواجز .

فلما ترافعوا فى الحساب ، مانع المتصدر فيما زاد على الربع ، وطلع الى الباشا فعرفه بذلك ، فقال الباشا : « لا تخصموا له الا ما كان باذنى وفرمانى ، وما كان بدون ذلك فلا » . وأنكر الحال السابق منه له ، وقال : « هو متبرع فيما فعله » . فتأخر عليه مبلغ كبير فى مدةأربع سنوات. وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه ، فلا يسعه الممانعة ، ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان ، اتكالا على الحالة التى هو معه

عليها . فرجعوا عليه فى كثير من ذلك ، وتأخر عليه مبلغ كبير أيضا ، فتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق ، فبلغت نحو الألف كيس ومائتى كيس وكسور تبلغ فى الأربع سنوات خمسة آلاف كيس . فتقلق حسين أفنـدى ، وتحـير فى أمره ، وزاد وسواسه ، ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا .

أواخره (أواخر يناير ١٨١٣ م) :

عمل الباشا مهما لختان ابن بونابرته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز ، وعملوا له زفة فى يوم الجمعة بعد الصلاة ، اجتمع الناس للفرجة عليها .

وفيه أيضا : زاد الارجاف بحصول الطاعون وواقع الموت منه بالأسكندرية ، فأمر الباشا بعمل كرنتيلة بثغر رشـيد ودمياط والبرلس وشبرا ، وأرسل الى الكاشف الذى بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر . وأمر أيضا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، وكذلك يقرأون بالمساجد والزوايا سورة الملك والأحقاف فى كل ليـلة بنيـة رفع الوباء فاجتمعوا الا قليلا بالأزهر نحو ثلاثة أيام ، ثم تركوا ذلك ، وتكاسلوا عن الحضور .

الاثنين ٢٩ منه (أول فبراير ١٨١٣ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة . وكان المنكسف نحو ثلاثة أرباع الجرم ، وكانت الشمس فى برج الدلو أيام الشتاء فأظلم الجو الا قليلا ، ولم يتنبه له كثير من الناس لظنهم أنها غيوم متراكمة لأنهم فى فصل الشتاء .

صفر

الاربعاء غرته (٣ فبراير ١٨١٣ م) :

فى أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة ، واستمرت لعصر يوم السبت ، وكانت قوتها يوم الجمعة . أثارت غبارا أصفر ، ورمالا ، مع غيم مطبق وقتام ، ورش مطر قليل فى بعض الأوقات

الثلاثاء ٧ منه (٩ فبراير ١٨١٣ م) :

وردت بشائر من البلاد الحجازية ، باسـتيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب . وذلك أنه لما انهزمت الأتراك فى العام الماضى ، ورجعوا على الصورة التى رجعوا عليها ، مشتتين ومتفرقين ، وفيهم من حضر من طريق السويس ، ومنهم من أتى من البر ، ومنهم من حضر من ناحية القصير ، ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير أمره ، ويخشى صولته ، ويرى فى نفسه أنه أحق بالرياسة منه — مثـل صالح قوج ، وسليمان ، وحجو — وأخرجهم من مصر ، واستراح منهم ، ثم قتل أحمد أغا لاظ ... جدد ترتيبا آخر .

وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم واندرجوا معه ، وشيخ الحويطات ، أن الذى حصل لهم انما هو من العرب المؤهبين — وهم عرب حرب — والصـفراء ، وأنهم مجهودون ... والوهابيـة لا يعطونهم شيئا ، ويقولون لهم : « قاتلوا عن دينكم وبلادكم » . فاذا بذلتم لهـم الأموال ، وأغدقتم عليهم بالانعام والعطاء ، ارتدوا ورجعوا وصاروا معكم ، وملكوكم البلاد .

فاجتهد الباشا فى جمع الأموال بأى وجه كان ، واستأنف الطلب ، ورتب الأمور ، وأشاع الخروج بنفسه ، ونصب العرضى خارج باب النصر ، وذلك فى شهر شعبان . وخرج بالموكب كما تقدم ، وجلس بالصـيوان ، وقرر للسـفر فى المقدمة بونابارته الخازندار ، وأعطاه صناديق الأموال والكساوى ، ورافق معه عابدين بيك ومن يصحبهما ، وواظب على الخـروج الى العرضى ، والرجوع تارة الى القلعة ، وتارة الى الأزبكية والجيزة وقصر شبرا ، ويعمل الرماحة والميدان فى يومى الخميس والاثنين ، والمصاف على طرائق حرب الافرنج .

وسافر بونابارته فى أواخر شعبان ، واسـتمر العـرضى منصـوبا ، والطلب كذلك مطلوبا ،

والعساكر واردة من بلادها على طريق الاسكندرية ودمياط ، ويخرج الكثير الى العرضى ، ويستمرون على الدخول الى المدينة فى الصباح لقضاء أشغالهم ، والرجوع أخريات النهار مع تعدى أذاهم للباعة والحمارة وغيرهم .

ولما غدر الباشا بأحمد أغا لاظ وقتله فى أواخر رمضان ، ولم يبق أحد ممن يخشى سطوته ، وسافر عابدين بيك فى شوال ، وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بيك دالى باشا ، وصحبته عدة وافرة من العسكر ، ثم سافر أيضا يحيى أغا ومعه نحو الخمسمائة ، وهكذا ... كل قليل ترحل طائفة بعد أخرى . والعرضى كما هو ، وميدان الرماحة كذلك .

ولما وصل بونابرته الى ينبع البر ، أخذوا فى تأليف العربان واستمالتهم ، وذهب اليهم ابن شديد الحويطى ومن معه ، وتقابلوا مع شيخ حرب ، ولم يزالوا به حتى وافقهم . وحضروا به الى بونابرته ، فأكرمه وخلع عليه الخلع ، وكذلك على من حضر من أكابر العربان ، فألبسهم الكساوى والفراوى السمور والشالات الكشميرى ... ففرق عليهم من الكشمير ملء أربع سحاحير وصب عليهم الأموال ، وأعطى لشيخ حرب مائة ألف فرانسة عين . وحضر باقى المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم ، فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة . ثم رتب لهم علائف تصرف لهم فى كل شهر : لكل شخص خمسة فرانسة ، وغرارة بقسماط ، وغرارة عدس . فعند ذلك ملكوهم الأرض ، والذى كان متأمرا بالمدينة من جنسهم استمالوه أيضا ، وسلم لهم المدينة . وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب أمير مكة ، وتدبيره واشاراته . فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب أمره ، وملكهم مكة والمدينة .

وكان ابن سعود الوهابى حضر فى الموسم وحج ، ثم ارتحل الى الطائف . وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله ، وسيلقى جزاءه !

ولما وصلت البشائر بذلك فى يوم الثلاثاء سابعه ، ضربوا مدافع كثيرة ، ونودى فى صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق ، فزينوا خمسة أيام : أولها الأربعاء ، وآخرها الأحد . وقاسى الناس فى ليالى هذه الأيام العذاب الأليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل . وكان ذلك فى قوة فصل الشتاء ، وكل صاحب حانوت جالس فيها ، وبين يديه مجمرة نار يتدفأ ويصطلى بحرارتها ، وهو ملتف بالعباءة والأكسية الصوف أو اللحاف .

وخرج الباشا من ليلة الأربعاء المذكور ، ونصبت الخيام ، وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والأوانى وأزيار الماء ، والبارود لعمل الشنانك والحرائق . وفى كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل ، مثل الرعود والطبول ، من طلوع الشمس الى قريب الظهر .

وفى أول يوم من أيام الرمى أصيب ابراهيم بيك ابن الباشا برصاصة فى كتفه .. أصابت شخصا من السواس ، ونفذت منه اليه وهى باردة ، فتعلل بسببها ، وخرج بعد يومين فى عربة الى العرضى ثم رجع .

ولما كان يوم الأحد وقت الزوال ، ركب الباشا وطلع الى القلعة ، وقلعوا خيام الشنك ، وحملوا الجمال ، ودخلت طوائف العسكر . وأذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق ... وكان الناس قد عمروا القناديل ، وأشاعوا أنها سبعة أيام .

فلما حصل الاذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال ، وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر ، وتعطيل الأشغال وكساد الصنائع ، والتكليف بما لا طاقة لهم به . وفيهم من لا يملك قوت عياله ، أو تعمير سراجه ، فيكلف مع ذلك هذه التكاليف .



ابراهيم

وكتب الباشا بالبشائر الى دار السلطنة ، وأرسلها صحبة أمين جاويش . وكذلك الى جميع النواحى ، وأنعم بالمناصب على خواصه .

وفى هذا الشهر : وردت أخبار بوقوع أمطار وثلوج كثيرة بناحية بحرى وبالأسكندرية ورشيد بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة ، وشدة برد . ومات من ذلك أناس وبهائم ، والزروع البدرية ، وطفه على وجه الماء أسماك موتى كثيرة ، فكان موج البحر يلقيه على الشطوط ، وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التى هبت فى أول الشهر .

وفيه : أحضر الباشا حسين أفندى الروزنامجى ، وخلع عليه خلعة الابقاء على منصبه فى الروزنامه ، وقرر عليه ألفين وخمسمائة كيس ! وذلك أنهم لما رافعوه فى الحساب على الطريقة المذكورة أرسل اليه الباشا بطلب خمسمائة كيس من أصل الحساب ، فضاق خناقه ، ولم يجد له شافعا ولا ذا مرحمة . فأرسل ولده الى محمود بيك الدويدار يستجير فيه ، وليكون واسطة بينه وبين الباشا — وهو رجل ظاهره خلاف باطنه — فذهب معه الى الباشا فبش فى وجهه ورحب به ، وأجلسه محمود بيك فى ناحية من المجلس ، وتناجى هو مع الباشا ، ورجع اليه يقول له : « انه يقول : ان الحساب لم يتم الى هذا الحين ، وأنه ظهر على أبيك تاريخ أمس ، خمسة آلاف كيس وزيادة ، وأنا تكلمت معه ، وتشفعت عنده فى ترك باقى الحساب والمسامحة فى نصف المبلغ والكسور ، فيكون الباقى ألفين وخمسمائة كيس تقومون بدفعها » !

فقال : « ومن أين لنا هذا القدر العظيم .. وقد عزلنا من المنصب أيضا حتى كنا تتداين ؟! ولا يأمننا الناس اذا كان القدر دون هذا أيضا » .

فرجع الى الباشا وعاد اليه يقول له : « لم يمكنني تضعيف القدر بسوى ما سامح فيه . وأما المنصب فهو عليكم ... وفى غد يطلع والدك ويتجدد عليه الابقاء ، وينكمد الخصم . وعلى الله السداد » .

ونهض وقبل يده ، وتوجه فنزل الى دارهم ، وأخبر والده بما حصل ... فزاد كربه ، ولم يسعه الا التسليم ، وركب فى صبحها وطلع الى الباشا ، فخلع عليه ، ونزل الى داره بقهره ، وشرع فى بيع تعلقاته وما يتحصل لديه !

الاثنين ١٣ منه (١٥ فبراير ١٨١٣ م) :

خلع الباشا على مصطفى أفندى ، ونزل إلى داره ، وأتاه الناس يهنئونه بالمنصب !

الاربعاء ٢٢ منه (٢٤ فبراير ١٨١٣ م) :

وردت بشائر بتملكهم الطائف ، وهروب المضايفى منها . فعملوا شنكا ، وضربوا مدافع

كثيرة من القلعة وغيرها ، ثلاثة أيام ، فى كل وقت أذان . وشرع الباشا فى تشهيل ولده اسماعيل باشا بالبشارة ليسافر الى اسلامبول . وتاريخ تملكها فى سادس عشرين المحرم (٢٩ يناير ١٨١٣) .

وفى هذه الأيام : ابتدعوا تحرير الموازين ، وعملوا لذلك ديوانا بالقلعة ، وأمروا باِبطال موازين الباعة واحضار ما عندهم من الصنج ... فيزنون الصنجة : فان كانت زائدة أو ناقصة ، أخذوها وأبقوها عندهم ، وان كانت محررة الوزن ، ختموها بختم . وأخذوا على كل ختم صنجة ثلاثة أنصاف فضة ، وهى النصف أوقية والأوقية ... الى الرطل الذى يكون وزنه غير محرر يعطوه رطلا من حديد ويدفع ثمنه مائة نصف فضة ، والنصف رطل خمسون ... وهكذا . وهو باب يتجمع منه أكياس كثيرة .

وفيه أيضا : طلب الباشا من عرب الفوائد غرامة سبعين ألف فرانسة فعصوا ورمحوا باقليم الجيزة ، وأخذوا المواشى ، وشلحوا من صادفوه . ورمح كاشف الجيزة عليهم ، فصادف منهم أباعر محملة أمتعة لهم ، وصحبتهم نساء وأولاد ، فأخذهم ورجع بهم .

وفيه : سافر ابراهيم بيك ابن الباشا الى ناحية قبلى ، ووصلت الأخبار بوقوع الطاعون بالاسكندرية . فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وعسفهم وعدم مرحمتهم !

ربيع الأول

الخميس غرته (٤ مارس ١٨١٣ م) :

قلدوا شخصا يسمى حسين البرلى ، وهو الكتخدا عند كتخدا بيك ، وجعلوه فى منصب بيت المال ، وعزلوا رجب أغا ... وكان انسانا سهلا لا بأس به . فلما تولى هذا ، أرسل لجميع مشايخ الخطط والحارات ، وقيد عليهم بأنهم يخبرونه بكل من مات من ذكر أو أنثى ، ولو كان ذا أولاد أو ورثة أو غير ذلك ، وكذلك على حوانيت الأموات . وأرسل فرمانات الى بلاد الأرياف والبنادر بمعنى ذلك .

الأحد ٤ منه (٧ مارس ١٨١٣ م) :

طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى ، وطلب منه ما قرره عليه — وكان قد باع حصصه وأملاكه ودار مسكنه ، فلم يوف الا خمسمائة كيس — فقال له : « ما لك لم توف القدر المطلوب ؟ وما هذا التأخير وأنا محتاج الى المال ؟ » . فقال : « لم يبق عندى شىء ، وقد بعت التزامى وأملاكى وبيتى ، وتداينت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس وها أنا بين يديك » ! فقال له : « هذا كلام لا يروج على ، ولا ينفعك ، بل أخرج المال المدفون » . فقال : « لم يكن عندى مال مدفون . وأما الذى أخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله » !

فحنق منه وسبّه ، وقبض على لحيته ، ولطمه على وجهه ، وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فأمر به فبطحوه ، وأمر القواسة الأتراك بضربه ، فضربوه بالعصى المفضضة التى بأيديهم ، بعد أن ضربه هو بيده عدة عصى ، وشج جبهته ... حتى أتوا عليه ثم أقاموه وألبسوه فروته ! وحملوه وهومغشى عليه ، وأركبوه حمارا ، وأحاط به خدمه وأتباعه حتى أوصلوه الى منزله ، وأرسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ، ولا يدعونه يدخل الى حريمه ، ولا يصل إليهم منه أحد .

وركب فى أثره محمود بيك الدويدار بأمر الباشا ، وعبر داره ودار أخيه عثمان أفندى المذكور ، وأخذه صحبته الى القلعة ، وسجنوه ... وأما ولده وأخواه ، فانهم تغيبوا من وقت الطلب ، واختفوا .

ونزل اليه فى اليوم الثانى ابراهيم أغا أغات الباب ، يطالبه بغلاق ثمانمائة كيس وقتئذ ! فقال له : « وكيف أحصل شيئا وأنا رجل ضعيف ، وأخى عثمان عندكم فى الترسيم ؟ وهو الزعيم يعيننى ويقضى أشغالى ، وأخذتم دفاترى المختصة بأحوالى مع ما أخذتموه من الدفاتر » . فأقام عنده ابراهيم أغا برهة ، ثم ركب الى الباشا وكلمه فى ذلك فأطلقوا له أخاه ليسعى فى التحصيل .

الاحد ١١ منه (١٤ مارس ١٨١٣ م) :

عدى الباشا الى بر الجيزة بقصد السفر الى بلاد الفيوم ، وأخذ صحبته كتبة مباشرين ، مسلمين ونصارى ، وأشاع أن سفره الى الصعيد ليكشف على الأراضى وروكها . وارتحل فى ليلة الثلاثاء ثالث عشره بعد أن وجه ابنه اسماعيل الى الديار الرومية فى تلك الليلة بالبشارة .

الاحد ٢٥ منه (٢٨ مارس ١٨١٣ م) :

حضر لطيف أغا راجعا من اسلامبول ، وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين . وأخبروا أنه لما وصل الى قرب دار السلطنة ، خرج لملاقاته الأعيان . وعند دخوله الى البلدة ، عملوا له موكبا عظيما ... مشى فيه أعيان الدولة وأكابرها ، وصحبته عدة مفاتيح ، زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة ، وضعوها على صفائح الذهب والفضة ، وأمامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب ، وخلفهم الطبول والزمور . وعملوا لذلك شنكا ومدافع ، وأنعم عليه السلطان ، وأعطاه خلعا وهدايا ... وكذلك أكابر الدولة . وأنعم عليه الخنكار بطوخين ، وصار يقال له لطيف باشا .

وفيه : وردت الأخبار بقدوم قهوجى باشا ، ومعه خلع وأطواق للباشا ، وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده . فاحتفل الباشا به عند ما وصلته أخباره ، وأرسل الى أمراء الثغور بالاسكندرية ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغر منها

وفيه : حضر خليل بيك حاكم الاسكندرية الى مصر فرارا من الطاعون لأنه قد فشا بها ، ومات أكثر عسكره وأتباعه

ربيع الآخر

٨ منه (١٠ ابريل ١٨١٣ م) :

حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم الى الجيزة . وأخبروا أنه لما وصل الى ناحية بنى سويف ، ركب بغلة سريعة العدو ، ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال ، فوصل الى الفيوم فى أربع ساعات ، وانقطع أكثر المرافقين له ، ومات منهم سبعة عشر هجينا .

١٠ منه (١٢ ابريل ١٨١٣ م) :

عملوا مولد المشهد الحسينى المعتاد ، وتقيد لتنظيمه السيد المحروقى الذى تولى النظارة عليه وجلس ببيت السادات المجاور للمشهد بعد أن أخلوه له .

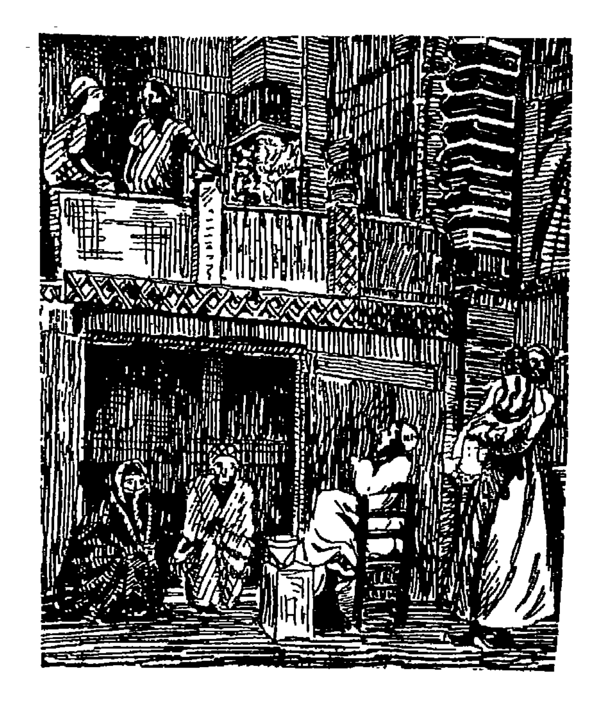
وفى ذلك اليوم : أمر الباشا بعمل كورنتيلة بالجيزة ، ونوه باقامته بها ، وزاد به الخوف والوهم من الطاعون لحصول القليل منه بمصر . وهلك الحكيم الفرنساوى ، وبعض نصارى أروام ... وهم يعتقدون صحة الكورنتيلة ، وانها تمنع الطاعون وقاضى الشريعة ، الذى هو قاضى العسكر ، يحقق قولهم ، ويمشى على مذهبهم . ولرغبة الباشا فى الحياة الدنيا ، وكذلك أهل دائرته ، وخوفهم من الموت ... يصدقون قولهم حتى انه اتفق أنه مات بالمحكمة عند القاضى شخص من أتباعه ، فأمر بحرق ثيابه ، وغسل المحل الذى مات فيه ، وتبخيره بالبخورات .. وكذلك غسل الأوانى التى كان يمسها ، وبخروها . وأمروا أصحاب الشرطة أنهم

يأمرون الناس ، وأصحاب الأسواق ، بالكنس والرش والتنظيف فى كل وقت ونشر الثياب . واذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ، ودخنوها بالبخور قبل ورودها .

ولما عزم الباشا على كورتتيلة الجيزة ، أرسل فى ذلك اليوم بأن ينادوا بها على سكانها : بأن من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما ، وأحب الاقامة ... فليمكث بالبلدة . والا فليخرج منها ويذهب ، ويسكن حيث أراد فى غيرها . ولهم مهلة أربع ساعات . فانزعج سكان الجيزة ، وخرج من خرج ، وأقام من أقام .

وكان ذلك وقت الحصاد ، ولهم مزارع وأسباب مع مجاوريهم من أهل القرى . ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه ... فمنعوا جميع ذلك ، حتى سدوا خروق السور والأبواب ، ومنعوا المعادى مطلقا .

وأقام الباشا ببيت الأزبكية لايجتمع بأحد من الناس الى يوم الجمعة فعدى فى ذلك اليوم، وقت الفجر ، وطلع الى قصر الجيزة ، وأوقف مركبين : الأولى ببر الجيزة ، والأخرى فى مقابلتها ببر مصر القديمة . فاذا أرسل الكتخدا أو المعلم غالى اليه مراسلة ، ناولها المرسل للمقيد بذلك فى طرف مزراق، بعد تبخير الورقة بالشيح واللبان والكبريت ، ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر ، على بعد منهما ، وعاد راجعا . فاذا قرب من البر ، تناولها المنتظر له أيضا بمزراق ، وغمسها فى الخل ، وبخرها بالبخور المذكور ، ثم يوصلها لحضرة المشار اليه بكيفية أخرى ! فأقام أياما وسافر الى الفيوم ، ورجع كما ذكر . وأرسل مماليكه ، ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت ، الى أسيوط .



اسرة احتجبت بالبيت

جمادى الأولى

٧ منه (٨ مايو ١٨١٣ م) :

نودى بالأسواق : بأن السيد محمد المحروقى شاه بندر التجار بمصر ، وله الحكم على جميع التجار ، وأهل الحرف ، والمتسببين ... فى قضاياهم وقوانينهم ، وله الأمر والنهى فيهم .

وفيه وصل الى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ، ونصبوا لهم وطاقا خارج باب النصر ، وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر ... أرباب صنائع : بنائين ونجارين وخراطين ، فأنزلوهم بوكالة بخط الخليفة .

٨ منه (٩ مايو ١٨١٣ م) :

تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ، ولبس الخلعة ، وركب وشق المدينة وأمامه الميزان ، فرسم برد الموازين الى الأرطال الزياتى ، التى عبرة الرطل منها أربع عشرة أوقية ، فى جميع الأدهان

والخضراوات على العادة القديمة ، ونقص من أسعار اللحم وغيره . ففرح الناس بذلك ... ولكن لم يستمر ذلك .

١١ منه (١٢ مايو ١٨١٣ م) :

بين الظهر والعصر كانت السماء مصحية ، والشمس مضيئة صافية ... فما هو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية ، وأظلم ضوء الشمس ، وأرعدت رعدتين : الثانية أعظم من الأولى ، وبرق ظهر ضوؤه ، وأمطرت مطر متوسطا . ثم سكن الريح ، وانجلت السماء وقت العصر .. وكان ذلك سابع بشنس القبطى ، وآخر يوم من نيسان الرومى . فسبحان الملك الفعال ، مغير الشئون والأحوال .

وحصل فى تاليه — يوم الجمعة — مثل ذلك الوقت أيضا ، غيوم ورعود كثيرة ، ومطر أزيد من اليوم الأول .

جمادى الآخرة

السبت ١٢ منه (١٢ يونية ١٨١٣ م) :

وصل فى النيل على طريق دمياط ، أغا من طرف الدولة ، يقال له قهوجى باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه ، وحضر الى قصره بشبرا ، وأمر باحضار عدة من المدافع وآلات الشنك . وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات . ونبه على الطوائف بالاجتماع بملابسهم وزينتهم .

ووصل الأغا المذكور يوم الأحد ، فخرج الأغوات ، والسفاشية ، والصقلية ، وهم لابسون القواويق ، وجميع العساكر الخيالة ليلا ... فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا ، وانتظموا فى موكب ، ودخلوا من باب النصر ، ويقدمهم طوائف الدلاة وأكابرهم ، ويتلوهم أرباب المناصب ، مثل : الأغا ، والوالى ، والمحتسب ، وبواقى وجاقات المصرية ... ثم موكب كتخدا بيك ، وبعده موكب الأغا الواصل ، وفى أثره ما وصل معه من الخلع ، وهى : أربع بقج ، وخنجران مجوهران ، وسيف ، وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهرة ... وخلف ذلك العساكر الخيالة ، والتفكجية ، وخلفهم النوبة التركية .. فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع . وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم ، وقليل عسكر مشاة ، وأما بقية العسكر فهم متفرقون بالأسواق والأزقة ، كالجراد المنتشر ، خلاف من يرد منهم فى كل وقت من الأجناس المختلفة برا وبحرا . فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا ، وهو فروة ، وخنجر ، وريشة بشلنج ، وأطواخ ، ولابنه ابراهيم بيك مثل ذلك .

وأسكنوا ذلك الأغا ورفيقه وأتباعهما ، بمنزل ابراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية ، بقنطرة الدكة وأرسل باحضار ولده من ناحية قبلى ، فحضر على الهجن ، ولبس الخلعة بولايته على الصعيد . فنزل بالجيزة ، وعدى الى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ، ولبس الخلعة ، وأقام عند أبيه ثلاث ليال ، ثم عدى الى بر الجيزة وعندما وصل الى البر أمر بتغريق السفينة بما فيها من الفرش ، ثم أخرجوها ! وكذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس فى الماء وغسل ثيابهم ... كل ذلك خوفا من رائحة الطاعون ، وتطيرا وهروبا من الموت !

الجمعة ٢٥ منه (٢٥ يونية ١٨١٣ م) :

سافر ابراهيم بيك راجعا الى الصعيد .

وفيه حضر عرضى الباشا الذى كان سافر فى ربيع الأول الى الجهة القبلية ، ومعه الكتبة أيضا المسلمون ، لتحرير حساب الأقباط ، ومساحة الأراضى .

في اواخره (اواخر يونية ١٨١٣ م) :

نودى على أهل الجيزة : باستمرار الكورنتيلة شهرى رجب وشعبان ، وأن يعطوا لهم فسحة للمتسببين والباعة ، ثلاثة أيام . وكذلك لمن يخرج ، أو اذا دخل لا يخرج اذا كان عنده ما يكفيه ويكفى عيالا فى مدة الشهرين والثلاثة أيام المفسح لهم فيها ليقضوا أشغالهم واحتياجاتهم . فخرج أهل البلدة بأسرهم ... لم يبق منهم الا القليل النادر ، القادر . وأيضا تفرقوا فى البلاد ، وبقى الكثير منهم حول البلدة ، وفى الغيطان حول بيادرهم وأجرانهم ، وعملوا لهم أعشاشا تظلهم من حر الشمس ووهج الهجير . وينادى المقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيقه أو صاحبه الذى هو خارج البلدة ، فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ، ولا يمكنونهم من تناول الأشياء . وأما العسكر فانهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ، ويشترون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة بأغلى الأثمان . واذا أراد أحد من أهل البلدة الخروج ، منعوه من أخذ شيء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حماره ، ولا يخرج الا مجردا بطوله !

وفيه : وصل من الديار الرومية واصل ، وعلى يده مرسوم ، فقرىء بالمحكمة فى يوم الأحد ، ثامن عشرينه ، بحضرة كتخدا بيك ، والقاضى والمشايخ وأكابر الدولة ، والجم الغفير من الناس . ومضمونه : الأمر للخطباء فى المساجد يوم الجمعة على المنابر ، بأن يقولوا عند الدعاء للسلطان ، فيقولوا : السلطان ابن السلطان (بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات) محمود خان ، ابن السلطان عبد الحميد خان ، ابن السلطان أحمد خان المغازى ، خادم الحرمين الشريفين ... لأنه استحق أن ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين ، وغزت الخوارج ، وأخرجتهم منها . لأن المفتى أفتاهم بأنهم كفار ... لتكفيرهم المسلمين . ويجعلونهم مشركين ، ولخروجهم على السلطان ، وقتلهم الأنفس ، وأن من قاتلهم يكون مغازيا ، ومجاهدا ، وشهيدا اذا قتل .

ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة ، وعملوا شنكا . واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان ، عشرة أيام ، وذلك ونحوه من الخور .

رجب

١٥ منه (١٤ يولية ١٨١٣ م) :

حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير .

في اواخره (اواخر يولية ١٨١٣ م) :

سافر قهوجى باشا ، الذى تقدم ذكر حضوره ، بالخلع والشلنجات والخناجر ، بعد ما أعطى خدمته مبلغا من الأكياس ، وأصحب معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة وأكابرها ، وقدره من الذهب العين أربعون ألف دينار ، ومن النصفيات — يعنى نصف الدينار — ستون ألفا ، ومن فروق البن خمسمائة فرق ، ومن السكر المكرر مرتين مائة قنطار ، ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار ، ومائتا قدر صينى ، الذى يقال له « أسكى معدن » ، مملوءة بالمربيات وأنواع الشربات ، المسك المطيب المختلف الأنواع ، ومن الخيول خمسون جه ادا مرختهبالجوهر والنمدكش واللؤلؤ والمرجان ، وخمسون حصانا من غير رخوت ، وأقمشة هندية كشميرى ، ومقصبات وشاهى ، ومهترخان فى عدة تعابى بقچ ، وبخور عود وعنبر ، وأشياء أخرى .

وفيه أيضا : حضر أغا يقال له « جانم افندى » وصحبته مرسوم قرىء بالديوان فى يوم الاثنين . مضمونه : البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه

« عثمان » . واجتمع لسماع ذلك المشايخ والأعيان ، وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع ، واستمر ذلك سبعة أيام فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

شعبان

٢٠ منه (١٩ اغسطس ١٨١٣م - ١٣ مسرى ١٥٢٩ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بعد ذلك فى الأسواق على العادة ، وكثر اجتماع غوغاء الناس للخروج الى الروضة ، وناحية السد ... والولائم فى البيوت المطلة على الخليج ، وما يحصل من اجتماع الأخلاط أمام جرى الماء — كما هو المعتاد فى كل سنة — وأنه اذا نودى بالوفاء حصل ذلك الاجتماع فى تلك الليلة ، وكسروا السد فى صبحها... عادة لا تتخلف فيما نعلم .

فلما كان آخر النهار ، ورد الخبر بأن الباشا أمر بتأخير فتح الخليج الى يوم الخميس ثانيه ، فكان كذلك . وخرج الباشا فى صبح يوم الخميس ، وكسر السد ، وجرى الماء فى الخليج ، وتكلف أرباب الدور المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيفانهم .

رمضان

٥ منه (أول سبتمبر ١٨١٣ م) :

حضر ابن الباشا — المسمى باسماعيل — من الديار الرومية ، ووصل الى ساحل النيل بشبرا ، وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم أنه توجه ببشارة الحرمين ، وأكرمنه الدولة ، وأعطوه أطواخا .

١٠ منه (٦ سبتمبر ١٨١٣ م) :

حضر قاصد من الديار الرومية ، ووصل الى ساحل النيل ، وصحبته بشارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان . فعملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع به المشايخ والأعيان ، وأكابر الدولة . وقرىء الفرمان الواصل فى شأن ذلك . وفى مضمونه : الأمر للكافة بالفرح والسرور !!! وعمل الشنك !

وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من أبراج القلعة ، واستمر ضربها ، فى كل وقت أذان ، خمسة أيام . وهذا لم يعهد فى الدول الماضية الا للأولاد الذكور . وأما الاناث فليس لهم ذكر .

٢٧ منه (٢٣ سبتمبر ١٨١٣ م) :

عمل الباشا جمعية ببيت الأزبكية ، وأحضر الأعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة ، وهم : بهجت أفندى المنفصل عن قضاء مصر ، وصديق أفندى المتوجه الى قضاء مكة ، المنفصل عن قضاء مصر العام الذى قبله ، والقاضى المتوجه الى المدينة .. فعقدوا عقد ابنه اسماعيل باشا ، على ابنة عارف بيك التى حضرت بصحبته من الديار الرومية ، وعقدوا عقد أخته ، ابنة الباشا ، على محمد افندى الذى تقلد الدفتردارية .

ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج ، فى كل واحدة أربع قطع من الأقمشة الهندية . وهى : شال كشميرى ، وطاقة مسجر ، وطاقة قطنى هندى ، وطاقة شاهى . وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم .

ثم ان الباشا شرع فى الاهتمام الى سفر الحجاز ، وتشهيل المطاليب واللوازم . فمن جملة ذلك : أربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكى وبالخشب من خارج ، وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ، ليودع بها ماء النيل المغلى لشربه وشرب خاصته ، ومثلها فى كل شهر ... يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقى ، ويرسله فى كل شهر !

شـوال

٧ منه (٣ اكتوبر ١٨١٣ م) :

أداروا كسوة الكعبة ، وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات ، ومودوعة فى مكان بالمشهد الحسينى ، فأخرجوها فى مستهل الشهر ، وقد توسخت لطول المدة ، فحلوها ومسحوها . وكان عليها اسم السلطان مصطفى ، فغيروه ، وكتبوا اسم السلطان محمود . فاجتمع الناس للفرجة عليها ، وكان المباشر لها الريس حسن المحروقى ، فركب فى موكبها .

١٤ منه (١٠ اكتوبر ١٨١٣ م) :

خرج محمد على باشا مسافرا الى الحجاز ... وكان خروجه ، وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور ، الى بركة الحاج . وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار ، فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار . وركب هو متوجها الى السويس بعد مضى ثمانى ساعات وربع من النهار ، وبرزت الخيالة والسفاشية الى خارج باب النصر ، ليذهبوا على طريق البر . وقبل خروج الباشا بيومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفى بناحية الطائف . وكان قد جرد على الطائف ، فبرز اليه الشريف غالب ، وصحبته عساكر الأتراك والعربان ، فحاربوه وحاربهم ، فأصيب جواده ، فنزل الى الأرض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه ، فخرج من بينهم ومشى ، وتباعد عنهم نحو أربع ساعات ، فصادفه جماعة من جند الشريف ، فقبضوا عليه ، وأصابته جراحة ... وعندما سقط من بين قومه ، ارتفع الحرب فيما بين الفريقين آخريات النهار . ولما أحضروه الى الشريف غالب ، جعل فى رقبته الجنزير .

والمضايفى هذا زوج أخت الشريف . وخرج عنه ، وانضم الى الوهابيين ، فكان أعظم أعوانهم ... وهو الذى كان يحارب لهم ويقاتل ، ويجمع قبائل العربان ، ويدعوهم عدة سنين ، ويوجه السرايا على المخالفين . ونما أمره ، واشتهر لذلك ذكره فى الأقطار . وهو الذى كان افتتح الطائف ، وحاربها وحاصرها ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، وهدم قبة ابن عباس ، الغريبة الشكل والوصف . وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب فى العام الماضى بناحية الصفراء والجديدة ، وهزمهم وشتت شملهم .

ولما قبضوا عليه أحضروه الى جدة ، واستمر فى الترسيم عند الشريف ليأخذ بذلك وجاهة عند الأتراك الذى هو على ملتهم ، ويتحقق لديهم نصحه لهم ، ومسالمته اياهم ... وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ، ووبال أمره ، كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل .

ذوالقعدة

اوائله (اواخر اكتوبر وأوائل نوفمبر ١٨١٣ م) :

وردت أخبار من الجهة الرومية ، بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدى طائفة الصرب . وكانوا استولوا عليها نيفا وأربعين سنة . والله أعلم بصحة ذلك !

وفيه : عزل محمود حسن من الحسبة ، وتقلدها عثمان أغا المعروف بالوردانى .

الثلاثاء ١٥ منه (٩ نوفمبر ١٨١٣ م) :

وصل عثمان المضايفى ، صحبة المتسفرين معه ، الى الريدانية آخر الليل ، وأشيع ذلك . فلما طلعت الشمس ، ضربوا مدافع من القلعة ... اعلاما وسرورا بوصوله أسيرا .

وركب صالح بيك السلحدار فى عدة كبيرة ، وخرجوا لملاقاته واحضاره . فلما واجهه صالح بيك ، نزع من عنقه الحديد ، وأركبه هجينا ، ودخل به الى المدينة ، وأمامه الجاويشية والقواسة الأتراك ، وبأيديهم العصى المفضضة ، وخلفه صالح بيك ، وطوائفه ، وطلعوا به الى القلعة ، وأدخله الى مجلس كتخدا بيك ، وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقى أعيانهم ، ونجيب افندى قبى كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة وكان متأخرا عن السفر ينتظر قدوم المضايفى ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة .

فلما دخل عليهم ، أجلسوه معهم ، فحدثوه ساعه... وهــو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب ، وأفصح جواب . وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب ، وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ، ومعرفة مواقع الكلام ، حتى قال الجماعة لبعضهم البعض : « يا أسفا على مثل هذا ! اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه » .

ولم يزل يتحدث معهم حصة ، ثم احضروا الطعام فواكلهم ، ثم أخــذه كتخدا بيك الى منزله فأقام عنده مكرما ثلاثا ، حتى تمم نجيب افندى أشغاله ، فأركبوه ، وتوجهوا به الى بولاق ، وأنزلوه فى السفينة مع نجيب أفنــدى ، ووغــعوا فى عنقه الجنزير ، وانحدروا طالبين الديار الرومية . وذلك يوم الاثنين حادى عشرينه .

اواخره (النصف الثانى من نوفمبر ١٨١٣ م) :

وصلت أخــار بأن مســعودا الوهابى أرسل قصــادا من طرفه الى ناحيــة جــدة ، فقــابلوا طوســون باشــا ... والشريف غالب خلع عليهم ، وأخذهم الى أبيه ، فخاطبهم وسألهم عما جاءوا فيه ، فقالوا : « الأمير سعود الوهابى يطلب الافراج عن المضايفى ، ويفتديه بمائة ألف فرانســة ، وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم ، وكف القتال » .

فقال لهم : « انه سافر الى الدولة ، وأما الصلح فلا نأباه بشروط ، وهو أن يدفع لنا كل ماصرفناه على العساكر ، من أول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه ، وأن يأتى بكل ما أخــذه واستلمه من الجواهر والذخائر التى كانت بالحجرة الشريفة ، وكذلك ثمن ما استهلك منها ، وأن يأتى بعد ذلك ويتلاقى معى وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك . وان أبى ذلك ولم يأت ... فنحن ذاهبون اليه » . فقالوا له : « اكتب له جوابا » . فقال : « لا أكتب جوابا ، لأنه لم يرسل معكم جوابا ، ولا كتابا ... وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك » .

فلما أصبح الصــباح ، وقت انصرافهم ، أمــر باجتماع العســاكر ... فاجتمعوا ، ونصبوا ميدان الحرب ، والرمى المتتابع من البنــادق والمدافع ، ليشاهد الرســل ذلك ، ويروه ، ويخبروا عنــه مرسلهم .

ذو الحجــة

١٩ منه (١٣ ديسمبر ١٨١٣ م) :

وقعت كائنة لطيف باشــا . وذلك أن المذكور مملوك الباشــا ... أهداه له عارف بيك — وهو عارف أفندى ابن خليل باشا المنفصــل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات — واختص به الباشــا ، وأحبه ، ورقاه فى الخــدم والمناصب ... الى أن جعله أنختار أغاسى ، أى صاحب المفتاح ، وصار له حرمة زائدة ، وكلمة فى باب الباشا ، وشهرة .

فلما حصلت النصرة للعسكر ، واستولوا على المدينة ، وأتوا بمفاتيح زعموا أنها مفاتيح المدينة ، كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة ، وأرســلوا صحبتــه « مضيان » الذى كان متأمرا بالمدينة . ولما وصل الى دار السلطنة ، ووصلت أخباره ، احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالا زائدا ، ونزلوا لملاقاته فى المركب فى مسافة بعيدة ،

ودخلوا الى اسلامبول فى موكب جليل وأبهة عظيمة الى الغاية ، وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا . وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وقتلوا « مضيان » المذكور فى ذلك اليوم وعلقوه على باب السراية ، وعملوا شنانك ومدافع ، وأفراحا وولائم . وأنعم السلطان على لطيف المذكور ، وأعطاه أطواخا ، وأرسل اليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ، ورجع الى مصر فى أبهة زائدة .

وداخله الغرور ، وتعاظم فى نفسه ، ولم يحتفل الباشا بأمره ، وكذلك أهل دولته لكونه من جنس المماليك ، وأيضا قد تأسست عداوتهم فى نفوسهم ، وكراهتهم له أشد من كراهتهم لأبنائنا ، وخصوصا كتخدا بيك ، فانه أشد الناس عداوة وبغضا فى جنس المماليك ، وطفق يلقى لمخدومه ما يغير خاطره عليه ، ومنها : أنه يضم اليه أجناسه من المماليك البطالين ، ليكونوا عزوته ويغترون به ، بحيث أن الباشا فوض اليه الأمر ان ظهر منه شىء فى غيابه .

وسافر الباشا فى اثر ذلك ، واستمر لطيف باشا مع الجماعة فى صلف ، وهم يحدقون عليه ، ويرصدون حركاته ، ويتوقعون ما يوجب الايقاع به ... وهو فى غفلةعوتيه لا يظن بهم سوءا . فطلب من الكتخدا الزيادة فى رواتبه وعلائفه ، لسعة دائرته ، وكثرة حواشيه ، ومصاريفه . فقال له الكتخدا : « أما أنا لست صاحب الأمر ، وقد كان هنا ولم يزدك شيئا ... فراسله وكاتبه . فان أمر بشىء ، فأنا لا أخالف مأمورياته » . وتزايد هو والحاضرون فى الكلام والمفاقمة ... ففارقهم على غير حالة ، ونزل الى داره وأرسل فى العشية الى مماليك الباشا ليحضروا اليه فى الصباح ، ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة ، وأسر اليهم أن يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم . فلما أصبحوا استعدوا ، كما أشار اليهم ، وشدوا خيولهم ، فوصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وسأله ، فأخبره أن لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة ، فقال : « ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة » ومنعهم من الركوب . وفى الحال أحضر حسن باشا ، وطاهر باشا ، وأحمد أغا — المسمى بونابارته الخازندار — وصالح بيك السلحدار ، وابراهيم أغا ، آغات الباب ، ومحو بيك وخلافهم ودبوس أوغلى ، واسماعيل باشا ، ابن الباشا ومحمود بيك الدويدار ... وتوافق الجميع على الايقاع به . وأصبحوا يوم السبت مجتمعين ، وقد بلغه الخبر ، وأخذ عليه الطرق ، وأرسلوا يطلبونه للحضور فى مجلسهم ... فامتنع ، وقال : « ما المراد من حضورى ؟ » ، فنزل اليه دبوس أوغلى وخدعه فلم يقبل ، فركب وعاد اليه ثانيا يأمره بالخروج من مصر ان لم يحضر مجلسهم ، فقال : « أما الحضور فلا يكون ، وأما الخروج فلا أخالف فيه بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا أو طاهر باشا ، فإنى لا آمن أن يتبعونى ويقتلونى خصوصا وقد أوقفوا بجميع الطرق » . ففارقه دبوس أوغلى . فتحير فى أمره وأمر بشد الخيول ، وأراد الركوب ، فلم يتسع له ذلك . ولم يزل فى نقض وابرام الى الليل فشركوا الجهات ، وأبواب المدينة أيضا ، بالعساكر ، وكثر جمعهم بالقلعة وأبوابها .

وفى تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ومحو بيك فى نحو الألفين من العسكر ، واحتاطوا بداره بسويقة العزى ، وقد أغلق داره ، فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرابين ... الى آخر الليل . فلما أعياهم ذلك ، هجموا على دور الناس التى حوله ، وتسلقوا عليه من الأسطحة ، ونزلوا الى سطح داره ، وقتلوا من صادفوه من عسكره وأتباعه ، واختفى هو فى مخبأة أسفل الدار مع ستة أشخاص

من الجوارى ، ومملوك واحد ، وعلم بمكانهم أغات الحريم ... فداروا بالدار يفتشون عليه فلم يجدوه ، فنهبوا جميع ما فى الدار ، ولم يتركوا بها شيئا ، وسبوا الحريم والجوارى ، والمماليك ، والعبيد ... وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ، ودور حواشيه ، وهم نيف وعشرون دارا ، حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطة ، ودار على كتخدا صالح الفلاح !

هذا ما جرى بتلك الناحية ، وباقى نواحى المدينة لا يدرون بشىء من ذلك ... الا أنهم لما طلع نهار يوم الأحد ، وخرج الناس الى الأسواق والشوارع ، وجدوا العساكر مائجة ، وأبواب البلد مغلوقة ، وحولها العساكر مجتمعة ، ومنهم من يعدو ومعه شىء من المنهوبات ، فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التبكير بفتحها ، وظنوا ظنا .

واستمر لطيف باشا بالمخبأة الى الليل ، واشتد به الخوف ، وتيقن أن العبد الطواشى سينم عليه ، ويعرفهم بمكانه . فلما أظلم الليل ، وفرغوا من النهب والتفتيش ، وخلا المكان ، خرج من المخبأة بمفرده ، ونط من الأسطحة حتى خلص الى دار خازنداره ، وصحبته كبير عسكره ، وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الأجناد المصرية ، وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين ... والكتخدا وأهل دولته يدأبون فى الفحص والتفتيش عليه ، ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه . ومحمود بيك داره بالقرب من داره ، أوقف أشخاصا من عسكره على الأسطحة ليلا ونهارا لرصده !

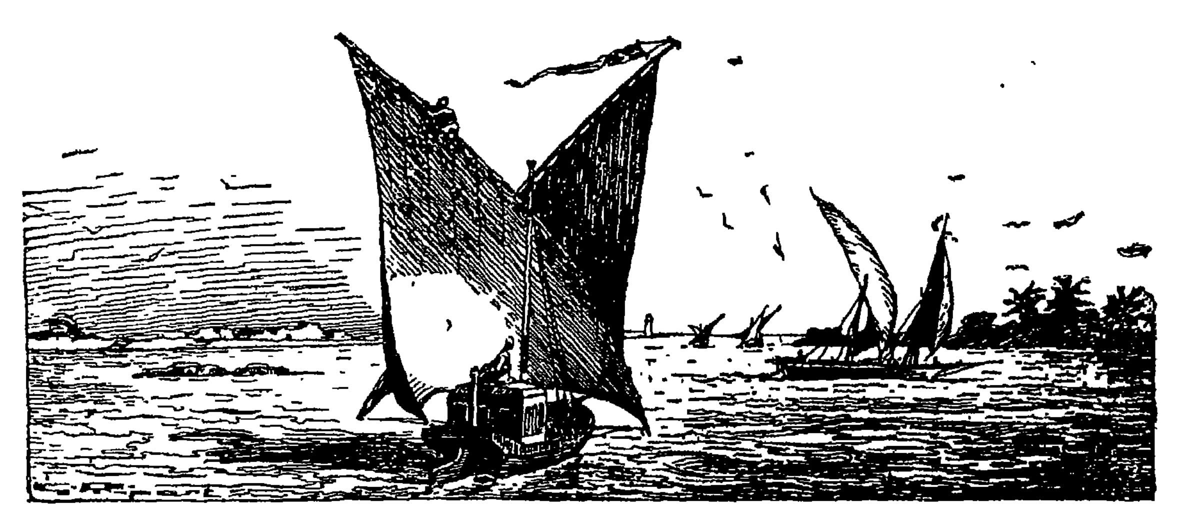
وكان المذكور له اعتقاد فى شخص يسمى حسن أفندى الليلبى — وليلب لفظ تركى علم على الحمص المجوهر أى المقلى — ومن شأن حسن أفندى هذا أنه رجل درويش ، يدخل الى بيوت الأعيان والأكابر من الناس الأتراك وغيرهم ، وفى جيوبه من ذلك الحمص ، فيفرق على أهل المجلس منه ، ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ، ويعرف باللغة التركية ، ويجانس الفريقين ، فمن أعطاه شيئا أخذه ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئا . وبعضهم يقول له : « انظر ضميرى أو فألى » فيعد على سبحته أزواجا وأفرادا ، ثم يقول: « ضميرك كذا وكذا » . فيضحكون منه .

فوشى بحسن أفندى هذا الى كتخدا بيك وباقى الجماعة ، بأنه كان يقول للطيف باشا انه سيلى سيادة مصر وأحكامها ، ويقول له : « هذا وقت انتهاز الفرصة فى غيبة الباشا » . ونحو ذلك وجسموا الدعوى ، وأنه كان يعتقد صحة كلامه ، ويزوره فى داره ، ورتب له ترتيبا .

وأشاعوا أنه أراد أن يضم اليه أجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ، ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ، ويغتال الكتخدا بيك ، وحسن باشا ، وأمثالهما على حين غفلة ، ويتملك القلعة والبلد ، وأن الليلبى يغريه على ذلك .. وكل وقت يقول له : «جاء وقتك» . ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله أعلم بصحته .

فأرسل كتخدا بيك الى الليلبى ، فحضر بين يديه فى يوم الاثنين ، فسأله عنه ، فقال : لا أدرى» فقال : « انظر فى حسابك هل نجده أم لا ؟ » . فمسك سبحته وعدها كعادته وقال : « انكم تجدونه وتقتلونه » . ثم ان الكتخدا أشار الى أعوانه ، فأخذوه ونزلوا به ، وأركبوه على حماره ، وذهبوا به الى بولاق ، فأنزلوه فى مركب ، وانحدروا به الى شلقان ، وشلحوه من ثيابه ، وأغرقوه فى البحر !

وفيه : عرفهم أغات حريم لطيف باشا ، بعد أن هددوه وقرروه ، عن محل أستاذه ،



الليلبى فى قبضة اعوان الكتخدا منحدرين به الى شلقان

وأخبرهم أنه فى المخبأة ، وأراهم المكان ، ففتحوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ، ولم يجدوه معهم ، فسألوهم عنه ، فقالوا : « انه كان معنا ، وخـرج فى ليـلة أمس ، ولم نعلم أين ذهب » . فأخرجوهم ، وأخذوا ما وجدوه فى المخبأة من متاع وسروج ومصاغ ونقود ، وغير ذلك .

فلما كان بعـد الغروب من ليـلة الثـلاثاء ، اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق ، فأراد أن ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخـر ، فطلع الى السطح ، وصعد على حائط يريد النزول منهـا هو ورفيقه البيوكبـاشى ، ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار ، فنظرهما شخص من العسكر المرصد بأعلى سـطح دار محمود بيك الدوبدار ، فصاح على القريبين منه لينتبهوا له فعندما صاح ، ضربه لطيف باشا رصاصة ، فأصابته ، وتنبه المرصدون بالنواحى عند سماع الصيحة ، وبندقة الرصاصة ، وتسارعوا اليه من كل ناحية ، وقبضوا عليه وعلى رفيقه ، وأتوا بهما الى محمود بيك ... فبات عنده ، ورمح المبشرون الى بيوت الأعيـان يبشرونهم بالقبض عليه ، ويأخذون على ذلك البقاشيش !

فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بيك الى القلعة ... وقد اجتمع أكابرهم بديوان الكتخـدا ، واتفقوا على قتله ووافقهم عـلى ذلك اسماعيل ابن الباشا بما نمقوه عليه ، لأنه فى الأصل مملوك صهره عارف بيك . فعندما وصل الى الدرج ، قبض عليه الأعوان ، وهو بجانب محمود بيك ، فقبض بيـده على علاقة سيفه وهو يقول له بالتركى : « عرظندايم » ، يعنى أنا فى عرضـك ، وماتت يده على قيطان السيف ، فأخرج بعضهم سـكينا وقطع القيطان ، وجذبوه الى أسـفل سلم الركوبة وأخذوا عمامته ، وضربه المشاعلى بالسيف ضربات ، ووقع الى الأرض ولم ينقطع عنقه ، فكملوا ذبحه مثل الشاة ، وقطعوا رأسه ، وفعلوا برفيقه كذلك ، وعلقوا رؤوسهما تجاه باب زويلة طول النهار .

٢٢ منه (١٦ ديسمبر ١٨١٣ م) :

أحضروا أيضا يوسف كاشف دياب ، وقتلوه أيضا عند باب زويلة ، وانقضى أمرهم ... والله أعلم بحقيقة الحال .

وفتح أهل الأسـواق حوانيتهم بعد ما تخيل الناس بأنها ستكون فتنة عظيمة ، وأن العسـكر

ينهبون المدينة ، وخصوصا الكائنون بالعرضى — خارج باب النصر — فانهم جياع وبردانون ، وغالبهم مفلس . لأن معظمهم من الجدد الواردين الذين لم يحصل لهم كسب من نهب أو حادث واقع أدركوه ، ولولا أنهم أوقفوا عساكر عند الأبواب منعتهم من العبور لحصل منهم غاية الضرر .

* * *

وانقضت السنة وحوادثها التى ربما استمرت الى ماشاء الله بدوامها وانقضائها .

فمنها : أن الباشا لما فرغ من أمر الجهة القبلية بعد ما ولى ابنه ابراهيم باشا عليها ، وحرر أراضى الصعيد ، وقاس جملة أراضيه وفدنه ، وضبطه بأجمعه ، ولم يترك منه الا ما قل . وضبط لديوانه جميع الأراضى الميرية والاقطاعات التى كانت للملتزمين من الأمراء والهوارة وذوى البيوت القديمة ، والرزق الاحباسية ، والسراوى ، والمتأخرات والمرصد على الأهالى والخيرات وعلى البر والصدقة ، وغير ذلك مثل : مصارف الولاية التى رتبها أهالى الخير المتقدمون لأربابها رغبة منهم فى الخير ، وتوسعة على الفقراء المحتاجين ، وذوى البيوت والدواوير المفتوحة ، المعدة لاطعام الطعام للضيفان والواردين والقاصدين ، وأبناء السبيل والمسافرين .

فمن ذلك أن بناحية سهاج ، دار الشيخ عارف ، وهو رجل مشهور كأسلافه ، ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ، ومنزله محط لرحال الوافدين والقاصدين من الأكابر والأصاغر والفقراء والمحتاجين .. فيقرى الكل بما يليق بهم ، ويرتب لهم التراتيب والاحتياجات ، وعند انصرافهم — بعد قضاء أشغالهم — يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام ... وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله على الدوام والاستمرار . ورزقته المرصدة التى يزرعها وينفق منها ستمائة فدان ، فضبطوها ولم يسمحوا له منها الا بمائة فدان بعد التوسط ، والترجى ، والتشفع ، وأمثال ذلك بجرجا وأسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرهم .

واذا قال المتشفع والمترجى للمتأمر : « ينبغى مراعاة مثل هذا ومسامحته لأنه يطعم الطعام ، وتنزل بداره الضيفان » . فيقول : « ومن كلفه بذلك ؟ » . فيقال له : « وكيف يفعل اذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه ؟ » . فيقول : « يشترون ما يأكلون بدراهمهم من أكياسهم ، أو يغلقون أبوابهم ، ويستقلون بأنفسهم وعيالهم ، ويقتصدون فى معايشهم ، فيعتادون ذلك ، وهذا الذى يفعلونه تبذير واسراف ! » . ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم فى بلادهم . ويقول : « الديوان أحق بهذا ، فان عليه مصاريف ونفقات .ومهمات ومحاربات الأعداء ، وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز » .

ولما حضر ابراهيم باشا الى مصر — وكان أبوه على أهبة السفر الى الحجاز — حضر الكثير من أهالى الصعيد يشكون ما نزل بهم ، ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم . فاذا خوطب الباشا فى شىء من ذلك يعتذر بأنه مشغول البال ، واهتمامه بالسفر ، وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها لابنه ابراهيم باشا . وأن الدولة قلدته ولاية الصعيد فأنا لا علاقة لى بذلك ! واذا خوطب ابنه أجابهم بعد المحاججة بما تقدم ذكره ، ونحو ذلك . واذا قيل له هذا على مسجد . فيقول : « كشفت على المساجد فوجدتها خرابا ، والنظار عليها يأكلون الايراد ، والخزينة أولى منهم ، ويكفيهم أنى أسامحهم فيما أكلوه فى السنين الماضية ، والذى وجدته عامرا أطلقت له ما يكفيه وزيادة . وانى وجدت لبعض المساجد أطيانا واسعة ، وهى خراب ومعطلة ، والمسجد يكفيه مؤذن واحد ، وأجرته نصفان ، وامام مثل ذلك ،

وأما فرشه واسراجه فانى أرتب له راتبا من الديوان فى كل سنة » . فاذا تكرر عليه الرجاء أحال الأمر على أبيه ، ولا يمكن العود اليه لحركاته ، وتنقلاته وكثرة أشغاله وزوغانه .

ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين وبرز الباشا للسفر ، بل وسافر بالفعل ، فلم يمكث بعده ابنه الا أياما قليلة : يبيت بالجيزة ليلة ، وعند أخيه ببولاق ليلة أخرى ، ثم سافر راجعا الى الصعيد ، يتمم ما بقى عليه لأهله من العذاب الشديد ، فانه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالأقطار . وأذل أعزة أهله ، وأساء أسوأ السوء معهم فى فعله ، فيسلب نعمهم وأموالهم ، ويأخذ أبقارهم وأغنامهم ، ويحاسبهم على ما كان فى تصرفهم واستهلكوه ، أو يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه ، ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة ، والمقادير من الأموال التى ليست أيديهم اليها طائلة . ويلزمهم بتحصيلها وغلاقها وتعجيلها . فتعجز أيديهم عن الاتمام ، فعند ذلك يجرى عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق ، والكى بالنار والتحريق . فانه بلغنى — والعهدة على الناقل — أنه ربط الرجل ممدودا على خشبة طويلة ، ومسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضرمة مثل الكباب ! وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل ، سنه دون العشرين عاما ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه : لم يؤدبه مؤدب ، ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات . وسمعت أن قائلا قال له : « وحق من أعطاك » . قال : « ومن هو الذى أعطانى ؟ » . قال له : « ربك » . قال له : « انه لم يعطنى شيئا ، والذى أعطانى أبى ... فلو كان الذى قلت ، فانه كان يعطينى وأنا ببلدى ! وقد جئت وعلى رأسى قبع مزفت مثل المقلاة » . فلهذا لم تبلغه دعوى ولم يتخلق الا بالأخلاق التى دربه عليها والده ، وهى تحصيل المال بأى وجه كان .

فأنزل بأهل الصعيد الذل والهوان ، فلقد كان به من المقادم والهوارة ، كل شهم يستحى الرئيس من مكالمته ، والنظر اليه بالملابس الفاخرة ، والأكراك السمور ، والخيول المسومة والأنعام والأتباع والجند والعبيد ، والأكمام الواسعة والمضايف والانعامات والاغداقات والتصدقات ، وخصوصا أكابرهم المشهورون ... وهمام — وما أدراك ما همام ! — وقد تقدم فى ترجمته ما يغنى عن الاعادة . فخربت دور الجميع ، وتشتتوا وماتوا غرباء . ومن عسر عليه مفارقة وطنه ، جرى عليه ما جرى على غيره ، وصار فى عداد المزارعين .

وقد رأيت بعض بنى همام وقد حضروا الى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا لعله يرفق بهم ويسامحهم فى بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به ، وهم أولاد عبد الكريم وشاهين ولدى همام الكبير ومعهم حريمهم وجوارهم وزوجة عبد الكريم — ويقولون لها الست الكبيرة — وهى أم أولاده . فلما وصلوا الى ساحل مصر القديمة ، ورأى أرباب ديوان المكس الجوارى — وعدتهم ثلاثة — حجزوهم وطالبوهم بكمركهن ! فقالوا : « هؤلاء جوارنا للخدمة ، وليسوا مجلوبين للبيع » . فلم يعبأوا بذلك ، وقبضوا منهم ما قبضوه ، ثم انهم لم يتمكنوا من الباشا — وكان اذ ذاك قد توجه الى الفيوم ، وعاد الى العرضى مسافرا الى الحجاز — فاستمروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ، ورأيتهم مرة مارين بالشارع ، وهم مخلقنون ، وفيهم صغير مراهق . واتفق أنهم تفاقموا مع ابن عمهم ، وهو عمر ، وشكوه الى مصطفى بيك دالى باشا بأنه حاف عليهم فى أشياء من استحقاقهم ... دعوى مفلس على مفلس ! فأحضره وحبسه مدة وما أدرى ما حصل لهم بعد ذلك .

وهكذا .. تخفض العالى وتعلى من سفل ، اللهم انا نعوذ بك من زوال النعم ، ونزول النقم .

* * *

وأما من مات فى هذه السنة ، فمات الأستاذ الشهير ، والجهبذ النحرير ، الرئيس المفضل ، والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره : الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن ، المعروف بابن عارفين ، سبط بنى الوفاء ، وخليفة السادات الحنفاء ، وشيخ سجادتها ، ومحط رحال سيادتها ... وشهرته غنية عن مزيد الافصاح ، ومناقبه أظهر من البيان والابضاح وأمه السيدة صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبى الارشاد ابن وفا ، تزوج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين ، فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف — — وكان أسن منه — فتربى مع أخيه فى حجر السيادة والصيانة والحشمة ، وقرأ القرآن ، وتولع بطلب العلم .

وحضر دروس أشياخ الوقت ، وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم وأحزابهم ، عن خاله الأستاذ شمس الدين محمد أبو الاشراق بن وفا ، عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن أبيه الشيخ يوسف أبى الارشاد ، عن والده أبى التحصيص عبد الوهاب ... الى آخر السند المنتهى الى الأستاذ أبى الحسن الشاذلى . ولازم العلامة القدوة : الشيخ موسى البجيرمى ، فحضر عليه — كما ذكره فى برنامج شيوخه — أم البراهين ، وشرح المصنف عليها ، والآجرومية وشرحها للشيخ خالد ، وشرح الستين مسألة للجلال المحلى — وهو أول أشياخه — ثم لازم الشيخ خليل المغربى ، فحضر عليه شرح ايساغوجى لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى ، وشرح العصام على السمرقندية ، والفاكهى على القطر ، ومتن التوضيح والأشمونى على الخلاصة ، ورسالة الوضع والمغنى .

وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الميجرى الملوى فى صحيح البخارى ، والشيخ عبد السلام على الجوهرة ، وأجازه بمروياته ومؤلفاته الاجازة العامة ، وكذلك أجازه الشيخ أحمد الجوهرى الشافعى ، اجازة عامة واجازة خاصة ، بطريقة مولاى عبد الله الشريف ، ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهرى الصغير .

وحضر أيضا دروس الأستاذ الحفنى فى شرح التلخيص للسعد التفتازانى ، وشرح التحرير لشيخ الاسلام ، وشرح الألفية لابن عقيل ، والأشمونى .
وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى شرح الآجرومية للشيخ خالد ، وشيئا من شرح الهمزية للحافظ بن حجر ، وشيئا من تفسير الجلالين والبيضاوى .

وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى فى شرح بن قاسم العزى على أبى شجاع ، وعلى السيد البليدى فى شرح التهذيب للخبيصى ، وعلى الشيخ عطيه الأجهورى الشافعى فى شرح الخطيب على أبى شجاع ، وشرح التحرير لشيخ الاسلام ، وتفسير الجلالين ، وعلى الشيخ محمد النارى شرح السلم لمصنفه ، وشرح التحرير ، وعلى الشيخ أحمد القوصى شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى .

وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهل المغرب فى وقته الشيخ محمد بن سودة التاودى ، الفاسى المالكى ، عند وروده مصر فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف بقصد الحج ، وكتب له اجازة بخطه مع سنده ، وأجازه أيضا بدلائل الخيرات ، وأحزاب الشاذلى .

وكذلك تلقى الاجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفى المرزوقى ، وتلقى

أيضا من امام الحرم المكى الشيخ ابراهيم ابن الرئيسى محمد الزمزمى الاجازة بالمسبعات ، واستجازه هو أيضا بما لأسلافه من الأحزاب ، وكناه بأبى الفوز وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة وألف بمكة ... سنة حجة المترجم .

ولما مات السيد محمد أبو هادى ، وانقرضت بموته سلسلة أولاد الظهور — وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة وألف — تاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم ، وتهيأ لذلك ، ولبس التاج أيضا ، والعصابة التى يجعلونها عليه ... فلم يتم له ذلك ، وعورض بسيدى أحمد بن اسماعيل بيك ، المعروف بالدالى — المكنى بأبى الامداد — لأنه فى طبقته فى النسب ، وأمه السيدة « أم المفاخر » ابنة الشيخ عبد الخالق ، باتفاق أرباب الحل والعقد ، لكونه من بيت الامارة . وقد صار منزلهم كمنازل الأمراء فى الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة ، والقيعان والقصور ، وفى ضمنه البستان بالنخيل والأشجار ، وما يجتنى منها من الفواكه والثمار ... لأن معظم الوجاهة والسيادة فى هذه الأزمان بالمساكن الأنيقة والملابس الفاخرة ، وكثرة الايراد والخدم والحشم ، خصوصا ان اقترن بذلك شىء من المزايا المتعدية : من بذل الاحسان ، واكرام الضيفان . فعند ذلك يصير ربه قطب الزمان ، وفريد العصر والأوان . فلو فرضنا أن شخصا اجتمعت فيه أوصاف الكمالات المعنوية ، والمعارف اللدنية ، وخلا عما ذكر — وكان صعلوكا قليل المال ، كثير العيال — فلا يعد فى الرجال ، ولا يلتفت اليه بحال ... حكم الهية ، وأحكام ربانية !

فلما تقلدها سيدى أحمد المذكور دون المترجم ، بقى متطلعا يسلى نفسه بالأمانى ، ثم قصد الحج فى سنة تسع وسبعين كما ذكر . فلما عاد من الحج ، تزوج بوالدة الشيخ محمد أبى هادى ، وأسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة .. توصلا وتقربا لمأموله . ولم تطل مدة الشيخ أبى الامداد ، وتوفى سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه فى ترجمته . وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض ... وقد مهد أحواله ، وتثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من الأشياخ وغيرهم .

ودفن السيد أحمد ، وركب المترجم فى صبحها مع أشياخ الوقت ، والشيخ أحمد البكرى ، وجماعة الحزب ونقبائهم الى الرباط بالخرنفش . ودخل الى خلوة جدهم ، فجلس بها ساعة ، وقرأ أرباب الحزب وظيفتهم ، ثم ركب مع المشايخ الى أمير البلدة — وكان اذ ذاك على بيك — فخلع عليه ، وركبوا الى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة ... وأصبح متقلدا خلافة أسلافهم ، ومشيخة سجادتهم ... فكان لها أهلا ومحلا . وتقدم على أخيه الشيخ يوسف — مع كونه أسن منه — لما فيه من زيادة الفضيلة ، ولما ثبطه به من مخادعته ، وسلامة صدر أخيه وحسن ظنه فيه .

وانتظم أمره ، وأحسن سلوكه بشهامة وحشمة ورآسة وتؤدة وأدب مع الأشياخ والأقران ، وتحبب الى أرباب المظاهر والأكابر ، واستجلاب الخواطر ، وسلوك الطرائق الحميدة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة ، والأخذ بالحزم والرفق ... مع الاشتغال فى بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة فى المسائل الدينية والأدبية ، ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم ، والمناقشة معهم فى النكات ، واقتناء الكتب من كل فن ... كل ذلك مع الجد والتحصيل للأسباب الدنيوية ، وما يتوصل به الى كثرة الايراد .. بحسن تداخل ، وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار ... بحيث يقضى مرامه من العظيم ، وجميل الفضل له .

ويراسل ويكاتب ، ويشاحح على أدنى شىء ، ويحاسب ، ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة فى الدفاتر ... بل يرون أن أخذها منه من الكبائر ! وكذلك دواوين المكوس المبنى على الاجحاف ، فكل ما نسب له فيها فهو معاف . وكلما طال الأمل ، زاد المدد ، وخصوصا اذا تقلبت الدول ، وارتفعت السفل . كان الأسبق القديم فى أعينهم » هو الجليل العظيم ... وهم لديه صغار ، لاينظر اليهم الا بعين الاحتقار .

ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ، ويخضع لهم ، ويتأدب معهم ... وكانوا على طرائق الأقدمين فى العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا الا بقدر الضرورة ، وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك — وهم أعاظم مدرسى الوقت — فأحدقوا به ، وأكثروا من التراداد عليه وعلى موائده ، وبالغوا فى تعظيمه وتقبيل يده ، ومدحوه بالقصائدالبليغة طمعا فى صلاته وجوائزه القليلة ، وحصول الشهرة لهم ، وزوال الخمول ، والتعارف بمن يتردد الى داره من الأمراء والأكابر ... وزاد هو أيضا وجها ووجاهة بمجالستهم ، ولا يريهم فضلا بسعيهم اليه ، ويزداد كبرا وتيها . وبلغ به انه لا يقوم لأكثرهم اذا دخل عليه ، ومنهم من يدخل بغاية الأدب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته : « يامولاى يا واحد » ، فيجيبه هو بقوله : « يامولاى يادائم » ، يا على يا حكيم » . فاذا حصل بالقرب منه ، بنحو ذراعين ، حبا على ركبتيه ، ومد يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه . وأما الأدون ، فلا يقبل الا طرف ثوبه . وكذلك أتباعه وخدمه الخواص .

واذا كان من أهل الذمة أو كبار المباشرين ، وقبلوا يده وخاطبهم فى أشغاله — وهم قيام — وانصرفوا ... طلب الطست والابريق ، وغسل يده بالصابون لازالة أثر أفواههم ! ولا يجيب فى رد التحية الا بقول : « خير . خير » . ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وخاصته ومسامريه الا بانتقاد أهل مصره ، وغيبة غالب أهل عصره . وتنبسط نفسه لذلك ، واليه يصغى ... كلا ان الانسان ليطغى !

وفى سنة تسعين ومائة وألف ، ورد الى مصر عبد الرزاق أفندى رئيس الكتاب ، ومن أكابر أهل الدولة ، فتداخل معه ، واصطحب به ، وأهدى اليه هدايا ، واستدعاه وأضافه .

وحضر فى ذلك العام محمد باشا — المعروف بالعزتى — واليا على مصر ، فأنهى اليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية أسلافه للعمارة ، ودعا الباشا لزيارة قبورهم فى يوم المولد المعتاد السنوى ، وذكر له المقصود ، وأظهر له بعض الخلل ، وزين له ذلك الفعل ، وأنه من تمام الشعائر الاسلامية ، والمشاهد التى يجب الاعتناء بشأنها ، والسعى والطواف بحرمها .

وكان المعين والسفير والمساعد فى ذلك أيضا ، شيخنا محدث العصر ، السيد محمد مرتضى ، وهو عند العثمانيين مقبول القول ، وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والاجازات ، وقرأ عليه مقامات الحريرى ، فأجاب الباشا ووعد باتمام ذلك وكاتب الدولة ، وورد الأمر باطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزينة مصر . فشرع فى هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الأصلى ، واندرس فى جدرانها قبور ومدافن ، وحوطها وزخرفها بالنقوش ، وأنواع الرخام الملون والمموه بالذهب ، والأعمدة الرخام .

ثم كاتب الدولة ، وأنهى أن ذلك القدر لم يكف ، وأن العمارةلم تكمل ، والاحسان بالاتمام ... فأطلقوا له خمسين كيسا أخرى ، وأتمها على

هذا الوضع الذى هى عليه الآن ، وأنشأ حولها مساكن ومخادع ، ووسع القصر الملاصق لها ، المختص به لجلوسه ، ومواضع الحريم أيام الموالد .

ثم أرسل فى اثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ ابراهيم السندوبى ، الى دار السلطنة بمكاتيات ، وأعرض لرجال الدولة ، والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها ، مما فى حوزه من الالتزام ، من المال الميرى الذى يدفع الى الديوان فى كل سنة .

وكان ابراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل الساسانية ، والتصنعات الشيطانية ، والتخليطات الوهمية وتقلبات الملامتية ، فتمم مرامه بما ابتدعه من المخرقة ، والايهامات الملفقة ... ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد ، بل اجتلب خلاف ذلك فوائد .

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر على رأس القرن ، وخرج الأمراء المصريون الى الجهة القبلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسائهم وأولادهم ، وأمر بانزالهم سوق المزاد وبيعهم زاعما أنهم أرقاء لبيت المال ، وفعل ذلك . فاجتمع الأشياخ ، وذهبوا اليه ... فكان المخاطب له المترجم ، قائلا له : « أنت أتيت الى هذه البلدة ، وأرسلك السلطان الى اقامة العدل ، ورفع الظلم... كما تقول ، أو لبيع الأحرار ، وأمهات الأولاد ، وهتك الحريم ؟ » . فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » . فقال له : « هذا لا يجوز ، ولم يقل به أحد » . فاغتاظ غيظا شديدا ، وطلب كاتب ديوانه ، وقال له : « اكتب أسماء هؤلاء ، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره » فقال له السيد محمود البنوفرى : « اكتب ماتريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا » فأفحم ، وانكف عن اتمام قصده ، وأيضا تتبع أموالهم وودائعهم .

وكان ابراهيم بيك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة ، وكذلك مراد بيك أودع عند محمد أفندى البكرى وديعته ، وعلم ذلك حسن باشا فأرسل عسكرا الى السيد البكرى ، فلم تسعه المخالفة ، وسلم ما عنده ، وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة ابراهيم بيك ... فامتنع من دفعها قائلا : « ان صاحبها لم يمت ، وقد كتبت على نفسى وثيقة ، فلا أسلم ذلك مادام صاحبها فى قيد الحياة » . فاشتد غيظ الباشا منه ، وقصد البطش به ، فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق . فكان يقول : « لم أر فى جميع الممالك التى ولجتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل ؟ فانه أحرق قلبى » .

ولما ارتحل من مصر ، ورجع المصريون الى دولتهم ، حصل من مراد بيك فى حق السيد البكرى ما حصل ، وغرمه مبلغا عظيما ، باع فيه أقطاعه فى نظير تفريطه فى وديعته ، واحتج عليه بامتناع نظيره ، وحصل له قهر تمرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات . ويقال ان مراد بيك أرسل اليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ، ثم مات رحمه الله . وكانت منه هفوة . ولا بد للجواد من كبوة . ومن لم ينظر فى العواقب فليس له الدهر بصاحب ... حتى قيل انه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة فى الحظوة عنده ، ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع . وقد غلب على ظنه ، بل وظن غالب الناس ، انقراض المصريين ، وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين .

وأما المترجم فانه لما أخذ بالحزم سلم ، ورد الأمانة الى صاحبها حين قدم ، وحسنت فيهم سيرته ، وزادت عندهم محبته . وفى عقب ذلك نزل السيد محمد أفندى البكرى المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسينى للمترجم ، وأرسل اليه بصندوق دفاتر الوقف — وكان نظر المشهد بيتهم مدة طويلة —

ووعده المترجم بأن يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعي . فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر ، نكث وطمــع على الوظيفتــين ، بل ومد يده الى غيرهما لعدم من يعارضه ، ولا يدافعه من الأمراء وغيرهم ، مثل نظر المشــهد النفيسي والزينبي ، وباقي الأضرحة الكثيرة الايراد ... التي يصاد بها الدنيا من كل ناد ، وتأتيها الخلائق بالقربانات وأنواع النــذورات . وأخذ يحاسب المباشرين وخــدمة الأضرحة المذكورة على الايرادات والنــذورات . ويحــاققهم على الذرات ، ويسبهــم ويهينهــم ، ويضربهم بالجـريد المحمص على أرجلهم . وفعل ذلك بالسيد بدوى ، مبــاشر المشهد الحسيني ، وهو من وجهــاء النــاس الذين يخشى جانبهم ، ومشهور ومذكور في المصر وغيره .

وكان معظم انقباض الســيد البكرى ، ونزوله عن نظر المشهد ... ضيق صــدره من المذكور ، ومناكدته له ، واستيلائه على المحــل ، ومحصول الوقف ، والتقصير في بصارفه اللازمة ... وينسب التقصير للناظر . وكان — رحمه الله عظيم الهمة ، يغلب عليه الحياء والمسامحة ، ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور ... فتنصل من ذلك ، وترك فعله لغيره .

فلما أوقع المترجم بالسيد بدوى وباقي عظماء السدنة ما أوقع ، انقمع الباقون ، وذلوا ، وخافوه أشد الخوف ، ووشوا على بعضهم البعض . وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والأغنام والعجول ، وما يتحصــل بصندوق الضريح من المال — وكانوا يختصون بذلك كله ، وأقلهم في رفاهية من العيش ، وجمع المال مع الســفالة والشحاذة ... حتى من الفقير المعدم المفلس والكسرة الناشفة !

وكان اذا أراد الايقاع بشخص أو اهانته ، وخشى عاقبــة ذلك ، أو لوماً يلحقــه ممن ينتصر لــه ، مهــد له الطريق سرا قبــل الايقــاع به . فانه لمــا أراد ضرب السيد بدوى ، طاف على الشيخ العروسي وأمثاله ، وأسرّهم ما في نفسه .

وامتدت يده أيضا الى شهود بيت القاضي . فكان اذا بلغه أن أحدهم كتب حجة لاستبدال أو اجارة مكان ، مدة طويلة ، لناظر أو مستحق وكان ذلك المكان يؤول ، بعد انقراض مستحقيه ، لضريح من الأضرحة التي تحت نظره — أحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ، ولربما ضربه ، وأبطل تلك المكاتبة ، ومحاها من سجل القاضي ، أو يصالحونه عــلى تنفيذ ذلك — مع أنها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين وأعوام متطاولة .

وقد نص علماء الشرع على أن الوقف والنذر للقبور والأضرحة ... باطل . فان قيل بصحته على الفقراء ، قلنا : ان ســدنة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء ، بل هم الآن أغنى الناس . والفقراء حقيقة خلافهم من أولاد النــاس الذين لا كسب لهم ، والكثير من أهل العلم الخاملين ، والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .

ولمــا استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني ، قهر السيد بدوى المبــاشر المذكور ، وأخذ دار سكنه شرقي المسجد ، وأخرجه منها ، وهدمها وأنشأها دارا لنفسه ، ينزل بها أيام المولد المعتاد ، ويأتي اليها في كل جمعة أو جمعتين . ولمــا تم بناؤها ونظامها ، وقرب وقت أيام المولد ، انتقل اليها بخدمه وحريمه ، وتقدم الى حــكام الشرطة بأمر الناس والمناداة على أهل الأسواق والحوانيت : بالسهر بالليل ، ووقود السرج والقناديل ، خمس عشرة ليلة المولد ، وكان في السابق ليلة واحدة . وأحــدثوا في تلك الليالي ســيارات ، وجمعيات ، وطبولا ، وزمورا ، ومناور ومشاعل ، وجمع خلائق من أوباش العــالم الذين ينتسبون الى الطرائق ،

كالأحمدية والسعدية والشعيبية ، ويتجاوبون فى وسط الطبول بألفاظ مستهجنة ، ينادون بها مشايخ طرقهم بكلمات وعبارات تشمئز منها الطباع ! وأمرهم بأن يمروا من تحت داره ، ودعا أمراء البلدة فى ظرف تلك الأيام متفرقين ، ودعا عابدين باشا يوم المولد .

ولما سكن بتلك الدار — وهى قبالة الميضأة والمراحيض — فكان يتضرر من الرائحة ، فقصد ابطالها من تلك الجهة ، فاشترى دارا قبلى المسجد — وهى بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد — وأدخل منها جانبا فى المسجد ، وزاد فيه مقدار باكية ، وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم ، وجعل به محرابا ، ومن خلفه خلوة يسلك اليها من باب بصدر الليوان المذكور الى فسحة لطيفة أمام الخلوة ... وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذى بقبة الضريح . وأنشأ فيما بقى من الدار ميضأة ومراحيض ، وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل ، وأبطل الميضأة القديمة ، لانحراف مزاجه وتأذيه من رائحتها .

وتحول عبور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة ، وأتت عليها عدة أيام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد ، وما انضاف الى ذلك أيضا من البلل والتقذير من أرجل الأوباش لقربها من المسجد . فلغط الناس ومن يحضر فى أوقات الصلاة ، من أتراك خان الخليلى والتجار ، وشنعوا القالة ، وقاموا قومة واحدة ، وأغلقوا الباب ، وأبطلوا تلك الميضأة ، ومنعوا من دخولها . وساعدهم المتصوفون من أجناسهم ، فانكسف بال المترجم لذلك ، ولم يمكنه تنفيذ فعله ، وأعاد الميضأة القديمة كما كانت ، وجعل المستجدة مربطا للحمير يستغل أجرته ! بعد أن أزال تلك الميضأة ، ومحا أثر ذلك .

وكان بناء هذه الزيادة سنة ست بعد المائتين . ثم زاد فى منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل — خلف البستان — أخذ فى تلك الزيادة مقدارا كبيرا من أرض البركة ، وأنشأه مجلسا مربعا متسعا ، مطلا على البركة من جهتيه ، وبوسطه عمود من الرخام ، وبلط دور قاعته بالرخام ، وجعل به مخدعا ، وخارجه فسحة كبيرة ، وشبابيكها مطلةعلى البركة . وصارت القاعة القديمة ، المعروفة بالغزال الملتفت ، بابها فى ضمن الفسحة ، وبها باب القيطون . وسمى هذه المنشية « الأسعدية » ، وبتلك الفسحة باب يدخل منه الى منافع ومرافق . ثم عنّ له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى ، فهدم الساتر على القاعة الكبيرة وفسحتها ، وهى التى يسمونها « بأم الأفراح » ، وهى من انشاء الشيخ أبى التخصيص ، وهى أعظم المجالس التى بدارهم .. مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشانى الصينى بجميع حيطانها والرخام الملون ، وبها الفسقية والسلسبيل ، والقمريات الملونة . فكشف حائطها وأدخل فسحتها فى رحبة الحوش ، وهدم القاعة الأخرى التى كان يصعد اليها بسلم من الفسحة الأخرى ، وأبطل الحواصل التى أسفلها ، وساواها بالأرض ، وعمل بها فسقية بالرخام ، ومرافقها من داخلها ، وبها باب يتوصل منه الى الحريم ، وسماها « الأنوارية » نسبة لكنيته ، وأمامها فسحة عظيمة — ديوان بدكك وكراسى — بجانب البستان ، وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل إلى القاعة المسماة « بالغزال والأسعدية » ، وهدم المقعد القديم الذى به العمود وقناطره ، وما كان بظاهر الحاصل — المسمى بحاصل السجادة — من الحواصل السفلية ، وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة ، ونصب فيه منبرا للخطبة .. وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاظمه عن السعى الكثير ، والاختلاط بالعامة [-

وأخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية وسع بها البستان ، وغرس بها الأشجار والرياحين والثمار .

وأفنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا ، وتنظيم المعاش والرفاهية ، واقتناء كل مرغوب للنفس ، وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان ، والتأنق فى المآكل والمشارب والملابس ، واستخراج الأدهان والعطريات والمركبات المفرحة ، والمنعشة للقوة .

وتعاظم فى نفسه ، وتعالى على أبناء جنسه ... حتى أنه ترفع على لبس التاج ، وحضور المحيا بالأزهر ليلة المعراج ، وكذا الحضور فى مجلس وردهم ، الذى هو محل عزهم وفخرهم ، وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء ، تشبها بأكابر الأمراء ، وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين .

ولما طالت أيامه ، وماتت أقرانه ، والذين كان يستحى منهم ويهابهم ، وتقلبت عليه الدول ، واندرجت أكابر الأمراء ، وتأمرأتباعهم ومماليكهم الذين كانوا نقومون على أقدامهم بين يدى مخاديمهم وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم ... لا جرم كانت هيبته فى قلوبهم أعظم من أسلافهم ، واستصغاره هو لهم كذلك . فكان يصدعهم بالكلام وينفذ أمره فيهم ، ويذكر الأمير الكبير بقوله : « ولدنا الأمير فلان » . وحوائجه عندهم مقضية ، وكلامه لديهم مسموع ، وشفاعته مقبولة ، وأوامره نافذة فيهم وفى حواشيهم وحريماتهم .

واتفق أن بعض أعاظم المباشرين من الأقباط توقف معه فى أمر ، فأحضره ولعنه وسبه ، وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ، ولم يراع حرمة أميره ، وهو اذ ذاك أمير البلدة .

ولما شكا الى مخدومه ما فعل به ، قال له : «وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا» ! فرحم الله عظامهم .

واتفق أيضا أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم وتباسطوا ، فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر . فوشى للمترجم مجلسهم ، وأنهم أدرجوه فى سخريتهم ، فتسماهم ، وأحضرهم واحدا بعد واحد ، وعزرهم بالضرب والاهانة ... فكان كل قليل يقع فى بيته الضرب والاهانة لأفراد من الناس ، وكذلك فلاحو الحصص التى حازها والتزم بها ... فانه زاد فى خراجهم عن شركائه ، ويفرض عليهم زيادات ، ويحبسهم عليها شهورا ، ويضربهم بالكرابيج .

وبالجملة فقد قلب الموضوع ، وغير الرسم المطبوع ، بعد أن كان منزلهم محل سلوكٍ ورشاد ، وولاية واعتقاد ، فصار كبيت حاكم الشرطة ، يخافه من غلط أدنى غلطة ، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس ... وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه فى شىء ، بل يوافقونه ، ولا يتكلمون معه الا بميزان ، وملاحظة الأركان ، ويتأدبون معه فى رد الجواب ، وحذف كاف الخطاب ، ونقل الضمائر عن وضعها فى غالب الألفاظ — بل كلها — حتى فى الآثار المروية ، والأحاديث النبوية ... وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة ، والأوصاف الجميلة ... حتى أن السيد حسنين المنزلاوى الخطيب ، كان ينشىء خطبا يخطب بها يوم الجمعة التى يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسينى ، وبزاويتهم — أيام المولد — ويدرج فيها الاطراء العظيم فى المترجم والتوسل به فى كشف المهمات ، وتفريج الكروب ، وغفران الذنوب ! حتى انى سمعت قائلا يقول بعد الصلاة : « لم يبق على الخطيب الا أن يقول : اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات » !

ولما قدمت الفرنساوية الى الديار المصرية فى أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف لم يتعرضوا

له فى شيء ، وراعوا جانبه ، وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعاته ، وتردد اليه كبيرهم وأعاظمهم . وعمل لهم ولائم ، وكنت أصاحبه فى الذهاب الى مساكنهم ، والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم ...

الى أن حضر ركب العثمانيين فى سنة خمس عشرة ، وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من أرض مصر ، ورجوعهم الى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية ، ومنها حسابات تدفع اليهم ، وأخرى تخصم عليهم . وظن المترجم وخلافه اتمام الأمر والارتحال لا محالة . فعند ذلك لحقه الطمع ، فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم فى نظير الافراج عن تعلقاته ، وأرسل يطلبها من «بوسليك» مدبر الجمهور ، وكذلك ما قبضه ترجمانه . فقال : « هذه عوائد لا بد منها ، ودخلت فى حساب الجمهور » . وتغير خاطرهم منه ، وكانت منه هفوة ، ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة .

ولما انتقض الصلح ، وحصلت المفاقمة ، ووقعت المحاربة فى داخل المدينة ، وتترست العساكر الاسلامية ، وأهل البلد ، فى النواحى والجهات ، وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما — التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر ، الاطعام والانفاق على المحاربين والمقاتلين فى جهتهم ونواحيهم ، والتزم المترجم كغيره الانفاق على من حوله .

فلما انقضت أيام المحاربة ، وانتصر الفرنساوية ، ورجع الوزير ومن معه الى جهة الشام منهزمين ... فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم بأخذ المال بدلا عن الأرواح ، وقبضوا على المترجم وحبسوه وأهانوه أياما ، وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال ... قام بدفعه ، كما ذكرنا ذلك مفصلا فى محله . وقيل ان الذى زاد الفرنساوية اغراء به ، مراد بيك ، حين اصطلح معهم ، وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة .

وسببه : أنه لما دهمت الفرنساوية ، وطلعوا الاسكندرية ، ووصل الخبر الى مصر .. اجتمع الأمراء بالمساطب ، وطلبوا المشايخ ليشاوروا فى هذا الحادث ، فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ ، وقال : « كل هذا سوء فعالكم وظلمكم . وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للافرنج » . وشافه مراد بيك « ... وخصوصا بأفعالك وتعديك أنت وأمرائك على متاجرهم وأخذ بضائعهم واهانتهم» . فحقدها عليه ، وكتمها فى نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية ، وألقى اليهم ما ألقاه . ففعلوا به ما ذكر .. وذلك فى ثانى يوم الضيافة .

فلما رجع العثمانية فى السنة الثانية الى مصر بمعونة الانكليز ، وصاروا بالقرب من المدينة ، حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من أرباب المظاهر ... خوفا من احداثهم فتنة بالبلدة .

ومات ولده ، الذى كان سماه : محمد نور الله ، وهو معوق وممنوع ، فأذنوا له فى حضوره جنازة ولده ، فنزل وصحبته شخص حرس منهم ، فلازمه حتى واراه ، وعاد به ذلك الحرسى الى القلعة وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة ... كان فى أمله أن يكون هو الخليفة فى بيتهم من بعده ، ويأبى الله الا ما يريد !

ولما انفصل الأمر ، وارتحل الفرنساوية من أرض مصر ، ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه ، تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما أصابه ، وادعى الفقر والاملاق ... مع أن الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئا من تعلقاته وايراده ، وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وايراده من غير حلوان كغيره من

الناس ، وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ، ودعا الوزير الى داره ، وأفراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الأمور ، وعاد الى حالته فى التعاظم والكبرياء .

وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر — وكان سموحا — وكذلك شريف أفندى الدفتردار ، فرمح فى غفلتهما ، واستكثر من التحصيل والايراد ... الى أن تقلبت الأحوال ، وعادت للمصريين فى سنة ثمان عشرة ، ثم خروجهم ، وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها .

واستقر محمد على باشا ، وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر ، وشرع فى تمهيد مقاصده ، فكان السيد عمر يمانعه . فدبر على اخراجه من مصر ، وجمع المشايخ ، وأحضر المترجم ، وخلع عليه وقلده النقابة ، وأخرج السيد عمر من مصر منفيا الى دمياط ... وذلك فى سنة أربع وعشرين كما تقدم . ووافق فعله ذلك غرض المترجم ، بل ربما كان بمعونته لحقده الباطنى على السيد عمر ، وتشوفه الى النقابة ، وادعائه أنها كانت ببيتهم ... لكون الشيخ أبى هادى تولاها أياما ، ثم تولاها بعده أبو الامداد ، ثم نزل عنها لمحمد أفندى البكرى الكبير — فلم يزل فى نفس المترجم التطلع لنقابة الاشراف ويصرح بقوله : « انها من وظائفنا القديمة » وأحضر بها مرسوما من دار السلطنة وأخفاه ولم يظهره مدة حياة محمد افندى البكرى الكبير . فلما مات وتقلدها ولده محمد افندى .. ادعاها وأظهر المرسوم ، وشاع خبر ذلك . فاجتمع الجم الغفير من الأشراف بالمشهد الحسينى ممانعين وقائلين : « لا نرضاه نقيبا ولا حاكما علينا » ، فلم يتم له مراده .. فلما توفى محمد أفندى الصغير ، ظن أنه لم يبق له فيها منازع ... فلا يشعر الا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بيك وابراهيم بيك ، لصحبته معهما ، ومرافقته لهما فى الغربة حين كان المصريون بالصعيد . فسكت على ضغن وغيظ ، يخفيه تارة ويظهره أخرى ، وخصوصا وهو يرى أن السيد عمر فى ذلك ... دون ذلك بكثير .

فلما خرج الفرنساوية ، ودخل الوزير الى مصر ، وصحبته السيد عمر متقلدا للنقابة كما كان ، وانفصل عنها السيد خليل البكرى ، وارتفع شأن السيد عمر ، وزاد أمره بمباشرة الوقائع ، وولاية محمد على باشا ، وصار بيده الحل والعقد ، والأمر والنهى ، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية ... والمترجم يحقد عليه فى الباطن ويظهر له خلافه ، وهو الآخر كذلك ، كقول الشاعر :

أصادقه كرها ، ويظهر أنه
صديقى كرها .. والعداوة تشتد
ولست بمعتد له بصداقة
كما أنه منى بها ليس يعتد
وذلك لأنى عالم ، وهو عالم ،
فعلمى منه انى مثله ضد
ولكننى أخشاه وهو يخافنى
فيخفى ويبدو بيننا البغض والود

فلما أخرج الباشا السيد عمر ، وتقلد المترجم النقابة ، وبلغ مأموله ... عند ذلك أظهر الكامن فى نفسه ، وصرح بالمكروه فى حق السيد عمر ومن ينتمى اليه أو يواليه ، وسطر فيه عرضا محضرا الى الدولة ، نسب اليه فيه أنواعا من الموبقات التى منها أنه أدخل جماعة من الأقباط فى دفتر الأشراف ، وقطع أناسا من الشرفاء المستحقين ، وصرف راتبهم للأقباط المدخلين .. ومنها : أنه تسبب فى خراب الاقليم واثارة الفتن ، وموالاة البغاة المصريين ، وتطميعهم فى المملكة ... حتى أنه وعدهم بالهجوم على

البلدة يوم قطع الخليج فى غفلة الباشا والنـاس والعساكر ، وأنه هو الذى أغرى المصريين على قتل على باشا برغل الطرابلسى حـين قدم واليا عـلى مصر ، وهو الذى كاتب الانجليز وطمعهم فى البلاد مع الألفى حين حضروا الى سـكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الاسلامية ... وغير ذلك من عبارات عكس القضية ، وتنميق الأغراض النفسانية . وكتب الأشياخ عليه خطـوطهم ، وطبعوا تحتهـا ختومهم ، ما عدا الطحطاوى الحنفى ، فانه تنحى عن الشرور ، وامتنع من شهادة الزور ، فأوسـعوه سخطا ومقتا ، وعزلوه من الافتاء .

وقد تقـدم خبر ذلك فى حـوادث سـنة أربع وعشرين ، وانما المعنى باعادة ذلك هنا تتمة لترجمة المشار اليه ، وحذرا من نقصها مع النسيان لأكثر جملها ... فلو سلمت الفكرة من النسيان ، لفاقت سيرته كان وكان .

وفى سنة ست وعشرين أنشأ دارا عظيمة بجانب المنزل ، وصرف جملا من المال ، وأنشأ بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقى ، وأنشأ فيها بستانا غرس فيـه أنواع الأشـجار المثمرة ، وأدخل به ما حازه من دور الأمراء المتخربة .

وكان السيد خليل البكرى اشترى دارا بدرب الفرن ، وذلك بعد خروج الفرنساوية ، وخمول أمره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة ، وأنشـأ بها بستانا أنيقا ، وأنشأ قصرا برسم ولده مطلا على البستان . فلما توفى السيد خليل ، تعدى على ولده سيدى أحمد وقهره ، وأخـذ منـه ذلك البستان بأبخس الأثمان ، وخلطه ببستان الدار الجديدة ، وبنى سوره وأحاطه ، وأقام حائطا بينـه وبين دار المذكور ، وطمسها وأعمـاها ، وسدت الحـائط شبابيك ذلك القصر وأظلمته . ولم يزل كلما طال عمره ، زاد كبره ، وقل بره ، وتعدى شره . ولمـا ضعفت قواه تقاعد عن القيام لأعاظم النـاس اذا دخل عليه ، محتجا بالاعيـاء والضعف ، ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ، ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر !

وفى شهر شوال من السنة التى توفى فيهـا ، أحضر ابن أخيه سيدى أحمد الذى تولى المشيخة بعده ، وألبسه خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه فى نقابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، وأرسله الى الباشا صحبة سيدى محمد ، المعروف بأبى دفيه ، وأمامه جاويشية النقابة على العادة . فلما دخلا الى الباشا وعرفه المرسول بأن عمه أقامه وكيلا عنه ، فقال : «مبارك» . فأشار اليه أن يلبسه خلعة ، فقال : « ان موكله ألبسه ولم يتقلدها بالاصالة ، ولو كنت قلدته أنا ، كنت أخلع عليه وألبسـه » ، فقام ونزل الى داره التى أسكنه بها عمه ، وهى الدار التى عند المشهد الحسينى ، وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة .

وفى هذه السنة أيضا ، عن للمترجم أن يزيد فى المسجد الحسينى زيادة مضـافة لزيادته الأولى التى كان زادها فى سنة ست ومائتين وألف ، فهدم الحائط التى كان بنـاها الجنوبية ، وأدخل القطعة التى كان عمل بها الميضأة ، وزاد باكيـة أخرى ، وصف عواميد ، وصـارت مع القديمة ليـوانا واحـدا . وشرع فى بناء دار عظيمة لينزل فيهـا وقت مجيئه هناك فى أيام المولد وغيره — عوضا عن الدار التى نزل عنها لابن أخيه — فتكون هذه بعيـدة عن روائح الميضـأة القـديمة ، وتكون بالشارع ، وتمر من تحتها مواكب الأشـاير ، ولا يحتاجون الى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة . وجعل بالحائط الفاصـل بين الزيادة والدار المستجدة ، شبابيك مطلة على المسـجد ، لينظر منها المجالس والوقودات ، من يكون بالدار من الحريم وغيرهم .. فما هو الا وقد قرب اتمام

ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض ، وانقطع عن النزول من الحريم ... وتمت الزيادة ، ولم يبق الا اتمام الدار ، فيستعجل ويشتم المشد والمهندس ، وينسب اليهم اهمال استحثاث العمال ويقول : « قد قرب المولد ، ولم تكمل الدار ، فأين نجلس أيام المولد ؟ » . هذا وكل يوم يزيد مرضه ، وتورمت قدماه ، وضعف عن الحركة ... وهو يقول ذلك ويؤمل الحياة !

فلما زاد به الحال ، وتحقق الرحيل الى مغفرة المولى الجليل ، أوصى لأتباعه بدراهم ، ولذى الفقار — الذى كان كتخدا الألفى ، والآن فى خوالة بستان الباشا الذى بشبرا — بخمسمائة ريال لكون زوجته خشداشة حريمه ، وهما من جوارى اسماعيل بيك الكبير ، وليكون مغينا لها ومساعدا فى مهماتها ، ولسيدى محمد أبى دفية مثلها فى نظير خدمته وتقيده وملازمته له وأوصى ألا يغسل الا على سريره الهندى الذى كان ينام عليه فى حياته ليكون مخالفا للعالم .. حتى فى حال الموت !

فلما كان يوم الاحد ثامن عشر ربيع الأول من السنة انقضى نحبه ، وتوفى الى رحمة الله تعالى ، وقت العصر ، وبات بالمنزل ميتا . فلما أصبح يوم الاثنين ، غسل وكفن — كما أوصى — على السرير ، وخرجوا بجنازته من المنزل ، ووصلوا بها الى الأزهر ، فصلى عليه ، بعد ما أنشد المنشد مرثية من انشاء العلامة الشيخ حسن العطار ، وجعل براعة استهلالها الاشارة الى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر فقال : « سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر » ، ثم حمل الى مشهد أسلافه بالقرافة ، ودفن فى التربة التى أعدها لنفسه بجانب مقام جدهم .

وتقلد مشيخة سجادتهم فى ذلك اليوم السيد أحمد بن الشيخ يوسف — وهو ابن عمه وعصبته ، وكنيته : أبو الاقبال — باجماع من الخاص والعام ، وجلس هو وأخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء .

وفى الصباح : حضر الى الرباط بالخرنفش وكان بزاوية الرباط المذكور ، خلوة جدهم ... أقام بها حين حضر من الغرب الى مصر . وعادتهم اذا تولى شخص منهم المشيخة لابد أن يأتى فى الصباح ، ويدخل الخلوة فيجلس بها حصة لطيفة ، فيتروحن وتلبسه الولاية .

فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة ، زاعما أنه خاتمة أوليائه ، وأنه لم يأت من يصلح للمشيخة سواه ... وكأنه أخذ بذلك عهدا وميثاقا ، ولم يعلم أن ربه لم يزل خلاقا ، وأن الولاية ليست بفعل العبد ، ولا بالسعى والقصد . قال تعالى فى محكم آياته : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وقال سبحانه : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، « ان أولياؤه الا المتقون » . نسأله التوفيق والهداية ، والحفظ عن أسباب الغواية .

ولما كان ذلك ، وأحبوا اجراء العادة القديمة ، حضر المتولى وصحبته أشياخ الوقت ، والسيد محمد المحروقى ، وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين ، وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا — بدل الحائط المهدوم — ودخل المتولى خلفها ، وقرأ جماعة الحزب شيئا من القرآن ، ثم قام النقيب مع الشيخ البكرى ، فتلقوا الشيخ ، فخرج على الحاضرين متطيلسا ، وصافحهم ، وركب بصحبتهم الى القلعة ، فخلع عليه كتخدا بيك خلعة سمور ، وقاموا ونزلوا الى زاويتهم بالقرافة ، وأمامهم جماعة الحزب ، وجاويشية النقابة ، فجلسوا حصة ، وقرأوا أحزابهم ، ثم ركب ورجع الى المنزل ، وجلس مع أخيه لعمل المأتم والقراءة الجمعية على العادة .

وأرسل كتخدا بيك ساعيا بخبر موته الى الباشا بالفيوم ... لأنه لما سافر الى جهة قبلى ، ووصل الى ناحية بنى سويف ، ركب بغلة سريعة العدو ، وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال ، فوصلها فى أربع ساعات ، وانقطع أكثر المتوجهين معه ، ومات منهم سبعة عشر هجينا . ورجع الساعى بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ومضمونها : عدم التعرض لورثة المتوفى ، حتى يقدم الباشا من غيبته . فبقى الأمر على السكوت أربعة عشر يوما .

وحضر الباشا ليلة الأحد ، ثامن ربيع الآخر ، فبمجرد وصوله الى الجيزة . أرسل بالختم على منزلهم ، فما يشعرون الا وحسين ، كتخدا الكتخدا بيك وبيت المال ، واصل اليهم ومعه آخرون ، فختموا على المجالس التى بالحريم ، ومجلس الجلوس الرجالى ... ختموا على خزائنه ، وقبضوا على الكاتب القبطى ، المسمى « عبد القدوس » والفراش ... وحبسوهما .

وعدى الباشا من ليلته الى بر مصر ، وطلع الى القلعة . فركب اليه فى صبحها المشايخ ، وصحبتهم ابن أخى المتوفى — وهو الذى تولى المشيخة — فخاطبوه ، وقالوا له كلاما معناه أن بيوت الأشياخ مكرمة ، ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم ، وخصوصا أن هذا المتوفى كان عظيما فى بابه ، وأنتم أخبر به ، وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة ، فقال : « نعم .. انى لا أريد اهانة بيتهم ، ولا أطمع فى شىء مما يتعلق بمشيختهم ، ولا وظائفهم القديمة . ولا يخفاكم أن المتوفى كان طماعا وجماعا للمال ، وطالت مدته ، وحاز التزامات واقطاعات ، وكان لايحب قرابته ، ولا يخصهم بشىء ، بل كتب ماحازه لزوجته ، وهى جاريه نهاية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر ، ولم يكتب لأولاد أخيه شيئا ... فلا يصح أن أمة تختص بذلك كله ، والخزينة أولى به لاحتياجات مصاريف العساكر ، ومحاربة الخوارج ، واستخلاص الحرمين ، وخزينة السلطان ... وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم » !

فدعوا له ، وقاموا الى مجلس الكتخدا ، وخلع على الشيخ المتولى فروة سمور أخرى ، وقلد السيد محمد الدواخلى نقابة الأشراف ، وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدى احمد أبى الاقبال ، المتولى على خلافة السادات ، فانفصل من النقابة ، ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة — مثل باش جاويش والكاتب — أمام الدواخلى وخلفه . وقلد السيد المحروقى نظارة المشهد الحسينى عوضا عن المتوفى . وكان فرغ بها لابن أخيه ، فلم ينفذ الباشا ذلك .

وفى ثانى يوم حضر الأعوان الى بيت السادات ، وفكوا الختوم ، وطلبوا سقاء الحريم ، فأخذوه معهم ، وأوجعوه بالضرب ، وأحضروا البناء ، وسألوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا الى المنزل ، ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء ، فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوة ، ووجدوا نحاسا وقطنا وأوانى صينى ، فتركوا ذلك وذهبوا ، وأبقوا بالدار عدة من العسكر ، فباتوا بها .

ثم رجعوا فى ثالث يوم ، وفتحوا مخبأة أخرى فوجدوا بها أكياسا مربوطة ، فظنوا بداخلها المال ففتحوها ، فوجدوا بها بن قهوة ، وبغيرها صابون وشموع عسل ، ولم يجدوا شيئا من المال ، فتركوا تلك الأشياء ، ونزلوا الى قاعة جلوسه ، وفتحوا خزانة فوجدوا بها نقودا ، فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا ، فأخذوها .

ثم سعى السيد محمد المحروقى فى مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس وخمسين كيسا وخمسة أكياس برانى لبيت المال، وخصموا منها الذى وجدوه بالخزانة ، وطولبوا بالباقى ... وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة ، وتوعدوها بالتغريق فى البحر ان لم تظهر المال .

وأمر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه فى كل سنة ، وما صرفه فى الأبنية ، وينظر ما يتبقى بعد ذلك فى مدة سنين ماضية ... فلم يزل السيد محمد المحروقى يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور، والتزم هو بدفعه ، وحولت عليه الحوالات . وضبط الباشا حصص الالتزام التى كتبت باسم الزوجة ، ومنها قلقشندة بالقليوبية ، وسوادة ودفرينة بالجهة القبلية ، وغير ذلك .

وبعد انقضاء عدة الزوجة ، استأذن السيد المحروقى الباشا فى عقد نكاحها على ابن أخى المتوفى ... الذى هو السيد احمد أبو الاقبال ، الذى تولى خلافة بيتهم ، فادن بذلك . فحضر فى الحال وأجرى العقد بعد أن حكمت عليه بطلاق التى فى عصمته ، وهى جاريتها ، زوجته بها فى حياة عمه ، ورزق منها أولادا .

واستقر المشار اليه فى المنزل ، خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم ، وسكن معه أخوه سيدى يحيى ، زادهما الله توفيقا وخيرا واتفاقا ، وأشرق نجم المتصدر على أفق السعادة اشراقا ، فهو أبو الاقبال المتحلى بالجمال والكمال .

فى المهد ينطق عن سعادة جده
أثر النجابة واضح البرهان
ان الهلال اذا رأيت نموه
أيقنت أن سيزيد فى اللمعان

* * *

ومات الشيخ الناسك : محمد بن عبد الرحمن البومى المغربى . ورد الى مصر وحج ورجع ، ونزل بدار الحاج مصطفى الهجين العطار ، منجمعا عن خلطة الناس ، والسعى على طريقة حميدة ، ومذاكرة حسنة . ويأتى اليه الناس يزورونه ، ويتبركون به ويسألونه الدعاء ، ويستفهمون منه مسائل ... فيجيب كل انسان بما ينسر منه ، بتواضع وانكسار وتزهيد فى الدنيا . وتمرض سنينا ، وتوفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بجانب الخطيب الشربينى ، بتربة المجاورين ، وهى القرافة الكبرى .

المحـرم

الجمعة ٨ منه (٣١ ديسمبر ١٨١٣ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية ، وفيها الاخبار بأن الباشا قبض على الشريف غالب ، أمير مكة ، وقبض على أولاده الثلاثة ، وأربعة عبيد طواشية من عبيده ، وأرسلهم الى جدة ، وأنزلهم فى مركب من مراكبه ، وهى واصلة بهم . والذى وصل بالخبر وصل فى مركب صغيرة تسمى « السبحان » سبقتهم فى الحضور الى السويس .

وأخبروا أيضا فى المكاتبة : أنه لما قبض عليهم ، أحضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الامارة عوضا عن عمه غالب ، وقبضوا أيضا على وزيره الذى بجدة ، وأصحبوه معهم ، وقلد مكانه فى الكمارك شخصا من الأتراك ، يسمى على الوجاقلى .

فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقى ليلا ، ركب من وقته الى كتخدا بيك فى بيته ، وأطلعه على المكاتبات . فلما طلع النهار — نهار يوم الجمعة — ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك .

وفيه : احتفل كتخدا بيك بعمل مهم أيضا لزواج اسماعيل باشا ، ابن محمد على باشا ، ومحمد بيك الدفتردار على ابنة الباشا ، واسماعيل باشا ، على ابنة عارف بيك ابن خليل باشا ، التى أحضرها صحبته من اسلامبول . وقد تقدم ذكر العقد عليهما فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية ، قبل توجه الباشا الى الحجاز .

فألزم كتخدا بيك ، السيد محمد المحروقى ، بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على أن يكون نصبة الفرح ببركة الأزبكية — تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا — وتعمل الولائم ، واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا ، والمطبخ بخرائب بيت الصابونجى .

وأرسلوا أوراق التنابيه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ، ونصبوا بوسط البركة عدة صوارى لأجل الوقدات والقناديل التى تعمل عليها التصاوير من القناديل ... فترى من البعد صورة مركب ، أو سبعين متقابلين ، أو شجرة ، أو محمل على جمل ، أو كتابة مثل «ماشاء الله» ونحوذلك

وصفوا بوسط البركة عدة مدافع ، صفين متقابلين ، ونصب بهلوان الحبل حبله : أوله من تجاه بيت الباشا ، وآخره برأس المنارة التى جهة حارة الفوالة خلف رصيف الخشاب ، حيث الأبنية المتخربة فى الحوادث الماضية ، بالقرب من القشلة ، وعمارات محمد باشا خسرو التى لم تكمل ... وبهلوان آخر شامى بالناحية الأخرى . وانتقل السيد محمد المحروقى من داره الى بيت الشرايبى — تجاه جامع أزبك — لأجل مباشرة المهمات .

فلما أصبح يوم السبت — وهو يوم الابتداء ودعوة الأشياخ — رتبوهم فرقتين : فرقة تأتى ضحوة النهار ، وأخرى بعد العصر . واجتمع بالأزبكية أصناف أرباب الملاعيب والمغزلكين

والجنباذية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة ، وغير ذلك أصناف وأشكال ... فاحتفلت . وأقبل من كل ناحية أصناف الناس . رجال ونساء ، وأقارب وأباعد ، وأكابر وأصاغر ، وعساكر وفلاحون ، ويهود ونصارى وأروام ... لأجل التفرج ، حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الأزبكية من جميع النواحي بأصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين . واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الأخرى ، ليلا ونهارا ، والحرائق والنفوط والسواريخ فى الليل . ولعبت أرباب الملاعيب والبهلوانات على الحبال . وكذلك احتفل النصارى ، وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم ، وصادف ذلك عيد الميلاد ، وعملوا لهم مراجيح وملاعيب .

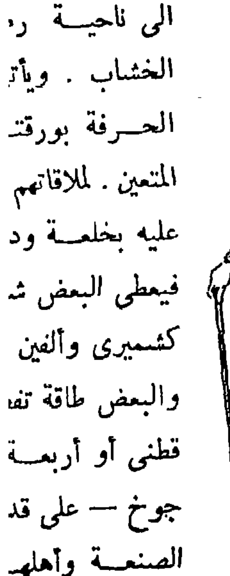
وفى أثناء ذلك : وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بهم فى زفة العروس . فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله ، وتباهوا وتناظروا ، وتفاخروا على بعضهم البعض .

فكان كل من سولت له نفسه ، وحدثه الشيطان باحداث شيء ... فعله ، وذهب الى المتعين لذلك ، فيعطيه ورقة ... لأن ذلك لم يكن لأناس مخصوصة أو عدد مقدر ، بل بتحكماتهم ، والزام بعضهم البعض . فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم ، وينفقها على العربة ، وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير أو خيل أو رجال يسحبونها ، وما يكتريه أو يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات والطلعيات ، وأدوات الصنعة التى تتميز بها عن غيرها ، فتصير فى الشكل كأنها حانوت والبائع جالس فيها : كالحلوانى وأمامه الأوانى فيها أنواع الحلوى والسكرى ، وحوله أوانى الملبس
السكر معلقة حوله ، والشربات والشربتلي
والحريرى والعقاد البلدى والرو بى والزيات
والنجار والخياط والقزاز والحائك ، و
وهو ينشر الخشب بمنشار، المعلق ،
والفران ، ومعه الفرن ، وهو يخبز
والفطاطرى والجزار ، وحوله لحم الغنم .
جزار الجاموس والكبابجي والنيفاوى
الجبن والسمك ، والجيارين والجباسين
والثور يدور به وهو ماش بالعربة ، والبنا
والمبيض للنحاس وللبناء ، والسمكرى
احدى وتسعون عربة ، وفيهم حتى المر
قنجة كبيرة كاملة العدة والقلوع ، تم
الأرض على العجل ، خلاف أربع عربات الم
بالعروس !

فلما كان يوم الأربعاء ، سحبوا تلك ال
وانجروا بمواكبهم وطبولهم وزمورهم ، و
عربه أهل حرفتها وصناعها ، مشاة خلف
والزمور ، وهم مزينون بالملابس ، وملابسهم
— وأكثرها مستعارة — فكانوا ينزلون الى
من ناحية باب الهواء ، ويمرون من تحت بيت



كبير الحرفة



الى ناحية ر
الخشاب . ويأت
الحرفة بورقت
المتعين . لملاقاتهم
عليه بخلعة ود
فيعطى البعض ش
كشميرى وألفين
والبعض طاقة تف
قطنى أو أربعة
جوخ — على قد
الصنعة وأهله

واستمر مرورهم من أول النهار الى بعد الغروب ، واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب .

ولما أصبح يوم الخميس ، رتبوا مرور الزفة ، وعين لترتيبها أشخاصا ، ومنهم السيد محمد ضرب الشمس — وهو كبير المنظمين — وكان خروجها من بيت الحريم ، وهو الذى كان سكن الشيخ خليل البكرى ، وذهبوا وانجروا على طريق الموسكى ، على تحت الربع ، الى باب زويلة ، الى الغورية ، الى بين القصرين ، الى سوق مرجوش ، الى باب الحديد ، الى بولاق ، الى سراية اسماعيل باشا التى جددوها قبلى بولاق قريبا من الشون ... فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب .

وكان فى أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ، ثم والى الشرطة ، ثم المحتسب ، ثم موكب أغاات الينكجرية ، وبعدهم المباخر والنقاقير — وعدتها عشرة نقاقير — وعلى كل نقارة تفصيلة ، ثم العربات المذكورة ، وفيها أيضا تجار الغورية ، وطائفة تجار خان الخليلى — فى موكب حفل — وتجار الحمزاوى من نصارى الشوام وغيرهم .

وكان يوماً مشهودا ، اجتمعت فيه الخلائق للفرجة فى طرقها ، حتى طريق بولاق ، واكترى الناس الأماكن المطلة على الشارع والحوانيت بأغلى الأثمان

ولما وصلت العروس الى قصرها ، ضربوا عدة مدافع من بولاق والأزبكية والجيزة وكان العزم على عمل المهم الثانى ، والابتداء فيه من يوم السبت الذى بعد الجمعة ، فرسموا بتأخيره الى الجمعة الأخرى لتأخر أم العروس ومن بصحبتها من النساء ، وأقمن ببولاق تلك الجمعة ، واستمرت نصبة الصوارى والحبال والآلات ، على حالها ، بالأزبكية .

الأحد ١٧ منه (٩ يناير ١٨١٤ م) :

وصل السيد غالب — شريف مكة — الى مصر القديمة . وقد أتت به السفينة من القلزم الى مرساة ثغر القصير ، فتلقاه ابراهيم باشا ، وحضر صحبته الى قنا وقوص ، ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده ، والعسكر الواصلون صحبته ، وحضر الى مصر القديمة . فلما وصل الخبر الى كتخدا بيك ، ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما بوصوله واكراما ... على حد قوله تعالى : « ذق انك أنت العزيز الكريم » .

وركب صالح بيك السلحدار ، وأحمد أغا — أخو كتخدا بيك — فى طائفة لملاقاته واحضاره ، وهيأوا له مكانا بمنزل أحمد أغا — أخى كتحدا بيك — بعطفة ابن عبد الله بيك بخط السروجية ، لينزل فيه ، وانتظره الكتخدا هناك ، وصحبته بونابارته الخازندار ، ومحمود بيك ، ومحو بيك ، وابراهيم أغا أغات الباب ، والسيد محمد المحروقى .

فلما وصل الى الدار ، نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند سلم الركوبة ، وقبلوا يده . ولزم الكتحدا بيده تحت ابطه ، حتى صعد الى محل الجلوس الذى أعدوه له . واستمر الكتحدا قائما على قدميه ، حتى أذن له فى الجلوس هو وباقى الجماعة . وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحروقى ، فتقدم وقبل يده ... فقام له ، وسلم عليه ، وجلس بحذاء الكتخدا ليترجم عنه فى الكلام ويؤانسوه ، ويطمنوا خاطره . ثم ان الكتخدا اعتذر له باشتغاله بأحوال الدولة ، واستأذنه فى الذهاب الى ديوانه ، وعرفه أن أخاه ينوب عنه فى الخدمة ولوازمه ... فقبل عذره . وقام منصرفا هو وباقى الجماعة ، ما عدا السيد محمد المحروقى ، ومحمود بيك ، فان الكتخدا أمرهما بالتخلف عنده ساعة ، فجلسا معه ، وتغديا صحبته ، ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ، ثم انصرفا الى منزلهما . ولم يأذن

الكتخدا لأحد من الأشياخ أو غيرهم من التجـار بالسلام عليه ، والاجتماع به .

والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه : أنه لما ذهب الباشا الى مكة ، واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة ، وجدد معه العهود والأيمان فى جوف الكعبة : بأن لا يخون أحد صاحبه . وكان الباشا يذهب اليـه فى قلة ، وهو الآخر يأتى اليه والى ابنه كذلك ، واستمروا على ذلك خمســـة عشر يوما من ذى القعدة ... دعاه طوسون باشـا اليه ، فأتى اليـه كعادته فى قلة ، فوجد بالدار عساكر كثيرة ، فعند ما استقر به المجلس ، وصل عابدين بيك فى عدة وافرة ، وطلع الى المجلس ، فدنا منه ، وأخـــذ الجنبيــة من حـزامه ، وقال له : « أنت مطلوب للدولة » . فقال : « سمعا وطاعة ، ولكن حتى أقضى أشغالى فى ظرف ثلاثة أيام وأتوجه » . فقال : « لا سبيل الى ذلك ، والسفينة حاضرة فى انتظارك » !

فحصــل فى جمـاعة الشريف وعبيــده رجة ، وصعدوا على أبراج سرايتــه ، وأرادوا الحرب . فأرسل اليهم البـاشا يقول لهم : « ان وقع منكم حرب ، أحرقت البلدة ، وقتلت أستاذكم» . وأرسل لهم أيضا الشريف يكفهم عن ذلك ، وكان بها أولاده الثلاثة ، فحضر اليهم الشيخ أحمد تركى ، وهو من خواص الشريف وخدمهم ، وقال لهم : « لم يكن هناك بأس ، وانما والدكم مطلوب فى مشـاورة مع الدولة ويعود بالسلامة ... وحضرة الباشا يريد أن يقلد كبـيركم — نيابة عن أبيه — الى حين رجوعه » .

ولم يزل حتى انخـدع كبـيرهم لـكلامه ، وقاموا معه ، فذهب بهم الى محل خلاف الذى به والدهم ... محتفظا بهم . وفى الوقت أحضر الباشا الشريف يحيى بن سرور — وهو ابن أخى الشريف غالب — وخلع عليه ، وقلده امارة مكة ، ونودى فى البلدة باسمه . وعزل الشريف غالب حسب الأوامر السلطانية ، واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند طوسون باشا ، ثم أركبوه وأصحبوا معه عدة من العسكر ، وذهبوا به وبأولاده الى بنـدر جدة ، وأنزلوهم السفينة ، وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر ، وحضر كما ذكر .

الأربعاء ٢٠ منه (١٢ يناير ١٨١٤ م) :

وصل قاصد من الديار الروميـة ، وعلى يده مثالان ، فعمل كتخدا بيك ديوانا فى صـبيحة يوم الخميس حادى عشرينه ، وقرىء ذلك. وهما مثالان يتضمن أحدهما : التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر على السـنة الجديدة ، والثـانى : الاخبـار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب . ولما فرغوا من قراءتهما ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفى عصرية ذلك اليوم : حضر حريم الباشا من بولاق الى الأزبكية فى عربات ، فضربوا لحضورهن مدافع من الأزبكية ، وشرعوا فى عمل المهم الثانى لابنة الباشا على الدفتردار ، وافتتحوا ذلك من ليلة السبت — على النسق المتقدم — وعملوا العزائم والـولائم ، واحتفـلوا أزيد من المهـم الأول . وأحضروا الشريف غالب ، وأعدوا له مكانا ببيت الشرايبى — على حدته — هو وأولاده ، ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا ، والشنك والحراقات ليلا . وعلى الشريف وأولاده الحرس ، ولا يجتمع بهم أحد ، على الوجه والصورة التى كانوا عليهـا بالمنزل الذى أنزلوا فيه .

وفيه : اجتمع أرباب العربات وأصحابها ، وقد زادوا عن الأولى خمس عشرة عربة — وفيهم معمل الزجاج — وباتوا بنواحى البركة ، عـلى النسق المتقدم ، ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر ، لأن الوقت شات .

الخميس ٢١ منه (١٣ يناير ١٨١٤ م) :

ولما أصبح يوم الخميس انجرت العربات ، وموكب الزفة من ناحية باب الهواء ، على قنطرة الموسكى ، على باب الخرق ، على درب الجماميز . وعطفوا من الصليبة على المظفر ، على السروجية ، على قصبة رضوان بيك ، على باب زويلة ، على شارع الغورية ، على الجمالية ، على سوق مرجوش ، على بين السورين ، على الأزبكية ، على باب الهواء ... الى المنزل الذى أعدوه لها ، وهو بيت ابنة اسماعيل بيك ، وهى بنت ابراهيم بيك ، وكانت متزوجة باسماعيل بيك ، ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا — ويعرف بالألفى — وقد تولى أغاوية مستحفظان فى هذه الدولة ، واعتنى بهذه الدار ، وعمر بها مكانين بداخل الحريم ، وزخرفها ونقشها نقشا بديعا — صناعة صناع العجم — واستمروا فى نقشها سنتين .

ولما ماتت المذكورة فى أوائل هذه السنة ، واستمر هو ساكنا فيها ، وأنزل الباشا عنده القاضى المنفصل عن قضاء مصر ، المعروف ببهجة أفندى ، وقاضى مكة « صادق أفندى » حين حضر من اسلامبول ثم أمره الباشا بالخروج منها واخلائها ، لأجل أن يسكن بها ابنته هذه المزفوفة ، فخرج منها فى أوائل شوال ، وكذلك سافر القاضيان الى الحجاز ، بصحبة الباشا ، وعند ذلك بيضوها ، وزادوا فى زخرفتها ، وفرشوها بأنواع الفرش الفاخرة ، ونقلوا اليها جهاز العروس والصناديق ، وما قدم اليها من الهدايا والأمتعة والجواهر والتحف ، من الأعيان وحريماتهم ... حتى من نساء الأمراء المصريين المنكوبين ! وقد تكلفوا فوق طاقتهم ، وباعوا واستدانوا وغرموا فى النقوط والتقادم والهدايا فى هذين المهمين ، ما أصبحوا به مجردين ومديونين .

وكان اذا قدمت احدى المشهورات منهن هديتها عرضوها على أم العروسين ، التى هى زوجة الباشا ، فقلبت ما فيها من المصاغ المجوهر ، والمقصبات وغيرها ... فان أعجبتها تركتها ، والا أمرت بردها ، قائلة : « هذا مقام فلانة التى كانت بنت أمير مصر ، أو زوجته ! ؟ » ، فتتكلف المسكينة للزيادة ونحو ذلك ، مع ما يلحقها من كسر الخاطر ، وانكساف البال .. ثم أدخلوا العروس الى تلك الدار عندما وصلت بالزفة .

ومما حصل : أنه قبل مرور موكب الزفة بيومين ، طاف أصحاب الشرطة ، ومعهم رجال ، وبأيديهم مقياس ... فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس ، هدموا ما عارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها ، من الجهتين ، لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها ، فأتلفوا كثيرا من الأبنية . ونودى فى يوم الأربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس .

ومما حصل من الحوادث السماوية : أن فى يوم الخميس المذكور ، عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة ، أطبق الجو بالغيام ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا ، حتى تبحرت الطرق ، وتوحلت الأرض ، وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة ... وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب . وأما المتعينون بالمشى فى الموكب ولا بد ... الذين لا مفر لهم من ذلك ولا مهرب ، فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وانتقضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملابسهم . وهطل الغيث على الابريسم والحرير ، والشالات الكرخانة ، والسليمى والكشمير ، وما زينت به العربات من أنواع المزركش والمقصبات ، ونفذت على من بداخلها من القيان والأغانى الحسان .. وكثير من الناس وقع بعد ما تزحلق ، وصار ثوبه

بالوحل أبلق ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا فى عطفة ، يمسح يديه فى الحيط ، بما تلطخ بهـا من الرطريط . وتعارجت الحمير ، وتعثرت البياجير ، وانهدم تنور الزجاج ، ولم ينفع به الملاج ، وتلف للنـاس شىء كثير ، ولا يدفع قضـاء الله حيلـة ولا تدبير !

ولم تصل العروس الى دارها ، الا قبيـل دنو الشمس من غروبها . وعند ذلك انجلى الجـو ، وانكشفت بيوت النو ووافق ذلك اليـوم ثالث عشر طوبة ، من شهور القبط المحسوبة ، وحصل بذلك الغيث العميم ، النفع لمزارع الغلة والبرسيم .

وفيه : وردت مكاتبات من العقبة فيهـا الأخبار بوصول قافلة الحج ، صحبة المحمـل ، وأمـيرها مصطفى بيك دالى باشا .

الجمعة ٢٩ منه (٢١ يناير ١٨١٤ م) :

وصل كثير من الحجاج الأتراك وغيرهم ، ووردوا فى البحر الى بندر السويس . ووصل تابع قهوجى باشا ، وأخبر عنه أنه فارق مخدومه من العقبـة ، ونزل فى مركب مع أم عابدين بيك ، وحضر الى السويس .

صـفـر

الأحد غرته (٢٣ يناير ١٨١٤ م) :

مما وقع فى ذلك اليـوم من الحـوادث : أن صـناع البـارود ، الكائنين بباب اللوق ، حملوا نحو عشرة أحمال من الجمال ، أوعية ملآنة بارود — وهى الظروف المصـنوعة من الجلود التى تسمى البطط — يريدون بها القلعة ، فمروا من باب الخرق الى ناحية تحت الربع . فلما وصـلوا تجاه معمل الشمع ... وبصحبة الجمال شخص عسـكرى ، فتشاجر مع الجمـال ، ورد عليه القول ، فحنق منه ، فضربه بفرد الطبنجة فأصابت احدى البطط ، فالتهبت بالنار ، وسرت الى باقى الأحمال ، فالتهب الجميع ، وصعد الى عنـان السماء ... فاحترقت السقيفة المظلة على الشـارع ، وما بناحيتهـا من البيوت ، والذى أسفلها من الحوانيت ، وكذلك من صـادف مروره فى ذلك الوقت ، واحتـرق ذلك العسـكرى والجمال فيمن احترق . واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها ، فاحترقت ثيابها مع رفيقتها ، وذهبت تجرى والنار ترعى فيها ، وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية ، فما وصلت الى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب ، واحترق أكثر جسدها ، ووصلت الأخرى بعدها وهى محترقة وعريانة ... فماتت من ليلتها ، ولحقتها الأخرى فى ضحوة اليوم الثانى .

ومات فى هذه الحادثة أكثر من المائة نفس ، من رجال ونسـاء وأطفال وصـبيان . وأما الجمـال فأخذوها الى بيت أبى الشوارب — وهى سـود محترقة الجلود ، وفيها من خـرجت عينه — فاما يعالجوها أو ينحروها ... وكل هذا الذى حصل من الحرق والموت والهدم فى طرفة عين .

الاثنين ٢ منه (٢٤ يناير ١٨١٤ م) :

وصل مصطفى بيك ، أمير ركب الحجاج ، الى مصر ، وترك الحجاج بالدار الحمـراء ، فبات فى داره ، وأصبح عائدا الى البركة ، فدخل مع المحمل يوم الأربعاء ، ودخل الحجاج ، وأتعبهم بحيث أنه أخذ المسافة فى أحد وعشرين يوما .

وسبب حضور المذكور ، أنه ذهب بعسـاكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحيـة تربة ، والمتأمر عليها امرأة ، فحاربتهم ، وانهزم منهـا شر هزيمة ! فحنق عليه الباشـا ، وأمره بالذهاب الى مصر مع المحمل .

وفيه : أرسـل الباشـا يستدعى ثنتين أو ثلاثا — عينهن — من محاظيه ، وصحبتهن خمس من

الجوارى السود ، الاسطاوات فى الطبخ وعمل أنواع الفطور ، فأرسلوهن فى ذلك اليوم الى السويس ، وصحبتهن نفيسة القهرمانة — وهى من جواريه أيضا — وكانت زوجا لقاضى أوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى .

وفيه أيضا : وصل حريم الشريف غالب ، فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزى ، فسكنها ومعه أولاده ، وعليهم المحافظون . واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب ، من نقود وأمتعة ، وودائع ومخبآت ، وشرك وتجارات ، وبن وبهار ، ونقود بمكة وجدة والهند واليمن ... شىء لا يعلم قدره الا الله . وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب ، بعدما فتشوهن تفتيشا فاحشا ، وهتك حرمته !

قل اللهم مالك الملك ... هذا الشريف غالب انتزع من مملكته ، وخرج من دولته وسيادته وأمواله وذخائره ، وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين ... حتى انه لما ركب وخرج مع العسكر ، وهم متوجهون به الى جدة ، أخذوا ما فى جيوبه ... فليعتبر من يعتبر !

وكل الذى وقع له ، وما سيقع له بعد — من التغريب وغيره — فبما جناه من الظلم ، ومخالفة الشريعة ، والطمع فى الدنيا ، وتحصيلها بأى طريق . نسأل الله السلامة وحسن العاقبة .

الخميس ٥ منه (٢٧ يناير ١٨١٤ م) :

طاف الأغا أيضا بأسواق المدينة ، وأمامه المناداة على أبواب الخانات والوكائل من التجار : بأنهم لا يتعاملون فى بيع البن والبهار الا بحساب الريال المتعارف فى معاملة الناس — وهو الذى يصرف تسعين نصفا — لأن باعة البن لايسمون فى بيعه الا الفرانسة ، ولا يقبضون فى ثمنه الا اياها بأعيانها ، ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات . فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء ، والقطاعين ، ومن يشترى بالقنطار أو دونه . فبهذه المناداة يدفع المشترى ما يشاء من جنس المعاملات : قروشا أو ذهبا أو فرانسة ، أو أى صنف من المعاملات ، ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس — الذى صرفه تسعون نصفا فضة — واذا سمى سعر القنطار فلا يسمى الا بهذا الريال . وهذه المناداة باشارة السيد محمد المحروقى ، بسبب ما كان يقع من تعطيل الأسباب .

وفيه : سافر محمود بيك ، وصحبته المعلم غالى ، للكشف عن قياس الأراضى البحرية ، التى نزل اليها القياسون بصحبة مباشريهم من النصارى والمسلمين — من وقت انحسار الماء عن الأراضى — وانتشروا بالأقاليم البحرية ، وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة .

الاثنين ٩ منه (٣١ يناير ١٨١٤ م) :

وصل حريم الشريف غالب من السويس ، فأنزلوهن ببيت السيد محمد المحروقى ... وعدتهن خمس : احداهن جارية بيضاء ، والأربع حبشيات ، ومعهن جوارى سود وطواشية ، وحضر اليهم سيدهم وصحبته أحمد أغا أخو كتخدا بيك وصحبتهم نحو العشرين نفرا من العسكر . واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور ، وهو يجرى عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف ، وفصل لهم كساوى من مقصبات وكشميرى وتفاصيل هندية .

السبت ١٤ منه (٥ فبراير ١٨١٤ م) :

خرج محو بيك الى ناحية الآثار بعساكره ، ليسافر من ساحل القصير الى الحجاز ، باستدعاء الباشا . فاستمر مقيما هناك عدة أيام — لمخالفة الريح — وارتحل فى أواخره .

وفى أوائل هذا الشهر ، بل والذى قبله ، عملوا كورنتيلة فى سكندرية ودمياط .

ربيع الأول

الاثنين غرته (٢١ فبراير ١٨١٤ م) :

فيــه : رجــع محمود بيــك والمعلم غالى من سرحتهما .

وفيه : انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقى الى المنزل الذى أعدوه له — وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى — بعدما أصلحوه وبيضوه ، وأسكنوه به ، وعليه اليسق والعســكر الملازمون لبابه .

وفيه : أبرز كتخدا بيك فرمانا وصل اليــه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ، ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف ، بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة .

فلما أشــيع ذلك ، ضــج الناس ، وكثر فيهم اللغط ، واجتمعوا على المشايخ ، فطلعوا الى كتخدا بيك ، وسألوه . فقال : « نعم . ورد من أفندينــا أمر بذلك ، ولا يمكننى مخالفته » . فقالوا له : « كيف تقطعون معــايش الناس وأرزاقهم ، وفيهم أرامل وعواجز ، وللواحدة قيراط أو نصف قيراط يتعيشن من ايراده ، فينقطع عنهن ؟ ! » . فقال : « يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة » .

فرادوه وناقشوه ، وهو يهون ويقرب ويبعد ، الى أن قالوا له : « نكتب للباشا عرضحالا ، وننتظر الجواب » . فأجابهم الى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس ! وشرع الشيــخ المهــدى فى ترصــيف العرضحال ... فكتبوه ، وختموا عليه بعد امتنــاع البعض ، الذى ليس له التزام ، وكثر اللغط فيهــم بسبب ذلك .

الجمعة ٥ منه (٢٥ فبراير ١٨١٤ م) :

حضر جمع كثــير من النســاء الملتزمات الى الجامع الأزهــر ، وصرخوا فى وجوه الفـ[illegible] وأبطلوا الدروس ، وبددوا محافظهم وأور[illegible] فتفرقوا وذهبوا الى دورهم .

وكان قد اجتمع معهــم الكثير من الـ[illegible] واستمروا فى هرج الى بعد العصر ، ثم جا[illegible] يقول لهم كلاما كذبا سـكن به حدتهم . الجمع ، وذهب النساء وهن يقلن : « لأى[illegible] يوم على هذا المنوال ، حتى يفرجوا لنا عن ومعايشنا وأرزاقنا » .

وفى ظن الناس وغفلتهم أن فى الاناء بقية ، يدفعون الرزية . وما علموا أن البساط قد [illegible] وكل قد ضــل وأضل وغوى ، ومال عن واتبع الهوى ، وكلب الجور قد كشر أنيابه ولم يجد له طاردا ، ولا معارضا ولا معانـ[illegible]

ولمــا وصل الخبر الى كتخدا بيك ، طلـ[illegible] المشــايخ ، وقال له : « ما خبر هــذه الـ[illegible] بالأزهر ؟ » فقال له : « بسبب مابلغهم معاشهم » . قال : « ومن قطع معاشهم ؟ و[illegible] الذين تسلطونهم على هذه الفعال ، لأغرا[illegible] ولا بد أنى أستخبر على من أغراهم وآخـ[illegible] حقه » .

وطلب على أغا الوالى وقال له : « أخـ[illegible] هؤلاء النساء من أى البيوت ؟ » . فقال على ؟ ومن يميزهن ... وغالبهن وأكثره[illegible] العساكر ، ولا قدرة لى على منعهن ؟ » . المجلس ، وبردت همتهم ، وانكمشوا ، وشـ[illegible] تنفيذ ما أمروا به ، وترتيبه وتنظيمه !

وفيه : حضر محمود بيك والمعلم غالى أياما ، وسافرا فى ثالث عشره .

وفيه : أحضروا حسن أغا محرم — [illegible] بنجاتى — من اقليم المنوفية وهو مريض فى ثالى يوم ودفن .

الاثنين ١٥ منه (٧ مارس ١٨١٤ م) :

مر الأغا والوالى وأغات التبديل ، وهم يأمرون الناس بكنس الأسواق ورشها حالا فى ذلك الوقت من غير تأخير . فابتدر الناس ، ونزلوا من حوانيتهم ، وبأيديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها .

الجمعة ١٩ منه (١١ مارس ١٨١٤ م) :

حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ... أرسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز . فأنزلوه بمنزل أحمد أغا ، أخى كتخدا بيك ، محجورا عليه . ولم يجتمع بعمه ، ولم يره .

وفيه : كثر الطلب للريال الفرانسة ، بسبب احتياج دار الضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك . وألزموا التجار باحضار جملة من ذلك ، ويأخذون بدلها قروشا ، فوزعوا مقادير على أفرادهم بما يحتمله ، وجمعوا ما قدروا عليه منها .

وفيه : شنق شخص ، يسمى صالح ، عند باب زويلة ، واستمر معلقا يومين . وسبب ذلك أنه يدعى الجذب والولاية ، وتزوج امرأة وأخذ متاعها ومالها ، وحصل لها خلل فى عقلها . فأنهوا أمره الى كتخدا بيك ، فأمر بحبسه ، واستخلصوا منه جانبا مما أخذه من متاع المرأة ، وكثر كلام الناس فى حقه ، فأمر الكتخدا بشنقه .

فى اواخره (النصف الاخير من مارس ١٨١٤ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية ، ونزل بالبيت الذى اشتراه بناحية الجمالية ، بدرب المسمط ، وهو بيت أحمد بن محرم .

ربيع الآخر

الاثنين ٦ منه (٢٨ مارس ١٨١٤ م) :

حضر ميمش أغا من ناحية الحجاز ، مرسلا من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور الى الحجاز . وكان قبل ذلك بأيام أرسل يطلب سبعة آلاف عسكرى ، وسبعة آلاف كيس . فشرع كتخدا بيك فى استكتاب أشخاص من أخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة ، وفلاحى القرى . فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه ، فيكتبونه . وان كان وجيها جعله أميرا على مائة أو مائتين ، ويعطيه أكياسا يفرقها فى أنفاره ، ويشترى فرسا وسلاحاً ، ويتقلد بسيف وطبنجات ... وكذلك أنفاره ، ويلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر . ويعلق له وزنة بارود تحت ابطه ، ويأخذ على كتفه بندقية ، ويمشون أمام كبيرهم مثل الموكب ، وفيهم أشخاص من الفعلة الذين يستعملون فى شيل التراب والطين فى العمائر ... وبرابرة .

وأرسل الكتخدا الى الفيوم وغيرها بطلب رجال من أمثال ذلك ، وجمعوا الكثير من أرباب الصنائع ، مثل : الخبازين والفرانين والنجارين والحدادين والبياطرة وغيرهم من أرباب الصنائع ، ويسحبونهم قهرا . فأغلق الفرانون مخابزهم ، وتعطل خبيز خبز الناس أياما .

وفيه : ورد الطلب لحسن باشا ، فشرع فى تشهيل أحواله ، ولوازم سفره . ثم حضر ميمش أغا باستعجاله واستعجال المطلوبات من الأموال وغيرها .

وفيه : قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب ... بسبب احضار الفرانسة ، وقد قلت بأيدى الناس جدا

لـكثرة أخذها والطلب لها وانقطاع مجيئهـا من بلادها ، فحبسوهم وضربوهم ، ونزلوا فى أسـوأ حال متحيرين وذلك أن راتب الضربخانة سبعة آلاف فى كل يوم : عنها ثلاثة وستون ألف درهم ، وقدرها ثلاث مرات من النحاس ... يضربون ذلك قروشا ، حتى بلغ سـعر النحاس القراضـة مائة وعشرين نصفا فضة .

الخميس ٩ منه (٣١ مارس ١٨١٤ م) :

حضر محمود بيك الدويدار والمعلم غالى من سرحتهما الى مصر . وهما المتأمران على مبـاشرة قياس الأراضى ، وتشهيل المال المفروض . وسبب حضـورهما : أن ابراهيم باشـا ، أرسل يطلبهما الحضور ، ليتشاور معهما فى أمر ، فأقاما أربعـة أيام ، وعادا راجعين الى شغلهما .

الاربعاء ١٥ منه (٦ ابريل ١٨١٤ م) :

سافر ابراهيم باشا عائدا الى أسيوط ، وذهب صحبته أخوه اسماعيل باشا والبيكات الصغار ... خوفا وهروبا من الطاعون .

وفيه : كمل تعمير الجامع الذى عمره دبوس أوغلى ، الذى بقرب داره التى بغيط العـدة — وهو جامع جوهر العينى — وكان قد تخرب فهدمه جميعه ، وأنشأه وزخرفه ، ونقل لعمـارته أنقاضا كثيرة ، وأخشابا ورخاما من بيت أبى الشوارب ، وعمل به منبرا بديع الصنعة ، واستخلص جهـة أوقافه أطيانا وأماكن من واضعى اليد .

وفيه : أرسلوا جملة أخشـاب الى الحجاز مطلوبة الى الباشا .

وفيه أيضا : نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت . ومن لا يريد الخروج ، فلا يحرج بعـد ذلك . ومن خرج ، فلا يدخل ، وأمهلوهم الى الغروب . فخرجوا بأمتعتهم وأطفالهم وأولادهم وأوانيهم الى خارج البلدة . وبات الأكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة أخرى . وخرج أيضا الكثير من عساكرهم وأتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس . فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من أهل البلدة على حمار ، ليذهب الى جهة يستقر بها ، رموا به الى الأرض وأخذوا الحمار .

وحصل لأهل الجيزة فى تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب ، والجلاء عن أوطانهم . وكل ذلك مجرد وهم ، مع قلة وجـود الطعن ... الا النزر اليسير .

الخميس ٢٣ منه (١٤ ابريل ١٨١٤ م) :

سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس . وأصحبوا معها عدة كبـيرة من عسكر الدلاة لخفارتها ، وقدرها ألفان وخمسمائة كيس ... جميعها قروش .

جمـادى الأولى

٣ منه (٢٣ ابريل ١٨١٤ م) :

خرج حسن باشا بعسـاكره ، ونزل بوطاقه وخيـامه التى نصبت له بالعادلية قبـل خروجه بيومين .

٤ منه (٢٤ آبريل ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بيك دالى باشا ، وأخشاب واحتياجات وجمال .

والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره : أن طوسون باشا وعابدين بيك ، ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بهـا المرأة ... التى يقال لهـا غاليـة ، فوقعت بينهـم حروب ثمانية أيـام ، ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل ، ولأن العربان نفرت طباعهم من الباشا لمـا حصل منـه فى حق الشريف ، من القبض عليـه . وهاجر الكثير من

الأشراف ، وانضموا الى الأخصام ، وتفرقوا فى النواحى ، ومنهم شخص يقال له : الشريف راجح ، فأتى من خلف العسكر — وقت قيام الحرب — وحاربهم ، ونهب الذخيرة والأحمال ، وقطع عنهم المدد

وأخبروا أن الجمال قل وجودها عند الباشا ، ويشتريها من العربان المسالمين له بأغلى ثمن . وأخبروا أيضا أنه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب ، واحتكار الباشا للغلال الواصلة اليه من مصر ، فيبيعه حتى على عسكره بأغلى ثمن ، مع التحجير على المسافرين والحجاج فى استصحابهم شيئا من الحب والدقيق ، فيفتشون متاعهم فى السويس ، ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به فى سفرهم ، من القمح أو الدقيق ، وما يكون معهم من الفرانسة لنفقتهم ، وأعطوهم بدلها من القروش .

وفيه : بلغ صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية ، ثمانمائة وعشرين نصفا ، عنها ثمانية قروش ، والمشخص عشرون قرشا . وقل وجود الفرانسة والمشخص ، بل والمحبوب المصرى ، بأيدى الناس جدا . ثم نودى على أن يصرف الريال بسبعة قروش ، والمشخص بستة عشر قرشا . وشددوا فى ذلك ، ونكلوا بمن يخالف ذلك ، وعاقبوا من زاد على ذلك فى قبض أثمان المبيعات ، وأطلقوا فى الناس جواسيس وعيونا ... فمن عثروا عليه فى مبيع أو غيره ، أنه قبض بالزيادة ، أحاطوا به وأخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم ... وربما أرسلوا من طرفهم أشخاصا متنكرين ، يأتى أحدهم للبائع ، فيساومه السلعة كأنه مشتر ، ويدفع له فى ضمن الثمن ريالا ، أو مشخصا ، ويحسبه بحسابه الأول ، ويناكره فى ذلك . فربما تجاوز البائع ... خوفا من بوار سلعته ، وخصوصا اذا كانت البيعة رابحة ، أو بيعة استفتاح ، على زعم الباعة وقلة الزبون ، بسبب وقف حال الناس أو افلاسهم ... فما هو الا أن يتباعد عنه يسيرا ، فما يشعر الا وهو بين يدى الأعوان ، ويلاقى وعده .

١٥ منه (٥ مايو ١٨١٤ م) :

وصلت قافلة من السويس ، وفيها جملة من العسكر المتمرضين ، ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا الى مصر وفيهم حجو أوغلى ، ودالى حسن ، وعلى أغا درمنلى ، وترجوا ، وحسن أغا أزرجنلى ، ومصطفى ميسوا ، وأحمد أغا قنبور .

وفيه أيضا : خرج عسكر المغاربة ، ومن معهم من الأجناس المختلفة ، الى مصر العتيقة ليذهبوا من ناحية القصير الى الحجاز . وأما محو بيك ، فانه لم يزل بقنا لقلة المراكب بالقصير التى تحملهم الى الحجاز .

١٦ منه (٦ مايو ١٨١٤ م) :

وصلت قافلة وفيها أنفار من أهل مكة والمدينة ، وسفار وبضائع تجارة بن وأقمشة وبياض ... شىء كثير . وقد أتت الى جدة من تجارات الشريف غالب ، ولم يبلغهم خبر الشريف غالب ، وما حصل له .

فلما حضروا ، وضع الباشا يده عليه جميعه ، وأرسله الى مصر . فتولى ذلك السيد محمد المحروقى ، وفرقها على التجار بالثمن الذى قدره عليهم ، وألزمهم ألا يدفعوه الا فرانسة .

وفى هذا الشهر : وصل الخبر بموت الشيخ مسعود ، كبير الوهابية ، وتولى مكانه ابنه عبد الله .

وفيه : خرج طائفة الكتبة والأقباط والروزنامجى والجاجرتية ، وذهب الجميع الى جزيرة شلقان ، ليحرروا دفاتر على الروك الذى راكوه من قياس

الأراضى ، وزيادة الأطيان وجفل الكثير من الفلاحين وأهالى الأرياف ، وتركوا أوطانهم وزروعهم . وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويألفوه ، وباعوا مواشيهم ، ودفعوا أثمانها فى الذى طلع عليهم فى الزيادات الهائلة ، وسيعودون مثل الكلاب ، ويعتادون سلخ الاهاب !

وأما الملتزمون ، فبقوا حيارى باهتين ، وارتفع أيدى تصرفهم فى حصصهم ، ولا يدرون عاقبة أمرهم ... منتظرين رحمة ربهم . وآن وقت الحصاد وهم ممنوعون عن ضم زرع وساياهم ، الى أن أذن لهم الكتخدا بذلك ، وكتب لهم أوراقا ، وتوجهوا بأنفسهم أو بمن ينوب عن مخدومه ، وأراد ضم زرعه ، ولم يجد من يطيعه بهم . وتطاولوا عليهم بالألسنة ، فيقول الحرفوش منهم اذا دعى للشغل بأجرته : « روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى ، أنتم ايش بقالكم فى البلاد ؟ قد انقضت أيامكم ... احنا صرنا فلاحين الباشا » .

وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العبيد المشترى . فربما أن العبد يهرب من سيده اذا كلفه فوق طاقته ، أو أهانه بالضرب . وأما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل به أن يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب . واذا هرب الى بلدة أخرى ، واستعلم أستاذه مكانه ، أحضره قهرا ، وازداد ذلا ومقتا واهانة !

وكان من طرائقهم : أنه اذا آن وقت الحصاد والتخضير ، طلب الملتزم ، أو قائم مقامه ، الفلاحين فينادى عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين فى صبحه بالتبكير الى شغل الملتزم . فمن تخلف لعذر ، أحضره الغفير أو المشد ، وسحبه من شنبه ، وأشبعه سبا وشتما وضربا — وهو المسمى عندهم بالعونة والسخرة — واعتادوا ذلك ... بل يرونه من اللازم والواجب . وهذا خلاف ما يلقونه من الاذلال والتحكم من مشايخهم ، والشاهد والنصرانى الصراف — وهو العمدة والعهدة — خصوصا

عند قبض المال ، فيغالطهم ويناكرهم ... وهم له أطوع من أستاذهم ، وأمره نافذ فيهم ، فيأمر قائمقام بحبس من شاء أو ضربه ، محتجا عليه ببواقى لا يدفعها .

واذا غلق أحدهم ما عليه من المال الذى وجب عليه فى قائمة المصروف ، وطلب من المعلم ورده — وهى ورقة الغلاق — وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه ، فلا يقدر الفلاح على مراددته خوفا منه . فاذا سأله من بعد ذلك قال له : « بقى عليك حبتان من فدان ، أو خروبتان » أو نحو ذلك ! ولا يعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفى منه قدر المال ، أو يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك ... أمور وأحكام خارجة عن ادراك البهيمية ... فضلا عن البشرية ، كالشكاوى ونحوها .

وذلك كما اذا تشاجر أحدهم مع آخر على أمر جزئى ، بادر احدهم بالحضور الى الملتزم ، وتمثل بين يديه قائلا : « أشكو اليك فلانا بمائة ريال مثلا » . فبمجرد قوله ذلك ، يأمر بكتابه ورقة خطابا الى قائمقام أو المشايخ : باحضار ذلك الرجل المشتكى ، واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكى — قليلا أو كثيرا — أو حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ، ويرسل الورقة مع بعض أتباعه ، ويكتب بهامشها كراء طريقه ، قليلا أو كثيرا ، فيسمونه حق الطريق . فعند وصوله : أول شىء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ، ثم الشكوى .. فان بادر ودفعها ، والا حبس أو حضر به المعين الى بيت أستاذه ، فيوعده الحبس ، ويعاقبه بالضرب حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكى . وان تأخر عن حضوره ، أو حضور المعين ، أردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ، ويسمونها الاستعجالة ، وغير ذلك ... أحكام وأمور غير معقولة المعنى ، قد ربوا عليها واعتادوها ، لا يرون فيها بأسا ولا عيبا !

وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين : بسوء أفعالهم ، وعدم دياتهم ، وخياتهم ، واضرارهم لبعضهم البعض .. من لا يرحمهم ، ولا يعفو عنهم . كما قال فيهم البدر الحجازى :

وسبعة بالفلح قد أنزلت
لما حووه من قبيح الفعال :
شيوخهم ، أستاذهم ، والمشد
والقتل ، فيما بينهم ، والقتال
مع النصارى كاشف الناحية
وزد عليها كدهم فى اشتغال
وفقرهم ما بين عينيهم
مع اسوداد الوجه ... هذا النكال

واذا التزم بهم ذو رحمة ، ازدروه فى أعينهم : واستهانوا به وبخدمه ، وماطلوه فى الخراج ، وسموه بأسماء النساء ، وتمنوا زوال التزامه بهم ، وولاية غيره من الجبارين الذين لايخافون ربهم ، ولا يرحمهم ... لينالوا بذلك أغراضهم بوصول الأذى لبعضهم .

وكذلك أشياخهم : اذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم أيضا من ظلم فلاحيهم ... لأنهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم ، فيأخذون لأنفسهم فى ضمنها ما أحبوا ، وربما وزعوا خراج أطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين .

وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الأراضى والفدن ، وما سيحدث بعد ذلك من الاحداثات التى تبدو قرائنها شيئا بعد شىء .

٢٢ منه (١٢ مايو ١٨١٤ م) :

برز حسن بيك دالى باشا خيامه الى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثانى يوم فى موكب ، ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق البر .

٢٧ منه (١٧ مايو ١٨١٤ م) :

قبل الغروب بنحو نصف ساعة ، وصل جراد كثير مثل الغمام ، وصار يتساقط على الدور والأسطحة والأزقة مثل الغمام ، وأفسد كثيرا من الأشجار ، وانقطع أثره فى ثاني يوم .

جمادى الآخرة

١٠ منه (٣٠ مايو ١٨١٤ م) :

ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر الى بركة الحج .

١٥ منه (٤ يونيه ١٨١٤ م) :

حضر الروزنامجى والأفندية بعد أن استملى منهم القبط الدفاتر وأسماء الملتزمين ، ومقادير حصصهم ، ثم حضر محمود بيك والمعلم غالى ، ومن معهم من الكتبة الأقباط . وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الأراضى ، وروك البلاد . وهو أن الأراضى زادت فى القياس بالقصبة التى قاسوا بها ، وحددوها مقدار الثلث ، أو الربع ، حتى قاسوا الرزق الأحباسية بأسماء أصحابها ومزارعيها ، وأطيان الوسايا على حدتها ... حتى الأجران وما لا يصلح للزراعة ، وما يصلح من البور ... الصالح وغير الصالح .

فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالأفدنة ثم جعلوها ضرائب ، منها : ضريبة خمسة عشر ريالا ، وأربعة عشر ، واثنى عشر ، وأحد عشر ، وعشرة ... مال الفدان بحسب جودة الاقليم والأرض . فبلغ ذلك مبلغا عظيما ... بحيث ان البلدة التى كانت يفرض عليها فى مغارم الفرض التى كانوا فرضوها قبل ذلك فى سنيهم الماضية ، ويتشكى منها الفلاحون والملتزمون ويستغيثون ، ويبقى منها بواقى ويعجزون عنها ... ألف ريال — طلع عليها فى هذه

اللفة عشرة آلاف ريال ، الى مائة ألف ، وأقل وأكثر .

وأحضر الكتخدا ابراهيم آغا الرزاز ، والشيخ أحمد يوسف ، وخلع عليهما خلعتين ، وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى تحرر على حصته التى فى تصرفه ... فيعطونه ورقة تصرف ، ويكتب على نفسه وثيقة بأجل معلوم : بقوم بدفع ذلك ، ويتصرف فى حصته بشرط ألا يكون له الا أطيان الأوسية : ان شاء زرعها وأخذ غلتها ، وان شاء آجرها لمن شاء . وليس له من مال الخراج الا المال الحر ، المعين بسند الديوان — المعروف بالتقسيط . وما زاد فى قياس الأرض من طين الفلاحة والأوسية ، فهو للميرى ... قل أو كثر .

وأما الرزق الأحباسية ، المرصدة على البر والصدقة ، ولأهل المساجد والأسبلة ، والمكاتب والخيرات .. فانهم مسحوها بقياسهم .فما وجدوه زائدا عن الحد الأصلى جعلوه للديوان ، وما بقى قيدوه وحرروه باسم واضع اليد عليها ، واسم واقفها وزارعها ، أو ما يمليه المزارع الحاضر وقت القياس ، وسؤال المباشرين . وقرروا عليها المال ، مثل ضريبة البلد . فان أثبتها صاحبها ، وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف أفندى ، وما بعده ... على سبقه لوقت تاريخه ، قيدوا له نصف مال تآجرها ، والنصف الثانى الباقى للديوان .

ورسموا لكاتب الرزق أن يعمل ديوانا لذلك ، ومعه عدة من الكتبة ، ويأتى اليه الناس بأوراق سنداتهم : فمن وجد بيده سندا جديدا ، كتب له صورة — قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره — فى ورقة ، فيذهب بها الى الديوان ، فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين .

ويقع الاشتباه الكثير فى أسماء أربابها وأسماء حيضانها وغيطانها ، فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ، ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها باثبات ما يدعيه ، ويعود مسافرا ، ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ، ومعاكسة المشايخ وقاضى الناحية ، ثم يعود الى الديوان بالجواب ، ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة أخرى ... وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد ، أو أقل أو أكثر !

وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق ، وانفتح له بذلك باب ، لأنه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم ... تعينت على قدر الأفدنة .

وأضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن أسلافهم ، وما كانوا يرتزقون منه ، وأهملوا تجديد السندات ، واتكلوا على ما بأيديهم من السندات القديمة لجهلهم ، أو ظنهم انقضاء الأمر ، وعدم دوام الحال ، وتغير الدولة ، وعود النسق الأول ، أو لفقرهم وعدم قدرتهم على ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التى تصرف على تجديد السند ، واشتغال مال الحماية ... التى قدرها شريف أفندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة أنصاف أو خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك ، واعتمد على أوراقه القديمة ، فضاعت عليه رزقته ، وانحلت ، وآخذها الغير . والذى لم يرض بالتوت ، بل ولا حصل حطبه ، رضى بالولاش !

وكان الشأن فى أمر الرزق : أن أراضيها تزيد عن موقوع أراضى البلاد زيادة كثيرة ، وخراجها أقل من خراج أراضى البلاد ... الذى يقال له المال الحر الأصلى . وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف ... فالمزارع من الفلاحين اذا كان تحت يده تآجر رزقة أو رزقتين ، فانه يكون مغبوطا ومحسودا فى أهل بلده ، ويدفع لصاحب الأصل القدر النزر . والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ، ولا يقدر صاحب الأصل أن يزيد

عليه زيادة ... وخصوصا اذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد ، فلا يقدر أحد أن يتعدى عليه من الفلاحين ، ويستأجرها من صاحبها . وان فعل لا يقدر على حمايتها .

والكثير من الرزق واسعة القياس جدا ، ومالها قليل جدا ، وخصوصا فى الأراضى القبلية ، فان غالبها رزق وشراوى ومتأخرات لم تمسح ، ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير . وقد تزيد أيضا بانحسار البحر عن سواحلها ، وكذلك فى البلاد البحرية ... ولكن دون ذلك .

ومعظم أراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الأوقاف بمصر وغيرها . والواضعون أيديهم عليها لا يدفعون لجهاتها ولا لمستحقيها ، الا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الأول السابق — وهو شىء قليل — وليتهم لو دفعوه ! فان فى أوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الأراضى التى عبرتها أكثر من ألف فدان ، وخراجها خمسون زكيبة ، والزكيبة خمس ويبات ، أو من الدراهم ألفان فضة ، وأقل وأكثر ، وهى تحت يد بعض كبراء البلاد ، يزرعها ويأخذ منها الألوف من الأرادب من أجناس الغلال ، ويضن ويبخل بدفع ذاك القدر اليسير لجهة وقفه ، ويكسر السنة على السنة . فان كانت يد صاحب الأصل قوية ، أو كان واضع اليد فيه خيرية — وقليل ما هم ! — دفع لأربابها ثمنها ، بعد أن يرد الخمسين الى الأربعين بالتكسير والخلط ، ثم يبخس الثمن جدا . فان كان ثمن الأردب أربعمائة حسبه بأربعين نصفا ، أو أقل ، فيعود ثمن الخمسين زكيبة الى ثمن زكيبتين ... وقس على ذلك !

والذى يكون تحت يده شىء من أطيان هذه الأوقاف ، وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسموها ، معتقدين ملكيتها ، تلقوها بالارث من مورثهم ، ولا يرون أن لأحد سواهم فيها حقا ، ولا يهون بهم دفع شىء لأربابه — ولو قل — الا قهرا !

وبالجملة ما أصاب الناس الا ما كسبت أيديهم ، ولا جنوا الا ثمرات أعمالهم .

وكان معظم ادارات دوائر عظماء النواحى ، وتوسعاتهم ومضايفهم من هذه الأرزاق التى كانت تحت أيديهم ... بغير استحقاق . الى أن سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك ، وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة ، وتشتتوا فى النواحى ، وتغربوا عن أوطانهم ، وخربت دورهم ومضايفهم ، وذهبت سيادتهم . « وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا »

وفى بعض الأرزاق من مات أربابه ، وخربت جهاته ، ونسى أمره ، وبقى تحت يد من هو تحت يده من غير شىء أصلا . وقد أخبرنى بنحو ذلك ، شمس الدين بن حمودة من مشايخ برما بالمنوفية ، عندما أحضر الى مصر فى وقت هذا النظام ، أنه كان فى حوزهم ألف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها ، وذلك خلاف ما بأيديهم من الرزق التى يزرعونها بالمال اليسير ، وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التى لم يبق لها أثر . وكذلك الأسبلة وغيرها ... وأطيانهم تحت أيديهم من غير شىء وخلاف فلاحتهم الظاهرة بالمال القليل لمصارف الحج ، لأنها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات أمير الحاج ... وقد انتسخ ذلك كله !

وفيه : أخبر المخبرون : أن مراكب الموسم وصلت فى هذا العام الى جدة ... وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفا من جور الشريف وزواله ، وتملك الدولة البلاد ، وظنهم فيهم العدل فاطمأنوا وعبوا متاجرهم ، وحضروا الى جدة . فجمع الباشا مكوسهم فبلغت أربعة وعشرين « لكا » واللك الواحد مائة ألف فرانسا ، فيكون أربعة

وعشرين مائة ألف فرانسا . فقبضها منهم بضائع ونقودا ، وحسب البضائع بأبخس الأثمان . ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع ، وقال لهم : « انى طلبت منكم مرارا أن تقرضونى المال ، فادعيتم الافلاس . ولما حضر الموسم ، بادرتم بأخذه ، وظهرت أموالكم التى كنتم تبخلون بها . فلا بد أن تقرضونى ثلثمائة ألف فرانسة » ! فصالحوه على مائتى ألف دفعوها له نقودا وبضائع مشترواتهم ... حسبها لهم العشرة ستة ، ثم فرض على أهل المدينة ثلاثين ألف فرانسة .

رجب

الخميس ٥ منه (٢٣ يونية ١٨١٤ م) :

ضربوا عدة مدافع ، وأخبروا بوصول بشارة ، وأن عساكرهم حاربوا « قنفذه » واستولوا عليها ، ولم يجدوا بها غير أهلها .

الجمعة ٦ منه (٢٤ يونية ١٨١٤ م) :

سار حسين بيك دالى باشا بعساكره الخيالة برا .

وفيه : عزم على السفر والد محرم بيك ، زوج ابنة الباشا الى بلاده ، وذلك بعد عوده من الحجاز . فأرسلوا الى الأعيان تنابيه بالأمر لهم بمهاداته ! ففعلوا وعبوا له بقجا وبنا وأرزا وأقمشة هندية ومحلاوية ... كل أمير على قدر مقامه .

الاثنين ٩ منه (٢٧ يونية ١٨١٤ م) :

حصلت فى وقت أذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين ، وكان المؤذنون طلعوا على المنارات ، وشرعوا فى الأذان . فلما اهتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقوطها ، فأسرعوا بالنزول . فلما علموا أنها زلزلة ، طلعوا وأعادوا الأذان ، وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة ، وتحركت الارض أيضا فى خامس ساعة من الليل ، ولكن دون الأولى ، وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة .

الأربعاء ١١ منه (٢٩ يونية ١٨١٤) :

هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور فى وقت الفجرية ، ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظهر . فلما بلغ كتخدا بيك الخبر ، فتكدر لذلك ، وأرسل مشايخ الحارات وغيرهم ، وبث العربان فى الجهات ؛ فلما كان ليلة السبت ، حضروا به فى وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان ، وأتوا به الى بيت السيد محمد المحروقى ، فأخذه الى كتخدا بيك ، فأرسله الى بيت أخيه أحمد أغا .. ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ، ومنعوه من الخروج والدخول ، بعد أن كان مطلق السراح : يخرج من بيت أحمد آغا ، ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده . فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه أيضا .

الخميس ١٩ منه (٧ يولية ١٨١٤ م) :

حضر المشايخ عند كتخدا بيك ، وعاودوه فى الخطاب فيما أحدثوه على الرزق ، وعرفوه أنه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر . فتنصل من ذلك ، وقال : « هذا شىء لا علاقة لى فيه ، وهذا شىء أمر به أفندينا ومحمود بيك والمعلم غالى » . ثم كلموه أيضا فى صرف الجامكية ، المعروفة بالسائرة والدعاجوى ، للفقراء والعامة . فوعدهم بصرفها وقت ما يتحصل المال ، فان الحزينة فارغة من المال !

السبت ٢١ منه (٩ يولية ١٨١٤ م) :

حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما . فذهب اليهما المشايخ فى ثانى يوم ، ثم خاطبوهما بالكلام فى شأن الرزق . فأجابهم المعلم غالى بقوله : « يا أسيادنا ... هذا أمر مفروغ منه بأمر أفندينا من عام أول — من قبل سفره — فلا تتعبوا خاطركم . وواجب عليكم مساعدته خصوصا فى خلاص كعبتكم ونبيكم من أيدى الخوارج » ... فلم يردوا عليه جوابا ، وانصرفوا .

الأحد ٢٩ منه (١٧ يولية ١٨١٤ م) :

حصل كسوف شمس ، وكان ابتداؤه بعد الشروق ، ومقداره قريبا من ثلثى الجرم ، وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من النهار . وكانت الشمس ببرج السرطان أربعاً وعشرين درجة فى حادي عشر أبيب القبطى .

وفيه : وصلت القافلة من ناحية السويس . وأخبر الواصلون عن واقعة «قنفدة» وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها . وذلك أنهم لما ركبوا عليها — برا وبحرا — وكبيرهم محمود بيك ، وزعيم أوغلي ، وشريف أغا ... فوجدوها خالية ، فطلعوا اليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها ، وهم أناس ضعاف ، فقتلوهم وقطعوا آذانهم ، وأرسلوها الى مصر ، ليرسلوها الى اسلامبول .

وعندما علم العربان بمجىء الأتراك خلوا منها — ويقال لهم عرب العسير — وترافعوا عنها ... وكبيرهم يسمى « طامى » . فلما استقر بها الأتراك ، ومضى عليهم بها نحو ثمانية أيام ، رجعوا عليهم وأحاطوا بهم ، ومنعوهم الماء . فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم ... فانهزموا ، وقتل الكثير منهم ، ونجا محو بيك بنفسه فى نحو سبعة أنفار ، وكذلك زعيم أوغلى ، وشريف أغا ، فنزلوا فى سفينة وهربوا . فغضب الباشا — وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة — فحاربهم العرب ، ورجعوا منهزمين من ناحية البر ، وتواتر هذا الخبر .

شعبان

الاربعاء ٢ منه (٢٠ يولية ١٨١٤ م) :

حضر ميمش أغا من الديار الحجازية ، وعلى يده فرامانات ... خطابا لدبوس أوغلى وآخرين ، يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم . وكان دبوس أوغلى فى بلدة البرلس ، فتوجه اليه الطلب . وكذلك شرع كتخدا بيك فى استكتاب عساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك .

الجمعة ٤ منه (٢٢ يولية ١٨١٤ م) :

سافر طائفة من العسكر ، وأرسل كتخدا بيك بمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير ، وبأن يخلوها لأجل نزول العساكر المسافرين ، وبتأخير الحجاج .

وذلك أنه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين ، وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ، ووصول ابن مضيان والمضايفى وغيرهم ، الى دار السلطنة ، وهروب الوهابيين الى بلادهم — فعملوا ولائم وأفراحا وتهانى ، وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الرومنلي والأنضول : بالبشائر بالفتح ، والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين ... بالأمن والأمان والرفاهية والراحة . فتحركت همم مريدي الحج ، لأن لهم سنين وهم ممتنعون ومتخوفون عن ورود الحج . فعند ذلك أقبلوا أفواجا بحريمهم وأولادهم ومتاعهم ، حتى أن كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته ، وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين بأهله وعياله . ولم يبلغهم استمرار الحروب ، وما بالحرمين من الغلاء والقحط الا عند وصولهم الى ثغر سكندرية ، ولم يتحققوها الا بمصر . فوقعوا فى حيرة ، ما بين مصدق ومكذب : فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه ، وسلم الأمر لله ، ومنهم من تأخر بمصر الى أن ينكشف له الحال .

وقرروا على كل شخص من المسافرين فى مراكب السويس عشرين فرانسة ، وذلك خلاف أجرة متاعه وما يتزود به فى سفره ... فانهم يزنونه بالميزان ، وعلى كل أقة قدر معلوم من الدراهم . وأما من يسافر فى بحر النيل

— على جهة القصير — فى مراكب الباشا ، فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ، ثم عليه أجرة حمله من قنا الى القصير ، ثم أجرة بحر القلزم — ان وجد سفينة حاضرة — والا تأخر اما بالقصير أو السويس حتى يتيسر له النزول ، ويقاسي ما يقاسيه فى مدة انتظاره — وخصوصا فى الماء وغلو ثمنه ورداءته — ولا يسافر شخص ويتحرك من مصر الا باذن كتخدا بيك ، ويعطيه مرسوما بالاذن .

وبلغنى أن الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف ، خلاف من وصل من بلاد الرومنلى والأنضول وغيرهما وحضر الكثير من أعيانهم ، مثل امام السلطان وغيره ، فنزل البعض بمنزل عثمان أغا — وكيل دار السعادة سابقا — والبعض بمنزل السيد محمد المحروقى ، وبيت شيخ السادات ، ومنهم من استأجر دورا فى الخانات والوكائل .

وفيه : حضر قاصد من باب الدولة ، وعلى يده مرسوم ، مضمونه : الأمر باسترجاع ما أخذ من الشريف غالى ، من المال والذخائر ، اليه .

وكان الباشا أرسل الى الدولة بسبحتى لؤلؤ عظام من موجودات الشريف ، فحضر بهما ذلك القبجى ، وردهما الى الشريف غالب ، ثم سافر ذلك القبجى بالأوامر الى الباشا بالحجاز .

الاثنين ٧ منه (٢٥ يولية ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة باستعجال العساكر ، وتوالى حضور الهجانة لخصوص الاستعجال .

السبت ١٩ منه (٦ اغسطس ١٨١٤ م) :

أنزلوا الشريف غالب الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده . وكان قد وصل الى مصر أغا معين بقصد سفر المذكور الى سلانيك ، فنزل صحبته الى بولاق ، وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس . فأرادوا دفعها له قروشا ، فامتنع قائلا : « انهم أخذوا مالى ذهبا مشخصا وفرانسة ، فكيف آخذ بدل ذلك نحاسا لا نفع بها فى غير مصر ؟ » . فأعطوه مائتى كيس ذهبا وفرانسة ، وتحول بالباقى وكيله مكى الخولانى ، ثم زودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشربات وغير ذلك ، ونزل مسافرا الى المراكب صحبة المعين الى الحجاز من ناحية القصير . وبرز ابن ماشت طرابلس وصحبته عساكر أيضا الى ناحية العادلية ، وآخر يقال له قنجة بيك ، ومعهم نحو الألف خيال من العرب والمغاربة ، على طريق البر الى الحجاز .

الخميس ٢٤ منه (١١ اغسطس ١٨١٤ — ٦ مسرى ١٥٣٠) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، فداروا بالرايات ، ونودى بالوفاء ، وكسروا السد — فى صبح يوم الجمعة — بحضرة كتخدا بيك والقاضى ، والجم الغفير من العساكر .

فى اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٨١٤ م) :

وصلت الأخبار بأن الباشا توجه الى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة .

رمضان

السبت ٤ منه (٢٠ اغسطس ١٨١٤ م) :

حضر موسى أغا تفكجى باشا من الديار الحجازية . وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ، ومن جملة من انهزم بها . وهلكت جميع عساكره وخدمه ، ورجع الى مصر وصحبته أربعة أنفار من الخدم .

الجمعة ١٠ منه (٢٦ اغسطس ١٨١٤ م) :

خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز الى

بركة الحج — وهم مغاربة وعربان — وارتحلوا يوم الأحد ثانى عشره .

الاربعاء ١٥ منه (٣١ اغسطس ١٨١٤ م) :

برز دبوس أوغلى خارج باب الفتوح ليسافر بعساكره الى الحجاز ، وكذلك حسن أغا سرششمة . ونصبوا خيامهم .

واستمروا يخرجون من المدينة ويدخلون غدوا وعشيا ، وهم يأكلون ويشربون جهارا فى نهار رمضان ، ويقولون : « نحن مسافرون ومجاهدون » ! ويمرون بالأسواق ، ويجلسون على المساطب ... وبأيديهم الأقصاب ، والشبكات التى يشربون فيها الدخان ، من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوى فى الضحوة ، فيجدونها مغلوقة ، فيسألون عن القهوجى ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ، ويوقد لهم النار ، ويغلى لهم القهوة ، ويسقيهم ... فربما هرب القهوجى واختفى منهم ، فيكسرون الباب ، ويعبثون بآلاته وأوانيه ، فما يسعه الا المجيء وايقاد النار .

وأشنع من ذلك ، أنه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطى والبغايا ، ونصبوا لهم خياما وأخصاصا ، وانضم اليهم بياع البوظة والعرقى والحشاشون والغوازى والرقاصون ، وأمثال ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل الأهواء والعياق من أولاد البلد ... فكانوا جمعا عظيما : يأكلون الحشيش ، ويشربون المسكرات ، ويزنون ويلوطون ، ويشربون الجوزة ، ويلعبون القمار جهارا فى نهار رمضان ولياليه ، مختلطين مع العساكر ، كأنما سقط عن الجميع التكاليف ، وخلصوا من الحساب !

وسمعت ممن شاهد بعينه محمود بيك المهردار ... الذى هو أعظم أعيانهم ، وهو المتولى على قياس الأراضى مع المعلم غالى ، وهو جالس فى ديوانهم المخصوص — بالقرب من سويقة اللالا — وهو يشرب فى النارجيلة التنباك ، ويأتونه بالغداء جهارا ، ويقول : « أنا مسافر الشرقية لعمل نظام الأراضى » !

الخميس ثانيه (١٥ سبتمبر ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة باستعجال العساكر .

شـوال

فى غرته (١٦ سبتمبر ١٨١٤ م) :

فى ليلته : قلدوا عبد الله كاشف الدرندلى أميرا على ركب الحجاج .

٣ منه (١٨ سبتمبر ١٨١٤ م) :

خرج دبوس أوغلى فى موكب الى مخيمه ، وكذلك حسن أغا سرششمة ليسافر الى الحجاز .

١١ منه (٢٦ سبتمبر ١٨١٤ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة ، بالطبول والزمور ، الى المشهد الحسينى . واجتمع الناس على عادتهم للفرجة .

وفيه : انتقل محمود بيك والمعلم غالى الى بيت حسن أغا نجاتى ، وعملوا ديوانهم فيه ، وأتلفوا الجنينة التى به ، وجلسوا تحت أشجارها ، وربط الأقباط حميرهم فيها ! وشرع محمود بيك فى عمارة الجهة القبلية منه ، وانزوت صاحبة المنزل فى ناحية منه .

١٧ منه (٢ اكتوبر ١٨١٤ م) :

ارتحل دبوس أوغلى وحسن أغا سرششمة . ومن معهم من العساكر ، من منزلتهم متوجهين الى الديار الحجازية .

٢٢ منه (٧ اكتوبر ١٨١٤ م) :

رسم كتخدا بيك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا إلى أبى قير بسبب فتيا أفتوها فى حادثة ببلدهم ، وقضى بها قاضيهم . وأنهيت الدعوى ، الى ديوان مصر ، فطلبوا الى اعادة الدعوى ، فحضروا وترافعوا الى قاضى العسكر ، وأثبتوا عليهم الخطأ .. فرسم بنفى الشاكى والمفتين والقاضى رابعهم .

٢٤ منه (٩ اكتوبر ١٨١٤ م) :

عملوا موكبا لخروج المحمل ، واستعد الناس للفرجة على عادتهم . فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب ، وعدة من طائفة الدلاة ، على رءوسهم طراطير سود قلابق ... وأمير الحج على شكلهم ، وخلفه أرباب الأشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم ، وخلفهم المحمل ... فكان مدة مرورهم — مع تقطيعهم وعدم نظامهم — نحو ساعتين . فأين ما كان يعمل من المواكب بمصر ... التى يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل فى الدنيا ؟ فسبحان مغير الشئون والأحوال !

وفيه : خرجت زوجة الباشا الكبيرة — وهى أم أولاده — تريد الحج ... الى خارج باب النصر فى ثلاثة تخوت ، والمتسفر بها بونابارته الخازندار . وقد حضر لوداعها ولدها ابراهيم باشا من الصعيد ، وخرج لتشييعها هو وأخوه اسماعيل باشا وصحبتهما محرم بيك — زوج ابنتها — حاكم الجيزة ، ومصطفى بيك دالى باشا ، ويقال انه أخوها . وكذلك محمد بيك الدفتردار — زوج ابنتها أيضا — وطاهر باشا ، وصالح بيك السلحدار . وارتحلت ومن معها فى سادس عشرينه الى بندر السويس . وفى ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة ، وغيرهم ممن تعسكر . وارتحل أمير الحج من الحصوة الى البركة .

٢٧ منه (١٢ اكتوبر ١٨١٤ م) :

خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر .

٢٩ منه (١٤ اكتوبر ١٨١٤ م) :

ارتحل أمير الحج ومن معه من البركة فى تاسع ساعة من النهار . وفى ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة ، واشتد هبوبها أواخر النهار ، وأطبقت السماء بالغيوم والقتام ، وأبرق البرق برقا متتابعا ، وأرعدت رعدا له دوى متصل . ولما قرب من سمت رءوسنا ، كان له صوت عظيم مزعج ، ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ، ثم سكن بعد أن تبحرت منه الأزقة والطرق . وكان ذلك اليوم رابع شهر بابة القبطى .

وفيه : ورد الخبر من السويس : أن امرأة الباشا لما وصلت الى هناك ، وجدت عالما كبيرا من الحجاج المختلفة الأجناس ممنوعين من نزول المراكب .. فصرخوا فى وجهها ، وشكوا اليها تخلفهم ، وأن أمير البندر مانعهم من النزول فى المراكب ، وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشموا الأسفار ، وصرفوا أيضا الأموال من أجله . وهم فى مشقة عظيمة من عدم الماء ، ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم ، وأن أمير البندر يشتط عليهم فى الأجرة ، ويأخذ على كل رأس خمسة عشر فرانسا . فحلفت أنها لاتنزل الى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس من الحجاج ... المراكب ، ولا يؤخذ منهم الا القدر الذى جعلته على كل فرد منهم . فكان ما حكمت به هذه الحرمة صار لها به منقبة حميدة ، وذكرا حسنا ، وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة !

الاثنين ٣ منه (١٧ اكتوبر ١٨١٤ م) :

نادى المنادى بوقود قناديل سهارى على البيوت والوكائل . وكل أربع دكاكين قنديل .

السبت ٨ منه (٢٢ اكتوبر ١٨١٤ م) :

جرسوا شخصا ، وأركبوه على حمار بالمقلوب ، وهو قابض بيده على ذنب الحمار ، وعمموه بمصارين ذبيحة ، وعلى كتفه كرش ، بعد أن حلقوا نصف لحيته وشواربه !

قيل : ان سبب ذلك أنه زور حجة تقرير على أماكن تتعلق بامرأة أجنبية ، وباع بعض الأماكن . وكانت تلك المرأة غائبة من مصر ، فلما حضرت ، وجدت مكانها مسكونا بالذى اشتراه ... فرفعت قصتها الى كتخدا بيك ، ففعل به ذلك بعد وضوح القضية .

الاربعاء ١٢ منه (٢٦ اكتوبر ١٨١٤ م) :

سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز ، باستدعاء من الباشا ، فأعطوه أكياسا ، وقضى أشغاله وخرج مسافرا .

وفيه : وقعت حادثة بحارة الكعكيين بين شخصين من الدلاتية رمحا خلف غلام بدوى عمل نفسه عسكريا مع طائفة المغاربة ، يدعى أحدهما أن له عنده دراهم ، فهرب منهما الى الخطة المذكورة ، فرمحا خلفه ، وبيد كل منهما سيفه مسلولا ، فدخل الغلام الى عطفة الحمام . وفزعت عليهما المغاربة المتعسكرون القاطنون بتلك الناحية . وضربوا عليهما بنادق ، فسقط حصان أحد الدلاة ، وأصيب راكبه ، وهرب رفيقه الى كتخدا بيك ، فأخبره ، فأمر باحضار كبراء المغاربة ، وطالبهم بالضارب فلم يتبين أمره ، وقبضوا على الغلام الهارب فحبسوه .



الغلام ..

وفى ذلك الوقت حصل فى الناس فزعة ، وأغلقت أهل سوق الغورية ، والشوائين والفحامين ... حوانيتهم . وبقى ذلك الغلام محبوسا ، ومات الدلاتى المضروب ، فى ليلة السبت خامس عشرة ، فأحضروا ذلك الغلام الى باب زويلة وقطعوا رأسه ظلما ... ولم يكن هو الضارب !

الخميس ٢٠ منه (٣ نوفمبر ١٨١٤ م)

سافر ابن باشت طرابلس ، وسافر معه عسكر المغاربة الخيالة .

ذو الحجة

الاثنين غرته (١٤ نوفمبر ١٨١٤ م) :

ورد نجاب من الحجاز ، وأخبر بموت طاهر

أفندى — وهو أفندى ديوان الباشا — وكان موته فى شهر شوال بالمدينة ... حتف أنفه .

وورد الخبر أيضا بصلح الشريف راجح مع الباشا ، وأنه قابله ، وأكرمه ، وأنعم عليه بمائتى كيس . وأخبر أيضا بأنه تركه الباشا بناحية الكلخة . وهى ما بين الطائف وتربة .

وانقضت السنة بحوادثها .

* * *

وأما من مات فى هذه السنة : فمات العمدة الفاضل ، الفقيه النبيه ، الشيخ حسين ، المعروف بابن الكاشف الدمياطى ، ويعرف بالرشيدى .

تعلق بالعلم ، وانخلع من الأمرية والجندية ، وحضر أشياخ العصر ، ولازم حضور الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية ، لملازمته لهم فى المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن فى مبدأ أمره برشيد ، وجوده على السيد صديق ، وحفظ شيئا من المتون قبل مجيئه الى مصر ، وأكب على الاشتغال بالأزهر ، وتزيا بزى الفقهاء .. يلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرس فى الفقه والمعقول وغيرهما .

ولما وصل محمد باشا خسرو الى ولاية مصر ، اجتمع عليه عند قلعة أبى قير ، فجعله اماما يصلى خلفه الأوقات ، وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظبا على وظيفته ، وانتفع بنسبته اليه ، واقتنى حصصا واقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ، ويأخذ ممن يتولاها الجعالات والهدايا . وأخذ أيضا نظر وقف أزبك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو . واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفى أواخر السنة .

* * *

ومات الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل — وهو أخو الشيخ سليمان الجمل — تفقه على أخيه ، ولازم دروسه ، وحضر غيره من أشياخ العصر ، ومشى على طريقة أخيه فى التقشف والانجماع عن خلطة الناس . ولما مات أخوه — وكان يملى الدروس بجامع المشهد الحسينى ، بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الأزهر والعامة — تصدر للاقراء فى محله فى ذلك الوقت . فقرأ الشمايل والمواهب والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفى ثانى عشر ذى الحجة .

* * *

ومات الشيخ المفيد محمد الاسناوى ، الشهير بجاد المولى ... ممن جاور بالأزهر ، وحضر دروس أشياخ الوقت من أهل عصره ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى فى دروسه وبه تخرج ، وواظب عليه فى مجالس الذكر ، وتلقى عنه طريقة الخلوتية وألبسه التاج ، وتقدم فى خطابة الجمعة والأعياد بالجامع الأزهر ، بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكرى عندما رفعوها عنه . وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل فى سنة ثلاث وعشرين ، وتأخر فى الزيادة عن أوانه .

ولما حضر محمد باشا خسرو الى مصر ، وصلى صلاة الجمعة بالأزهر ، فى سنة سبع عشرة ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان يخرجها من الخزنة ، ويلبسها وقت خطبة الجمعة والأعياد .

وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين : كالشيخ خالد والأزهرية ، ثم قرأ شرح الأشمونى على الخلاصة . واشتهر ذكره ، ونما أمره فى أقبل زمن . وكان فصيحا مفوها فى التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة . ولم يزل على حالة حميدة فى حسن السلوك والطريقة حتى توفى فى شهر ذى الحجة ، وقد ناهز الأربعين .

المحترم

٥ منه (١٨ ديسمبر ١٨١٤ م) :

وصل نجاب من الحجاز ، وعلى يده مكاتبات ، بالاخبار عن الباشا والحجاج ، بأنهم حجوا ووقفوا بعرفة ، وقضوا المناسك ..

٩ منه (٢٢ ديسمبر ١٨١٤ م) :

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية الى داره بالجمالية .

١٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٨١٤ م) :

وصل فى ليلته قابجى وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز الى ساحل القصير ، فضربوا لذلك مدافع من القلعة .

وفى صبحها : خرج ابن الباشا وأخوه ، وكذلك أكابر دولتهم الى ناحية البساتين ، ومنهم من عدى النيل الى البر العربى لملاقاته على مقتضى عادته فى عجلته فى الحضور ، وعلى حساب مضى الأيام ، من يوم وصوله الى القصير ... فغابوا فى انتظاره حتى انقضى النهار ، ثم رجعوا .

١١ منه (٢٤ ديسمبر ١٨١٤ م) :

فى صبحه : خرجوا ثم عادوا الى دورهم آخر النهار ، واستمروا على الخروج والرجوع ، ثلاثة أيام ، ولم يحضر .

وكثر لغط الناس عند ذلك ، واختلفت رواياتهم وأقاويلهم مدة أيام ، ليلا ونهارا ، ثم ظهر كذب هذا الخبر ، وأن الباشا لم يزل بأرض الحجاز .

وقيل ان سبب اشاعة خبر مجيئه أنه وصل الى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر شخصاً من العسكر ، فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم ، فأجابوه انهم مقدمة الباشا ، وأنه واصل فى أثرهم فعندما سمع جوابهم ، أرسل خطابا الى كاتب من الأقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا . فكتب ذلك القبطى خطابا الى وكيل شخص من أعيان كتبة الأقباط بأسيوط ، يسمى المعلم بشارة ، فعندما وصله الجواب أرسل جوابا الى موكله بشارة المذكور بمصر ... بذلك الخبر . وفى الحال طلع به الى القلعة ، وأعطاه لابراهيم باشا ، فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كتخدا بيك . فخلع كتخدا بيك على بشارة خلعة ، وأمر بضرب المدافع ، ونزل المبشرون ، وانتشروا بالبشائر الى بيوت الأعيان ، وأخذ البقاشيش .

ولما حصل التراخى والتباطؤ والتأخر فى الحضور بعد الاشاعة ، أخذ الناس فى اختلاق الروايات والأقاويل ، كعادتهم ... فمنهم من يقول : « انه حضر مهزوما » ، ومنهم من يقول : « مجروحا » ، ومنهم من يثبت موته ... والشيء الذى أوجب فى الناس هذه التخليطات ، ما شاهدوه من حركات أهل الدولة ، وانتقال نسائهم من المدينة ، وطلوعهم الى القلعة بمتاعهم ، واخلاء الكثير منهم البيوت ، وانتقال طائفة الأرنؤود من الدور المتباعدة ، واجتماعهم ، وسكناهم بناحية خطة عابدين ... وكذلك انتقل ابراهيم باشا الى القلعة ، ونقل اليها الكثير من متاعه .

وأغرب من هذا كله ، اشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية ابراهيم باشا على الأحكام — عوضا عن أبيه — فى يوم الخميس . ويرتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم ، ويشق من وسط المدينة . واجتمع الناس للفرجة عليه ، واصطفوا على المصاطب والدكاكين ... فلم يحصل . وظهر كذب ذلك كله وبطلانه .

واتفق فى أثناء ذلك من زيادة الأوهام والتخيلات ، أن رضوان كاشف — المعروف بالشعراوى — سد باب داره التى بالشارع ، بخط باب الشعرية ، وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التى بظاهره ... فأوشى بعض مبغضيه الى كتخدا بيك فعلته فى هذا الوقت — والناس يزداد بهم الوهم ، ويعتقدون صحة ما دار بينهم من الأكاذيب ، وخصوصا كونه من الأعيان المعروفين — فطلبه كتخدا بيك وقال له : « لأى شىء سددت باب دارك ؟ وما الذى قاله المنجم لك ؟ » . فقال : « ان طائفة من العسكر تشاجروا بالخطة ، ودخلوا الى الدار وأزعجونا ، فسددتها من ناحية الشارع بعدا من الشر ، وخوفا مما جرى على دارى سابقا من النهب » . فلم يلتفت لكلامه ، وأمر بقتله . فشفع فيه صالح بيك السلحدار ، وحسن أغا مستحفظان . فعفا عنه من القتل ، وأمر بضربه ! فبطحوه وضربوه بالعصى . ثم نزل بصحبته الأغا الى داره وفتح الباب كما كان .

٢٤ منه (٦ يناير ١٨١٥ م) :

وصلت مكاتبات من الديار الحجازية — من عند الباشا وخلافه — مؤرخة فى ثالث عشر ذى الحجة ، يذكرون فيها أن الباشا بمكة ، وطوسون باشا ابنه بالمدينة ، وحسن باشا وأخاه عابدين بيك وخلافهم بالكلخة ، مابين الطائف وتربة .

صفر

الاثنين ٢٥ منه (٦ فبراير ١٨١٥ م) :

نودى بنقص مصارفة أصناف المعاملة ... وقد وصل صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية الى ثلثمائة وأربعين نصفا ، عنها ثمانية قروش ونصف ، فنودى عليه بنقص نصف قرش . والمحبوب وصل الى عشرة قروش ، فنودى عليه بتسعة قروش . وشددوا فى هذه المناداة تشديدا زائدا ، وقتل كل من زاد على ذلك من غير معارضة . وكتبوا مراسيم الى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد ، والانتقام ممن يزيد .

اواخره (اوائل فبراير ١٨١٥ م) :

التزم المعلم غالى بمال الجزية التى تطلب من النصارى ، على خمسة وثمانين كيسا . وسبب ذلك أن بعض أتباع المقيد لقبض الجوالى قبض على شخص من النصارى ، وكان من قسوسهم ، وشدد عليه فى الطلب وأهانه فأنهوا الأمر الى المعلم غالى ، ففعل ذلك ، قصدا لمنع الايذاء عن أبناء جنسه ، ويكون الطلب منه عليهم ، ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم .

ربيع الأول

الاحد ٩ منه (١٩ فبراير ١٨١٥ م) :

وصلت قافلة طيارى من الحجاز . قدم صحبتها السيد عبد الله الأقماعى ، ومعها هجانة من الحجاز ، وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها : الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على « تربة » وغنم منها جمالا وغنائم ، وأخذ منهم أسرى . فلما وصلت الأخبار بذلك ، انطلق المبشرون الى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ! وضربوا فى صبحها مدافع كثيرة من القلعة .

الثلاثاء ١١ منه (٢١ فبراير ١٨١٥ م) :

كان المولد النبوى ، فنودى فى صبحه بزينة المدينة وبولاق ، ومصر القديمة ، ووقود القناديل ، والسهر ثلاثة أيام بلياليها . فلما أصبح يوم الأربعاء — والزينة بحالها الى بعد أذان العصر — نودى برفعها . ففرح أهل الأسواق بازالتها ورفعها ... لما يحصل لهم من التكاليف والسهر فى البرد والهواء ، خصوصا وقد حصل فى آخر ليلة رياح شديدة باردة .

وفى هذه الأيام : سافر محمود بيك والمعلم غالى ، ومن يصحبهم من النصارى الأقباط ، وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الافندية المختصين بالروزنامة ، ومنهم محمد أفندى ابن حسين أفندى — المنفصل عن الروزنامة — ونزلوا لاعادة قياس الأراضى ، وتحرير الرى والشراقى . وسبقهم القياسون بالأقصاب ... نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام وشرع كشاف النواحى فى قبض الترويجة من المزارعين ، وفرضوا على كل فدان : الأدنى تسع ريالات الى خمسة عشر ... بحسب جودة الأراضى ورداءتها . وهذا الطلب فى غير وقته ، لأنه لم يحصل حصاد للزرع ، وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه .

ومن العجب أنه لم يقع مطر فى هذه السنة أبدا ، ومضت أيام الشتاء ودخل فصل الربيع ، ولم يقع غيث أبدا ... سوى ما كان يحصل فى بعض الأيام من غيوم وأهوية غربية ، ينزل مع هبوبها بعض رشاش قليل : لا تبتل الأرض منه ، ويجف بالهواء بمجرد نزوله .

أواخره (أوائل مارس ١٨١٥ م) :

ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الانكليز ، وفيها طيور مختلفة الأجناس والأشكال ، كبار وصغار ، وفيها من يتكلم ويحاكى ، وآلة مصنوعة لنقل الماء ، يقال لها « الطلمبة » ، وهى تنقل الماء الى المسافة البعيدة ، ومن الأسفل الى العلو ، ومرآة زجاج نجف كبيرة — قطعة واحدة — وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة ... بأنغام مطربة ، وشمعدان به حركة غريبة ، كلما طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة ، فيخرج منه شخص لطيف من جانبه ، فيقط رأس الفتيلة بمقص لطيف بيده ، ويعود راجعا الى داخل الشمعدان ... هذا ما بلغنى ممن ادعى أنه شاهد ذلك .

وفيه : عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات ، مثل : اللحم والسمن والجبن والشمع ، ونادوا بنقص أسعارها نقصا فاحشا ، وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق ، وخرم الآناف . فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت ، وأخفوه ، وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون . وأما السمن فلكثرة طلبه لأهل الدولة شح وجوده ، واذا ورد منه شىء خطفوه وأخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم . وانعدم وجوده عند القبانية ، واذا بيع منه شىء ... بيع سرا بأقصى الثمن . وأما السكر والصابون فبلغا الغاية فى غلو الثمن ، وقلة الوجود ، لأن ابراهيم باشا احتكر السكر بأجمعه الذى يأتى من الصعيد — وليس بغير الجهة القبلية شىء منه — فيبيعه على ذمته .. وهو فى الحقيقة لأبيه . ثم صار نفس الباشا يعطى لأهل المطابخ بالثمن الذى يعينه عليهم ، ويشاركهم فى ربحه . فزاد غلوثمنه على الناس ، وبيع الرطل من السكر الصعيدى ، الذى كان يباع بخمسة أنصاف فضة ، بثمانين نصفا . وأما الصابون ففرضوا على تجاره غرامة ، فامتنع وجوده ، وبيع الرطل الواحد منه — خفية — بستين نصفا وأكثر .

وفى هذه الأيام غلا سعر الحنطة والفول وبيع

الأردب بألف ومائتى نصف فضة — خلاف الكلف والأجرة — مع أن الأهراء والشون ببولاق ملآنة بالغلال ، ويأكلها السوس ، ولا يخرجون منها للبيع شيئا ... حتى قيل لكتخدا بيك فى اخراج شيء منها يباع فى الناس ، فلم يأذن ... وكأنه لم يكن مأذونا من مخدومه .

ربيع الآخر

الاثنين ٨ منه (٢٠ مارس ١٨١٥ م) :

عمل محرم بيك الكورنتيلة بالجيزة على نسق السنة الماضية ، من اخراج الناس وازعاجهم ، تطيرا وخوفا من الطاعون .

وفيه : خوزقوا شيخ عرب بلى — فيما بين قبة العزب والهمايل — بعد حبسه أربعة أشهر .

٢٨ منه (٩ ابريل ١٨١٥ م) :

ضربت مدافع ، وأشيع الخبر بوصول شخص عسكرى بمكاتبات من الباشا وخلافه ، والخبر بقدوم الباشا .

وانتشرت المبشرون الى بيوت الأعيان وأصحاب المظاهر — على عاداتهم — لأخذ البقاشيش . فمن قائل انه وصل الى القصير ، ومن قائل انه نزل الى السفينة بالبحر ، ومنهم من يقول انه حضر الى السويس . ثم اختلفت الروايات وقالوا : ان الذى وصل الى السويس حريم الباشا فقط . ثم تبين كذب هذه الأقاويل ، وأنها مكاتبات فقط مؤرخة أواخر شهر صفر ، يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر ، واستولى على ناحية يقال لها بيشة ورنية ، وقتل الكثير من الوهابيين ، وأنه عازم على الذهاب الى ناحية قنفدة ، ثم ينزل بعد ذلك الى البحر ، ويأتى الى مصر .

ووصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب الصرة .

جمادى الأولى

الاحد ٦ منه (١٦ ابريل ١٨١٥ م) :

ضربت مدافع بعد الظهيرة لورود مكاتبة بأن الباشا استولى على ناحية من النواحى ، جهة قنفدة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٨١٥ م) :

وصل المحمل الى بركة الحج ، وصحبته من بقى من رجال الركب ، مثل خطيب الجبل ، والصيرفى ، والمحملجية . ووردت مكاتبات بالقبض على طامى ، الذى جرى منه ما جرى فى وقائع « قنفدة » السابقة ، وقتله العساكر ... فلم يزل راجح الذى اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده

وذلك أنه عمل لابن أخيه مبلغا من المال ان هو أوقعه فى شركه . فعمل له وليمة ، ودعاه الى محله ، فأتاه آمنا ، فقبض عليه واغتاله طمعا فى المال !

وأتوا به الى عرضى الباشا فوجهه الى بندر جدة فى الحال ، وأنزلوه السفينة ، وحضروا به الى السويس ، وعجلوا بحضوره . فلما وصل الى البركة — والمحمل اذ ذاك بها — خرجت جميع العساكر فى ليلة الاثنين ، حادى عشرينه ، وانجروا فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل . وبعد مرورهم دخلوا بطامى المذكور ، وهو راكب على هجين ، وفى رقبته الحديد ، والجنزير مربوط فى عنق الهجين ... وصورته : رجل شهم عظيم اللحية ، وهو لابس عباءة عبدانى ، ويقرأ وهو راكب وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضر أيضا عابدين بيك ، وتوجه الى داره فى ليلة الاثنين .

جمادى الآخرة

الاثنين ٥ منه (١٥ مايو ١٨١٥ م) :

وصلت عساكر فى داوات الى السويس ، وحضروا

الى مصر ، وعلى رءوسهم شلنجات فضة ... اعلاما واشارة بأنهم مجاهدون ، وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين ، وطردوا المخالفين لدياناتهم . حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا فى امضائهما على المراسلات — بعد اسمهما — لفظة « المغازى » ! والله أعلم بخلقه .

الجمعة ٩ منه (١٩ مايو ١٨١٥ م) :

أخرجوا عساكر كثيرة ... وجهوهم الى الثغور ومحافظة الأساكل خوفا من طارق يطرق الثغور لأنه أشيع أن بونابرته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ، ورجع الى فرانسا وملكها ، وأغار على بلاد الجورنة ، وخرج بعمارة كبيرة لا يعلم قصده الى أى جهة يريد ... فربما طرق ثغر الاسكندرية أو دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك .

وسئل كتخدا بيك عن سبب خروجهم ، فقال : « خوفا عليهم من الطاعون ، ولئلا يوخموا المدينة » لأنه وقع فى هذه السنة موتان بالطاعون ، وهلك الكثير من العسكر وأهل البلدة والأطفال والجوارى والعبيد — خصوصا السودان — فانه لم يبق منهم الا القليل النادر ، وخلت منهم الدور .

الخميس ١٥ منه (٢٥ مايو ١٨١٥ م) :

أخرج كتخدا بيك صدقة تفرق على الأولاد الأيتام الذين يقرأون بالكتاتيب ، ويدعون برفع الطاعون ! فكانوا يجمعونهم ، ويأتى بهم فقهاؤهم الى بيت حسين ، كتخدا الكتخدا ، عند حيضان مصلى ، ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة : يأخذ منها جزءا الذى يجمع الطائفة منهم ويدعى أنه معلمهم ، زيادة عن حصته . لأن معظم المكاتب مغلوقة ، وليس بها أحد بسبب تعطيل الأوقاف وقطع ايرادهم . وصار لهذه الأطفال جلبة وغوغاء فى ذهابهم ورجوعهم فى الأسواق ، وعلى بيت الذى يقسم عليهم .

رجب

الاربعاء ٦ منه (١٤ يونية ١٨١٥ م) :

وصلت هجانة من ناحية قبلى ، وأخبروا بوصول الباشا الى القصير . فخلع عليهم كتخدا بيك كساوى ، ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر .

الجمعة ٨ منه (١٦ يونية ١٨١٥ م) :

احترق بيت طاهر باشا بالأزبكية ، والبيت الذى بجواره أيضا .

وفيه — قبل العصر — ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة ، وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص . ووصل أيضا حريم الباشا ، وطلعوا الى قصر شبرا ، وركب للسلام عليها جميع نساء الأكابر والأعيان ... بهداياهم وتقادمهم . ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الأرياف ... المرور من تحت القصر ، الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون ويمرون من طريق استحدثوها ، منعطفة خلف تلك الطريق ، ومستبعدة بمسافة طويلة .

الخميس ١٤ منه (٢٢ يونية ١٨١٥ م) :

انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة ، وكان فى آخر برج القوس .

الجمعة ١٥ منه (٢٣ يونية ١٨١٥ م) :

وصل الباشا الى الجيزة ليلا ، فأقام بها الى آخر الليل ، ثم حضر الى داره بالأزبكية فأقام بها يومين . وحضر كتخدا بيك وأكابر دولته للسلام عليه ، فلم يأذن لأحد ... وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا . ولم يجتمع به أحد سوى ثانى

يوم . وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع : من أكابر الدولة ، والنصارى بأجناسهم ، خصوصا الأرمن وخلافهم .. بكل صنف من التحف ، حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك !

وأشيع فى الناس ، فى المصر وفى القرى ، بأنه تاب عن الظلم ، وعزم على اقامة العدل . وأنه نذر على نفسه : أنه اذا رجع منصورا ، واستولى على أرض الحجاز ، أفرج للناس عن حصصهم ، ورد الأرزاق الاحباسية الى أهلها . وزادوا على هذه الاشاعة أنه فعل ذلك فى البلاد القبلية ، ورد كل شىء الى أصله . وتناقلوا ذلك فى جميع النواحى ، وباتوا يتخيلونه فى أحلامهم !

ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة أيام ، كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين . مضمونها : أنه بلغ حضرة أفندينا ما فعله الأقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم فى فائظهم ، فلم يرض بذلك ... والحال أنكم تحضرون بعد أربعة أيام ، وتحاسبوا على فائظكم وتقبضونه ، فان أفندينا لايرضى بالظلم ... وعلى الأوراق امضاء الدفتردار .

ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام ، واعتقدوا صحته . وأشاعوا أيضا أنه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالى وأكابر القبط .

الأحد ٢٤ منه (٢ يوليه ١٨١٥ م) :

حضر الكثير من أصحاب الأرزاق الكائنين بالقرى والبلاد ، مشايخ وأشرافا وفلاحين ، ومعهم بيارق وأعلام ... مستبشرين وفرحين بما سمعوه وأشاعوه ، وذهبوا الى الباشا — وهو يعمل رماحة بناحية القبة ، برمى بنادق كثيرة وميدان تعليم — فلما رآهم وأخبروه عن سبب مجيئهم ، فأمر بضربهم وطردهم ! ففعلوا بهم ذلك ، ورجعوا خائبين ..

وفيه : حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما ، وقابلا الباشا ، وخلع عليهما وكساهما ، وألبسهما فراوى سمور . فركب المعلم غالى ، وعليه الخلعة ، وشق من وسط المدينة ، وخلفه عدة كثيرة من الأقباط ليراه الناس ، ويكمد الأعداء ، ويبطل ماقيل من التقولات . ثم قام هو ومحمود بيك أياما قليلة ، ورجعا لأشغالهما وتتميم أفعالهما من تحرير القياس وجبى الأموال . وكانا أرسلا قبل حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للأموال : فى كل يوم قطارات بعضها اثر بعض ، من الشرقية والغربية والمنوفية وباقى الأقاليم .

وفيه : حضر شيخ طرهونة بجهة قبلى ، ويسمى كريم — بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء وسكون الميم — وكان عاصيا على الباشا ، ولم يقابله أبدا . فلم يزل يحتال عليه ابراهيم باشا ، ويصالحه ويمنيه ، حتى أتى اليه وقابله وأمنه . فلما حضر الباشا — أبوه — من الحجاز ، أتاه على أمان ابنه ، وقدم معه هدية وأربعين من الابل .. فقبل هديته ، ثم أمر برمى عنقه بالرميلة !

شعبان

الأحد غرته (٩ يولية ١٨١٥ م) :

استهل .. والناس فى أمر مريج من قطع أرزاقهم . وأرباب الالتزامات والحصص التى ضبطها الباشا ، ورفع أيديهم عن التصرف فى شىء منها — خلا طين الأوسية — فانه سامحهم فيه ... سوى ما زاد عن الروك الذى قاسه ، فانه لديوانه . ووعدهم بصرف المال الحر المعين بالسند الديوانى فقط ... بعد التحرير والمحاققة ، ومناقضة الكتبة الأقباط فى القوائم . وأقاموا منتظرين انجاز وعده ، أياما ، يغدون ويروحون ، ويسألون الكتبة ومن له وصلة بهم .. وقد ضاق خناقهم من التفليس ، وقطع الايراد ، ورضوا بالأقل ، وتشوفوا لحصوله . وكل

قليل يوعدون : بعد أربعة أيام أو ثلاثة أيام ، حتى تحرر الدفاتر . فاذا تحررت قيل ان الباشا أمر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر . ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل فى السنين ، وما يتوفر فى الخزينة قليلا أو كثيرا .

وفيه : وصل رجل تركى على طريق دمياط ، يزعم أنه عاش من العمر زمنا طويلا ، وأنه أدرك أوائل القرن العاشر ، ويذكر أنه حضر الى مصر مع السلطان سليم ، وأدرك وقته وواقعته مع السلطان الغورى ، وكان فى ذلك الوقت تابعا لبعض البيرقدارية ! وشاع ذكره ، وحكى من رآه أن ذاته تخالف دعواه ، وامتحنه البعض فى مذاكرة الأخبار والوقائع ، فحصل منه تخليط . ثم أمر الباشا بنفيه وابعاده ، فأنزلوه فى مركب ، وغاب خبره ، فيقال أنهم أغرقوه . والله أعلم .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ اغسطس ١٨١٥ م) :

عملوا الديوان ببيت الدفتردار ، وفتحوا باب صرف الفائظ على أرباب حصص الالتزام . فجعلوا يعطون منه جانبا ... وأكثر ما يعطونه نصف القدر الذى قرروه ، وأقل وأزيد قليلا .

وفيه : أمر الباشا لجميع العساكر بالخروج الى الميدان لعمل التعليم والرماحة ، خارج باب النصر ، حيث قبة العزب . فخرجوا من ثلث الليل الأخير ، وأخذوا فى الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود — على طريقة الافرنج — وذلك من قبيل الفجر الى الضحوة . ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين الى المدينة فى كبكبة عظيمة ، حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية ، وداسوا أشخاصا من الناس بخيولهم ... بل وحميرا أيضا .

وأشيع أن الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد ، وأوضاع الافرنج ، ويلبسهم الملابس المقمطة ، ويغير شكلهم .

وركب فى ثانى يوم الى بولاق ، وجمع عساكر ابنه اسماعيل باشا ، وصنفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد ، وعرفهم قصده ... فعل ذلك بجميع العساكر ، ومن أبى ذلك ، قابله بالضرب والطرد والنفى ، بعد سلبه حتى من ثيابه ، ثم ركب من بولاق وذهب الى شبرا . وحصل فى العسكر قلقلة ولغط ، وتناجوا فيما بينهم ، وتفرق الكثير منهم عن مخاديمهم وأكابرهم ، ووافقهم على النفور بعض أعيانهم ، واتفقوا على غدر الباشا .

ثم أن الباشا ركب من قصر شبرا ، وحضر الى بيت الأزبكية — ليلة الجمعة ثامن عشرينه — وقد اجتمع عند عابدين بيك ، بداره ، جماعة من أكابرهم فى وليمة ، وفيهم حجو بيك ، وعبد الله أغا صارى جله ، وحسن أغا الازرنجلى ... فتفاوضوا بينهم أمر الباشا وما هو شارع فيه ، واتفقوا على الهجوم عليه فى داره بالأزبكية فى الفجرية . ثم ان عابدين بيك غافلهم ، وتركهم فى أنسهم ، وخرج متنكرا مسرعا الى الباشا وأخبره ورجع الى أصحابه . فأسرع الباشا فى الحال الركوب فى سادس ساعة من الليل ، وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه ، وحوط المنزل بالعساكر . ثم أخلف الطريق ، وذهب على ناحية الناصرية ومرمى النشاب ، وصعد الى القلعة ، وتبعه من يثق به من العساكر .

وانخرم أمر المتوافقين ، ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم ، فساروا الى بيت الباشا يريدون نهبه فمانعهم المرابطون ، وتضاربوا بالرصاص والبنادق ، وقتل بينهم أشخاص ، ولم ينالوا غرضا . فساروا على ناحية القلعة ، واجتمعوا بالرميلة وقراميدان ، وتحيروا فى أمرهم ، واشتد غيظهم ، وعلموا أن وقوفهم بالرميلة لا يجدى شيئا ... وقد أظهروا المخاصمة ، ولا ثمرة تعود عليهم فى رجوعهم وسكونهم ، بل ينكسف بالهم ،

وتنذل أنفسهم ، ويلحقهم اللوم من أقرانهم الذين لم ينضموا اليهم .

فأجمع رأيهم — لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم — أنهم يتفرقون فى شوارع المدينة ، وينهبون متاع الرعية وأموالهم ! فاذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم ، وتقوى شوكتهم ، ويشاركهم المتخلفون عنهم لرغبة الجميع فى القبائح الذممة ، ويعودون بالغنيمة ، ويحوصلون من الحواصل ، ولا يضيع سعيهم فى الباطل ، كما يقال فى المثل : « ما قدر على ضرب الحمار ، فضرب البرذعة » ! ونزلوا على وسط قصبة المدينة ، على الصليبة ، على السروجية... وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوانيت المغلوقة ، وينهبون ما فيها ، لأن الناس لما تسامعوا بالحركة ، أغلقوا حوانيتهم وأبوابهم ، وتركوا أسبابهم ... طلبا للسلامة .

وعند ما شاهد باقيهم ذلك أسرعوا اللحوق ؛ وبادروا معهم للنهب والخطف ... بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ، ومن لا دين له . وعند ذلك كثر جمعهم ، ومضوا على طريقهم الى قصبة رضوان ، الى داخل باب زويلة ، وكسروا حوانيت السكرية ، وأخذوا ما وجدوه من الدراهم ، وما أحبوه من أصناف السكر . فجعلوا يأكلون ويحملون ، ويبددون الذى لم يأخذوه ويلقونه تحت الأرجل فى الطريق. وكسروا أوانى الحلوى ، وقدور المربيات ... وفيها ما هو من الصينى والبياغورى والأفرنجى ، ومجامع الأشربة وأقراص الحلوى الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج .

وبعد أن يأكلوا ، ويحملوا هم وأتباعهم ، ومن انضاف لهم من الأوباش البلدية والحرافيش والجميدية ، يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق .. بحيث صار السوق — من حد باب زويلة الى المناخلية ، مع اتساعه وطوله — مرسوما ومنقوشا بألوان السكاكر ، وأقراص الأشربة الملونة ، وأعسال المربيات سائلة على الأرض .

وكان أهل ذلك السوق ، المتسببون ، جددوا وطبخوا أنواع المربيات والأشربة عند وفور الفواكه وكثرتها فى هوانها — وهو هذا الشهر المبارك — مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير ، والحصرم والسفرجل . وملأوا الأوعية ، وصففوها فى حوانيتهم للمبيع ... وخصوصا على موسم شهر رمضان .

ومضوا فى سيرهم الى العقادين الرومى ، والغورية ، والأشرفية ، وسوق الصاغة . ووصلت طائفة الى سوق مرجوش ، فكسروا أبواب الحوانيت والوكائل ، والخانات ، ونهبوا ما فى حواصل التجار من الأقمشة المحلاوى والبز والحرير والزردخان .

ولما وصلت طائفة الى رأس خان الخليلى ، وأرادوا العبور والنهب ... فزعت فيهم الأتراك والأرنؤود ، الذين يتعاطون التجارة ، الساكنون بخان اللبن والنحاس وغيرهما ، وضربوا عليهم بالرصاص . وكذلك من سوق الصرماتية ، والأتراك الخردجية — الساكنون بالرباع بباب الزهومة — جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم .

وكذلك تعصبت طائفة المغاربة ، الكائنون بالفحامين وحارة الكعكيين ... رموا عليهم بالرصاص ، وطردوهم عن تلك الناحية ، وأغلقوا البوابات التى على رءوس العطف . وجلس عند كل درب أناس ، ومن فوقهم أناس من أهل الخطة بالرصاص ، تمنع الواصل اليهم .

ووصلت طائفة الى خان الحمزاوى ، فعالجوا فى بابه حتى كسروا الخوخة التى فى الباب ، وعبروا الخان ، وكسروا حواصل التجار

من نصارى الشوام وغيرهم ، ونهبوا ما وجدوه من النقود ، وأنواع الأقمشة الهندية والشامية ، والمقصبات ، وبالات الجوخ والقطيفة ، والأصطوفة وأنواع الأطلس ، والألاجات والسلاوى ، والجنفس والصندل والحبر ، وأنواع الشيت والحرير الخام والأبريسم ... وغير ذلك .

وتبعهم الخدم والعامة فى النهب ، وأخرجوا مافى الدكاكين والحواصل من أنواع الأقمشة ، وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه ، وتركوا ما تركوه ، ولم يقدروا على حمله ... مطروحا على الأرض ودهليز الخان وخارج السوق ، يطأون عليه بالأرجل والنعالات .

ويعدو القوى على الضعيف فيأخذ ما معه من الأشياء الثمينة ، وقتل بعضهم البعض ، وكسروا أبواب الدكاكين التى خارج الخان بالخطة ، وأخرجوا مافيها من التحف والأوانى الصينى ، والزجاج المذهب ، والكاسات البلور ، والصحون والأطباق والفناجين البيشة ، وأنواع الخردة وأخذوا ما أعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم، وهشموا البواقى وكسروه ، وألقوه على الأرض تحت الأرجل ... شقافا متنوعة .

وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين وما به من حوانيت العطارين ، وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضا !

وفعلوا ما لا خير فيه ، من نهب أموال الناس والاتلاف . ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرانك وغلق البوابات ، لكان الواقع أفظع من ذلك ، ولنهبوا أيضا البيوت وفجروا بالنساء ، والعياذ بالله ، ولكن الله سلم .

وشاركهم فى فعلهم الكثير من الأوباش ، والمغاربة المدافعين أيضا ... فانهم أخذوا أشياء كثيرة ، وكانوا يقبضون على من يمر بهم — ممن يقدرون عليه من النهابين — ويأخذون ما معهم لأنفسهم . واذا هشمت العساكر حانوتا ، وخطفوا منها شيئا ، ولحقهم من يطردهم عنها ... استأصل اللاحقون ما فيها ، واستباح الناس أموال بعضهم البعض !

وكان هذا الحادث ، الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول ، فى ظرف خمس ساعات ، وذلك من قبيل صلاة الجمعة الى قبيل العصر .. حصل للناس فى هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ، ونهب الأموال ، واتلاف الأسباب والبضائع ... ما لا يوصف . ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم ، وأغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة ، وأخذ الناس حذرهم ، ولبسوا أسلحتهم ، وأغلقوا البوابات ، وقعدوا على الكرانك والمرابط والمتاريس ، وسهروا الليالى ، وأقاموا على التحذر والتحفظ والتخوف .... أياما وليالى .

السبت ٢٨ منه (٥ اغسطس ١٨١٥ م — ٣٠ أبيب ١٥٣١ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، وكان ذلك اليوم أيضا ليلة رؤية هلال رمضان ، فصادف حصول الموسمين فى آن واحد ، فلم يعمل فيهما موسم ولا شنك — على العادة — ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم . وكذلك شنك قطع الخليج ، وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله ، وعند السد ، وكذلك فى صبحه ، وفى البيوت المطلة على الخليج ... فبطل ذلك جميعه ، ولم يشعر بهما أحد ، وصام الناس باجتهادهم .

وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر . فان النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التى مضت من شهر أبيب ، الا شيئا يسيرا ، حتى حصل فى الناس وهم زائد ، وغلا سعر الغلة ، ورفعوها من السواحل والعرصات . فأفاض المولى فى النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة . وفى ليلتين أوفى

أذرعه قبل مظنته .. فان الوفاء لا يقع فى الغالب الا فى شهر مسرى ، ولم يحصل فى أواخر أبيب الا فى النادر . وانى لم أدركه فى سنين عمرى أوفى فى أبيب الا مرة واحدة ... وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ، فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعا وأربعين سنة .

وفيه : أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقى . فطلع اليه ، وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفارته . فلما واجهه قال له : « هذا الذى حصل للناس من نهب أموالهم .. فى صحائفى ، والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات ، وتجمعونهم بديوان خاص — طائفة بعد أخرى — وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع لها ، على وجه التحرير والصحة ، وأنا أقوم لهم بدفعه بالغا ما بلغ » . فشكر له ودعا له ، ونزل الى داره .

وعرف الناس بذلك ، وشاع بينهم فحصل لأربابه بعض الاطمئنان .

وطلع الى الباشا كبار العسكر ، مثل : عابدين بيك ، ودبوس أوغلى ، وحجو بيك ، ومحو بيك .... واعتذروا ، وتنصلوا ، وذكروا وأقروا أن هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر ، وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ، ولا يخفاه خبث طباعهم . فتقدم اليهم بأن يتفقدوا بالفحص ، واحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم . وشدد عليهم فى الأمر بذلك .. فأجابوه بالسمع والطاعة ، وامتثلوا لأمره ، وأخذوا فى جمع ما يمكنهم وارساله الى القلعة ، وركبوا وشقوا بشوارع المدينة ، وأمامهم المناداة بالأمان ! -

وأحضر الباشا المعمار ، وأمره بجمع النجارين والمعمرين واشغالهم فى تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ، ويدفع لهم أجرتهم ، وكذلك الأخشاب على طرف الميرى .

رمضان

الاثنين غرته (٧ اغسطس ١٨١٥ م) :

استهل ... والناس فى أمر مريج ، وتخوف شديد ، وملازمون للسهر على السكرانك ، ويتحاشون المشى والذهاب والمجىء . وكل أهل خطة ملازم لخطته وحارته . وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات . وتطاولت أيدى العساكر بالتعدى والأذية والفتك والقتل لمن يتفردون به من الرعية .

الثلاثاء ٢ منه (٨ اغسطس ١٨١٥ م) :

فى ليلته : طلع السيد محمد المحروقى ، وطلع صحبته : الشيخ محمد الدواخلى نقيب الاشراف ، وابن الشيخ العروسى ، وابن الصاوى ، المتعينون فى مشيخة الوقت ، وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته . وقد ابتدأوا بهم فى املاء ما نهب لهم من حوانيتهم بعدما حرروها عند السيد محمد المحروقى، وتحليفهم — بعد الاملاء — على صدق دعواهم . وبعد التحليف والمحاققة ، يتجاوز عن بعضه لحضرة الباشا ، ثم يثبتون له الباقى ... فاستقر لأهل الغورية خاصة مائة وثمانون كيسا . فدفع لهم ثلثيها ، وأخر لهم الثلث ، وهو ستون كيسا ، يستوفونها فيما بعد : اما من عروضهم ان ظهر لهم منها شىء ، أو من الخزينة . ولازم الجماعة الطلوع والنزول ، فى كل ليلة ، لتحرير بواقى المنهوبات . وأيضا استقر لأهل خان الحمزاوى نحو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ، ولطائفة السكرية نحو من سبعين كيسا خصصت لهم من ثمن السكر الذى يبتاعونه من الباشا .

واستمر الباشا بالقلعة يدبر أموره ، ويجذب قلوب الناس من الرعية ، وأكابر دولته ... بما

يفعله من بذل المال ، ورد المنهوبات ، حتى ترك الناس يسخطون على العسكر ، ويترضون عنه . ولو لم يفعل ذلك ، وثارت العساكر هذه الثورة ، ولم يقع منهم نهب ولا تعد .. لساعدتهم الرعية ، واجتمعت عليهم أهالى القرى ، وأرباب الاقطاعات .. لشدة نكايتهم من الباشا ، بضبط الرزق والالتزامات ، وقياس الاراضى ، وقطع المعايش . وذلك من سوء تدبير العسكر ، وسعادة الباشا ، وحسن سياسته : باستجلابه الخواطر ، وتملقه بالكلام اللين ، والتصنع ، ويلوم على فعل العسكر ، ويقول بمسمع الحاضرين : « ما ذنب الناس معهم ؟ خصوصا خصامهم : معى أو مع الرعية ؟ .. ها أنا لى منزل بالأزبكية فيه أموال وجواهر وأمتعة ، وأشياء كثيرة ، وسراية ابنى اسماعيل باشا ببولاق ، ومنزل الدفتردار» ! ونحو ذلك .

ويتحسيل ويتحوقل ، ويعمل فكرته ، ويدبر أمره فى أمر العسكر وعظمائهم ، وينعم عليهم ، ويعطيهم الأموال الكثيرة ، والأكياس العديدة ... لأنفسهم وعساكرهم . وتنتبذ طائفة منهم ويقولون : « نحن لم ننهب ولم يحصل لنا كسب » ، فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير العظيمة . فأنعم على عابدين بيك بألف كيس ، ولغيره دون ذلك .

وفى أثناء ذلك أخرج جردة من عسكر الدلاة ليسافروا الى الديار الحجازية ، فبرزوا الى خارج باب الفتوح — حيث المكان المسمى بالشيخ قمر — ونصبوا هناك وطاقهم ، وخرجت أحمالهم وأثقالهم .

الخميس ٤ منه (١٠ اغسطس ١٨١٥ م) :

ثارت طائفة الطوبجية ، وخاضوا ، وضجوا — وهم نحو الأربعمائة — وطلبوا نفقة ... فأمر لهم بخمسة وعشرين كيسا ، ففرقت فيهم ... فسكتوا !

وفيه : نزل كتخدا بيك ، وشق من وسط المدينة ، ونزل عند جامع الغورية ، وجلس فيه ، ورسم لأهل السوق بفتح حوانيتهم ، وأن يجلسوا فيها ... فامتثلوا ، وفتحوا الحوانيت ، وجلسوا على تخوف .. كل ذلك مع عدم الراحة والهدوء ، وتوقع المكروه ، والتطير من العسكر ، وتعدى السفهاء منهم فى بعض الأحايين ، والتحرز والاحتراس .

وأما النصارى فانهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم ، وسدوا المنافذ ، وبنوا كرالك ، واستعدوا بالأسلحة والبنادق ، وأمدهم الباشا بالبارود وآلات الحرب — دون المسلمين — حتى أنهم استأذنوا كتخدا بيك فى سد بعض الحارات النافذة التى يخشون وقوع الضرر منها ، فمنع من ذلك . وأما النصارى فلم يمنعهم . وقد تقدم ذكر فعله مع رضوان كاشف ... عندما سد باب داره ، وفتحه من جهة أخرى ، وعزره وضربه وبهدله بوسط الديوان .

وفيه : وصل نجيب أفندى — وهو قبى كتخدا الباشا عند الدولة — الى بولاق . فركب اليه كتخدا بيك وأكابر الدولة والأغا والوالى ، وقابلوه ونظموا له موكبا من بولاق الى القلعة ، ودخل من باب النصر . وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا ، وسيفان ، وشلنجان وهدايا ، وأحقاق نشوق مجوهرة . وعملوا لوصوله شنكا ومدافع من القلعة وبولاق .

وفيه : ارتحل الدلاة المسافرون الى الحجاز ، ودخل حجو بيك الى المدينة بطائفته .

وفى ضحوة ذلك اليوم — بعد انفضاض أمر الموكب — حصل فى الناس زعجة وكرشات ،

وأغلقوا البوابات والدروب . واتصل هذا الانزعاج بجميــــع النــواحي ... حتى الى بولاق ومصر القــديمة ، ولم يظهر لذلك أصــل ولا سبب من الأسباب مطلقا .

وفى تلك الليــلة : ألبس الباشــا حجو بيك خلعه ، وتوجه بطرطور طويل ، وجعله أميرا على طائفة من الدلاة ، وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التى كانوا عليها .

وهؤلاء الطائفة — التى يقــال لهم دلاة — ينسبون أنفسهم الى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأكثرهم من نواحى الشام وجبال الدروز والمتــأولة .. وتلك النــواحى يركبــون الأكادش ، وعــلى رءوسهم الطراطير الســود ، مصنوعة من جلود الغنم الصغار ... طول الطرطور نحو ذراع واذا دخل الكنيف نزعه من عــلى رأســه ووضعه على عتبة الكنيف ! وما أدرى : أذلك تعظيم له عن مصاحبته معه فى الكنيف ، أو لخوف وحذر من سقوطه ان انصدم بأسكفّة الباب فى صحن المرحاض أو الملاقى ؟

وهؤلاء الطائفة مشــهورة فى دولة العثمانيين بالشجاعة والاقدام فى الحــروب ، ويوجد فيهم من هو عــلى طريقة حميــدة ، ومنهم دون ذلك — وقليل ماهم . ولكونهم من تمام النظام ، رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه خلاف الأجناس الغريبة ومن بقى من أولئك يكون تبعا لا متبوعا .

الثلاثاء ١٦ منه (٢٢ اغسطس ١٨١٥ م) :

حصــل مثــل ذلك المتقــدم من الانــزعاج والكرشات ... بل أكثر من المرة الأولى . ورمح الرامحون ، وأغلقت الحوانيت ، وطلبت النــاس السقائين ، الذين ينقلون الماء من الخليج ، وبيعت القربة بعشرة أنصاف فضة ، والراوية بأربعين . فنزل الأغا ، وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة بالأمان ، وينادون على العساكر أيضا ، ومنعهم من حمــل البنادق ، ويأمرون الناس بالتحفظ .

واستمر هــذا الأمر والارتجاج الى قبيــل العصر ، وسكن الحال ، وكثر مرور السقائين ، وبيعت القربة بخمسة أنصاف ، والراوية بخمسة عشر ... ولم يظهر لهذه الحركة سبب أيضا . وتقول الناس بطول نهار ذلك اليوم أصنافا وأنواعا من الروايات والأقاويل التى لا أصل لها

الأربعاء ١٧ منه (٢٣ اغسطس ١٨١٥ م) :

حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب عــلى هجين ، وصحبته خمسة أنفــار على هجن أيضا ، ومعهم أشخاص من الأرنــؤود من أتباع حسن باشــا الذى بالحجاز ... فطلعوا به الى القلعة ، ثم أنزلوه الى منزل أحمــد أغا ، أخى كتخدا بيك .

الخميس ١٨ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٥ م) :

قلد الباشا عبد الله أغا — المعروف بصــارى جله — وجعله كبــيرا على طــائفة من الينكجرية أيضا ، وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره — كما هى عادتهم هو وأتباعه — وكان من جملة المتهومين بالمخامرة على الباشا .

وفيه : برز أمر الباشــا لكبار العسكر بركوب جميــع عساكرهم الخيــول ، ومنعهم من حمل البنادق ، ولايكون منهم راجل أو حامل للبندقية ، الا من كان من أتباع الشرطة والأحكام ، مثــل : الوالى ، والأغا ، وأغات التبديل .

ولازم كتخدا بيك ، وأيوب أغا — تابع ابراهيم أغا أغات التبديل — والوالى ... المرور بالشوارع والجلوس فى مراكز الأســواق ، مثل : الغورية ، والجمالية ، وباب الحمزاوى ، وباب زويلة ، وباب الخرق ... وأكثر أتباعهم مفطرون فى نهار رمضان ، ومتجاهرون بذلك .. من غــير احتشام ولا مبالاة



ويجلسون على الحوانيت والمساطب ..

بانتهاك حرمة شهر الصوم ، ويجلسون على الحوانيت والمساطب يأكلون ويشربون الدخان . ويأتى أحدهم وبيده شبك الدخان فيدنى مجمرته لأنف ابن البلد على غفلة منه ، وينفخ فيه على سبيل السخرية والهزيان بالصائم . وزادوا فى الغى والتعدى ، وخطف النساء نهارا وجهارا ... حتى اتفق أن شخصا منهم أدخل امرأة الى جامع الأشرفية ، و ... بها فى المسجد بعد صلاة الظهر فى نهار رمضان !

أواخره (اواخر اغسطس ١٨١٥ م) :

عملوا حساب أهل سوق مرجوش ، فبلغ ذلك أربعمائة وخمسين كيسا ... قبضوا ثلثيها ، وتأخر لهم الثلث . كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم مثل تجار الحمزاوى — وهو شىء كثير ومبالغ عظيمة — فان الباشا منع من ذكرها . وقال « لأى شىء يؤخرون فى حواليتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها » !

واتفق لتاجر من أهل سوق أمير الجيوش أنه ذهب من حاصله — من حواصل الخان — ثمانية آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ، ومات قهرا . وكذلك ضاع لأهل خان الحمزاوى من صرر الأموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر — مما يرهنه النساء على ثمن ما يشترونه من التجار ، والتفاصيل والمقضبات ، أو على ما يتأخر عليهم من الأثمان — ما لايدخل تحت الحصر ، ويستحيا من ذكره . وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الحمزاوى — من حانوته — أربعة آلاف فرانسة فلم يذكرها ... وأمثال ذلك كثير .

وانقضى شهر رمضان ، والناس فى أمر مريج ، وخوف وانزعاج ، وتوقع المكروه . ولم ينزل الباشا من القلعة بطول الشهر . وذلك على خلاف عادته ، فانه لايقدر على الاستقرار بمكان أياما . وطبيعته الحركة ... حتى فى الكلام .

وكبار العساكر ، والسيد محمد المحروقى ، ومن يصحبه من المشايخ ، ونقيب الأشراف ، مستمرون على الطلوع والنزول فى كل يوم وليلة . وللمتقيدين بالمنهوبين ديوان خاص . وفرق الباشا كساوى العيد على أربابها .

ولم يظهر فى هذه القضية شخص معين ، والكثير

من العساكر الذين يمشون مع الناس فى الأسواق ، يظهرون الخلاف والسخط ، ويظهر منهم التعدى ، ويخطفون عمائم الناس والنساء جهارا ، ويتوعدون الناس بعودهم فى النهب ... وكأنما بينهم وبين أهل البلدة عداوة قديمة ، أو ثارات يخلصونها منهم ! وفيهم من يظهر التأسف والتندم واللوم على المتعدين ، ويسفه رأيهم ... وهو المحروم الذى غاب عن ذلك !

وبالجملة : فكل ذلك تقادير الهية ، وقضايا سماوية ، ونقمة حلت بأهل الأقليم وأهله من كل ناحية .

نسأل الله العفو السلامة ، وحسن العاقبة .

ومما اتفق أن بعض الناس زاد بهم الوهم ، فنقل ماله من حانوته أو حاصله — الكائن ببعض الوكائل أو الخانات — الى منزله ، أو حرز آخر ... فسرقها السراق ، وحانوته أو حاصله لم يصبه ما أصاب غيره . وتعدد نظير ذلك لأشخاص كثيرة . وذلك من فعل أهل البلدة : يراقبون بعضهم بعضا ، ويداورونهم فى أوقات الغفلات فى مثل هذه الحركات !

ومنهم من اتهم خدمه وأتباعه ، وتهددهم ، وشكاهم الى حكام الشرطة ، ويغرم مالا على ذلك أيضا ... وهم بريئون ، ولا يفيده الا ارتكاب الاثم والفضيحة ، وعداوة الأهل والخدم ، وزيادة الغرم .

وغالب ما بأيدى التجار ، أموال الشركاء والودائع والرهونات ، ويطالبه أربابها . ومنهم قليل الديانة ، وذهب من حانوته أشياء ، وبقى أشياء ، فادعى ضياع الكل ... لقوة الشبهة !

شوال

غرته (٦ سبتمبر ١٨١٥ م) :

وهو يوم عيد الفطر ، وكان فى غاية البرودة والخمول ... عديم البهجة من كل شىء : لم يظهر فيه من علامات الأعياد الا فطر الصائمين ، ولم يغير أحد ملبوسه ، بل ولا فصل ثيابا مطلقا ، ولا شيئا جديدا . ومن تقدم له ثوب ، وقطعه وفصله فى شعبان ، تأخر عند الخياط — مرهونا على مصاريفه ولوازمه — لتعطل جميع الأسباب من بطانة وعقادة وغيرها ... حتى أنه اذا مات ميت ، لم يدرك أهله كفنه الا بمشقة عظيمة !

وكسد فى هذا العيد سوق الخياطين وما أشبههم ، من لوازم الأعياد ، ولم يعمل فيه كعك ولا شريك ولا سمك مملح ، ولا نقل . ولم يخرجوا الى الجبانات والمدافن أيضا كعادتهم ، ولا نصبوا خياما على المقابر . ولم يحسن فى هذه الحادثة الا امتناع هذه الأمور ... وخصوصا خروج النساء الى المقابر ، فانه لم يخرج منهن الا بعض حرافيشهن ، على تخوف ، ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند باب النصر والجامع الأحمر .

٣ منه (٨ سبتمبر ١٨١٥ م) :

نزل الباشا من القلعة من باب الجبل وهو فى عدة من عسكر الدلاة والأتراك الخيالة والمشاة ، وصحبته عابدين بيك ، وذهب الى ناحية الآثار ، فعيد على يوسف باشا — المنفصل عن الشام — لأنه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه . ثم عدى الى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بيك . ولما أصبح ، ركب السفائن وانحدر الى شبرا ، وبات بقصره ، ورجع الى منزله بالأزبكية ، ثم طلع الى القلعة .

٨ منه (١٣ سبتمبر ١٨١٥ م) :

عمل ديوانا ، وجمع المشايخ المتصدرين ، وخاطبهم بقوله : « انه يريد أن يفرج عن حصص الملتزمين ، ويترك لهم وساياهم يؤجرونها ويزرعونها لأنفسهم ، ويرتب نظاما لأجل راحة الناس . وقد

أمر الأفندية — كتاب الروزنامة — بتحرير دفاتر ، وأمهلهم اثنى عشر يوما يحررون فى ظرفها الدفاتر على الوجه المرضى » . فأثنوا عليه خيرا ، ودعوا له .

فقال الشيخ الشنوانى : « ونرجو من أفندينا أيضا الافراج عن الرزق الأحباسية كذلك » . فقال : « كذلك ننظر فى محاسبات الملتزمين ، ونحررها على الوجه المرضى أيضا ... ومن أراد منهم أن يتصرف فى حصته ، ويلتزم بخلاص ما تحرر عليها من المال الميرى لجهة الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس ، صرفناه فيها ... والا أبقاها على طرفنا ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من الخزينة نقدا وعدا » . فدعوا له أيضا ، وسكتوا .

فقال لهم : « تكلموا ... فانى ما طلبتكم الا للمشاورة معكم » . فلم يفتح الله عليهم بكلمة يقولها أحدهم غير الدعاء له .

على أن الكلام ضائع ، لأنها حيل ومخادعة تروج على أهل الغفلات ، ويتوصل بها الى ابراز ما يرومه من المرادات .

وعند ذلك انفض المجلس ، وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر ، وعود الالتزام لتصرفهم ، ويأخذون منهم البقاشيش ... مع أن الصورة معلولة ، والكيفية مجهولة . ومعظم السبب فى ذكره ذلك أن معظم حصص الالتزام كان بأيدى العساكر وعظمائهم وزوجاتهم ، وقد انحرفت طباعهم ، وتكدرت أمزجتهم بمنعهم عنه ، وحجزهم عن التصرف ، ولم يسهل بهم ذلك : فمنهم من كظم غيظه وفى نفسه ما فيها ، ومنهم من لم يطق الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لا جناية عليه ... فلذلك الباشا أعلن فى ديوانه بهذا الكلام بمسمع منهم ، لتسكن حدتهم ، وتبرد حرارتهم الى أن يتم أمر تدبيره معهم .

وفيه : وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا وعبد الله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه كبيرا على الوهابية ، وأن عبد الله المذكور ترك الحروب والقتال ، وأذعن للطاعة وحقن الدماء . وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفرا من الأنفار الى طوسون باشا ، ووصل منهم اثنان الى مصر ... فكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نزل الواصلين .

ولما اجتمعا به ، وخاطبهما ... عاتبهما على المخالفة ، فاعتذرا ، وذكرا أن الأمير مسعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج ، وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الأمير عبد الله ، فانه لين الجانب والعريكة ، ويكره سفك الدماء ، على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم ، فانه كان مسالما للدولة ، حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة، ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة فى شىء . ولم يحصل التفاقم والخلاف الا فى أيام الأمير مسعود ، ومعظم الأمر للشريف غالب ... بخلاف الأمير عبد الله ، فانه أحسن السير ، وترك الخلاف ، وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ... ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات .

وانقضى المجلس ، وانصرفا الى المحل الذى أمرا بالنزول فيه ، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما فى الركوب والذهاب والاياب . فانه أطلق لهما الاذن الى أى محل أراداه ... فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ، ويتفرجان على البلدة وأهلها ، ودخلا الى الجامع الأزهر فى وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ، وسألوا عن أهل مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وعن

الكتب الفقهية المصنفة فى مذهبه ، فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية . واشتريا نسخا من كتب التفسير والحديث ، مثل : الخازن ، والكشاف ، والبغوى ، والكتب الستة المجمع على صحتها ، وغير ذلك .

وقد اجتمعت بهما مرتين ، فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان ، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر . ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ، وحسن الأدب فى الخطاب ، والتفقه فى الدين ، واستحضار الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب فيها ... ما يفوق الوصف . واسم أحدهما عبد الله والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسا ومعنى .

١٩ منه (٢٤ سبتمبر ١٨١٥ م) :

خرجوا بالمحمل الى الحصوة — خارج باب النصر — وشقوا به من وسط المدينة ، وأمير الركب شخص من الدلاة ، يسمى أوزون أوغلى ، وفوق رأسه طرطور الدالاتية . ومعظم الموكب من عساكر الدلاة ، وعلى رءوسهم الطراطير السود ... بذاتهم المستبشعة . وقد عم الأقاليم المسخ فى كل شىء : فقد تغص الطبيعة ، وتتكدر النفس اذا شاهدت ذلك أو سمعت به . وقد كانت نضارة المواكب السالفة فى أيام المصريين ، ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها ، التى لم يكن لها نظير فى الربع المعمور ... يضرب بها المثل فى الدنيا كما قال قائلهم فيها :

مصر السعيدة مالها من مثيل
فيها ثلاثة من الهنا والسرور

مواكب السلطان ، وبحر الوفا ،
ومحمل الهادى نهار يدور

فقد فقدت هذه الثلاثة فى جملة المفقودات .

٢٣ منه (٢٨ سبتمبر ١٨١٥ م) :

وصل قابجى ، وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد على باشا على السنة الجديدة . فعملوا لذلك الواصل موكبا من بولاق الى القلعة ، وضربوا مدافع وشنكا وبنادق .

ذو القعدة

١٦ منه (٢٠ اكتوبر ١٨١٥ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية ، وأخذ صحبته عابدين بيك ، واسماعيل باشا ولده ، وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم . وسافر أيضا نجيب أفندى وسليمان أغا ، وكيل دار السعادة سابقا — تابع صالح بيك المصرى المحمدى — الى دار السلطنة . وأصحب الباشا الى الدولة وأكابرها ، الهدايا من الخيول والمهارى والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والمخيش ، وتعابى الأقمشة الهندية المتنوعة ، من الكشمير والمقصبات والتحف ، ومن الذهب المضروب السكة : أربعة قناطير ، ومن الفضة الثقيلة فى الوزن والعيار عدة قناطير ، ومن السكر المكرر مرارا ، وأنواع الشراب ... خافاه فى القدور الصينى ، وغير ذلك .

وفيه : وردت الأخبار بوصول طوسون باشا الى الطور ، فهرعت أكابرهم وأعيانهم الى ملاقاته ، وأخذوا فى الاهتمام واحضار الهدايا والتقادم ، وركبت الخوندات والنساء والستات ، أفواجا أفواجا ، يطلعن الى القلعة ليهنين والدته بقدومه .

غايته (٣ نوفمبر ١٨١٥ م) :

وصل طوسون باشا الى السويس ، فضربوا مدافع اعلاما بقدومه . وحضر نجيب أفندى راجعا من الاسكندرية لأجل ملاقاته لأنه قبى كتخداه اليوم أيضا عند الدولة ، كما هو لوالده .

ذو الحجة

٤ منه (٧ نوفمبر ١٨١٥ م) :

نودى بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا ... سرورا بقدومه .

٥ منه (٨ نوفمبر ١٨١٥ م) :

احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع ، وعملوا له موكبا حافلا . ودخل من باب النصر ، وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة ، وطلع الى القلعة ، وضربوا فى ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحراقات .

١٥ منه (١٨ نوفمبر ١٨١٥ م) :

سافر طوسون باشا المذكور الى الاسكندرية ليراه أبوه ، ويسلم هو عليه ، وليرى هو ولدا له ولد فى غيبته يسمى عباس بيك ، أصحبه معه جده مع حاضنته وسنه دون السنتين ... يقال ان جده قصد ارساله الى دار السلطنة ، فلم يسهل بأبيه ذلك ، وشق عليه مفارقته ، وخصوصا كونه لم يره . وسافر صحبة طوسون باشا نجيب أفندى عائدا الى الاسكندرية .

٢٠ منه (٢٣ نوفمبر ١٨١٥ م) :

حضر طوسون باشا الى مصر راجعا من الاسكندرية فى تطريدة ، ومعه ولده ... فكانت مدة غيبته ، ذهابا وايابا ، ثمانية أيام . فطلع الى القلعة ، وصار ينزل الى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة — عمره كتخدا بيك ، وبنى به قصرا — فيقيم به غالب الأيام التى أقامها بمصر .

وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير ، واهمال السوقة والمتسببين ... حتى عم غلو الأسعار فى كل شىء ، حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره فى الأيام الخالية ... مع الحجر على الايراد وأسباب المعاش فلا يهنأ بعيش فى الجملة الا من كان مكاسا أو فى خدمة من خدم الدولة ، مع كونه على خطر . فانه وقع لكثير ممن تقدم فى منصب أو خدمة : أنه حوسب وأهين ، وألزم بما رافعوه فيه — وقد استهلكه فى نفقات نفسه وحواشيه — فباع ما يملكه واستدان ، وأصبح مينوسا مديونا .

وصارت المعايش ضنكا ، وخصوصا الواقع فى اختلاف المعاملات والنقود والزيادة فى صرفها وأسعارها ، واحتجاج الباعة والتجار والمتسببين بذلك ، وبما حدث عليها من مال المكس ... مع طمعهم أيضا وخصوصا سفلة الأسواق ، وبياعى الخضارات ، والجزارين ، والزياتين ... فانهم يدفعون ما هو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ، ويخلصون أضعافه من الناس ، ولا رادع لهم ، بل يسعرون لأنفسهم .

حتى أن البطيخ فى أوان كثرته تباع الواحدة التى كانت تساوى نصفين ، بعشرين وثلاثين . والرطل من العنب الشرقاوى ، الذى كان يباع فى السابق بنصف واحد ، يبيعونه يوما بعشرة ويوما باثنى عشر ، ويوما بثمانية .. وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش . وأما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والأشياء التى يقال لها اليميش ، التى تجلب من بلاد الروم ، فبلغت الغاية فى الثمن ... بل قد لا توجد فى أكثر الأوقات . وكذلك ما يجلب من الشام ، مثل : الملبن ، والقمر الدين ، والمشمش الحموى ، والعناب ، وكذلك الفستق والصنوبر ، وغير ذلك مايطول شرحه ، ويزداد بطول الزمان قبحه .

* * *

ومات فى هذه السنة العلامة الأوحد ، والفهامة الأمجد ، محقق عصره ، ووحيد دهره ... الجامع لأشتات العلوم ، والمنفرد بتحقق المنطوق

والمفهوم ، بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين ، والمتميز عن المتأخرين : الشيخ محمد بن أحمد ابن عرقة ، الدسوقي المالكي .

ولد ببلدة دسوق ، من قرى مصر ، وحضر الى مصر ، وحفظ القرآن ، وجوده على الشيخ محمد المنير . ولازم حضور دروس الشيخ على الصعيدى ، والشيخ الدردير ، وتلقى الكثير من المعقولات عن الشيخ محمد الجناجى الشهير الشافعى — وهو مالكى — ولازم الوالد حسن الجبرتى مدة طويلة ، وتلقى عنه ، وبواسطة الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوى ، علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن التوقيت ، وحضر عليه أيضا فى فقه الحنفية ، وفى المطول وغيره ... برواق الجبرت بالأزهر ، وتصدر للاقراء والتدريس ، وافادة الطلبة .

وكان فريدا فى تسهيل المعانى ، وتبيين المبانى ... يفك كل مشكل بواضح تقريره ، ويفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسه مجمع أذكياء الطلاب ، والمهرة من ذوى الأفهام والألباب .. مع لين جانب وديانة ، وحسن خلق ، وتواضع ، وعدم تصنع واطراح تكلف ... جاريا على سجيته : لا يرتكب ما يتكلفه غيره من التعاظم وفخامة الألفاظ . ولهذا كثر الآخذون عليه ، والمترددون اليه .

وله تآليفات واضحة العبارات ، سهلة المأخذ ، ملتزمة بتوضيح المشكل . فمن تآليفه : حاشية على مختصر السعد على التلخيص ، وحاشية على شرح الشيخ الدردير على سيدى خليل فى فقه المالكية ، وحاشية على شرح الجلال المحلى على البردة ، وحاشية على الكبرى للامام السنوسى ، وحاشية على شرحه للصغرى ، وحاشية على شرح الرسالة الوضعية ... هذا ماعنى بجمعه وكتابته ، وبقى مسودات لم يتيسر له جمعها .

ولم يزل على حالته فى الافادة والالقاء والافتاء ، وخطه حسن ، وخلقه أحسن ... الى أن تعلل وتوفى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى .

وخرجوا بجنازته من درب الدليل ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين بالمدفن الذى بداخل المحل الذى يسمى بالطاولية .

وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ، ومصاريف جنازته ومدفنه ... الجناب المكرم ، السيد محمد المحروقى ، وكذلك مصاريف المأتم بمنزله وأرسل من قيده لذلك من أتباعه ... بادارة المطبخ ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل والحطب والفحم والقهوة ، وجميع الاحتياجات للمقرئين ، ومن يأتى لتعزية أولاده ... جزاه الله خيرا . واستمر اجراؤه لذلك فى الثلاث جمع المعتادة بالمنزل ، وما يعمل فى صبح يوم الجمعة بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على الفقراء والحاضرين والتربية والخدمة .

وقد رثاه أمثل من عنه أخذ ، وأكمل من له تتلمذ : صاحبنا العلامة ، وصديقنا الفهامة ، المنفرد الآن بالعلوم الحكمية ، والمشار اليه فى العلوم الأدبية ... صاحب الانشاء البديع ، والنظم الذى هو كزهر الربيع : الشيخ حسن العطار ، حفظه الله من الأغيار ... بقوله شعرا :

أحاديث دهر قد ألم فأوجعا
وحل بنادى جمعنا فتصدعا

لقد صال فينا البين أعظم صولة
فلم يخل من وقع المصيبة موضعا

وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما
مضى حادث يعقبه آخر مسرعا

وحل بنا ما لم نكن فى حسابه
من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا

خطوب زمان لو تمادى أقلها
بشامخ رضوى أو ثبير تضعضعا

وأصبح شأن الناس مابين عائد
مريضا وثان للحبيب مشيعا
لقد كان روض العيش بالأمن يانعا
فأضحى هشيما ظله متقشعا
أيحسن ألا يبذل الشخص مهجة
ويبكى دما .. ان أفنت العين أدمعا
وقد سار بالأحباب فى حين غفلة
سرير المنايا عاجلا متسرعا
وفى كل يوم روعة بعد روعة
فلله ما قاسى الفؤاد وروعا !
عزاء بنى الدنيا بفقد أئمة
لكأس مرير الموت كل تجرعا
يمينا ... لقد جل المصاب بشيخنا الـ
ـدسوقى وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب ، لا مفارق ، عند ما
تنكرت الأسماع صوت الذى نعى
فللناس عذر فى البكاء وللأسى
عليه وأما فى السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده
لقد كان فيها جهبذيا سميذعا
فمن بعده يجلو دجنة شبهة
ويكشف عن ستر الدقائق مقنعا
وان ذو اجتهاد قد تعثر فهمه
فياليت شعرى من يقول له : لعا ؟
يقرر فى فن البيان بمنطق
بديع معانيه .. يتوج مسمعا
وسار مسير الشمس غر علومه
ففى كل أفق أشرقت فيه مطلعا
وأبقى بتأليفاته بيننا هدى
بها يسلك الطلاب للحق مهيعا
وحل بتحريراته كل مشكل
فلم يبق للاشكال فى ذاك مطمعا
فأى كتاب لم يفك ختامه
اذا ما سواه من تعاصيه ضيعا ؟
ومن يبتغ تعداد حسن خصاله
فليس ملوما ان أطال وأشبعا
فللصدق عون للمقال فمن يقل
أصاب مكان القول فيه موسعا
تواضع للطلاب فانتفعوا به
على أنه بالحلم زاد ترفعا
وكان حليما واسع الصدر ماجدا
تقيا نقيا زاهدا متورعا
سعى فى اكتساب الحمد طول حياته
ولم نره فى غير ذلك قد سعى
ولم تلهه الدنيا بزخرف صورة
عن العلم كيما أن تغر وتخدعا
لقد صرف الأوقات فى العلم والتقى
فما ان لها يا صاح أمس مضيعا
فقدناه لكن نفعه الدهر دائم
وما مات من أبقى علوما لمن وعى
فجوزى بالحسنى وتوج بالرضى
وقوبل بالاكرام ممن له دعا

* * *

ومات الأستاذ الفريد ، واللوذعى المجيد ، الامام العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النحوى ، الأصولى الجدلى المنطقى : الشيخ محمد المهدى الحفنى . ووالده من الأقباط ، وأسلم هو صغيرا دون البلوغ على يد الشيخ الحفنى ، وحلت عليه أنظاره ، وأشرقت عليه أنواره ، وفارق أهله وتبرأ منهم ، وحضنه الشيخ ، ورباه وأحبه ، واستمر بمنزله مع أولاده ، واعتنى بشأنه ، وقرأ القرآن .

ولما ترعرع ، اشتغل بطلب العلم ، وحفظ أبا شجاع ، وألفية النحو ، والمتون . ولازم دروس الشيخ ، وأخيه الشيخ يوسف ، وغيرهما من

أشياخ الوقت مثل : الشيخ العدوى ، والشيخ عطية الأجهورى ، والشيخ الدردير ، والبيلى ، والجمل ، والخرشى ، وعبد الرحمن المقرىء ، والشرقاوى ، وغيرهم .

واجتهد فى التحصيل ليلا ونهارا ، ومهر وأنجب ، ولازم فى غالب مجالس الذكر عن الشيخ الدردير — بعد وفاة الشيخ الحفنى — وتصدر للتدريس فى سنة تسعين ومائة وألف .

ولما مات الشيخ محمد الهلباوى سنة اثنتين وتسعين ، جلس مكانه بالأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل ، ولازم الالقاء ، وتقرير الدروس ... مع الفصاحة وحسن البيان والتفهيم ، وسلاسة التعبير ، وايضاح العبارات ، وتحقيق المشكلات . ونما أمره ، واشتهر ذكره ، وبعد صيته . ولم يزل أمره ينمو ، واسمه يسمو ، مع حسن السمت ، ووجاهة الطلعة ، وجمال الهيئة ، وبشاشة الوجه ، وطلاقة اللسان ، وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب فى ترداد الخطاب ، ومسايرة الأصحاب .

وصاهر الشيخ محمدا الحرير الحنفى ، على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل فى الأكابر ، ونال منهم حظا وافرا بحسن معاشرته ، وحلاوة ألفاظه ، وتنميق كلماته . ويقضى أشغاله وقضاياه منهم ، ومن حواشيهم وحريماتهم ، ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه . واتحد باسماعيل بيك كتخدا حسن باشا الجزايرلى ، وعاشره وأكثر من الترداد عليه . فلما أتته ولاية مصر ، واستقر بالقلعة ، واظب على الطلوع والنزول الى القلعة ، ويبيت عنده غالب الليالى ، وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ، ورتب له وظائف فى الضربخانة والسلخانة والجوالى .

ووقع فى ولايته الطاعون الذى أفنى غالب أمراء مصر وأهلها ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف ... فاختص بما أحبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات ورزق وغيرها ، وزادت ثروته ورغبته وسعيه فى أسباب تحصيل الدنيا ، وعانى الشركات والمتاجر فى كثير من الأشياء مثل : الكتان والقطن والأرز ، وغير ذلك من الأصناف . والتزم بعدة حصص بالبحيرة مثل شابور ، وخلافها بالمنوفية والجيزة والغربية ، وابتنى دارا عظيمة بالأزبكية ، بناحية الرويعى ، بما يقابلها من الجهة الأخرى عند الساباط .

ولما حضرت الفرنساوية الى الديار المصرية ، وخافهم الناس ، وخرج الكثير من الأعيان وغيرهم — هاربا من مصر — تأخر المترجم عن الخروج ، ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم ... بل اجتمع بهم ، وواصلهم ، وانضم اليهم وسايرهم ، ولاطفهم فى أغراضهم ، وأحبوه وأكرموه وقبلوا شفاعاته ، ووثقوا بقوله ... فكان هو المشار اليه فى دولتهم ، مدة اقامتهم بمصر ، والواسطة العظمى بينهم وبين الناس ، فى قضاياهم وحوائجهم ، وأوراقه وأوامره نافذة عند ولاة أعمالهم ، حتى لقب عندهم وعند الناس ، بكاتم السر . ولما رتبوا الديوان الذى رتبوه لاجراء الأحكام بين المسلمين فى قضاياهم ودعاويهم ، كان هو المشار اليه فيه ، وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت أوامره . واذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه ، وبأيديهم العصى يوسعون له الطريق .

وراج أمره فى أيامهم جدا ، وزاد ايراده وجمعه ، واحتوى بلادا وجهات وأرزاقا ، وأقاموه وكيلا عنهم فى أشياء كثيرة ، وبلاد وقرى : يجبى اليه خراجها ، ويصرف عنها ما يصرفه ، ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل ... وما جرت به العادة ، ويتقدمون اليه بدعاويهم وشكاويهم ، ويفعل بهم ما كان يفعله أرباب الالتزامات من الحبس والضرب وأخذ المصالح . وصار له أعوان وأتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم : يرسل منهم لجبى

الأموال من القرى، وفى مراسلاته فى القضايا العامة ، ويبعث الأمان للفارين والهاربين والمتخوفين من الفرنسيس ... الراحلين الى بلاد الشام ، والمختفين بالقرى من الأجناد وغيرهم ، فيرسل اليهم أوراقا بالعود الى أوطانهم . اما باستدعائهم وطلبهم ذلك ، واما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ، ويحمى دورهم وحريمهم ، ويمانع عنهم فى غيابهم ، ويكون له المنة العظيمة التى يستحق بها الجوائز الجزيلة .

وبالجملة فكان بوجوده وتصدره فى تلك الأيام النفع العام سد بعقله ثقوبا واسعة وخروقا ، وداوى برأيه جروحا وفتوقا ... لا سيما أيام الهيازع والخصومات والتنازع ، وما يكدر طباع الفرنساوية من مخارق الرعية ، فيتلافاه بمراهم كلماته ، ويسكن حدتهم بملاطفاته .

ولما مضت أيامهم ، وتنكست أعلامهم ، وارتحلوا عن الأقطار المصرية ، ووردت الدولة العثمانية ... كان المترجم أعظم المتصدرين فى مقابلتهم ، وأوجه الوجهاء فى مخاطبتهم ومكالمتهم . ولم يتأخر عن حالته فى ظهوره ، ولازمهم فى عشياته وبكوره ، وبهرهم بتحيله واحتياله ، واسترهبهم بسحره وحباله . واتحد بشريف أفندى الدفتردار ، وواظبه الليل والنهار ، وتمم معه أغراضه فى جميع تعلقاته ، وتقرير وظائفه والتزاماته ومسموحاته ، واستجد غير ذلك مما ينتقيه من الديوان ، وكل ذلك من غير مقابلة ولا حلوان .

وتزوج بعدة زوجات ، ورزق أولادا ذكورا واناثا ... فمنهم الشيخ محمد أمين ، وهو من ابنة الشيخ الحريرى وتمذهب حنفيا على مذهب جده . وآخر يسمى محمد تقى الدين ... توفى فى حياة والده — من نحو خمس عشرة سنة أو أكثر — عن نحو عشرين سنة ، وكان مالكيا باشارة أبيه والشيخ عبد الهادى ، وتوفى بعد أبيه ، وكان شافعى المذهب ، وعقدوا له درسا بعد موت أبيه فلم تطل أيامه .

وزوج أولاده وبناته ، وعمل لهم مهمات وأفراحا ... استجلب بها هدايا من أعيان المسلمين والنصارى والنساء الأكابر والتجار وغيرهم ! ثم احترقت داره التى أنشأها بالأزبكية فى حرابة الفرنساوية مع العثمانية والمصريين — عند مجى الوزير المرة الأولى — فشرع فى بناء دار عند باب الشعرية ، ولم يتممها ... بل تركها وأهملها وهى منهدمة ، ولم يحدث بها شيئا من الأبنية ثم انه تزوج بابنة الشيخ أحمد البشارى ، وكانت تحت بعض الأجناد فى دار جهة التبانة — بالقرب من سوق السلاح وسويقة العزى — يذهب اليها فى بعض الأحيان .

واشترى دارا عظيمة بناحية الموسكى — وكانت لبعض عتقى بقايا الأمراء الأقدمين — وهى دار واسعة الأرجاء ، ذات رحبتين متسعتين والرحبة الخارجة ، التى يسلك اليها من باب الزقاق الكبير ، على ظهر قنطرة الخليج التى تعرف الآن بقنطرة الحفناوى لقربها من داره ... وبهذه الدار مجالس وقيعان متسعة ، ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاث لواوين ، مفروشة أرضها وحيطانها بأنواع الرخام الملون والقيشانى ، مطلة على بستان عظيم ، مغروس بأنواع الأشجار ... وهو أيضا من حقوق الدار . وتنتهى حدود هذه الدار الى حارة المناصرة ، والى كوم الشيخ سلامة وحارة الافرنج من الناحية الأخرى .

ولما عمل بزارها ، وعقد عقد شرائها من أصحابها ، ودفع لهم بعض دراهم — يقال لها العربون — وكتب حجة المشترى وسكنها ...

أخذ يوعدهم بدفع الثمن ، ويماطلهم كعادته فى دفع الحقوق ! ثم تركهم وسافر الى دمياط ، وجعل يطوف البلاد التى تحت التزامه وغيرها ، مثل المحلة الكبيرة وطندتا والأسكندرية ، وغاب نحو الخمس سنوات ، ومات فى غيبته بعض أصحاب الدار التى اشتراها منه ، وبقى من مستحقيها امرأة ... فكانت تتظلم وتشتكى ، وتراسله ، فأعرضت أمرها لكتخدا بيك والباشا ... الى أن حضر الى مصر ، وقبضت منه — وهى مطلة — ما أمكنها من ثمن استحقاقها .

وبنى ابنه المسمى بأمين ، بقطعة من أرضها ، دارا جهة حارة المناصرة على البستان ، ومختلطة به ونافذة اليه ، وجعل لها بابا من المناصرة ينفذ منه الى الأزبكية وقنطرةالأمير حسين ، أنفق عليها جملة كبيرة من المال ... بحيث أن المرخمين أقاموا فى شغلهم نحو أربع سنوات ، خلاف من عداهم من أرباب الأشغال وتجهيز الأدوات ، من الأخشاب وغيرها من أنواع الاحتياجات . ويتعاطى ابنه المذكور التجارة أيضا والشركة فى كثير من الأصناف ... خلاف الايراد الواسع الخاص به .

ولما رجع المترجم من سرحته الى مصر ، أقام مصاحبا لميسير الخمول ، وتقيد لالقاء الدروس بالأزهر أشهرا ، ويعانى مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ، ومطالعة ما صنف فيها ، ويدبر مع بعض أصحابه ، فى دورهم ، باغرائه من مالهم ... الى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم ، فتولى كبر السعى عليه سرا ، هو وباقى الجماعة — حسدا وطمعا — ليخلص لهم الأمر دونه ، حتى أوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين .

وفى أثناء هذه الحادثة ، طلب من الباشا اذنا فى قبض استحقاقه من ثمن غلال الأنبار فى مدة غيابه ، فأمر بدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذى قدره لنفسه ، وهو خمسة وعشرون كيسا .

وفى اليوم الذى خرج فيه السيد عمر ، أنعم عليه الباشا أيضا بنظر وقف سنان باشا ، ونظر ضريح الشافعى — بعرضه له بطلب النظرين — وكانا تحت يد السيد عمر يتحصل منهما مال كثير . وعند ذلك رجع الى حالته الأولى التى كان قد انقبض عن بعضها : من كثرة السعى والترداد على الباشا وأكابر دولته ... فى القضايا والشفاعات ، وأمور الالتزام والفائض والرزق والأطيان ، وما يتعلق به فى بلاد الصعيد والفيوم ، ومحاسبة الشركاء .

وازدحمت عليه الناس ، وشرع يقرأ بالأزهر . فاذا حضر ، اجتمع حول درسه طابق من الناس ، فاذا فرغ تكبكب عليه أرباب الدعاوى والفتاوى ، فيكتب لهذا ، ويوعد ذاك ، ويسوف آخر .

يذهب من يريد أن يذهب معه لحاجته ، فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا ، وذهابا وايابا ، لا يستقر بمكان ، ولا يعثر به صاحب حاجة الا نادرا ولا يبيت فى بيت من بيوته الا فى الجمعة مرة أو مرتين ، ويتفق مجيئه الى داره بعد العشاء الأخير — وغالب لياليه فى غيرها — واذا غاب لا يعلم طريقه الا بعض أتباعه . فيذهب الى بولاق مثلا ، فيقيم بها عدة أيام وليال ، ينتقل فى الأماكن عند شركائه ، ومن يعاملهم من الأمناء والخصاصين ، والابزار وغيرهم ، أو يذهب الى بلده نهية بالجيزة أو غيرها ، فيقيم أياما أيضا ، وهكذا دأبه قديما . واذا قيل له فى ذلك قال : « أنا بيتى ظهر بغلتى » !

وعلى ما كان فيه من الغنى ، وكثرة الايراد والمصرف ... تراه مفقود اللذة ، عديم الراحة البدنية والنفسية . وانما ذلك لأولاده والمقيمين أيضا بداره . ويتفق أنه يذبح بداره الثلاثة أغنام

لضيوف من النساء — عند الحريم — ولا يأكل منها شيئا ، بل يتركها ويذهب الى بعض أغراضه ببولاق مثلا ، ويتغدى بالجبن الحلوم ، أو الفسيخ أو البطارخ ، ويبيت بأى مكان ... ولو على نخ أو حصير فى أى محل كان !

ولما مات الشيخ سليمان الفيومى عن زوجته ، المعروفة بالسحراوية ، وكانت من نساء القدماء : مشهورة بالغنى وكثرة الايراد ، وتزوجت بالشيخ الفيومى حماية لمالها . وكانت طاعنة فى السن فاشترت له جارية بيضاء وأعتقتها ، وزوجتها له ، ولم يدخل بها ، ومات عنهما وعن زوجته الأخرى .

ثم ماتت السحراوية المذكورة لا عن وارث ، فى غضون طنطنة المترجم ، فوضع يده على دارها ومالها وجواريها وتعلقاتها ... من عقار والتزام وغيره ، وزوج الجارية لابنه عبد الهادى ... وكأنها سقطت بمالها ونوالها فى بئر عميق !

ولما جرد الباشا ، وعين العساكر الى الحجاز ، مع ابنه طوسون باشا ... اختار أن يصحب معه من أهل العلم . فكان المتعين لذلك المترجم مع السيد أحمد الطحطاوى ، وأنعم عليه بأكياس وترحيلة للنفقة . فلما وقعت الهزيمة بالصفراء ، رجع مع الراجعين .

ولما توفى الشيخ الشرقاوى ، تعين المترجم لمشيخة الجامع . ثم انتقضت عليه وقلدوها الشيخ الشنوانى ، كما تقدم ذكر ذلك ، فلم يظهر الا الانشراح وعدم التأثر من الانكساف . وحضر اليه الشيخ الشنوانى ، فخلع عليه فروة سمور خاص ، وزاد فى اكرامه .

وبآخرة ... تملك دارا بالكعكيين — على شريطته فى مشترواته — وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكناه بالموسكى ، ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ، ثم ابن الحنفرى ، ثم لا أدرى لمن آلت بعد ذلك — فلما أخذها شرع فى تجديدها وتعميرها ، وفتح بها مرمة واسعة ، وأحضر أخشابا كثيرة وأحجارا وبلاطا ورخاما ... وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن ، فهدمها وأدخلها فى الدار ، وأخرج عظام الموتى من قبورهم ، ودفنهم بتربة المجاورين — كما أخبرنى عن ذلك من لفظه — وعمل مكان الزاوية قاعة لطيفة ، بخارجها فسحة يتوصل اليها من حوش الدار . وجعل مكان القبور مخابى ، وعليها طوابق ، وأسكن فى تلك الدار احدى زوجاته — وهى التى كانت تحت الشيخ الدنجيهى الدمياطى — تزوج بها بدمياط ، وأحضرها الى مصر ، وأسكنها بهذه الدار ومعها ضرتها التى كانت من شابور ، وأكثر من المبيت فيها مع استمرار العمارة .

فلما كان فى آخر المحرم ، توعك أياما ثم عوفى ، وذهب الى الحمام ، وهنأه الناس بالعافية . ومشى الى جيرانه يتحدث عندهم كعادته ، مثل الخواجا سيدى محمد ابن الحاج طاهر ، والسيد صالح الفيومى . فخرج ليلة الجمعة ، الثانى من شهر صفر ، وذهب عند عثمان بن سلامة السنارى ، فتحدث عندهم حصة من الليل وتفكهوا ، ثم قام ذاهبا الى داره ماشيا على أقدامه وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتى يحادثه حتى وصل الى داره المذكورة ، وانصرف الشيخ خليل الى داره أيضا ، ومضى نحو ساعة ... واذا بتابع الشيخ المهدى يناديه ، ويطلبه اليه . فقام فى الحين ودخل اليه فوجده راقدا فى المكان الذى نبش من القبور ، فجس يده ، فقال له النساء : « انه ميت » ، وأخبرت زوجته أنه جامعها ثم استلقى ... وفارق الدنيا عن نحو خمس وسبعين سنة !

وأرسلوا الى أولاده فحضروا ، وحملوه فى تابوت الى الدار الكبيرة بالموسكى ليلا . وشاع موته ، وجهز ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل

جدا ، ودفن عند الشيخ الحفنى بجانب القبر . فسبحان الحى الذى لا يموت .

فرحم الله عبدا زهد فى الفانى ، وعمل لما بعده ، ونظر الى هذه الدار بعين الاعتبار ... نسأله التوفيق والقناعة وحسن الخاتمة .

وحاصل أمر المرحوم المترجم : أنه كان من فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب فى المعقول والمنقول ، بالتحقيق والتدقيق ، ويقررها بالحاصل . وانتفع عليه الكثير من الطلبة ، ومنهم الآن مدرسون مشتهرون ومميزون بين نظرائهم من أهل العصر . ولو استمر على طريقة أهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا ، لكان نادرة عصره . وأداه ذلك الى قطع الاشتغال ، واذا شرع فى الاقراء فلا يتم الكتاب فى الغالب ، ويحضر الدرس فى الجمعة يوما أو يومين ، ويهمل كذلك . ولم يصنف تأليفا ، ولا رسالة فى فن من الفنون مع تأهله لذلك ، ولم يعان الشعر ولا النظم ، ونثره فى المراسلات ونحوها ، متوسط فى بعض القوافى السهلة ، وتقيد بقراءة الحكم لابن عطاء الله بعد العصر فى رمضان ... الثلاث سنين الأخيرة .

* * *

ومات الأستاذ العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النبيه ، المهذب المتواضع : الشيخ مصطفى ابن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن — الشهير بالصفوى القلعاوى — الشافعى .

ولد فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين ومائة وألف ، وتفقه على الشيخ الملوى والسحيمى والبراوى والحفنى ، ولازم شيخنا ، الشيخ أحمد العروسى ، وانتفع عليه ، وأذن له فى الفتيا عن لسانه ، وجمع من تقريراته ، واقتطف من تحقيقاته ، وألف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى على أبى شجاع فى الفقه ، وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازانى على التلخيص ، وشرح شرح السمرقندى على الرسالة العضدية فى علم الوضع . وله منظومة فى آداب البحث ، وشرحها ، ومنظومة لمتن التهذيب فى المنطق وشرحها ، وديوان شعر سماه « اتحاف الناظرين فى مدح سيد المرسلين » وعدة من الرسائل فى معضلات المسائل ، وغير ذلك .

وكان سكنه بقلعة الجبل ، ويأتى فى كل يوم الى الأزهر للاقراء والافادة . فلما أمر الباشا سكان القلعة باخلائها والنزول منها الى المدينة ، فنزلوا الى المدينة ، وتركوا دورهم وأوطانهم ، نزل المترجم مع من نزل ، وسكن بحارة أمير الجيوش — جهة باب الشعرية — ولم يزل هناك حتى تمرض أياما ، وتوفى ليلة السبت ، سابع عشرى شهر رمضان ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقينى بحارة بين السيارج ... رحمه الله تعالى . فانه كان من أحسن من رأينا سمتا وعلما ، وصلاحا وتواضعا وانكسارا ، وانجماعا عن خلطة الكثير من الناس ... مقبلا على شأنه ، راضيا مرضيا ، طاهرا نقيا ، لطيف المزاج جدا ، محبوبا للناس . عفا الله عنه ، وغفر لنا وله .

* * *

ومات الشيخ الفاضل ، الأجلّ الأمثل ، والوجيه المفضل : الشيخ حسين بن حسن كنانى ابن على المنصورى الحنفى . تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصورى ، والشيخ محمد الدلجى ، والشيخ أحمد الفارسى ، والشيخ عمر الدبركى ، والشيخ محمد المصيلحى . وأقرأ فى فقه المذهب دروسا فى محل جده لأمه بالأزهر ، وسكن داره بحارة الحبانية على بركة الفيل ، مع أخيه الشيخ عبد الرحمن ، ثم انتقلا فى حوادث الفرنساوية الى حارة الأزهر .

ولما كانت حادثة (نفى) السيد عمر مكرم ، النقيب من مصر الى دمياط ، وكتبوا فيه عرضا

للدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوى من الشهادة عليه — كما تقدم — وتعصبوا عليه ، وعزلوه من مشيخة الحنفية ... قلدوها المترجم ، فلم يزل فبها حتى تمرض وتوفى يوم الثلاثاء ، تاسع عشرى المحرم ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بتربة المجاورين. رحمه الله وايانا .

* * *

ومات البليغ النجيب ، والنبيه الأريب ، نادرة الزمان ، وفريد الأوان ... أخونا ، ومحبنا فى الله تعالى ، ومن أجله : السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب .

كان أبوه نجارا ، ثم فتح له مخزنا لبيع الخشب — تجاه تكية الكلشنى ، بالقرب من باب زويلة — وولد له المترجم ، وأخواه : ابراهيم ومحمد — وهو أصغرهما — فتولع السيد اسماعيل ، المترجم ، بحفظ القرآن ، ثم بطلب العلم . ولازم حضور السيد على المقدسى ، وغيره من أفاضل الوقت ، وأنجب فى فقه الشافعية والمعقول ، بقدر الحاجة ، وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض . وتنزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب فى المعاش ، ومصارف العيال . وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية ، والتصوف والتاريخ ، وأولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الأشعار والمراسلات ، وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ... حتى صار نادرة عصره فى المحاضرات والمحاورات ، واستحضار المناسبات ، والماجريات . وقال الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب — بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ، ولطف السجايا ، وكرم الشمائل ، وخفة الروح — كثيرا من أرباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والأمراء ، والتجار . وتنافسوا فى صحبته ، وتفاخروا بمجالسته ، ومنهم : مصطفى بيك المحمدى ، أمير الحاج ، وحسن أفندى العربية ، وشيخ السادات ، وغيرهم من الأماثل ... فيرتاحون لمنادمته ، ويتنقلون على طيب مفاكهته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته .

وكان الوقت اذ ذاك غاصا بالأكابر والرؤساء ، وأرباب الفضائل . والناس فى بلهنية من العيش ، وأمن من المخاوف والطيش . وللمترجم ، رحمه الله ، قوة استحضار فى ابداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال المجلس ... فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور فى الخطاب ، ويجلب عقله بلطف محادثته ، كما يفعل بالعقول الشراب .

ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين ، تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم ... لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق فى ملخص ، يرفع فى سجلهم ، بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش ... حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم .

فلما رتبوا ذلك الديوان ، كما ذكر ، كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس : من أمر أو نهى ، أو خطاب أو جواب ، أو خطأ أو صواب . وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف نصف فضة . فلم يزل متقيدا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الاقليم ... مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة وديوانهم هذا ، ضحوة يومين فى الجمعة . فجمع من ذلك عدة كراريس . ولا أدرى ما فعل بها .

وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته ، مازج المذكور وخالطه ، ورافقه ووافقه ولازمه ... فكان كثيرا ما يبيتان معا ،

ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ، وألطف من اتساق نظم الدرر . وكثيرا ما كانا يتنادمان بداري ، لما بيني وبينهما من الصحبة الأكيدة ، والمودة العتيدة ، فكانا يرتاحان عندي ويطرحان التكلفات التي هي على النفس شديدة ، ويتمثلان بقول من قال :

في انقباض وحشمة فاذا
رأيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها
وقلت ما قلت غير محتشم

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان في كل فن من الفنون الأدبية ، والتواريخ والمحاضرات : فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الاخوان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل واحسان . فكانت تجري بينهما منادمات أرق من زهر الرياض ، وأفتك بالعقول من الحدق المراض . وهما حينئذ فريدا وقتهما ، ووحيدا مصرهما ... لم يعززا في ذلك الوقت بثالث ، اذ ليس ثم من يدانيهما ، فضلا عن مساواتهما في تلك الشئون التي أربت على المثاني والمثالث .

واستمرت صحبتهما ، وتزايدت على طول الأيام مودتهما ... حتى توفي المترجم ، وبقي بعده الشيخ حسن : فريدا عمن يشاكله ويناشده ، ويتجارى معه ويحاوره . فسكت بعد حسن البيان ، وترك نظم الشعر والنثر الا بقدر الضرورة ، ونفاق أهل العصر ... وذلك لتفاقم الخطوب ، وتزايد الكروب ، وفقد الاخوان ، وعدم الخلان . واشتغل بما هو خير من ذلك ، وأبقى ثوابا فيما هنالك ... من تقرير العلوم وتحقيقها ، والتأليفات المتنوعة في الفنون المختلفة ، وتنميقها . وهو الآن على ما هو عليه من السعي في خدمة العلم ، واقراء الكتب الصعبة . وله بذلك شهرة بين الطلاب .

وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره ، وهو صغير الحجم ، له شهرة بين المتأدبين بمصر ، ولهم به عناية ؛ ووفور رغبة . وقد كان له فيه غلو زائد ، وتأدب في الجلوس والحديث ، انتقد فيه وليم عليه هذه الأمور ، حتى كان لا يخاطبه الا بضمير الغيبة(١) ، حتى ربما وقع ذلك في بعض آيات وأحاديث — كما قدمنا الاشارة بذلك في ترجمته — وكان ذلك يوافق غرضه ، لما جبل عليه من التعاظم . وقد كان جلساؤه لما رأوا محبته لذلك ، يتشبهون بالمترجم في سلوك هذه الشئون ، مع أنه لا داعي ولا باعث لارتكاب هذه المعاصي ... طلبا لمرضاة من هو كثير التلون على جلسائه . وانما الناس شأنهم التقليد ، وفي طباعهم الميل الى أرباب الدنيا ، ولو لم ينلهم منها شيء . ولم يكن للمترجم شيء يعاب به الا هذه الارتكابات .

ولما وردت الفرنساوية لمصر ، اتفق أن علق شابا من رؤساء كتابهم ، كان جميل الصورة ، لطيف الطبع ، عالما ببعض العلوم العربية ، مائلا الى اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان بالعربي ، يحفظ كثيرا من الشعر ... فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ، ووقع بينهما توادد وتصاف ، حتى كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر . فكان المترجم تارة يذهب لداره ، وتارة يزوره هو ، ويقع بينهما من لطف المحاورة ما يتعجب منه . وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ، فمما قاله فيه :

علقته لؤلؤي الثغر باسمه
فيه خلعت عذاري ، بل حلا نسكي !

(١) لعل هنا سقطا في الاصل . وقد يكون المقصود بأن الخشاب (المترجم) لايخاطبه الا بضمير الغيبة هو ابو الانوار ، شيخ السادات ، كما ورد في ترجمته .

ملكته الروح طوعا ، ثم قلت له :
متى ازديارك لى أفديك من ملك
فقال لى ، وحميا الراح قد عقلت
لسانه ، وهو يثنى الجيد من ضحك :
اذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت
منه عساكر ذاك الأسود الحلك
فجاءنى وجبين الصبح مشرقة
عليه من شغف آثار معترك
فى حلة من أديم الليل رصعها
بمثل أنجمه فى قبة الفلك
فخلت بدرا به حفت نجوم دجا
فى أسود من ظلام الليل محتبك
وافى وولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك

وله فى آخر يسمى « ريج » :

أدرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثانى فعاطنى
على خدك المحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من سنا الراح بالتبر !
وهاك عقودا من لآلى حبابها
فم الكاس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل وامح بنورها
دجاه ، وطف بالشمس فينا الى الفجر
وأصل بنار الخد قلبى وأطفه
ببرد ثناياك الشهية والثغر
أريج ! زكى المسك أنفاسك التى
أريج شذاها قد تبسم عن عطر
معنبرة يسرى النسيم بطيبها
فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
وبى ذابل الأجفان كالبيض طرفه
مكحلة أجفانه السود بالسحر
رشافاتك الألحاظ عيناه غادرت
فؤادى فى دمعى دما سائلا يجرى
طويل نجاد السيف ، ألمى ، محجب
شقيق المها ، زاهى البها ، ناحل الخصر
رقيق حواشى الطبع يغنى حديثه
عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنثر
يعير الرماح اللين عاذل قده
ويزرى الدرارى ضوء مبسمه الدر
ويحكيه أغصان الربا فى شمائل
فيرفل فى أثواب أوراقها الخضر
وفوق سنى ذاك الجبين غياهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية
وأمسى بروحى يوم جد النوى سيرى
تباكى لتوديع ، فأبدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر [1]

ولم يزل المترجم على حالته ، ورقته ولطافته ، مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة ، والتولع بمعالى الأمور ، والتكسب وكثرة الانفاق ، وسكنى الدور الواسعة والحزم .

(١) فليسجل التاريخ ما آل اليه أمر الغواة البواسل !

المحرم

غرته : (٣ ديسمبر ١٨١٥ م) :

استهل .. وحاكم مصر وصاحبها واقطاعها وثغورها ، وكذلك بندر جدة ومكة والمدينة المنورة وبلاد الحجاز ... محمد على باشا ! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ولاظ محمد — الذى هو كتخدا بيك — قائمقامه هو المتصدر لاجراء الأحكام بين الناس عن أمر مخدومه . وابراهيم أغا .. آغات الباب . والدفتردار : محمد أفندى ... صهر الباشا : والروزنامجى : مصطفى أفندى — تابع محمد أفندى باش جاكرت سابقا — وغيطاس أفندى سرجى ، وسليمان افندى الكماخى ... باشمحاسب ، ورفيقه أحمد أفندى ... باش قلفة ، وصالح بيك السلحدار ، وحسن أغا ... آغات الينكجرية ، وعلى أغا الشعراوى ، وزعيم مصر — وهو الوالى — وآغات التبديل أحمد أغا ، وهو أخو حسن أغا المذكور ، وكاتب الخزينة ولى خوجه ، ورئيس كتبة الأقباط المعلم غالى ... وأولاد الباشا . ابراهيم باشا حاكم الصعيد ، وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز ، واسماعيل باشا ببولاق ، ومحرم بيك — صهر الباشا أيضا على ابنته — بالجيزة ، وأحمد أغا ... المعروف ببونابارته الخازندار . وباقى كشاف الأقاليم ، وأكابر أعيانهم ، مثل : دبوس أوغلى ، وحسن أغا سرششمة ، وحجو بيك ، ومحو بيك وخلافهم .

وفى ذلك اليوم : قبض كتخدا بيك على المعلم غالى وأمر بحبسه ، وكذلك أخوه المسمى فرنسيس وخازنداره المعلم سمعان ... وذلك عن أمر مخدومه من الاسكندرية ، لأنه حول عليه الطلب بستة آلاف كيس ، تأخر أداؤها اياه من حسابه القديم ، فاعتذر بعدم القدرة على أدائها فى الحين ، لأنها بواقى على أربابها ... وهو ساع فى تحصيلها ، ويطلب المهلة الى رجوع الباشا من غيبته فأرسل الكتخدا بمقالته واعتذاره الى الباشا .

وانتبذ طائفة من الأقباط فى الحط على غالى مع الكتخدا ، وعرفوه أنه اذا حوسب يظهر عليه ثلاثون ألف كيس ، فقال لهم : « وان لم يتأخر عليه هذا القدر تكونوا ملزومين به الى الخزينة » فأجابوه الى ذلك . فأرسل يعرف الباشا بذلك ، فورد الأمر بالقبض عليه وعلى أخيه وخازنداره وحبسهم ، وعزله ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة أولا ، ثم حسابه بعد ذلك .

فأحضر المرافعين عليه ، وهم . المعلم جرجس الطويل ، ومنقريوس البتنونى ، وحنا الطويل ، وألبسهم خلعا على رياسة الكتاب ... عوضا عن غالى ومن يليه .

واستمر غالى فى الحبس . ثم أحضره مع أخيه وخازنداره ، فضربوا أخاه أمامه ، ثم أمر بضربه . فقال : « وأنا أضرب أيضا ؟ » . قال : « نعم » . ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ! ورفع ، وكرر عليه الضرب ، وضرب سمعان ألف كرباج ، حتى أشرف على الهلاك ووجدوا فى جيبه ألف شخص بندقى ، ومائتى محبوب ، عنها اثنان وعشرون ألف قرش .

ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه وسمعان ليسعيا فى التحصيل ، وهلك سمعان ، واستمر غالى فى السجن، وقد رفعوا عنه وعن أخيه العقاب لئلا يموتا .

١٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨١٥ م) :

رجع الباشا من غيبته من الاسكندرية . وأول ما بدأ به اخراج العساكر مع كبرائهم الى ناحية بحرى ، وجهة البحيرة والثغور . فنصبوا خيامهم بالبر الغربى والشرقى تجاه الرحمانية ، وأخذوا صحبتهم مدافع وبارودا ، وآلات الحرب . واستمر خروجهم فى كل يوم ، وذلك من مكايده معهم ، وابعادهم عن مصر جزاء فعلتهم المتقدمة ... فخرجوا أرسالا .

صفر
(يناير ١٨١٦ م)

فيه : تشفع جونى الحكيم فى المعلم غالى وأخذه من الحبس الى داره . والعساكر مستمرون فى التشهيل والخروج ، وهم لايعلمون المراد بهم . وكثرت الروايات والأخبار والايهامات والظنون ... ومعنى الشعر فى بطن الشاعر !

ربيع الأول

الأربعاء غرته (٣١ يناير ١٨١٦ م) :

فيه : سافر طوسون باشا وأخوه اسماعيل باشا ، الى ناحية رشيد ، ونصبوا عرضيهما عند الحماد وناحية أبى منصور . وحسين بيك دالى باشا وخلافه ، مثل حسن آغا أرزجنلى ، ومحو بيك ، وصارى جلة ، وحجو بيك ... جهة البحيرة . وكل ذلك توطين وتلبيس للعساكر بكونه أخرج حتى أولاده العزاز للمحافظة ، وكذلك الكثير من كبرائهم الى جهة البحر الشرقى ودمياط .

الأحد ١٢ منه (١١ فبراير ١٨١٦ م) :

طلب الباشا المشايخ . فلما جلسوا مجلسهم ، وفيهم الشيخ البكرى ، أحضروا خلعة وألبسوها له على منصب نقابة الأشراف ... عوضا عن السيد محمد المحروقى . وفاوضه فى ذلك ورأى أن يقلده اياه ، فاعتذر السيد محمد المحروقى ، واستعفى ، وقال : « أنا متقيد بخدمة أفندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز » . فقال : « قد قلدتك اياها فأعطها لمن شئت » . فذكر أنها كانت مضافة للشيخ البكرى .. وهو أولى من غيره . فلما حضروا ، وتكاملوا ، ألبسوه الخلعة ، واستصوب الجماعة ذلك ، وانصرفوا .

وفى الحال .. كتب فرمان باخراج الدواخلى منفيا الى قرية دسوق ، فنزل اليه السيد أحمد الملا ، الترجمان ، وصحبته قواس تركى ، وبيده الفرمان . فدخلوا اليه على حين غفلة — وكان بداخل حريمه ، لم يشعر بشىء مما جرى — فخرج اليهم ، فأعطوه الفرمان . فلما قرأه ، غاب عن حواسه ، وأجاب بالطاعة ، وأمروه بالركوب ، فركب بغلته ، وسارا به الى بولاق الى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده ، والشيخ سالم الشرقاوى . وانسل مما كان فيه كانسلال الشعرة من العجين ، وتفرق الجمع الذى كان حوله .

وشرع الأشياخ فى تنميق عرضحال على لسانهم ، بأمر الباشا ، بتعداد جنايات الدواخلى ، وذنوبه ، وموجبات عزله ... وأن ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ، ويرسل ذلك العرضحال لنقيب الأشراف ، بدار السلطنة ، لأن الذى يكون نقيبا بمصر نيابة عنه ، ويرسل اليه الهدية فى كل سنة

فالذى نقموه عليه من الذنوب : أنه تطاول على حسين أفندى شيخ رواق الترك ، وسبه وحبسه من غير جرم . وذلك أنه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفرانسة . فلما أقبضه الثمن ، أعطاه

بدلها قروشا بدون الفرط الذى بين المعاملتين . فتوقف السيد حسين وقال : « اما تعطينى العين التى وقع عليها الانفصال ، أو تكمل فرط النقص » . وتشاحّا ، وأدى ذلك الى سبه وحبسه ... وهو رجل كبير متضلع ، ومدرس ، وشيخ رواق الأتراك بالأزهر . وهذه القضية سابقة على حادثة نفيه بنحو سنتين .

ومنها أيضا : أنه تطاول على السيد منصور اليافى بسبب فتيا رفعت اليه . وهى أن امرأة وقفت وقفا فى مرض موتها ، وأفتى بصحة الوقف ، على قول ضعيف . فسبه فى ملأ من الجمع ، وأراد ضربه ، ونزع عمامته من على رأسه .

ومنها أيضا : أنه يعارض القاضى فى أحكامه ، وينقص محاصيله ، ويكتب فى بيته وثائق قضايا صلحا ، ويسب أتباع القاضى ، ورسل المحكمة ، ويعارض شيخ الجامع الأزهر فى أموره ... ونحو ذلك .

وعندما سطروه ، وتمموه ... وضعوا عليه ختومهم ، وأرسلوه الى اسلامبول .

على أن جناياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة ... بل ولا علم له بها ولا التفات . وانما هى أشياء وراء ذلك كله : ظهر بعضها ، وخفى عنا باقيها . وذلك أن الباشا يحب الشوكة ونفوذ أوامره فى كل مرام ، ولا يصطفى ويحب الا من لايعارضه ... ولو فى جزئية ، أو يفتح له بابا يهب منه ريح الدراهم والدنانير ، أو يدله على ما فيه كسب ، أو ربح من أى طريق أو سبب ... من أى ملة كان .

ولما حصلت واقعة قيام العسكر فى أواخر السنة الماضية ، وأقام الباشا بالقلعة يدبر أمره فيهم ، وألزم أعيان المتظاهرين الطلوع اليه فى كل ليلة ... وأجل المتعممين الدواخلى لكونه معدودا فى العلماء ، ونقيبا على الأشراف — وهى رتبة الوالى عند العثمانيين — فداخله الغرور ، وظن أن الباشا قد حصل فى ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والنذور ، ولكونه رآه يسترضى خواطر الرعية المنهوبين ، ويدفع لهم أثمانها ، ويستميل كبار العساكر ، وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من أكياس المال ، ويسترسل معه فى المسامرة والمسايرة ، ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة . فلما رأى اقبال الباشا عليه ، زاد طمعه فى الاسترسال معه ، فقال له : « الله يحفظ حضرة أفندينا ، وينصره على أعدائه والمخالفين له ، ونرجو من احسانه — بعد هدو سره ، وسكون هذه الفتنة — أن ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا فى الجمايات والمسامحات فى خصوص مايتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق » .

فأجابه بقوله : « نعم يكون ذلك ، ولا بد من الراحة لكم ولكافة الناس » . فدعا له ، وأنس فؤاده ، وقال : « الله تعالى يحفظ أفندينا ، وينصره على أعدائه ... كذلك يكون تمام ما أشرتم به من الراحة لكافة الناس ، الافراج عن الرزق الأحباسية على المساجد والفقراء » . فقال : « نعم » ووعده مواعيده العرقوبية . فكان الدواخلى اذا نزل من القلعة الى داره ، يحكى فى مجلسه مايكون بينه وبين الباشا من أمثال هذا الكلام ، ويذيعه فى الناس .

ولما أمر الباشا الكتاب بتحرير حساب الملتزمين على الوجه المرضى : بديوان خاص لرجال دائرة الباشا وأكابر العسكر — وذلك بالقلعة — تطييبا لخواطرهم ، وديوان آخر فى المدينة لعامة الملتزمين ، فيحررون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصروفهم ، وما كانوا يأخذونه من المضاف والبرانى والهدايا ، وغير ذلك ... والديوان العام التحتانى بخلاف ذلك .

فلما رأى الدواخلى ذلك الترتيب ، قال للباشا :

« وأنا الفقير محسوبكم من رجال الدائرة » . فقال : « نعم » . وحرروا قوائمه مع الأكابر ، وأكابر الدولة ، وأنعم عليه الباشا بأكياس أيضا كثيرة زيادة على ذلك .

فلما راق الحال ، ورتب الباشا أموره مع العسكر ، أخذ يذكر الباشا بانجاز الوعد ويكرر القول عليه ، وعلى كتخدا بيك بقوله : « أنتم تكذبون علينا ، ونحن نكذب على الناس » .

وأخذ يتطاول على كتبة الأقباط بسبب أمور يلزمهم ويكلفهم باتمامها وعذرهم يخفى عنه فى تأخيرها . فيكلمهم بحضرة الكتخدا ، ويشتمهم ويقول لبعضهم : « أما اعتبرتم بما حصل للمعين غالى ؟ » فيحقدون عليه ، ويشكون منه للباشا والكتخدا ... وغير ذلك أمورا ، مثل تعرضه للقاضى فى قضاياه ، وتشكيه منه .

واتفق أنه لما حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية ، وكان بصحبته أحمد جلبى ابن ذى الفقار كتخدا الفلاح — وكأنه كان كتخداه بالصعيد — وتشكت الناس من أفاعيله واغوائه ابراهيم باشا ... فاجتمع به الدواخلى عند السيد محمد المحروقى ، وحضر قبل ذلك اليه للسلام عليه . وفى كل مرة يوبخه بالكلام ، ويلومه على أفاعيله بالقول الخشن ، فى ملأ من الناس . فذهب الى الباشا ، وبالغ فى الشكوى ، ويقول فيها : « أنا نصحت فى خدمة أفندينا جهدى ، وأظهرت من المخبآت ما عجز عنه غيرى ، فأجازى عليه من هذا الشيخ ما أسمعنيه من قبيح القول ، وتجبيهى بين الملأ . واذا كان محبا لأفندينا فلا يكره نفعه ، ولا النصح فى خدمته » وأمثال ذلك مما يخفى عنا خبره . فمثل هذه الأمور هى التى أوغرت صدر الباشا على الدواخلى ، مع أنها فى الحقيقة ليست خلافا عند من فيه قابلية للخير !

وأنا أقول : ان الذى وقع لهذا الدواخلى ، انما هو قصاص ، وجزاء فعله فى السيد عمر مكرم ... فانه كان من أكبر الساعين عليه الى أن عزلوه ، وأخرجوه من مصر ... والجزاء من جنس العمل ، كما قيل :

فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلى ماجرى من العزل والنفى ، أظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح ، وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات كما يقال :

أمور تضحك السفهاء منها
ويبكى من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس ، وانهمكوا فى الأمور الدنيوية ، والحظوظ النفسانية ، والوساوس الشيطانية ، ومشاركة الجهال فى المآثم ، والمسارعة الى الولائم فى الأفراح والمآتم ... يتكالبون على الأسمطة كالبهائم . فتراهم فى كل دعوة ذاهبين ، وعلى الخوانات راكمين ، وللكباب والمحمرات خاطفين ، وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين .

فى أواخره (أواخر فبراير ١٨١٦ م) :

شرعوا فى عمل مهم عظيم بمنزل ولى أفندى — ويقال له : ولى خجا — وهو كاتب الخزينة العامرة ، وهو من طائفة الأرنؤود ... واختص به الباشا ، واستأمنه على الأمور ، وضم اليه دفاتر الايراد ، من جميع وجوه جبايات الأموال ، من خراج البلاد والمحدثات ، وحسابات المباشرين .

وأنشأ دارا عظيمة بخطة باب اللوق ، على البركة المعروفة بأبى الشوارب ، وأدخل فيها عدة بيوت — بجانبيها وتجاهها — على نسق واصطلاح الأبنية الأفرنجية والرومية ، وتأنق فى زخرفتها واتساعها ، واستمرت العمارة بها نحو السنتين .

ولما كملت وتمت ، أحضروا القاضى والمشايخ ، وعقدوا لولديه على ابنتين من أقارب الباشا ، بحضرة الأعيان ومن ذكر . واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا ، وتقيد السيد محمد المحروقى بالمصاريف ، والتنظيم واللوازم ... كما كان فى أفراح أولاد الباشا . واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة ، وما حولها وبالشارع ، وعلقوا تعاليق قناديل ونجفات وأحمال بلور وزينات ، واجتمع الناس للفرجة ... وبالليل حراقات ونفوط ، ومدافع ، وسواريخ ، سبع ليال متوالية ، وعملت الزفة يوم الخميس ، واجتمعت العربات لأرباب الحرف ، كما تقدم فى العام الماضى ... بل أزيد . وذلك لأن الباشا لم يشاهد أفراح أولاده ، لكونه كان غائبا بالديار الحجازية . وحضر الباشا للفرجة ، وجلس بمدرسة الغورية ، بقصد الفرجة ، وعمل له السيد محمد المحروقى الغداء ، وخرجوا بالزفة ، أوائل النهار ، وداروا بها دورة طويلة ، فلم يمروا بسوق الغورية الا قريب الغروب أواخر النهار .

ربيع الآخر

غرته (أول مارس ١٨١٦ م) :

فيه : خروج العساكر الى ناحية بحرى مستمر . وأفصح الباشا ، وذكر فى كلامه — فى مجالسه — وبيّن السر فى اخراجهم من المدينة : بأن العساكر قد كثروا ، وفى اقامتهم بالبلدة ، مع كثرتهم ، ضرر وافساد ، وضيق على الرعية ، مع عدم الحاجة اليهم داخل البلدة . والأولى والأحوط أن يكونوا خارجها ، وحولها مرابطين ، لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة أو حادث خارجى . وليس لهم الا رواتبهم وعلائفهم تأتيهم فى أماكنهم ومراكزهم

والسر الخفى اخراج الذين قصدوا غدره وخيانته ، ووقع بسبب حركتهم ما وقع من النهب والازعاج فى أواخر شعبان من السنة الماضية .

وكان قد بدأ باخراج أولاده ، وخواصه — من تحيله — واحدا بعد واحد . وأسر الى أولاده بما فى ضميره ، وأصحب مع ولده طوسون باشا شخصا من خواصه ، يسمى أحمد أغا البحورجى المدللى . وأخذ طوسون باشا فى تدبير الايقاع مع من يريد به ، فبدأ بمحو بيك — وهو أعظمهم ، وأكثرهم جندا — فأخذ فى تأليف عساكره حتى لم يبق معه الا القليل . ثم أرسل فى وقت بطلب محو بيك عنده فى مشورة . فذهب اليه أحمد أغا المدللى المذكور ، وأسر اليه ما يراد به ، وأشار اليه بعدم الذهاب . فركب محو بيك فى الحال ، وذهب عند الدلاة ، فأرسلوا الى مصطفى بيك — وهو كبير على طائفة الدلاة ، وأخو زوجة الباشا وقريبه — والى اسماعيل باشا ابن الباشا ، ليتوسطا فى صلح محو بيك مع الباشا ، وليعفوه ويذهب الى بلاده . فأرسلا الى الباشا بالخبر ، وبما نقله أحمد أغا المدللى الى محو بيك ، فسفه رأيه فى تصديق المقالة ، وفى هروبه عند الدلاة ... ثم يقول : « لولا أن فى نفسه خيانة لما فعل ما فعل من التصديق والهروب » !

وكان طوسون باشا ، لما جرى من أحمد أغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بيك ، عوقه ، وأرسل الى أبيه يعلمه بذلك ، فطلبه للحضور اليه بمصر . فلما مثل بين يديه ، وبخه وعزره بالكلام ، وقال له : « ترمى الفتن بين أولادى وكبار العسكر » ، ثم أمر بقتله . فنزلوا به الى باب زويلة ، وقطعوا

رأسه هناك ، وتركوه مرميا طول النهار ، ثم رفعوه الى داره ، وعملوا له فى صبحها مشهدا ودفنوه .

وفيه : حضر اسماعيل باشا ، ومصطفى بيك الى مصر .

فى اواخره (اواخر مارس ١٨١٦ م) :

حضر شخص يسمى سليم كاشف من الأجناد المصرية ، مرسلا من عند بقاياهم من الأمراء وأتباعهم ... الذين رماهم الزمان بكلكله ، وأقصاهم وأبعدهم عن أوطانهم ، واستوطنهم « دنقلة » من بلاد السودان ، يتقوتون مما يزرعونه بأيديهم من الدخن ، وبينهم وبين أقصى الصعيد مسافة طويلة ، نحو من أربعين يوما .

وقد طال عليهم الأمد ، ومات أكثرهم ، ومعظم رؤسائهم مثل : عثمان بيك حسن ، وسليم أغا ،وأحمد أغا شويكار، وغيرهم ممن لاعلم لنا بخبرة أخبارهم، لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم . وبقى ممن لم يمت منهم : ابراهيم بيك الكبير ، وعبد الرحمن بيك — تابع عثمان بيك المرادى — وعثمان بيك يوسف وأحمد بيك الألفى — زوج عديلة ابنة ابراهيم بيك الكبير — وعلى بيك أيوب ، وبواقى صغار الأمراء والمماليك ... على ظن خياتتهم وقد كبر سن ابراهيم بيك الكبير ، وعجزت قواه ، ووهن جسمه .

فلما طالت عليهم الغربة ، أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة الى الباشا ... يستعطفونه ، ويسألون فضله ، ويرجون مراحمه ، بأن ينعم عليهم بالأمان على نفوسهم ، ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة الى جهة من أراضى مصر : يقيمون بها أيضا ، ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت أمانه ، ويدفعون مايجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ، ولا يتعدون مراسمه وأوامره .

فلما حضر ، وقابل الباشا وتكلم معه ، وسأله عن حالهم وشأنهم ، ومن مات ومن لم يمت منهم — وهو يخبره خبره — أمره بالانصراف الى محله الذى نزل فيه الى أن يرد عليه الجواب ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ... فأقام أياما حتى كتب له جواب رسالته . مضمونها : أنه أعطاهم الأمان على أنفسهم ، بشروط شرطها عليهم ، ان خالفوا منها شرطا واحدا ... كان أمانهم منقوضا ، وعهدهم منكوثا ، ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم .

فأول الشروط — أنهم اذا عزموا على الانتقال من المحل الذى هم فيه ، يرسلون أمامهم نجابا يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم ، ليأتيهم من أعينه لملاقاتهم .

الثانى — اذا حلوا بأرض الصعيد ، لا يأخذون من أهل النواحى كلفة ، ولا دجاجة ، ولا رغيفا واحدا ... وانما الذى يتعين لملاقاتهم يقوم لهم بما يحتاجون اليه من مؤنة وعليق ومصرف .

الثالث — أنى لا أقطعهم شيئا من الأراضى والنواحى ، ولا اقامة فى جهة من جهات أراضى مصر ... بل يأتون عندى ، وينزلون على حكمى ، ولهم مايليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف . ومن كان ذا قوة ، قلدته منصبا أو خدمة تليق به ، أو ضممته الى بعض الأكابر من رؤساء العسكر . وان كان ضعيفا أو هرما ، أجريت عليه نفقة لنفسه وعياله .

الرابع — أنهم اذا حصلوا بمصر على هذه الشروط ، وطلبوا شيئا من اقطاع أو رزقة أو قنطرة ، أو أقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى ، أو نحو ذلك — انتقض معى عهدهم ، وبطل أمانى لهم ... بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط . وهى سبعة غاب عن ذهنى باقيها . فسبحان المعز المذل ، مقلب الأحوال ، ومغير الشئون !

فمن العبر : أنه لما حضر المصريون ، ودخلوا الى مصر بعد مقتل طاهر باشا ، وتأمروا وتحكموا ... فكانت عساكر الأتراك فى خدمتهم ، ومن أرذل طوائفهم ، وعلائفهم تصرف عليهم من أيدى كتابهم وأتباعهم . وابراهيم بيك هو الأمير الكبير ، وراتب محمد على باشا ... هذا — من الخبز واللحم والأرز والسمن الذى عينه له — من كيلاره ! نعوذ بالله من سوء المنقلب .

ورجع سليم كاشف ، المرسل اليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط .

وفيه : أمر الباشا بحبس أحمد أفندى المعايرجى بدار الضرب . وحبس أيضا عبد الله بكتاش ، ناظر الضربخانة ، واحتج عليهما باختلاسات يختلسانها ، واستمرا أياما حتى قدر عليهما نحو السبعمائة كيس ، وعلى الحاج سالم الجواهرجى — وهو الذى يتعاطى ايراد الذهب والفضة الى شغل الضربخانة — مثلها . ثم أطلق المذكوران ليحصلا ما تقرر عليهما ، وكذلك أطلق الحاج سالم . وشرعوا فى التحصيل بالبيع والاستدانة ، واشتد القهر بالحاج سالم ، ومات على حين غفلة . وقيل انه ابتلع فص الماس ، وكان عليه ديون باقية من التى استدانها فى المرة الأولى ، والغرامة السابقة .

ومن النوادر الغريبة ، والاتفاقات العجيبة : أنه لما مات ابراهيم بيك المداد بالضربخانة — قبل تاريخه — تزوج بزوجته أحمد أفندى المعايرجى المذكور . فلما عوق أحمد أفندى ، خافت زوجته المذكورة أن يدهمها أمر : مثل الختم على الدار ، أو نحو ذلك ... فجمعت مصاغها ، وما تخاف عليه — مما خف حمله وثقل ثمنه — وربطته فى صرة ، وأودعتها عند امرأة من معارفها . فسطا على بيت تلك المرأة شخص حرامى ، وأخذ تلك الصرة ، وذهب بها الى دار امرأة من أقاربه ، بالقرب من جامع مسكة ، وقال لها : « احفظى عندك هذه الصرة حتى أرجع » . ونزل الى أسفل الدار ، فنادته المرأة : « اصبر حتى آتيك بشىء تأكله » ، فقال : « نعم . فانى جيعان » . وجلس أسفل الدار ينتظر اتيانها له بما يأكله .

وصادف مجىء زوج المرأة تلك الساعة ، فوجده فرحب به — وهو يعلم بحاله ، ويكره مجيئه الى داره — وطلع الى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة ، فسألها عنها ، فأخبرته أن قريبها المذكور أتى بها اليها حتى يعود لأخذها ... فجسها فوجدها ثقيلة ، فنزل فى الحال ، ودخل على محمد أفندى سليم — من أعيان جيران الخطة — فأخبره ، فأحضر محمد أفندى أنفارا من الجيران أيضا — وفيهم الخجا المنسوب الى أحمد أغا لاظ المقتول — ودخل الجميع الى الدار — وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالأكل — فوكلوا به الخدم ، وأحضروا تلك الصرة وفتحوها ، فوجدوا بها مصاغا وكيسا بداخله أنصاف فضة عديدة — ذكروا أن عدتها أربعون ألفا — ولكنها من غير ختم ، وبدون نقش السكة ... فأخذوا ذلك ، وتوجهوا لكتخدا بيك ، وصحبتهم الحرامى ، فسألوه وهددوه ، فأقر وأخبر عن المكان الذى اختلسها منه . فأحضروا صاحبة المكان ، فقالت : « هو وديعة عندى لزوجة أحمد أفندى المعايرجى » . فثبت لديهم خيانته واختلاسه .

وسئل أحمد أفندى ، فحلف أنه لا يعلم بشىء من ذلك ، وأن زوجته كانت زوجا لابراهيم المداد ... فلعل ذلك عندها من أيامه . وسئلت هى أيضا عن تحقيق ذلك ، فقالت : « الصحيح أن ابراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربى ، عند ما نهب عسكر المغاربة الضربخانة فى وقت حادثة الأمراء المصريين ، وخروجهم من مصر ... عند ما قامت عليهم عسكر

الأتراك » . فلم يزيلوا الشبهة عن أحمد أفندى ، بل زادت .

وكانت هـذه النادرة من عجـائب الاتفاق ، فقدروا أثمانها ، وخصموها من المطلوب منه .

٢٠ منه (٢٠ مارس ١٨١٦ م) :

حصلت جمعية ببيت البكرى ، وحضر المشايخ وخلافهم — وذلك بأمرباطنى من صاحب الدولة — وتذاكروا ما يفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل .

وذلك أن القضـــاة الذين يأتون من باب السلطنة ، كانت لهم عوائـد وقوانين قديمـة — لايتعدونها — فى أيـام الأمراء المصريين . فلمـا اسـتولت هـؤلاء الأروام عـلى الممـالك — والقاضى منهـم — فحش أمرهم ، وزاد طمعهم ، وابتدعوا بدعا ، وابتكروا حيـلا لسلب أمـوال النـاس والأيتـام والأرامل . وكلما ورد قاض ، ورأى ما ابتـكره الذى كان قبله ، أحدث هـو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه . حتى فحش الأمر ، وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة وكتخدا بيك ... بل والباشـا ، وصارت ذريعة وأمـرا محتمـا : لا يحتشمون منه ، ولا يراعون خليلا ولا كبيرا ولا جليلا .

وكان المعتـاد القديم : أنه اذا ورد القـاضى فى أول السنة التوتية ، التزم بالقسمة بعض المميزين من رجال المحكمة بقـدر معلوم يقـوم بدفعـه للقاضى ... وكذلك تقرير الوظائف ، كانت بالفراغ أو المحلول . وله شـهريات عـلى باقى المحاكم الخارجة : كالصالحية ، وباب سعادة ، والخرق ، وباب الشعرية ، وباب زويلة ، وباب الفتوح ، وطيلون ، وقناطر السـباع ، وبولاق ، ومصر القديمة ونحو ذلك . وله عوائد واطلاقات وغلال من الميرى ، وليس له غير ذلك الا معلوم الامضاء — وهو خمسة أنصاف فضة — فاذا احتاج الناس فى قضـاياهم ومواريثهم ، أحضروا شـاهدا من المحكمة القريبة منهم ، فيقضى فيهـا ما يقضيه ، ويعطونه أجرته ... وهو يكتب التوثيق ، أو حجة المبايعة أو التوريث ، ويجمع العدة من الأوراق فى كل جمعة أو شهر ثم يمضيها من القاضى ، ويدفع له معلوم الامضاء لا غـير . وأما القضـايا لمثل العلماء والأمراء ، فبالمسامحة والاكرام .

وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصدعون بالحق ، ولا يداهنون فيه . فلما تغيرت الأحوال ، وتحكمت الأتراك وقضاتها ... ابتدعوا بدعا شتى . منها : ابطال نواب المحاكم ، وابطـال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفى ، وأن تكون جميـع الدعاوى بين يديه ويدى نائبه ... وبعـد الانفصـال بأمرهم بالذهاب الى كتخـداه ليدفع المحصـول ، فيطلب منهم المقـادير الخارجة عن المعقول ... وذلك خـلاف الرشـوات الخفية والمصالحات السرية . وأضـاف التقرير والقسمة لنفسه ، ولا يلتزم بها أحد من الشهود كما كان فى السابق . واذا دعى بعض الشهود لكتابة توثيق أو مبايعة أو تركة ، فلا يذهب الا بعد أن يأذن له القاضى ، ويصحبه بكجوقه دار ليباشر القضية ... وله نصيب أيضا !

وزاد طمـع هؤلاء الجخدارية حتى لا يرضون بالقليـل ، كمـا كانوا فى أول الأمر ، وتخلف منهم أشخاص بمصر عن مخاديمهم ، وصاروا عنـد المتـولى لما انفتح لهم هـذا الباب . واذا ضبط تركة من التركات ، وبلغت مقـدارا ، أخرجـوا للقـاضى العشر من ذلك ، ومعـلوم الـكاتب والجـوخدار والرسـول ، ثم التجهيز والتكفين والمصرف والديون ... وما بقى بعد ذلك يقسم بين الورثة . فيتفـق أن الوارث واليتيم لا يبـقى له شيء ! ويأخـذ من أرباب الديون عشر ديونهم ،

أيضا ، ويأخذ من محاليل وظائف التقارير معلوم سنتين أو ثلاث ، وقد كان يصالح عليها بأدنى شيء ... والا اكراما .

وابتدع بعضهم الفحص عن وظائف القبانية والموازين ، وطلب تقاريرهم القديمة ، ومن أين تلقوها . وتعلل عليهم بعدم صلاحية المقرر ، وفيها من هو باسم النساء ، وليسوا أهلا لذلك ، وجمع من هذا النوع مقدارا عظيما من المال . ثم محاسبات نظار الأوقاف ، والعزل والتولية فيهم ، والمصالحات على ذلك . وقرر على نصارى الأقباط والأروام قدرا عظيما فى كل سنة ... بحجة المحاسبة على الديور والكنائس !

وما هو زائد الشناعة أيضا : أنه اذا ادعى مبطل على انسان دعوى لا أصل لها ... بأن قال : أدعى عليه بكذا وكذا ... من المال وغيره ، كتب المقيد ذلك القول — حقا كان أو باطلا ، معقولا أو غير معقول — ثم يظهر بطلان الدعوى ، أو صحة بعضها ... فيطالب الخصم بمحصول القدر الذى ادعاه المدعى ، وسطره الكاتب ... يدفعه المدعى عليه للقاضى : على دور النصف الواحد ، أو يحبس عليه حتى يوفيه . وذلك خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر !

وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجىء لكتخدا بيك ، فحبس على المحصول ، فأرسل الكتخدا يترجى فى اطلاقه ، والمصالحه عن بعضه ... فأبى . فعند ذلك حنق الكتخدا ، وأرسل من أعوانه من استخرجه من الحبس .

ومن الزيادات فى نغمة الطنبور ... كتابة الاعلامات . وهو أنه اذا حضر عند القاضى دعوى بقاصد من عند الكتخدا أو الباشا ليقضى فيها ، وقضى فيها لأحد الخصمين .. طلب المقضى له اعلاما بذلك الى الكتخدا أو الباشا يرجع به مع القاصد ... تقييدا واثباتا . فعند ذلك لا يكتب له ذلك الاعلام الا بما عسى لا يرضيه الا أن يسلخ من جلده طاقا أو طاقين ! وقد حكمت عليه الصورة ... وتابع الباشا أو الكتخدا ملازم له ، ويستعجله ، ويساعد كتخدا القاضى عليه ، ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم ... مع أن الفرنساوية ، الذين كانوا لا يتدينون بدين ، لما قلدوا الشيخ أحمد العريشى القضاء بين المسلمين بالمحكمة ... حددوا له حدا فى أخذ المحاصيل لا يتعداه ، بأن يأخذ على المائة اثنين فقط : له منها جزء ، والكتاب جزء .

فلما زاد الحال ، وتعدى الى أهل الدولة ... رتبوا هذه الجمعية . فلما تكاملوا بمجلس بيت البكرى ، كتبوا عرضا محضرا ذكروا فيه بعض هذه الاحداثات ، والتمسوا من ولى الأمر رفعها ... ويرجون من المراحم أن يجرى القاضى ويسلك فى الناس طريقا من احدى الطرق الثلاث : اما الطريقة التى كان عليها القضاة فى زمن الأمراء المصريين ، واما الطريقة التى كانت فى زمن الفرنساوية ، أو الطريقة التى كانت أيام مجىء الوزير — وهى الأقرب والأوفق — وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور . وتمموا العرض محضرا ، وأطلعوا عليه الباشا ، فأرسله الى القاضى فامتثل الأمر ، وسجل بالسجل — على مضض منه — ولم تسعه المخالفة .

جمادى الآخرة

الاثنين ١٥ منه (١٣ مايو ١٨١٦ م) :

ورد الخبر بموت مصطفى بيك دالى باشا بناحية الاسكندرية ، وهو قريب الباشا ، وأخو زوجته

رجب

الخميس ٣ منه (٣٠ مايو ١٨١٦ م) :

قبل الغروب حصل فى الناس انزعاج ولغط ،

ونقل أصحاب الحوانيت بضائعهم منها ، مثل سوق الغورية ، ومرجوش ، وخان الحمزاوى ، وخان الخليلى ... وغيرهم . ولم يظهر لذلك سبب من الأسباب ، وأصبح الناس مبهوتين ، ولغطوا بموت الباشا ، وحضر أغات الينكجرية ، وأغات التبديل الى الغورية ، وأقاما بطول النهار ، وهما يأمران الناس بالسكون وفتح الدكاكين ، وكذلك على أغا الوالى بباب زويلة .

السبت ٥ منه (اول يونية ١٨١٦ م) :

ركب الباشا ، وخرج الى قبة العزب ، وعمل رماحة وملعبا ، ورجع الى شبرا . وحضر كتخدا بيك الى سوق الغورية ، وجلس بالمدفن ، وأمر بضرب شيخ الغورية .. فبطحوه على الأرض فى وسط السوق ، وهو مرشوش بالماء ، وضربه الأتراك بعصيهم ، ثم رفعوه الى داره . ثم أمر الكتخدا بكتابة أصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم ، فشرعوا فى ذلك ، وهرب الكثير منهم ، وحبسهم فى داره .

ثم ركب الكتخدا ، ومر فى طريقه على خان الحمزاوى ، وطلب البواب . فلما مثل بين يديه ، أمر بضربه كذلك ، وضرب أيضا شيخ مرجوش . وأما طائفة خان الخليلى ، ونصارى الحمزاوى ... فلم يتعرض لهم !

شعبان

الخميس غرته (٢٧ يونيه ١٨١٦ م) :

فيه : من الحوادث أن بعض العيارين — من السراق — تعدوا على قهوة الباشا بشبرا ، وسرقوا جميع ما بالنصبة من الأوانى والبكارج والفناجين والظروف ... فأحضر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية ، وألزمه باحضار السراق والمسروق ، ولا يقبل له عذرا فى التأخير ... ولو يصالح على نفسه بخزينة أو أكثر من المال ، ولا يكون غير ذلك أبدا ، والا نكل به نكالا عظيما ... وهو المأخوذ بذلك . فترجى فى طلب المهلة ، فأمهله أياما ، وحضر بخمسة أشخاص ، وأحضروا المسروق بتمامه ... لم ينقص منه شيء . وأمر بالسراق ، فخوزقوهم فى نواحى ... متفرقين ، بعد أن قرروهم على أمثالهم ، وعرفوا عن أماكنهم ، وجمع منهم زيادة على الخمسين ، وشنق الجميع فى نواحى متفرقة بالأقاليم ، مثل : القليوبية ، والغربية ، والمنوفية .

الخميس ١٥ منه (١١ يولية ١٨١٦ — ٤ مسرى ١٥٣٢ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وفتح سد الخليج يوم السبت .

وفيه : وقع من النوادر أن امرأة ولدت مولودا برأسين وأربع أيد ، وله وجهان متقابلان ، والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الرأس ، وقيل لحد الصدر ، والبطن واحدة ، وثلاث أرجل ، واحدى الأرجل لها عشرة أصابع . فيقال انه أقام يوما وليلة حيا ... ومات . وشاهده خلق كثير ، وطلعوا به الى القلعة ، ورآه كتخدا بيك ، وكل من كان حاضرا بديوانه . فسبحان الخلاق العظيم !

رمضان

الثلاثاء ١٩ منه (١٣ اغسطس ١٨١٦ م) :

حصل فيه فى النوادر ، أن فى تاسع عشره علق شخص عسكرى غلاما من أولاد البلد ، وصار يتبعه فى الطرقات الى أن صادفه ليلة بالقرب من جامع الماس بالشارع . فقبض عليه ، وأراد الفعل به فى الطريق . فخدعه الغلام ، وقال له : « ان كان

ولا بد ، فادخل بنا فى مكان لا يرانا فيه أحـد من الناس » فدخل معه درب حلب — المعروف الآن بدرب الحمـام ، خير بك حديد — وهنـاك دور الأمراء ، التى صارت خرائب ، فحـل العسـكرى سراويله ، فقال له الغلام : « أرنى بتاعك . فلعله يكون عظيما لا أتحمله جميعه » ! وقبض عليه — وكان بيده موسى مخفية فى يده الأخرى — فقطع ذكره بتلك الموسى سريعا ، وسقط العسكرى مغشيا عليه سارخا ، وتركه الغـلام وذهب فى طريقه وحضر رفقاء ذلك العسكرى وحملوه ، وأحضروا له سليم الجرائحى ، فقطع ما بقى من مذاكيره ، وأخـذ فى معالجته ، ومداواته . ولم يمت العسكرى !

شـــوال

السبت غرته (٢٥ اغسطس ١٨١٦ م) :

وكان حقه يوم الأحـد ... وذلك أن فى أواخر رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة ، وأخبروا عن أهل دمنهـور : أنهم صاموا يـوم الخميس . فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة ، فحضر اثنان من العسـكر ، وشـهدا برؤيته ليلة الخميس . فأثبتوا بذلك هلال رمضان ، ويكون تمامه يوم الجمعة . وأخبر جماعة أيضا أنهم رأوا هلال شوال ليلة السبت ، وكان قوسه فى حساب قواعد الأهلة ، تلك الليلة ، قليلا جدا . ولم ير فى ثانى ليلة منه الا بعسر . وانما اشتبه على الرائين لأن المريخ كان مقارنا للزهرة فى برج الشمس من خلفها ، وبينهما وبين الشمس رؤيا بعدها فى شعاع الشمس ، شبه الهلال . فظن الراءون أنه الهلال ... فليتنبـه لذلك ، فان ذلك من الدقائق التى تخفى على أهل الفطانة ... فضلا عن غيرهم من العوام ، الذين يسـارعون الى افسـاد العبادات — حسبة بالظنون الكاذبة — لأجل أن يقال : شهد فلان ... ونحو ذلك .

اواخره (النصف الثانى من سبتمبر ١٨١٦ م) :

قلد الباشا شخصا من أقاربه — يسمى شريف أغا — على دواوين المبتدعات ، وضم اليه جماعة من الكتبة أيضا ، المسلمين والأقبـاط ، وجعلوا ديوانهم ببيت أبى الشوارب ، وعمروه عمارة عظيمة ، وواظبوا الجلوس فيه كل يـوم لتحرير المبتدعات ودفاتر المكوس .

ذو القعـدة

الاثنين غرته (٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م) :

فيه : انهدم جانب من السواقى التى أنشأها الباشا بشبرا على حين غفلة . وقد قوى عليها النيل فتهدمت وتكسرت أخشابها ، وسقط معها أشخاص كانـوا حولها ... فنجا منهم من نجا ، وغرق منهم من غرق وكان الباشا بقصر شبرا مقيما به وهو يرى ذلك

وانقضت السنة وأخبار بعض حوادثها ، واستمرار ماتجدد فيها من المبتدعات التى لا حصر لها

منها : الحجر على المزارع التى يزرعها الفلاحون فى الأراضى التى يدفعون خراجهـا ... من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم واذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم ، وانمـا يشتريه الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد أمناء النواحى والكشاف ، ويحملونه الى المحل الذى يؤمرون بحمله اليه ، ويعطى لهم الثمن أو يحسب لهم من أصل المال . فان احتاجوا لشىء من ذلك ، اشـتروه بالثمن الزائد المفروض ! وكذلك القمح والفول والشعير ، لا يبيعون منه شيئا لغـير طرف الباشا ... بالثمن المفروض والكيل الوافى !

ومنها : الأمر لكشاف الأقاليم بالمناداة العـامة : بالمنع لمن يأخذ أو يأكل من الفول الأخضر والحمص والحلبة ، وأن المعينين فى الخدم والمباشرين وكشاف النواحى ، لا يأخذون شيئا من الفلاحين ، كعادتهم ،

من غير ثمن ... فمن عثر عليه بأخذ شيء — ولو رغيفا أو تبنا أو من رجيع البهائم — حصل له مزيد الضرر ... ولو كان من الأعاظم . وكذلك الأمر بتكميم أفواه المواشي التي تسرح للمرعى حوالي الجسور والغيطان .

ومنها : أن نصرانيا من الأرمن التزم بقلم الأبزار التي تأتي من بلاد الصعيد ، مثل : الحبة السوداء ، والشمر ، والأنيسون ، والكمون ، والكراوية ، ونحو ذلك ... بقدر كبير من الأكياس . ويتولى هو شراءها دون غيره ، ويبيعها بالثمن الذي يفرضه ، ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخزينة — على مابلغنا — خمسمائة كيس . وكانت في أيام الأمراء المصريين عشرة أكياس لا غير . فلما تولى على وكالة دار السعادة : صالح بيك المحمدى ، زادها عشرة أكياس .

وكانت وكالة الأبزار والقطن وقفاً لمصطفى — أغا دار السعادة سابقا — على خيرات الحرمين وخلافهما . فلما كانت هذه الدولة ، تولاها شخص على مائتي كيس . وعند ذلك سعر الأبزار أضعاف الثمن الأصلي . ومن داخل الأبزار : التمر الأبريمي والسلطاني ، والخوص والمقاطف ، والسلب والليف . وبلغ سعر المقطف الذي يسع الكيلة من البر : خمسة وعشرين نصفا ، وكان يباع بنصف أو نصفين ، ان كان جيدا . وفي الجملة بأقل من ذلك .

ومنها : أن « كرابيت » معلم ديوان الكمرك ببولاق التزم بمشيخة الحمامية ، وأحدث عليها وعلى توابعها حوادث . وعلى النساء البلانات في كل جمعة قدرا من الدراهم ، وجعل لنفسه يوما في كل جمعة ، يأخذ ايراده من كل حمام .

ومنها : ما حصل في هذه السنة من شحة الصابون ، وعدم وجوده بالأسواق ومع السراحين ، وهو شيء لا يستغنى عنه الغني ولا الفقير . وذلك أن تجاره بوكالة الصابون ، زادوا في ثمنه ، محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لأهل الدولة ... فيأمر الكتخدا فيه بأمر ، ويسعره بثمن ، فيدعون الخسران وعدم الربح . وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ، ويتشكون من قلة المجلوب ... الى أن سعر رطله بستة وثلاثين نصفا . فلم يرتضوا ذلك ، وبالغوا في التشكي . فطلب قوائمهم ، وعمل حسابهم ، وزادهم خمسة أنصاف في كل رطل ، وحلف ألا يزيد على ذلك ... وهم مصممون على دعوى الخسران . فأرسل من أتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع ، وعدم الزيادة . فيأتي الى الخان في كل يوم يباشر البيع على من يشترى بذلك الثمن لأربابه ، ويمكث مقدار ساعتين من النهار ، ويغلق الحواصل ، ويرفع البيع لثاني يوم . وفي ظرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ، ولا يتمكن خلافهم من أهل البلد من أخذ شيء . وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة ... فيأخذ الرطل بقرش ، ويبيعه على غيره بقرشين .

ورفع التشكي الى كتخدا ، فأمر ببيعه عند باب زويلة في السبيلين — المواجه أحدهما للباب ، والسبيل الذي أنشأته الست نفيسة المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدي — ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه ، فلم يزدد الحال الا عسرا .

وذلك أن البائع يجلس داخل السبيل ، ويغلق عليه بابه ، ويتناول من خروق الشبابيك من المشترى الثمن ، ويناوله الصابون . فازدحمت طوائف العساكر على الشراء ، ويتعلقون بأيديهم وأرجلهم على شبابيك السبيلين ، والعامة أسفلهم لايتمكنون من أخذ شيء ، ويمنعون من يزاحمهم ... فيكون على السبيلين ضجة وصياح من الفريقين ، فلا يسع ابن البلد ، الفقير المضطر ، الا أن يشترى من

العسكرى بما أحب ... والا رجع الى منزله من غير شىء . واستمر الحال على هذا المنوال أياما .

وفى بعض الأحايين يكثر وجود الصابون بين يدى الباعة بوسط السوق ، ولا تجد عليه مزاحمة وأمام البائع كوم عظيم ، وهو ينتظر من يشترى ، وذلك فى غالب الأسواق مثل : الغورية والأشرفية وباب زويلة ، والبندقانيين ، والجهات الخارجة ، ثم يصبحون فلا يوجد منه شىء ، ويرجع الازدحام على السبيلين كالأول .

ومنها : أن الباشا أطلق المناداة فى البلدة ، وندب جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن . فان وجدوا به أو ببعضه خللا ، أمروا صاحبه بهدمه وتعميره . فان كان يعجز عن ذلك ، فيؤمر بالخروج منها واخلائها ، ويعاد بناؤها على طرف الميرى ، وتصير من حقوق الدولة !

وسبب هذه النكتة : أنه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات ، ومات تحت ردمها ثلاثة أشخاص من سكانها . فأمر بالمناداة ، وأرسل المهندسين والأمر بما ذكر . فنزل بأهالى البلد من الكرب أمر عظيم ، مع ما هم فيه من الإفلاس ، وقطع الأيراد ، وغلو الأسعار .

على أن من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء ، لايجد من أدواته شيئا ... بحسب التحجير الواقع على أرباب الأشغال واستعمال الجميع فى عمائر الباشا وأكابر الدولة ... حتى ان الانسان اذا احتاج لبناء كانون لايجد من يبنيه ! ولا يقدر على تحصيل صانع ، أو فاعل ، أو أخذ شىء من رماد الحمام ... الا بفرمان . ومن حصل شيئا من ذلك — على طريق السرقة — فى غفلة ، وعثر عليه ... نكلوا به ، وبرئيس الحمام . وحمير الباشا — وهى أزيد من ألفى حمار — تنقل بالمزابل والسرقانيات ، طول النهار ، ما يوجد بالحمامات من الرماد ، وتنقل أيضا الطوب والدبش والأتربة وأنقاض البيوت المتهدمة لمحل العمائر بالقلعة ، وغيرها . فترى الأسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة .

واذا هدم انسان داره ، التى أمروه بهدمها ، وصل اليه فى الحال قطار من الحمير لأخذ الطوب الذى يتساقط ... الا أن يكون من أهل القدرة على منعهم . وربما كانت هذه الأوامر حيلة على أخذ الأنقاض . وأما الأتربة فتبقى بحالها — حتى فى طرق المارة — للعجز عن نقلها . فترى غالب الطرق والنواحى مردومة بالأتربة .

وأما الهدم ، ونقل الأنقاض من البيوت الكبار ، والدور الواسعة ، التى كانت مساكن الأمراء المصريين بكل ناحية — وخصوصا بركة الفيل ، وجهة الحبانية — فهو مستمر ، حتى بقيت خرائب خربة ، ودعائم قائمة ، وكيمانا هائلة ، واختلطت بها الطرق ، وأصبحت موحشة ... ولا مأوى بها حتى للبوم ! بعد أن كانت مراتع غزلان . فكنت كلما رأيتها أتذكر قول القائل :

هذى منازل أقوام عهدتهم
في خفض عيش نعيم ما له خطر
صاحت بهم نوب الأيام فارتحلوا
الى القبور فلا عين ولا أثر

وكذلك بولاق ، التى كانت منتزه الأحباب والرفاق ، فانه تسلط عليها كل من سليمان أغا السلحدار واسماعيل باشا ... فى الهدم ، وأخذ أنقاض الأبنية لأبنيتهم ببر انبابة ، والجزيرة الوسطى بين انبابة وبولاق . فان سليمان أغا أنشأ بستانا كبيرا ببر انبابة ، وسوره وبنى به قصرا وسواقى ، وأخذ يهدم أبنية بولاق ، من الوكائل والدور ، وينقل أحجارها وأنقاضها فى المراكب ، ليلا ونهارا ، الى البر الآخر . واسماعيل باشا كذلك

أنشأ بستانا وقصرا بالجزيرة ، وشرع أيضا فى اتساع سرايته ومحل سكنه ببولاق ، وأخذ الدور والمساكن ، والوكائل ... من حد الشون القديم الى آخر وكالة الأبزار العظيمة طولا فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع ، وينقلون الأنقاض الى محل البناء .

وكذلك ولى خوجة شرع فى بناء قصر بالروضة ببستان . فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة ، وينقل أنقاضه لبنائه ، وهلك قبل اتمامه !

وأما نصارى الأرمن — وما أدراك ما الأرمن ! — الذين هم أخصاء الدولة الآن ، فانهم أنشأوا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يهدمون أيضا وينقلون لأبنيتهم ماشاءوا ، ولا حرج عليهم ، وانما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين ، من أهل البلدة فقط !

ومنها : أن الباشا أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر ... بالأقاليم ، يسمونها القشلات ، بكل جهة من أقاليم الأرياف ، لسكن العساكر المقيمين بالنواحى ، لتضررهم من الاقامة الطويلة بالخيام ، فى الحر والبرد ، واحتياج الخيام فى كل حين الى تجديد وترقيع ، وكثير خدمة . وهى جمع قشلة — بكسر القاف وسكون الشين — وهى فى اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء فى لغتهم يسمى «قش» — بكسر القاف وسكون الشين — فكتب مراسيم الى النواحى بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللبن ، ثم حرقه وحمله الى محل البناء . وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا ، وعددا معينا . فيفرض على القرية مثلا : خمسمائة ألف لبنة وأكثر ... بحسب كبر القرية وصغرها فيجمع كاشف الناحية مشايخ القرى ، ثم يفرض على كل شيخ قدرا وعددا من اللبن : عشرين ألفا ، أو ثلاثين ألفا ، أو أكثر ، أو أقل . ويلزم بضربها وحرقها ورفعها ، وأجلهم مدة ثلاثين يوما وفرضوا على كل قرية أيضا مقادير من أفلاق النخل ، ومقادير من الجريد ... ثم فرضوا عليهم أيضا أشخاصا من الرجال لمحل الأشغال والعمائر ، يستعملونهم فى فعالة نقل أدوات العمارة فى النواحى ، حتى الاسكندرية وخلافها ولهم أجرة أعمالهم ، فى كل يوم ، لكل شخص سبعة أنصاف فضة لاغير ، ولمن يعمل اللبن أجرة أيضا ، ولثمن الأفلاق والجريد قدر معلوم ، لكنه قليل

ومنها : أنه توجه الأمر لكشاف النواحى ، عند انكشاف الماء عن الأراضى ، بأن يتقدموا الى الفلاحين : بأن من كان زارعا فى العام الماضى فدانى كتان ، أو حمص ، أو سمسم ، أو قطن ... فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ضعف ما تقدم لأن المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الأشياء لما حصل لهم من أخذ ثمرات متاعهم وزراعاتهم ، التى دفعوا خراجها الزائد ، بدون القيمة التى كانوا يبيعون بها ... مع قلة الخراج الذى كانوا يماطلون فيه الملتزمين السابقين ، مع التظلم ، والتشكى . فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتروكة فى مخزنه ، ثم يبيع الفدان من الكتان الأخضر فى غيطه ، ان كان مستعجلا ، بالثمن الكثير ... والا أبقاه الى تمام صلاحه ، فيجمعه ويدقه ويبيع ما يبيعه من البزر ، خاصة ، بأغلى ثمن ، ثم يتمم خدمته ، من التعطين والنشر والتمحير ... الى أن يصفى ، وينظف من أدرانه وخشوناته ، وينصلح للغزل والنسج ، فيباع حينئذ بالأوقية والرطل . وكذا القطن والنيلة والعصفر .

فلما وقع عليهم التحجير ، وحرموا من المكاسب ، التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم ، باقتناء المواشى والحلى للنساء ، قالوا : ما عدنا نزرع هذه الأشياء . وظنوا أن يتركوا على هواهم ،

ونسوا مكر أوليائهم ، فنزل عليهم الأمر والالزام ، بزرع الضعف ... فضجوا ، وترجوا واستشفعوا ، ورضوا بمقدار العام الماضى ، فمنهم من سومح ، ومنهم من لم يسامح ... وهو ذو المقدرة .

وبعد اتمامه وكمال صلاحه ، يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى ، ويباع لمن يشترى ، من أربابه أو خلافهم ، بالثمن المقدر . وربح زيادته لطرف حضرة الباشا ... مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس . فمن عثروا عليه باختلاس شىء ، ولو قليلا ، عوقب عقابا شديدا ليرتدع خلافه . والكتبة والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه فى تنقلات أطواره ، وعند تسليم الصناع .

وتنج من ذلك وأثمر عزة الأشياء ، وغلو الأسعار على الناس ، منها : أن المقطع القماش ، الذى كان ثمنه ثلاثين نصفا ، بلغ سعره عشرة قروش ... مع عزة وجدانه بالأسواق المعدة لبيعه ، مثل : سوق مرجوش وخلافه ... خلا الطوافين به . والثوب البطانة ، الذى كان ثمنه قرشين ، بلغ ثمنه سبعة قروش ، وأدركناه فى الأزمان السابقة يباع بعشرين نصفا . وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوى أربعة عشر قرشا ، وكان يباع — فيما أدركنا — بدكان التاجر بستين نصفا ... وقس على ذلك !

وبسبب التحجير على النيلة ، غلا صبغ ثياب الفقراء ، حتى بلغ صبغ الذراع الواحد ، نصف قرش ... والله يلطف بحال خلقه . وما دام «توزون» له امرأة مطاعة فالميل فى الجمر !

ومنها : استمر التحجير على الأرز ومزارعه ، على مثل هذا النسق ، بحيث أن الزراعين له التعبانين فيه ، لا يمكنون من أخذ حبة منه ، فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا ، بما قدره من الثمن ، ثم يخدم ويضرب ويبيض فى المداوير والمدقات ، والمناشر ، بأجرة العمال على طرفه ، ثم يباع بالثمن المفروض .

واتفق أن شخصا من أبناء البلد ، يسمى حسين جلبى عجوة ، ابتكر بفكره صورة دائرة ، وهى التى يدقون بها الأرز ، وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بأسهل طريقة ... بحيث أن الآلة المتادة اذا كانت تدور بأربعة أثوار ، فيدير هذه ثوران . وقدم ذلك المثال الى الباشا ، فأعجبه ، وأنعم عليه بدراهم ، وأمره بالمسير الى دمياط ، ويبنى بها دائرة ويهندسها برأيه ، ومعرفته . وأعطاه مرسوما بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصرف ... ففعل ، وصح قوله ... ثم فعل أخرى برشيد ، وراج أمره ، بسبب ذلك .

ومنها : أن الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبى هذا ، قال : « ان فى أولاد مصر نجابة ، وقابلية للمعارف » . فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ، ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ، ومماليك الباشا ، وجعل معلمهم حسن أفندى — المعروف بالدوريش الموصلى — يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة ، وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات ، واستخراج المجهولات ... مع مشاركة شخص رومى ، يقال له : روح الدين أفندى ... بل وأشخاصا من الافرنج . وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الانكليز ، يأخذون بها الأبعاد ، والارتفاعات ، والمساحة . ورتب لهم شهريات . وكساوى فى السنة .

واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب ، وسموه مهندس خانة ، فى كل يوم من الصباح الى بعد الظهيرة ، ثم ينزلون الى بيوتهم ، ويخرجون فى بعض الأيام الى الخلاء ، لتعليم مساحات الأراضى وقياساتها بالأقصاب ... وهو الغرض المقصود للباشا !

ومنها : استمرار الانشاء فى السفن الكبار والصغار ، لنقل الغلال من قبلى وبحرى لناحية الاسكندرية ، لتباع على الافرنج ... من سائر أصناف الحبوب . فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية ، وتأتى الى ساحل بولاق ، ومصر القديمة ، فيصبونها كيمانا هائلة ، عظيمة ، صاعدة فى الهواء . فتصل المراكب البحرية لنقلها ، فتصبح ولا يبقى شىء منها . ويأتى غيرها ، وتعود كما كانت بالأمس ... ومثل ذلك بساحل رشيد . وأما الحبوب البحرية فانها لا تأتى الى هذه السواحل ، بل تذهب من سواحلها الى حيث هى برشيد ، ثم الى الاسكندرية .

ولما بطل البغاز ، جمعوا الحمير الكثيرة والجمال ، ينقلون عليها على طريق البر بالأجرة القليلة ، فكانت تموت ، من قلة العلف ، ومشقة الطريق ، وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب الى بلاد الافرنج بالثمن ، عن كل أردب من البر ستة آلاف فضة .

وأما الفول والشعير ، والحلبة والذرة ، وغيرها من الحبوب والأدهان فأسعارها مختلفة ، ويعوض بالبضائع والنقود من الفرانسة ، معبأة فى صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير الى الخزينة — وهى مصفحة بالحديد — يمرون بها قطارات الى القلعة .

وعند قلة الغلال ، ومضى وقت الحصاد ، يتقدم الى كشاف النواحى القبلية والبحرية ، بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى ، فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد ، من القمح والفول والذرة ، ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين ، وهم أيضا يعملون بفلاحى بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ، ويأخذون الأقوات المدخرة للعيال ، وذلك بالثمن : عن كل أردب من البر ثمانية ريال ، يعطى له نصفها ، ويبقى له النصف الثانى ليحسب له من أصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل .

ومنها : أن الباشا سنح له أن ينشىء بالمحل المعروف برأس الوادى ، بشرقية بلبيس ، سواقى وعمارات ومزارع وأشجار توت وزيتون . فذهب هناك ، وكشف عن أراضيه ، فوجدها متسعة ، وخالية من المزارع ... وهى أراضى رمال وأودية — فوكل أناسا لاصلاحها وتمهيدها ، وأن يحفروا بها جملة من السواقى ، تزيد عن الألف ساقية ، ويبنوا أبنية ومساكن ، ويزرعوا أشجار التوت لتربية دود القز ، وأشجارا كثيرة من الزيتون لعمل الصابون .

وشرعوا فى العمل والحفر والبناء ، وفى انشاء توابيت خشب للسواقى ، تصنع ببيت الجبجى بالتبانة ، وتحمل على الجمال الى رأس الوادى ، شيئا بعد شىء ، وأمر أيضا ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية ، وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه ، مثل الذى يصنع ببلاد الشام ، وتوكل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين ، وعمل به أحواضا كبيرة للزيت والقلى .

ومن المتجددات أيضا : محل بخطة تحت الربع ، يعمل به وتسبك أوانى ودسوت من النحاس ، فى غاية الكبر والعظم .

ومنها : شغل البارود ، وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة ، بالقرب من المقياس ، بعد أن يستخرجوه من كيمان السباخ ، فى أحواض مبنية ومخفقة ، ثم يكررونه بالطبخ ، حتى يكون ملحه غاية فى البياض والحدة ، كالذى يجلب من بلاد الانكليز والمتقيد كبيرا على صناعه شخص أفرنكى ، ولهم معاليم تصرف فى كل شهر ، ومكان أيضا بالقلعة عند باب الينكجرية ، لسبك المدافع ، وعملها ، وقياساتها ، وهندستها ... والبنبات ، وارتفاعها

ومقاديرها ، وسمى ذلك المكان « الظبخانة » وعليه رئيس وكتبة ، وصناع ، ولهم شهريات .

ومنها : شدة رغبة الباشا فى تحصيل الأموال والزيادة من ذلك من أى طريق بعد استيلائه على البلاد ، والاقطاعات ، والرزق الأحباسية ، وابطال الفراغ ، والبيع ، والشراء ، والمحلول عن الموتى من ذلك ، والعلوفات، وغلال الأنبار ، ونحوذلك . فكل من مات عن حصته أو رزقته أو مرتب ، انحل بموته ما كان على اسمه ، وضبط ، وأضيف الى ديوانه ... ولو له أولاد ، أو كان هو كتبه باسم أولاده ، وماتت أولاده قبله ، انحل عنه ، وأصبح هو وأولاده من غير شيء . فان أعرض حاله على الباشا ، أمر بالكشف عن ايراده ، فان وجدوا بالدفاتر جهة أو وظيفة أخرى ، قيل له : هذه تكفيك . وان لم يوجد فى حوزه خلافها ، أمر له بشيء يستغله من أقلام المكوس : اما قرش ، أو نصف قرش فى كل يوم ، أو نحو ذلك .

هذا مع التفاته ورغبته فى أنواع التجارات والشركات ، وانشاء السفن ببحر الروم والقلزم . وأقام له وكلاء بسائر الأساكل ، حتى ببلاد فرانسة والانكليز ، ومالطة، وأزمير ، وتونس، والنابلطان والونديك والبنادقة ، واليمن والهند ، وأعطى أناسا جملا عظيمة من أموال يسافرون بها ، ويجلبون البضائع ، وجعل لهم الثلث فى الربح ، فى نظير سفرهم ، وخدمتهم . فمن ذلك أنه أعطى للرئيس حسن المحروقى خمسمائة ألف فرانسة يسافر بها الى الهند ويشترى البضائع الهندية ، ويأتى بها الى مصر ، ولشخص نصرانى أيضا ستمائة ألف فرانسة . وكذلك لمن يذهب الى بيروت، وبلاد الشام لمشترى القز والحرير ، وغير ذلك .

وعمل بمصر أماكن ومصانع لنسج القطانى ، التى يتخذها الناس فى ملابسهم من القطن والحرير، وكذلك الجنفس والصندل . واحتكر ذلك بأجمعه ، وأبطل دواليب الصناع لذلك ومعلميهم ، وأقامهم يشتغلون ، وينسجون فى المناسج التى أحدثها بالأجرة ، وأبطل مكاسبهم أيضا وطرائقهم التى كانوا عليها . فيأخذ من ذلك مايحتاجه فى اليلكات والكساوى ، وما زاد يرميه على التجار ، وهم يبيعونه على الناس بأغلى ثمن ، وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفا ، بعد أن كان يباع بنصفين .

ومنها : أنه أبطل ديوان المنجرة ، وهى عبارة عما يؤخذ من المعاشات ، وهى المراكب التى تغدو وتروح لموارد الأرياف مثل : شبيين الكوم ، وسمنود والبلادالبحرية ، وعليها ضرائب وفرائض للملتزم بذلك ، وهو شخص يسمى : على الجزار .

وسبب ذلك أن معظم المراكب التى تصعد ببحر النيل وتنحدر من انشاء الباشا ، ولم يبق لغيره الا القليل جدا . والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر على الدوام ، والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالأجرة ، وعمارة خللها وأحبالها ، وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة ، ولذلك مباشرون وكتاب وأمناء يكتبون ، ويقيدون الصادر والوارد . وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الأخشاب الكثيرة والمتنوعة ، وما يصلح للعمائر والمراكب ، ويأتى اليها المجلوب من البلاد الرومية ، والشامية . فاذا ورد شيء من أنواع الأخشاب سمحوا للخشابة بشيء يسير منها ، بالثمن الزائد ، ورفع الباقى الى الترسخانة . وجميع الأخشاب الواردة والأحطاب جميعها فى متاجر الباشا ، وليس لتجارها الا ماكان من داخل متاجره ، وهو القليل .

ومن النوادر : أنه وصل من بلاد الانكليز سواقى بآلات الحديد تدور بالماء ، فلم يستقم لها دوران على بحر النيل .

ومنها : أنه أنشأ جسرا ممتدا من ناحية قنطرة الليمون — على يمنة السالك الى طريق بولاق —

متصلا الى شبرا على خط مستقيم . وزرعوا حافتيه أشجار التوت ، وعلى هذا النسق جسور بطرق الأرياف والأقاليم .

ومنها : أن اللحم قل وجوده من أول شهر رجب الى غاية السنة ، وغلا سعره مع رداءته وهزاله ... حتى بيع الرطل بعشرين نصفا ، وأزيد وأقل ، مع ما فيه من العظام وأجزاء السقط والشغت . وسبب ذلك رواتب الدولة ، وأخذها بالثمن القليل ، فيستعوض الجزارون خسارتهم من الناس . وكان البعض من العسكر يشترى الأغنام ويذبحها ، ويبيعها بالثمن الغالى ، وينقص الوزن ، ولا يقدر ابن البلد على مراجعته .

ومنها : أن ابراهيم آغا — الذى كان كتخدا ابراهيم باشا — قلده الباشا كشوفية المنوفية ، فمن أفاعيله : أنه يطلب مشايخ البلدة أو القرية ، فيسأل الشخص منهم على من شيخه فيقول : « أستاذ البلدة » . فيقول له : « فى أى وقت ؟ » ، فيقول : « سنة كذا » . فيقول : « وما الذى قدمته له فى شياختك ؟ » . ويهدده أو يحبسه على الانكار ، أو يخبر من بادىء الأمر ، ويقول : « أعطيته كذا وكذا » . اما دراهم ، أو أغناما ، فيأمر الكاتب بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم ، ويسطر بذلك دفترا وأرسله الى الديوان ليخصم على الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان . فيتفق أن المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له فيطالب بالباقى أو يخصم عليه من السنة القابلة !

ومنها : التحجير على القصب الفارسى ، فلا يتمكن أحد من شراء شىء منه — ولو قصبة واحدة — الا بمرسوم من كتخدا بيك . فمن احتاج منه فى عمارة أو شباك ، أو لدوارات الحرير ، أو أقصاب الدخان ، أخذ فرمانا بقدر احتياجه ، واحتاج الى وسايط ومعالجات واحتجاجات حتى يظفر بمطلوبه .

ومنها : — وهى من محاسن الأفعال — أن الباشا أعمل همته فى اعادة السد الأعظم الممتد الموصل الى الاسكندرية ، وقد كان اتسع أمره وتخرب من مدة سنين ، وزحف منه ماء البحر المالح ، وأتلف أراضى كثيرة ، وخربت منه قرى ومزارع ، وتعطلت بسببه الطرق والمسالك ، وعجزت الدول فى أمره ، ولم يزل يتزايد فى التهور وزحف المياه المالحة على الأراضى حتى وصلت الى خليج الأشرفية — التى يمتلىء منها صهاريج الثغر — فكانوا يجسرون عليه بالأتربة والطين ، فلما اعتنى الباشا بتعمير الاسكندرية ، وتشييد أركانها وأبراجها وتحصينها ولم تزل بها العمارات ، اعتنى أيضا بأمر الجسر ، وأرسل اليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة والنجارين والبنائين والمسامير وآلات الحديد والأحجار والمؤن والأخشاب العظيمة ، والبهوم والبراطيم حتى تممه وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان فلو وفقه الله بشىء من العدالة — على مافيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة — لكان أعجوبة زمانه ، وفريد أوانه

وأما أمر العاملة ، فلم يزل حالها فى التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسة الى تسعة قروش ، وهو أربعة أمثال الريال المتعارف ولما بطل ضرب القروش من العام الماضى ، ضربوا بدلها أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها ، وتصرف بالفرط والأنصاف العادية لا وجود لها بأيدى الناس ... الا ما قل جدا . فاذا أراد انسان منها ، دفع فى ابدالها عشرة قروش : عنها أربعمائة نصف فضة زيادة على المبدل ان كان ذهبا أو فرانسة أو قروشا ووصل صرف البندقى الى ثمانمائة نصف ، والمحر ثمانية عشر قرشا ، والمحبوب المصرى الى أربعمائة ، والاسلامبولى الى أربعمائة وثمانين ... كل ذلك أسماء لا مسميات لانعدام الانصاف ، مع أنه يضرب منها المقادير والقناطير ، يأخذها التجار الشاميون

والروميون بالفرط ، ثم يرسلونها متاجر بدلا عن البضائع ، لأن الريال فى تلك البلاد صرفه ثلثمائة نصف فقط . فيكون فيه من الربح ستون نصفا فى كل ريال .

ولما علم الباشا ذلك . جعل يرسل لوكلائه بالشام فى كل شهر ألف كيس من الفضة العددية ويأتيه بدلها فرانسة ، فيضيف عليها ثلاثة أمثالها نحاسا ، ويضربها فضة عددية فيربح فيها ربحا — بدون جاء (أى بدون ربا) — عظيما ، وهكذا من هذا الباب فقط .

ومن حوادث السنة الآفاقية : واقعة الانكليز مع أهل الجزائر ، وهو أن لأهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات فى البحر ، ويغزون مراكب الافرنج ، ويغتنمون منها غنائم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم من أسارى الانكليز وغيرهم شىء كثير ، ومينتهم حصينة يدور بها سور خارج فى البحر كنصف الدائرة فى غاية الضخامة والمتانة ، ذو أبراج مشحونة بالمدافع والقنابر والمرابطين والمحاربين ، ومراكبهم من داخله ، فوصل اليهم بعض مراكب الانكليز ، ومعهم مرسوم من السلطان العثمانى . ليفتدوا أساراهم بمال ، فأعطوهم ما يزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسا ، ورجعوا من حيث أتوا .

وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن الى خارج المينا ، رافعين أعلام السلم والصلح . فعبروا داخل المينا من غير ممانع ، ونزل منهم أنفار فى فلوكة ، وبيدهم مرسوم بطلب باقى الأسرى ، فامتنع حاكمهم من ذلك ، وترددوا فى المخاطبات ، وفى أثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم ، وشلنبات — وهى المراكب الصغار المعدة للحرب — وعبروا مع مساعدة الريح الى المينا ، وأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر مع المضاربة أيضا من أهل المدينة ، مع تأخر استعدادهم ، وسرعة استعداد الخصم ، ومدافع الأبراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المتسفلة — وهم لا يخطئون . ثم هم فى شدة الغارة والحرب ، اذ قيل للحاكم بأن عساكره الأتراك تركوا المحاربة ، واشتغلوا بنهب البلدة ، واحراق الدور ، فسقط فى يده ، واحتار فى أمره .. ما بين قتال العدو الواصل ، أو قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والاحراق والفساد — وهذا شأنهم — فلم يسعه الا خفض الأعلام ، وطلب الأمان من الانكليز ، فعند ذلك أبطلوا الحرب ، وكفوا عن الضراب .

وترددوا فى الصلح على شرائطهم .. التى منها : تسليم بواقى الأسرى ، واسترداد المال الذى سلموه فى الفداء السابق حالا من غير مهلة . فكان ذلك ، وتسلموا الأسرى .

وفيهم من كان صغيرا وأسلم وقرأ القرآن واتفقوا على المتاركة والمهلة زمنا مقداره ستة أشهر ، ورجعوا الى بلادهم بالظفر والأسرى .

والأمر لله وحده !

ثم ان الجزائرلية اجتهدوا فى تعمير ماتهدم وتخرب من السور والأبراج والجامع فى الحرب ، وكذلك ما أخربه عساكرهم ، الذين هم أعدى من الأعداء — وأضر ما يكون على الاسلام وأهله . وسارت الأخبار بذلك فى الآفاق ، وأمدهم سلطان المغرب مولاى سليمان ، وبعث اليهم مراكب عوضا عن الذى تلف من مراكبهم ، فأرسل اليهم معمرين وأدوات ولوازم عمارات ، وكذلك حاكم تونس وغيرها ، ومن السلطان العثمانى أيضا .

ولم يتفق فيما نعلم لأهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ، ولا أشنع منها . وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة ، وهو يوم عيد الفطر ، وكان عيدا عليهم فى غاية الشناعة ...

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ...

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

مات الشيخ الفهامة ، والنحرير العلامة ، الفقيه النحوى الأصولى .. ابراهيم البسيونى البجيرمى الشافعى . وهو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمى.. الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد .

حضر جل الأشياخ المتقدمين ، وهو فى عداد الطبقة الأولى ، ودرس وأفاد ، وانتفع به الطلبة ... بل غالب الناس .

كان طارحا للتكلف ، متقشفا مع التواضع والانكسار ، ملازما على العبادة ، مستحضرا للفروع الفقهية والمعقولية ، والمناسبات الشعرية ، والشواهد النحوية والأدبية .. جيد الحافظة ، لا تمل مجالسته ومؤانسته . ولم يزل على حالته وافادته ، وانجماعه وعفته ، حتى تمرض وتوفى يوم السبت ، منتصف المحرم من السنة ، عن نحو الخمسة وسبعين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل . رحمه الله تعالى وايانا .

* * *

ومات الشيخ العلامة ، الأصولى ، الفقيه النحوى : على الحصاوى الشافعى ... نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة .

حضر الى الجامع الأزهر صغيرا ، وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياخ : كالشيخ على العدوى المنسفيسى الشهير بالصعيدى ، والشيخ عبد الرحمن النحريرى الشهير بالمقرى . ولازم الشيخ سليمان الجمل ، وبه تخرج . وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوى مصطلح الحديث . وكان يحفظ جمع الجوامع ، مع شرحه للجلال المحلى فى الأصول ، ومختصر السعد ، ويقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة .

وكان انسانا حسنا مهذبا متواضعا ، ولا يرى لنفسه مقاما ... عاش معانقا للخمول فى جهد وقلة من العيش ، مع العفة وعدم التطلع لغيره ، صابرا على مناكدة زوجته . وبأخرة أصيب فى شقه بداء الفالج انقطع بسببه أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيرا مع سلامة حواسه ، وعاد الى الاقراء والافادة .

ولم يزل على حسن حاله ، ورضاه وانشراح صدره ، وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين الى أن توفى فى شهر جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف . رحمه الله وايانا .

* * *

ومات الشيخ العلامة ، والنحرير الفهامة : السيد أحمد بن محمد بن إسماعيل ، من ذرية السيد محمد الدوقاطى الطهطاوى الحنفى .

والده رومى حضر الى أرض مصر متقلدا القضاء بطهطا — بلدة بالقرب من أسيوط بالصعيد الأدنى — فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم ، وأخوه السيد اسماعيل . ولم يزل مستوطنا بها الى أن مات وترك ولديه المذكورين وأختا لهما .

حضر المترجم الى مصر فى سنة احدى وثمانين ومائة وألف — وكان قد بدا نبات لحيته — بعدما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئا من النحو ، فدخل الأزهر ولازم الحضور فى الفقه على الشيخ أحمد

الحماقى ، والمقدسى ، والحريرى ، والشيخ مصطفى الطائى ، والشيخ عبد الرحمن العريشى ... حضر عليه من أول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع ، وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن آمر على بيك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف . فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد ، فأجابهم لذلك . فكانوا يأتون للتلقى عنه فى المنزل ، والمترجم معهم .

وفى أثناء ذلك قرأت مع المترجم على الوالد متن نور الايضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس وتخلف المترجم ... وذلك لعلو السند ، فان الوالد تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جد الوالد ، عن المؤلف . وجد الوالد والمؤلف يسميان « بحسن »، فهو من عجيب الاتفاق .

وكان المترجم يلائم طبع الفقير فى الصحبة ، فكنت معه فى غالب الأوقات ، اما فى الجامع أو فى المنزل ، للطافة طبعه ، وقرب سنى من سنه . وكان الوالد يرى ذلك ، ويسألنى عنه اذا تخلف فى بعض الأحيان ، ويقول : « أين رفيقك الصعيدى ؟ » . فكان يعيد معى ويفهمنى ما يصعب على فهمه . ولم يزل يدأب فى الاشتغال والطلب ، مع جودة ذهنه ، وخلو باله وتفرغه ... والفقير بخلاف ذلك (١) .

وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوى ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ عبد العليم الفيومى ... ثلاثتهم عن الشيخ على العدوى المنسفيسى ، عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور .

ولما ترشح للافادة والتدريس — وكان مسكنه بناحية الصليبة — جلس للاقراء بالمدرسة الشيخونية والصرغتمشية ، واحتف به سكان تلك الناحية وأكابرهم ، واعتنوا بشأنه ، وأسكنوه فى دار تليق به ، وهادوه ، وواسوه ، وأكرموه .

وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها . وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم ، وأصله من جنس الأتراك ، وخلو تلك النواحى من أهل العلم — وخصوصا الأحناف — وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الافادة ... مع شرف النفس ، والتباعد عما يخل بالمروءة — الا ما يأتيه عفوا — فازدادت محبتهم له ، ووثقوا فيما يقضيه .

ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وايرادهما ، واستخلاص أماكنهما ، وشرع فى تعميرهما . وساعده على ذلك كل من كان يحب الاصلاح ، فجدد عمارة المسجد والتكية ، وأنشأ بها صهريجا. وفى أثناء ذلك انتقل بأهله الى دار مليحة بجوار المسجد — بالدرب المعروف بدرب الميضأة — وقفها بانيها على المسجد .

كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور الى الأزهر فى كل يوم ، ويقرأ درسه أيضا بالجامع . ولما كثرت جماعته ، انتقل الى المدرسة العينية بالقرب من الأزهر .

ولما عمر محمد أفندى الودنلى الجامع المجاور لمنزله ، تجاه القنطرة المعروفة بعمارشاه ، والمكتب ... قرر المترجم فى درس الحديث بها فى كل يوم بعد العصر ، وقرر له عشرة من الطلبة ، ورتب للشيخ والطلبة معلوما وافرا يقبض من الديوان .

ولما مات الشيخ ابراهيم الحريرى ، تعين المترجم لمشيخة الحنفية ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستمر الى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا ، وكتبوا فى شأنه عرضحالا الى الدولة ، نسبوا اليه فيه أشياء لم تحصل منه ، وطلبوا الشهادة فيها ... فامتنع . فشنعوا عليه ، وبالغوا فى

(١) يعنى نفسه .

الحط عليه ، وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسين المنصورى . فلما مات المذكور ، أعيد المترجم الى مشيخة الحنفية — وذلك فى غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين — ولبس الخلع من الشيخ الشنوانى ، شيخ الجامع ، ثم من الباشا ، وباقى المشايخ أرباب المظاهر ، ولم يختلف عليه اثنان .

وفى هذه السنة استأذن الفقير فى بناء مقبرة يدفن فيها اذا مات ، بجوار الشيخ أبى جعفر الطحاوى بالقرافة ، لكونى ناظرا عليها . فأذنت له فى ذلك ، فبنى له قبرا بجانب مقام الأستاذ . ولما توفى دفن فيه .

وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب ، خامس عشر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف . وله من المآثر حاشية على الدر المختار : شرح تنوير الأبصار فى أربعة مجلدات ، جمع فيها المواد التى على الكتاب ، وضم اليها غيرها .

* * *

ومات النجيب الأريب ، والنادرة العجيب ... أعجوبة الزمان ، وبهجة الخلان : حسن افندى — المعروف بالدرويش الموصلى ، كما أخبر عن نفسه — الذكى الألمعى ، والسميذع اللوذعى .

كان انسانا عجيبا فى نفسه ، مميزا شهيرا فى مصره . طاف البلاد والنواحى ، وجال فى الممالك والضواحى ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزى لكل قبيل ، ويخالط كل جيل : فمرة ينتسب الى فارس ، وأخرى الى بنى مكانس ، فكأنه المعنى بما قيل :

طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن
وان رأيت معديا فعدنانى

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جنان ، والمشاركة فى كل فن من الرياضيات والأدبيات ... حتى يظن سامعه أنه مجيد فى ذلك الفن ، منفرد به . وليس الأمر كذلك ، وانما ذلك بقوة الفهم والحفظ ، وما فيه من القابلية ، فيستغنى بذلك عن التلقى من الأشياخ .

وأيضا فقد انقرض أهل الفنون ، فيحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه فى ألفاظ ينمقها ويحسنها ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة ، وأشياخا وحكما يقل الاطلاع عليها والوصول اليها . ولمعرفته باللغات خالط كل ملة حتى يظن أهل كل ملة أنه واحد منهم ، ويحفظ كثيرا من الشبه والمدركات العقلية والبراهين الفلسفية .

وأهمل الواجبات الشرعية والفرائض القطعية ... وربما قلد كلام الملحدين وشكوك المارقين ، ويزلق لسانه فى بعض المجالس بغلطات من ذلك ووساوس . فلذلك طعن الناس عليه فى الدين ، وأخرجوه عن اعتقاد المسلمين ، وساءت فيه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرحوا بعد موته بما كانوا يخفونه فى حياته لاتقاء شره وسطواته .

وكان له تداخل عجيب فى الأعيان ، ومع كل أهل دولة وزمان ، ورؤساء الكتبة والمباشرين من الأقباط والمسلمين ... بالمعزة الزائدة ، واستجلاب الفائدة . لا تمل مجالسته ولا معاشرته .

وبآخرة لما رغب الباشا فى انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة ، تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب ، وذلك أنه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ، ورتب له خروجا وشهرية ، ونجب تحت يده بعض المماليك فى معرفة الحسابيات ونحوها .

وأعجب الباشا ذلك ، فذاكره وحسن له بأن يفرد مكانا للتعليم ، ويضم الى مماليكه من يريد

التعليم من أولاد الناس . فأمر بانشاء ذلك المكتب، وحضر اليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الانجليز وغيرهم .

واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم . ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة فى آخر السنة . فكان يسعى فى تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين أقرانه ، ويواسى من يستحق المواساة ، ويشترى لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم الى القلعة ... فيجتمعون للتعليم فى كل يوم من الصباح الى بعد الظهر .

وأضيف اليه آخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون أعجميا لا يعرف العربية ، مساعدا للمترجم فى التعليم ، يسمى روح الدين افندى . فاستمر نحوا من تسعة أشهر .

ومات المترجم ... وذلك أنه افتصد وطلع الى القلعة ، فحنق على بعض المتعلمين وضربه ، فانحلت الرفادة ، فسال منه دم كثير فحم حمى مختلطة ، واستمر أياما وتوفى ، ودفن بجامع السراج البلقينى بين السيارج .

وعند ذلك زاد قول الشامتين ، وصرحوا بما كانوا يخفونه فى حياته . فيقول البعض : « مات رئيس الملحدين » ! وآخر يقول : « انهدم ركن الزندقة » . ونسبوا اليه أن عنده الكتاب الذى ألفه ابن الراوندى لبعض اليهود وسماه « دافع القرآن » ، وأنه كان يقرأه ويعتقد به . وأخبروا بذلك كتخدا بيك ، فطلب كتبه ، وتصفحوها فلم يجدوا بها ذلك الكتاب . وما كفى مبغضه وحاسده من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة تدل على أنه من أهل النار ! والله أعلم بخلقه .

وبالجملة فكان غريبا فى بابه . وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرى جمادى الثانية من السنة ، وانفرد برياسة المكتب روح الدين أفندى المذكور .

* * *

ومات الأجل المكرم « الشريف غالب » بسلانيك وهو المنفصل عن عمارة مكة وجدة والمدينة وما انضاف الى ذلك من بلاد الحجاز ... فكانت امارته نحوا من سبع وعشرين سنة ، فانه تولى بعد موت الشريف سرور فى سنة ثلاث ومائتين وألف .

وكان من دهاة العالم ، وأخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين . ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا ، فلم يزل يخادعه ، حتى تمكن منه وقبض عليه ، وأرسله الى بلدة سلانيك . وخرج من سلطنته وسيادته الى بلاد الغربة ، ونهبت أمواله ، وماتت أولاده وجواريه ، ثم مات هو فى هذه السنة .

* * *

ومات الأمير مصطفى بيك دالى باشا ، وهو قريب الباشا ونسيبه أيضا ، وكان من أعاظم أركان دولته ... شهير الذكر ، موصوفا بالاقدام والشجاعة . ومات بالاسكندرية . ولما وصل خبره الى الباشا اغتم غما شديدا ، وتأسف عليه .

وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية ، وقرن به على كاشف ... فأقام بها نحو السنتين ، ومهد البلاد ، وأخاف العربان وأذلهم ، وقتل منهم الكثير وجمع لمخدومه أموالا جمة .

وكان جسيما بطينا ... يأكل التيس المخصى وحده ، ويشرب عليه الزق من الشراب ، ثم يتبعه بشالية أو اثنتين من اللبن ، ويستلقى نائما مثل العجل العظيم ذى الخوار ! الا أنه كان يقضى حاجة من التجأ اليه ، ويحب أولاد الناس ويواسيهم ، ويتجاوز عن الكثير ، ويعطى ما يلزمه من الحقوق لأربابها .

ولما تحققت أخته ، التى هى زوج الباشا ، وكذلك والدته ... أمرتا باحضار رمته الى مصر ، ويدفن بمدفنهم . وتعين لذلك سليمان آغا السلحدار ، فسافر الى الاسكندرية ، ووضعه فى صندوق مزفت على عربية ، ووصل به بعد اثنى عشر يوما من موته . وكان وصوله فى ثانى ساعة من ليلة الجمعة سادس عشرى جمادى الثانية . وذهبوا به الى المدفن فى المشاعل من خلف المجراة .

فلما وصلوا الى المدفن ، أرادوا ازاله الى القبر بالصندوق ، فلم يمكنهم . فكسروا الصندوق ، فعبقت رائحته ، وقد تهرّى ، فهرب كل من كان حاضرا ، فكبوه على حصير ولفوه فيه ، وأنزلوه الى الحفرة . وغشى على الحفارين ، وجزعت النفوس من رائحة أخشاب الصندوق . فحثوا عليه الأتربة ... وليس من يفتكر أو يعتبر !

* * *

ومات أيضا حسن آغا ، حاكم بندر السويس ، مطعونا . فولى الباشا عوضه السيد أحمد الملا الترجمان .

* * *

ومات أيضا سليمان آغا حاكم رشيد .

* * *

ومات الأمير الكبير الشهير بابراهيم بيك المحمدى ... عين أعيان أمراء الألوف المصريين . ومات بدنقلة متغربا عن مصر وضواحيها ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب .

تقلد الامرة والامارة فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، فى أيام على بيك الكبير ، وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر ، بعد موت أستاذه ، فى سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، مع مشاركة خشداشه مراد بيك وباقى أمرائهم ... والجميع راضون برياسته وامارته : لا يخالفهم ولا يخالفونه ، ويراعى جانب الصغير منهم قبل الكبير ، ويحرص على جمعية أمرهم وألفة قلوبهم ... فطالت أيامه ، وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرارا .

وطلع أميرا على الحج فى سنة ست وثمانين ، وتولى الدفتردارية فى سنة سبع وثمانين ... وكلاهما فى حياة أستاذه ، واشترى المماليك الكثيرة ورباهم وأعتقهم ، وأمر وقلد منهم صناجق وكشافا ، وأسكنهم الدور الواسعة ، وأعطاهم الاقطاعات . ومات الكثير منهم فى حياته ، وأقام خلافهم من مماليكه ، ورأى أولاد أولاده ... بل وأولادهم ، وما زال يولد له ، وأقام فى الامارة نحو ثمان وأربعين سنة ، وتنعم فيها ، وقاسى فى أواخر أمره شدائد واغترابا عن الأهل والأوطان .

وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ، وباشر عدة حروب . وكان ساكن الجأش ، صبورا ذا تؤدة وحلم ، قريبا للانقياد للحق ، متجنبا للهزل .. الا نادرا ، مع الكمال والحشمة . لا يحب سفك الدماء ، مرخصا لخشداشينه فى أفاعيلهم ، كثير التغافل عن مساويهم مع معارضتهم له فى كثير من الأمور ... وخصوصا مراد بيك وأتباعه . فيغضى ويتجاوز ، ولا يظهر غما ولا خلافا ولا تأثرا ... حرصا على دوام الألفة وعدم المشاغبة . وان حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة ، تلافاه وأصلحه .

وكان هذا الاهمال والترخص والتغافل سببا لمبادى الشرور ، فانهم تمادوا فى التعدى ، وداخلهم الغرور ، وغمرتهم الغفلة عن عواقب الأمور ، واستصغروا من عداهم ، وامتدت أيديهم لأخذ أموال التجار وبضائع الافرنج الفرنساوية وغيرهم ، بدون الثمن ... مع الحقارة لهم ولغيرهم ، وعدم المبالاة والاكتراث بسلطانهم الذى يدعون أنهم فى طاعته ، مع مخالفة أوامره ، ومنع خزينته ، واحتقار الولاة ، ومنعهم من التصرف ، والحجر

عليهم ، فلا يصل للمولى عليهم الا بعض صدقاتهم ... الى أن تحرك عليهم حسن باشا الجزايرلى فى سنة مائتين وألف ، وحضر على الصورة التى حضر فيها ، وساعدته الرعية . وخرجوا من المدينة الى الصعيد ، وانتهكت حرمتهم ... ثم رجعوا — بعد الفصل — فى سنة ست ومائتين الى امارتهم ودولتهم ، وعادوا الى حالتهم الأولى ... بل وأزيد منها فى التعدى ، فأوجب ذلك ركوب الفرنساوية عليهم .

ولم يزل الحال يتزايد ، والأهوال يتلو بعضها بعضا حتى انقلبت أوضاع الديار المصرية ، وزالت حرمتها بالكلية . وأدى الحال بالمترجم الى الخروج والتشتيت والتشريد ، هو ومن بقى من عشيرته ، الى بلاد العبيد : يزرعون الدخن ، ويتقوتون منه ، وملابسهم القمصان التى يلبسها الجلابة فى بلادهم ... الى أن وردت الأخبار بموته فى شهر ربيع الأول من السنة .

وأما جملة أخباره فقد تقدمت فى ضمن السوابق والماجريات واللواحق .

* * *

ومات الأمير الأجل : أحمد أغا الخازندار ، المعروف « ببونابارته » . وهو أيضا شهير الذكر من أعاظم الدولة ، وقد تقدم كثير من أخباره وسفره الى الحجاز . وكان عمر دارا عظيمة على بركة الأزبكية — جهة الرويعى — ثم عمل مهما كبيرا لزواج ابنه ، وهو اذ ذاك مريض فى حياض الموت ، حتى أشيع فى الناس يوم زفة العروس ، ثم مات بعد أيام قليلة مضت من الفرح . وذلك يوم الأربعاء ثالث شهر جمادى الثانية .

* * *

وماتت الست الجليلة « خاتون » ، وهى سرية على بيك بلوط قبان الكبير . وكانت محظيته ، وبنى لها الدار العظيمة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، والساقية والطاحون بجانبها . ولما مات على بيك ، وتأمر مراد بيك ، تزوج بها . وعمرت طويلا مع العز والسيادة والكلمة النافذة . وأكثر نساء الأمراء من جواريها ، ولم يأت ، بعد الست شويكار ، من اشتهر ذكره وخبره ... سواها .

ولما كان أيام الفرنساوية ، واصطلح معهم مراد بيك ، حصل لها منهم غاية الكرامة ، ورتبوا لها من ديوانهم فى كل شهر مائة ألف نصف فضة ، وشفاعتها عندهم مقبولة لا ترد .

وبالجملة فانها كانت من الخيرات . ولها على الفقراء بر واحسان ، ولها من المآثر الخان الجديد والصهريج داخل باب زويلة .

توفيت يوم الخميس لعشرين من شهر جمادى الأولى بمنزلها المذكور بدرب عبد الحق ، ودفنت بحوشهم فى القرافة الصغرى بجوار الامام الشافعى ، وأضيفت الدار الى الدولة ، وسكنها بعض أكابرها ... وسبحان الحى الذى لا يموت .

* * *

ومات المقر الكريم المخدوم : أحمد باشا ، الشهير بطوسون ، ابن حضرة الوزير محمد على باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف اليها .

وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية ، وتوجهه الى الاسكندرية ، ورجوعه الى مصر ، ثم عوده الى ناحية رشيد ... وعرضى خيامه جهة الحماد بالعسكر على الصورة المذكورة . وهو ينتقل من العرضى الى رشيد ، ثم الى برلبال وأبى منضور والعزب .

ولما رجع من هذه المرة ، أخذ صحبته من مصر المغنين ، وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون والناى والكمنجات ، وهم : ابراهيم الوراق ،

والجبابى ، وقشوه ، ومن يصحبهم من باقى رفقائهم ... فذهب ببعض خواصه الى رشيد — ومعه الجماعة المذكورون — فأقام أياما ، وحضر اليه من جهة الروم جوار وغلمان أيضا رقاصون ، فانتقل بهم الى قصر برنبال ... ففى ليلة حلوله بها نزل به ما نزل به من المقدور ، فتمرض بالطاعون ، وتململ نحو عشر ساعات ، وانقضى نحبه . وذلك ليلة الأحد ، سابع شهر القعدة ، وحضره خليل افندى قوللى حاكم رشيد .

وعندما خرجت روحه ، انتفخ جسمه ، وتغير لونه الى الزرقة ، فغسلوه وكفنوه ، ووضعوه فى صندوق من الخشب ، ووصلوا به فى السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره .

وكان والده بالجيزة ، فلم يتجاسروا على اخباره ، فذهب اليه أحمد أغا أخو كتخدا بيك . فلما علم بوصوله ليلا ، استنكر حضوره فى ذلك الوقت ، فأخبره عنه أنه ورد الى شبرا متوعكا ، فركب فى الحين القنجة ، وانحدر الى شبرا ، وطلع الى القصر ، وصار يمر بالمخادع ويقول : « أين هو » ؟ فلم يتجاسر أحد أن يصرح بموته .

وكانوا ذهبوا به ، وهو فى السفينة ، الى بولاق ، ورسوا به عند الترسخانة . وأقبل كتخدا بيك على الباشا فرآه يبكى فانزعج انزعاجا شديدا ، وكاد أن يقع على الأرض ، ونزل السفينة ... فأتى بولاق آخر الليل .

وانطلقت الرسل لاخبار الأعيان ، فركبوا بأجمعهم الى بولاق ، وحضر القاضى والأشياخ ، والسيد المحروقى . ثم نصبوا تظلك ساترا على السفينة ، وأخرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه ، وطلبوا القلافطة لسد خروقه ومنافسه ، ونصبوا عودا عند رأسه ، ووضعوا عليه تاج الوزارة ... المسمى بالطلخان ! وانجروا بالجنازة من غير ترتيب ، والجميع مشاة أمامه وخلفه ، وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة — كالفقهاء وأولاد الكتاتيب والأحزاب — شيء ، من ساحل بولاق على طريق المدابغ ، وباب الخرق على الدرب الأحمر ، على التبانة الى الرميلة ... فصلوا عليه بمصلى المؤمنين ، وذهبوا به الى المدفن الذى أعده الباشا لنفسه ولموتاه .

كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر اليه ويبكى ، ومع الجنازة أربعة من الحمير تحمل القروش وربعيات الذهب ودراهم أنصاف عددية ، ينثرون منها على الأرض وعلى الكيمان ! وعن يمين الكتخدا ويساره شحصان يتناول منهما قراطيس الفضة يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان فاذا تكاثروا عليه ، نثر ما بقى فى يده عليهم ، فيشتغلون عنه بالتقاطها من الأرض. فكان جملة ما فرق وبدر من الأنصاف العددية فقط ، خمسة وعشرين كيسا : عنها خمسماية ألف فضة ... وذلك خلاف القروش أيضا والربعيات الذهب !

وساقوا أمام الجنازة ستة رءوس من الجواميس الكبار ، أخذ منها خدمة التربة ومن حولهم ، وخدمة ضريح الامام الشافعى . ولم ينل الفقراء الا ما فضل عنهم وأخرجوا لاسقاط صلاة المتوفى خمسة وأربعين كيسا ! تناولها فقراء الأزهر ، وفرقت بجامع الفاكهانى بحسب الأغراض · للغنى منهم أضعاف قسم الفقير وأكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا ولا القليل .

ولما وصلوا الى المدفن هدموا التربة ، وأنزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر اخراجه منه بسبب انتفاخه وتهريه ... حتى أنهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات فى المجامر الذهب ، والرائحة غالبة على ذلك . وليس ثم من يتمظ أو يعتبر !

ولما مات لم تخبروا والدته بموته الا بعد

دفنه ، فجزعت عليه جزعا شديدا ، ولبست السواد . وكذلك جميع نسائهم وأتباعهم ، وصبغوا براقعهم بالسواد والزرقة ، وكذلك من ينافقهم من الناس ... حتى لطخوا أبواب البيوت بيولاق وغيرها بالوحل .

وامتنع الناس ، بالأمر عليهم ، من عمل الأفراح ودق الطبول مطلقا ، ونوبة الباشا واسماعيل باشا وطاهر باشا ... حتى ما يفعله دراويش المولوية فى تكاياهم عند المقابلة ، من الناى والطبل ... أربعين يوما . وأقاموا عليه العزاء عند القبر ، وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الأربعين يوما . ورتبوا لهم ذبائح ومآكل وكل ما يحتاجونه . ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته وأخواته والواردين من أقارب وغيرهم على حد قول القائل : « مصائب قوم عند قوم فوائد » !

ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين ، وكان أبيض جسيما ، كما قد دارت لحيته ... بطلا شجاعا جوادا : له ميل لأولاد العرب ، منقادا لملة الاسلام ، ويعترض على أبيه فى أفعاله ، تخافه العسكر وتهابه . ومن اقترف ذنبا صغيرا قتله ... مع احسانه وعطاياه للمنقاد منهم ، ولأمرائه . ولغالب الناس اليه ميل ، وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه ، ويأبى الله الا ما يريد .

* * *

ومات الوزير المعظم يوسف باشا ، المنفصل عن إمارة الشام ، وحضر إلى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا وملتجئا الى حاكم مصر ، وذلك فى أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف . وأصله من الأكراد الدكرلية ، وينسب الى الأكراد الملية .

وابتداء أمره باخبار من يعرفه : أنه هرب من أهله — وعمره اذ ذاك خمس عشرة سنة — فوصل الى حماة ، وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث . ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين الى أن ألبسه قلبق ، ثم خدم بعده ملا اسماعيل بلكتاش ، وتعلم الفروسية والرماحة ، فلعب يوما فى القمار وخسر فيه ، وخاف على نفسه فخرج هاربا الى عمر أغا باسيلى — من اشراقات ابراهيم باشا المعروف بالأزدن — فتوجه معه الى غزة .

وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد علي أغا — متسلم غزة — عمر أغا المذكور وجعله دالى باشا . ففى بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد ، فقال له : « ان قلدتنى دالى باشا قدمته لك » . فأجابه الى ذلك ، وعزل عمر أغا ، وقلد المترجم المنصب عوضا عنه . وامتنع من اعطائه ذلك الجواد ، وأقام فى خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار ، خطابا للمترجم ، بالقبض على المتسلم واحضاره الى طرفه ، وان فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة بيرق ... ففعل ذلك ، وأوقع القبض على على أغا المتسلم ، وتوجه الى عكة بلدة الجزار .

فقال المتسلم للمترجم فى أثناء الطريق : « تعلم أن الجزار رجل سفاك دماء ، فلا توصلنى اليه ، وان كان وعدك بمال أنا أعطيك أضعافه ، وأطلقنى أذهب حيث شاء الله ، ولا تشاركه فى دمى » . فلم يجبه الى ذلك وأوصله الى الجزار فحبسه ، ثم قتله ورماه فى البحر !

وأقام المترجم بباب الجزار أياما ، ثم أرسل اليه يأمره بالذهاب الى حيث يريد ، فانه لا خير فيه لخيانته لمخدومه . فذهب الى حماة ، وأقام عند أغاته اسماعيل أغا — وهو متولى من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم — فأقام فى خدمته كلارجى زمنا نحو الثلاث سنوات .

وكان بين عبد الله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة ، فتوجه عبد الله باشا الى الدورة . فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق ، فسلك طريقا أخرى . فلما وصل الى جنينى — وهى مدينة قريبة

من بلاد الجزار — وجه الجزار عساكره عليه . فلما تقارب العسكران ، وتسامعت أهل النواحي ... امتنعوا من دفع الأموال . فما وسع عبد الله باشا الا الرحيل ، وتوجه الى ناحية نابلس ، مسافة يومين ، وحاصر بلدة تسمى صوفين ، وأخذ مدافع من يافا ، وأقام محاصرا لها ستة أيام ... ثم طلبوا الأمان فأمنهم ، ورحل عنهم الى طرف الجبل ، مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميرى من البلاد ، وأقام هو فى قلة من العسكر .

فوصل اليه خيال ، وقت العصر فى يوم من الأيام يخبره بوصول عساكر الجزار ، وأنه لم يكن بينه وبينهم الا نصف ساعة ، وهم خمسة آلاف مقاتل . فارتبك فى أمره ، وأرسل الى النواحى ، فحضر اليه من حضر — وهم نحو الثلثمائة خيال ، وهو بدائرته نحو الثمانين — فأمر بالركوب . فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدو ، وأيقنوا بالهلاك . فتقدم المترجم الى العسكر ، وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم : « لم يكن غير ذلك ، فاننا ان فررنا هلكنا عن آخرنا » .

وتقدم المترجم مع أغاته ملا اسماعيل ، وتبعهم العسكر ، وولجوا وسط خيل العدو ، وصدقوا الحملة بجملة واحدة ، فحصلت فى العدو الهزيمة ، وركبوا أقفيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا برءوس القتلى والقلائع . فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير — وهى نحو الألف رأس وألف قليعة — فخلع عليهم ، وشكرهم ، وارتحلوا الى دمشق .

وذهب المترجم مع أغاته الى مدينة حماة ، واستمر هناك الى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا ، المعروف بالمعدن ، الى دمشق بسبب الفرنساوية . ففارق المترجم مخدومه فى نحو السبعين خيالا ، وجعل يدور بأراضى حماة بطالا ، ويقال له قيس ، فيراسل الجزار لينضم اليه .

وكان الجزار ، عند حضور الوزير ، انفصل حكمه عن دمشق ، ووجه ولايتها الى عبد الله باشا العظم . فلما بلغ المترجم ذلك توجه الى لقاء عبد الله باشا بالمعرة ، فأكرمه عبد الله باشا ، وقلده دالى باشا كبيرا على جميع الخيالة .. حتى على أغاته ملا اسماعيل أغا . وأقام بدمشق مدة الى أن حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس . فوصل اليه الخبر بأن عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها . فركب عبد الله باشا وذهب الى دمشق ، ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها .

فوصل خبر ذلك الى الجزار ، فكاتب عساكر عبد الله باشا يستميلهم لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيانته ، والقبض عليه وتسليمه الى الجزار . وعلم ذلك وتثبته ، فركب فى بعض مماليكه وخاصته الى وطاق المترجم — وهو اذ ذاك دالى باشا — وأعلمه الخبر ، وأنه يريد النجاة بنفسه . فركب بمن معه ، وأخرجه من بين العسكر قهرا عنهم ، وأوصله الى شول بغداد .

ثم ذهب على الهجن الى بغداد ، ورجع المترجم الى حماة . فقبل وصوله اليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه ، فذهب اليه ، فجعله مقدم ألف ، وقلده باش الجردة ، فسافر الى الحجاز بالملاقاة . وكان أمير الحاج الشامى اذ ذاك سليمان باشا عوضا عن مخدومه أحمد باشا الجزار . فلما حصلوا فى نصف الطريق ، وصلهم خبر موت الجزار ، فرجع يوسف المترجم الى الشام ، واستولى اسماعيل باشا على عكا ، وتوجه منصب ولاية الشام الى ابراهيم باشا المعروف بقطر اغاسى (أى أغات البغال) . وفى فرمان ولايته الأمر بقطع رأس اسماعيل باشا ، وضبط مال الجزار .

فذهب المترجم بخيله وأتباعه الى ابراهيم باشا ، وخدم عنده ، وركب الى عكا وحصروها ، وحطوا فى أرض الكردانى — مسيرة ساعة من عكا —

وكانت الحرب بينهم سجالا ، وعساكر اسماعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع ، وكل واقعة يظهر فيها على الخصم .

ففى يوم من الأيام لم يشعر الا وعسكر اسماعيل باشا نافذ اليهم من طريق أخرى . فركب المترجم ، وأخذ صحبته ثلاثة مدافع ، وتلاقى معهم ، وقاتلهم وهزمهم الى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق ، ثم أخرجهم بالأمان الى وطاقه وأكرمهم ، وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم الى عكا بغير أمر الوزير .

ثم توجه ابراهيم باشا الى الدورة ، وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج اسماعيل باشا من عكا ، وأغلقت أبوابها فاتفقت عساكره ، وقبضوا عليه ، وسلموه الى ابراهيم باشا فعند ذلك برز أمر ابراهيم باشا بتسليم عكا الى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم ، فأدخله اليها ورجع الى مخدومه ، وذهب معه الى الدورة ثم عاد معه الى الشام .

وورد الأمر بعزل ابراهيم باشا عن الشام ، وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد . فخرج المترجم لملاقاته من على حلب ، فقلده دالى باشا على جميع العسكر فلما وصل الى الشام ، ولاه على حوران وأربد والقنطرة ليقبض أموالها ، فأقام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج . وتلاقوا مع الوهابية فى الجديدة ، فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتمروا ورجعوا . ومكثوا الى السنة الثانية ، فخرج عبد الله باشا بالحج ، وأبقى المترجم نائبا عنه بالشام فلما وصل الى المدينة المنورة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج .

ووصل خبر ذلك الى الدولة ، فورد الأمر بعزل عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحى والعربان ، وأقام السنة ، ولم يخرج بنفسه الى الحج ... بل أرسل ملا حسن عوضا عنه ، فمنع أيضا عن الحج . فلما كانت القابلة ، انفتح عليه أمر الدورة ، وعصى عليه بعض البلاد ، فخرج اليها ، وحاصر بلدة تسمى كردانية ، ووقع له فيها مشقة كبيرة الى أن ملكها بالسيف وقتل أهلها ثم توجه الى جبل نابلس وقهرهم ، وجبى منهم أموالا عظيمة .

ثم رجع الى الشام ، واستقام أمره ، وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل فى الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتاب الخواطىء ، وزوجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمر بترك الاسراف فى المآكل والملابس . وشاع خبر عدله فى النواحى ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم !

ثم انه ركب الى بلاد النصيرية ، وقاتلهم وانتصر عليهم ، وسبى نساءهم وأولادهم ... وكان خيرهم بين الدخول فى الاسلام أو الخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا ، وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم فلما شاهدوا ذلك أظهروا الاسلام تقية فعفا عنهم ، وعمل بظاهر الحديث ، وتركهم فى البلاد ، ورحل عنهم الى طرابلس ، وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصرا لها عشرة أشهر حتى ملكها واستولى على قلعتها . ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم .

ثم ارتحل الى دمشق ، وأقام بها مدة ، فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا الى المزيريب ، فبادر مسرعا ، وخرج الى لقائهم فلما وصل الى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياما ، فوصل اليه الخبر بأن سليمان باشا وصل الى الشام وملكها ، فعاد مسرعا الى الشام ، وتلاقى

مع عسكر سليمان باشا ، وتحارب العسكران الى المساء ، وبات كل منهم فى محله . ففى نصف الليل — فى غفلتهم ... والمترجم نائم وعساكره أيضا هامدة — فلم يشعروا الا وعساكر سليمان باشا كبستهم ، فحضر اليه كتخداه وأيقظه من منامه ، وقال له : « ان لم تسرع ، والا قبضوا عليك » . فقام فى الحين ، وخرج هاربا ، وصحبته ثلاثة أشخاص من مماليكه فقط ، ونهبت أمواله ويرقه ، وزالت عنه سيادته فى ساعة واحدة .

ولم يزل حتى وصل الى حماة فلم يتمكن من الدخول اليها ، ومنعه أهلها عنها وطردوه . فذهب الى سيجر ، وارتحل منها الى بلدة يعمل بها البارود ، ومنها الى بلدة تسمى ريمة ، ونزل عند سعيد أغا فأقام عنده ثلاثة أيام . ثم توجه الى نواحى انطاكية ، بصحبته جماعة من عند سعيد أغا المذكور ، ثم الى السويدة ، ولم يبق معه سوى فرس واحد !

ثم انه أرسل الى محمد على باشا — صاحب مصر — واستأذنه فى حضوره الى مصر ، فكاتبه بالحضور اليه والترحيب به ، فوصل الى مصر فى التاريخ المذكور ، فلاقاه صاحب مصر وأكرمه ، وقدم اليه خيولا وقماشا ومالا ، وأنزله بدار واسعة بالأزبكية ، ورتب له خروجا زائدة من لحم وخبز وسمن وأرز وحطب ، وجميع اللوازم المحتاج اليها ، وأنعم عليه بجوارى وغير ذلك .

وأقام بمصر هذه المدة ، وأرسل فى شأنه الى الدولة ، وقبلت شفاعة محمد على باشا فيه ، ووصله العفو والرضا — ماعدا ولاية الشام — وحصلت فيه علة ذات الصدر ؟ فكان يظهر به شبه السعلة مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيدا عنه ، ويذهب اليه جماعة الحكماء من الافرنج وغيرهم ، ويطالع فى كتب الطب مع بعض الطلبة من المجاورين ... فلم ينجع فيه علاج ، وانتقل الى قصر الآثار بقصد تبديل الهواء . ولم يزل مقيما هنالك حتى اشتد به المرض ، ومات فى ليلة السبت العشرين من شهر ذى القعدة ، وحملت جنازته من الآثار الى القرافة من ناحية الخلاء ، ودفن بالحوش الذى أنشأه الباشا وأعده لموتاه . وكانت مدة اقامته بمصر نحو الست سنوات ... فسبحان الحى الذى لا يموت ، الدائم الملك السلطان .



المحرم

الخميس غرته (٢١ نوفمبر ١٨١٦ م) :

استهل المحرم وحاكم مصر والمتولى عليها ، وعلى ضواحيها وثغورها من حد رشيد ودمياط الى أسوان وأقصى الصعيد ، وأسكلة القصير والسويس ، وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والأقطار الحجازية بأسرها ... محمد على باشا القوللى . ووزيره وكتخداه : محمد أغا لاظ . والدفتردار : محمد بيك — صهر الباشا وزوج ابنته — وآغات الباب : ابراهيم اغا . ومدبر أمور البلاد والأطيان والرزق والمساحات ، وقبض الأموال الميرية وحساباتها ومصارفها : محمود بيك الخازندار . والسلحدار سليمان أغا . وحاكم الوجه القبلى : محمد بيك الدفتردار — صهر الباشا — عوض ابراهيم باشا ولد الباشا ، لانفصاله عن امارة الوجه القبلى ، وسفره الى الحجاز آنفا لمحاربة الوهابيين . وباقى أمراء الدولة : مثل عابدين بيك ، واسماعيل باشا ابن الباشا ، وخليل باشا — وهو الذى كان حاكم الاسكندرية سابقا — وشريف أغا ، وحسين بيك دالى باشا ، وحسين بيك الشماشرجى ، وحسن بيك الشماشرجى الذى كان حاكما بالفيوم ... وغير هؤلاء ، وحسن أغا آغات الينكجرية ، وأحمد أغا آغات التبديل ، وعلى أغا الوالى ، وكاتب الروزنامة مصطفى أفندى ، وحسن باشا بالديار الحجازية . وشاه بندر التجار : السيد محمد المحروقى ، وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم ، وملاقاة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية ، والمتوجه اليها ، وأجر المحمول ، وشحنة السفن ، ولوازم الصادرين والواردين والمنتجعين والمقيمين والراحلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكماتهم وارغابهم وارهابهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ... وهو المتعين أيضا لفصل قضايا التجار والباعة وأرباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم ، وتأديب المنحرفين منهم والنصابين ، وبعوثات الباشا ومراسلاته ، ومكاتباته ، وتجاراته ، وشركاته وابتداعاته ، واجتهاده فى تحصيل الأموال من كل وجه وأى طريق ، ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى نواحى الحجاز للاغارة على بلاد الوهابية .

وأخذ الدرعية مستمر لا ينقطع ، والعرضى منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح ... واذا ارتحلت طائفة خرجت أخرى مكانها !

وفيه : سومحت أرباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والجبازون ونحوهم من المسانهات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ، ونودى برفعها أمام المحتسب فى الأسواق ، وعوض المحتسب عنها خمسة أكياس فى كل شهر يستوفيها من الخزينة العامرة .

وعملوا تسعيرا بترخيص أسعار المبيعات ، بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب ، ولكن من غير مراعاة النسبة والمعادلة فى غالب الأصناف . فان

العـادة عند اقبال وجود الفاكهة أو الخضراوات تبـاع بأغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ ، وشـهوة الطباع ، واشـتياق النفوس لجديد الأشـياء ، وزهدها فى القديم الذى تكرر استعماله وتعاطيه ... كمـا يقال « لكل جديد لذة » . فلم يراعوا ذلك ، ولم ينظروا فى أصول الأشياء أيضا . فان غالب الأصـناف داخـل فى المحتكرات ، وزيادة المكوس الحادثة فى هذه السنين ، وما يضاف الى ذلك من طمـع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم دياناتهم وخبث طباعهم .

فلمـا نودى بذلك ، وسـمع الناس رخص المبيعات ، ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ، ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السـعرانة ، وخطفوا ما كان بالأسـواق — بموجب التسعيرة — من اللحم وأنواع الخضراوات والفاكهة والأدهان !

فلما أصبح اليوم الثانى لم يوجد بالأسـواق شىء من ذلك ، وأغلقت الفكهانيـة حوانيتهم ، وأخفوا ماعنـدهم ، وطفقوا يبيعونه خفية ؛ وفى الليل ، بالثمن الذى يرتضونه ... والمحتسب يكثر الطواف بالأسـواق ، ويتجسس عليهم ، ويقبض على من أغلق حانوته أو وجدها خالية ، أو عثر عليه أنه باع بالزيادة ، وينكل بهم ، ويسـحبهم مكشوفين الرءوس مشنوقين وموثقين بالحبال ، ويضربهم ضربا مؤلمـا ، ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الأنوف ، ومعلق فيهـا النوع المزاد فى ثمنه ... فلم يرتجعوا عن عادتهم .

ثم ان هـذه المناداة والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الأسعار ، وباطنها المكر والتحيل والتوصل لمـا سيظهر بعد عن قريب . وذلك أن ولى الأمر لم يكن له من الشغل الا صرف همته وعقله وفكرته فى تحصـيل المـال والمكاسب ، وقطـع أرزاق المسترزقين ، والحجر والاحتكار لجميع الأسباب . ولا يتقرب اليه من يريد قربه الا بمسـاعدته على مراداته ومقاصـده . ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا ، ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب — ولو على سبيل التشفع — حقد عليه ، وربما أقصـاه وأبعده وعاداه معاداة من لا يصفو أبدا .

وعرفت طباعه وأخلاقه فى دائرته وبطانته ، فلم يمكنهم الا الموافقة والمساعدة فى مشروعاته : اما رهبـة أو خوفا على سـيادتهم ورياسـتهم ومناصبهم ، واما رغبة وطمعا وتوصلا للرياسـة والسيادة — وهم الأكثر — وخصـوصا أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم الذين هم الآن أخصـاء لحضرته ومجالسـته ، وهم شركاؤه فى أنواع المتاجر ، وهم أصحاب الرأى والمشورة ، وليس لهم شـغل ودرس الا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عنـد مخدومهم ، وموافقة أغراضـه ، وتحسين مخترعاته . وربمـا ذكروه ونبهـوه على أشياء تركهـا أو غفل عنهـا من المبتدعات ، وما يتحصل منها من المـال والمكاسب التى يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم . ثم يقع الفحص على أصل الشىء ، وما يتفرع منه ، وما يؤول اذا أحكم أمـره وانتظم ترتيبـه ، وما يتحصل منه بعد التسعير الذى يجعلونه مصاريف الـكتبة والمبـاشرين ... أبرزت مباديه فى قالب العدل والرفق بالرعية !

ولما وقع الالتفات الى أمر المذابح والسلخانة ، وما يتحصل منها ، وما يكتسبه الموظفون فيها ... فأول مابدأوا به : ابطال جميع المذابح التى بجهات مصر والقـاهرة وبولاق ، خـلاف السـلخانة السلطانية التى خارج الحسينية . وتولى رياستها شخص من الأتراك ، ثم سعرت هـذه التسعيرة : فجعل الرطل الذى يبيعه القصاب بسبعة أنصاف فضـة ، وثمنه على القصـاب من المذبح ثمانية

أنصاف ونصف ! وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة ، فشح وجود اللحم ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، وخسروا فى شراء الأغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر .

وأنهى أمر شحة اللحم الى ولى الأمر ، وأن ذلك من قلة المواشى ، وغلو أثمان مشترواتها على الجزارين ، وكثرة رواتب الدولة والعساكر . أشيع أنه أمر بمراسيم الى كشاف الأقاليم — قبلى وبحرى — لشراء الأغنام من الأرياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة وأهل الدولة ، ويترك ما يذبحه جزارو المذبح لأهل البلدة . وعند ذلك ترخص الأسعار ... ثم تبين خلاف ذلك ، وأن هذه الاشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب .

الخميس ١٥ منه (٥ ديسمبر ١٨١٦ م) :

وصلت أغنام وعجول وجواميس من الأرياف ... هزيلة ، وازدادت باقامتها هزالا من الجوع وعدم مراعاتها . فذبحوا منها بالمذابح أقل من المعتاد ، ووزعت على الجزارين ، فيخص الشخص منهم الاثنان أو الثلاثة . فعندما يصل الى حانوته — وهو مثل الحرامى — فيتخاطفها العساكر التى بتلك الخطة ، وتزدحم الناس فلا ينوبهم شىء ، وتذهب فى لمح البصر ، ثم امتنع وجودها ، واستمر الحال ... والناس لا يجدون مايطبخونه لعيالهم .

وكذلك امتنع وجود الخضراوات ، فكان الناس لايحصلون القوت الا بغاية المشقة ، واقتاتوا بالفول المصلوق والعدس والبيصار ، ونحو ذلك .

وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج ، وزيت البزر وزيت القرطم ... لاحتكارها لجهة الميرى وأغلقت المعاصر والسيارج ، وامتنع وجود الشمع العسل والشمع المصنوع من الشحم ، لاحتكار الشحم ، والحجز على عمال الشمع فلا يصنعه الشماعون ولا غيرهم . ونودى على بيع الموجود منه بأربعة وعشرين نصفا ، وكان يباع بثلاثين وأربعين ، فأخفوه ، وطفقوا يبيعونه خفية بما أحبوا . وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشرة منه بأربعة أنصاف ، وكان قبل المناداة اثنان بنصف .

وكل ذلك والمحتسب يطوف بالأسواق والشوارع ، ويشدد على الباعة ويؤلمهم بالضرب والتجريس . وفقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجة ، لأنه نودى على الدجاجة باثنى عشر نصفا ، وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فأكثر .

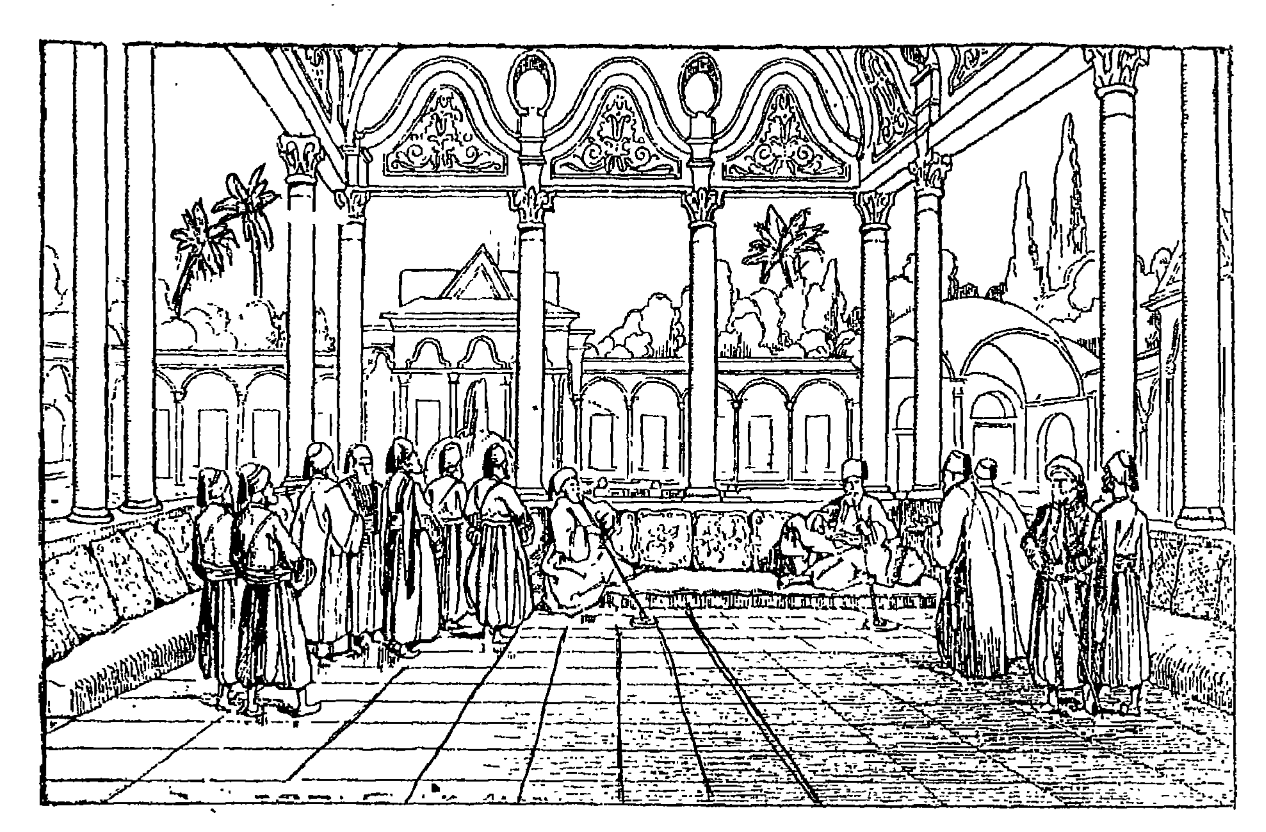
صفر

(٢١ ديسمبر ١٨١٦ — ١٨ يناير ١٨١٧ م)

فيه : حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ، ومعه مكاتبات من محمد بيك الدفتردار — الذى تولى امارة الصعيد عوضا عن ابراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه الى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية — يذكر فيها نصح المعلم غالى ، وسعيه فى فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينة ، وأنه ابتكر أشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال ... فقوبل بالرضا والاكرام ، وخلع عليه الباشا ، واختص به ، وجعله كاتب سره ، ولازم خدمته . وأخذ فيما ندب اليه وحضر لأجله .. التى منها حسابات جميع الدفاتر ، وأقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الأقاليم .

وفيه : تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة الى الحجاز ، وصحبتهم أرباب صنائع وحرف .

وفيه : أرسل الباشا الى بندر السويس أخشابا



حكام الاقاليم بعد أن عزلهم محمد على وطلبهم للحضور

وأدوات عمارة ، وبلاط كذان وحديدا ، وصناعا بقصد عمارة قصر لخصوصه اذا نزل هناك .

ربيع الأول

(١٩ يناير — ١٧ فبراير ١٨١٧ م)

فيه : شحت المبيعات والغلال والأدهان ، وغلا سعر الحبوب ، وقل وجودها فى الرقع والسواحل ... فكان الناس لايحصلون شيئا منها الا بغاية المشقة !

وفيه : عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم ، وطلبهم للحضور ، وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زيادة على مافرضه لهم . وأرسل من قبله أشخاصا مفتشين للفحص والتجسس على ماعسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن . فأخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ، ويحررون أثمان مفرق الأشياء ، من غنم أو دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك ، فى المدة التى أقامها أحدهم بالناحية . فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر ، وكذلك من انتمى اليهم ، فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان .

وفيه : حضر على كاشف من شرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها ، وقلدها خلافه ، وكان كاشفا بالاقليم عدة سنوات . وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية ، وحضر أيضا حسن بيك الشماشرجى من الفيوم معزولا ، ووجهه الباشا الى ناحية درنة لمحاربة أولاد على .

ربيع الآخر

(١٨ فبراير — ١٨ مارس ١٨١٧ م)

فيه : حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئا من

المواشى فى داره أو غيرها ، ولا يأخذ الناس لحوم أطعمتهم الا من المذبح ، وأوقفت عساكر بالطرق رصدا لمن يدخل المدينة بشىء من الأغنام .

وذلك أنه لما نزلت المراسيم الى الكشاف بمشترى المواشى من الفلاحين وارسالها الى المكان الذى أعده الباشا لذلك ، ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانة فى كل يوم لرواتب الدولة والبيع . وطلب كشاف النواحى شراء الأغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها ... فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم ، فيخرجون من القرية ليلا ، ويدخلون المدينة ، ويمرون بها فى الأسواق ، ويبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس . فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ، ويشترك الجماعة فى الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم ... وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الاشارة اليه ، وان تيسر وجوده فيكون هزيلا رديئا : فان فى كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحرى وقبلى الى المكان المعد لها ، ولم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقى ، فتهزل وتضعف .

فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام ، وشراء الناس لها ، ووصل خبر ذلك الى الباشا ، فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية ، فيأخذون الشاة من الفلاحين اما بالثمن أو يذهب صاحبها معها الى المذبح فتذبح فى يومها أو من الغد ، ويوزن اللحم خالصا ويعطى صاحبها ثمنه : عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ، ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمنحر والمذاكير ، والمخرج بما فيه من الزبل أيضا ... والجزارون يبيعونها على من يشترى — لشدة الطلب — بزيادة النصف والنصفين ، بل والثلاثة والأربعة ، ان كان به نوع جودة . وأما الأسقاط من الرءوس والجلود والكروش ، فهو للميرى . وكذلك يفعل فيما يرد لخاصية الناس من الأغنام ... يفعل بها كذلك ، ولا يأخذ الا قدر راتبه فى كل يوم من المذبح .

وفيه : شح وجود الغلال فى الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز فى الأسواق ، فأخرج الباشا جانب غلة ، ففرقت على الرقع ، وبيعت على الناس ، وهى ألف أردب انقضت فى يومين ، ولا يبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين . وبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفا .

وفيه : أفرد محل لعمل الشمع الذى يعمل من الشحوم ، بعطفة ابن عبد الله بيك جهة السروجية . واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التى من المذبح وغيره . وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين . ومنعوا من يعمل شيئا من الشمع فى داره أو فى القوالب الزجاج ، وتتبعوا من يكون عنده شىء منها فأخذوها منه ، وحذروا من عمله ، خارج المعمل ، كل التحذير ، وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفا .

جمادى الأولى

(١٩ مارس — ١٧ ابريل ١٨١٧ م)

فيه : حول معمل الشمع الى جهة الحسينية ، عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع

وفيه : ارتحلت عساكر مجردة الى الحجاز .

وفيه : برزت أوامر الى كشاف النواحى باحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ، ويفرض عليها كل عشرة شياه ، واحدة من أعظمها : اما كبش أو نعجة بأولادها ... يجمعون ذلك ويرسلون به الى مجمع أغنام الباشا . وفرض أيضا على كل فدان رطلا من السمن ، يجمع الأرطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحى ، ويرسلونها الى مصر .

وسبب هده المحدثة : أنه لما عملت التسعيرة ،

وتسعر رطل السمن بستة وعشرين نصفا ، ويبيعه السمان والزيات بزيادة نصفين ... امتنع وجوده وظهوره : فيأتي به الفلاح ليلا في الخفية ، ويبيعه للزبون أو للمتسبب بما أحب ، ويبيعه المتسبب أيضا بالزيادة لمن يريده سرا ، فيبيعون الرطل بأربعين وخمسين . ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن ، فيصفو على النصف ، ولا يقدر مشتريه علي رد غشه للبائع لأنه ما حصله الا بغاية المشقة والعـزة والانكار والمنع ... وان فعل ، لا يجد من يعطيه ثانيا !

وتقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفي وقت الغفـلات ، يرصدون الواردين من الفـلاحين ، ويأخـذونه منهم بالقهر ، ويعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم ، ويحتكرونه هم أيضـا ، ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة . وامتنع وروده الا في النادر خفية مع الغرر أو الخفارة ، والتحامي في بعض العساكر من أمثالهم .

واشتد الحال في انعدام السمن ، حتى على أكابر الدولة ، فعند ذلك ابتدع الباشا هـذه البدعة ، وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من السمن ، ويعطى في ثمن الرطل عشرين نصفـا . فاشتغلوا بتحصيل ما دهمهم من هـذه النازلة ، وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأفدنة أرطالا من السمن ، ومن لم يكن متأخرا عنده شيء من سمن بهيمته ، أو لم يكن له بهيمة ، أو احتاج الى تكملة موجود عنده ... فيشتريه ممن يوجد عنده بأغلى ثمن ليسد ما عليه اضطرارا جزاء وفاقا !

وفيه : حصل الاذن بدخول مادون العشرة من الأغنـام الى المدينة ، وكذلك الاذن لمن يشترى شـيئا منهـا من الأسـواق وسـبب اطلاق الاذن بذلك مجيء بعض أغنام الى أكابر الدولة — ولا غنى عن ذلك لأدنى منهم أيضا — وحجزوا عن وصولها الى دورهم ، فشكوا الى البـاشا فأطلق الاذن فيما دون العشرة .

وفيه أيضا : امتنع وجود الغلال بالعرصـات والسواحل بسبب احتكارها ، واستمرار انجرارها ونقلهـا في المراكب ، قبلي وبحـرى ، الى جهة الاسكندرية للبيع على الافرنج بالثمن الكثير كما تقدم .

ووجهت المراسيم الى كشاف النواحي بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشترى منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم ، وبأن كل ما احتاجوا لبيعه ، مما خرج لهم من زراعتهم ، يؤخـذ لطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافي .

واشتد الحال في هذا الشهر وما قبله حتى قل وجود الخبز من الأسواق ، بل امتنع وجوده في بعض الأيام . وأقبلت الفقراء نسـاء ورجالا الى الرقع بمقاطفهم ، ورجعوا بها فوارغ من غير شيء . وزاد الهول والتشـكى ، وبلغ الخبر البائـا ، فأطلق أيضا ألف أردب توزع على الرقع ويبـاع على الناس ، اما ربع واحد أو كيلة فقط ، وكل ربع ثمنه قرش ، فيكون الأردب بأربعة وعشرين قرشا .

وفيه : حضر حسن بيك الشماشرجي من ناحية درنة وبلد أخرى يقـال لها « سيوة » ، وصحبته فرقة من أولاد علي . وذلك أن أولاد على افترقوا فرقتين : احداهما طائعة ، والأخـرى عاصـية عن الطاعة ومنحازون الى هذه الناحية . نجرد الباشا عليهـم حسن بيك المذكور ، فحاربهـم فهزمهم ، وهزموه ثانيا . فرجع الى مصر ، فضم اليه الباشا جملة من العساكر ، وأصحب معه الفرقة الأخرى الطائعة ، فسار الجمع ودهموهم على حين غفلة ، وتقدم لحربهم اخوانهم الطـائعة ، وقتلوا منهم ، وأغاروا على مواشـيهم وأباعرهم وأغنـامهم ،

فأرسلوا المنهوبات الى جهة الفيوم ، وفى ظن العرب أن الغنائم تطيب لهم !

وحضر حسن بيك وصحبته كبـار العرب من أولاد على الطـائعين ، وفى ظنهم الفوز بالغنيمة ، وأن الباشـا لا يطمع فيهـا لكون النصرة كانت بأيديهم ، وأنه يشكر لهم ويزيدهم انعاما .. وكانوا نزلوا ببر الجيزة . وحضر حسن بيك الى الباشا ، فطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم . فلما حضروا اليه أمر بحبسهم واحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها ، فأحضروها بعـد أيام وأطلقهم . فيقال ان الأغنام ستة عشر الف رأس ، أو أكثر ، ومن الجمال ثمانية آلاف جمل وناقة . وقيل أكثر من ذلك .

وفيه : نجزت عمارة السواقى التى أنشـأها الباشا بالأرض المعروفة برأس الوادى ، بنـاحية شرقية بلبيس ... قيل انها تزيد على ألف ساقية ، وهى سواقى دواليب خشب تعمل فى الأرض التى يكون منبع الماء فيها قريبا . واستمر الصناع مدة مستطيلة فى عمل آلاتها عند بيت الجبجبى — وهو بيت الرزاز الذى جهة التبـانة بقرب المحجر — وتحمل على الجمال الى الوادى ، وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك . وغرسوا بها أشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير ، كما يكون بنواحى الشام وجبل الدروز .

ثم برزت الأوامر الى جميع بلاد الشرقية بأشخاص أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطيان فلاحة يستوطنون بالوادى المذكور ، وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ، ويتعاطون خدمة السواقى والمزارع ، ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير . واستجلب أناسا من نواحى الشام والجبل — من أصحاب المعرفة بذلك — ويرتب للجميع نفقـات الى حين ظهور النتيجة ، ثم يكونون شركاء فى ربع المتحصل .

ولمـا برزت المراسيم بطلب الأشخاص من بلاد الشرق ، أشيع فى جميـع قرى الأقاليـم المصرية اشاعات ، وتقولوا أقاويل ، منها : أن الباشا يطلب من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين وعشر من البنات ، يزوجهم بهن ، ويمهرهن من ماله ، ويرتب لهم نفقات الى بدو صلاح المزارع !

ثم أشاعوا الطلب للصـبيان الغير مختونين ليرسلهم الى بلاد الافرنج ليتعلموا الصنائع التى لم تكن بأرض مصر . وشاع ذلك فى أهل القرى ، وثبت ذلك عندهم ! فختن الجميع صـبيانهم . ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وغيبها عنـد معارفه بالمدينة ... الى غـير ذلك من الأقاويل التى لم يثبت منها الا ما ذكر أولا من أن المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلد الشرقية لا غير . وقد تعمر هذا الوادى بالسواقى والأشجار والسكان من جميع الأجناس ، وانتشأ دنيا جديدة متسـعة لم يكن لها وجود قبل ذلك ... بل كانت برية خرابا وفضاء واسعا .

وفيه : سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة ، وكبيرهم ابراهيم أغا — الذى كان كتخدا ابراهيم باشـا ، ثم تولى كشـوفية المنوفية — وصحبته خزينة وجبخانة ومطلوبات لمخدومه .

جمـادى الآخرة

فى أوائله (النصف الثانى من ابريل ١٨١٧ م) :

حضر الى مصر ابن يوسف باشـا — حـاكم طرابلس — ومعه أخوه أصغر منـه ، يستأذنان الباشـا فى حضـور والدهما الى مصر فارا من والده . وكان ولاه على ناحية درنة وبنى غازى ، فحصل منه ما غير خاطر والده عليه ، وعزم على

أن يحرد عليه ! فأرسل أولاده الى صاحب مصر بهدية ، ويستأذن فى الحضور الى مصر والالتجاء اليه . فاذن له فى الحضور . وهو ابن أخى الذى بمصر أولا ، وسافر مع الباشا الى الحجاز ، ورجع الى مصر ، واستمر ساكنا بالسبع قاعات .

وفيه : وصل الخبر بأن ابراهيم أغا ، الذى سافر مع الجردة ، لما وصل الى العقبة أمر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل . فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته وذهب على طريق الشام .

١٦ منه (٣ مايو ١٨١٧ م) :

وصل جراد كثير ليلا ، ونزل ببستان الباشا بشبرا ، وتعلق بالأشجار والزهور ، وصاحت الخولة والبستانجية . وأرسل الباشا الى الحسينية وغيرها ، فجمعوا مشاعل كثيرة وأوقدوها ، وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده . وأمر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان ، فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا !

١٩ منه (٦ مايو ١٨١٧ م) :

وصل قبل الغروب جراد كثير من ناحية المشرق ، مارا بين السماء والأرض مثل السحاب ، وكان الريح ساكنا فسقط منه الكثير على الجنائن والمزارع والمقائىء . فلما كان فى نصف الليل هبت رياح جنوبية ، واستمرت ، واشتد هبوبها عند انتصاف النهار ، وأثارت غبارا أصفر وعبوقا بالجو ، ودامت الى بعد العصر يوم السبت ، فطردت ذلك الجراد وأذهبته ... فسبحان الحكيم المدبر اللطيف !

٢٠ منه (٧ مايو ١٨١٧ م) :

طاف مناد أعمى يقوده آخر بالأسواق ، ويقول فى ندائه : « من كان مريضا أو به رمد أو جراحة أو ادرة ، فليذهب الى خان بالموسكى به أربعة من حكماء الافرنج أطباء يداوونه من غير مقابلة شىء » . فتعجب الناس من هذا وتحاكوه ، وسعوا الى جهتهم لطلب التداوى .

وفيه : حضر ابن باشت طرابلس ، ودخل الى المدينة — وصحبته نحو المائتى نفر من أتباعه — فانزله الباشا فى منزل أم مرزوق بيك بحارة عابدين ، وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه .

٢١ منه (٨ مايو ١٨١٧ م) :

وصل خبر الأطباء ومناداتهم الى كتخدا بيك ، فأحضر حكيم باشا وسأله فأنكر معرفتهم ، وأنه لا علم عنده بذلك ، فأمر باحضارهم وسألهم ، فخلطوا فى الكلام ، فأمر باخراجهم من البلدة ، ونفوهم فى الحال ، وذهبوا الى حيث شاء الله ... ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين ، لجوزى بالقتل أو الخازوق !

وكان صورة جلوسهم أن يجلس أحدهم خارج المكان والآخر من داخل ، وبينهما ترجمان . ويأتى مريد العلاج الى الأول — وهو كأنه الرئيس — فيجس نبضه أو بيضه ، وكأنه عرف علته ، ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها لآخر بداخل المكان ، فيعطيه شيئا من الدهن أو السفوف أو الحب المركب ، ويطلب منه اما قرشا أو قرشين أو خمسة بحسب الحال ... وذلك ثمن الدواء لاغير !

وشاع ذلك ، وتسامع الناس — وأكثرهم معلول ! ومن طبيعتهم التقليد والرغبة فى الوارد الغريب — فتكاثروا وتزاحموا عليهم ، فجمعوا فى الأيام القليلة جملة من الدراهم .

واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب من الافرنج . واصطلاحهم :

اذا دعى الواحد منهم لمعالجة المريض ، فأول مايبدأ به نقل قدمه بدراهم يأخذها اما ريال فرانسة أو أكثر ، بحسب الحال والمقام ، ثم يذهب الى المريض فيجسه ويزعم أنه عرف علته ومرضه ... وربما هول على المريض داءه وعلاجه . ثم يقاول على سعيه فى معالجته بمقدار من الفرانسة ، اما خمسين أو مائة ، أو أكثر بحسب مقام العليل ، ويطلب نصف الجعالة ابتداء ، ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة أيضا ، ثم يزاوله بالعلاجات التى تجددت عندهم ، وهى مياه مستقطرة من الأعشاب أو أدهان ... كذلك يأتون بها للمرضى فى قوارير الزجاج اللطيفة فى المنظر يسمونها بأسماء بلغاتهم ، ويعربونها بدهن البادزهر ، وأكسير الخاصة ونحو ذلك فان شفى الله العليل ، أخذ منه بقية ماقاوله عليه...أو أماته ، طالب الورثة بباقى الجعالة وثمن الأدوية طبق مايدعيه . واذا قيل له : انه قد مات . قال فى جوابه : « انى لم أضمن أجله ، وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر » وفيهم من جعل له فى كل يوم عشرة من الفرانسة .

وفيه : رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجرى الى بركة عميقة ، تحفر أيضا بالاسكندرية ، تسير فيها السفن بالغلال وغيرها .... ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية . فطلب لذلك خمسين ألف فأس ومسحة يصنعها صناع الحديد ، وأمر بجمع الرجال من القرى — وهم مائة ألف فلاح — توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجرة . وبرزت الأوامر بذلك ، فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد ، لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم . فشرعوا فى التشهيل وما يتزودون به فى البرية ، ولا يدرون مدة الاقامة : فمنهم من يقدرها بالسنة ، ومنهم بأقل أو أكثر .

رجب

٢ منه (١٩ مايو ١٨١٧ م — ١٢ بشنس ١٥٣٣ ق) :

قبل الغروب بنحو ساعة ، تغير الجو بسحاب وقتام ، وحصل رعد متتابع ، وأعقبه مطر بعد الغروب . ثم انجلى ذلك .

والسبب فى ذكر مثل هذه الجزئية شيئان : الأول وقوعها فى غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد . الثانى : الاحتياج اليها فى بعض الأحيان فى العلامات السماوية ، وبالأكثر فى الوقائع العامية . فان العامة لايؤرخون غالبا بالأعوام والشهور ، بل بحادثة أرضية أو سماوية ، خصوصا اذا حصلت فى غير وقتها ، أو ملحمة أو معركة أو فصل أو مرض عام أو موت كبير أو أمير ا فاذا سئل الشخص عن وقت مولده أو مولد ابنه أو ابنته أو موت أبيه أو سنة بلوغه سن الرشد ، يقول : كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الأيام . ثم لا يدرى فى أى شهر أو عام ... وخصوصا اذا طال الزمان بعدها .

وقد تكرر الاحتياج الى تحرير الوقت فى مسائل شرعية فى مجلس الشرع — فى مثل الحضانة ، والعدة ، والنفقة ، وسن اليأس ، ومدة غيبة المفقود — بأن يتفق قولهم على أن الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور ، أو يوم موت الأمير فلان ، أو الواقعة الفلانية .... ويختلفون فى تحقيق وقتها . وعند ذلك يحتاجون الى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها . وفى غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشىء من ذلك ، لاعتيادهم اهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الأوائل... الا بقدر اقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا . ولولا تدوين العلوم — وخصوصا علم الأخبار — ماوصل الينا شىء منها ، ولا الشرائع الواجبة . ولا



ابراهيم .. فى حروبه مع الوهابية

يشك شاك فى فوائد التدوين وخصائصه بنص التنزيل قال تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

١٠ منه (٢٧ مايو ١٨١٧ م) :

وصلت هجانة وأخبار عن ابراهيم باشا من الحجاز : بأنه وصل الى محل يسمى الموتان ، فوقع بينه وبين الوهابية ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأخذ منهم أسرى وخياما ومدفعين . فضربوا لتلك الأخبار مدافع سرورا بذلك الخبر .

١٨ منه (٤ يونية ١٨١٧ م) :

سافر الباشا الى أسكلة السويس — وصحبته السيد محمد المحروقى — ليتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية .

شعبان

فيه : رجع الباشا من السويس ، وأخلوا للبضائع الواصلة ثلاث خانات توضع فى حواصلها ، ثم توزع على الباعة بالثمن الذى يفرضه .

وفيه : وصل الخبر أيضا بوصول سفائن الى بندر جدة ، وفيها ثلاثة من الفيلة .

وفيه : قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم ، وأن يكون عرضها عشرة أقصاب ، والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضى وانخفاضها .

وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال ، وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القرية وقلتها ، وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير . وجمعت الغلقان ، ولكل غلق فأس وثلاثة رجال لخدمته ، وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا ترحيلة ، ولكل شخص ثلاثون نصفا فى أجرته كل يوم وقت العمل . وحصل الاهتمام لذلك فى وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس ، وزراعة الذرة التى هى معظم قوتهم . وشرعوا فى تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء ... فان بتلك البرية لا يوجد الماء الا ببعض الحفائر التى يحفرها طالب الماء ، وقد تخرج مالحة لأنها أراض مسبخة .

وتعين جماعة من مهندسخانة ، ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها ، فقاسوا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية ، الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية ، فبلغ ذلك ستة وعشرين ألف قصبة ، ثم قاسوا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية — وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة — فكان أقل من ذلك ، ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر . فوقع الاختيار على أن يكون ابتداؤها هناك .

وفى أثناء ذلك : زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة — وذلك فى منتصف بؤونة القبطى — وغرق المقاثىء من البطيخ والخيار والعبدلاوى ، وأهمل أمر الحفر فى الترعة المذكورة الى ما بعد النيل ، واستردت الدراهم التى أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة ! وفرحوا بذلك الاهمال . وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة آلاف كيس من تحت الحساب ، ورجع المهندسون الى مصر وقد صوروا صورتها فى كواغد ليطلع عليها الباشا عيانا ، وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان .

وفيه : تقلد ابراهيم أغا — المعروف بأغات الباب — أمر تنظيم الأصناف والمحدثات وعمل معدلاتها ، لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين أمر كل صنف من الأصناف ، بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الأشياء .

وفيه : وصل نحو المائتى شخص من بلاد الروم ... أرباب صنائع : معمرين ، ونجارين ، وحدادين ، وبنائين . وهم مابين أرمنى ونجريجى ، ونحو ذلك .

وفيه أيضا : اهتم الباشا ببناء حائطين بحرى رشيد — عند الطينة على يمين البغاز وشماله — لينحصر فيما بينهما الماء ، ولا تطمى الرمال وقت ضعف النيل ، ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب وتلف أموال المسافرين ، وقد كمل ذلك فى هذا الشهر . وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التى لم يسبق بمثلها .

السبت ٢٠ منه (٥ يولية ١٨١٧ م) :

شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة فى المعاملة ، وعلقوا بأنفه ريال فرانسة .. مع أن الزيادة سارية فى المبيعات والمشتروات من غير انكار !

وفيه أيضا : خزم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين فى نواحى وجهات متفرقة وعلق فى آنافهم قطعاً من اللحم . وذلك بسبب الزيادة فى ثمن اللحم ، وبيعهم له بما أحبوه من الثمن فى بعض

الأماكن خفية ... لأن الجزارين اذا نزلوا باللحم من المذبح — وأكثره هزيل ونعاج ومعز ، والقليل من المناسب الجيد — فيعلقون الردىء بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ، ويخفون الجيد ويبيعونه فى بعض الأماكن بما يحبون .

الخميس ٢٥ منه (١٠ يولية ١٨١٧ م) :

وصلت الأفيال الثلاثة من السويس — أحدها كبير عن الاثنين ، ولكن متوسط فى الكبر — فعبروا بها من باب النصر ، وشقوا من وسط المدينة ، وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الأحمر ، وذهبوا بها الى قراميدان . وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها ، وذهبوا خلفها ، وازدحموا فى الأسواق لرؤيتها ... وكذلك العسكر والدلاة ، ركبانا ومشاة ، وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من الخشب .

رمضان

الثلاثاء غرته (١٥ يولية ١٨١٧ م) :

عملت الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب ، وكذا مشايخ الحرف كعادتهم . وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة ، وكان عسر الرؤية جدا .

وفى صبح ذلك اليوم : عزل عثمان آغا الورداني من الحسبة ، وتقلدها مصطفى كاشف كرد ... وذلك لما تكرر على سمع الباشا أفعال السوقة وانحرافهم ، وقلة طاعتهم ، وعدم مبالاتهم بالضرب والايذاء وخزم الأنوف والتجريس ... قال فى مجلس خاصته : « لقد سرى حكمى فى الأقاليم البعيدة فضلا عن القريبة ، وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم ... خلاف سوقة مصر ، فانهم لايرتدعون بما يفعله فيهم ولاة الحسبة من الاهانة والايذاء ، فلا بد لهم من شخص يقهرهم ولا يرحمهم ، ولا يهملهم » ! فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا ، فقلده ذلك ، وأطلق له الأذن .

فعند ذلك ركب فى كبكبة ، وخلفه عدة من الخيالة ، وترك شعار المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه ، وكذلك الذى أمامه بالميزان ، ومن بأيديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن . وبات يطوف على الباعة ، ويضرب بالدبوس هشما بأدنى سبب ، ويعاقب بقطع شحمة الأذن . فأغلقوا الحوانيت ، ومنعوا وجود الأشياء — حتى ماجرت به العادة فى رمضان ، من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره — فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت ، وزاد فى العسف ، ولم يرجع عن سعيه واجتهاده . ولازم على السعى والطواف ليلا ونهارا ، لاينام الليل ... بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم فى أى مكان ، ولو على مصطبة حانوت !

وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه ، المخزون فى الحواصل ، ويخرجه ، ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض ، ويوزعه لأرباب الحوانيت ليبيعوه على الناس بزيادة نصف أو نصفين فى كل رطل .

وذهب الى بولاق ومصر القديمة ، فاستخرج منهما سمنا كثيرا ... ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر . فان العسكر كانوا يرصدون لفلاحين وغيرهم ، فيأخذونه منهم بالسعر المفروض — وهو مائتان وأربعون فى العشرة منه — ثم يبيعونه على المحتاجين اليه بما أحبوا من الزيادة الفاحشة ... فلم يراع جانبهم ، واستخرج مخبآتهم قهرا عنهم . ومن خالف عليه منهم ، ضربه وأخذ سلاحه ، ونكل به .

وذهب فى بعض الأوقات الى بولاق فأخرج من حاصل ببعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا

لكبير من العسكر . فحضر اليه بطائفته ، فلم يلتفت اليه ووبخه ، وقال له : « أنتم عساكر ... لكم الرواتب والعلائف واللحوم والأسمان وخلافها ، ثم تحتكرون أيضا أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد » ! وأعطاه الثمن المفروض ، وحمل المواعين على الجمال الى الأمكنة التى أعدها لها عند باب الفتوح .

وعندما رأى أرباب الحوانيت الجد وعدم الاهمال ، والتشديد عليهم — فتح المغلق منهم حانوته ، وأظهروا مخبآتهم أمامهم ، وملأوا السدربات والطسوت من السمن وأنواع الجبن ... خوفا من بطش المحتسب ، وعدم رحمته بهم . ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون !

الثلاثاء ١٥ منه (٢٩ يولية ١٨١٧ م) :

وصلوا برمة ابراهيم بيك الكبير من دنقلة . وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا فى ارسالها امرأة تدعى نفيسة لاحضار رمته . فأذن بذلك ، وأعطى المتسفرة ، فيما بلغنا ، عشرة أكياس ، وكتب لها مكاتبات لكشاف الوجه القبلى بالمساعدة . وسافرت وحضرت به فى تابوت — وقد جف جلده على عظمه لنحافته — وذلك بعد موته بنحو ستة شهور . وعملوا له مشهدا وأمامه كفارة ، ودفنوه بالقرافة الصغرى عند ابنه مرزوق بيك .

الخميس ١٧ منه (٣١ يولية ١٨١٧ م) :

طلب المحتسب حجاج الخضرى ، الشهير بنواحى الرميلة ، فأخذه الى الجمالية ، وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة ، وذلك فى سادس ساعة من الليل وقت السحور ، وتركوه معلقا لمثلها من الليلة القابلة ! ثم أذن برفعه ، فأخذه أهله ودفنوه .

وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة فى واقعة خورشيد باشا وغيرها . وكان مشهورا بالاقدام والشجاعة ، طويل القامة ، عظيم الهمة . وكان شيخا على طوائف الخضرية ، صاحب صولة وكلمة بتلك النواحى ، ومكارم أخلاق . وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة أيام الفتنة ، واختفى مرارا ، بعد تلك الحوادث ، وانضم الى الألفى ، ثم حضر الى مصر بأمان . ولم يزل على حالته فى هدو وسكون ، ولم يؤخذ فى هذه بجرم فعله يوجب شنقه ... بل قتل مظلوما لحقد سابق ، وزجرا لغيره !

الاثنين ٢٨ منه (١١ اغسطس ١٨١٧ م — ٦ مسرى ١٥٣٣ ق) :

أوفى النيل أذرعه بالوفاء ، وكسر السد — صبح يوم الثلاثاء — بحضرة كتخدا بيك والقاضى وغيره ، وجرى الماء فى الخليج ، ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة .

هـذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ، ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس ، وأقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التى على النار ! وأمر بكنس الأسواق ومواظبة رشها بالماء ، ووقود القناديل على أبواب الدور ، وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل .

ويركب آخر الليل ، ثم يذهب الى بولاق ، ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر ، ويعرف عدة الشروات ، ويأمرهم بدفع مكوسها المفروض ، ثم يأمرهم بالذهاب الى مراكز بيعهم ... ولا يبيعون شيئا حتى يأتيهم بنفسه ، أو بحضرة من يرسله من طرفه . ثم يعود طائفا عليهم فيحصى ما فى فرش أحدهم عددا ، ويميز الكبير بثمن والصغير بثمن ، ويترك عند البائع من يباشره ، أو يقف هو بنفسه ، ويبيع على الناس بما فرضه ، ويعطى لصاحبه

الثمن والربح ، فيراه قد ربح العشرة قروش وأكثر بعد مكسه ومصارفه ، فيقـول له : « أما يكفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضا فى الزيادة عليه ؟ » وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيره .

ويحلق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين ، فيزنه منهـم بالسـعر المفـروض — وهو أربعة وعشرون نصفا الرطل — ويرد عليهم الفوارغ ، ويعطيه للبائع بالثمن المقرر — وهو ستة وعشرون — وهم يبيعونه بزيادة نصفين فى كل رطل — وهو ثمانية وعشرون — ويناله الناس بأسهل وجدان ، سالما من الخلط والغش ، ويأمرهم باعادة ما عسى يوجـد فيه من المرتة والعكار الى مواعينه ليوزن مع فوارغه .

ورصد أيضا ما يرد للنـــاس — ولو لأكابر الدولة — من السمن ، فيطلق البعض ، ويأخـذ البـاقى بالثمن . وكذلك ما يأتيهم من البطيخ والدجاج ولـو كان لصاحب الدولة ، حسب اذنه له بذلك — كل ذلك للحرص على كثرة وجـدان الأشياء .

وتعدت أحكامه الى بضائع التجار والأقمشـة الهندية وأهل مرجوش والمحلاوية وخلافهم ، وطلب قوائم مشترواتهم ، والنظر فى مكاييلهم . فضـاق خناق أكثر الناس من ذلك ، لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله . وكأنه وصله خبر ولاة الحسـبة وأحكامهم فى الدول المصرية القديمة : فان وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضـاء ، وله التحـكم والعدالة ، والتكلم على جميع الأشياء .

وكان لا يتولاها الا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة ، حتى على من يتصدر لتقرير العلوم . فيحضر مجلسه ويباحثه ، فان وجد فيه أهلية للالقاء أذن له بالتصـدر ، أو منعه حتى يستكمل . وكذلك الأطباء والجراحية ... حتى البيطـارية والبزدرية ، ومعلمو الأطفـال فى المكاتب ، ومعلمو السـباحة فى المـاء ، والنظر فى وسق المراكب فى الأسفار ، وأحمال الدواب فى نقل الأشياء ومقادير روايا الماء ، مما يطول شرحه . وفى ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة . وقد يسـهل بعض ذلك مع العدالة ، وعدم الاحتكار ، وطمع المتولى وتطلعه لما فى أيدى النـــاس وأرزاقهم .

ومما يحكى : أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له : « يا أبا الحرث ... ما صلاح بلدكم ؟ » يعنى مصر . فقال له : « أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيـل . وأما أحكامها ... فمن رأس العين يأتى الكدر » !

فى اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٨١٧ م) :

زاد المحتسب فى نغمـات الطنبور ، وهو أنه أرسل مناديه فى مصر القديمة ينادى على نصـارى الأرمن والأروام والشوام : باخلاء البيوت التى عمروها وزخرفوها ، وسكنوا بها بالانشاء والملك والمؤاجرة ... المطلة على النيل ، وأن يعودوا الى زيهم الأول من لبس العمائم الزرق ، وعدم ركوبهم الخيـول والبغـال والرهوانات الفـارهة ، واستخدامهم المسلمين . فتقدم أعاظمهم الى الباشا بالشكوى ، وهو يراعي جانبهم لأنهم صـاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة ، وندماء الصحبة !

وأيضـا : نادى مناديه على المردان ، ومحلقى اللحى : بأنهم يتركونها ولا يحلقونها وجميـع العسكر ، وغالب الأتراك ، سنتهم حلق اللحى — ولو طعن فى السن — فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم ، وذلك خرم لقواعـدهم ... بل يرونه من الكبائر . وكذلك السيد محمـد المحروقى بسبب تعرضه الى بضائع التجار وأهل الغورية ، فان ذلك منوط به .

وفى أثناء ذلك ، ورد الى عابدين بيك مواعين

سمن ، فأرسل الجمال الى حملها من ساحل بولاق ، فبلغ خبرها المحتسب ، فأخذها وأدخلها مخزنه ، وعادت الجمال فارغة . وأخبروا مخدومهم بحجز المحتسب لها ، فأرسل عدة من العسكر فأخرجوها من المخزن وأخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا . واتفق أنه ضرب شخصا من عسكر المذكور أرنؤودى بالدبوس حتى كاد يموت ، فاشتد بعابدين بيك الحنق ، وركب الى كتخدا بيك وشنع على المحتسب . وتعددت الشكاوى ، وصادفت فى زمن واحد ... فأنهى الأمر الى الباشا ، فتقدم اليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال ، فأحضره الكتخدا وزجره ، وأمره ألا يتعدى حكمه الباعة ، ومن كان يسرى عليهم أحكام من كان فى منصبه قبله ، وأن يكون أمامه الميزان ، ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس .

شوال

الخميس غرته (١٤ اغسطس ١٨١٧ م) .

ترك المحتسب السروح فى أيام العيد . وأشيع بين السوقة عزله ، فأظهروا الفرح ، ورفعوا ما كان ظاهرا بين أيديهم من السمن والجبن وأخفوه عن الأعين ، ورجعوا الى حالتهم الأولى فى الغش والخيانة وغلاء السعر ، وأغلق بعضهم الحانوت ، وخرجوا الى المنتزهات وعملوا ولائم .

الاحد ٤ منه (١٧ اغسطس ١٨١٧ م) :

شنقوا عدة أشخاص فى أماكن متفرقة قيل انهم سراق وزغلية ، وكانوا مسجونين فى أيام رمضان . ولم يركب المحتسب حسب الأمر ، بل أركب خازنداره ، وشق بالميزان عوضا عنه ، ثم ركب هو أيضا ، وبيده الدبوس ، لكن دون الحالة الأولى فى الجبروت ، ولم يسر حكمه على النصارى فضلا عن غيرهم .

السبت ١٠ منه (٢٣ اغسطس ١٨١٧ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة ، وشقوا بها من وسط الشارع الى المشهد الحسينى .

السبت ١٧ منه (٣٠ اغسطس ١٨١٧ م) :

أداروا المحمل ، وخرج أمير الركب الى خارج باب النصر ، ووصلت حجاج كثيرة من ناحية المغرب الى بر انبابة وبولاق ، وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن . ويذهب الكثير من الناس الى الشراء منهم فيقعون فى الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف وأكثر . وضرورتهم فى الشراء منهم ، رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى ، وقد هزلت من السفر والاقامة بالجوع والعطش ، ويموت الكثير منها فيسلخونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس . وفيه المتغير الرائحة ، وما تعافه النفوس . فبسبب ذلك اضطر الناس الى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن ، وتحمل سوء أخلاقهم . وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور ، وقتل بينهم قتلى ومجاريح ... والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن . ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملأوا الأزقة والنواحى .

وحضر أيضا الركب الفاسى ، وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما ، فأحسن الباشا نزلهم ، وتقيد السيد محمد المحروقى بملاقاتهم ولوازمهم . وأنزلوهم فى منزل بجوار المشهد الحسينى ، وأجريت عليهم نفقات تليق بهم ، وأهديا للباشا هدية وفيها عدة بغال وبرانس حرير ، وغير ذلك .

الأربعاء ٢٨ منه (١٠ سبتمبر ١٨١٧ م) :

ارتحل الحج المصرى من البركة ، وكانت الحجوج فى هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس :

أتراك ، وططر ، وبشناق ، وجركس ، وفلاحين ، ومن سائر الأجناس . ورجع الكثير من المسافرين على بحر القلزم الى الحجاز من السويس لقلة المراكب التى تحملهم ، وغصت المدينة من كثرة الزحام ... زيادة على مابها من ازدحام العساكر وأخلاط العالم : من فلاحى القرى المشيعين والمسافرين ، ومن يرد من الآفاق والبلاد الشامية ، ونصارى الروم والأرمن ، والدلاة ، والواردين ، والذين استدعاهم الباشا من الدروز ، والمتاولة والنصيرية وغيرهم ، لعمل الصنائع والمزارع وشغل الحرير ، وما استجده بوادى الشرق ... حتى ان الانسان يقاسى الشدة والهول اذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ، ومرور الخيالة وحمير الأوسية والجمال التى تحمل الأتربة والأنقاض والأحجار لعمائر الدولة ، سوى من عداها من حمول الأحطاب والبضائع والتراسين ... حتى الزحمة فى داخل العطف الضيقة !

وزيادة على ذلك كثرة الكلاب ! بحيث يكون فى القطعة من الطريق نحو الخمسين ثم صياحها ونباحها المستمر — وخصوصا فى الليل — على المارين ، وتشاجرها مع بعضها ، مما يزعج النفوس ، ويمنع الهجوع !

وقد أحسن الفرنساوية بقتلهم الكلاب : فانهم لما استقروا ، وتكرر مرورهم ، ونظروا الى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا منفعة سوى الهبهبة والعواء — وخصوصا عليهم لغرابة أشكالهم — فطاف عليها طائف منهم باللحم المسموم ، فما أصبح النهار الا وجميعها موتى مطروحة بجميع الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذا بالحبال الى الخلاء ، واستراحت الأرض ومن فيها منها فالله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

ذو القعدة

٥ منه (١٦ سبتمبر ١٨١٧ م) :

ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة .

اواخره (أوائل اكتوبر ١٨١٧ م) :

حصل الأمر للفقهاء بالأزهر بقراءة صحيح البخارى . فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين ، وفرقوا بينهم أجزاء وكراريس من البخارى يقرأون فيها فى مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق . فاستمروا على ذلك خمسة أيام ... وذلك بقصد حصول النصر لابراهيم باشا على الوهابية ! وقد طالت مدة إنقطاع الأخبار عنه ، وحصل لأبيه قلق زائد ولما انقضت أيام قراءة البخارى ، نزل للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم ، وكذلك على أطفال المكاتب .

ذو الحجة

الأربعاء ٤ منه (١٥ اكتوبر ١٨١٧ م) :

شنقوا أشخاصا قيل انهم خمسة ، ويقال انهم حرامية .

وفيه : أرسلت الأفيال الثلاثة الى دار السلطنة صحبة الهدايا المرسلة . ثلاثة سروج دهب ، وفيها سرج مجوهر ، وخيول ، وكباش ، ونقود ، وأقمشة هندية ، وسكاكر وأرز .

وفيه وصل فيل آخر كبير ، مروا به من وسط المدينة ، وذهبوا به الى رحبة بيت السيد محمد المحروقى .. وقفوا به فى أواخر النهار ، والناس تجتمع للفرجة عليه الى أواخر النهار ثم طلعوا به الى القلعة وأوقفوه بالطبخانة ، وهى محل عمل المدافع

وحضر بصحبته شخص يدعى العلم والمعرفة بالطب والحكمة ، ومعه مجلد كبير فى حجم الوسادة

يحتوى على الكتب الستة الحديثية ، وخطه دقيق ، قال انه نسخه بيده . ونزل ببيت السيد محمد المحروقى ، وركب له معجون الجواهر أنفق فيه جملة من المال ، وكحلا . وركب أيضا تراكيب لغيره ، وشرط عليهم فى الاستعمال بعد مضى ستة أشهر ، وشىء منها بعد شهرين وثلاثة . وأقام أياما ، ثم سافر راجعا الى صنعاء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ اكتوبر ١٨١٧ م) :

كان عيد النحر ، ولم يرد فيه مواشى كثيرة ، كالأعياد السابقة ، من الأغنام والجواميس التى تأتى من الأرياف ، فكانت تزدحم منها الأسواق لكثرتها ، والوكائل والرميلة .... فلم يرد الا النزر القليل قبل النحر بيومين ، ويباع بالثمن الغالى . ولم يذبح الجزارون فى أيام النحر للبيع كعادتهم... الا القليل منهم ، مع التحجير على الجلود وعلى من يشتريها ، وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جدا ....

وانقضت السنة .... مع استمرار ماتجدد فيها من الحوادث التى منها ماحدث فى آخر السنة : من الحجر وضبط أنوال الحياكة ، وكل مايصنع بالمكوك ، وما ينسج على نول أو نحوه من جميع الأصناف من ابريسم ، أو حرير ، أو كتان — الا الخيش والفل والحصير — فى سائر الاقليم المصرى ، طولا وعرضا ، قبلى وبحرى : من الاسكندرية ودمياط الى أقصى بلاد الصعيد والفيوم ، وكل ناحية تحت حكم هذا المتولى .

وانتظمت لهذا الباب دواوين ببيت محمود بيك الخازندار ، وأياما ببيت السيد محمد المحروقى ، وبحضرة من ذكر والمعلم غالى . ومتولى كبرذلك ، والمفتتح لأبوابه : المعلم يوسف كنعان الشامى ، والمعلم منصور أبو سريمون القبطى . ورتبوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يتفرقون بالنواحى والبلدان والقرى ، وما يلزم لهم من المصاريف والمعاليم والمشاهرات ما يكفيهم فى نظير تقيدهم وخدمتهم . فيمضى المتعينون لذلك فيحصون مايكون موجودا على الأنوال بالناحية ، من القماش والبز والأكسيه الصوف المعروفة بالزعابيط والدفافى ، ويكتبون عدده على ذمة الصانع ، ويكون ملزوما به .... حتى اذا تم نسجه ، دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذى يفرضونه . وان أرادها صاحبها ، أخذها من الموكلين بالثمن الذى يقدرونه ، بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة الميرى . فان ظهر عند شخص شىء من غير علامة الميرى ، أخذت منه .. بل وعوقب ، وغرم تأديبا على اختلاسه ، وتحذيرا لغيره !

هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين ، واستئناف العمل المجدد : فان الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها ، فيقيمونه وكيلا ، ويعطونه مبلغا من الدراهم ، ويأمرونه باحصاء الأنوال والشغالين والبطالين منهم فى دفتر ، فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التى ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميرى . ويدفع المتوكل لشخصين أو ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتى يغزلن الكتان بالنواحى ، ويجعلنه أذرعا ، فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ، ويأتون به الى النساجين ، ثم تجمع أصناف الأقمشة فى أماكن للبيع بالثمن الزائد . وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل : خان أبو طلقية ، وخان الجلاد . وبه يجلس المعلم كنعان ومن معه ، وغير ذلك .

وبلغ ثمن الثوب القطن ، الذى يقال له البطانة ، الى ثلثمائة نصف فضة ، بعدما كان يشترى بمائة نصف ، وأقل وأكثر ، بحسب الرداءة والجودة .... وأدركناه يباع فى الزمن السابق بعشرين نصفا . وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ الى ستمائة نصف

فضة ، وكان يبـاع بأقل من ثلث ذلك ... وقس على ذلك باقى الأصناف . وهـذه البدعة أشنع البـدع المحدثة ، فان ضررها عم الغنى والفقير ، والجليل والحقير . والحكم لله العلى الكبير .

ومنها : أن المشار اليه هدم القصر الذى بالآثار ، وأنشـأه على الهيئة الرومية التى ابتـدعوها فى عمائرهم بمصر ، وهدموه وعمروه وبيضوه فى أيام قليلة . وذلك أنه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه ، فاختار بنـاءه على هواه . وعنـد تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف ، جعـل يتردد الى المبيت به بعض الأحيان مع السرارى والغلمان ، كما يتنقل من قصر الجيزة وشبرا والأزبكية والقلعة وغيرها من سرايات أولاده وأصـهاره . والملك لله الواحد القهار .

ومنها : أن طائفة من الافرنج الانكليز قصـدوا الاطلاع على الأهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربى الفسطاط ، لأن طبيعتهم ورغبتهم الاطلاع على الأشياء المستغربات ، والفحص عن الجزئيات ... وخصـوصا الآثار القديمـة ، وعجائب البلدان والتصـاوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحية القبلية وغيرها . ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض ، ويصرفون لذلك جملا من المـال فى نفقاتهم ولوازمهم ومؤاجريهم .

حتى انهم ذهبوا الى أقصى الصعيد ، وأحضروا قطـع أحجار عليهـا نقوش وأقلام وتصـاوير ، ونواويس من رخام أبيض ، كان بداخلهـا موتى بأكفانها وأجسامها باقية بسبب الأطليـة والأدهان الحافظة لها من البلى ، ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التى كان عليها فى حال حياته ، وتماثيل آدمية من الحجر السماقى الأسـود المنقط الذى لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسى ، واضعين أيديهم على الركب ، وبيد كل واحد شبه مفتـاح بين أصابعه اليسرى ، والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه أطول من قامة الرجل الطويل ، وعلو رأسه نصف دائرة منه فى علو الشبر ... وهم شبه العبيد المشوهين الصورة ، وهم سـتة على مثال واحـد كأنما أفرغوا فى قالب واحد ، يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين ، وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة . وأحضروا أيضا رأس صنم كبـير ، دفعـوا فى أجرة السفينة التى أحضرته فيهـا ستة عشر كيسـا : عنهـا ثلثمائة وعشرون ألف نصف فضة ، وأرسلوها الى بلادهم لتباع هنـاك بأضعاف ما صرفوه عليها ... وذلك عندهم من جملة المتاجر فى الأشياء الغريبة !

ولما سمعت بالصـور المذكورة ، ذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير ، المعروف بالساعاتى ، وسـيدى ابراهيم المهـدى الانكليزى ، الى بيت قنصـل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشـيخ سلامة جهة الأزبكية ، وشاهدت ذلك كما ذكرته ، وتعجبنا من صناعتهم وتشابههم ، وصقالة أبدانهـم الباقية على ممر السـنين ، والقرون التى لا يعلم قدرها الا علام الغيوب .

وأرادوا الاطلاع على أمر الأهرام ، وأذن لهم صاحب المملكة ، فذهبـوا اليها ونصبوا خيمة ، وأحضروا الفعلة والمساحى والغلقان ، وعبروا الى داخلهـا ، وأخرجوا منهـا أتربة كثـيرة من زبل الوطواط وغيره ، ونزلوا الى الزلاقة ، ونقلوا منها ترابا كثيرا وزبلا ، فانتهوا الى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك — هـذا ما بلغنا عنهم — وحفروا حوالى الرأس العظيمة التى بالقـرب من الاهرام ، التى تسميها النـاس رأس أبى الهول ، فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ، ممتد كأنه راقد على بطنه ، رافع رأسـه — وهى التى يراها الناس — وباقى جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال ، وساعداه من مرفقيه ممتدان أمامه ،

وبينهما شبه صندوق مربع الى استطالة ، من سماق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير : فى داخله صورة سبع مجسم من حجر مدهون بدهان أحمر رابض ، باسط ذراعيه فى مقدار الكلب ، رفعوه أيضا الى بيت القنصل ، ورأيته يوم ذاك . وقيس المرتفع من جسم أبى الهول من عند صدره الى أعلى رأسه ، فكان اثنين وثلاثين ذراعا ، وهى نحو الربع من باقى جسمه ، وأقاموا فى هذا العمل نحوا من أربعة أشهر .

* * *

وأما من مات فى هذه السنة من المشاهير : فمات العالم العلامة ، الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة ، والتأليفات الفائقة ... شيخ شيوخ أهل العلم ، وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن فى العلوم كلها ، نقليها وعقليها وأدبيها . اليه انتهت الرياسة فى العلوم بالديار المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية . استنبط الفروع من الأصول ، واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائد ، وقلدها عوائد فرائد : الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوى ، المالكى الأزهرى ، الشهير بالأمير ، وهو لقب جده الأدنى أحمد . وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما امرة بالصعيد .

وأخبرنى المترجم من لفظه أن أصلهم من المغرب ، نزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب أبى التخصيص ، كما أخبر عن ذلك وثائق لهم ، ثم التزموا بحصة بناحية سنبو ، وارتحلوا اليها وقطنوا بها ، وبها ولد المترجم .

وكان مولده فى شهر ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف باخبار والديه ، وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين .

وكان قد ختم القرآن ، فجوده على الشيخ المنير ، على طريقة الشاطبية والدرة ، وحبب اليه طلب العلم . فأول ما حفظ : متن الأجرومية ، وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدي على بن العربي السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد فى التحصيل . ولازم دروس الشيخ الصعيدى فى الفقه وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدى شرح السعد على عقائد النسفى والأربعين النووية ، وسمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه : الشيخ محمد التاودى ابن سودة ، بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج ، ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتى سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفى ، وغير ذلك من الفنون : كالهيئة ، والهندسة ، والفلكيات ، والأوفاق ، والحكمة عنه ، وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوى المالكى . وكتب له اجازة مثبتة فى برنامج شيوخه .

وحضر الشيخ يوسف الحفنى فى آداب البحث وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحفنى أخيه ، مجالس من الجامع الصغير والشمايل والنجم الغيطى فى المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهرى فى شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسلسل بالأولية ، وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاى عبد الله الشريف . وشملته اجازة الشيخ الملوى ، وتلقى عنه مسائل فى أواخر أيام انقطاعه بالمنزل .

ومهر وأنجب ، وتصدر لالقاء الدروس فى حياة شيوخه ، ونما أمره ، واشتهر فضله — خصوصا بعد موت أشياخه — وشاع ذكره فى الآفاق ، وخصوصا بلاد المغرب ، وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحى فى كل عام . ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه ، وتوجه فى بعض لمقتضيات الى دار السلطنة ، وألقى هناك دروسا حضره فيها علماؤهم ، وشهدوا بفضله ،

واستجازوه وأجازهم بما هو مجاز به من أشياخه .
وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدى الطلبة ، وهى فى غاية التحرير ، منها مصنف فى فقه مذهبه سماه « المجموع » حاذى به مختصر خليل : جمع فيه الراجح فى المذهب ، وشرحه شرحا نفيسا . وقد صار كل منهما مقبولا فى أيام شيخه العدوى ... حتى كان اذا توقف شيخه فى موضع يقول : « هاتوا مختصر الأمير » ، وهى منقبة شريفة وشرح مختصر خليل ، وحاشية على المغنى لابن هشام ، وحاشية على الشيخ عبد الباقى على المختصر ، وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام ، وحاشية على الأزهرية ، وحاشية على الشنشورى على الرحبية فى الفرائض ، وحواشى على المعراج ، وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية ، ومؤلف سماه : مطلع النيرين فيمايتعلق بالقدرتين ، واتحاف الأنس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ، ورفع التلبيس عما يسأل به ابن خميس ، وثمر التمام فى شرح آداب الفهم والافهام ، وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر .
ومن نظمه قوله متغزلا :

أيها السيد المدلل ضاعت
فى الهوى ضيعتى وأنسيت لسكى
يالك الله لا تمل لسوائى
وتحكم ولو بما فيه فتكى
وانظر الحق فى علو غناه
كل شىء يمحوه غير الشرك

وله فى التشبيه :

ياحسن لون الشمس عند غروبها
فى روض أنس نزهة للأنفس
فكأنه وكأنه فى ناظرى
ذهب يجول على بساط سندس

وله أيضا :

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها
وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرآة ننظر وجهه
ففى وجهها من وجهه الضوء دافق

وله أيضا :

يامالك القلب من بين الملاح وان
توهم الغير أن القلب مشترك
انى أغار على حظى لديك فغر
أيضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينتهوا عما تسوله
نفوس سومهم طرق الردى سلكوا
توهموا أنهم حلوا وقد ملكوا
ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
ياسيد الكل ياقطب الجمال ومن
فى دولة الحسن يروى أنه الملك
ما كان قلبى يهوى الغير ياأملى
فابعث رميمى اذ أهل الهوى هلكوا
وأسقط البين وارفع حجب شأنك لى
ليشتفى خاطر بالفكر يعترك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى
على عيوب له بالعهد يمتسك

وله أيضا :

دع الدنيا فليس بها سرور
يتم ولا من الأحزان تسلم
ونفرض أنه قد تم فرضا
فغم زواله أمر محتم
فكن فيها غريبا ثم عبى
الى دار البقا ما فيه تغنم
وان لا بد من لهو فلهو
بشىء نافع والله أعلم

وله غير ذلك من النظم المليح ، والذوق الصحيح ، واللسان الفصيح .

وكان رحمه الله رقيق القلب ، لطيف المزاج ، ينزعج طبعه من غير انزعاج ... يكاد الوهم يؤلمه ، وسماع المنافر يوهنه ويسقمه . وبأخـرة ضعفت قواه ، وتراخت أعضاه ، وزاد شكواه . ولم يزل يتعلل ، ويزداد أنينـه ويتململ ، والأمـراض به تسلسل ، وداعى المنون عنه لا يتحول ... الى أن توفى يوم الاثنين عاشر ذى القعدة الحرام . وكان له مشهد حافل جدا ، ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفى ، بالقرب من عمـارة السلطان قايتباى . وكثر عليـه الأسف والحزن . وخلف ولده العلامة النحرير الشيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصدور كوالده : يقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية ... بارك الله فيه .

* * *

ومات الشيخ الفقيـه العلامة : الشيخ خليـل المدابغى ... لكونه يسكن بحارة المدابغ .

حضر دروس الأشـياخ من الطبقـة الأولى ، وحصل الفقه والمعقول ، واشتهر فضله ، مع فقره ، وانجماعه عن النـاس ... متقشفا متواضـعا ، ويكتسب من الكتـابة بالأجرة . ولـم يتجمـل بالملابس ، ولا بزى الفقهاء . يظن الجاهل به أنه من جملة العوام . توفى يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة من السنة .

* * *

ومات الشيخ الفقيه الورع : الشـيخ على ، المعروف بأبى زكرى البولاقى ... لسكنه ببولاق . وكان ملازما لاقراء الدروس ببولاق ، ويأتى الى الجامع الأزهر فى كل يوم : يقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة ، ويرجع الى بولاق بعد الظهر .

ومات حماره الذى كان يأتى عليه الى الجامع الأزهر ، فلم يتخلف عن عادته ، ويأتى ماشيا ثم يعود مدة ... حتى أشفق عليه بعض المشفقين من أهالى بولاق ، واشتروا له حمارا . ولم يزل على حالته وانكسـاره حتى توفى يوم الخميس ثامن شهر ذى القعدة من السنة ، رحمـه الله وايانا ، وجمعنا فى مستقر رحمته ... آمين .

* * *

ومات من أكابر الدولة ، المسمى ولى افندى ، ويقال له : ولى خوجا . وهو كاتب خزينة الباشا ، وأنشأ الدار العظيمـة التى بناحيـة باب اللوق ، وأدخل فيهـا عدة بيوت ، ودورا جليـلة تجاهها وملاصـقة لها من الجهتين ، وبعضـها مطل على البركة المعروفة ببركة أبى الشوارب .

وتقدم فى أخبار العام الماضى أن الباشا صاهره ، وزوج ابنته لبعض أقارب البـاشا الخصيصين به — مثل الذى يقال له شريف أغا ، وآخر — وعمل له مهما عظيما احتفل فيه الى الغاية ، وزفة وشنكا ... كل ذلك وهو متمرض ، الى أن مات فى ثانى عشرين ربيع الثانى ، وضبطت تركته فوجـد له كثير من النقود والجواهر والأمتعـة وغير ذلك . فسبحان الحى الذى لايموت .

المحـرم

فى غرته (١١ نوفمبر ١٨١٧ م) :

استهل ... ووالى مصر وحاكمها : الوزير محمد على باشا ، وهو المتصرف فيها : قبليها وبحريها ، بل والأقطار الحجازية وضواحيها . وبيده أزمة الثغور الاسلامية .

ووزيره : محمدبيك لاظ — المعروف بكتخدا بيك — وهو قائم مقامه فى حال غيابه وحضوره ، والمتصدر فى ديوان الأحكام الكلية والجزئية ، وفصل الخصومات ، ومباشرة الأحوال ... نافذ الكلمة ، وافر الحرمة .

وأغات الباب : ابراهيم أغا ، ومتولى أيضا أمر تعديل الأصناف ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولى على كل صنف ، ويخفى أمره . فيشدد الفحص فى المكيل والموزون والمذروع ... حتى يستخرج المخبأ ، ولو قليلا ، فيجتمع من القليل الكثير من الأموال ، فيحاسب المتولى مدة ولايته ، فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه ... لأن ذلك شىء قد استهلك فى عدة أيدى أشخاص وأتباع . ويلزم الكبير بأدائه ، ويقاسى ما يقاسيه من الحبس والضرب ، وسلب النعمة ، ومكابدة الأهوال .

وسلحدار الباشا : سليمان أغا — عوضا عن صالح بيك السلحدار لاستعفائه عنها فى العام السابق — وهو المسلط على أخذ الأماكن وهدمها ، وبنائها خانات وربإعا وحوانيت . فيأتى الى الجهة التى يختار البناء فيها ، ويشرع فى هدمها . ويأتيه أربابها فيعطيهم أثمانها ، كما هى فى حججهم القديمة . وهو شىء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات فى هذا الوقت ... لعموم التخرب ، وكثرة العالم ، وغلاء المؤن ، وضيق المساكن بأهلها . حتى ان المكان الذى كان يؤجر بالقليل ، صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ... ونحو ذلك .

ومحمود بيك الخازندار ، وخدمته : قبض أموال البلاد والأطيان والرزق ، وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى . وديوانه بخط سويقة اللالا .

والمعلم غالى ، كاتب سر الباشا ، ورئيس الأقباط . وكذلك الدفتردار : محمد بيك ، صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية . والروزنامجى : مصطفى أفندى . وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان ، والزعيم على أغا الشعراوى .

ومصطفى أغا كرد : المحتسب ، وقد بردت همته عما كان عليه ، ورجع الحال فى قلة الأدهان كالأول ، وازدحم الناس على معمل الشمع ... فلا يحصل الطالب منه شيئا الا بشق الأنفس . وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ، ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شىء منه من الفلاحين الداخلين الى المدينة من القرى ، فيأخذونه منهم بدون القيمة ... حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين . وأما المعاملة فلم يزل أمرها فى اضطراب بالزيادة والنقص ، وتكرار المناداة كل قليل ،

وصرف الريال الفرانسة الى أربعمائة نصف فضة ، والمحبوب الى أربعمائة وثمانين ، والبندقى الى تسعمائة نصف ، والمجر الى ثمانمائة نصف . وأما هذه الأصناف العددية التى تذكر فهى أسماء لا وجود لمسمياتها فى الأيدى !

١٢ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١٧ م) :

سافر الباشا الى جهة الاسكندرية لمحاسبة الشركاء ، والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات .

١٩ منه (٢٩ نوفمبر ١٨١٧ م) :

ارتحلت عساكر أتراك ومغاربة مجردة الى الحجاز .

صفر

١٣ منه (٢٣ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل الكثير من حجاج المغاربة .

١٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل جاويش الحاج . وفى ذلك اليوم — وقت العصر — ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من ابراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة ، وملك بلدة من بلاد الوهابية ، وقبض على أميرها ، ويسمى عتيبة ، وهو طاعن فى السن .

٢١ منه (٣١ ديسمبر ١٨١٧ م) .

وصل ركب الحاج المصرى والمحمل . وأمير الحاج من الدلاة .

ربيع الأول

الجمعة غرته (٩ يناير ١٨١٨ م) :

وصل قابجى من دار السلطنة . فعملوا له موكبا ، وطلع الى القلعة ، وضربوا له شنكا سبعة أيام . وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى هذا الشهر : انعدم وجود القناديل الزجاج ، وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة أنصاف بستين نصفا ... اذا وجد !

ربيع الآخر

١٤ منه (٢٢ فبراير ١٨١٨ م) :

سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربة . وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق : فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها على الناس جزافا من غير وزن بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم . فذهب الكثير للشراء منهم بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ... ولو وقف عليهم بالثمن الزائد .

فى أواخره (أوائل مارس ١٨١٨ م) :

حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لابراهيم باشا ، وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء ، وأن عبد الله بن مسعود كان بها فخرج منها هاربا الى الدرعية ليلا ، وأن بين عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين . فلما وصل هذا المبشر ، ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة . وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشرينه .

جمادى الأولى

فى غرته (٩ مارس ١٨١٨ م) :

نودى على طائفة المخالفين للملة — من الأقباط والأروام — بأن يلزموا زيهم من الأزرق والأسود ، ولا يلبسون العمائم البيض ... لأنهم

خرجوا عن الحد فى كل شىء ، ويتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ، ويركبون الرهوانات والبغال والخيول ، وأمامهم وخلفهم الخدم بأيديهم العصى يطردون الناس عن طريقهم ، ولا يظن الرائى لهم الا أنهم من أعيان الدولة ، ويلبسون الأسلحة ، وتخرج الطائفة منهم الى الخلاء ، ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك .

فما أحسن هذا النهى .. لو دام !

٢١ منه (٢٩ مارس ١٨١٨ م) :

حضر الباشا من غيبته بالاسكندرية أواخر النهار ، فضربوا لقدومه مدافع ، فبات بقصر شبرا . وطلع فى صبحها الى القلعة ، فضربوا بها مدافع أيضا . فكان مدة غيبته بالاسكندرية أربعة أشهر وتسعة أيام .

فى اواخره (اوائل ابريل ١٨١٨ م) :

وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن ابراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمانى عشرة ساعة . فضربوا شنكا ومدافع .

وفيه : وصل هجان من حسن باشا ، الذى بجدة ، بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحى من العساكر وقتلهم ، ولم ينج منهم الا القليل ، وهو من فر على جوائد الخيل .

ووقع فيه أيضا : الاهتمام فى تجريد عساكر للسفر . وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحرى هو وخلافه . وحصل الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، فقرىء يومين ، وفرق على مجاورى الأزهر عشرة أكياس ، وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب !

جمادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ ابريل ١٨١٨ م) :

حصل خسوف للقمر فى سادس ساعة من الليل . وكان المنخسف منه مقدار النصف ، وحصل الأمر أيضا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر .

وفيه : ورد الخبر بموت الشريف حمود ، وأنه أصيب بجراحة ومات بها .

٢٩ منه (٦ مايو ١٨١٨ م) :

حصل كسوف للشمس فى ثالث ساعة من النهار . وكان المنكسف منها مقدار الثلث .

وفيه : ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم باشا بأنه ملك جانبا من الدرعية ، وأن الوهابية محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون بهم .

شعبان

(٦ يونية — ٤ يولية ١٨١٨ م)

فيه : حضر خليل باشا وحسين بيك دالى باشا من الجهة البحرية ، ونزلوا بدورهم .

رمضان

الأحد ١٥ منه (١٩ يولية ١٨١٨ م) :

وصل نجاب ، وأخبر بأن ابراهيم باشا ركب الى جهة من نواحى الدرعية لأمر يبتغيه ، وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيابه ، وكبسوا على العرضى على حين غفلة ، وقتلوا من العساكر عدة وافرة ، وأحرقوا الجبخانة .

فعند ذلك قوى الاهتمام ، وارتحل جملة من العساكر فى دفعات ثلاث ، برا وبحرا ، يتلو بعضهم بعضا ... فى شعبان ورمضان . وبرز عرضى خليل باشا الى خارج باب النصر ، وترددوا فى الخروج

والدخول ، واستباحوا الفطر فى رمضـان بحجه السفر ! فيجلس الكثير منهم بالأسـواق يأكلون ويشربون ، ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن ، من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ... وفى اعتقادهم الخروج بقصـد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الاسلام !

وانقضى شهر الصوم ... والباشا متكدر الخاطر ومتقلق ، ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه .

شـوال

غرته (٣ اغسطس ١٨١٨ م ــ ٢٨ ابيب ١٥٣٤ ق) :

كان هلاله عسر الرؤية جدا . فحضر جماعة من الأتراك الى المحكمة وشهدوا برؤيته .

وفيه : أوفى النيل أذرعه ، فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ، ونودى بالوفاء يوم الأربعـاء ، وحصل الجمع يوم الخميس رابعه . وحضر فتح الخليج كتخـدا بيك والقـاضى ، ومن له عادة بالحضـور ... فكان جمعا وازدحاما عظيمـا من أخلاط العالم فى جهة السـد والروضـة ... تلك الليلة . واشتعلت النار فى الحديقة واحترق فيها أشخاص ، ومات بعضهم .

٦ منه (٨ اغسطس ١٨١٨ م) :

خرج خليل باشا المعين الى السـفر فى موكب ، وشق من وسط المدينة ، وخرج من باب النصر ، وعطف عـلى باب الفتوح ، ورجـع الى داره فى قلة من أتباعه فى طريقه التى خرج منها !

وفيه : انتدب مصطفى أغا المحتسب ، ونادى فى المدينة ، ويأمر النـاس بقطـع أراضى الطـرقات والأزقة ... حتى العطف والحارات الغير النافذة . فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم فى قطع الأرض والحفر ، ونقل الأتربة وحملها ... من خوفهم من أذيته ، ولعـدم الفعلة والأجراء واشتغال حمير الترابين باستعمالهم فى عمائر أهل الدولة . فلو كان هـذا الاهتمام فى قطع أرض الخليج الذى يجرى به الماء ! فانه لم تقطع أرضه . وينقطع جريانه فى أيام قليلة لعلو أرضه من الطمى ، وبما يتهدم عليه من الدور القـديمة ، وما يلقيه السكان فيه من الأتربة ... وزاد على ذلك ــ بهذه الفعلة ــ القـاء ما يحفرونه وينقلونه من أتـربة الأزقة والبيوت القديمة القريبة منه ... فيه ، ليـلا ونهـارا .

٨ منه (١٠ اغسطس ١٨١٨ م) :

ارتحل خليل باشا مسـافرا الى الحجاز من القلزم ، وعساكره الخيالة على طريق البر .

١٣ منه (١٥ اغسطس ١٨١٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة الى المشهد الحسينى على العادة .

٢٢ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٨ م) :

عمل الموكب لأمير الحاج ــ وهو حسين بيك دالى باشـا ــ وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمايل ، ثم انتقل فى يوم الأربعاء الى البركة ، وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه .

وسافر الكثير من الحجاج ، وأكثر فلاحى القرى والصعايدة ، ومن باقى الأجناس ــ مثل المغاربة والقرمان والأتراك ــ أنفار قليلة .

وفيه : وصل قابجى وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة ، وطلع الى القلعة فى موكب ، وقرىء التقرير بحضرة الجمـع ، وضربت مدافع كثيرة . وكذلك وصل قبله قابجى صحبته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، فعمل له شنك ومدافع ، ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة ، وذلك فى منتصفه .

ذو القعدة

(٢ سبتمبر ــ اول اكتوبر ١٨١٨ م)

انقضى ... والباشا منفعل الخاطر ، لتأخر الأخبار ، وطول الانتظار . وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم . ولضيق صدره ، واشتغال فكره ، لا يستقر بمكان : فيقيم بالقلعة قليلا ، ثم ينتقل الى قصر شبرا ، ثم الى قصر الآثار ، ثم الأزبكية ، ثم الجيزة ... وهكذا .

ذو الحجة

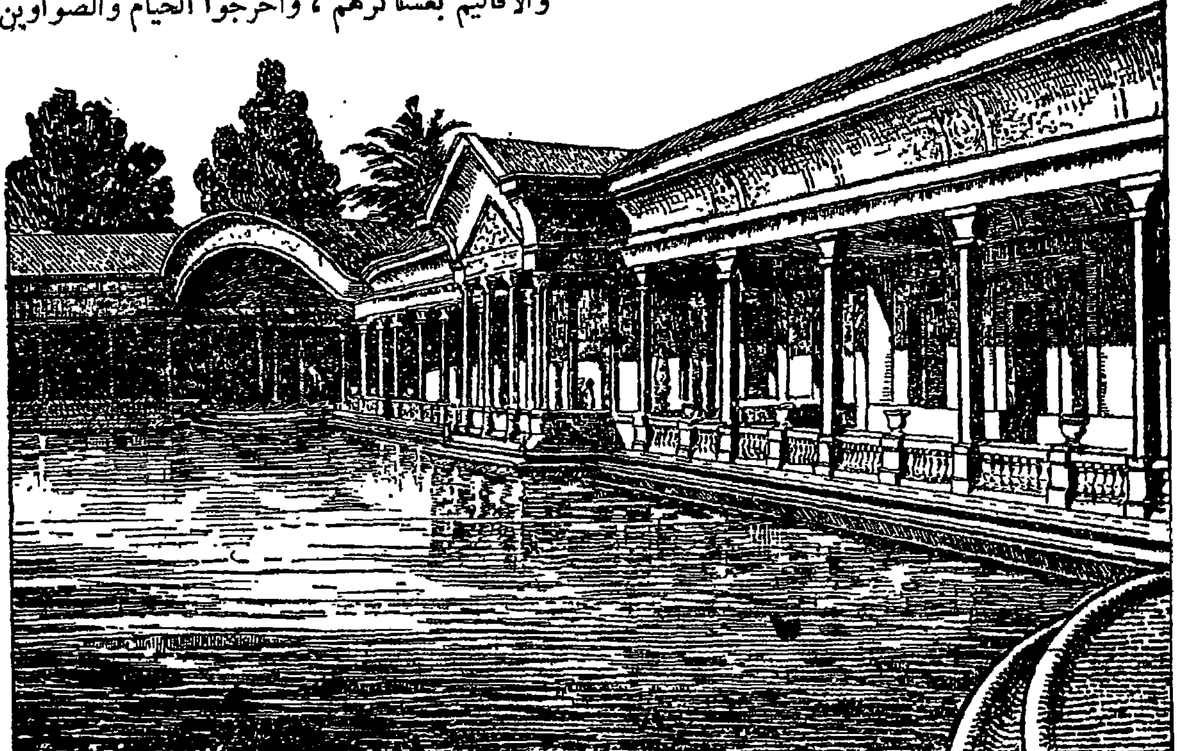
الخميس ٧ منه (٨ اكتوبر ١٨١٨ م) :

وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان أغا الوردانى ، أمير الينبع ، بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية . فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما ، وانجلى عنه الضجر والقلق ، وأنعم على المبشر . وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش

الثلاثاء ١٢ منه (١٣ اكتوبر ١٨١٨ م) :

وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، وذلك قبيل العصر ، فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع .

وصادف ذلك شنك أيام العيد . وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها ، وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانة ببولاق ، من النجارين والخراطين والحدادين . وتقيد لذلك أمين أفندى المعمار ، وشرعوا فى العمل . وحضر كشاف النواحى والأقاليم بعساكرهم ، وأخرجوا الخيام والصواوين



قصر شبرا

والوطاقات ، خارج باب النصر وباب الفتــوح . وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه .

ونودى بالزينة — وأولها الأربعاء — فشرع النــاس فى زينــة الحوانيت والخانات وأبــواب الدور ، ووقود القناديل والسهر ، وأظهروا الفرح والملاعيب .

كل ذلك ... مع ما الناس فيه من ضيق الحال ، والــكد فى تحصــيل أسباب المعاش ، وعــدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار . وكذا السمن فانه شح وجوده ، ولا يوجد منه الا القليل عند بعض الزياتين ، ولا يبيع الزيات زيادة عن الأوقية . وكذلك اللحم : لايوجد منــه الا ماكان فى غاية الرداءة من لحم النعــاج الهزيل ، وامتنع أيضا وجــود القمح بالســاحل وعرصات الغلة ... حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق !

ولــما أنهى الأمر الى من لهم ولاية الأمر ، فأخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع فى الرقع ، وقد أكلها السوس ، ولا يبــاع منهــا أزيد من الكيلة ... أكثرها مسوس ! وكذلك لــما شــكا النــاس من عدم مايسرج به فى القناديل ، أطلقوا للزياتين مقدارا من الشيرج فى كل يوم ، يباع فى الناس لوقود الزينة . وفى كل يوم يطوف المنادى ، ويكرر المناداة بالشوارع على النــاس : بالســهر والوقود والزينة ، وعــدم غلق الحوانيت ليــلا ونهارا ! .

وانقضى العام بحوادثه ، ومعظمها مستمر .

فمنها — وهو أعظمها — شدة الأذية والضيق — وخصوصا بذوى البيوت والمساتير من الناس — بسبب قطــع ايرادهم وأرزاقهم : من الفــائظ والجامكية السائرة ، والرزق الأحباسية ، وضبط الأنوال التى تقدم ذكرها ، وكان يتعيش منها ألوف من العالم .

ولما اشتد الضنك بالملتزمين ، وتكرر عرضحالهم ، فأمر لهم بصرف الثلث . وتحــول المصرفجى على بعض الجهات ، فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين .

وانقضى العام ... وأكثر الناس لم يحصل على شىء ، وذلك لكثرة المصاريف والارساليات : من الذخائر والغلال والمؤن ، وخزائن المال من أصناف خصــوص الريال الفرانســة والذهب البنــدقى والمحبوب الاسلامى ... بالأحمال ، وهى الأصناف الرائجة بتلك النواحى . وأما القروش فلا رواج لها الا بمصر وضواحيها فقط .

أخبرنى أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة فى مرة من المرات : خمسة وأربعين ألف فرانسة ، وذلك من الينبع الى المدينة ، حسابا عن أجرة كل بعير ســتة فرانسة : يدفع نصفها أمير الينبع ، والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك . ثم من المدينة الى الدرعية مايبلغ المــائة والأربعين ألف فرانســة . وهو شىء مستمر التكرار والبعوث ، ويحتاج الى كنوز قارون وهامان ، واكسير جابر بن حيان !

ومنها : العمارة التى أمر بانشائها الباشا المشار اليه بين الســورين ، وحارة النصــارى ، المعروفة بخميس العدس ، المتوصل منها الى جهة الخرنفش . وذلك باشارة أكابر نصارى الافرنج ليجتمع بهــا أرباب الصــنائع الواصــلون من بلاد الافرنج وغيرهم ، وهى عمارة عظيمة ابتدأوا فيها من العام الماضى ، واستمروا مدة فى صناعة الآلات الأصولية التى يصطنع بها اللوازم ، مثل السندالات والمخارط

للحديد والقواديم والمناشير والتزجات ونحو ذلك . وأفردوا لكل حرفة وصناعة مكانا وصناعا ، يحتوى المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبة الوضع ، والتركيب لصناعة القطن ، وأنواع الحرير والأقمشة والمقصبات .

وفى أواخر هذا العام : جمعوا مشايخ الحارات وألزموهم بجمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلد ليشتغلوا تحت أيدى الصناع ، ويتعلموا ويأخذوا أجرة يومية ، ويرجعوا لأهاليهم أواخر النهار : فمنهم من يكون له القرش والقرشان والثلاثة ، بحسب الصناعة وما يناسبها ... وربما احتيج الى نحو العشرة آلاف غلام بعد اتمامها . والمحتاج اليه فى هذا الوقت القدر المذكور ، وهى كرخانة عظيمة صرف عليها مقادير عظيمة من الأموال .

ومنها : أنه ظهر بأراضى الأرز — بالبحر الشرقى بناحية دمياط — حيوان يخرج من البحر الشرقى فى قدر الجاموس العظيم ولونه ، فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقايأ أكثره ! وكان ظهوره من العام الماضى ، فيجتمع عليه الكثير من أهل الناحية ، ويرجمونه بالحجارة ، ويضربون عليه بنادق الرصاص ، فلا تؤثر فى جلده ، ويهرب الى البحر ، واتفق أنه ابتلع رجلا ... الى أن أصيب فى عينه وسقط ، وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا جلده وحشوه تبنا ، وأتوا به الى بولاق ، وتفرج عليه الباشا والناس .

وأخبرنى غير واحد ممن رآه أنه أعظم من الجاموس الكبير : طوله ثلاث عشرة قدما ، ولونه لونه ، وجلده أملس ، ورأسه عظيم يشبه رأس ابن عرس ، وعيناه فى أعلى دماغه ، واسع الفم ، وذنبه مثل ذنب السمك ، وأرجله غلاظ مثل أرجل الفيل فى أواخرها أربع ظلوف طوال ، وأسفلها كخف الجمل . وأدخلوه الى بيت الافرنج ، وأنعم به الباشا على بغوص الترجمان الأرمنى ، وهو يبيعه على الافرنج بثمن كبير .

ومنها : أن امرأة ، يقال لها الشيخة رقية ، تتزر بمئزر أبيض ، وبيدها خيزرانة وسبحة ، تطوف على بيوت الأعيان ، وتقرأ وتصلى ، وتذكر على السبحة ... ونساء الأكابر يعتقدن فيها الصلاح ، ويسألن منها الدعاء ، وكذلك الرجال حتى بعض الفقهاء . وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ تعيلب الضرير ، ويكثر من مدحها للناس فيزدادون فيها اعتقادا ، ولها بمنزل خليل بيك طوقان النابلسى مكان مفرد تأوى اليه على حدتها ، واذا دخلت بيتا من البيوت قام اليها الخدم ، واستقبلوها بقولهم : « نهارنا سعيد ومبارك » ونحو ذلك . واذا دخلت على الستات قمن اليها ، وفرحن بقدومها ، وقبلن يدها ، وتبيت معهن ومع الجوارى .

فذهبت يوما الى دار الشيخ عبد العليم الفيومى —وذلك فى شهر شوال— فتمرضت أياما وماتت . فضجوا وتأسفوا عليها ، وأحبوا تغيير ما عليها من الثياب ، فرأوا شيئا معجرما بين أفخاذها فظنوه صرة دراهم ... واذا هو آلة الرجال : الخصيتان والذى فوقهما ! فبهت النساء وتعجبن ، وأخبروا الشيخ تعيلب بذلك فقال : « استروا هذا الأمر » . وغسلوه وكفنوه ، ووراوه فى التراب ، ووجدوا فى جيبه مرآة وموسا وملقاطا . وشاع أمره ، واشتهر وتناقله الناس بالتحدث والتعجب !

ومنها : زيادة النيل فى هذا العام الزيادة المفرطة التى لم نسمع ولم نر مثلها ، حتى غرق الزروع الصيفية ، مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والأرز وأكثر الجنائن ، بحيث صار البحر وسواحله والملق لجة ماء . وانهدم بسببه قرى كثيرة ، وغرق

الكثير من الناس والحيوان ... حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور .

واختلط بحر الجيزة ببحر مصر العتيقة ، حتى كانت المراكب تمشى فوق جزيرة الروضة . وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع ، وخصوصا الذرة الذى هو معظم قوتهم . وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف .

ومنها : أن الباشا زاد فى هذه السنة الخراج ، وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية ، وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج ... فدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين : وهى زيادة النيل ، وزيادة الخراج فى غير وقت وأوان .

فان من عادة الفلاحين وأهل القرى اذا انقضت أيام الحصاد والدراوى ، وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم — ويكون ذلك فى مبادى زيادة النيل — وارتفع عنهم الطلب ، وارتحلت كشاف النواحى ، وقائمقام الملتزمين والصيارف والمعينون ، وخلت النواحى منهم ... فعند ذلك ترتاح نفوسهم ، وتجتمع حواسهم ، ويعملون أعراسهم ، ويجددون ملبوسهم ، ويزوجون بناتهم ، ويختنون صبيانهم ، ويشيدون بنيانهم ، ويصلحون جسورهم وحبوسهم . فاذا أخذ النيل فى الزيادة ، شرعوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسبهم ... حتى اذا انحسر الماء ، وانكشفت الأراضى ، وآن أوان التخضير وزراعة الشتوى ، من البرسيم والغلة ، وجدوا ما يسدون به مال التجهية ، وما يرقعون به أحوالهم من بهائم الحرث ومحاريث وتقاوى وأجر عمال ونحو ذلك ، فدهموا هذه السنة بهاتين الآفتين : الأرضية والسماوية ، ورحل الكثير عن أهله ووطنه . وكان ابتداء طلب هذه الزيادة قبل زيادة النيل ، ومجىء خبر النصرة ، فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك .

ومنها : الاضطراب فى المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل ، والتنكيل والترك .

وبلغ صرف البندقى ثمانمائة وثمانين نصفا فضة ، والفرانسة أربعمائة نصف وعشرة ، والمحبوب أربعمائة وأربعين — وهو المصرى — وأما الاسلامبولى فيزيد أربعين ، والمجر ثمانمائة نصف . وأما هذه الأنصاف — وهى الفضة العددية — فهى أسماء من غير مسميات لمنعها واحتكارها : فلا يوجد منها فى المعاملة بأيدى الناس الا النادر جدا ، ولا يوجد بالأيدى فى محقرات الأشياء وغيرها الا المجزأ بالخمسة والعشرة والعشرين ، وتصرف من اليهود والصيارف بالفرط والنقص . ومن حصل بيده شىء من الأنصاف عض عليه بالنواجذ ، ولا يسمح باخراج شىء منها الا عند شدة الاضطرار اللازم .

ومنها : أن السيد محمد المحروقى أنشأ ببركة الرطلى دارا وبستانا فى محل الأماكن التى تخربت فى الحوادث .

وذلك أنه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية ، واختل النظام ، وجلا أكثر الناس عن أوطانهم — وخصوصا سكان الأطراف — بقيت دور البركة خالية من السكان . وكان بها عدة من الديار الجليلة ، منها : دار حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش ، وداره على سمته أيضا ، ودار على كتخدا الخربطلى ، ودار قاضى البهار ، ودار سليمان أغا ، ودار الحموى ، وخلاف ذلك دور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القازدغلى وغيره . وهذه الدور هى التى أدركناها ، بل وسكنا بها عدة سنين ، وكانت فى الزمن الأول عدة دور

مختصرة يسكنها أهل الرفاهية من أهالى البلد . وكان بها بيت البكرية القديم بالناحية الجنوبية تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكرى . وكان الناس يرغبون فى سكناها لطيب هواها وانكشاف الريح البحرى بها ، وليس فى تجاهها من البر الآخر سوى الأشجار والمزارع ، ويعبرها المراكب والسفائن والقنج فى أيام النيل بالمتفرجين والمتنزهين وأهل الخلاعة بمزامرهم ومغانيهم ، ولصدى أصواتهم المطربة طرب آخر .

فلما انقشع عنها السكان ، تداعت الدور الى الخراب ، وبقيت مسكنا البوم والغراب مدة اقامة الفرنساوية .

فلما حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى — وذلك سنة أربع عشرة ومائتين وألف — وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساوية ، وحصلت المفاقمة ، ووقعت الحروب داخل البلدة ، واحتاطت الفرنساوية بجهات البلد ... وجرى ما تقدم ذكره فى الحوادث السابقة ، وكان طائفة من الفرنساوية أتوا الى ناحية هذه البركة ، وملكوا التل المعروف بتل أبو الريش ، وأخذوا يرمون بالمدافع والقنابر على أهل باب الشعرية وتلك النواحى . فما انجلت الحروب حتى خربت بيوت البركة ، وما كان بتلك النواحى من الدور التى بظاهرها ، وبقيت كيمانا .

فحسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكنا هناك ، فاحتكر أراضى تلك المساكن من أربابها من مدة سابقة ، ثم تكاسل عن ذلك ، واشتغل بتوسعة دار سكنه التى بخطة الفحامين ، محل دكة الحسبة القديمة ، حتى أتمها على الوضع الذى قصده . ثم شرع فى السنة الماضية فى انشاء سكن لخصوص نزاهته ، فشرع فى تنظيف الأتربة واصلاح الأرض ، وأنشأ دارا متسعة وقيعانا وفسحات ، وهى مفروشة بالرخام ، وحولها بستان ، وغرس به أنواع الأشجار ودوالى الكروم ، وهى بمكان حسن كتخدا وما كان على سمته من الدور نحو الثلاثين .

وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة لخصوصه ، أخذ فيها باقى أراضى الأماكن ، وزخرفها ، وانتقل اليها بأهله وعياله ، وجعلها دارا لسكناه صيفا وشتاء . وبنيا خارج ظاهرها حائطا يكون لدورهما سورا ، وعملا بها بوابة تفتح وتقفل . وكان بجوار ذلك جامع متخرب ، يسمى جامع الحريشى ، فعمره أيضا السيد محمد المحروقى ، وأقام حوائطه وأعمدته وسقفه وبيضه ، وأقام الخطبة آخر جمعة فى شهر المحرم .

* * *

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

فمات شيخ الاسلام ، وعمدة الأنام ... الفقيه العلامة ، والنحرير الفهامة : الشيخ محمد الشنوانى — نسبة الى شنوان الغرف — الشافعى الأزهرى ، شيخ الجامع الأزهر ... من أهل الطبقة الثانية ، الفقيه النحوى المعقولى .

حضر الأشياخ : أجلهم الشيخ فارس ، وكالصعيدى والدردير والفرماوى ، وتفقه على الشيخ عيسى البراوى ، ولازم دروسه وبه تخرج ، وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهانى بالقرب من دار مسكناه بخشقدم ، مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس ، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ، ويكنس الجامع ، ويسرج القناديل .

ولما توفى الشيخ عبد الله الشرقاوى ، اختاروه للمشيخة . فامتنع وهرب الى مصر العتيقة — بعد ما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد المهدى — فأحضروه قهرا عنه ، وتلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الفاكهانى كعادته . وأقبلت عليه

الدنيا فلم يتهنأ بها ، واعترته الأمراض ، وتعلل بالزحير أشهرا ، ثم عوفى ... ثم بأخرة بالبرودة ، وانقطع بالدار كذلك أشهرا . ولم يزل منقطعا حتى توفى يوم الأربعاء رابع عشرى المحرم ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم . ودفن بتربة المجاورين ، وله تآليف منها : حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، مشهورة بأيدى الطلبة . وكان يجيد حفظ القرآن ، ويقرأ مع فقهاء الجوقة فى الليالى .

وتقلد المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ أحمد العروسى من غير منازع ، وباجماع أهل الوقت . ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكرى والسادات وباقى أصحاب المظاهر ، ومن يحب التظاهر .

* * *

ومات العمدة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد — المعروف هو بالدواخلى — الشافعى . ويقال له السيد محمد ، لأن أباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البردينى فولد له المترجم منها ، ومنها جاءه الشرف ، وهم من محلة الداخل بالغربية .

وولد المترجم بمصر ، وتربى فى حجر أبيه ، وحفظ القرآن ، واجتهد فى طلب العلم ، وحضر الأشياخ من أهل وقته : كالشيخ محمد عرفة الدسوقى ، والشيخ مصطفى الصاوى وخلافه من أشياخ هذا العصر . ولازم الشيخ عبدالله الشرقاوى فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية ، وانتسب له ، وصار من أخص تلامذته .

ولما مات السيد مصطفى الدمنهورى — الذى كان بمنزلة كتخداه — قام مقامه ، واشتهر به ، وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية ، وحف به الطلبة ، وتداخل فى قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس .

واشتهر ذكره — وخصوصا أيام الفرنساوية حين تقلد شيخه رآسة ديوانهم — وانتفع فى أيامهم انتفاعا عظيما من تصديه لقضايا نساء الأمراء المصرية وغيرهم .

ومات والده فأحرز ميراثه ، وكذلك لما قتل عديله الحاج مصطفى البشتيلى فى الحرابة ببولاق لا عن وارث ، فاستولى على تعلقاته وأطيانه وبستانه التى ببشتيل . واتسع حاله ، واشترى العبيد والجوارى والخدم .

ولما ارتحل الفرنساوية ، ودخلها العثمانيون ، انطوى الى السيد أحمد المحروقى ، لأنه كان يراسله سرا بالأخبار حين خرج مع العثمانيين فى الكسرة الى الشام ... فلما رجع ، راعاه وراشاه ، ونوه بذكره عند أهل الدولة ، وفى أيام الأمراء المصريين — حين رجعوا الى مصر بعد قتل طاهر باشا فى سنة ثمان عشرة — واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام ، ولبس الفراوى بالأقبية ، وركب البغال ، وأحدق به الأشياخ والأتباع . وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ، ولا يقنع بالكثير .

ولما وقع ماوقع فى ولاية محمد على باشا ، وانفرد السيد عمر أفندى فى الرياسة ، وصار بيده مقاليد الأمور ... ازداد به الحسد ، فكان هو من أكبر الساعين عليه سرا مع المهدى وباقى الأشياخ ، حتى أوقعوا به ، وأخرجه الباشا من مصر كما تقدم . فعند ذلك صفا لهم الوقت ، وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ، ولبس التاج الكبير ، ومشت أمامه الجاويشية والمقدمون وأرباب الخدم ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والشكاوى . وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين ، وأدخل فيها دورا ، وأنشأ تجاهها مسجدا لطيفا ، وجعل فيه منبرا وخطبة ، وعمر دارا ببركة جناق ، وأسكنها احدى

زوجاته . وداخله الغـرور ، وظن أن الوقت قـد صفا له .. فأول ما ابتدأه به الدهر من نكباته ، أن مات ولده أحمد — وكان قد ناهز البلوغ — ولم يكن له من الأولاد الذكور غيره ، فوجد عليه وجدا شديدا ... حتى كان يتكلم بكلام تقمه الناس عليه ، وعمل له ميتما ودفنه بمسـجده تجاه بيته ، وعمل عليـه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصـد للزيارة ، وكان موته فى منتصف سنة تسع وعشرين .

ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا فى أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة ، والمترجم اذ ذاك من أعيـان الرءوس : يطلع وينزل فى كل ليلة الى القلعة ، ويشار اليه ، ويحل ويعقد فى قضايا الناس ، ويسترسل معه الباشا ، كما تقدم ذكر ذلك ، وداخله الغرور الزائد . ولقد تطاول على كبـار الـكتبة الأقباط وغيرهم ، ويراجع الباشا فى مطالبه ، بعـد انقضاء الفتنة ، الى أن ضاق صدر الباشا منـه ، وأمر باخراجه ونفيه الى دسوق ... وذلك فى سنة احدى وثلاثين . فأقام بها أشهرا ، ثم توجه بشفاعة السيد المحروقى الى المحلة الكبرى ، فلم يزل بهـا متعلق الحواس ، منحرف المزاج ، متكدر الطبع . وكل قليل يراسل السيد المحروقى فى أن يشفع فيه عند الباشا ، وليأذن له فى الحج ، ومرة يحتج بالمرض — ليموت فى داره — فلم يؤذن له فى شىء من ذلك . ولم يزل بالمحلة حتى توفى فى منتصف شـهر ربيع الأول من السنة ، ودفن هناك . وكان — رحمه الله — يميل الى الرياسة طبعا ، وفيه حدة مزاج ، وهى التى كانت سببا لموته بأجله ... رحمـه الله تعالى وايانا .

* * *

ومات الصدر المعظم ، والدستور المكرم : الوزير طاهر باشا . ويقال انه ابن أخت محمد على باشا . وكان ناظرا على ديوان الـكمرك ببـولاق وعلى الخمامير ... ومصارفه من ذلك . وشرع فى عمارة داره التى بالأزبكية ، بجوار بيت الشرايبى — تجاه جامع أزبك — على طرف الميرى . وهى فى الأصل بيت المدنى ومحمود حسن ، واحترق منه جانب ... ثم هدم أكثرهما ، وخرج بالجدار الى الرحبة وأخذ منها جانبا ، وأدخل فيه بيت رضـوان كتخدا — الذى يقـال له « ثلاثة ولية » ، تسـمية له باسم العامودين الرخام الملتفين على مكسـلتى البـاب الخارج — وشيد البناء بخرجات فى العلو متعددة ، وجعل بابه مثل باب القلعـة ، ووضـع فى جهتيه العمودين المذكورين . وصارت الدار كأنها قلعة مشيدة فى غاية من الفخامة . فما هو الا أن قارب الاتمـام ، وقـد اعتراه المرض ، فسـافر الى الاسـكندرية بقصد تبـديل الهواء ، فأقام هناك أياما ، وتوفى فى شهر جمادى الآخرة . وأحضروا رمته فى أواخر الشهر ، ودفنوه بمدفنه الذى بناه محل بيت الزعفرانى بجوار السيدة بقناطر السباع ، وترك ابنا مراهقا فأبقاه الباشا على منصب أبيـه ونظامه وداره .

* * *

ومات الأمير أيوب كتخدا الفلاح ، وهو مملوك الأمير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح . وكان آخر الأعيان المبجلين من جماعة الفلاح المشهورين ، وله عزوة وأتباع ، وبيته مفتوح للواردين ، ويحب العلماء والصلحاء ، ويتأدب معهم . وكان الباشـا يجله ويقبل شفاعته ، وكذلك أكابر الدولة فى كل عصر . وعلى كل حال كان لابأس به ... توفى يوم الأربعـاء لعشرين من شهر شـعبان ، وقد جاوز السبعين ، رحمه الله تعالى .

المحرم

السبت غرته (٣١ أكتوبر ١٨١٨ م) :

استهل ... وسلطان الاسلام : السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بداز سلطنته اسلامبول . ووالى مصر وحاكمها : محمد على باشا القوللى . وكتخداه وباقى أرباب المناصب على حالهم وما هم عليه فى العام الماضى .

ووردت الأخبار من شرق الحجاز والبشائر بنصرة حضرة ابراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة بأربعة أيام . فعند ذلك نودى بزينة المدينة سبعة أيام ، أولها الأربعاء سابع عشرى الحجة ، ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل ، وكذلك صيوان الباشا . وباقى الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك والحرائق ، وأخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة ، وتماثيل وقلاعا وسواقى وسواريخ ، وصورا من بارود .

وبدأوا فى عمل الشنك من يوم الأربعاء : فيضربون بالمدافع ، مع رماحة الخيالة ، من أول النهار — مقدار ساعة زمانية وربع — قريبا من عشرين درجة ضربا متتابعا لايتخلله سكون — على طريقة الافرنج فى الحروب — بحيث انهم يضربون المدفع الواحد اثنتى عشرة مرة ، وقيل أربع عشرة مرة فى دقيقة واحدة . فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع فى تلك المدة على ثمانين ألف مدفع بحيث يتخيل الانسان أصواتها ، مع أصوات بنادق الخيالة المترامحين ، رعودا هائلة . ورتبوا المدافع أربع صفوف .

ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك طوابير ، ويكمنون فى الأعالى ، ثم ينزلون مترامحين وهم يضربون بالبنادق ، ويهجمون على المدافع فى حال اندفاعها بالرمى . فمن خطف شيئا من أدوات الطبجية الرماة ، يأتى به الى الباشا ويعطيه البقشيش والانعام . فمات بسبب ذلك أشخاص وسواس ، ويكون مبادىء نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة المدفع . فانهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع معمورة بالجلل بعدد الطوابير ، فتستعد الخيالة ، ويقف كل طابور عند مرمى جلته ، ويأخذون أهبتهم من ذلك الوقت الى بعد شروق الشمس ، ويبتدئون فى الرمى والرماحة الحصة المذكورة .

وبعد العشاء الأخيرة يعمل كذلك الشنك برمى المدافع المتتالية المختلطة أصواتها بدون الرماحة ، ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواريخ التى تصعد فى الهواء وفيها من خشب الزان بدل القصب ، وكرنجة بارودها أعظم من تلك ... بحيث أنها تصعد من الأسفل الى العلو مثل عمود النار ... وأشياء أخر لم يسبق نظائرها ، تفنن فى عملها الافرنج وغيرهم . وحول محل الحراقة حلقة دائرة متسعة حولها ألوف من المشاعل الموقدة .

وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مائتى ألف ذراع من القماش البز . وكان راتب الأرز الذى يطبخ فى القزانات ، ويفرق فى عراضى العساكر فى كل يوم أربعمائة أردب وما يتبعها من السمن ...



القيان والراقصات ...

وهذا خلاف مطابخ الأعيان ، وما يأتيهم من بيوتهم ، من تعابى الأطعمة وغيرها .

واستمر هذا الضرب والشنك الى يوم الثلاثاء رابع المحرم ... وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة على الحوانيت والدور ، ليلا ونهارا ، وتكرار المناداة عليهم فى كل يوم .

وركب حضرة الباشا وتوجه الى داره بالأزبكية ، وهدمت الصواوين والخيام ، وبطل الرمى ، ودخلت العساكر والبينبات بمتاعهم وعازقهم أفواجا الى المدينة ، وذهبوا الى دورهم . ورفع الناس الزينة — وكان معظمها حيث مساكن الافرنج والأرمن — فانهم تفننوا فى عمل التصاوير والتماثيل ، وأشكال السرج والفنيارات الزجاج والبلور وأشكال النجف ، ومعظمها فى جهات المسلمين بخان الخليلى والغورية والجمالية ، وببعض الأماكن والخانات ملاهى وأغانى وسماعات وقيان وجنك رقاصات .

هذا ... والتهيؤ والأشغال والاستعداد لعمل الدونانمة على بحر النيل ببولاق ، فصنعوا صورة قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر وخورنقات وطيقان للمدافع ، وطلوها وبيضوها ونقشوها بالألوان والأصباغ ، وصورة باب مالطة ، وكذلك صورة بستان على سفائن : وفيه الطين ، ومغروس به الأشجار ، ومحيط به درابزين مصبغ ، وبه دوالى العنب وأشجار الموز والفاكهة والنخيل ، والرياحين فى قصارى لطيفة على حافاته ، وصورة عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور جالسين وقائمين ، وتمثال مجلس وبه جنك رقاصات من تماثيل مصورة تتحرك بآلات ... ابتكار بعض المبتكرين . لأن كل من تخيل بفكره شيئا ملعوبا أو تصويرا ، ذهب الى الترسخانة ، حيث الأخشاب والصناع ، فيعمله على طرف الميرى حتى يبرزه فى الخارج ، ويأخذ على ابتكاره البقشيش . وأكثرها

لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك .

وبعد انقضاء السبعة أيام المذكورة ، حصل السكون — من يوم الثلاثاء المذكور الى يوم الأحد التالى له من الجمعة الأخرى — مدة خمسة أيام . فى أثنائها اجتهد الناس من الأعيان ، وكل من له اسم من أكابر الناس ، وأهل الدائرة والأفندية الكتبة ... حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ، ومشايخ الافتاء والنواب والمتفرجين ، فى نصب الخيام بحافتى النيل ، واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ، ولو من البعد ، وتنافسوا واشتط أربابها فى الأجرة حتى بلغ أجرة أحقر طبقة — بمثل وكالة الفسيخ — الى خمسمائة قرش وزيادة .

وكان الباشا أمر بانشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق ، قبلى قصر ابنه اسماعيل باشا ، وتمموا بياضه ونظامه فى هذه المدة القليلة . فلما كان ليلة الاثنين — وهو يوم عاشوراء — خرج الباشا فى ليلته ، وعدى الى القصر المذكور وخرج أهل الدائرة والأعيان الى الأماكن التى استأجروها وكذلك العامة أفواجا . وأصبح يوم الاثنين المذكور ، فضربت المدافع الكثيرة التى صففوها بالبرين ، وزين أهالى بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ، وذقت الطبول والمزامير والنقرزانات فى السفائن وغيرها . وطبلخانة الباشا تضرب فى كل وقت ، والمدافع الكثيرة فى ضحوة كل يوم وعصره ... وبعد العشاء كذلك ، وتوقد المشاعل ، وتعمل أصناف الحراقات والسواريخ والنفوط والشعل ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين ، وفيها فوانيس وقناديل ، وهيئة باب مالطة ... بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنات ، ويرى بداخلها سرج وشعل ، ويخرج منها حراقات وسواريخ ... وغالب هذه الأعمال من صناعة الافرنج .

وأحضروا سفائن رومية صغيرة — تسمى الشلنبات — يرمى منها مدافع وشنابر وشيطيات وغلايين مما يسير فى البحر المالح . وفى جميعها وقدات وسرج وقناديل ، وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان .

ودبوس أوغلى ببولاق التكرور ، وعنده أيضا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريخ . وبالجيزة عباس بيك ابن طوسون باشا . والنصارى الأرمن بمصر القديمة وبولاق والافرنج ، وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم وحرائقهم . وعند الأعيان ، حتى المشايخ ، فى القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة ، والخروج عن الأوضاع الشرعية والأدبية ، واستمروا على ما ذكر الى يوم الاثنين سابع عشره .

الاثنين ١٧ منه (١٦ نوفمبر ١٨١٨ م) :

فى ذلك اليوم : وصل عبد الله بن سعود الوهابى ، ودخل من باب النصر — وصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس — وهو راكب على هجين ، وبجانبه المذكور ، وأمامه طائفة من الدلاة . فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما .

وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ، ورفعوا الزينة . وركب الباشا الى قصر شبرا فى تلك السفينة ، وانفض الجمع ، وذهبوا الى دورهم .

وكان ذلك من أغرب الأعمال التى لم يقع نظيرها بأرض مصر ... ولا مايقرب من ذلك ! ومطبخ الميرى يطبخ به الأرز على النسق المتقدم والأطعمة ، ويؤتى لأرباب المظاهر منها فى وجبتى الغداء والعشاء ، خلاف المطابخ الخاصة بهم ،

وما يأتيهم من بيوتهم . وأما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء ، فخرجوا أفواجا ، وكثر زحامهم فى جميع الطرق الموصلة الى بولاق ليلا ونهارا ، بأولادهم وأطفالهم ركبانا ومشاة .

وقد ذهب فى هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر ، وأهل الاستحقاق يتلظون من القشل والتفليس ! مع ماهم فيه من غلاء الأسعار فى كل شىء ، وانعدام الأدهان — وخصوصا السمن والشيرج والشحم — فلا يوجد من ذلك الشىء اليسير الا بغاية المشقة ، ويكون على حانوت الدهان الذى يحصل عنده بعض السمن شدة الزحام والصياح ، ولا يبيع بأزيد من خمسة أنصاف ، وهى أوقية اثنا عشر درهما ، بما فيها من الخلط . وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن ، فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم فى هذه الولائم والجمعيات ، ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة ، ثم يوزع ما يوزعه — وهو الشىء القليل — على المتسببين ، وهم يبيعونه على هذه الحالة ، ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش .

وفيه : وصل عبد الله الوهابى ، فذهبوا به الى بيت اسماعيل باشا ابن الباشا فأقام يومه ، وذهبوا به فى صبحها عند الباشا بشبرا ، فلما دخل عليه قام له ، وقابله بالبشاشة ، وأجلسه بجانبه ، وحادثه وقال له : « ما هذه المطاولة ؟ » فقال : « الحرب سجال » . قال : « وكيف رأيت ابراهيم باشا ؟ » . قال : « ماقصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ... حتى كان ماكان قدره المولى » . فقال : « أنا ان شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان » . فقال : « المقدر يكون » . ثم ألبسه خلعة وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا ببولاق .

ونزل الباشا فى ذلك اليوم السفينة ، وسافر الى جهة دمياط . وكان بصحبة الوهابى صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : « ماهذا ؟ » ، فقال : « هذا ما أخذه أبى من الحجرة أصحبه معى الى السلطان » . وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف قرآنا مكلفة ، ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة ، وبها شريط ذهب . فقال له الباشا : « الذى أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا »، فقال : « هذا الذى وجدته عند أبى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة » . فقال الباشا : « صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك » .

الأربعاء ١٩ منه (١٨ نوفمبر ١٨١٨ م) :

سافر عبد الله بن سعود الى جهة الأسكندرية ، وصحبته جماعة من الططر الى دار السلطنة ، ومعه خدم لزومه .

صفر

الأربعاء ٣ منه (٢ ديسمبر ١٨١٨ م) :

وصلت طائفة من الحجاج المغاربة يوم الأربعاء وصحبتهم حجاج كثيرة من الصعائدة وأهل القرى ، فدخلوا على حين غفلة . وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب أولاد على يسمى الجبالى ، وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه ، وسببه أمن الطريق ، وانكماش العربان وقطاع الطريق .

وفيه : أخبر المخبرون بأن الباشا أقام بدمياط أياما قليلة ، ثم توجه الى البرلس ، ونزل فى نقيرة ، وذهب الى الاسكندرية على ظهر البحر المالح . وقد استعد أهلها لقدومه ، وزينوا البلد . والذى تولى الاعتناء بذلك طائفة الافرنج : فانهم نصبوا طريقا من باب البلد الى القصر الذى هو سكن الباشا ، وجعلوا بناحيتيه — يمنى ويسرى —

أنواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات ، وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة .

الاثنين غايته (٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م) :

وصل الحاج المصرى ، ودخلوا أرسالا شيئاً فشيئا ، ومنهم من دخل ليلا ، وخصوصا ليلة الاثنين ، وفى صبحه دخل حسن باشا أرنؤود الذى كان مقيما بجدة . وفى ذلك اليوم دخل بواقى الحجاج الى منازلهم .

ربيع الأول

الثلاثاء غرته (٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م) :

فى صبحه : دخلوا بالمحمل المدينة ، وأكثر الناس لم يشعر بدخوله ، وهذا لم يتفق فيما نعلم تأخر الحاج الى شهر ربيع الأول .

الثلاثاء ٨ منه (٥ يناير ١٨١٩ م) :

احترق سوق الشرم والجملون ، الكائن أسفل جامع الغورية ، بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والأقمشة الهندية وخلافها ، فظهرت به النار من بعد العشاء الأخيرة . فحضر الوالى وآغات التبديل ، فوجدوا الباب الذى من جهة الغورية مغلوقا من داخل ، وكذلك الباب الذى من الجهة الأخرى — وهما فى غاية المتانة — فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر الى بعد نصف الليل ، والنار عمالة من داخل . وهرب الخفير ، واحترق ليوان الجامع البرانى والدهليز، وأخذوا فى الهدم وصب المياه بآلات القصارين ، مع صعوبة العمل ، بسبب علو الحيطان الشاهقة والأخشاب العظيمة والأحجار الهائلة والعقود ، فلم يخمد لهب النار الا بعد حصة من النهار . وسرحت النار فى أخشاب الجامع التى بداخل البناء ، ولم يزل الدخان صاعدا منها ، وسقطت الشبابيك النحاس العظام ، وبقيت مفتتة ومكلسة ، واستمر العلاج فى اطفاء الدخان ثلاثة أيام .

ولولا لطف المولى ، وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد فلم تعمل فيه النار ... فلو لم يكن كذلك لاحترق ، وسرحت النار الى الحوانيت الملاصقة به ... وهى كلها أخشاب ، ويعلوها سقائف أخشاب كذلك ، ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوله الى آخره ، وهى فى غاية العلو والارتفاع وكلها أخشاب وحجنة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين ، ومن ناحيتها الرباع والوكايل والدور ، وحيطان الجميع من الحجنة والأخشاب العتيقة التى تشتعل بأدنى حرارة . فلو وصلت النار — والعياذ بالله تعالى — الى هذه السقيفة لما أمكن اطفاؤها بوجه ، وكان حريقا دوميا ، ولكن الله سلم .

السبت ١٢ منه (٩ يناير ١٨١٩ م) :

حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقا . وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسرة للباشا ، كتب اليه مكتوبا بالتهنئة ، وأرسله مع حفيده السيد صالح الى الاسكندرية . فتلقاه بالبشاشة ، وطفق يسأله عن جده ، فيقول له : « بخير ، ويدعو لكم » . فقال له : « هل فى نفسه شىء أو حاجة نقضيها له ؟ » . فقال : « لا يطلب غير طول البقاء لحضرتكم » . ثم انصرف الى المكان الذى نزل به .

فأرسل اليه فى ثانى يوم عثمان السلانكلى ليسأله ويستفسره عما عسى أن يستحى من مشافهة الباشا بذكره ، فلم يزل يلاطفه حتى قال : « لم يكن فى نفسه الا الحج الى بيت الله ان أذن له أفندينا بذلك » . فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك ، وأذن له بالذهاب الى مصر ، وأن يقيم

بداره الى أوان الحج ... ان شاء برا ، وان شاء بحرا ، وقال : « أنا لا أتركه فى الغربة هذه المدة الا خوفا من الفتنة ، والآن لم يبق شىء من ذلك ، فانه أبى ، وبينى وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف » . وكتب له جوابا بالاجابة . وصورته بحروفه :

« مظهر الشمائل سنيها ، حميد الشئون وسميها ، سلالة بيت المجد الأكرم : والدنا السيد عمر مكرم ، دام شأنه .

« أما بعد : فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف ، تهنئة بما أنعم الله علينا ، وفرحا بمواهب تأييده لدينا ... فكان ذلك مزيدا فى السرور ، ومستديما لحمد الشكور ، ومجلبة لثناكم ، واعلانا بنيل مناكم . جزيتم حسن الثناء مع كمال الوقار ونيل المنى .

« هذا وقد بلغنا نجلكم عن طلبكم الاذن فى الحج الى البيت الحرام ، وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام ... للرغبة فى ذلك ، والترجى لما هنالك . وقد أذناكم فى هذا المرام تقربا لذى الجلال والاكرام ، ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام ، فلا تدعوا الابتهال ولا الدعاء لنا بالقال والحال ، كما هو الظن فى الطاهرين ، والمأمول من الأصفياء المقبولين .

« والواصل لكم جواب منا خطابا الى كتخدائنا . ولكم الاجلال والاحترام ، مع جزيل الثناء والسلام » .

وأرسل اليه المكتوبين صحبة حفيده السيد صالح ، وأرسل الى كتخدا بيك كتابا وصل اليه قبل قدومه . فأرسل الكتخدا ترجمانه الى منزله ليبشرهم بذلك . وأشيع خبر مقدمه ، فكان الناس بين مصدق ومكذب ، حتى وصل فى اليوم المذكور الى بولاق . فركب من هناك ، وتوجه الى زيارة الامام الشافعى ، وطلع الى القلعة ، وقابل الكتخدا وسلم عليه . وهنته الشعراء بقصائدهم ، وأعطاهم الجوائز ، واستمر ازدحام الناس أياما . ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارا ، واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به الا بعض من يريده من الأفراد ، فانكف الكثير عن الترداد ... وذلك من حسن الرأى !

ربيع الآخر

فيه : حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة الى الاسكندرية . وقد تقدم فى العام الماضى ، بل والذى قبله ، اهتمام الباشا . ونزل اليها المهندسون ، ووزنوا أرضها ، وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب . ثم أهمل أمرها لقرب مجىء النيل ، وتركوا الشغل فى مبدئها ، ولم يترك الشغل فى منتهاها عند الاسكندرية بالقرب من عمود السوارى . فحفروا هناك منبتها — وهى بركة متسعة — وحوطوها بالبناء المحكم المتين ، وهى مرسى المراكب التى تعبر منها الى الاسكندرية بدلا عن البغاز ، وهو ملتقى البحرين ، وما يقع فيه من تلف المراكب ... فتكون هذه أسلم وأقرب وأقل كلفة — ان صحت — بل وأقرب مسافة .

ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع الفدادين ، فيحصون رجال القرية المزارعين ، ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريال ، ويخصم له مثلها من المال . واذا كان له شريك ، وأحب المقام لأجل الزرع الصيفى ، أعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضى خاطره ، وزوده بما يحتاج اليه أيضا ، وعند العمل يدفع لكل شخص قرش فى كل يوم .

ويخرج أهل القرية أفواجا ، ومعهم أنفار من مشايخ البلاد ، ويجتمعون فى المكان المأمورين

باجتماعهم فيه ، ثم يسيرون مع الكاشف الذى بالناحية ، ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناءون وحدادون ، وفرضوا على البلاد التى فيها النخيل غلقانا ومقاطف وعراجين وسلبا ، وعلى البنادر فوسا ومساحى ... شىء كثير بالثمن . وطلبوا أيضا طائفة الغواصين لأنهم كانوا اذا تسفلوا فى قطع الأرض — فى بعض المواضع منها — ينبع الماء قبل الوصول الى الحد المطلوب .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٨١٩ م) :

ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخدا بيك عن منصب الكتخدائية ، وتولية محمود بيك فيهما عوضا عنه . وحضر محمود بيك فى ذلك اليوم قادما من الأسكندرية ، وطلع الى القلعة ، وحضر أيضا حسن باشا . وكان قد ذهب الى الاسكندرية ليسلم على الباشا لسكونه كان بالديار الحجازية المدة المديدة ، وحضر الى مصر والباشا بالاسكندرية ، فتوجه اليه ، وأقام معه أياما ، وعاد الى مصر صحبة محمود بيك . وحضر أيضا ابراهيم افندى من اسلامبول — وهو ديوان افندى الباشا — فتقلد فى نظر الأطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بيك .

جمادى الأولى

الخميس ٧ منه (٤ مارس ١٨١٩ م) :

ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحا .

وفيه : وصلت الأخبار أيضا عن عبد الله بن سعود ، أنه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة ، وقتلوه عند باب همايون ، وقتلوا أتباعه أيضا فى نواح متفرقة ... فذهبوا مع الشهداء !

وفيه : أشيع وصول قابجى كبير من طرف الدولة ، يقال له قهوجى باشا ، الى الأسكندرية ، وورد الأمر بالاستعداد لحضوره مع الباشا . فطلعوا بالمطابخ الى ناحية شبرا ، وطلبت الخيول من الربيع ، واستمر خروج العساكر ودخولهم ، وكذلك طبخ الأطعمة ، وفى كل يوم يشيعون الورود ، فلم يأت أحد ، ثم ذكروا أن ذلك القابجى ، حين قرب من الأسكندرية ، رده الريح الى رودس ، واستمر هذا الريح الى آخر الشهر !

وفيه : قوى الاهتمام بأمر حفر الترعة المتقدم ذكرها ، وسيقت الرجال والفلاحون من الأقاليم البحرية ، وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل أهل اقليم أقصابا توزع على أهل كل بلد من ذلك الاقليم . فمن أتم عمله المحدود ، انتقل الى مساعدة الآخرين . وظهر فى حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن وقيعان ، وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه ، ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة ، وأخرى لم تفتح — لا يعلم ما فيها — رفعوها للباشا مع تلك .

الأربعاء ٢٧ منه (٢٤ مارس ١٨١٩ م) :

حضر الباشا الى شبرا ، ووصل فى اثره قهوجى باشا . وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس ، وطلعوا الى القلعة ، ومع الأغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذى بالحجاز ، وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة ، وخنجر مجوهر لكل واحد ، وشلنجان مجوهران ، وساعة جوهر وغير ذلك . وقرىء الفرمان بحضرة الجمع ، وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقى من الوهابية . وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة ، وكذلك عند ورودهم . واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام فى جميع الأوقات الخمس .

ونزل القابجى المذكور ببيت طاهر باشا



باب همايون ... حيث قتل عبد الله بن سعود

بالأزبكية ، وحضر أيضا عقبه أطواخ لكل من عباس بيك ابن طوسون باشا ابن الباشا ، ولأحمد بيك ابن طاهر باشا . وفى ضمن الفرمان الاذن للباشا بتولية أمريات وقبجيات لمن يختار .

الجمعة ٢٩ منه (٢٦ مارس ١٨١٩ م) :

خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه بقبجيات باشا ، وهم : على بيك السلانكلى قابجى باشا ، وحسن أغا أزرجانلى كذلك ، وخليل أفندى حاكم رشيد ، وشريف بيك .

جمادى الآخرة

الأحد غرته (٢٨ مارس ١٨١٩ م) :

فيه : حضر محمد بيك الدفتردار من الجهة القبلية ، فأقام أياما وعاد الى قبلى .

فى أواخره (أواخر ابريل ١٨١٩ م) :

رجع الكثير من فلاحى الأقاليم الى بلادهم من الاشرفية ، وهم الذين أتموا مالزمهم من العمل والحفر . ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب !

وفيه : حصل بعض موت بالطاعون . فداخل الناس وهم بسبب ما حدث فى أكابر الدولة والنصارى من التحجب وعمل الكورنتيلات ، وهى التباعد من الملامسة ، وتبخير الأوراق والمجالس ونحو ذلك .

رجب

الجمعة ٥ منه (٣٠ ابريل ١٨١٩ م) :

مات عبود النصرانى كاتب الخزينة . وكان مشكور السيرة فى صناعته ، وعنده مشاركة

ودعوى عريضة ودعوى علم ، ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ، ويضمن انشاءاته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعـــات ، وأخذ دار القيسرلى بدرب الجنينة وما حولها ، وأنشـأها دارا عظيمة وزخرفها ، وجعل بها بستانا ومجالس مفروشـة بالرخام الملون ، وفساقى وشـازروانات وزجاج بلور ... وكل ذلك على طرف الميرى ، وله مرتب واسع . وكان الباشا يحبه ويثق به ، ويقول « لولا الملامة لقلدته الدفتردارية » .

الأحد ٧ منه (٢ مايو ١٨١٩ م) :

حضر الى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بيك أبو نبوت معزولا عن ولايته فأرسل الى الباشـا يستأذنه فى الحضـور الى مصر فأطلق له الاذن فحضر ، فأنزله بقصر العينى وصـحبته نحـــو الخمسمائة مملوك وأجناد وأتباع ، واجتمع بالباشا وأجله وسلم عليه ، وأقام معه حصة من الليـــل ، ورتب له مرتبا عظيما ، وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه .

فمن جملة ما رتب له : ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بألفين وستمائة نصف فضة فى كل شـهر ، وذلك خلاف المعـين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون ، فمن الأرز خاصة فى كل يوم أردبان ، وللعليق خمسة وعشرون أردبا فى كل يوم .

السبت ١٣ منه (٨ مايو ١٨١٩ م) :

سافر قهوجى باشا عائدا الى اسلامبول ، واحتفل به الباشا احتفالا زائدا ، وقدم له ولمخدومه وأرباب الدولة من الأموال والهدايا والخيول والبن والأرز والسكر والشربات وتعابى الأقمشة الهندية وغيرها شيئا كثيرا ، وكذلك قدم له أكابر الدولة هـدايا كثـيرة ، ولأنه لمـا حضر الى مصر قدم لهم هدايا فقابلوه بأضعافها ، وعند ما سافر احتجب الباشا ، وأمر كل من كان يلازم ديوانه بالانصراف والتحجب ، فتكرتن منهم من تكرتن فى داره ومنهم فى القصور ، وسافر مع قهوجى باشا سليمان أغا السلحـدار وشربتشى باشا وآخرون لتشييعه الى الأسكندرية .

الخميس ١٨ منه (١٣ مايو ١٨١٩ م) :

حضر بواقى الوهابية بحـــريمهم وأولادهم — وهم نحو الأربعمـائة نسمة — وأسـكنوا بالقشـلة التى بالأزبكية ، وابن عبد الله بن سعود بدار عند جامع مسبكة هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ، ويمشون فى الأسواق ، ويشترون البضائع والاحتياجات .

شعبـــان

(٢٦ مايو — ٢٣ يونية ١٨١٩ م) :

فيه : وصـل جماعة هجانة من جهة الحجاز ، وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز . وذلك أنه لمـا مات أبوه تأمر عوضه ، وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة . فلما توجه خليل باشا الى اليمن ، أخلى له البلاد ، واعتزل فى حصن له ، ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه . وترددت بينهمـا المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه ، وحضر عند خليل باشا . فقبض عليه وأرسله مع الهجانة الى مصر .

وفيه : صرفوا الفلاحين عن العمل فى الترعة لأجل حصاد الزرع ، ووجهوا عليهم طلب المال !

رمضـــان

الخميس غرته (٢٤ يونية ١٨١٩ م) :

امسـتهل والباشا مكرتن بشبرا ، ولم يطلع الى القلعة كعادته فى شهر رمضان .

الأربعاء ٢٨ منه (٢١ يولية ١٨١٩ م) :

طلع الى القلعة ، وعيد بها

شـــوال

١٤ منه (٥ اغسطس ١٨١٩ م ـــ آخر أبيب ١٥٣٥ ق):

نودى بوفاء النيل ، وكان الباشا سافر الى جهة لأسكندرية بسبب ترعة الأشرفية ، وأمر حـكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل . فأخذوا فى جمعهم ، فكانوا يربطونهم قطارات بالحبـال ، وينزلون بهم المراكب . وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم ، وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب ، وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ... ولو فيه الروح !

ولما رجعوا الى بلادهم للحصـــيدة ، طولبوا بالمـال ، وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول ، وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر ... فما هم الا والطلب للعود الى الشغل فى الترعة ، ونزح المياه التى لا ينقطـع نبعهـا من الأرض ، وهى فى غاية الملوحة . والمرة الأولى كانت فى شدة البرد ، وهذه المرة فى شدة الحر ، وقلة المياه العذبة ، فينقلوها بالروايا على الجمال مع بعد المســافة وتأخر رى الاسكندرية !

٢٧ منه (١٨ اغسطس ١٨١٩ م):

ارتحل ركب الحجاج من البركة . وأمير الحاج عابدين بيك أخو حسن باشا .

ذو القعـــدة

الأحد غرته (٢٢ اغسطس ١٨١٩ م) :

استهل والعمل فى الترعة مستمر .

ذو الحجـــة

الثلاثاء ١٥ منه (٥ اكتوبر ١٨١٩ م) :

سافر الباشـــا الى الصـــعيد ، وسافر صحبته حسن باشا طاهر ، ومحمد أغا لاظ المنفصـــل عن الكتخدائية ، وحسن آغا آزرجانلى ، وغـــيرهم من أعيان الدولة .

وفيه : وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم عكا ، وهو من مماليك أحمد باشا الجزار .

فى اواخره (النصف الثانى من اكتوبر ١٨١٩ م) :

وفى أواخره : وصل ابن ابراهيم باشا ، وصحبته حريم أبيه . فضربوا لوصولهم مـدافع ، وعملوا للصغير موكبا ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة .

وانقضت السنة وما تجدد بهـا من الحوادث التى منها : زيادة النيل الزيادة المفـرطة أكثر من العام الماضى . وهذا من النوادر — وهو الغرق — فى عامين متتابعين ، واستمر أيضا فى هذه السنة الى منتصف هاتور ، حتى فات أوان الزراعة ، وربما نقص قليلا ثم يرجع فى ثانى يوم أكثر ما نقص .

المحرم

الخميس غرته (٢١ اكتوبر ١٨١٩ م) :

كان أول المحرم بالهلال يوم الخميس ، وفيه ، وما قبله بأيام : حصل بالأرياف ، بل وبداخل المدينة ، انزعاجات بسبب تواتر سرقات ، وإشاعة سروح مناسر وحرامية ، وعمر الناس أبواب الدور والدروب ، وحصل منع الناس من المسير والمشى بالأزقة من بعد الغروب . وصار كتخدا بيك وأغات التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينة ، وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ... ولو كان مما لا شبهة فيه ، واستمر هذا الحال الى آخر الشهر .

الثلاثاء ٢٧ منه (١٦ نوفمبر ١٨١٩ م) :

حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل فى سرحته الى الشلال . وكان الناس تقولوا على ذهابه الى قبلى أقاويل ، منها : أنه يريد التجريد على بواقى المصريين المنقطعين بدنقلة : فإنهم استفحل أمرهم ، واستكثروا من شراء العبيد ، وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك .

ومنها : أنه يريد التجريد أيضا ، وأخذ بلاد دارفور والنوبة ، ويمهد طريق الوصول اليها .

ومنها : أنهم قالوا انه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد ، وان ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه ، وعمل معدله ومقدار مايصرف عليه حتى يستخرج صافيه .

وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه . وأما قولهم عن هذه المعادن : فالذى تلخص من ذلك أنه ظهر بأرض أحجار خضر تشبه الزمرد ، وليست اياه ، وبمكان آخر شىء أسود مخرفش مثل خرء الحديد يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل . فقد أخبرنى أخونا الشيخ عمر الناوى ، المعروف بالمخلصى ، أنه أخذ منه قطعة وذهب بها الى الصائغ ودقها ووضعها فى بوط كبير ، وساق عليها بنار السبك ، وانكسر البوط فنقلها الى بوط آخر . ولم يزل يعالجها بطول النهار ، وأحرق عليها زيادة عن القنطار من الفحم .

وفيه : حضر أيضا جماعة من الوهابية ، وأنزلوا بدار بحارة عابدين .

صفر

الجمعة غرته (١٩ نوفمبر ١٨١٩ م) :

سافر محمد أغا ، المعروف بأبو نبوت ، الشامى الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة ، وذلك أنه لما حضر الى مصر ، ونزل برحاب الباشا كما تقدم ، وكاتب الباشا فى شأنه الى الدولة ، فحضر الأمر بطلبه وأوكد بالاكرام . فعند ذلك هيأ له الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها ، وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا أرسل اليهم الباشا كساوى وفراوى ، وترك باقى أتباعه بمصر أنزلوهم فى دار بسويقة اللالا — وهم يزيدون عن المائتين — ويصرف لهم الرواتب فى كل يوم والشهرية .

وفيه : وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز ، وصحبتهم أسرى من الوهابية نساء وبنات وغلمانا ، نزلوا عند الهمايل ،

وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم ... مع أنهم مسلمون وأحرار !

الجمعة ١٥ منه (٣ ديسمبر ١٨١٩ م) :

مات مصطفى أغا وكيل دار السعادة سابقا ، ومات أيضا الشيخ عبد الرحمن القرشى الحنفى .

الأحد ١٧ منه (٥ ديسمبر ١٨١٩ م) :

وصل الحاج المصرى ، ومات الكثير من الناس فيه بالحمى ، وكذلك كثرت الحمى بأرض مصر ، وكأنها تناقلت من أرض الحجاز .

الخميس ٢١ منه (٩ ديسمبر ١٨١٩ م) :

وصل ابراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير. وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله الى القصير . وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها ، ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان ، واجتمعت نساء أكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ، ونظفوا له القصر الذى كان أنشأه ولى خوجة وتممه شريف بيك الذى تولى فى منصبه ، وهو بالروضة بشاطىء النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضة الى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر الى البر ، وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب .

وفى ذلك اليوم : وصل قابجى من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، وطلع الى القلعة فى موكب .

وفيه : عند وصول ابراهيم باشا نودى بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها . فشرع الناس فى تزيين الحوانيت والدور والخانات بما أمكنهم ، وقدروا عليه من الملونات والمقصبات . وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فانهم أبدعوا فى عمل تصاوير مجسمات وتماثيل وأشكال غريبة . وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج ، فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك ، فيأخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الانكار والكتمان .

ولما أصبح يوم الجمعة — وقد عدى ابراهيم باشا الى بر مصر — رتبوا له موكبا ، ودخل من باب النصر ، وشق المدينة ، وعلى رأسه الطلخان السليمى — من شعار الوزارة — وقد أرخى لحيته بالحجاز . وحضر والده الى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه ، وطلع بالموكب الى القلعة ، ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة الى جهة مصر القديمة ، ومر على الجسر ، وذهب الى قصره المذكور بالروضة .

واستمرت الزينة والوقود ، والسهر بالليل ، وعمل الحراقات ، وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة ، ومغانى وملاعب فى مجامع الناس ، سبعة أيام بلياليها ، فى مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الأخطاط .

ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظما فى نفسه جدا ، وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه . حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم ، فلما أقبلوا عليه — وهو جالس فى ديوانه — لم يقم لهم ، ولم يرد عليهم السلام . فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة ، فلم يجبهم ... ولا بالاشارة ! بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده . وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى الخاطر .

ربيع الأول

٨ منه (٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م) :

مات ابن ابراهيم باشا — وهو الذى تقدمه فى المجىء الى مصر — وعملوا له الموكب ، وعمره نحو ست سنوات . وكان موته فى أول الليل من ليلة الأحد . فأرسلوا التنابيه لأعيان الدولة والمشايخ ، فخرج البعض منهم فى ثلث الليل الأخير الى مصر القديمة حيث المعادى ، لأنه مات بقصر

الجيزة . فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة ، وما حضروا به الا قرب الزوال . وانجروا بالمشهد الى مدفنهم بالقرب من الامام الشافعى ، وعملوا له مأتما ، وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك .

ثم حكى المخبرون عن كيفية موته : أنه كان نائما فى حجر دادته — جارية سوداء — فشاجرتها جارية بيضاء ، ورفصتها برجلها فأصابت الغلام ، فاضطرب . ووصل الخبر الى أبيه ، فدخل اليهم ، وقبض على الجوارى الحاضرات وحبسهن فى مكان بالقصر ، وقال : « ان مات ولدى قتلتكن عن آخركن » ، فمات من ليلته . فخنق الجميع وألقاهن فى البحر بما فيهن الدادة . قيل انهن خمس ، وقيل ست ... والله أعلم .

فى أواخره (حوالى منتصف يناير ١٨٢٠ م) :

انقضى أمر الفحر بترعة الاسكندرية ، ولم يبق من الشغل الا القليل . ثم فتحوا لها شرما ، خلاف فمها المعمول ، خوفا من غلبة البحر . فجرى فيها الماء ، واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها ، وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخة ، — وبها روبة عظيمة — وساح على الأرض ، وليس هناك جسور تمنع ، وصادف أيضا وقوع نوة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ، ووصل الى الترعة . فأشيع فى الناس أن الترعة فسد أمرها ولم تصح ، وأن المياه المالحة ، التى منها ومن البحر ، غرقت الأسكندرية ، وخرج أهلها منها ... الى أن تحقق الخبر بالواقع — وهو دون ذلك — ورجع المهندسون والفلاحون الى بلادهم بعدما هلك معظمهم !

ربيع الآخر

الاثنين غرته (١٧ يناير ١٨٢٠ م) :

فى أوله : عزل الباشا محمد بيك الدفتردار عن امارة الصعيد ، وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا ، وسافر فى خامسه .

الأحد ٧ منه (٢٣ يناير ١٨٢٠ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية للكشف على الترعة ، وسافر صحبته ابنه ابراهيم باشا ومحمد بيك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلى .

السبت ١٣ منه (٢٩ يناير ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا ومن معه من غيبتهم ، وقد انشرح خاطره لتمام الترعة وسلوك المراكب وسفرها فيها : وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقاير بالبضائع . واستراحوا من وعر البوغاز ، والسفر فى المالح الى الاسكندرية ، والنقل والتجريم ، وانتظار الريح المناسب لاقتحام البوغاز والبحر الكبير . ولم يبق فى شغل الترعة الا الأمر اليسير ، واصلاح بعض جسورها .

واتفق وقوع حادثة فى هذا الشهر : وهو أن شخصا من الافرنج الانكليز ورد من الاسكندرية ، وطلع الى بلدة تسمى كفر حشاد ، فمشى بالغيط ليصطاد الطير ، فضرب طيرا ببندقته فأصابت بعض الفلاحين فى رجله . وصادف هناك شخصا من الارنؤود بيده هراوة أو مسوقة ، فجاء الى ذلك الافرنجى ، وقال له : « أما تخشى أن يأتى اليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا » ، وأشار بما فى يده على رأس الافرنجى لكونه لا يفهم لغته . فاغتاظ من ذلك الافرنجى ، وضربه ببندقته فسقط ميتا .

فاجتمع عليه الفلاحون، وقبضوا على الأفرنجى ، ورفعوا الارنؤودى المقتول ، وحضروا الى مصر ، وطلعوا بمجلس كتخدا بيك . واجتمع الكثير من الأرنؤود وقالوا : « لابد من قتل الافرنجى » . فاستعظم الكتخدا ذلك ، لأنهم يراعون جانب الافرنج الى الغاية ، فقال : « حتى نرسل الى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم فى ذلك » .

وأرسل باحضارهم ... وقد تكاثر الأرنؤود وأخذتهم الحمية ، وقالوا : « لأى شىء تؤخر قتله الى مشورة القناصل ؟ وان لم يقتل هذا فى الوقت ، نزلنا الى حارة الافرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الافرنج » . فلم يسع الكتخدا الا أن أمر بقتله . فنزلوا به الى الرميلة ، وقطعوا رأسه . وطلع أيضا القناصل فى كبكبتهم ... وقد نفذ الأمر . وكان ذلك فى غيبة الباشا .

جمادى الأولى

(١٥ فبراير — ١٥ مارس ١٨٢٠ م)

فيه : جرد الباشا حسن بيك الشماشرجى ، حاكم البحيرة ، على سيوة من الجهة القبلية ، فتوجه اليها من البحيرة بجنده ومعه طائفة من العرب .

وفيه : قوى عزم الباشا على الاغارة على نواحى السودان . فمن قائل انه متوجه الى سنار ، ومن قائل الى دارفور . وصارى العسكر ابنه اسماعيل باشا وخلافه . ووجه الكثير من اللوازم الى الجهة القبلية ، وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلى والشرقية . واهتم اهتماما عظيما ، وأرسل أيضا باحضار مشايخ العربان والقبايل .

وفيه : خرج الباشا الى ناحية القليوبية ، حيث الخيول بالربيع ، وخرج محو بيك لضيافته بقلقشندة ، وأخرج خياما وجمالا كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والأرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك ، وأضافه ثلاثة أيام ، وكذلك تامر كاشف الناحية وغيره ، وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات ، وابن الشواربى كبير قليوب ، وابن عسر . وكان صحبة الباشا ولداه ابراهيم باشا واسماعيل باشا ، وحسن باشا .

وفى أثناء ذلك : ورد الخبر بموت عابدين بيك ، أخو حسن باشا ، بالديار الحجازية ، وكذلك الكثير من أتباعه بالحمى . فتكدر حظهم ، وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه — فى أواخره — لعمل العزاء والميتم . وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية ، حتى قالوا انه لم يبق من طائفة عابدين بيك الا القليل جدا .

ربيع الآخر

الثلاثاء ٢٠ منه (٤ ابريل ١٨٢٠ م) :

وردت هدية من والى الشام ، فيها من الخيول الخاص عشرة : بعضها ملبس ، والباقى من غير سروج ، وأشياء أخر لا نعلمها .

أواخره (النصف الأول من ابريل ١٨٢٠ م) :

ورد الخبر بأن حسن بيك الشماشرجى استولى على سيوة .

وفيه : ورد الخبر بأنه وقع باسلامبول حريق كبير .

وفيه : ورد الخبر أيضا عن حلب بأن أحمد باشا — المعروف بخورشيد ، الذى كان سابقا والى مصر — استولى على حلب ، وقتل من أهلها وأعيانها أناسا كثيرة . وذلك أنه كان متوليا عليها ، فحصل منه ما أوجب قيام أهل البلدة عليه ، وعزلوه وأخرجوه ... وذلك من مدة سابقة . فلما أخرجوه أقام خارجها ، وكاتب الدولة فى شأنهم ، وقال ما قال فى حقهم . فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحى بأن يتوجهوا لمعونته على أهل حلب . فاحتاطوا بالبلدة ، وحاربوها أشهرا حتى ملكوها ، وفتكوا فى أهلها ، وضربوا عليهم ضرائب عظيمة ... وهم على ذلك .

وفيه أيضا : تقلد أغوية مستحفظان مصطفى أغا كرد — مضافة للحسبة — عوضا عن حسن أغا الذى توفى فى الحج . فأخذ يعسف كعادته فى مبادى توليته للحسبة ، وجعل يطوف ليلا ونهارا ، ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب ، فيضرب

من يصادفه راجعا من سهر ونحوه ، أو يقطع من أذنه أو أنفه !

رجب

الأحد ٣ منه (١٦ ابريل ١٨٢٠ م) :

تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين أغا المورلى ، وهو بخشونجى بساتين الباشا .

وفيه : رجع حسن بيك الشماشرجى من ناحية سيوة ، بعد أن استولى عليها ، وقبض من أهاليها مبلغا من المال والتمر ، وقرر عليها قدرا يقومون به فى كل عام الى الخزينة .

الأربعاء ٢٠ منه (٣ مايو ١٨٢٠ م) :

سافر محمد أغا لاظ — وهو المنفصل عن الكتخدائية — الى قبلى بمعنى أنه فى مقدمة الجردة يتقدمها الى الشلال .

فى أواخره (النصف الأول من مايو ١٨٢٠) :

وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية فخلع الباشا على أخيه أحمد بيك — وهو ثالث اخوته — وهو أوسطهم ، وقلده فى منصب أخيه عوضا عنه ، وأعطى البيرق واللوازم .

وفيه أيضا : توجه الباشا الى ناحية الوادى لينظر ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقى . وقد صار هذا الوادى اقليما على حدته ، وعمر به قرى ومساكن ومزارع .

شعبان

الاحد غرته (١٤ مايو ١٨٢٠ م) :

فيه : سافر ابراهيم باشا الى القليوبية ، ثم الى المنوفية والغربية ، لقبض الخراج عن سنة تاريخه ، والطلب بالبواقى التى انكسرت على الفقراء — وكان الباشا سامح فى ذلك ، وتلك بواقى سبع سنين — فكان يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقى فى ظرف ثلاثة أيام . ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد ، وتركوا غلالهم فى الأجران ، وطفشوا فى النواحى بنسائهم وأولادهم . وكان يحبس من يجده من النساء ويضربهن . فكان مجموع المال المطلوب تحصيله ، على ما أخبرنى به بعض الكتاب ، مائة ألف كيس (١) .

الاحد ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا من ناحية الوادى .

فى أواخره (النصف الأول من يونية ١٨٢٠ م) :

وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف جامع مرزة وأقام الحريق نحو يومين حتى طفىء ، واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر المعروف بالكرسنة ، والزفت ، وحطب الأشراق وغيره .

رمضان

الاثنين غرته (١٢ يونية ١٨٢٠ م) :

واستهل والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين الى بلاد السودان ومن جملة الطلب ثلاثة أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة . فوقع الاختيار على محمد أفندى الأسيوطى ، قاضى أسيوط . والسيد أحمد البقلى الشافعيين ، والشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى . وأقبضوا محمد أفندى المذكور عشرين كيسا وكسوة ، ولكل واحد من الاثنين خمسة عشر كيسا وكسوة . ورتبوا لهم ذلك فى كل سنة .

الاحد ٧ منه (١٨ يونية ١٨٢٠ م) :

وقع حريق فى سراية القلعة . فطلع الأغا والوالى وآغات التبديل ، واهتموا بطفء النار ، وطلبوا السقائين من كل ناحية ، حتى شح الماء ولا يكاد يوجد — وكان ذلك فى شدة الحر ، وتوافق شهر بؤونة ورمضان — وأقاموا فى طفء النار يومين ، واحترق ناحية ديوان كتخدا بيك ومجلس شريف بيك ، وتلفت أشياء وأمتعة ودفاتر .. حرقا ونهبا .

---

(١) فى بعض النسخ « مائة وسبعين الف كيس » .

وذلك أن أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود ، وليس بها الا القليل من الأخشاب ... فهدموا ذلك جميعه ، وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة — وأكثرها من الحجنة والأخشاب ، على طريق بناء اسلامبول والافرنج — وزخرفوها ، وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش ، وكله سريع الاشتعال ... حتى أن الباشا لما بلغه هذا الحريق — وكان مقيما بشبرا — تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ، ويلوم على تغيير الوضع السابق ، ويقول : أنا كنت غائبا بالحجاز ، والمهندسون وضعوا هذا البناء . وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين ألف كيس ... حرقا ونهبا . ولما حصل هذا الحريق ، انتقلت الدواوين الى بيت طاهر باشا بالأزبكية . وانقضى شهر رمضان .

شـوال

الثلاثاء غرته (١١ يولية ١٨٢٠ م) :

وقع فى تلك الليلة اضطراب فى ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جدا ، وشهد اثنان برؤيته . ورد الواحد ، ثم حضر آخر . ولم يزالوا كذلك الى آخر الليل ، ثم حكم به عند الفجر ... بعد أن صليت التراويح ، وأوقدت المنارات ، وطاف المسحرون بطبلاتهم ، وتسحرت الناس ، وأصبح العيد باردا .

السبت ٥ منه (١٥ يولية ١٨٢٠ م) :

سافر الباشا الى ثغر سكندرية كعادته ، وأقام ولده ابراهيم باشا للنظر فى الأحكام والشكاوى والدعاوى . وكانت اقامته بقصره الذى أنشأه بشاطىء النيل ... تجاه مضرب النشاب ، وتعاظم فى نفسه جدا .

ولما رجع ابراهيم باشا من سرحته ، شرعوا فى عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا — وهو غلام فى السادسة — فشرعوا فى ذلك فى تاسع عشره ، ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر . وحضرت أرباب الملاعيب والحواة ، والمغزلكون والبهلوانيون ، وطبخت الأطعمة والحلواء والأسمطة ، وأوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل ، والشموع بداخل القصر ، وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك .

ورسموا باحضار غلمان أولاد الفقراء ، فحضر الكثير منهم وأحضروا المزينين . فختنوا فى أثناء أيام الفرح نحو الأربعمائة غلام ، ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة . وفى كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ودعوا فى أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ السادات والبكرى — وهو نقيب الأشراف أيضا — والمفاتى . وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ، ولم يقم لواحد منهم ، ولم يرد على من يسلم — ولا بالاشارة — السلام . ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها . وحضرت المائدة فتعاطوا الذى تعاطوه . حتى انقضى المجلس ، وقاموا وانصرفوا من سكوت .

الأربعاء ٢٣ منه (٢ اغسطس ١٨٢٠ م) :

خرجوا بالمحمل الى الحصوة ، وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه .

الخميس ٢٤ منه (٣ اغسطس ١٨٢٠ م) :

عملوا الزفة لعباس باشا ، ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر ، على باب الخرق الى القصر ... وختنوه فى ذلك اليوم . وامتلأ طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان ، وخلعوا عليه فروة وشال كشميرى ، وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك .

الثلاثاء ٢٩ منه (٨ اغسطس ١٨٢٠ م ــ ٣ مسرى ١٥٣٦ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد فى صبحها يوم الأربعاء ، وجرى الماء فى الخليج .. وذلك بحضرة كتخدا بيك والقاضى .

وفى هذا الشهر : حضر طائفة من بواقى الأمراء المصرية من دنقلة الى بر الجيزة . وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا ، وملابسهم قمصان بيض لاغير . فأقاموا فى خيمة ينتظرون الاذن ، وقد تقدم منهم الارسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد ، وحضر ابن على بيك أيوب وطلب أمانا لأبيه — فأجيبوا الى ذلك ، وأرسل لهم أمانا لأجمعهم...ماعدا عبد الرحمن بيك ، والذى يقال له المنفوخ ، فليس يعطيهم أمانا ، ولما حضرت مراسلة الأمان لعلى بيك أيوب ، وتأهب للرحيل .. حقدوا عليه وقتلوه . ووصل خبر موته ، فعملوا نعيه فى بيته — سكن زوجته الكائن بشمس الدولة — وأكثروا من الندب والصراخ عدة أيام .

وفى هذا الشهر أيضا : حضر أشخاص من بلاد العجم ، وصحبتهم هدية الى الباشا ، وفيها خيول ، فأنزلوهم ببيت حسين بيك الشماشرجى بناحية سويقة العزى .

ذو القعدة

الأحد ٤ منه (١٣ أغسطس ١٨٢٠ م) :

وصل قابجى وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ، وتقرير آخر لولده ابراهيم باشا بولاية جدة ..وركب القابجى المذكور فى موكب من بولاق الى القلعة ، وقرئت المراسيم بحضرة كتخدا بيك وابراهيم باشا وأعيانهم ، وضربوا مدافع .

وفيه : سافر اسماعيل باشا الى جهة قبلى ، وهو أمير العسكر المعينة لبلاد النوبة .. كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالأسكندرية .

ذو الحجة

(٩ سبتمبر ــ ٨ اكتوبر ١٨٢٠ م)

فيه : توجه ابراهيم باشا الى أبيه بالأسكندرية فأقام هناك أياما وعاد فى آخر الشهر فأقام بمصر أياما قليلة ، وسافر الى ناحية قبلى ليجمع ما يجده عند الناس من القمح والفول والعدس الثلاثة أصناف . وأخذوا كل سفينة غصبا ، وساقوا الجميع الى قبلى لحمل الغلال ، وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الافرنج والروم بالأثمان الغالية .

وانقضت السنة . ومن حوادثها : زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصا بعد الصليب . وقد كان حصل الاعتناء الزائد بأمر الجسور بسبب ما حصل فى العامين السابقين من التلف ، فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب ، وطف الماء على أعلى الجسور ، وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والأرز والقطن وأشجار البساتين ، وغالب أشجار الليمون والبرتقان بما عليها من الثمار ، وصار الماء ينبع من الأرض الممنوعة نبعا . ولا عاصم من أمر الله !

وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعة ، ولم نسمع ولم نر فى خوالى السنين تتابع الغرقات ، بل كان الغرق نادر الحصول . وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ، ونبع الماء من الأراضى الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة ، وجامع الأمير حسين ونحو ذلك .

ومنها : أن ترعة الأسكندرية المحدثة — لما تم حفرها ، وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود — فتحوا لها شرما دون فمها المعد لذلك ، وامتلأت بالماء . فلما بدأت الزيادة زادت ، وطف الماء فى المواضع الواطية ، وغرقت الأراضى ، فسدوا ذلك الشرم ، وأبقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين ، فكانوا ينقلون منها الى

مراكب البحر ، ومن البحر الى مراكبها وبقى ماؤها مالحا متغيرا ، واستمر أهل الثغر فى جهد من قلة الماء العذب ، وبلغ ثمن الراوية قرشين .

ومنها : أنه لما وقع القياس فى أراضى القرى ، قرروا مسموحا لمشايخ البلاد — فى نظير مضايفهم — خمسة أفدنة من كل مائة فدان . وفى هذا العام يدفع مال المسموح سنتين ... وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه ، وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة ، وبيع المواشى والأمتعة ومصاغ النساء . وكانوا أيضا طولبوا بالبواقى فى السنين الخوالى التى كانوا عجزوا عنها . ولم يزل رمى الغلال فى هذه السنة ، وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه . ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ، ازداد كربهم : فانه ربما يجىء على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر ، وقد قاسوا الشدائد فى غلاق الخراج الخارج عن الحد ، وعدم زكاء الزرع ، وغرق مزارع النيلة والأرز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك .

وفى أثر ذلك : فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشا ، وعلى الجمل ستون قرشا ، وعلى الشاة قرش ، والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفا وثلث ، والبقرة خمسة عشر ، والفرس كذلك .

ومنها : احتكار الصابون ، ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا . ثم سومح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن — وهو شىء كثير — ويستقر ثمنه على ستين نصفا بعد أن كان بخمسين جردا من غير نقو .

ومنها : ما أحدث على البلح بأنواعه ، وما يجلب من الصعيد والأبريمى وأنواع العجوة ، حتى جريد النخل والليف والخوص ، يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ، ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد ، وعلى الناس بأزيد من ذلك .

وفى هذه السنة لم تثمر النخيل الا القليل جدا ، ولم يظهر البلح الأحمر فى أيام وفرته ، ولم يوجد بالأسواق الا أياما قليلة ، وهو شىء ردىء ، وبسر ليس بجيد . ورطله بخمسة أنصاف ، وهى ثمن العشرة أرطال فى السابق ، وكذلك العنب لم يظهر منه الا القليل ، وهو الفيومى والشرقاوى . وقد التزم به من يعصره شرابا بأكياس كثيرة مثل غيره من الأصناف ... وغير ذلك جزئيات ، لم يصل الينا علمها ، ومنها ما وصل الينا علمها وأهملنا ذكرها .

ومنها : أن حسن باشا سافر الى الجهة القبلية ، وصحبته بعض الافرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضى الصعيد والفحص وفحر الأراضى والكهوف والبرابى ، واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة — من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى — وقطع الصخور بالبارود .

وأشاعوا أنه ظهر لهم شىء مخرفش يشبه خرء الرصاص أو الحديد ، وبه بعض بريق ، ذكروا أنه معدن اذا تصفى خرج منه فضة وذهب ، وأخبرنى بعض من أثق بخبره أنه أخذ منه قطعة تزيد فى الوزن على رطلين ، وذهب بها عند رجل صائغ ، فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار ، فخرج منها فى آخر الأمر — وهو ينقلها من بوط الى آخر بعد كسره — قطعة من الرصاص قدر الأوقية .

وذكروا أيضا أن بالجبل أحجارا سودا توقد فى النار مثل الفحم . وذلك لأنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الافرنج ، وأوقدوها بالضربخانة : كريهة الرائحة مثل الكبريت ، ولا تصير رمادا ، بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ، ويحتاج الى نقلها الى الكيمان . وقالوا ان بداخل جبال الصعيد كذلك .

فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها ، فأقام نحو ثلاثة أشهر — وذلك بأمر الباشا الكبير — وهم يكسرون الجبل بالبارود ، فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط ... وليس هو . وأتوا بشيء منــه الى مصر ، وأوقدوا منــه فى السرج ، فملأوا منه سبعة مصاقى ... وانقطع ، وأشيع فى الناس قبل تحقق صورته ، بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ، ولا ينقطع جـــريانها ، يكفى مصر واقطاعها ... بل والدنيا أيضــا ! وأخبرنى بعض أتباعهم أن الذى صرف فى هذه المرة نحو الألفى كيس .

ومن حوادث هــذه السنة الخارجة عن أرض مصر : أن السلطان محمود تغير خاطره على على باشا — المعروف بتيه رنلى حاكم بلاد الأرنؤود . وجرد عليــه العساكر ، ووقع لهم معــه حــروب ووقائع ، واستولوا على أكثر البــلاد التى تحت حكمه ، وتحصن هو فى قلعة منيعة .

وعلى باشا هذا فى مملكة واسعة وجنود كثيرة ، وله عدة أولاد متأمرين كذلك ، وبلادهم بين بلاد الرومنلى والنيمسا . ويقال ان بعض أولاده دخل تحت الطاعة ، وكذلك الكثير من عساكره . وبقى الأمر على ذلك ، ودخل الشتاء ، وانقضت السنة ولم يتحقق عنه خبر .

ومنها : أمر المعاملة وما يقع فيها من التخليط والزيادة ، حتى بلغ صرف الريال الفرانســة اثنى عشر قرشــا ، عنها أربعمــائة وثمانون نصــفا . والبندقى ألف فضة ، وكذلك المجر والفنــدقلى الاســـلامى ســبعة عشر قرشـــا . والقرش الاسلامبولى — بمعنى المضروب هناك المنقول الى مصر — يصرف بقرشين وربع ، يزيد عن المصرى ستين نصفا . وكذلك الفندقلى الاسلامبولى يصرف فى بلدته بأحد عشر قرشا ، وبمصر بسبعة عشر كما تقدم . فتكون زيادته ســتة قروش . وكذلك الفرانســا فى بــلادها تصرف بأربعــة قروش ، وباسلامبول بسبعة ، وبمصر باثنى عشر . وأما الأنصاف العددية ، التى تذكر فى المصارفات ، فلا وجود لها أصلا .. الا فى النادر جدا . واستغنى النــاس عنها لغلو الأثمان فى جميع المبيعـــات والمشتروات . وصــار البشلك ، الذى يقــال له الخمساوية — أى صرفه خمســة أنصاف — هى بدل النصف ، لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر ، وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنــه الذى هو البشلك ، ولم يبــق بالقطر الا ما كان موجودا قبل — وهو كثير ... يتناقل بأيدى الناس وأهل القرى ، ويعود الى الخــزينة ، ويصرف فى المصارف والمشاهرات وعلائف العساكر ... وهم كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود ، وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ، ويصرف القرش عنــد الاحتيــاج الى صرفه بســبعة من البشلك بنقص الثمن ، فباعتبار كونها فى مقــام النصف ، يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير ، وباعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وســبعين فضــة ، لأن الخمسة وعشرين قرشا — التى هى بدل الألف — اذا نقصت فى المصــارفة الثمن ، تكون احــدى وعشرين . واذا ضربنا السبعة فى الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وســبعين ، وفيها من الفضــة الخالصة ستة دراهم لا غير . وأوزان هذه القطع مختلفة ، لا تجد قطعة وزن نظيرتها . وفى ذلك فرط آخر . والقليل فى الكثير كثير !

والذى أدركناه فى الزمن الســابق أن هــذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة . وأول من أحــدثها بمصر عــلى بيك القــازدغلى — بعد الثمانين ومائة وألف — عندما استفحل

أمره ، وأكثر من العساكر والنفقات ، وأظهر العصيان على الدولة . ولما استولى محمد بيك المعروف بأبى الذهب ، أبطلها رأسا من الاقليم . وخسر الناس بسبب ابطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بابطالها ، ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب . ولم يبق من أصناف المعاملة الا أنواع الذهب الاسلامى والافرنجي والفرانسة ونصفه وربعه ، والفضة الصغيرة التى يقال لها نصف فضة ... مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب . ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التى يقال لها الجدد : أما عشرة أو اثنا عشر ، اذا كانت مضروبة ومختومة ، أو عشرين اذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ، ويقال لها السحاتة . فكان غالب المحقرات يقضى بهذه الجدد ، بل وخلاف المحقرات ، وفى البيع والشراء .

وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة فى المخالى ، ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ، ويربحون فيها . فكان الفقير أو الأجير اذا اكتسب نصفا وصرفه بهذه الجدد ، كفاه نفقة يومه مع رخاء الأسعار ، ويشترى منها خبزا وأدما . واذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة فى التقلية ، أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكراث والليمون : الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد .

وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية ، واذا وجدت فلا ينتفع بها أصلا ، وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضا ، وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر ... لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد ، وهذه بخمسة فقط . فاذا أخذ الشخص شيئا من المحقرات بنصف أو نصفين أو ثلاثة — ما كان يؤخذ بجديد أو جديدين — لم يجد عند البائع بقية الخمساوية : فاما يترك الباقى لوقت احتياج آخر ان كان يعرفه ، والا تعطلا . واذا كان الانسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا ، أو يملأ صاحب الحانوت ابريقه بجديد ، وفى هذه الأيام : اذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به ، والا بقى عطشانا حتى يشرب من داره ، ولا يهون عليه أن يدفع ثمن قربة فى شربة ماء ... وذلك لعدم وجود النصف ، وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم .

وقد كان الناس من أرباب البيوت اذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف ، يسألون الخادم فى اليوم الثانى عنه لكونه نصف المصروف ، ويحاسبونه عليه . وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتوية على عدة أشخاص ، من عيال وجوار وخدم ، اذا ادخر الغلة والسمن والعسل والحطب ونحو ذلك ، يكفيه فى مصروف يومه العشرة أنصاف فى ثمن اللحم والخضار وخلافه . وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد ... لغلو الأسعار فى كل شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت فى جميع الأصناف . ولا يخفى أن أسباب الخراب التى نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت فى هذه السنين ، وهى زيادة الخراج ، واختلال المعاملة أيضا والمكوس .

وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف ، والاستيلاء على أرزاق الناس ... فلا تجد مرزوقا الا من كان فى خدمة الدولة متوليا على نوع من أنواع المكوس ، أو مباشرا أو كاتبا أو صانعا فى الصنائع المحدثة . ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه فيحاسب مدة استيلائه ، فيجتمع عليه جملة من الأكياس ، فيلزم بدفعها ... وربما باع داره ومتاعه فلا يفى بما تأخر عليه : فاما يهرب ان أمكنه الهرب ، واما يبقى فى الحبس ... هذا ان كان من أبناء

العرب وأهالى البلدة . واما ان كان بخلاف ذلك ، فربما سومح ، أو تصدى له من يخفف عنه ، أو يدخله فى منصب أو شركة ... فيترفع حاله ويرجع أحسن ما كان !

ومما حدث أيضا فى هذه السنة : الاستيلاء على صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس ، وذلك باغراء بعض صناعهم وتحاسدهم ، وأن مكسبها يزيد على ألف كيس فى السنة — لأن غالب الحوادث باغراء الناس على بعضهم البعض — وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجوارى السود ، وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد السودان : كسن الفيل ، والتمر هندى ، والشيشم وروايا الماء ، وريش النعام وغير ذلك .

ومنها : الحجر على عسل النحل وشمعه ، فيضبط جميعه للدولة ، ويباع رطل الشمع بستة قروش ، ولا يوجد الا ما كان مختلسا ويباع خفية ، وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش . فاذا وردت مراكب الى الساحل نزل اليها المفتشون على الأشياء — ومن جملتها الشمع — فيأخذون ما يجدونه ، ويحسب لهم بأبخس ثمن ، فان أخفى شيئا ، وعثروا عليه ، أخذوه بلا ثمن ، ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك ، وسموه حراميا ... ليرتدع غيره .

والمتولى على ذلك نصارى ، وأعوانهم لا دين لهم .

وقد هاف النحل فى هذه السنة ، وامتنع وجود العسل ، وكذلك ثمر النخيل ... بل والغلال . فلم تزل فى هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت منها الأراضى ، بل وتعطل بسببها الزرع ، وزادت أثمانها ، خصوصا الفول . وأما العدس فلا يوجد أيضا الا نادراً .

وكذلك التزم بالملاحة وتوابعها من زاد فى مالها ، وبلغ ثمن الكيلة قرشا ، وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفا . وفيما آدركنا بثلاثة أنصاف . وأما أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف بالقرش ، وكذلك ثمن الجير البلدى والجبس ... لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لا تنقضى أبدا . ونقل الأتربة الى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس الى غروبها ... حتى ستر علوها الأفق من كل ناحية ، واذا بنى أحدهم دارا فلا يكفيه فى ساحتها الكثير ، ويأخذ ماحولها من دور الناس ، بدون القيمة ، ليوسع بها داره ، ويأخذ ما بقى فى تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ، ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجمعيته وأخرى لعسكره وهكذا .

وأما سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى والمصيبة الكبرى ، فانه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ، ونقل أحجارها الى داخل باب البرقية المعروف بالغريب ، وكذلك ما كان جهة باب النصر ، وجمعوا أحجارها خارج باب النصر ، وأنشأ جهة خان الخليلى وكالة ، وجعل بها حواصل وطباقا ، وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة ، أضعاف الأجرة المعتادة ، وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى ، وفتح لها بابا يخرج منه الى وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين لأنها بظاهرها ، وأجر الحوانيت كذلك بأجرة زائدة : فأجر الحانوت بثلاثين قرشا فى الشهر ، وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفا فى الشهر .

والعجب فى اقدام الناس على ذلك ، واسراعهم فى تآجرهم قبل فراغ بنائها ، مع ادعائهم قلة المكاسب ووقف الحال . ولكنهم أيضا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه !

ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا

يسمى حوش عطى (بضم العين ، وفتح الطاء وسكون الياء) كان محطا لعربان الطور ونحوهم — اذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلى وغيره — وكذلك أهالى شرقية بلبيس . فأنشأ فى ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة ، وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق .

وسكن غالبها أيضا الأرمن وخلافهم بالأجر الزائدة ، ثم انتقل الى جهة خان الخليلى ، فأخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت ، والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة . فهدم ذلك جميعه ، وأنشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتا ، أجرة كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر .

وأنشأ فوق السبيل وبعض الحوانيت زاوية لطيفة ، يصعد اليها بدرج عوضا عن الجامع ، ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الامشاطية فأخذ أماكن ودورا وهدمها ... وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك ، فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة ، فيدفع له ماسمحت به نفسه ، ان شاء عشر الثمن أو أقل أو أزيد بقليل ، وذلك لشفاعة أو واسطة خير . واذا قيل له انه وقف ولا مسوغ لاستبداله لعدم تخربه ، أمر بتخريبه ليلا ثم يأتى بكشاف القاضى فيراه خرابا فيقضى له .

وكان يثقل عليه لفظة « وقف » ويقول : « ايش يعنى وقف ؟ » . واذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله ... لا يدفعه ، ولا يلتفت لتلك اللفظة أيضا ، ويتمم عمائره فى أسرع وقت ، لعسفه وقوة مراسه على أرباب الأشغال والمونة ، ولا يطلق للفعلة الرواح ، بل يحبسهم على الدوام الى باكر النهار ، ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ، ويبتدئون فى العمل من وقت صلاة الشافعى الى قبيل الغروب ... حتى فى شدة الحر فى رمضان ، واذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد العمارة بالشرب ، وأحضر لهم السقاء ليسقيهم !

وظن أكثر الناس أن هذه العمائر انما هى لمخدومه ، لأنه لايسمع لشكوى أحد فيه .

واشتد فى هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة ، وضاقت بأهلها لشمول الخراب وكثرة الأغراب وخصوصا المخالفين للملة ، فهم الآن أعيان الناس : يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ، ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات ، وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم ، وبأيديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ، ويتسرون بالجوارى بيضا وحبوشا ، ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأغلى الأثمان ، ومنهم من له دار بالمدينة ، ودار مطلة على البحر للنزاهة ، ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا من الأكياس . وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان فى خطة على جميع دورها ، وأخذها من أربابها بأى وجه .

وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لأنهم يحتاجون الى كتبة وخدم وأعوان ، والتحكم فى أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ، ويقف الشريف والعامى بين يدى الكافر ذليلا . فضاقت بالناس المساكن ، وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف ، وأبدل لفظ الريال ، الذى كان يذكر فى قيم الأشياء ، بالكيس وكذلك الأجر . والأمر فى كل شىء فى الازدياد ، والله لطيف بالعباد .

ولو أردنا استيفاء بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال .

وعشنا ومتنا ما نرى غير مانرى

تشابهت العجما وزاد انعجامها

نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين .

سنة ١٢٣٦ هجرية

المحــرم

فى أوائله (النصف الأول من أكتوبر ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية .

وفيــه من الحوادث : أن الشيخ ابراهيم — الشهير بباشا — المــالكى بالاسكندرية ، قرر فى درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب فى حكم الميتة لا يجوز أكلها ، وما ورد من اطلاق الآية فانه قبل أن يغيروا ويبدلوا فى كتبهم . فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنــكروه واستغربوه ، ثم تكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه . فقال : « أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى ، وانما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى ، وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمــــه » .

ثم انه أرسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع . فألف رسالة فى خصوص ذلك ، وأطنب فيها : فذكر أقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب ، واعتمــد قول الامام الطرطوشى فى المنــع وعــدم الحل ، وحشا الرسالة بالحط على علمــاء الوقت وحكامه — وهى نحو الثلاث عشرة كراســة — وأرسلها الى الشــيخ ابراهيم . فقرأها على أهل الثغر ، فكثر اللغط والانكار ... خصوصا وأهــل الوقت أكثرهم مخالفون للملة ، وانتهى الأمر الى الباشا ، فكتب مرسوما الى كتخــدا بيك بمصر ، وتقدم اليــه بأن يجمع مشــايخ الوقت لتحقيــق المسألة ، وأرسل اليه بالرسالة أيضــا المصنفة . فأحضر كتخدا بيك المشايخ وعرض عليهم الأمر ، فلطف الشيخ محمد العروسى العبــارة ، وقال : « الشــيخ على الميلى رجل من العلمــاء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لا ينكر علمه وفضله ، وهو منعزل عن خلطة النــاس ... الا أنه حاد المزاج ، وبعقله بعض خلل ، والأولى أن نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم وننهى بعد ذلك الأمر اليكم » .

فاجتمعوا فى ثانى يوم ، وأرسلوا الى الشيخ على يدعونه للمناظرة ، فأبى عن الحضور ، وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربة يقولان : « انه لا يحضر مع الغوغاء ، بل يكون فى مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمــد بن الأمير ، بحضرة الشــيخ حسن القويسنى والشــيخ حسن العطار فقط ، لأن ابن الامير يناقشه ويشن عليــه الغارة » .

فلما قال ذلك القول ، تغير ابن الأمير وأرعــد وأبرق ، وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرســل . وعند ذلك أمروا بحبسهما فى بيت الأغا ، وأمروا الأغا بالذهاب الى بيت الشــيخ على واحضــاره بالمجلس ... ولو قهرا عنه . فركب الأغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد تغيب ، فأخرج زوجتــه ومن معها من البيت ، وسمر البيت ! فذهبت الى بيت بعض الجيران . ثم كتبــوا عرضــا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ علىّ على خــلاف الحق ، وأبى عن حضور مجلس العلماء والمنــاظرة معهم فى تحقيق المسألة ، وهرب واختفى لــكونه على خــلاف الحق ، ولو كان على الحــق ما اختفى ولا هرب ... والرأى لحضرة الباشا فيه اذا ظهر ،

وكذلك فى الشيخ ابراهيم باشا السكندرى . وتمموا العرض ، وأمضوه بالختوم الكثيرة ، وأرسلوه الى الباشا .

وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ، ورفعوا الختم عن بيت الشيخ على ، ورجع أهله اليه : وحضر الباشا الى مصر فى أوائل الشهر ورسم بنفى الشيخ ابراهيم باشا الى بنى غازى . ولم يظهر الشيخ على من اختفائه .

صفر

فى اوائله (النصف الأول من نوفمبر ١٨٢٠ م) :

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية بعد ماطاف الفيوم أيضا ، وأحضر معه جملة أشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان ، وهم فى الجنازير الحديد ، وشقوا بهم البلد ثم حبسوهم .

ربيع الأول

فى أوائله (النصف الأول من ديسمبر ١٨٢٠ م) :

حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية البواقى فى حالة رثة وضعف وضيم واحتياج واجتياح . وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا الى ذلك .

وفيه : أشهروا العربان الذين أحضرهم ابراهيم باشا معه وقتلوهم وهم أربعة : اثنان بالرميلة ، واثنان بباب زويلة .

ربيع الآخر

السبت غرته (٦ يناير ١٨٢١ م) :

أخرج الباشا عبد الله بيك الدرندلى منفيا . وكان عبد الله بيك هذا يسكن بخطة الخرنفش ، وهو رجل فيه سكون ، قليل الأذى ، وملك بتلك الناحية دورا وأماكن ، وله عزوة وعساكر وأتباع ، وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ويتوسع معه فى الكلام والمسامرة .

وسبب تغير خاطر الباشا عليه ، أنه جرى ذكر على باشا تبدلان الأرنؤودى وحروبه ومخالفة العساكر عليه ، فقال عبد الله المذكور : « ان العساكر يرون محاربة السلطان معصية » أوكلاما هذا معناه . فتغير وجه الباشا من ذلك القول ، ويقال انه أمر بقتله ، فشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل وأن يخرج منفيا . هكذا أشيع واستفيض ، وانضم الى ذلك أنه قال لشريف بيك أمين الخزنة عند تأخر علوفته : « خدمة نصرانى أحسن من خدمتكم » مع المشاجرة . فبلغها شريف بيك للباشا أيضا ، وأوغر صدره عليه . ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الأماكن والأملاك ، ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم .

وسافر فى ثامنه على طريق البر ، وأبقى حريمه وأثقاله ليأتوه على سفن البحر .

الاحد ١٦ منه (٢١ يناير ١٨٢١ م) :

أمر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع الأزهر . فاجتمعوا فى يوم الاثنين سابع عشره ، وقرأوا فى الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة أيام ، آخرها الخميس ، وفرقوا على أولاد المكاتب دراهم ، وكذلك على مجاورى الأزهر ، فى نظير قراءة البخارى .

جمادى الأولى

(٤ فبراير ـ ٥ مارس ١٨٢١ م)

فيه : حضر ابراهيم باشا ، ونزل بقصره الجديد ... بل قصوره ، لأنه أنشأ عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متصلة متسعة مزخرفة : منها قصر لديوانه ، وقصر لحريمه ، وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه ، وغير ذلك .

جمادى الآخرة

الثلاثاء غرته (٦ مارس ١٨٢١ م) :

عزم ابراهيم باشا على اعادة قياس أراضى قرى مصر ، وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا .

السبت ٥ منه (١٠ مارس ١٨٢١ م) :

عدى الى الجيزة تجاه القصور ، وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسى الأفرنج ، وقاس كل قياسته وكيفية عمله . فعاند المعلم غالى وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط ، وقال كل منهم على الصحيح . وعلم ابراهيم باشا أن قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ولكن فيها بطء ، فقال : « أريد الصحيح ولكن مع السرعة » بعد أن عمل امتحانا ومثالا فى قطعة من الأرض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت .

وأمسى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتى ، فحضروا كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل الى آخر النهار ، ثم اختار من مهندسى الأقباط طائفة وطرد الآخرين .

الاثنين ١٤ منه (١٩ مارس ١٨٢١ م) :

سافر الى ناحية شرق اطفيح ، وأخذ من المهندسخانة كبيرها وصحبته سبعة عشر شخصا ، وكذلك أشخاصا من الافرنج المهندسين . وانتقصوا من القصبة فى هذه المرة مقدار قبضة .

رجب

فى غرته (٤ ابريل ١٨٢١ م) :

سافر مماليك الباشا الى جهة أسيوط مثل العام الماضى ليكرتنوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر .

١٧ منه (٢٠ ابريل ١٨٢١ م) :

ارتحل محمد بيك الدفتردار مسافرا الى دارفور ببلاد السودان ، بعد أن تقدمه طوائف كثيرة ، عساكر أتراك ومغاربة .

٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٢١ م) :

أمر الباشا بنفى محمد ، المعروف بالدرويش ، كتخدا محمود بيك ، الذى هو الآن كتخدا بيك ، والسيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق ، وسليمان أفندى ناظر المدابغ والجلود ... ثلاثتهم الى قلعة أبى قير لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم . ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان افندى المذكور .

اواخره (أوائل مايو ١٨٢١ م) :

حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة ، فيهم ثلاثة صناجق : أحدهم أحمد بيك الألفى ، وهو زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير .

شعبان

الجمعة ٨ منه (١١ مايو ١٨٢١ م) :

عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأحمر ، وكان قد تخرب ولم يبق به الا الجدران ، فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور وسقفه أيضا بأفلاق النخيل والجريد والبوص ، وأقام له عمدا من الحجارة ، وجدد منبره وبلاطه وميضأته ومراحيضه ، وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم . واجتمع به عالم كثيرون من الناس ، وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير .

وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا ، وأملى فيه حديث « من بنى لله مسجدا ... » . وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العروسى ، وعمل لهم شربات سكر .

السبت ٢٣ منه (٢٦ مايو ١٨٢١ م) :

حضر ابراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٩ مايو ١٨٢١ م) :

سافر بمن معه الى ناحية شرقية بلبيس .

رمضـــان

فى غرته (٢ يونية ١٨٢١ م) :

عملت الرؤية فى تلك الليلة كالعادة ، وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب . وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضى أربع ساعات من الليل ، ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالى الأثمان وتعاليها بسوء فعـل السوقة ، واظهار ردىء المأكولات واخفـاء جيدها . وقد انقضى بخير .

شـــوال

٣ منه (٤ يولية ١٨٢١ م) :

حضرت هجـانة من أراضى نجد ، وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم: عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عمه . وذلك أنهم لمـا رجعوا الى الدرعية بعـد رحيل ابراهيم باشا وعساكره ، وكان معهم مشارى ابن سعود ، وقد كانوا هربوا فى الدرعية بعد ما رحل عنها ابراهيم باشا ، وتركى بن عبد الله ابن أخى عبدالعزيز وولد عم سعود الأمشارى ، فانه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سـعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر — فى الحمـراء — وهى قرية بين الجـديدة وينبع البحـر — وذهب الى الدرعية ، واجتمع عليه من فر جين قدمت العساكر ، وأخذوا فى تعميرها ، ورجع أكثر أهلها ، وقدموا عليهم مشارى ، ودعا النـاس الى طاعتـه فأجابه الكثير منهم ، فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته .

فلما بلغ الباشا ذلك ، جهز له عساكر ، رئيسها حسين بيك ، فأوثقوا مشارى وأرسلوه الى مصر ، فمات فى الطريق . وأما عمر وأولاده وبنو عمـه فتحصنوا فى قلعة الرياض ، المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع سـاعات للقافلة . فنزل عليهم حسين بيك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة ، وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به ، فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له ... الا تركى فانه خرج من القلعة ليـلا وهرب . وأما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فى الشهر المذكور . وهم الآن مقيمون بمصر بخطـة الحنفى قريبا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

ذو القعـــدة

فى غرته (٣١ يولية ١٨٢١ م) :

حضر ابراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الأراضى والمساحة .

١٥ منه (١٤ أغسطس ١٨٢١ م) :

ســافر الباشا الى الاسـكندرية لداعى حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ، ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر ، وقطعهم الطريق على المسافرين ، واستئصالهم بالذبح والقتل ... حتى انهم أخذوا المراكب الخارجة من اسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج ، فقتـلوهم ذبحا عن آخـرهم ، ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجـواريه .. وغـير ذلك .

وشـاع ذلك بالنواحى ، وانقطعت السـبل . فنزل الباشـا الى الاسكندرية ، وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية — وسيأتى تتمة هذه الحادثة — وبعد سفر الباشا ، سافر أيضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة .

ذو الحجة

فى غرته (٣٠ أغسطس ١٨٢١ م) :

خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم ، وفيهم محو بيك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجيه وجميع اللوازم ، قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان .

وفيه : سافر أيضا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية الى اسنا ، ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين .

وفيه : وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء اسماعيل باشا على سنار بغير حرب ، ودخول أهلها تحت الطاعة . فضربت لتلك الأخبار مدافع من القلعة .

* * *

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث ، انقضى بعضها والبعض باق الى الآن .

فمنها : توقف زيادة النيل . وذلك أنه لم يستتم أذرع الوفاء الى ثامن عشر مسرى القبطى ، حتى ضجر الناس ، وضج الفلاحون .

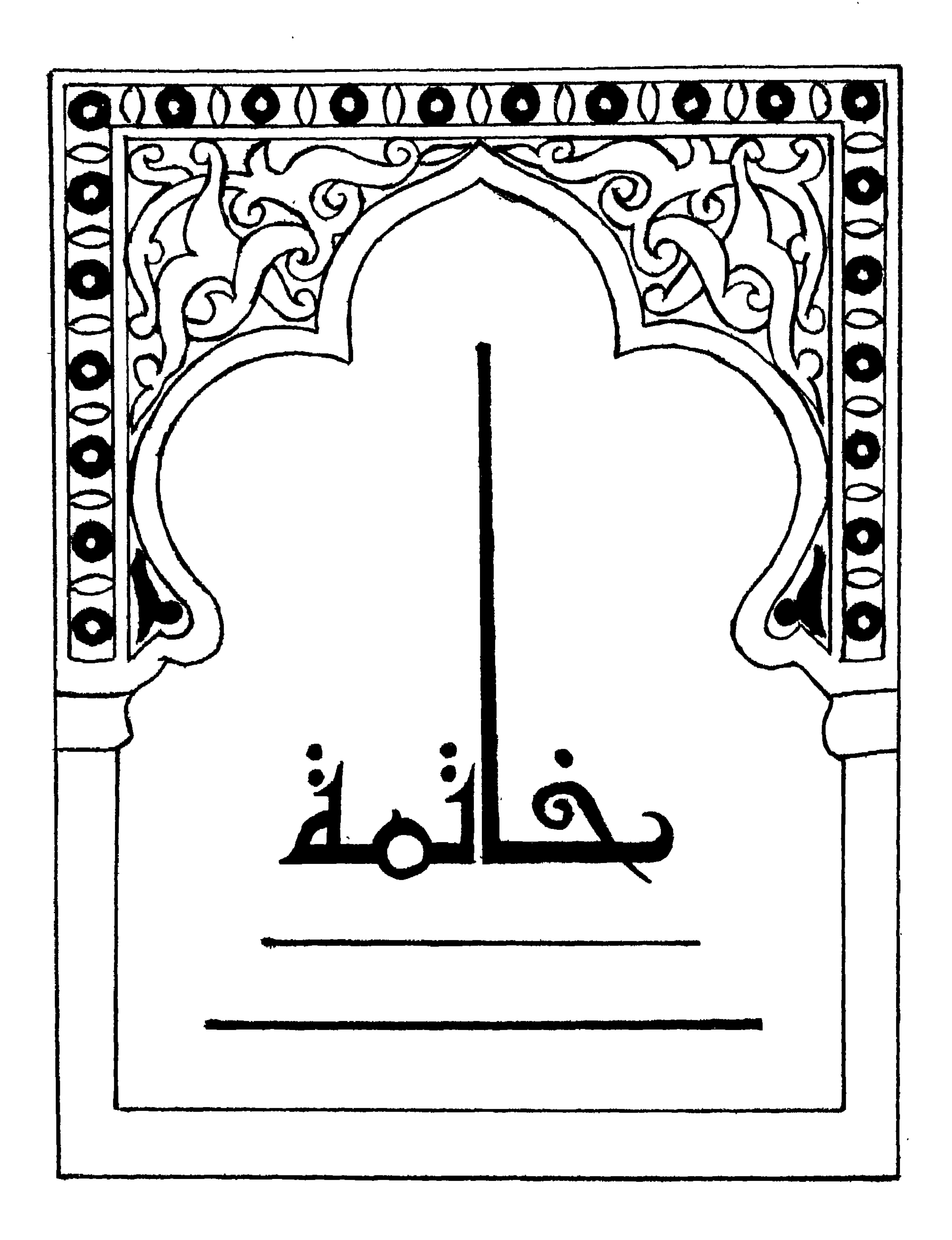
ومنها : أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة ، حتى بلغ البندقى ألفا ومائتى نصف ، والمجر والفندقلى عشرين قرشا عنها ثمانمائة نصف ، وبلغ صرف الريال الفرانسة أربعة عشر قرشا عنها خمسمائة نصف وستون نصفا ... وقس على ذلك باقى الأصناف .

ومنها : غلو الأثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب الى ألف وخمسمائة نصف ، والرطل السمن الى خمسين نصفا والى ستين نصفا ، وقس على ذلك

وأما حادثة الأروام التى هى باقية الى الآن وما وقع منهم من الافساد وقطع الطريق على المسافرين ، واستيلاؤهم على كل من صادفوه من مراكب المسلمين ، وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وما وقع معهم من الوقائع وما سينتهى حالهم اليه فسيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك .

والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

الى هنا انتهى مانقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن الجبرتى مؤرخ هذه المدة وما قبلها ، لغاية هذا التاريخ سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ — ١٨٢١ م) .
وبعده توفى الشيخ ، ولم يكتب شيئا . رحمه الله .


خاتمة

تاريخ حياة الجبرتي

بقلم الأستاذ محمود الشرقاوي

ينتسب الجبرتي وأسرته الى « جبرت » ، وهي اقليم الزيلع الاسلامي في شمال بلاد الحبشة . وقد كتب الجبرتي ، عند الكلام على وفاة والده ، فصلا عن وطنه وصفات أهله ، وما فيهم من الحذق والفطانة ، ولطافة الطباع ، وصفاء القلوب ، وما عند نسائهم من الصباحة والملاحة ، والفصاحة والسماحة ، وذكر في نساء وطنه شعرا لطيفا .

نزح الجد السابع للجبرتي ، واسمه عبد الرحمن ، من جبرت الى جدة في أوائل القرن العاشر ، ثم الى مكة فجاور بها ، وحج مرارا ، ثم جاور بالمدينة سنتين ، ولقى من بالحرمين من كبار الشيوخ . ثم ارتحل الى مصر ، واستقر بها ، وتزوج وولد له وكبر شأنه ، واتصل بالعلماء حتى اختير شيخا لرواق الجبرت . وقد ظلت مشيخة الرواق ثلاثة قرون يتولاها أولاد الشيخ عبد الرحمن هذا حتى انتقلت عنهم بوفاة الجبرتي .

وتزوج الجد الخامس للجبرتي ، الشيخ على ، زينب بنت الامام القاضي عبد الرحمن الجويني ، فلما ماتت تركت لولدى الشيخ « أماكن جارية » وقفتها عليهما .

ومات أبو حسن ، والد الجبرتي ، وعمره ست عشرة سنة ، وعمر ولده شهر واحد ، فكفلته جدته أم أبيه ، وتولت أمه تربيته وجعل وصيا عليه الشيخ محمد النشرتي الذي اختاره شيخا للرواق كأسلافه .

وكانت ولادة الشيخ حسن في سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨ م) . وللشيخ محمد النشرتي ، وكان شيخا للأزهر ، كثير من الفضل في تربية حسن الجبرتي ، وكذلك لجدته لأبيه أكبر الفضل في تهيئة سبيله الى تلك المكانة الممتازة التي بلغها ، فقد كانت سيدة ذات ثراء ، لها بيت يشرف على النيل بربع الخرنوب . أقام معها فيه حسن فترة من الزمن يغدو منه ويروح الى الجامع الأزهر ومعه خادم . ثم احترق هذا المنزل واحترقت معه « أشياء كثيرة من المتاع والصيني القديم » .

وانتقلت الجدة الى مصر ، وكان يذهب معها الى مكان لها بمصر العتيقة في أيام النيل « بقصد النزهة » وهي التي أعانته على طلب العلم ، وأنفقت عليه بسخاء . وكانت لها أملاك وعقارات ، وقفت عليه منها وكالة بالصنادقية وما حولها من الحوانيت ، وأخرى بالغورية ومرجوش ، ومنزلا بجوار المدرسة الآقبغاوية . ووقفت أيضا على وجوه البر .

وتزوجت جدته هذه ، بعد وفاة زوجها ، بالأمير على آغا الطوري ، وكان حاكما على قلاع الطور والسويس والمويلح ، وكذلك تزوج الشيخ حسن ابنة الأمير على آغا هذا .

ولما مات على آغا نصب الشيخ حسن مكانه في حكم هذه القلاع . وكان هذا العمل غريبا عليه — وهو من العلماء — ولذلك لم يطل شغله له . فقد أرسل خادما له يسمى سليمانا الحصافي مشرفا على قلعة مويلح فقتل هناك ، فتكدر الشيخ وترك هذا العمل ، وأقبل على الاشتغال بالعلم والتفرغ له . وماتت زوجه ، بنت على آغا ، فتزوج بنت

رمضان جلبى بن يوسف المعروف بالخشاب ، « وهم بيت مجد وثروة ببولاق ، ولهم أملاك وعقارات وأوقاف » . وكان رمضان جلبى هذا مع ثروته ، « انسانا حسنا رقيق الحاشية » ، يقول الشعر ويقتنى الكتب .

ومات رمضان جلبى فى سنة ١١٣٩ ، وبقيت ابنته فى عصمة الشيخ حسن حتى ماتت سنة ١١٨٢ عن ستين سنة . وكانت بنت رمضان جلبى هذه زوجا بارة بوالد الجبرتى مطيعة له ، تشترى له الجوارى الحسان ، من مالها ، وتزينهن بالحلى والملابس ، وتقدمهن اليه ، وتعتقد أن فى ذلك مثوبة لها . وكان يتزوج عليها كثيرا من الحرائر ، ويشترى الجوارى ، فلا تتأثر بذلك ، ولا تتحرك عندها الغيرة .

وقد روى الجبرتى عن زوج أبيه هذه قصة غريبة ، خلاصتها أن زوجها عندما حج فى سنة ١١٥٦ ، اجتمع به فى مكة شيخ اسمه عمر الحلبى ، وأوصاه بشراء جارية بيضاء دون البلوغ ، وذكر له أوصافا يرغبها . فلما جاء الشيخ حسن من الحج ظل يبحث عن طلب صديقه حتى لقيه ، فلما اشترى الجارية وأدخلها عند زوجه وحان موعد رحيلها للشيخ عمر الحلبى ، قالت زوج الشيخ له : انى أحببت هذه الجارية ولا أقدر على فراقها ، وليس لى أولاد ، وقد جعلتها مثل ابنتى ، وبكت الجارية أيضا . ثم دفعت الزوج ثمن الجارية ليشترى به أخرى للشيخ الحلبى ثم أعتقت الجارية وعقدت لزوجها عليها ، وجهزتها وفرشت لها مكانا مستقلا ... وكانت لا تقدر على فراقها ساعة . وولدت الجارية لزوجها أولادا فزاد حب سيدتها لها . وبقيت هذه الجارية زوجا للشيخ حسن من سنة ١١٦٥ الى أن مرضت فى سنة ١١٨٢ . فمرضت سيدتها لمرضها ، وثقل عليهما المرض ، وقامت الجارية تنظر الى مولاتها وهى فى غيبوبة ودعت الله أن تموت قبلها . واستيقظت السيدة فى آخر الليل ووضعت يدها على جسد جاريتها وضرتها النائمة بجوارها وأخذت تناديها باسمها : زليخا ! زليخا ! فقالوا لها انها نائمة . فقالت : ان قلبى يحدثنى أنها ماتت .

فلما تحقق لها ذلك جلست تبكى أحر بكاء . ثم استلقت على فراشها ، وماتت بعد جاريتها بيوم واحد ! ويقول الجبرتى : « وهذا من أعجب ماشاهدته ورأيته ووعيته ، وكان سنى اذ ذاك أربع عشرة سنة » .

والد الجبرتى

وكان الشيخ حسن الجبرتى عالما من أكبر علماء عصره فى العلوم الشرعية والرياضة . تعلم الخط فأجاده ، والنقش على فصوص الخاتم فأحكمه ، وتعلم اللغة التركية — وهى لغة أهل السيادة والحكم — واللغة الفارسية فأجادهما ، « حتى ان كثيرا من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم ، لفصاحته فى التكلم بلسانهم ولغتهم » ثم اشتغل بالعلوم الرياضية فأتقن منها الفلك ، والهندسة ، والحساب ، والجغرافيا ، والمساحة ، والأوفاق ، وحل الرموز ، وفتح الكنوز ، و « انتهت اليه الرياسة فى الصناعة ، وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة » .

ونزل القاهرة عالم متضلع فى الرياضة والحكمة والفلسفة — اسمه الشيخ حسام الدين الهندى — واستقر فى مسجد بمصر القديمة ، فقصده الشيخ ، وأعجب كلاهما بصاحبه وأحبه . فلم يزل بالشيخ الهندى حتى نقله الى داره ، وأفرد له مكانا ، وأكرم نزله ، وأنفق عليه . وظل مقيما عنده حتى رحل الى بلاده .

وأخذ معارف الصوفية على الشيخ العارف عبد

الخالق بن وفاء ، وكانت له فيها قدم ، وسلك طريق السادة النقشبندية ، وحفظ القرآن فى العاشرة .

وقد تلقى الشيخ حسن عن كبار الشيوخ فى عصره ، فى مصر وغيرها . فمن شيوخه : الشيخ على الصعيدى ، وعلى افندى الداغستانى ، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد القشتالى الفاسى ، والشيخ عبد اللطيف الشامى ، والشيخ عمر الحلبى ، والشيخ حسين عبد الشكور المكى ، وحسن أفندى قطة مسكين ، والشيخ مصطفى العيدروسى ، والشيخ محمد البنوفرى ، وغيرهم كثير . وكان أول شيوخه — وهو فى الثالثة عشرة — الشيخ حسن الشرنبلالى الصغير . وكذلك تلقى عن الشيخ كبار العلماء طبقة بعد طبقة . فمنهم الشيخ أحمد الراشدى ، والشيخ ابراهيم الحلبى ، والشيخ أحمد العروسى ، والشيخ محمد الصبان ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد النفراوى . وتلقى عنه عدد كبير من أهل الروم والشام والمغرب والحجاز والداغستان . وتلقى عنه بعض أمراء المماليك أيضا علوم الأدب والفقه ، فقد ذكر الجبرتى فى ترجمة عثمان بك ذى الفقار أنه « قرأ على الشيخ الوالد تحفة الملوك فى المذهب ، والمقامات الحريرية ، وكتبها له بخطه الحسن فى خمسين جزءا » .

وكان والد الجبرتى يدرس فى الأزهر علوم الحكمة والهيئة والهندسة والتوقيت ، وهو آخر من درسها فيه . وكانت له ثلاثة بيوت يتنقل بينها : بيت فى الأبزارية على شاطىء النيل ، وبيت فى بولاق ، وآخر بالصنادقية بجوار الأزهر . فكان طلابه وتلامذته يقصدون اليه فى بيته لتلقى الدرس . وكان يفضل أن يكون ذلك ببيت الصنادقية كى لا يشق عليهم . وكان بعض تلامذته هؤلاء يقيم فى بيته طاعما كاسيا ليتعلم ويراجع ما يشاء فى مكتبة الشيخ العامرة ، التى جعلها مباحة ميسرة لمن يشاء القراءة والمراجعة والاستفادة . وكان ألصق هؤلاء به الشيخ محمد النفراوى ، والشيخ محمد الصبان ... فقد كانا بمنزلة أولاده لا يفارقانه الا وقت القاء دروسهما . وكان اذا أتاه طالب فرح به ، وأقبل عليه ، ورغبه فى طلب العلم ، وأكرمه ، وخصوصا اذا كان غريبا ، وربما دعاه للاقامة عنده ، كما فعل مع الشيخ حسام الدين الهندى ، وكما فعل مع الشيخ محمد الغلانى الكشناوى الذى قدم الى مصر ثم الى الحجاز ، فلما عاد منه أنزله عنده هو وزوجه وعبيده وجواريه ، وبقى مقيما عنده حتى أتم غالب مؤلفاته ، ومات وهو ضيف عليه . ومن التلاميذ من أقام فى بيت الشيخ الجبرتى عشرين عاما « لا يتكلف الى شىء من أمر معاشه ، حتى غسل ثيابه ، من غير ملل ولا ضجر » ، وصار من جملة عيال الشيخ .

وكان الشيخ كذلك كبير القدر ، جليل المكانة ، واسع الثراء ، طيب العيش . له فى كل بيت من بيوته الثلاثة : المماليك ، والعبيد ، والجوارى البيض والسود ، وهو يتنقل بين هذه البيوت ، ومعه تلامذته وأصحابه ... ليباسط أخصاءه منهم ويمازحهم . فلم يكن ، كبعض العلماء ، متعنتا متزمتا . كان يروح عن جلسائه من هؤلاء الخاصة بالمناسبات والنوادر والأدبيات والشعر والمواليا والمجونيات والخطابات اللطيفة والنكات الظريفة ، ويذهب معهم الى مواطن النزهة ... يشتغلون بالعلم ومطارحة المسائل ، وأحيانا بالمباسطة والمفاكهة . وكان ، مع ذلك ، وقورا محتشما ، مهيبا محبوبا ، لا يعادى ولا يخاصم ، ولا يشتغل بأمور الدنيا ، متواضعا قنوعا ، مقبلا على الكبير والصغير على سجيته ، ولا يدعى علما ولا مشيخة ، ولا يرضى أن تقبل يده ، حتى من تلاميذه ، له منزلة كبيرة عند الأمراء والولاة والأعيان ، يزورهم ويزورونه ، ويتشفع به اليهم الناس فتقضى حاجاتهم . وكان

من أصدقائه من ولاة مصر : على باشا الحكيم ، وراغب باشا ، وأحمد باشا كور — أى الأعور — ومن أمراء المماليك عثمان بك ذو الفقار ، حج معه ثلاث مرات من ماله الخاص ، ولم يقبل من عثمان بيك — وكان أميرا على الحج — سوى الهدايا .

وأراد الأمير ابراهيم كتخدا أن يشترى له دارا واسعة أو يبنيها ، بدلا من داره التى بالصنادقية ، فلم يقبل ، وكذلك عبد الرحمن كتخدا . ولم يستطع أحدهما أن يجبره على ذلك لمكانته وفضله . وراسله سلطان تركيا ، السلطان مصطفى (١) وأرسل اليه الهدايا والصلات والكتب ... وكانت لهذا السلطان معرفة وعناية بعلوم الرياضة والنجوم . وكذلك أهديت للشيخ الهدايا من ولاة تونس ، والجزائر ، وأكابر الدولة فى تركيا . يذكر الجبرتى ، فى حوادث شهر شوال من سنة ١١٨٢ ، أن على بيك الكبير أرسل هدية حافلة وخيولا مصرية ، الى السلطان ورجال الدولة ، وكتب مع هديته رسائل ، « والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضا مكاتبات ، لما يعتقده من قبول كلامه واشارته عندهم » . وقد طلب على بيك فى رسائله تلك عزل عثمان بيك المعظم من ولاية الشام . وكان على بيك الكبير صديقا للشيخ ، كبير الثقة فيه ، كثير المحبة له .

وفى ترجمة الأمير أحمد البارودى — وفيات سنة ١١٨٨ — أنه كان يزور الشيخ حسن الجبرتى فى بيته كل يوم جمعة ، وأنه التقى به مرة فى الطريق ، وهو راكب فى أبهته ، والشيخ راكب على بغلته ، فعندما رآه نزل عن جواده ، وقبل يده ، فأكبر الشيخ ذلك ، واستحى منه واستعظمه . والتمس من الأمير أن يقيد به بعض الطلبة ليقرئه شيئا من الفقه والدين ، فقيد به الشيخ عبد الرحمن العريشى ، الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد .

وكان الشيخ حسن محبا للكتب جماعا لها ، يبذل فى اقتنائها المال الكثير ، فكانت داره عامرة بالكتب النادرة وبعضها باللغة التركية والفارسية ، مثل الشاهنامة وتواريخ العجم (٢) ، وفيها آلات فلكية وهندسية . وأفرد فى بيته مكانا خاصا جمع فيه الكتب المتداولة بين علماء عصره فى الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والمنطق واللغة وغيرها ، فكان العلماء والطلاب يجيئون هذا المكان ويأخذون ما يشاءون من الكتب بغير استئذان ، وكان منهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ، ومنهم من يأخذ كتابا ويرد غيره ... والشيخ سمح لا يمنع . وكانت عنده أيضا « التشاويه والتصاوير البديعة الصنعة ، الغريبة الشكل . وكذلك الآلات الفلكية من الكرات النحاس ، وآلات الارتفاع والميالات والأرصاد والأسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية ، وأدوات غالب الصناع ، مثل النجارين والخراطين والحدادين والسمكرية والمجلدين والنقاشين والصاغة والرسامين » ، وكان يجمع الحاذقين من أهل هذه الصناعات عنده ليتعلم منهم ويعلمهم ، حتى تعلم خدمه بعض هذه الصناعات فصاروا « يقطعون البلاط بالمناشير ويمسحونه بالمماسح الحديد والمبارد ، ويهندسون اعتداله بالمساطر والقياسات بالبياكير ، ويرسمونه أيضا » .

ولما كثر عنده الراغبون فى تعلم هذه الصناعات جعل لهم معلمين يعلمونهم . كان الطالب من أبناء العرب يتقيد بالشيخ محمد النفراوى ، وان كان من الأعاجم تقيد بمحمود أفندى النيش . وانصرف هو بعد ذلك الى دراسة الفقه والفتوى ، وكان

(١) تولى السلطنة سنة ١١٧١ ومات فى سنة ١١٨٧ (١٧٥٧ - ١٧٧٣ م) .

(٢) كان فى خزانة كتبه كتاب زيج الراصد السمرقندى باللغة الفارسية ، وكان يقول انه ليس فى الدنيا من هذا الزيج سوى ثلاث نسخ ، ونسخته مكتوب عليها بخط رستم شاه أنها شريت لدار سلطنة هراة بألفى عشر ألف دينار .

اماما فى مذهب أبى حنيفة ، وقد رسم بنفسه كثيرا من المنحرفات والمزاول على الرخام والبلاط ونصبها فى مساجد كثيرة ... كالأزهر ، والامام الشافعى ، وقوصون ، والأشرفية ، والسادات .

وتجاوزت شهرة الجبرتى حدود مصر والبلاد الاسلامية ، فحضر اليه طلاب من الافرنج — فى سنة ١١٥٩ — ليتعلموا عنده علم الهندسة ، وأهدوا اليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، ثم « ذهبوا الى بلادهم ، ونشروا بها ذلك العلم ، وأخرجوه من القوة الى الفعل » . وصنعوا به طواحين الهواء ، وآلات جر الأثقال واستنباط المياه .

واشتغل الشيخ حسن الجبرتى أيضا بعلوم الطب ، وكان يضع خبرته فى ذلك لخير الناس ونفعهم . كان الشيخ ابراهيم الصيحانى الغزى ، مفتى الحنفية فى غزة ، من تلاميذه فى الأزهر . فلما عاد الى بلده كان يرسل الى شيخه فى كل سنة « جانبا من اللوز المر فى غلق ، مقدار عشرين رطلا ، فنخرج منه دهنه ونرفعه فى الزجاج لنفع الناس فى الدهن معالجات بعض الأمراض والجروحات » .

وفى سنة ١١٧٢ كان فساد الموازين قد أصبح مشكلة كبرى للناس وللحكام فى مصر ، فاشتغل الشيخ باصلاحها ، وأحضر الصناع لذلك من الحدادين والسباكين ، وحرر المثاقيل الصنج ، ورسمها على أصولها وهندستها .

وأنفق فى ذلك أموالا من عنده ، ثم أحضر كبار البانية والوزانين وعرفهم طريق الصواب ، وأصلحوا آلتهم ، واستمر العمل فى ذلك أشهرا ، ثم ألف لهم فى ذلك كتابا سماه « الدر الثمين فى علم الموازين » .

وكان الشيخ أيضا يقول الشعر . وقد أورد الجبرتى من شعر أبيه شيئا قليلا : بعضه فى النحو ، وبعضه فى ذكر من يدخل الجنة من الحيوان ، كناقة صالح ، وعجل ابراهيم ، والحوت والبقرة وغيرها . ومنه شعر فى نظم ساعات النهار ، وبعض نصائح طبية . وكله شعر تافه ثقيل ، كشعر الفقهاء .

أما مؤلفاته — التى دونها ابنه عبد الرحمن — فهى تدل على ثقافته المتنوعة المختلفة . فمن ذلك كتبه : نزهة العين فى زكاة المعدنين ، والأقوال المعربة عن أحوال الأشربة ، وكشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوى الأرحام ، وبلوغ الآمال فى كيفية الاستقبال ، ومؤلفات أخرى فى العروض ، وشرح الدر المختار ، ومناسك الحج ، وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية ، وحاشية على شرح قاضى زاده على الجغمينى ، وبراهين هندسية شتى ، وغير ذلك .

ومع هذه المكانة المرموقة ، التى بلغها حسن الجبرتى ، وما كان له من جاه ومجد وعلم ، فقد كان متواضعا ، « يجلس فى آخر المجلس على أى هيئة كان ، بعمامة أو بدونها ، ويلبس أى لباس ، ويتحزم ولو بكنار الجوخ ، أو خرقة أو شال كشميرى ، ولا ينام على فراش ممهد ، بل كيفما اتفق . وكان أكثر نومه وهو جالس » . وكان شجاعا لا يحب الرياء ، يصوم رجب وشعبان ورمضان ولا يقول انه صائم .

أراد الأمير يوسف الكبير أن يدخل مسجدا فى عمارة بيته ، وسأل الشيخ أن يفتيه بهدمه وبنائه فى مكان آخر ، فمنعه من ذلك .. فامتنع !

وكانت له فى العلم والفتيا مكانة كبيرة . فانكب عليه الناس يستفتونه ، وتقرر فى أذهانهم تحريه الحق ، حتى أن القضاة لا يثقون الا بفتواه . وكان كريما سمح النفس ، يكرم الضيف ، ويتلقف الوافد ، ويراعى الأقارب والأجانب ، بشوشا يخدم جلاسه بنفسه .

قدم مصر الشيخ ابراهيم بن أبى البركات

العيامى المشهور بالسويدى ، فى سنة ١١٧٥ ، فأنزله الشيخ فى بيته ، وصار ينتقل معه ومع تلاميذه الى بولاق وغيرها من المتنزهات ، ثم حل بالسويدى مرض فأنزله ببيته فى بولاق على النيل ، وقيد لخدمته جماعة من عبيده ، فكان كلما اختلى بنفسه ، وهبت عليه نسمات النيل المنعشة ، أخذ القلم ونقش على جدران البيت وأخشابه قصائد المدح فى مضيفه العالم الكريم ، وفى وصف النيل ورياضه وزهوره ، فكتب من ذلك عشرين قصيدة ، ظلت منقوشة فى أماكنها زمنا ثم اندرست .

وكان الشيخ محمد النفراوى قد بلغ النهاية فى العلوم الشرعية ، وأراد أن يتعلم الحكمة والرياضة، فأحضره والده للشيخ حسن فى سنة ١١٧١ ، فرحب به ، واغتبط بما رأى من حسن استعداده ، وأعطاه مفتاح خزانة منزله ليضع فيها كتبه ومتاعه ، واشترى له حمارا ، ورتب له مصروفا وكسوة . وأرسل الشيخ أحمد الدمنهوري خمسة أسئلة الى على بيك الكبير وقال له : سل فيها العلماء الذين يترددون عليك ان كانوا يزعمون أنهم علماء ، فأعطاها على بيك للشيخ حسن . فكان لبقا حكيما مترفعا حيث قال انها وان كانت من عويصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوى . فمكن — مع لباقته وحكمته وترفعه — لتلميذه أن ينال شهرة ومكانة بين العلماء ، وعند على بيك .

وكانت تقال فى الشيخ المدائح ، فكان ، تواضعا منه ، يقبلها ويجيز قائلها ، ثم يمزقها . وكان ، مع ثرائه العريض ، وما بلغ من مكانة فى العلم ، وفى الحياة ، يشتغل بالتجارة .

وهكذا عاش والد الجبرتى الى أن جاءت سنة ١١٧٩ فتوفى ابنه ، أبو الفلاح على ، أخو الجبرتى لأبيه ، وكان عمره اثنتى عشرة سنة ، وكان الشيخ قد أنجب من زوجاته وسراريه أكثر من أربعين مولودا لم يعش منهم سوى على هذا ، وعبد الرحمن . فلما مات ابنه على ثقل عليه الحزن ، وتوالت عليه الآلام والأمراض ، وترك بيوته على النيل ، ولزم بيت الصنادقية ، وقلت حركته ، ولكنه لم ينقطع عن الاملاء والافادة والتحقيق ، ولم يزل كذلك حتى تعلل بالهيضة الصفراوية اثنى عشر يوما ، ثم مات عن سبع وسبعين سنة فى يوم الثلاثاء غرة صفر من سنة ١١٨٨ (أبريل سنة ١٧٧٤) ، وصلى عليه فى الأزهر بمشهد حافل جدا ، ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء ، بجوار الشمس البابلى ، والخطيب الشربينى ، وقيلت فيه المراثى الكثيرة من كبار شعراء العصر .

ذلك هو ، أبو التدانى ، نور الدين حسن الجبرتى ، أبو عبد الرحمن .

عبد الرحمن الجبرتى

أما ابنه ، أبو العزم عبد الرحمن ، صاحب عجائب الآثار ، فقد ولدته احدى السرارى فى سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٤ م) بالقاهرة . ولم أعرف أن التاريخ ذكر لنا عن هذه الجارية شيئا : هل كانت بيضاء أو سوداء ؟ ومن أى جنس أو بلد هى ؟ ولكننى أعتقد أنها كانت بيضاء .

أرسله أبوه ، وهو طفل ، الى مدرسة السنانية ، القريبة من منزلهم بالصنادقية ، ليحفظ فيها القرآن، فاذا عاد تلقى على أبيه وعلى بعض الشيوخ الذين يترددون على بيته ، بعض العلوم . وأتم حفظ القرآن الكريم فى سن الحادية عشرة ، ثم رغب الشيخ عبد الرحمن العريشي الى أبيه فى أن يلحقه برواق الشوام ، ليلقنه مذهب الحنفية ، فسلمه اليه .

وبادر أبوه فزوجه وهو فى الرابعة عشرة ، فى سنة ١١٨٢ . ولم يذكر لنا التاريخ أيضا عن هذه الزوج شيئا .

وقد سجل شاعر العصر الشيخ عبد الله الادكاوى

هذه الزيجة بقصيدة قدمها الى والد الجبرتى قال فى ختامها وبيت تاريخها :

هـذا هنـاء محبك الـ ـداعى لكم بسمو قدرك
والحـال قـد أرختـه شمس البها زفت لبدرك

وظل عبد الرحمن يتردد على حلقات الشيوخ فى الأزهر بعد ذلك ، ثم يمضى الى بيته فيتلقاه أبوه متحدثا اليه فى التاريخ وأحداث عصره ، فقد كان أبوه محبا للقصص ، والأغانى ، ودارسا معـه ما يشـتغل به الشيخ من علوم الفلك والرياضـة والحكمة . وكذلك كان زوار الشـيخ من كبـار العلماء والشعراء والأمراء يلقاهم الجبرتى الصغير فيتحدثون اليه ويحدثهم ، ويفيد من علمهم وأدبهم وحسن توجيههم ، وتتمكن العـلائق بينـه وبين الأمراء منهم خاصة .

وبقى حاله كذلك حتى مات أبوه ، وهو فى سن الثانية والعشرين ، وترك له ثروة ضـخمة ، مادية وأدبية . ترك له من الثروة المادية بيوته فى بولاق والصنادقية ومصر القديمة ، وأرضا له بالقرب من كفر الزيات فى بلدة « ابيار » ، وأوقافا كبيرة على مسجد بين رشيد والاسكندرية ، على بحيرة ادكو ، تنظر عليها بعد أبيه ، كان أوقفها جده علىّ فى أيام الملك الأشرف قايتبـاى ... وكان الملك الأشرف يعتقد فى هـذا الجد اعتقادا كبيرا . وكذلك كان الجبرتى شيخا على مقبرة الطحاوى بالقرافة .

وكان هـذا الوقف « عـدة أماكن وقيعـان ، وأنوال حياكة ، وبساتين ، ونخيل كثيرة » . وكان بيته على النيل يرتفع عن مسـتوى المـاء عشرين درجة ، وذكر الجبرتى أنه أجـرى عمارة فى بيت الصنادقية ، بدأها فى سنة ١١٩١ ، وأتمها فى السنة الثانية . وأنشأ الشيخ مصطفى الصاوى فى ذلك قصيدة نقشها الجبرتى فى مجلسه من البيت .

وقد جعل الجبرتى من بيته ذاك ، بهذه العمارة ، قصرا أنيقا ، فيه حديقة صغيرة ، وبئر ، ومسـاكن للخدم والعبيد ، وأخرى للضيوف ، وحجرة متسعة للمذاكرة مع الطلبة ، والتدريس . وأقام فيه أعمدة من الرخام المختلف الألوان ، ونقش جدرانه بالخشب المحفور ، والقيشانى الملون ، ونثر فى حجراته الآنية الفاخـرة ، والأرائك الثمينـة ، وفرش أرضهـا بالسـجاجيد الغالية والطراريح الحريرية ، ولبس أبوابه بالصدف والنحاس البراق ، وعلق الثريات من البلور ، وجعل فيه حجرة رحبة للكتب ، وأنفق فى هذه العمارة مالا كثيرا .

وسكن الجبرتى ، فترة من الزمن ، فى بيت يطل على بركة الرطلى . وكانت ، كما يقول ، « يسكنها أهـل الرفاهيـة من أهل البلد ، لطيب هوائهـا وانكشاف الريـح البحرى ، وليس فى برها الآخر سـوى الأشـجار والمزارع ، وتعبرها المـراكب والسفائن » .

أما الثروة الأدبية التي خلفها له أبوه ، فهى تلك المكانة المرموقة ، والمحبة التي ربطت بينـه وبين علماء عصره وأهل الحكم والثراء فيه ، وذلك المجد الأدبى والعلمى الذى صار اليـه اسم الجبرتى ، واسـم آبائه وأجـداده من قبل ، وتلك الكنوز العظيمة النادرة من الكتب ، التى أفنى أبـوه فى جمعها مالا كثيرا وجهدا عظيما .

بقى الجبرتى ، بعد وفاة أبيه ، متصلا بالأزهر وشيوخه ، يحضر دروسهم فيه ، ويزورونه فى بيته كما كانوا يزورون أباه من قبل ، باحثين مدارسين . فلما كبر الجبرتى وأجازته شيوخه أخذ يلقى دروسا فى الأزهر وفى بعض المساجد ، وفى بيته .

وقدم مصر ، فى السنة التى ولد فيها الجبرتى ، عالم كبير من اليمن ، هو السيد مرتضى الزبيدى ، صاحب تاج العروس ، فلما تعرف اليه الجبرتى فيما بعد ، أعجب به ولازمه وصـادقه ، وأصـبح من المواظبين على دروسه مع طائفة كبيرة من اخوانه ،

الذين تبوأوا ، فيما بعد ، مكان الصدارة العلمية والأدبية في مصر ، فدرس لهم الزبيدى فصيح ثعلب ، وفقه اللغة للثعالبي ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وسمعوا كثيرا من شرحه للقاموس ، كما سمعوا في الأمالي والشمائل . ودرس الجبرتي علوم الفقه ، ثم مال ميل أبيه لدراسة الفلك والحساب والهندسة . ومال الى التصوف ، وكان من مريدى الشيخ محمود الكردى .. يرافقه في ذلك الشيخ عبد الله الشرقاوى . ودرس الطب وألف فيه .

وفى أواخر سنة ١١٩٥ تزوج الجبرتي مرة أخرى ، ولم يقل لنا أين ذهبت زوجه الأولى . تزوج ربيبة صديقه على عبد الله درويش الرومى ، برغبة منه . وكان الرومى هذا رجلا يعمل عند المماليك « حسن السمت ، نظيف الثياب ، وجيه الطلعة ، مهيب الشكل ، سليم الطوية ، مقبول الروحانية ، نيف على التسعين ولم يسقط له سن ، ويكسر اللوزة بأسنانه » . وكان مثقفا غزير الاطلاع . وربيبة على الرومى هذه هى التى أنجبت للجبرتي ولده خليلا ، ومات صهره هذا فى سنة ١١٩٩ هـ .

وظل الجبرتي يفيد ويستفيد ، ويباشر شئونه الخاصة ، ويراجع فى مكتبة أبيه الحافلة ، حتى جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ، فى صفر من سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، فترك القاهرة الى مزرعته فى « ابيار » ، ثم عاد اليها بعد قليل ، عندما أرسل العلماء ، باشارة نابليون ، اليه والى غيره ممن هاجروا ، ليعودوا .

ولما ألف الجنرال منو ، قائد الجيش الفرنسى بعد نابليون ، الديوان الثالث ، اختير الجبرتي عضوا فيه ، وكان أعضاؤه تسعة .

ولما دخل العثمانيون القاهرة بقيادة يوسف باشا ، لاخلائها من الفرنسيين ، وأخذ هؤلاء بعض كبار الشيوخ من أعضاء الديوان رهائن ، بقى الجبرتي ، والبكرى ، والسرسى ، والأمير .. أحرارا . وأمرهم الفرنسيون بأن « يكون نظرهم على البلد » ، أى يكون لهم الاشراف على شئون القاهرة .

وبعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر ، ودخولها مرة أخرى فى حكم الدولة العثمانية ، دوّن حوادث هذه الفترة فى كتاب سماه « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » . وكان له من مكانته اذ ذاك ، وعضويته فى الديوان ، ومن علاقاته الخاصة ، وصداقته الوطيدة للشيخ اسماعيل الخشاب ، كاتم أسرار الديوان ، ما يمكنه من معرفة دقائق الأسرار . وقد أهدى كتابه مظهر التقديس هذا الى الوزير يوسف باشا ، فلما عاد الى اسطنبول عرضه على السلطان سليم الثالث ، فأمر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله الى اللغة التركية ، ففرغ من ذلك سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) ، وترجمه بعد ذلك الى هذه اللغة أحمد أفندى عاصم سنة ١٨١٠ .

ويبدو مما كتبه الجبرتي فى الفصول الأخيرة من كتابه ، أنه كان يشكو الأسقام والمرض . يشير الى ذلك فى آخر حديثه عن سنة ١٢٢٥ حيث يذكر « تشويش البال ، وهم العيال ، وتكدر الحال ، وكثرة الاشتغال ، وضعف البدن ، وضيق العطن » .

ويذكر كثير من المؤرخين أن الجبرتي اشتغل فى أواخر حياته مؤقتا للصلاة وهلالى رمضان وشوال فى بلاط محمد على ، ولم يذكر هو شيئا من ذلك فى تاريخه . وبعض المؤرخين يقول ان الذى تولى هذا العمل هو ابنه خليل .

وقد أصيب الجبرتي فى آخر حياته بمحنة قاسية . ففى صباح الثامن والعشرين من رمضان سنة ١٢٣٧ (١٩ يونيو ١٨٢٢ م) كان خليل عائدا من قصر محمد على فى شبرا ، بعد صلاة الفجر ، فخرج عليه جماعة أخذوا يضربونه حتى قضوا عليه ، وخنقوه ، ثم ربطوه برجل حماره . فلما أصبح الصبح عرفه

الناس ، ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة ، وأسطرلابا لرصد النجوم والكواكب .

وتناقل الناس ، والمؤرخون من بعدهم ، شائعات عن اشتراك سليمان أغا السلحدار ، ومحمد بيك الدفتردار ، صهر محمد على ، فى هذه المؤامرة ، وعن استئذان الدفتردار لمحمد على فى تدبيرها . وهى شائعات يذكرها المؤرخون ليفندوها . وقد وردت فى دائرة المعارف الاسلامية على أنها صحيحة ، وأن الذى قتل هو الجبرتى نفسه [1] .

وقد أصيب الجبرتى بموت ابنه على هذه الصورة ، وهو بين المرض والكبر والضيق ، بنازلة شديدة حطمت حياته ، فترك الكتابة والتأليف ، وانقطع عن القراءة ، وألح عليه الحزن ، وأكثر من البكاء ، حتى ذهب بصره . وبقى فى داره مريضا ، حزينا ، أعمى ، حتى مات فى سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) [2] . وأعقب بنتا ، عاشت مغمورة من بعده ، وولدا ، أو ولدين ، على خلاف بين المؤرخين .

وبعد وفاته احترق منزله بالصنادقية ، واحترقت المكتبة العظيمة الحافلة التى تركها له أبوه ، والتى زاد عليها هو زيادة كبيرة . ويذكر بعض المؤرخين أن جزءا من تاريخ الجبرتى ، احترق أيضا . وكان يتضمن حوادث ما بعد سنة ١٢٣٦ ، ودفن الجبرتى مع أبيه ، ببستان العلماء .

صفاته واخلاقه

كان الجبرتى ، كما رأينا ، قد ورث عن أبيه وعن أسرته مالا ومجدا ، وهو مع ذلك متواضع . يذكر — فيما سجله من مناقشات أعضاء الديوان أيام نابليون — أشياء يقول ان «بعض الأعضاء» رد بها على الوكيل فورييه ، ولكنه لا ينسب ذلك لنفسه ، ويكتب عن وطنه بروح الاعتزاز والفخر ، وعن أسرته ، ولكنه يخشى أن ينساق الى التفاخر فيستدرك قائلا ، انه يذكر ذلك «بقصد التعريف بالنسبة» . وعندما ذكر أعضاء الديوان عمى فى اسمه فقال « وكاتبه » . ولعله فعل ذلك عامدا ليحتاط لنفسه من غضب المصريين أو العثمانيين بعد عودتهم للقاهرة . وهو الى ذلك رجل خير ، رقيق العاطفة ، نبيل الخلق ... ضاقت الحياة بصهره على درويش ، وتعطلت أسبابه ، فنقله وأسرته الى بيته ، وعاش معه حتى مات ، وتولى دفته ، وأثنى عليه ثناء كبيرا ، وقال انه أفاد منه فى التراجم التى ضمنها كتابه .

وكان عبد الرحمن رجلا سمحا ، يقدر الجمال ، متأنقا فى حياته . وكان أصدقاؤه الخلص — كالشيخ حسن العطار والشيخ اسماعيل الخشاب — يدعونه الى مجالس الغناء حيث يقول ثانيهما :

يا سيدى وسندى ... وياعريق المحتد
يا راحتى ، وراحتى ... وساعدى ، وعضدى
أدعوك تأتى مسرعا ... ويا لذلك من يد
تؤم قصرا جامعا ... كل المعانى الشرد
تصغى الى مزهر من ... أضحى فريد البلد

وكان هو يدعوهما أيضا الى منزله حيث يقطعان الليل فى الحديث والسمر والمنادمة ، فيجولان فى كل فن من الفنون ، « تارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الاخوان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل واحسان » . ويلاحظ هنا أن الجبرتى يقول :

---

(1) مادة « الجبرتى » ص ٢٧٩ من العدد الثامن ، المجلد السادس من الترجمة العربية . وفى مقدمة الترجمة الفرنسية لعجائب الآثار أيضا ان الذى قتل هو الجبرتى نفسه .

(2) اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ وفاته . وأكثرهم على انها كانت يوم ٢٨ رمضان سنة ١٢٣٧ ، ولكن المرحوم جورجى زيدان اثبت — فى الجزء الرابع من تاريخ ادب اللغة العربية — انه عاش الى نصف ربيع الاول من سنة ١٢٤٠ ، كما حقق الاستاذ خليل شيبوب من طريق آخر — فى كتابه « عبد الرحمن الجبرتى » — انه مات فى هذا التاريخ الذى ذكرته . وذكر تلميذاه : البنانى والخضراوى ، فى نزهة الفكر ، انه عاش الى سنة ١٨٢٦ م .

« تارة يتشاكيان » ، « ويترنمان » ولا يقول : تتشاكى ، وتترنم ... وكان هذان الصديقان كثيرا مايبيتان عنده .

وعرف الخشاب فتى فرنسيا جميل الطلعة اسمه ريج ، روى الجبرتى شيئا من غزله فيه .

ويذكر الجبرتى أنه لقى فى طنطا شيخا اسمه أحمد السماليجى الشافعى ، كانت له امرأة بارعة الجمال ، وله منها ولد اسمه أحمد « كأنما أفرغ فى قالب الجمال ، وأودع بعينيه السحر الحلال » ، ثم يذكره باعجاب فيقول انه « حضر الى ، وسلم على ، وآنسنى بحسن ألفاظه ، وجذبنى بسحر ألحاظه » . ويقول الجبرتى فى ترجمة بعض أصدقائه انه « كان يحب الجمال » ، ثم يتبع ذلك — وكأنه خشى التهمة — بأنه كان لا يترك الصلاة ، أينما كان .

ومما يدل على رقة العاطفة أن الجبرتى يمدح صديقه هذا بأنه كان يمر فى الطريق يفرق الطعام على الفقراء ، والأطفال ، و « الكلاب » .

وكانت فيه صفات العالم : كان يسهر الليل يراعى مطالع النجوم ... ولما قامت ثورة القاهرة على الفرنسيين ، أتلف العامة فيما أتلفوا أجهزة علمية وفلكية ، فأبدى شديد أسفه على ذلك ، وندد بجهل العامة وسفههم ، وحزن على فقد هذه الأدوات التى لاتقدر بقيمة « عند من يعرف صنعتها » . وعرض عليه رجل جزائرى أن يشترى كتاب زيج الراصد السمرقندى ، فأبى أن يبيعه بأى ثمن . ولما علم أن الفرنسيين لديهم كتب ذات قيمة ، زار الدار التى خصصوها لذلك ، وأبدى اعجابه بها ، وذكر النظام الذى وضعوه للمطالعة فيها ، وبعض الكتب التى رآها ، وأثنى على نشاطهم العلمى ، ورغبتهم فى البحث والمعرفة ، واخلاصهم .

وكانت فيه شجاعة العالم أيضا ، فكبار المماليك أصدقاؤه وأصدقاء أبيه ، وكذلك كثير من الولاة والسادة الحاكمين ، وكبار الشيوخ اما أساتذته واما أصدقاؤه ، ومع ذلك لم يعف أحدا منهم من النقد والمؤاخذة ، اذا وجد فى صفاته أو سلوكه مايوجب النقد . وقد ذكر فى مقدمة كتابه أنه لم « يقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير أو أمير ، ولم يداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو ذم مباين للأخلاق ، لميل نفسانى ، أو غرض جسمانى » . وقد لازمته هذه الشجاعة فعلا فى جميع مادون من حوادث التاريخ التى سمعها أو شاهدها . كما التزم أيضا أدق شروط الأمانة العلمية ... شأن العلماء . فهو يدون وثائق الحملة الفرنسية ، والشروط التى وضعت بين رجالها ورجال الدولة العلية للانسحاب من مصر ، ثم يقول انه نقل ذلك بحروفه « وما فيه من خطأ أو تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية » .

وكذلك حديثه عن جماعة من علماء الآثار الانجليز زاروا الهرم الأكبر وأبا الهول ، وآثار الفراعنة فى الصعيد ، ويسر لهم محمد على أن يأخذوا من آثار مصر أشياء ذات قيمة شروها بثمن بخس ، وأخرجوها من مصر .

وللجبرتى ملاحظات تدل على سلامة الفطرة . من ذلك اعجابه بنابليون لأنه سافر من القاهرة الى السويس « فلم يكن معه طباخ ، ولا فراش ، ولا فرش ، ولا خيمة » ، وكان كل ما أخذه معه « ثلاثة طيور دجاج محمرة ، ملفوفة فى ورقة » .

وهى ملاحظة تدل على حبه للبساطة ، وهو غنى مقتدر ، وبعده عن المظاهر ، ومعرفته لأقدار الرجال من تصرفاتهم العادية التى قد يمر بها غيره فلا يستنبط منها شيئا ، ولا تدله على فضيلة أو خصيصة أو محمدة .

وكذلك ثناؤه على الفرنسيين ، لأنهم لم يكونوا يتجاوزون الرسوم التى فرضوها على الأقضية ، أو رسوم التسجيل ، ولأنهم لم يبادروا بقتل سليمان الحلبى عندما اغتال الجنرال كليبر ، بل حاكموه وسألوه وناقشوه وناقشوا الشهود . وأثنى عليهم لأشياء أخرى كثيرة . وهذا كله دليل على رجحان عقله وسداد تفكيره ، وبعده عن التعصب الضيق . كذلك أثنى على الأنجليز ، عندما وصف صديقه الألفى بأنه عندما سافر الى بلادهم « تهذبت أخلاقه ، بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة حكامهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم فى رعيتهم — مع كفرهم — بحيث لا يوجد فيهم فقير ، ولا مستجد ، ولا ذو فاقة ، ولا محتاج » .

وهو رقيق العاطفة . ذكر أن محمدا عليا زوج بعض أولاده ، فقدمت لأمهم الهدايا من نساء المماليك والسادة ، وكان بعضهن فى ضيق من العيش ، فاستدنّ ليقدمن الهدية ، ولكن السيدة زوج محمد على لم يرق فى عينها بعض الهدايا ، وعابت على صاحباتها ذلك فى المجلس ، وردتها ليقدمن خيرا منها . وقد أفاض الجبرتى فى ذكر ألمه لما أصاب هؤلاء النسوة من الكرب والخجل ، وكسر الخاطر ، وانكساف البال بعدما أصابهن وأصاب أزواجهن من قسوة محمد على وظلمه .

ويبدو مما كتبه الجبرتى فى مواضع كثيرة متفرقة من كتابه ، أنه كان حر الفكر ، سلفى العقيدة . فهو كثير النقد للبدع ، وما يصاحب موالد الأولياء ، ومدعى الولاية من الفسق والفجور ، والمغالاة فى مدحهم والتوسل بهم ، ويقول ان فى ذلك خروجا على الدين ، واتباعا للشهوات ، وأن الفرنسيين لم يبيحوا اقامتها ويحرضوا عليها الا لهذا السبب . ويسجل منشورا أرسله الوهابيون الى مصر ، بعد دخولهم مكة ، وفيه خلاصة دعوتهم ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « ان كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن أيضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد » ، ثم يذكر بعض أمهات الكتب فى مذهب السلف . وفى موضع آخر يقول : ان الوهابيين شرطوا على الركب الشامى ألا يجىء الى الحج بالمحمل والطبول ، فعاد الشاميون ولم يحجوا « ولم يتركوا مناكيرهم » . فالمحمل وطبوله ، فى نظره ، منكر . وهو يلقى زعماء الوهابيين الذين حلوا بمصر أسرى أو مهاجرين ، ويتعرف اليهم ، ويصادقهم ، ويثنى على كبيرهم عبد العزيز ، ثناء خاصا . وتبدو فيما كتبه عن ذلك سلامة العقيدة والاخلاص . وقد يكون لموقفه العنيد من محمد على دخل فى هذا الثناء .

وللجبرتى ، فى احدى صفحات الكتاب ، نفحة صادقة من الفهم السديد لروح الدين ومن الاشتراكية العاقلة معا . فهو يذكر ما أخذه الوهابيون من الحجرة النبوية الكريمة عند فرارهم ، من التحف الكريمة ، والجواهر النادرة القيمة الغالية الثمن ، وأن بعض الناس عد ذلك من الكبائر . ثم يقول : ان هذه التحف والجواهر « وضعها خساف العقول من الأغنياء ، والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم ، اما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم ، أو لنوائب الزمان ، فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء » . ثم يقول : ان أخذ هذه الذخائر ليس خروجا على الدين ، بل الخروج عليه هو كنز الأموال بحجرته — أى حجرة النبى — وحرمان الفقراء والمساكين وأهل العلم وأبناء السبيل الذين يموتون جوعا .

وفى هذه الصفحة ينتقد الجبرتى ، انتقادا مرا ، بعض الحكام الذين يسرفون فى أموال المسلمين

التى أؤتمنوا عليها . وينفقون النفقات الباهظة فى التفاخر والرفاهية ، ثم يتحايلون على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والاستيلاء على الأموال بغير حق ، حتى افتقر الرعايا .

وهذه النفحة الاشتراكية ، الانسانية ، هى التى جعلت الجبرتى ، فى موضع آخر ، يثنى على الفرنسيين لأنهم لم يسخروا العمال الذين كانوا يستخدمونهم لتمهيد الطرق فى القاهرة ، واقامة المنشآت العامة ، بل كانوا يزيدونهم عن أجرهم المعتاد ويريحونهم بعد الظهر ، ويستعينون بالآلات القريبة المأخذ ، السهلة التناول ، التى تريح العامل وتعينه ، وتقلل من مجهوده ... كعربات نقل الأتربة . وكانت السخرة فى آشق الأعمال شيئا مألوفا فى ذلك الوقت . وكان موت الفلاحين والعمال من الجهد والارهاق شيئا مألوفا أيضا . وقد مر فى موضع من هذا الكتاب أنهم كانوا يدفنون وفيهم رمق الحياة ، لأنهم عجزوا عن مواصلة العمل وسقطوا من الاعياء .

ويبدو الجبرتى ، فى مواضع أخرى متفرقة من كتابه ، رجلا ساذجا ، مؤمنا بالكرامات والخرافات . فهو يذكر رجلا كانت الجن تخدمه وتطيعه فيما يأمر ، ثم يقول : ان ذلك « لايستبعد » . ويترجم لرجل أبله كان يزعم أنه يكشف مافى ضمائر الناس ، ولا يستبعد ذلك أيضا . وعندما أمر محمد على ، ووافقه فى ذلك القاضى التركى ، باجراء الحجر الصحى ، واقامة « الكرنتيلة » احتياطا من الطاعون ، لامهما الجبرتى على ذلك ، وقال : ان ذلك « من حبهم للدنيا ! » . ويذكر من كرامات سيدى على البيومى أن الجالس اليه كان « يرى وجهه تارة كالوحش ، وتارة كالعجل ، وتارة كالغزال » . ولا غرابة فى ذلك التناقض الظاهرى .

فان الجبرتى ألف كتابه على فترات متباعدة من الزمن . وكان فى بعض ماسجل من هذه الروايات ، متأثرا بالبيئة ، والصحبة ، واعتقاد الجماهير .

وللجبرتى فى كتابه تعبيرات تدل على لباقة وحسن أدب وتلطف ، من ذلك تعبيره الطريف عن قاض جديد قدم مصر من اسلامبول سنة ١٢١٦ بأنه « كان له مسيس من العلم » .

أما ذوقه الأدبى فنستطيع أن نعرفه من اختياره للشعر ، وثنائه على مايختار . فهو يختار مثلا لشاعر معاصر ، هو ابن الصلاحى هذه الأبيات ، ويثنى عليها :

جزى الله أنفاس النسيم فانها
لتعلم سرا فى النفوس لطيفا
أسرت الى الأغصان ، عند قدومنا ،
حديثا ، فمدت للسلام كفوفا
وهزت ، سرورا بالتدانى ، معاطفا
وأهدت لنا منها شذا وقطوفا

وهو يختار لهذا الشاعر نفسه قصيدة جيدة طويلة ، أولها :

بثا على النائى الغريب	جملا من الخبر العجيب
واستوقف الركبان ما	بين الأراكة والكثيب
واستنشد القلب الذى	قد ضاع من بين القلوب
سلبته ، يوم الدوحتيـ	ـن ، طليعة الرشأ الربيب

والأبيات والقصيدة كلتاهما شعر جيد ، اذا قارناهما بشعر ذلك العصر خاصة . وليس كل ما اختاره الجبرتى ، وخاصة من النثر ، جيدا ، يدل على تذوق للشعر والنثر ، بل فيه شىء غير قليل من التافه والثقيل ، الذى كان ذوق العصر يسيغه ويألفه ويقبل عليه .

ومع احاطة الجبرتى بكثير من علوم عصره ، واشتغاله بغير ما كان الناس يشتغلون به ، من علوم الحكمة والرياضة ، وسعة مداركه ، فانه يسمى البحر الأبيض المتوسط « البحر المحيط » .

واشتغل الجبرتى ، مثل أبيه ، بالأمور العامة ... فأفاد الناس من علمه . فالموازين التى حررها أبوه ، عندما فشا فسادها ، وألف فيها كتابا . اشتغل ابنه باصلاحها مرة أخرى وتحريرها . ومعرفته بعلم الفلك ، جعلته يستخرج الطالع وحساب النجوم .

وقد ذكر فى بدء حديثه عن سنة ١٢٢١ — وهى السنة الأولى من حكم محمد على — حسابا للنجوم ، والتقالات الشمس ، وأبراجها ، ومقارناتها ، وحساب الأهلة . ثم قال « وفى ذلك دليل على ثبات دولة القائم ، وتعب الرعية » . وقد ثبتت فعلا دولة محمد على ، وتعبت الرعية ... وصدق حساب الجبرتى وطالعه فى الأمرين معا

ونستطيع ، بعد ذلك ، أن نعرف شيئا عن صفات الجبرتى وأخلاقه ، من معرفتنا لخاصة أصدقائه ، وهم الشيخ اسماعيل الخشاب ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ أحمد الطحطاوى ، أما الأولان فقد ذكرنا طرفا من أخبارهما ، وظرفهما ، ومجالسهما فى بيت الجبرتى ... تلك المجالس التى تمثل فيها بقول الشاعر :

فىّ انقباض ، وحشمة ، فاذا
رأيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها
وقلت ما قلت ، غير محتشم

وقد توفى الخشاب فى سنة ١٢٣٠ ، أى قبل وفاة الجبرتى بأكثر من عشر سنين ، وعاش العطار بعده ، ولكنه لم يشاركه فى خصومة محمد على ، بل صادقه ، وتقرب اليه ، وألف من أجله كتابا فى الرسائل أهداه اليه (١) . وتولى مشيخة الأزهر ، وكان شاعرا ، رحالة ، خبيرا بالحياة .

أما ثالثهم : الطحطاوى ، فقد كان تركى الأصل ، شجاعا فى الحق ، عندما تألب الأشياخ على السيد عمر مكرم ، وكتبوا فيه ما كتبوا ، امتنع عن مسايرتهم والشهادة معهم ، وانفرد بذلك دونهم ، فغضبوا منه ، وأكثروا من ذمه والكيد له حتى فصل من مشيخة الحنفية ... ولكنه لم يتراجع ، وأعاده محمد على مرة أخرى لمشيختها . وقد قبلها فى المرة الأولى على كره . وكان الطحاوى هذا من أحب صحبة الجبرتى له وأقربهم لقلبه .

عجائب الآثار

يقول الجبرتى فى مقدمة كتابه : « انى قد سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذى نحن فيه ، جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية ، وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها ، واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم ... فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق منسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام » .

ويقول فى موضع آخر انه كان يدون الحوادث فى « طيارات » ، ثم يعود اليها بالتفصيل والشرح والافاضة . فهو يسجل فى مذكراته الحوادث اليومية ، ثم يتوسع فيها . وقد سجل حوادث السنين الأولى رواية عن أبيه وعن شيوخه وأصدقائه الذين شهدوها ، أو سمعوها ، ورجع فى ذلك أيضا الى سجلات الدولة من دفاتر الكتبة وغيرها ، وما نقش على حجارة القبور ، وذلك من أول القرن الى سبعين سنة منه ، ثم يقول ان « ما بعد السبعين الى التسعين أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها ، ومنها الى وقتنا أمور تعقلناها وقيدناها وسطرناها » .

(١) رسائل العطار المطبوع فى المطبعة العثمانية بالقاهرة سنة ١٣٠٤ هـ (ص ٣)

وظاهر هذا الكلام أنه شاهد بنفسه ، وسجل ما شاهد ، ابتداء مما بعد السبعين من حوادث القرن الثانى عشر ، وذلك ما اعتقده وأقره أكثر مؤرخيه ، مع أن سنه اذ ذاك كانت أربع سنين . وأعتقد من الاضطراب الظاهر فى العبارة أنه لا يقصد ذلك ، وربما أراد ما بعد التسعين ، لا السبعين .

وقد ذكر أن الذى دعاه لوضع هذا التاريخ هو السيد مرتضى الزبيدى ، صاحب تاج العروس ، حيث طلب مفتى دمشق ، السيد محمد خليل الراوى ، من الزبيدى وضع هذا التاريخ . فكلف به الجبرتى ، وكان يكتب ما يكتب ويقدمه للزبيدى . فلما مات هذا بالطاعون فى سنة ١٢٠٥ استولت زوجه على جميع ما خلفه بما فى ذلك كتبه ، وفيها ما قدمه له الجبرتى من تاريخه ، ثم تزوجت أرملته ، واستطاع الجبرتى أن يشترى منها ما خلفه السيد فوجد ضمنه أوراقه . وأرسل له مفتى دمشق بعد ذلك يستحثه على أن يتم كتابه فكان ذلك مشجعا جديدا له .

أما الطريقة التى اتبعها فى تدوين الكتاب ، فانها مع استيعابها ووفائها ، أبعدت بينه وبين أن يكون تاريخا منسقا متتابعا ، بل جعلته أشبه شىء بجريدة يومية أو أسبوعية ، تسجل الحوادث الواقعة ، بلا ترابط ولا توحيد أو تأليف ، فترى الرجل أو الحادثة تذكر فى مواضع متفرقة متباعدة من الكتاب حسبما تجىء به ، أو بها ، المناسبة ... لأمر وقع ، أو حادث جرى ، وذلك نتيجة طبيعية لسرد الجزئيات على الأيام . وهو يخلط بين الجليل والحقير من الحوادث خلطا ، قد يكون عجيبا ولكنه احدى نتائج الأمانة والحرص على الاستيعاب .

فهو ، مثلا ، فى حوادث شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٢٢ يذكر حادثة شيخ من بنها يدعو الناس لمقاومة سلطة القاهرة ، ويفصل ما جرى له حتى قتل ، ثم يذكر خبر واقعة بين محمد على وشيخ دسوق ، ثم يجمع الى ذلك حادثة رجل من الدلاتية (١) كان يرمى دجاجة بحجر لتقع من سطح دار الى أخرى ، ليستحوذ عليها ... !

أما ترتيب الكتاب فقد أشار فى مقدمته الى صفات الحاكم العادل . وذكر الحديث الذى رواه أبو هريرة « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها » . وقال ان سبب هلاك الحاكم هو « اطراح ذوى الفضائل ، واصطناع ذوى الرذائل ، والاستخفاف بعظة الناصح ، والاغترار بتزكية المادح » . ثم ذكر تاريخا مختصرا للملوك والدول التى حكمت مصر ، بعد ضعف الخلافة العباسية ، حتى الفتح العثمانى . ولخص فى صفحتين حوادث السنين الخمس الأولى من القرن الثانى عشر . ثم أفرد حوادث كل سنة بعد ذلك ، مرتبة بترتيب وقوعها ، على الشهور والأيام . وفى الكتاب اشارة الى أنه كان يكتبه فى سنة ١٢٢١ .

وقد جعل الجبرتى من كتابه « عجائب الآثار » سجلا حافلا ، جامعا ، دقيقا ، لحوادث السنين التى أرخ لها : لم يترك أمرا جليلا أو صغيرا رآه أو سمع به ، الا ذكره . يترجم للمماليك ، أمراء مصر ، ولشيوخ الأزهر والولاة والأشراف ، والعلماء ، والتجار ، وخفير باب زويلة ، والخطاطين ، والصناجق ، والأولياء ، وخادم النعال بالمشهد الحسينى ، والشعراء ، والمجذوب الصاحى — وكان حمالا فى دمياط — ومدعى النبوة ، والمجانين . ويذكر أسعار الغلال واللحم والسمن واللبن والذهب والتمر والبن والحطب والفحم . ووقوع الطواعين والأوبئة ، وعمارات المساجد والبيوت

(١) احدى طوائف الجند من اكراد الشام .

والقنوات والترع والسدود . ويسجل فى حوادث سنة ١١٩٠ ، دخول فيل صغير القاهرة ، من الهند ، ويفصل حادث الشيخ ضادومة ، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة . وقال فى كل ذلك : « انى لم أخترع شيئا من تلقاء نفسى ، والله المطلع على أمرى وحدسى » ، و « لا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار » .

وتبدو فى النصف الأول من الكتاب العناية بتراجم الرجال وسير المماليك والعلماء وغيرهم ، وفى نصفه الأخير تبدو العناية أكثر بتسجيل الأحداث والوقائع .

وقد ذكر أنه سيعيد مراجعة كتابه . والظاهر أنه لم يتيسر له أن يفعل . لذلك جاء فيه ذكر بعض الحوادث مكررا ، وجاء فيه ما يدل على عدم التحرى . فهو يقول ، مثلا ، فى ترجمة الشيخ سليمان البجيرمى انه ولد فى سنة ١١٣١ ، ثم يقول انه تجاوز المائة ، وهو فى الوقت نفسه ، يحدد تاريخ وفاته بليلة الاثنين ١٣ رمضان من سنة ١٢٢١ فهو بذلك لم يتجاوز المائة ، وانما عمر الى التسعين . وفى الكتاب أشياء غير قليلة من ذلك . ولو أنه راجع ماكتب ومحصه ، لما وقع فى ذلك ومثله . وليس ذلك تنقيصا لقيمة الكتاب ، فقد أجمع المؤرخون على أنه مصدر من أوثق وأوفى وأهم المصادر التاريخية عن تلك الفترة . وخاصة فيما سجله عن حوادث عصره التى شاهدها بنفسه .

ومن أجود ما كتبه الجبرتى ، وأكثره أهمية ، اما سجل فيه حوادث الطبقة الأخيرة من المماليك ، وفترة احتلال الفرنسيين لمصر . وطبيعى أن يكون ذلك : فكبار المماليك أصدقاء والده ، وكبار الشيوخ الذين كانوا أعضاء فى ديوان نابليون ، وكذلك كاتم سر الديوان اسماعيل الخشاب ... أصدقاء له ، وهو نفسه كان من أعيان العلماء اذ ذاك ، وكان عضوا فى الديوان الثالث .

ولكن أجود ما كتبه الجبرتى ، وأعظمه قيمة ، تلك الصفحات التى صور فيها حياة المجتمع المصرى أصدق صورة وأبرعها وأقواها ، وتراجم العلماء والأمراء وكبار الرجال فى عصره ، وفى هذا وذاك لا نجد للجبرتى نظيرا ولا ضريبا بين المؤرخين فى جميع العصور .

أما الفترة التى سجلها من عهد محمد على ، فتتسم بالاختصار وعدم الاستيعاب ، لأنه لم يكن من رجال محمدعلى ، ولا من المتصلين به أو برجاله . وهو نفسه يعتذر عن تقصيره فى تسجيل حوادث القسم الأخير من كتابه « اذ لا يمكن استيفاؤها ، للتباعد عن مباشرة الأمور » . وهو فى تسجيل عهد محمد على يترك بعض الشهور دون أن يذكر حادثا ما ، وبعضها يدون فيه سطورا قليلة ، أو حادثا فردا . ويحتاط فى الرواية بأن يقول : « على ما بلغنا » ، أو « على ما قيل » ، وأشباه ذلك .

اسلوب الكتاب

أما أسلوب الجبرتى فى كتابه فليس على نسق واحد ، وهذا طبيعى ، ولكنه فى عمومه يكاد أن يكون مصريا عاميا ، كثير الأغلاط . والتعبيرات المصرية الشعبية التى لا يزال كثير منها متداولا الى الآن ، يجدها القارىء فى كثير منه . فهو يصف حريقا فى « خطتنا بالصنادقية » فيقول : ان النار « رعت ووجت » ، ويقول : ان النيل « اتهبط » يعنى انخفض ماؤه ، وأن سعر القمح « شطح » ، أى ارتفع ، و « ثارت كرشة » أى زحام وتدافع ، و « تحنجل فى مشيه » ويذكر كلمة « قشسل » ، و « قشلان » بمعنى مفلس ، و « كثر العياط » ، و « زاد تنطيطهم » ، و « زرع له فوق السطوح » اذا مناه الأمانى الكاذبة ، و « رقرق » لذلك فلان أى مال اليه وتأثر به ، و « النفخة » بمعنى الغرور .

وتجد من التعابير المصرية ما لا نزال نسمعه الى اليوم مثل : « كل الوقايع زلابية » ، ومثل « قارب شيحة » ، فقد ذكر أنه نزل — فى سنة ١١٧١ — مطر كثير ، سالت منه السيول ، وأعقبه الطاعون المسمى «بقارب شيحة الذى يأخذالمليح والمليحة» . ولنجده يذكر « الكبة » وهو يريد الطاعون ، كما يفعل العامة الى الآن ، وأمثال ذلك . وهو لا يلتزم السجع ، ولكنهأحيانا يتفصحبه فى غير موضعه ... فيبدو ظريفا مضحكا ، كذلك السجع الذى التزمه فى وصف قوم فجأهم المطر وهم يسيرون مكرهين فى زفة عروس « فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وانتقضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملابسهم ، وهطل الغيث على الابريسم والحرير ، والشالات الكرخانة والسليمى والكشمير ، وكثير من الناس من وقع بعد ماتزحلق، وسار ثوبه من الوحل أبلق ، ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا فى عطفة ، يمسح يديه فى الحيط ، مما تلطخ بها من الرطريط » .

وهى صورة كما ترى ، مع طرافتها ، صادقة حية .

وقد اعتذر هو عن ضعف أسلوبه ، وتقصيره ، وأخطائه بقوله : « هذا مع اعترافى بقصور الباع ، وفتور الطباع ، فى قوانين المعانى العربية ، ودواوين المثانى الأدبية » . وغير بعيد أن يتعمد الجبرتى شيئا من الالتواء والغموض ، مراعاة لبعض الاعتبارات والظروف .

وهذا لا يمنع أن يجد القارىء صفحات جيدة الأسلوب بين ثنايا الكتاب .

التاريخ بلا عاطفة

والجبرتى يكتب تاريخه ، ويسجل فيه أحداث مصر العظيمة التى شهدها أو سمعها ، ولكنه لا يظهر أية عاطفة فيما يكتب ، فهو يلم الشوارد ، ويدون ويقيد ، ولكنه لا يلون بشعور ، ولا يضفى باحساس .

يسجل ، بأمانة وافاضة ، حوادث الحملة الفرنسية ، ومقاومة المصريين لجنود نابليون فى صفحات طويلة . ولكن القارىء لا يستبين فيها أى لون من ألوان العاطفة . فهو لايكتب تاريخ هذه الفترة العصيبة الحافلة من تاريخ مصر بروح الوطنى المصرى واحساسه ، ولا بروح الرجل المسلم ، حيث كانت العاطفة الغالبة المسيطرة . بل هو فى مواضع كثيرة لايخفى اللوم والضجر من عنف القاهريين وشططهم فى مقاومة الفرنسيين ، ويجعل ذلك من سخف العقل . وهو كذلك ، فى ترجمة الألفى ، يطنب فى مدحه ، ويشيد بفضائله ، ويذكر أنه سافر الى بلاد الانجليز مع خمسة عشر من رجاله ، وبقى ضيفا عليهم زمنا ، يطلب حمايتهم ويمكن لهم من احتلال مصر ، وغاب فى هذه الرحلة سنة وشهرا وبعض أيام ، وعاد من بلادهم يحمل الهدايا الكثيرة الغالية . ثم يقول ان الألفى أيضا أرسل الى الانجليز يستنجدهم أن يعينوه على حرب محمد على واخراجه من مصر . ومع هذا وذاك لايجد الجبرتى ، فيما أقدم عليه الألفى ، أى مبرر للومه ، ولا يشعر القارىء أنه أحس أى عاطفة من العواطف فيما أقدم عليه .

ويستطيع القارىء ، وهو يعجب ، أن يجد شيئا غير قليل من شذوذ العاطفة فى تدوين الجبرتى لحوادث سنة ١٢٢٢ ودخول الانجليز الاسكندرية فيها [1] . فهو يكاد يتمنى لو أنهم استطاعوا أن يملكوا القطر كله ، ليساعدوا صديقهم وحليفهم ، الألفى ، ضد محمد على . وهو يذكر أميرا من المماليك اسمه عثمان بيك حسن ، سعى اليه الانجليز ليعينهم على بسط سلطانهم على مصر ليمكنوا له واخوانه ، فى زعمهم ، من حكمها دون

(١) فى ليلة ٢١ مارس من سنة ١٨٠٧ م

محمد على . ولكن عثمان بيك هذا أجاب الانجليز بأنه هاجر وجاهدالفرنسيين ، وأنه لا يقبل أن يختم حياته بمساعدة الافرنج على اخوانه المسلمين .

ولعل القارىء يعتقد أن الجبرتى أعجب باخلاص عثمان بيك لدينه ، أو لوطنه ، وشكر موقفه هذا ، أو على الأقل ، سجل الحوادث بلا عاطفة ، كما هو غالب شأنه ... ولكن العجيب أن الجبرتى يصف عثمان بيك فى موقفه المشرف هذا بأنه « يدعى الورع » ، ثم يقول بعد ذلك بقليل انه « كان ما أراده المولى جل جلاله ، من تعسة الانجليز ، والقطر وأهله » .

فهو بذلك يشى بسريرته ، ويظهر حزنه المكظوم لحبوط الحملة الانجليزية على مصر .

ولا نستطيع ، على وجه القطع واليقين ، أن نتهم الجبرتى — لهذا أو لغيره — فى عاطفته الوطنية أو الدينية ، وهى العاطفة الغالبة التى كان يحسها الناس اذ ذاك ويعرفونها .

ولكننا نلاحظ ، الى جانب حديثه عن عثمان بيك حسن ، أن الجنرال منو اختاره عضوا فى الديوان الأخير الذى ألفه . وكان منو أشد القادة الفرنسيين قسوة ، وأبعدهم فى العنف والجبروت على أهل مصر ، ونلاحظ أيضا أن الفرنسيين قبضوا على أربعة من أعضاء هذا الديوان ، عندما قدمت الحملة الانجليزية التركية ، ولم يقبضوا على الباقين من هؤلاء الأعضاء ، بل تركوهم ليحكموا بهم أهل مصر . وكان الجبرتى من هؤلاء الذين تركوهم ، وخصصوا لكل واحد منهم خادما يقوم على خدمته ، كما نلاحظ أيضا أن الجبرتى ، وهو يتحدث عن الثورات التى قام بها أهل القاهرة ضد الفرنسيين ، كان كأنه يلوم زعماءها على عنادهم وصلابتهم ، ويتهم بعضهم بأنه من الأغرار الأفاقين . أما سواد الناس من القائمين بالثورة ، فكان يسميهم أحيانا « بالزعر » وأحيانا « بالحرافيش » ، ويصفهم بأنهم « حشرات الحسينية ، وزعر الحارات البرانية » أى الذين يسكنون خارج أسوار القاهرة وأبوابها .

وقد يكون لطبيعته من الاعتدال ، والبعد عن العنف ، مدخل فى شعوره هذا وفى حديثه عن الثورة والثائرين ، كما كان لها أثر فى رأيه وسلوكه مع الفرنسيين . وقد يكون حبه للعلم ، وتقديره لما شاهد عند علماء الحملة الفرنسية من الكتب والآلات الهندسية والفلكية ، وما رآه المصريون ، لأول مرة ، من مظاهر الحضارة العلمية ... قد يكون ذلك مما أوجد فى نفسه آصرة من التقدير والقربى — ولا أقول المحبة — بينه وبين الفرنسيين .

وقد ذكر الجبرتى أنه كان يكتب تاريخه فى سنة ١٢٢٠ ، ذكر ذلك مرة فى تدوينه لحوادث سنة ١١٨٦ ومرة أخرى فى حوادث سنة ١١٩٠ . وهو لم يكتبه كله فى ذلك الوقت طبعا ، بل كتبه على فترات طويلة متباعدة .

تداول الكتاب وطبعه وترجمته

كان تاريخ الجبرتى ، أو جزء منه على الأقل ، متداولا ، أو معروفا لبعض الخاصة . فانه يذكر فى ترجمة الشيخ عبد الله الشرقاوى أنه ألف كتابا فى تراجم فقهاء الشافعية ، فنقل تراجم المتأخرين منهم « من تاريخنا هذا بالحرف الواحد » .

وقد بقى الكتاب محجوبا ، أو ممنوعا ، حتى أذن الخديو توفيق بطبعه ، فطبع أول مرة فى سنة ١٢٩٧ هـ ، بالمطبعة الأميرية . وطبع الجزءان الثالث والرابع ، وفيه بعض من تاريخ محمد على ، أولا ، ثم الأول والثانى .

وقد ذكر الجبرتى ، فى ختام كتابه ، أنه سيفصل بعض المسائل فيما « سيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك » . ولعل هذه الاشارة هى التى جعلت بعض المؤرخين يعتقد أنه

كتب جزءا خامسا ، أحرق أو أعدم ، لاشتماله على أشياء ضد محمد على وحكمه (١) . ولكن الأرجح أن الجبرتى لم يكتب بعد ذلك شيئا . ووجدت بعض النسخ بخطه وفيها « أن هذا هو آخر الجزء الرابع وبعده توفى الشيخ . ولم يكتب شيئا » .

وتكرر طبع الكتاب بعد ذلك ، منفردا ، وعلى هامش التاريخ الكامل ، لابن الأثير . ونشر القسم الذى كتبه الجبرتى عن الحملة الفرنسية مستقلا بعنوان « تاريخ الفرنسيين فى مصر » ، نشرته جريدة « مصر » بالاسكندرية فى سنة ١٨٧٨ . وقام بنشره الأديب اللبنانى أديب اسحق .

وترجم هذا القسم الى اللغة الفرنسية ، ترجمه مترجم القنصلية الفرنسية بمصر ، المسيو كاردان ، وطبع فى سنة وفاته ١٨٣٨ م ، أى بعد موت الجبرتى بثلاث عشرة سنة . وقد رأينا من قبل أن هذا الجزء نفسه ترجم الى اللغة التركية ، بأمر السلطان سليم الثالث ، وجعل عنوانه « انقاذ مصر من الفرنساوية » .

ومما لاشك فيه أن محمدا عليا عرف ما سجله الجبرتى عن سيئاته ومساوىء حكمه ، وأنه جزع لذلك واستاء منه أكبر استياء . وقد أراد أن يرد على الجبرتى ، من طريق غير مباشر ، فطلب الى شيخ الأزهر ، الشيخ محمد العروسى (١) ، أن يكلف أحد العلماء بتأليف كتاب عن تاريخه يعارض فيه الجبرتى . فكلف الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى الذى وضع كتابا ملأه بمدح محمد على والاشادة بذكره . وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٥ تاريخ .

وترجم « عجائب الآثار » الى اللغة الفرنسية ، ونشر فى تسعة أجزاء ، تضمنتها ثلاثة مجلدات ، وطبع بالمطبعة الأميرية بين سنتى ١٨٨٨ و١٨٩٦ م وفهم بعض المؤرخين أن هذا التراخى كان سببه ما كتبه الجبرتى عن محمد على . وقام بهذه الترجمة أربعة ، هم : شفيق بيك منصور يكن ، وعبدالعزيز كحيل بيك ، وجبرائيل نقولا كحيل بيك ، واسكندر عمون أفندى .

وذكر هؤلاء فى مقدمتهم لهذه الترجمة الفرنسية أن نوبار باشا هو الذى أوحى اليهم بفكرتها ، وأن يعقوب أرتين باشا كان معينا لهم فى القيام بالمشروع .

وترجم « عجائب الآثار » أيضا الى اللغة الروسية منذ سنين قريبة .

وللجبرتى كتب أخرى ، هى ، « مختصر تذكرة داود الأنطاكى » (١) ، فى الطب ، وكتاب عن ألف ليلة وليلة يرجح أنه فقد . وذكر بعض المؤرخين أنه ، عندما قتل ابنه خليل ، كان يشتغل بوضع كتاب عن الثورة اليونانية ، ولم يتمه .

وقد ذكر « بروكلمان » أن الجبرتى ترجم كتاب « سلك الدرر ، فى أعيان القرن الثانى عشر » للسيد محمد خليل المرادى . وأعتقد أن هذا خطأ ، منشأه أن مصحح المطبعة الأميرية التى طبع فيها سلك الدرر (٢) قال فى ختام الجزء الثانى أنه قد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب سلك الدرر لمحمد خليل المرادى ، « الذى ترجمه الجبرتى » . والواقع أنه قصد أن الجبرتى ترجم للسيد خليل المرادى ، لا أنه ترجم كتابه . وقد سبقنى الى تحقيق ذلك الأستاذ خليل شيبوب (٣)

---

(١) ذكر جورجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية ـ الجزء الرابع ـ انه « يقال ان عجائب الآثار ، بعد طبعه ، صادرته حكومة الخديوى وحذفت منه ماكتبه ضد محمد على » . ولكنى لم اجد مايؤيدهذه الرواية ، او يساعد عليها.
ونحن نرى ان الجبرتى قد كتب عن محمد على فى حرية واسعة ، وتناول شخصه ، واخلاقه ، وتصرفاته بأشياء كثيرة . وان هذا الذى كتبه موجود فى الطبعات المتداولة .
لذلك ، ولاسباب اخرى ، استبعد هذا الذى رواه جورجى زيدان بصيغة التضعيف .
وتقول دائرة المعارف الاسلامية ايضا ان نسخة سابقة على طبعة المطبعة الاميرية « سنة ١٢٩٧ هـ »، صودرت واعدمت .

(١) تولى المشيخة سنة ١٢٣٣ بعد الشيخ الشنوانى .

(١) توجد منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٤٠٤ طب .

(٢) طبع سلك الدرر فى مطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٩١ هـ .

(٣) هامش ص ٦٠ من كتابه « عبد الرحمن الجبرتى » .

مخطوطات « عجائب الآثار »

يوجد فى دار الكتب المصرية من عجائب الآثار ثلاث عشرة نسخة مخطوطة ، منهـا أربع كاملة ، وباقيها أجزاء وكراسات ناقصة .

وأحدث هذه المخطوطات الكاملة كتب فى سنة ١٢٨٩ بخط أحمد بن محمد بن أحمـد بن موسى الشاهد . وفى الصفحة الأخيرة من الجزء الرابع أنه نقل من خط المؤلف ، وأنه لم يكتب بعد ذلك شيئا . وينتهى بنهاية سـنة ١٢٣٦ كمـا تنتهى النسـخ المطبوعة .

وتلى هذه النسخة فى القدم نسخة أخرى ، كتب الجزءان الأولان منها بخط محمد أحمد الشافعى ، والثالث بخط أحمد يونس ، أبو التيسير ، فى سنة ١٢٨٧ ، والجزء الرابـع كتب فى نهايته أنه تم فى ربيع الثانى سنة ١٢٨٩ ولم يذكر اسم الكاتب .

ثم تلى هذه نسخة أخرى كتبت فى سـنة ١٢٧٢ بخط الحاج محمد حسين أحمـد مصباح الشافعى الأزهرى . وفى آخر الجزء الرابـع منهـا فهرس بأسماء المتوفين من الأعلام . ولكنه لاينتهى بنهاية ما سجله الجبرتى فى تاريخه (سنة ١٢٣٦) بل يمتد بهذه الأسماء وتواريخ وفاة أصحابها الى سنة ١٢٧٢ ، تاريخ كتابة المخطوط ، ويبدو أن الذى أكمل هذه التواريخ هو الشيخ مصباح ناسخ المخطوط .

وأقدم هذه النسخ المخطوطة تمت كتابتها فى سنة ١٢٦٢ (١) — أى بعد وفاة الجبرتى باحدى وعشرين سنة — ولم يذكر اسم كاتبها . وكان هذا المخطوط ملكا للمرحوم محمود سـامى البارودى باشـا . مكتوب فى الصفحة الأولى لكل جزء منه مايلى : « من كتب الفقير اليه تعالى محمود سامى الشهير بالبارودى » ، وتاريخ سنة ١٢٨٥ ، ثم ختم باسم « محمود سامى » .

(١) مخطوط رقم ٢٢٨٧ تاريخ م

والسطور الأخيرة من هذا المخطوط تتفق تمام الاتفاق مع النسـخ المطبوعـة ، ثم تنتهى بهـذه الكلمات : « تم لسنة ست وثلاثين . ونقل هذا من نسـخة بخط الجبرتى فى ٢٥ ذى الحجة سـنة ١٢٦٢ » .

وهنالك جزء ثان فقط ، لم يذكر اسم كاتبه ، وفى نهايته أنه تمت كتابته فى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٢ أيضا . وعلى صفحته الأولى أن المرحوم على فهمى نجل رفاعة بيك رافع الطهطاوى طالعه كله سـنة ١٢٧٨ .

وقد راجعت صفحات هذه المخطوطات الأربعة الكاملة ، وهذا الجزء الثانى الأخير ، وقابلت كثيرا من صفحاتها مع صفحات المطبعة الأميرية ، فلم أجد سوى قليل جدا من الخلافات اللفظيـة ، أو من تقديم أو تأخير لبعض كلمات مما لايزيد معنى أو ينقصه أو يبدله . وعنيت ، بصفة خاصـة ، بالجزء الأخير من كل من المخطوطات الكاملة ، والصفحات الأخيرة منها بصفة أخص ، لعلى أجد مايفيد وجود زيادة ليست فى النسخ المطبوعة ، فلم أجد .

وفى المكتبـة الأزهـرية من « عجائب الآثار » مخطوطان : الأول بخط خليـل ابراهيم العجوز ، انتهى من نسـخه سـنة ١٣٨٩ ، وهـو فى ثلاثة مجلدات . والثانى بخط محمد بن أحمد بن موسى الشاهد الحنفى الأزهرى ، ولم يذكر تاريخ الانتهاء من نسـخه ، وهو فى أربعـة مجلدات . وكلا المخطـوطين منقول عن نسـخة بخط الجبرتى . وكلاهما أيضا ينتهى بنهاية واحـدة هذا نصها : « وهذا آخر الجزء الثالث ، أو الرابع . وبعـده توفى الشيخ ، ولم يكتب شيئا » . وهـو ماختمت به طبعة المطبعة الأميرية ، وطبعة المطبعة الشرفية .

وتنتهى الحوادث التى أرخها الجبرتى فى هذين المخطوطين بنهاية سـنة ١٢٣٦ ، كمـا فى النسخ

المطبوعة ، وكما هو الحال فى جميع النسخ الخطية التى ذكرتها .

وقد راجعت وقابلت هذين المخطوطين ، كما فعلت بالمخطوطات الخمسة فى دار الكتب ، فكانت النتيجة هنا مثلها هناك .

وهذا كله يؤيد ما ذهبت اليه من عدم وجود قسم ، أو جزء ، لم ينشر ، أو نشر ثم صودر ، كما روى جورجى زيدان ، بصيغة التضعيف .

وفى دار الكتب المصرية فهرس مخطوط لعجائب الآثار من عمل المرحوم أحمد تيمور باشا . يشمل الحوادث ، وأسماء الأعلام ، والنقود . وفهرس آخر من عمل المرحوم توفيق اسكاروس يشمل أسماء العلماء المذكورين فى الكتاب ، مرتبة على الحروف .

وفى المكتبة التيمورية مخطوط لعجائب الآثار كتب فى سنة ١٢٨١ . ويوجد مخطوط آخر من هذا الكتاب فى مكتبة السيد الكتانى بفاس ، لم أستطع أن أعرف عنه شيئا . ولعل بعض الباحثين ، ممن يعنون بمثل هذا ، يعرفنا به .

مخطوطات « مظهر التقديس »

أما مظهر التقديس ففى دار الكتب المصريةمنه مخطوطان : المخطوط الأول منهما كتب فى سنة ١٢٢٤ (١) قبل وفاة الجبرتى بسبع عشرة سنة ، وبعد أن أتم تأليفه بسبع سنين وخمسة أشهر ، حيث ذكر أنه أتم تأليفه فى شعبان سنة ١٢١٦ .

وفى الصفحة الأولى من هذا المخطوط أسماء خليل رقعت باشا . وخسرو باشا ، وكان أحد ولاة مصر فى فترة من هذا التاريخ (من ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ الى ١٤ المحرم سنة ١٢١٨) . المخطوط فى ١٤٥ ورقة ، أى ٢٩٠ صفحةكبيرة

والمخطوط الثانى من مظهر التقديس كتب فى سنة ١٢٩٣ .

(١) مخطوط رقم ١٠١ م تاريخ .

وقد طالعت ، بامعان ، المخطوط الأول ، الأقدم ، من مظهر التقديس ، وقابلته بما كتب الجبرتى فى تاريخه عن دخول الفرنسيين مصر ، واقامتهم فيها ، وخروجهم منها ، وتأريخه للسنوات الثلاث التى أقاموها بها ، فخرجت من هذه المقابلة بالملاحظات التى ألخصها فيما يلي :

يذكر الجبرتى اسم الشيخ حسن العطار على أنه شريك فى تأليف الكتاب ، فهو يقول فى أوله ، انه ألف كتابه وضم اليه ماكتبه الشيخ حسن العطار من النثر والشعر . ثم يقول عند اختياره اسم الكتاب « وسميناه » مظهر التقديس . وهو عندما ذكر ذلك عن تاريخه قال « سميته » عجائب الآثار . وعندما يورد بعض الشعر يقول انه « لصاحبنا الآتى ذكره » أو لصاحبنا السابق ذكره ، بعد أن ذكر اسم الشيخ العطار .

ونحن نعرف أن الجبرتى لم يقل الشعر .

بدأ الكتاب ، بعد حمد الله ، بمدح الدولة العثمانية الخاقانية ، ثم ربط بين الظواهر السماوية ، كخسوف الشمس وحركات النجوم ، وبين الحوادث الأرضية ، وذكر بعد ذلك قدوم الفرنسيين مصر ودخولهم فيها . مع أن مصر لم يغلبها غالب ،حتى التتار الذين هزموا جند الأرض كله ، كثيرا ما قهرهم جند مصر القاهرة ، حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة

ثم يلوم المماليك على تهاولهم فى تحصين الثغور ، والعناية بعدة الحرب ورجالها . ويورد شعرا ، أعتقد أنه للشيخ العطار هو :

انما هذه البلاد لأقوا
م حموها بالصارم المسلول
وأرى دولة المماليك ما
لت لضروب اللذات ، بالتحصيل
واغتنوا عن تجريد سيف ورمح
بقوام لدن ، وطرف كحيل

ويلومهم كذلك على سلوكهم مع أهل مصر ، ومصادرة أموالهم ، والقسوة عليهم . ثم يذكر السلطان سليما الثالث وتداركه مصر بتخليصها من الفرنسيين . ويذكر صدره الأعظم يوسف باشا بأوصاف لا تكاد تنتهى من المدح والتفخيم والاشادة والتعظيم .

وتجيء بعد ذلك مقدمة موجزة فى التاريخ ، منذ بدء الخليقة ، ونزول أبى الأنبياء آدم ، وتوارد الرسل لهداية الناس ، والرسالة المحمدية الخالدة ، وملخص فى غاية الايجاز للخلفاء الراشدين ، والدول الاسلامية المختلفة التى أعقبتهم ، وفتوحاتها ، وما جرى بعد ذلك من وقائع حتى دخل العثمانيون مصر .

ثم يبدأ بسرد حوادث الحملة الفرنسية من اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢١٣ ، ومن هنا يبدأ فى الاتفاق مع ماكتبه فى عجائب الآثار ، ماعدا خلافات يسيرة ، وتكرار لبعض الفقرات والجمل .

وبعد أن أورد الكتاب منشور نابليون الذى وجهه الى المصريين بعد دخوله الاسكندرية ، أخذ يناقش هذا المنشور ويعلق عليه ، ويفسره . وهذه أشياء لا توجد فى عجائب الآثار .

وفى هذه المناقشة وهذا التفسير ، يحمل مظهر التقديس حملات قاسية على نابليون والفرنسيين .

ولا تقتصر خصومة الجبرتى للفرنسيين فى مظهر التقديس ، وعنفه عليهم ، على هذه المناقشة ، بل نجد الروح التى تسيطر عليه هنا مختلفة عن تلك التى كتب بها فى عجائب الآثار . ونجد الطابع الذى يتميز به مظهر التقديس ، من هذه الناحية ، مغايرا الى حد بعيد لذلك الطابع الذى نجده فى العجائب فهو ، فى مظهر التقديس ، ينعتهم بأوصاف الجهل ، والنفاق ، والخداع ، والظلم ، والخروج على جميع الأديان . ويتمنى زوال دولتهم ، ويظهر التشفى والسرور عند ذكر هزيمتهم أمام مراد بيك فى بعض المواقع ، ويسميهم الملاعين .

ثم هو لا يذكر فى مظهر التقديس ، ما ذكره فى عجائب الآثار ، من أنهم كانوا يأجرون العمال على ما يقومون به من اصلاح أو انشاء فى طرقات القاهرة ومرافقها ، وأنهم كانوا يعطونهم أكثر من الأجر المعتاد .

وكذلك يطوى زيارته مقر علماء الحملة الفرنسية ، واطلاعه على ماكان فيه من الكتب والصور والرسوم ، ومشاهدته عندهم التجارب الطبيعية والكيمائية . واباحتهم لأهل مصر أن يزوروا مقر هؤلاء العلماء ، وأن يفيدوا منه . وهى قطعة كبيرة نجدها فى عجائب الآثار ونفتقدها فى مظهر التقديس .

ويسقط أيضا من مظهر التقديس — فى ختام شهر شوال من سنة ١٢١٣ — قطعة ضمنها فى العجائب ، بعض الأعمال والانشاءات التى قام بها الفرنسيون فى القاهرة .

وحذف منه كذلك قطعة من رسالة نابليون التى وجهها الى أهل مصر يعلل فيها عدم استيلائه على عكا ، وأثبت قطعة كبيرة من قصيدة السيد على الصيرفى ، نزيل عكا فى ذلك الوقت ، لم تذكر فى العجائب .

وقد تضمنت هذه القطعة من القصيدة مطاعن كثيرة فى الفرنسيين ، وفى نابليون .

ونجد فى مظهر التقديس تعليقا على هذه القصيدة ، ونقدا لها ، لعله من وضع الشيخ العطار ، تحدث فيه عن العروض ، والترصيع ، والوتد ، والزحاف . الى غير ذلك من مصطلحات هذا الفن . ونجد ، بعد ذلك ، استدراكا على الشاعر لأنه مدح أحمد باشا الجزار ، حاكم عكا ، على بلائه فى صد نابليون عنها ، ولم يمدح الوزير يوسف باشا على جهاده .

ثم يدافع عن العثمانيين عندما يذكر نابليون فى منشور له ، أن دولتهم فى مصر قد دالت . ويقسو عليه فى ذلك أشد القسوة .

وتحارب العثمانيون والفرنسيون فى الاسكندرية ، فهزم الأولون ، وأسر قائدهم مصطفى باشا ، وكبير منهم هو عثمان خوجا ... فيذكر ذلك فى العجائب ، ولكنه ، فى مظهر التقديس ، يزيد عليه عزاءه للعثمانيين ، وتهوين الأمر عليهم .

ثم يسقط من مظهر التقديس مايدل على ضعف العثمانيين ، أو فساد تدبيرهم ، بعد عقد الصلح مع الفرنسيين .

ومن الملاحظات الخاصة بالصياغة ، ولكنها ذات دلالة ، أنه عندما يذكر نابليون فى عجائب الآثار ، يصفه بأنه « سارى عسكر » الفرنسيين ، أى قائدهم العام . وعندما يذكره فى مظهر التقديس ، يقول « كبير الفرنسيس » . وكذلك يقول فى عجائب الآثار ، عن معسكر العثمانيين « عرضى الوزير » ، وفى مظهر التقديس « عرضى همبون » أى المعسكر السلطانى .

وفى نص واحد نجده يذكر نابليون فى عجائب الآثار باسم « بونابرته » وفى مظهر التقديس بقوله « اللعين » .

ومن لطائف هذه الفروق ، بين « عجائب الآثار » و « مظهر التقديس » ، أنه يذكر خروج الجيش العثمانى الى الصالحية ، بعد فشل الصلح ، وابتداء الحرب بينهم وبين الفرنسيين .... يذكر ذلك فى العجائب ، فيقول ان سببه ضعف هذا الجيش ، واشتغال جنده بجمع المال من البلاد ، وظلم الناس ومصادرتهم .

ويذكر ذلك ، فى مظهر التقديس ، فيقول إن سببه الحرص على شروط الصلح وأنه كان حكمة حربية وبراعة ، وعملا بقول من قال : الحرب خدعة !

ومن الزيادات التى تلفت النظر ، ما ذكر فى مظهر التقديس [1] من أن نابليون عندما دخل عليه الشيخ السادات باستدعاء منه « صار — أى نابليون — يقبل يده تارة ، وركبته أخرى » .

وقد أسقط الجبرتى من مظهر التقديس ، ما سجله فى العجائب ، من عدوان الجند العثمانى على أهل القاهرة ، بعد عودتهم اليها . مع أنه يقول فى العجائب وهو يصف عدوانهم على الناس ، وهم فى ثورتهم على الفرنسيين ، ان أهل البلاد « تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين على حالتهم التى كانوا عليها » .

كما يسقط رسالة عنيفة وجهها الشيخ السادات الى كتخدا الدولة ، يزجره فيها على عدوان جنده .

كذلك نجد فى العجائب كثيرا من الآيات القرآنية الكريمة التى تخوف من عاقبة الظلم ، ثم لا نجدها فى مظهر التقديس ... كأنما خشى أن يفهم ذكرها على أنه تعريض بالعثمانيين . وكذلك لم يذكر الضرائب والمغارم التى فرضها الفرنسيون على علماء القاهرة وأعيانها ، جزاء اشتراكهم أو تحريضهم على الثورة ، ومناقشة كليبر لهم فى ذلك

وعند ذكره لمقتل الجنرال كليبر ، أسقط السجل الذى أثبته فى العجائب عن مناقشة قاتله ، سليمان الحلبى ، ومحاكمته ، وأقوال الشهود ، والأحكام التى صدرت باعدامه واعدام شركائه الثلاثة ، وأمر القائد العام الجديد ، الجنرال منو ، بتنفيذ هذه الأحكام ، ووصف هذا التنفيذ .

ومن الملاحظات الجديرة بالعناية ، أنه عندما ذكر انشاء الديوان الثالث ، الذى أمر منو بتشكيله من العلماء وحدهم ، أسقط أسماء أعضائه

---

(1) ورقة ٢٣ .

التسعة . وقد ذكرهم فى العجائب وأشار الى نفسه فيهم بقوله « وكاتبه » .

وكذلك أسقط من مظهر التقديس الوصف الذى أثبته فى العجائب لجلسة هذا الديوان الأولى .

وكان ديجنت كبير الأطباء الفرنسيين ، ألف رسالة فى علاج الجدرى ، لعله أهداها الى الجبرتى . فوصفها فى العجائب بأنها « لا بأس بها فى بابها » . ولكنه فى مظهر التقديس يسقط وصفه لها . وهو لايذكر أيضا تخفيف الفرنسيين لبعض الاتاوات التى كان الوالى والمحتسب يفرضانها على أهل القاهرة . ولا يذكر خبر قدوم الانجليز الى أبى قير ، وحربهم الفرنسيين .

ونجد عند ذكره أنباء عودة العثمانيين للقاهرة شيئا غير قليل من الاختلاف والتغيير ، واسقاطا لحوادث اعتدى فيها جندهم على بعض البائعين من أهل القاهرة ... غصبوهم بضاعتهم ، فلما طولبوا بثمنها ، قتلوهم وقتلوا غيرهم ، حتى رجال الأمن والشرطة .

ثم نجد — بعد وصفه موكب الصدر الأعظم حين دخل القاهرة — قطعة أعتقد أنها من انشاء الشيخ العطار ، فيها ذكر لكبار العثمانيين الذين قدموا معه ، وفيها قصيدة للشيخ أيضا أولها :

انما العز فى متون الجياد
مع بيض الظبا ، وسمر الصعاد

وهى ثلاثة وثلاثون بيتا . وفى هذه القطعة من النثر ، نجد كل اسم من أسماء هؤلاء القادمين ، مسبوقا بطوفان من ألقاب التعظيم والمدح والتفخيم .

وعندما استقر الأمر للعثمانيين ، فرضوا على تجار القاهرة مغارم ، ذكرها فى العجائب ، وطواها فى مظهر التقديس . كما طوى أخبارا أخرى عن بعض المماليك ، وعزل القاضى التركى ، وقتل بنت السيد خليل البكرى ، ومشاجرات وقعت من الجند العثمانى على أهل القاهرة . كما أسقط اشتغال هؤلاء الجند بالبيع والشراء وتستر قادتهم عليهم ، بل دفاعهم عنهم ، لأنهم أنقذوا مصر من الفرنسيين ... !

وفى الشهور الثلاثة الأخيرة من الكتاب ، نجد كثيرا من الأخبار قد حذف ، ونجد بدلا منها أنباء قدوم السادة من كبار العثمانيين ، مثل محمد أفندى شريف ، دفتردار الدولة . ويذكر فى قدومه شعرا ، وقدوم كتخداه — نائبه — عثمان أفندى ، وشمس الدين بيك ، أمير أخور [1] ، ومرجان أغا ، والقاضى مصطفى أفندى دباغ زاده . ولا يذكر ، بعد ذلك ، فى حوادث شهر ربيع الآخر سنة ١٢١٦ ، سوى عودة المحمل . ويسقط القرارات والأوامر التى أصدرتها الدولة بشأن الأموال والضرائب .

ونجد بعض حوادث هذه الشهور الثلاثة فى غير موضعها . ويذكر فى هذه الشهور بعض اعتداءات الجند العثمانى ، وكف الصدر الأعظم لهم عندما علم ذلك .

ثم يسجل كتابا ، نجده فى العجائب ، موجها من السلطان الى عرب البحيرة ، بأن يكفوا عن قطع الطريق ، والعدوان على الناس . وجوابا كتبه الشيخ اسماعيل الخشاب ، على لسان هؤلاء العرب ، بأنهم سيلزمون الطاعة . وهو موجه الى « الصدر الأعظم يوسف باشا ، بلغه الله من المرادات ما شا » . وتاريخ هذا الجواب اليوم الثانى والعشرون من شعبان سنة ١٢١٦ ، وبه تنتهى حوادث مظهر التقديس .

ونجد فى « مظهر التقديس » شيئا قليلا من التغيير والاختلاف عن « عجائب الآثار » ، ولكنه تغيير واختلاف قليل القدر والأهمية . كما نجد بعض الزيادات القليلة أيضا ، غير ما سجلنا من

(١) أمير المداود ، الموكل بعلف الدواب .

قبل ، كزيادته مدح قائد الجيش التركى ، مصطفى باشا ، الذى أسره الفرنسيون ، لمناسبة اخراجه من الأسر ، ثم سفره بعد ذلك الى دمياط وموته فيها .
وزيادته تقبيح الفرنسيين ، وسبهم فى بعض المناسبات ، ووصفه بعض كبارهم بأنه « كلب »
وزيادته قطعة من النثر والشعر للشيخ حسن العطار ، وصف فيها بركة الفيل ، وذكر ما أصابها من التخريب على يد الفرنسيين ، عند الثورة عليهم

ومع أنه أسقط من سنتى ١٢١٣ و ١٢١٤ التراجم التى سجلها فى ختام كل سنة من العجائب ، لمن ماتوا فيها . فقد ذكر ، فى حوادث الشهور ، بعض الوفيات ، كوفاة ولدى الشيخ أحمد الجوهرى — محمد ، وعبد الفتاح — والأمير مراد بيك ، والشيخ عبد القادر المغربى . وفى ختام سنة ١٢١٥ يترجم لمن ماتوا فيها ، ولكنه يسقط تراجم العلماء ، ويسجل تراجم المماليك والأمراء .

ونجد كذلك قصيدة للشيخ حسن العطار فى مدح الشيخ عبد القادر المغربى .

وما عدا هذه الفروق ، نجد مظهر التقديس متفقا مع عجائب الآثار : فى الحوادث ، والصياغة ، والترتيب .

وفى نهاية مظهر التقديس خاتمة تتلخص فى أنه من الأوفق أن يجعل ختامه شهر رمضان ... تيمنا به ، واشارة الى أن وجود الصدر الأعظم ، الذى ألف برسمه الكتاب ، فى الأيام ، كوجود شهر الصيام فى الأعوام ، يزيل الفساد ، ويكثر العبادة ، وتنجبر به القلوب ، وتخلص النيات فى كل مرغوب . ولأن فيه ليلة القدر ، والصدر الأعظم شبيه بها فى أن الأمة المحمدية تترقب ظهوره من مدد متطاولة ، ولأن قدومه مصر كقدوم العيد فى نهاية شهر رمضان .

وبعد ذلك شعر فى مدحه ، لا بأس به ، وفى تهنئته بشهر الصوم لا بأس به أيضا ، ويجىء ، بعد الدعاء الكثير ، بيتا التأريخ :

سعد تاريخنا باقبال صدر
بمعالى ثنائه مسطور
فلهذا يقول بشرى ، أرخ
باجتناء السرور جاء الوزير

وقد تم تأليفه فى نهاية شهر شعبان من سنة ١٢١٦ .

وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة فى غرة المحرم من سنة ١٢٢٤ .

ونستطيع بعد ذلك أن نسجل أن الفروق التى نجدها فى مظهر التقديس ، عن العجائب ، مردها الى المناسبة التى ألف فيها الكتاب .

فهو عندما دون ما كتب عن الفرنسيين فى عجائب الآثار ، كانوا ما يزالون يقيمون فى مصر ، وهم أصحاب الحول فيها والسلطان . فهو ، فى هذه الحالة ، يتخذ سبيل السلامة ، ويأخذ بالمداراة والتقية ، فلا يتعرض لهم بذم أو ملامة .

وهو ، فى الوقت نفسه ، يترجم عما فى ضميره من تقدير لهم ، وعطف عليهم ، نلمسه فى غير موضع من العجائب ، وندركه من صلاته بهم ، ولو أنه حرص على سترها شيئا ما .

وهو عندما كتب — مع صديقه العطار — « مظهر التقديس » ، كان الفرنسيون قد تركوا مصر ، ولم يبق لهم فيها حول ولا سلطان ، بل عاد السلطان فيها لخصومهم العثمانيين . ومظهر التقديس يؤلف لصدر من صدور الدولة . عند ذلك كتب الجبرتى والعطار ما كتبا فى مذمة الفرنسيين ونابليون ، ووصفاهم بما وصفا .

وما أسقطه من الكتاب أمور لا تهم الصدر الأعظم ولا تهم الدولة .

العصر الذى أرخه الجبرتى

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين ، وبعد فها هو ذا الكتاب الأخير من طبعة كتاب الشعب « المختار من تاريخ الجبرتى » الذى أسماه مؤلفه الشيخ عبد الرحمن الجبرتى « عجائب الآثار ، فى التراجم والأخبار » ، وعرض فيه تاريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للهجرة (معظم السابع عشر ، والثامن عشر جميعه ، وأوائل التاسع عشر للميلاد) ، مع المامه الماما عاجلا بالفترة السابقة .

ومع أننا — للأمانة العلمية — قد أطلقنا على طبعة كتاب الشعب «المختار من تاريخ الجبرتى» ، فان هذا لاينطبق انطباقا كاملا الا على الكتابين الأول والثانى ، أما فى الكتب السبعة التالية ، فان اغفالنا سطرا أو بعض سطر ، أو لفظا واحدا فى بعض الأحايين ، لم يكن الا لضرورة فرضها الاختلاف بين روح عصرنا وروح العصر الذى وضع فيه الكتاب . وما أغفل نشره منذ بدء الحملة الفرنسية حتى آخر الكتاب لايبلغ فى مجموعه سطورا قليلة لم يكن من اغفالها مناص لما سبقت الاشارة اليه من دواع وضرورات .

لمحة تاريخية

حكم المماليك مصر منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، الى أن عدا عليها بونابرت فى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد . وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم عهد المماليك فى مصر الى ثلاثة عصور :

١ — عصر المماليك البحرية ، أو التركية .
٢ — عصر المماليك البرجية ، أو الشراكسة .
٣ — عصر المماليك العثمانيين ، أو البكوات .

المماليك البحرية (التركية)

سمى المماليك البحرية بهذا الاسم لأنهم ، فى مدة حكم الملك الصالح أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧ هـ ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) ، ابتنى لهم دورا كبيرة ، ومعاقل متينة ، عند الروضة ، حيث يتفرع « بحر » النيل فرعين ، وحيث يسمى « البحر الكبير » .

وليس الصالح أيوب أول من أوجد هذه الطائفة من المماليك ، ولا هو الذى أطلق عليها هذا الاسم — مع ما أجمع عليه المؤرخون من نسبة ذلك اليه . ذلك أنه كان لدى السلطان الكامل — وهو أبو الصالح أيوب وسلفه فى الحكم بمصر — طائفة من الأجناد اسمها « البحرية العادلية » ، نسبة الى أبيه السلطان العادل ، كما أن الفرقة التى أنشأها الصالح أيوب نفسه كانت تعرف باسم « البحرية الصالحية » [١] .

وجعل الصالح أيوب تلك الطائفة من المماليك حرسه الخاص ، وأسكنها قلعة الروضة من دون طوائف المماليك الأخرى . واستعملهم فى دفع الحملة الصليبية التى قدمت مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا [٢] .

---

(١) الدكتور محمد مصطفى زيادة ، « بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر » — مجلة كلية الاداب ، المجلد الرابع ، الجزء الاول .
(٢) المصدر السابق .

ولما مات الملك الصالح (٦٤٧ هـ — ١٢٩٤م) ، أخفت زوجه شجرة الدر موته ، ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه وولى السلطنة ، ثم دبت الوحشة بينه وبين مماليك أبيه ، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا فى السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت . وشجرة الدر هى آخر الدولة الأيوبية .

وتولى السلطنة بعدها عزالدين أيبك التركمانى ، وهو أول السلاطين من دولة المماليك البحرية أو التركية .

وسلاطين هذه الدولة هم :

عز الدين ايبك التركمانى	٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)
المنصور	٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م)
المظفر قطز	٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م)
الظاهر بيبرس	٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)
السعيد ناصر الدين	٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م)
العادل سلامش	٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)
المنصور قلاوون	٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)
الأشرف خليل	٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م)
الناصر محمد	٦٩٣ هـ (١٢٩٣ م)
كتبغا العادل	٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م)
المنصور لاجين	٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م)
الناصر محمد (ثانية)	٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م)
المظفر ركن الدين الجاشنكير	٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م)
الناصر محمد (ثالثة)	٧٠٩ هـ (١٣١٠ م)
المنصور الرابع	٧٤١ هـ (١٣٤١ م)
الأشرف كوجك	٧٤٢ هـ (١٣٤١ م)
الناصر شهاب الدين	٧٤٢ هـ (١٣٤٢ م)
الصالح عماد الدين	٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م)
الكامل شعبان	٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)
المظفر حاجى	٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م)
السلطان حسن	٧٤٨ هـ (١٣٤٦ م)
الصالح صلاح الدين	٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)
السلطان حسن (ثانية)	٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م)
المنصور بن المظفر حاجى	٧٦٢ هـ (١٣٦١ م)
الأشرف شعبان	٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م)
المنصور علاء الدين	٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م)
زين الدين حاجى	٧٨٣ هـ (١٣٨١ م)

المماليك البرجية (الشراكسة)

بدأ قيام طائفة المماليك البرجية فى أيام السلطان قلاوون ، ثامن سلاطين دولة المماليك البحرية (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) .

وبدأت دولة المماليك البرجية ـــ أو الشراكسة — بتولى السلطان الظاهر برقوق الشركسى (٧٨٤ ـــ ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ — ١٣٩٨ م) .

وانفردت هذه الطائفة من المماليك بالانتساب الى أمة من الأمم . أما من عداها — منذ نشأة طائفة المماليك فى أواخر الدولة العباسية ، الى أن دالت دولتهم بعد مذبحة القلعة فى عهد محمد على — فلم ينتسبوا الى جنس بعينه ، ولا انتموا الى أمة بذاتها ، بل كانوا خليطا من بنى الأمم المختلفة يباعون ويشترون ، ويجلبهم النخاسون والقراصنة من حيث يقعون عليهم : تارة من التتر والمغول والشراكسة ومن اليهم من الشعوب التى تسكن شواطىء بحر قزوين ، وتارة من جزر بحر ايجة وسائر جزر البحر الأبيض المتوسط ، وتارة أخرى من اليونان وغيرها من البلاد الأوربية التى تشرف على البحر المذكور .

ويتجوز المؤرخون كثيرا حين يطلقون اسم « المماليك » على سلاطين الشراكسة . فكل من تولوا السلطنة بعد برقوق لم يكونوا « مماليك » فى يوم من الأيام ، بل انهم شبوا — فى العز والامارة — أولياء عهد للسلطنة ، يتولاها الخلف منهم عن السلف .

وسلاطين المماليك الشراكسة هم :

الظاهر برقوق	٧٨٤ هـ	(١٣٨٢ م)
الناصر فرج	٨٠١ هـ	(١٣٩٩ م)
المنصور عبد العزيز	٨٠٨ هـ	(١٤٠٥ م)
الناصر فرج (ثانية)	٨٠٨ هـ	(١٤٠٥ م)
المستعين بالله	٨١٥ هـ	(١٤١٢ م)
الشيخ المحمودى (المؤيد)	٨١٥ هـ	(١٤١٢ م)
المظفر أحمد بن المحمودى	٨٢٤ هـ	(١٤٢١ م)
الأشرف برسباى	٨٢٥ هـ	(١٤٢٢ م)
العزيز يوسف	٨٤١ هـ	(١٤٣٨ م)
الظاهر جقمق	٨٤٢ هـ	(١٤٣٨ م)
المنصور عثمان	٨٥٧ هـ	(١٤٥٣ م)
الأشرف اينال	٨٥٧ هـ	(١٤٥٣ م)
المؤيد أحمد	٨٦٥ هـ	(١٤٦١ م)
الظاهر خوشقدم	٨٦٥ هـ	(١٤٦١ م)
الظاهر يلباى	٨٧٢ هـ	(١٤٦٧ م)
تيمور بغا الظاهرى	٨٧٢ هـ	(١٤٦٧ م)
الأشرف قايتباى	٨٧٢ هـ	(١٤٦٨ م)
الناصر محمد بن قايتباى	٩٠١ هـ	(١٤٩٦ م)
الظاهر قانصوه الأشرفى	٩٠٤ هـ	(١٤٩٨ م)
الأشرف جنبلاط	٩٠٥ هـ	(١٥٠٠ م)
العادل طومان باى	٩٠٦ هـ	(١٥٠٠ م)
قانصوه الغورى	٩٠٦ هـ	(١٥٠١ م)
طوماى باى الثانى	٩٢٢ هـ	(١٥١٦ م)

وكانت مصر طـــوال أيام هاتين الدولتـين — المماليك البحرية والشراكسة — دولة مستقلة ، لا تدفع جزية ولا خــراجا لدولة أجنبية . وكان بمصر ، أحيانا ، خليفة عبـاسى ، يعيش فى كنف السلطان المملوكى ، فيضــفى على حكمه صــبغة شرعية ، غير أن هذا كان أمرا شكليا لا وزن له من الناحية العملية .

وفى عهد السلطان قانصوه الغورى عدا السلطان سليم على الشرق ، فخرج الغورى للقائه عنـد مرج دابق قرب حلب . ولم يستطع العادى التركى انزال الهزيمة بالجيش المصرى الا بالغدر والخيانة ، ذلك أنه اتصــل باثنين من أمراء الغورى الخونة — هما خير بك والغزالى — فخـذلا مولاهما ، وخانا بــلادا أحسنت اليهما ، ومكنا ســليما من أرض الشام ومصر .

وتولى بعد الغورى ، طومان باى ، فوقف لسليم يصد زحفه ، ولكنه تمكن منه بسلاح الغدر مرة أخرى ، وســلم الخونة طومان باى الى سليم ، فسجنه ، ثم أعدمه على باب زويلة .

العصر العثمانى ، والولاة الأتراك

وبموت طومان باى (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، انتهت دولة المماليك الشراكســة . وباستســلام جيوشــه ، أصبحت مصر ولاية عثمانية ، تؤدى الخــراج لعــاصمة امبراطورية آل عثمان — أو « الديار الرومية » كما يسميها الجبرتى !

وكافأ السلطان سليم ، الخائن « خير بك » ، فأقامه نائبا عنه فى مصر ، أو « واليا » عليها ، أو « مندوبا ساميا » لتركيا . فكان أول « الولاة » أو « الباشوات » الذين تولى منهم فى ٢٨٨ عاما (بين ١٥١٧ و ١٨٠٥ م) مائة وأربعة وعشرون واليا ، متوسط بقاء الواحد منهم فى الولاية نحو العامين ، وكثيرا ما تولى منهم فى العام الواحد واليان !

وهؤلاء الولاة العثمانيون هم [1] :

خير بك (ولقب بالباشا)	١٥١٧ م
مصطفى باشا	١٥٢٢ م
أحمد باشا	١٥٢٣ م
قاسم باشا	١٥٢٤ م

١ — رجعنا فى أسماء هؤلاء الولاة الى مصــدرين عربيين ، أحدهما قديم ، والآخر حديث ، ومصدر افرنجى ... فلم نجدها متفقة تمام الاتفاق ، فآثرنــا بار جحها .

ابراهيم باشا ١٥٢٥ م
سليمان باشا الخادم ١٥٢٧ م
داود باشا ١٥٣٨ م
على باشا ١٥٤٩ م
محمد باشا زاده ١٥٥٤ م
اسكندر باشا ١٥٥٦ م
على باشا الخادم ١٥٦١ م
مصطفى باشا الثانى ١٥٦١ م
على باشا الصوفى ١٥٦٣ م
محمود باشا ١٥٦٦ م
سنان باشا ١٥٦٧ م
جسين باشا ١٥٧٣ م
حسين باشا مسيح ١٥٧٥ م
حسن باشا الخادم ١٥٨٠ م
ابراهيم باشا ١٥٨٣ م
سنان باشا الثانى ١٥٨٤ م
عويس باشا ١٥٨٥ م
أحمد باشا الخادم ١٥٩١ م
قورط باشا (أوكرد) ١٥٩٥ م
محمد باشا الشريف ١٥٩٦ م
خضر باشا ١٥٩٨ م
على باشا السلحدار ١٦٠١ م
ابراهيم باشا ١٦٠٤ م
محمد باشا الكورجى (الخادم) ١٦٠٥ م
حسن باشا ١٦٠٥ م
محمد باشا ١٦٠٧ م
محمد باشا الصوفى ١٦١٢ م
أحمد باشا الدفتردار ١٦١٣ م
مصطفى باشا لفقلى ١٦١٧ م
جعفر باشا ١٦١٨ م
مصطفى باشا ١٦١٩ م
محمد باشا ١٦٢٢ م

ابراهيم باشا ١٦٢٢ م
مصطفى باشا (ثانية) ١٦٢٣ م
بيرام باشا ١٦٢٧ م
محمد باشا ١٦٢٩ م
موسى باشا ١٦٣٠ م
حسن بيك (مؤقتا) ١٦٣١ م
خليل باشا البستانجى ١٦٣١ م
أحمد باشا الكورجى ١٦٣٣ م
حسين باشا ١٦٣٦ م
محمد باشا أحمد ١٦٣٨ م
مصطفى باشا البستانجى ١٦٣٩ م
مقصود باشا ١٦٤٠ م
سفيان بيك (مؤقتا) ١٦٤٥ م
أيوب باشا ١٦٤٥ م
محمد باشا حيدر ١٦٤٧ م
أحمد باشا ١٦٤٨ م
عبد الرحمن باشا ١٦٥١ م
محمد باشا السلحدار ١٦٥٢ م
عمر باشا ١٦٥٦ م
أحمد باشا ١٦٦٦ م
ابراهيم باشا ١٦٦٧ م
حسين باشا ١٦٧٤ م
عثمان باشا ١٦٨٠ م
حسين باشا السلحدار ١٦٨٨ م
أحمد باشا ١٦٩٠ م
على باشا قلج ١٦٩١ م
اسماعيل باشا ١٦٩٦ م
حسين باشا ١٦٩٨ م
أحمد قره محمد باشا ١٦٩٩ م
محمد رامى باشا ١٧٠٤ م
على مسلم باشا ١٧٠٦ م
حسين باشا كتخدا ١٧٠٧ م
ابراهيم باشا القبودان ١٧٠٩ م

خليل باشا	١٧١٠ م
ولى باشا	١٧١١ م
عابدين باشا	١٧١٥ م
على باشا الأزميرلى	١٧١٧ م
رجب باشا	١٧١٨ م
محمد باشا الباشيمى	١٧٢٠ م
على باشا (لمدة شهرين خلال مدة حكم محمد باشا)	١٧٢٥ م
باكير باشا	١٧٢٩ م
عبد الله باشا الكبورلى	١٧٢٩ م
محمد باشا السلحدار	١٧٣٢ م
عثمان باشا الحلبى	١٧٣٣ م
باكير باشا (ثانية)	١٧٣٥ م
مصطفى باشا	١٧٣٦ م
سليمان باشا ابن العظم	١٧٣٩ م
على باشا حكيم اوغلى	١٧٤٠ م
يحيى باشا	١٧٤١ م
محمد باشا اليدكشى	١٧٤٣ م
محمد راغب باشا	١٧٤٥ م
احمد باشا كور وزير	١٧٤٨ م
شريف عبد الله باشا	١٧٥٠ م
محمد أمين باشا	١٧٥٣ م
مصطفى باشا	١٧٥٣ م
على باشا حكيم أوغلى (ثانيا)	١٧٥٦ م
محمد سعيد باشا	١٧٥٨ م
مصطفى باشا	١٧٥٩ م
أحمد كامل باشا	١٧٦١ م
باكير باشا	١٧٦٢ م
حسن باشا	١٧٦٢ م
حمزة باشا	١٧٦٥ م
محمد راقم باشا	١٧٦٧ م
محمد باشا الأورفلى	١٧٦٨ م
أحمد باشا	١٧٧٠ م
قره خليل باشا	١٧٧٠ م
مصطفى باشا النابلسى	١٧٧٤ م
ابراهيم باشا عرب كيرلى	١٧٧٥ م
محمد باشا عزت	١٧٧٦ م
اسماعيل باشا	١٧٧٨ م
ابراهيم باشا (مات قبل أن يتولى ، فظل اسماعيل باشا فى الولاية)	١٧٧٩ م
محمد باشا مالك	١٧٨١ م
على باشا القصاب	١٧٨٢ م
محمد باشا السلحدار	١٧٨٣ م
محمد باشا يكن	١٧٨٥ م
عابدين باشا الشريف	١٧٨٧ م
اسماعيل باشا الثوسى	١٧٨٩ م
محمد باشا عزت	١٧٩١ م
صالح باشا القيصرلى	١٧٩٤ م
أبو بكر باشا الطرابلسى	١٧٩٦ م
خسرو باشا	١٨٠١ م
طاهر باشا	١٨٠٢ م
أحمد باشا	١٨٠٢ م
على باشا الجزايرلى	١٨٠٣ م
خورشيد باشا	١٨٠٤ م
محمد على باشا	١٨٠٥ م

وكانت تركيا تحرص على بقاء نفوذ المماليك ، الى جانب نفوذ الولاة : خوفا من استقلال أحد ولاتها بمصر .

وحين جاشت المطامع فى صدر محمد على وأراد الاستبداد بالأمر فى مصر ، والاستقلال عن تركيا ، لم يجد مناصا من التخلص من المماليك ، فدبر لهم مذبحة القلعة التى أفنى فيها منهم من أفنى ، وشرد الباقين فى البلاد ، فلم تقم لهم من بعد ذلك اليوم قائمة .

شرح لبعض المصطلحات*
الواردة فى تاريخ الجبرتى

ابعاديات

هى الأراضى البور أو غير المزروعة .

اتك

ذيل الثوب . ويقبّل أتكه : أى ذيل ثوبه .

أراضى الاثر

الأرض التى يتوارثها الأبناء عن الآباء ولصاحبها حق التصرف فيها بالبيع والشراء .

أرباب الدرك

رجال البوليس .

أرباب العكاكيز

أصحاب الطرق الصوفية .

أرض الشراقى

الأرض التى ينحسر عنها الماء وتبقى بلا زراعة

أروام

يقصد بهم الأتراك .

اسباهية

الخيـالة . أطلقت عـلى الأوجاقات الثـلاثة : جمليـان ، وتفكشـيان ، وجراكسـة . ومهمتها فى القـاهرة : الاشراف التـام على الباشا ورجاله بواسطة كبراء الأوجاقات المقيمين فيها ، وفى الأقاليم بواسـطة من يقيم فى الأقاليـم من رجال هـذه الأوجاقات وبخاصة الجوربجية .

استادار

اليه أمر البيوت السـلطانية كلهـا من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان يمشى بطلب السـلطان فى السرحات والأسـفار ، وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره واليـه أمور الجاشنكيرية .

اشاير

الأعلام التى يحملها أصحاب الطرق الصوفية .

اغا بيت المال

صاحب بيت المال .

اغاسى

رتبة عسكرية تعادل « صاغ » .

اغا الطواشين

رئيس البوليس .

اغات تفكجية

له رياسة الجند المسلحين .

اغات جمليان

جمليان : طائفة من الفرسان ، وأغات جمليان ، رئيس الفرسان .

اغات مستحفظان

مدير السجلات .

أغات الانكشارية

أى قائد الجند الانكشارية ، وهم الطائفـة من الجند التى يطلق عليها أحيانا « الينكجرية » .

افندية

جمع أفندى فى التركية بمعنى صـاحب ومالك ومولى وسيد ، والرجل الرقيق الحاشية ، الدمث الطباع ، والقارىء والكاتب بصفة عامة ، والعالم ورب القلم ، وهو عنوان تعظيم فيقال : فلان باشا أفندى أو فلان بيك أفندى وكانت تطلق على كتّاب ديوان الروزنامة . وكبير الأفندية هو الروزنامجى والحاكم عليهم ، وخدمته تحصيل الأموال الأميرية وصرفها فى مرتباتهـا المرتبة بموجب دفتر . وكان الباشا يعينه بموافقة شيخ البلد والصناجق ورؤساء الأوجاقات .

* استعنا فى كثير مما ورد فى هذا الجزء بمقال نشر فى عدد مايو ١٩٣٦ من مجلة كلية الآداب للمؤرخ الكبير الأستاذ شفيق غربال ، باذن كريم منه .

اكاديش

الخيول غير العربية .

الجى

مأخوذة من الفارسية « ايلجى » ومعناها سفير .

الضاشات

أتباع .

امراء شين اغلى

وأحدهم : رئيس بضعة من الأمراء المماليك

امير اخور

أمير المذاود الموكل بعلف الدواب .

امير الحج

وظيفته مرافقة الحجاج وتوزيع الصدقات والهدايا التى ترسل سنويا الى الحرمين الشريفين .

امين الاحتساب

المسئول الأول عن التموين والأسعار .

امين البحرين

المشرف على الرسوم المفروضة على الغلال الواردة على ساحلى بولاق ومصر العتيقة وله الاشراف على السفن التى تسير فى النيل والبحيرات .

امين الخردة

هو المشرف على جميع الرسوم المفروضة على الملاهى وما اليها .

امين الشون

وينتسب الى أوجاق الجاوشان . ويطلق عليه أيضا « اسم أمين الأنبار » . يشرف على شون الغلال الأميرية ، وقد كان الجزء الأكبر من أراضى الصعيد يجبى ماله غلالا . وكانت له عوائد من نقد وغلال على كل ملتزم يؤدى المال غلالا ، هذا الى أنه كان مسموحا له بأن يستعمل عند صرف الغلال من الشون لمستحقيها كيلا أصغر من الكيل الذى استعمله عند الاستلام من دافعى الضرائب ، والفرق بين الكيلين له !

امين الصرة

هو مندوب الباب العالى لتسلم الأموال السنوية المفروضة على البلد .

انختار اغاسى

صاحب المفتاح .

انكشارية

هم الينكجرية أى الجند الجديد . وأغاة الينكجرية ، أو رئيس وجاق الانكشارية ، هو رئيس الجند فى مصر ، وهو بمثابة محافظ القاهرة الآن .

اواسى

الأوسية ، أو « الوسية » ، هى ذلك الجزء من حصة الالتزام الذى لا يوزع على الفلاحين ، بل يزرعه الملتزم لحسابه . وكانت لا تدفع عنها ضريبة بل يخصص ريعها للانفاق منه على المسافرين والجند وموظفى الحكومة الذين ينزلون ضيوفا على الملتزم .

أودة باشى

من ضباط الوجاقات ، وكانت تسميه العامة (فى ذلك الوقت) « أبو طبق » لأنه كان يلبس فوق رأسه لبادة سوداء كالقبعة ولها حافة تشبه الطبق .

اوراق جامكية

مرتبات الجند وكانت تمنح لغيرهم كمرتبات خيرية .

أوقاف الدشيشة

الدشيشة : طعام يتخذ من قمح مرضوض . والدشيشةالكبرى ترجع الى عهدالسلطان قايتباى. والدشايش الأخرى ترجع الى العهد العثمانى .

باش

باش و « باشى » — التى ترد كثيرا فى بداية بعض الألقاب المركبة أو نهايتها — لا علاقة لها بلقب « باشا » . فهى لفظ تركى معناه رأس . واذا وردت فى الاستعمال العربى فى أول الكلمة ، كتبت « باش » . واذا وردت فى نهايتها ، كتبت « باشى » وأحيانا تنطق « باشه » .

باشا

الباشا هو وكيل السلطان العثمانى فى مصر .

وكان مقره بالقلعة . وكان يعين لسنة واحـــدة قابلة للتجديد . ولكن بقاء بعض الباشوات مددا طويلة لتجديد مددهم ، وعزل بعضهم أو نقله قبل انقضاء العام ، جعل متوسط بقاء الواحد منهم فى باشوية مصر نحو سنتين .

ويجب ألا يخلط بين لقب « باشا مصر » ولقب « الوالى » ، فان الوالى فى ذلك العهد كان يطلق عادة على رجل وظيفته صـيانة الأمن فى المدينة ، وما يتعلق بذلك ، فهو شبيه بحكمـدار البوليس فى أيامنا .

باشا جاجرت

رئيس محررى دفاتر الأراضى .

باشجاويش

رتبة عسكرية ، قائد فرقة حربية . مع ملاحظة أن فى عهد محمد على أصبحت تطلق على كل رئيس مدنى أو عســكرى حتى كانت تطلق على أوائل الطلبة فى المدارس .

برانى

زيادة خارجة عن المال الميرى المطلوب للسلطان عن الأراضى الزراعية .

بشلى

ساعى ، رسول .

بصاصون

الحرس (الغفر) .

بطط

أوعية مصنوعة من الجلود لتملأ بالبارود .

بلانات

النساء اللاتى يقمن بخدمة النساء فى الحمامات العامة .

بلكات

الحاميات العثمانية وعددها ستة فى مصر .

بندقى جنزرلى

كانت قيمته أكثر قليلا من مائة بارة والبارة ثلاثة مليمات .

تطريدة

تجريدة أو حملة من العساكر .

تفكجى

الجندى من حملة الأسلحة النارية .

تمكينات

من أهم اصـطلاحات ذلك العصر ، فلا بد من « تمكين » قديم أو جـديد ، واقعى أو وهمى ، لاكتساب حق أو الانتفاع بحق .

جاووجان

حامية مهمتها جمع الضرائب .

جراكسة

حامية من حاميات البكوات المماليك الجراكسة .

جزية

الجزية هى ضريبة كانت مفروضة على الذكور البالغين من أهل الذمة من نصارى ويهود .

جفالك

جمع جفلك ، اسم يطلق على مقدار جسيم من الأطيان التى كانت تعطى للعائلة الخديوية .

جماكى

جماكى جمع جمكية أو جامكية . وهى كلمـة فارسية تعنى أصلا المرتب يصرف لشراء الملبس . ثم أصبحت فى الاصطلاح العثمانى المملوكى تعنى مرتب الجنود .

جمرك البهار

جمرك للبضائع الواردة الى السويس ، وهو فى الطريق بين القاهرة والسويس .

جوربجى

كان يطلق فى الاستعمال العثمـانى على ضباط الانكشارية وعلى مختارى القرى المتقدمين فيها أو بعبارة أخـرى على أعيان الجهـات . وهى رتبة عسكرية تعادل اليوزباشى .

حرفوش

أحد أبناء البلد ، جمعها : حرافيش .

حق طريق

رسوم المرور .

حلوان

الحلوان هو الرسم الذى تتقاضاه الحـكومة لنقل حق أو منفعة من شخص الى شخص آخر .

فحلوان بلاد الأموات مثلا ، معناه أن حصص الالتزام التى يموت ملتزموها — فتصبح بذلك بلاد أموات — يستطيع ورثة هؤلاء الملتزمين نقلها الى أنفسهم بشرط تأدية الحلوان — فهو ، فى هذه الحالة ، بمثابة « رسم التسجيل » .

حمامجى اوغلى

الأغا المختص بالحمام .

خازندار

أمين الخزانة وظيفته حمل الخراج سنويا الى الآستانة .

خاصكية

حرس الباشا .

خردة

رسوم مفروضة على الملاهى والنساء « العوالم » والحواه ومن يماثلهم .

خزنة او خزينة

الخزانة أو الخزينة ، فى اصطلاحهم ، هى مقدار ما يبقى مما يجبى من مصر من ضرائب بعد انفاق كل ما قرر السلطان انفاقه ، ويرسل هذا الباقى لعاصمة الدولة .

ولم يكن ما تحويه « الخزنة » مبلغا ثابتا ، فان الحكومة العثمانية كانت تأمر أحيانا بأن تخصم منه نفقة اضافية . وأحيانا كان الباشا يخصم من الخزنة لتسديد عجز فى بعض الأبواب المقررة ، أو لمواجهة طلب استثنائى .

وكانت ترسل الى استانبول فى احتفال كبير .

وفى الأيام السابقة للفتح الفرنسى كانت أيدى المماليك قد بدأت تمتد الى مال الخزنة . ثم أصبحوا يرسلونها مرة ، ولا يرسلونها مرة أخرى ، على حسب أهوائهم ، معتذرين بمختلف الأعذار .

وقال الجبرتى عن الخزنة التى أرسلت فى سنة ١١٨٠ هـ : « ... وهى آخر خزينة رأيناها سافرت الى اسلامبول على الوضع القديم » .

وقد تطلق « الخزانة » أيضا — أو « الصرة » — على المال الذى كان يرسل مع أمير الحج الى الحرمين . ولم تسلم هذه الخزنة أيضا من أيدى أمراء المماليك !

خشداش

أو خوشداش أو خجداش أو خوجداش ، معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش ومعناه الزميل فى الخدمة أو الزميل فى الرق . وخوش أى السرور والخشداشية فى اصطلاح عصر المماليك بمصر ، هم المماليك الذين نشأوا عند أستاذ واحد .

دفتردار

كبير الشئون المالية . وكان عادة من الصناجق من أمراء المماليك المصريين وعليه ضبط الحسابات وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ أمر بيع عقار الا بعد توقيعه عليه اشارة الى تسجيله فى دفاتره . وعليه الحضور فى كل ديوان لتحصيل الأموال الميرية بموجب دفتر الروزنامجى . وله عوائد على طرف الميرى وعلى طرف الباشا وعلى حلوان بلاد الأموات عن كل كيس حلوان ألف فضة ، وله فراوى على الباشا فى أربعة أوقات : حين قدومه وحين عزله ، وفى وقت تحصيل مال الصرة الشريفة ، وفى وقت تشهيل الحزنة ، وفروة على أمير الحج وقت التسليم (أى وقت تسليم أمير الحج الصرة)

ويساعده جماعة من الموظفين ، ويشد أزره حرسه الخاص وأوجاق الانكشارية من الحامية العثمانية فى مصر .

دلاة

أو دولاتية : جمع ديلى ، وهى كلمة تركية معناها المجنون وأطلقت كلمة دلاة أو دلاتية (جند من أكراد سوريا) على هذا الجيش لشهرة رجاله بالتهور فى البسالة .

دونانمة همايون

الأسطول العثمانى .

ديوان

مجلس شورى الباشا . يتألف الديوان من ضباط الفرق (الوجاقلية) ، والدفتردار ، والخازندار والروزنامجي .

ولهذا الديوان سلطة كبيرة في ادارة الحكومة لأن الباشا (الوالي) لا يستطيع أن يبرم أمرا الا بموافقة أعضائه ، واذا وقع خلاف بينه وبينهم يؤجل البت فيه الى أن يرفع الى الآستانة . ولهم أن يطلبوا عزله . فكانت سلطة ديوان الفرق بمثابة رقابة واشراف على سلطة الوالي .

ديوان افندي

وصحتها ديوان أفنديسي وهو سكرتير الديوان أو رئيس كتابه .

ديوان صغير

أو الديوان فقط ، ويتألف من كتخدا (نائب الباشا) والدفتردار والروزنامجي ومندوب عن كل وجاق والأغا (الرئيس) وكبار الضباط من وجاق المتفرقة ووجاق الشاويشية وينعقد كل يوم في قصر الوالي وينظر فيما تحتاج إليه البلاد . وكان الباشا يبلغ أمره للديوان الكبير بوساطة كتخدائه (نائبه) وعليه تنفيذ قرارات الديوانين وكان يحضر جلساتها دون أن يشترك في مداولاتها .

رزق

جمع رزقة . وهي الأرض التي كان ينعم بها السلاطين على بعض الناس يتصرفون فيها كيف شاءوا ، وهذه الأراضي معفاة من الضرائب ولذلك تسمى « أرض رزقة بلا مال » . وكانت ادارة الروزنامة تعطى المنعم عليه بمثل هذه الأراضي « تقسيطا » أو سندا للتمليك يخوله ملكها ملكا مطلقا ، مع حقه في التصرف فيها .

رفع المظالم

استبعاد سبب الشكاوى .

رميلة

ميدان صلاح الدين بالقلعة ، والمعروف بالمنشية .

روزنامجي

وظيفته ادارة الخراج (ضرائب الأطيان أو أموال الميرى) وضبط حساباته .

روزنامة

فارسية الأصل معناها « الجرنال » أو التقويم . ويطلق اسم الروزنامة على مكتب الحسابات العامة لقيد الدخل والمنصرف ويعرف باسم « باش قلم » أي المكتب الرئيسي و « ميزان » أو « ميزانية » . ويجري به رسم الحالة المالية مرة في كل عام أو ستة شهور في « خلاصة اجمالية » مقدرة بالكيس .

روك

(أو التأريع) أي مساحة الأراضي ومراجعة مكلفاتها القديمة وفحص حاصلات الأراضي وتوزيعها وربط زمامها .

سارى عسكر

قائد القوات .

سدادرة

الرؤساء .

سرجشم

بكباشي .

سردار

نائب السلطنة : الذي في يده سر الدار ، الذي يحل محل الباشا أثناء غيابه .

سفاشية

جنود الخيالة .

سلحدار

حافظ السلاح .

سماط

الوليمة : (العزومة) .

شنك

صواريخ ، أو مدافع تطلق للابتهاج أو للتحية .

صرة

المال المرسل للحرمين أو الى الآستانة .

صناجق

الصنجق أو السنجق او السنجاق كلمة تركية معناها العلم أو اللواء . وقد أصبحت تطلق على القسم من الولاية الكبيرة . ولا يزال مرادفها في

العربية — وهو « اللواء » — يطلق على المعنى نفسه فى بعض الأقطار العربية .

والصنجق أيضا هو الحاكم على هـذا الجزء من الولاية .

وقد تكون « الصنجقية » أيضا مجرد رتبة ، دون أن يكون حاملها حاكما لصنجقية . فرتبة « صنجق طبلخانة » مثلا ، كانت تكسب صاحبها الحق فى أن يدق له الطبل وغيره من الآلات الموسيقية عند قدومه ...

وكان عدد صناجق البلاد ، أول الأمر ، أربعة وعشرين . ثم احتفظت الدولة العثمانية لنفسها بالحق فى اعطاء هذه الرتبة ، كما احتفظت بالحق فى تعيين صناجق الثغور الثلاثة المهمة : الاسكندرية ودمياط والسويس .

أما التعيين للصنجقيات الباقية فكان يحدث فى مصر نفسها تبعا لقوة المتنافسين عليها . فكان صاحب النفوذ يسعى لجعل الصناجق من تابعيه أو مماليكه .

وكان على الصناجق « مال ميرى » يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

صنجقية

اقليم : مديرية .

ضربخانة

دار الضرب التى تسك فيها النقود .

ططرى

ساع : « حضر ططرى من الدولة وعلى يده مثال » بمعنى حضر رسول أو ساع وبيده رسالة .

عرضى

مأخوذة من التركية « أوردو » ومعناها الجيش أو الفيلق وتؤدى معنى المعسكر .

عزبان

طائفة كانوا فى الأصل من جند البحر من حملة البنادق .

عوائد

لم يكن من الضرورى أن تدفع الحكومة فى ذلك العهد للموظف مرتبا ثابتا شاملا كماهو الحال الآن ، بل ترتب له « عوائد » على أبواب مختلفة من دخل وظيفته ، أو تعطيه حق فرض رسوم يجبيها لنفسه على أصحاب المصالح الذين ينجز لهم عملا ، وهكذا . أو قد تدفع له مرتبا ، وتبيح له أن يضيف اليه « عوائد » تقررها له .

وكانت الحكومة اذ ذاك تفرض على بعض أصحاب المناصب أن يؤدوا لها مالا سنويا نظير تمتعهم بعوائد مناصبهم ، وهو ما كان يسمى « ميرى الوظائف » .

ولم تكن هذه « العوائد » مقصورة على صغار الموظفين ، بل ان « الباشا » نفسه كانت له عوائد ، منها مثلا : « أربعمائة فضة على كل فرق بن مستورد » . والفضة كانت مسكوكات دقيقة من الفضة أو النحاس يطلق على الواحدة منها « نصف » أو « نصف فضة » . و « الفرق » هو الزنبيل الذى يسع نحو ثلاثة قناطير ونصف قنطار من البن .

غز

يقصد بهم المماليك .

فائض الالتزام

هو الفرق بين ما يدفعه الفلاح للملتزم وبين ما يورده الملتزم لخزينة الروزنامة .

فردة

ضريبة استثنائية .

فرضة

ضريبة الرؤوس .

فرمان

الأمر العالى يصدر من السلطان .

قاضى

كان القاضى هو النائب عن السلطان فى الأحكام الشرعية ، وكان يحضر كل عام من استانبول الى مصر . وكانت وظيفته أن يحكم بين الناس بالوجه الشرعى ، وله الختم والعلامة على جميع التمكينات

— مثل الحجج والتقارير وما اليها . وله عوائد معلومة على جميع وقاف مصر ، وعلى جميع التمكينات التى يقع فيها البيع والشراء .

وكان من تحت يده محاكم فى مختلف الجهات ، بها قضاة ، وكل محكمة فيها سجل للقيد ، ويعرض على القاضى التركى ما يقيد بالسجلات شهرا شهرا ، ويعلم عليه بالعلامة والختم . وكان لهؤلاء القضاة عوائد على الناس بحسب الوقائع والبيع والشراء ، والقاضى التركى له عوائد على القضاة المذكورين فى كل شهر .

وبقى الأمر كذلك الى وقت الاحتلال الفرنسى حين عهد الفرنسيون الى عالم مصرى — هو الشيخ العريشى — رياسة القضاء . وبعد جلاء الفرنسيين عاد الأمر الى ما كان عليه ، واستمر كذلك الى أن انقطعت علاقة مصر بتركيا فى سنة ١٩١٤ عند قيام الحرب العالمية الأولى .

قابجية

سعاة .

قائمقام

لقب شيخ البلد . وهو الاستعمال الاصطلاحى . وتستعمل قائمقام أيضا فى معناها الأصلى لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائمقام الباشا مثلا لمن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشوية خالية .

قبودان

قائد البحرية .

قربانة

البندقية .

قشلة

المستشفى أو المصحة .

قلبق

غطاء للرأس من الفرو أو القطيفة كان يلبسه أهل القوقاز .

قلق

مركز العسكر أو ما نسميه الآن « نقطة البوليس » ويطلق على المخفر ، أو ضابطه ، أو أحد رجاله .

قليونجية

البحرية .

قناطيش

نوع من الملابس .

قنجة

مركب .

قواسة

الحرس .

قولانة

غطاء للرأس .

كاشف

هو بمثابة المدير اليوم اذا كان يحكم المديرية كلها وبمثابة وكيل المديرية او مأمور المركز اذا كان يحكم جزءا منها .

وكلمة كاشف مأخوذة من فعل كشف ، لأن الأصل فى وظيفة الكشاف أن يكشفوا أحوال المديريات . ولما اتسعت سلطتهم وصار اليهم الحكم وأخذوا المديريات التزاما بقى الاسم القديم ملازما لهم وصار الكاشف يحكم المديرية أو جزءا منها باسم البيك .

كبكبة

جلبة الخيل فى المسير .

كتخدا

هو الوكيل عن الباشا ، ويعينه السلطان برتبة صنجق ويتغير بتغير الباشوات . وقد حرفه الاستعمال الى « كخيا » .

كتخدا مستحفظان

وكيل محافظة .

كخيا

محرفة من كلمة كتخدا (انظر كلمة كتخدا)

كرنكة

الاختفاء خلف المتاريس .

كورنتيلة

حجر صحى .

كيس

يساوى ٥٠٠ قرش من عملة ذلك العصر ، أو ٢٥ ألف نصف فضة .

لك

مائة ألف فرنسا .

مال الحلوان

رسم تسجيل .

مال الكشوفية

هى نفقات الادارة المحلية .

مال حر

وهو مجموع ضريبة الخراج وضريبة الكشوفية والفائض ، وهو المقرر أصلا على الأطيان أو الضرائب القانونية ، يدفعها الفلاحون للملتزمين وهؤلاء يدفعون الميرى والكشوفية ، وما بقى فهو لهم

مال ميرى

أو « الميرى » فقط : ضريبة الخراج وهى المخصصة أصلاً للسلطان . وضريبة الكشوفية وهى مخصصة للبيك أو الكاشف حاكم المديرية .

متفرقة

فى الأصل التركى القديم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعات وخدمتهم حفظ القلاع الخارجة عن مصر من جهة الشرق مثل العريش وغيره . ومن جهة الشمال مثل الاسكندرية ودمياط وأبو قير ومن الوجه القبلى مثل أسوان وأبريم ..

محتسب

أو أمين الاحتساب : وظيفته مراقبة الأسواق والتفتيش على الباعة والتجار لمنع وقوع الغش فى المعاملات .

وكان المحتسب من الجاوشية — أى لم يكن من المتفقهين فى الدين كما هو الأصل فى الحسبة كما عرفها الصدر الأول من المسلمين .

محلول

من الاصطلاحات الهامة فى ذلك العهد ، تطلق على حصة الالتزام وعلى الوظيفة اذا مات صاحبها فيعاد منحهما من جديد نظير الحلوان .

محملدارية

الادارة الحكومية المختصة بالمحمل (الآن دار الكسوة) .

مرابط

كثيرة الذيوع عند المغاربة ، وتطلق على الأولياء الصالحين والشيوخ المجاهدين وقد قامت لهم دولة بالغرب « دولة المرابطين » .

مزاريق

الرماح .

مشايخ البلد

العمد : وشيخ البلد لقب كان يعطى لكبير المماليك فى ذلك العصر فى ابان سطوتهم وهو بمثابة أمير قصر .

مشد

خدام (خفير) تحت يد قائمقام وهو الذى يحضر الفلاحين الى الديوان فى وقت طلب المال وعليه القيام فى سائر خدمة قائمقام .

مصالحات

دفع الناس بدل الشيء أموالا .

مضاف

زيادة ثانية على المال الميرى . وكان تحصيله على موسمين : صيفى وشتوى .

مضرب النشاب

مكان الرماية . وفى حى « جاردن سيتى » بالقاهرة شارع لايزال يحمل هذا الاسم .

مكتوبجى

الذى يحمل الرسالة .

مكوس

ضريبة الجمارك .

ملتزمون

هم الملاك الذين يأخذون القرى « التزاما » ويتصرفون فيها تصرف المالك فى ملكه على أن يتكلفوا للحكومة بدفع نصيبها من الضرائب .

مملوك

اسم مفعول من ملك ، ومعناه المقتنى ملكا ، أى الرقيق . على أنه يجب التمييز بين هذا النوع من

المماليك الذين يتخذهم « أساتذتهم » جنداً وبين خدمة المنازل الذين يسمون عبيداً .

مهاترة

المهاترة جمع مهتر . و « المهتر » فى اللغة التركية هو رجل الموسيقى . ويضرب المهاترة النوبة — أى يعزفون على آلاتهم الموسيقية — فى أوقات معينة : كضرب النوبة عند شروق الشمس أو غروبها مثلا .

مهردار

حامل خاتم الباشا .

مهم

حفلة .

موسقو

أى الروس (موسكو) .

ميرى مال الكشوفية

هو ما يدفعه الكشاف للحكومة .

نجاب

حامل الخبر .

نقاير

طبل .

نوبة

يقال يضربون النوبة : أى يعزفون على الآلات الموسيقية فى وقت معين .

والى

كان « الوالى » أو « الباشا » هو نائب السلطان فى حكم البلاد ، فكان يمثله ويبلغ أوامره لرجال الحكومة ويراقب تنفيذها وله الرياسة على جميعها ، على أن سلطته محدودة مقيدة ... ذلك أن السلطان سليم خشى لبعد مصر عن مركز السلطنة أن يطمح ولاتها الى الاستقلال بها والخروج على حكومة الآستانة ، فجعل مدة الوالى سنة واحدة ، تنتهى ولايته بنهايتها ما لم يصدر فرمان بتجديدها .

أما اذا أطلق لفظ « الوالى » على حاكم أى جهة من الجهات ، فكان يقصد به وظيفة قريبة من وظيفة « الحكمدار » فى أيامنا . وقد كان بعاصمة الديار حين دخول الفرنسيين ثلاثة « ولاة » : واحد للقاهرة ، وآخر لبولاق ، وثالث لمصر العتيقة . وكان الولاة الثلاثة تحت رياسة أغا الانكشارية . ثم اصبحت لوالى القاهرة رياسة على زميليه ، وكان له — دونهما — مرتب ثابت فى الميزانية ، وكان يقوم أيضا بوظيفة حاجب الديوان ، وكان عليه الاشراف على جرف الخليج الناصرى .

وجاقات

« الوجاق » فى الاستعمال العربى الدارج هو الموقد . وقد كان يطلق « الوجاق » أو « الأوجاق » على الطائفة من الجند . وكان يقال للجندى « وجاقلى » ويجمع على « وجاقلية » .

وكانت طوائف الجند لذلك العهد سبعة « وجاقات » ، هى : المتفرقة ، وجاوشان ، وجمليان ، وتفكشيان ، وجراكسة ، ومستحفظان ، وعزبان (انظر كل لفظ فى موضعه من هذا البيان) .

وكانت هذه الطوائف من الجند هى العنصر الفعال فى حكومة مصر .

وقف

يشمل الأملاك المحبوسة أصلا على المساجد وأعمال البر والخير ، وقد انتشر الوقف فى العصر العثمانى لأنه كان الوسيلة التى يأمن بها الملاك على أملاكهم من عسف المماليك ، فعمدوا الى الوقف يحبسونه على جهة من جهات البر والاحسان ويجعلون لأبنائهم أو من يوصون اليهم من ذوى نسب أو صلة أو خدمة ، حق الانتفاع بالأرض بعد وفاتهم فيجد الموقوف عليهم من ريعها غلة ثابتة لا تمتد اليها مطامع المماليك بالسلب والاغتصاب .

يسق

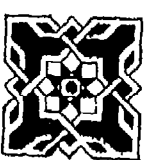
مكان الاعتقال .

ينكجرية

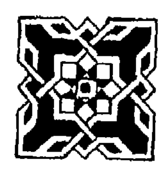
هم طائفة من الجند تسمى أحيانا بالانكشارية (انظر انكشارية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ ■ يشرف قطاع النشر والتسويق بمؤسسة « دار الشعب » للصحافة والطباعة النشر – أعرق دور الطباعة والنشر فى مصر والوطن العربى – أن تقدم للقراء الكرام نخبة مختارة من إصداراتها فى مختلف مجالات الثقافة الاسلامية الرفيعة المتميزة والابداع الأدبى والثقافى والعلمى والتاريخ المصرى القديم والمعاصر أمهات الكتب والتفاسير والأدب التربوى المصور للطفل وكل ما يهم القراء والأسرة المصرية والعربية والدارسين والمحققين والباحثين عن مصادر موثوقة تخدم الحياة التقدم بزاد ثقافى تربوى وحضارى لا ينفذ .



مع تحيات قطاع النشر والتسويق



المصحف المفسر بالمقدمة ..

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ..

تفسير القرطبى ..
[الجامع لأحكام القرآن]

الموطأ ....

فتح المبدى ..
[شرح مختصر الزبيدى

■ تفسير الجلالين .

■ تفسير الألوسى .

■ التيسير [خلاصة
تفسير ابن كثير] .

■ صحيح البخارى .

■ صحيح مسلم .
[بشرح النووى] .

- ■ ريـاض الصـالحـين ..
  [من كلام سيد المرسلين] .
- ■ المعجـم المفهـرس لألفـاظ
  القـرآن الكـريـم .
- ■ من أنبـاء الـرسـل .
- ■ دائرة المعارف الإسلامية
- ■ أدب الدنيا والدين .
- ■ الزواجر عن اقتراف الكبائر .
- ■ مكـاشـفة القلـوب .
- ■ يـوميات العقــاد .
- ■ دلائل النبـــوة .
  [ومعجزات الرسول ﷺ] .
- ■ مقدمة ابن خلدون .
- ■ صفة الجنـة وأهلـها .
  [فى الكتاب والسنة] .
- ■ التـراث العربـى الإسـلامـى .
- ■ الإسـلام ورعـايتـة للطفـولـة
- ■ تبويب آى القرآن الكريم .
  [من الناحية الموضوعية
- ■ فضائل وآداب وأحكام
  القـرآن الكـريـم .
- ■ عبقريات العقـاد
- ■ الموسوعة الثقافية
- ■ إحيـاء علـوم الديـن .
- ■ العبـــادة .
  [أحكام .. وأسرار
- ■ الأغـــانـى .
  [لأبى فرج الأصيهانى] .
- ■ ألف ليلة وليلة .

- مع أسـماء المصطفى
- شــروق الإســلام .
- نسـمات إيمـانيـة .
- الحب والشعر فى حياة ابن أبى ربيعة
- العقاد ومعاركه فى السياسة والأدب
- الإنتصارات العربية العظمى
  فـى صـدر الإســلام .
- تخطيط الموارد السياحية .
- جرائم تهريب النقد .
- فن التفصيل والحياكة .
- لـك يا سـيدتـى ..
- أركـان الإســلام .
  [فى خمسة كتب للإطفال] .
- عمــرو فـى مصــر .
- روضـة الأولاد والبنـات .
- إرســم..ولــون .
- الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء ..
- العـربيـة فـى الإعـلام
  وأخطـاؤهـا الشـائعـة .
- مـن آخـر كلمـات العقـاد .
- التحديات التى تواجه العالم الإسلامى
- مكـافحـة الإرهــاب .
- أبطال الكفاح الإسلامى المعاصر .
- القصص الدينى فى مسرح الحكيم .
- عودة الإبن الضال .
- فن تربية الطفل .
- الأساس فى تفصيل ملابس السيدات .
- رايـة الإســلام .
  تعلــو عمــان .
- حكـايـات الأصـدقـاء .
- ضحـك .. ولعـب .. وجـد

عزيزي القارئ

نرحب بك قارئاً ومتابعاً لإصداراتنا المتعددة بكبرى مكتبات التوزيع بعواصم محافظات جمهورية مصر العربية .. والوطن العربي وزائراً لمكتبتنا بالمركز الرئيسي لمؤسسة دار الشعب .

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة

مع تحيات

رئيس قطاع النشر والتسويق

سعد قنديل